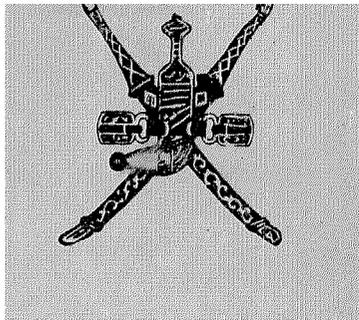


سَاطِنَةُ عُمان
وَزارةُ التُّراثِ القومِيِّ وَالثَّقافةِ



بريطانيا والخليج

١٧٩٥ : ١٨٧٠

تأليف
جون ب. كيلى

الجزء الأول

ترجمة
محمد أمين عبدالسد



Bibliotheca Alexandrina



0024428

سَلْطَنَةُ عُومَانِ

وزارة التراث القومي والثقافة

بريطانيا والخليج

١٧٩٥ : ١٨٧٠

تأليف

جون ب. كيلن

الجزء الأول

ترجمة

محمد أمين عبدالستار

راجع الكتاب وأشرف على طبعه الأستاذ

عبد المنعم عامر

طبع مطبعة علي بن أبي طالب وشركاه

سلطنة عمان
وزارة التراث القومى والثقافة
مكتب الوزير

تقديم

عاشت منطقة الخليج خلال القرن التاسع عشر الميلادى أحداثا على جانب كبير من الأهمية كان لها أثرها البعيد فيما آلت اليه حياة الشعوب فى هذه المنطقة .

وكان الشعب العماني فى نشاطاته البشرية وفى بيئته الطبيعية - كما لا يزال - عاملا مشتركا فى تواريخ شعوب منطقة الخليج ، وتاريخه هو المرآة التى تبين على صفحاتها الأحداث العالمية . والسياسات الدولية ، والتيارات الفكرية والعقائدية التى نشطت فى المنطقة خلال تلك الفترة .

ولقد تناول المؤرخون على اختلاف مذاهبهم وألوانهم وجنسياتهم تاريخ منطقة الخليج من زوايا مختلفة ، فكتبوا المؤلفات العديدة بلغات أوروبية وغير عربية ، وكان من بين هؤلاء المؤرخين ، المؤرخ البريطانى جون كيلي الذى ألف هذا الكتاب . وسماه ، بريطانيا والخليج بين عامى ١٧٩٥ و ١٨٨٠ م . ونظرا لما لهذا الكتاب من قيمة تاريخية فقد رأت الوزارة أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية ، وأن تنشره الوزارة تبينا لما تضمنه من تواريخ عالج المؤلف أحداثها بقدر كبير من الوفاية والتمام .

وانه لمن المعروف بداهة أن كتب التاريخ تمثل صورا لأحداث ماضية وهى فى كل الأحوال تعبر عن انطباعات مؤلفيها وآرائهم الخاصة ، ومن ثم فان الآراء والمعلومات التى يتضمنها كتاب بريطانيا والخليج لا تمثل أى وجهة نظر معينة ، سياسية كانت أو غير سياسية ، لحكومة سلطنة عمان . وانا لندرجو أن تحقق خطة الوزارة لنشر الكتب على مختلف ألوانها ما تصبو اليه من بيان ومعارف يتزود بها الفكر العماني والعربى فيستثير بها فى مسيرته الحضارية ، ونحن نخطو نحو الامجاد التى نترسمها فى ظلال من رعاية صاحب الجلالة السلطان قابوس .

فيصل بن على بن فيصل
وزير التراث القومى والثقافة

مقدمة المؤلف

على الرغم من أن الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للخليج في عالم اليوم لم تعد موضع نزاع ، فإن التاريخ الحديث لهذه المنطقة وتاريخ الوجود البريطاني فيها لم يلقيا الاهتمام الوافي من الباحثين في هذا المضمار وقد يرجع هذا النقص الى ارتباط الخليج بالحكم البريطاني في الهند ، وبالتالي لم يحظ من المؤرخين البريطانيين المعاصرين بذلك الاهتمام الذي كان له في السابق ومازال له حتى اليوم . ان غروب شمس الامبراطورية البريطانية لا ينبغي أن يعزف الاهتمام بماضى تلك الامبراطورية وإنما على العكس من ذلك ، فهذا الماضى قد يشير في النفس كثيرا من الانطباعات عنيفة كانت أم مفروضة عن ماضى تلك الامبراطورية على ضوء المفاهيم السائدة أو أنه قد يشجع على اغفال ذلك الماضى كليا . وقد يكون صحيحا أن الخليج هو آخر محطة ينحسر عنها الوجود الاستعماري ، مهما كانت الطريقة التي تم بها ذلك الانحسار ، لقد كان الخليج أول منطقة اتجهت اليها انظار المغامرين من رجال التجارة البريطانيين في الشرق ، وقد مضت الآن ثلاثة قرون ونصف بالتحديد منذ أن نزلت أول شحنة للبضائع على شواطئ الخليج، وهي الشحنة التي استهلكت بها شركة الهند الشرقية نشاطها التجاري مع فارس واقامت على أساسها علاقات تجارية استمرت حتى هذا اليوم أما الاتصال بدول ساحل الخليج فلم يتحقق قبل مرور قرنين منذ ذلك الوقت الذي أصبحت فيه العلاقات البريطانية مع الخليج تخضع للاعتبارات السياسية أكثر مما تخضع للمصالح التجارية . وانطلاقا من تلك الاعتبارات فرضت بريطانيا حمايتها البحرية على الخليج منذ ذلك الوقت .

ان أهم المؤلفات التي صدرت عن تاريخ وجغرافية الخليج هو ((دليل الخليج الفارسي)) - ((عمان والمنطقة الوسطى للجزيرة العربية)) . تأليف : نجى . جى . لوريمار ، فقد قام لوريمار باعداد هذا الكتاب في قسم الشؤون

الخارجية لحكومة الهند فيما بين عام ١٩٠٥ ، ١٩٢٥ ، وقد صدر المجلد الجغرافي من الكتاب عام ١٩٠٨ ، كما صدر المجلد التاريخي عام ١٩٢٥ م ، أى بعد وفاة لوريمار بوقت قصير . ويعتبر الكتاب من أضخم وأهم الأعمال التى صدرت فى هذا المضمار ، بل قد يفوقها جميعا ، أننا لا نتصور أن يضارعه أى عمل آخر حاضرا أو مستقبلا ، فضلا عن التفوق عليه . غير أنه من المؤسف أن هذا الكتاب لم يلق ما يستحق من الرواج والتداول ، فقد اقتصر تداوله على الجهات الرسمية حتى الخمسينات من القرن التاسع عشر ، وحتى بعد هذا التاريخ كان الكتاب نادر الوجود . وفى غضون الخمسين عاما بعد صدور هذا السفر التاريخي العظيم لم يصدر أى مؤلف هام عن تاريخ الخليج فيما عدا كتاب أرنولد ويلسن « الخليج الفارسي » الذى صدر عام ١٩٢٨ وأعيد طبعه عام ١٩٥٤ . ولما كان كتاب أرنولد ويلسن قد ركز على العصور القديمة من تاريخ الخليج حتى هذا القرن ، فقد جاءت معالجته لتاريخ القرن التاسع عشر مقتضبة ، غير أن ذلك الكتاب بوجه عام يعتبر مزجا بارعا بين الثقافة العلمية الواسعة والخبرة الطويلة بالمنطقة ، وهذه ميزة تنفرد بها مؤلفات رجال الادارة البريطانية الذين عملوا فى الدوائر السياسية فى الهند .

ان الغاية من وضع هذا الكتاب هى ايضاح المراحل التى مر بها النفوذ البريطانى فى الخليج خلال القرن التاسع والاسس التى قام عليها هذا النفوذ ، واتخاذ عام ١٧٩٥ نقطة انطلاق لدراسة هذا النفوذ ليس لها اعتبارات خاصة ، وكل ما فى الأمر هو أنه لابد من اختيار مرحلة تاريخية من القرن الثامن عشر نبدأ بها دراسة منطقة الخليج ، من حيث تركيبات المجتمع والتجارة والسياسة قبل أن تتأثر تلك العوامل بمضاعفات الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ - وبظهور الوهابيين على مسرح الأحداث فى أواسط شبه الجزيرة العربية بعد مرور عام أو عامين منذ ذلك التاريخ .

وعلى الرغم من ذلك فان عام ١٧٩٥ لا يخلو من الأهمية فى التاريخ الحديث للخليج . ففى ذلك العام حقق الفاجار وهى الأسرة التى قدر لها أن تحكم فارس طوال القرن التاسع عشر ، وجزءا من القرن العشرين ،

انتصارهم على بقايا أسرة الزند في جنوب فارس ، وهو نفس العام الذي امتد فيه النفوذ الوهابي الذي قدر له أن يصبح القوة السياسية المؤثرة في وسط شرق الجزيرة العربية الى ساحل الخليج على اثر احتلال الوهابيين للاحساء وخضوعهم لهم . وقد كنت مدفوعا في استعراض الوجود البريطاني في الخليج فيما بين عام ١٧٩٥ ، ١٧٨٠ بهدفين .

الهدف الأول :

ان استعرض تطور السياسة البريطانية في الخليج بالذات .

والهدف الثاني :

بأن أحدد موقع الخليج في السياسة البريطانية في الشرق الأدنى كله .
 وخلال ثلاثة أرباع القرن التاسع عشر الأولى كان تصاعد النفوذ البريطاني في الخليج حقيقة مفروغا منها ، فلقد كان الخليج اذا استخدمنا الاصطلاح الذي كان متداولاً قبل جيل أو جيلين « بحرا موصدا » أمام الدول الأخرى ولكن في اواخر القرن بدأ النفوذ البريطاني يواجه تحديات وبتدرجات متفاوتة وان لم تكن خطيرة فتركيا أولا ثم فرنسا ، ثم ألمانيا وروسيا . وقد قررت ان أنهى أحداث هذا الكتاب بقصة الوجود العثماني ، ثم بابرام « المعاهدة الخاصة » مع البحرين عام ١٨٨٠ ، وهي المعاهدة التي كانت الأساس المباشر لاحتكار بريطانيا النفوذ في المنطقة ، وكانت واحدة في سلسلة الاتفاقيات التي عقدت مع دول الساحل العربية كنتيجة لظهور دول أخرى على المسرح السياسي في الخليج ابان العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر ، كما كان لتلك المعاهدة الفضل في وضع أسس المعاهدات التالية التي عقدتها بريطانيا مع دول الخليج في نفس الفترة لأنها في نظري هي الفترة المناسبة للتوقف عندها ، لكونها تعبر عن الحقبة التي كانت بريطانيا تمارس فيها سياستها في شبه انفراد عن الدول الأخرى في أوروبا ، وعن بدء مرحلة جديدة من الصراع مع الدول الأخرى .

ان حوالى ثلث المعلومات التي وردت في هذا المؤلف مقتبسة من رسالة كنت قد أعدتها فيما بين عام ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن تحت عنوان « السياسة البريطانية في الخليج (الفارسي) » . أما بقية المواد فقد قمت بجمعها خلال عام ١٩٥٥ - ١٩٥٨

عندما كنت أشغل منصب رئيس قسم البحوث لمعهد دراسات الكومنولث بجامعة أكسفورد . وانه ليسعدنى كثيرا أن أعبّر على صفحات هذا الكتاب عن تقديرى لكافة الذين منحونى التأييد والتشجيع ، وأخص بالذكر البروفوسير كيه . اس . لامبتون ، والبروفوسير دبليو . ان . مدلكوت ، والبروفوسير اس . تى باندوف ، والبروفوسير برنارد لويس ، وجميعهم فى لندن ، والدكتور جى . ال لويس ، والسيدة/ايه ام . شلفر (عميدة كلية أكسفورد بلندن) كذلك أدين بالفضل بنوع خاص للبروفوسير لامبتون على ماأبداه من اهتمام بهذا الكتاب ، وعلى الاقتراحات والانتقادات التى وجهها الى خلال مرحلة اعداد الكتاب . أما السير هاملتون جب فقد تفضل مشكورا بمراجعة مسودة الكتاب ، وساهم فيه بأراء قيمة كثيرة .

ومن البديهى أن أقر بأننى المسئول عن أى خطأ فى الكتاب ، كما أشكر اللجنة المشتركة للمجلس الأمريكى للجمعيات العلمية ومجلس البحوث العلمية للشرق الأدنى والأوسط ثم مركز الدراسات للشرق الأدنى وشمال أفريقيا التابع لجامعة مشجن ، وعلى الأخص البروفوسير دبليو . دى شورجر الذى سمح لى بالتفرغ لكتابة هذا المؤلف أثناء العمل ، كذلك أشتمم هذه الفرصة لأعرب عن تقديرى للمساعدة الكريمة التى لقيتها من موظفى مكتبة ادارة الهند ، ثم من مكتب سجلات ادارة الهند ، خصوصا الأنسة اى . اف . طومسون نائبة أمين المكتبة ، والمستر دوجلاس ماثيوز الأمين المساعد السابق ونائب أمين مكتبة لندن حاليا ، بالإضافة الى عدد من الرجال الذين كان لهم الفضل فى انجاز هذا العمل ، وعلى الأخص عما قدموه الى من عون أثناء زيارتى للخليج للاعداد لهذا الكتاب ، فاذا لم أخصهم بالشكر فردا فردا ، فأرجو الا يتصوروا أننى قد جحدت فضلهم .

وأخيرا أهدي هذا الكتاب الى الرجل الذى كان له الفضل الأكبر فى اخراجه ، والذى لولا نصائحه واهتمامه لما قدر لهذا الكتاب أن يرى النور .

جى . بى . كيلي

لندن - أكتوبر ١٩٦٥

الفصل الأول

الخليج العربي في أخريات القرن الثامن عشر

ليس في وسع أى دولة أن تمارس نفوذا على منطقة الخليج مالم تكن تلك الدولة تملك السيطرة على البحار . ولم يتسن لأى دولة أن تمارس مثل هذه السيطرة منذ سقوط الخلافة العباسية حتى الآن ، الا في فترتين ، وفي كلتا الفترتين كانت الدولة المسيطرة من الدول البحرية ، مملكة البرتغال في القرن السادس عشر ، والامبراطورية البريطانية في القرن التاسع عشر . ولقد كانت السيطرة البرتغالية على الخليج جزءا من خطة واسعة يعود الفضل فيها الى القائد الكبير الفونسو البكورك ، وكان الهدف منها الوصول الى جزر الهند الشرقية بالاستيلاء على مداخلها التقليدية - البحر الأحمر والخليج العربي ، ثم مضيق ملقا عبر رأس الرجاء الصالح حتى مصب نهر تاجوس . أما سيطرة بريطانيا على الخليج فقد تمت بطريقة عشوائية وعلى حين دخل البرتغاليون الخليج رافعين الاسنة والحرب لفرض سلطانهم عليه ، جاء البريطانيون في البداية كتجار مغامرين يبحثون عن التجارة والثروة ، ولم تتحقق السيطرة الكاملة للانجليز على الخليج الا بعد انقضاء قرنين من الزمان وكنتيجة لسيطرتهم على الهند ، وما ان ولى الربع الثاني، من القرن التاسع عشر حتى كانوا سادة الموقف في الخليج ، ومنذ ذلك الوقت فرض البريطانيون وصايتهم على هذه المنطقة .

قبل قرون عديدة من وصول البرتغاليين كان الخليج واحدا من أهم المعابر التجارية في آسيا وعن طريقه كانت تمر منتجات الهند والصين والأرخبيل الشرقى الى الأسواق في ايران ، والشام ، والعكس من ذلك كانت تعبر السلع الواردة من الجزيرة العربية وايران وأوروبا من نفس هذا الطريق الى الهند والشرق الأقصى . كما قامت وازدهرت على ضفاف الخليج كثير من المدن التجارية المعروفة كالبصرة، والبحرين ، وصراف ، وقيس ، وهرمز، وبوشهر ، غير أن هذه المدن سرعان ماسقطت واندثرت تحت ضغط الأحداث

التي توالى على المنطقة مثل ثورة القرامطة ، وسقوط الخلافة العباسية ، وغزوات المغول ، وقيام امبراطورية صفوى في ايران . وقد طواها الفناء نهائيا عند اكتشاف البرتغاليين للطريق البحرى الى الهند في نهاية القرن الخامس عشر ، ومنذ ذلك الحين تحولت جميع الطرق التجارية الرئيسية التي تربط آسيا بأوروبا الى الجنوب بعيدا عن منطقتى الخليج العربى والبحر الأحمر ، أى عبر المحيطات الجنوبية ورأس الرجاء الصالح . ولم تستأنف مسارها القديم الا بعد شق قناة السويس في النصف الثانى من القرن التاسع عشر . أما فيما يختص بالمدن والدول التي نشأت على شواطئ الخليج فقد كانت نهاية القرن التاسع عشر بمثابة كارثة كبرى لتلك الدول ، اذ أن وجودها وازدهارها كطريق دولى للتجارة أخذ يعتمد على علاقاته التجارية بالشام وأسواق البحر الأبيض المتوسط ، وما ان جرد الخليج من هذا الدور حتى سقط في قبضة السيطرة البرتغالية التي استمرت زهاء قرن من الزمان ، وهكذا أصبح للسفن البرتغالية السيطرة على مياه الخليج ، كما كان ولاية البرتغال هم الذين ينظمون الحركة التجارية في المنطقة .

ومن قلعة هرمز الكبيرة مركز السلطة البرتغالية ، كان البرتغاليون يمارسون سيطرتهم على مداخل الخليج ولم يكن في مقدور أى دولة من دول الخليج ، ولا حتى امبراطورية صفوى في فارس تحرير المنطقة من قبضة النفوذ البرتغالى لأن أيا من هذه الدول ، ولا حتى الدولة الفارسية كانت في وضع يسمح لها بتحدى القوة البحرية البرتغالية .

ولم تتح الفرصة للشاه عباس الأول ، أعظم أباطرة أسرة صفوى لطرد البرتغال من هرمز الا عند قدوم الانجليز الى المنطقة في القرن السابع عشر ، حيث استعان بأسطولهم البحرى في تحقيق هذا الأمر . وبسقوط قلعة هرمز في يد قوة مهاجمة من الفرس والانجليز سنة ١٦٢٢ انتهت للأبد السيطرة البرتغالية على منطقة الخليج ، وانفتحت أسواق ايران والجزيرة العربية أمام التجارة البريطانية ، ولم تحاول هولندا أو فرنسا ، وهما الدولتان الأوربيتان التجاريتان اللتان جاءتا في أعقاب الدخول البريطانى الى الخليج ، أن تمارسا سيطرتهما على الخليج على غرار السيطرة البرتغالية فقد حصرتا

تشاطهما في المنطقة ضمن النطاق التجاري فحسب ، وفي العشر الأخير من القرن الثامن عشر لم يبق من الوجود الأوروبى في الخليج غير شركة الهند الشرقية البريطانية ، وان كانت مصالح هذه الشركة في تلك المرحلة قد تقلصت الى حد كبير ، ولقد عمت الفوضى المنطقة منذ النكسة التي أصيبت بها البرتغال ، وترك الأمر للمشيوخ العربىة الصغيرة الواقعة على ساحل الخليج لتتنافس بين بعضها البعض على السلطة .

وكانت أكبر هذه الامارات هي سلطنة عمان التي تقع خارج حزام منطقة الخليج الأصلية . وفي العصور الوسطى كان اسم عمان يطلق على كل ذلك الجزء من الجزيرة العربية الذي يقع شرقى قطر ثم جنوبا الى المحيط الهندى ، وفي القرن الثامن عشر كان هذا الاسم يطلق على الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية والتي تشكل اليوم سلطنة عمان وساحل الهدنة . ولقد صنعت الجغرافيا من عمان استراتيجية ، اذ يحيط بها البحر من أجزائها الثلاثة ، بينما تلتف رمال الربع الخالى بجزئها الرابع الذى يفصلها عن بقية الجزيرة العربية ، وتتحكم في عمان سلسلة من الجبال تسمى جبال الحجر تبدأ من رأس رعوس الجبال حتى الخليج العربى، ثم تمتد صوب الجنوب الشرقى على شبه نصف دائرة كبيرة تمتد الى البحر العربى ، والى الشرق من هذه السلسلة بينها وبين خليج عمان يقع سهل الباطنة الساحلى ، ويبلغ طول هذا السهل ١٥٠ ميلا وعرضه نحو عشرة أميال ، ويبدأ من الجهة الشمالية من بلدة شناص ، وينتهى جنوبا في مدينة مسقط ، حيث تمتد الجبال داخل مياه البحر .

أما في الداخل فان الأرض تمتد منتهية في شكل مجموعة من السهل الصخرى تشقه أعداد كبيرة من الوديان أو جداول المياه ، ويسمى الجزء الشمالى من هذا السهل الظاهرة ، والجنوبى منه حمراء الدروع ، أما في الغرب فان المنحدرات تختلط بسلسلة من السهول الرملية أو بحيرات الملح ، حيث تقع على الناحية الجنوبية من منطقة الرمال المتحركة أو الرجراجة وتعرف (بأم السميم) والى الغرب أكثر من السبخة تقع سلسلة تلال رمال الربع الخالى غير المطروقة .

ويشق منطقة الحجر عدد من الوديان التي تفتح الطريق الى داخلية عمان ، وأكبر هذه الوديان وادى سمايل الذى يقسم منطقة الحجر قسمين الحجر الغربى والحجر الشرقى ، ولا يفصل وادى سمايل عن ثانى اكبر وديان عمان ، وهو وادى حلفين ، غير خور ضيق يمتد في اتجاه الجزء الشرقى من خليج عمان شاقا طريقه نحو الجنوب حتى شواطئ البحر العربى ، ويطل على بطن وادى سمايل سلسلة من القمم تعرف في مجموعها بالجبل الأخضر، يصل ارتفاعها الى ١٠ آلاف قدم ، وهى أعلى سلاسل الجبال العمانية كلها . وعلى بعد بضعة أميال الى الغرب تقع سلسلة جبل الكور التى لا تقل اثارة عن غيرها . أما الجانب الشرقى من عمان ، ابتداء من رأس الحد شمالا حتى ظفار جنوبا فان البلاد تشكل خليطا من كثبان الرمال كمنطقة بنى وهيبة أو السهول الحجرية كمنطقة الهفوف ، والمنحدرات الصخرية كجده الحراسين. أما ظفار ، السهل الأخضر المطل على البحر العربى فان هبوب الرياح الموسمية السنوية عليه يجعله نعمة على هذا الجزء ، وذلك لما يصاحبه من أمطار ، الى جانب وجود سلسلة جبال القرا التى تحيط به من الشمال وتحميه من الرياح الحارة التى تهب عليه من صحراء الربع الخالى .

من الوجهة التقليدية تنقسم عمان الى عدد من المقاطعات لا يمكن وضع حدود دقيقة لها ، ولكنها تتوافق مع التقسيمات الطبوغرافية للبلاد . ولا يمكن اعتبار رؤوس الجبال ، وهى مجموعة الجبال المطلة على مدخل الخليج العربى كاحدى مقاطعات عمان القديمة ، وان كانت هذه المجموعة تؤلف جزءا من سلطنة عمان الحديثة ، كذلك لم تكن ظفار مقاطعة من مقاطعات عمان فى القرن الثامن عشر ، غير ان الباطنة التى تشكل السهل الساحلى هى المقاطعة الاولى لعمان ، وقد اطلق عليها هذا الاسم باعتبارها تمثل جوف عمان بالمقارنة الى مقاطعة الظاهرة التى تعتبر بمثابة ظهر عمان . وتمتد مقاطعة الظاهرة من واحة البريمى فى الشمال حتى جبل الكور فى الجنوب حيث تنتهى فى المنطقة الام أو عمان الوسطى أى المنطقة المحيطة بالجبل الأخضر أو جبل الكور والمرتفعات العليا لوادى حلفين . أما المنحنيات الجبلية الواقعة فى الشرق من وادى سمايل فتعرف بالشرقية ، والى الجنوب والشرق منها تقع جعلان ممتدة على البحر العربى حتى منطقة رأس الحد . أما المنطقة الشمالية والتى تعرف فى الوقت الحاضر بعمان المتصالحة فهى

تشكل ، كما يدل عليها اسمها ، الحدود الشمالية للبلاد ، وهي الوحيدة التي تطل على الخليج العربي . أما المقاطعة السادسة وهي المسماة بالفريية فلم يعد لها وجود الآن ، ولكنها كانت تشكل في العصور الوسطى الجزء الغربي من أبو ظبي امتدادا الى شبه جزيرة قطر . ولقد أثرت الطبيعة الجبلية لعمان على أهلها تأثير عميقا ، إذ أن معظم هؤلاء السكان الذين يقدر تعدادهم فيما بين نصف أو ثلاثة أرباع المليون يقطنون الوديان الغربية والشرقية من منطقة الحجر (١) ، وعلى الأخص المنطقة المحيطة بالجبل الأخضر وعلى سهل الباطنة .

ان التركيب الاجتماعي لعمان قبلي محض : ففيها قرابة مائتي قبيلة رئيسية واعداد لا تحصى من القبائل الفرعية . كما أن عزلة هذه البلاد عن العالم ، ثم عزلة كل قبيلة عن القبيلة الأخرى كان سببا في انتشار عمليات الثار والأحقاد القبلية فيما بينها . وتكتل قبائل عمان ضمن طائفتين سياسيتين متناوئتين هما الهناوية والغافرية . ومن العسير تحديد أو تفسير أصول هذا الانقسام القبلي ، وترى بعض الأوساط أن منشأ هذا الانقسام هو الحروب الأهلية التي مزقت عمان في القرن الثامن عشر ، بينما يرجعه البعض الآخر الى العرب الأوائل الذين استوطنوا عمان . فقد بدأت هجرة القبائل العربية الى عمان من الجنوب العربي للجزيرة في فترة مبكرة من القرن التاسع قبل الميلاد ، واستمرت في التدفق على البلاد على امتداد العشرة قرون التالية ، ولقد استأثرت هذه القبائل اليمنية أو القحطانية ، كما كانت تدعى ، بالأرض الجديدة حتى القرن الرابع أو الخامس بعد الميلاد ، عندما استقبلت البلاد أفواجا جديدة من المهاجرين من أواسط وشرق الجزيرة . وقد استقر

(١) حسب تقدير المعتمد السياسي البريطاني في مسقط كان سكان عمان

في سنة ١٨٨٠ نحو ٦٠٠٠٠ نسمة وهم السكان الأصليون و ٢٠٠٠٠ نسمة للأقليات والعناصر غير العمانية (من أفريقيين وهنود وإيرانيين . . . الخ) وذلك وفقا للتقرير الإداري - السنوي ١٨٨٠ - ١٨٨١ من اعداد اللفتنانت كولونيل اس . بي مايلز بعنوان «ملاحظات على القبائل العمانية » تأليف جي . جي . لوريمر الذي يقدر عدد سكان عمان سنة ١٩٠٨ بنحو ٥٠٠ ألف نسمة ، ٣٠ ألفا منهم من البدو . راجع جريدة الخليج الفارسي عمان وأواسط الجزيرة العربية مجلد ٢ طبعة كلكتا ١٩١٥ الجزء الثاني عدد ١٤١٢

القادمون الجدد من العدنانيين والنزاريين ، وهو الاسم الذي كانت تعرف به هذه القبائل اليمينية ، في عمان ، رغم المعارضة القوية من اليمينيين القاطنين شمال وادي سمايل ، والمنطقة التي تعرف الآن بساحل الصلح . والمعروف أن القبائل المنحدرة من أصل يمني تسمى الهناوية بينما المنحدرة من نزار تعرف بالغافرة ، أي أن الأولى من قبائل بني هناه ، والثانية من سلالة بني غافر . وظل هذا الانقسام يغذى الصراع القبلي الذي أشرنا إليه آنفاً (١) . على أن أهم مافي مجموعة قبائل بني هناه هم آل سعد أو بال سعد . سكان الباطنة ، والحرث والحجرين ، والحبوس سكان مقاطعة الشرقية ، وآل بوسعيد ، وبني رواحة والعوامر سكان عمان الوسطى ، بالإضافة الى بني بوعلی سكان الظاهرة وبني بوحسن سكان جعلان ، والنعيم سكان الظاهرة ، وقبائل الحبتية وبال وهيبة وهما فصيلتان من ثلاث قبائل عمانية رئيسية ، وهما قبائل بدائية ، موطن نشاطها جنوب وشرقي عمان من ظفار حتى مقاطعة الشرقية ، وكلتا القبيلتين تنحدر من أصل هناوي ، بينما القبيلة الثالثة ، الدروع فمنطقة ارتيادها سفوح عمان ، وهي تنقل ولاءها من الهناوية الى الغافرية (٢) .

وبجانب الانقسام القبلي بين هذين الفريقين ، هناك الانقسام المذهبي او الطائفي ، ذلك أن معظم ان لم يكن جميع قبائل الغافرية من السنة بينما تنتمي اغلبية الهناوية الى المذهب الإباضي ، وهو مذهب الخوارج الذي ظهر في القرن الأول للهجرة بعد أن انشق مجموعة من المسلمين على الامام علي ابن ابي طالب ، على اثر موقعة حطين في شهر يوليو ٦٥٧ بعد الميلاد ، بسبب موافقته على التحكيم في الصراع الذي نشأ بينه وبين خصمه معاوية على

(١) في الوقت الحاضر لا تلعب هاتان القبيلتان دورا يذكر في الشؤون السياسية للبلاد على الرغم من أن غالب بن علي الذي تولى الامامة في عمان سنة ١٩٥٤ ينتمي الى بني هناه ، أما بنو غافر فقد كانوا يعرفون بالميايمة أي المتقبلو الولاء لانهم يمنحون ولاءهم مرة الى هذه القبيلة ومرة الى تلك .

(٢) بعض هذه القبائل مستثنون من الهناوية العاديين المنتمين الى الأصل اليمني أو النزارى أو الغافرى . فالحرث وبني رواته رغم كونهم هناوية الا أنهم ينحدرون من أصل نزارى أو يمني بينما بنوريام والنعيم والجة وهى كلها قبائل غافرية تنحدر من أصل يمني وليس نزاريا .

الخلافة فقد أصرت هذه الجماعة ببطلان التحكيم في الخلاف ، وطالبت بالاحتكام الى كتاب الله . وانكفأت تقاوم هذا الموقف بالقوة واللجوء الى الارهاب . ولكن الامام على تمكن من سحق هذه الفئة المرتدة عنه سنة ٦٥٨ م ، فيما عدا بعض الجيوب التي بقيت على قيد الحياة في العراق وفي غيره من الأقطار .

ان احدى فئات الخوارج هؤلاء وهى تقطن منطقة قريبة من البصرة هى فئة الإباضية وقد سمت بهذا الاسم انتماء الى أحد زعمائها الأوائل عبد الله ابن أباض الذى انفصل عن فئة الخوارج الأشد تطرفا فى سنة ٦٨٥ بعد الميلاد، الأمر الذى سهل للمتعاقبين من خلفاء أمية أن يقبلوا بوجود هؤلاء فى مجتمعاتهم . وعند وفاة عبد الله بن أباض (وتاريخ وفاته مجهول) انتقلت زعامة الإباضيين الى عبد الله الشيت جابر بن زيد الأزدي الذى نزح من نوى فى عمان ، وعلى الرغم من المكانة العلمية التى كان يحتلها عبد الله الشيت بين مسلمى العالم (فقد كان معروفا أنه من أكبر جامعى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم) وأنه كان ينتهج سياسة وفاق مع خلفاء بنى أمية ، كما كان يفعل سلفه واتجهت الحركة الإباضية فى عهده الى التجديد أكثر وأكثر حتى سنة ٧٢ هجرية عندما أقصى عدد كبير من أتباعها الى عمان .

ولقد انتشرت الأفكار الإباضية والخوارجية فى عمان فى مستهل الحركة وعمقت فيها وعلى الأخص بين القبائل ذات الأصل اليمنى . وعند قيام الخلافة الأموية الأولى انفصلت عمان عن الامبراطورية العربية ، ولم تعد اليها الا خلال الحقبة الأخيرة من القرن السابع بعد الميلاد ، عندما أخضعها الحاكم الحجاج بن يوسف لسلطانه ، لكنها عادت فانفصلت عن الامبراطورية العربية بعد وصول الجماعات الإباضية المطرودة من البصرة بعد عام ٧٢ وبعد سقوط الخلافة الأموية فى عام ٧٥١ ميلادية انتخبت عمان أول امام شرعى لحكمها هو الجلندى بن مسعود ، ولكن حكمه كان قصيرا الى حد كبير ، وخلال عام واحد منه قام السفاح الخليفة العباسى الجديد بفرض سلطانه على عمان بعد اعدام الامام الجلندى ، غير أن النظرية الإباضية كانت حتى ذلك الوقت قد تعمقت بصورة قوية فى وجدان العمانيين حيث غدا من المستحيل استئصالها ، فضلا عن أنها قد ارتبطت فى أذهانهم بالاستقلال .

وقد شهدت عمان عبر القرنين التاليين سلسلة من الأئمة المنتخبين ، قاد معظمهم ثورات متواصلة ضد الحكم العباسي ، ولكنهم أقصوا عن السلطة عن طريق الحملات التأديبية التي كان يقوم بها العباسيون .

وفي نهاية القرن العاشر للميلاد تلاشى نفوذ العباسيين كليا من عمان مع تفكك أوصال امراطوريتهم ، ومن ثم استعادت الامامة سلطانها على عمان باعتبارها نظام الحكم المفضل .

مبدئيا لا يختلف الإباضيون عن المسلمين السنة كثيرا . والشئ الوحيد الذي يميزهم عن غيرهم من الفرق الاسلامية ، هو تمسكهم الشديد بنصوص الشريعة ، ويقول المؤرخ كارستين ينهور في ملاحظة له عن الإباضية خلال زيارته لسقط سنة ١٧٦٥ بقوله « بأننى لم ألتق في حياتى بمحمديين يبدو عليه الوقار والتواضع كهؤلاء الإباضيين ، فهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر ، كما أنهم يتناولون كميات قليلة من القهوة ، كما أن رجالهم لا يرتدون ملابس ازهى من الملابس التي يرتديها غيرهم من العامة ، كما لا يميزهم عن هؤلاء العمائم البيضاء المزركشة وسيوف لامعة مدلاة على اكتافهم ، كما يحملون الخناجر الجميلة ويحزمونها على أوساطهم ، كما أنهم مشهورون بعدم الانفعال بسرعة ، وهم مهذبون تجاه الأجانب ويسمحون لهم بالعيش في البلاد وفقا لقوانينهم(١) . وكفيرهم من الخوارج (الذين انقرض أكثرهم الآن) فان الإباضيين متسامحون مع غير المسلمين ، وبالأخص تجاه المسيحيين واليهود ، وهذا من الأمور البارزة اذا ما قورن بموقفهم المتشدد جدا تجاه الطوائف الاسلامية الأخرى ، ويعود هذا التعصب الى أصول العقيدة الإباضية .

وكان الإباضيون الأوائل عموما كفيرهم من الخوارج لا يقرون نظرية الحاكم الدائم ، وفي رأيهم أن الامام المنتخب شرعا هو شخص تفرضه الظروف ، ولكن لابد أن يتولى الامامة عن طريق الانتخاب في كل مرة ، ولا يحق لاي أسرة أو طبقة أن تحتكر الحكم لنفسها بالوراثة ، وعلى العكس من ذلك فان من حق أى فرد ، مهما كانت طبقتة أو وضعه الاجتماعى أن يتولى مسؤولية الحكم اذا توفرت فيه الاستقامة الدينية والأخلاقية ، وبالعكس فمن واجب المسلمين الصادقين أن يقوموا باقالة أو اعلان بطلان شرعية أى حاكم لا تتوفر فيه خصائص الامامة الصحيحة ، ومن ثم فقد كان فريق من الخوارج يعتبر الامامة بمثابة خليفة المؤمنين ، وبالتالي فان الأئمة أو الخلفاء الذين يعتبرهم الخوارج أئمة شرعيين هم « أبو بكر وعمر » وعلى الرغم من أن بعض فرق

(١) رحلة عبر الجزيرة العربية المجلد الثانى ١٩٧٥ (الجزء الثانى)

الخوارج كانت تعتبر عثمان أيضا اماما شرعيا من أئمة المسلمين وذلك في الفترة الأخيرة من حكمه ، وكذلك على ابن أبي طالب قبل موقعة حطين .

ويعتقد الإباضيون بأنهم الفئة الإسلامية الوحيدة التي تطبق الدين وفقا للمبادئ الإسلامية الصحيحة وبالتالي فإن الجنة في اعتقادهم ستكون ماثوهم في اليوم الآخر . أما الفئات الإسلامية الأخرى فهي في نظرهم بعيدة عن الإسلام وأقرب إلى الكفر . وتحلل الفئة المتطرفة من الإباضيين دم غيرهم من المسلمين على هذا الأساس .

وعلى الرغم من أن جميع الإباضيين متفقون حول قضية الإمامة، شأنهم شأن الفئات الأخرى من الخوارج ، إلا أنهم أقل تطرفا تجاه المذاهب الإسلامية الأخرى فلا يرمونها بالضلالة أو الكفر كما أنهم لا ينادون بقتل أصحابها، ومن هنا فإن الإباضيين في عمان لا يصرون على أن يكون امام المسلمين اماما ملتزما ، بمعنى أن يعلن الجهاد على غير المسلمين (١) . وإنما يكفي أن يلتزم بالشورى في الحكم ، وبالتروى في قيادة الجماعة الإسلامية ، ووفق هذا المفهوم تصبح مهمة الامام قيادية تسير على هدى القرآن والسنة والأحاديث النبوية الصحيحة وأن يقتدى الامام بمن سبقه من الأئمة .

وعلى هذا الأساس فمن حق المسلمين خلع امامهم عن السلطنة اذا لمسوا فيه انحرافا أو خروجا على تلك المبادئ الأساسية . وقد يظل منصب الامام شاغرا في بعض الحالات لأن استمرارية الامام لا تعتبر في نظرهم شرطا الزاميا من شروط الإسلام ، أو ما يسمى بالإمامة الشرعية ، وذلك بعدد من الأسباب مقدمتها اعتقادهم بأن الخير والشر هما من فعل الانسان ، وان الله يحاسب الخلق على أفعالهم خيرا كانت أم شرا . ولا يقر الإباضيون خلافة كل من الامام على وعثمان على تقيض غيرهم من مسلمي المذاهب الأخرى .

ان الصراع الطويل الذي استمر خلال القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد بين الإباضية في عمان وخلفاء بني العباس قد أضفى على نظام الإمامة

(١) يطلق الخوارج على انفسهم اسم الشراه (جمع شارى) أى أولئك الذين باعوا انفسهم في سبيل الله عندما ثاروا ضد الامام على بن أبي طالب .

صبيغة علمانية طغت على صبيغته الدينية . وبالتالى أصبح ذلك الموقف خياريا وليس الزاميا بالنسبة للمؤهلات التى ينبغى أن تتوفر فى الامام لكى يحكم المسلمين ويحمى الوطن الاسلامى . وقد اعتاد الاباضيون فى عمان على انتخاب أئمتهم من بين القبائل ذات الأصل اليمنى ، أما عملية الانتخاب فتمت عن طريق مجلس مشترك من زعماء القبائل وعلماء الدين .

وفيما يلى نموذج لصيغة البيان الذى يصدر به انتخاب الامام وهو البيعة وتعود صيغة هذا البيان الى عهد الامام مرشد بن الوليد الذى تولى الامامة فى القرن العاشر بعد الميلاد . (نص البيعة) . . . (١)

يشكل القسم الأعظم من المدون التاريخى عن عمان الذى استطاع أن يعثر عليه الأب جى . بى . بادجر فى عام ١٨٦٠ عندما كان عضوا فى لجنة تقصى الحقائق المشتركة بين مسقط وزنجبار (راجع الفصل الثانى عشر) ، وهو الذى قام بترجمته وتبويبه الأب المذكور ، وصدر من مؤسسة هلكيوت عام ١٨٧١ تحت عنوان تاريخ (سلاطين وأئمة عمان) ويسمى بادجر مؤلف هذا الكتاب الذى يروى تسلسل الأحداث فى عمان حتى عام ١٨٥٦ سليل بن رزيق ، غير أن اسمه الحقيقى كما يشير روس فى مؤلفه تاريخ عمان صفحة ١١٢ وكما جاء فى تقرير المقيم السياسى فى الخليج عام ١٨٨٢ - ١٨٨٣ تحت عنوان « ملخص لتاريخ (٢) عمان منذ عام ١٧٢٨ حتى ١٨٨٣ » فان اسمه حمد بن محمد بن رزيق وأن لفظة سليل معناها الابن ، وبالطبع كما يشير بادجر نفسه فى الصفحة الأخيرة من الترجمة هو أن اسمه حمد بن محمد بن رزيق .

(١) لم يذكر المؤلف نص البيعة .

(٢) « عمان منذ فجر التاريخ حتى عام ١٨٢٣ م » تأليف الليفنتانت كولونيل اى . اس . روس المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط ويكاد يكون هذا الكتاب ترجمة انجليزية لكتاب « كشف الغمة » تأليف الشيخ سرحان بن سعيد من سكان نزوى وقد كتبه فى القرن الثامن عشر ويبدو أن المؤلف قد فرغ من كتابته عام ١٨٢٨ وهو التاريخ الذى تنتهى عنده أحداث الكتاب وعلى حد رأى روس فان هذا الكتاب الذى هو صورة الأصل لكشف الغمة يشكل الجزء الأكبر من المخطوط التاريخى لعمان الذى حصل عليه الفس . جى . بى . بادجر عام ١٩٦٠ وكان وقتها ضمن لجنة التحقيق لالزنجبارية المسقطية والذى قام بادجر بترجمته والتعليق عليه وقامت بنشره دار هلكيوت =

وكان المؤلف مواطنا من بلدة (نخل) في عمان الوسطى ، وقد وافاه الأجل في عام ١٨٧٣ في مدينة مسقط .

وقد اختفت الامامة من عمان في منتصف القرن الثاني عشر ، وذلك بعد أن استولت قبيلة بنى نهان من أواسط عمان على السلطة في البلاد ، وأقامت فيه حكما ملكيا شمل البلاد كلها ، واستمر حكمهم زهاء قرنين ونصف .

وقد اختفت الامامة من عمان في منتصف القرن الثاني عشر ، وذلك بعد. عندما بدأت سيطرة النباهنة في الانحلال وذلك بعد عام ١٤٢٩ تقريبا . وقد ظل نظام الامامة خلال القرنين التاليين في وضع غير مستقر ، وعلى حين ظلت السلطة في يد النباهنة في الأجزاء الداخلية من البلاد فان المناطق الساحلية قد خضعت لسلطة البرتغال .

وابتداء من عام ١٥٠٧ أصبحت سور ومسقط ومطرح وصحار. وخورفكان في أيدي الغزاة البرتغاليين ، وبانتخاب الامار اصبر بن مرشد الذي ينتمي الى طائفة اليعاربة سكان بلدة الرستاق عام ١٦٢٤ استردت الامامة سيطرتها وسلطانها على البلاد . وقد استطاع اليعاربة أن يحققوا بعثا جديدا للسيطرة العمانية على المقدرات السياسية في شبه الجزيرة العربية ، كما استطاع مرشد أن يواصل ضغطه على البرتغاليين حتى أرغمهم على التخلي عن الساحل العماني بحيث لم يعد لديهم من المواقع عند وفاته عام ١٦٤٩ غير التحصينات الداخلية على مشارف مدينتي مسقط ومطرح ، ثم جاء ابن عمه.

= عام ١٨٧١ تحت عنوان تاريخ «أئمة وسلاطين عمان» ويطلق بادجر على مؤلف هذا الكتاب الذي يتعرض الى تسلسل الأحداث في عمان منذ عام ١٨٥٦ سليل ابن رزيق غير أن الاسم الأصلي للكتاب كما يشير روس هو « تاريخ عمان » ص ١١٢ والتقرير الإداري السنوي للمعمد البريطاني في الخليج ١٨٨٢ — ١٨٨٣ ، روس « ملخص لتاريخ عمان » ابتداء من عام ١٧٢٨ حتى ١٨٨٣ وأن اسمه هو حمد بن محمد بن رزيق وأن عبارة سليل تعنى الابن « أي ينحدر منه » وبالفعل فان بادجر نفسه يطلق عليه في الصفحة الأخيرة من ترجمته « أنظر ص ٣٧ » «أئمة وسلاطين عمان» يسميه حمد بن محمد بن رزيق وكان من سكان نخل من المنطقة الوسطى في عمان وقد توفي في مسقط عام ١٨٧٣ .

(م ٢ — بريطانيا والخليج)

سلطان بن سيف وطردهم من مسقط في يناير عام ١٦٥٠ ثم واصل القتال ضدهم بشن هجوم على تحصيناتهم في منطقتي ديو والدمام ، وقد تحولت عمان في ظل اليعاربة الى أكبر قوة بحرية غير أوربية في مياه الشرق ، وما كاد ينتهى القرن حتى تمكن الامام العمانى سلطان بن سيف من طرد البرتغاليين من كل من ممباسا وكليواويمبا ، وارساء أسس اول حكم عمانى لأفريقيا الشرقية وما يبعث على الأسف أن اليعاربة رغم نجاحهم في اقامة قاعدة لأول حكم وراثى فى عمان ، لم يخلفوا وراءهم حكاما عمانيين من نفس طرازهم أو معدنهم ، ومن ثم فان دولتهم لم تخسر سمعتها فى الخارج بعد قرابة مائة عام من بداية حكمهم للبلاد بما فى ذلك الثلث الاول من القرن الثامن عشر فحسب ، وانما كانت على شفا الانهيار فى داخل البلاد نفسها(١) .

عند وفاة الامام اليعربى الحاكم سلطان بن سيف عام ١٧١٨ ، انتخب نجله سيف ، وكان صبيا عمره اثنا عشر عاما ، اماما جديدا لعمان ، وقد واجه انتخابه معارضة من بعض رؤساء القبائل التى رأت فى انتخاب قاصر خروجا على المألوف ، واختاروا بدلا منه اماما آخر من أسرة اليعاربة وقد تسببت عملية الازدواج فى اختيار الامام منافسة قوية بين مؤيدى انتخاب نجل الامام سلطان بن سيف وكبار رؤساء القبائل ، وهو وضع لم يسبى الى نظام الحكم فحسب ، وانما أسفر عن سلسلة من الثورات والتمردات فى طول

(١) بالنسبة للإباضية والتاريخ القديم لعمان راجع عمان ص ١١٨ - ٦٦ ترجمة روس . وتتناول التعاليم الإباضية فى عمان كما ورد فى التقرير الإدارى السنوى لدار المقيم البريطانى فى الخليج وملاحظاته عن الطائفة الإباضية فى عمان وكتاب « أئمة وسلاطين عمان » تأليف بادجر ص ١ - ٣٠ ومن ١ - ٩٩ ملحقاته وكتاب « أقطار وقبائل الخليج » تأليف الكولونيل اس . بى مايلز المجلد الثانى طبعة لندن ١٩١٩ وكتاب الخليج الفارسى تأليف السيرارنولد ولسون طبعة اكسفورد ١٩٢٨ من ص ٧٧ الى ٨٣ ودائرة المعارف الاسلامية تأليف هوتسما المجلد الرابع طبعة لندن ١٩٢٤ والإباضيون لعبد الله ابن أباض و « الإباضية » وموجز دائرة المعارف الاسلامية تأليف « ١ . ح . اى . أ . رجب و . جى » اس كرامرز طبعة لندن ١٩٣٥ .

البلاد وعرضها . وكان أنجح المتنافسين على الامامة محمد بن ناصر من الغافريين ، الذى انتخب اماما فى عام ١٧٢٤ بمعاونة أغلبية القبائل النزارية ، غير أن انتخابه لاقى معارضة عنيفة من خلف بن مبارك ، الملقب بالقزم ، وهو شيخ من بنى هناء ، وكان قد دخل فى صراع مسلح بالفعل ضد زعيم الغافريين وكان خلف يخوض حربا بتأييد من بنى هناء لخلع محمد بن ناصر . وسرعان ما استدرجت الحرب الى ساحتها كل قبائل عمان تقريبا ، وتحالف نزاريو الشمال مع بنى غافر ، بينما تحالف قبائل الجنوب أو اليمينيين مع بنى هناء ولقد لقى كل من مبارك ومحمد بن ناصر مصرعهما خلال المعارك التى دارت رحاها فى مدينة صحار عام ١٧٢٨ ، ومع ذلك فقد استمر الصراع بين الفريقين دون هوادة ، حتى أسفر فى النهاية عن قيام معسكرين متخاصمين . وقبل ذلك كان سيف الثانى بن سلطان قد بلغ مبلغ الرجال مما أتاح لتحالف القبائل الهناوية الفرصة لانتخابه اماما على عمان ، بينما قامت مجموعة القبائل الغافرية بانتخاب امام منافس له ، هو بلعرب بن حمير . ولكن سيف تمخض عن شخصية ضعيفة وغير مؤهلة للحكم ، بل وعرض نفسه لعداء الفئات الاباضية الأشد تعصبا بانغماسه فى الدعارة والفسق والتدخين (١) حتى أوشك حكمه خلال سنوات قليلة على الانهيار ، وأخيرا اضطر سيف كخطوة يائسة الى طلب المساعدة العسكرية من شاه ايران يومئذ نادر شاه .

فى ربيع عام ١٩٣٧ نزلت القوات الايرانية على الحدود الشمالية من عمان ، ومنها تقدمت الى واحة البريمى ، وقد التقى جيش بلعرب بن حمير مع القوات الايرانية فى منطقة الظاهرة وانتهت المعركة بينهما بهزيمة بلعرب .

ولقد وصل الايرانيون فى زحفهم عن طريق عبرى ونزوى الى مشارف مسقط ولكنهم سرعان ما انسحبوا من البلاد بعد تدعيمهم لحكم الامام سيف . وتنازل بلعرب عن الامامة كنتيجة للهزيمة التى منى بها . وقبل مضى وقت طويل ظهر فى عمان منافس جديد على الامامة هو سلطان بن مرشد الذى سرعان

(١) وصف للجزيرة العربية ، طبعة كوبنهاجن عام ١٧٧٣ ص ٢٥٨ .

ما تمكن من طرد سيف من مسقط . وقد فر سيف الى ايران حيث استنجد مرة أخرى بالشاه متعهدا له بالتنازل عن مدينة صحار على طرف الساحل الشمالى للباطنة مقابل تأييده ، ولقد قام الفرس مرة أخرى بغزو عمان واجتياحها ، كما أعيد مرة أخرى تنصيب سيف اماما على البلاد ، وقد لجأ مرشد الى صحار ، واعتصم عند واليها يومئذ ، أحمد بن سلطان ، الذى رفض تسليم المدينة الى الفرس . وبذلك أصبحت صحار نقطة تجمع لكل العمانيين والمناهضين للاحتلال الفارسى . وفى عام ١٧٤٣ قام أحمد بن سعيد بن هجوم ضد الغزاة الايرانيين وتمكن من تحرير منطقة الباطنة وأرغام الغزاة على التراجع والتحصن وراء أسوار مدينة مسقط ، وبعد عام من هذا التاريخ استسلمت هذه الحاميات للقائد الجديد . وقد توفى الامام سيف كمدا بسبب البلاء الذى أنزله بالبلاد والأهالى كما يقول ينبهور^(١) كما قتل سلطان ابن مرشد اثناء معارك الدفاع عن صحارى .

ان حرب الخمسة والعشرين عاما التى خاضها العمانيون بجانب الاحتلال الايرانى قد أنهكت القبائل وأثارت الآلام فى نفسها حتى أصيبت بحالة من اليأس مما جعلها تتفق أخيراً فى عام ١٧٤٩ على انتخاب أحمد بن سعيد اماما عليها^(٢) ،

(١) نفس المصدر .

(٢) يختلف سجل الأحداث من عام ١٧٣٧ حتى ١٧٤٩ من مرجع الى آخر . ففى كتاب بادجر «أئمة وسلاطين عمان» ص ١٧ - ٣٠ وحتى ٩٩ - ١٦٩ يحدد تولى الامام سلطان بن مرشد الامامة عام ١٧٣٨ وطرد الفرس وانتخاب أحمد اماما عام ١٧٤١ أما ينبهور فيحدد فى كتابه (وصف للجزيرة العربية) ص ٢٥٨ - ٦٣ هذه الفترة فى عام ١٧٤٩ . وعن المرحلة الفاصلة بين طرد الفرس وانتخاب أحمد يقول هذا المؤلف أنها ترجع الى عودة الامامة واستئنافها من قبل بلعرب بن حمير قبل اخراج الايرانيين من البلاد ، والاحتفاظ بها لفترة من الوقت ، كما يذكر أن بلعرب كان فردا فى عائلة سلطان بن مرشد . ويجمع بادجر ولوريمر (الجريدة الرسمية للخليج) ان بلعرب توفى مذبوحا من جانب أحمد بعد هزيمة الفرس فى عمان . كما يؤيد هذا الرأى الكابتن جولين فى (وثائق من تاريخ وجغرافية وتجارة أفريقيا الشرقية) المجلد الثالث ٥٤٠ - =

وبانتخاب الامام أحمد بن سعيد يبدأ حكم أسرة آل بوسعيد لعمان ، وهو الحكم الذي استمر بغير انقطاع حتى وقتنا الحاضر . كما أن انتقال السلطة الى هذه الأسرة قد أحدث تغييرات عميقة في طبيعة الحكم لم تظهر آثارها حتى بداية الجبل الثالث من حكم هذه العائلة . وعلى الرغم من أن قبيلة آل بوسعيد موطنها الأصلي أدم، الواقعة على أطراف المرتفعات الوسطى فى عمان ، فإن أفراد هذه القبيلة كانوا تجارا وكانوا يزاولون التجارة والملاحة على الشاطئ الشرقى لعمان ، كذلك فقد وجه اليعاربة قسما كبيرا من نشاطهم للتجارة والنشاط الملاحى عبر البحار ، الا أنهم على عكس آل بوسعيد كان اهتمامهم مركزا على تكريس سيادتهم الإقليمية على البلاد . وكان الامام أحمد فى المقام الاول تاجرا وأحد ملاكى السفن ، وبالتالي أصبحت القوة التجارية والبحرية فى عهده أساس السيادة فى عمان . ولكن هذا المظهر للسلطة لم يكن كافيا مما تسبب فى ظهور القلاقل والثورات العديدة التى قامت ضده فى الظاهرة والمنطقة الشمالية من البلاد ، فلقد اضطر الى تجنيد جيش من المرتزقة ، البلوش والعبيد الأفريقيين ، وهى عادة حذا خلفاؤه حذوه فيها ، غير أن جيشا بهذا التركيب لم يكن يستطيع الاحتفاظ بسلطان الحكم على البلاد ، فقد كان أحمد

= ٤٢ ولكنه يضيف الى ذلك بأن أحمد انتخب فعلا اماما لعمان قبل قيامه بذبج بلعرب وان كلا الحادثين وقعا فى عام ١٧٤٤ ، ولا يشير مايلز فى كتابه « بلدان الخليج وقبائلها » ص ٢٣٨ - ٦٤ الى التاريخ الذى تم فيه اجلاء الفرس عن عمان وانتخاب أحمد ولو أنه يعتبر عام ١٧٤٤ تاريخا لكلا الحادثين ثم فى وصفه لقبائل عمان فى المجلد الثانى ص ٤٣٥ يقول أن أحمد تولى الامامة على اثر وفاة بلعرب اليعربى سنة ١٧٤٩ بعد الميلاد. وجاء فى المجلة الملكية بقلم س. ان. بلجنهام تحت عنوان « حكم أحمد بن سعيد امام عمان » أن ثمة مخطوطة تاريخية مجهولة عن عمان فى المتحف البريطانى تشير الى أن سلطان بن مرشد تولى الامامة سنة ١٧٤٢ وتوفى سنة ١٧٤٣ بينما تشير المخطوطة الى أن انتخاب أحمد قد تم عام ١٧٤٩ وهنا يتفق مع ماجاء فى كتاب ينهور الذى ألفه فى سنة ١٧٦٥ بأن أحمد قد حكم البلاد ستة عشر عاما .

فى الواقع ، كما يلاحظ ينبهور ، واحدا من رؤساء عديدين يسيطرون على الحكم فى عمان ، وان كان هو أهمهم جميعا . ولقد كانت نقطة الضعف الأخرى فى حكمه هى سلوك أنجاله نظرا لأن أحمد كان يعين أنجاله محافظين على المدن الهامة كصحار ، ومسقط ونزوى ، خلال أيام حكمه ، (وهى عادة انتقلت اليه من الأئمة اليعاربة) فان أنجاله هؤلاء أخذوا يتحينون كل فرصة للانقضاض عليه ، والاستيلاء على المدن التى يعينون عليها ، ويعلنون استقلالها عن سلطة أبيهم ، مما اضطره الى تكريس كثير من جهوده لاعادتهم الى الطاعة .

توفى أحمد عام ١٧٨٣ تاركا وراءه خمسة أبناء ، هم هلال ، وسعيد ، وقيس ، وسيف ، وسلطان ، وقد رشح شيوخ عمان الابن الأكبر ، وهو هلال ، خلفا لوالده ، غير أنه كان ضعيف البصر ، الأمر الذى أعجزه عن ادارة الحكم ، وتوفى بعد ذلك بوقت قصير ، وهو فى طريقه الى الهند طلبا للعلاج . وقد أختير سعيد الابن الثانى لخلافة أخيه ، لكنه أثار نقمة الأمة عليه بسبب ضعفه وتراخيه وجشعه ، لدرجة أن بعضهم قام بمحاولة لخلع سعيد وتنصيب شقيقه قيس ، ولكن المحاولة فشلت ثم تكررت ففشلت أيضا ، غير ان هذا الاضطراب مهد الطريق لمحمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بالاستيلاء على سلطة والده ، وبفضل سلسلة من المناورات والتكتيكات . استطاع أن يسيطر على مسقط ، التى بزت الرستاق والعاصمة القديمة فى الأهمية ، مما اضطر والده الى التنازل له فى النهاية عن كل السلطات (١) ولم يبق حمد بأى محاولة للحصول على لقب الامام لنفسه ، لأنه لو فعل ذلك لتعين عليه أن يخلع والده رسميا ، ويرشح نفسه للانتخاب كامام على الطريق التى شرحناها ، لذلك فلقد لقب نفسه بالسيد ، وهو لقب بدأ استعماله عند تولى أحمد بن سعيد ، كأسلوب لتمييز أسرة البيت الحاكم فى عمان عن

(١) يحدد مايلز عام ١٧٦٨ تاريخا لهذه الواقعة (بلدان وقبائل الخليج

مجلد ٢ ص ٤٣) .

رعاياهم(١) وقد ظل سعيد مقيما في الرستاق يتمتع بالمركز دون الصلاحيات طبعاً . فلقد كانت الرستاق هي البلدة الوحيدة اذا استثنينا نزوى وصحار التي يجوز فيها اقامة صلاة الجمعة ، وكنتيجة لذلك أصبحت العاصمة الطبيعية لعمان ، وأختيرت لتكون مقراً لحكومة البلاد . ولقد تميز حكم حمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بانفجار صراعات ضد أعمامه قيس ، وسيف . وسلطان ، وهم الأنجال الرئيسيون الباقون لأحمد بن سعيد ، وكان قيس والى أو محافظ صحار ، يحظى بتأييد واسع في الأوساط القبلية ، وبالتالي استطاع بسهولة أن يتحدى حمد ولكنه أحرز انتصاراً أكبر فى صراعه ضد أخويه الآخرين سيف وسلطان ، فقد نجح فى طرد الأول من البلاد الى أفريقيا الشرقية حيث بقى هناك الى أن وافاه الأجل ، بينما هرب الأخ الآخر الى جوازى على ساحل مكران من حيث ظل يواصل صراعه ضد ابن أخيه ، وعند وفاة أحمد عام ١٧٩٢م بمرض الجدرى ، استولى سلطان على مسقط ، واحتفظ بالسلطات لنفسه ، ولم تفلح محاولات أخيه قيس لخضه .

بعد عام من هذا التاريخ وقع الاخوة الثلاثة أبناء أحمد بن سعيد الراحل اتفاقاً فى بلدة بركا ، يقضى باقتسام عمان على أساس أن يستمر سعيد فى الرستاق كامام ، وأن يحتفظ قيس بصحار ، بينما يظل سلطان حاكماً على مسقط . وكان هذا الاتفاق مظهراً واضحاً للتغيرات التى أثرت على جيلين من أجيال حكم أسرة آل بوسعيد . وهكذا تم اقتسام السلطة فى عمان .

بعد أن انحل نظام الامامة فى البلاد كرس سلطان انشط افراد الأسرة الحاكمة جهوده كلها للنشاط التجارى والملاحى ، وكان طبيعياً والحالة هذه أن تتأزم العلاقة بين أسرة بوسعيد والقبائل العمانية فى داخل البلاد وأن تزداد سوءاً مع مرور الوقت فلقد كان أهم ماتفتقر اليه عمان خلال القرن.

(١) راجع ملحق كتاب بارجر : يعتبر لقب السلطان اصطلاحاً جديداً ادخل على العظام فقد كان الهدف منه تمييز أفراد البيت الحاكم عن غيرهم من سكان البلاد واضفاء الواجهة ورفعة الشأن على جمهور الرؤساء والأعيان المحليين . وهكذا غدت أسرة السلاطين فى عمان . كمنظأئرها من البيوت والأسر الحاكمة فى أوروبا أسرة معترفاً بها وتمتع بحق توارث الحكم أباً عن جد .

التاسع عشر وجود زعامة قوية ، تدعمها قوة عسكرية غير أن البلاد أصبحت في ظل حكومات ضعيفة من أسرة كل هم أفرادها وموآهبهم وموآردهم كانت معبأة على سبيل التجارة والملاحة البحرية . كما أن الارتباط بالبحر قد تمخض عن نقل العاصمة من المنطقة الداخلية في المنطقة الساحلية ، كذلك حدث تغيير في طبيعة السلطة السياسية في البلاد ، فتخلت أسرة آل بوسعيد عن الإمامة كنظام للحكم ، وتم الأخذ بنظام السلطنة ولم يحاول أحمد بن سعيد أو سلطان بن حمد أو خلفاؤه المباشرون من بعده العودة بالحكم الى نظام الإمامة ، وان كانوا قد ظلوا يمارسون كل صلاحياتها .

وخلال حياة سعيد بن أحمد لم يكن يستطيع أى شخص وفقا للمذهب الإباضى أن يلقب نفسه اماما على البلاد الا اذا تمكن من خلع الامام الحاكم عن السلطة ، اذ انه من الوجهة الشرعية لا يجوز أن يكون هناك أكثر من امام واحد . غير أن هذا التشريع لم يعمل به بسبب الصراع الدائم خلال القرن التاسع عشر للفوز بالإمامة ، مما أساء ضمينا الى المبدأ الذى يقوم عليه هذا التشريع ، وكانت النتيجة بالنسبة لأحمد بن سعيد أن ارتباطه بلقب الإمامة كان يخوله ماله من مركز دينى ، فأصبح الحكم فى وضع غير مستقر لأن السلطة والصلاحيات الفعلية للحكم كانت فى واقع الأمر فى أيدي أخوته وغيرهم من الأقارب ، وعند وفاته فيما بين ١٨١١ ، ١٨٢١ (١) تقريبا تلاشى نظام الإمامة فى عمان ولم تبذل أية محاولات لاعادتها الا لفترة قصيرة خلال أواخر القرن التاسع عشر والنصف الثانى من القرن العشرين . وكان سلاطين آل بوسعيد يلقبون أنفسهم بالسادة ، وهو اللقب الذى بقى فى الاستعمال حتى اليوم ، أما الأوروبيون فقد ظلوا حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يلقبون حكام عمان بالأئمة الى أن حل لقب السلطان محل لقب الامام (٢)

(١) من المحتمل أن تكون الوفاة فى العام التالى تقريبا (راجع بادجر ، أئمة وسلاطين عمان) ص ٢١٣ - ٣٤٢ والملاحظات عليها .

(٢) من المحتمل أن يكون أول من استعمل لفظة «السيد» الشيخ منصور قى مؤلفه تاريخ السيد سعيد سلطان مسقط الصادر فى لندن ١٨١٩ حيث ذكر فى ص ١ « لقد أطلقت لقب السلطان » على حاكم وهو اللقب الذى يطلقه عليه =

يوم تولى السيد سلطان بن أحمد مقاليد الحكم وكان في الأربعين من عمره . وكان التأييد لحكمه يرتكز فيما بين قبائل الغافرية وعلى الأخص بنى جابر سكان منطقة الحجر الغربى . وفيما بين قبائل الغافرية ، وعلى الأخص بنى جابر سكان منطقة الحجر الغربى . وقد نشأ سلطان أيام طفولته بين أوساط قبيلة بنى جابر ، وكانت أمه على صلة قريى وثيقة بمحمد بن ناصر شيخ بنى جابر ، واقوى الزعماء العمانيين في ذلك الوقت . ومنذ البداية أقنع سلطان نفسه بأن سلطته لن تصل الى المستوى الذى وصلت اليه سلطة والده والتي كانت حدودها كما يقال ، تمتد من منطقة جعلان حتى منطقة التوام في

= أهله بصفة عامة وأن لقب «الامامة» لم يعد يستعمل منذ عهد جدالسيدسعيد غير أن بادجر يقدم تقريبا لهذا اللقب أدق من تعريف الشيخ منصور فيقول . . « على الرغم من أن لقب السلطان كان معروفا فى البلاد الا انه قل ان استعمل بين الأوساط الحاكمة ، وكان الحكام سابقا يلقبون بلقب « الأئمة » بينما هم يلقبون بمجرد « السادة » بصرف النظر عما كان يلقبهم به الأجانب : وقد ورد لقب « السلطان » للمرة الأولى فى المعاهدة المعقودة بين مسقط وانجلترا فى شهر يوليو من عام ١٨٣٩ (انظر ص ٤٣٧ أدناه) وكان ذلك بناء على اقتراح (بالمرستون) وبسؤال الكابتن روبرت كوجان من ضباط الاسطول الهندى الذى كان همزة الوصل بين حاكم مسقط وحكومة بريطانيا عن مدى صحة اللقب قال فى رده عى وزير الخارجية البريطانية بأن اللقب الصحيح هو (السلطان سعيد بن سلطان « امام عمان ») راجع المراسلات السرية والعلمية لمجلس الهند مجلد ٩ - كما ورد هذا اللقب فى رسالة دبليو فوكس سترينجوى وكيل وزارة الخارجية البريطانية الى أرجوردون (بمجلس الهند) بتاريخ ١٨٣٨/٨/٢ وفى رسالة كوجان الى كنبل بمجلس الهند بتاريخ ١٨٣٨/٩/٥ وللإطلاع على المرة الأولى التى استعمل فيها لقب « سلطان مسقط وعمان » انظر ص ٥٥ أدناه .

البريمي^(١) . وعلى أى حال فما كاد القرن ينتهى ، حتى مد سلطان نفوذه الى ماوراء مناطق الحجر ، حيث قمع تمرد النعيم فى الظاهرة، ووضع حدا لغارات القبائل الشمالية على عمان . على أن السلطان كان يوجه معظم نشاطه الى خارج عمان . فبعد تسلمه السلطة مباشرة بادر الى ارسال قوة عسكرية الى مكران ، للاستيلاء على ميناء جواذر ، الذى حصل عليه من أميركالات ، أثناء فترة نفيه الى تلك المنطقة ، كما ضم الى سلطته المنطقة الساحلية من شهباز ، ومن ناحية أخرى قاد سلطان حملة للاستيلاء على جزيرتى هرمز والقشم داخل الخليج ، وكانت تحت حكم عرب « بنى معين » الذين كانوا يسيطرون ايضا على ميناء بندر عباس وملحقاته ، التى كانوا قد استأجروها من حاكم فارس ، وقد وقعت كلها فى يد سلطان الذى اصدر فى عام ١٧٩٤ مرسوما يخوله حق استئجار للميناء المذكور^(٢) .

لقد كانت مسقط بمثابة القلب للإمبراطورية التى أسسها السيد سلطان وتقع مسقط على الساحل الشرقى لعمان ، حيث تلتقى سلاسل جبال الحجر التى تمتد من الجانب الشرقى للحجر عند البحر ، والى الشمال يمتد سهل الباطنة ، بينما يمتد الى الجنوب الصخرى ساحل تتناثر عليه مجموعة من الجبال الصخرية ، أما مسقط نفسها فتحيط بها سلسلة من الجبال البركانية تعمل كسياج دفاعى لها من أى هجوم من الداخل .

أما الخور الصغير الذى تكون بوجود سلسلة الجبال التى تلتف حول المنطقة الجنوبية من الساحل فلا يزيد طوله عن ميل واحد من بداية الشاطئ حتى حافة البحر بينما لا يزيد عرضه عن ربع ميل ، وترتفع على جانبى الخور الشرقى والغربى قلعتان كبيرتان شيدهما البرتغاليون فى الفترة الواقعة بين عام ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، وكان اسم القلعتين سابقا كابيتان وسان جوا ، ولكنهما

(١) بادجر فى كتابه « سلاطين وأئمة عمان » ص ١٦٦ وجاء فيها « كانت مملكته تمتد من نهاية منطقة جعلان جنوبا الى البريمي فى الظاهرة شمالا بما فيها الجزء الواقع الى الشرق من ذلك الاقليم حتى ساحل البحر .
 (٢) للاطلاع على صورة مفصلة لما تضمنته المعاهدة راجع ص ١٨١ - ٨٥ من الكتاب .

سميتا فيما بعد بقلعتى المبرانى والجلالى . وكانت المبانى الهامة الوحيدة فى مسقط هى تلك التى تخلفت عن الاحتلال البرتغالى للبلاد .

وكان السيد سلطان نفسه يقيم فى كنيسة كبيرة بناها البرتغاليون ، وظل هناك الى أن بنى لنفسه قصرا خاصا يطل على ساحل البحر ، وكان يحيط بالبلدة سور يتخلله عدد من الحصون ، وتحيط به حفرة كانت تستخدم كخندق حربى فيما مضى ، أما خارج منطقة السور فتوجد بيوت السعف ، وهى عبارة عن أكواخ مبنية من الخشب وسعف النخيل ، حيث كانت تسكن فيه الطبقات الفقيرة من أبناء الشعب . وكان عدد سكان مسقط فى ذلك الوقت يتراوح بين ١٠ آلاف و ١٢ ألف نسمة ، يؤلف الأجانب قسما كبيرا منهم ، معظمهم من التجار وعائلاتهم ، وكان من بينهم نحو ١٠٠٠ أو ١٢٠٠ اليهود (١) .

بينما يؤلف العمانيون وغيرهم من العرب ومجموعة الأفريقيين والأجباش والبلوش أغلبية السكان ، وكان معظم الزوار الأوربيين لمسقط فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر يعودون بانطباعات جميلة من أخلاقيات أهل البلد والنظرة المتحررة لأفراد أسرة آل بوسعيد الحاكمة ، الذين فتحوا البلاد للتجار من كل بلد فى العالم دون أن يتعرضوا لمهانة أو قيود مما كان يفرضها معظم الدول على الأجانب . ولقد كتب ينهور فى هذا الصدد يقول :

وعلى حين يرغم الهندوس فى اليمن على دفن موتاهم فانهم هنا يستطيعون أن يحرقوا موتاهم بكل حرية دون تدخل

(١) رحلات الى اشور وفارس (طبعة ثانية) المجلد الثانى طبعة لندن ١٨٣٠ الجزء الثانى ص ٣٩٥ وكتاب « انطباعات رحلة الى خراسان سنة ١٨٢١ وسنة ١٨٢٢ (طبعة لندن سنة ١٨٢٥) ص ٦ ورحلة الى الجزيرة العربية الجزء الثانى وكتاب ينهور « رحلة الى العربية » الجزء الثانى ص ٧٨ . ان الرقم ٦٠٠٠٠ يشمل أيضا ٤٠٠٠ هندوكى وفقا لتقدير فنسنزو سوريزى . فى كتابه تاريخ السيد/سعيد ص ٢٣ ولكنه رقم فيه كثير من المبالغة .

من السلطة الحاكمة ، وبينما يتعين على اليهود أن يرددوا زيا مميزا عن الأجناس في الأقطار الاسلامية الأخرى فانه مسموح لهم هنا بأن يرددوا نفس الأزياء التي يرتديها السكان العرب دون تمييز ، وبينما تفرض الأقطار التي تتبع المذهب السننى على اليهودى أو المسيحى أو الهندوكى بأن لا يعاشر امرأة مسلمة الا اذا اعتنق الاسلام ، وفي حالة مخالفته لهذا القانون يدفع غرامة مالية كبيرة ، فان حكومة مسقط لا تهتم اطلاقا بمثل هذه الأشياء بشرط ان لا يعاشر هؤلاء غير المومسات اللاتى يتعاطين البغاء مع العرب (١) .

وقد كتب الرحالة البحار والكاتب ص. اس. بكنجهام يصف رحلته الى مسقط فى عام ١٨١٦ يقول : ان سلوكهم على جانب كبير من الاهمية كما انهم يتحلون بقدر كبير من الجدية وقلة الكلام ، ومع ذلك فانهم مرحون وراضون عن أحوالهم ، أضف الى ذلك دماثة طباعهم التى لولاها لكنت برودة مزاجهم منفرة للغير . ان أهالى مسقط كما يبدو لى هم أنظف وأحسن هنداما وأرق معاملة من جميع العرب الذين التقيت بهم حتى الآن ، وأن الانسان ليشعر من أول وهلة يلتقى بهم بشعور الثقة والألفة وحسن النية من جانبهم (٢) . كذلك فان الأوربيين معجبون بما يكنه أهالى مسقط من الاحترام لممتلكات الآخرين ، ونستشهد على ذلك بما جاء على لسان أحد وكلاء شركة ليفتانت الانجليزية الذى أعرب عن دهشته فى عام ١٧٥٥ من أهالى مسقط حيث قال : ان هناك فى الوقت الحاضر كميات هائلة من السلع والبضائع مكدسة على الطرق من غير رقابة أو حراسة عليها اذ لا توجد مستودعات لخزنها ، ومع ذلك لم نسمع عن حادث سرقة أو سطو على هذه السلع ايا كان (٣) .

-
- (١) رحلة الى الجزيرة العربية جزء ٢ ص ٦٧ .
 (٢) رحلة الى آشوريا جزء ٢ ص ٤١١ ، ٤١٣ .
 (٣) فى « كتاب » رحلات الى آسيا وأفريقيا تأليف ابراهيم يارسونر طبعة لندن ١٨٠٨ ص ٢٠٧ لقد أشار ينهور الى نفس الظاهرة قبل عشر سنوات كما لاحظ بأن من عادة السكان فى الليل اذا خرجوا للشوارع ان يحملوا فى أيديهم فناديل اثباتا للهوية (رحلة الى الجزيرة جزء ٢ ص ٦٨) ولا يزال هذا القانون ساريا حتى الآن .

لقد كانت هناك مبررات وجيهة تجعل سلاطين آل بوسعيد يحسنون معاملة التجار الأجانب المقيمين في بلادهم . ذلك لأن موقع مسقط على مفترق طرق التجارة بين البحر الأحمر والخليج العربي الى الهند وأفريقيا . ولكونها الميناء الصالح الوحيد في جنوب شرقى آسيا أصبحت المستودع الطبيعي لتجارة الجزيرة والخليج ، وفى نهاية القرن الثامن عشر كانت الرسوم الجمركية تشكل المورد الرئيسى لدخل حكام مسقط ، وخلال حكم احمد كانت فئات الرسوم الجمركية تختلف باختلاف الطوائف فالتعريفة الجمركية كانت في صالح الأوربيين أكثر ، فقد كانوا يدفعون ٥٪ بينما كان المسلمون يدفعون ٦٪ والهندوك اليهود يدفعون ٩٪ ، وقد عدل عن هذا التنظيم في سنة ١٧٩٠ وحل محله قانون ضريبي موحد لجميع التجار على أساس ٢٪ فقط بينما فرض ٥٪ من الرسوم على غير المسلمين من التجار . وهذا يكشف عن أن قسما كبيرا من تجارة مسقط قد تحول بعد ذلك الى أيدي الأجانب الذين كانت أغلبيتهم من الهندوك وفى عهد سلطان بن أحمد كان الجزء الأكبر من تجارة البلاد لايزال في أيدي العرب والمسلمين ويقدر جون مالكولم مجموع تجارة بلدان الخليج في سنة ١٨٠٠ بمبلغ مليون وستمائة ألف جنيه ، كانت حصة مسقط منها نحو مليون من الجنيهات او خمسة أثمان المجموع . وكان معظم البضائع الموجهة الى مسقط يعاد تصديره الى الخارج بعد استيفاء الرسوم الجمركية عليها بنسبة تقل ٢٪ من القيمة الأصلية . ولتساعد هذه الأرقام على تحديد حصة السيد سلطان من هذه الرسوم ، لانه شخصيا كان التاجر الرئيسى فى البلاد ولم يكن يدفع أى رسوم على السلع التى ترد باسمه . وبالإضافة الى ذلك فقد كانت الجمارك مؤجرة بالمقاوله لأحد التجار الهندوك (البانيان) مقابل مبلغ سنوى . ولا توجد اى سجلات تحدد المبلغ الاجمالي لتلك الرسوم فى عهد السيد سلطان . ويقدر ينهور دخل احمد بن سعيد من هذا المصدر بمبلغ مائة ألف روبية سنويا فى عام ١٧٦٥ ، أى مايعادل عشرة آلاف جنيه استرلىنى . أما سعيد نجل سلطان فقد كان يتقاضى ١٨٠ ألف دولار أسباني (أى ٣٦٠٠٠ ج استرلىنى) سنويا من دخول الجمارك كما جاء على لسان فنسنزوموريزى المغامر الإيطالى الذى كان يعمل طبيا خاصا للسلطان المذكور خلال الفترة الأولى من حكمه ، ويقدر مصدر آخر دخل السيد سعيد من الجمارك فى سنة ١٨٢١

- ٣٠ -

بنحو ٩٠.٠٠٠ - ١٢٠.٠٠٠ ريال نمسوى أو مايعادل ١٨٠.٠٠٠ - ٢٤,٠٠٠ جنيه استرليني(١) . فاذا ما اعتبرت هذه الأرقام بحال من الأحوال أرقاما صحيحة فلا بد أن يكون دخل السيد سلطان من نفس المورد أعلى بكثير ، نظرا لارتفاع المعدل التجارى لمسقط خلال الحقبة الأخيرة من القرن الثامن عشر منه قبل ذلك بعشرين عاما وبالتالي كانت الضرائب أعلى هي الأخرى(٢) .

وكان ثمة مورد آخر للدخل من المحاصيل الزراعية في الباطنة ، وكان يدر نحو مائة ألف روبية (أى ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني) في العام(٣) الى جانب ضريبة الريال الواحد التي كانت مفروضة على كل عبد يباع في مسقط وسوف نتطرق الى تجارة الرقيق في مكان آخر من الكتاب ، غير أنه يمكن القول أن دخل السيد سلطان من هذا المورد لم يكن يزيد على دخل نجسه سعيد فيما بعد ، وربما كانت أعلى نسبة في دخل السلطان هي التي كانت ترد اليه من نشاطه التجارى الخاص . فقد كان يمتلك بعض السفن التجارية المسلحة التي كان يمتد نشاطها الملاحى المنتظم الى المحيط الهندى وأفريقيا وعراق الأتراك ، فقد كان لمسقط مجموعة من سفن الملاحه خلال هذه الفترة مكونة من ١٥ سفينة ، حمولتها من ٤٠٠ - ٧٠٠ طن ، وثلاث وخمسين

(١) صك ريال ماريا تريز الأول مرة سنة ١٧٥١ وكان يشكل وحدة العملة الرئيسية في الخليج والجزيرة العربية ، والبحر الأحمر والحبشة وأفريقية الشرقية فى نهاية القرن .

(٢) كان لنهبور وصف للجزيرة ص ٢٦٤ (وزارة الهند) سلسلة تتناول الأوضاع التجارية في الجزيرة العربية وايران مؤرخ ١٨/١٢/١٧٩٠ ومقتطفات من السجلات الرسمية لحكومة بومباى عن العلاقة بين شركة الهند الشرقية والخليج العربى ١٦٠٠ - ١٨٠٠ وقد جاء في صورة خطاب ملحق موجه من جون مالسكولم الى اللورد مورنتجتون (الحاكم العام) لبوشهر بتاريخ ١٨٠٠/٢/٢٦ وكتاب رحلات الى اشور تأليف بكنجهام جزء ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠٠ وكتاب موريزى (الشيخ منصور) .

(٣) بكنجهام .

مركبا شرايعيا كبيرا ، وخمسين مركبا صغيرا . وبالإضافة الى هذه المجموعة كان تجار مسقط يستأجرون كل عام عددا من السفن من موانئ الخليج الأخرى تقوم برحلات الى الهند ، والأرخبيل الشرقى ، وأفريقيا ، والبحر الأحمر . كما كانت عمان نفسها تنتج السمك وأنواعا من الفاكهة التي كانت تصدر الى الخليج الى جانب العقاقير واللؤلؤ والنحاس والملح والزرنينج التي كانت تنتجها الجزيرة العربية ، وإيران كانت تصدر هي الأخرى . وبالمقابل كان الأسطول الملاحي العماني يعود من رحلاته محملا بالتوابل والأرز والسكر والصنوبر وأعواد الصندل ، والصيني ، والمنسوجات ، والمعادن وأنواع من المنتجات الأوربية ، وفي كل عام كان جحفل من السفن يبحر من عمان الى البحر الأحمر وعليه شحنات من البن والتوابل والأدوية وبعده من العبيد والأحباش . وكان أسطول آخر من السفن يبحر في فصل الرياح الموسمية التي تبدأ من شهر نوفمبر وصاعدا الى زنجبار وغيرها من أقطار أفريقيا الشرقية ليعود في فصل الربيع بالعاج والعبيد وتراب الذهب .

ولم تكن عمان لتستوعب من كل تلك الواردات الا جزءا يسيرا ، وكان الباقي يعاد تصديره الى الخارج ، ولقد كان المركز الذي تحتله مسقط في مضمار تجارة الخليج من الأهمية بحيث اقتضى الأمر أن تستحصل السفن العربية المبحرة الى الخليج على أجازة من السيد سلطان تضمن سلامتها خلال الرحلة وكان على هذه السفن أن تبحر تحت حماية أسطول السفن العمانية التي كانت تحمل شحنات البن كل صيف الى ميناء البصرة وشط العرب لنقل محصول البلح العراقي منها(١) .

(١) ان أغلب المصادر المعتمد عليها في هذا البحث عن مسقط وعمان في نهاية القرن الثامن عشر قد سبق الإشارة إليها آنفا في حواشي الكتاب . اما المراجع الأخرى فان أهمها مايلي : التقرير الإداري للمقيم البريطاني في الخليج ١٨٨٧ - ١٨٨٨ اللفتنانت كولونيل أس . بي . مايلز بعنوان : « ترجمة حياة السيد سلطان ابن الامام أحمد » ومقتطفات من سجلات حكومة بومباي سلسلة رقم ٢٤ بعنوان الخليج العربي طبعة بومباي سنة ١٨٥٦ ص ١ - ١٣ اعداد الكابتن ازبتلر ومقتطفات من مختصر ملاحظات عن المعلومات التاريخية وغيرها المتعلقة بمقاطعة عمان وصورة تاريخية عن قيام ونجاح حكومة مسقط ١٦٩٤ - ١٨١٩ بقلم اف واردين ص ١٦٧ - ٨٧ .

وتتحكم في مدخل الخليج مجموعة من ثلاث جزر ، يسمى الملاحون الأوربيون الجزيرتين الكبيرتين منها (القوين) وذلك لأوجه الشبه بينهما وبين الأساقبين التي كانت تستخدم لحمل المدافع على السفن الحربية . أما الملاحون العرب فيسمونها سلامة وبناتها . وكان من عادة رجال البحر العرب عند مرورهم بهذه الجزر في الطريق الى الهند أو أفريقيا ان يلقوا بالزهور والفواكه أو النقود الى البحر تفاقلاً برحلة موفقة وعودة سالمة من رحلتهم (١) . وعلى بعد فرسخين أو ثلاثة الى جنوب مجموعة الجزر يقع رأس مسندم وهو قمة شبه الجزيرة الجبلية المعروفة برؤوس الجبال التي تفصل بين عمان ومنطقة الخليج الأم ، ومنطقة مسندم ورءوس الجبال منطقة مخيفة عبارة عن كتلة مخرسة من الجبال تبدأ في الارتفاع من شاطئ البحر ثم تنشط في نتوءات بعد نتوءات من القمم المشقوقة والمتعرجة .

أما على الطرف الشمالي : فانها تنقسم الى سلسلة من الجزر الصخرية آخرها جزيرة مسندم ، انها على حد ما جاء على لسان أحد رحالة القرن التاسع عشر ، كما لو كانت قد شطرت من بعضها البعض بفعل قوة هائلة من الطبيعة التي مزقتها اربا الى كتل منفصلة من القارة التي كانت جزءا منها (٢) ، ويتخلل شبه الجزيرة هذه مجموعة من الخوران تمتد أميالا الى الداخل على جوانب المرتفات . وأهم هذه الخوران خور الشعم على الجانب الغربي . والقبة الغزيرة على الجانب الشرقي . وحتى عام ١٨٢٠ عند القيام بأول مسح بحري للمنطقة لم يكن الأوربيون قد اكتشفوا الجزيرة الأولى . وحسب تقدير المشرف على عملية المسح يبلغ طولها ٩ أميال تتخللها رؤوس يبلغ ارتفاعها من ٨٠٠ الى ١٥٠٠ قدم ، ويغطي المدخل الى الجزيرة كما يقول المشرف يمتد الى الأسفل تجاه البحر بحيث لا يمكن التأكد منه بسبب ضيق فتحة بينما لا يتجاوز عرض

(١) كان يتم في بعض الأحيان تسير سفن من جانب البحارة كتجربة . فاذا مالت هذه السفن الحربية تجاه البر فقد كان ذلك يعد فالأ حسنا للمحاولة (انظر رحلات من الهند الى إنجلترا) . طبعة لندن ١٨٢٧ ص ٨٦ بقلم اللفتنانت جى . أى اليكسندر .

(٢) رحلة الى أشور - بكنجهام ص ٣٨٥ .

الرأس نصف ميل ، وصخوره عالية وشديدة السواد ، وعند فتحته مباشرة توجد جزيرة ترتفع كالبناء ، لون أحجارها أفتح قليلا عن لون بقية الصخور ، وهى انحدارية الشكل ، ويبلغ ارتفاعها نحو مائة قدم وعمق الماء فيها نحو ١٦ باعا(١) وتكاد لا توجد حياة فى رؤوس الجبال ، فعلى سفوحها حيث تمتد الوديان الى البحر يوجد عدد قليل من أشجار النخيل ، أما الى الداخل فلا يوجد شيء من المراعى يكفى حتى لاطعام بضع شياه ، ويقطن رؤوس الجبال قبيلة الشحوح ، وهم نوع منزل من الناس ويتحدثون بلهجة عربية تختلف اختلافا بينا عن لهجة أهل الجنوب الشرقى ، ولم يخضع الشحوح خلال الفترة التى يشملها البحث لسلطان أى جهة . وكان للشحوح مستعمرات تقع فى خصب بالقرب من رأس الجزيرة وفى جزيرة شحم حتى الشاطيء . وعلى بعد بضعة أميال جنوب شحم فى رمس تنحرف الجبال مبتعدة عن شاطيء البحر فى اتجاه الجنوب حيث تكون منطقة الحجر الغربى ، ويعرف السهل الساحلى الواقع الى الجنوب من رمس « بساحل عمان » أو « ساحل الصلح » أما اسمه القديم فهو الشميلية أو « السر » . ويمتد على ساحل الخليج على مسافة تصل الى ١٣٠ ميلا من رمس فى الشمال الشرقى الى ما وراء أبو ظبى فى الجنوب الغربى . حيث ينحرف الساحل غربا باتجاه شبه جزيرة قطر . وحدوده الشرقية هى سفوح الحجر الغربى ، وجنوبا واحة البريمى . وتتناثر على شواطئه البحيرات والخلجان حيث تقطن القبائل البحرية التى تعيش على مستخرجات البحر . وتقع على الموانى الغربية من البلاد المأهولة ، حيث تسمح وفره بعض المياه بزراعة النخيل وبعض المزروعات الأخرى . أما ما يتبقى من هذه المنطقة فان الأرض مسطحة وقاحلة تكسوها كثبان الرمال والسهول الحجرية والسبخة .

ان التركيب القبلى للمنطقة الشمالية تركيب معقد على غرار الوضع فى عمان عموما ، وقد ظل محتفظا بهذا الطابع منذ نهاية القرن الثامن عشر ٤

(١) وزارة الهند : « مذكرات من عملية مسح للشاطيء الغربى للخليج .
ابتداء من رأس مسندم حتى دبا . اعداد القائد البحرى اللفتنانت جى . ان .
جى . وقام باعداد الرسوم الرسام المرافق للعمية اللفتنانت ام . هرتون .
(٣ م - بريطانيا والخليج)

بوثة اتحادان قبليان(١) ، القواسم سكان الجزء الشمالى ، وبنو ياس سكان الجنوب ويتقاسمان السلطة السياسية فى المنطقة . ولايرتبط أى من هذين القسمين بالولاء لحكام آل بوسعيد فى عمان على الرغم من أن بنى ياس كانوا على علاقة ودية بحكام عمان ، وأنهم فيما يتصل بالسياسة العمانية ، كانوا ميالين أو متعاطفين مع بنى هناه . أما بالنسبة للقوة البحرية فقد كان القواسم الفئة الأقوى بلاشك . وكان مفهوم لفظة اقواسم يعنى تلك الجماعة التى تدين بالولاء لشيوخ القواسم فى الشارقة ورأس الخيمة ، وأن كان المدلول الأصح للكلمة يعنى الارتباط الأقوى بأسرة القبيلة المذكورة ، أما كم عدد القبائل الموالية لشيوخ القواسم وما مدى نفوذهم ونوعية توزيعهم فموضوع يتعذر الحكم فيه ، ففى رأس الخيمة أهم موانئ المنطقة وتنمى أغلبية السكان فيها الى الخواطر ، وهم فرع قبيلة النعيم سكان المنطقة الجنوبية ، والتى يقيم معظم أفرادها فى منطقة الظاهرة(٢) ، أما فى الشارقة الميناء الثانى للقواسم فأغلبية السكان من بنى قتب ، وفى جزيرة الحمرا وأم القوين اللتين تقعان بين هذين الميناءين وتخضعان لسلطة شيوخ القواسم ، فتسكنهما قبيلتا الزعابية وبنى على . أما فى عجمان المرتبطة أيضا بالقواسم ، فقد كان زمام السلطة بيد آل بوخريان ، وهم فرع من النعيم . وفى رمس ، وهى ميناء تابع للشيوخ ، وتقع شمال إمارة رأس الخيمة وهى الأخرى متحالفة مع القواسم ، والى ماوراء المرتفعات يقيم الجوس والمخارية ، على ان السلطة التى يمارسها شيوخ القواسم على هذه القبائل سلطة محدودة ، ذلك أن موازين القوة فى سياسة الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة العربية تتحكم فيه القبائل البدوية التى يتأرجح ولاؤها من رئيس الى آخر وفقا لسخاء الرئيس أو بخله ، على حين لا يتمتع شيوخ القبائل بالحرية المطلقة فى مزاولتهم للسلطة حتى لا يثيروا البدو عليهم . ان بنى قتب والخلافة

(١) مفرد القواسم « قاسمى » كما تنطق أيضا جاسمى وجواسم وجوكى وجوسم ، أما الفصيحة الشمالية من قبيلة النعيم فقد كانت تقطن قطر والاحساء .

(٢) أما الفصيحة الشمالية من قبيلة النعيم فقد كانت تقطن قطر والاحساء .

يشكلان الفصائل البدوية الرئيسية في اتحاد القواسم (١) . وينتمى القواسم الى المذهب السننى فى الاسلام وبالتالى فان ولاءهم السياسى الى جانب الفرع الغافرى من القبائل العمانية كذا لم تتوفر معلومات أكيدة عن الانتماءات الاصلية للقواسم ، فبعض المصادر يرد نسبهم الى قبيلة نزار ، وهى فصيلة من بنى غافر هاجرت الى عمان من نجد فى أواسط الجزيرة العربية فى نحو القرن السابع عشر (٢) ، بينما رجح مصدر آخر أن يكون موطنهم هو الميناء التجارى الفارسى القديم « السراف » الذى لم يعد له وجود الآن . وتقول رواية ان الفئات التى هاجرت بعد ذلك المكان توجه بعضها الى مسقط فى عمان (حيث كان يسمون هناك بنى السرافى) كما استقر بعضهم فى صور ، كما توجه قسم آخر منهم الى منطقة السرفى - رأس الخيمة (٣) . أما القواسم أنفسهم فيقولون أنهم نزحوا أصلا من فارس بينما يرجح البعض أنهم جاءوا من العراق عن طريق فارس « ويؤيد الكولونيل أس . بى . مايلز وهو الحجة البريطانى فى شئون عمان الرأى القائل بأن أصل القواسم من فارس » ويقرر بأنهم فرع من عرب الهويلة الذين استوطنوا الساحل الفارسى قديما ، ثم نزحوا منه الى الساحل العربى خلال القرن الثامن عشر (٤) . فاذا صح هذا الرأى فانه يعنى بأن القواسم قد سعدوا الى السلطة بسرعة ملحوظة جدا ، وذلك فى أعقاب الفوضى التى عمت فارس بعد وفاة نادر شاه ملك فارس عام ١٧٤٧ ، فاستولوا على لنجة الواقعة على الساحل الفارسى ، كما احتلوا جزيرة قشم القريبة من

-
- (١) احدى القبائل المستقرة من بنى قتب كانت تقيم بالظاهرة وذلك فى مجموعة المستعمرات التى تحمل اسما جماعيا هو افلاج بنى قتب .
- (٢) مجموعة سجلات حكومة الهند ، المجلد ٢٩٦ مجموعة رقم ٥٦٤٦ اعداد الكابتن دى . ستون (المقيم البريطانى فى مسقط) موجهة الى ص ، فكان حاكم بومباى بتاريخ ١٨٠٧/٧/٢ وأيضا المجلد ٢٤ من مقتطفات سجلات حكومة بومباى ص ٣٠٠ وكتاب (صور تاريخية لقبيلة القواسم العربية) من ١٧٤٧ حتى ١٨١٩ تأليف واردن وكتاب بادجر ص ١٠
- (٣) مجموعة سجلات حكومة الهند مجلد ١٩٢ المجموعة ٤١٥٥ بخطاب من سيفون الى دنكان بتاريخ ١٨٠٥/١٠/١٦ .
- (٤) بلدان الخليج وقبائلها ص ٦٨ .

لنجة « غير أنهم طردوا منها سنة ١٧٦٥ بعد تسلّم كريم خان سلطة الحكم في فارس .

وبعد وفاة كريم خان ١٧٧٩ عادوا الى قشم بعد استيلائهم على لنجة من جديد .

وقد اشتهرت قبائل الساحل الجنوبي للخليج من قديم الزمان بممارسة القرصنة ، واذا عرفنا أن هذه القبائل كانت تعيش حياة البؤس والفاقة والتكشّف ، وهى ترى السفن التجارية المحملة بالثروات التجارية تمر من امامها عبر الخليج ، فاننا لن نستغرب ذلك ، لأنهم قوم بدائيون يعيشون في الصحراء وبالتالي فانهم يتصرفون وفق ماتمليه عليهم غريزتهم (١) .

وقد كتب أحد أعضاء بعثة المسح التى انتدبت للقيام بعملية المسح للساحل العربى ، يصف سكان هذه المنطقة بما يلى :

ان طباع سكان الساحل انما هى نتيجة طبيعية لنمط حياتهم وحرقتهم فهم يقومون بصيد الأسماك واللؤلؤ في أوقات السلم . غير أن هذه الأعمال تقتصر على أشهر معدودة من السنة . أما في الشتاء فان قسوة البحر على الشواطئ المفتوحة تحول بينهم وبين مزاوله هذه المهنة ، فيما عدا الخلجان والمناطق القريبة من مساكنهم ، بينما تنعدم الأعمال الزراعية في هذه المواسم فيعانون من بطالة شاملة ، وهى التى تدفعهم الى القيام بأعمال السلب والنهب ضد بعضهم البعض . ولأنهم تذبذبوا على استعمال الأسلحة منذ نعومة أظافرهم ويحكم صلابتهم وتعودهم على الحرمان والمتاعب والأخطار ، فمن الطبيعى أن يشبوا شجعانا مغامرين (٢) .

-
- (١) « صور فارسية » طبعة لندن ١٨٤٥ ص ١٥ تأليف جون مالكولم .
 (٢) تحقيق عن العرب القاطنين الساحل الواقع بين رأس الخيمة وأبو ظبي على الخليج والمسمى عموماً « بمساحل القراصنة » ترجمة الجمعية الجغرافية في بومباي (١٨٣٦ - ٣٨) ص ٣٢ مأخوذة عن كتاب ولستد «رحلات الى بلاد الخلفاء عبر شواطئ الخليج والبحر المتوسط » المجلد ٢ طبعة لندن ١٨٤٠ الجزء الأول ص ١٠٨ - ١١٢ .

وبسبب مزاولة القواسم لهذه الأعمال ، أطلق الأوربيون على الساحل الشمالي للخليج الممتد من رمس جنوبا ، اسم « ساحل القراصنة (١) » ، هذا على الرغم من أن شهرتهم بالشجاعة انما تعود في المقام الأول الى صراعهم الطويل ضد حكام آل بوسعيد على تعاقبهم .

وعلى اثر انتخاب احمد بن سعيد اماما على عمان بادر الحاكم المذكور الى وضع الخطط لاختضاع الساحل الشمالي ، وعلى الاخص القواسم لسلطانه ، وقد تحقق له هذا الى حد بعيد في عام ١٧٦٣ ، ورغم ما اظهره القواسم من مقاومة طويلة وعنيفة وباستثناء رأس الخيمة فقد دان الساحل كله لسلطته . ان هزيمة القواسم هذه مضافا اليها اقصاؤهم من لنجة وقشم حملت القواسم على توجيه طاقاتهم الى نواحي أكثر سلعية على امتداد خمسة عشر عاما من ذلك التاريخ غير أنهم عادوا الى مناصبة آل بوسعيد العداء في أعقاب تدهور سلطة الامام أحمد وما رافقها من فوضى عمت عمان . وما ان استعادوا ما فقدوه من نفوذ في الأجزاء الشمالية من ساحل القراصنة حتى شرعوا في توجيه غاراتهم عبر رأس جزيرة مسندم حتى منطقة الشمالية على خليج عمان . ومنذ أواخر الثمانينات للقرن السابع عشر حتى نهاية القرن ظلوا في صراع مرير مع حاكم مسقط في محاولة للاستيلاء على مينائي دبا وخورفكان في الشمالية ، باعتبارهما أفضل موقعين لمهاجمة السفن العابرة من وإلى طريق مضائق هرمز .

لقد كان الشيخ صقر بن راشد بن مطر رئيسا لمشايخ القواسم في الفترة الأخيرة من الثامن عشر ، وكان والده هو المسئول عن توجيه نشاط

(١) التزاما بالدقة فقد أطلق هذا الاسم أول ما أطلق على المنطقة الساحلية الواقعة بين رمس ودبي ، من دون أن تشمل الميناء المذكور . انظر مقتطفات من أرشيف حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٥٤٥ وكتاب الكابتن جي . بي . برنكس مذكرات وصفية للملاحة في الخليج وقد تكون دبي هي المنطقة التي ينتهي عندها ساحل القراصنة على الرغم من اعتقادي بأن القراصنة لم يقوموا بدورا فعال فيه ثم أعيد إطلاق هذا الاصطلاح للدولة على كل الساحل من رمس الى أبو ظبي وشبه جزيرة قطر .

القواسم عبر ساحل الخليج ، كما كان يتزعم قبائل ساحل القراصنة في حروبها ضد أحمد بن سعيد ، كما كان الشيخ صقر نفسه مصمما على استرداد القواسم لنفوذهم بعد سنة ١٨٧٠ ، وكانت رأس الخيمة او « جلفار » كما كان يطلق عليها الفرس هي قاعدة السلطنة (١) .

وكانت رأس الخيمة تضم نحو الف مسكن وتقع على رقعة من الأرض بين البحر والخور الذي يقوم مقام المرفأ أو الميناء ، ويبلغ طول البلدة نصف ميل تقريبا وعرضها نحو ربع ميل ، وكانت هناك قلاع تحميها من البحر ومن البر ضد أى هجوم محتمل . أما في القلب وعلى الجانب الشمالي الشرقي فقد كانت توجد قلاع كبيرة مسلحة بالمدفع . أما بقية البلدة (كما جاء في بحث أحد المعاصرين) يتألف من مبان عادية من الحجر غير المشذب ، ومن أكواخ من سعف النخيل وأوراقها مع ممرات ضيقة تتخللها ، ويقدر عدد السكان حاليا بنحو عشرة آلاف نسمة على الأقل ، منهم نحو ٣ آلاف من الذكور ممن يستطيعون استخدام السلاح ، على أن نصف هؤلاء على الأقل من الزوج الأفريقيين ، وعلى الجنوب الشرقي من الخور تبدو مجموعات كثيفة من غابات النخيل التي يعتبر ثمرها مادة الغذاء الأساسية للسكان ومواشيهم ، وفي نهاية هذا السهل المنبسط الذي يمتد على تعدد ملتوياته الى مسافة تصل من عشرين ميلا الى الخلف ترتفع سلسلة من الجبال (٢) .

أما الشارقة التي تقع على بعد بضعة أميال الى الأسفل من الساحل فيحكماها أحد شيوخ القواسم ، كما أن الموانى التي تتخلل المنطقة ونعنى بها ميناء جزيرة الحمراء والم القوين ، والحميرية ومجمعات ، فتخضع هي الأخرى لسلطة القواسم . أما في دبي الى ما وراء الشارقة فالامر يختلف إذ تنتهى عند هذا الميناء سلطة القواسم ، وتبدأ سلطة بنى ياس وهي إحدى قبيلتى

(١) ان مؤسس دولة الجواسم شيخ يدعى جاسم وكان قد نصب خيمته لأول مرة في منطقة من الأرض مرتفعة قليلا من شاطئ البحر بحيث تبدو بارزة لجميع السفن العابرة ، مما دعا الملاحين الى تسميتها برأس الخيمة . ويمضى الوقت تحول الاسم ليبدل على البلدة التي تأسست في المنطقة من كتاب « السيد سعيد » تأليف الشيخ منصور ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) رحلات عبر اشوريا ، تأليف بكنجهام جزء ٢ ص ٣٥٢ - ٤ .

الانحادين الرئيسيين لقبائل الساحل . ان بنى ياس ليسوا قبيلة متجانسة ، اذ انها تتألف من نحو عشرين تقسيما قليلا صغيرا وكبيرا ، وتنتشر على ضفاف المنطقة الممتدة من داخل قطر حتى جزيرة مسندم ، والأغلبية العظمى من القبيلة المذكورة تقطن أبو ظبي والمنطقة المحيطة بها ، وفي الظفرة الواقعة الى الغرب ، أما نفوذ الحكم فيمارسه آل بوفلاح ، وهم من أصغر الفصائل القبلية في المنطقة أما الفصائل الهامة فهي الحوامل ، والمحارقة وآل بوفلاسة وآل بومحير ، والقييسات والرميثات والرواشد والمزاريع والمشاغين والفصيلتان الأخيرتان بدويتان كلياً (١) ، ودبي هي مركز الحكم لآل بنى ياس ، غير أن مصدر سلطة الحكم لهذه القبيلة ومصالحها تقوم على أسس اقليمية على عكس القواسم الذين يعتمدون في الحكم في المقام الأول على النشاط الملاحي ، وحتى منتصف القرن الثامن عشر كان آل بوفلاح وأغلبية بنى ياس تقيم في واحة «ليوا» وتقع في أعماق الظفرة ، أما في موسم الصيف فينتقل معظمها وبالخاصة فصائل الرميثات والقييسات الى الجزء الشمالي من الساحل بحثا عن الأسماك واللؤلؤ . ولا تعود الى موطنها الا في فترة الحصاد (القيط) . ولم تحاول هذه المجموعات الاستقرار على الساحل لعدم وجود الماء ، ثم في سنة ١٧٦١ اكتشف الماء في جزيرة أبو ظبي على بعد مرمى حجر من المنطقة الرئيسية وهكذا بدأت الهجرة من واحة ليوا ، ولم ينته القرن حتى انتقل الى المكان فصائل عديدة من بنى ياس استقرت في الجزيرة . ولكن البلدة التي انشأوها كانت متواضعة ، كما جاء في بيان عنها كتب سنة ١٨٣١ .

ان هذه البلدة باستثناء مسكن الشيخ مبنية بيوتها من السعف لأن سياسة الحاكم الحالي تعارض اقامة مبان من الصخر اعتقادا منه أن ذلك يجعل رعاياه مستقلين عنه تماما ، كما أنها تجعله أكثر تعرضا لهجوم من

(١) أما ماهى العلاقة بين فصيلة المزاريع والفصائل التي تقيم في جزيرة مسندم وشرقى أفريقيا فمسألة مجهولة وقد أصبح آل بوفلاسة فيما بعد حكام دبي (انظر ص ٢٣٠) أما فيما يتعلق بالفصائل الأخرى من بنى ياس وتوزيعاتهم الراهنة فيمكن الرجوع الى كتاب « الجزيرة العربية وحدودها الشرقية » تأليف جى . بى . كيلي . طبعة لندن ١٩٦٤ ص ٣٦ - ٣٨ ولنفس المترجم .

البحر . ويقدر عدد السكان بنحو ١٨ ألف نسمة . وفى موسم صيد اللؤلؤ يتحرك أكثر من ٦٠٠ قارب صيد ، يحمل كل منها ما لا يقل عن سبعة الى خمسة عشر شخصا الى الخليجان . على ان التربة قاحلة ولا تنتج شيئا ، ثم ان الماء لا يوجد فى الجزيرة . وتعتمد ابو ظبى على مناطق اخرى لتزويدها بالمؤن ، ثم انها تتعرض للمتاعب كما لو كانت بلدة محاصرة حصارا قويا (١) .

ومعظم افراد قبيلة بنى ياس بما فيهم رئيس مشايخ آل بوفلاح الشيخ دياب ابن عيسى يفضلون البقاء فى واحة ليوا ، حيث تتوفر زراعة البلح بكثرة وفى احدى زيارات الشيخ دياب لابو ظبى اغتيل من ابن اخيه هزاع ابن سعيد . غير ان هذا الأخير مالئث أن طرد من ابو ظبى من جانب شخبوط ، وذبح جميع اتباعه الذين حضروا مقتل دياب . ومنذ ذلك الوقت شهدت ابو ظبى سلسلة من الاغتيالات والمذابح الاسرية على غرار ما كانت تشهد ايطاليا على يد اسرة لكريس بورجيا ومدسيس .

ان شخبوط بن دياب الذى خلف اياه على الحكم واستقر فى ابو ظبى كان الحاكم الوحيد خلال الستين عاما يموت موتة طبيعية . ولقد امتد نفوذ بنى ياس شمالا عبر الساحل من ابو ظبى حتى ديبى ، وشرقا حتى واحة البريمى ، التى تبعد نحو مائة ميل الى الداخل . وكان يحتل البريمى قبيلتان هما قبيلة النعيم وقبيلة الظواهر . والنعيم ، وهى القبيلة النافذة فى المنطقة فتتألف من ثلاثة فروع قبلية : هى آل بوشاش ، وآل بوخريبان ، والخواطر ، وكما عرفنا فان بعض عناصر القبيلتين الاخرين يسكنان الساحل فى كل من عجمان ورأس الخيمة ، والنعيم قبيلة بعضها حضرى ، والبعض الآخر بدوى ، وموطنها القبلى يمتد عبر جناح سلسلة جبال الحجر من البريمى حتى ضنك ، وبما ان النعيم ينحدرون من أصل غافرى ، فقد فرضوا سلطانهم على ظواهر البريمى ، وهم قبيلة من أصل هناوى على الرغم

(١) مقتطفات من سجلات حكومة بومباى المجلد ٢٤ ص ٤٦٢ وضمنون تاريخية لقبيلة بنى ياس العربية ، تأليف اللفتنانت هانيل .

من أن الظواهر ربما كانوا قد سبقوا غيرهم في الاستقرار بتلك المنطقة (١) وفي القرن السابع عشر خضع النعيم لسلطان الأئمة اليعاربة في عمان . وكان لهؤلاء الأئمة وال في البريمي (٢) . ولقد عدل الامام أحمد بن سعيد عن هذه القاعدة كما أن نجله سلطان صادف متاعب في السيطرة على هذه القبائل (٣) . وقد امتد نفوذ بنى ياس حتى أطراف الظاهرة خلال الحقبة الثالثة من القرن الثامن عشر (٤) ، وبنهاية القرن بدا وكأنهم يحاولون الاستيلاء على واحة البريمي بالتحالف مع الظواهر ، كما أقاموا صداقات مع العوامر ، وهي قبيلة كانت قد بدأت في تلك الفترة في ارتياد المنطقة . وبما أن العوامر يرجعون في الأصل الى حضرموت فقد أخذوا يجوبون الجانب الشرقى الى منحدرات عمان ، وذلك في نهاية القرن الثامن عشر . وقد استقرت فئة منهم فيما بعد بعمان الام بالقرب من نزوى على ساحل الباطنة ، الا أن الفئات البدوية منها استمرت في تجوالها غربا في اتجاه خطمة ملامة ، وهي المقاطعة الواقعة مباشرة الى الغرب من واحة البريمي ، والى المزيد من الجهة الغربية حيث الظاهرة . ولما كانت هذه القبيلة غير مستقرة وترتاد مناطق بعيدة فان تنقلاتها غير ثابتة ، وقد بمضمحل وتلاشى من الوجود قبل مرور وقت طويل فى مطاوى الربع الخالى . ولا يمكن الجزم بتعداد سكان القراصنة فى تلك الفترة . فأحد التقديرات يضعهم فى حدود ١١٠٠٠ - ١٢٠٠٠ نسمة (٥) ، بينما يشير تقدير آخر أعدا

-
- (١) ان الاسم المفرد لهذه القبيلة وهو الظاهرى يدل على أنهم أصلا من الظاهرة .
 (٢) أنظر « تاريخ عمان » بقلم روس فى المجلة الجغرافية للبنغال ص ١٦٢ مجلد ١٣ .
 (٣) التقرير السنوى للمقيم البريطانى فى الخليج ١٨٨٧ - ٨ ص ٢٥ سيرة سلطان بن أحمد .
 (٤) مجلة الجمعية الجغرافية للبنغال ص ١٧٧ - ٨ مجلد ١٣ .
 (٥) بحث عن « غرب ساحل القراصنة » مترجم - مجلة الجمعية الجغرافية لبومباى ص ٣٢ مجلد ١

عام ١٨٢٠ بأن هذا الرقم يشمل الرجال فقط (١) ، أما المصدر الذى يمكن الاعتماد عليه أكثر فهو بيان بعثة المسح التى أوفدت الى الساحل العربى بعد عام ١٨٢٠ ، غير أن الرقم الذى يمكن استخلاصه من تقرير البعثة للتعداد الكلى للسكان ونعنى به من ١١٩٠٠ الى ١٢٧٥٠ نسمة قد لا يكون صحيحا اذا عرفنا أن التقرير قد أورد تعداد بعض المناطق بالكامل ، وبعضها لم يشر الا الى عدد السكان الذكور فقط (٢) . وهكذا ذكر التقرير أن سكان رأس الخيمة ٢٥٠٠ وسكان ديبى ٧٠٠ - ٨٠٠ نسمة بينما حدد سكان عجمان والشارقة من ١٤٠٠ - ١٧٠٠ رجل ومن ٣٥٠٠ الى ٣٨٠٠ رجل لكل منهما ، بينما حدد سكان أبو ظبى بـ ١٢٠٠ نسمة ، مع أن تعداد الذكور من بنى ياس كان ٢٤٠٠ شخص ، وحلفاءهم المناصرين وغيرهم ٥٠٠٠ شخص (٣) .

لقد كان صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ المقومات الأساسية للحياة فى الساحل كذلك كان القواسم يساهمون فى عمليات نقل السلع فى الخليج كما كانوا يقومون برحلات تجارية الى الهند وأفريقيا ، وكانوا يستخدمون حصيلة هذا النشاط التجارى فى إبتياح الأغذية وغيرها من متطلبات الحياة للمحافظة على مستواهم المعيشى المنخفض ، وكانوا يشترون البلح والخيل والحمر من البحرين والبصرة والبنادق والبارود والسيوف والسجاد والتبغ من إيران ، والمعادن والأرز والمنسوجات من بومباى ، والسمن والزيت من ساحل مكران ، والبلح

(١) من خطاب الكابتن دلبيو . جى . كولبروك الى اف . واردن بتاريخ ١٨٢٠/٩/١ ضمن محادثات بومباى السياسية حلقة ٣٨٥ مجلد ٤ .
(٢) مقتطفات من سجلات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٥٤٠ - ٥٤٧
وكتاب « الملاحه فى الخليج » تأليف برکس .

(٣) نفس المصدر ويقدم كولبروك ثلاثة أرقام لتعداد سكان بنى ياس الذكور هى ٥٠٠٠ منها ٢٠٠٠ على الساحل ، ٣٠٠٠ يسكنون منطقة الظفرة ، ٧٠٠٠ - ٨٠٠٠ وكما سبقت الإشارة الى ذلك بنحو ١٢٠٠٠ فاذا أضيف الى هذه الأرقام ، أرقام برکس للسكان المناصرين وبنى ياس معا فان المجموع يقترب من تقديرات كولبروك (فهو لا يقدم كتقديرات عن عدد المناصرين وربما يكون قد ضمهم مع بنى ياس .

من عمان ، والبن من اليمن ، والعميد من زنجبار « في مقابل هذه الواردات ، وباستثناء اللؤلؤ لم يكن سكان الساحل يصدرون شيئاً ذا قيمة فيما عدا الأسماك المجففة والجبن ، والجاكتات المنسوجة من صوف الماعز والخرفان .

كانت العلاقات في هذه الفترة بين بنى ياس والقواسم يشوبها التحفظ ولكن كان فيها شيء من الانسجام نسبياً ، اذ لم يكن قد طرأ أى خلاف بينهما حتى ذلك الوقت . وكلا الاتحادين القبليين كان ينتمى الى المذهب السنى ، كما ان بنى ياس لم يساهموا بأى نصيب من التدخل فى الصراع الهناوى - الفافرى ، فقد كانوا لا يزالون يقيمون فى واحة ليوا عندما انفجر هذا الصراع بين الطرفين ، وبعد بداية القرن التاسع عشر ، بدأ آل بوفلاح فى توثيق صلاتهم بحكام آل بوسعيد والتي توثقت أكثر بنهاية القرن . وحتى ذلك الوقت لم تكن المصالح الاقتصادية بين اتحادي بنى ياس والقواسم قد تعارضت . فقد اقتصر نشاط بنى ياس فى مجموعته على الزراعة والرعى ، ولم تكن لديهم الامكانيات الملاحية التى تمكنهم من تحدى القواسم فى البحر ، ولكن عندما ازدادت خبرتهم بالبحر عمدوا الى ممارسة صيد اللؤلؤ بشكل متزايد ، بحيث أخذوا يهددون القواسم فى سيطرتهم على الخليج . وعندما وصلت العلاقات الى هذا الحد من التوتر فى الثلاثينات من القرن الثامن عشر انفجر العداء السياسى والدينى لكى يضاعف من حدة التنافس بين الطرفين ويحيله الى عداء مستحكم ، قدر له بأن يستمر حتى معظم فترة القرن ، والى ما وراء أبو ظبى تنتهى حدود مقاطعة الشمال مخلفة وراءها عمان ، والى الغرب من ذلك تمتد صحراء الظفرة التى تحدها من الشمال مياه الخليج ، ومن الجنوب صحراء الربع الخالى . وتتكون الظفرة فى معظمها من سلسلة من كئبان الرمال ممتدة من شرقها الى غربها ، وممتدة فى الاتجاه الجنوبى من الساحل حتى الربع الخالى . أما الساحل المنخفض المليء بالمستنقعات ، والذى تتناثر فوقه المناطق السبخية والتنوعات الجيرية ويمتد عمقه الى نحو ١٥ ميلا الى الداخل فيعرف بالطف . ومياه هذا الساحل ضحلة على الشاطئ كما انه غير مأمون بسبب ما يضمه من الصخور والجزر والمناطق الرخوة . وعلى الجانب الآخر من الطف توجد ثلاثة احزمة من المناطق الرملية تتوفر فيها آبار من المياه العذبة

ومجموعات من أشجار النخيل في الفجوات الفاصلة من سلاسل الكثبان ، وتسمى هذه المناطق الثلاث من الشمال الى الجنوب الساروق والفقح ، والباطنة ويمكن تمييز بعضها عن البعض عن طريق كثبان عالية . والى الجنوب من الباطنة على امتداد بشكل هلال يصل قطره من الجنوب الغربي الى الجنوب الشرقي من ٤٠ الى ٥٠ ميلا تقع واحة ليوا ، وفي هذه المنطقة تزداد الكثبان ارتفاعا حيث تتناثر فيها وعلى منحدراتها عدد من المستعمرات السكنية ، وعلى الرغم من ذلك فانه يوجد هناك نحو ٤٠ الى ٥٠ مستعمرة من هذه المستعمرات ، وحتى الآن يقيم سكانها في بعضها على مدار العام بينما لا يقيمون في القسم الأكبر منها الا في مواسم الحصاد . وتتوفر المياه العذبة وخمائل النخيل في المنحدرات الصخرية الواقعة بين الكثبان وبالرغم من أن الضباط البريطانيين العاملين في الخليج كانوا يعلمون عن وجود هذه الواحة منذ أواسط القرن التاسع عشر الا أنه لم يتج لاي أوروبي مشاهدة هذه الواحة قبل عام ١٩٤٨ عندما اجتازها الرحالة ولقزيد فيسيجر من الجانب الغربي خلال عبوره الثاني لصحراء الربع الخالي (١) . وعلى الجانب الآخر من ليوا جنوبا تقوم كثبان الرمال البيضاء والذهبية اللون لمنطقتي البطين وجيدان ، وهما المقاطعتان الاخيرتان للظفرة عند ملتقى تلال الرمال الحمراء والتي تلتقى بالخطمة من الشمال والظاهرة في الشرق وهما منطقتا سهول رملية واسعة تقطعها مستنقعات الملح وبعض التلال وتتوفر فيها المياه والمراعي . أما الطف وهو الرقعة الساحلية التي تنتهي حدودها عند ببيخة مطى فهي بحيرة ملحية ضخمة يصل عرضها عند حافة البحر الى أكثر من ثلاثين ميلا ، وهي تمتد الى الداخل في أشكال غير منظمة ، تتخللها كثبان من الرمال الى عمق يصل الى ٦٠ مير ، وتقع بالقرب من سبخة مطى والى الخلف من الطف مباشرة بينونة ، وهي آخر مقاطعات الظفرة غربا ، وبينونة منطقة

(١) لقد توجه اليها من الجنوب عام ١٩٤٦ بعد أول اجتياز قام به للربع الخالي وقد سلك في سيره الجانب الشرقي بعد أن تنامى اليه أن هناك فريقا من السعوديين يعسكرون بالمنطقة (راجع بحثه عبر الربع الخالي) بالمجلة الجغرافية عدد ١ ص ١ - ٢١ « ورحلة أخرى عبر الربع الخالي نفس المجلة عدد ١٣ ص ٢١ - ٤٦ .

تتخللها كثبان منخفضة ومتعرجة فيها بعض الآبار ذات المياه المالحة . أما من الغرب فيحد سبخة مطى من الغرب وادى مجعن ، وهو سهل حصباوى ينحدر فى رفق من الشرق الى الغرب ، وخلف هذا الوادى يمتد سهل رملى طويل به عدد من الآبار ويسمى عقال ، وينتهى عند أطراف شبه جزيرة قطر حيث ينقسم الى مجموعة من الوديان والرؤوس الصخرية ، وكانت كل منطقة مجعن وعقال فى الماضى عبارة عن مراعى شتوية تستخدمها القبيلتان الرئيسيتان لمنطقة الظفرة ونعنى بهما بنى ياس والمناصر . ومن المحتمل أن بعض العناصر البدوية من القبائل كبنى مرة والمناحيل والرواشد كانت تجوب المنطقة الشمالية من الربع الخالى فى بعض الأوقات لرعى قطعانها هناك . أما المناصر فقد كانت ترتاد الظفرة على امتدادها من الرملة الحمراء شرقا الى بينونة غربا ، بل ربما كانت تصل فى تجوالها الى شبه جزيرة قطر والاحساء ، وكانوا يمتلكون مزارع نخيل فى ليوا كما كانوا يزاولون صيد الأسماك واللؤلؤ بالاشتراك مع بنى ياس فى منطقة غير بعيدة عن الساحل الجنوبى للخليج ، وتتألف هذه القبيلة من ثلاث تقسيمات رئيسية وهى آل بومنذر ، وآل بورحمة ، وآل بوشعر بالإضافة الى قرعين صغيرين ، هما آل بوخيل وآل بوحمير ، ويبدو أن هذه القبيلة لم تكن تدين لزعيم من زعماء القبائل الكبار ، وانما كانت تمنح ولاءها للحاكم الذى يقيم فى منطقتهم ومنذ بداية القرن التاسع عشر ان لم يكن قبل هذا التاريخ ، كان المناصر متحالفين مع بنى ياس ، بينما كانوا يمنحون ولاءهم لآل بوفلاح مشايخ أبو ظبى . ويمكن تحديد متانة الصلة هذه من تقرير عن قبائل ساحل القراصنة أعده مساعد المعتمد البريطانى فى تركيا العربية عام ١٨١٨ جاء فيه :

« ان بنى ياس قبيلة رعوية من قبائل عمان وقيمون فى أقصى المقاطعة الشمالية التى تسمى السر ، وهى منطقة رملية قاحلة التربة ، وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة فصائل ، احداها تسمى بنى ياس ، والثانية تسمى المناصر ، والثالثة تدعى العوامر ، أما الفئات التى كانت تقطن المنطقة الداخلية فتمتلك ابلا من أجود السلالات بينما الذين يقطنون المنطقة الساحلية فيمتلكون قوارب خفيفة يحمل كل منها أربعة أشخاص ، وهى صالحة لعمليات الصيد الذى يشحن محصوله الى بلدة الاحساء لتصريفه هناك . . . ولديهم بساتين صغيرة

من أشجار النخيل موزعة على التلال الرملية ولا تعطى غير محصول شحيح من الفاكهة ، وفي الصيف يسكن أفراد هذه القبيلة وسط هذه البساتين وتبقى هناك الى أن تستهلك كل ما عندها من هذا المحصول . ولكن الماء مالح في هذا الموسم (١) ويتوجه الرعاة فى شهور الشتاء الى الأحساء وقطر بحثا عن المرعى .

ان قطر كما يقول العرب انفسهم عنها « انها البلد الذى نسيته الطبيعة » وشبه جزيرة قطر منطقة منبسطة جرداء وهى تمتد شمالا من الساحل العربى الى داخل مياه الخليج الى مسافة ثمانين ميلا تقريبا . ويبلغ عرض أوسع جزء منها نحو أربعين ميلا ، ولا يوجد فيها شئ مفيد سوى رتابة سهلها الممتد مع احتمال وجود بعض التلال المنخفضة هنا وهناك كجبل الدخان فى الجهة الغربية من شبه الجزيرة ، أما حدودها الجنوبية فيمكن تمييزها بسهولة . وتوجد سلسلة من المنخفضات التى تبدأ من رومه سلوى فى الغرب حتى حذر العديد فى الشرق ومن الواضح أن هذه المنطقة كانت تشكل فى وقت من الأوقات لسانا من البحر تفصل شبه الجزيرة عن الساحل الخلفى لها .

والمنطقة البحرية المحيطة بقطر تكثر فيها المناطق الضحلة ولا يوجد على الساحل منطقة تصلح كمرافأ حقيقى ، وتوجد هنا وهناك فى المنطقة الداخلية بعض الآبار وتظهر هذه الآبار بعد هطول أمطار الربيع عادة فى الأجزاء المنخفضة من شبه الجزيرة كما تظهر بعض المناطق المكسوة بالحشائش والأعشاب . فالزراعة تكاد أن تكون معدومة على الإطلاق ولا توجد الوديان فى أى مكان منها، ولم يكن هناك غير البحر يتزود منه سكان قطر القليلون بمقومات معيشتهم . أما من الناحية السياسية فقد كانت قطر فقيرة مثلما هى من الناحية الجغرافية، وباستثناء عدد قليل من المستعمرات على الساحل فان قطر لم تكن أكثر من منطقة ترعى فيها قبائل البدو ماشيتها ، وقد حل بها المناصير وربما بنو مرة

(١) مقتطفات من سجلات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ١٦ اعداد الكابتن آر . تيلور تحت عنوان « ملاحظات مختصرة عن عمان ومسقط والبحرين . . » ويمكن الرجوع الى ص ١٣٩ من الكتاب لمعرفة الظروف التى أعدها سببها هذا التقرير .

ايضا ، ولكن الحجريين ، وهم اليوم القبيلة البدوية الرئيسية فى قطر ، لم يكونوا موجودين فى نهاية القرن الثامن عشر ، رغم أنهم قد نزحوا اليها بعد بضع سنوات من ذلك التاريخ .

أما الذين وفدوا الى الجزيرة فيما بعد فانهم عناصر من قبيلة النعيم الكبرى ، وعلى طول الضفة الشرقية للساحل تقوم قرى الصيادين كالوكرة ويديه أو (الدوحة كما تسمى الآن) ربما اشتقاقا من لفظة (دوحه البدع) أما الهويلة والنويرات فيقطنهما عدد من القبائل المستقرة والمعاويد ، وهم فرع من آل بنى على وأنسابهم الى بوقورة ، فقد كانوا يسيطرون على النويرات ، بينما كان يسيطر آل مسلم وهم فرع من بنى خالد على الهويلات . أما الدوحة فكانت تتألف من عدة قبائل أهمها المعاديد، وآل بوعينين والسودان(١) . وفى مناطق أخرى من شبه الجزيرة كانت تقيم مجموعات من آل بوعينين والدواسر، والهويلة والأخيرة منها نزحت الى المنطقة من سواحل إيران . وليس ثمة ما يؤيد احتمال أن يكون بنو خالد شيوخ الأحساء قد مارسوا نوعا من السيطرة على آل مسلم حتى منتصف القرن الثامن عشر . وعلى حين يبدو القسم الشرقى من الساحل مخيبا للآمال فان الشمال الغربى من الجزيرة يقدم صورة أكثر اشراقا لسبب رئيسى هو وجود قبيلة آل خليفة هناك . لقد هاجر آل خليفة ، وهم فرع من العتوب كانوا قد استوطنوا الكويت فى أوائل القرن الثامن عشر من تلك البلاد فى عام ١٧٦٦ طلبا لمستوى أفضل من المعيشة . ولقد اتخذوا زبارة فى الشمال موطننا

(١) قبيلة السودان تاتى أحيانا ضمن بنى ياس وكما يقال عنها أنها نشأت أصلا على ساحل القراصنة وجاء فى تقرير أعد عام ١٨٢٠ أن قبيلة السودان التى تقطن أبو حيل القريبة من الشارقة قد نزحت من قطر عن طريق أبو ظبى على اثر قيام الوهابيين بطردهم منها « الشئون السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ٤ تاريخ ٢٥ ابريل من كولدبروك الى وارادن
١٨٢٠/٩/١ »

لهم بعد أن انتزعوها بالقوة من آل مسلم ، ثم انضم في وقت لاحق فرع الجلاهمة من العتوب الذين تركوا الكويت لنفسن الأسباب واستقروا في الرويس في الطرف الشمالي من قطر ، وقبل أن يهاجر آل خليفة بمعية فرع آخر من العتوب هم آل صباح سكان الكويت بوقت طويل كانوا قد اكتسبوا مكانا مرموقا في الخليج كتجار وملاحين ، وفي ظل سلطانهم نمت وتطورت زبارة كمركز للملاحة البحرية . ولقد ساعد على تطورها حصار الفرس للبصرة سنة ١٧٧٥ - ١٧٧٦ مما وجه قسما كبيرا من تجارة الخليج الى تلك المستعمرات الجديدة كما شجع كثيرا من التجار على الانتقال الى زبارة ، وثمة عامل آخر ساهم في ازدهار زبارة هو السيطرة التدريجية التي تطورت الى ما يشبه الاحتكار الكامل لمصايد اللؤلؤ في كل من شواطئ قطر والبحرين من قبل آل خليفة . ومع مضي الوقت تطورت زبارة الى بلدة ذات أهمية في المنطقة ، ولاتزال آثارها حتى اليوم تنطق عن هذا المركز ، وكانت تحتل مساحة من الأرض تضم بداخلها عددا من المساكن الكبيرة المبنية على النمط الفارسي . ويقدر عدد بيوت زبارة في العشرينات من القرن الثامن عشر بنحو ٤٠٠ ولكنها كانت شبه مهدمة في ذلك الوقت .

وفي أعقاب سلسلة من الغزوات التي شنها على المنطقة الفرس الذين كانوا يسيطرون على جزر البحرين المجاورة حل التدهور بالبلاد ولقد كان حاكم بوشهر الذي كان يحكم البحرين في الوقت نفسه غير راض عما حققه آل خليفة من انجازات في زبارة ، وكانت تنشأ المنازعات كلما اجتاز آل خليفة البر الى البحرين كما كانت الخلافات الدينية عاملا آخر في اشعال نار الخصومات بين الطرفين ، اذ أن آل خليفة ينتمون الى المذهب السني بينما ينتمي أهل البحرين الى المذهب الشيعي . وفي عام ١٧٨٢ حدثت واقعة أدت الى مقتل أحد أفراد قبيلة آل خليفة في سترة على الساحل الشرقي للبحرين مما دفع حكام زبارة الى شن حملة عسكرية على المنامة عاصمة البحرين ، وقد استنجد البحرانيون الذين دب فيهم الفرع ، بحاكم المقاطعة الجنوبية لفارس ، وقد أصدر هذا الحاكم أوامره الى الشيخ ناصر حاكم بوشهر بتجهيز حملة لاحتلال زبارة ، وفي بداية عام ١٧٨٣ تحركت قوة مشتركة من الفرس والقواسم وانقضت على معقل آل خليفة في زبارة ولكن القوة اصطدمت بمقاومة من آل خليفة يعاونهم بعض أفراد

قبائل قطر . وبعد بضعة أشهر قام آل صباح سكان الكويت وأنساب آل خليفة يؤيدهم بعض عرب قطر بحملة على البلدة، وبعد حصار دام شهرين لقوات الفرس استسلمت حامية المنامة لهم . ومنذ ذلك الوقت غدت البحرين قاعدة لحكم آل خليفة على الرغم من أن الشيخ الحاكم ظل يقيم لعدة سنوات في زبارة ، ومن بين القبائل التي ساعدت آل خليفة على احتلال البحرين قبيلة الجلاهمة سكان الرويس ، والتي تمت الى آل خليفة بصلة القرى غير أن القبيلتين اختصمتا فيما بعد ، ربما على الفنائم ، مما دفع الجلاهمة الى الانسحاب الى قطر حيث استقر بهم في خور حسن شمال زبارة ، وكان يحكمهم ثلاثة شيوخ اخوة وأنجال شيخ المشايخ السابق جابر الذي قاد عمليات الهجرة الأولى من الكويت الى قطر . وخلال بضع سنوات ذاع صيت رحمة بن جابر بأنه من أعظم قراصنة الخليج في العصر الحديث . وفي ظل حكمه غدا خور العديد ملجأ وملقى لكل المناوئين لآل خليفة ومن يفضلون ممارسة الحياة بقوة السيف وحدها وأن حقه على آل خليفة ، وهو أمر كما يبدو له أسباب شخصية أكثر منها الخلاف الذي نشب على فتح البحرين فقد ظل لأكثر من أربعين عاما وحتى وفاته في معارك كان يقودها ضدهم وكان يخوض حرب استنزاف ضروسا ضد تجارة وملاحة البحرين . وكان معقل رحمة في خور حسن (وتسمى الآن الخوير) عبارة عن قرية متداعية متواضعة تتألف في أغلبها من أكواخ بدائية من السعف والخيش ، وكان يتصدرها قلعة مربعة الشكل مبنية من الطين والحجر المرجاني تقع على الساحل والمرفأ الضحل وفي منطقة غير بعيدة من الشاطئ بعض الشعب المرجانية يمكن مشاهدتها وهي تمتد شمالا وجنوبا بمحاذاة الساحل بالإضافة الى قناة بعمق باع ونصف الى باعين يفصل بينهما في العرض سلك عازل من حيث تستطيع المراكب ان تبحر من رأس فكان الى زبارة أما القناة المتدة عبر الشعب بطول ميلين غرب الميناء فلا يمكن الإبحار فيها الا في فصل الربيع ، كما يمكن سدها بالأحجار في حالة وجود تهديد أو طوارئ (١) .

(١) الوثائق السياسية لحكومة بومباي حلقة ٣٨٣ مجلد ١٧ مشاورات ١٨١٠/٥/٢٩ رسالة من كابتن ان . وارن الى أن اتشه سميث (المقيم البريطاني في بوشهر) بتاريخ ١٧/٣/١٨١٠ أما بالنسبة لزيارة وارن لخور حسن راجع ص ١٢٣ من الكتاب .

(م ٤ - بريطانيا والخليج) .

وكان لرحمة معقل آخر يمكنه التراجع اليه للاحتماء فيه ، وذلك في دوحه حسن ، حيث لا تزال توجد بقايا حصن حيث أقيم بالبناء المذكور ، ويسمى هذا الوكر بوكر الثعلب ، وهو اللقب الذى كان يشتهر به رحمة في ذروة أيامه .

يقع أرخبيل البحرين فيما بين شبه جزيرة قطر وساحل الاحساء . ويضم جزيرة كبيرة هى البحرين (وتسمى بأوال أيضا) وعددا آخر من صغار الجزر أكبرها المحرق على الطرف الشمالى ، وسترا على الطرف الشرقى ، والبحرين جزيرة مستطيلة الشكل ويصل عرضها فى الوسط الى عشرة أميال . والجانب الشمالى من الجزيرة هو المنطقة الخصبة فقط ، أما الباقي فيما عدا بضعة نقط على الساحل الغربى فصحراء ، وفى الشمال فى البلدة الرئيسية المنامة تتوفر الينابيع بكثرة كما توجد ينابيع تحت مياه البحر على الساحل ، والأرض فى البحرين منخفضة وتكاد أن تكون منبسطة والمنطقة المميزة الوحيدة فيها كما هو الحال فى قطر هو جبل الدخان القائم فى قلب الجزيرة . وخور المنامة صالح للملاحة وهناك مراسى مأمونة بين المنامة والمحرق . وعلى بعد بضعة فراسخ الى الشمال فى محرق تقع أحواض اللؤلؤ وتبدأ من رأس تنورة على الساحل العربى امتدادا الى الشمال الغربى بحث تلتف حول رأس قطر ثم تنحدر فى اتجاه الساحل الشرقى قبل أن تتلاشى عبر أعماق البحر أوعية البحر « التى يطلق عليها العرب « بحر العذارى » بحث تنتهى أخيرا بالقرب من دبی على ساحل القراصنة ، وأكثر الأحواض وفرة بالآلئ هى المنطقة القريبة من البحرين ورأس ركن .

لقد ظل تاريخ البحرين على امتداد القرن الثامن عشر حافلا بالاضطرابات ، أما من الذى كان يحكم الجزيرة فى مطلع القرن فغير معروف ، وربما كانت خاضعة للفرس الذين تمكنوا من طرد البرتغاليين منها سنة ١٦٠٢ ، أو ربما كان عرب الاحساء على الطرف المقابل من الأرض الام هم الحكام ، ومن عام ١٧١٨ استولى الامام اليعربى سلطان بن سيف الثانى على الجزيرة ، ولكنه لم يستمر فيها فقد عادت الى الفرس فى عهد نادر شاه ، غير أن الحاكم الفارسى كان حكمه قصيرا وانتقلت السلطة فى منتصف القرن الى عرب الهويلة التى كان زعيمها فى ذلك الوقت شيخ منطقة اسالوا على الساحل الايرانى ، ثم انتهى

حكم هذا الشيخ عام ١٧٥٥ عندما هاجمتها قوة كبيرة خرجت من الموالي الشمالية لفارس ، وهى بوشهر وبندر رق بقيادة الشيخ ناصر شيخ بوشهر واخضعت الجزيرة لسلطانها . وقد ظل هذا الشيخ يحكم البحرين زهاء ثلاثين عاما باسم فارس حتى أقصى منها مرة والى الأبد من جانب آل خليفة حكام زبارة ، وفى نهاية القرن الثامن عشر كانت البحرين تخضع لحاكمين من آل خليفة هما سلمان بن أحمد وأخوه عبد الله ، وكان جدهما الشيخ خليفة بن محمد هو الذى قاد عملية النزوح من الكويت الى زبارة عام ١٧٦٦ ، وقد احتل الجزيرة والدهما الشيخ أحمد بن خليفة فى غياب والده الشيخ خليفة الذى كان قد توجه الى مكة للحج وتوفى هناك . وقد ظل يقيم فى زبارة تاركا مقاليد الحكم فى البحرين لولديه ، وعلى أثر وفاته اتفق الأخوان على مشاطرة الحكم حيث يقيم سلمان فى منطقة الرقاع ويقيم الآخر فى المحرق .

ان سكان البحرين متعدّدو الأجناس ، ومما لاشك فيه أن السكان الأصليين البحارنة يشكلون أكبر مجموعة سكانية ، وهؤلاء يتكونون من خليط من الأصل العربى والفارسى ، ويتعاطون صيد الأسماك والفلاحة ، والمجموعة السكانية الكبرى الثانية هم الهويلة ، وهذه المجموعة مثلها مثل البحارنة ليست قبيلة وانما هى طبقة تتألف من العرب الأوائل الذين زحفوا على الساحل الفارسى فى فترات تاريخية سابقة . ولكن الهويلة سنيون على خلاف البحارنة الذين هم من الشيعة . وإذا جمعنا الفئتين يمكن أن يصل تعدادهما فيما بين ١٠٠٠٠٠٠٠ نسمة، وإذا التفتنا الى العناصر القبلية التى تؤلف بقية سكان الجزيرة فيمكن القول ، أن العتوب بما فيهم الأسرة الحاكمة من آل خليفة كانوا أكثر المجموعات نفوذا . أما العناصر الأخرى كآل بوكورة . والسلاطه وآل مسلم ، والمعاودة والجنبات فهم من أصل قطرى كان العتوب قد عبأوهم فى عملياتهم لاحتلال البحرين ، ثم اختاروا البقاء فى الجزيرة ، كما كان هناك نحو ٨٠٠ من بنى خالد الذين نزحوا الى البحرين من الاحساء . وفى أعقاب هؤلاء كلهم استقبلت البحرين مجموعة من قبائل الدواسر والنعيم الذين هاجروا اليها من المنطقة الأم . ويقدر عدد العتوب وحلفائهم باستثناء بنى خالد فى ذلك الوقت بعشرة آلاف الى عشرين الف نسمة، كما كا هناك نحو من ٢٠٠ الى ٣٠٠

من الافريقيين الأرقاء والأحرار في خدمة آل خليفة . وفي غضون العشرين والثلاثين سنة من حكم آل خليفة حققت البحرين تقدما سريعا فى النواحي التجارية ، وكان مقدرها لها فى وقت من الأوقات أن تنتزع من مسقط أهميتها كمركز تجارى فى الخليج . فبحكم موقع الجزيرة فى منطقة تتوسط خليج هرمز وشط العرب فقد ساعدها هذا الوضع على احتكار تجارة المنطقة بصورة تامة ، ولئن كان تدهور الوضع فى البصرة ، كما أشرنا آنفا ، قد ساهم فى دفع التطور الاقتصادى للبحرين فان الفضل الأكبر فى ذلك يعود الى مهارة ونشاط حكام الجزيرة الجدد الذى برزت قدراتهم الى حد كبير فى الكويت أولا ، ثم فى زبارة كملاحين وكتجار فى نفس الوقت . وربما كان صيد اللآلىء أكبر موارد الدخل لآل خليفة . والتقديرىات للقيمة الاجمالية لهذا الدخل قليلة ولكنها تتراوح كثيرا ، ويذكر المؤرخ ينيهور فى سنة ١٧٥٦ ، أن حاكم بوشهر كان يتقاضى من هذا المورد نحو مائة ألف روبية (اى ١٠ آلاف جنيه استرليني) (١) ويقدر مصدر آخر هذا الرقم سنة ١٧٧٥ بستين ألف تومان عراقى ، أى مايعادل (١١٢ر٥٠٠ ج س) (٢) ويقدر مكتب تمثيل شركة الهند الشرقية فى البصرة فى سنة ١٧٩٠ أن قيمة صادرات اللؤلؤ من البحرين قد بلغت ٥٠٠٠٠٠ روبية هندية (نحو ٥٠٠٠٠٠ ج س) (٣) وقد ابلغ أحد الضباط السياسيين التابعين لهذه الشركة فى سنة ١٨٤٨ أن قيمة تجارة اللؤلؤ بلغت ١٠٠٠٠٠٠ تومان عراقى لـ ١٨٧٠٠٠٠ ج س) (٤) ، وتشير المعلومات التى استقاها ضباط الأسطول البريطانى العاملون فى عملية مسح الخليج سنة ١٨٢٤ ان قيمة هذه التجارة

(١) نفس المصدر .

(٢) رحلات الى آسيا ص ٢٠٢ تأليف ابراهيم بارسونز . ان بارسونز وكان احد رجال شركة لفانت قد زار الخليج فى عام ١٧٧٥ وقد أشرنا الى انطباعاته عن مسقط آنفا .

(٣) فارس والخليج مجلد ٢١ من مانستى وجونز الى مجلس الحاكم بومباى فى ١٧٩٠/١٢/١٨ .

(٤) وثائق حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٢٢ « ملاحظات عن عمان »

اعداد تايلور .

قد ارتفعت في تقديراتهم الى ١٦٠٠٠٠٠ نمسوى (أى ميساوى ٣٢٠٠٠٠٠ ج س تقريبا) وفي مكان آخر أنها بلغت نحو ٤٠٠٠٠٠٠ روية (أى ٤٠٠٠٠٠٠ ج س) (١) تقريبا ، وبعد ذلك بيضع سنوات قدر المقيم السياسى البريطانى فى الخليج بمليون الى مليون ومائتى الف ريال نمسوى (أى ٢٠٠٠٠٠٠ ج س و ٢٤٠٠٠٠٠ ج س) (٢) ، وفي غضون العشرينات كان نحو ٢٥٠٠ سفينة تبحر كل صيف من البحرين الى مصايد اللؤلؤ ونحو ٧٠٠ أخرى من ساحل القراصنة . وكان يعمل على هذه السفن من ٢٧ الى ٣٠ ألف رجل ، ولكن هذا العدد انخفض سنة ١٨٤١ الى ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ ، وان كان عدد الأفراد العاملين بها قد ارتفع الى ٣٧٠٠٠ - ٣٨٠٠٠ وقد انخفضت حصة البحرين من هذه العمليات بسبب الاضطرابات الداخلية فيها وكانت أكبر مساهمة فردية من القوارب والبحارة هى مساهمة أبو ظبى التى قدرت بأكثر من ٧٠٠ سفينة ومن ٨٠٠٠ الى ٩٠٠٠ بحار . على أن الأرقام الصحيحة الأولى عن تجارة البحرين هى تلك التى تم وضعها خلال عمليات مسح الخليج ، وهى تشير الى أن القيمة الاجمالية السنوية للميزانية بلغت ٢٤٥٩٠٠٠٠ ريال نمسوى . أى (٤٩٠٠٠٠٠ ج س) مقسمة الى رقمين يمثل الأول رقم الصادرات فى حدود ١٦٥١٠٠٠٠ (نحو ٣٣٠٠٠٠٠ ج س) ، ويمثل الثانى فى حدود ٨٠٧٣٠٠٠ ريال نمسوى (نحو ٣٣٠٠٠٠٠ ج س) ، ويمثل الثانى فى حدود ٨٠٧٣٠٠٠ ريال نمسوى (نحو ١٦٠٠٠٠٠ ج س) الواردات . وكان اللؤلؤ فى المقام الأول من الصادرات اذ بلغ قيمة ما يصدر منه كما أشرنا آنفا نحو ٣٢٠٠٠٠٠ ج س ، أما الواردات فكانت تأتى من الهند (السلع القطنية والأرز والسكر والبهارات

(١) نفس المصدر ص ٥٦٨ « حول الملاحة فى الخليج » بقلم برکس وبحث عن عرب ساحل القراصنة بقلم وايتلوك ترجمة مجلد جمعية بومباى الجغرافية ، فصل ١ ص ٤٥/٤٤ .

(٢) مرفقات للمراسلات السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٦ مرفق ٣٦ خطاب رقم ٧٩ مؤرخ ٣٠ سبتمبر ١٨٤١ من الكومودورجى . بى برکس الى الكابتن اس هانيل المقيم البريطانى فى الخليج ١٨٤١/٨/٢٥ .

والمعادن والواح الصنوبر والأدوية) . ومن فارس وعمان (الحبوب والفواكه المجففة) ومن البصرة البلح والبن من اليمن . وكان قسم كبير من هذه الواردات وبالأخص المنسوجات القطنية يعاد تصديرها الى داخل شبه الجزيرة العربية . وكانت السفن البحرانية هي التي تنقل هذه المسواد وقد وصل عددها في العشرينات من القرن ٢٠ سفينة حمولتها تتراوح من ١٤٠ الى ٣٥٠ طنا ، وكانت تستخدم في التجارة مع الهند بالاضافة الى ١٠٠ سفينة صغيرة حمولتها من ٤٠ الى ١٢٠ طنا(١) .

لقد أثار ازدهار ونمو الثروة في البحرين حكام فارس الذين ضاقوا ذرعا بضياح هذا البلد من أيديهم ، غير أن اضطراب الأحوال في إيران خلال المراحل الأخيرة من القرن الثامن عشر حال بينهم وبين القيام من جديد بغزو البحرين ، كما أن آل خليفة من جانبهم رأوا في بداية حكمهم أن من الحكمة ترضية الإيرانيين عن طريق دفع جزية سنوية لحكومة شيراز ، غير أنهم عدلوا عن هذه الفكرة بعد أن أيقنوا أن فارس لم تعد تشكل أى خطر عليهم(٢) . كما أنهم فى نفس الوقت لم يحاولوا إنكار المطالب الفارسية لأن ذلك كان يمنع غير الفرس من التفكير فى الاعتداء عليهم(٣). وأن المنطقة الأم من شبه الجزيرة المواجهة للبحرين تعرف بالحساء أو باسم الجمع الاحساء . واذا شئنا الدقة فان هذا الاسم

(١) مختارات من وثائق حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٥٦٨ « الملاحه فى الخليج » بقلم بركس وقد استقيت هذه المعلومات من سمسار شركة الهند الشرقية فى البحرين ومن وزير آل خليفة .

(٢) نفس المصدر ص ٢٩ « ملاحظات حول عمان » بقلم تايلور و ص ٥٦٥ من « الملاحه فى الخليج » .

(٣) ان المصادر الرئيسية للمعلومات الخاصة بقطر والبحرين خلاف تلك التى سبق الاشارة اليها هى التقرير الادارى « لمحة قصيرة عن العتوب العرب » التى استقيت من بعض الأفراد اعداد وليم بروس . بوشهر فى ١٨١٦/١٠/٢٦ ومرفق بخطاب اليراد ميرال السير ريتشارد كنج القائد العام للقوات البريطانية فى الهند الشرقية الى جى . دبليو كروكر (سكرتير الامبرالية) ورولاندرنكومالى فى ١٨١٧/٣/٥ .

يطلق على الواحة العظيمة التي تمتد بضعة أميال الى الداخل ، وهي تمثل الميزة الجغرافية البارزة للمنطقة ، غير انه في العرف العام فالاسم يدل على الرقعة الساحلية والمنطقة الداخلية فيما بين قطر والكويت - انها ارض منبسطة وصحراوية تنتشر عليها التلال والأخاديد في بعض المناطق مع وجود آبار كثيرة وبعض المراعى . وعدد من الواحات الواسعة التي تختص بها منطقتنا الاحساء والقطيف . أما القطيف . وهي ميناء مشهور على الساحل فقد كانت منطقة غير معروفة في أواخر القرن الثامن عشر ، اذ لم يكن بها سوى بضعة بيوت جميلة وبقايا أحد الحصون التي شيدها البرتغاليون ، وكان عدد سكانها نحو ٦٠٠٠ نسمة ، كما ان مقاطعة القطيف بما فيها ميناء السمات على بعد بضعة أميال على الساحل ، وكان يقدر عدد سكانها بثلاثة عشر ألف نسمة ، والهفوف هي البلدة الرئيسية فيها وتقع في قلب الواحة . وهي لم تكن أكثر من معسكر بيوتها مبنية من الطين ، والخيش ، يحيط بها سور يرتفع الى ٥٠ قدما من الأرض ، ويبلغ عدد المقيمين قيمة نحو ١٣٠٠٠ نفس . كما توجد قرية تابعة لهذا المعسكر تسمى مبارز على بعد ٢٢ الميل ويسكنها نحو ١٠ آلاف نفس . أما بقية القرى فهي مبعثرة على امتداد الواحة . وكان عدد سكانها حسب تقدير ذلك الوقت ٥٠ ألف نسمة تقريبا . لقد كانت الاحساء في وقت من الأوقات مقاطعة تابعة للإمبراطورية العثمانية . غير أن ماتبقى من كل هذه الامبراطورية في القرن الثامن عشر في هذه المنطقة لم يزد عن بعض عائلات من أصل عثمانى . وكانت السلطة في الاحساء بيد بنى خالد ، وهم احدى أكبر أربعة قبائل من قبائل المنطقة ، أما الباقون فهم بنو هاجر وآل عجمان وآل مرة ، وكلها قبائل بدوية . وكان بنو خالد يقيمون في المنطقة الشمالية تقريبا وعجمان في المنطقة الوسطى . بينما كان يقيم بنو هاجر وبنو مرة في كل من الجنوب الشرقي والجنوب الغربي وكان شيخ مشايخ بنى خالد سنة ١٧٩٥ هو عربى بن سعدون بن الفوف ، وكان لأسلافه نفوذ هائل على منطقة تشمل الكويت وقطر والبحرين ، وفي السنوات الأخيرة من القرن بدأ نجم بنى خالد في الأفول بظهور الوهابية في نجد ، واكتساحهم لمناطق البحر الأحمر والخليج . وسوف يأتى الحديث عنهم باسهاب لاحقا . ولكن لابد هنا من القول انهم سبق أن احتلوا

الاحساء عام ١٧٩٢ وكانوا على وشك أن يعودوا للاستيلاء عليها سنة ١٧٩٥ ،
واخضاع بنى خالد على طول ساحل الاحساء وبالأخص ميناء العقير والقطيف
حيث تقيم أعداد كبيرة من المهاجرين العرب ، اغلبهم من البحارنة والهويلة .
كذلك اقام البحارنة في واحة الاحساء وكانت معظم تجارة الاحساء في أيديهم .
وكان معظم صادراتهم من المنتجات الزراعية والرعوية والبلح (وهو أفضل
انواع البلح فى الخليج) والعباءات وهى منسوجة من الصوف والحريز ، وهى
من المصنوعات ، والجمال التى كان يرسل الآلاف منها الى سوريا والعراق
وكذلك اللؤلؤ الذى كان يستخرج من أحواض قريبة من رأس تنورة ، وكان
يصدر للخارج كما كان يزرع الشعير والأرز والحنطة بكميات محدودة في واحة
الاحساء ، أما واردات الاحساء فكانت تتكون من البن والأطعمة والمنسوجات
والمعادن وكان كل هذه المواد باستثناء البن يأتى بها التجار البحرانيون من
الهند^(١) أما شمال الاحساء أى في الزاوية الشمالية الغربية للخليج فتقع بلدة
الكويت ، ومينائها مركز حكم فرع أسرة الصباح التى تنتمى الى العرب العتوب
وينحدر العتوب من قبيلة عنزة العربية ، وهى من كبرى قبائل العرب ، وذلك
وفقا لرواية العتوب أنفسهم . والعتوب قبيلة نزلت الى المنطقة من شمال
أواسط جزيرة العرب ، ومن المحتمل أن يكونوا قد نزحوا الى الخليج في أواخر
القرن السابع عشر ، واستقروا بالقرب من شط العرب ، ربما في منطقة أم
القصر حيث كانوا يعيشون على صيد الأسماك والقرصنة واغتصاب القوافل
التي تعبر الصحراء في طريقها الى الغرب ، كما أخذوا يهاجمون قوافل السفن
في شط العرب بعد بضعة أعوام من استقرارهم ، وبعد أن تمرسوا على أعمال
بناء السفن والملاحة التى غدوا من أمهر صناعاتها فيما بعد ، ثم انتقلوا الى الكويت

(١) ص ٢٩٣ - ٢٩٤ تأليف ينهور « التقرير الإدارى السنوى للمقيم
البريطانى فى الخليج » ١٨٧٩ - ١٨٨٠ ومذكرات حول نجد « بقلم اللفتنانت
كولونيل اى . سروس ومذكرات رحلة الى الجزيرة العربية بقلم الكابتن جى .
اف . سادلر بومباى ١٨٦٦ ص ٢٩ - ٥٣ أما عن المصادر التى استقى منها
معلوماته . راجع أدناه ص ٥٠ ملاحظات رقم ١ وفى ذلك وصف لرحلة سادلر
عبر الاحساء فى ١٨١٩ ورد بالفصل الرابع من الكتاب .

في نحو عام ١٧١٦ . وتمتلك الكويت ، التي عرفها الأوروبيون حتى القرن التاسع عشر باسم القرين(١) ميناء طبيعيا من افضل الموانى في الخليج بالاضافة الى قربها من شط العرب ، كل ذلك مكن العتوب من الفوز على جميع منافسيهم على تجارة الخليج الأعلى . ويتركز السواد الأعظم من سكان الكويت في بلدة الكويت الواقعة على الساحل الجنوبي من جزر الكويت والعنصر الحاكم في الكويت هو آل صباح ، ليس بحكم عددهم وانما بحكم قدرتهم على الحكم وبحكم ثقافتهم العسكرية . وكان الحاكم في اواخر القرن الثامن عشر هو الشيخ عبد الله الصباح . ويتألف سكان الكويت من قبائل بنى خالد والدواسر وعجمان وعنزة بالاضافة الى بعض البحارنة . أما المنطقة الداخلية من الكويت فكان يسكنها البدو من آل الرشيد والعوازم ، غير أن المنطقة كانت تستقبل بعض القادمين من القبائل العربية القاطنة اواسط وشرقى شبه الجزيرة ، وكان مجموع سكان الكويت في نهاية القرن الثامن عشر نحو ١٠.٠٠٠ نفس ، ولا يعرف على وجه التحديد كم كان عدد سكانها قبل عام ١٧٦٦ عندما نزحت فصيلة آل خليفة من العتوب الى قطر ، لتتبعها فيما بعد عناصر من الجلاهمة ، غير أن القادمين الى الكويت من شبه الجزيرة ومن بعض أجزاء الخليج في السنوات التي أعقبت ذلك قد عوض الكويت عن النقص في عدد السكان . وكانت تجارة الكويت كتجارة البحرين تقوم على أساس أنها منطقة حرة ، كما أن آل صباح كآل خليفة استفادوا من التدهور الذي ألم بتجارة البصرة وكانت الكويت تشرف على تجارة رابحة في تهريب السلع الى المناطق التركية في الشمال . وكان عدد كبير من التجار يرسلون بضائعهم الى بغداد وحلب عن طريق الكويت

(١) ربما اشتق الاسم من جزيرة القرين القريبة منها اى تصغير لكلمة قرن وهو شكل خور الكويت نفسه أما التسمية «الكويت فهى تصغير لكلمة كوت» « قلعة » أما كيفية اطلاق هذا الاسم عليها فيبدو لغزا الا اذا كان هناك صلة بين الاسم والشكل المنبسط للمنطقة المحيطة بها . ولأن الشكل شئ له اهمية في ذلك الوقت حتى لو كان بيتا من الطين وعلى حد رأى ينفهون فان هذه القلعة بناها البرتغاليون في الأصل .

ليتفادوا دفع الرسوم عليها في البصرة . وكانت القافلة التجارية تقطع المسافة الى بغداد في ثلاثين يوما والى حلب في ثمانين يوما ، وخلال المراحل الأولى للرحلة فيكون آل صباح المسؤولين عن حماية القافلة كما أن مجموعات كبيرة من الخيول الأصيلة من شمال الجزيرة العربية كانت ترسل الى الهند كل عام عن طريق الكويت . ولم تكن الواردات الى الكويت تختلف عنها في الأقاليم الأخرى. من الخليج مثل المنتجات الهندية كالأقمشة والأرز والسكر والخشب والتوابل والبن من أقاليم البحر الأحمر والفاكهة والحبوب من فارس والبلخ من البصرة . أما صادرات الكويت فقد كانت اللآلئ التي كانت تستخرج من منطقة رأس تنورة . وكان لدى آل صباح عدد من السفن يتاجرون فيها الى الهند أو ينقلون فيها البضائع الى الخليج .

ومن المعروف أنه كان لديهم في العشرينات من القرن ١٥ سفينة مؤن عابرات المحيط حمولاتها تتراوح من ١٠٠ - ٤٥٠ طنا وعشرين سفينة صغيرة حمولتها من ٥٠ الى ١٢٠ طنا . بالإضافة الى ١٥٠ سفينة أخرى تتراوح حمولتها من ١٥ الى ١٥٠ طنا .

ويحيط الغموض بعلاقة الكويت بالامبراطورية العثمانية ، فعندما كان الحكم التركي يمتد الى مشارف الساحل الشرقي للجزيرة العربية . لم تكن الكويت قد وجدت بعد . وهى لم تنشأ الا بعد أن زالت السيطرة التركية الفعلية من المنطقة ، غير أن السلطان العثماني ، أو على الأقل ممثله في بغداد كان يصر على اعتبار الكويت منطقة تابعة له . ولما كان الأتراك لا قبل لهم بفرض مطالبهم فرضا ، فقد كان موقف آل صباح منهم كموقف آل خليفة من المطالب الفارسية في البحرين : اى بتجاهل هذه المطالب تارة ورفضها كليا تارة أخرى ، أو بالسكوت عليه اذا تربص بهم خطر من جهة أخرى ، الا انه من الواضح أن الكويت لم تكن تعتبر داخلة ضمن السيادة العثمانية في أواخر القرن الثامن عشر ، لأن ممثلى شركة الهند الشرقية أثار خلاف وقع بينهم وبين السلطات التركية في البصرة انسحبوا الى الكويت حيث بقوا هناك لمدة عامين غير أن التهديد الوهابى في الأعوام القليلة التي أعقبت ذلك قد غير من نظرة آل صباح الى حد ما بحيث اضطروا الى الاعتراف بالسيادة العثمانية

عليهم ، وذلك في العشرينات من القرن الثامن عشر ، وكانوا يدفعون زكاة محدودة لحكام بغداد (١) كل عام . في قاعدة الخليج على دلتا نهري دجلة والفرات تقع أقصى القواعد الشرقية للامبراطوية العثمانية ونعنى بها ولاية البصرة ، أما البصرة وهي المركز الإداري للولاية التركية تقع على بعد ستين ميلا من البحر على شط العرب وهو ممر مائي دولي يمتد الى مسافة تربو على المائة ميل من ملتقى نهري دجلة والفرات من القرنة الى مصبه في البحر . وعلى امتداد الجزء الأكبر منه فان شط العرب يجري من خلال مجراه الذي تكون عبر القرون من الطين والطمى اللذين يجلبهما تيار هذين النهرين والى الأسفل من البصرة ينضم الى شط العرب نهر قارون الذي ينبع من جبال غربى فارس ومنطقة الدلتا منبسطة وخصبة وتنتشر على جانبيها أحراش من أشجار النخيل وتتخللها اعداد كثيرة من الخلجان والأنهار الصغيرة التى تشق طريقها الى شط العرب والى الغرب من الدلتا تصبح التربة جافة ، وتمتد الى سوريا وشبه الجزيرة العربية ، والى الشرق منها يقع سهل عربستان أو خورستان ويحده من الغرب مياه الخليج ، ومن الشمال والشرق جبال فارس ، ويتخلله من الشمال الى الجنوب نهر قارون وفروعه . كان العراق التركى او شبه الجزيرة العربية التركية كما كان يسميها البريطانيون في أواخر القرن الثامن عشر ولاية من ولايات الامبراطورية العثمانية ، وكانت البصرة تابعة في ادارتها لبغداد عاصمة الولاية ، ومنذ أواسط القرن الثامن عشر كان يحكم بغداد مجموعة من باشوات المماليك وقد أطلق عليهم هذا الاسم لكونهم عبيدا جىء بهم من جورجيا أو أنهم من سلالة أولئك العبيد .

ولما كان هؤلاء العبيد قد وصلوا الى أعلى المراكز اما بحكم كفاءتهم أو عن

(١) مختارات من وثائق حكومة بومباى ، مجلد ٢٤ ، ص ٥٧٥ - ٥٧٦
 « الملاحه في الخليج » بقلم برکس ، وفارس والخليج جزء (٢) من
 مانستى وجونز الى الحاكم العام . بومباى في ١٧٩٠/١٢/١٨ وكتاب ينبهور
 ص ٢٩ وجريدة الخليج الرسمية .

طريق التآمر أو بفضل اسيادهم فقد استطاعوا في النهاية لا أن يحصلوا على حريتهم فحسب بل أن يستولوا على السلطة في الولاية حتى ان السلطان العثماني قد عجز عن وقفهم عند حدهم ، بل واضطر الى الموافقة على تعيين ولاية وقادة عسكريين منهم في بغداد ، وأن يقبل منهم أى زكاة يدفعونها لحكام القسطنطينية . وفي نهاية القرن الثامن عشر كان الحاكم المملوكى لبغداد هو سليمان باشا ، وكان من اعظم الحكام المماليك وأطولهم حكما ، وقد تولى الحكم عام ١٧٨٠ وكان عمره اذ ذلك ستين عاما وقبل ذلك كان متصرفا أو حاكما على البصرة حيث أظهر مقدرة فائقة في الدفاع عن البلاد ضد هجمات الفرس ، وعلى اية حال فقد تدهور وضعه بعد ذلك على الرغم من أنه ظل مهيبا من جانب البلاد التى كان يحكمها . وفي ظل الأتراك فقدت بغداد كثيرا مما كانت تتمتع به من عظمة وبهاء على أيام الخلفاء العباسيين ، ونظرا لموقعها بين ملتقى طريق تجارى هام بين سوريا والبصرة وفارس فقد ظلت تزدهر تجاريا غير أن البلدة التى كانت تقع على الجانب الشمالى من نهر دجلة لم تكن تتمتع بأى ميزة . فقد كانت بيوتها مبنية من الطوب منسقة وأزقتها كثيرة الضوضاء ، وكان أهم مبنى فى البلدة هو قصر الحاكم (السراى) وكان به عدد كبير من المساجد التى لم يكن فى هندستها أى شىء من الجاذبية . وكان يحيط بها سور عظيم البناء يقوم على أعمدة داخلية تسندها دعائم كثيرة . وعلى المداخل الأربعة للسور قلاع محصنة تضم عددا من المدافع . وعلى جانب النهر لم تكن بغداد تحتفظ بأى نوع من وسائل الحماية ، غير أنه كان فى الامكان اخفاء المراكب التى كانت تعمل فى هذا النهر وقت الخطر .

ويقدر الرحالة الفرنسى غليوم أوليفر الذى زار هذه المنطقة خلال عام ١٧٩٦ - ١٧٩٧ عدد سكانها بثمانين ألف نسمة منهم خمسون ألفا من العرب . وخمسة وعشرون ألفا من الأتراك وما بقى منهم يهود وكلدانيون وأرمنيون ، وقيل له بأن العدد قد ارتفع خلال حكم سليمان الى ١٣٠.٠٠٠ أو ٤٠.٠٠٠ ، وكانت حامية بغداد تضم ٨.٠٠٠ عسكري بالإضافة الى ٦.٠٠٠ من حرس الباشا الخاص بينهم راكبو الخيل والمشاه . كما كان هناك نحو ٧.٠٠٠ عسكري موزعين على المنطقة كلها . غير أن هذه القوة لم تكن تتحرك الا بأمر من الحاكم فى القسطنطينية . وكان عدد الخيالة الأتراك النظاميين فى الولاية نحو ١٢٠٠ غير أنه كان فى الامكان تعبئة مايقرب من ١٢ ألفا الى ١٥ الف خيال من قبائل الأكراد الى جانب مايقرب من ١٠

آلاف الى ١٢ ألفا من الخيالة العرب بمعنى أن الباشا سليمان كان في امكانه ان يدفع الى الميدان بأربعين الى خمسين ألف رجل ، وكان دخل البلدة يأتي من الرسوم الجمركية ومن الضرائب التي كانت مفروضة على القبائل والواردات التي تصل باسم الاقليات غير الاسلامية . وكان المبلغ الذي ينقل الى القسطنطينية من هذه الدخول لا يزيد على ثمن المبلغ الاجمالي ، بينما يتفق الباقي داخل الولاية . وكان مجمل الدخل في عام ١٧٩٦ - ١٧٩٧ على حد تقدير أوليفر ٢٠٠٠٠٠ ر. و فرنك أى مايعادل - (٢٠٠٠٠٠ ج س) غير أن تقديرا آخر وضعه المقيم البريطاني في بغداد عام ١٧٩٨ يشير الى أنه كان في حدود مليون ج . س . يذهب منه أقل من مائة ألف الى القسطنطينية ، وقد قدره القنصل الفرنسي في نفس الفترة بـ ٧ مليون قرش تركي ، أى مايعادل ٦٠٠٠٠٠ الى ٩٠٠٠٠٠ ج س وفقا لقيمة العملة التركية في ذلك الوقت .

ولم يكن الباشوات يتقاضون أى ضرائب من اثنى مدينتين من مدن الولاية، وهما النجف و كربلاء ، فالنجف وفيها ضريح الامام على تقع على بعد مائة ميل جنوب بغداد على الضفة اليمنى من الفرات . أما كربلاء حيث ضريح الامام الحسين بن على فهى على بعد خمسين ميلا من الجهة الشمالية من النجف ، وبنفس المسافة عن بغداد . وهما مدينتان مقدستان لدى الشيعة من المسلمين، واليهما يحج الآلاف منهم كل عام في أشهر رجب ورمضان ومحرم ، على أن العدد الأكبر من هؤلاء الحجاج هم الذين كانوا يأتون اليها من فارس ، ولهم بها مستعمرات كما أن نسبة ملحوظة من سكان العراق من الشيعة . وثروة هاتين البلدتين متجمعة من الهبات التي كان يفرضها علماء الشيعة على حجاج المنطقة ، وربما كان أهم مظاهر هذه الثروة هو الكسوة الذهبية التي تحيط بقية ضريح الامام على التي قدمها الامبراطور نادر شاه ، ويقال بأن القبة قد رصعت بالتومان الذهبى (وهى العملة الايرانية) بمعدل تومان واحد فوق كل ٨ بوصات مربعة ، وتعتبر النذور المصدر الذي يعتمد عليه حراس الضريح لتغطية نفقات الاشراف ، وهؤلاء هم العلماء الذين يسمونهم بالمجتهدين وهم طائفة دينية تتمتع بنفوذ واسع في كلتا البلدتين . وقد اثرى تجار النجف و كربلاء ثراء فاحشا مما

كانت تدره تجارة الحج عليهم من ارباح ، وكان الضجيج المنبعث من أسواق البلدتين يطفى على نواح الحجاج الذين يفترشون الأرض بالقرب من أسوار الضريح . وربما كان أكثر مصدر للدخل هو الوصايا التي يتركها المتطرفون من الشيعة ، ويوصون فيها بأن يدفنوا بجوار هذه الأضرحة . ومن المشاهد العادية أن ترى طوابير من العربات التي تحمل جثث الموتى عند مداخل هاتين المدينتين تنتظر دورها في الدفن ، وهى تجارة كانت تدر مالا على المشرفين من وراء بيع الأضرحة ومن عمليات الاشراف عليها . أما الكاظمية وهى ثالث المدن المقدسة فى العراق حيث ضريح الامام موسى ، فالاقبال عليها أقل من الاقبال على النجف وكربلاء ، كما انها أقرب الى سلطة حكم الباشوات لأنها تقع على نهر دجلة مباشرة من العاصمة ، وكان على الباشا أن يكون حذرا فى تصرفاته حتى فى هذه المنطقة حتى لا يثير المتطرفين من الشيعة .

اما البصرة على بعد ٣٠٠ ميل الى الجنوب الشرقى من بغداد فقد كانت خاضعة من الوجهة الرسمية للباشا . غير أن درجة هذا النفوذ كانت تعتمد الى حد كبير على ولاء المسئول الذى يعينه الباشا ، كما كان يعتمد أيضا على علاقة الباشا بالاتحاديين القبليين الرئيسيين اللذين يقطنان الناحية الشرقية والغربية من البصرة ، ونعنى بهما قبائل كعب والمنفك ، وكان كل من السلطان العثمانى وشاه فارس يدعى السيادة على قبائل كعب وعلى الأراضى التى يقيمون فيها فى الطرف الشمالى من شط العرب . وغير أن القبائل نفسها لم تكن تعترف بسلطة أى منهما عليها . وعشيرة المنفك وهى قبيلة بدوية كبيرة كانت قليلة الولاء للسلطان كما أن الجزء الأكبر من العراق يخضع لسلطتهم فعلى الشرق يمتد سلطانهم حتى الضفة الشرقية من شط العرب ، بينما يسيطرون من الطرف الشمالى على المنطقة الواقعة على نهر الفرات من القرنة حتى الناصرية أما فى الجنوب والغرب فان حدود سلطاتهم أكثر من أن تحدد .

ولم تكن البصرة فى القرن الثامن عشر أكثر من بقايا باهتة لعصر السندباد ، فلقد وصفها كارستون ينجهور فى عام ١٧٦٥ بأنها كانت أقدر بلدة شاهدها فى الشرق ، وكان عدد سكانها على حد تقديره لا يزيد عن ٥٠٠٠ نسمة تقريبا يتألفون من عرب الدلتا والصحراء وبعض الفرس والأرمن والهنود . غير أنه على الرغم من مظهرها السيئ فقد كانت البصرة كما

وصفها أحد الرحالة « سوقا هامة » لمنتجات الهند وفارس والقسطنطينية وحب ودمشق ، وبايجاز كانت المستودع الأكبر لمنتجات الشرق (١) .

فالقوافل القادمة من الشام كانت تحمل مسكوكات الذهب والفضة والنحاس وشيلان الصوف ومنسوجات حلب ، الحرير والساتان وخيوط الذهب والفضة والمجوهرات والأواني الزجاجية والتبغ ودود القز من فينسيا وماء الورد والتوابل والفواكه المجففة والنحاس والأفيون وغيره من العقاقير من فارس . ومن مسقط كانت تستواد العبيد والعاج الأفريقي ، ومن الهند المنسوجات القطنية والشالات والسكر والأرز والحديد والقصدير والرصاص والتيل . وكانت السلع التي ترد إليها من الشام يعاد تصديرها الى فارس والجزيرة العربية ومسقط والهند ، بينما كانت المنتجات التي تصل الى الخليج من تلك الأقطار تجد طريقها الى بغداد وحلب . وكانت المنسوجات الهندية تشحن بكميات كبيرة من بغداد الى سمرتا والقسطنطينية في كل عام الى جانب المنتجات الأخرى كالأدوية التي كانت أيضا تجد طريقا في النهاية الى إنجلترا ومارسيليا والبندقية وليجورن وأمستردام عبر الاسكندرية وساحل الشام . وكان الأسطول العمانى هو الذى كان ينقل في شهر سبتمبر من كل عام شحنات البن ويعود محملا بمحاصيل البلح العراقى الذى كان يصل مجموع قيمته نحو مائة ألف جنيه استرليني ، وكانت مبالغ كبيرة من النقود تحول الى الهند كما راجت تجارة الخيول التي كانت تصدر من العراق رغم القيود التي كان يفرضها الباب العالى على تصديرها .

وكانت الرسوم الجمركية المفروضة على السلع في البصرة ٣٪ على الأوربيين وقلما كان ينص عليه قانون الامتيازات الأجنبية ، أما العرب والأرمن والفرس واليهود والهنود فقد كانوا يدفعون ٧ ١/٢٪ وكانت الضرائب الجمركية تشكل مصدرا هاما من مصادر الدخل لباشوات بغداد سيما وانها كانت تحصل على دفعتين ، أولا عند وصولها الى البصرة ، ثم بعد

(١) رحلة الى آسيا ص ١٥٤ تأليف بارسونز .

دخولها الى بغداد أو إعادة تصديرها منها للبصرة ، ثم الى حلب ، وكان التجار الأوربيون والهنود يدفعون ضرائب تصدير على السلع التي كانوا يصدرونها من العراق على أساس ٣٪ و ٥ ¼٪ لكل منهما . على أن الحد الأدنى لهذه الضرائب لم يكن يبدو مجزيا للتجار الأوربيين لأن ضريبة ٣٪ كانت تقدر على أساس سعر البيع الفعلي للسلع التي يتاجرون فيها . بينما تقدر ضريبة ٧ ¼٪ المفروضة على التجار المحليين على أساس تعريفه مدونة في أحد السجلات ، وكان يتم تقديرها على أسس تعسفية بحيث لا تمثل السعر الحقيقي للسلعة المذكورة . وكان ازدواج الضريبة يشكل عبئا على التجار ، مما دفع بأكثرهم الى ممارسة تهريب السلع عن طريق الكويت أو انزالها في مناطق من شط العرب ، ومنها تنقل الى الزبير جنوب غرب البصرة ، ثم من الزبير تقوم بنقلها القوافل الى حلب . ولا يمكن تكوين فكرة واقية عن مجموع قيمة تجارة البصرة أو اجمالى دخلها من الرسوم الجمركية من واقع الأرقام والمعلومات الضئيلة لتلك الفترة، فبينما يذكر ابراهام بارسونز أن قيمة محاصيل البصرة من البلح عن عام ١٧٧٤ هي ١٠٠٠٠٠ - تومان أى مايعادل (١٨٧٥٠٠ ج س) فإن الرقم الاجمالى لقيمة صادرات البصرة كما أعلنها ممثلو شركة الهند الشرقية في المنطقة عام ١٧٩٠ هي مليون روبية هندية ، وكانت تستورد سلعا من الهند بما قيمته ثلاثة ملايين روبية هندية كل عام ، غير أن جى . اس . بكنجهام ذكر بعد بضع سنوات على ذلك أن ميزان المدفوعات للبصرة في عام ١٨٠٥ كان في صالح الهند بما قيمته (٥٠٠٠٠٠ ج س) سنويا .

ويعود التدهور في تجارة البصرة الى حد كبير الى انتشار مرض الطاعون الذى اكتسح البلدة في عام ١٧٧٣ (١) بالإضافة الى احتلال القوات الفارسية للمدينة بعد حصار امتد من عام ١٧٧٦ حتى عام ١٧٧٩ . ومنذ ذلك الوقت

(١) يقول ابراهام بارسونز الذى زار الميناء فى عام ١٧٧٤ أن ٢٥٠٠٠٠ شخص قضوا نجبهم من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٠٠٠٠٠ نسمة غير أن هذا الرقم مبالغ فيه .

بدأت البصرة تفقد أهميتها كمركز تجارى وتحول ذلك النشاط التجارى الى البحرين ومسقط ومما ساعدهما على ذلك وجود امكانيات ملاحية متفوقة .

ولم يكن في عراق الأتراك بأسره شىء من الامكانيات البحرية سوى السفينة كاتش باشه التى كانت موجودة في البصرة وكانت مهمتها حراسة شواطئ الولاية والمحافظة على الأمن على طول النهرين من شط العرب حتى الحلة ، وكانت السفن التى تدخل شط العرب تدفع ضريبة معينة للتمتع بتلك الحماية، ولما لم تكن هناك قوة بحرية تحت التصرف فقد عجز المسئولون عن وضع حد لأعمال القرصنة التى كان يقوم بها عرب بنى كعب وقبائل الصحراء ضد السفن التجارية .

وبالمثل لم يكن باشا بغداد فى وضع يسمح له بممارسة ضغط سياسى على الخليج لأن نفوذ الامبراطورية العثمانية كان دائماً تحت رحمة الملاحين العرب رغم امكانياتهم^(١) المتواضعة . والى الشرق من شط العرب تمتد مملكة عرب بنى كعب ، وهم من الاتحادات القبلية القوية التى لا تعترف بأى سلطة للعثمانيين أو الفرس عليهم .

(١) هذا القسم من المعلومات يعتمد فى الأساس على المصادر التالية :
الوثائق الرسمية لحكومة بومباى : اول اتصال بين شركة الهند الشرقية والخليج ١٦٠٠ - ١٨٠٠ الخطابات السرية لبومباى جزء ٢٤ (حلقة ١) حول اتصال تجربة شركة الهند الشرقية مع تركيا العربية ١٦٤٦ - ١٨٤٦ وفارس والخليج مجلد ٢١ تقرير مانستى وجونز ١٨/١٢/١٧٩٠ « رحلة الى آسيا » بقلم بارسونز ص ١٥٤ - ١٦١ ورحلة الى الجزيرة العربية فصل ٢ ص ١٧٢ - ١٩٣ ، ٢٠٩ - ٢٢٠ « رحلة داخل الامبراطورية العثمانية » ٦ مجلدات باريس ١٨٠١ - ١٨٠٧ فصل ١٢ ، ١٣ تأليف : جان بابتش روسو طبعة باريس ١٨٠٩ ص ٤ - ١٢٤ « ورحلة من الهند الى انجلترا فى سنة ١٧٩٧ » طبعة لندن ١٧٩٩ ص ١٥ - ٤٣ ، ٩٠ - ١٠٤ « ورحلة الى آشوريا » فصل ٢ ص ١٦٩ - ١٨٦ « تأليف باكنجهام وأربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » طبعة اكسفورد ١٩٢٥ ص ١٨٧ - ٢٥٦ تأليف اس . أج لونجرج .
(م ٥ - بريطانيا والخليج)

ان حدود كل من الأراضى الفارسية والعثمانية لم تكن واضحة المعالم وكانت كلتا الحكومتين تدعى السيادة على الجزء الشرقى من دلتا شط العرب أما المنطقة الواقعة بين دلتا النهر وسلسلة الجبال الفارسية الوسطى فانها تشكل جزءا من مقاطعة خوزستان الفارسية أو عربستان وهى مقاطعة تمتد من الجنوب الى شواطئ الخليج ومن الشمال الى أقصى أطراف نهر قارون . وعلى كل فان السلطة الفارسية على هذه المنطقة لم تكن أكثر من سلطة اسمية . وتتألف المنطقة الجنوبية من خوزستان فى معظمها من سهول طموية أغلبها صحراوية فيما عدا بعض المناطق الكثيرة الخصوبة حيث تنمو الحنطة والشعير . وأهم ما فيها هو نهر قارون الذى يرتفع كثيرا عن سطح البحر عند جبال بختيارى لينساب فيها جنوبا وغربا الى شط العرب .

أما خوزستان الغربية الواقعة الى ماوراء الهوزرة فهى منطقة تكثر فيها المستنقعات التى تمتد حتى ضفاف نهر دجلة ، وعلى امتداد الأطراف السفلى لنهر قارون وعلى الضفة الشرقية لشط العرب ، تكسو المنطقة غابات من أشجار النخيل . أما بالقرب من شط العرب فان التربة منبسطة ومالحة . وقد هاجر عرب بنى كعب الى هذه المنطقة خلال القرن السابع عشر ، أما أسباب هجرتهم واصل موطنهم فغير معروف ، غير أن ثمة أدلة على أنهم كانوا خاضعين سابقا للسيادة العثمانية ، وبانتصاف القرن الثامن عشر استكملوا سيطرتهم على معظم البلاد الممتدة من شط العرب الى الأهواز على نهر قارون نزولا الى ساحل الخليج . وفى هذه الفترة بدأوا يلتفتون ناحية البحر حيث استولوا بعد ذلك بزمن قصير على معظم الجزر الواقعة على شط العرب وبنوا من السفن ما يمكنهم من فرض سلطانهم على الممرات المائية . غير أن نجاحاتهم هذه أثارت حفيظة حاكم زند جنوب فارس السلطان كريم خان الذى سير حملتين ضدهم فى عام ١٧٥٧ ثم فى عام ١٧٥٦ بغرض إخضاع المنطقة الجنوبية من خوزستان لنفوذه . ولقد سقط فى الحملة الثانية أهم مركزين من مراكز تجمع بنى كعب هما قبعان والدراق مما أرغم الشيخ سليمان رئيس عشائر بنى كعب الى نقل عاصمته شمالا الى الفلاحية . كذلك قام الأتراك بمحاولات لإخضاع بنى كعب بغرض وضع حد لغاراتهم على مواصلات التجارة البحرية من جهة وحرمانهم

من حقوق السيادة على القبائل من جهة أخرى ، وتمخضت هذه الحملات عن قيام نوع من الوفاق بينهم وبين الفرس ، لدرجة أنهم قدموا مساعدات من السفن والجند للقوات الفارسية خلال حصارها للبصرة في عام ١٧٧٥ - ١٧٧٦ إلا أنه قبل مرور وقت طويل عاد بنو كعب الى مواقعهم في المنطقة الفاصلة بين الدولتين .

وقد كانت مطالبة تركيا وفارس بالسيادة على اقاليم بنى كعب تقوم على أساس اتفاقية عام ١٦٣٩ بين السلطان العثماني وشاه صفوى والتي بمقتضاها ألحقت منطقة خوزستان لفارس والعراق العربى لتركيا. وقد حددت خوزستان على الخريطة بالمنطقة الممتدة على نهر قارون والتي تعتمد في ريها عليه بينما حدد العراق العربى بالأراضى التى تضم المنطقة التى تعتمد على نهري دجلة والفرات. وعلى أى حال فابتداء من عام ١٦٣٩ تغير مسار هذه الأنهار بشكل ملحوظ في بعض المناطق . ومن الواضح فان الضفة الشمالية لشط العرب قد اعتبرت أرضا تركية فكانت بالتالى تخضع للواء البصرة بينما لا نعرف شيئا عن الأراضى الواقعة وراء تلك المنطقة مباشرة ، وحتى وضع الضفة الشمالية من شط العرب كان يسودها الفموض بعد انشاء مدينة المحمرة كعاصمة لبنى كعب بعد سنة ١٨١٢ ، وقد قدر لمدينة المحمرة أن تتحول في السنوات التى أعقبت ذلك الى منطقة خلاف بين الحكومتين التركية والفارسية وكانت الحكومة التركية تدعى بحقوق السيادة على بنى كعب والمناطق التى يقيمون فيها على أساس أن هذه القبائل سبق أن خضعت لحكم الأتراك وعلى أساس اعترافهم بالسيادة العثمانية عليهم .

أما الفرس فينتلقون في دعواهم بحجة أن بنى كعب كانوا يستوطنون منذ زمن طويل المنطقة التى تعتبر حدودها الشرقية أرضا فارسية بلا نزاع . كما يستندون الى ماكان يدفعه بنو كعب من زكاة لكريم خان ، ثم الى الفاجار كتعبير عن خضوعهم للسيادة الفارسية ، غير أن تلك الزكاة لم تكن من ايجار سنوى يدفعه بنو كعب مقابل الجزء الفارسى من المنطقة التى يقيمون فيها . ولما لم يكن أى من الدولتين في وضع يسمح لها في ذلك الوقت باثبات سيادتها ظل بنو

كعب محتفظين باستقلالهم عن السلطتين العثمانية والفارسية (١) .

ويقع مجمل الساحل الشرقى للخليج تحت السيطرة الفارسية ، فعلى امتداد شواطئه ابتداء من مدخل الخليج حتى المحيط الهندى تطل سلاسل من الجبال على ساحل البحر ، والى الشمال من بوشهر يوجد سهل ساحلى يتراوح عرضه من ١٥ الى ٢٠ من الشمال ومن ٤٠ ميلا فأكثر من الجنوب . وتكسو الحشائش والأعشاب الجزء الأكبر مع وجود مناطق قابلة للزراعة فى بعض أجزائه كما أن هناك امتدادات صخرية تشقه فى بعض الأجزاء وبعض الترع التى تشق طريقها من المنحدرات الجبلية ، ويوصل القسم الجنوبى من السهل أحد الأنهار الهامة ، ويعرف باسم روض الحلة أوداشيستان الفارسية . وتزداد سلسلة الجبال الساحلية التى تطل على السهل ارتفاعا من الشمال الى الجنوب بحيث تصل فى بعض أجزائها الى ٦٠٠٠ قدم وراء مدينة بوشهر . والى الورا من هذه السلسلة تطل كتلة الجبال الفارسية الوسطى ، ويتابع السهل الساحلى امتداده جنوب بوشهر عبر مقاطعة تنجستان وداشتى بحيث لا يتجاوز عرضه بأى حال من الأحوال عن ٢٥ ميلا ، وتعرضه فى طريقه الى البحر سلسلتان من المرتفعات وعند كنجون تقترب سلسلة الجبال من البحر حيث تمتد بمحاذاة الشاطئ الى مسافة تصل الى ٢٠٠ ميل وقد يصل ارتفاعها فى بعض المناطق الى ٣٠٠٠ و ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر . وعند لنجة حيث يغير الخط الساحلى اتجاهه من الجنوب الشرقى الى الشمال الشرقى تتراجع سلسلة الجبال عن الشاطئ ، وتنحرف فى اتجاه الشرق لتكون جزءا من الكتلة الجبلية المعروفة باسم لارستان ، والى الخلف من لنجة وعلى امتداد الساحل الشمالى الى الشمال الشرقى توجد مستنقعات كثيفة . أما فى ميناء خامر فان السهل الساحلى يتسع الى نحو ٢٠ ميلا تقريبا حتى بندر عباس وابتداء منها يمتد عرضه لحد ٤٠ ميلا أو أكثر تقريبا الى أن يبدأ فى التقلص عند الجنوب بحيث يقل عرضه الى نحو ١٠ أميال عند خليج عمان . أما ارتفاع السلسلة الجبلية

(١) عن العلاقة العربية التركية (١٨٠ - ١٩٠٥) ملحق الف « ومذكرات حول عرب الشعب » واج . س . رولسنون يونيو ١٨٤٤ وكتاب ينهور ص ٢٧٦ « ورحلة خمسين شهر أمير ممرات خوزستان وفارس غير المطروقة » مجلدان طبعة لندن ١٨٣٤ - ص ٧٢ - ٩١ .

فى الشرق فلايزيد عن ١٠٠٠ قدم عند مدخل الخليج وتنتشر الخصوبة فى الوادى فى المنطقة المحيطة ببيتاب فيما عدا بعض مستنقعات الملح على حافة البحر . أما رقعة الأرض المعروفة باسم بيابان والتي تقع بين بيتاب ومكران الفارسية فانها منطقة رملية طينية لا تصلح لغير رعى الأغنام والنعاج ، وكانت حدود السيادة الفارسية فى المنطقة الجنوبية من الامبراطورية فى تلك الفترة من التاريخ حدودا غامضة ، ويصل اقصى حدودها الفعلية على ساحل مكران الى مملكة خان كلات والمناطق التى استولى عليها سلطان مسقط .

كما أن جميع الجزر الواقعة على الساحل الايرانى من خاركو وخرارك شمالا الى هرمز ولاراك جنوبا تعتبر اراضى فارسية رغم أن كثيرا منها تحت سيطرة القبائل العربية ، فلقد كان العرب يسيطرون على أغلب موانئ الساحل، وكانوا يعتمدون فى معيشتهم على صيد السمك واستخراج اللؤلؤ والتجارة وزراعة النخيل والحبوب . وكان كل ميناء يخضع لسلطة أحد المشايخ الذى يتم انتخابه من جانب القبيلة التى تعتبر مسئولة عن حمايته ، وبعض هذه القبائل كقواسم لنجة كانت تربطهم علاقة نسب مباشرة مع قبائل الساحل المواجه كما أن معظمهم سنيون ومعادون بشدة للشيعه الفرس . وكان كلما حاول الفرس اخضاعهم لسلطتهم انسحبوا فى مراكبهم الى بعض الجزر المطله على الساحل حيث يبقون هناك ريثما تسمح الظروف بعودتهم الى المناطق التى جلوا عنها . ولقد شبه المؤرخ ينفهور وضعهم بوضع المدن الاغريقية الحاكمة ، ولم يكن ينقصهم غير شعراء ومؤرخين ليمجدوا أعمال السلب والنهب التى كانوا يمارسونها . حتى ان فاتحا جبارا كنادر شاه لم يفلح فى اخضاع الساحل العربى ، رغم الاسطول الذى انشأه لتحقيق ذلك الهدف . وفى أواخر أيام حكمه صمم على تهجير سكان الساحل الى شواطئ بحر قزوين واستبدالهم بقبائل من تلك المنطقة غير أن هذا المشروع لم ير النور بسبب وفاة الاميراطور ، ولقد حاول كريم خان مؤسس دولة الزند وأبرز حكام الفرس والمنطقة الجنوبية من فارس منذ عام ١٧٦٥ حتى عام ١٧٩٥ وضع حد للاستقلال الذاتى للأقاليم العربية . وعلى الرغم من نجاحه فى اخضاع بعض المقاطعات بما فيها بندر عباس

وبو شهر لبعض الوقت الا أن نجاحه هذا لم يستمر لعدم وجود أسطول بحرى قوى يميز تلك المحاولات . وعند وفاته فى عام ١٧٧٩ انتفضت القبائل الساحلية على حكم شيراز وظلوا خلال العشرين عاما التى أعقبت ذلك يرفضون الاعتراف بسلطة أى حاكم عليهم فيما عدا شيوخهم القبليين .

خلال هذه الفترة تعرضت المناطق الداخلية من ايران (١) لصراع مرير على السلطة كالا يميزها بين أسرتى زندو وقاجار سكان مازندان الشمالية .

وكان القاجار قبيلة تركية استوطنت ايران منذ زمن بعيد . ولكن الشاه عباس الاول الذى ألقه تصاعد قوتهم تمكن من بعثتهم فى مناطق مرو وكاراباغ وجورجان ، الا انهم فى أوائل القرن الثامن عشر عادوا فتوحدوا تحت زعامة فرع جورجان القبلى . ولما كان القاجار من مؤيدى أسرة صفوى فقد عانوا كثيرا من المتاعب عندما اطلع نادر قولى خان (الذى عرف بنادر شاه فيما بعد) بحكم أسرة صفوى ، كما أنهم عانوا متاعب أشد فى ظل حكم أسرة زند . ولقد بلغ العداء الذى استمر بين القاجار ونادر شاه وكريم شاه حدا دفع بزعيم القاجار اغا محمد خان الى أن يقسم بأنه لن يألو جهدا حتى يقضى على كل من بقى من اتباع الحاكمين المذكورين . وعندما بلغ الخامسة أو السادسة من عمره أجريت له عملية خصى بأمر من عادل شاه ابن أخى وخليفة نادرشاه . وفى عام ١٧٥٨ قام أحد زعماء القاجار بذبحه بالتواطؤ مع كريم خان ، كما أنه سجن لعدة سنوات فى بلاط حاكم زند . وعندما تمكن فى النهاية من الإفلات من السجن بذل محاولات لاستعادة النفوذ الذى كان لوالده على جماعة القاجار ، وظل يتابع طموحه هذا باصرار عنيد وعزيمة لا تكل . الأمر الذى يعكس طبيعته الهوجاء والتأثيرات السلبية.

(١) تاريخ فارس جزء ٢ طبعة لندن سنة ١٨١٥ فصل ٢ مستقاة من كتاب « اغا محمد ونشوء قاجار بقلم ص . ار . جى . هامبلى فى مجلة الجمعية الجغرافية لآسيا الوسطى مجلد ١ جزء ٢ ص ١٧١ . ان أخلاقيات اغا محمد لتبدو منفرة أكثر من أى فاتح تحكم فى مسار تاريخ آسيا الوسطى حتى بداية القرن التاسع عشر بالرغم من الانجازات الايجابية التى حققها .

التي تركتها في نفسه أخطاؤه السابقة ، على حد رأى السير جون مالكولم . غير أن آغا محمد لم يوقر حتى اخوته في عمليات تصفية منافسيه على السلطة أو الخلافة التي كان يريد لها لابن أخيه بابا خان أحد ابني أخيه الوحيد من الأم .

ولا يقل عدد الحكام الزند الذين تعاقبوا على الحكم في شيراز عن سبعة حكام خلال العقد الأول بعد وفاة كريم خان . ولعل الصراع على الخلافة بين أفراد هذه الأسرة الى جانب أحقاد آغا محمد خان هي التي تشكل الأسباب التي أسهمت في سقوط حكم هذه الأسرة . فعندما تولى آخر حكامهم لطف على خان عام ١٧٨٩ لم يكن قد بقي تحت حكم هذه الأسرة من المقاطعات سوى شيراز وبهبهان وشستار . أما يزدو وكروان وبوشهر فكان ولاؤها لا يظهر حتى يختفى مرة أخرى . ولقد خاض لطف على خان الصراع عدة سنوات دون جدوى لوقف تقدم القاجار من الشمال ولكن على الرغم من شجاعته فقد كانت له عيوب خطيرة ، كان على حد وصف أحد الكتاب المعاصرين قاسيا ومتغطرسا في سلوكه (١) وكان يرفض أى تفاهم مع خصومه وقد ضاعت منه شيراز في صيف عام ١٧٩١ بعد مؤامرة دبرها وزيره الذى استولى على المدينة وسلمها لآغا محمد خان في السنة التالية ، ومنذ ذلك التاريخ لم يكن لطف على خان أكثر من ظل فى بلاده . وجاءت نهايته فى سنة ١٧٩٥ عندما غرر به الحاكم القاجارى الذى أمر بتعذيبه وأوقعه فى يده وقام بفقء عينيه وخصيته ثم قتله ، وقد صنع من جمجمته وجماجم رفاقه وجثثهم أهرامات فى المكان الذى أعدم فيه بمنطقة باثام . وعلى أى حال فإن حقد آغا محمد خان على خصومه لم يكن يقف عند حد فقد سحقت شيراز بسكانها وأبيحت كرمان لمدة ثلاثة أشهر كما سلم عشرون ألفا من النساء والأطفال الى جيش القاجار أو بيعوا كأرقاء . أما سكان كرمان فقد كان مصيرهم أشد هولاً ورعباً فلقد فقئت عيونهم ولم يهدأ بال آغا محمد خان الا بعد أن جيء اليه بسبعة آلاف شخص منهم وسلموا رهينة اليه . وكان آخر عمل انتقامى قام به هو استخراج رفات نادر شاه وكريم خان من قبريهما وإعادة دفنهما عند مدخل قصره فى طهران لكى يدوس عليهما كلما مشى بقدميه . استغرقت عمليات آغا محمد خان لتوطيد سيادته المطلقة على فارس عشر

سنوات ، ولكنه لم يعيش بعدها أكثر من عامين ليتمتع بثمرة جهوده ، فقد توفي مقتولا على يد اثنين من خدمه الذين كان قد أمر باعدامهم . وقد خلفه بابا خان الذى حكم البلاد من بعده تحت اسم فتح على شاه ، وأنشأ أسرة كبيرة انطبقت على أرجاء فارس كما تطبق أسراب الجراد على النبات ، وكان لها تأثير كبير على فارس ولم يستطع توطيد حكمه على ساحل فارس الا بعد وقت طويل . ولم تظهر اى بادرة للاعتراف بسلطة الحكومة المركزية الا فى بوشهر فقط التى تعهدت بدفع الزكاة ، وحتى دفع الزكاة كان يتوقف دفعها على قدرة الحاكم الفارسى العام على ارغام الأهالى على دفعها ، فأبوشهر الميناء الرئيسى لساحل فارس تدين بالفضل فى أهميتها لنادر شاه الذى بذل جهودا فى تطويرها كمركز لبناء السفن وقاعدة للأسطول الذى كان ينوى انشاءه لتوسيع رقعة نفوذه فى منطقة الخليج . وعلى الرغم من أن حلمه هذا لم يعمر طويلا - لأن مواطنيه لم يكن لهم اهتمام بالبحر فحسب فان هذه المدينة قد حققت فى عهده ازدهارا ملحوظا ، ولعل ذلك يعود الى تدهور وضع بندر عباس التى كانت الميناء الرئيسى على الجانب الفارسى من الخليج فى ذلك الوقت ، وبسبب نقل مقر شركة الهند الشرقية الى بوشهر فى عام ١٧٦٣ .

وكانت قبيلة بنى ناصر هى التى تحكم المدينة وهى قبيلة نزحت أصلا من عمان فى اخريات القرن السابع عشر واول القرن الثامن عشر (ولعلها كانت فرعا من قبيلة المطايش) وكانت هذه القبيلة كغيرها من القبائل الساحلية تستمد قوتها من البحر ومن أساطيلها التجارية التى كانت الى جانب أسطول مسقط تجوب البحار للتجارة . وكان الشيخ ناصر حاكم بوشهر ، وهو اسميا تابع لحكام زند ، أبرز شخصية فى القبيلة ، وظل كذلك حتى وفاته عام ١٧٨٩ .

(١) لقد الملح اللورد كرزى بأن الفاجار كان يتميزون بنظرة الأبوة وكانوا على درجة كبيرة من الذكاء والدمائة كما كانوا يتمتعون بروح رياضية . كما كانوا معروفين بالتقتير « فارس والمسألة الفارسية » مجلد ٢ طبعة لندن عام ١٨٩٢ .

أما ابنه وخليفته ناصر الثانى فلم يكن يتمتع بنفوذ ومهارة والده ، وبالتالي لم يكن له أى نفوذ على سياسات الخليج .
وعلى الرغم من مزايا بوشهر من الناحية التجارية والسياسية إلا أنه لم تكن بلداً محظوظاً . وفى تقرير بعث به أحد ضباط البحرية الهندسية عنها يقول : « لن أدهش على الإطلاق إذا صدم القادم من الهند بما يحمله من ذكريات عن نضارة وخصوبة الشواطئ الهندية من رتبة المظهر الذى ترتديه إيران ، وعلى أى حال فإن هذا الإحساس لا يعد بداية سيئة للصدمة التى ستصيبه عند نزوله إلى البلاد ، فما أن يدخل من بوابة قذرة حتى يجد على جانبيه ممراتها صعاليك نصف عراة وبجانهم بنادق قديمة وخراطيم المياه فى أفواههم ، ويلقى بنظرة إلى كتلة المباني التى أمامه وعلى الأكوخ الفقيرة من جهة والأضرحة المتهدمة التى يسير عليها المشاة من جهة أخرى ، إلى جانب القذارة والغبار والتعاسة التى تعكسها طرقاتها الضيقة فإنه لا يملك إلا أن يسأل بدهشة واستغراب ما إذا كانت هذه مدينة الثلاثين ألف نسمة والميناء البحرى لإيران . (١)

تقع بوشهر على شبه جزيرة رملية مائلة إلى الجانب الشمالى نحو البحر ، ويحيط بها من البر خور ضحل واسع لا يصلح لرسو السفن من أى حمولة ، كما أنه يمتد من أطرافه الشمالية إلى أرض من المستنقعات والرمال المتحركة . وعلى الناحية البحرية يتعرض الميناء لهبوب الرياح الشمالية الغربية ، وهو مرفأً ضحل ويترتب على السفن القادمة إليه أن ترسو على بعد أميال من الشاطئ ، وكان فى المدينة نحو ١٥٠٠ مسكن ، معظمها أشبه بزرائب الحيوانات كما أن أزقتها ضيقة ومليئة بالقاذورات ، وهناك فى الجزيرة بقايا قلعة قديمة متهدمة وليس بها أى تحصينات ، أما وراء السور فالأرض منسطة ورملية وقاحلة تتناثر فيها بعض الآبار المالحة التى تزود سكان المدينة بحاجاتهم من الماء . وكانت توجد صفوف كثيفة من أشجار النخيل تنتصب بألوانها الخضراء الداكنة فوق السهل الذهبى والتلال القرمزية ولم يكن عدد سكان بوشهر فى ذلك الوقت يزيد على ١٠٠٠٠ نسمة على الرغم من أن إبراهيم بارسونز وهو الرحالة المتفائل الذى جاب الشرق يقدر عددهم بعشرين ألفاً فى عام ١٧٧٥ .

(١) رحلة إلى مدينة الخلفاء .

كما وصف ملامح سكانها بأنها كثيبة لا تختلف عن مظهر بيوتهم ، وأنهم خليط متنافر من العرب والفرس ، وأن كل مايعتبر من الخصال الحميدة في أى من الخليطين يعتبر ممقوتا وكرهيا عند الآخرين ، والعكس بالعكس، وهذه الاخلاقيات تشمل السكان جميعا بما في ذلك أزياءهم ولهجاتهم وسلوكهم ومظهرهم العام، وكل هذه الصفات انما تعكس النسل الهجين الذى يتكونون منه ، وأما فيما يختص بشخصياتهم فلا هم أقزام ولا هم ضخام الأجسام مثل العرب الأصليين سكان الجانب الآخر من الساحل غير أنهم يشبونهم فى الدمامة والقدارة وفى الفقر الذى هو القاسم المشترك بينهم فضلا عن الشعور بالعزة وبكرم الضيافة الذى يتميز به العرب الا أنهم مع ذلك يحتفظون بتلك الخاصة (الندالة) فى المساومة وفى اقرار أعمال السرقة والسلب والنهب (١) .

وتجارة بوشهر هى قسمة بين الفرس والأرمن . ولم يكن بها من التجار اليهود أو الهندوك الا قليلا . وكان الأرمن أهم تجار البلدة بحكم نشاطهم ومهاراتهم وعلاقتهم المكثفة ، وكان جزء ضئيل من التجارة يتم عن طريق مكتب شركة الهند الشرقية . ولما كانت بوشهر المنفذ الجنوبي لتجارة ايران فى ذلك الوقت بعد أن بنت بندر عباس فى هذا المجال فان حركة التجارة فيها كانت تزدهر وتدهور تبعا للجو السياسى الذى كان يسود شيراز واصفهان أهم سوقين فارسيين فى تلك الفترة ، وفى غمار الفوضى التى عمت على اثر سقوط دولة زند تدهورت الحركة التجارية فيها هى الأخرى غير أنها عادت فانتعشت فى اواخر القرن، أما تجارة بوشهر الخارجية فقد كانت مع الهند فى المقام الأول، أما تجارتها مع البصرة فكانت محدودة بالرغم من أن بوشهر كانت منفذا لتهرب السلع الى العراق التركى . وبعد ضياع البحرين تضاءلت الاتصالات التجارية مع الجانب الآخر من الخليج . وكانت واردات الهند الى بوشهر بنفس المستوى الذى عليه مع موانئ الخليج الأخرى . وكان المعدل السنوى لهذه التجارة مليون

روبية هندية تقريبا (نحو ٢٠٠٠٠٠ ج س) وكانت الصادرات من ايران تشمل العقاقير والخيول والنحاس والفواكه المجففة والسجاد وماء الورد والنبسذ الشيرازى . وكان الأفيون هو أهم بند فى قائمة العقاقير وكان يزرع فى يزد وأصفهان .

هذا مع العلم أن أرقى أنواع الأفيون كان يأتى من كزرون غربى شيراز . وكان شهر مايو أو يونيو هو موسم حصاد الأفيون الذى كان يشحن فيما بين شهرى سبتمبر ويناير . كذلك كانت فارس تصنع مواسير البنادق ونصل السيوف ورؤوس الرماح التى اشتهرت بها مدينة شيراز ، وكانت توزع فى كافة اقطار الخليج - أما اللآلىء فكانت تجاب من سواحل الخليج وعلى الأخص من منطقتى خرك وخاركو على الساحل الفارسى ، وبعضها كان يجد طريقه عبر الخليج من البحرين ، وكانت قيمة صادرات بوشهر تشكل ثلث وارداتها أى حوالى ٩٥٠٠٠٠ روبية هندية (نحو ٩٥٠٠٠٠ ج س) ، وكان يتم سد العجز عن طريق الصادرات بالنقد . ولم تكن الرسوم الجمركية باهظة فى بوشهر على الرغم من انها كانت أحيانا تقدر بطريقة تعسفية من جانب مدير جمارك الميناء حيث لم تكن تقدر وفقا لأثمان السلع وإنما على أساس نوعيتها وحجم الطرد الذى يحتوى البضاعة . أما الرسوم على الصادرات فقد كانت طفيفة وكانت تستوفى على الفواكه المجففة وماء الورد والعقاقير فقط(١) .

ولم يكن ثمة ميناء آخر على الخليج يضاهى ميناء بوشهر فموانئ كنجون واسالو ، ونخيلو وشيرو وشراك كانت تعتمد على الصيد واستخراج اللؤلؤ

(١) الرسوم الرئيسية على الوردات كانت ٥٪ على المنسوجات وعلى المعادن و ١٥ روبية على صندوق النيلة و ٦ روبيات على كل جوال من التوابل وروبيتين على كل جوال من البن فى تقرير مانستى المجلد ٢١ بتاريخ ١٧٩٠/١٢/١٨ وتقرير عن تجارة الهند وفارس وموضوعه أول علاقة لشركة الهند الشرقية بالخليج ١٦٠٠ - ١٨٠٠ اعداد مستر رفوسيت رئيس قسم المحاسبة فى بومباى مؤرخ ١٧٩٩/١٢/١٧ وتقرير عن تجارة الخليج اعداد مالكولم ومؤرخ ١٨٠٠/٢/٢٦ وكتاب باكنجهام « رحلات الى بلاد آشوريا » جزء ٢ (ص ١١١ - ١١٨) .

والمبادلات التجارية المحدودة من موانئ الخليج الأخرى . أما في لنجة فقد كان القواسم أكثر نشاطا ، فقد كانوا يدورون برحلات تجارية الى مسقط وبومباي ، وكانوا مثل اخوانهم في رأس الخيمة لا يتورعون عن ممارسة القرصنة اذا سنحت لهم الفرصة ، وكان قريهم من طرق الملاحة التجارية في الخليج يسهل لهم القيام بتلك الأعمال . وكان بندر عباس الذي يقع على بعد ١٠ أميال من الشمال الشرقي للنجة الميناء الرئيسي في جنوب فارس ، ولكن مركزها قد انهار بسبب الغزو الافغانى والحروب الأهلية وتدهور الطريق التجارى القديم الى أصفهان وأخيرا نقل المراكز التجارية الأوربية من المنطقة .

وفي عهد سلاطين آل بوسعيد الذين كانوا يستأجرون الميناء منذ عام ١٧٨٤ حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، انتعش الميناء قليلا وان لم يستعد ازدهاره القديم ، وكانت ترد اليه السلع الأوربية والهندية ، ويصدر السجاد والتبغ والفواكه المجففة والصوف الكرمانى والملح . وكان الملح يستخرج من جزيرة هرمز ، وكان نجاح هذه السلعة يعتمد على موقف السلطات البريطانية فى الهند التى كانت تحتكر تجارة الملح فى المنطقة ، ويصل قيمة ما تستورده بندر عباس فى العشرينات من القرن الثامن عشر ثلاثمائة الف روبية (اى ٣٠٠.٠٠٠ ج س) كما يقال أن سلطان مسقط كان يجمع دخلا سنويا قدره ٨٦٠٠ - ١٠٠.٠٠٠ ريال نمسوى) ، أما عدد السكان فلم يكن يزيد على ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ نسمة ، وجاء فى وصف للمدينة كتب عام ١٨٢١ ما يلى :

« انها مجرد مجموعة من الأكواخ المبنية من الطين والحجر ، وسوفها يكاد يكون خاويا ، وكذلك الحصن الذى رمم أكثر من مرة كان فى حالة ميؤوس منها هو الآخر ، وليس فيه غير بضعة مدافع ، وكانت عجلات المدافع غير صالحة للاستعمال كما أن المباني كلها كانت قديمة بالية . . . وربما (١) يرجع ذلك الى الأحوال الجوية للمنطقة التى كانت تؤثر على طبيعة

(١) رحلة الى خراسان ص ٤٢/٤٣ تأليف فريزر راجع أيضا كتاب ولستد « مدينة الخلفاء » ان المراجع الرئيسية التى استقيت منها هذه المعلومات هى تاريخ وثائق حكومة بومباي الرسمية خلال الاتصالات الأولى بين شركة الهند الشرقية بالخليج ١٦٠٠ - ١٨٠٠ و « وصف رحلة الى الجزيرة =

المباني ، وكان هناك قوتان كل منهما غريبة على الخليج ، وان كان مقدرًا لهم أن يلعبا دورًا مؤثرًا في تاريخ المنطقة خلال القرن التاسع عشر : الوهابيون الذين قدر لهم أن يمارسوا نفوذًا على بعض الأجزاء الغربية من الخليج على فترات متقطعة من التاريخ ، والحكومة البريطانية في الهند ، التي وان لم تحرز حقوقًا اقليمية في المنطقة الا أنها كانت تمارس نفوذًا كبيرًا على شئون السياسة .

ان التوسع الوهابي يعتبر ظاهرة من الظواهر التي يتكرر وقوعها بين شعوب المناطق البدائية وعلى الأخص بين البدو ، ولا يختلف التوسع الوهابي في سماته عن التوسع العربي في صدر الاسلام قبل أحد عشر قرنًا ، أن الوهابية التي بدأت كحركة اصلاحية دينية اكتسبت بعض الوقت طابعا سياسيا وعلمانيا حتى غدت في ذروة قوتها اشبه بموجة زحف بربرى تمليه غريزة السلب والنهب وتعززه الرغبة في العنف والتدمير ، اى كطاقة روحية ، فان الوهابية لم تجد لها صدى خارج موطنها في قلب الجزيرة العربية واذا كان لكل جانب دنيوى . الا ان هذا الجانب للحركة الوهابية قد ترك بصمات مؤلمة ودائمة لا تزال آثارها ماثلة في الأذهان حتى اليوم .

ان لهذه الحركة التي ولدت قبل قرن ونصف . . جانبيين : جانب مخيف وجانب مضحك . . . ولفظة الوهابية مشتق من اسم مؤسس الحركة « محمد ابن عبد الوهاب » غير أن الوهابيين لم يتقيدوا بهذه التسمية فهم يسمون انفسهم المسلمين أو الموحدين من حيث أن التوحيد هو جوهر العقيدة الوهابية وأن المعلومات المتوفرة عن عبد الوهاب قليلة ، فقد ولد في العينية ، وهى منطقة تقع في قلب الجزيرة العربية ، والمعروف أنه ولد في عام ١٧٠٣ ، بينما تقوّل مصادر أخرى أنه من مواليد عام ١٦٩١ وأنه تلقى جزءا من دراسته في المدينة، ومن هناك انتقل الى البصرة حيث أمضى خمسة أعوام أخرى ، وتزوج من سيدة

= العربية « تأليف ينهور ص ٢٦٩ - ٢٩٢ و « تاريخ فارس » تأليف مال كولم مجلد ٢/ وتاريخ فارس طبعة لندن تأليف آر. جى. واتسون ص ٥١/٥٠ «ملاحظات جغرافية للأمبراطورية الفارسية» طبعة لندن ١٨١٣ ورحلات وجولات فارس مجلد ٢ طبعة لندن و « رحلة الى شيراز » تأليف اى. اس وارنج طبعة بومباى ١٨٠٤ ص ٦٣/٦١ .

غنية توفيت عنه تاركة له ثروة يعيش منها . وعلى أثر ذلك قام برحلة الى فارس حيث أمضى هناك عدة سنوات يدرس في قم ، وهمدان ، وأصفهان . وفيما بين عامي ١٧٤٢ ، ١٧٤٤ عاد الى موطنه في العينية . ولقد استنبط من رحلاته ودراساته بأن العقيدة الاسلامية وتعليمها قد باتت في أمس الحاجة الى اصلاح شامل . فقد اقتنع بأن البساطة التي اتسم ونزل بها القرآن الكريم قد فسدت بفعل البدع والخرافات والرهبنة التي زحفت عليها ، وبالتالي فان العودة الى روح الاسلام أصبحت أمرا لا بد منه اذا اريد للعقيدة الاسلامية البقاء والاستمرار وهكذا انكب على صياغة وشرح نظرياته التي ضمنها في مخطوطة بعنوان « كتاب التوحيد » .

وحتى نهاية القرن الثامن عشر لم تكن المصالح البريطانية في الخليج تتعدى النطاق التجاري^(١) فبموجب مرسوم (فرمان) أصدره الشاه عباس الأول في عام ١٦١٦ منحت شركة الهند الشرقية الانجليزية حق التعامل التجاري مع فارس ، وفي شهر يناير من العام الذي يليه وصلت الى ميناء حاسك على ساحل مكران أول شحنة من السلع الانجليزية . وفي وقت لاحق من نفس العام أنشئت ورستان للشركة المذكورة في كل من شيراز وأصفهان ، كما أنشئت ورشة ثالثة في أصفهان في عام ١٦١٩ . وحتى ذلك الوقت كان البرتغاليون هم الفئة الأوربية الوحيدة التي قامت بالتغلغل الى منطقة الخليج ، فقد احتلوا مسقط وصحار وهرمز والبحرين خلال القرن السابع كما ركزوا اقدمهم في عدد من النقاط على سواحل الخليج اهمها القطيف ورأس الخيمة .

وعند ظهور الانجليز على المسرح كان النفوذ البرتغالي يؤذن بالزوال . فقد صفى وجودهم في البحرين من جانب قوات الشاه عباس في نحو عام ١٦٠٢ وفي رأس الخيمة فيما بين عامي ١٦١٩ و ١٦٢٠ ، ولما استعصى على الشاه عباس اخراج البرتغاليين من هرمز بسبب افتقاره الى القوة البحرية اقترح على البريطانيين القيام بحملة مشتركة لتنفيذ هذه الخطة ، ولقد وافق مجلس ادارة

(١) لعل افضل مرجع عن نشاطات هذه الشركة في الخليج قبل سنة ١٨٠٠ كتاب لوريمر « التقويم الجغرافي للخليج » جزء ١ ص ١٠ - ١٦٨ .

شركة الهند الشرقية ، ومركزه سورت ، على الاقتراح ، ونفذت خطة الهجوم البحرى فى شهر يناير عام ١٦٢١ ، وقام به الأسطول البريطانى ، بينما قامت قوات الشاه بمهاجمة التحصينات البرتغالية الضخمة . وبعد حصار دام شهرين ونصفا للمنطقة استسلمت هرمز وكان هذا نهاية للوجود البرتغالى فى الخليج .

وكان من المكاسب التى جنتها شركة الهند الشرقية بتعاونها مع الشاه عباس حصولها على حق انشاء مركز لها فى بندر عباس ومنذ ذلك اليوم اصبح هذا المركز المقر الرئيسى للنشاط التجارى مع فارس . الا انه بالنظر الى الصعوبات التى طرأت بين الشركة والفرس او بالأصح نتيجة معاكسات الهولانديين الذين كانوا قد أسسوا لهم مركزا مماثلا فى المنطقة ، لم تحرز الحركة التجارية مع فارس اى نجاح .

فى الربع الأخير من القرن السابع عشر ظهر الفرنسيون على المسرح فى الخليج بالتعاون مع الهولنديين واستولوا على قسم كبير من تجارة الحرير الخام . وبالرغم من كساد الأسواق استمرت شركة الهند الشرقية فى تعاملاتها التجارية مع فارس فى الوقت الذى أخذت تحصل على مراسيم جديدة لصالحها من ملوك فارس الذين تعاقبوا على الحكم الواحد تلو الآخر ، غير أن الهجوم الأفغانى فيما بين عامى ١٧٢٢ ، ١٧٢٩ كان بمثابة ضربة قاصمة أدت الى تدهور الأحوال الطبيعية فى جنوب فارس . وعادت الحياة الطبيعية الى المنطقة فى عهد الشاه نادر شاه غير أن الفوضى التى سادت أعقاب وفاته سنة ١٧٤٧ قضت قضاء مبرما على مركز الشركة فى بندر عباس . وفى ظل الاضطرابات السياسية التى نتجت عن الصراع بين القاجار والزند والبختياريين والأفغان تقلص النشاط التجارى الى حد كبير وعندما قام الأسطول الفرنسى بقصف المركز وتدمير مبانيه عام ١٧٥٩ خلال حرب السنوات السبع قرر أصحاب المركز الانسحاب . ولقد سبق أن أغلق كل من المركز الفرنسى والهولاندى الأول والثانى فى عام ١٧٥٩ وبإغلاق المركز البريطانى فى ٧ مارس عام ١٧٦٣ توقفت التجارة المباشرة بين الأوربيين وجنوب فارس فترة من الوقت . وانتقلت الوكالة التجارية البريطانية بعد انسحابها من بندر عباس الى البصرة حيث كان يوجد بالفعل نوع من التمثيل التجارى للشركة .

ويعود تاريخ العلاقات الانجليزية التجارية مع تركيا العربية الى عام ١٦٤٠ غير ان المركز لم يتأسس بشكل دائم في البصرة قبل عام ١٧٢٣ . وبإغلاق مركز الشركة في بندر عباس تحول التمثيل من البصرة الى درجة وكالة وأسند اليه الاشراف على نشاط الشركة التجارى في الخليج وبعد مضي عام على هذا أعلن الباب العالى اعترافه بالوكالة التى تحولت الى قنصلية ، ولم تقرر الشركة الانسحاب الكلى من الأسواق الفارسية عندما تم اغلاق مركزها هناك ، فقبل عامين من اغلاق المركز في بندر عباس بدأ البحث عن ميناء آخر على الساحل الفارسى يصلح لاقامة المركز فيه . وفى اوائل عام ١٧٦٢ اقترح الوكيل السياسى في بندر عباس اتخاذ المحمرة مقرا للمركز المذكور . وفى يوم ١٢ ابريل سنة ١٧٦٣ عقدت اتفاقية مع الشيخ ناصر حاكم المحمرة يسمح للشركة بموجبها انشاء مركز تجارى في ميناء المحمرة . وقد تم اعتماد هذا المركز كمركز تجارى قانونى بعد ثلاثة أشهر من ذلك تاريخ ، وذلك بموجب قانون الامتيازات الأجنبية الذى أصدره الشاه كريم خان الحاكم الجديد لفارس ، وبصدور هذا القانون اصبح للشركة الحق في اقامة المركز ، وأى مباني أخرى تابعة له ، سواء في المحمرة أو ميناء آخر من الموانى الفارسية ، كما أصبح لها الحق في انشاء التحصينات اللازمة لحماية هذه المراكز . وتضمن القانون اعفاء الشركة من الرسوم الجمركية على وارداتها الى البلاد بل وخففت هذه الى ٣٪ فقط ، الى جانب منح الشركة حق احتكار استيراد المنسوجات الصوفية الى فارس وتخويل حكام الاقاليم الفارسية سلطة مساعدة الشركة في استيفاء ديونها من الرعايا الفرس وحماية السفن والشحنات التجارية ، كما سمح للشركة بأن تتولى بنفسها محاكمة العاملين فيها عن أى مخالفات مدنية أو جنائية يقترفونها ، وفى مقابل هذه الامتيازات اشترط كريم خان بأن توافق الشركة على استيفاء ائتمان مبيعاتها أو بعض هذه الاثمان مقابل سلع فارسية وبأن لا تحول ائمانها بالعملات النقدية فقط ، وبأن لا تقدم الشركة أى تأييد أو مساعدة للمتمردين على سلطة الشاه أو الى خصومه (١) .

(١) مجموعة المعاهدات والمستندات الخاصة بالهند الطبعة الثالثة اعداد س. يو . ايتشيسون المجلد الثالث طبعة كلكتا ١٨٩٢ - بالنسبة للمعاهدة المعقودة مع حاكم المحمرة راجع نفس المجلد ص ٣٢ - ٣٣ .

كان كريم خان وهو يقدم تلك التنازلات يحدوه الأمل في أن تعوضه الشركة بتقديم مساعدة بحرية اليه لتثبيت سلطته على طول الساحل الفارسي اعترافا له بالجميل . وفي وقت لاحق من العام تقدم الشاه بمقترحات مجددة الى حكومة الشركة في بومباي يطلب منها تخصيص سفينتين حرييتين ترابطان في مياه الخليج باستمرار لحماية الخطوط التجارية مع استعداده دفع . ٤ الف روبية سنويا كنفقات لهذه الحماية . ورغم أن حكومة بومباي لم تكن على استعداد للعمل بهذا الاقتراح الا انها أوعزت الى المقيم البريطانى في المحمرة في شهر ديسمبر سنة ١٧٦٤ بأن يقدم الى الشاه كريم احدى سفن الشركة المسلحة ، اذ تبين له أن مثل هذا الاجراء سوف يسهم في دعم مركزها في البلاد، ومنذ ذلك الوقت تعددت المناسبات التى استخدمت فيها مثل هذه السفن المسلحة في حملات تستهدف تدعيم سلطة الحاكم الفارسي على القبائل الساحلية (١) . وفي عام ١٧٦٦ تعاونت الشركة مع متسلم لواء البصرة لاختاد تمرد قامت به قبائل بنى كعب ، مما اثار حفيظة كريم خان والمقيم البريطانى في المحمرة وعلى اثر ذلك اضطرت الشركة الى اغلاق المركز في شهر فبراير سنة ١٧٦٩ ولم يستأنف المركز نشاطه قبل شهر ابريل ١٧٧٥ ولم يكن حظ النشاطات التجارية للشركة في البصرة بأفضل منها في المحمرة، يضاف اليها عمليات الابتزاز التى كان يقوم بها الموظفون المحليون والاضطرابات التى تسود البلاد الى جانب الهجمات التى كان يقوم بها القراصنة على السفن التجارية . وعندما انتشر الطاعون في البصرة عام ١٧٧٣ توقفت حركة التجارة وتم اغلاق المكتب بصورة مؤقتة ، وبعد بضع سنوات حلت بالبصرة كارثة أخرى بحصار الفرس لها مما جعل مستقبل الميناء كمركز للنشاط التجارى يبدو كئيبا بحيث اضطرت حكومة بومباي في عام ١٧٧٩ الى التخلي عن فكرة إعادة فتح الوكالة الا اذا انسحب الفرس فى اقرب وقت ممكن، وحتى لو كان هناك تفكير لاعادة فتحه فان صلاحيته سوف تتقلص ولن تشمل المحمرة . غير أن سلطات بومباي ترددت

(١) خلال احدى هذه الحملات ضد المير مهنا شينخ بندر رق عام ١٧٦٨
تعهد كريم خان بان يسلم الى الشركة جزيرة خرك فى حالة نجاح العملية .
(م ٦ - بريطانيا والخليج)

في الاستجابة لطلب الشركة، فقد كانت الحرب مع فرنسا وشيكة، وكان الإبقاء على طرق المواصلات الى البحر المتوسط مفتوحا أمرا مرغوبا فيه . وعلى أى حال فقد سويت المشكلة بانسحاب الفرس من البصرة . ثم أعيد فتح المكتب مع تخفيض درجته التمثيلية ، وانحلت الصلة التي كانت تربطه بدار المقيم البريطاني في بوشهر ، وغدت أهميته منذ ذلك مرتبطة أساسا باعتباره مركزا متقدما لنقل بريد الشركة من الهند الى المملكة المتحدة .

وخلال حرب السنوات السبع استخدم طريق الصحراء الى حد كبير باعتباره الطريق المباشر بين سوريا والعراق في نقل البريد كما استمر استخدام هذا الطريق في نقل النسخ الاضافية من المكاتب بينما كانت النسخ الأصلية ترسل عن طريق الرأس . وكان البريد ينقل الى البصرة من بومباي على ظهر السفن المسلحة للشركة أو عن طريق السفن الأوربية وأحيانا بالسفن الهندية والعربية . وفي البصرة كانت السفن تسلم الرسائل الى الرسل من الفرسان التتار انذين كانوا يتسلمونها من محطة الزبير خارج البصرة ، ومنها يعبرون الصحراء الى حلب حيث يعاد ارسالها الى فينا ولندن عن طريق بيت فرير ستمز ، وكان الرسول يقطع المسافة الى حلب من ١٣ الى ٣٠ يوما على الرغم من أن معدل الرحلة لا يتجاوز ١٥ يوما . وفي نهاية القرن بعد أن تم انشاء دار للمقيم في بغداد أصبح البريد يرسل عن طريق بغداد رأسا الى القسطنطينية ، وكان معدل طول الرحلة ٢٤ يوما صيفا و ٢٧ يوما شتاء . وكانت الرحلة من بومباي الى لندن بمجملها لا تستغرق أكثر من ١٠ الى ١٢ أسبوعا . وكان البريد يرسل في بعض الأحيان عن طريق الكويت اذا شاب الحالة عدم استقرار بالمنطقة المحيطة بالبصرة .

وكانت العلاقة بين الأتراك ومركز الشركة في البصرة على غير مايرام باستمرار ، ويعود ذلك الى سلوك المسئول عن المركز ، فقد كان عدد كبير من المسئولين لا يقصرون نشاطهم على النواحي التجارية وحدها بل كانوا يتدخلون في السياسة في تعاملهم مع المسئولين الأتراك للحفاظ على المصالح البريطانية . وبصرف النظر عن هذه المزاغم فان السياسة كانت تغطي كثيرا على الجوانب الأخرى مما كان يرغم رؤساء مجلس الإدارة على التدخل في الأمر لوضع الأمور في نصابها . على أن حكومة بومباي الانجليزية كثيرا ماشارك مندوبوها

- ٨٣ -

في التدخل في السياسة . وكان معظم التدخل لرؤساء الشركة يعود الى تخوف مبالغ فيه من التجار الأوربيين في البصرة والفرنسيين منهم على الأخص . وبانتهاء القرن خفت حدة التنافس في كلا المجالين السياسى والتجارى بين الأوربيين في البصرة . فالهولنديون الذين كانوا يتعاملون مع المنطقة العربية الخاضعة للأتراك منذ منتصف القرن السابع عشر والذين كانوا قد أنشأوا مركزا لهم في البصرة . في أوائل القرن الثامن عشر ، عادوا فأغلقوا مركزهم في عام ١٧٥٢ بعد وقوع شقاق بينهم وبين المتسلم المحلى ، وبعد مضى عام على ذلك افتتح الهولنديون مركزا لهم في جزيرة خرك غير أنه بعد سبع سنوات تم اغلاق المكتب بالقوة من جانب المير مهنا حاكم بندر رق . ولم يحاول الهولنديون العودة الى المنطقة مرة أخرى .

ولقد بدأت علاقات فرنسا بالمنطقة الخاضعة للحكم التركى بتعيين مطران بابلون اللاتينى في عام ١٦٣٨ ، ومن ذلك التاريخ أصبح لفرنسا ممثل دينى في البصرة يعمل كقنصل لها في نفس الوقت ، وفي نحو عام ١٧٤٠ عين أسقف فرنسا قنصلا في بغداد ومطران لاثينا ببابل ، بينما أسندت وظيفة قنصل بغداد الى رجل مدنى . غير أن التمثيل الفرنسى في البصرة كان متقطعا . فقد انشئت وكالة فرنسية هناك في عام ١٧٥٥ ولكنها توقفت عن العمل عام ١٧٦٥ ، فباستثناء الزيارات المتقطعة التى كانت تقوم بها احدى السفن التى ترفع العلم الفرنسى فان التجارة مع البصرة تضاءلت حتى تلاشت في أخريات ربع القرن .

ان تدخل المقيم البريطانى في البصرة في السياسة الداخلية للبلاد سار متوافقا مع النظرة الحسودة لموقفه . وكانت الحصيلة الرئيسية للاننتين والنتائج المؤسفة التى ترتبت عليها قد أخذت تنعكس على الظروف التى أحاطت بعملية سحب المركز من البصرة في ربيع عام ١٧٩٣ . وفي شهر مارس من عام ١٧٩١ تقدمت الجالية اليهودية في البصرة بشكوى الى المتسلم مضمونها أن أحد زملائهم قد اغتيل من جانب أحد المسيحيين . وعلى اثر هذه مضمونها أن أحد زملائهم قد استيل من جانب أحد المسيحيين . وعلى اثر هذه الشكوى القى المتسلم القبض على عدد من المسيحيين ، أربعة منهم لم يكونوا مشمولين بالحماية البريطانية .

وقد احتج المقيم البريطاني صمويل مانستى على اعتقالهم وتمكن من الافراج عنهم مع الآخرين غير المشمولين بالحماية البريطانية . وبعد ذلك بوقت قصير ابلغ المقيم من جانب المتسلم بأن أحد هؤلاء المفرج عنهم هو المتهم بالقتل وينبغي تسليمه لمحاكمته . ولقد قام مانستى بتسليم المتهم ، ولكنه طلب من الموظف المختص بأن تجرى له محاكمة عادلة .

وفي الوقت نفسه فان الجالية اليهودية التي اثارها تدخل مانستى قام افرادها بمظاهرة هددوا فيها المقيم . وقد طالب مانستى بتوقيع العقوبة على اليهود ، غير ان المتسلم لم يكن يرغب في نكس الجروح القديمة ، ودعا مانستى الى تناسي الموضوع . غير ان هذا لم يكن آخر اجراء يفكر فيه المقيم ، ومن هنا قرر الاتصال بسليمان باشا مطالبا اياه بمعاينة الجالية اليهودية وفرض غرامات جماعية عليهم ومطاردة زعمائهم ، ومضت الشهور دون أن يتحرك الباشا لتلبية طلب المقيم ، ولهذا قام مانستى في فبراير عام ١٧٩٢ بتوجيه رسالة الى السفير البريطاني في القسطنطينية ، يطالبه فيها باقناع الباب العالي بتوجيه خطاب الى سليمان باشا بارضاء مانستى . ورغم ارسال الباب العالي للخطاب فان سليمان باشا لم يفعل شيئا لتلبية مطالب مانستى ، وفي النهاية انزل مانستى علمه عن المركز في ٣٠ ابريل ١٧٩٣ وانسحب الى الكويت .

ولقد استغرق الأمر سنتين من المكاتبات بين مجلس الادارة وحكومة بومباي ومانستى حول هذا الموضوع حتى أمكن في ابريل عام ١٧٩٥ الوصول الى قرار في ذلك . ولقد كان تصرف مانستى في رأيهم غير سليم وتقرر ازاحته من منصبه واعادة انشاء دار الاعتماد في البصرة بأسرع وقت ممكن . ولكن مانستى لم يهتم بقرار مجلس الادارة فلقد استطاع بعد وقت قصير الحصول على موافقة الباشا على شروطه للعودة ، وتمكن من استئناف اعماله في البصرة في سبتمبر عام ١٧٩٥ قبل وصول خلفه من بومباي بأربعة اشهر . وفي نفس الوقت تلقى مجلس الادارة صيغة اخرى للمشكلة من هارفورد جونز زميل مانستى عند عودته الى انجلترا عام ١٧٩٥ ، وفي نفس اليوم الذي وضع خلف مانستى قدمه في البصرة لاستلام دار الاعتماد ، كتب أعضاء مجلس الادارة الى حاكم بومباي

ينقضون تعليماتهم السابقة ويعيدون تنصيب مانستي في وظيفته السابقة ، وبما أن الظروف الخاصة قد استبقت مانستي في البصرة حتى ابريل عام ١٧٩٦ - ولا نعرف كيف استطاع ذلك ، فما ان وصلت التعليمات حتى تمكن مانستي من استئناف عمله بكثير من الاستياء من قبل المقيم البريطاني الجديد (١) .

لم يكن الوضع في دار الاعتماد البريطاني خلال العقدين الأخيرين من القرن الثامن عشر على شيء من الأهمية ، فجميع القلاقل كانت تعزى الى الأوضاع غير المستقرة في جنوب فارس خلال السنوات الأخيرة من حكم أسرة زند ، ولم تكن ترجع الى الاوهام والتصرفات الغريبة للمقيمين البريطانيين في المنطقة . وقد ظلت حركة التجارة متدهورة خلال هذه الفترة ، ولم تبذل أى محاولات لانعاشها وبالنظر الى حالة التصدع التي اصابته مبنى دار الاعتماد فقد وصفها أحد المقيمين البريطانيين في تقريره ، بأن المبنى قد ينهار عند سقوط أول رذاذ للمطر ، الأمر الذي ادى الى فقدان الأمل في عودة التبادل التجاري مع بلاد فارس الى ماكان عليه . وكان من عادة المقيم البريطاني أن يمارس أعمالا تجارية محدودة لحسابه الخاص . ومع أن التجارة كانت محظورة على موظفي الشركة أيام حكم كلايف للبنغال الا أن هذا الحظر لم يكن يشمل المقيمين البريطانيين في البصرة وبوشهر لأن طابع عملهم لم يكن سياسيا بحتا ، كما أن قباطنة سفن الشركة المسلحة كانوا يقومون بنقل شحنات من التوابل لحساب التجار بين بومباي وموانئ الخليج دعما لظروفهم المعيشية . على أن ثراء موظفي الشركة لم يكن سببا كافيا على أى حال لابقاء هؤلاء الموظفين في وظائفهم ويبقى السؤال:

(١) فارس والخليج « مجلد ١٨ في تقرير من اعداد جونز ومانستي موجه الى اللجنة السرية بشركة الهند الشرقية بتاريخ ٥ يوليو ١٧٩١ والى السير روبرت اينسلى السفير البريطاني في القسطنطينية ٧ فبراير و ٢٢ نوفمبر عام ١٧٩١ ومجلد ١٩ من اعداد جونز ومانستي الى اللجنة السرية والمرافعات السياسية مجلد ٦ بتاريخ ٢٢ يناير و ٢٢ مارس و ١١ يونيو و ٧ يوليو والسجلات السرية لبومباي مجلد ٢٤ حول أول اتصالات شركة الهند الشرقية بتركيا .

ماهى الفوائد التى كانت تجنيها الشركة من الاحتفاظ بصلاتها التجارية مع المنطقة اذا كانت هناك أى فوائد ؟

لعل الفائدة الكبرى من تلك التجارة هى أنها كانت تساعد الرجال فى الشركة على تطبيق ذلك البند من الميثاق الذى ينص على أن يكون عشر السلع المصدرة الى المنطقة من صنع بريطانيا . وكانت الوسيلة لتنفيذ هذا المطلب تتمثل فى تصدير الأصواف والمعادن الانجليزية الصنع حيث كانت تلقى رواجاً فى بلاد فارس وفى المنطقة العربية الخاضعة للحكم التركى .

أما الميزة الأخرى التى كانت تتمتع بها الشركة من اتجارها مع موانئ البصرة فان ذلك كان يعفيها من دفع الرسم الاضافى وقدره ١٥ ٪ ، وهو الرسم الذى كانت تفرضه انجلترا على جميع واردات الشركة من المواد الخام ، فقد كانت انجلترا تستورد خام الحرير وخيوط الصوف من كرمان بفارس هذه ، وكانت السلع تلقى رواجاً فى اوربا رغم أن أسعارها كانت عرضة للتقلبات . وكان الهولنديون المنافسين الرئيسيين للبريطانيين فى تجارة الحرير فى بندر عباس . وفى تجارة الأصواف التى كانوا يشترونها من تجار أرمينيا الذين كانوا يستوردونها ثم يشحنونها الى فارس عن طريق تركيا ، وفى عام ١٧٦٣ عندما تم سحب الوركز من بندر عباس حلت هذه السلع محل خام الحرير كسلعة أساسية فى مشتريات الشركة . وبعد سحب المركز تركزت مبيعات الشركة من الأصواف على مدينة البصرة ، غير أن أسواق المنطقة العربية الخاضعة للأتراك لم تكن لتنافس الأسواق الفارسية ، وكانت هناك منافسة تجارية من جانب الهولنديين ثم الفرنسيين ومن التجار المحليين الذين كانوا يستوردون الأصواف الأوربية عن طريق حلب ، على أن ارتفاع أسعار الأصواف البريطانية بالاضافة الى تغيير أسعار العملة فى تحويل النقد الى الهند ونظراً لندرة العملة النقدية فى تركيا قد ساهم ذلك فى زيادة تدهور هذه التجارة .

على أن الشركة لم تكن المسؤولة عن تدهور تجارتها مع الخليج فقد كان هناك تدهور عام على مستوى المنطقة خلال الأربعين عاماً الأخيرة من القرن لعدد

٨٧

من الاسباب ، منها تفشى أعمال القرصنة من جانب قبائل بنى كعب ثم القواسم ، وازالة المستوطنة الهولندية فى خرك وانتشار الوباء فى المنطقة العربية الخاضعة للأتراك فى عام ١٧٧٥ وحصار واحتلال البصرة وندرة العملة الفضية ، ثم أخيرا الحرب الأهلية التى اجتاحت بلاد فارس منذ عام ١٧٧٩ وصاعدا ، ومع ذلك فان الشركة هى التى جنت على نفسها بنفسها عندما قررت الحد من مشترياتها من الحرير الخام وأصواف كرمان ، ولما لم تكن الشركة راغبة فى شراء خام الحرير من بلاد فارس فى مقابل السلع التى تعرضها فقد كان الروس راغبين فى ذلك وهكذا ، فبانتهاء القرن كانت الشركة قد خسرت سوق السلع الصوفية لصالح الروس الذين كانوا فى امكانهم استيرادها بأسعار أقل ثم تصديرها الى شمال بلاد فارس من موانئ بحر قزوين مما مكن البريطانيين من شرائها من بوشهر، فضلا عن أن الأصواف الروسية باعتراف أحد موظفى الشركة كانت أجود بكثير من تلك التى كانت تستوردها الشركة، فقد كانت الأصناف الأخرى من الصوف من خيوط دقيقة ومن نسيج رقيق سرعان ما يتلف بعد استعماله بوقت قصير (١) ويمكن القول أن الروس كانوا يحصلون على أصوافهم من إنجلترا . وقبل نهاية القرن كانت تجارة الشركة مع ايران والمنطقة الغربية الخاضعة للأتراك قد تعرضت لخسائر كبيرة . وعلى سبيل المثال فان الميزانية العامة لمركز البصرة عن العام ١٧٩٢ - ١٧٩٣ تتضمن خسارة لا تقل عن ٦٣٨٥٠ روبية هندية كان مبلغ ٥٩,٣٤٥ روبية منها نفقات مركز البصرة كما كان معدل الخسارة فى مبيعات الأصواف يصل الى ٢٤٪ بالمقارنة الى ١٩٪ للسنة : ١٧٨٩/١٧٩٠ ولولا الرسوم القنصلية لزادت الخسارة ٣٠,٠٠٠ روبية (٢) . وكانت هذه الرسوم تدفع من قبل التجار الذين كانوا يزاولون اعمالهم التجارية فى العراق وفارس تحت حماية الشركة وبموجب مرسوم عام

(١) « بلاد فارس والخليج » تأليف وليم بروس فى ١ ابريل

سنة ١٨٥٩ .

(٢) نفس المصدر المجلد ١٩ بعنوان حسابات وأرباح وخسائر مركز

البصرة التجارى فى ١/٥/١٧٩٢ و ٣٠/٤/١٧٩٣ .

١٧٦٤ كان يحق للمقيم تحصيل الرسوم القنصلية بوصفه قنصلا أيضا ، وكان هذا يسرى على جميع القناصل فى الحصول على تلك الرسوم طبقا للبند رقم ٣٥ من قانون الامتيازات الأجنبية . ولتسهيل هذه العملية فقد قسمت الشركة الرسوم التى تتقاضاها تحت بندين هما : بند الرسوم الجمركية وبند الرسوم القنصلية ، محتفظة بالأولى لنفسها ، بينما كانت ترصد الرسوم الأخرى لحساب المقيم (١) والواقع أن الرسوم القنصلية كانت بمثابة عوائد الشركة من عمليات المراكز فى الخليج خلال الفترة الأخيرة من القرن الثامن عشر . وكان معدل مبيعات الأصواف فى بوشهر خلال الخمس سنوات من عام ١٧٨٥ حتى ١٧٩٠ الى ٢٤٠٠٠ روبية سنويا . أما الرسوم القنصلية التى كانت تستوفى مقابل السلع التى يستوردها التجار المشمولون بحماية الشركة عن نفس المدة فلم تزد على ١٦٠٠٠ روبية .

والواقع أن دور الشركة فى تجارة الخليج كان يتحول من المشاركة الفعلية الى مجرد حماية لهذه التجارة التى أصبحت منذ ذلك الوقت تحت رحمة التجار الفرس والعرب والأمن والهنود وأصحاب السفن فى هذه البلاد ، وكانت الشركة توفر الحماية المسلحة لهؤلاء التجار ضد القراصنة وكان أسطول الشركة هو الذى يقوم بتلك الحماية .

ولم تصل للخليج أى سفينة حربية قبل عام ١٧٦٩ وذلك عندما طلبت حكومة بومباى مساعدة من قائد الأسطول فى الهند الشرقية فى مطاردة بعض قراصنة بنى كعب الذين كانوا يزاولون نشاطهم من سواحل الخليج ، ومنذ ذلك الوقت أخذت سفن الأسطول تبحر بين حين وآخر الى مياه الخليج غير أن عبء حماية التجارة كان يقع فى المقام الأول على بحرية بومباى حيث كان يوجد الفرع المسلح التابع للشركة .

(١) كانت الضريبة الجمركية المفروضة فى بوشهر هى ٣٪ حسب السعر والرسوم القنصلية ١٪ وفى عام ١٧٨٤ رفعت الضريبة الجمركية الى ٥٪ والقنصلية الى ٢٪ التى كان نصفها يذهب الى الشركة ونفس الاجراء كان يتخذ فى البصرة .

وقد تأسس هذا الأسطول عام ١٦١٣ وكان الغرض من انشائه في البداية حماية المراكز التجارية في مدينة « سورك » بالهند والتجارة المحلية على سواطيء ملبار ، ثم تطور في أواخر القرن الثامن عشر الى أسطول في الهند وكانت صغيرة الحجم لا تتجاوز حمولتها ١٥٠ طنا ، ولم تكن تحمل من المدافع أكثر من ستة ، وكان يقودها متطوعون من السفن التجارية التابعة للشركة ، أما بحارة هذه السفن فكانوا من الهنود . وفي أواخر القرن السابع عشر نقل المقر العام لهذا الأسطول الى بومباي ، وأخضعت وحداته لسلطة حكومة الرئاسة ، وينمو هذا الأسطول حتى أصبح أكثر قوة وحجما مما جعله يلبي متطلبات الحرب مع فرنسا كما أعيد تنظيم هذا الأسطول على أسس أكثر تطورا وتنظيما ، وتم تشغيل مزيد من البحارة الأوربيين والضباط على غرار ماكان يتم بالنسبة لجيش الشركة ، وعندما تم وضع سورت في عام ١٧٥٩ خول قائد البحرية بمقتضى مرسوم أصدره الأميراطور المغولى سلطة أميرال الامبراطورية بشرط أن ترفع مراكب هذا الأسطول العلم المغولى على مقدمة سفنها ، وشعار الشركة في مؤخرتها طوال السبعين عاما التالية ، وفي عام ١٧٩٨ أعاد مجلس الادارة تنظيم الأسطول على أساس أن يصبح نظاما صالحا للقتال على أفضل وجه ، وقد حظر على رجال هذا الأسطول ممارسة أى أعمال تجارية كما منحوا حق الحصول على معاشات عند التقاعد، وقد عين لهذا الأسطول مراقب ومساعد مراقب وعميد بحرى وهؤلاء بالإضافة الى اثنين من الضباط الكبار الذين كانوا يشكلون هيئة بحرية وكانوا يشرفون على الشؤون المدنية للأسطول التي كانت تشمل مراقبة المرسى في بومباي . . الخ ، أما الاشراف التنفيذى للأسطول فقد كان فى يد المراقب العام وقد حددت مهمة هذا الأسطول كما يلي :

حماية التجارة وبالأخص التجارة الريفية ومكافحة القرصنة على سواحل الهند والمياه القريبة منها ، بالإضافة الى القيام بنقل بريد الشركة ، وفي حالة نشوب حرب يتعين على هذا الأسطول القيام بأعمال حماية الممتلكات البريطانية في الهند والاشراف على عمليات نقل الجنود وحراسة السفن التجارية ، وقد أعيد النظر في هذه المهام خلال الحرب الثورية والنابوليونية بحيث تتركز فى

نقل البريد وحماية تجارة البلاد من القراصنة ولم يفهد الى هذا الأسطول بالتصدي للفرنسيين اذ كانت تنقصه البواخر والأسلحة التي تمكنه من تنفيذ ذلك الا أن بوارج الأسطول كثيرا ما اشتبكت مع العدو وأحرزت تفوقا عليه ، وفي عام ١٨٠٢ وصلت قوة هذا الأسطول الى فرقاطتين ، هما لورن ، واليس ، وقد حولت الاثنان فيما بعد الى الأسطول الملكي بالإضافة الى ثلاثة طرادات يحمل احدها ٢٢ مدفعا ، ولكل من الآخرين ١٦ مدفعا أخرى مزودة كل منهما بـ ١٤ مدفعا الى جانب ٧ سفن أخرى مزودة كل منها بـ ١٠ مدافع الى ١٨ مدفعا ، وسفينتين تحمل احدهما ١٤ مدفعا والأخرى ٨ مدافع ، وكان عدد العاملين في هذه القوة في عام ١٨٠٢ (١٣) قبطانا و ٢٣ ملازم أول و ٢١ ملازم ثان و ٢٧ من المتطوعين .

ولم يطرأ أى تغيير على قوة هذا الأسطول خلال فترة الحرب مع الفرنسيين وفي سنة ١٨١٠ كان عدد العاملين في هذا الأسطول ١٦ قبطانا و ٨ قادة و ٢٦ ملازم أول و ٢٤ ملازم ثان و ٤٨ من ضباط الصف (١) .

ولاشك أن أسطول بومباي بالمقارنة الى الأسطول الملكي كان ضعيفا كما لم يكن بحارته حتى القرن التاسع متساوين فى الرتب مع بحارة الأسطول الملكي ، وكان اصغر ملازم فى الأسطول الملكي يفوق أعلى ضابط فى البحرية الهندية ، وكان الضباط الملكيون ينظرون نظرة أدنى الى بحارة الشركة بل حتى قباطنة السفن الشراعية البريطانية كانوا يعتبرون أنفسهم أعلى درجة من بحارة الشركة ربما من حيث مركزهم ومستواهم المادى .

وكان المسئولون فى الهند وفى المنطقة الشرقية يوجهون اللوم بكثرة الى بحارة سفن الشركة على افتقارهم الى النظام ومستوى السفن التي يستعملونها وعلى اخلاقيات ضباطها وعناء بحارتها . والواقع أن تلك الانتقادات لم يكن لها ما يبررها ، فالبحرية الهندية قد سلمت الى الأسطول الملكي خلال الحروب الفرنسية كما كان النقص فى البحارة الاوربيين والانجليز يعود الى الاجراءات

(١) « تاريخ الأسطول الهندى » تاليف س. ا. ر. لو. مجلدان طبعة

لندن عام ١٨٧٧ .

غير المشروعة لنقل رجال البحرية الهندية الى العمل في الأسطول الملكى منذ عام ١٧٩٨ فصاعدا . وقد اضطرت حكومة بومباى الى الاحتجاج لدى الهند البريطانية على تلك الاجراءات حتى أصدرت الادميرالية بعد ذلك مرسوما يحظر نقل تلك السفن .

وكانت مهمة الأسطول الهندى فى الخليج بشكل عام من أشق المهام الملقاة على عاتق البحرية الهندية ، وقد وصف أحد الضباط العاملين فى هذا الأسطول تلك المهمة على النحو التالى :

ان سواحل الخليج قاحلة جرداء والمناطق الرملية المحترقة تحيط بها من كل جانب ولكن هذه الحالة لا يمكن أن يتصورها الا من رآها أو عاش فيها . ولا اثر فيها لأى نبتة خضراء تريح عين الناظر اليها اللهم الا حرارة الرمال ، فالفصل الحار الذى يستمر خمسة أشهر أمر لا يمكن أن يتحملة أى انسان ، وتصبح الحياة فيه شيئا لا يطاق لأن ارتفاع الحرارة ارتفاعا كبيرا يصعب على أى مخلوق احتمالها . حتى ان بعض الناس ماتوا من حرارة الجو والشمس كما يصاب البعض بالحمى الشوكية والمصاب بهذا المرض لا يمكن أن ينجو من الموت ، واذا نجا فانه يعيش ضعيف العقل ، ويقضى الضباط والبحارة أسوأ أيامهم خلال فصل الصيف لأنهم يتعرضون لمتاعب لا يمكن أن يصدقها عقل ولا يوجد أثر للحياة الاجتماعية الا بين الضباط . والمرأة لا وجود لها على الإطلاق كما أنه من النادر أن تلمح العين امرأة عربية أو فارسية فهن جميعا محجبات بالكامل ومعزولات عن الرجال (١) .

يتراوح معدل درجات الحرارة فى الخليج ما بين ٩٢ فى منتصف فصل الصيف الى ٦٠ و ٨٠ درجة فى منتصف فصل الشتاء ، غير أن درجات الحرارة القصوى تتراوح فى البصرة حيث يصل معدلها الاقصى من ٢٤ الى ١٢٢ درجة ، وفى لنجة على الساحل الفارسى يتراوح معدلها من ٤١ الى ١٠٩ درجات ، وفى مسقط من ٤٩ الى ١١٦ ، كذلك فان نسبة الرطوبة عالية بحيث تجعل الحر أكثر قسوة ، ويكثر الضباب أحيانا وعلى الأخص فى الأطراف

(١) ملاحظة عملية مسح للشواطئ الشرقية للخليج : اللفتنانت جى .

بى . كاميثورن .

السفلى للخليج ويبدأ الضباب يتجمع فى الصباح الباكر حتى يصير كثيفا جدا بحيث يغمر البواخر وهى فى الميناء ، اما العواصف الرملية فمألوفة جدا وتزداد حدتها فى اشهر الصيف . وفى الشمال تهب الرياح السائدة فى المنطقة من الشمال الغربى . اما فصل الشتاء فانه ياتى فجأة بعواصفه وأخطاره وعلى الأخص فى شهرى يناير وفبراير ، وفيهما تصبح الملاحه قرب الشواطىء الجنوبية للخليج خطيرة جدا . وتهب الرياح الشمالية الصيفية خفيفة وان كانت احيانا تهب قوية وتكتسح معها كميات من الاتربة والرمال . ولا تزال الملاريا من الامراض المستوطنة فى المنطقة وكذلك حمى التيفود منتشرة فى المناطق الساحلية . ومنذ قرن مضى كانت المنطقة تتعرض لموجات منتظمة من وباء الجدرى والطاعون والكوليرا .

كانت الملاحه فى الخليج قبل مائة وخمسين عاما عملا محفوفًا بالأخطار ، فعلى طول الشاطىء الممتد نحو ٥٠٠ ميل من شط العرب حتى مضيق هرمز توجد الجزر والمنخفضات والصخور والتيارات وحتى ذلك الوقت لم تكن توجد لهذه المنطقة خرائط صحيحة .

وتزداد التيارات السطحية حدة حتى انها تفوق على حركة المد والجزر ، فعلى مدخل الخليج يكون التيار قويا وفيما بين رأس مسندم والقوين توجد دوامات وتيارات . ولم تكن توجد خريطة معتمدة للخليج فى القرن الثامن عشر . وكانت الخريطة الوحيدة الموجودة هى التى قام باعدادها كارستون ينهور فى القرن الثامن عشر . وقد قامت البحرية التابعة لحكومة بومباى بأعمال مسح قليلة لشواطىء الخليج الواقعة شمال غربى الهند . كما تم مسح سواحل كتياورا والسند ومكران الفارسية فى عام ١٧٧٢ مع جزء من الساحل العمانى امتدادا من مسقط حتى رأس الحد ، ولفترة امتدت خمسين عاما بقيت هذه البقعة الصغيرة هى المنطقة الوحيدة من الشاطىء العربى التى تم مسحها مسحا تاما . ولم يكن يعرف الأوربيون شيئا عن الجانب العربى من الخليج وكانت الملاحه فى الخليج تتجه عبر الخط الرئيسى للساحل الفارسى ولم تكن أى سفينة أوروبية تجرؤ على الدخول فى النصف الغربى من الخليج منذ خروج البرتغاليين منه . وكانت مسقط هى الميناء الوحيد على الجانب الغربى للخليج الذى كانت ترتاده السفن الأوروبية .

وفى عام ١٧٨٥ قام اللغتنانت جون مكلور من البحرية الهندية بمسح للساحل الفارسى ولقد ركز عمله على تصحيح الجوانب التفصيلية لخريطة ينبهور حيث حدد مواقع الجزر والسواحل وأعد رسوما للموانى (١) وقد انتفع بهذه الخريطة فيما بعد جيمس هور سيرج أخصائى الخرائط المائية التابع لشركة الهند الشرقية فى كتابه « دليل الهند » غير أن جيمس حصر أعماله فى النواحى الملاحية للجانب الفارسى ولم يتناول الجانب العربى للخليج الا فى صفحة واحدة ، وأشار جيمس الى أن هذا الجانب من الخليج لم يكن يلقى الاهتمام من السفن الاوربية لقللة المعلومات عنه ولأنه منطقة غير مأمونة (٢) وكان الإبحار الى الخليج من الهند خلال الرياح الموسمية الشمالية الشرقية والتي تستمر من اكتوبر حتى ابريل لا يستغرق أكثر من أسبوعين ، أما خلال الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من مايو حتى سبتمبر فقد كان يستغرق من أربعة الى ستة أسابيع ، وكان على كل سفينة أن تغير اتجاهها نحو الغرب بنحو ٥ الى ١٠ درجات جنوب خط الاستواء ثم تعود فتنججه شمالا ، ثم تبحر قبل حلول المونسون لتصل الى الشاطئء بالقرب من رأس الحد .

وهكذا أصبح وضع الشركة غامضا فى الخليج خلال العقد الاخير من القرن الثامن عشر بحيث بات من الصعب عليها أن تحدد على أى الأسس سوف تستمر علاقاتها التجارية بالمنطقة . وكان وضعها التجارى مضحكا كما لم تكن لها مصلحة سياسية فى المنطقة ، فالنشاط السياسى للمقيم البريطانى فى الخليج كان قد توقف بقرار من مجلس الادارة رغم أن هذا الحظر لم يكن له ما يبرره خصوصا وأنه لم تكن هناك سلطة مركزية فى فارس للتعامل معها ، وربما كان لذلك الحظر ما يبرره حيث كان وجود النشاط السياسى للمقيم البريطانى مدعاة للحرج أكثر منه للمصلحة ، واذا أخذنا فى الاعتبار انعدام أى مصلحة

(١) بحث عن الملاحة فيما بين الهند والخليج على مدار العام « طبعة لندن

١٧٨٦ » .

(٢) « اتجاه الملاحة من والى الهند الشرقية والصين وهولندا الجديدة

ورأس الرجاء الصالح » . الخ مجلدات طبعة لندن عام ١٨٠٩ .

للشركة فى الخليج خلال العقد الأخير من القرن فان انسحابها انسحابا كلياً من المسرح يعتبر أمراً معقولاً ، وذلك على غرار انسحابها فى السنوات السابقة من مناطق أخرى من الشرق عندما أصبح بقاؤها أكثر حذراً من انسحابها .

ومن المشكوك فيه على أى حال ما اذا كان فى مقدور الشركة فى ذلك الوقت الانسحاب بسبب المسؤولية التى كانت تتحملها بالنسبة لتجارة تلك المنطقة مع الهند . ان قلادة التكريم التى منحها الاميرال المغولى لقائد بحرية الشركة لم يكن يمنحها عبثاً لأنها مسؤولة تتعلق بحماية تجارة الشركة وبالتالى تجارة البحرية الهندية التى كان القائد مسئولاً عنها ، كما كانت تلك الحماية تشمل سفناً أخرى غير السفن التى ترفع أعلام الشركة والتى تعمل فى الخليجان الفارسية والعربية قبل عام ١٧٥٩ ، وربما أصبحت تلك الحماية فيما بعد ذلك مسؤولة قانونية تتحملها الشركة ، والواقع ان هذه المهمة كان لابد ان تدخل الى حيز التنفيذ قبل العقد الأول من القرن التالى عندما انطلقت ضد خطوط الملاحة فى الخليج ، كما جعلت الحرب مع فرنسا عام ١٧٩٣ ، ثم الحملة الفرنسية على مصر بعد ذلك بخمسة أعوام وانسحاب الشركة من الخليج أمراً يكاد يكون مستحيلاً .

الفصل الثانى

الحرب مع فرنسا والوفود الى فارس

١٧٩٨ - ١٨١٤

فى يوليو ١٧٩٨ نزلت الى الأراضى المصرية قوة فرنسية بقيادة نابليون بوناپرت ، وبعد ثلاثة أسابيع من وصول هذه القوة استطاعت أن تقضى على نفوذ الحكام المماليك فى مصر فى موقعة الهرم ، وبذلك مهدت لقائد الحملة الشاب طريق فتوحاته فى الشرق ، غير أن احتلال نابليون لمصر لم يكن غاية فى حد ذاته .

لقد كانت فرنسا فى ذلك الوقت آخذة فى التوسع والفتوحات . وكان تاليران الذى اختير وزيرا لخارجية فرنسا فى شهر سبتمبر عام ١٧٩٧ يؤمن بحاجة فرنسا الى التوسع والاستعمار ، وكان الشرق هو الميدان الوحيد أمام فرنسا لتحقيق تلك الأطماع ، ورغم أن احتلال فرنسا لمصر كان هدفا مرغوبا فيه ، إلا أنه كان يخدم أهدافا أخرى أكثر طموحا . وعلى أساس الاحتلال الفرنسى أمكن تحويل التجارة من طريق رأس الرجاء الصالح الى خليج السويس ، الأمر الذى يتيح لفرنسا من خلاله الانتقاض على الوجود البريطانى فى الهند والحصول على السفن اللازمة لهذه الخطة من البحر الأحمر وجزر موريشيوس الفرنسية ، وكان الدافع الرئيسى لسياسة تاليران هو العمل على اضعاف انجلترا بتوجيه ضربة اليها فى أقوى مواقعها ، أى تجارتها مع الشرق ومستعمراتها فى الهند . وربما كان لتلك السياسة دوافع أخرى كالاحتفاظ بنوع من النظام الارستقراطى فى أوروبا عن طريق تحويل اهتمام رجال الادارة الفرنسيين عن أوروبا الى مغامرات فى الشرق لصرف انظارهم . وكان نابليون بوناپرت يؤيد الحملة الفرنسية على مصر كل التأييد . وكان الاثنان يعدان العدة بالاشتراك مع رجال الادارة الفرنسيين (١) .

(١) ردود الفعل السياسية لحملة بوناپرت الشرقية بقلم جى هولاند

روس فى المجلة التاريخية الانجليزية (١٩٢٩) ص ٤٨ - ٥٨ .

وكان صدى الحملة الفرنسية على مصر ملحوظا وبعيد المدى . فحتى ذلك الوقت كان الدفاع عن الممتلكات البريطانية في الهند ، يعتمد على القوة البحرية . وكانت المحاولات الفرنسية للتوسع في الشرق تنطلق سابقا من جزر موريشيوس الواقعة على السكريدنيز فلابور دونى وديلون وبوس الذين حاربوا والبحر من ورائهم . أما بونابرت فقد اختار مصر كنقطة انطلاق لفتوحاته ، وكان يعتمد على جيش لم يكن له مثيل في الشرق . ولأول مرة اثارت محاولاته قلق الحكومة البريطانية التي كانت ترى جيوشه وهى تقترب من حدود الهند والمداخل البحرية للخليج والبحر الأحمر والحدود الدولية لفارس وأفغانستان .

وكان من نتيجة ذلك أن اضطرت بريطانيا الى اقامة علاقات سياسية مستديمة مع الامبراطوريتين العثمانية والفارسية بهدف حماية المستعمرات البريطانية في الهند ضد عدوان الدولة الأوربية من الشمال الشرقى . وحتى قبل أن يبحر جيش بونابرت من ميناء طولون كان بصيص من أخباره قد وصل الى لندن كما نعى الى علم مجلس الهند(١) أن تيبو سلطان حاكم ميسور ، وكان

(١) وقد تم انشاء مجلس المحافظين لادارة شؤون الهند بموجب أحكام القانون الصادر ١٧٨٤ ووكلت الى هذا المجلس كل من الشؤون السياسية والعسكرية لشركة الهند الشرقية وكان يتألف من ستة أعضاء متفرغين من مجلس الشورى بما في ذلك أحد أعضاء مجلس الدولة ووزير الخزانة وخول هذا المجلس صلاحية الاشراف على اللجنة السياسية لمجلس ادارة الشركة ولكى ينقل القرارات التى تصدرها الشركة الى الهند فى كل المسائل التى تتعلق بالحرب والسلام أو فى المفاوضات مع الدول خارج الاراضى التابعة للشركة أما مكتب رئيس مجلس الادارة أو « مجلس الهند » كما كان يسمى فقد انشأه واندس عام ١٧٩٣ . بحيث أخرج من عضويته وزير الدولة ووزير الخزانة ولكن أضيف ائيه اثنان من المحافظين ليسا من أعضاء مجلس الشورى . ويمضى الوقت وازدياد سيطرة المجلس على شؤون الشركة ازدادت مسؤوليات الرئيس حتى بلغت صلاحياته الى مستوى صلاحيات رئيس ادارة فى حكومة . وكان يعتبر عادة =

هو من ألد أعداء الشركة قد عقد حلفا مع حاكم جزر موريشيوس الفرنسي هنرى داندس رئيس الوزراء وزير الحربية يومئذ ، يعتقد بأنه على الرغم من أن مصر هى الوجهة المباشرة للحملة الفرنسية الا أن الهدف النهائى منها هو الاطاحة بالنفوذ البريطانى فى الهند . وفى ١٣ يونيو فاتح دانداس اللورد جرينفيلد وزير الخارجية فى هذا الأمر وأشار فى المذكرة التى بعث بها إليه أن امام بونابرت أربعة اتجاهات للزحف منها على الهند بعد أن يكون قد وصل الى الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط : الأول من القسطنطينية عبر البحر الأسود جنونا عبر طريق تركيا الشرقية ، والثانى من السويس نزولا الى البحر الأحمر ، والثالث من جدة عن طريق الحجاز واليمن عبر ساحل حضرموت ومسقط ومنه الى الشواطئ الهندية ، والرابع عن طريق الصحراء السورية الى بغداد ورأس الخليج ثم منه الى الهند ، وكان دانداس يعتقد بأن الأتراك والروس لن يسمحا بمرور جيش نابليون عن طريق البحر الأسود كما أنه لن تتوفر لذلك الجيش سفن فى البحر الأحمر ، كما أن هناك صعوبات لو حاول هذا الجيش المرور عن طريق سوريا بينما يمكن بسهولة فرض حصار على البحر الأحمر والخليج من جانب الأسطول البريطانى . كل هذه الأسباب تقنعنى كما قال دنداس بأنه لو قدر لمغامرة نابليون أن تتم فانها على الأرجح سوف تتفادى طريق البحر باعتبارها غير مأمون وبالتالي فسوف يحاول نابليون وبمعاونة أتباعه أن يزحف على الهند عن طريق حلب مروراً بالفرات ودجلة ثم منها الى الخليج ، ومن الخليج سوف ينقل عبر الساحل الى منطقة نهر الأندس (١) .

== أحد أعضاء مجلس الوزراء واعتباراً من عام ١٨٤١ فصاعداً كان هو العضو الوحيد المعين فى اللجنة الملكية وقد أضيفت أسماء عدد من الأعضاء السابقين ضمن الميثاق المعدل لسنة ١٨٣٣ ، ١٨٣٤ ، وفى عام ١٨٥٥ حل محل هذا المكتب مكتب وزير الدولة لشئون الهند كما حل محل مجلس إدارة الهند المجلس الأعلى للهند .

(١) رسائل ومحاضر وتقاير الماركويس ويلسلى مجلد ٥ الطبعة الثانية لندن ١٨٤٠ ملحق ١ - ح انظر أيضا نفس المجلد ص ٣٤٨ - ٣٥١ من داندس الى ويلسلى ١٧٩٨/٦/١٦ .

(م ٧ - بريطانيا والخليج)

غير أن جراينفيل لم يقتنع بمسببات داندس فعاد يقترح عليه الرجوع الى خريطة آسيا . ولكنه ابدى استعدادة للاتصال بكل من تركيا وروسيا للاستعانة بهما ضد نابليون اذا حاول غزو مصر واحتلالها . ولقد قام داندس فعلا باعداد قوة من ٤ آلاف جندي وارسالها الى الهند لتعزيز القوات البريطانية المرابطة هناك ، كما قامت الاميرالية بناء على تعليمات باصدار امرها للابحار بثلاث قطع من الاسطول البريطانى الى منطقة البحر الاحمر عن طريق الراس للقيام بدوريات فيما بين منطقتى الخليج والبحر الاحمر . كما صدرت الاوامر الى الحكومة فى بمباى للاستيلاء على جزيرة بريم فى باب المندب ، واقامة تحصينات فيها لاغلاق طريق البحر فى وجه نابليون ، كذلك طلب الى الحكومة السامية فى كلكتا (٢) أن تقوم بسلسلة من الاتصالات بحكام الولايات الشمالية الغربية من الهند لاقتناعهم بصد أى هجوم قد يقوم به الفرنسيون على الهند . وبالإضافة الى هذه الاتصالات تم الايعاز الى هارفورد جونز الوكيل التجارى المساعد للشركة فى البصرة والذى كان يومئذ يقضى اجازته فى انجلترا بقطع اجازته والعودة الى العراق فوراً لانشاء ممثلية بريطانية فى بغداد والعمل على كسب الوالى والعمل التركى سليمان باشا الى صف انجلترا .

وقد بدأت الشكوك تحوم حول النوايا الفرنسية قبل ذلك بسنتين ، أى عندما وصل اثنان من علماء التاريخ الطبيعى البارزين فى فرنسا ، وهما بروجى وأوليفر الى طهران ، وبقياً فيها ثلاثة أشهر لبحث الاوضاع السياسية

(١) لقد خولت حكومة البنغال صلاحيات مطلقة للاشراف على شئون الشركة فى الهند وعلى الأخص فى علاقاتها بالدول المجاورة وان كان الحاكم العام هو الذى يمارس تلك المسئولية كمسئولية مستقلة عن وظيفة رئيس مجلس الشركة فورت ويليام (فى البنغال) ويعتبر المجلس الأعلى للحكم كما أن حكومة البنغال والحكومة السامية هما من الناحية العملية سلطة واحدة وقد استمر العمل بهذا النظام حتى ١٨٣٤ عندما تحولت الحكومة السامية الى حكومة الهند .

في فارس واجراء محادثات مع وزراء الشاه(١) ولقد عاد المبعوثان الى بغداد في ديسمبر عام ١٧٩٦ ثم غادراها مرة اخرى الى القسطنطينية ، وذلك في شهر مايو من نفس العام . واعقب ذلك تعيين قنصل فرنسي في بغداد في شخص جان بابيثر روسو ابن عم المفكر الفرنسي المشهور جان جاك روسو(٢) .

ووصلت انباء الحملة الفرنسية على مصر الى الهند في شهر اغسطس ، ثم سرعان ماتبعها نبأ تحطيم الاسطول الفرنسي على يد نلسون في خليج أبو قير يوم اول اغسطس ، وبانقطاع خطوط مواصلات نابليون بونابرت مع فرنسا كان من المتوقع أن تتعثر تحركاته المقبلة ، وقد اثار هذا الوضع الارتياح في نفس الحاكم العام الجديد اللورد ويلسلي الذي كان في نفس الوقت مشغولا بقمع حركة تيبو سلطان في جنوب الهند ومواجهة الأفغانيين على الحدود الشمالية الغربية للهند وحصار الفرنسيين في جزر موريشيوس ، ولم تكن في منطقة الهند الشرقية أى سفينة يمكن أن تقوم بأعمال المراقبة لأى تحرك قد يقوم به نابليون من مصر ، وكان الاميرال بيتر رينز القائد العام للقوات البريطانية في الهند الشرقية يشرف على مراقبة تحركات تيبو سلطان على ساحل البنغال ، ولكي يحول بين تيبو سلطان والاتصال بالفرنسيين في جزيرة موريشيوس ، وكانت بقية قوات الاميرال رينز موزعة على امتداد السواحل الشرقية .

ولم يعلم رينز باحتلال نابليون لمصر قبل شهر نوفمبر وعندئذ فقد هرع مبحرا الى بومباي بأسرع مايسطيع وعند وصوله الى بومباي حاصرته موجة من الاشاعات عن التحركات الفرنسية (من هذه الاشاعات أن نابليون كان

(١) من الموضوعات التي تناولتها مهمة المبعوثين كما جاء في التقرير موضوع اعادة فتح المراكز الفرنسية في شيراز وأصفهان وبندر عباس وأنشاء مركز فرنسي في جزيرة خرك الواقعة غير بعيد من بوشهر واحتمال عقد حلف تحت اشراف فرنسا بين تركيا وفارس ضد روسيا .

(٢) للاطلاع على تنقلات العالمين المذكورين في العراق وفارس انظر : « فارس والخليج » ولقد عاد أوليفر بمفرده الى فرنسا عام ١٧٩٨ أما بروجي فقد توفي من الحمى وكان في طريقه الى فرنسا .

موجودا في السويس على رأس جيش قوامه ٨٠ ألف رجل على أهبة الزحف ، ولكنه لم يأبه بتلك الاشاعات كثيرا فقد كان يعرف أن نابليون لم يكن يمتلك السفن الكافية للزحف عن طريق البحر الأحمر . كما أن زحفه عن طريق سوريا والعراق يبدو بعيد الاحتمال . وقد رفع هارفورد جونز من بغداد تقريرا على اثر وصوله في شهر سبتمبر جاء فيه ، أن سليمان باشا قد تعهد له بمقاومة أى هجوم يقوم به الفرنسيون في اتجاه الخليج ، وكدليل على حسن نية الوالى نحو بريطانيا فقد احتجزا عنده في منزله القنصل الفرنسي روسو(١) . ولهذه الاعتبارات لم تعد مراقبة التحركات الفرنسية في الخليج ضرورية على حد تصور رينز وان كان هذا القائد مستعدا للتمشى مع رغبة السلطات الحاكمة في بمباى، فقد وعدها بأنه في حالة وصول السفن العاملة في بحرالصين فانه سوف يقوم بارسال بعضها للخليج لكي تقوم بأعمال الرقابة والدوريات بين مسقط والبصرة(٢) .

أما موقف حاكم مسقط سلطان بن أحمد من تلك التطورات فلم يكن واضحا . ومنذ انفجار الحرب الثورية في سنة ١٧٩٣ ظل آل بوسعيد بعيدين عن التورط في أكثر الأحوال كما أنهم رفضوا السماح للأوربيين بإنشاء مراكز تجارية لهم في مسقط ، كما أنهم لم يسمحوا بأن تصبح سواحلهم منطقة للصراع ولكنهم وافقوا لحكومة بمباى على تعيين سمسار هندي لها في مسقط للإشراف على التجارة البريطانية والبريد البريطانى ، وذلك فى مقابل تنازل حكومة البنغال لمسقط عن امتياز استخراج الملح بحيث تستطيع السفن العمانية الحصول على حاجاتها من الملح من كلكتا .

وفى عام ١٧٩٦ انتشرت الاشاعات عن أن حكومة مسقط تنوى التنازل عن حياها فى الصراع بين انجلترا وفرنسا ، وكان السبب هو تسرب معلومات

(١) فهرس الخليج مجلد ٢٣ من خطاب من جونز الى دنتش من

بغداد في ٢٨ سبتمبر سنة ١٧٩٨ .

(٢) من خطاب مرسل من رينز الى ايهان نبين « وزير البحرية » من

بومباى في ٢ ديسمبر سنة ١٧٩٨ .

عن تحركات للسفن البريطانية تحمل تجارا من مسقط الى جزيرة موريشيوس ، وأن الفرنسيين كانوا يزورون مسقط وهم فى طريقهم الى فارس والمشرق (١) ، ولم تتحسن الأحوال من وجهة النظر البريطانية باشتراك تجار مسقط فى نشاط تجارى ناجح عن طريق تصريف السلع البريطانية وبيع السفن المصادرة من جانب الفرنسيين ، كما أن مفعول الحصار البريطانى لجزر موريشيوس لم يؤد الغرض منه بسبب تزايد التبادل التجارى بين مسقط وجزيرة موريشيوس .

وبنهاية عام ١٧٩٦ اوفد حاكم بومباى جو ناثان دنكن أحد المسئولين الى مسقط ليتأكد عما اذا كان هناك فرنسيون فى مسقط ، وليطلب من حاكم مسقط سلطان ابن أحمد ايضاح موقفه من كل من شركة الهند الشرقية والفرنسيين ، وقد كان رد حاكم مسقط على جانب كبير من الأهمية حيث ذكر فى رسالته (أنه منذ الزمن القديم فان اواصر الصداقة والمودة ظلت قائمة بين حكومتينا ، وانه بحول الله مادام هناك نفس فى الجسم ، فان جنة الحجب والتفاهم سوف تبقى يانعة الثمار ، يرويهاماء المحبة والاخلاص ولهذه الأسباب فان اصدقاء الشركة الموقرة هم اصدقائى وأعداءها هم أعدائى(٢)) .

وقد بهرت دنكان فصاحة خطاب السلطان ، ولذلك قرر الايثر الموضوع مرة اخرى الى أن وصل نابليون الى مصر مما أضفى على مسألة موقف السلطان أهمية جديدة وخطيرة . وقد كانت مسقط بالنظر الى موقعها ووجود أنسب مرفأ فيها تشكل موقعا ملائما لبونابرت للانطلاق منه اذا ما فكر فى الزحف على الهند . وعلى هذا الأساس فقد أصدر دنكان تعليماته فى شهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ الى مهدي على خان ، وهو المواطن الفارسى الذى كان يعمل فى شركة الهند الشرقية منذ زمن طويل والذى كان قد عين قبل ذلك بوقت قصير فى منصب المقيم البريطانى فى بوشهر ، بالتوجه الى مسقط فى طريقه لاستلام

(١) للاطلاع على حقيقة العلاقات بين فرنسا ومسقط فى تلك الحقبة

يراجع كتاب ايه اوزوس (١٩٠٩) من ص ٥١٨ - ٥٤٠ .

(٢) وثائق حكومة بومباى حول اول اتصال بين شركة الهند الشرقية

والخليج - مضمون خطاب من سلطان بن أحمد الى دنكان .

منصبه ، ولكي يتأكد من السلطان عما اذا كان على استعداد لإبعاد الفرنسيين والهولنديين من بلاده خلال فترة الحرب ، وما اذا كان يسمح لشركة الهند الشرقية بأن تقيم مركزا لها في مسقط . وقد سمع بأن السلطان قد عين طبيبا فرنسيا خاصا له فان صحت تلك الاشاعة فان عليه أن يطلب من السلطان فصل الطبيب الفرنسي من العمل ويعين طبيبا من بومباي ليحل محله (١) . وقد وصل مهدي على الى مسقط في الأسبوع الأول من أكتوبر ، وبعد مباحثات استغرقت بضعة أيام نجح في اقناع السلطان سلطان بن أحمد بالتوقيع على اتفاقية مكتوبة في يوم ١٢ أكتوبر ، تعهد السلطان في البند الثاني منها : أن كل صديق للسركار (أي الحكومة البريطانية) هو صديق له والعكس بالعكس وبالمثل فان عدو السركار هو بالتالي عدو للسلطان والعكس بالعكس (٢) وفي البند الثالث من الاتفاقية ، تعهد السلطان ألا يسمح للفرنسيين أو الهولنديين (٣) بإنشاء مركز تجارى لهم في أراضيه وألا يكون لهم موطىء قدم في أى جزء من دولته . غير أن هذا الحظر كما ورد في البند التالى من الاتفاقية لم يكن يسرى على السفن الفرنسية التى تزور مسقط ، اما في حالة نشوب قتال بين السفن الفرنسية والسفن البريطانية في مياه مسقط فقد تعهد السلطان بالوقوف الى جانب البريطانيين، وعلى أى حال فانه لم يطلب من السلطان بأن يلتزم بالاشتراك الفعلى في القتال خارج المياه الاقليمية ولكن السلطان رفض أن يمنح حق اقامة مركز تجارى لبريطانيا في مسقط بحجة أن ذلك سيثير عداة الفرنسيين له كما سيؤدى الى الأضرار بمركز مسقط التجارى ، وانه قد يسمح بفتح مثل هذا المركز اذا تعهدت له الشركة بحماية اسطول مسقط التجارى من اعتداءات الفرنسيين .

ومن ناحية أخرى فقد أعرب السلطان عن رغبته في السماح للشركة باعادة

-
- (١) وثائق حكومة بومباي حول أول اتصال بين شركة الهند الشرقية والخليج مضمون خطاب من دنكان الى مهدي على خان .
 (٢) معاهدات اعداد اتشيسون .
 (٣) نفس المصدر .

فتح مركزها السابق في بندر عباس التي كانت حتى ذلك الوقت خاضعة له رغم انه قد رفض طلبا للفرنسيين والهولنديين^(١) ومقابل هذه التنازلات وضع السلطان سلطان بن أحمد شرطين ، أولهما أن على الشركة أن تتعهد بتوفير الخشب والماء مجانا لسفنه في موانئ بومباي وكلكتا بنفس الطريقة التي يوفرها السلطان لسفن الشركة في بلاده ، أما الشرط الثاني فهو زيادة كمية الملح التي تحصل عليها سفن السلطان بين كلكتا من ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ من^(٢) . ولم تحاول السلطات البريطانية في الهند مرة أخرى خلال الفترة الباقية من عام ١٧٩٨ م أن تعزز من وجودها في الخليج أو على أقطاره الساحلية وفضلت التريث لترى ما الذي سيفعله نابليون وفي نهاية ديسمبر زار نابليون السويس وأصدر أمرا للبدء في انشاء أسطول ، وكانت المساعدة التي يمكن أن تقدمها له الحامية الصغيرة في جوز موريشيوس ضئيلة جدا فقد كانت اثنتان من بوارج حاكم الجزيرة في المياه الشرقية ، والثالثة في خليج البنغال ، وهي السفينة التي تمت مصادرتها فيما بعد . وفي يناير سنة ١٧٩٩ وجه بونايرت خطابين الى سلطان بن أحمد وتيبو سلطان يبلغهما بأن أى سفن تصل الى السويس من بلديهما سوف تلقى كل تسهيل ومساعدة ، كما وعد لاخير بتقديم المساعدة اليه في صراعه ضد البريطانيين^(٣) ولكن عملاء الشركة تمكنوا من

(١) نفس المصدر والواقع أن الشركة كانت بالفعل تتمتع بهذا الحق وذلك بموجب سلسلة من الفرمانات التي صدرت عن ملوك فارس بالتعاقد على امتداد الـ ١٥٠ عاما السابقة بحيث تجيز للشركة أن تحتفظ بمركز لها في بندر عباس وبالتالي فقد كان من المشكوك فيه فيما اذا كان استيلاء مسقط على بندر عباس وماتبه من استئجار للميناء من حكومة فارس قد أبطل ذلك الحق .

(٢) وثائق حكومة بومباي اول اتصال لشركة الهند الشرقية بالخليج مضمون خطاب من مهدي على خان الى دنكان في ١٤ أكتوبر ١٧٩٨ .

(٣) مضمون خطاب بونايرت الى سلطان بن أحمد وقد ورد في مؤلف السير رجلاند كوبلان وعنوانه « أفريقيا الشرقية وغزواتها طبعة اكسفورد »

مصادرة الخطابين في موكا وأرسلوهما الى بومباي مما جدد الشكوك حول انتهاك سلطان بن أحمد للاتفاقية التي وقعها مع البريطانيين ، كما علم بأن السلطان لا يزال يستخدم الفرنسيين في بلاطه ، وأنه كان يتبادل الرسائل مع تيبو سلطان عن طريق المعتمد السياسي لميسور في مسقط . كما كان ممثله في زنجبار يظهر موقفا معاديا من الكومندور جون بلانكت قائد الوحدة البحرية المرسلة من انجلترا في شهر يوليو سنة ١٧٩٨ أثناء زيارة القائد لزنجبار ، وفي شهر فبراير سنة ١٧٩٩ عندما كان في طريقه الى البحر الأحمر ، وفي ابريل اكتشفت مؤامرة في البنغال اشترك فيها صهر نابليون للاطاحة بالحكم البريطاني بمساندة من حاكم أفغانستان زمان شاه ، كما تبين أن عددا من الشخصيات البارزة في مسقط من بينهما الوالى نفسه كان لها ضلع في الرسائل المتبادلة والتي تم الاستيلاء عليها . وفي الشهر التالي وصل الى الهند خطاب من السيد سلطان يعرب فيه عن تمسكه بصداقته لبريطانيا . غير أن البريطانيين لم يأخذوا مضمون الخطاب مأخذ الجد وقرروا وضع رقابة دقيقة على مسقط وحاكمها في ذلك الوقت (١) ، على أن التهديد الذي كان يشكله الجيش الفرنسي بدأ يتلاشى في اواخر ربيع سنة ١٧٩٩ ، وفي الثاني من يناير من نفس العام وقعت معاهدة تحالف بين بريطانيا والباب العالي تقوم على أساس اقضاء الفرنسيين من مصر، وفي شهر مارس توقف زحف قوات نابليون على سوريا امام قلعة عكا حيث استطاعت القلعة مقاومة الهجوم طوال مدة الحصار الذي كان مفروضا عليها ، وفي ٢١ مايو اضطر نابليون الى رفع الحصار والتراجع والعودة الى مصر كما اخذ يتلاشى احتمال قيامه بزحف على الهند عن طريق العراق او البحر الأحمر، فقد كان بلانكت يسيطر على البحر الأحمر بالسفن الخمسة التي كان يقودها سيطرة كاملة ، كما فرض حصارا محكما على السويس والقصر كما أغلق مضيق باب المندب في شهر مايو بعد احتلال جزيرة ويلسلي وأن يتخلص من تيبو سلطان عن طريق الاستيلاء على سوينجا باتام ، وقد قتل تيبو سلطان في هذه المعركة

(١) « فارس والخليج » مجلد ٢١ مضمون رسالة من دنكان الى

رينز في ٨ مايو سنة ١٧٩٩ .

وبالقضاء على تيبو سلطان وتحطم الهجوم الفرنسي على سوريا أصبح ويلسلى فى موقف يسمح له بتوجيه اهتمامه للخطر الأهم وهو زمان شاه حاكم أفغانستان .

استطاع زمان شاه فيما بين سنة ١٧٩٢ ، ١٧٩٧ أن ينقض ثلاث مرات على المنطقة الشمالية من الهند وخلال فترتين من تلك الحملات استطاع أن يعبر نهر الأندس ويجتاح البنغال ، وفى خريف سنة ١٧٩٨ عاد يهدد البنغال من جديد انطلاقا من قاعدته المتقدمة فى بشاور ، وكان مفتاح وضع حد لتهديدات زمان شاه يوجد فى فارس ، فقد كان بابا خان أو فتح على شاه الذى أصبح فيما بعد حاكما جديدا للقاجار تراوده الأطماع فى توسيع منطقة نفوذه نحو خراسان كما كان يسعى الى أن يسترد من زمان شاه المناطق التى كانت فى حوزة الصفويين سابقا ، وكان يبدو أنه لو أمكن تقديم مساعدات مغرية اليه فان ذلك قد يؤدى الى حدوث انشقاقات فى أفغانستان الغربية مما يرغم زمان شاه على التخلص من غزوه للهند . وكان رأى ويلسلى ، أن هذه المحاولة قد تسهم أيضا فى حمل الشاه على مقاومة المحاولات التى كان يقوم بها الفرنسيون لكسب الفرس . وبناء على تعليمات من ويلسلى أجرى مهدى على خان اتصالا بالشاه فى نهاية ١٧٩٨ غير أن عبارات التهجم على زمان شاه والأمر الذى أصدره شاه فارس بالقبض على أى مواطن فرسى يتواجد على الساحل الفارسى للخليج قد غيرت تلك الاتصالات ولم تنم عن أى شىء .

وكنتيجة لوصول معلومات فى صيف ١٧٩٩ بأن زمان شاه ينوى القيام بهجوم جديد على البنجاب اقتنع ويلسلى بأن ارسال وفد كامل الى بلاط فارس أصبح أمرا ضروريا . وفى شهر أغسطس اختار ويلسلى الكابتن جون مالكولم مساعد المقيم البريطانى فى حيدر اباد لهذه المهمة ، وكان مالكولم فى ذلك الوقت فى الثلاثين من عمره ، وقد جاء الى الهند كجندى تحت التمرين فى جيش الشركة ، وكان عمره اذ ذاك أربعة عشر عاما وقد شهد عمليات حربية فى ميسور فى سنة ١٧٩٠ ، وفى عام ١٧٩٨ نقلت خدماته الى السلك السياسى حيث عين فى حيدر اباد ، وحتى ذلك الوقت لم تظهر أى دلائل على نبوغه غير العادى ،

وكل ما كان معروفا عنه انه شجاع وعنيف وطموح مما جعله يحظى باهتمام الحاكم العام وتقديره ، وقد تلقى مالكولم التعليمات الخاصة بمهمته في ١٠ أكتوبر ١٧٩٩ ، وكان الهدف الرئيسى من مهمته هو أن يحول بين زمان شاه وغزو الهند أما الهدف الثانى لمهمته فهو الحصول على تعاون من فتح على شاه على مقاومة أى محاولات يقوم بها الفرنسيون للوصول الى الهند عن طريق فارس . او الخليج الفارسى (١) .

وقد فوض مالكولم بعقد اتفاقية مع حاكم فارس يتعهد فيها بهذين المطلبين في مقابل أن تتعهد بريطانيا بدفع معونة مالية سنوية له في حدود ٤٠٠.٠٠٠ روية (أى ما يعادل ٤٠٠.٠٠٠ ج س) طوال سريان فترة المعاهدة ، وهى ثلاث سنوات مع احتمال تجديدها ، أما بالنسبة للفرنسيين فان ويلسلى لم يزود مالكولم بتعليمات محددة وانما ترك له حرية اختيار أسلوب اقناع الشاه بقطع علاقاته بالفرنسيين فيما اذا حاول الفرنسيون التوغل الى آسيا فسوف يقدم الأسطول البريطاني مساندة للشاه . واذا ازاد الشاه الاشتراك في القتال ضد فرنسا فان الحكومة البريطانية سوف تتعهد له بدفع معونة مالية شهرية مقابل ذلك . كما أوضح ويلسلى لمالكولم بأن يوجه نظر الشاه الى الفوائد التى سوف تتمخض عن قيام تبادل تجارى متحرر ومفتوح بين فارس والهند ، فاذا ما وافق الشاه على هذا الراى فيمكن لمالكولم ان يوقع على معاهدة تجارية دائمة مع فارس لا تنتهى الا بانتهاء المعاهدة السياسية كما كلف بزيارة مسقط وهو في طريقه الى فارس ليحث السلطان على الالتزام باتفاقية سنة ١٧٩٨ ، كما عهد اليه بمحاولة انهاء خلافات السلطان مع سليمان باشا حاكم بغداد، لأن الخلاف المذكور كان يسبب احراجا لحكومة الهند البريطانية نظرا لوجود تحالف بين بريطانيا والباب العالى ، ونظرا لأن الخلاف كان قد نشأ كما يقول السلطان

(١) ان مدى الأهمية التى تظهر كان يعلقها ويلسلى على مهمة مبعوثكم من الحيز الذى افرد لكل من هذه التعليمات فالتعليمات الخاصة بزمان شاه استوفت نحو ثمانى صفحات بينما التعليمات الخاصة بالفرنسيين لم تزد عن صفحة واحدة .

عن امتناع الباشا من دفع المخصصات السنوية التي سبق أن دفعها من عشرين عاما نيابة عن السلطان العثماني للامام أحمد بن سعيد مقابل المساعدة التي قدمتها مسقط للأتراك أثناء حصار الفرس للبصرة ، أما سليمان باشا فكان يتهم السيد سلطان بن أحمد بأنه قد أساء الى التسهيلات الممنوحة له في البصرة ، وأيا كانت صحة هذه الاتهامات فقد طلب من مالكولم بأن يوجه نظر السلطان الى أن سلوكه هذا يتناقض مع روح الاتفاق الذي ينص بأن أصدقاء احدى الدولتين هم أصدقاء الدولة الأخرى (١) .

وقد وصل مالكولم بومباي في نهاية العام ، وكان مدير الجمارك والمحاسب العام قد أعد له تقريراً عن الوضع التجاري ، واقترح فيه بأن تستمر تجارة الهند مع فارس كما كانت في أيدي رجال الأعمال من القطاع الخاص ، وفيما يختص بتجارة الشركة فان التقرير لم يطالب بامتيازات خاصة لها كما اقترح التقرير ان يتقدم مالكولم باقتراح الى الشاه، وهو الاقتراح الذي سبق أن تقدم به مهدي من قبل ، ومؤداه أن تطلب الشركة منحها احدى الجزر القريبة من الساحل الفارسي لاقامة المركز التجاري عليها بحيث يمكن تحويل ذلك المركز في المستقبل الى منطقة تجارية حرة للخليج (٢) . وفي ٢٩ ديسمبر غادر مالكولم

(١) رسائل ويلسلي مجلد ٨٢ - ٩٠ اعداد الكولونيل ويليام كرك باتريك (سكرتير الحاكم العام) الى مالكولم وفورت ويليام ١٠ اكتوبر ١٧٩٩ أما بالنسبة للنزاع بين سلطان مسقط وسليمان باشا فيمكن الاطلاع على وثائق حكومة بومباي بشأن اول اتصال بين شركة الهند الشرقية والخليج مضمون خطاب موجه من مانستى المقيم البريطانى فى بوشهر الى المجلس الوزارى فى حكومة بومباي بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٩٨ و ١٠ اكتوبر و ٢٧ نوفمبر ١٨٩٩ وكذلك « فارس والخليج » مجلد ٢١ مضمون خطاب من مجلس وزراء بومباي الى مالكولم بتاريخ ٢ ديسمبر ١٧٩٩ والمجلد الثالث والعشرين مضمون رسالة من جونز الى مجلس وزراء حكومة بومباي والمرسل من بغداد بتاريخ ٢٣ ابريل ١٨٠٠ .

(٢) وثائق حكومة بومباي حول اتصال لشركة الهند الشرقية بالخليج مضمون خطاب مرسل من مستر فوسد الى دنكان بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٩٩ .

بومباى على الطراد انتريد ، ووصل الى مسقط بعد عشرة ايام ، وكان السيد سلطان حاكم مسقط متغيبا عن البلاد فى جولة بحرية على احدى الفرقاطات لمطاردة بعض القراصنة فى مياه الخليج ، ولقد لحق به مالكولم ، وفى يوم ١٧ يناير التقى بالسلطان بالقرب من جزيرة هنجام ، وقد عقد مالكولم مباحثات طويلة مع السيد سلطان تركزت حول حجم القوات البريطانية فى الهند التى عززت بعد هزيمة سلطان ، وقد أعرب السلطان فى رده عن عميق مشاعر الصداقة نحو البريطانيين ، وقد قدم مالكولم الى السلطان الجراح ارشيلد بوجال من العاملين فى حكومة بومباى ، وطلب منه ان يوافق على تعيينه كوكيل للشركة فى مسقط ، وكان السلطان قد سبق أن عارض اقتراح جونانان دنكان فى عام ١٧٩٨ بتزويده بجراح ، ولكنه وافق فى هذه المرة على تعيين بوجال كطبيب خاص له فى مسقط .

وقد تأكدت هذه الموافقة بعقد اتفاقية بين الطرفين وقع عليها فى ١٨ يناير ١٨٠٠م وكانت تعززا للاتفاق السابق المعقود فى سنة ١٧٩٨ (١) ، وقد اضطر مالكولم الى البقاء فى بوشهر أربعة أشهر فى انتظار مبعوث الشاه ليصحبه الى بلاط صاحب الجلالة الامبراطور ، وخلال هذه الفترة أجرى مالكولم بعض التحريات عن الأوضاع السياسية والاقتصادية فى فارس كانت نتيجتها اقتناع مالكولم بأنه لم تعد هناك جدوى من عقد اتفاقية جديدة بين الشركة وحكومة فارس ، وقد رأى مالكولم أنه من الأفضل أن يظل التبادل التجارى بين الشركة وفارس فى يد القطاع الخاص من التجار وأن يتم الحصول على احدى الجزر القريبة من فارس لانشاء المركز التجارى للشركة ، وكان رأى مالكولم هذا يقوم على اعتبارات سياسية أكثر منها تجارية . وقد كشفت الحملة الفرنسية على مصر عن مواطن الضعف فى الامبراطورية العثمانية كما جعلت تحرك الفرنسيين الى الهند عن طريق الاقاليم العثمانية أمرا محتملا ، كما كان هناك احتمال تحرك

(١) « فارس والخليج » مجلد ٢٢ مضمون خطاب من مالكولم لويلسلى من بوشهر بتاريخ اول فبراير ١٨٠٠ وقد أعيد نشر هذه الاتفاقية فى « كتاب المعاهدات » اعداد ايشون مجلد ١١ ص ٥٥ - ٥٦ .

روسيا من حدودها الجنوبية من بحر قزوين ، وبالتالي فان حصول بريطانيا على جزيرة في فارس سوف يساهم الى حد ما على مواجهة الخطرين من الجهتين ، كما يمكن أن تصبح هذه الجزيرة ملجأ للتجار الفرس والأتراك الذين يبحثون عن منطقة مأمونة يزاولون فيها أعمالهم التجارية، أما اذا تأزمت العلاقات بين الحكومة البريطانية والباب العالي فان ذلك سيؤدى الى خلع باشا بغداد ، وبالتالي سيكون وجود هذا الموقع الحصين في يد بريطانيا في صالح الخليج ، أما الجزر الأخرى الواقعة فى الخليج فلم تكن تصلح فى رأى مالكولم أن تكون قاعدة ، فجزيرة خرك التى كانت مركزا تجاريا للهولنديين سابقا لا تصلح لهذا الغرض ، لأن مرفأها غير حصين كما أنها ليست فى موقع يسمح بالاشراف منه على التجارة بين الهند وفارس ، كما أنها لم تكن تصلح كمنطقة حرة لأنه لا توجد رحلات بينها وبين البصرة (١) ، وكان مالكولم يفضل جزيرة قشم الواقعة عند مدخل الخليج، فلو أمكن تطوير تلك المنطقة فانها قد تجتذب على حد رايه نصف التجارة العابرة الى مسقط ، ويمكن أن يقوم بالاشراف عليها مقيم سياسى بشرط الا يسمح له بالاشتراك فى التجارة وأن توضع تحت اشرافه قسوة مكونة من خمسمائة جندي وطرادين لحماية المنشآت التجارية فى الجزيرة ، ويمكن توفير نفقات صيانة الجزيرة عن طريق فرض رسم قدره ٣٪ على جميع الواردات ، كما أن مالكولم لم يكن يتوقع أى صعوبة فى الحصول على تلك الجزيرة من شاه فارس (٢) .

(١) وثائق حكومة بومباى حول اول اتصال لشركة الهند الشرقية بالخليج الفارسى مضمون رسالة من مالكولم لويلسلى من بوشهر بتاريخ ٢٦ فبراير ١٨٠٠ .

(٢) على الرغم من أن الامبراطور لا يمارس أى سلطة فعلية على أى من الجزر الواقعة فى الخليج الا أن جميع الجزر الواقعة على الشاطئ الشمالى تعتبر جزءا من الامبراطورية وبالتالي فان تقديم طلب اليه لمنح بريطانيا هذه الجزر يعتبر الخطوة الأولى نحو تنفيذ هذه الخطة . . وكان يمكن الحصول على موافقة الشاه بسهولة لأن الجزر فى وضعها ذلك لم تكن ذات أهمية للحكومة . (نفس المصدر) راجع أيضا « فارس والخليج » مجلد ٢٢ مضمون رسالة من مالكولم لويلسلى « من بوشهر فى ٢٢ ابريل و ٥ مايو ١٨٠٠

ولم يتمكن مالكولم من مغادرة بوشهر قبل مايو ان يصل الى طهران قبل نوفمبر ، وكانت رحلته الى العاصمة الفارسية فريدة ، فالى جانب الحاشية التى أحاطت به والمكونة من الأوربيين الستة الرسميين فقد رافقه حرس مكون من مائة جندى وجمع من الخدم والاتباع وبعض المرافقين من الفرس ، وكان الموكب مهيبا ، ويتكون من الجياد والرجال ، ويضم مالا يقل عن ٥٠٠ شخص . وكان مالكولم مقتنعا بأن نجاحه فى تلك المهمة يعتمد على ماسيتركه من انطباع عن مركز وقوة الشركة وعن نفسه كممثل لها لدى الشاه ، وانطلاقا من هذا الاعتبار كان يوزع الهدايا بصورة لا نظير لها ، كما اصر على أن تقام له مراسم الاستقبال بما يتناسب مع مركزه لأنه كان يعتقد بأن البروتوكول وما يتبعه من احتفالات وحفاوة يشكل أهمية بالغة فى نظر الفرس، وكان أسلوب رحلته يورطه فى نزاعات طويلة مع السلطات المحلية وهو فى طريقه الى الشاه غير أنه كان يبرر تلك الحوادث وتجاوزها فى الإنفاق ، على ماقرره له ويسللى من اعتمادات ، بالأهمية التى كان ينظر بها الشاه الى مهمته ، وقد قال مالكولم فى رسالة بعث بها الى الحاكم العام ، ان الأوامر التى أصدرها الشاه بحسن معاملتى لا تترك أى مجال للشك فى رغبته فى تدعيم عرى الصداقة مع الحكومة البريطانية كما قال « ان الشاه لم يكن موجها بالدوافع السياسية وحدها فى اعطاء ذلك المظهر وتلك الأهمية للزيارة ، فقد كان الشاه يعتقد بأن الزيارة والصورة التى تمت بها قد تمت فى فترة حساسة لا من حيث ولاء رعاياه له فحسب بل ومن حيث دعم هيئته بين خصومه»(١) وكان من المشكوك فيه أن يكون الشاه فعلا قد نظر الى زيارة مالكولم من تلك الزاوية فهو لم يكن يرغب فى مقابلته لأنه فى نظره لم يكن أكثر من مبعوث لشركة تجارية ، غير أن مالكولم ربما تأثر من جو الاستقبال الذى استقبل به فى أصفهان حيث اصطف نحو ١٠ آلاف فارس لتحيته ، وفى طهران حيث رافقه حرس مكون من ١٢٠٠ خيال من بلاط الشاه عند دخوله اليها، وفى يوم ١٦ نوفمبر استقبله الامبراطور الذى كان يتربع على

(١) « فارس والخليج » مجلد ٢٢ من مضمون رسالة من مالكولم

الى ويسللى من شيراز بتاريخ ٦ يونيه ١٨٠٠ .

عرش الطاووس وهو يرتدى حلة رسمية مطرزة بقطع الجواهر الثمينة التي قدر مالكولم قيمتها بحوالى مليون من الجنيهات الاسترلينية ، وفي مقابلته الثانية للامبراطور بعد أحد عشر يوما من المقابلة الأولى قدم مالكولم للامبراطور هدايا الحاكم العام للهند ، وكانت تتألف من ماسة كبيرة وساعات مرصعة بالأحجار وعلب فضية وزهبية ومرايا وشالات وبنادق ومسدسات كانت محلاة بالذهب والفضة .

وقد بدأ مالكولم مفاوضاته مع كبار الوزراء حاجى ابراهيم خان ومرزا شفيق بعد بضعة أيام من وصوله الى طهران ، وقد وقعت تغييرات هامة منذ أن غادر مالكولم الهند بحث انقضى المضمون السياسى لمهمته ، فلقد اخذ حكم سلطان زمان شاه يتدهور فى أفغانستان، واصبح من المتوقع أن يخضع منافسوه عن الحكم فى أية لحظة ، كما اصيب الفرنسيون فى مصر بالضعف ، ثم سرعان ما تمكنت القوة البريطانية التي ارسلت الى مصر من تمزيق شمل ذلك الجيش، وبالنظر الى تلك التطورات فقد قرر مالكولم بأن يركز على الناحية التجارية من مهمته واستطاع بسهولة أن يستعيد للشركة امتيازاتها السابقة بالإضافة الى امتيازات أخرى ، ولكنه عندما طلب من الحكومة الفارسية التخلي عن جزيرتى قشم وهنجام وفق التعليمات الجديدة التي وصلته من ويلسلى اعترضته المشاكل ، فقد كان الوزراء الفرس يعارضون بشدة التخلي عن أية اراض فارسية على أساس أن التنازل عن احدى الجزر للشركة سوف يتبعه تنازل عن اراض فارسية أخرى حتى يتم الاستيلاء على كل فارس ، وذلك وفقا لخطة التوسع البريطانى ، وقد فشل مالكولم فى ازالة هذا الانطباع من ذهن الشاه ووزرائه رغم المحاولات التي بذلها لاقتناعهم ، وبالتالي صرف النظر عن هذا الموضوع وتحول النقاش الى موضوع ابرام المعاهدة السياسية مع فارس . وقد وجد مالكولم لدى الشاه ووزرائه استعدادا للتعاون ضد أطماع زمان شاه ، وبذلك تم الاتفاق على صيغة الاتفاقية التي تعهد الشاه بموجبها بالزحف على أفغانستان بقوات مدربة على حرب الجبال فيما لو حاول الحاكم الأفغانى شن هجوم على الهند البريطانية ، وبالمقابل تعهد مالكولم بالنيابة عن حكومته بتقديم

المساعدات العسكرية الى الشاه فيما لو تعرضت بلاده لغزو من افغانستان . ولم يرد فى تلك المعاهدة اى ذكر لتقديم معونة مالية بعد ان رأى مالكولم اثناء المفاوضات ان الظروف لم تعد تستدعى الاشارة الى الموضوع .
 وأما فيما يختص بالفرنسيين فقد وضح مالكولم للشاه بأن مصلحته مرتبطة بمصلحة الملوك الآخرين فى مقاومة النظام الجمهورى والثورى للحكم الفرنسى ، وسواء اقتنع الشاه بذلك الرأى أو لم يقتنع فقد وافق على التعاون مع الاسطول البريطانى فى مقاومته الفرنسيين فيما لو حاولوا الهجوم على الخليج ، كما وافق على اصدار فرمان يحظر على الفرنسيين الدخول الى المنطقة الساحلية من الخليج بحجة أنهم قد يعرضون حياتهم للخطر ، وقد تعهدت الحكومة البريطانية من جانبها بتزويد الشاه بالمساعدات العسكرية فيما لوهاجم الفرنسيون بلاده . كذلك لم يشر مالكولم الى اى نوع من المساعدات المالية لحكومة الشاه(١) .

لقد تم التوقيع على المعاهدات السياسية والتجارية بتاريخ ٢٨ يناير ١٨٠١ وبعدها مباشرة سافر مالكولم، وقد خرج من بلاط الشاه بانطباع، هو أن الامبراطور الفارسى كان يخشى التهديدات الروسية على حدوده الشمالية أكثر من اى شىء آخر ، فقد ضاعت منطقة جورجيا من فارس على اثر الغزو الروسى لها فى عام ١٧٩٦ ، وقد توقف الزحف الروسى فى الأراضى الفارسية بسبب وفاة الامبراطورة كاترين فى شهر نوفمبر من ذلك العام، الأمر الذى أدى الى ايقاف تقدم الحملة الروسية . ولم تؤد محاولات الشاه لاستعادة جورجيا الى اى نتيجة ، وظل فى خوف دائم من تكرار الحملات الروسية فى بلاده . وكان أكثر مازعج مالكولم هو خوفه من أن يؤدى التقدم الروسى فى آسيا الى تهديد الوجود البريطانى فى الهند فى يوم من الأيام(٢) .

(١) المعاهدات اعداد اتشيسون مجلد ١٠ ص ٣٧ - ٤٥ بالنسبة لمفاوضات مالكولم فى طهران راجع تقريره فى « فارس والخليج الفارسى » المجلد الثانى والعشرين .

(٢) راجع « فارس والخليج » مجلد ٢٨ من رسالة من مالكولم الى ارنل أوف الجن (سفير بريطانيا) لدى القسطنطينية بتاريخ ٢٣ مارس ١٨٠١ .

وقد وصل مالكولم الى الهند في منتصف عام ١٨٠١م أى بعد ١٨ شهراً على خروجه من بومباى ، ولقد لقي الأسلوب الذى أدى مالكولم به مهمته تأييداً تاماً من ويلسلى رغم أنه انحرف عن التعليمات التى أعطيت له ، وعلى الأخص بالنسبة للمعاهدة السياسية التى لم تحدد لها المدة التى اشترطها ويلسلى وهى ثلاث سنوات والموقف الشديد العداء الذى اتخذه مالكولم من فرنسا . وقد انتقد الحاكم العام النفقات الباهظة التى تكلفتها المهمة وإن كانت المكاسب التى حققها قد غطت على ذلك (١) . فقد أسفرت المهمة عن إقامة علاقة حميدة ووطيدة مع حكومة فارس ، كما حصلت بريطانيا على امتيازات لها أهميتها فى الاتفاقية التجارية التى تخول لها استخدامات غير محدودة للموانئ الفارسية والاشراف التام على الساحل الفارسى (٢) .

وعلى أى حال فلم يكن فى الامكان التفاوض عن النتائج التى تمخضت عنها المهمة ، فبالنسبة للمعاهدة السياسية فإن المعاهدة جاءت متأخرة لأن زمان شاه لم يعد يشكل أى خطر على الوجود البريطانى فى الهند ، وأما عن التهديد الفرنسى للوجود البريطانى فإن ذلك التهديد قد زال منذ وقت طويل . ولعل مالكولم قد شعر بذلك اذ لم تتضمن الاتفاقية أى معونات مالية للشاه . وأما المعاهدة التجارية فإنها لم تأت بامتيازات لم تكن موجودة من قبل ، على أن مهمة مالكولم قد تركت سابقة فى الاسراف والتبذير ظلت مثار انتقادات لاذعة لعدة سنوات ، ولعل أقسى حكم على تلك المعاهدة هو رأى هنرى رولنسون الذى قال فيما بعد « بأن المعاهدة لم تكن سليمة من حيث المضمون السياسى ، كما أنها لم

-
- (١) أما النفقات والتكاليف التى تكبدتها الحكومة البريطانية فمن الصعب اعطاء تقدير لها وإن كان الرقم التقديرى المتداول لتلك المبالغ هو مليون روبية هندية أى مايعادل (مائة ألف جنيه استرلىنى) .
- (٢) مختارات من الارسالية معاهدات وغيرها من الوثائق الخاصة بالمركز ويلسلى اعداد اس . ح أوجن - اكسفورد ١٨٧٧ ص ٦٠٧ الى ٦١٠ من رسالة موجهة من ويلسلى الى سكرتارية اللجنة بتاريخ ١٨٠١/٩/٢٨ .
- (م ٨ - بريطانيا والخليج)

تكن ضرورية وكانت حافلة بالعواقب الوخيمة لأنها بنيت على أساس خطر وهمي لا وجود له « كما أنها تتضمن حولا مبالغا فيها أو على الأقل أسلوبا عنيفا لمعالجة المشكلات المطروحة كما كانت أسلوبا انتحاريا لتعريض امبراطوريتنا للخطر ، وبالتالي فإن المعاهدة على هذه الاعتبارات انما تشجع العدوان اكثر مما تمنعه، ولقد كانت المعاهدة بادرة سيئة بالنسبة للتعامل مع حكومة فارس وبدأت علاقاتنا السياسية معها بهذا الأسلوب ، كما كانت نذيرا لأن تصبح الامبراطورية الفارسية كبش الفداء للسياسة البريطانية(١) .

انتهى الاحتلال الفرنسي لمصر فى يونيو سنة ١٨٠١ عندما احتلت القاهرة قوة عسكرية بريطانية تقدمت من الاسكندرية ، بينما استولت قوة اخرى وصلت من الهند على منطقة القصر والسويس ثم أخذت تتقدم على طول ضفة النيل . وفى مارس من ذلك العام وقعت معاهدة السلام بين انجلترا وفرنسا فى امينير ، ولكنه كان سلاما قصيرا ، فقد نشبت الحرب من جديد بينهما فى شهر مايو ١٨٠٥ مما أرغم الحكومة البريطانية على ان تبحث مرة اخرى عن سبل لحماية ممتلكات شركتها فى الهند ، وقد تركز اهتمام بريطانيا خلال السنوات القليلة التى تلت ذلك وبوجه عام كما كان الحال قبل عام ١٧٩٨ على المناطق التى تعتبر أخطر مواقع الصراع خلال الثورة والحروب النابليونية ونعنى به المحيط الهندى والأرخبيل الشرقى . وكان احتمال وجود تهديد من الشمال الغربى

(١) انجلترا وفرنسا فى الشرق طبعة لندن ١٨٧٥ ص ١٠ كذلك انتقد رولنسون بشدة الأوامر المتشددة التى أصدرها الشاه الى حكام الولايات فى فارس وخوزستان والتى تنص على « انه اذا حاول أحد الفرنسيين المروء بموانيكم وحدودكم او أراد الإقامة على الشواطىء الفارسية او حدودها فينبغى عليكم اتخاذ الاجراءات اللازمة لإبعاده او اعدامه وبأن لا تتركوا لأى فرنسى مجالا للتواجد فى أى منطقة فى مملكتنا وانكم مفوضون تفويضا كاملا لاذلالهم والقضاء عليهم (كتاب المعاهدات) اعداد ايتشيسون المجلد العاشر ص ٣٧ ترجمة للفرمان الذى أصدره فتح على شاه بتاريخ ١٢ شعبان ١٢١٥ . وعلى أية حال فلا بد من التسليم لميول الفرس الى المغالاة والشطط .

عن طريق فارس والخليج احتمالا ضئيلا وبالتالي لم تبدل أى محاولة للحفاظ على العلاقات التى أنشأها مالكولم مع فارس ، بل ان حكومة البنغال لم تفكر قط فى التصديق على المعاهدات التى عقدها مالكولم مع الشاه . وقد وضعت نهاية مفاجئة لبعثة الشاه فى عام ١٨٠٢ التى حضرت للتصديق على المعاهدات ، وذلك بسبب مقتل السفير على اثر مشاجرة بين خدمه وحرس الحكومة فى بومباى (١) . ولقد وجه الحاكم العام فى سنة ١٨٠٤ خطاب اعتذار الى حكومة طهرن حمله صمويل مانستى المقيم البريطانى للشركة فى البصرة الذى بذل مجهودا ليضفى على مهمته طابعا سياسيا ، ولكن الحاكم العام سرعان ما استدعاه للعودة بسبب ذلك (٢) . ولم يتم تبادل المراسلات مع الشاه بعد ذلك لفترة من الوقت . وكان من الممكن أن ينصرف البريطانىون عن شئون الخليج لولا أن الفرنسيين جددوا من نشاطهم فى مسقط خلال النصف الأخير من عام ١٨٠٣ ، ففى مستهل ذلك العام أبحر أسطول مكون من سبع قطع ، تحمل ٢٠ لآف جندى من ميناء بوست متوجها الى جزر موريشيوس بقيادة الجنرال دنكان الحاكم الجديد للجزيرة والقائد العام الفرنسى فى الشرق .

(١) لقد أنهى هذا الحادث خدمة مهدي على خان لدى شركة الهند الشرقية فقد قام المذكور بعد علمه بموت السفير بتوجيه رسالة الى بلاط الامبراطور تتضمن نصا غير صحيح عن الحادث ولهذا فقد فصل من عمله كمقيم فى بوشهر ثم اعتكف فى شهر ابريل ١٨٠٣ . وبعد عام واحد وافته المنية ولكن موته اثار أسف دنكان وغيره من رجال حكومة بومباى الذين قاموا بالترتيبات لدفنه فى النجف . وكان مهدي على خان يطارده سوء الطالع حتى آخر لحظة من حياته فالسفينة التى كانت تحمل جثمانه استولت عليها سفينة القرصنة الفرنسية لافورتشيون وذلك فى شهر سبتمبر عام ١٨٠٤ وقد علم دنكان فيما بعد أن قبطان المركب الفرنسى المسلح قد وارى جثمانه فى البحر رسميا .

(٢) للاطلاع على تقرير مانسى عن مهمته (راجع) « فارس والخليج » مجلد ٢٤ وعلى الأخص خطاباته فى ٢١ فبراير ، ٣ ، ٣١ مارس ، ٢٨ ابريل ، ١٢ يونيو و ٦ ، ١٨ ، ٣١ يوليو ، ٨ نوفمبر ، ١٨٠٤ .

وقد زود دنكان بتعليمات للقيام بمحاولات جادة لدعم السيطرة الفرنسية في المياه الشرقية ، وكانت مسقط إحدى النقاط الرئيسية التي شملتها مهمته . وبعد شهر من وصوله الى جزر موريشيوس اى في اغسطس ١٨٥٣ أوفد وكيلاً له يدعى دى كافيناك الى مسقط مزوداً بالأوامر اللازمة لاقناع سلطان بن أحمد بقبوله ممثلاً لفرنسا وكمبعوث مقيم فيها ، وقد وصل دى كافيناك الى مسقط في شهر أكتوبر ليجد السلطان خارج العاصمة في جولة داخلية ، كما كان الكابتن ديفيد سيتون الممثل المقيم لشركة الهند الشرقية - الذى تولى الوكالة بعد وفاة بوجل في عام ١٨٠١ فى جولة بحرية فى منطقة الخليج هو الآخر . وقد لمس كافيناك أن أغلبية وجهاء البلاد كانوا يرغبون فى تجديد الصلات مع فرنسا غير أن السيد سلطان بعد رجوعه من الداخلية رفض قبوله كممثل مقيم لفرنسا على أساس أن ذلك سيشكل انتهاكاً لاتفاقية عام ١٧٩٨ مع بريطانيا(١) .

وعلى الرغم من أن موقف سلطان بن أحمد كان ودياً تجاه بريطانيا إلا أنه لم يتخذ ذلك الموقف بدافع الحرص على صداقته مع بريطانيا فقط ، فقد كانت هناك اعتبارات أخرى ، فقد أخذ الوهابيون يشنون هجمات على حدوده من المنطقة الوسطى للجزيرة العربية فى الوقت الذى كان يحارب القراصنة القواسم وعتوب البحرين فى البحر ، وكانت القوة الوحيدة التى يمكن أن تقدم له المساعدة ضد خصومه هى حكومة الهند البريطانية ، ولهذا لم يكن مستعداً للتضحية بالمساعدات البريطانية لقاء التودد للفرنسيين كما كانت تجارة مسقط مرتبطة بالهند . خصوصاً وأن دنكان كان قد هدده فى نفس ذلك الشهر بأنه فيما لو سمح للفرنسيين بموطئ قدم فى مسقط وتحت أية شروط وبأى أسلوب فسوف يتم قطع العلاقات معه .

على أن فشل مهمة دى كافيناك لم يمنع الفرنسيين من استخدام مسقط

(١) ملخص للمخابرات المتداولة حول شؤون الخليج (١٨٠ - ١٨٥٣ ص ٢٩ من مضمون رسالة من دنكان الى سلطان بن أحمد بتاريخ ١٨٠٣/١٠/٢١ .

كمحطة لتموين أعمال القرصنة التي كانوا يقومون بها والمقاصة لغنائم الحرب فقد كانت السفينة الحربية لافوريتون (٢١ مدفا) تجوب مياه الخليج من سبتمبر الى نوفمبر قبل أن تدمرها مدفعية البارجة البريطانية كونكورد في نهاية شهر نوفمبر (١) وفي أوائل السنة الجديدة اشتبك الطراد تيموث في معركة غير متكافئة مع إحدى سفن القرصنة الفرنسية مجهولة الاسم عند مدخل الخليج، وعلى الرغم من أن استخدام الفرنسيين لمسقط كان يضايق حكومة بومباي الا أن اتفاقية ١٧٩٨ لم تكن تتضمن أى حظر على السفن الفرنسية من ارتياد مياها للتموين . وكان سلطان بن أحمد قد ألح الى ذلك في شهر مايو ١٨٠٠ عندما كان يزوره أحد المسؤولين من حكومة بومباي ، كما أضاف الى أنه لم يكن يفسر البند الثاني من الاتفاقية، والتي تنص على أن أعداء الدولتين المتعاقدين هم الأعداء الأخرى، على أنها تربط الطرفين بحلف هجومي ودفاعي ، وقال أنه طالما لم يكن يسمح للفرنسيين بالإقامة فإنه يعتبر حرا في ممارسته الشؤون التجارية العادية معهم (٢) ولقد رأت حكومة بومباي أن توافق سلطان على موقفه هذا على أساس أن أعمال القرصنة التي تمارسها فرنسا في مياه الخليج لا تشكل خطورة كبيرة . كما أنه وبشكل أهم فإن التقيد بحرفية الاتفاقية قد يجسر

(١) ارشيف وزارة الهند مجلد ٣ (١) من الحاكم الى اللجنة الوزارية ١٨٠٤/١١/٩ أما قبل هذا الحادث فلم تفرق سفينة واحدة من سفن القرصنة في مياه الخليج وفي شهر أكتوبر ١٧٩٩ دارت معركة حامية بالقرب من منطقة أم القوين بين الطراد البريطاني ترنكومالي وسفينة القرصنة المسلحة الفرنسية (١٨ مدفا) وتسمى لى انيجيني والتي أدت الى غرق السفينتين بعد أن انفجرت عيون البارود في الطراد البريطاني .

(٢) من مضمون رسالة من جى . أ ج لوفيت الى دنكان بتاريخ ١٢ مايو سنة ١٨٠٠ من مسقط أعرب لوفيت عن موافقته لتفسير السلطان للبند الثاني من الاتفاقية «على الرغم من أن النصوص تحمل المعاهدة الدفاعية فإنها تصوراتها تدخل ضمن اعتبار ماورد فيها كمجرد طلب » لاعتبار عمان جزءا من الممتلكات البريطانية وبريطانيا العظمى كجزء من عمان .

البريطانيين الى الدفاع عن مسقط ضد الفرنسيين أو الى ما هو ادهى الى الاصطدام مع الوهابيين (١) . وقد تمسك البريطانيون بهذه السياسة الى ما بعد وفاة سلطان بن أحمد في نوفمبر سنة ١٨٠٤ وكان كل ماتطلبه بريطانيا من خلفه بدر بن سيف هو الالتزام بنصوص الاتفاقية ، ولم تجد بريطانيا نفسها فى مواجهة مع الفرنسيين بالنسبة لعلاقتهم بمسقط الا بعد مقتل بدر بن سيف فى صيف عام ١٨٠٦ . وخلف بدر ابن عمه الشاب سعيد بن سلطان وكان عمره يومئذ ستة عشر عاما ، وكان ابنا لسلطان بن أحمد الذى اعتلى عرش الحكم بعد اغتياله لبدر (٢) ، وكان وضع سعيد بن سلطان فى بداية توليه الحكم دقيقا للغاية ، فلم يكن سعيد يتمتع بتأييده معظم القبائل ، كما كان الوهابيون يعيشون فسادا على حدوده الغربية والقواسم يهاجمونه من الشمال . وكانت السلطات البريطانية فى الهند تنظر بغير ارتياح الى الطريقة التى تولى بها الحكم وظلوا غير معترفين به زهاء عام واحد . ومنذ وفاة سلطان بن أحمد ظلت علاقة مسقط بفرنسا فاترة ، ونظرا لحاجته الى حليف يدعم حكمه فى الداخل ويبعد عنه خصومه فى الخارج ، فلم يكن سعيد فى وضع يسمح له بمعادة الخصمين الكبارين فى الصراع الذى كان ناشبا بينهما فى المياه الشرقية . وكما كان مقدرًا عليه فقد وجد نفسه بعد مضى شهر من توليه الحكم أمام خصمين هما فرنسا وانجلترا .

وفى منتصف يوليو ١٨٠٦ وصلت سفينة القرصنة الفرنسية لافيلانت الى مسقط للاصلاح والتموين قبل ابحارها الى الخليج ، ولم يمض على وجود السفينة داخل مرفأ مسقط الا قليل حتى وصلت الفرقاطة البريطانية كونكورد وقد ظهر لقبطان الفرقاطة البريطانية أن سعيد بن سلطان لم يكن يكتفى بتزويد الطراد الفرنسى بالماء والطعام والمسال فقط وانما قدم له طاقما من العمال لاجراء الاصلاحات اللازمة للسفينة الفرنسية ، وبمسا أن قبطان الفرقاطة

(١) انظر مايلى فصل (٣) .

(٢) للاطلاع على تفاصيل عهد بدر والظروف التى أدت الى موته انظر

البريطانية قد وجد في عمل سعيد ما يتعارض مع الاتفاقية المعقودة معه فقد طلب إليه بأن يأمر الطراد الفرنسي بمغادرة المياه الإقليمية المسقطية خلال ٢٤ ساعة، وقد استجاب سعيد بتردد لطلب القبطان البريطاني وأخذت الفرقاطة تبحر غير بعيد عن الميناء . وما أن غادرت السفينة الفرنسية الميناء خلال ساعات حتى استولت عليها الفرقاطة البريطانية من غير اشتباك ، وعلى مسافة تقع بنحو ٩ أميال من مسقط . وبسبب تخوف سعيد مما قد يترتب عن الاستيلاء على السفينة الفرنسية من ردود فعل فقد بادر الى الكتابة الى دنكان في بومباي يحث على سلوك قبطان الكونكورد ويطلب الافراج عن السفينة ، ولقد تعاطف دنكان مع موقف سعيد من القبطان ، فقد فسر الاتفاقية تفسيراً اعتباطياً لا مبرر له ، ولهذا اباح دنكان قاضي المحكمة البحرية في بومباي حيث كانت توجد السفينة الفرنسية ، بأن موقف الحكومة سوف يكون حرجاً اذا ما صدر الحكم بمصادرة السفينة ، وقد فرضت المحكمة ان تنقيد بالاعتبارات السياسية في نظر القضية ومن هنا اعتبرت لافيونت من غنائم الحرب .

كانت النتيجة بالنسبة لسعيد بن سلطان غير سارة . ففي خريف تلك السنة قامت الفرقاطة الفرنسية «لابومونتيه» بايقاف سبع سفن تابعة لمسقط ومصادرة حمولاتها . وقد ابلغ قبطانها ربانة السفن العمانية أنه قد تصرف بوحى من أوامر صادرة اليه من الجنرال دنكان انتقاماً لاستيلاء البريطانيين على السفينة الفرنسية لافيولانت . وبدافع الانزعاج والخوف أوفد مبعوثاً خاصاً برسالة الى دنكان في جزيرة موريشيوس يناشده فيها اعادة السلع المصادرة . كما أوفد في الوقت نفسه مبعوثاً آخر برسالة الى دنكان في بومباي ليعاتبه فيها على ذلك التصرف ومما قاله : (وهذا هو دائماً عمل رجالكم الذين دابوا على ايدائي والنيل من كرامتي وانتهاك حرمة اراضيها رغم ما يلقاه رجالكم من حسن المعاملة) وقد ضمن سعيد رسالته طلباً بالحماية البحرية او اعادة السفينة الفرنسية المصادرة (١) والواقع أن سعيد كان يريد في قرارة نفسه أن يستمر

(١) مجموعة المجلس مجلد ٢٥٧ مجموعة ٥٦٥٠ من مضمون رسالة من

سعيد الى دنكان بتاريخ ٥ ذي القعدة ١٢٢١ - ١٥ يناير ١٨٠٧ .

كسمسار لتصريف الغنائم والسلع التي كانت تستولى عليها سفن القرصنة الفرنسية ، كما كان يسعى في نفس الوقت الى انشاء علاقات مع الهند البريطانية تمكنه كما كان يأمل من الحصول على مساعداتها ضد خصومه الوهابيين في شبه الجزيرة والخليج ، وكان سعيد يدرك موقفه الضعيف حين تقدم بذلك الطلب خصوصا وانه لم يمض غير وقت قصير منذ أن انتقل الى بلده قرصان خطير هو سيد محمد عقيل الذي كان يمارس أعمال القرصنة من صلالة على الساحل الجنوبي . كما كان يقوم خلال عام ١٨٠٦ بتموين سفن القرصنة الفرنسية التي ترتاد مياه البحر الأحمر . وقد علم في أوائل سنة ١٨٠٦ أن محمد عقيل كان يتفاوض مع حاكم لنجة لشراء جزيرة كمران على الساحل اليمنى ، وذلك بعد أن قدم المساعدة الى ثلاثة من الضباط الفرنسيين للقيام بمسح الحديدية وكمران وقنفذة على ساحل الحجاز . ونظرا لأن حكومة بومباي قد فهمت من ذلك بأن الفرنسيين يسعون الى تحويل كمران الى قاعدة للقرصنة فقد أرسلت طرادين الى البحر الأحمر في نهاية شهر يوليو تحت امره القبطان سيستون الذي كان يعمل كضابط سياسى وذلك لتعقب عقيل واحباط خطته (١) ، ولكن عقيل هرب فيل وصول الطرادين وسافر الى مسقط . وقد وصل سيستون الى لنجة واستطاع أن يحصل على تعهد من حاكمها بعدم السماح للفرنسيين بالدخول الى الموانئ الأخرى الخاضعة له (٢) .

(١) سجلات سكرتير حكومة بومباي مجلد ٣ فقرة (١) من رسالة موجهة من مجلس الحاكم العام الى سكرتير اللجنة بتاريخ ١٠ مايو و ١١ يوليو و ١٢ أغسطس ١٨٠٦ (وكان عقيل قد استولى على سفينة أمريكية اسمها اسكى أوف سالم وذلك بغير بعيد عن جزيرة كمران وذلك في شهر فبراير وذبح جميع بحارتها) راجع المرفقات برسائل سكرتير حكومة بومباي مجلد (١) مرفق بخطاب السكرتير المؤرخ ١٠ يوليو ١٨٠٦ من سى شيران هوجى (سمسار الشركة في موكا) الى الحاكم في ١٥ يونيو ١٨٠٦ والمرفقات لخطاب السكرتير المؤرخ ١٢ أغسطس ١٨٠٦ من شارلز فوردس الى دنكان (بمباي) ١٩ يوليو سنة ١٨٠٦ .

(٢) مذكرات للخطابات السياسية لحكومة بومباي مجلد ٢ من الحاكم العام الى المحكمة ٢٥ فبراير ١٨٠٧ .

ولم يكن تصرف سعيد بن سلطان بايوائه محمد عقيل هو الذى اثار شكوك
بريطانيا بقدر ماكان عزوفها عن التورط فى شئون مسقط . وأثناء تولى السير
جورج بارلو منصب الحاكم العام مؤقتا كانت الحكومة ملتزمة التزاما تاما
بالسياسة التى كان قد وضعها مجلس ادارة شركة الهند الشرقية باستدعاء
وليسلى . وكانت بنود هذه السياسة تقوم على أساس :

١ - ضغط المصروفات .

٢ - عدم الاستحواز على أراضى الغير وعدم التورط مع الحكومات
الأخرى خارج نطاق حكومة الهند البريطانية ، وكانت حكومة بارلو قد حددت
صلاحيات ممثلى الشركة فى الخليج ضمن أطر محدودة وتجارية .

وقد تم ابلاغ حاكم بومباى فى يونيو سنة ١٨٠٦ بأن المقيم البريطانى فى
بوشهر وفق الصلاحيات المحدودة لوظيفته ، وهى صلاحيات ليست ذات طابع
سياسى ، فان مجال تدخله فى الشئون السياسية يبقى مجالا محدودا ووفق
ضرورات خاصة تبرر ذلك التدخل (١) ، وبعد شهرين من ذلك التاريخ وضع كل
من المقيم البريطانى فى بغداد والبصرة ، شأنه شأن المقيم فى بوشهر ، تحت اشراف
حكومة بومباى مباشرة . ولم يسمح للمقيمين بالتخابر مباشرة مع الحاكم
العام (٢) . . وظل مكتب المقيم البريطانى فى مسقط فى بداية ١٨٠٦ شاعرا
عندما غادره المقيم فى اجازة مرضية ، وظل كذلك مما قلل من احتمال التورط
البريطانى فى مسألة الدفاع عن مسقط وغيرها من الدول الآسيوية .

فى ابريل سنة ١٨٠٧ ردت الحكومة السامية على طلب سعيد ، وقد جاء
فى الرد ، بأن الطريقة المثلى للحفاظ على مصالح مسقط هى فى اتخاذ موقف

(١) مرفقات لخطاب السكرتارية فى بومباى مجلد (١) خاص بخطاب
السكرتارية مؤرخ ١٢ أغسطس ١٨٠٦ من رسالة موجهة من ان . بى . ادمون
بيتون (سكرتير الحاكم العام) الى اف . واردين سكرتير حكومة بومباى بتاريخ
١٨٠٦/٦/١٦ .

(٢) مجموعة المذكرات السرية مجلد ٩ مجموعة (١) من رسالة موجهة من
الحاكم العام الى سكرتير اللجنة فورت وويليام بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٠٦ .

محايد ، وبدلا من أن ينحاز سعيد لبريطانيا عليه أن يسعى الى عودة علاقات الصداقة مع فرنسا . وتشجيعا له على ذلك فقد وعدت الحكومة البريطانية بإعادة السفينة الفرنسية لافيالانت اليه(١) ولكن هذا الرد لم يكن مرضيا لسعيد من حيث انه يضعف علاقاته ببريطانيا، وعلى أى حال فقد كانت النتيجة أن الرد وضع نهاية لتورط مسقط في الحرب ، وفي يونيو سنة ١٨٠٧ عقد سعيد معاهدة تجارية مع دنكان ، ولم يمض وقت طويل حتى تم تعيين وكيل لفرنسا في مسقط دون أن يثير ذلك ردود فعل مضادة من جانب حكومة الهند .

على أن رغبة دنكان في استئناف علاقات الصداقة مع مسقط لم تكن بدافع الرغبة في تسوية الخلافات مع السيد سعيد أو تجار جزر موريشيوس فحسب وإنما كان هناك دافع آخر وهو رغبة فرنسا في ١٨٠٦ - ١٨٠٧ استرجاع ماضع من نفوذها في الشرق . فنبليون لم يتخل عن أحلامه في إقامة امبراطورية شرقية ولم ينس الدروس التي تلقاها في مصر ، وبالتالي فان احراز أى نجاح في الشرق قد يدعم مركزه السياسي في أوروبا وكانت محاولات فرنسا استعادة نشاطها الدبلوماسي في آسيا موجهة في المقام الأول الى تحييد روسيا في أوروبا عن طريق تحالف ثلاثي يعقد بين فرنسا وتركيا وفارس ضد الروس في آسيا ، وبأن تكون الخطوة التالية كما تصور نابليون هي الزحف على الهند بالاشتراك مع روسيا والتواطؤ مع فارس ، وكان نابليون ينظر نظرة عملية الى أى سياسة شرقية فرنسية وما قد تنطوي عليه مثل تلك السياسة من مكاسب. وفي خطابه الى امبراطور فارس في شهر فبراير سنة ١٨٠٧ أشار الى أن فارس لم تكن تشكل تهديدا عسكريا على الهند البريطانية ، ولكنها تستطيع أن تضغط على البريطانيين بطرد التجار الانجليز من فارس وبوقف جميع المعاملات التجارية مع الهند .

وقد كون تاليران هذا الرأي على اساس علاقته بعملاء فرنسا الذين زاروا

(١) مجموعة المجلس مجلد ٢٥٧ ومجموعة ٥٦٥ من الحاكم العام الى مجلس حاكم بومباي فورت وليم بتاريخ ١٨٠٧/٤/٢٣ . جميع المخابرات الخاصة بحادث السفينة لافيالانت وارده في هذه المجموعة .

فارس خلال العامين السابقين . كما قام الفرنسيون أيضا بإجراء اتصالات مع حكومة الشاه عن طريق عملائهم في سوريا ، وذلك في نهاية ١٨٠٤ لوضع خطة عمل مشتركة بين الفرنسيين والفرس ضد روسيا التي أصبحت مرة أخرى في حالة حرب مع فارس ، ولكن تلك الاتصالات لم تنجح ، ربما لأنها لم تقم على أسس واضحة ، وعندما اندلعت الحرب بين فرنسا وروسيا في العام التالي أوفد نابليون الكولونيل الكسنندر روميه الى طهران ليقتراح على الشاه بأن يلغى معاهدة ١٨٠١ مع بريطانيا ويعقد حلفا مع فرنسا ضد الروس مقابل تخصيص معونة مالية له من فرنسا ، وقد يحصل على مساعدة عسكرية ، ولما كان الشاه قد سبق أن أوفد قبل ذلك مبعوثه محمد نبي خان الى الهند ليطلب مساعدة من الحكومة البريطانية في صراعه ضد روسيا فانه رفض اقتراحات روسية قبل أن يعرف رد بريطانيا على طلبه. وتشاء المصادفات أن يموت روميه بعد وصوله الى طهران في شهر أكتوبر ١٨٠٥ ، وحل محله بعد ذلك في شهر مايو اميدى جوبير الذى وجد الشاه عند وصوله أكثر استعدادا للاستماع الى مقترحاته ودراستها .

ويكمن السبب في موقف الشاه الى التقارير غير المشجعة التي وصلته من محمد نبي مبعوثه الى الهند . وكان المبعوث قد وصل الى بومباي في شهر أكتوبر ١٨٠٥ ، ووصل الى كلكتا في نهاية العام ، وهناك وعند وصوله وجد بارلو الحاكم بالنيابة غير مهتم بمشاكل فارس كما لم يكن على استعداد لاجابة مطالب الشاه والتي كانت تشمل دفع مليونى روبية كهدية عن مقتل صهره المبعوث السابق (١) وبقي محمد نبي يتلکأ في كلكتا عاما واحدا دون أن يحقق أى شيء. وفي

(١) هناك من الأسباب ما يدعو الى الشك في أن محمد نبي قد اتصل بالسفارة البريطانية بدافع الاثراء على حساب الشركة حيث أن الرحلة التي قام بها مالكولم الى فارس والطريقة البذخية التي أنفق بها هي التي دفعته الى ذلك وفي بومباي تقدم المذكور بطلبات غير معقولة فيما يتعلق بمعاملته ومن تلك الطلبات أن تصنع لخيوله احذية من الذهب والفضة ولكن بطريقة تجعل تلك الاحذية تتساقط أثناء السير لكي تغرى المارة بتلك المظاهر .

نهاية ١٨٠٦ تلقى رسالة من الشاه محررة في مايو ، وهو نفس الشهر الذي وصل فيه جوبير الى طهران يقول له فيها : انه لن يعقد أى اتفاق مع فرنسا قبل أن يعود محمدنبي ومعه الرد النهائى من الحكومة البريطانية(١)، وقد عرض المبعوث الخطاب على بارلو الذى لم يبد أى اهتمام به ، وكان بارلو قد تلقى تقارير عن النشاط الذى كان يقوم به روميه وجوبير ، وكان يعتقد بأن تلك التقارير مبالغ فيه كثيرا(٢) ، فضلا عن ذلك فقد أصبحت روسيا الآن حليفا لانجلترا ، ولم يكن يستطيع بارلو أن يؤيد فارس ضد روسيا مالم يتلق تعليمات واضحة من الحكومة البريطانية فى انجلترا . وقد أبلغ مضمون هذه الفكرة لمحمد نبي فى يناير ١٨٠٧ ، وذكر له بأن معاهدة ١٨٠١ كانت موجهة ضد فرنسا وليست ضد روسيا . وأن البنود التى وردت فى المعاهدة فيما يتعلق بتقديم المساعدة فى حالة نشوب الحرب كانت تنطبق على أفغانستان فقط ، ولا تنطبق على فرنسا الا فى حالة اشتراك دولة أوربية . كما لم تكن تنطبق على روسيا ، كما أوضح بارلو لمبعوث الشاه بأن فارس لاتزال ملتزمة بتلك المعاهدة والوقوف مع بريطانيا ضد فرنسا ، ولكى يضفى أهمية على هذه النقطة فقد قام بارلو بالتصديق على المعاهدات السياسية والتجارية المعقودة مع فارس ولكن هذا الاجراء لم تعد له أهمية(٣) .

ولم ينتظر الشاه عودة محمد نبي من مهمته قبل أن يتفق مع الفرنسيين

(١) من رسالة موجهة من فتح على شاه الى محمد نبي بتاريخ أول ربيع

الأول ١٢٢١ مايو ١٨٠٦ .

(٢) من ارشيف لسكرتارية حكومة البنغال مجلد ٩ فقرة (١) من مضمون

رسالة موجهة للحاكم العام الى سكرتير اللجنة فورت ويليام بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٠٦ وقد أنحى بارلو باللائمة فى المبالغات التى تضمنتها التقارير الى مرسلها وهما هارفورد جونز ببغداد وصمويل مانستى بالبصرة .

(٣) خطاب مؤرخ ١٠ يناير ١٨٠٧ من ادمون ستون الى محمد نبي . ان

ولنسون وكوزن ولورمان من بين الذين أخطأوا فى القول بأن المعاهدات لم يصدق عليها .

- ١٢٥ -

وحتى قبل وصول جوير كان الشاه قد بعث برسول الى القسطنطينية ليجس نبض السفير الفرنسى هناك حول عقد معاهدة دفاعية بين الدولتين ضد روسيا . وفى مقابل ذلك فقد كان الشاه مستعدا لأن يشارك فى أى لحظة للهجوم على الهند مع الفرنسيين الى حد أنه أبدى استعدادا للزحف بجيش على الهند عن طريق قندهار وكابل ، وأن يسمح للفرنسيين بإنشاء قاعدة لهم فى الخليج ، وقد تلقى الشاه ردا مناسبا عن طريق جوير ، وفى نهاية عام ١٨٠٦ غادرمبعوث من الشاه متوجها الى فرنسا بصحبة جوير للتفاوض على عقد حلف بين الدولتين .

وقد ظل كل من مجلس ادارة الشركة ومجلس الحاكم فى الهند على اطلاع مستمر بتطور العلاقات بين فرنسا وفارس ، وكان هارفورد جونز المقيم البريطانى فى بغداد هو الذى يقوم بإبلاغ السلطات البريطانية بتلك المعلومات ، ولكن السلطات فى الهند لم تهتم بالموضوع الى أن عاد جونز الى انجلترا فى نهاية ١٨٠٦ .

وفى الأسبوع الاول من يناير ١٨٠٧ رفع جونز مذكرة الى الحاكم فى الهند يوضح فيها الأخطار التى تنجم عن الاتصالات التى كان يجريها الشاه مع فرنسا وقال فى مذكرته، بأن فارس لن تجنى اية فائدة من تحالفها مع فرنسا لأن نابليون لا يستطيع الضغط على روسيا بالتخلى عن اطماعها فى المنطقة الشمالية من فارس، وعلى أى حال فان حصول فرنسا على موقع فى فارس سوف يشكل من ناحية خطرا على الوضع البريطانى فى الشرق ، ولا بد من بذل جهود للحيلولة دون حدوث ذلك ، وبالتالي فلا بد من ايفاد مبعوث بريطانى بسرعة الى فارس على أن يسافر عن طريق بطرسبرج بهدف اقناع قيصر روسيا بحل خلافاته مع فارس فى وجه الخطر الأكبر الذى تمثله فرنسا ، كما يتعين على المبعوث أن يتكلم باسم الإمبراطور وليس باسم الشركة كى يضيف الى مهمته ذلك ثقلا ، وسوف تتركز

(١) تعليمات المبعوث الفارسى وقد قام بترجمتها جون هاين المقيم المساعد

البريطانى فى بغداد .

مهمته على العمل باعادة العلاقات الودية بين انجلترا و فارس واعتبار اى اتفاقيات يكون الشاه قد عقدها مع فرنسا ملغاة (١) .

على ان مقترحات جونز لم تتضمن شيئاً لم يكن الحاكم على اطلاع به (كان جونز يحثهم على ذلك منذ ان تسلم عمله في بغداد في عام ١٧٩٨) وكان من المحتمل ان يتجاهل المجلس مذكرته لولا الاتجاهات المعاكسة التى اتخذتها الحرب مع فرنسا خلال النصف الاول من عام ١٨٠٧ ، وعلى امتداد عام ١٨٠٦ كانت الامبراطورية العثمانية تتجه نحو المعسكر الفرنسى ، وفى بداية العام الجديد تازمت العلاقات مع فرنسا بصورة واضحة . ولما كان الاتراك قد انحازوا الى جانب الروس فقد اصبحت روسيا هى الحليف الوحيد لانجلترا فى الشرق ، وهكذا كانت العلاقات مع روسيا تميل الى الفتور ، وما ان حلت بداية الصيف حتى وجد البريطانيون انفسهم امام حلف مشترك بين الامبراطورية العثمانية والفارسية ومنحاز الى جانب روسيا التى قررت الانسحاب التدريجى لتتخذ من الصراع سياسة الحياد، وهذا مادعا جورج كاننج وزير الخارجية البريطانية الجديد الى تبني اقتراح جونز فى شهر مايو بايفاد بعثة الى فارس لهذا الغرض ، وقد رشح جون مالكولم لمنصب السفير عن طريق الارل اوف منتو ، وهو الحاكم العام المرشح ، غير ان هذا الاقتراح لم يلقى صدها بين مجلس الادارة لشركة الهند الشرقية الذى كان قد وافق بالفعل على ان تتحمل الشركة نفقات تلك البعثة ، والتى كانت لاتزال تتذكر فى كثير من المرات حادثة البذخ التى رافقت بعثة مالكولم الى طهران ، ولهذا رشح شخص آخر من المعتدلين ، ومنح لقب بارون ، لدعم منصب السفير لدى حكومة طهران ، وفى شهر يونيو قام كاننج بوضع الصيغة المبدئية للعمليات الخاصة بالبعثة ، كما تم ابلاغ الحكومة البريطانية بقرار تعيين جونز فى منصب السفير .

وبغير علم كاننج عقد نابليون معاهدة سرية مع مبعوث الشاه ميرزا محمد رضا وذلك فى منطقة فننكن اشتين يوم ٤ مايو ، وفى تلك الاتفاقية ضمن

(١) « فارس والخليج » مجلد ٢٧ من مضمون مذكرة قدمها

جونز الى الحكومة البريطانية فى لندن بتاريخ ٧ يناير ١٨٠٧ .

الإمبراطور سيادة فارس ، واعتبرت منطقة جورجيا جزءا من فارس ، وعمل كل مافي وسعه ليحمل روسيا على اخلاء منطقة جورجيا ، وعقد معاهدة سلام بينهما ، كما اتفق على انشاء سفارة فرنسية لدى الشاه بصفة دائمة ، وإيفاد خبراء عسكريين الى فارس للمساعدة فى اعادة تنظيم الجيش الفارسى على النمط الأوروبى ، وفى مقابل هذه الامتيازات تعهد الشاه بحل اتفاقياته السياسية والتجارية مع بريطانيا وعلان الحرب عليها والبدء فى تنفيذ الأعمال العسكرية بأسرع وقت ممكن ، كما تضمنت الاتفاقية بندا باجلاء جميع الرسميين والتجار البريطانيين المقيمين فى فارس وقطع جميع العلاقات بين فارس وممتلكاتها .

وقد تضمنت المعاهدة أيضا أنه فى حالة ظهور أى من الاسطول الفرنسى فى مياه الخليج فعلى حكومة فارس أن تقدم له كل مساعدة يحتاج اليها ، كما كان على الشاه أن يجرى اتصالات بالولاية الأفغانية لاقتناعها بالاشتراك مع فارس فى تجهيز حملة عسكرية لغزو الهند كما كان عليه ان يقدم كل مساعدة ممكنة الى أى حملة فرنسية ترسلها الحكومة الفرنسية ضد البريطانيين فى الهند^(١) .

وقد أفاض نابليون فى تعليماته للجنرال كلود جاردان السفير الذى اختاره للتوجه الى فارس حول النقطة الأخيرة من الاتفاقية .

وكان المطلوب من جاردان أن يجرى تحريات واسعة حول امكانية القيام بزحف على الهند عن طريق فارس والخليج ، وأنه اذا ما تقرر إيفاد مثل هذه الحملة فانه يتعين عليها أن تنزل فى الاسكندرية وتعبّر الى فارس عن طريق سوريا ، أو تبصر عن طريق رأس الرجاء وتنزل بالقرب من مدخل الخليج، وكان على جاردان أن يحدد الموانئ الفارسية التى تصلح لرسو سفن الحملة المكونة من اسطول كبير يحمل مالا يقل عن ٢٠ ألف مقاتل لتزويد القوات بحاجتها بما فيها الماء والمؤن^(٢) .

(١) مجموعة المعاهدات الفرنسية مجلد ٢٣ اعداد الكسندر جى اتشه دى

كلرك باريس ١٨٦٤ - ١٩١٧ .

(٢) مهمة الجنرال جاردان ص ٨١ - ٩٤ من مضمون رسالة من نابليون

لجاردان بتاريخ ١٠ مايو ١٨٠٧ .

ولم يكد يمضى شهران على ارسال تلك التعليمات حتى كان نابليون قد توصل الى اتفاهه المشهور مع القيصر (الاسكندر الاول) الذى وقع فى تلسيت ، وهذا الحادث وحده يكفى لالقاء ظلال من الشك على جدية نوايانا نابليون فى عقد معاهدة فنكنشتين ، وربما كان الغرض منها كسب الوقت حتى يستطيع نابليون انهاء مفاوضاته مع الاسكندر (١) . وكانت معاهدة السلم فى تلسيت هى أسوأ نكسة سياسية تعرضت لها بريطانيا خلال الحرب ، الأمر الذى أضفى على مهمة جونز مزيدا من الأهمية ، وذلك لأن أى محاولة بريطانية لابعاد الفرنسيين عن فارس قد أفلتت الى الأبد بعد تحالف فرنسا مع روسيا . وكان لابد من تحقيق هدف أكثر صعوبة ، ألا وهو الحيلولة دون قيام حلف ثلاثى بين فرنسا وروسيا وفارس يستهدف الهند ، وكان يتعين على جونز أن يثير مع الشاه كل حساسياته ضد روسيا وأن يوضح له بأن الصداقة الفرنسية الروسية الجديدة سوف تعرض فارس لخطر أشد . وفى يوم ٢٨ أغسطس أصدر كاننج تعليماته النهائية لجونز ، ومؤداها ، أن يحصل جونز على تعهد من الشاه بالالتزام بمعاهدات عام ١٨٠١ واذا تعذر ذلك فعليه أن يقنعه بالوقوف على الحياد فى الصراع القائم بين فرنسا وانجلترا ، فاذا ما أظهر الشاه رغبة فى قطع صلاته بفرنسا - وكان كاننج حتى ذلك الوقت يجهل أمر معاهدة فنكنشتين ، فقد فوض جونز بأن يتعهد للشاه بمدته بالسلاح والمال والخبراء العسكريين بالإضافة الى دعم الأسطول البريطانى له فى الخليج مقابل « اتفاقيات مفتوحة » وعلى أن يتعهد بالوقوف الى جانب بريطانيا فى حالة تعرض الهند البريطانية لغزو من أى دولة أوروبية - فرنسا أو روسيا - ولما كانت الحرب فى ذلك الوقت قد نشبت بين انجلترا والامبراطورية العثمانية فقد كان يتعين على جونز أن يجس باشا بغداد حول استعداداه لعقد حلف مع بريطانيا مقابل التعهد له بمساعدته

(١) تضمنت التعليمات التى أرسلت الى جاردان ما يشير الى أن عقد تحالف رسمى بين تركيا وفارس ضد فرنسا لم يعد أمرا مرغوبا فيه وكل ما كان مطلوباً هو القيام بعمل مركز ضد روسيا فقط (نفس المصدر) وكان تاليران هو أحد المعارضين لتلك الاتفاقية على طول الخط وقد أوضح تلك النقطة لجاردان .

ضد أى هجوم يقع عليه سواء جاء هذا الهجوم من جانب الأقطاعيين الفرس أو من الفرنسيين أو من الفرس أنفسهم . أما إذا لم يظهر الشاه استعداداً لعقد مثل هذا التحالف فلا بد من استخدام الضغط عليه باثارة القبائل ضده داخل البلاد، كذلك إذا رفض باشا بغداد التعاون فيمكن التجوز الاتصال بأمر الوهابيين سعود بن عبد العزيز الذى كان فى ذلك الوقت سيد الموقف فى شبه الجزيرة العربية للحصول على تعاون منه ضد أى هجوم تقوم به فرنسا عن طريق البحر الأبيض المتوسط (١) .

وقد وصلت المعلومات السرية عن اتفاقية السلام الموقعة فى تلسيت الى الهند فى نهاية سبتمبر . وفيما كان يبدو تراجعاً عن السياسة الخارجية السابقة منذ استدعاء ويلسلى فقد بعثت اللجنة السرية لمجلس ادارة الشركة بتعليمات الى الحاكم العام للتخابر مع الأقطار الواقعة بين الهند و فارس لتوجيه نظرهم الى الخطر الذى أصبحوا يتعرضون له والسعى الى اقامة تعاون معهم لصد أى هجوم فرنسى أو فرنسى روسى مشترك ضد الهند . كما أبلغ المقيم بأن التعزيزات الحربية ستكون على استعداد لارسالها الى الهند والشرق الأدنى اذا لاح خطر هجوم يدبر ضد الهند . كذلك تضمنت الخطة اثاره القبائل الجنوبية ضد الشاه كما تضمنت أيضاً توجيه تحذير الى حكومة الشاه بأن العلاقات سوف تتدهور حتى ولو لم يقع الهجوم ، وتحذير آخر عن نية بريطانيا فى تحريض الوهابيين الذين كانوا على عدااء مع الأتراك والفرس على السواء .

(١) رسالة من كاننج الى جونز بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٠٧ راجع أيضاً رسالة اردندس الى جونز بمجلس الشركة بتاريخ ١٨٠٧/٩/٨ (وقد خلف روبرت دندس ابا كرئيس لمجلس الحاكم فى الوزارة الجديدة) وكان كاننج سبق أن رفض مشروعاً كان قد تقدم به جونز بخلع الشاه عن العرش وتنصيب أمير من أسرة الزندالسابقة، راجع أيضاً رسالة كاننج لجونز بتاريخ ٢ يونيو ورسالة أخرى بتاريخ ٢١ أغسطس ١٨٠٧ (رقم ١ و ٢) وأيضاً رسالة دندس لكاننج بتاريخ ١٨٠٧/٨/٢٠ كذلك راجع مسودات المجلس السرية مجلد (٣) وهى صيغة رسالة أعدت للحاكم العام بتاريخ ١ يونيو ١٨٠٧ تحت رقم ٢٨ .

(م ٩ من بريطانيا والخليج)

ولقد تلقت السلطات فى الهند معلومات من فارس عن احتمال وقوع بعض الاضطرابات فيها ، وقد ظل المقيم البريطانى فى بوشهر يزود الحكومة بتقارير منظمة عن نية الشاه فى تسليم ميناء بندر عباس الى الفرنسيين الذين سيحولونه الى قاعدة فرنسية لترسل اليها الامدادات جزر موريشيوس الفرنسية . وبمجرد وصول ذلك التقرير قام جوناثان دنكان على الفور باصدار أوامره للقائد العام للأسطول فى الهند الشرقية الفيلد ادميرال سيراوارد بيلو بارسال بارجة الى الخليج . ولكن بيلو رد عليه يقول : بأنه لا يستطيع ارسال البارجة وأن الخطة الفرنسية كانت فى نظره مجرد محاولة (لاثارة المشاكل) ، وقد وصله طلب مماثل من الحاكم العام الجديد للهند مینتو بعد وصوله الى الهند مباشرة ، وكان مینتو قلقا من بعض التقارير التى كانت قد وصلت اليه من المقيم البريطانى فى بوشهر بأن الشاه ينوى تسليم جزيرتى خرك وهرمز الى الفرنسيين بالإضافة الى بندر عباس ، وفى منتصف أكتوبر وافق بيلو على تغيير الفرقاة فوكس بفرقاطة أخرى ، اسمها بت ، وبأن يجهز الطراد البيون (٧٤) مدفعا للسفر الى بومباى مزودا بتعليمات الى قائدها بادخال الفرقاطات الثلاث التى تحت امرته الى حوض بناء السفن لاجراء بعض الاصلاحات عليها حتى تكون مستعدة للعمل اذا ما استدعت الظروف (١) .

وعلى الرغم من الحلف المعقود بين فرنسا وتركيا فقد وجد القلق فى الاوساط المسئولة فى كلكتا حول احتمال قيام الفرنسيين بنشاط فى الجزيرة العربية ، وقد رأى والى بغداد على باشا بأن لا يشجع أتباعه بالانضمام الى المعسكر الفرنسى . وانما على العكس فقد أبدى كثيرا من الاستعداد ل اظهار صداقته نحو البريطانيين فطلب الى كل من المقيم البريطانى فى البصرة وبغداد بالبقاء بمنصبهما، وقد رأت حكومة الهند بأنه طالما بقى على باشا على موقفه هذا تجاه بريطانيا ان تتجنب أى خطوة من شأنها أن تدفع بالعراق الى منطقة الصراع .

(١) من سجلات الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد (٢) خطاب الحاكم بتاريخ ١٨٠٧/٨/٣١ وخطاب رقم ١٧٩/١ من بيلو الى ويليام مرسدن سكرتير الاميرالية البحرية وكلودن ومدراس بتاريخ ١٨ أكتوبر ١٨٠٧ بالمرفقات .

وعلى أى حال فان ظهر تغيير فى موقف الشاه من هذا الموضوع فسوف تنظر الحكومة البريطانية فيما اذا كانت نفقات تجهيز حملة عسكرية لارغام الشاه على تغيير موقفه توازى الفوائد التى سوف تجنيها بريطانيا من وراء تلك اللعبة ، ولما كانت سلطة الباب العالى على الحكم فى العراق أصبحت ضعيفة فان أى هجوم تقوم به بريطانيا على العراق لن يؤثر على الباب العالى، وبالتالي فانه من مصلحة بريطانيا ان يبقى العراق كما هو ممرا لنقل البريد وغيره من البضائع (١) .

هذه هى الاستنتاجات التى توصلت اليها الحكومة قبيل وصول منو الى الهند ، وعلى أى حال فان هذه الاستنتاجات تختلف عن مقترحات جون مالكولم التى حاول فرضها على الحاكم العام بعد وصوله الى الهند مباشرة . وعلى الرغم من ان الحرب بين الباب العالى وانجلترا لم تكن قد نشبت حتى ذلك الوقت ، كما كان الاعتقاد سائدا فى الهند ، فلقد كان مالكولم يعتقد بأن الحرب لابد ان تنشب ، الأمر الذى يستدعى حصول بريطانيا على موطن قدم فى العراق يمكنها من احباط أى محاولة للهجوم على الهند من جانب أى دولة فى أوربا ، وقد جاء فى خطاب مالكولم الى سكرتير الحاكم العام ، بأن فارس وتركيا مازالتا تعتبران منطقتين فاصلتين بين الهند والدول العربية ، وأن القضاء على استقلال أى منهما من قبل أى دولة معادية سيعرض الهند للخطر من جانب تلك الدولة ، ومن هنا فان سياسة الحكومة البريطانية فى مساعدة تلك الدولتين وتأييدهما لها وخلق دول أخرى مؤيدة لسياسة بريطانيا ودعمهما يعتبر جزءا من هذه السياسة (٢) ، وكان مالكولم يرى بأنه من الممكن فصل العراق عن تركيا وانشاء دولة مستقلة منها بشرط أن تضمن الحكومة البريطانية استقلال تلك الدولة من أى عدوان خارجى، كما تضمنت رسالة مالكولم نقطة استراتيجية

-
- (١) من سجلات سكرتارية حكومة البنغال مجلد ١٠ من مضمون رسالة من مجلس الحاكم العام الى سكرتير اللجنة فورت ويليام بتاريخ ١٢/٦/١٨٠٧ .
 (٢) مذكرات متفرقة للحكومة البريطانية مجلد ٧٢٧ من مضمون رسالة من مالكولم الى آدمون ستون ميسور ١٢/٨/١٨٠٧ .

هامية بالنسبة للعراق ، فقد اقترح فيها أن تقوم الحكومة البريطانية بتحويل منطقة القرنة الواقعة على دلتا النهرين الى قاعدة بريطانية ومزبطة قوة عسكرية فيها بصفة دائمة . وحذر مالكولم من أن ضياع العراق من الامبراطورية العثمانية سوف يعجل بسقوطها ، الأمر الذي ستفيد منه روسيا ، وأن روسيا ، وليس فرنسا ، هي التي تشكل الخطر الأكبر على الحكم البريطاني في الهند ، غير أن مالكولم عاد وأكد أنه لم يكن في وسع بريطانيا أن تعمل أى شيء لانقاذ الامبراطورية العثمانية من الانهيار (١) ، وفي الوقت الذي كان مالكولم يعرب عن آرائه كانت الأحداث في العراق تضيف وزنا جديدا على مقترحاته ، فقد أفتيل على باشا في أغسطس ١٨٠٧ ، وفي الصراع الذي أعقب مقتله بدا أن السلطة سوف تنتقل الى شخصية موالية لتركيا . وفي نهاية العام تقريبا ظهر سليمان باشا الصغير ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاع أن يقيم علاقات ودية مع السلطات البريطانية في الهند . وبعد أن هدأ القلق لدى الحاكم العام منتو بالنسبة لتركيا العربية ، ان لم يكن قد زال ، فقد وجد نفسه في وضع يسمح له بالتركيز على الأمور الأكثر أهمية داخل فارس .

أما الجنرال جاردان فقد وصل طهران يوم ٤ ديسمبر ١٨٠٧ ، وكانت المهمة الموكولة اليه هي حمل الشاه على الالتزام بتنفيذ معاهدة فرنكشتين ، ولكن هذه المهمة لم تكن سهلة بعد توقيع معاهدة السلم في تليستيت ، ولكن ربما أنه اعتمد في اقناع الشاه على احتمال استرجاعه لمقاطعة جورجيا عن طريق الوساطة الفرنسية بدلا من الأسلحة الفرنسية ، وكان نابليون يتصور أن معاهدة السلم التي عقدت مع روسيا قد خلقت ظروفا ملائمة للمضى في خطته الخاصة بالتوسع في الشرق بدلا من سياسة الالتزام لفارس بمسألتها دبلوماسيا ، وعسكريا ضد الروس ، وإذا ما قدر للمفاوضات التي سيجريها جاردان مع الشاه أن تنجح فان قيام عمل مشترك بين فارس وفرنسا وروسيا للهجوم على الهند سوف يغدو بعيد الاحتمال .

وبعد وصوله بقليل غادر الجنرال جاردان فارس ممتعضا من الشكوك التي

(١) نفس المصدر .

أبداها الشاه حول اصدار بيان يقول فيه ، انه الى ان يتم تطبيق البند الرابع من المعاهدة التي تلزم نابليون أن يبذل أقصى الجهود لاستعادة المقاطعة الفرنسية وعقد معاهدة سلام تضع حدا للقتال الدائر في شمال فارس فان الشاه سوف يكون غير ملزم بالشروط المتعلقة بالحرب ضد البريطانيين في الهند (١) .

لقد تم وضع صيغة اتفاقية تسمح باقامة مراكز تجارية فرنسية في بندر عباس وتسليم جزيرتي خرك وهرمز للفرنسيين ، وتم تفويض رجال الجنرال جاردان للقيام بمعاينة الجزر للتأكد من تحصيناتها (٢) .

ولقد تسربت اخبار هذه الصفقة عن طريق بوشهر في الأسابيع الأولى من عام ١٨٠٨ كما بعث المقيم البريطاني بتقارير عنها (٣) . وقد عم الذعر في الأوساط السياسية في بومباي في يناير ١٨٠٨ عندما أشيع بأن وحدات من الجيش الفرنسي المرابطة في هولندا بقيادة الجنرال منون قد سحبت ، وقد فوض منون بالسفر الى حمص واللاذقية عن طريق تركيا ومنها الى فارس . والأدهى وصول تقرير عن تحرك قطع بحرية من الأسطول الفرنسي مكونة من سفينتي امداد ونحو أربع الى ست فرقاطات تحمل مئات من الجنود من الأروشفورت متجهة الى الشرق ، وذلك في شهر يونيو ، وأن القرصان الذائع الصيت روبرت سركوف قد غادر هو الآخر على سفينة القرصنة في طريقه الى الهند الشرقية ، وقيل يومئذ بأن وجهة الأسطول الفرنسي هي الخليج حيث سيتولى الاشراف على الجزر التي حصل عليها الجنرال جاردان .

وقد تسبب هذا الخبر في سرعة تجهيز ثلاث فرقاطات كانت في أحواض

(١) للاطلاع على نص البيان المشار اليه راجع فارس والخليج مجلد ٢٦ من مضمون رسالة من اتشو جونز الى ار. دندس من طهران بتاريخ مارس ١٨٠٩ (رقم ٣) ومرفق معه تصريح جاردان المؤرخ ١٧ ديسمبر ١٨٠٧ .
(٢) فارس والخليج مجلد ٢٩ مضمون رسالة من مالكولم الى منون شهر يونيه ١٨٠٨ .

(٣) معظم هذه المعلومات وصلت الى الهند عن طريق نجل الشاه حسين على ميرزا الأمير والحاكم في فارس والذي كان يكنى العداء للفرنسيين .

بناء السفن في بومباي ، وبنهاية يناير كانت تلك الفرقاطات جاهزة للإبحار ، وفي يوم ٤ فبراير أبحرت من بومباي الى الخليج وحدة من الأسطول تحت قيادة انكابتين جوفريير، وكانت تتألف من الطراد البيون ، والفرقاطات فيتون ، ودي ودنتيس ، والطراد رويال جورج (٥٠ مدفعا) والطرادين مورننج تون ، وترنيت وعلى ظهر هذه القطع الفا رجل من الفرقة الخامسة والستين ، وستون من رجال المدفعية ، بالإضافة الى الكابتين دافيد ستون المقيم البريطاني السابق في مسقط ، الذي زود بتعليمات لاعادة فتح الوكالة، وقد عزز فرير هذه الاجراءات باصدار أوامر للطراد « رسل » والطراد « سانت فيورنزو » اللذين كان يتوقع وصولهما الى بومباي بعد قليل لكي يلحقا بالكابتين ستون مافي (١) ، وكان منتو يعتقد أن الاجراءات البحرية وحدها لم تكن تكفي لوقف نشاطات جاردان في طهران ، كما رأى أنه لا بد من ايفاد بعثات الى افغانستان والسند والبنجاب ، وذلك قبل أن يتسلم التعليمات التي صدرت اليه من مجلس الادارة في الهند بتاريخ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، وكان يعتقد أيضا أن الوضع في فارس كما تقرر في شهر يناير سنة ١٨٠٨ لا يحتمل الانتظار حتى وصول هارفرد جونز ، وأنه لا بد من اتخاذ اجراء فوري . وكان مالكولم يحث منتو على اتخاذ مثل ذلك الاجراء على مدى الشهرين السابقين ، وكان يصر على أن توضح الحكومة البريطانية للشاه ، بأنها لن تصبر أكثر مما صبرت على استمرار المؤامرات الفرنسية في فارس ، واذا كان ثمن الحصول على موافقة الشاه لابعاد الجنرال جاردان من فارس هو انحياز بريطانيا الى جانب فارس فانه ثمن لا بد من دفعه، كما لا ينبغي أن يؤثر مثل هذا القرار ، كما اشار مالكولم، على الاعتقاد باحتمال

(١) من سجلات الوثائق السياسية بومباي مجلد ٢/ من مضمون رسالة من الحاكم العام الى مجلس ادارة الشركة بتاريخ ٢٠ فبراير ١٨٠٨ ومجموعة وثائق مجلس الادارة مجلد ٢٥٨ مجموعة ٥٦٥٥ من مضمون رسالة من ويليام نيوهام (سكرتير الدولة) الى فرير بتاريخ ٢٥ يناير ١٨٠٨ ورسالة من فرير الى دنكان بتاريخ ٢٦ يناير ١٨٠٨ . ومنذ مغادرته مسقط كان ستون مشغولا بمهامه السياسية في كتش والبحر الأحمر .

تحول روسيا الى الخصم الاكبر لانجلترا في آسيا ، فاذا مارفض الشاه قطع صلاته بالفرنسيين فلا بد من عملية استعراض للقوة ، كما يتعين على بريطانيا ان تغلق مركزها في بوشهر ، وان تقوم بانشاء قاعدة لها في الخليج وان توقف جميع المعاملات التجارية مع فارس(١)

وقد ايد منتو هذا الرأي وقام بايفاد بعثة الى الخليج للاتصال بحكومات فارس وتركيا العربية ، وذلك بواجهة دبلوماسية تخفى وراءها زناد البنادق البريطانية(٢) . واختار مالكولم قائدا لتلك الحملة رماه الى رتبة برجيدير جنرال ، ويوم ٣٠ يناير ١٨٠٨ صدرت اليه التعليمات وزود بصلاحيات تخوله التصرف في الشؤون السياسية وغيرها من المصالح البريطانية في منطقتي فارس والجزيرة العربية ، وعلى ان الصلاحيات الممنوحة للمراكز البريطانية في بغداد والبصرة وبوشهر بالنسبة للشؤون السياسية ووضعها تحت سلطته المباشرة(٣) . كما اعطيت له صلاحية الاشراف على طرادات بحرية بومباي العاملة في الخليج ، وكان ينبغي على مالكولم بموجب تلك الصلاحيات ان يضع حدا للتغلغل الفرنسي نحو الهند ، وان يعمل على قطع علاقات فرنسا والغناء احلافها بجميع دول المنطقة وان يقدم من الاقتراحات ما يراه مناسباً بما يمكن بريطانيا من اتخاذ الخطوات السلمية او العسكرية لتحقيق الاهداف البريطانية في تلك المنطقة(٤) . بعد بضعة اسابيع على سفر مالكولم كلفه منتو ضمن تعليمات جديدة ارسلها اليه بالتحري عن تطور علاقات فرنسا بفارس ،

-
- (١) حياة ورسائل السير جون مالكولم واعداد السير جى. دبليو. كيه
مجلد ٢ طبعة لندن ١٨٥٦ من مضمون رسالة من مالكولم الى منتو من ميسور
بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٨٠٧ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) فارس والخليج مجلد ٢٨ من مضمون رسالة من منتو الى
مالكولم بتاريخ ٣٠ يناير ١٨٠٨ .
(٤) نفس المصدر كما ايضا راجع الرسالة الخاصة من منتو الى مالكولم
بتاريخ ٣١ يناير كما وردت في كتاب كيه .

وفي ظروف الحرب بين فرنسا وبروسيا، ومهدى ما حققته المحاولات الفرنسية في تحقيق اطماعها في الهند . فان تبين له بأن موقف الفرس من الفرنسيين قد اصاب بالفطور يبادر منتو الى ارسال حملة الى الخليج لتتعاون مع الفرس ضد الفرنسيين . . اما اذا تبين أن الفرس يميلون الى اتخاذ موقف الحياد فان الحملة سوف تخدم غرضا مزدوجا من حيث أنها ستؤدي الى تأكيد الوجود البريطاني في منطقة الخليج . وكان يتعين على مالكولم بأن يقدم رأيه عن حجم قوة تلك الحملة وتكوينها . غير أن منتولفت نظر مالكولم الى نقطة هامة ، وهى أن يقوم بجمع معلومات أكيدة عن هذه المسألة، كما طلب منه بالألا يتخذ أى إجراء قبل وصول تعليمات واضحة اليه من حكومة الهند ، التى قال منتو بأنها لن توافق على مثل هذه الاجراءات الا فى حالة قيام ظروف استثنائية كموضوع الدفاع عن الممتلكات البريطانية أو فى حالة لجوء الحكومة الفارسية الى انتهاك صريح للاتفاقيات المبرمة بينها وبين الحكومة البريطانية (١) وخلال المباحثات التى عهد الى مالكولم باجرائها مع الشاه عهد اليه بأن يلتزم بنصوص معاهدات ١٨٠١ التى كانت لاتزال سارية المفعول وملزمة للحكومة الفارسية . ولانجاح مهمة مالكولم اوضح منتو بأنه سوف يضى على مهمته فى فارس طابع القوة والحزم (٢) .

غادر مالكولم مدراس عن طريق البحر متجها الى بومباى يوم ١٧ فبراير، وعند وصوله اليها فى الاسبوع الاول من ابريل وجد أن القوة البحرية المعقود لواؤها للكابتن فرير قد غادرت الخليج قبل ايام قليلة من وصوله بعد أن قضت شهرا هناك حيث كانت تقوم بدوريات فى مياه الخليج بين بندر عباس ومسقط، ولكنها لم تكتشف أى اثر للنشاط الفرنسى، وان كان قد قيل لفرير وهو فى بندر عباس ، أن اثنين من الضباط الفرنسيين قد زارا الميناء فى بداية فبراير (٣) .

- (١) فارس والخليج مجلد ٢٨ من مضمون رسالة من آدمون ستون الى مالكولم وفورت وويليام بتاريخ ٧ مارس ١٨٠٨ .
 (٢) نفس المصدر .
 (٣) وثائق حكومة بومباى السياسية الحلقة ٣٨٠ مجلد ٣، وتتضمن استشارات مؤرخة ٨ ابريل ١٨٠٨ ومضمون رسالة من الكابتن فرير الى دنكان بتاريخ ٣ ابريل ١٨٠٨ .

وقد تعرض مالكولم لتأخير دام أسبوعين بينما كانت القوة المرافقة له المؤلفبة من ٣٠٠ جندي من الفرقة الرابعة والثمانين و ١٠٠ خيال وخمسين عسكري وقوة مدفعية قد تجمعت . وكان مالكولم يحتاج الى هذه القوة لمواجهة أى قوة فرنسية يلتقى بها فى مياه الخليج (١) . وقد حامت الشكوك على أى حال فى جدية الأسباب التى أبداها مالكولم ، وذلك بسبب اسرعه فى مغادرة الهند يوم ١٧ ابريل الى الخليج دون أن يصحب معه القوة بكاملها ، وكان سبب اسرعه بالمغادرة ، هو علمه بأن الفرقاطة التى كانت تحت قيادة هارفرد جونز بانجلترا قد ابحرت من رأس الرجاء يوم ٢٦ يناير ، وكان متوقعا وصولها فى أى يوم . وقد توقع منتو بأن يصل جون الى الخليج فى نفس الوقت الذى يصل فيه مالكولم ، كما ابلغ مالكولم بأنه اذا رأى بأن مهمته تتعارض مع وجود جونز فان عليه ان يتخلى عن مهمته ، وأن يقرر فيما اذا كان ينوى البقاء فى الخليج كمتعمد سياسى للحاكم العام أم لا (٢) ، وقد أسير منتو الى مالكولم بأن هدف جونز هو افساد الخطة التى وضعها (٣) . وأنه سيكون سعيدا لو تأكد بأن ابحاره الى الخليج مثل جونز كان بدافع المصلحة العامة (٤) .

وصل جونز الى بومباي يوم ٢٦ ابريل وهناك علم لأول مرة بمهمة مالكولم ، فقرر ان ينتظر عما تسفر عنه تلك المهمة قبل ان يتوجه الى فارس كما اوضح ذلك لروبرت دانتس رئيس المجلس حتى يتفادى حدوث تضارب فى السلطة امام الفرس وقال : « فاذا كان الجنرال مالكولم لم ير من المناسب ان ينتظر

(١) انظر كتاب كيه الفصل الاول ص ٤٠٩ الى ٤١١ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٢٨ من مضمون رسالة من آدمون

ستون الى مالكولم بتاريخ ٧ مارس ١٨٠٨ .

(٣) من كتاب كى مضمون رسالة من منتو الى مالكولم ٩ مارس ١٨٠٨

٤ ما فيما يتعلق بشعور مالكولم نحو مهمة جونز فيمكن الرجوع الى نفس المصدر

ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

(٤) فارس والخليج مجلد ٢٨ مضمون رسالة من آدمون ستون

الى مالكولم وفورت ويليام ٢١ ابريل ١٨٠٨ .

وصولى الى بومباى وهو الذى كان متوقعا فى اى لحظة فليس من المحتمل أن ينازل الى مالكولم عن أى شىء من اختصاصاته وحتى لو توجهت أنا الى فارس (١) .

كان مالكولم فى ذلك الوقت فى طريقه الى مسقط بأقصى سرعة ، وكان السيد سعيد قد سئل عن رأيه فى الخطوة التى قام بها الفرس للتنازل عن بندر عباس وهرمز للفرنسيين ، وكان رده ، أنه طالما أن الميناءين تحت سلطته فانه لن يسمح للفرنسيين أو للفرس لاستعمالهما كقاعدتين ، وعند تلقى هذا الرد من السيد سعيد عهد متتو الى جوناثان دنكان بأن يستفسر من السيد سعيد عما اذا كان سيقبل مساعدة من البريطانيين لابعاد الفرنسيين عن بندر عباس ، وقد كلف دنكان مالكولم بتسليم تلك الرسالة الى السيد سعيد ، وقبل أن يفادر مالكولم بومباى أصدر متتو تعليمات محددة اليه طلب منه فيها مقابلة السيد سعيد لكى يوضح له الأسباب التى استدعت اتخاذ تلك الاحتياطات فى منطقة الخليج (٢) . وقد رست سفينة مالكولم فى خليج مسقط يوم ٣٠ ابريل ، وحضر وزير السلطان الى السفينة لمقابلة مالكولم، وعندما قابل مالكولم السلطان سعيد أبلغه انه على الرغم من أن الحكومة البريطانية قد سمحت له بالاحتفاظ بعلاقاته مع الفرنسيين فلا ينبغى له ان يفسر ذلك التساهل بما يرقى الى تقديم المساعدات الى الفرنسيين أو التواطؤ معهم على حساب المصالح البريطانية ، وقد أبدى الوزير دهشته من حديث مالكولم خصوصا وأن حكومة الهند قد قررت اخيرا أن تعتبر مسقط من الدول المحايدة فى الصراع الفرنسى البريطانى . غير ان مالكولم لم يقتنع بهذا رأى وقال للوزير : ربما يكون ذلك مقبولا لو أن الفرنسيين لم يصلوا الى ابواب الهند وشواطئها أو كانوا فى مناطق بعيدة عن مسقط بحيث لا يستطيع السيد سعيد مساعدتهم ، فاذا تبين أن السيد سعيد

(١) فارس والخليج مجلد ٢٥ مضمون رسالة من جونز لداندى صادرة من بومباى بتاريخ ٢٨ ابريل ١٨٠٨ كذلك راجع خطابه لمتتو بنفس التاريخ ونفس المجلد .

(٢) مجموعة وثائق حكومة البنغال مجلد ١٠ فصل واحد خطاب من الحاكم العام الى سكرتير اللجنة فورت ويليام بتاريخ ١٨٠٨/٣/٣١ .

كان متعاوناً مع الفرنسيين فان الحكومة البريطانية سوف تعتبره من الحكام المعادين لها(١) وقد اقترح وزير السيد سعيد على مالكولم بأن ينتظر حتى يصله رد السيد سعيد النهائى ، غير أن مالكولم لم يوافق على الاقتراح ، وقرر مواصلة السفر الى بوشهر . وعند هذا الحد لا يمكن اعتبار مهمة مالكولم قد انتهت أو أنه قام بتنفيذها وفقاً للتعليمات الصادرة اليه من دنكان(٢) .

وإذا كان الحاكم العام للهند يرى أن مقابلة مالكولم للسيد سعيد اجراء مرغوب فيه فقد كان ذلك جزءاً من مهمته، وكان تعليق منتو على الأسلوب الذى تصرف به مالكولم فى مسقط بأنه لا يعدو أن يكون استمراراً لمواقفه السابقة من هذه القضية .

وقبل مغادرة مالكولم الهند كان منتو قد شرح له تفاصيل مهمته ، وفى يوم ١٥ ابريل تلقى منتو رسالة من مالكولم يقول فيها :

انى مصمم على تأجيل سفرى الى فارس ريثما أتأكد من نجاح مهمتى فى الحصول على المطالب التى تقدمنا بها الى حكومة فارس(٣) .

وصل مالكولم الى بوشهر يوم ١٠ مايو ، وفى نفس اليوم نزل الى المدينة برفاقه قوة من خمسين جندياً من الفرقة الرابعة والثمانين الملكية ، وقد اثار وجود هذه القوة سكان البلاد الذين لم يسبق لهم أن رأوا جنوداً أوروبيين من قبل ، وبعد أن وصل مالكولم الى مبنى الوكالة البريطانية فى بوشهر وجه انذاراً الى مجلس وزراء الشاه ، وأرسله مع الكابتن شارلس بازلى أحد الضباط المرافقين له ، وقد اتهم مالكولم الشاه فى هذا الانذار بانتهاك معاهدة عام ١٨٠١ باستقباله بعثة فرنسية فى طهران وحذره من أنه مالم يأمر على الفور بإبعاد

(١) رسائل الخليج ١٨٠١ - ١٨٥٣ رسالة من مالكولم لمنتو مسقط

١٨٠٨/٥/١ .

(٢) الكنتس منتو اللورد منتو فى الهند/حياته ورسائله طبعة لندن ١٨٨٠

ص ١١٥ رسالة من منتو الى آدمون ستون (١٨٠٨) .

(٣) من مالكولم الى منتو بومباى فى ١٥ ابريل ١٨٠٨ تأليف كيه .

الجنرال جاردان وحاشيته من فارس فانه لن يحضر الى طهران ، وان الشاه مسئول عن النتائج التى سوف تترتب على ذلك ، وسوف تقطع الهند جميع علاقاتها التجارية بفارس ، وستقوم حملة بريطانية باحتلال احدى الجزر الفارسية فى الخليج ، ولم يخامر مالكولم أى شك فى ان انذاره للشاه سوف يؤدى الى الغرض المنشود ، وقد ذكر لبازلى مرة بأن ملك فارس ووزراءه سوف يرحبون بمقدمه ، ولذلك فقد أجل زيارته لبلاط الشاه حتى يستجيب لمطالبه، التى كان يعتقد بأنها مطالب تمس كرامة ومصصلحة بريطانيا (١) أما بازلى فبقى فى شيراز ، وهناك عرف بأن عليه أو على مالكولم أن يقوم بالاتصال بالأمير حسين على ميرزا حاكم فارس ، الذى كلفه الشاه بالفعل بالاشراف على علاقات فارس بشركة الهند الشرقية . وعندما علم مالكولم بتلك ثارت ثائرتة ، وأبلغ بازلى يوم ٩ يونيو بأن يطلب من الأمير بأن يسمح لبازلى بالتوجه الى طهران خلال شهر واحد فاذا رفض فان مالكولم سينسحب من أراضي فارس ويعود، وقال لبازلى ان عودتك وخروجى الفورى الى خرك أو البصرة سوف يرد هؤلاء الى صوابهم وينبههم الى الأخطار التى ينطوى عليها تصرفهم (٢)، وللمرة الثانية اخطأ مالكولم فى تقديراته فان على ميرزا لم يكثر بتهديدات بازلى الذى لم يجد مفرا من أن يفادر شيراز فى نهاية شهر يونيه ، وفى يوم ١٢ يونيه أبحر مالكولم على الفرقاطة البريطانية لوريس عالنا الى الهند . ويبدو انه لم يخطر على بال مالكولم أن فشله فى مهمته انما يعود الى الأسلوب الذى عالج به تلك المهمة . وكان منتو قد اقترح على مالكولم بالأ يتعدى حديثه مع الشاه العتاب الودى وتقديم النصيح، ولو أن مالكولم تقيد بالتعليمات التى أصدرها اليه الحاكم العام لربما أسفرت مهمته عن نتائج أفضل ، وكان اصراره على الشاه بالالتزام بمعاهدة ١٨٠١ خطأ

(١) فارس والخليج المجلد ٢٥ من مالكولم لمنتو يومبىاى
 ١٨٠٨/٥/١٨ ومنفق معه الانذار الموجه الى مجلس وزراء الشاه ويقع الانذار
 فى نحو عشرين صفحة متراصة السطور من الورق الغولسكاب .
 (٢) فارس والخليج مجلد ٢٥ من مالكولم الى بادلى ٩ يونيو ١٨٠٨ .

بيننا ، وقد أوضح منتو هذه الحقيقة: لما لكولم اثناء مناقشته لمهمته (ان فابريس كحكومة مستقلة لها الحق في استقبال السفراء المعتمدين من أى دولة وأن تعقد معهم أى مفاوضات تراها ضرورية، بلصلحتها) .

وقد لا يمنع توقيع الشاه على المعاهدات السابقة مع بريطانيا من الاشتراك في توقيع معاهدات واتفاقات جديدة وبالتالي فلا يصح أن يعتبر استقبال الشاه للمبعوث الفرنسي ومرافقته انتهاكا لتلك المعاهدات (١) . ويرى الحاكم العام بأن مالكولم قد أخطأ حين اعتبر ابعاد جاردان ومجموعته من فارس أساسا لأى شرط للمفاوضات بدلا من التركيز على الهدف الأساسى للمهمة « فلو أن مالكولم استطاع تحقيق هذا الهدف من خلال اقامته الطويلة فى فارس واحسن استغلال ماكان يتمتع به من مواهب لكان قد حقق نجاحا باهرا فى مهمته بيد ان مهمته قد اهتزت من خلال الطريقة التى تناول بها الموضوع والاسلوب المقوت الذى استخدمه مع سلطان فارس (٢) ، وكان الأولى بمالكولم اذا كان يهدف الى صرف الشاه عن الفرنسيين على حد رأى منتو أن يضرب على وتر المخاوف الفارسية من الروس وتذكير الشاه بالتحالف القوى بين على وتر المخاوف الفارسية بين الروس وتذكير الشاه بالتحالف القوى بين روسيا وفرنسا مما يجعله يفقد الثقة فى فرنسا من ناحية وفى روسيا وفرنسا من ناحية أخرى . وكان المفروض أن لا يتوقع مالكولم من الشاه الذى كان فى ذلك الوقت متورطا فى قتال مع الروس فى الشمال بأن يكثر لتهديدات فى الجنوب ، وكان منتو يود أن يعرفه عما اذا كان مالكولم قد فكر فى التهديدات التى وجهها الى حكومة الشاه قبل أن يقدم على ذلك (٣) .

(١) « فارس والخليج » المجلد ٢٥ من منتو الى مالكولم وفورت ويليام ١٢ أغسطس ١٨٠٨ والواقع أن فارس قد نقضت اتفاقية ١٨٠١ بعقدها لمعاهدة فنكشتين ولكن بما أن منتو ومالكولم لم يكونا فى ذلك الوقت على علم بتلك المعاهدة فان سلوك مالكولم بإشارته الى تلك المعاهدة لا يمكن أن يفتقر .

(٢) اللورد منتو فى الهند ص ١١١ من رسالة من منتو الى اللفتنانت جنرال هبوت : ١٨٠٨/٧/٣ .

(٣) فارس والخليج مجلد ٢٥ من منتو الى مالكولم ١٢ أغسطس ١٨٠٨؛

وعندما كان مالكولم يغادر الخليج كانت تشغل باله وتراوده كثير من الأفكار ، فقد قرر بأن يتجه مباشرة الى كلكتا دون أن يفكر فى الاحراج الذى سوف يتعرض له عندما يقابل هارفورد جونز ويعرف منه الفشل الذى لقيته مهمته ، وكما ذكر بنفسه أن سبب توجهه الى كلكتا يعود الى رغبته فى عرض اقتراحاته المعتادة لموقف حكومة فارس ، وكان على رأس تلك الاقتراحات تجهيز حملة عسكرية للاستيلاء على جزيرة خرك وتدعيم تجارة الهند مع فارس ، مع ان مالكولم قد سبق أن رفض اتخاذ خرك كموقع لاقامة مركز سياسى وتجارى فيها ، بينما هو يقترح الاستيلاء عليها لانشاء القاعدة البريطانية فيها ، كما اقترح اغلاق الوكالتين فى كل من البصرة والخليج ، وأن يحل محلها مؤسسة سياسية وتجارية كبيرة ، ويمكن الاتفاق على هذه المؤسسة من ايرادات الجمارك، لأن مالكولم كان يعتقد بأن جزيرة خرك لابد وأن تصبح مركزا تجاريا كبيرا فى الخليج وأنه هو الذى سوف يشرف على هذه الأعمال بتلك المؤسسة (١) .

عند وصول مالكولم الى كلكتا يوم ١٢ أغسطس عرض مشروعه على الحاكم العام ، ولم يكتف منتو بقبول المشروع من أول وهلة فحسب بل تراجع أيضا عن كثير من الانتقادات والمآخذ التى سبق أن وجهها الى مالكولم فى البداية بشأن الأسلوب الذى انتهجه فى بوشهر ، وفى هذا الصدد كتب منتو الى اللجنة السرية يقول : اننا مقتنعون بأن الاطار العالم للاجراءات التى اتخذها مالكولم انما تتفق مع مركز وكرامة الحكومة البريطانية، وأن أى قرار بانسحابنا من أراضى فارس كنتيجة لرفض استقبال المبعوث البريطانى من قبل الشاه قد يترك انطباعات توازى الانطباعات التى قد يتركها أى حدث يمس الشرف القومى لبريطانيا (٢) . أما كيف استطاع مالكولم أن يغير من موقف منتو فانه لأمر يدعو

-
- (١) نفس الحلقة مجلد ٢٩ من مالكولم الى منتو بتاريخ ١٥/٨/١٨٠٨
 وفيما يتعلق بتصورات مالكولم الأخرى حول جزيرة خرك أنظر كتاب كيه للجزء
 الأول ص ٤٢٥ وقد اقتبس فيه من جريدة مالكولم عدد بتاريخ ٨/٧/١٨٠٨ .
 (٢) ارشيف حكومة البنغال مجلد ١٠ من مجلس الحاكم العام الى اللجنة
 السرية وقدرة وويليام بتاريخ ٣٧/٩/١٨٠٨١ .

إلى الغرابة . فقد كان دفاعه عن تصرفاته دفاعا ضعيفا ، كما أن القصة التي اخترعها من أن الفرس كانوا يتآمرون على اعتقاله مع مرافقيه لم تتأكد (١) . ومع ذلك فبعد مضي يومين من وصول مالكولم إلى كلكتا صدرت الأوامر إلى بومباي لتجهيز حملة بقيادته بينما طلب إلى هارفرد جونز ، الذي كان منتو قد رفع الحجر الدبلوماسي عنه بعد أن بلغه خبر فشل مهمة مالكولم ، بأن يؤجل سفره ويبقى في بومباي ، لكن قبل أن تصله التعليمات كان جونز قد أبحر ولم تصله تلك التعليمات إلا بعد أن وصل بالفعل إلى بوشهر وأصبح تنفيذ تلك التعليمات غير ممكن على الإطلاق (٢) .

وعندما علم منتو بسفر جونز أخذ يعيد النظر في الأمر وكتب إلى مالكولم يطلب منه إلغاء الحملة والتوجه إلى الخليج بصفته الدبلوماسية فقط ، وذلك لإنجاز مهمته الأصلية التي تعذر عليه إنجازها مع التأكيد على المشاعر الودية لباشا بغداد . غير أن مالكولم لم يكن على استعداد لتقبل ذلك والتقليل من حجم مهمته ، وكتب إلى منتو يحث على القرار ويتجهج على هارفرد جونز على تواطئه في الخروج من بومباي قبل وصول التعليمات التي تطلب إليه البقاء هناك .

وقد لاقى احتجاجه النجاح ، ففي يوم ٣١ أكتوبر بعث منتو بتعليماته إلى جونز يطلب منه الانسحاب من فارس ، وفي نفس الوقت فوض مالكولم للمضي في الحملة . وفي التعليمات التي أرسلت إلى مالكولم في الشهر التالي طلب إليه بالآلاي استخدام قواته إلا في حالة الدفاع عن النفس فقط . وأن يبذل أقصى ما في وسعه ليوضح للسلطات الفارسية في بوشهر بأن الغرض من الحملة هو ضمان سلامة وحماية الهند . فان رأى تغييرا في موقف الشاه من الفرنسيين فقد فوض بشأن عرض على الشاه تقديم قوة عسكرية صغيرة من نحو ٥٠٠٠ جندي لتساعد انفرس في مقاومة أي غزو فرنسي روسي مشترك من الروس والفرنسيين الذين أراضيه، فقد طلب من مالكولم أن يعرض تقديم تلك القوة إلى أمير شيراز كما كان يتعين عليه أن يتبع نفس الأسلوب مع السلطات التركية في العراق ، كما فوض

(١) انظر فارس والخليج مجلد ٢٥ من جونز إلى منتو بوشهر

٠.١٨٠٨/١١/٦

- ١٤٤ -

باجراء اتصالات مع الوهابيين فى شبه الجزيرة العزبية (١) ان هو رأى مصلحة فى ذلك .

ووصل مالكولم الى بومباى يوم ٣٠ نوفمبر حيث كانت الاستعدادات لتجهيز الحملة قد قطعت شوطا كبيرا ، فقد تم تعبئة قوة مؤلفة من الفنى رجل من المشاة الأوربيين والجنود والخيالة والمدفعية والطلائع، كما قيل له بأنه فى الامكان تزويده ب ٤٠٠٠ جندي اضافى من دار الوكالة اذا احتاج اليهم ، غير ان مالكولم اضطر الى تأجيل سفره الى الخليج فى انتظار وصول الأوامر اليه من كلكتا ، وبينما كان فى انتظار تلك الأوامر أوفد مساعده الكابتن ان - تى جرانت ليقوم بمسح ساحل مكران ابتداء من جواذر حتى بندر عباس وذلك لاختبار هذه المنطقة فيما اذا كانت تصلح لزحف يقوم به الجيش الفرنسى من جنوب فارس الى مشارف نهر الأندس (٢) .

ومن المشكوك فيه ما اذا كان مالكولم قد فكر بالفعل، أنه فى امكان الفرنسيين القيام بمحاولة لارسال قوة عبر ذلك الطريق، ولعله كان يهدف من ذلك الإبقاء على فكرة وجود خطر يهدد الهند ، وحتى لا يغير منتو رأيه بشأن الحملة . أما دنكان فى بومباى فقد كان يعارض على طول الخط مشروع مالكولم ، وكان يحث هـ:رفرد جونز بالاسراع فى انجاز المهمة التى كلف بها ، وقد كتب اليه رسالة بهذا المعنى : (ان هدفى من وضع كل هذه المسئولية عليك انما يعود الى اعتقادى

(١) من ارشيف حكومة البنغال مجلد ١٠ رسالة من الحاكم العام الى

اللجنة السرية لفورت ويليام ١٥/١٢/١٨٠٨ .

(٢) من ارشيف الوثائق السرية لحكومة بومباى مجموعة ٣٨٣ مجلد

٣ بتاريخ ٢٩/٤/١٨٠٩ من مالكولم الى جرانت ١٣/١/١٨٠٩ . ان رحلة جرانت فى الشهور الأولى من ١٨٠٩ تعتبر على جانب من الأهمية باعتبارها اول رحلة فى سلسلة من الرحلات البارزة التى كان سيقوم بها المسئولون البريطانيون عن طريق الأقطار الواقعة الى الشمال الغربى من الهند على امتداد ٣٠ سنة التالية ولم تذع الحكومة مضمون تقريره قبل ١٨٣٩ (انظر انطباعات رحلة عن طريق الأجزاء العربية من مكران) فى المجلة الملكية للجمعية الآسيوية غند (٥) (١٨٣٩)،

٤٢/٢٨ .

بانك ستعمل لمصلحة الملك لما تتمتع به من همة ونشاط وامكانيات ، ونأمل أن نسمع أنك قد وصلت الى فارس قبل أن تصل اليها الحملة الأخرى التي أرسلت الى الخليج بطريقة عشوائية، اذ لو وصلت تلك الحملة هناك فسوف تكلف الشركة ملايين الروبيات وستتمخض عن نتائج سيئة(١) وبالغة السوء .

في نفس الشهر وصلت تقارير الى بومباي من بوشهر تفيد بأن هارفرد جونز قد استقبل استقبالا يليق به وأنه من المتوقع أن يتوجه الى طهران في أقرب وقت ، وعندما علم مالكولم بذلك علق قائلاً في غضب (اننى مصمم على المضي في مهمتى وبالتالي فاننا سوف نخلق فوضى عجيبة في الخليج ، فهل سيريح هذا التصرف الموقرين فى لندن ، وما هم فيه من رعونة وطيش للتدخل في شؤون الحكومة المحلية(٢)) . حقا انه لكلام جرىء، ولكن حتى مالكولم لم يكن يستطيع أن يخفى القلق الذى أخذ يساوره مما تنطوى عليه تلك الخطوة من خطورة ، وفى يوم ٨ يناير ١٨٠٩ كتب الى منتو يقول « بأن التقارير التى وصلتته عن نجاح مهمة جونز » جعلتنى اتصور أنه من واجبى أن أرجىء مهمتى بدلا من المجازفة والتسرع فى أمر قد يؤدى الى الاضرار بالمصلحة العامة(٣)، وقد اضطر منتو الى موافقته على ذلك بعد أن تلقى اشارة من الحكومة فى انجلترا تفيد بأن الصراع فى اسبانيا قد يقيد نابليون من توجيه نشاطه للقيام بمغامرات عسكرية فى الشرق لبعض الوقت ، وبالتالي كتب الى مالكولم بتاريخ ٢٧ يناير يحذره بأنه قد تم صرف النظر عن الحملة الى أجل غير مسمى ، وعلى أية حال فقد قال له مواسيا ، بأن الخطط الفعلية بدعم مراكز الشركة فى جزيرة خرك سوف

-
- (١) بيان عن بعثة صاحب الجلالة الى بلاط شاه فارس مجلد ٢ تأليف افنشن جون برجز طبعة لندن ١٨٣٤ جزء ١ صفحة ١٧٠ ويتضمن خطاب دنكان .
 (٢) موضوعات متفرقة للحكومة البريطانية مجلد ٧٣٧ من مالكولم الى جورج بوشاف بومباي ١٨٠٨/١٢/٢٤ .
 (٣) نفس المصدر من مالكولم الى منتو بومباي ١٨٠٩/١/٨ .
 (م ١٠ - بريطانيا والخليج)

تستمر وان كانت ستبقى في نطاق ضيق مما كان يتصوره مالكولم، وانهم يفضلون المفاوضات للحصول على الجزيرة بدلا من الغزو والاحتلال .

في يوم ١٤ فبراير ١٨٠٩ وصل هارفورد جونز ، وبعد أربعة أسابيع من وصوله استطاع اقناع الشاه بالموافقة على ابرام اتفاقية صداقة وتحالف مع الحكومة البريطانية ، ويبدو أن نجاح جونز فيما فشل فيه مالكولم يعود الى ما يتمتع به من موهبة او الى قصر نظر مالكولم أكثر مما يعود الى تغيير في موقف الشاه من الفرنسيين . كما يعود أيضا الى ما استجد من أحداث في أوروبا وعلى الحدود الفارسية الروسية . وخلال وجود مالكولم في بوشهر تمكن جاردان من أن يحقق هدنة لمدة سنة بين الروس والفرس ، كما تمكن من أن يتعهد للشاه بالعمل على عقد معاهدة سلام بين فارس وروسيا ، تجرى المفاوضات بشأنها في باريس حسب مقترحات جاردان تمتنع بموجبها روسيا من القيام بأي عمل عدائي ضد فارس . وربما لسوء حظ جاردان أن حكومة روسيا لم تأخذ اقتراحاته أو اقتراحات الشاه مأخذ الجد ، وطالبت في انذار وجهته الى الشاه باعتبار خطوط نهر ارس ، وكر واريشاي حدودا دولية بين فارس وروسيا . وقد أخذ الشاه يستعد للحرب بينما بادر جاردان الى ارسال أحد مساعديه الى القائد الروسي في القوقاز يطلب منه الامتناع عن القيام بأي أعمال عسكرية، ولكن المبعوث وصل متأخرا. واندلعت الحرب وأخذ الروس يتقدمون لحصار منطقة اديفان . وفي يوم ٢٣ نوفمبر ، وفي جلسة عامة انتقد الشاه جاردان انتقادا مريرا حول اخلاص نابليون ، وأعطى المبعوث الفرنسي مهلة شهرين لكي يقدم دليلا على حسن نية الامبراطور ، وقد كتب أحد المراقبين لجاردان حول هذا الموضوع بعد أن انفض الاجتماع يقول : « ان فارس في موقف يائس فهي تتعرض للهجوم من الشمال من دولة كبيرة وتعرض لتهديد من الجنوب من الانجليز الذين يلوحون لها بالصداقة تارة وبالحرب تارة أخرى ، كما تخلت عنها خليفتها وحاميتها فرنسا ، وبالتالي لم يعد هناك من يقف الى جانبها... وعلى حين كانت فارس تنتظر رد فرنسا أعطى الشاه مهلة شهرين لوصول الرد ، بينما كان

يعمل جاهدا لكبح جماح التدخل البريطاني في شئون بلاده (١) . وبنهاية شهر يناير ١٨٠٩ لم يكن قد وصل أى معلومات من فرنسا ، وبالتالي أبلغ الشهباء جاردان أنه سيضطر الى استقبال المبعوث البريطاني جونز ، وفي يوم ١٢ فبراير ودع جاردان الشاه ، وفي يوم ١٣ فبراير توجه الشاه الى تبريز ، وفي اليوم التالى من وصوله وصل هارفورد جونز الى طهران قادما من أصفهان .

وصفت المعاهدة التى عقدت بين جونز ومجلس وزراء الشاه فى الثانى عشر من مارس ١٨٠٩ بأنها (معاهدة تمهيدية) وقد ألزمت هذه المعاهدة الشاه بالغاء جميع المعاهدات السابقة التى كان قد عقدها مع الدول الأوربية وبأن يمنع مرور أى جيش أوروبى الى الهند عبر اراضيه . وفى مقابل هذا البند تمهدت الحكومة البريطانية بأن تساعد فارس بقوة عسكرية وبالأسلحة والمعونة المالية اذا تعرضت لغزو من جانب أى دولة أوربية . أما اذا كانت الدول المعتدية مرتبطة بمعاهدات صداقة مع بريطانيا فان الحكومة البريطانية ستقوم بعرض وساطتها فى النزاع ، وفى حالة فشل الوساطة يطبق البند الخاص بالتزام بريطانيا ، أما بالنسبة للعلاقات الأفغانية الفارسية فقد نصت المعاهدة أنه فى حالة نشوب صراع مسلح بين الدولتين فان الحكومة البريطانية سوف تمتنع من التدخل الا اذا طلب الطرفان وساطتها (٢) .

(١) نفس المصدر .

(٢) وقع جونز هذه المعاهدة وهو لا يعلم أن مونستورت الفنستون وهو الرجل الذى أوفده منتو فى مهمة الى عاصمة أفغانستان قد ألزم الحكومة البريطانية من خلال الاتفاق الذى عقده مع الأفغان بتدخل بريطانيا الى جانبهم فى حالة تعرض أفغانستان لهجوم من فارس . وقد تحول هذا الاتفاق الى معاهدة تم التوقيع عليها فى كلكتا بتاريخ ١٧/٦/١٨٠٩ (انظر كتاب المعاهدات اعداد اتيشون الجزء التاسع ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

وقد اُفرد في المعاهدة بند خاص بحملة مالكولم التي كانت قد نزلت الى جزيرة خرك ، وبمقتضى ذلك فقد أُضيف بندان الى المعاهدة ينصان على ترتيب استقبال ودى للحملة ، وفي مقابل ذلك تعهد جونز في المعاهدة بأن احتلال البريطانيين لأي ميناء او جزيرة فارسية لا يعتبر حقا من حقوق الاحتلال (١) ، وبعد مضي شهر على توقيع المعاهدة لمس جونز ماتركته المعاهدة من اثر في نفس حكومة منتو ، ولهذا فقد حاول الحصول على جزيرة أخرى من الشاه ، وكانت قشم في رأيه هي أفضل موقع للحامية . كما اقترح جونز احتمال زيادة حجم الدعم المالى المنصوص عليه في المعاهدة ، غير أن الشاه رفض الاقتراح المذكور (٢) ، ويوم تلقى منتو اخبار المعاهدة التمهدية التي وقعها جونز في منتصف ١٨٠٩ وافق عليها وعلى الشروط التي تضمنتها بشأن تقديم المساعدات الى فارس . ولكنه لم يوافق للسماح لجونز بالتصرف في موضوع تقديم الأسلحة والدعم المالى ، أو على تعيينه ممثلا للحكومة البريطانية في فارس وكان يعتقد

(١) كتاب المعاهدات اعداد ايتشسون فصل ١٠ ص ٤٥ - ٤٨ .

(٢) « فارس والخليج » مجلد ٢٦ من جونز الى دندس بتاريخ ١٨٠٩/٣/٣١ (الحلقة الثالثة) .

(٣) وثائق حكومة البنغال مجلد/٢ خطاب الحاكم العام الى اللجنة السرية بتاريخ ١٠ ، و ٢٠ و ٣ ابريل و ٣١ أغسطس ١٨٠٩ . ان الأسباب التي ابدتها منتو للتنديد بجونز لم تكن تجيز له تشويه سمعته في التقارير التي كان يبعث بها الى رؤساء مجلس الادارة فتقريره المؤرخ في ٣ ابريل على سبيل المثال يقع في ٨٠ صفحة من الحجم الكبير (يكاد يصل الى ٢٢ الف كلمة) والتقرير هذا برمته ملئ بالتشنيع على جونز كما لم يكن هناك ما يبرر تهديده بالاحتجاج على نفقات جونز اذا لم يغادر فارس واتهامه جونز بأن نجاحه في فارس انما كان يعود الى مؤامرات تافهة ودنيئة مع وكلاء الشاه وعملائه الصغار بالاضافة الى اسرافه وتبذيره في الانفاق (انظر فارس والخليج) مجلد ٢٦ من منتو الى جونز بتاريخ ١٨٠٩/١/٣٠ .

أن جونز قد تجاوز عن عمد نطاق الصلاحيات والسلطات المخولة لحكومة الشركة في الهند خلال المفاوضات التي أجراها مع وزراء الشاه كما كان يعتقد أن إيفاد مالكولم مرة أخرى إلى فارس هو الطريقة الوحيدة لتصحيح الأخطاء التي ارتكبها جونز ، كما كان يعتقد أيضاً، كما أبلغ اللجنة السرية، بأن الممثل البريطاني الدائم المعين في فارس هو الشخص الذي يملك صلاحية التفاوض على تقديم الدعم ، وأن تعيين مثل هذا الممثل هو مسؤولية حكومة الهند وليس مسؤولية حكومة إنجلترا ، غير أن اللجنة السياسية لم توافق على مقترحات جونز وإن كان الشاه قد طلب بالفعل من جونز بأن يبقى كمبعوث بريطاني حتى يصل من خلفه من إنجلترا ، وجاء في رسالة الشركة المؤرخة في مارس ١٨١٠ (بأن إيفاد بعثة أخرى من الهند قد يؤدي إلى مزيد من الإحراج والبلبلة في علاقتنا بفارس) (١) غير أن اعتراضات اللجنة وصلت متأخرة حيث كان مالكولم قد أبحر من بومباي يوم ١٠ يناير ١٨١٠ ترافقه حاشية تحوطها كل مظاهر الأبهة والفخفة . ومهما قيل عن تصرفات مالكولم في الجوانب الأخرى من مهمته فلقد كان يعرف كيف يختار الرجال الذين يعملون معه ، ومن بين الذين رافقوه في رحلته الثالثة : هنري أليس وجون ماكدونالد وهنري بوتنجر وهنري لنس والذين أصبحوا من الشخصيات المشهورة كما وافقه آخرون ممن أخذت الأضواء تسلط عليهم ، وهم كريستي الذي اكتشف بالاشتراك مع بوتنجر منطقتي بلوشتان، وسيبستان وجرانت الذي قام بمسح ساحل مكران ، ولكن كريستي لقي مصرعه بعد ذلك بوقت قصير إبان القتال مع الروس ، بينما أفتيل جرانت من قبل بعض قطاع الطرق العرب في بغداد .

(١) الرسائل السرية للجنة مجلد ٣ صيغة خطاب الحاكم العام بتاريخ

١ مارس ١٨١٠ (الحلقة ٦١) .

أما فيما يختص بالجزء الأخير من مهمته فمن الواضح أنها لم تكن ضرورية للكولم ولم تؤد إلى نتائج ايجابية باستثناء الأبحاث التي أجراها بعض أعضاء البعثة حول الأوضاع في فارس . كما أن الرحلة قد كلفت الحكومة نفقات باهظة وتخللتها خلافات مشينة بين مالكولم وجونز بالنسبة لوضع كل منهما لدى بلاط الشاه . وقد انتهت مهمة مالكولم في شهر يوليو ١٨١٠ عندما استأذن في مغادرة معسكر السلطانية ، أما جونز فقد غادرها إلى إنجلترا عن طريق القسطنطينية وكان ذلك في نهاية العام .

وقد أصدر مجلس الإدارة في الهند واللجنة السرية قرارهم المشترك في شهر مايو ١٨١٠ وكان القرار يمس السياسة التي كان ينتهجها منتو منذ شتاء ١٨٠٧ - ١٨٠٨ (١) .

أما فيما يتصل بالتعليمات الأصلية التي أرسلها منتو إلى مالكولم في شهر يناير ١٨٠٨ فإن اللجنة لم تجد فيها ما يدعو إلى الاعتراض وإنما اعتراضها على الكيفية التي نفذ بها مالكولم تلك التعليمات، ومن ناحية أخرى فقد نددت اللجنة بقرار ارسال حملة إلى الخليج ورأت فيه إجراء لا مبرر له على الإطلاق، وربما كان سيؤدي إلى الدخول في صراعات مع فارس لا تعرف نتائجها وقد تكلف بريطانيا ثمنا باهظاً (٢) ، وأما فيما يختص بما وقع من خلافات بين منتو وهارفورد جونز فقد

(١) يرجع السبب جزئياً في تأخر صدور ذلك القرار إلى أن منتو لم يكن يطبع رؤسائه في إنجلترا بالتطورات الخاصة بالسياسة التي كان ينتهجها في فارس والخليج أولاً بأول والاجراءات التي اتخذها باستثناء موضوع أو موضوعين وفي شهر مارس ١٨١٠ اضطرت اللجنة السرية إلى معاتبته بالنسبة للتقارير التي كان يرسلها وتصل اليهم متأخرة في بعض الأحيان بما لا يقل عن ١٢ شهراً من تاريخ ارسالها .

(٢) مسودة القرارات وارسالية اللجنة السرية مجلد ٣ مسودة خطاب إلى الحاكم بتاريخ ١٨١٠/٥/٦ (حلقة ٦٣) .

اعرب مجلس الادارة عن أسفه لما حدث . وكان مالكولم منذ البداية قد قضى على كل أمل فى التنسيق بين الأطراف المعنية أولا بسبب تسرع مالكولم فى السفر من بومباى فى شهر ابريل ١٨٠٨ ، وثانيا لمفادرة هارفورد جونز لبومباى فى شهر سبتمبر قبل أن يستمع منتو لآراء مالكولم بعد عودته مما قضى على كل أمل فى احياء الفكرة . كما كان قرار منتو فيما بعد باحتلال جزيرة خرك فى الوقت الذى طلب الى جونز مغادرة فارس كان قرارا غير سليم فى نظر مجلس الادارة ، ليس لأنه عرض هارفورد جونز وغيره من المسؤولين للفشل على أحسن الافتراضات ، أو لفقده حياتهم على أسوأ الافتراضات فحسب ، وإنما لأن عملية الاستيلاء بالقوة العسكرية على الجزيرة كان سيؤدى الى اتهام حكومتنا بالخيانة ونكث العهود (١) ، كما رأى مجلس الادارة بأن تكليف منتو لمالكولم للمرة الثالثة لم يكن واردا ، وبالتالي فقد رفض المجلس قبول عذر مالكولم فى أن مهمته كانت تهدف الى اصلاح الأخطاء التى ارتكبها جونز والتى أساءت الى حكومة الهند ، وقال بأن هذا العذر موضع تكهن أكثر مما هو موضع اهتمام عملي (٢) .

وانتهت العمليات الفرنسية فى الشرق تماما فى ديسمبر ١٨١٠ عندما تمكنت الحملة البريطانية من الاستيلاء على جزيرة موريشيوس (التى أطلق عليها فيما بعد جزر موريشيوس) ، وبذلك حرم الفرنسيون من قاعدة رئيسية لهم كانوا يوجهون منها عملياتهم العسكرية فى المياه الشرقية ، وبعد زوال التهديد الفرنسى تضاءلت المصالح البريطانية فى منطقة الجزر الواقعة الى شمال

(١) نفس المصدر .

(٢) وقد أخطر مجلس الادارة فيما بعد بأن احتجاجاته العنيفة على الانتقادات التى وجهتها اللجنة الى سياسته فى فارس هى أنه من الطبيعى أن يحظى مبعوث التاج على احترام وحفاوة أكبر مما يحظى به مبعوث الحاكم العام . كما أن الايضاحات التى اضطر جونز الى تقديمها لحكومة فارس حول تبعية حكومة الهند للحكومة الأم فى انجلترا هى بسبب تجريح بازلى له أمام أمير شيراز فى شهر يونيو ١٨٥٨ .

شرقى الهند ، ولكن ذلك لم يتم بالسرعة المتوقعة . ومن ناحية أخرى اتسع نطاق المصالح البريطانية في فارس ، وذلك في المقام الأول نتيجة الخوف من التسلل الأفغانى الى الهند ثم نتيجة الرغبة فى تنشيط تجارة الشركة مع تلك البلاد ، وأخيرا نتيجة القلق الذى أثاره احتلال فرنسا لمصر . وقد بدأت المرحلة الثانية لتلك التطورات فى ربيع صيف ١٨٠٧ وكانت أسبابها تعود الى مخاوف البريطانيين من زحف على الهند أكثر مما تعود الى أسباب أخرى ، أما المرحلة الثالثة فقد بدأت فى أواخر ١٨٠٨ عندما أحست بريطانيا بالتغلغل الروسى فى فارس ، مما دفعها الى الاعتقاد بأن الخطر الحقيقى للمصالح البريطانية فى آسيا ناتج عن الأطماع التوسعية للروس وبالتالي فلا يمكن الانسحاب من فارس فورا لمجرد أن الفرنسيين قد انسحبوا من المنطقة ما لم تنجح فى اقناع فارس بأنها خط الدفاع الأول عن الهند .

ان الترتيبات التى اتخذت لتحويل معاهدة سنة ١٨٠٩ الى اتفاقية دائمة يمكن تلخيصها فيما يلى :

عينت الحكومة البريطانية السير جوراوسلى خلفا للسير هارفرد جونز وكلفته بالتفاوض لعقد معاهدة مع الشاه . وقد وصل المذكور الى فارس فى أواخر ١٨١١ ، وفى يوم ١٤ مارس ١٨١٢ عقد معاهدة مع امبراطور فارس يتعهد فيها بمنع عبور أى جيش أوربى عن طريق بلاده الى الهند ، وفى مقابل ذلك تعهد أوسلى للشاه بالدعم المالى والمساعدة العسكرية فى حالة تعرض فارس لهجوم من قبل أى دولة أوربية (١) كما يمكن أوسلى من عقد هدنة بين الروس وفارس واقناع الدولتين بعقد معاهدة سلام فى بلوشتان يوم ١٢/١٠/١٨١٣ غير أن كلا الطرفين لم يكن راضيا عن تلك المعاهدة فقد رأى الشاه بأن المعاهدة

(١) كتاب المعاهدات الجزء العاشر من ص ٤٨ - ٥٢ اعداد ايشسون .

تتضمن شروطا مهينة له وبالتالي فلم تكن تلك المعاهدة تعالج تسوية المشكلات بين البلدين (١) .

كما أن لندن هي الأخرى لم توافق على المعاهدة التي عقدها أوصلى مع - الشاه ، وبصورة خاصة على البند الخاص بالدعم المالى وبالتالي فقد أوفدت الحكومة البريطانية في عام ١٨١٤ كلا من هنرى اليس وجيمس موريه الى طهران لحمل الشاه على ادخال تغييرات على المعاهدة . وفي ٢٥ نوفمبر ١٨١٤ وقعت معاهدة جديدة بالتعديلات المطلوبة ، فقد أضيفت فقرة الى البند الرابع من المعاهدة تنص على صرف البند الخاص بتقديم الدعم المالى الى فارس في حالة نشوب حرب بين فارس وأحدى الدول الأوربية تكون فارس هي البادئة بالحرب، كما تعهد الشاه من جانبه بأنه فى حالة قيام الأفغان باعلان الحرب على الهند البريطانية بأن يشترك مع البريطانيين فى القتال ضد الأفغان على أن تتحمل الحكومة البريطانية نفقات الجيش الفارسى ، كما نصت على أن لا يطلب من بريطانيا التدخل فى حرب تقع بين فارس وأفغانستان مالم تطلب الدولتان منها ذلك . كذلك سبق للحكومة البريطانية فى المعاهدة السابقة ان وافقت بتقديم المساعدات العسكرية البحرية والبرية الى الشاه فى الخليج اذا ما احتاج الى مثل تلك المساعدات ، وكانت بريطانيا فى حالة تسمح لها بتقديمها اليه ، على أن تتحمل حكومة فارس نفقات تلك القوة ، كما لا يحق للسفن البريطانية ان تستخدم موانئ غير الموانئ التى تحددها السلطات الفارسية (٢) وعلى أية حال فان المعاهدة التى تصف ديباجتها العلاقة بين فارس وبريطانيا بأنها اشبه بباقة من الورد قطفت من شجرة لا أشواك فيها قد تحولت فى الواقع الى قراص فى يد ضانعيها وعلى الأخص بسبب هذه البنود التى تضمنتها .

(١) للاطلاع على ترجمة معاهدة بلوشتان راجع كتاب المعاهدات جزء ١٠

مرفق (٥) اعداد اتيشسون .

(٢) « كتاب المعاهدات » الجزء العاشر من ٥٣ - ٥٦ اعداد اتيشسون .

لقد كان من الآثار المباشرة لمعاهدة طهران أنها قللت من الأهمية الاستراتيجية للخليج في نظر البريطانيين، وقد اتضح ذلك أثناء قيام هارفرد جونز بمهمته في فارس . وحتى سنة ١٧٩٨ كانت علاقة بريطانيا بفارس علاقة تجارية بحتة ، وكان الخليج هو القناة التي كانت تمر عبرها تلك العلاقات ، وحتى بعد عام ١٧٩٨ عندما اكتسبت العلاقات البريطانية مع فارس طابعا سياسيا أوضح ظل الخليج محورا للمصالح البريطانية ، وبالتالي فإن الشعارات التي دعا إليها ويلسلي ، أي منذ كان ويلسلي يعتقد بأن أي جيش أوروبي يريد غزو الهند من الشمال الغربي لابد له من عبور الخليج باعتباره الطريق البحري الوحيد بدلا من التعرض لأخطار الطريق البري الوعر أفغانستان ، غير أن هارفرد جونز بالمعاهدة التمهيدية التي عقدها مع حكومة فارس قد صرف الاهتمام عن الخليج وركزته على فارس . وسبب ذلك واضح ، ففي عام ١٨٠٨ أصبحت روسيا ، وليس فرنسا، هي الدولة التي يمكن أن تفكر في غزو الهند، وعلى حين كان من المحتمل أن يقوم الفرنسيون بمثل ذلك الهجوم من البحر على الأقل فإن روسيا لم يكن أمامها غير الطريق البري، وكانت حدودها متصلة مع حدود فارس، وأمراء الخليج الآسيويين وبالتالي فقد كان عبور جيش روسي إلى الهند لابد وأن يمر من شمال فارس ، ولم يكن من المتوقع بأي حال أن يسلك الروس الطرق الساحلية من فارس لأنهم بذلك سيعرضون قواتهم لتكون هدفا للأسطول البريطاني الذي سيتمكن من صد الزحف .

فقد كان على مالكولم والحالة هذه أن يصر بقوة على اعتبار الخليج الطريق الوحيد لأي غزو في الوقت الذي كان يعرف، مثل جونز وربما أكثر منه، احتمال استخدام الروس للطريق الشمالي عبر فارس وأفغانستان .
وان الرد على هذا السؤال يكمن في طموحات مالكولم الشخصية كما يكمن في الفرصة التي سنحت له خلال الفترة الحرجة من عامي ١٨٠٧ - ١٨٠٨ والتي تصور أن في امكانه تحقيق تلك الطموحات .

« كان مالكولم يعتبر نفسه سيد الخليج الفارسي وسيد تلك الجزيرة المحصنة (خرك) والحاكم بأمره في مقدرات ومصير فارس وشبه الجزيرة العربية (١) وهكذا وصفه هنري رولنسون في كتابه (سيرة مالكولم الذاتية) كما سخر رولنسون من تصورات مالكولم وعلى الأخص من الخطط التي وضعها لنحويل جزيرة قشم وخرك الى قاعدتين بريطانيتين وقال في هذا الشأن (ان هاتين القاعدتين سوف تكونان من الواجهة العسكرية بمثابة (جسر) بالنسبة الى بومباي، فمن الناحية التجارية كان الغرض من القاعدة هو احياء ماضي سيراى وهرمز الغابر . وأما من الناحية السياسية فقد كان الهدف من القاعدة هو اعادة الثقة الى سكان آسيا ، وأما بالنسبة لأوربا فان القاعدة ستكون خط الدفاع الأول من امبراطورية الهند (٢) وعلى أى حال فلا يمكن أن نتهم مالكولم بالقصور في تلك التصرفات لأن وجود مثل تلك القاعدة في يد البريطانيين في مطلع القرن التاسع عشر قد مكن الحكومة البريطانية من مكافحة أعمال القرصنة في الخليج .

(١) كيه جزء ١ صفحة ٤٢٢ .

(٢) « انجلترا وروسيا في الشرق ص ١٢

الفصل الثالث

القرصنة والوهابيون ١٨٠٨ - ١٨١٨

ان احتلال الوهابيين لمنطقة الاحساء في سنة ١٧٩٥ كان لاستكمال سيطرتهم على المناطق الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية . وعلى مدى السنوات الخمسة عشر التي تلت ذلك كانت القوة الوهابية في طريقها الى التوسع والفتوحات خارج حدود نجد . وقد اتخذ هذا التوسع اتجاهات ثلاثة : غربا الى الحجاز والامان المقدسة ، وشمالا الى العراق وسوريا ، وجنوبا الى الامارات الساحلية على الخليج الفارسي . وكانت الاطماع الاقليمية والحماس الديني وشهوة السلب والنهب هي الدوافع الأساسية وراء ذلك التوسع ، الذي كان لا بد وأن يرافقه وبصورة حتمية اعمال السلب والنهب وقيام المجازر .

وأخيرا جاء الرد من الغرب فقد اثار احتلال الوهابيين للحجاز السلطان العثماني الذي كلف واليه في مصر، بأن يتولى مهمة القضاء على النفوذ الوهابي، اما في الشرق فقد دفعت اعمال القرصنة الحكومة البريطانية في الهند الى انتحرك لوضع حد الى تلك الأعمال التي تلقى الدعم والتأييد من الدولة الوهابية على الساحل العربي . ولما كانت الدولة الوهابية الناشئة تفتقر الى التماسك الداخلي ، والى الوحدة والقوة في تركيبها فانها لم تتمكن من مواجهة العمليات التي بدأت ضدها ، وما ان حل عام ١٨١٨ حتى كانت جميع انتصارات الوهابيين قد تحولت الى حكام وراءهم : بعد أن مزقتهم جيوش والى مصر ، وفي الخليج اخذت هذه الأعمال التي كان الوهابيون وراءها تقض مضاجع الحكومة البريطانية تماما كتهديدات نابليون ، وبالتالي فان القلق على امن الهند قد أرغم البريطانيين على دخول المعترك السياسي في الخليج .

تعرض العراق التركي فيما بين ١٧٩٥ - ١٧٩٨ الى حملات عسكرية عديدة من الوهابيين . ولم يكن فى مقدور سليمان باشا الذى كان يعانى من المرض أن يعمل شيئاً لوقف غارات الوهابيين على العراق حتى خريف ١٧٩٨ ، عندما اضطر بأمر من الباب العالى وضغط أعيان البلاد الى تجهيز حملة عسكرية الى الاحساء ، وكان على رأس الحملة رئيس ديوانه ، على باشا، الذى زود بالأوامر للتوغل الى الدرعية وتدمير المناطق الوهابية ، وفى شهر سبتمبر ١٧٩٨ غادرت قوة من الجنود الأتراك ببغداد ، وفى البصرة انضمت اليها بعض وحدات من القبائل ، يقدر عددها بعشرة آلاف مقاتل ، من مناطق المنتفك والشمار والظافر ، وقد تحركت هذه القوة الى الاحساء مع مطلع العام الجديد ، وقد قامت اولاً بغرض الحصار على قلعة الهفوف فى الاحساء، ولكن الحامية صمدت ضد المحاصرين، وبعد مضى شهرين اضطر على باشا الى رفع الحصار عن الحامية والعودة الى البصرة ، وخلال تراجعه من شمال الاحساء التقى عند منطقة آبار التاج شمال الاحساء بقوات من الوهابيين يقودها سعود بن عبد العزيز، النجل الأكبر للأمير الوهابى . وبعد مواجهة استمرت بضعة ايام تخللها تبادل الحوار بين الطرفين تم الاتفاق بين الأمير سعود وعلى باشا على هدنة مدتها ست سنوات ، وقد اصطحب على باشا فى عودته الى بغداد مندوباً عن الوهابيين كلف بالتصديق على المعاهدة .

وبعد عام واحد من إبرام تلك المعاهدة استأنف الوهابيون غاراتهم على العراق ، وبنهاية عام ١٨٠٠ نقضوا تلك المعاهدة نقضاً تاماً . وقد تضاعفت غاراتهم خلال شتاء سنة ١٨٠٠ - ١٨٠١ وانتهت بمجزرة رهينة وأعمال السلب والنهب فى كربلاء ، وكان ذلك فى ربيع ١٨٠١ ، وفى صباح يوم ٢٠/٤ ظهرت فجأة قوة من الوهابيين تقدر بـ ١٢ ألف رجل أمام المدينة، وقد صادف ان كان معظم السكان خارج المدينة فى النجف لتسأدية الحج ، وقد انقض الوهابيون على المدينة من المدخل الغربى واندفعوا الى ضريح الامام الحسين

حيث عاثوا فيه سلبا ونهباً وتدميراً ، كما دمرت نصف القبة الذهبية لضريح الحسين (رضى الله عنه) ، ثم انتقل الغزاة الى الأحياء الأخرى من المدينة وعملوا فيها سلباً ونهباً وقتلاً ، وكانوا يقتلون كل من يصادفونه ويدمرون كل شئ أمامهم ، وفى الساعة التاسعة من ذلك اليوم انسحب الوهابيون حاملين معهم الكثير من الغنائم التى استولوا عليها الى جانب الأسرى تاركين المدينة وراءهم حطاماً وأنقاضاً تضم تحتها ما لا يقل عن ٥ آلاف قتيل .

وعلى الفور اجتاحت العالم الشيعى موجة من الذعر بعد وصول أنباء تلك المجزرة ، فقد طالب شاه فارس الذى كان مواطنوه أكثر الضحايا بانزال العقاب الشديد بالوهابيين واستعادة الغنائم والأسلحة التى استولوا عليها . أما سليمان باشا فقد أصيب بالذهول لدرجة أنه عجز عن اتخاذ أى إجراء ، وعرض الموضوع على هارفورد جونز المقيم البريطانى فى بغداد ليتوسط لدى الوهابيين للإفراج عن الأسرى والتفاهم على طريقة دفع الفدية ، وفى نهاية العام أصدر سليمان باشا أوامره بأعداد قوة كبيرة من قبائل المنتفك والظافر والمشمار للتحرك الى الأحساء تحت قيادة ثوينى السعدون أكبر مشايخ المنتفك ، ولكن الحملة لقيت نهاية فاجعة ، فقد اغتيل قائدها ثوينى من قبل أحد العبيد الزنوج عندما كانت القوة تعسكر فى منطقة آبار الشعبية الواقعة على بعد ٣٠ كيلو جنوب الكويت ، أما القوة نفسها فقد لاذت بالفرار أمام القوة الوهابية التى كان يقودها سعود بن عبد العزيز ، وبعد بضعة أشهر وفى يوم ٧ أغسطس ١٨٠٢ توفى سليمان باشا ، ويقال انه قد صرح قبل موته (بأنه لا يجوز أن أبقى حياً بعد مذبحه كربلاء) .

كانت الحجاز هى الهدف الثانى للوهابيين ، وقد كانت الحجاز من الناحية الاسمية تعتبر ولاية من الولايات العثمانية ، ويحكمها كبير أشرف مكة وأسرّة

الشريف هي من سلالة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكان يقدر عددها في ذلك الوقت بنحو ٢١ فردا يسكن معظمهم في الحجاز ، وعلى الأخص في مكة والمناطق المجاورة لها . غدير أن الصراع على السلطة والحكم بين أفراد تلك الأسرة وعلى الأخص على الخلافة حولت الحياة السياسية في الحجاز الى مجتمع يسوده الفوضى والعنف .

وكان يحدث أن ينجح أحد هؤلاء الأشراف أحيانا في فرض النظام غير أن هذا النوع من الحكام كان نادرا جدا . وكان دخل الحجاز يأتى من الرسوم التى تفرض على الحجاج في موسم الحج ، ومن المنح والمعاشات المخصصة للأمرء من السلاطين العثمانيين ، ومن أموال الحرمين أو الأماكن المقدسة ، كما كان يأتى من الرسوم الجمركية في جدة . وبهذه الأموال كان شريف مكة ينفق على أفراد الأسرة وعلى غيرهم من سكان مكة والمدينة ، كما كان يدفع اعانات الى شيوخ القبائل ذوى النفوذ .

وقد تنبأ الشريف غالب بن مساعد ، الذى تولى الحكم فى أواخر القرن الثامن عشر ومن خلال استقرائه للأحداث فى المنطقة ، بنهاية حكم أشراف الحجاز واضمحلال سلطانهم على الأماكن المقدسة . وابتداء من عام ١٧٩٠ قام الشريف بحملات متلاحقة على الوهابيين على امتداد المنطقة الغربية لنجد لتطويقهم وتصفية نفوذهم . كما أخذ فى نفس الوقت يندد بهم أمام مسلمى العالم ، ويتهمهم بالهرطقة وبالعمل على تقويض الاسلام . غير أن محاولاته كلها ذهبت أدراج الرياح ، حتى اضطر فى نهاية القرن الى اتخاذ موقف الدفاع منهم ، وفى عام ١٧٩٩ أرغمت الظروف شريف مكة على أن يشهد دخول سعود دخول الفاتحين ليؤدى فريضة الحج ، وكانت ترافقه حاشيته العسكرية ، وفى أواخر عام ١٨٠٢ استولى الوهابيون على الطائف . ثم فى مطلع العام الثانى احتل سعود مكة نفسها ، مما اضطر غالب الى مغادرة المدينة والانسحاب الى حدة ، وفى ٢٧ ابريل تمكن سعود من دخول مكة دون أن يلقى أى مقاومة .

وعلى نقيض سلوكهم في كربلاء التزم الوهابيون الاعتدال في الأماكن المقدسة ، ولكنهم قاموا بنزع الكسوة الثمينة عنها ولكنهم لم يمسوا الكعبة بسوء . كما قاموا بإزالة القباب والشواهد من على أضرحة الأولياء بما في ذلك ضريح السيدة خديجة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما أغلقوا المفاهى ومنعوا تدخين النارجيلة والحشيش ، كما أضرمو النار في بيوت الدعارة وفرضوا عقوبات مشددة على المدخنين والمعاقرين للخمر ، كما قاموا بالقضاء على كل مظاهر الترف والفساد والشهوات ، وقد أخذ الأمير سعود واتباعه في الاتصال برجال الدين والعلماء والمشايخ بهدف اقتناعهم بصحة تفسير الوهابيين للإسلام . وقد تجاوب معهم كثيرون ، وجاء على لسان المشتركين في الاجتماع الذي دعا إليه زعماء الوهابيين (بأن العلماء ورجال الدين يقرون مبدأ العقيدة الوهابية) ولم يعترض أى منهم على الأحكام التي أصدرها بإعدام بعض المواطنين ، وإنما اعتبروها أحكاما صحيحة تتفق تماما مع جوهر العقيدة الإسلامية (١) ، وقد بعث سعود برسالة الى السلطان العثماني في القسطنطينية يحذره فيها من ارسال المحمل « الى الكعبة أو دخول موكب الطبول والزمور » (لأن الدين الاسلامي يحرم هذه البدع) (٢) ، وبعد وفاة الأمير عبد العزيز وما أعقب ذلك من انسحاب الوهابيين من مكة توقف صدور تلك القوانين .

(١) ترجمة لنشرة أصدرها عبد الله حفيد عبد الوهاب بقلم اوه . كنبلى . مجلة الجمعية الآسيوية في البنغال .

(٢) رحلات الى الهند وسيلان والبحر الأحمر والحبشة ومصر خلال سنوات ١٨٠٢ - ١٨٠٣ المجلد الثالث طبعة لندن ١٨٠٩ ص ٢٨٩ الفصل الثاني تأليف الفياكونت فلنشيا كان فلنشيا وقتها يمر بمنطقة البحر الأحمر . وقد كتب يعلق على تلك الأحداث بقوله : (ان تعاليم محمد تلزم اتباعه من المسلمين بزيارة مكة ولو مرة واحدة في حياتهم غير أن تطبيق هذه الفريضة أصبح متعذرا ، فمكة الآن تعج بقرقة السلاح وتخضع لحكام ينكرون على المسلمين هذه الفريضة التي ظلوا متمسكين به طوال اثني عشر قرنا . ان حكم آل البيت قد انتهى الآن - على الرغم من أن القرآن سوف يبقى محاطا بالتقديس لفترة طويلة من الزمن وفي أجزاء كبيرة من قارة آسيا وخاصة بعد أن دخل السعوديون الى مكة في ٢٧ فبراير سنة ١٨٠٣ .

في الوقت الذي كان الوهابيون يكثفون هجماتهم على العراق كانوا في نفس الوقت يشنون الغارات على شبه جزيرة قطر . وعلى المنطقة الجنوبية (عمان) وساحل القرصنة ، ففي مطلع عام ١٨٠٠ تحركت قوة من الوهابيين يقدر عددها بسبعمئة رجل بين خيال وراكب جمل ، وكانت وجهتها الظفرة بقيادة سالم الحارق الذي كان من القواد البارزين في جيش الأمير سعود . وكان الحارق عبدا من أصل نوبى ، وفي أوائل فبراير وصلت القوة الوهابية الى واحة البريمي ، اقصى خط دفاعى لعمان من الجهة الشمالية ، وعند وصول الحارق الى تلك المنطقة وجه رسالة الى السيد سلطان بن أحمد فى مسقط ، يدعو فيه الى اعتناق مذهب محمد بن عبد الوهاب ، ونبذ المذهب الاباضى والاعتراف بالسلطة الزمنية والروحية للأمير عبد العزيز ، غير أن السيد سلطان قد رد على رسالة الحارق بشن حملة على سالم الحارق عن طريق وادى الجزى ، وقد اشترك فى الحملة مع سلطان أخوه قيس والى صحار ، وقد النقى الجيشان فى البريمي ، ولكن القائد الوهابى عاد أدراجه بسرعة من الواحة واتجه الى رأس الخيمة فى الطريق الشمالى لساحل القرصنة لطلب النجدة من القواسم ، وقد وجد الحارق أن القواسم على استعداد للاشتراك معه فى شن هجوم على آل بوسعيد ، وقد تحرك الحارق والقواسم عبر وادى القور عن طريق ساحل الشميلية غير أنه حوَصر من قبل سلطان وقيس اللذين كرا عليه بالهجوم من واحة البريمي ، وقد ارتبك جيش الحارق واضطر الى التراجع الى الواحة عن طريق الساحل ، بينما عقد أنصاره القواسم معاهدة سلام مع السلطان . ولما كان حاكم مسقط مصمما على طرد الحارق من اراضى عمان نهائيا فقد قرر ملاحقتهم ، غير أن جيشه أصيب بنكسة على يد الخيالة انوهابية مما اضطره الى التخلّى عن المطاردة ، وقد توصل اخيرا حاكم عمان الى اتفاق مع القائد الوهابى بالتنازل له عن واحة البريمي . ولكن تلك المعاهدة (١١ - بريطانيا والخليج)

كانت أفدح خطأ ارتكبه السيد سلطان في حياته لأن مواطنيه اضطروا لدفع الثمن غاليا عن تلك المعاهدة في السنوات المقبلة (١) .

كان الحارق يعلم أن البريمي هي مفتاح الطريق البري الى عمان ، كما انها المنطقة الوحيدة التي توجد فيها موارد للمياه وسط مئات الأميال من الصحراء القاحلة التي تفصلها عن الأحساء ، بالإضافة الى موقعها على مفترق الطرق بين عمان وساحل القراصنة ، فعلى مسافة ١٢ ميلا الى الشرق تقع سلسلة جبال الحجر الغربي التي يخترقها وادي الجزى الذي يمتد الى الساحل العماني للخليج ، كما انه يمتد من الشمال والى الغرب الى حدود الشارقة ورأس الخيمة وأبو ظبي ، ومن الجنوب الى طريق ضنك وعبرى والى ماوراءها حتى نزوى وجبرين وأزكى التي هي قلب عمان ، وتبدو البريمي فريدة بموقعها ، فمساحتها نحو ٦ أميال عرضا وهي أقرب ما تكون دائرية في شكلها . والى الجنوب مباشرة منها يقع جبل حفيت ، وهو مجموعة من الكتل الصخرية الضخمة التي تطل مباشرة على الساحل المحيط بها ، ومن هذه المنطقة ومن السفوح القريبة لجبال الحجر يحصل سكان البريمي على حاجتهم من المياه التي تصلهم عن طريق قنوات جوفية تسمى بالافلاج (١) ، وتوجد في هذه الواحة بعض القرى التي تحيط بها قلاع بنيت من الاحجار والطين ، اكبرها قصر الخندق الذي يقع من الناحية الجنوبية من قرية البريمي ، ومنه تستمد القرى اسمها ولا يعرف الآن عدد المستعمرات التي كانت في

(١) متفرقات من أرشيف حكومة بريطانيا مجلد ٤٧١ اعداد من اتمسه .
بوجل (المقيم البريطاني في مسقط) الى جوناثان دنكان ١٢ مارس ١٨٠٠ ومجلد ٤٧٢ من بوجل الى دنكان ٢/٤/١٨٠٠ أنظر كذلك السادة والائمة في عمان وتقرير المقيم البريطاني في الخليج ١٨٨٧ - ١٨٨٨ وسيرة السيد سلطان بن الامام أحمد .

(١) الافلاج (مفردھا فلج) ١٠١

الواحة عام ١٨٠٠ غير أن ثلاثة من القرى الموجودة حالياً وهي سعرة وحماسة والعين كانت موجودة بصورة مؤكدة في ذلك الوقت (٢) ، وتضفي خمائل النخيل القريبة من القرى منظراً جميلاً على الواحة . وإلى جانب ثمار البلح تنتج البريمي الفواكه بكثرة بالإضافة إلى القمح والبن الذي يزرع على منحدرات جبل حفيت، كما تربي فيها المواشي، وتعتبر الواحة المنتج الطبيعي لقبائل البدو في المنطقة الذين يذهبون لمقايضة محاصيلهم أو بيع مواشيهم . وقد قام الحارق ببناء قلعة سماها قصر الصبارة جنوب قصر الخندق، وذلك لتدعيم مركزه في الواحة ، ثم استدار لاختضاع قبائل الظاهرة وساحل القراصنة أو لكسب ولائها ، ومما ساعد الحارق على ذلك هو أن أكثرية قبائل المنطقة الشمالية سنية المذهب ، وتنتمي إلى القطاع السياسي الغافري ، ونظراً لأن المذهب السني أكثر بساطة من المذهب الإباضي فقد اعتنقت هذه القبائل المذهب الوهابي بسهولة وأبدوا استعدادهم للاشتراك في أي عمليات للقرصنة ضد الهناوية الذين يقطنون المنطقة الداخلية في عمان .

أما قبيلة النعيم وهي أكبر قبائل البريمي وقبيلة الظاهرة فقد انحازت إلى الحارق واشتركت القبيلتان ليس في إخضاع قبيلة الظواهر التي رغم كونها سنية المذهب إلا أنها تنتمي سياسياً إلى الهناوية وتدين بالولاء لآل بوسعيد فحسب ، وإنما في إخضاع قبائل الغافرية الأخرى كبنى قتب والشوامس الذين يحتلون الأطراف الغربية لوادي الجزى (١) . أما على ساحل القرصنة فقد واصل الحارق انتصاراته على الغافرية التابعين لاتحاد القواسم الذين وجدوا في المذهب الجديد فرصة أخرى للانغماس في عمليات السلب والنهب والأعمال العدوانية ، على الرغم من أن صقر بن راشد شيخ مشايخ

(٢) أما القرى الأخرى الموجودة حالياً فهي جيمي ، حلى ، والقطارة ، والمطيرد ، والمويقي .
 (١) أئمة وسلاطين عمان ص ٢٢٨ - ٣٣٠ ترجمة بادجر .

- ١٦٤ -

القواسم كان يقاوم التسلط الوهابي على المنطقة (٢) وكان الحارق يقبض الزكاة من جميع القبائل الموالية للوهابيين وكانت الضريبة تدفع رسميا للأمير الوهابي .

أما قبائل بنى ياس فلم يكن نجاح الحارق معهم كبيرا ، ولكن الوهابيين كانوا يحكمون قبضتهم على عمان الشمالية في الوقت الذي كان سلطان بن أحمد يستنزف طاقاته في محاولات لاحتلال البحرين، غير أن محاولاته لاحتلال الجزيرة في عام ١٧٩٩ منيت بالفشل ، أما في المحاولة الثانية سنة ١٨٠٠ فقد نجح في ارغام آل خليفة على دفع الزكاة . ولكنهم سرعان ما نقضوا التزامهم هذا مما اضطره الى شن حملة أخرى عليهم ، وقد اشترك معه في الحملة الأخيرة شيخ بوشهر ، أما شيوخ آل خليفة فقد فروا الى زبارة في قطر أو الى الكويت عند أبناء عموماتهم ١٠

وقد أقام السلطان حامية عمانية في جزيرة المحرق وولى عليها نجله الأصغر سالم البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما آنذاك .

وقد استنجد شيوخ البحرين بالأمير السعودي عبد العزيز لاسترجاع البحرين ، وقد وافق على مدهم بالمساعدة شريطة أن يعترفوا بسلطته ويدفعوا له الزكاة .

وفي عام ١٨٤٠ طرد العمانيون من البحرين وتخلي سلطان بن أحمد نهائيا عن فكرة الهجوم على البحرين مرة أخرى خوفا من اصطدامه بالوهابيين الذين أصبحت لهم اليد الطولى في سياسة الجزيرة العربية . وقد قرر أن يتوجه

(٢) من التقارير السنوية للمقيمين البريطانيين في الخليج ١٨٨٧ -

١٨٨٨ اعداد مايلز « سيرة حياة سلطان بن أحمد » .

الى الحجاز في شهر يناير سنة ١٨٠٣ لاداء فريضة الحج (١) .

ما كاد سلطان يغادر البلاد حتى انبرى ابن أخيه بدر بن سيف للاستيلاء على السلطة . ولكن محاولته فشلت وفر من البلاد الى عجمان ، على ساحل القراصنة ومنها الى الدرعية عاصمة الوهابيين . وعند وصوله كانت مكة على وشك أن تسقط في أيدي الوهابيين فاستنجد به الشريف غالب ، وعند عودته الى عمان بعث الى الشريف ببعض المال والمقاتلين غير أنهم وصلوا متأخرين جدا بحيث لم يكن من وجودهم أى فائدة . ولكن تلك المبادرة من جانب حاكم مسقط أثارت نائرة الأمير عبد العزيز ، فأصدر أمره في سنة ١٨٠٣ الى قائده سالم

(١) ان بعض الالتباس يكتنف بتسلسل الأحداث في البحرين فيما بين عام ١٨٠٠ - ١٨٠٢ فلوريمر في (دليل الخليج) ص ٨٤١ - ٨٤٢ يذكران الاحتلال العماني للمحرق امتد من عام ١٨٠٠ - ١٨٠١ غير أن مايلز في كتابه (سيرة السيد سلطان) وفي التقرير السنوى للإدارة البريطانية في الخليج ١٨٨٧ - ١٨٨٨ ص ٢٦ ، ص ٢٧ وروث (في مذكرات حول نجد التقرير السنوى للإدارة البريطانية في الخليج ١٨٧٩ - ١٨٨٠ ص ٣٩ يذكران الاحتلال المذكور قد امتد من عام ١٨٠١ الى عام ١٨٠١ الى عام ١٨٠٢ وعلى أى حال فإن روث يشير في موضع آخر (لمحة عن تاريخ عمان من ١٧٢٨ الى ١٨٨٣ ص ٢٤) بأن الاحتلال العماني للبحرين وقع في عام ١٧٩٩ عندما عين سالم حاكما عليها وان الاحتلال الثانى الذى تم في عام ١٨٠١ لم يدم الا فترة قصيرة . أما فرانسزواردن فيحدد ذلك التاريخ بعام ١٨٠٠ في كتابه (لمحة عن العتوب) وفي عام ١٨٠١ في كتابه (لمحة عن الوهابيين) مجموعة وثائق حكومة بومباي المجلد الرابع والعشرين ٣١٦ ، ٤٢٩) وهو يحدد عامى ١٨٠١ ، ١٨٠٢ كتاريخ لاستعادة آل خليفة للبحرين ويتحدث الكابتن دافيد ستون المقيم البريطانى فى مسقط يومئذ فى رسالة تاريخها ٢٠ يوليو ١٨٠١ عن احتلال متوقع للبحرين ووثائق متفرقة لحكومة بريطانيا مجلد ٤٧٧ وربما كان يشير بذلك الى الحملة الموفقة التى أرسلها السلطان فى ذلك العام .

بأن يشن هجوما شاملا على عمان ، وأن يشجع الوهابيين على القيام بحملات قرصنة ضد سفن مسقط ، كما ارسل اوامر مماثلة الى كل من آل خليفة في البحرين وآل الصباح في الكويت . وفي منتصف الصيف نجح الحارق في اختراق سلسلة جبال الحجر الغربى ، وبعدها اجتاح الباطنة وارتكب جنوده أعمال سلب ونهب وقتل فى المناطق التى استولوا عليها .

وبنهاية الصيف اضطر السلطان الى طلب السلم ، الامر الذى تمخض عن عقد هدنة مدتها ثلاث سنوات بين الطرفين ، اشترط فيها أن يدفع السلطان الزكاة سنويا بواقع ١٢ الف ريال للأمير الوهابى ، وأن يسمح للوهابيين بالدعوة الى مذهبهم حتى يتسنى تحقيق الإصلاحات فى البلاد، ولكن تلك الاتفاقية كانت مجرد خطة لكسب الوقت ريثما تصل امدادات جديدة من نجد .

وبفضل الامدادات الجديدة التى وصلت الى الحارق وبمن انضم اليه من قبائل الظاهرة انقض القائد السعودى على الباطنة مرة اخرى ، وقد التقى بسلطان فى مدينة السوق حيث منيت قوات السلطان بهزيمة اخرى ، ولذلك واصلت قوات الحارق زحفها صوب مدينة صحار وفرضت الحصار عليها . وفى أثناء ذلك وصلت اخبار الى عمان تفيد بأن عبد العزيز قد اغتيل أثناء تأديته الصلاة فى مسجد الدرعية يوم ٤ اكتوبر ، وكان القاتل من الشيعة الفرس ممن ذبح الوهابيون أطفالهم فى كربلاء ، وقد أدى ذلك الى انتشار الفوضى فى صفوف قوات الحارق، وبالتالي رفع الحصار عن صحار ، وتراجع الوهابيون الى البريمى ، وقد انتهز القواسم بزعامة شيخ مشايخهم سلطان بن صقر تلك الفرصة فعقدوا صلحا مع السيد سلطان على الرغم من أنهم لم يكن لهم أى دور فى القتال ، وقد فعلوا ذلك خشية أن يفقدوا مصائد اللؤلؤ التابعة لهم وحذا حدوهم آل خليفة بينما استجاب الكويتيون الى مطالب الوهابيين .

جاءت وفاة عبد العزيز خاتمة لمرحلة من مراحل التوسع الوهابى ، فقد امضى الوهابيون السنوات الأولى من حكمهم فى استغلال المكاسب التى تحققت

لهم في مستهل حركتهم وفي تصفية جيوب المقاومة على الحدود الشرقية والغربية لشبه الجزيرة . وقد تسلم سعود بن عبد العزيز زمام الأمور في أوائل عام ١٨٠٤ فأنجز عملية إخضاع بقية الحجاز لسُلطانه . فتقدمت قوة من الوهابيين لفرض الحصار على المدينة والاستيلاء على ينبع الواقعة على البحر الأحمر . وقد استسلمت المدينة للسعوديين في شهر إبريل ، وتم تعيين حاكم وهابي عليها ، كما بدىء في تطبيق التعاليم الوهابية بمنتهى الصرامة ، غير أن الوهابيين لم يمسوا ضريح الرسول صلى الله عليه وسلم بسوء، وقد تمكن شريف مكة من استعادة سيطرته على هذه المدينة في غمرة الفوضى التي سادتها بعد مقتل عبد العزيز، بعد أن سمح له الوهابيون بالبقاء في الحكم بشرط تطبيق المفهوم الوهابي للإسلام^(١) . وخلال الاضطرابات توقفت مراسم الحج تماما وامتنعت قوافل الحج من فارس من السفر للحجاز، كما تعذر على قوافل الحج من فارس السفر للحجاز ، وتعذر على قوافل الحج السورية أن تصل المدينة في عام ١٨٠٣ . وعلى الرغم من الغضب الذي استولى على الأمة الإسلامية كنتيجة لتلك الأحداث إلا أن المسلمين لم يتحركوا . فقد كان السلطان سليم الثالث مشغولاً بالصراعات السياسية في أوروبا والقسطنطينية ، بينما ظهرت بادرآت للرد والانتقام من الوهابيين ، ففي عام ١٨٠٤ دعا سليم باشا الثالث كلا من عامليه في سوريا وبغداد لاعداد حملة عسكرية مكثفة ضد الوهابيين كما يادر سلطان بن أحمد بعد أن علم بأمر تلك الحملة الى التحرك الى البصرة على رأس قوة من الأسطول العماني للمشاركة فيها ، ولكنه فوجيء عند وصوله بأن باشا بغداد لم يتخذ الاستعدادات الكافية لاعداد الحملة ، ثم تبين بأن

(١) لم يتوقف الشريف غالب في جهوده لاستعادة الحكم في شهر يونيو ١٨٠٤ ووجه نداء الى قائد البارجة فوكس وكانت في ذلك الوقت في البحر الأحمر لمساعدته في طرد الوهابيين من ينبع (وناثق حكومة بريطانيا مجلد ٤٧٩ رسالة من السكاپتن جى . جى . فاشرن الى جوناثان دنكان بتاريخ ١٨٠٤/٧/١٣ .

الحملة لن تخرج الى حيز الوجود على الاطلاق . وقد عاد السيد سلطان الى مسقط في غاية الاستياء من الاوضاع ، وعند وصول سلطان الى منطقة قريبة من باسيدو ، وعلى الطرف الغربى لجزيرة قشم انتقل من الفرقاطة جنجاوا الى سفينة صغيرة لكي يعبر بها الى الشاطيء ولكنه فوجيء بوجود ثلاث سفن لم تكن في مرمى الفرقاطة راسية بالقرب من الجزيرة ، فانقضت السفن الثلاث على سفينته وأصيب اصابة قاتلة ، ولم يتضح ما اذا كانت تلك السفن الثلاث التى اعترضت سفينة سلطان تابعة لقبيلة الشيوخ التى تقيم في شبه جزيرة مسندم أم لا ، وانها كانت تكمن في تلك المنطقة للسطو على السفن التى تمر بها أو ربما تكون - وهذا أقرب الاحتمالات - سفن القواسم التى كانت موجودة لنفس الغرض ، على أننا لا نستطيع الجزم بأن الهجوم على سفن حاكم مسقط كان خطة مدبرة . وأعقب وفاة سلطان نشوب اضطرابات مسلحة في الخليج ، فقد تحرك القواسم في محاولة لتهديد الملاحة التابعة لسلطنة مسقط ، فتمكنوا بالاشتراك مع أبناء عمومتهم ، سكان لنجة على الساحل الفارسى للخليج وبنى معين سكان قشم وهرمز، من الاستيلاء على هذه الجزر في شهر فبراير ١٨٠٥ ، كما تمكنوا فيما بعد من الاستيلاء على بندر عباس وفرض حصار على ميناء، التى لا تبعد أكثر من بضعة أميال من بندر عباس ، وما أن تمت لهم السيطرة على مضائق هرمز حتى أصبحوا فى وضع يمكنهم من تهديد ومهاجمة أى سفينة قادمة الى الخليج أو ذاهبة منه، وفى أواخر عام ١٨٠٤ استولى القواسم على مركبين أوربيتين هما شنون ورثرمر تابعين لصمويل مانستى ممثل شركة الهند الشرقية في البصرة ، وفى شهر يناير ١٨٠٥ هاجم أسطول من ٤٠ سفينة شراعية تابعة للقواسم طراد الشركة مورنجتون المسلح بـ (٢٤ مدفع) الذى كان وقتها بالقرب من جزيرة بوليور (١) غير أن مدفعية الطراد أرغمتهم على الفرار .

(١) الوثائق السياسية لحكومة بومباي مجلد واحد ، خطاب من الحاكم

العام الى مجلس ادارة الشركة بتاريخ ٢٦ فبراير ١٨٠٥ .

لم تكن هذه الاعتداءات هي الاولى من نوعها التى يقوم بها القواسم على السفن التى ترفع العلم البريطانى، فقد سبق ان اضطرت احدى سفن الشركة، وكانت تحمل البريد، الى خوض معركة استمرت ثلاثة ايام ضد ستة سفن للقواسم قبل ان يتمكن القواسم من الاستيلاء عليها ويطلبوا بفدية قدرها ٤٠٠٠ روبية ، وفى يناير سنة ١٧٧٩ - كانت السفينة سكركتش فى طريقها من مسقط الى البصرة، وفى الطريق اعترضتها ثمانية أو عشرة سفن تابعة للقواسم، ولكنها تغلبت عليهما جميعا ، وبعد شهر من هذا الحادث تغلبت السفينة على هجوم قام به القواسم عليها اثناء سيرها فى الخليج . وفى عام ١٧٩٠ بينما كانت السفينة باجلرير فى طريقها من البنغال الى بوشهر استولى القواسم عليها بالقرب من مسندم ، وفى يوم ١٨ مايو ١٧٩٧ بينما كانت السفينة باسيم تحمل بريد الشركة هاجمتها نحو ٢٠ سفينة للقواسم بالقرب من جزيرة قيس واستولت عليها وسحبتهما الى رأس الخيمة ولكن القواسم عادوا وأفرجوا عنها بعد بضعة ايام ، وفى أكتوبر من نفس العام بينما كان طراد الشركة فايبر راسيا فى ميناء بوشهر هاجمته بعض سفن القواسم فى محاولة للاستيلاء على بارود الباخرة والاسلحة التى كانت تحملها ، ولما كان قبطان الطراد وأغلبية البحارة على الشاطئ فقد أصبح الأمل ضئيلا فى امكان التغلب على القواسم ، غير أن البحارة عرفوا كيف يتصرفون ، فقد قاموا بقطع جبال الطراد ، وبذلك نجحوا فى احباط محاولة القراصنة ، ثم قاموا بعد ذلك باطلاق النار على سفنهم لاغراقها .

وقد تم ارسال احتجاج الى الشيخ صقر بن راشد شيخ القواسم الذى رد على الشركة بأن السفن المهاجمة ليست تابعة له وإنما هى لاهل لنجة(١) .

(١) وثائق حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٣٠٢ ، لمحة تاريخية عن القواسم ، (تأليف اف. وأردن) (والأسطول الهندى) تأليف لو الجزء الأول ص ٣١٣ (بلدان وقبائل الخليج) تأليف مايلز فصل اثنين ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ص ٢٨٨ .

- ١٧٠ -

وتختلف اعتداءات القراصنة سنة ١٨٠٤ عن الاعتداءات السابقة لهم ، إذ أن الأخيرة اصطفت بالصبغة الدينية وان كان من المشكوك فيه أن يكون أمراء نجدهم المحرضين لتلك الاعتداءات (١) . كما أننا لا نتصور أن يكون اعتناق القواسم للمذهب الوهابي هو الذي أثار فيهم نزعة القتال ، كما اعتنق قواسم لنجدة المذهب الوهابي ، غير أنه لم يتضح حتى ذلك الوقت أن قواسم لنجدة وقواسم رأس الخيمة قد أصبحوا خاضعين للوهابيين ، صحيح أنهم كانوا يدفعون الزكاة الوهابيين إلا أنهم لم يكونوا يسلمون خمس ما يستولون عليه من غنائم إلى السلطات الوهابية في الدرعية ، وهي الزكاة التي اعتاد الوهابيون أن يفرضوها على أتباعهم (٢) .

ولم تظهر الأوساط المسئولة في بومباي اغتباطها لوفاة سلطان وظهور القواسم على المسرح .

وبعد اغلاق دار الاعتماد البريطاني في مسقط في نهاية عام ١٨٠٣ تقلص الاهتمام بهذه البلاد ، ولما توفي أحد المعتمدين البريطانيين هناك ومرض آخر

(١) لا أتصور أن التصرف الأخير للعرب بالقواسم في الاستيلاء على السفينتين تريمير وشانون والهجوم على مورنجتون هي نتيجة لرغبات أو أوامر شيخ الوهابيين (من وثائق مجلس إدارة شركة الهند مجلد ١٩٢ من مانستي إلى جرانت (سكرتير حكومة بومباي) بتاريخ ١٩/٤/١٨٠٥) .

(٢) يعتبر الشيخ غديف في لنجه الواقعة على الجانب الفارسي من الخليج قاسميا بالولادة فهو عم سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة على الجانب الغربي من الخليج ولكنه كان وهابيا بالمذهب وكان يدفع الزكاة إلى سعود الزعيم الجديد للوهابيين ولأنه كان يقيم على الساحل الفارسي فقد كان يعتبر نفسه مواطنا فارسيا كيفما اتفق رغم أنه لم يكن ياتمر بأوامر شاه فارس إلا فيما كان ينفق ومصالحته (وثائق مجلس إدارة شركة الهند مجموعة ٤١٥٥ مجلد ١٩٢ من سبتون إلى دكان مسقط ١٤/٨/١٨٠٥) .

- ١٧١ -

بالحمى لشدة حرارة الطقس اكتتبت حكومة بومباي بأن يوكل أمر الحفاظ على مصالح البحرية الى السيد سلطان نفسه اعتقادا منها بأن له بويض النفوذ في الخليج ، وان كان ذلك الاعتقاد لم يكن يتفق مع سلوكه السياسي . وقد تبين فيما بعد انه لو أريد لمسقط أن تستمر في القيام بذلك الدور فلا بد من مسانديتها والتأييد والمساعدة لها ، وعلى ضوء هذا الاعتقاد طلب الكابتن سيتون في مارس ١٨٠٥ بأن يعود الى مسقط لفتح دار الاعتماد ليقدم مساعدته لأحد المرشحين من أُنجال سلطان لتولى الحكم . وقد نصحه جورج بارلو الحاكم العام للهندا في ذلك الوقت بمنح تأييده للمرشح الذي يتعهد باقامة الحكم العادل، ويشترط ان يتم تقديم تلك المساعدة على أسس لا تورط الحكومة البريطانية في حشر ضد مسقط (١) .

وضع الطراد البريطاني مورنجتون تحت تصرف سيتون لتدعيم موقفه في أى قرار قد يتخذه وبشرط أن لا يتعارض مع سياسة السلطان الجديد وفي العمل على استعادة السفن والبضائع التي استولى عليها القواسم ، وقد نيدت حرية سيتون في التصرف الى حد كبير ، وجاء في التعليمات التي صدرت اليه ، انه فيما يتعلق بأى اجراءات قد تتخذ ضد القواسم فينبغى بأن تلتزم منتهى الاعتدال معهم ، وأن تسعى الى تهدئة الأوضاع بالمفاوضات وبأن لا تلجأ الى العنف تحت أية ظروف . . كما ينبغى أن يتجنب أى صدام مع الوهابيين أو أى من الحكومتين التركية والفارسية (٢) وقد سبق أن صدرت نفس التعليمات الى قائد طرادات الشركة (٣) .

- (١) حول مراسلات للخليج ١٨٠١ - ١٨٥٣ ص ٣٤ الحاكم العام للهند الى مجلس حاكم بومباي فورت ولیم ١٨٠٥/١/١٠ .
- (٢) مجموعة من وثائق مجلس ادارة الشركة الحلقة ١٥٥ مجلد ١٩٢ من دنكان الى سيتون ١٨٠٥/٣/٣ ،
- (٣) المراسلات السياسية لحكومة بومباي مجلد واحد من الحاكم العام الى مجلس ادارة الشركة ١٨٠٥/٢/٢٦ ،

لكنه قبل أن يغادر سيتون بومباي كان النزاع على السلطة في مسقط قد انتهى .
فقد عاد السيد بدر بن سيف ابن أخ سلطان من منقذاه بعد زيارته لقطر حال
سماعه بوفاة عمه . وعند وصوله وجد كلا من سعيد وسالم نجلي سلطان
محاصرين من جانب عمهما السيد قيسر بن أحمد والى صحار . فاضطر بدر
الى ان يطلب النجدة من الحاكم الوهابى فى الدرعية الذى استجاب لطلبه
بمنتهى السرعة .

تحركت قوة من جنود الحامية الوهابية فى البريمى الى منطقة وادى
الجزى وحاصرت صحار ، كما أبحر أسطول من ١٥ سفينة تحمل ١٥٠٠ مقاتل
من البحرين الى مسقط بأمر من الأمير سعود ، وقد أثار وصول الوهابى استياء
عميقا فى اوساط العاصمة العمانية خصوصا وأن السفن كانت ترفع أعلاما من
أقمشة الستائر التى نهبها من ضريح سيدنا الامام الحسين بن على فى كربلاء ،
وقد اضطر قيس الى الانسحاب من مسقط لمواجهة الوهابيين فى صحار ، وبعد
ذلك بوقت قصير عقد صلحا مع بدر بن سيف (١) .

عند وصول سيتون الى مسقط فى شهر مايو ١٨٠٥ كان بدر يستعد
لاسترجاع بندر عباس من بنى معين خلفاء القواسم ، وقرر سيتون أن يشترك
مع بدر فى الهجوم ، وفى يوم ٧ يونيو غادر الأسطول مسقط ومعهم
الطراد مورنتيجون بندر عباس وبعد قصف استمر طوال اليوم استسلمت
الحامية ، وأعقب ذلك فرض حصار على بنى معين فى جزيرة قشم . وفى بداية
يوليو حاول أسطول من رأس الخيمة قوامه ٣٠ سفينة فك الحصار عن البلد
غير أنه وجد نفسه محاصرا فى ميناء قشم . ولم يسمح للقواسم بمغادرة الميناء

(١) المراسلات السياسية لحكومة بومباي مجلد واحد مرفق لرسالة
سياسية بتاريخ ٢٢/٤/١٨٠٤ من سيتون الى دنكان مسقط فى ٢٣/٥/١٨٠٥
وكتاب « سلاطين وأئمة عمان » ترجمة بادجر ص ١٣ و ١٩ و ص ٢٦٢ - ٢٦٩

الابعد أن وقعوا هدنة مدتها سبعون يوما ، وهى فترة كانت تكفى لوصول امدادات الى بدر من أسطول الجيش العمانى الذى كان يومئذ فى طريقه من البحر الأحمر الى البصرة ، كما يتعهد القواسم بتسليم السفينة « تريمر » التابعة لمانستى خلال خمسة وعشرين يوما وحمولتها أو مايعادل الحمولة نقداً .

وأعيدت السفينة لأصحابها فى الخريف . وفى مطلع عام ١٨٠٦ بدأ سيتون يتعامل مع القواسم للوصول الى صيغة اتفاق يتعهدون فيه بعدم التعرض للسفن التى ترفع العلم البريطانى . وفى يوم ٦ فبراير عقد هذا الاتفاق فى بندر عباس مع ممثل الشيخ سلطان بن صقر شيخ مشايخ القواسم ، تعهدوا فيه باحترام ممتلكات شركة الهند الشرقية ورعاياها ، وفى حالة عدم امتثالهم لشروط الاتفاق تفرض عليهم غرامة مالية قدرها ٣٠٠٠٠ نمسوى . أما اذا أرغموا على نقض الاتفاق بأمر الوهابيين فيتعين عليهم أخطار شركة الهند الشرقية فى مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر ، وفى مقابل ذلك تنازل سيتون عن قيمة حمولة السلع التى كانت تنقلها السفينة تريمر وسمح للقواسم بالدخول الى موانئ الهند التى كان محظورا عليهم دخولها منذ الهجوم على السفينتين (٢) .

وفى صيف ١٨٠٥ نشب القتال من جديد بين بدر وقيس ابنى أحمد ، وعاد بدر مرة أخرى يستنجد بالوهابيين فى البريمى غير أنه لم يدرك خطورة اعتماده على الوهابية ، ففى أكتوبر ١٨٠٥ كتب الى دنكان فى بومباى بطلب من

(١) مجموعة وثائق مجلس ادارة الشركة مجلد ١٩٢ حلقة ٤١٥٥ من سيتون الى دنكان ٢٥ يوليو ١٨٠٥ .

(٢) مجموعة وثائق مجلس ادارة الشركة مجلد ٢٦٥ حلقة ٥٦٤٦ ملخص للمحادثات السياسية بتاريخ ١/١١/١٨٠٥ ومضمون رسالة من سيتون الى دنكان مسقط فى ٤ مارس ١٨٠٦ ويمكن الاطلاع على الاتفاق المذكور فى كتاب « المعاهدات » اعداد اشيسون فصل ١٠ ص ١٢١ - ١٢٢ .

البريطانيين مساعدته للتخلص من الوهابيين ، وقام سيتون بتزكية طلب بدر وحذر مرة اخرى من انه لو قدر للوهابيين ان يسيطروا على عمان فان هذه البلاد سوف تصبح وكرا للقرصنة ، وسوف تهدد سفنها تجارة الهند الغربية، وتأييدا لهذا الاقتراح اقترح سيتون على بدر بأن يبعث الى دنكان بنسخة من الخطاب الذى تلقاه بدر من الأمير السعودى ، الذى يقول فيه بالحرف الواحد: انك من غير شك سوف تبادر الى دخول الحرب المقدسة معنا ضد الهند فأنت فى هذه الحرب لا تقاتل من أجلى أنا ولكنه جهاد فى سبيل الله (١) . غير أن سيتون كان يبالغ فى تقديراته، واذا كان من المؤكد أن هناك نحو ٤٠٠ خيال من الوهابيين يرابطون باستمرار فى بركا على ساحل الباطنة وأن الدعاة الوهابيين يجولون طرقات مسقط يبشرون بالمذهب الجديد ، ويرهبون السكان الا أن موجة من الاستياء أخذت تعم الأوساط القبلية ضدهم ، وتحولت الى عداة سافر شمل قبيلة الظواهر الذين كانوا من أوائل المعتنقين للمذهب الوهابى . وقد أخذ كفاح قيس ضد بدر والوهابيين يتخذ طابعا وطنيا أكثر منه صراعا من أجل السلطة ، وكان هناك شعور عميق بالمهانة فى أوساط أسرة آل بوسعيد لاضطرارهم الى دفع الزكاة للوهابيين والاعتماد على حرابهم ، وكان سعيد أصغر انجال سلطان بن احمد شابا فى السادسة عشرة وكان يكره بدر ويعتقد بأنه قد اغتصب منه الحكم . وكان سعيد يعتبر فى الأوساط القبلية المعارضة للنفوذ الوهابى فى عمان البديل الطبيعى لبدر . وكان على رأس تلك الفئة محمد بن ناصر شيخ بنى جابر الذى كان من أكثر المناصرين لوالد السيد سعيد أثناء حياته . وفى صيف عام ١٨٠٦ صمم كل من محمد بن ناصر وسعيد على وضع

(١) نفس المصدر مجلد ١٩٢ حلقة ٤١٥٥ من بدر الى دنكان بتاريخ ٢٢ شعبان ١٢٠٠/٢١ أكتوبر ١٨٠٥ ومرفق به رسالة سعود لبدر ورسالة سيتون الى دنكان بتاريخ ١٦/١١/١٨٠٥ مسقط . انظر ايضا كتاب « لمحة تاريخية عن الوهابيين » تأليف و اردن مجموعة وثائق حكومة بومباى فصل ٢٤ ص ٤٣٠/٤٣١ .

خطة للتخلص من بدر . فاستدرجوه الى بركا التي كان سعيد واليا عليها وهناك طعنوه بخنجر طعنة اودت بحياته ، وقام بعملية الاغتيال احد العبيد النوبيين يوم ٩ يوليو(١) واستطاع الثلاثة بعد ذلك أن يضلوا الوهابيين المرابطين في البلدة ويصلوا الى مسقط حيث قاموا بتنصيب سعيد حاكما على البلاد خلفا لبدر . وقد بادر قيس بن أحمد الى تقديم التهئة الى ابن أخيه على توليه الحكم وأعرب له عن تأييده له ، وتبعاً لذلك اضطرت القوة الوهابية المرابطة في بركا الى الانسحاب منها للبريمي ، وقد كتب سعيد الى جوناثان دنكان ، يعلنه بوفاة بدر وتسلمه السلطة في البلاد(٢) . غير أن السلطات البريطانية في الهند لم ترض عن الطريقة التي تولى بها سعيد حكم البلاد وبالتالي حجت اعترافها به حتى ربيع ١٨٠٧ وحتى عندما اعترفت به بعد ذلك فانها قد اوضحت له بأنها سوف تعتبر عمان دولة محايدة في الصراع القائم بينها وبين فرنسا(٣)، ولفترة من الوقت ظلت الاتصالات البريطانية بحاكم مسقط محدودة . وكانت دار الوكالة مغلقة منذ العام السابق وتقرر تركها مغلقة كاجراء تقشفي من جهة ، وللحد من التورط البريطاني في شئون عمان من جهة أخرى ، وعلى لى حال فان التطورات التي وقعت فيما بعد أرغمت السلطات البريطانية في الهند الى تغيير موقفها اثر تطور الصراع مع فرنسا

(١) أشار الى هذا الحادث الشيخ منصور في كتابه (السيد سعيد) ص ٤ - ١٤ كما ورد ذكره ايضا في كتاب أئمة وسلاطين عمان ص ١٩ - ٢٠ ، ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

(٢) وثائق مجلس الوزراء مجلد ٢٥٧ حلقة ٥٦٥ من سعيد الى دنكان ١٤ جمادى الأولى ١٢٢١ الموافق ٣١ يوليو ١٨٠٦ وقد حدد الكتاب الفترة التي تولى فيها السيد سعيد الحكم بين ١٨٠٤ ، ١٨٠٨ وتوضح الرسالة بأن سعيد تولى الحكم في سنة ١٨٠٦ وان التاريخ الذي أقتيل فيه بدر هو ٩ يوليو ١٨٠٦ . انظر ايضا المراسلات السياسية لحكومة بمباي مجلد ٣ جزء ١ من الحاكم العام الى اللجنة السرية في ١٢/٨/١٨٠٦ .

(٣) انظر اعلاه ص ٧٨ .

وكنتيجة لانحياز روسيا وتركيا الى جانب نابليون (١) ، وفي يناير ١٨٠٨ صدرت الأوامر الى سيتون بالعودة الى مسقط لفتح دار المثلية البريطانية هناك، وقيل له بأن مهمته وان كانت تنحصر في مراقبة أى تحركات للفرنسيين ومحاولاتهم لانشاء قاعدة لهم في الخليج الا أن عليه أن يهتم بالأوضاع في عمان ، وبعد وصول سيتون بعث بتقرير غير مطمئن الى رؤسائه جاء فيه « أن الحكومة الحالية غير مستقرة ولا يؤيدها الشعب . وأن السلطان بحكم صغره وقلة خبرته قد فقد النفوذ الذي كان لوالده في الخليج . ولأنه لم يظهر الاهتمام اللائق بشيوخ القبائل الذين وفدوا انفض عنه حتى أصدقاؤه، كما أن سلطته لا تتجاوز الجزء الساحلى من عمان : أما المنطقة الداخلية فانها تدفع الزكاة للوهابيين ، ولولا خضوعه المشين للوهابيين لما ترددوا عن الزحف على ساحل عمان واحتلاله ، وتم استدعاء سيتون لسوء الحظ بعد بضعة أسابيع وكلف بمهمة اخرى في السند مما حرم حكومة بومباى من مصدر موثوق للمعلومات عن التطورات المزعجة في الجزء الشمالى من عمان وعلى امتداد ساحل القرصنة طوال بقية العام ، وفى سنة ١٨٠٧ توفى السيد قيس أثناء محاولة كان يقوم بها لطرد القواسم من خورفكان على ساحل الشميلية وكانوا قد احتلوا ذلك المرفأ في اعقاب الفوضى التى أعقبت وفاة بدر .

بعد وفاة بدر بادر السيد سعيد الذى اشترك فى الحملة التى قام بها فيس على الوهابيين الى تعيين وال من أنصاره في صحار ، وبذلك قطع الطريق على عزان نجل قيس لتولى ولاية المنطقة وبهذا الاجراء خلق لنفسه خصما جديدا في شخص عزان . وفى خريف العام اختلف سعيد مع محمد بن ناصر شيخ بنى جابر وأكبر المؤيدين له ، فغادر الأخير مسقط مستاء وبدأ يرأسل الأمير السعودى . ومن السرعة التى استجاب بها الأمير السعودى لمحمد بن ناصر يتضح كيف أن الوهابيين كانوا يتحينون الفرصة لاستكمال سيطرتهم

على المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة ، ففي خريف سنة ١٨٠٧ أرسل العاهل السعودي قوة كبيرة الى البريمي بقيادة مطلق المطيري، وكان من أقدار القواد الوهابية وعند وصول مطلق الى البريمي بدأ فى بناء قلعة ضخمة وكان يرمى من وراء ذلك الى مد سيطرته ليس على واحة البريمي وحدها وإنما على منطقة الظاهرة كلها .

كذلك تحالف المطيري مع أقوى زعماء قبائل المنطقة الشمالية من عمان أمثال أحمد بن ناصر شيخ بنى غافر ، ومحمد بن ناصر شيخ بنى جابر، وعزان بن قيس والى صحار . وعين كل واحد من هؤلاء مسئولاً على منطقته وتابعاً للدرعية فى صلاحياته ، كما شملت سياسة مطلق اجراء بعض التعديلات فى ساحل القرصنة ، فقد أعفى سلطان بن صقر من مشيخته للقواسم فى خريف سنة ١٨٠٨ لأنه لم يظهر تحمسا لقضية الوهابيين . وفى نهاية العام قبض على صقر ثم نقل سجيناً الى الدرعية . وقد عين مكان سلطان حسين بن على شيخ رمس كنائب للأمير الوهابى وشيخا على القواسم وارتفعت قيمة الزكاة السنوية التى كانت تدفع لحكام مكة من ٤٠٠٠ ريال نمسوى الى ١٢٠٠٠ ريال نمسوى . وصدرت الأوامر الى حسين بن على بأن يلقي الى البحر بكل سفينة لديه لتعمل باسم الوهابيين ضد الهراطقة والمرتدين والكفار على السواء ، وأن يرسل بخمس الغنائم التى يستولى عليها الى الدرعية (١) .

(١) أنظر الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٣ مجلد (٢) مجموعة ٢٤ مارس ١٨٠٩ من سيتون الى مالكولم مسقط ٦ ، ٩ ، ٢٠ ، ٢٢ فبراير ١٨٠٩ ويقدم فرانسز واردن صورة مختلفة بعض الشيء عن أحداث المنطقة الشمالية من عمان خلال فترة ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ فى كتابه «لمحة» (مجموعة وثائق حكومة بومباى المجد ٢٤) ويرجع سبب هذا الاختلاف فى الأساس الى سوء فهم واردن عندما ألف كتابه فى عام ١٨١٩ ، أما وجهة نظر سيتون فتتفق مع رأى المؤرخ العماني ابن رزيق فى كتابه « أئمة وسلاطين عمان » ترجمة بادجر ص ٢٩٤ الى ٢٩٨ رغم أن الغموض الذى يحيط بالتاريخ الذى أشار اليه ابن رزيق .

وفي يوم ٢ مايو ١٨٠٨ هاجمت سفينتان تحملان نحو ٥٠٠ رجل ، طراد الشركة « فيورى » الذى كان فى طريقه من البصرة الى بومباى . وقد وقع الهجوم بعد الظهر فى منطقة تقع على بعد بضعة فراسخ الى الشرق من مسقط، وبعد مطاردة دامت عدة ساعات تمكنت مدفعية الطراد من ابعاد بحارة السفينتين عن الطراد(١) ثم بعد اسابيع ثلاثة التقت السفينة منيرفا التابعة لمناستى باسطول من سفن القواسم يقدر بنحو ٥٠ قطعة بحرية بالقرب من رأس مسندم ، وكان ذلك يوم ٢٣ مايو . وقد ظلت السفينتان تدافعان لمدة يومين الى ان استولى عليها القراصنة ، وقد قتل معظم بحارة السفينة وركابها ، ومن الذين نجوا من الذبح السيدة روبرت تايلور حرم اللفتنان تايلور أحد العاملين بمكتب المقيم البريطانى فى البصرة، وكذلك طفلها الرضيع ، وقد نقلت السفينة الى رأس الخيمة وتم تفريغ حمولتها من السلع ومن التركيبات الأخرى ، ثم اعيدت الى البحر لتعمل ضد السفن الأخرى . وقد تم الافراج عن معظم الأسرى فيما بعد ومن بينهم السيدة تايلور التى باعها أحد شيوخ القواسم لى أحد المواطنين العرب فى البحرين بمبلغ ٦٧٠ ريال نمسويا وقد دفع المقيم البريطانى فدية ١٠٠٠ ريال نمسوى(٢) لقاء الافراج عنها .

منذ ذلك الوقت بدأ القواسم يخرجون الى البحر فى مجموعات تتألف من ١٥ الى ٢٠ سفينة كل منها بقيادة نائب يتبع حسين بن على نائب الأمير

(١) الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٣ مجلد ٥٥ المحادثات السياسية بتاريخ ١٠/٥/١٨٠٨ من اللفتنانان جوان قائد (الطراد فيورى) الى وليام مونى (رئيس البحرية) . ١٠/٥/١٨٠٨ «والأسطول الهندى» تأليف لو ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر حلقة ٣٨٣ محادثات ٨/٩/١٨٠٩ من بوراه على منجى (أحد ركاب منزنا) الى سيتون يوليو ١٨٠٩ نفس الحلقة مجلد ٢ محادثات ٦/١٢/١٨٠٩ . من وليام بروس (المقيم البريطانى فى بوشهر) الى فرانسيز واردن سكرتير الحكومة ١٧/١٠/١٨٠٩ .

الوهابى . ونظرا لضعف تسليح هذه السفن من حيث الأسلحة التقليدية فقد كانت تتبع طريقة خاصة ، وهى أطباق سفن القراصنة على السفن التى يريدون اقتحامها . والواقع أن كل من يحاول مقاومتهم أو حتى من لا يحاول مقاومتهم يذبحونه ذبح النعاج . وقد وصف أحد ضباط الأسطول التابع لحكومة بومباى أسلوب القواسم بقوله :

« فيما يتعلق بالقواسم فاننى لا أستطيع أن أتصور كيف أن هؤلاء الناس الذين ليست القسوة من طبيعتهم ان يتخذوا من الوحشية والعنف سبيلا للتخلص من أسراهم . فهم يقترفون هذه الجرائم ببرود رهيب مما يضى على العملية لونا دنيئا يتخذ أسوأ أنواع القسوة والوحشية ، هذا على الرغم من أن عقيدتهم الدينية لا تبيح لهم تلك الأساليب الوحشية ، ومن عادة هؤلاء أنهم بعد أن يستولوا على إحدى السفن يقومون بغسلها بالماء ورشها بماء العطور ثم يقودون بحارتها واحدا تلو الآخر ويعلقون رأسه على فوهة المدفع ثم يبترون رأسه وهم يرددون عبارة الله أكبر «(١) .

وقد قدرت عدد وحدات أسطول القواسم فى ذلك الوقت بـ ٦٣ سفينة من الحجم الكبير و ٨١٠ من الحجم الصغير ، يديرها ما لا يقل عن ١٨٠٠٠ الى ٢٥٠٠٠ مقاتل(٢) وكان أغلب السفن يأتى من الشارقة ورمس وإن كان البعض منها يأتى من لنجة ونخيلو وغيرها من الموانئ الفارسية . وكان القسم الأكبر من بحارة هذه السفن يعملون فى الغوص وصيد الأسماك ، وبالتالي فإن أسطول القتال القاسمى لم يكن فى الواقع يزيد على ٧٠ الى ٨٠ سفينة(٣) .

(١) « مدينة الخلفاء » فصل واحد ص ١٠١ تأليف ويستد .

(٢) الوثائق السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٣ مجلد ١٣ محادثات

٦ يناير ١٨١٠ مذكرة من جوناثان دنكن (يناير ١٨١٠) .

(٣) راجع الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٣

محادثات ١٨٠٩/٨/٢٥ من مانستى الى دنكان ، البصرة فى ١٨٠٩/٧/٨ .

أما في البر فقد كان القواسم يرمون بثقلهم الى جانب مطلق المطيري
ليتمكن من تشديد قبضته على عمان على الرغم من أن قسوته وصلاحيته كانت
تدفع بقبائل الظاهرة الى التخلي عنه ، فقد كان حمد بن ناصر يرفض أن يعمل
معه في بناء القلاع والحصون لاقامة رجال الحامية الوهابية ، ولهذا الغرض
عرض سرا على السيد سعيد بأن ينضم اليه ، غير أن السيد سعيد رفض
عرضه لعدم ثقته فيه . أما محمد بن ناصر الذي ضاق ذرعا بمعاملة مطلق
القاسية فقد استغاث بالسيد سعيد ، ولكن سعيد زج به في السجن ثم أفرج
عنه أخيرا . . . وكذلك عزان فقد تخلى عنه الوهابيون وانضم الى السيد سعيد
بعد أن أقسم لسعيد بأنه كان يفضل الموت بدلا من أن يبقى تحت رحمة مطلق .
غير أن كل هذه الانشقاقات لم تضعف مطلق بأي حال من الأحوال . فقد
استطاع بتأييد القواسم من احتلال مدينة شناس الساحلية الواقعة شمال
مدينة صحار وطرده عزان منها . وفي أواخر عام ١٨٠٨ كانت معظم مرافئ
الساحل الشمالي بما فيها خورفكان والفجيرة ودبا وخور كلية تحت
سيطرة مطلق ، ومن هذه الخلجان كان من السهل على القواسم الانقضاض على
المراكب التجارية التي تتردد خليج عمان . وكان ساحل الباطنة هدفا لغارات
متواصلة من مطلق وأتباعه . وكانت غاراتهم تتسم بالهمجية والقسوة بحيث
أن فظاعتهم السابقة تبدو ضئيلة الى جانبها ، وفي الوقت الذي كانت عمان
تتألم وتدمى تحت ضربات مطلق المطيري تقدم السيد سعيد بطلب الصلح (١)
مع الوهابيين سنة ١٨٠٨ .

(١) وثائق حكومة بومباي السياسية والسرية حلقة ٣٨٢ مجلد ٥٥
محادثات ١٠ ديسمبر ١٨٠٥٨ من كيش داس « سمسار الشركة في مسقط »
الى دانكن ١٧ رمضان ١٢٢٣ الموافق ٧ نوفمبر ١٨٠٨ والحلقة ٣٨٣ مجلد ٢
محادثات ٢٤ مارس ١٨٠٩ من سيتون الى مالكولم مسقط ٦ ، ١٩ ، ٢٠ فبراير
. ١٨٠٩

استأنف القواسم نشاطهم القرصنى فى خريف ١٨٠٨ على اثر انتهاء موسم اللؤلؤ ، وقد استهلوا ذلك النشاط بهجوم وحشى وجريء على الطراد سيلف المسلح بثمانية مدافع والتابع لوحدات أسطول بومباى .

وقد وقع الهجوم عند مدخل الخليج يوم ٢٠ أكتوبر حيث كان الطراد سيلف أحد قطع الأسطول التى رافقت هارفورد جونز فى رحلته الى بوشهر فى طريق العودة الى بومباى برفقة الفرقاطة نيريد (٣٦ مدفعا) . وفى نحو الظهر يوم ٢٠ أكتوبر بينما كانت السفينتان بالقرب من رأس مسندم ظهرت فجأة سفينتان كبيرتان قريبا منهما وكانتا خارجتين من الخليج . ولما كان الطراد سيلف أسرع من الفرقاطة فقد كان أقرب الى السفينتين من الفرقاطة ، واستدارت السفينتان الكبيرتان وأطبقتا عليه وقد أبطأ قبطان الطراد اللفتنانت وليم فى اطلاق النار على السفينتين حتى ضاعت الفرصة من يده، فتمكن بحارة احدى السفن من مهاجمة الطراد وصعدوا بحارتهما على سطحه ، ولما كان البحارة أكثر عددا من رجال الطراد فقد تغلبوا عليه ، وقد ذكر القبطان جراهام بعد ذلك بأنه لم يتمكن من اطلاق مدافعه على المهاجمين بعد أن داهموا الطراد وذلك بسبب هياج البحر والريح ، كما أن رجال الطراد لم يتمكنوا من تصويب المدافع على السفينتين لابلادة بحارتهما ، لأن القبطان أصدر أمره الى رجاله باستخدام الأسلحة الصغيرة لمنع بحارة السفينتين من الصعود الى سطح الطراد ، وقد نجحوا فى ذلك غير أن سطح الطراد لم يتسع لرجال الطراد والقراصنة الذين احتلوا الجزء الأكبر منه ، وبذلك تغلبوا علينا، وقطروا السفن (١) الى قواعدهم ، أما السفينة « نيريد » التى حاولت طوال العملية مساعدة الطراد « سيلف » فقد انطلقت تطارد سفن القرصنة ، وفى نحو الساعة الرابعة أصبحت نيريد فى تمكنا من اطلاق مدافعها على القواسم

(١) الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٢ مجلد ٥٣

مخادثات ١٨٠٨/١١/١١ . من جراهام الى وليم مونى بومباى ٢٨٠٨/١٠/٢٨

وقد أرسل « نيريد » الى القائد العام لاسطول الهند الشرقية بالتقرير التالي عن هذه العملية .

« ففى الساعة الخامسة عندما كنا على مقربة منهم بعد أن التحمنا بهم عدة مرات انزلت اشرعة المقدمة ، أما الأقرب الى المؤجرة فقد أخذ يسير بالقرب منهم لانتشال من نجا من البحارة ، وبينما كنا فى هذا الوضع كنا نبتعد بضعة امتار ، ولكن ياصاحب السعادة قد لا تصدقون أنه مع ذلك وعلى الرغم من أننا أخذنا نحييهم بالعربية فقد ردوا علينا بتهديدات وحشية من التحدى ، وأمطرونا بالرصاص وأخذت إحدى السفن التى تركها بحارتها تيميل الى الفرق بينما أقلمت الأخرى شرايعها وانطلقت وسط الريح العنيفة فى الوقت الذى كان اصحابها يصيحون ويطلقون النار من فتحات السفينة . لقد أصبحنا تحت الدعامة السفلى للسفينة . لقد كان الوقت ليلا ولكنى استطعت أن أعرف أن السفينة قد مالت الى الفرق وسمعناهم ينزحون الماء منها ، وعندما اقتربنا لصعود المركب ونحن نطلق النار اكتشفت بأنه بعد أن تغلب القواسم على البحارة بمنتهى السهولة بترؤوس جميع بحارتها وهم الضابط المساعد وستة وعشرين جنديا أغلبهم من الهنود . أما القبطان فقد نجا من الموت بادخاله الى قبو السفينة تحت صخرة ضخمة بعد أن أصيب بعدة طعنات وجروح .

وعلى أى حال فقد كان فى الامكان تجنب كارثة الطراد سيلف لو أن قائده تمكن من اطلاق النار على القواسم فى وقت مبكر من العملية ، ولكنه كما ذكر فيما بعد فى تقريره . . . لقد كنت مصمما على ألا أبدأ بالهجوم حرصا منى على الالتزام بتعليمات حكومتى فى هذا الشأن(١) . فبعد حادث الطراد « فيورى »

(١) على أن هذه السياسة قد تعرضت فيها بعد الى نقد لاذع ومركز من جانب مؤرخ الاسطول الهندى : « ان الحكومة بارسالها سفنا صغيرة ومهلهلة الى مياه الخليج كالطراد سيلف حمولة ٨ طن أى أقل من ثلث حمولة أى سفينة حربية للقواسم التى اعتادت أن تبحر فى مجموعات تحمل المئات

فى شهر مايو من العام السابق أخطرت الحكومة جميع قباطنة الطرادات بأن يتجنبوا استفزاز القواسم أو إطلاق النار عليهم إلا إذا بدأوا هم بالهجوم على الطرادات ، وعلى أى حال فلم يكن سلوك قائد الطراد « سيلف » ينم عن الجبن . فحتى ذلك الوقت لم تكن السلطات المسئولة فى الهند تعرف شيئاً عن مدى العلاقة بين القواسم والوهابيين ، وبالنظر الى ما كانت تتعرض له امكانيات الشركة من استنزاف بسبب الحرب الفرنسية والصراعات داخل الهند فقد كان احتمال الدخول فى مواجهة أخرى مع الوهابيين فى شبه الجزيرة العربية أمراً غير وارد فى سياسة الشركة فى تلك المرحلة ، كما لم تكن بريطانيا تفكر ، بعد أن عاد نابليون الى استئناف نشاطه فى الهند الشرقية ، فى أن تفتح بريطانيا جبهة أخرى ضد الأمير السعودى ، وتأسيساً على ذلك فقد طلب الى هارفارد جونز بأن يجرى إذا ما فيشلت مهمته فى فارس بعض الاتصالات مع الأمير السعودى ، كما أصدر مبنو تعليمات مماثلة الى مالكولم فى أواخر عام ١٨٠٨ .

كما صدرت أوامر مشابهة من منتو الى مالكولم فى أواخر ١٨٠٨ (١) وبصرف النظر عن الاعتبارات السياسية كانت حكومة الهند تنقصها الامكانيات اللازمة لشن حملة فعالة ضد القواسم . فلم تكن بحرية بومباى تملك أكثر من ١٢ سفينة فى سنة ١٨٠٨ لتباشر مهامها المختلفة فى المناطق البحرية الواقعة بين كلكتا والسويس وحتى لو كان فى وسع الشركة أن توفر مثل تلك القوة

== من الرجال على سطوحها انما كانت فى الواقع تعتمد التضحية بسفنها والادهى فلى من ذلك هو التضحية بتجارة تلك السفن وفى الوقت الذى كانت الحكومة تخسر هيبتها وسمعتها فقط كان البحارة يدفعون الثمن من أرواحهم .
(١) انظر اعلاه ص ٨٣ - ٩٢ وقد تم فعلا اعداد خطة قدمها فلانيشية الى مجلس الهند فى شهر سبتمبر سنة ١٨٠٨ بعد رجوعه من البحر الاحمر وذلك لعقد جلف مع سعود الذى كان وقتها فى خصام مع امام اليمن وذلك لتأمين تجارة الصادرات مع تلك البلاد (راجع مذكرة فلانيشيا ١٣/١٨٠٨)

٤٠٨٤٠ ت

العسكرية للهجوم على معاقل القراصنة في الخليج قد ضاعت تلك الفرصة بسبب مشروع حملة مالكولم في اواخر عام ١٨٠٨ لاجتلال جزيرة خرك والتي كانت سببا في نفاذ الاحتياطي من الرجال .

ورغم ذلك فلم يكن دنكان على استعداد لان يتفاضى عما وقع للطراد سيلف دون انتقام ، ففي ١١ نوفمبر اصدر امره للطرادتين ماوث (١٦ مدفعا) بالابحار الى الخليج للقيام بدوريات متواصلة في المنطقة الواقعة بين مسقط وبوشهر وبلاستيلاء على اى سفن للقواسم وتدميرها كى يثوب زعيمهم الى رشده ويدرك فظاعة الاعتداءات التى يقوم بها اتباعه والعمل على وقف تلك الأعمال رغبة في تحقيق الامن فى المنطقة لمصلحة الطرفين (١) .

غير ان الطرادتين ماوث لم يتحرك اطلاقا فقد بقى فى مكانه توقعا لان يحتاج اليه مالكولم بعد عودته من كلكتا . وفى شهر نوفمبر ظهرت قطع اسطول القواسم فى مياه الهند للمرة الاولى ، فقد هاجمت اربعون سفينة من سفن نقل البضائع فى اقليم كنتس ، وفى يوم ٢٦ نوفمبر خاض الطراد لفيلى معركة ضد اربع سفن للقواسم على ساحل كحجرات (٢) . كما اغترض

(١) الوثائق السرية والسياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٢ مجلد ٥٣ محادثات ١٨٠٨/١١/١١ قرار المجلس بنفس التاريخ انظر ايضا نفس الحلقة مجلد ٥٤ محادثات ١١/٢٦ محاضر دنكان ١٨٠٨/١١/٢٤ .

(٢) بعد ثلاثة ايام على هذا الحادث تسبلت السفن الى مرافئ سورت حيث حاولت ان تختفى وسط غيرها من السفن الراسية هناك ولكن وجود جرحى فى السفينة كشف عنهم ووضعت السفن وبخارتها تحت الحجز بأمر الكيوادور المسئول عن البحرية فى سورت ومن هناك ارسلت السفن الى بومباى حيث احتجزت لبعض الوقت حيث أفرج عنها بعد ان تلقت كفايتها من العقاب . الوثائق السياسية والسرية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٢ مجلد ٥٥ محادثات ١٨٠٨/١٢/١٧ من السكاپتن ار. رذن الى وليام مونى صورة ١٨٠٨/١٢/٤ « الاسطول الهندى » تأليف يو فضل واتخذ من ٣١٩ .

القواسم مجموعة من عشرين سفينة تجارية في شهر نوفمبر ، وفي أوائل ديسمبر تقدم حوالى ثلاثين من أكبر التجار الفرس بعريضة الى الحاكم يطالبون باتخاذ اجراءات ضد القراصنة ويعلنون فيها أنهم سوف يضطرون الى وقف تجارتهم اذا استمر القواسم فى الاعتداء عليهم .

وقد أصدر دنكان تعليماته الى قائد بحرية بومباى لاعداد قوة على الفور لتطهير منطقة الساحل الشمالية من القراصنة والاستيلاء على أكبر عدد من سفنهم أو حرقها أو تدميرها (١) .

وكان من رأى دنكان أنه لا يصح اتخاذ اجراءات أشد حتى يعود مالقولم الذى كان قد كلف بالاشراف على المصالح البريطانية فى الخليج . غير أن اهتمام مالقولم كان منصبا على موضوع جزيرة خرك ، وأول شيء طلبه بعد عودته الى بومباى هو تقرير عن القوة التى أعدت بمزيد من المعدات ، أما فيما يختص بالشئون العربية فقد كان الاقتراح الوحيد الذى عرضه مالقولم هو عودة الكابتن سيتون الى مسقط كمقيم بريطانى (٢) .

وصل سيتون الى مسقط فى مستهل شهر يناير ١٨٠٩ حيث اكتشف ان القواسم قد أصبحوا يشكلون خطرا على خطوط الملاحة الرئيسية ، وأن حسين بن على نائب الحاكم الوهابى قد طلب من حكومة بومباى أن تدفع له زكاة مقابل سماحه للسفن البريطانية بالمرور فى الخليج كما عرف سيتون هناك لأول مرة بما كان يجرى فى شمال عمان ولس بنفسه قوة الخطر الوهابى على تلك المنطقة . ففى مسقط كان الدعاء الوهابيون يبشرون علنا بمذهبيهم ، وكان الأهالى يعيشون فى خوف منهم . وكان السيد سعيد قد طلب من الحاكم

(١) نفس المصدر مجلد ٥٥ محادثات ١٨٠٨/١٢/٣ قرار مجلس الهند

بنفس التاريخ .

(٢) نفس المصدر محادثات ١٨٠٨/١٢/١ من مالقولم الى دنكان

بتاريخ ١٨٠٨/١٢/٩ .

السعودى بأن يعيد اليه بلدة شناس وغيرها من المناطق الواقعة على السباجل الشمالي من عمان والتي استولى عليها مطلق المطيرى والقواسم ، ورد عليه الحاكم الوهابى بأن عودة الأراضى الى سعيد مشروطة بموافقته على الاشتراك مع القواسم فى الهجوم على البصرة ونهب السفن الهندية(١) .

وقد نجح سيتون فى اقناع مالكولم الذى وجد بعد ذلك وقتاً لديه يخصصه لشئون الخليج بعد صرف النظر عن مشروع جزيرة خرك فلقد أصبح التدخل البريطانى أمراً مفروغاً منه إذا أريد لعمان أن تتحرر من الخضوع للوهابيين كمشيخات القواسم .

وقد هدد الأمير الوهابى أنه إذا رفض السيد سعيد اقتراحه بالاشتراك مع القواسم فى مهاجمة البصرة وفى غيرها من أعمال القرصنة فإنه ينوى أن يصل بنفسه الى عمان فى الربيع بعد الانتهاء من أداء فريضة الحج . وبالتالي فقد أصبح يتعين على سعيد أن يقوم بتعزيز قواته ودفاعاته لصد أى هجوم قد يشنه عليه الوهابيون . ولكى يتحقق له ذلك فقد كان لابد من استعادة سيطرته على شناس وساحل الشمالية . غير أن ذلك لم يكن يتحقق بغير دعم بحرى وعسكرى من حكومة الهند . وعلى ضوء تلك الاعتبارات دعا مالكولم الحاكم العام فى الهند الى الموافقة على اعداد حملة عسكرية لوضع حد لنشاط القواسم ومساعدة عمان للاحتفاظ باستقلالها ضد تهديد الوهابيين(٢) .

(١) انظر اعلاه ص ١١٠ - ١١٢ من تقارير سيتون شهر فبراير

١٨٠٩ .

(٢) وثائق حكومة بومباى السياسية والسرية حلقة ٣٨٣ مجلد ٢ محادثات ١٨٠٩/٣/٢٤ من سيتون الى مالكولم ١٩ ، ٢٠ فبراير ١٨٠٩ مجلد ثلاثة محادثات مايو ١٨٠٩ من مالكولم الى ان. بي ادمون سيتون ٩ مارس

١٨٠٩ .

وبعد تردد وافق منتو على مقترحات مالكولم ، ويتاريخ ٤/٣ أوعز الي
 دنكان باعداد قوة من الأسطول للعمل ضد القواسم ، فقد اقتنع منتو بأن
 القواسم هم مفاح المواقف في عمان والخليج حتى ذلك الوقت ، والى أن يبدأ
 الأمير السعودى في توجيه اهتمامه بجنوب شرقى الجزيرة . ولم تكن لمطلق
 الصلاحيات الكافية لتحدى نفوذ السيد سعيد فى الوقت الذى كان القواسم
 من ناحية أخرى وتحت قيادة حسين بن على سادة الموقف فى البر والبحر ،
 فاذا أمكن توجيه ضربة قاصمة للقواسم فى البحر وتردهم من منطقة الشيميلية
 فان ذلك سوف يخدم هدفا مزدوجا ، فهو من جهة واحدة سيمكن حكومة الهند
 من الانتقام للاعتداءات التى يشنونها على السفن البريطانية والحد من هذا
 الخطر فى المستقبل ، اما من الجهة الأخرى فانه سوف يسمح لسعيد بتقوية
 وسائل دفاعه . وعلى أى حال فقد حذر منتو دنكان بأن عليه أن يلتزم بأهداف
 الحملة وأن لا يتعداها بأى حال من الأحوال .

* * *

وكان من رأينا أن يقتصر نشاط الحملة على البحر وأن يكون الهدف
 منها تدمير سفن القرصنة وبأنه لا يجوز استخدام هذه القوة وجنودها بأن
 ينسحبوا على البر مع أى قوة برية عاملة فى الجيش العماني، كما ينبغى العلم بأن
 الهدف من العمليات التى ستقوم بها الحملة هو استعادة الموانئ البحرية
 التابعة للسيد سعيد والتى هى حاليا تحت سيطرة القواسم ، كما أننا لا نعتقد
 أن هذه العمليات ستحد من حرية هذه القوة فى إطار المسئولية المحددة لها
 غير أنه لابد والحالة هذه من توضيح نقطة على جانب كبير من الأهمية ، سواء
 بالقول أو بالفعل ، وهى أن الحملة ليست موجهة بصورة عامة ضد الوهابيين
 ولكنها وانما بصورة خاصة ضد العناصر التى تمارس القرصنة والتى مازال
 تهدد الملاحة فى الهند والخليج (١) حتى الآن .

(١) نفس المصدر مجلد ٣ محادثات ٦ مايو ١٨٠٩ من الحاكم العام

الى مجلس حكومة بومباى فورت وليام ٣/٤/١٨٠٩ .

وكان رأى دنكان ان تغادر الحملة على الفور غير أن مالكولم رأى تأجيلها حتى أغسطس أو سبتمبر . فقد كان فصل الرياح الموسمية على وشك أن يبدأ في المنطقة الغربية في المحيط الهندي ، وكان هذا يعنى أن السفن المتجهة الى الخليج يتعين عليها أن تسلك الطرف الجنوبي الأطول بحيث يستغرق وصولها الى الخليج شهراً على الأقل . وكان من رأى مالكولم ان هذه فترة يجب ان تستغل في جمع المعلومات عن المعامل الرئيسية للقراصنة وقتن قوتهم البحرية والعسكرية كما طلب بأن يظل موضوع الحملة سرا حتى يكون لعنصر المفاجأة اثرها في فاعلية الحملة . كما أمر بمنع تصدير الأخشاب من ساحل « ملابار » الى الخليج حتى يحرم القواسم من المواد الخام اللازمة لبناء مزيدا من السفن (١) أما سيتون شأنه شأن دنكان فقد كان يعارض تأخير الحملة بحجة انه اذا اريد للحملة أن تنجح في مهمتها فعليها أن تفاجيء سفن القواسم وهي في مرافئها في فصل الصيف .

وقد وجد مالكولم مؤيدا قويا في شخص الكابتن جى . وين . رايت (من البحرية الملكية) الذي كان عين قائدا للقوات البحرية مما اضطر دنكان الى الموافقة على تأخير الحملة الى فصل الخريف (٢) .

وفي الأسبوع الأول من سبتمبر كانت الحملة قد استكملت استعدادها وأصبحت جاهزة للتحرك ، وكانت القوة تتألف من القرافطة لاشيفون (٣٦ مدفعا) وكارولين (٣٦ مدفعا) وكانت الطرادات الخاصة بالشركة تتألف من الطراد مورنج تون (٢٢ مدفعا) وتين موش (١٦ مدفعا) وترويت (١٦ مدفعا) وتوتلس (١٤ مدفعا) وأوروره (١٤ مدفعا) وفيستال (١٠ مدافع) وأريال (١٠ مدافع) وفيرى (١٠ مدافع) وسفينة القذائف ستروم بولى ، أما بالنسبة للوحدة العسكرية فقد كانت مكونة من فصائل من الفرقة السابعة والأربعين

- (١) نفس المصدر من مالكولم الى دنكان ١٨٠٩/٥/١ .
 (٢) نفس المصدر محادثات ٢٤ يونيو ١٨٠٩ محاضر دنكان نفس التاريخ ومن وين رايت الى دنكان ١٨٠٩/٦/٢٠ .

والخامسة والستين ، ومن مدفعية بومباي ومن الوحدة الثانية ومن الفرقة الثانية ومن مشاة الهنود في بومباي ومن وحدة بومباي البحرية ومن بين مجموعة الضباط الأربعة والخمسين ونحو ١٣٠٤ فرداً، فقد كان أكثر من نصفها من الأوربيين . أما كارولين وأربعة طرادات أخرى وعليها فصيلة من ٨٠ جندياً أوربياً فقد كانت في الخليج بالفعل ، وكان الغرض من وجودها هناك هو تقديم مساعدتها لحكومة مسقط والدفاع عنها إذا احتاج الأمر (١) ولم يبق إلا الاتفاق على حجم العمليات واصدار التعليمات اللازمة الى كل من واين رايت والكولونيل ليونيل سميث قائد الفرقة الخامسة والستين والقواد المساعدين .

على أن نقص المعلومات عن الوضع على ساحل القرصنة أو بالأحرى على امتداد الساحل الغربي للخليج قد عاق دنكان من تحديد حجم التعليمات فلم يلق البحارة الأوربيين الذين زاروا تلك المناطق ، كما أن المعلومات التي تم الحصول عليها من المخبرين العرب ضئيلة جداً لدرجة أن المواقع الفعلية لموانئ القراصنة لم تكن معروفة (٢) في التعليمات التي أرسلت الى واين رايت وسميث ، وبتاريخ ٩/٧ اعتبرت رأس الخيمة الهدف الرئيسي للهجوم، ونصت التعليمات على تدمير أسطول القراصنة بما في ذلك المراكب الراسية في أي ميناء من موانئ رأس الخيمة أو في الناحية الجنوبية ، كما كانت تقضى بطرد القواسم

(١) نفس المصدر مجلد ٩ محادثات ٨/٩/١٨٠٩ عودة الفصيلة بتاريخ

١٨٠٩/٩/٧ .

(٢) بعد خروج الحملة بوقت قصير أجرى دنكان بعض التجريبات بين النجاش والفرس والهنود في بومباي ممن لهم معرفة سابقة بالخليج وعلى أساس تلك المعلومات وضع دنكان تقريراً عن القوة العسكرية لتلك الموانئ ، ثم أجال ذلك التقرير وان كان في وقت متأخر جداً الى كل من سميث وواين رايت ووثائق بومباي السياسية والسرية حلقة ٢٨٣ مجلد ١٣/١٣ محادثات ١/٦/١٨١٠ مذكرة من دنكان (يناير ١٨١٠) .

من شناس ومن غيرها من سواحل الشمالية على الرغم مع أخذ الحيطة بأن لا يقع أى من تلك المناطق في يد الوهابيين . وكان على وين رايت وسميث أن يلتزما بتعليمات منتو الصادرة اليهما في ٣ ابريل، كما كان عليهما الا يظهرأ تجاه الوهابيين أى مظاهر عدائية ، كما كانت العمليات تشمل منطقة لنجة وغيرها من موانئ القواسم على الساحل الفارسى امتددا الى لفت ، معقل القواسم فى جزيرة قشم .

كما كان يتعين ابلاغ امير اقليم فارس بخطة الهجوم على القواسم، فاذا لم يعترض عليها حتى خروج قطع الأسطول الى مياه الخليج يمكن المضى فى خطة الهجوم على معاقل القواسم على الموانئ الفارسية ، وكان يتعين على وين رايت وسميث بعد الانتهاء من العمليات أن يحملا القواسم على ابرام معاهدة سلام ، يتعهدون فيها ، بالامتناع عن القيام بمثل تلك الأعمال فى المستقبل ، وبأن لا يرد فى المفاوضات التى ستجرى بشأن المعاهدة أى اشارة الى الامير الوهابى أو سيطرة الوهابيين باعتبار القواسم فئة مستقلة. كما طلب الى قادة الأسطول ابداء رأيهم فى اتسب جزيرة بالقرب من موانئ القواسم تصلح كقاعدة بحرية أو موقع لانشاء مركز للمقيم البريطانى ، بحيث يمكن مراقبة تحركات القواسم منها ، كما طلب اليهم تقديم مقترحاتهم حول أفضل الوسائل للدفاع عن الجزيرة ليس ضد القوى المحلية فحسب وانما ضد أى دولة أوربية قد تظهر فى المنطقة (١) .

وأبحرت الحملة يوم ١٤ سبتمبر ومنذ اللحظة الأولى لخروجها كان سوء الحظ يلاحقها ، فقبل أن تتحرك القافلة وصل نبأ وفاة الكابتن سيتون فى مسقط ، وبذلك حرم الاثنان وين رايت وسميث من خبرته بشئون الخليج .

(١) نفس المصدر محادثات ١٨٠٩/٩/٨ من الحاكم الى وين رايت

١٨٠٩/٩/٧ .

ولم يكذب يومان على خروج الحملة حتى توفي اثنان من ضباط سفينة القذائف كنتس و ١٤ نفرا من بحارتها . كما أدى سوء الاحوال الجوية الى بطء سير القافلة على الاخص السفن الثقيلة المحملة . ويوم ٣ أكتوبر أرسل وين رايت ثلاثة من رجال الطراد الى الساحل واثنين الى مسقط مزودين بتعليمات الى البارجة « كارولين » لانتظار اسطول الحملة عند رأس الخيمة ، للقيام بشن الهجوم عليها دون توجيه اذار سابق . وبعد انقضاء أسبوعين كانت الحملة لانزال على بعد خمسين فرسخا شرقى مسقط ، وكانت تشق طريقها فى معاناة شديدة ، وقد أخذ احتياطها من الماء يتناقص لأن قباطنة السفن لم يتزودوا بكفايتهم من الماء من بومباى ، وفى يوم ٢٠ أكتوبر تحدث وين رايت الى خمس من السفن الشراعية كانت خارجة لتوها من مسقط ، وعرف من ربابنتها ان البارجة كارولين لم تصل حتى تلك اللحظة للخليج كما انها لم تشاهد من الطرادات اثناء سيرهم على الجهة الشرقية . ولم يكن امام وين رايت الا ان يتخلى عن فكرة السرية ويتجه الى مسقط . وفى مسقط عرف المبعوثان سميت ووين رايت ان السيد سعيد لم يكن يؤيد الحملة ، وكان يشك فى نجاحها ، وكان من رايه ان الاستيلاء على رأس الخيمة يحتاج الى ما لا يقل عن ١٠ آلاف جندي كما لم تكن هناك أى فائدة من استخدام مدافع الفرقاطة فى تدمير تحصينات القراصنة لأن المياه فى مدخل الميناء ضحلة ولا تصلح لرسو الطراد (١) .

أبحر الأسطول من مسقط فى بداية شهر نوفمبر وكانت (كارولين) قد وصلت فعلا من الخليج وعلى مقربة من رأس مسندم انضمت اليها الطرادات التى سبق أن انفصلت عنها وفى ١١ نوفمبر تحركت المجموعة كلها الى رأس الخيمة .

(٢) التقرير الادارى لدار المقيم البريطانى رقم ١٨/١ من واين رايت الى الرميрад اميرال وليم دوورى والقائد العام للأسطول البريطانى فى الهند الشرقية (مسقط « لاشيفون بتاريخ ٣١/١٠/١٨٠٩ .

- ١٩٢ -

وربما كان السيد سعيد على حق في بعض تصوراته، فان الفرقاطات لم تتمكن من التقدم نحو البلدة الى اكثر من اربعة اميال كما لم تتمكن بقية الطرادات وسفن النقل من التقدم الى اكثر من ميلين . وقد بدأ وين رايت في قصف البلدة في يوم ١٢ نوفمبر وقد أحدث بعض الدمار بدفاعات البلدة وعلى الرغم من ذلك فان معظم القذائف لم تصل الى اهدافها .

وفي فجر اليوم الثالث عشر تقدم اثنان من القوارب المسلحة الى الخليج الذي كان يفصل شبه الجزيرة عن بقية البلاد، وبعد نصف ساعة قام الجنود من الفرقتين ٤٧، ٦٥ وفصائل الاسطول بهجوم على شبه الجزيرة ، غير ان التيار في هذه المنطقة أعاق حركة الجنود ، وقد تعين عليهم أن يسيروا عبر منطقة رملية للوصول الى تحصينات القواسم ولكنهم استطاعوا التغلب على تلك العوائق في النهاية ، وأخذ القواسم يتراجعون الى داخل البلدة، وقد دارت معركة عنيفة بين الطرفين ، فقد كان القواسم قد حولوا كل بيت الى مركز دفاع ولم ينسحبوا من مراكزهم الا بعد أن أضرم البريطانيون النار في منازل البلدة، وفي نحو الساعة العاشرة صباحا كانت رأس الخيمة قد خلت من اكثرية سكانها الذين انسحبوا عبر الخليج الى داخل البلاد ، وكانت الاصابات بين الجانب البريطاني قتيلًا واحدًا من الضباط وثمانية من الجنود وضابطان جرحى ، بينما قتل ثلاثة من البحارة وجرح تسعة ، أما الخسائر بين القواسم فتعدر تقديرها بصورة دقيقة فقد سقط منهم سبعون الى ثمانين قتيلًا اثناء المعركة ومن المحتمل أن يكون قد قتل أكثر من هذا العدد عن طريق القصف (١) .

وقد أحرقت كل السفن التي وجدت في الخليج كما دمرت معدات السفن وأطلق سراح بعض السجناء الهنود . وقد علم في مساء ذلك اليوم أن قوة

(١) نفس المصدر الطراد ليشافون رأس الخيمة ١٤/١١/١٨٠٩ راجع أيضا « الاسطول الهندي » تأليف لو فصل واحد ص ٣٢٦ - ٣٣٠ .

- ١٩٣ -

كبيرة من الوهابيين قد تحركت من البريمي في طريقها الى الساحل وربما كانت قد وصلت بالفعل الى « حنييد » على بعد بضعة أميال من الجزيرة في مساء ذلك اليوم ظل الجنود في انتظار الهجوم المضاد ولكنه لم يقع وفي صباح يوم ١١/١٤ بعد أن أتمت الحملة تدمير سفن القواسم وتحصيناتهم عاد الجنود الى سفنهم ثم بعد ذلك بقليل تحرك الاسطول متجها الى الشمال .

في يوم ١١/١٧ هوجمت منطقة لنجة ودمرت نحو عشرين سفينة . وقد انفصلت كارولين وغيرها من سفن النقل الثقيلة واتجهت الى ساحل الباطنة حيث كان قد تم الاتفاق على ملاقاته السيد سعيد يوم ١٢/٦ لشن هجوم مشترك على شناس وخور وكلبه وفكان ، أما وين رايت وما بقى معه من الاسطول فقد أبحر شرقا الى جزيرة قشم لشن هجوم على منطقة « لفت » التي كانت في يد القواسم وحلفائهم بنى معين في ذلك الوقت ، وعند وصوله هناك حاول واين رايت بأن يقنع شيخ بنى معين بأن يستسلم ولكنه رفض ، وفي اليوم الثاني أصدر وين رايت وسميت أمرا الى جنوده بالنزول الى البلدة ومهاجمتها ، ولكن بنى معين انسحبوا من داخل التحصينات الى قلعة تقع على صخرة كبيرة عند شاطئ البحر وكان بالقرب من القلعة احدى عشر سفينة من سفن القراصنة راسية هناك وقد تم اشعال النار فيها من جانب بحارة الطرادات على الرغم من القصف الذي كانوا يتعرضون له من اصحاب القلعة ثم بدأ الطراد « فيورى » بالاقتراب من الشاطئ وقصف أسوار القلعة بالدفعية وعند الغروب وافق الملاحون على الاستسلام . وفي يوم ١١/٢٨ سلمت القلعة والبلدة الى وين رايت الذى قام بدوره بتسليمها الى شيخ آخر من بنى معين

(١) التقرير الادارى رقم ١٨٢/١ من وين رايت الى دوورى الطراد لاشيفون ميناء برقة ١٨٠٩/١٢/٧ ووثائق حكومة بومباي السياسية والسرية =

(١٣٢ - بريطانيا والخليج)

موال للسيد سعيد ، وكانت الاصابات في معركة لفت كبيرة بلغت نحو من ٧٠ الى ٩٠ قتيلًا وجريحًا من القواسم وسبعة قتلى من البريطانيين و ٣١ جريحًا كما قتل اثنان من بحارة الأسطول ونحو ٢٥ بحارا من السفن الأخرى .

وفي يوم ١١/٩ غادر وين رايت لفت الى مسقط حيث وصلها يوم ١١/٧ وكان السيد سعيد سعيدًا بنتائج الحملة واثقا من نجاح العمليات المزمع القيام بها على ساحل الشمالية . وقد أمر وين رايت احدى سفن النقل وطرادين بالابحار الى بومباي ومعها فصيلة المشاة ورجال الفرقة السابعة والاربعين اذ لم يعد في حاجة اليها .

وقد أبحرت بقية القوة من مسقط عشية عيد الميلاد عام ١٨٠٩ بينما تحرك السيد سعيد نحو الشمال عبر ساحل الباطنة على رأس جيشه .

كانت المهمة التي تنتظره في شناص جسيمة فقد كان في شناص قلعة هائلة تطل على الخور وقد عرف بأن امدادات قوية قد أرسلت الى تلك الحامية لكي تتمكن من مواجهة أى حصار يفرض عليها ، غير أن وين رايت وسميث لم يكونا يعفیان مطلق المطيرى من انه هو الذى قام بارسال تلك الامدادات الى الحامية بعد الهجوم الذى وقع على رأس الخيمة مباشرة ، وفى يوم اول يناير طلب وين رايت من الحامية أن تستسلم ، ولكنها رفضت ، وأخذت السفن تقصفها بالمدفعية وعلى أى حال فان الحامية لم تكن فى متناول المدفعية ، وفى يوم ٢ يناير أنزل وين رايت وسميث الجنود والمدفعية بعد أن فشلت مدافع المورتز فى ذلك أسوار الحامية وقد اضطر المهاجمون أخيرا الى استخدام مدافع

= حلقة ٣٨٣ مجلد ١٣ محادثات ١٨١٨/١/٣ من سميث الحاكم

١٨٠٩/١٢/١٦.

عيار ٢٤ وعيار ١٢ لقصفها. وفي فجر يوم ٣ يناير بدأ قصف القلعة ، وفي نحو الساعة العاشرة صباحا استطاع القصف أن يحدث فجوة فيها ، ثم بعد قليل هوى أحد أبراجها وبقيت الأبراج الأخرى صامدة ثم اتضح للمهاجمين بأنهم لن يتمكنوا من الاستيلاء على الحامية الا بالزحف عليها .

بدأ الزحف على الحامية في الساعة الثانية بعد الظهر بقوات مسقطية وبريطانية مشتركة ، وقد تبع ذلك قتال شرس يدا بيد ، واستخدمت في المعركة جميع أنواع الأسلحة ، وكانت أقسى المعارك التي خاضتها الحملة منذ بدأت هجومها ، وفي الساعة الخامسة مساء كان الجزء الأكبر من الحامية في يد البريطانيين غير أن الصراع لم ينته عند ذلك الحد وقد كتب سميث وصفنا للمرحلة الأخيرة لتلك المعركة جاء فيه : من المحال أن نتصور مقاومة أشد عنادا وتحديا من المقاومة التي أبدتها العدو في هذا الموقع ، فقد كانت دفاعاته قد دمرت وتحولت الى أنقاض ، كما كان الجزء الأكبر من حاميته قد تحولت الى أكوام الى جانبه ، وعلى الرغم من ذلك الوضع اليأس واحتلال البريطانيين والعمانيين للقلعة ظل القواسم يطلقون النار من التحصينات التي لم يتم تدميرها تماما، الى أن استطعنا التغلب عليه ، وقد كان من العيب أن نحاول سحق المقاومة ، وكان الوصول الى مداخل دفاعات العدو المحصنة تحصينا قويا أمرا بالغ الصعوبة ، وكان المساء قد بدأ يقترب ، وكانت الاعتبارات الانسانية وغيرها تقضى بوقف هذه الجزرة المخيفة . ولهذا فقد دعا من بقى من القواسم الاحياء بالاستسلام انقاذا لأرواحهم ، غير أنهم اجابوا بأنهم يفضلون الموت على الاستسلام في هذا الوقت بالذات ، وكنت قد أحضرت الى الشاطئ بطارية مؤلفة من بعض المدافع وأخذت فى اطلاق النار بشكل مكثف من مكان قريب جدا من القلعة فى محاولة لتسويتها بالأرض ولكن العدو ظل يرد النار بالمثل ، وكما يبدو فانهم كانوا مصممين على أن يدفنوا فيها احياء .

ولقد عمدنا الى استخدام القنابل الكروية والبدوية ، ولكن العدو أعاد هذه القنابل الينا قبل أن تنفجر مؤكداً بذلك تصميمه على مواصلة القتال في الوقت الذي كانت القلاع تتساقط في أيدينا وكان كل من فيها قد قتل ، وقد توقفت مرة أخرى عن اطلاق النار في محاولة جديدة لانقاذ ارواح الموجودين في القلعة، ومن حسن الحسـن خرج أخيراً أحد الرجال وتقدم الينا وبعد أن أمنه العمانيون على حياته تمكنا من انقاذ حياة ٧١ شخص أخذوا كأسرى ولكنه كان من الصعب علينا أن نمنع حلفاءنا من ذبحهم (١) .

ومن الصعب تحديد الخسائر التي منى بها الوهابيون والقواسم في الأرواح ، أما من الجانب البريطاني فقد كانت الخسائر طفيفة جداً خصوصاً اذا ادخلنا في الاعتبار حدة القتال : اذ لم تزد الخسائر عن قتيل وجريحين من الضباط وتسعة من الرجال جميعهم من الفرقة الخامسة والستين من الفصيلة البحرية ، أما خسائر العمانيين فقد كانت أكثر بكثير وكان يتعين على وين رايت وسميث أن يقرروا اذا ما كان من الأفضل لهما مواصلة لعمليات العسكرية بحيث تشمل خور كلبة أو خور فكان أم لا ؟ الا أن السيد سعيد رفض الاشتراك في عمليات عسكرية ضد المنطقتين بحجة أن مثل ذلك الهجوم سوف يواجه نفس المقاومة المستميتة التي واجهت الهجوم على شناصر . وفي هذه الأثناء تلقى البريطانيون معلومات تفيد بأن مطلق المطيرى قد وصل الى منطقة قريبة من المنطقة التي يرابطون فيها على رأس قوة كبيرة ، ولهذا ظلت الحملة لثلاثة أيام في حالة ترقب وأمل ، وعندما لم يقع شيء قرر وين رايت

(١) وثائق بومبائى السياسية والسرية حلقة ٣٨٣ مجلد ١٤ محادثات ٢٧ يناير ١٨١٠ من سميث الى الحاكم من الطراد لاشيفون في البحر بتاريخ ١٨١٠/١/١٨ .

وسميث بأن يعود الجنود الى سلفتهم ، كما طلب من السيد سعيد سحب قواته عن طريق البحر، ولكن السيد سعيد تجاهل اقتراح القائدين البريطانيين، ولم يكن من الحكمة أن يفعل ، اذ ما ان غاورت القوة البريطانية المنطقة حتى انقض مطلق المطيرى على قوات السيد سعيد فمزقها اربا وارغمها على الانسحاب الى مسقط (١) .

مضى الأسطول بقية شهر يناير من عام ١٨١٠ يوجب ساحل القرصنة بحثا عن أى سفن تابعة لهم لتدميرها ولم يكن موضوع ابرام معاهدة مع القواسم واردا حتى ذلك الوقت : فقد كانوا يخضعون لنفوذ الأمير السعودي وكان لابد من الحصول على موافقة الوهابيين على ذلك وهو ما كان دنكان يحاول أن يتفاداه . وفي نهاية الشهر أبحر القسم الأكبر من الحملة الى بومباى بينما قام القائدان بمعاينة الجزر الواقعة عند مدخل الخليج بحثا عن موقع يصلح

(١) نفس المصدر مجلد ١٤ محادثات ١٧/٢/١٨١٠ من سميث الى الحاكم بومباى من الطراد ترريت فى البحر بتاريخ ٢/٢/١٨١٠ ويروى الكابتن غولين قصة عن هذا الحادث فى مؤلفه (وثائق تاريخية عن أفريقيا الشرقية « فصل ٢ ص ١٦٣ - ١٦٧ » فيقول أن سميث وقع معاهدة مع مطلق فى نهاية القتال فى شناصر تعهد القائد الوهابى بموجبهها بالألا يقوم بهجمات أخرى على الملاحة البريطانية كما تعهد سميث من ناحيته فى المقابل بالألا يتدخل فى أى حروب تنشب بين مسقط والوهابيين . غير أنه لا يوجد أى أثر لهذا الاتفاق فى سجلات حكومة بومباى كما لا يوجد أقل دليل فى التقارير التى كان يبعث بها سميث بأنه يفكر فى مثل هذه المعاهدة أو أنه قد تفاوض بشأنها ويبدو احتمال مثل هذا الاتفاق أكثر بعدا اذا رجعنا الى صيغة التعليمات التى كانت لدى سميث .

لانشاء قاعدة . وفي يوم ٣٠ يناير جرى اتصال بينهما بالقرب من جزيرة هنجام وبين الطراد « سيش » الذى كان يقل جون مالكولم الى فارس . وكانت لديه تعليمات جديدة لابلاغها الى قائدى الحملة وتكليفها بتعقب رحمه بن جابر شيخ خور حسن على الشمال الغربى من قطر وكان من أكبر زعماء عصابات النهب والقرصنة .

وقد داب الشيخ رحمه ورجال قبيلته « الجلاهمة » على شن حروب انتقامية ضد آل خليفة شيوخ البحرين وآل صباح شيوخ الكويت ، وذلك منذ أن حررت البحرين من الفرس وقد نشب بينه وبين فرعين من قبيلة العتوب نزاع على اقتسام الغنائم وعلى الرغم من أنه قد أصبح هرما وكسيحا الا أن نفوذه كان لا يزال قويا وذلك حسب ما روى من أحد الرحالة الأوربيين الذى التقى به (كان رحمه بن جابر ضئيل القامة ، على جسمه آثار ندوب من طعنات الخناجر والرماح ومن طلقات الرصاص التى كانت آثارها تغطى أنحاء جسده ويزيد عددها على عشرين ندبا أما وجهة فقد كان ينطق بالشراسة والدمامة المتناهية وقد زاده قبحا وجود تلك الندب كما فقد احدى عينيه(١) ، ويضيف المصدر بأن شراسة رحمة لم يكن لها مثيل على الاطلاق ويستشهد بحادثة على هذا القول فيقول : انه جمع بحارته عندما حاولوا التمرد عليه فى قزان ماء السفينة وانلقها عليهم فمات جميع البحارة مختنقين ثم قذف

(١) رحلة الى آشوريا فصل ٢ ص ١٢٤ ١٢٥ تأليف بكنجهام وقد اشار بكنجهام أيضا الى أن المعارك التى خاضها رحمة قد تركت اثارا وعلامات على سلاحه .

بالقزان الى الماء بما فيه من جثث(٢)، انحاز رحمه وأتباعه الى الوهابيين في سنة ١٨٠٩ طمعا في ممارسة اعمالهم الارهابية ضد آل خليفة وآل صباح وكان السيد سعيد شانه في شأن شيوخ آل خليفة وآل صباح فقد تلقى اندارا من الأمير السعودي بالانضمام الى القواسم في شن هجمات على السفن ، وعلى ميناء البصرة غير أنهم رفضوا طلبه ، وفي أواخر سنة ١٨٠٩ صمم الأمير السعودي بأن يخضعهم لسيطرته فقام بتعيين عبد الله بن عفيصان مأموره الوهابي واليا على قطر والبحرين والقطيف كما أرسل قوة عسكرية لاحتلال زبارة ، ثم انضم الى عفيصان رحمه بن جابر وخرج الاثنان على رأس أسطول مكون من ٤ سفينة واستطاع الاثنان أن يخضعا آل خليفة لسلطان الوهابيين وكان ذلك في شهر فبراير ١٨١٠ (٢) .

ولما كانت الحكومة في بومباي تهدف الى محو القرصنة في مياه الخليج واحلال الأمن في ربوعه فقد كان عليها أن تقوم بالقضاء على نفوذ وارهاب رحمة بن جابر الذي كان يقترف أعمال القرصنة ضد اغلب اقطار الخليج وبشراسة غير معهودة وكان اسمه يثير الرعب على طول المنطقة الممتدة من عمان حتى ميناء البصرة وفي الايام الأخيرة من سنة ١٨٠٩ اقتترف هذا الرجل أبشع الاعمال الارهابية عندما استولى عنوة على عشرين سفينة كويتية كانت في طريقها من مسقط الى الخليج وقتل بحارتها عن آخر رجل فيهم بما فيهم نجل

(١) نفس المصدر فصل ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٢) تعود السيطرة المباشرة للوهابيين على قطر الى النصف الأخير من عام ١٨١٠ وهناك رأى آخر يعزوه الى ما قبل ذلك التاريخ نقلا عن رواية اثنين من رجال الطرادات الهندية التي خرجت من قطر في مارس ١٨١٠ (كان عبدالله ابن عفيصان وقتها يقيم في منطقة قريبة من ذلك المكان) .

الشيخ عبد الله آل صباح شيخ الكويت . وكنتيجة لذلك تقدم الشيخ عبد الله يطلب الاشتراك في الحملة البريطانية للهجوم على مواقع رحمة في خـور حسن (١) . وعلى أى حال فان رحمة لم يكن يهاجم سفينة ترفع العلم البريطاني، وبالتالي فلم تجد حكومة بومباى من المبررات مايدفعها للدخول في نزاع معه، كما كان الحال مع القواسم ، ومن ناحية أخرى فقد كانت هناك عدة سفن للقواسم قد أفلتت خلال الهجوم على وأس الخيمة ولجأت الى خور حسن ، وفي بداية يناير ١٨١٠ قرر مجلس الحاكم بأن يكلف وين رأيت وسميث بالاتصال برحمه واستكتابه تعهدا بعدم تقديم أى مساعدة أو حماية للقواسم واذا رفض اعطاء مثل ذلك التعهد ففي تلك الحالة يمكن مهاجمة سفنه ومعداته في خور حسن مثلما حدث للقواسم (٢) . هذه هى التعليمات التى حملها مالكولم معه لسميث ووين رأيت ، ولكنه بعد اجتماعه بهما على ظهر الطراد «شيس» يوم ٢٠ يناير وافقهما على وجوب شن هجوم على منطقة خور حسن ووصف وين وايت مثل ذلك الهجوم بأنه عملية صعبة خصوصا عند هبوب الرياح الشمالية التى يتعذر معها على السفن الكبيرة الاقتراب من الميناء . وكان من وأيه بأن التعهد الذى طلبه دنكان من رحمة يمكن أن يحصل عليه منه المقيم البريطاني في بوشهر (٣) .

الا ان المقيم نوكلاس هنكى سميث وهو اخ الكولونيل ليونيل سميث

-
- (١) الوثائق السياسية حلقة ٣٨٣ محادثات ٢٩/١٨١٠ من أن اتشه سميث الى وarden بتاريخ ١٣/٤/١٨١٠ .
- (٢) نفس المصدر مجلد ١٣ محادثات ٦ يناير ١٨١٠ من الحاكم الى وين رأيت وسميث بنفس التاريخ .
- (٣) مجلد ١٤ محادثات ١٧ فبراير ١٨١٠ من سميث الى الحاكم . ٢/٢/١٨١٠ .

الذى حضر الاجتماع عارض هذا الراى وقابل بأن عدم اتخاذ اى اجراء ضد رحمه سوف يشوه النتائج المشجعة التى أسفرت عنها الحملة ولما كان رحمه حليفا للوهابيين فقد كان هؤلاء يسعون الى تنصيبه زعيما جديدا للقراصنة . وعندما علم دنكان بوجهة نظر مالكولم وغيره أبدى موافقته على آرائهم على الرغم من انه كان يتعاطف مع موقف هنكى سمث وكان دنكان يتصور بأن اى هجوم قد يقوم به البريطانيون على رحمه دون أن يكون رحمه قد اعتدى على اى من السفن البريطانية أو الرعايا البريطانيين انما اجراء يتعارض مع المبدأ الذى قامت عليه فكرة العمليات العسكرية فى الخليج . كما لابد من الأخذ بعين الاعتبار ماقد تسببه سياسة التحرش بالوهابيين من عواقب ، غير أن سمويل ريتشارد رد على هذا الراى بقوله : أنه لا يمكن رسم خط فاصل بين الوهابيين وبين القراصنة وأن اى محاولة من هذا النوع تعد ضربا من الوهم وأضاف : « بأن الأمير الوهابى قد أعلن وصايته على القراصنة الذين يضمون فى معسكرهم كافة القبائل التى تدين بالولاء للأمير الوهابى ، ولا يمكن أن تعصى له أمرا . كما أن رحمة نفسه من اصل وهابى ومن اتباع الوهابيين . ومن ثم فليس ثمة تعارض بين رحمة وبين القواسم بل ربما كان رحمة اكثرهم تطرفا وبالتالي فإن وحة يقف فى الصف المعادى لبريطانيا . وهذه الاعتبارات التى جانب متطلبات العدالة انما تفرض على الحكومة البريطانية أن تضع حدا لنشاط هذا الرجل وبالا تقف موقف اللامبالاة والتخاذل على سبيل مجاملة الأمير سعود بن عبد العزيز (٢) . وفى هذه الاثناء ونزولا على رغبة مالكولم تراجع هنكى

-
- (١) نفس المصدر من أن اتشه سميث الى واردين بتاريخ ٣ ، ٥ فبراير ١٨١٠ . ومن أن سميث الى الحاكم فى ١٨١٠/٢/٥ .
- (٢) نفس المصدر محاضر اجتماع دنكان وريتشارد بنفس التاريخ محادثات ٢٣/٢٠٠٠ ومحاضر ريتشارد بتاريخ ١٨ فبراير ودنكان مجلد ١٥ محادثات مارس ومختلف محاضر دنكان وريتشارد .

سميث عن قراره بشن هجوم على رحمة وبدأ يستعد للسفر الى طهران ، كما
 نصت في الوقت نفسه بخطاب ودى الى الأمير سعود يناشده فيه كبح جماح
 رحمة بن جابر وأتباعه وقد أرسل هذا الخطاب من خور حسن في شهر مارس
 وحمله الى الأمير السعودي الكابتن واردن من الفرقة الخامسة والستين الذي
 توجه مع الطرادين فيتال رزيال عند وصول واردن الى خور حسن قام بفحص
 المعقل ، وأبرق الى رئيسه هنكى سميث يقول ان موقع المعقل ومناعته الطبيعية
 تجعل أى هجوم عليه في منتهى الصعوبة ، وقد وافقه سميث على ذلك بتردد
 لأنه سبق أن تلقى تعليمات من مالكولم تكلفه بأن يطلب من الأمير السعودي
 الضغط على رحمة كما قال لرؤسائه فى بومباي « بأن لم تعد لديه ثقة فى
 القراصنة (١) » .

. واذا شئنا الحكم على نتائج حملة ١٨٠٩ - ١٨١٠ فاننا نستطيع القول
 بأنها لم تكن ناجحة ، صحيح أن عددا من سفن القواسم قد دمر فى موانئهم
 الرئيسية غير ان الجزء الأكبر من تلك السفن قد افلت ، فقبل مجيء الحملة
 تمكن القواسم من اخفاء عدد كبير من سفنهم فى الخلجان الصغيرة على الجانب
 الغربى من شبه جزيرة مسندم والتي لم يكن قواد الحملة يعرفون شيئا عنها
 كما كانت بعض السفن فى رحلات تجارية أو فى عمليات قرصنية فى البحر
 الأحمر وأفريقيا الشرقية ومن ناحية أخرى لم يحقق السلطان ولم يجن أى
 فائدة ملموسة من هجومه على شناص التي كان يستهدف تأديب القواسم وقد
 ظلت خورفكان وغيرها من المرافئ على ساحل الشمالية فى أيديهم ، واستمر
 السيد سعيد يفتقر السيادة على تلك المناطق أمام تصاعد نفوذ الوهابيين مما

(١) نفس المصدر مجلد ١٧ محادثات ٢٩/٥/١٨١٠ من سميث الى واردن
 ٢٤/٣ ، ١٣/١٤/١٨١٠ ومرفق معه خطاب وارن الى سميث المؤرخ
 ١٧/٣/١٨١٠ .

ادى الى أن ترك لهم المنطقة الشمالية من عمان والمنطقة الغربية من الباطنة ، والواقع أن موقف السيد سعيد أصبح في منتهى الضعف والتفكك كما تدهورت موارده العسكرية الى حد كبير ، كما ضعف سلطانه على القبائل ، ولم يكن هناك أى أمل في تصحيح هذا الوضع الا بتدخل بريطانى واسع، غير أن الحفاظ على استقلال مسقط أو بقاء أسرة آل بوسعيد في الحكم لم يكن يعنى شيئاً بالنسبة للسلطات البريطانية في الهند لتبرير مثل ذلك التدخل ، وكان هذا الاعتقاد هو سبب تردد البريطانيين في التدخل الى جانب عمان كما كان هو السبب في الأسلوب الحذر الذى انتهجه منتو تجاه الوهابيين وان كان قد ابرز ذلك الحذر لوجود الخطر الفرنسى في الشرق حتى بعد أن أصبح هذا التهديد في خبر كان وحتى بعد أن تفاقمت السيطرة الوهابية على القواسم وتواطؤهم معهم في أعمال القرصنة فقد ظل يصر على أن هناك فرقا بين دوافع الوهابيين ودوافع اتباعهم على سواحل القرصنة .

اما الأمير السعودى من جانبه فقد كان ينظر الى الحملة من زاوية أخرى؛ وقد كتب الى هنكى سميث رسالة ردا على رسالة منه يقول فيها : « لا تفرح بانستعال النار في بعض السفن » لأن ذلك في نظرى لا أهمية له سواء بالنسبة لاصحاب السفن او بالنسبة للتدخل في مسائل ليست من شئوننا ولكنه مع ذلك أعرب عن استعداداه للتسامح عما حدث كما قال « بما أنكم جنحتم الى السلم فأننى استنتج من ذلك أنكم أصبحتم تدركون سوء العمل الذى قمتم به وأصبحتم اضحوكة بين الناس بتحريض رجل لا يملك أى قوة ذاتية كما انكم لم تفكروا في نتائج عملكم وبناء على ذلك فأنى أرى لزاما على بأن أبلغكم بأننا لن نقرب من موانئكم كما أمرت اتباع العقيدة المحمدية وما يملكون من سفن بعدم الاعتداء على سفنكم(١) . كما رحب بالتجار البريطانيين في موانيه

(١) محادثات البنغال السياسية حلقة ١٩ مجلد ٨ ومحادثات ٧ يوليو ١٨١٠ من سعود بن عبد العزيز الى هنكى سميث (دار المقيم البريطانى في بوشهر ١٨١٠/٤/١٥ .

وطالب في مقابل ذلك بأن تقدم بريطانيا نفس التسهيلات لرعاياه في الموانئ الهندسية كما أعرب عن أمله في أن تمتنع بريطانيا عن القيام بأى أعمال عدوانية على السواحل الخاضعة له أو التدخل في نزاعاته مع جيرانه « ان الحرب في المقام الأول هي أشبه بفتاة في عنفوان شبابها تثير فتاها حتى تلتهب المشاعر نعود فتسحب كامرأة عجوز عانس(١) .

وقد أعرب منتو عن ارتياحه لرسالة الأمير السعودي واعتبرها خطوة مشجعة كما رحب بقرار الأمير بمنع أتباعه من التعرض للملاحة البريطانية وأبلغه بأن الحكومة البريطانية لا تهمها خلافاته مع غيره من المسلمين وإنما تهمها علاقته بالقراصنة(٢) .

والواقع أن منتو كان على حق في رفضه التدخل ضد النفوذ الوهابي في الخليج إذ لم يكن في ذلك أى مصلحة لبريطانيا وأن المغامرة الوحيدة التي قام بها للتدخل قد كشفت له عن العواقب غير المحمودة لأي تدخل أو انحياز في الصراع العربي الاسلامي ، وبالتالي فان تلك التجربة قد أثرت خبرته السياسية، وهكذا صرف النظر عن انشاء قاعدة بريطانية في الخليج واستعاض عنها بالإجراء الوقائي الوحيد الذي أمكن اتخاذه ضد القواسم وهو فرض حظر على تصدير الأخشاب من الهند(٣) الى ساحل الخليج . ومن ناحية أخرى قرر منتو بأن لا يسمح لنفسه بأن يستدرج مرة أخرى في مشاكل مسقط كما أرجأ قرار إعادة فتح دار المقيم البريطاني في مسقط . بعد أن اودت قسوة المناخ بحياة

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المحادثات من ادمون ستون الى واردن ٧ يوليو ١٨١٠ .

(٣) الأسطول الهندي فصل ١ ص ٣٢٦ تأليف لو . ولكنه كان مخطئا في

رأيه لأن الحظر على تصدير الأخشاب لم يطبق راجع رسائل بومباي السرية مجلد

٤ جزء ٢ من الحاكم الى اللجنة السرية بتاريخ ٤/٤/١٨١١ .

أربعة من المقيمين البريطانيين هناك منذ عام ١٨٠٠ ، الأمر الذي اعتبر مبرراً كافياً لتركها مغلقة ، ومن هنا فعندما طلب السيد سعيد من دنكان مساعدته في صد هجوم جديد عليه من مطلق المطيرى تلقى منه رفضاً باتاً. أما سعيد فقد أخذ يتذمر من أن تعاونه مع الحملة البريطانية الأخيرة على القراصنة قد ورطته في حروب مستمرة مع الوهابيين الذين كانت علاقته بهم في السابق علاقة ود وسلام (١) . . . ولولا صداقته للحكومة البريطانية لكان قد وافق على عروض السلام التي تقدم بها الوهابيون إليه ، ولكن منتوا انتهز تلك الفرصة فكلّف دنكان في أغسطس ١٨١٠ بأن يبلغ السيد سعيد بأن الحكومة البريطانية لم تعد لها مصلحة في الصراع الدائر بينه وبين الوهابيين وأن كل ما يهمها هو مصلحة وخير ورفاهية السلطان سعيد بن سلطان وانطلاقاً من هذا الاعتبار وما قد تسفر عنه ظروف السلم من استقرار وخير للمنطقة فإن دنكان يقترح على السيد سعيد بقبول عروض السلم التي تقدم بها الوهابيون إليه إذا لم يكن بها مساس بكرامة عمان وأمنها واستقلالها (٢) .

وازاء فشل السيد سعيد مع الحكومة البريطانية في الهند اتجه الى حكومة فارس فقام أخوه سالم بزيارة لأمير منطقة فارس بمركزه في شيراز

(١) « المحادثات السياسية لحكومة بومباي » الحلقة ٣٨٣ مجلد ١٦ : محادثات ١٨١٠/٥/٢٩ من هنكى سميث الى وarden مسقط ١٨١٠/٤/١٤ في الرقت الذي كان فيه السيد سعيد يشكو أوضاعه للحكومة البريطانية كان مشغولاً بالاستعداد لاعداد حملة لغزو البحرين بينما كان الوهابيون يعيشون فساداً في داخلية البلاد على بعد بضعة أميال من مسقط .

(٢) « محادثات حكومة البنغال السياسية » حلقة ٣١٩ مجلد ١٠ محادثات ١٨١٠/٨/١١ من ادمون ستون الى وarden وفورت وليام بنفس التاريخ .

يطلب العون منه وعاد الى مسقط ومعه ١٥٠٠ مرتزق بينهم من ٤٠ الى ٥٠ من أسرى الحرب الروسية . ولقد وصل هؤلاء المرتزقة الى داخلية عمان في النصف الثاني من عام ١٨١٠ للقيام بمحاولة لاسترداد قلعة سمايل التي كان قد احتلها محمد بن ناصر شيخ بنى جابر بعد أن تحالف للمرة الثانية مع الوهابيين ، وقد سقطت سمايل وفر محمد بن ناصر الى البريمي في حماية مطلق المطيري ، وعند وصوله الى البريمي عرف أن مطلق قد غادرها الى نجد قبل وصوله بثلاثة أيام ، فقرر أن يلحق به عن طريق تقديم بعض الرشاوى الى مطلق واقنعه بالعودة الى البريمي للاشتراك معه في حملة لاسترداد سمايل وعودته الى الحكم ، وقد تحرك مطلق بسرعة وبعد أن جمع قوة مقاتلة من قبائل النعيم والظواهر وبنى قتب زحف على أزكى وهناك انضم اليه فئات من قبيلتي الدروع والجنبة ، ولكن سالم بجيشه المؤلف من الفرس والحرث والحبوس شن هجوما عشوائيا على مطلق غير أنه منى بهزيمة نكراء (١) ومن ناحية أخرى فإن قيام حكومة فارس لمد سعيد بقوات عسكرية قد حملت عبد العزيز الى ايفاد مبعوث خاص الى شيراز في بداية عام ١٨١١ للاحتجاج على تقديم العون الى مسقط وكان الأمير سعود في ذلك الوقت قلعا من اشاعات

(١) « ائمة وسلاطين عمان » ترجمة بادجر ص ٢٣ ، ص ٢٤ وايضا ٣٠٥ - ٣١٧ من سجلات حكومة بومباي السياسية مجلد ٤ من الحاكم العام الى مجلس الادارة ١٥/٤/١٨١١ ورقم (١) ويعزو بادجر وقوع هذه الأحداث الى عام ١٨٠٩ غير أن لوريمار (في دليل الخليج) جزء ١ ص ٤٤ يعزوها الى عام ١٨١٢ ولكنه اتضح من شهادات اربعة من الروس الذين تمكنوا من الفرار الى بومباي الى ان الأحداث وقعت في اواخر ١٨١٠ اوائل ١٨١١ راجع ادناه ص ١٢٨ .

كانت تنطلق من مصر ، بأن محمد علي باشا يعد العدة لشن حرب عليه في الحجاز ، وبالتالي فقد كان يريد أن يتأكد من أن الأمير الفارسي لن يستغل تلك الفرصة لشن حرب عليه من الجانب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ولهذا أخذ الأمير السعودي في اتخاذ الاحتياطات ودعا زعماء آل خليفة في البحرين إلى الدرعية واحتجزهم هناك وكان السيد سعيد قد هاجم البحرين في صيف العام السابق وقام باحراق زبارة وارغام أفراد الحامية الوهابية على الفرار (١) .

وقد قام العاهل السعودي بتعزيز الحاميتين في قطر والبحرين كما أصدر أوامره إلى وكيله عبد الله بن عفيصان بأن ينقل مركزه من داخلية البلاد إلى الجزيرة . وقد نجحت زيارة المبعوث الوهابي إلى شيراز إذ حصل على التعهدات المطلوبة من الأمير ، وفي طريق عودة المبعوث إبراهيم عبد الكريم توقف في بوشهر وذلك للاجتماع بالمقيم البريطاني هناك وللاستفسار عما إذا كان هناك نية في ارسال حملة عسكرية بريطانية في الخليج ، وقد أبلغ المبعوث المقيم بأن سعود قد فوضه في إبرام معاهدة تجارية مع البريطانيين ، وذلك وفق الصيغة الواردة في كتاب الأمير إلى هنكي سميث في العام السابق ، وقد أحيل الطلب إلى الحكومة في الهند فرئى رفضه وتجنب أي علاقة رسمية مع الوهابيين ولكن قبل أن يتم إبلاغه بهذا القرار قد اقتنع بأنه ليس هناك مايدعوه إلى التخوف من البريطانيين في المستقبل القريب (٢) .

-
- (١) محادثات حكومة بومباي السياسية حلقة ١١٩ مجلد ١٠ بتاريخ ١٨١٠/٨/١٤ من سعيد إلى دنكان ١٨١٠/٧/٣ .
- (٢) مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٤٣٤ - ٤٣٥ « لمحة تاريخية الوهابية » بقلم واردن عام ١٧٩٥ - ١٨١٨ .

وفى أواخر عام ١٨١١ انتهز السيد سعيد فرصة تخفيض حجم القوات الوهابية فى البحرين فشن هجوما عليها بمشاركة بعض العناصر المنشقة من العتوب ، وقد نجح الهجوم واستسلمت الحامية وأخذ عبد الله بن عفيصان أسيرا (١) غير أن سعود لم يتخذ أى إجراء انتقامى ضد السيد سعيد وذلك بانشغاله بالخطر القادم من الغرب وبدلا من ذلك فقد أفرج عن شيوخ آل خليفة وأعادهم الى البحرين بعد أن تعهدوا له بدفع الزكاة كما أن سعيدا من جهته لم يعارض على عودتهم الى البحرين واشترط عليهم الاعتراف بسيادته عليهم ودفع الزكاة . وقد وافقه أمير البحرين الشيخ سليمان وعبدالله بن أحمد بنفس الطريقة التى تعهدا بها للأمير سعود على أمل أن تتبدل الأمور يوما ما ويعود اليهما استقلالهما ، وكان من نتيجة ذلك أن تدهور موقف رحمة بن جابر فى قطر ، ولهذا فقد غادر خور حسن ولجأ الى الدمام على ساحل الأحساء (٢) .

وقد عارض أنجال (٣) سعود موقف والدهم من احتلال السيد سعيد للبحرين فقرروا العمل بمفردهم ، وهكذا خرج اثنان او ثلاثة منهم من الأحساء بطريق

(١) يذكر لورمار فى دليل الخليج فصل واحد ٨٤٣ « أن الاستيلاء على البحرين واجتياح زبارة قد وقع فى عام واحد وهو عام ١٨١١ غير أن خطاب سعيد الى دنكان بتاريخ ١٨١٠/٧/٣ والذي اشرنا اليه آنفا يوضح تماما : انهجوم قد وقع فى العام السابق .

(٢) لورمار .

(٣) يذكر ابن رزيق « أئمة وسلاطين عمان » ص ٣١٨ أن الأنجال اللذين اشتركوا فى تلك العملية هم تركى وفيصل غير أن عثمان بن بشر المؤرخ بالأسرة السعودية الذى عاش فى القرن التاسع عشر يذكر فى مؤلفه « عنوان المجد فى تاريخ نجد » بأنهم كانوا ثلاثة هم : تركى وناصر وسعد فصل ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

البحر ، وكان ذلك في بداية عام ١٨١٢ وكان والدهم في ذلك الوقت يؤدي فريضة الحج . وقد نزلوا في عجمان على السلاح وكان يرافقهم بعض اتباعهم ، وفي عمان انضم اليهم شيخ المنطقة ونحو مائة شخص من اتباعه وسار الجميع الى البريمي . وفي البريمي نشبت معركة بينهم وبين القبائل اضطروا معها الى الانسحاب بعد سقوط عدد من اتباعهم ، وعندما علم مطلق بذلك خف لنجدتهم ، وبلاشتراك مع أنجال الأمير والشيخ محمد بن ناصر زعيم بنى جابر شنوا هجوما كاسحا على ساحل الباطنة ومنطقة الشرقية كما هاجموا بركة ومطرح وقتلوا عددا كبيرا من سكانها ومن هناك عبرت القوة الى الحجر الشرقي وهي تدمر وتقتل حتى وصلت رأس الحد حسب ماورد في اقوال لوريمار ، وعندما بلغ سعود الأمر بالغزوة التي قام بها أنجاله والتي لم يصرح لهم بها غضب وجهز قوة لاحتلال القلعة الرئيسية في البريمي ومنع أنجاله من دخولها كما استدعاهم هم ومطلق المطيري للحضور الى نجد ، وقد أوفد، بدلا من مطلق « عبد العزيز بن غروقه » حاكم الاحساء للاشراف على القوات الوهابية هناك غير أن ابن غروقه ورفاقه قتلوا في الطريق خلال كمين اعد لهم في بنى ياس. حلفائهم في منطقة الظاهرة .

وقد صدرت الأوامر لمطلق المطيري مرة اخرى في عام ١٨١٣ بالعودة الى عمان والعمل لاستعادة مركز الوهابيين هناك غير أن أيامه في هذه المرة كانت معدودة، فعند عودته الى الوريمة اكتشف بأن أغلبية العرب كانوا ضده، ويعود السبب في ذلك أساسا الى المطالب الكثيرة التي كان يفرضها على السكان وارغامهم على شن الحروب والغارات على جيرانهم ، وبالتالي ولهذا

- ٢١٠ -

كان أثرياء عمان يتصنعون الفقر وشجعانهم يتصفون بالجبن ولكن مطلق استمر في محاولاته معهم الى أن رضخوا لمطالبه فيما عدا بنى كلبان ، أما بقية قبائل الظاهرة فقد أيدته ، وكان الهدف فرض الاتاوة على القبائل، إذ أن مطلق كان ينوى القيام بهجوم على السيد سعيد انتقاما منه على طرد الحاكم الوهابي من رأس الخيمة في أوائل العام وهكذا خرج مطلق على رأس جيش من ٤٠ ألف مقاتل لمهاجمة مدينة صحار العمانية ولنجة ومنها الى مسقط . ولما كانت امكانيات السيد سعيد العسكرية لا تسمح له بصد مثل ذلك الجيش فقد دفع لمطلق المطيري جزية مقدارها ٤٠ ألف ريال نمسوى . تكن تلك الحملة العسكرية كانت آخر عملية يقوم بها مطلق المطيري، ففي نهاية عام ١٨١٣ وبينما كان يقوم بالاغارة على احدى مناطق الشرقية في عمان وقع في كمين نصب له بالقرب من قرية بديه « وقد قتل في وادي البطحا وقد قتل القائد في هذا الكمين الذي نصبه بعض الحجريين .

وقد خلفه في منصبه قائد جديد هو عبد الله الزروعى وبعد وصول القائد الجديد الى البريمي بأيام قليلة جهز حملة للهجوم على « بديه » والانتقام لمصرع مطلق . ولكنه لم يتمكن من الوصول الى أبعد من بهلا، وهناك قرر عدم مواصلة الغزو بعد أن نعى اليه بأن السيد سعيد قد أثار قبائل الشرقية عليه وكان ينتظره في نزوى(١) وبعد وقت قصير وصل الى مسقط مبعوث خاص من الدرعية يطلب التفاهم مع السيد سعيد لأن الامير السعودى لم يعد لديه من

(١) ابن رزيق ص ٣٢٦ - ٣٢٨، (رحلات الى الجزيرة العربية) بقلم جنى .

ار. ولستد مجلد ٢ فصل واحد ص ٩٦ طبعة لندن ١٨٣٨ .

أرقت مايوليه لثئون عمان بعد أن عبأ امكانياته كلها لمواجهة الهجوم الذي شنه عليه محمد علي باشا والى مصر (١) .

(١) ان تاريخ وتسلسل الأحداث في هذه الفترة من وجهة نظر السلطات ونسبها الغموض وان هذا البيان ان هو محاولة لوضع تلك الأحداث في اطارها الصحيح ان بادجر شأنه شأن ابن رزيق يؤرخ أبناء سعود لعمان بالفترة الواقعة بين هذا التاريخ والهجوم البريطاني على رأس الخيمة عام ١٨٠٩ والتي تبدو وانها وقعت في وقت مبكر جدا « أئمة وسلاطين عمان » أما ابن بشر « تاريخ نجد » فصل واحد ص ١٥٢ فيقول أن أبناء سعود خرجوا الى عمان من الدرعية في شهر ذى الحجة ١٢٢٥ الموافق ديسمبر ١٨١٠ - يناير ١٨١١ وهو تاريخ يبدو مبكرا على ما يبدو لانه يحدد تاريخ الغارة في نفس التاريخ الذي منى فيه مطلق بالهزيمة على يد سالم والفرس في بلدة ازكى في مستهل عام ١٨١١ . ومرة أخرى يذكر بادجر وهو على صواب بأن الغارة جاءت في أعقاب تلك الهزيمة « أئمة وسلاطين عمان » ونرى أن ابن بشر يؤرخ لها قبل هذا التاريخ كما يحدد تاريخ الهزيمة في الفترة الواقعة بعد شهر ذى الحجة عام ١٢٢٦ الموافق ديسمبر ١٨١١ يناير ١٨١٢ « تاريخ نجد فصل ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ » وهذا يتطابق مع التاريخ الذي حدده لوريمار « دليل الخليج فصل واحد ص ١٤٤ » غير أن هذا يتناقض مع ما أشرنا اليه أما لوريمار فإنه يؤرخ لغارة أبناء سعود بعام ١٨١٢ أو ١٨١٣ « نفس المصدر » ولكن بما أنه قد مر عام أو عام ونصف على الغارة وغزو مطلق للباطنة فمن المؤكد أنه وقع في النصف الأول من عام ١٨١٣ فان ١٨١٢ وهو التاريخ المحتمل ، أن لوريمان شأنه في ذلك شأن ابن بشر يؤرخ لمصرع ابن غروقه بعد الغارة المذكورة ولكن بينما يعزوها ابن بشر إلى شهر جمادى الأولى ١٢٢٦ الموافق مايو - يونيه ١٨١١ فان لوريمار يحددها بعام ١٨١٢ وأخير اعلى حين يقول ولستدان مصرع مطلق =

ولفترة تزيد على عقد من الزمن ظل الباب العالي يقف موقف الخنوع والضعف في وجه الخطر الوهابي وكانت هناك عوامل كثيرة ساهمت في ذلك الوضع منها الثورة داخل الامبراطورية ثم ضياع الاراضى والاستنزاف البطيء لامكانيات العثمانيين لمواجهة التصدع الذى اصاب البنية السياسية للباب العالي بسبب وجود المرتزقة واخيرا العجز المزمن في الامكانيات المالية .

وفي عام ١٨١٠ دخل الوهابيون المدينة المنورة فقاموا بنهب قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونهب الحرم النبوى . غير ان هذه الجريمة اثارت السلطان العثمانى محمد الثانى وقرر القيام بعمل ضد الوهابيين . ولما كان وضع السلطان لا يسمح له بتنفيذ تلك المهمة فقد كلف واليه فى مصر محمد على باشا بالتحرك الى الحجاز . وعلى الرغم من ان شن هجوم على الوهابيين فى الحجاز لم يكن عملا سهلا بالنسبة لمحمد على الا انه رأى فى ذلك فرصة للتخلص من المتاعب التى كان يعانى منها فى مصر ، اذ ان المماليك كانوا لا يزالون يهددون مركزه فى مصر كما كانت الأوضاع المالية فى منتهى السوء بينما كان الجيش الذى يتكون معظمه من الباشوات تسوده روح التدمير والثورة على الأوضاع .

وقد اعتقد محمد على باشا بأنه لو استطاع اخضاع الوهابيين فان ذلك قد يؤدى الى دعم وضعه المالى عن طريق حصوله على قرض من الباب العالي

== وقع في عام ١٨١١ - ١٨٨٢ ص ٢٨ «ملاحظات حول القبائل العمانية») وانه قتل في شهر نوفمبر ١٨١٣ (بلدان و قبائل الخليج فصل ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٠) وهذا يبدو أكثر انطباقا مع تسلسل الأحداث كما أن غولين يحدد نفس التاريخ فيروى انه على الرغم من رأس وأطراف مطلقاً قد ارسلت للسيد سعيد تأكيدا لفتله الا أن السيد سعيد لم يصدق بأن خصمه اللدود قد قتل بالفعل .

والى اعفائه من دفع الزكاة السنوية فضلا عن الغنائم التى سوف يحصل عليها من الحجاز . كما أن الحرب فى الصحراء كانت فى نظره فرصة لتدريب جنوده على تلك الحرب . كذلك فلو قدر له أن ينتصر على الوهابيين فان ذلك سوف يعزز مركزه فى العالم الاسلامى كمحرر للأماكن المقدسة ، كما قد يفيد فى دعم مركزه فى سوريا على الرغم من أنه ظل يذكر البلب العالى بأن السلطان لم يفعل شيئا حتى ذلك الوقت لوقف الوهابيين عند حدهم لاسيما وأن امكانيات سوريا كانت أكبر من امكانيات مصر . ولعل محمد على باشا رأى بأن الحملة تتيح الفرصة له للقضاء على نفوذ المماليك فى مصر . وقد حقق محمد على هذا الهدف بطريقة شرسة ، فقد دعا الى القلعة فى يوم ١ مارس ١٨١١ أربعمائة وستين من زعماء المماليك وذبحهم عن آخرهم كما ذبح نحو ٥٠٠ مملوك آخر فى مختلف أنحاء مصر عن طريق ولاته . وفى نفس الوقت أبلغ السلطان بأنه لم يكن فى وسعه أن يجازف ببقاء المماليك فى مصر لأنهم قد يفتصبون السلطة منه بينما يكون جيشه يحارب خارج البلاد (١) . وفى نهاية شهر أغسطس ١٨١١ خرج الجيش المصرى الى الحجاز بقيادة طوسون نجل محمد على ، وفى شهر اكتوبر استولى الجيش على ميناء ينبع وبعده بدأ الزحف نحو المدينة فى أوائل العام الجديد ، غير أن طوسون منى بهزيمة نكراء على يد الوهابيين وحلفائهم من قبائل حرب . وكان الجيش بقيادة عبد الله وفيصل نجلى سعود ، فاضطر محمد على الى الانسحاب الى ساحل البحر الاحمر ، وفى خريف ١٨١٢ جدد الهجوم على الوهابيين ، وفى شهر نوفمبر دخل المدينة وفى أواخر العام قام

(١) « تاريخ مصر » فصل واحد ٣٤٩ تأليف منجم و ١٨١١ - ١٨٤٩ طبعة باريس ١٩٣٠ ص ٣٥ - ٤٠ ، « مؤسس مصر الحديثة » تأليف انشى اتشى دودوال طبعة كامبردج ١٩٣١ ص ٤١ - ٤٣ التقرير الادارى للمقيم البريطانى فى الخليج « ١٨٧٩ - ١٨٨٠ ، ومذكرات حول نجد « تأليف روث » .

عبد الله ابن سعود الذى كان يقود القوة الوهابية فى الحجاز باخلاء مكة ودخلها،
المصريون منتصرين فى يناير ١٨١٣ (١) ، وفى شهر أغسطس من العام التالى
وصل محمد على باشا بنفسه الى الحجاز ليقود الحملة وفى نهاية العام قام
الأمير السعودى باتصالات جديدة بالسلطات البريطانية فى الهند لاجراء
مباحثات معهم .
و

وقد أجرى الاتصال نفس المبعوث الذى كلف أيضا بزيارة السيد سعيد
فى مسقط كما توجه مبعوث آخر الى بوشهر لنفس الغرض وقد أدى ذلك
بالقواسم الى استئناف عمليات القرصنة وبخاصة أنهم قد عوضوا خسائرهم
فى السفن ببناء سفن جديدة بالأخشاب التى وصلتهم من « ترافنكور » وغيرها
من المناطق خارج السيطرة البريطانية ، وفى الشهور الأخيرة من عام ١٨١٢ عاد
القواسم الى نشاطهم بنفس القوة . وقد أمضت الفرقاطة البريطانية « هسبر »
بناء على تكليف من السلطات فى بومباى الفترة الواقعة من نوفمبر ١٨١٢ حتى
فبراير ١٨١٣ فى دوريات مستمرة بحثا عن القواسم، ولكن على الرغم من أنها
جابت المنطقة من مضائق هرمز حتى شط العرب والعكس بالعكس فانها لم
تصادف ولا سفينة واحدة للقراصنة (٢). وفى أوائل عام ١٨١٣ أبلغ السيد سعيد
الحكومة فى بومباى بأنه قد قرر مهاجمة رأس الخيمة بهدف إعادة الشيخ
سلطان بن صقر الزعيم السابق الى السلطة . وكان الوهابيون قد أقصوه عن

(١) « منجم » فصل واحد ص ٣٨٢ - ٣٨٤ «ملاحظات عن البدو» ص
٣٤٥ - ٣٥٦ تأليف برخارد ودودوال ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) التقرير السنوى رقم ١٨٤/١ من الكابتن جوزيف بريور الى الفايص
أميرال السير صمويل هود الطراد هسبر مسقط ١٨١٢/١٢/١٥ ومن هود الى
ويليام كروكر « سكرتير الاميرالية » ١٨١٣/٤/١٣ انظر أيضا الرسائل السياسية
لحكومة بومباى مجلد ٤ الحاكم الى الحكومة البريطانية ١٨٤٣/١/١٦ .

السلطة من خمسة أعوام ، وبأنه يخطط لعقد اتفاقية مع صقر يتعهد فيها بعدم قيام القواسم بأى غزو أو هجوم على عمان . وقد اقترح السيد سعيد أن يصحبه فى تلك العملية اللفتنان وليم بروس المقيم البريطانى بالوكالة فى بوشهر ولكى يشهد على توقيع المعاهدة ويقدم ما يمكن من المساعدة البحرية وقد رأى بروس فى ذلك فرصة للحصول على اتفاقية مكتوبة مع القواسم يتعهدون فيها باحترام السفن البريطانية وعلى هذا الأساس صدرت الأوامر لروس بمرافقة السيد سعيد فى الطراد ولكن الحملة فشلت على الرغم من أن سلطان بن صقر قد نجح فى الاستيلاء على الشارقة وهى الميناء الثانى الهام للقواسم (١) . وفى خريف عام ١٨١٣ بدأت سفن القواسم تظهر من جديد على السواحل الشمالية للهند وفى مستهل عام ١٨١٤ استولوا على عدد من السفن كانت تسير بالقرب من كاثيا وار . وقد صدرت الأوامر الى ثلاث من الطرادات للبحث عن القواسم وتحذيرهم من نتائج بقائهم فى المياه الهندية ، وفى هذه الاثناء تلقت حكومة بومباى طلب الأمير السعودى للوصول الى اتفاق مع الحكومة البريطانية واحيل الطلب الى كلكتا حيث قرر الحاكم العام ، وهو الأزل أوف مويرا الذى لم يوافق على إبرام أى اتفاقات رسمية مع الحاكم الوهابى لكنه اقترح على سلطات حكومة بومباى بالاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الحاكم الوهابى والسعى بمختلف الوسائل للاعراب عن تقديرها لمواقف لامير لوهابى الودية تجاه الحكومة البريطانية (٢) وبعبارة أوضح كان

(١) مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٣٠٨ « لمحة تاريخية عن

القواسم » تأليف و اردن .

(٢) رسائل بومباى السياسية نفس المجلد من الحاكم الى الحكومة

البريطانية ١٦/٤/١٨١٤ .

— ٢١٦ —

مويرا يرى أن نشاط القواسم ضد الملاحة في الخليج لاعلاقة له بالوهابيين وذلك
كى تتفادى الحكومة البريطانية أى خلافات قد تسبب احراجا معهم غير أن مويرا
اكتشف فيما بعد خطأ هذا الرأى .

في أول مايو ١٨١٤ توفى الأمير سعود وخلفه نجله عبد الله وكانت أغلبية
أراضى الحجاز في يد محمد على باشا وكانت الخطوة التالية في خطة محمد على
بإنسا هي نقل الحرب الى المعسكر الوهابى . وفي يناير ١٨١٥ وفى منطقة تقع بين
الطائف وترايه قضى على جيش الوهابيين وقوامه ٣٠ ألف رجل قضاء تاما ،
وكان الجيش بقيادة فيصل بن سعود شقيق عبد الله . وقد فشلت خطة محمد
عنى للتقدم نحو نجد بعد وصول أنباء عن احتمال قيام الباب العالى بخلمه عن
الحكم خلال غيابه عن مصر، وقد أقتنع محمد على من المعلومات التى كانت تصل
اليه ومن التطورات التى كانت تشهدها أوربا بعد هرب نابليون بوجوب العودة
الى مصر فورا ، وهكذا غادر الحجاز في مايو ١٨١٥ بعد أن سلم القيادة الى
طوسون . ولم يمض وقت طويل حتى عقد طوسون معاهدة مع الأمير عبد الله
تعهد فيها الأخير بالتنازل عن مطالبه في الحجاز والأماكن المقدسة واعلان ولاءه
للسلطان العثمانى بينما تعهد طوسون من جانبه بفتح أبواب الحجاز للوهابيين؛
للأغراض التجارية والدينية كما اعترف بسلطة عبد الله على نجد وعلى جزء
من القاسم وهى المقاطعة الواقعة بين نجد والحجاز (١) .

وقد أعلن عبد الله بن سعود بعد توليه السلطة بأنه سوف ينهج منهج والده
بالنسبة للخليج ، وعلى أثر تسلّم حسن بن رحمة تحذير المقيم البريطانى
في شهر مايو من سنة ١٨١٤ وكان قد خلف حسين بن على كحاكم لراس الخيمة

(١) كيه فصل ٢ من ص ١ - ٤٨ - وبرخارد من ص ٣٦٠ - ٤١٣ وصبرى
ص ٤٣ ودودوال من ص ٤٤ - ٤٦ .

يووقف نشاطه على حدود الهند وقد استدعاه الأمير عبد الله الى الدرعية وحذره من استفزاز البريطانيين ، غير أن عبد الله أبلغ المقيم البريطانى فى رسالة بعث بها اليه فى شهر أكتوبر سنة ١٨١٤ بأن هجمات القواسم على السفن غير البريطانية سوف تستمر وقد ذكر له فى تلك الرسالة بأننا نرجو أن تشعروننا من هم رعاياكم وما هى العلامة المميزة لهم لأن سفن المسلمين تجوب البحار باستمرار «(١) وقد أخبر حامل هذه الرسالة وكان قاسميا من رأس الخيمة المقيم البريطانى بأن حسن بن رحمة قد أصبح مستعدا للتوقيع على تعهد كتابى بعدم التعرض للسفن البريطانية على الرغم من أن المقيم بروس كان فى قرارة نفسه يشك فى قيمة ذلك التعهد الا انه رأى من المناسب ان يقبله منه وقد اقرت الحكومة فى بومباى الاجراءات التى اتخذها بروس بهذا الشأن(٢) .

بعد تحسن الأحوال الجوية فى شهر أكتوبر ١٨١٤ ظهرت سفن القواسم مرة اخرى وبأعداد كبيرة على السواحل الشمالية للهند وعندما تقدم أمراء مفاطعة السند الى حكومة بومباى بطلب حماية الاسطول لهم ضد نشاط القواسم رفض طلبهم على اساس أن الهجمات القرصنية على السفن البريطانية موضوع ايس من اختصاص الشركة ، وعلى اى حال وفى الوقت نفسه اعرب السير ايفان نيبين الذى خلف دنكان فى بومباى اعرب للحاكم العام عن مخاوفه مما قد تتعرض له تجارة لهند من اضرار وخسائر فيما لو سمح للقواسم بممارسة نشاطهم دون رقيب بالقرب من سواحل السندوكتش، وقد ايده الحاكم العام فى ذلك الراى

(١) من أرشيف الرسائل المتعلقة بالخليج ١٨٠١ - ١٨٥٣ ص ٥٦ من عبد الله ابن سعود الى اللفتنانت وليم بروس (سجلات بوشهر ٢/١٠/١٨١٤) .
 (٢) رسائل بومباى السياسية مجلد ٥ من الحاكم الى الحكومة البريطانية

ولوانه كان يعتقد بأن قبول نبين لتعهد ابن رحمة قد يفيد ذكرفى خطابه» بأن الممارسة المنظمة والدستورية لأعمال القرصنة من جانب القواسم قد تعتبر أساسا سليما لآى حكومة متحضرة لمكافحةهم والقضاء عليهم انطلاقا من مبدأ الدفاع عن النفس وهو المبدأ المعترف به دوليا . . . أما ما اذا كان رأيا صحيحا أو غير صحيح من وجهة النظر العامة فان الحكومة البريطانية ليست لديها المبررات للعمل بمقتضاه لأنها بعد ان عقدت اتفاقا مع القواسم باحترام السفن البريطانية فانها اعترفت بهم ضمنا كقوة لها حق الاحتفاظ بعلاقات دولية - ادية مع الدول الأخرى (١) .

والذى يمكن أن نستنتجه من ذلك هو أن حكومة بومباى قد اشترت سلامة مصالحها باعترافها الضمنى بحق القواسم فى العبث والنهب والسلب بسفن الدول الأخرى . ويؤيد هذا الرأى ما أوضحه الأمير عبد الله فى عام ١٨١٥عندما دام زحمة بن جابر الذى كان لا يزال يتمتع بالاعتداء على احدى السفن التركية وكانت تحمل تصريحاً من المقيم البريطانى فى البصرة . وقد كتب عبد الله بعد ذلك الى بروس فى بوشهر يحتج بمنتهى القوة على اصدار تصريح لسفن غير بريطانية، وقال فى احتجاجه أما هؤلاء الكلاب الأتراك فانهم خصومى وهم يسمعون الى بدز بدور الشقاق فيما بيننا ، أما الذين يمتون اليكم بصلة فاننا لن نسمح لرعايانا بالاعتداء عليهم بأى شكل من الأشكال ، ولكن لا ينبغي أن تخلطوا بين امدائنا ورعايانكم أو أن تصدروا لهم اذونا أو تصاريح (٢) وقد كان رد الفعل من

(١) محادثات بومباى السرية مجلد ٤١ بتاريخ ٢١ ، ٢٩ يوليو ١٨١٩ من مؤرخ إلى نبين بتاريخ ٢٠ / ١ / ١٨١٥ .

(٢) رسائل حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ بتاريخ ٢١ ، ٢٩ يوليو ١٨١٩ من مؤرخ إلى بروس بتاريخ ٢٢ / ٨ / ١٨١٥ وقد أرفق به صورة من خطا عبد الله .

جانب نيين أن أعرب عن أسفه من أن رحمة بن جابر لم يلحق الدرس الكافي سنة ١٨٠٩ - ١٨١٠ . وأنه كما قال نيين لو ظل بغير عقاب لمجرد عدم هجومه على السفن البريطانية فان ذلك لن يكون مثلاً سيئاً للقبائل البحرية فحسب وإنما سيضر بالمصالح البريطانية بشكل واسع . « ان أقل درجة من التسامح تجاه هذا الزعيم المؤيد من قبل الوهابيين سوف يشجعه على القيام بنشاط ضار جداً ليس ضد مصالحنا في مصر فحسب ، وإنما أيضاً في العراق ولدى البلاط العثماني .

في أوائل عام ١٨١٦ بدأ القواسم هجماتهم على السفن الأوربية ، فأطلقوا النار على السفينة مكولاي وعلى السفينة الأمريكية فارس وطاردها ، كما اقتحموا سفينة فرنسية قادمة من جزر موريشيس ، وعاثوا فيها نهباً وسلباً ، وقالوا لقبطانها ، أنه لو كان هو وبحارته من البريطانيين لقطعوا رؤوسهم ، ولعل أخطر عمل قام به القواسم هو استيلاؤهم على السفن المحملة بالسلع الثمينة التي كانت متجهة من سورت وترفع العلم البريطاني وقد وقع الهجوم على السفينة في منطقة البحر الأحمر من جانب بعض سفن أسطول القراصنة وكان يقودها أخ حسن بن رحمة وقد ذبح كل من كان في الاثنتين من السفن الثلاثة ، بينما قتلوا من السفينة الثالثة نحو ٥٠ الى ٦٠ شخصاً ، وكانت القيمة الاجمالية للسلع التي كانت تحملها تلك السفن تتراوح بين مليون الى مليون و٢٠٠ روية^(١) غير ان صيحات التجار في سورت أرغمت نيين الى اتخاذ الاجراءات اللازمة

(١) فارس والخليج مجلد ٣٢ من احكام الى الحكومة البريطانية ١٨١٦/١٢/١٨ مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣١٠-٣١٢ ولاحه عن تاريخ القواسم تأليف وarden « والاسطول الهندي » فصل واحد ٣٣٩ - ٣٤٢ تأليف لو .

فقد طلب الى القبطان « أن اتشه براجرز » قائد الطراد شلنجر (١٨ مدفع) بأر يتحرك الى الخليج بصحبة الطرادين ماركرى وفستال لمساعدة المقيم البريطاني في بوشهر لاستعادة البضائع والسلع المنهوبة من القواسم ومعاقبة المسؤولين عن مجزرة البحارة . وقال له بأنه اذا رفض حسن بن رحمة الاذعان للطلب فعليه أن يوضح له بأن الحكومة البريطانية ستكون مستاءة جدا منه وانها سوف تتخذ الاجراءات الضرورية ضده وقد حذر براجرز بالأيحاول القيام بأى عمل بحرى ضد القواسم الذين كانوا يملكون أسطولا حريبا يقدر ب ٤٠ - ٥٠ سفينة كما قيل له أيضا بأنه « لن يكون من الحكمة أن يلجأ الى أى اجراء ضد رأس الخيمة أو أى منطقة أخرى على الساحل دون أن تكون هناك تحت تصرفه قوة عسكرية كافية (١) » .

قبل صدور هذه الأوامر كان بروس قد وجه احتجاجا الى حسن بن رحمة حول انتهاكه الاتفاق الذى عقد فى أكتوبر ١٨١٤ ورد حسن بن رحمة على بروس بأن الاتفاق لم يكن يشمل الهنود وانما ينطبق على الانجليز من ديانة المسيح أو الذين يحملون معهم التصاريح البريطانية ويرفعون الأعلام البريطانية الخاصة فقط (٢) غير أن الفصل بين الجنسين عمل يتضح بروح الانتقام ، ولهذا كان على بروس أن يوضح لزعيم القواسم بأن العلم البريطانى يشمل السفن البريطانية والسفن الهندية على السواء . وقد وصلت قطع الاسطول الى بوشهر يوم ١٨ نوفمبر الى رأس الخيمة يوم ١١/٢٦ بعد

-
- (١) التقرير الادارى للمقيم البريطانى ١٨٩/١ من وارد الى برادجر ١٨١٦/٩/٨ ومرفقات لخطاب اليرداميرال السيراركن « القائد العام للهند الشرقية » الى كروركر سكرتير الاميرالية ، ترنكر مالى ١٨١٦/١٠/٢٠ .
- (٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من الحاكم العام الى الحكومة البريطانية بومباى ١٨١٩/١٠/٩ .

الظهر ، وفي صباح اليوم التالي نزل منه رسول يحمل خطابا الى زعيم القواسم ، ينضمن طلبا بارجاع السلع المنهوبة وتسليم المتهم اخ حسن بن رحمة بالاضافة الى تسليم اثنين من ابنائه كضمان لاعادة السلع ، وقد نزل الكابتن براجرز في وقت متأخر من النهار واكتشف بأن القواسم قد قاموا بتعزيز حامياتهم الى حد كبير منذ حملة سنة ١٨٠٩ ، كما شاهد اربعة سفن كبيرة كاملة التسليح بأطقمها ترسو خارج الميناء ، وعلى الشاطئ في مواجهة الخليج كانت هناك صفوف من السفن كان يجري تجهيزها للابحار بينما رأى سفنا أخرى راسية في الخليج ، وقد جرى الترحيب بالكابتن براجرز ومرافقيه ومن بينهم جى.اس. بكنجر المؤلف والرحالة الذي كان يعمل ربانا لأحدى السفن التجارية وأعد لهم لفاء مع حسن بن رحمة وفد كنب بكنجر يصف زعيم القواسم بقوله : « كان رجلا صغير الحجم في نحو الأربعين من العمر ولكن ملامح المكر كانت واضحة على محياه ، كما كانت ابتسامته تحوى الكثير من الدهاء ، وكان هناك أثر جرح باحدى عينيه غير أن تقاطيعه الأخرى كانت جميلة وكانت اسنانه ناصعة ابياض ومتناسفة وبشرته سمراء اللون جدا ولحيته صغيرة تكاد تلتصق بمحيط الدقن (١) .

وقد سأل براجرز حسن بن رحمة عما اذا كان قد قرأ المطالب البريطانية ، فرد حسن بالاجاب ، ووعده بأن يرد عليه وقت الظهر غير أن الرد الذى جاء بعد الظهر لم يكن مقنعا فقد زعم حسن بن رحمة فى رده بأنه لم يقصد أى انتهاك للتعهد المعقود قبل عامين وأنه تبعه لذلك لم يهاجم أى سفينة بريطانية ولكنه استدرك بقول بأنه لا يستطيع اعتبار الهنود رعايا بريطانيين لأنه لو وافقهم على ذلك فإله سوف يأتى يوم يكون فيه الانجليز قد احتلوا الهند كلها ، وهذا يعنى أنه لن يبقى لهم أحد ينهبونه، وأما بالنسبة للسلع فقد أكد حسن بأنه لا يمكن اعادتها لأنها قد وزعت على مستحقيها ،

. بر ٢٢٢ -

وأخيرا رفض حسن رفضا باتا تسليم أخيه أو اثنين من أبنائه كرهائن (١) .
 وبينما كان روس وبرجرز يناقشون زعيم القواسم هبت ریح من
 الشمال الغربی دفعت بقطع الاسطول الى خارج الشاطئ ، وعند حلول نهار
 يوم ١١/٢٨ وصلت السفن الى جزيرة قشم ، ولم تتمكن من العودة قبل اليوم
 الثلاثين وقد عاد المبعوثان فكررا طلبهما الى حسن بن رحمة بدفع التعويض
 عن الجريمة التي اقترفها أخوه ، ولكنه عاد فرفض الطلب ، غير أن بروس
 لم يكن يريد مغادرة المنطقة قبل أن يترك طابعا قويا عن استياء حكومته من
 الحادث ، وقد وافقه برجرز على رأيه ولهذا تجاهل الاثنان تحذيرات الحكومة
 وسارا بالأسطول الى منطقة قريبة من الساحل وأخذوا يطلقان النار على
 بعض السفن انتراسية هناك ، لكن القذائف لم تصب الأهداف ، ورد القواسم
 النار بالمثل وأصابوا أحد الطرادين . وعندئذ تجمهر الأهالي على الساحل
 واخذوا يصيحون صيحات الفرح والامتداح ويطلقون النار فى الهواء
 ولم يكن أمام برجرز ما يفعله سوى وقف العمليات والتحرك الى خارج
 ميناء (٢) .

لقد كانت عملية رأس الخيمة عملية فاشلة بل انها شجعت القواسم
 أكثر على تحدى القوات البريطانية نتيجة التساهل البريطانى تجاههم .
 فقد عززوا أسطولهم بسفن حربية جديدة ، وأصبح لديهم أكثر من مائة
 سفينة وتم تجميع سفن هذا الأسطول فى الموانئ الواقعة بين رمس والشارقة
 وقد سلحت هذه السفن بـ ٤٠٠ مدفع و ٨٠٠٠ مقاتل كما انضم الى القواسم
 سكان لنجة وخرک وغيرها من الموانئ الواقعة على الساحل الفارسى ،

(١) فارس والخليج مجلد ٣٢ من الحاكم الى مجلس الإدارة
 اشوريا « فصل / ٢ ص ٣٥٨ الى ص ٣٦٠ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من الحاكم الى الحكومة
 بومباى ١٨١٩/١٠/٩ وكنجاهم فصل ٢ ص ٣٧٣ - ٣٧٦ .

٢٢٣ -

بالإضافة الى سكان لفت وجزيرة قشم اللتين استعادهما القواسم ، وكان كل هذا الأسطول يخضع لاشراف الوهابيين وكان جميع سكان هذه المناطق يتكون الاحتقار لبريطانيا ، وهذا ما اكتشفه بروس عندما توجه الى رأس الخيمة فى محاولة لاسترجاع السلع التى استولى عليها القواسم من السفن التابعة لسورت وحولوها الى سفن عاملة فى أسطولهم ، وكل الذى استطاع ان يحصل عليه بروس من زعماء المناطق (١) التى توجه اليها هو الإنكار القاطع لمعرفتهم بأى شئ عن تلك السلع .

فى شهر ديسمبر ١٨١٦ داهمت سفن القواسم المياه القريبة من ساحل كتش واستولوا على ١٢ سفينة . وفى فبراير ١٨١٧ داهمت سفن القواسم احدى السفن المسلحة التابعة لحكومة بومباى بالقرب من بوربندر وذبحوا ١٧ من بحارتها وأخذوا الباقين أسرى الى رأس الخيمة ، وقد أخذ القلق يساور ايفان نيين على السفن التجارية المتجهة البحر الاحمر وبخاصة خلال الموسم فطلب الى القائد العام لأسطول الهند الشرقية تقديم ما فى استطاعته من الحماية المسلحة لتلك السفن ، وبناء عليه صدرت الأوامر الى الطرادين باخوس وتوفى بالابحار شمالا للقيام بحماية قوافل السفن المتجهة الى البحر الاحمر والخليج . ولما كان القواسم فى ذلك الوقت قد رفضوا ان يميزوا بين السفن الاوربية فقد اضطر القائد الى اصدار أوامره الى الطرادات بأن تهاجم وتستولى على أى سفينة تابعة للقواسم وتدميرها سواء كانت فى الخليج أو فى مياه البحر الاحمر .

وعلى أى حال فقد كان من الواضح أنه لا يمكن القضاء على قوة القواسم البحرية إلا بعداد حملة عسكرية أخرى ضدهم ، وقد كتب نيين الى الحاكم

(٢) التقرير الادارى للمقيم البريطانى ١٨٩/١ من براجز الى الحاكم فى بومباى ديسمبر ١٨١٦ مرفقات لخطاب كنج الى كروكر رقم ٦ بتاريخ ١٨١٧/٣/٥ .

العام في شهر ديسمبر ١٨١٦ في هذا الشأن وتقلّى موافقة مويرا عليه وكلفه في شهر فبراير ١٨١٧ بإجراء تحريات عن حجم وتوزيع القوة اللازمة لتنفيذ هذه العملية بالرغم من أنه أشار إلى أن مثل تلك الحملة موضوع لم يكن واردا في تلك الظروف على الأقل بسبب قلة الامكانيات ، كما كان هناك أمل ضئيل في توفير العدد الكافي من الجنود الهند وكان من الأفضل ارجاؤها ريثما تنتهى الحرب الدائرة في الهند ضد ولايتي مهرتا وبندارى (١) . كما كان هناك اعتبار آخر وهو أن اعداد حملة أخرى ضد القواسم قد تؤدي إلى التورط في صراع مع الوهابيين ، فقد كان الأمير عبد الله بن سعود مستاء أشد الاستياء من عملية قصف رأس الخيمة وأعرب عن استيائه هذا في رسالة بتاريخ فبراير ١٨١٧ إلى بروس ، وبعد أن كرر تعهده بعدم التعرض للسفن الأوروبية التي ترفع العلم البريطاني عاد فجدد تحذيره إلى بروس، من أن عمليات القرصنة سوف تستمر « وبالنسبة إلى السفن التابعة لغير الإنجليز فأننى حر من أى قيد فى ذلك ، اذ كيف تتصورون اننا نعيد لكم الغنائم التي استولينا عليها من أعدائنا؟ . . . غير أننى أعتبر نفسى المستون عن سلوك جميع المسلمين تجاه الرعايا الإنجليز وعلى أى حال فان أهالى مصر واليمن والشحروالمكلا ومسقط والعراقين والفرس الخاضعين لسعيد بن سلطان كلهم أعدائى واننا بحول الله سوف نقوم بقتلهم والاستيلاء على ممتلكاتهم فى أى مكان نجدهم فيه ، وفى ذلك تنفيذ لأوامر الله الذى نحمده ونشكره . . . » (٢)

أما لماذا اختار محمد على باشا أن ينقض الاتفاق الذى وقعه طوسون في

(١) محادثات بومباى السرية مجلد ٤١ محادثات رقم ٢٩ بتاريخ
 ١٨١٩/٧/٣١ من جى ادم (سكرتير الحكومة) إلى واردن وفورت وويليام
 . ١٨١٧/٢/٢٢

(١) نفس المصدر من عبد الله بن سعود إلى بروس (سجلات بوشهر
 . ١٨١٧/٢/٢٥)

عام ١١٨٥ فغير وأضح (١) . وعند وصول المبعوثين الوهابيين الى القاهرة فى أغسطس من ذلك العام للحصول على التصديق على معاهدة طوسون رفض محمد على باشا طلبهم ، وقد يكون ذلك راجعا الى أسباب دينية نظرا لما كان معروفا عن سلوكه وطموحاته كما قيل أيضا بأنه كان على خلاف مع علماء الأزهر الذين أظهروا تشددا كبيرا بالنسبة للموقف الدينى من الوهابيين وثمة تفسير آخر وهو أن عبد الله بن سعود كان يحاول تأكيد سلطته على منطقة القاسم وبالتالي فان محمد على باشا قرر معاقبته على تهوره وعلى ترده حتى ذلك الوقت فى تقديم الولاء للسلطان العثمانى (٢) . وحتى اذا افترضنا أن تصرفات عبد الله هى التى أملت على محمد على باشا بشن الحرب عليه مرة أخرى الا أن ذلك لا يعتبر سببا وجيها لشن حملة عسكرية جديدة على شبه الجزيرة العربية وعلى الأخص بسبب ما تتطلبه الحرب من نفقات وما تنطوى عليه من مخاطر ، ولعل أقرب الأسباب الى الصحة اذا ادخلنا فى الاعتبار نشاط محمد على فى اعوامه الاخيرة كما جاء فى اقوال الرحالة والمستشرق جى . ال برخارد الذى رافق طوسون فى حملته على الحجاز وكان فى القاهرة فى ذلك الوقت : أن محمد على كتب الى عبد الله

(١) توفى طوسون بعد عودته من الجزيرة وذلك بسبب الحماس الذى استولى عليه كما يقول دادويل من مشهد الافراح والاستقبالات التى وجدها فى مصر بعد عودته من الحجاز (مؤسس مصر لحديثه ص ٤٦) وعلى أى حال فهناك رواية ربما تكون اكثر صحة وردت على لسان برخارد الذى قال : « بان طوسون توفى بعد اصابته بوباء الكوليرا عندما كان فى روزيترا فى سبتمبر ١٨١٦ (ملاحظات عن البدو ص ٤١٨) وقد أعرب برخارد عن إعجابه بطوسون الذى وصفه بالشجاعة .

(٢) راجع « تاريخ مصر » فصل / ٢ ص ٥٥ - ٥٧ وكتاب « صبرى » الامبراطورية المصرية تحت محمد على ص ٤٨ ودودوال نفس المصدر وكتاب « الجزيرة العربية » تاليف فلبى ٩٧ .

(١٥ - بريطانيا والخليج)

يبدى استعداداه للتصديق على المعاهدة التى وقعها نجله بشرط أن يتخلى الوهابيون له عن مقاطعة الاحساء وهى اخصب وأهم المقاطعات فى شبه الجزيرة العربية وتقع على ساحل الخليج الفارسى ، ويبدو أن عبد الله رفض طلب محمد على باشا أو انه لم يرد عليه اطلاقا ، وفى أوائل عام ١٨١٦ علم فى القاهرة أن بعض القبائل فى الحجاز قد أعلنت التمرد على سلطة الحاكم المصرى بتحريض من الوهابيين فقام محمد على بحشد جيش كبير فى فصل الصيف وعهد قيادته الى أحد أنجاله هو إبراهيم باشا (١) .

وقد وصل إبراهيم باشا الى الحجاز فى شهر سبتمبر ١٨١٦ وأقام معسكراته بالمدينة كما أقام قاعدة متقدمة فى الحماقية على بعد ٦٠ ميلا الى الشمال الشرقى أو على الطرف الغربى للسفلى الأوسط لشبه الجزيرة ، وقد سبق ذلك استعداد فى أوائل عام ١٨١٧ للزحف على منطقة القاسم ، بينما كانت المفاوضات تعززها الرشاوى والتهديدات مستمرة مع القبائل الرئيسية والمنطقة الغربية من الجزيرة فى محاولة لكسبهم الى المعسكر

(١) لدى دبلو . جى بلجريف قصة يرويها عن محمد على فىقول انه اراد أن يختبر قواده العسكريين قبل القيام بالحملة فوضع تفاعحة فى وسط سجادة كبيرة وطلب الى كل منهم أن يصل الى التفاعحة دون أن يضع قدمه على السجادة ، وكان يقصد من ذلك أن - التفاعحة هى الدرعية والسجادة هى الصحراء المحيطة بها وقد اخذ القواد واحدا تلو الاخر يحاولون ذلك الا أنهم فشلوا وفى النهاية طلب إبراهيم الاذن له بالوصول الى التفاعحة ويتقدم إبراهيم واخذ يطوى السجادة من احد اطرافها الى ان وصل الى التفاعحة وأمسك بها . وعلى نفس الفرار قتال إبراهيم لوالده ان قبائل المنطقة الغربية للجزيرة لعربية يجب طيهم بهذا الشكل اذا أريد للجيش المصرى ان يصل باى حال من الاحوال الى الدرعية (رحلة عبر المناطق الوسطى والشرقية للجزيرة العربية) تاليف بلجريف مجلد / ٢ طبعة لندن فصل ٢ ص ٤٧ - ٤٨ .

المصرى . وبدأ الزحف على القاسم فى شهر يونيه وقد وقع عبء القتال المبدئى على كاهل الخيالة البدو والفرسان ، وكان عددهم نحو ٦ آلاف جندى جمعهم ابراهيم باشا من الحجاز ليكونوا طليعة قواته ، وقد بدأ هؤلاء يضيقون ذرعا بالدور المكلفين به ، وسرعان ما أخذ ابراهيم باشا يواجه مشكلة فرار الجنود من الجيش بشكل واسع ، غير أن هذا النقص فى القوات، تم تعويضه عن طريق عروض التأييد التى بدأت تنهال عليه من شيوخ عنزه وشيوخ مطير الذين كانوا مستائين من سيطرة الوهابيين عليهم ، وفى جبل معاوية فى شهر يوليو نشبت أول معركة بين قوات محمد على والوهابيين ، وذلك عندما أرغم ابراهيم باشا جيشا من الوهابيين يقدر بنحو ١٠ آلاف من رابى الجمال بقيادة عبد الله بن سعود نفسه (١) على أن يولوا الأذبار .

ولعل معركة جبل معاوية كانت المعركة الحاسمة بين الطرفين ، فقد انسحب عبد الله الى معقله بين أسوار الدرعية ولم يعد يغامر بشن حرب أخرى ، أما ابراهيم فقد أخذ يضغط فى زحفه نحو القاسم وبِنهاية عام ١٨١٦ كان معظم هذه المنطقة قد سقطت فى يده أو فتحت أبوابها له ، وبعد أن تلقى مجموعة أخرى من الجنود من مصر استأنف زحفه نحو الشرق ، وذلك فى بداية العام الجديد . وقد تعطل الزحف أكثر من مرة لتأخر وصول المؤن والامدادات التى كانت تشق طريقها بصعوبة فى الحجاز. ولم يتمكن جيش ابراهيم باشا المؤلف من نحو الفين من الخيالة المصريين والألبانيين والمغاربة والبدو ٥٦٠٠ رجل من لمشاه و ٢٥٧٥٠ منهم من المصريين و ١٧٢٥ من الألبانيين ومائة من المغاربة والبقية من المحاربين البدو غير النظامين بالاضافة الى قوات المدفعية والمهندسين والطلّاع لم يتمكنوا من الزحف على الحجاز قبل فبراير عام ١٨١٨ .

(١) كان عدد الوهابيين الذين ذبحوا فى هذه المعركة كبيرا جدا بحيث ان ابراهيم باشا اضطر الى أن يتوقف عن ارسال رؤوس الجنود الوهابيين لعرضها فى القاهرة وأخذ يرسل الأذان بدلا من الرؤوس .

وخلال تقدم ابراهيم باشا عبر وادى حنيغة لم يواجه مقاومة تذكر حتى أنه فى أوائل ابريل كان قد وصل الى مشارف الدرعية ولم ينته الحصار الذى فرض على المدينة واستمر خمسة أشهر الا بعد أن كلف المظرفين خسائر جسيمة (١) ومن الغريب أن اندجار الوهابيين فى أواسط انجيزيرة العربية لم يترك آثارا خطيرة على سواحل الخليج . لقد كان القواسم أصبحوا اقوياء حتى أنهم لم يكتروا بفقد حماية الوهابيين لهم كما أن نار العقيدة قد خبت فيهم وهكذا لم يعد للمذهب محمد بن عبد الوهاب أى دور سوى تغطية أعمال القرصنة بستر من التقوى . كما أن البحرين التى خلعت هى الأخرى رداء الخضوع للدرعية تحولت الى المركز الرئيسى لنشاط القواسم ، وكانت تزودهم بالأغذية وغيرها من المواد بينما أخذت أعداد من العتوب تسافر الى رأس الخيمة لتنضم الى القواسم ، (٢) وخلال

(١) منجم فصل ٢ ص ٧٧ - ١١٩ وسددر ص ١١٣ - ١٢٠ وصبرى ص ٤٨ - ٥٦ ودودوال ص ٤٦ - ٤٨ وفلبى من ص ٩٧ - ٩٩ .

(٢) ان تواطؤ البحرين فى عمليات القواسم قد يكون سببا فى عدم تاثر حجم التجارة بين الهند والخليج بحملات القرصنة وكانت القيمة الاجمالية لتجارة الحكومات الثلاث التى هى بومباى والبنغال وكلكتا مع موانئ الخليج والجزيرة العربية فى عام ١٨٠٢ لا تزيد على ١٢ مليون روبية وفى عام ١٨١٣ - ١٨١٤ حافظت على نفس المستوى تقريبا لكنها فى عام ١٨١٧ - ١٨١٨ ارتفعت الى ٤٢ مليون روبية (التقرير الثالث للجنة التجارية الخارجية ، تقارير اللجان (١٨٢١) وثيقة ٧٤٦ مجلد ٦ ص ١٩١ ملحق اتشى) ويمكن أن تعزى تلك الزيادة الى التحسن الذى طرأ فى التجارة مع فارس فى أعقاب توقف الحرب بينها وبين روسيا ١٨١٣ كما يمكن أن يعزى الى ارتخاء قبضة الوهابيين على البحرين وعمان بعد ذلك الوقت . ومن ناحية اخرى فان عمليات السلب والنهب التى كان يمارسها القواسم قد ازدادت حدة فيما بين عامى ١٨١٤ - ١٨١٨ واذا كانت التجارة قد ازدهرت خلال هذه السنوات فمعنى ذلك ان السلع والبضائع كانت تصل فى النهاية الى وجهتها ويمكن القول ان القرصنة لم تؤد الى وقف التجارة بقدر ما ادت الى تاخير وصول السلع الى موانئها فقط .

١٨١٧ - ١٨١٨ تفاقم خطر نشاط القواسم لدرجة أن حكومة بمبای ادخلت نظام الفوادل الذى اتخذت مسقط قاعدة له لحماية السفن المتجهة الى الخليج ، وكانت هرمز هى منطقة نشاط القراصنة ، وكان بالتالى على السفن أن تواجه هذه المشكلة . فقد كان القراصنة ينطلقون من قواعدهم فى قشم وخور فكان وغيرهما من الخلجان الصغيرة القريبة من شبه جزيرة مسندم ، وقد اقترح على السيد سعيد بأن يتعارف مع حكومة الهند لرسم سياسة ناجحة للخليج كما قبلت عروض للمساعدة من رحمة بن جابر الذى اشقى بعد ذلك عن الوهابيين وعن القواسم الذين تحولوا بعد ذلك الى جنب آل خليفة المقوتين . أما فى المناطق القريبة من السواحل الشمالية للهند فقد كان القواسم يتحركون بكل حرية ويهددون التجارة الساحلية فى المنطقة . مما أرغم ايفان نيبين الى ارسال تقرير شديد الى مجلس ادارة الشركة فى اواخر عام ١٨١٧ - ١٨١٨ وقال فى تقريره ، بأن القراصنة أصبحوا يدهمون السفن العاملة فى هذه المنطقة بجرأة متناهية (١) . وفى الفترة الواقعة من اكتوبر ١٨١٨ ويناير ١٨١٩ التقى الطرادان فتيس وسيش بالقواسم ما يقرب من ١٧ مرة وكانوا يبحرون فى مجموعات تتراوح ما بين اثنين وعشر سفن ، وعلى الرغم من محاولة الطرادان اعتراض سفن القواسم الا ان الفشل كان حليهما فى كل مرة ، فقد كانت سفنهم قد تمكنت من الافلات بسهولة بل كان القواسم على الدوام على اتم استعداد لمواجهة الطرادات لانهم كانوا دائما يتخذون مواقع بعيدة عن مرمى النيران حتى اذا حل الليل يتسللون فى الظلام عائدين الى المناطق الساحلية فى انتظار طلوع النهار والعثور على ضحايا جديدة .

فى خريف ١٨١٨ عزز الطرادان بسفينتين آخرين هما الفرقاطة ايلن والطراد كنوى من قاعدة ترنكومالى غير أن الأسطول لم يحدث أن استولى على اى سفينة للقواسم داخل المياه الهندية ولذلك كان القراصنة يسرحون

(١) فارس والخليج مجلد ٣٢ من الحكايم الى مجلس الادارة

ويمرحون بالقرب من ساحل بومباي ، غير أن الطراد ابدن كان احسن حظا
ففى الأسبوع الأخير من ديسمبر التقى بمجموعة من سفن القواسم وعددها
نحو ثمانية بالقرب من أم القوين واستطاع أن يفرق ثلاثة منها قبل أن تتمكن
الباقية من الفرار (١) .

كان نشاط القراصنة والقواسم فى ذروته فى ذلك الوقت ولكن
النهاية كانت وشيكة فى البحر ، وكان القواسم يتحدون أعداءهم بكل
وفاحة . غير ان المراحل الأولى لنهايتهم جاءت على مشارف الدرعية وقد
تأخر استيلاء ابراهيم باشا على عاصمة الوهابيين بسبب وقوع انفجار فى
القطار الذى كان يحمل الامدادات الى جيشه ، وكان ذلك فى شهر يوليو
وعلى امتداد شهرين بينما كان ابراهيم ينتظر وصول الامدادات المطلوبة
اضطر الى توزيع قواته على مختلف المناطق التى كان يسيطر عليها وذلك
لفرض النظام عليها ، وقد شن هجومه الأخير على الدرعية فى بداية سبتمبر
وبعد أن استطاع اكتساح التحصينات الخاصة بالوهابيين وطلب منه الامير
عبد الله أن يتقدم اليه بشروط استسلام ولكن ابراهيم باشا رفض اقتراح
عبد الله وأصر على الاستسلام بدون شرط أو قيد كما طلب الى الامير
عبد الله بأن يسلم نفسه ، وقد وافق عبد الله ، وفى يوم ٩/٤ سلم نفسه
وعدا من أفراد عائلته الى القائد المصرى ، وقد دمرت الدرعية تدميرا تاما
بحيث تحولت الى أنقاض وأرسل عبد الله أسيرا الى القاهرة ومنها الى
القسطنطينية حيث جرى فى نهاية العام اعدامهم جميعا فى مكان عام
بميدان سانت صوفيا (١) وشهدت الشهور الاخيرة من سنة ١٨١٨ نهاية
للحروب التى كانت تشنها الولايتان الهنديتان مهراثا وبندارى على البريطانيين
واتاح هذا ولأول مرة منذ سنوات للحكومة البريطانية الفرصة لتوفير القوات
اللازمة للعمل خارج الهند دفاعا عن مصالحها ومصالح رعاياها الهنود .

(١) التقرير الادارى للمقيم البريطانى ١٩٠/١ من الكابتن اف - لوك
الى كنج ١٨١٨/١٢/٢٧ و ٢ يناير ١٨١٩ ومرفقات لخطاب كنج لكروك من
الطراد مندن ١٨١٩/٢/١٥ (رقم ٧٣) .
(١) منجم فصل ٢ ص ١١٩ - ١٣٤ وصبرى سدلز ص ١٢٠ - ١٢١
و قلبى ص ٩٩ - ١٠٢

الفصل الرابع

الحملة العسكرية ضد موانئ القراصنة

١٨١٩ - ١٨٢٠

بدأت حكومة بومباي استعدادها لشن هجوم على معاقل القراصنة فى الخليج خلال صيف ١٨١٨ ، وذلك بعد أن وضع الكابتن روبرت تايلور الوكيل البريطانى السياسى المساعد فى تركيا العربية تقريراً عن مواقع وموارد الموانئ الرئيسية للقراصنة ، وعن حجم قوتهم القتالية والبحرية ، وخلافاتهم السياسية (١) . وقد تم وضع ذلك التقرير بناء على طلب نبين ، وحسب رأى تايلور فان الموانئ الرئيسية الواقعة فى ساحل الخليج التى تنطلق منها أعمال القراصنة هى رأس الخيمة ، الجزيرة الحمراء أم القوين ، عجمان ، الشارقة ، دبی ، والى الشمال زبارة وخور حسن والقطف والعقير ، كما أن أبوظبى وهو الميناء الرئيسى عند بنياس وموانئ لنجه وخرک على الجانب الفارسى للخليج والتابعة للقواسم تعتبر داخلة ضمن ذلك النشاط (٢) . كذلك فان الضباط التابعين لبحرية بومباي قد زدوا نبين بمعلومات اضافية عن امكانيات القراصنة البحرية ، وقد جاء بتلك المعلومات بما يفيد انه فى وسع القبائل البحرية ان تقذف الى البحر ٨٩ سفينة حربية كبيرة ، و ١٦١ سفينة اصغر ، ويبلغ عدد رجال هذه السفن اكثر من ١٠٠٠٠ مقاتل ، كما أن البريجدير جنرال ليونيل سميث الذى قاد حملة

(١) اعيد طبع هذا التقرير (مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ١ - ٤) وقد صدر بعنوان مقتطفات من ملاحظات تتعلق من الناحية التاريخية او بغيره من المعلومات المتعلقة بعمان ، مسقط ، البحرين وهرمز وقشم وخرک وغيرها من الموانئ والمناطق فى الخليج الفارسى) .

(٢) مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ، ص ١٤ - ١٨ وايضا ٣٧ يضيف تايلور ان بنياس لم يكونوا يمارسون القرصنة فى اعالي البحار .

١٨٠٩ ، أبلغ نيبين بأن عملية القضاء على القواسم ومعاقلهم قضاء مبرما تتطلب ما لا يقل عن ٣٠٠٠ رجل تعززهم قوات من الدفعية (١) .

حول نيبين كل هذه المعلومات الى الحاكم مويرا (الذى أصبح فى ذلك الوقت الماركيز أوف هستنجز) وذلك فى شهر سبتمبر ١٨١٨ ، وقد عززها باقتراح لاعداد حملة وارسالها على وجه السرعة الى الخليج ، كما طلب نيبين ان يعرف وجهة نظر الحاكم العام حول عدد من النقاط المتصلة بالاهداف السياسية والعسكرية للحرب ، وعمّا اذا كان الحاكم العام ينوى توطيد السلطة البريطانية فى الخليج منعا لعودة نشاط القراصنة فى المستقبل والى أى حد سيكون من المتوافق مع سياسة الحكومة أن تضع الساحل الجنوبى للخليج ساحل القرصنة - وجزيرة البحرين تحت سلطة السيد سعيد ؟ .

وهل نتجه النية الى الاستعانة برحمة بن جابر زعيم القراصنة فى خور حسن للعمل ضد خصومه القواسم (٢) ؟ وقد رد هستنجز فى شهر نوفمبر على نيبين يقول : أنه من خلال دراسته للمعلومات التى زوده بها يرى انه لا بد من اعداد حملة أكبر مما اقترحه الجنرال سميث ، اذا أريد سحق القواسم سحقاً تاماً ، وان أى محاولة لا تصل الى حد ضرب قوة القواسم فى الصميم ، فانها ستكون بدون جدوى ، وستضطرنا بعد مضي فترة من الوقت الى أن نعاود الهجوم عليهم فى الوقت الذى ستكون فيه استعداداتهم قد قويت (٣) . ان العملية سوف تحتاج الى ٥٠٠٠ رجل على الأقل فى رأى هستنجز ، وأن قوة بذلك الحجم لا يمكن توفيرها من الهند قبل أن ينتهى موسم العمليات القادمة فى الخليج ، أى من نوفمبر الى مارس ، وبالتالي فان الحملة ينبغى

(١) فارس والخليج الفارسى مجلد ٣٤ من الحاكم الى مجلس الادارة

١٨٢٠/٨/٩

(٢) نفس المصدر مجلد ٣٨ .

(٣) محادثات بومباى السرية مجلد ٣٨ محادثات رقم ٥ بتاريخ

١٨١٩/١/٥ من الحاكم العام الى مجلس الحاكم فى بومباى ١٨١٨/١١/٧ .

- ٢٣٣ -

تأجيلها لمدة عام واحد على الأقل ، وذكر هستنجز بأن مثل ذلك التأخير سوف يكون لمصلحتهم ، وقد كانت الأخبار التي ترد من الجزيرة العربية تشير الى ان ابراهيم باشا سوف يتمكن في نهاية العام من التغلب على الوهابيين ، وأن احتلال نجد والاحساء من قبل المصريين سوف يحرم القواسم من الحصول على المساعدات التي كانوا يحصلون عليها من الوهابيين ، وقد يكون من الملائم ايضا دعوة ابراهيم باشا للاشتراك في عمليات مشتركة ضد رأس الخيمة ، على أن يهاجم البريطانيون من البحر ويفطى جيش ابراهيم باشا الهجوم من البر . كما يمكن لجيش ابراهيم باشا أن يربط في المنطقة لحمايتها. اما المسائل الاخرى التي اثارها نبيين في خطابه ، فقد رأى هستنجز أنه من الأفضل ارجاء أى قرار بشأنها ريثما يقترب موعد الهجوم .

بعد مرور بضعة أسابيع على رسالة هستنجز ، ابلغ المقيم البريطانى فى بوشهر فى تقرير له ، عن سقوط الدرعية ووصول الجيوش التركية والمصرية على شواطئ الخليج وفى يوم ٢ يناير كتب هستنجز الى ابراهيم باشا يهنئه على انتصاره ، ويوجه نظره الى المعلومات والأخبار التي كانت رائجة عن أن ابراهيم باشا ينوى إخضاع حلفاء الوهابيين وعلى الأخص القواسم . ولما كان القواسم هم أعداء للحكومة البريطانية أشار هستنجز بأنه سيكون من المصلحة القيام بعمل مشترك ضدهم ، فان كان ابراهيم باشا يقر هذا الرأي فعليه أن يتخبر مع نبيين فى بومباي (١) . غير أن نبيين نفسه لم يكن مقتنعا بوجهة نظر الحاكم العام وفى الوقت الذى كان يوجب بأى مساعدة يمكن أن يقدمها ابراهيم باشا لضرب القواسم فإنه لم يكن يعتقد كما كان يتصور هستنجز أن مستقبل الاستقرار والهدوء يعتمد على فرض السيطرة المصرية التركية على سواحل الخليج وبالأخص أن مجلس إدارة

(١) محادثات بومباي السرية مجلد ٤ . محادثة رقم ١٧ بتاريخ

١٨١٩/٤/١٧ من هستنجز الى ابراهيم باشا ١٨١٩/١/٢ .

الشركة سبق له فى يناير السابق أن وضع خطة لسياسة التهدئة والمرونة وأن الاستمرار فى تلك السياسة سيكون فى مصلحة حكومة الشركة فى الهند فى السنوات المقبلة (١) . وذلك يعنى أنه لا مجال هناك للاطلاع بأعباء جديدة خارج حدود المناطق الخاضعة للشركة . وعلى أساس هذه الاعتبارات ، تقدم نبين الى المجلس فى بداية ١٨١٩ بخطة تقوم على نسوية سياسة فى الخليج بعد أن يتم التغلب على القواسم ، تهدف الى تأمين الأمن والتجارة والملاحة الهندية فى مياه الخليج دون توريط الحكومة البريطانية بأى التزامات ليست من مصلحتها .

وكان العنصر الأساسى للخطة أن السلام فى الخليج يمكن أن يتحقق بشكل أفضل عن طريق دعم وتوسيع نفوذ حاكم مسقط السيد سعيد ، بإنشاء قاعدة بريطانية فى موقع استراتيجى بالقرب من مضيق هرمز ، وعلى حين يرى نبين بأنه يمكن أن يعهد بحماية الساحل العربى من رأس الخيمة غربا حتى الكويت الى السلطة المصرية التركية المشتركة فان المنطقة الممتدة من شمال رأس الخيمة وشبه جزيرة مسندم يجب أن توضع على الفور تحت السيطرة المباشرة للسيد سعيد ، كما ينبغى وضع البحرين أيضا تحت سيطرة السيد سعيد ، ليس ذلك انتقاما على تواطئها مع القواسم ، وإنما لدعم موارد السيد سعيد فى مواجهة المهمة التى ستلقى على عاتقه ، وفى المساهمة فى نفقات انشاء القاعدة البريطانية والاحتفاظ بها . وكان من رأى نبين أن أفضل موقع للقاعدة هو جزيرة قشم ، التى لا تبعد الا مسيرة

(١) مسودات مجلس الادارة من مضمون تقرير سرى مجلد ٥ صيغة خطاب الى الحاكم العام بتاريخ ١٨١٨/١/٥ وقد ورد هذا الخطاب من (شركة الهند الشرقية) ١٧٨٤ - ١٨٣٤ بقلم س اتشه فيلبس ص ٣١٩ طبعة مانسستر ١٩٤٠ :٥

- ٢٣٥ -

ساعات من ساحل جزيرة القرصنة ، والتي كانت خاضعة ، كما يعلم ،
لسلطة السيد سعيد (١) .

على أن الخطأ كانت تنطوي على ثغرات كثيرة ، ربما لم ينتبه اليها نبين
عند وضع ذلك الاقتراح فقد بذل جهدا شاقا لكي يبرر رأيه باخضاع البحرين
عن طريق القوة عقابا لها على تواطؤ آل خليفة مع القواسم

وجاء في تقريره ، بأنه لا مجال للشك في أن الحماية التي قدمها شيوخ
آل خليفة للقواسم كانت تبرر في تصورنا اتخاذ الاجراءات التي قد تساهم
في تجريدهم من السلطات التي يمارسونها كما أشار في التقرير الى الاحتلال
السابق للجزيرة من جانب العثمانيين والى الاتفاق الذي قيل انه قد تم بين
فتح على شاه والسيد سعيد بتنازل الاول عن سيادته على البحرين مقابل
زكاة يدفعها سعيد للشاه بعد استيلائه على الجزيرة . غير أن ما لم يلحظه
نبين ، أو ربما يتجاهله ، هو أن اخضاع البحرين وجزء من ساحل القرصنة
لمسقط سوف يؤدي الى ظهور القرصنة من جديد ، لان آل خليفة والقواسم
سوف يتحدون في هذه الحالة لتحرير انفسهم من سيطرة العمانيين ،
وكأن من المشكوك فيه ما إذا كان في مقدور السيد سعيد اخضاع تلك القبائل
على الاطلاق ، خصوصا وأن القواسم استطاعوا أكثر من مرة اجتياح منطقة
الشميلية من عمان بالاضافة الى الطرف الشمالي من ساحل الباطنة ، كما
استطاع آل خليفة أن يصدوا بسهولة الهجمات التي شنتها عليهم مسقط .
ولقد لفت فرانتز واوردن الأمين الاول للحكومة والعضو المؤقت للمجلس
نظر نبين الى هذه الحقائق في اجتماع عقده معه يوم ٣ ابريل ، فاستهل

(١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٤٠ رقم ١٧ ،

١٨١٩/٤/١٤ مسودة خطاب من نبين الى الحاكم العام .

واردن بيانه بالهجوم على نابين على الدور الذى حاول أن يتقلده كمحكم فى نزاعات الخليج وهو دور ، حسب اعتقاد واردن ، يشكل خطرا ولا لزوم له ، وقال بأنه لا يهم الحكومة البريطانية فى شىء أن تخضع بلدان الخليج لى دولة من الدول ، طالما أن الهدف الرئيسى الوحيد من سياستنا هو القضاء على القرصنة (١) . فاذا كان نابين يصر على مبدأ التدخل فى سياسة الخليج فان عليه أن يحترم حقوق ومطالب مختلف الحكومات والامارات الواقعة على سواحله ، فحقوق حكومة فارس وحكومة تركيا ، بالإضافة الى حقوق القبائل العربية التى استطاعت ان تحافظ على استقلالها عن طريق اخطاء لتلك الدول ، الأمر الذى يجب وضعه فى الاعتبار قبل أن نضع الخطط والافتراضات لانقسام الخليج ، هذا ما قاله واردن . وقد انصب اعتراض واردن على الخطة على الاقتراح الخاص بتوسيع سلطات السيد سعيد ، واخضاع البحرين لحكمه بما أن تصاعد نشاط القراصنة فى منطقة الخليج انما يعود الى حد كبير الى السياسة غير الحكيمة التى ينتهجها السيد سعيد تجاه بعض القبائل المستقلة التى استطاعت فى بعض الاوقات ان تهز كيان دولته فينبغى عليه أن يظهر قدرا أكبر من المرونة السياسية تجاه تلك القبائل فى المستقبل . فاذا شاءت الحكومة البريطانية أن تجامل كل من يدعى السيادة على البحرين ، فان الاولى بها كما قال واردن ، أن تجامل الشاه بالضغط على آل خليفه بدفع الزكاة السنوية للشاه ، وكان واردن يتصور أنه من الأفضل على أى حال السماح لتلك الدويلات بالاحتفاظ باستقلالها ، وبأن تؤكد لها بأنها طالما امتنعت عن أعمال القرصنة فان الحكومة البريطانية ستظل معترفة باستقلالها ، بل وستقوم بتأييد ذلك الاستقلال . وعلى أية حال ، كما يرى واردن ، فانه لم يكن من الحكمة اتخاذ أية قرارات سياسية فى الموضوع قبل أن تتضح نوايا ابراهيم

(١) محادثات بومباى السرية مجلد ٤٠ رقم ١٧ بتاريخ ١٤/٤/١٨١٧

بيان وارد ٣/٤/١٨١٧ .

باشا وأنه فى امكان المبعوث البريطانى الذى سيقوم بتسليم رسالة هستنجزا
المؤرخة ٢ يناير والسيف التقليدى المرسل هدية اليه من الحاكم العام أن يتناول
هذا الموضوع .

كما سيتعين عليه أن يتحقق بصورة خاصة ، عما اذا كان ابراهيم باشا
يزرع القيام بفتوحات أخرى على سواحل الخليج ، فان وجد لديه هذا الاتجاه
فينبغى عليه بأن يوضح له بأنه فى الوقت الذى تعتبر بريطانيا أن تصفية
القرصنة هو هدفها الوحيد الا أنها فى نفس الوقت تشاركه فى ضمان حقوق
مختلف الدول الواقعة على سواحل الخليج كما أن عليه بأن يؤكد على نقطة
أخرى وهى ان أية مساعدة قد تقدمها اليه بريطانيا فى حربه ضد حلفاء
الوهابيين تقوم على شرط موافقته على احترام حقوق تلك الدول . (١) .

وعلى أى فقد كان الغموض يحيط بوجهة النظر التى تقدم بها و اردن
ولهذا فان نبيين لم يعر تلك المقترحات أى أهمية غير ان اثنين من أعضاء
المجلس الاخرين وهما جى برندرجاست والكسندريل رايان فيها من
النقاط ما يستحق الاهتمام . ونظرا لهذا الانقسام فى الراى فقد رأى نبيين
ان يجرىء اتخاذ أى قران حول هذه السياسة الى أن تتضح خطط ابراهيم
باشا ، وان كان قد وافق على اقتراح و اردن بأن يتم ابلاغ موافقة بريطانيا
على السماح لقوات ابراهيم باشا بالمرابطة فى رأس الخيمة عند الاستيلاء عليها
شفويا وليس كتابيا ، أى عن طريق المبعوث المكلف بتسليم رسالة الحاكم
العام ، والسيف (٢) . المهدي اليه وقد اختير لهذه المهمة الكابتن
جورج فوستر سادلز من الفرقة السابعة والأربعين ، وصدرت له التعليمات

(١) راجع بيان و اردن بتاريخ ١١/٤/١٨١٩ خلال نفس المحادثات .

(٢) محادثات بومباى السرية رقم ١٧ مجلد ٤٠ - ١٤/٤/١٨١٩ بيان
نبيين ، انظر ايضا نفس المحادثات ، وبيان برندر جاست ، ٢٠/٤/١٨١٩ وبيان
الكسندر بل .

— ٢٣٨ —

يوم ٤/١٣ ، وكان عليه أن يتوجه الى القطيف أو العقير على ساحل الأحساء ، ومن هناك يواصل رحلته الى الدرعية فى الداخل حيث كان ابراهيم باشا يربط هناك ، وعند وصوله الى الدرعية يقوم بتسليم الرسائل الى ابراهيم باشا وكانت هذه التعليمات تتضمن ما يلى :

بأنه خلال اقامتك فى المعسكر التركى عليك ان تحاول بما اوتيت من براعة وبمنتهى اللباقة المتاحة التعرف على طبيعة موقف ابراهيم باشا بالنسبة الى قيامه بفتوحات أخرى على السواحل العربية والخليج دون أن تظهر بأن لك أى مصلحة مادية فى هذا الأمر (١) وانما من خلال المباحثات التى ستجريها من غير أن يشير الى أى شىء قد يؤدى الى توريث الحكومة البريطانية فى الاعتراف بفتوحات جديدة لابراهيم باشا فى شرقى الجزيرة العربية ودون ان تشير فى تلك المباحثات الى موضوع الهند ، كما كلف المبعوث بأن يتوقف فى مسقط للتأكد مما اذا كان السيد سعيد لديه الرغبة فى التعاون مع المصريين فى الحملة المقترحة على ساحل القرصنة .

أبحر سادلر من بومباى فى ١٥/٤/١٨١٩ وقد حال سوء الأحوال الجوية من نزوله فى مسقط قبل منتصف مايو ، وعند مقابلته للسيد سعيد تبين له بأن السلطان يعارض بشدة فكرة التعاون مع ابراهيم باشا وقد أكد السيد سعيد لسادلر بأنه لن يشترك فى الحملة اذا اشترك المصريون فيها الا اذا أمكن نقل القوات التى سيساهم بها عن طريق البحر ، وعدم اختلاطهم بالمصريين . ولم يقدم السيد سعيد تفسيراً لطلبه هذا أكثر من انه أشار الى أن حكمه قد يتعرض للخطر لو قبل التعاون مع المصريين (٢) . وقد

-
- (٣) محادثات بومباى السرية نفس المجلد والرقم والتاريخ ، والتعليمات المعدلة لسادلر . انظر ايضا التعليمات الاضافية ١٤/٤/١٨١٩ .
- (١) نفس المصدر مجلد ٤١، محادثات رقم ٢٩ بتاريخ ٢١/٧/١٨١٩ من سادلر الى الحاكم فى ١٥/٥/١٨١٩ .

كانت معارضة السيد للاشتراك فى الحملة مفاجأة تامة لسادلى لتناقضها مع موقفه السابق عند ما زار الكابتن تايلور فى شهر يناير ليسلمه رسالة خاصة من نيين تتضمن قرار هستنجز بدعوة ابراهيم باشا للتعاون ضد القواسم . وقد أكد له نيين فى الرسالة المذكورة بأنه ليس هناك ما يمكن أن يخشاه سعيد من وجود المصريين فى الجنوب الشرقى من شبه الجزيرة العربية ، لأن ابراهيم باشا كان يعلم حق العلم روابط الصداقة القائمة بين مسقط والحكومة البريطانية (١) .

وفى رد السيد سعيد على رسالة نيين أعرب عن سروره بنجاح ابراهيم باشا فى معاركه ضد الوهابيين وقال بأنه على استعداد لتزويد ابراهيم باشا بالسفن اللازمة لنقل الجنود اذا قرر الأخير العمل ضد القواسم . (٢) .

فما الذى جد بعد ذلك مما دعا السيد سعيد الى تغيير موقفه ؟ يبدو من الوهلة الأولى أن محادثاته مع الكابتن تايلور كانت ذات طابع أكاديمى . فى ذلك الوقت كان ابراهيم باشا على بعد ١٠٠٠ ميل من حدود الخليج ولم يكن فى الحسبان أن يتحرك ابراهيم باشا نحو الجنوب الشرقى . ولعل دعوة هستنجز لابراهيم باشا للاشتراك فى احتلال رأس الخيمة هى التى شجعتة على المضى فى فتوحاته . وعلى أى حال فان ظهور قائد مصرى على المسرح فى المنطقة لم يكن يستسيغها السيد سعيد . وبعد سقوط الدرعية فى أيدي المصريين لجأ عدد كبير من مؤيدى آل سعود الى الحامية الوهابية فى البريمى ، وكانوا يروون القصص المفجعة عن فظائع ابراهيم باشا بعد استيلائه على عاصمة الوهابيين وبينما كان سادلى فى مسقط وصل اليها مطلق المطيرى قائد الحامية الوهابية فى البريمى وشقيق مطلق المطيرى ، لتقديم ولاءه

(١) نفس الحلقات مجلد ٣٨ محادثات رقم ٥ - ١٨١٩/١/٢٠ من نيين الى السيد سعيد يناير ١٨١٩ .

(٢) محادثات بومباى السرية مجلد ٤٠ رقم ١٧ بتاريخ ١٤/٤/١٨١٩ من تايلور الى الحاكم مسقط ١٨١٩/١/٢٩ .

للسيد سعيد (١) . وقد عرف السيد سعيد عن انتصارات ابراهيم باشا فى نجد من سادلر ولهذا كانت انباء تلك الانتصارات راسخة فى ذهنه خلال محادثاته مع سادلر . وربما كان السبب الاساسى الذى دعا سعيد الى تحديد موقفه تجاه القائد المصرى هو خوفه من أن يكون القائد المذكور ينوى احتلال البحرين ايضا ، خصوصا وان سعيدا قد بدأ يتفاوض مع فتح على شاه للقيام بحملة مشتركة من العثمانيين والفرس ضد البحرين ، وفى كل رسائل سعيد الى المشاه كان يذكره باستمرار باحتمال استيلاء ابراهيم باشا للبحرين ، وكان يطالب المشاه بايفاد مبعوث خاص الى القاهرة لتحذير محمد على باشا من القيام بمثل هذه الخطوة غير أن فتح على شاه لم يتحمس للموضوع ، خصوصا وان الحجاج الفرس عند زيارتهم لمكة عوملوا معاملة حسنة من قبل السلطات المصرية ولكن من ناحية اخرى لم يكن المشاه يقبل بوجود جار قوى كباشا مصر فى الخليج ، ولهذا قرر المشاه فى شهر ابريل سنة ١٨١٩ ان يوافق على طلب سعيد فى ارسال مبعوث الى القاهرة (٢) . غير ان هذه الفكرة لم تتبلور اطلاقا كما أن فتح على شاه قد شغلته الاحداث الداخلية وارتياجه فى نجاح خطة القيام بهجوم مشترك على البحرين . ولذلك لم يول مقترحات سعيد اى اهتمام ولعل موضع السرية فى هذه الخطة هو ان سعيد لم يكن يعلم شيئا حتى ذلك الوقت عن موقف نبيى بالنسبة لمستقبل البحرين ، والا اتخذ موقفا اكثر مرونة من اشتراك ابراهيم باشا فى الحملة ضد القواسم .

(١) يروى سادلر ان بطلال المطيرى بعد ان تعرض موقفه للخطر يئس من القواسم حلفاء لسابقين والذين كانوا يسعون الى الاستيلاء على حصن البريمى لانفسهم فقد اختار بطلال المطيرى الطريق الاسلام وسلم نفسه الى السيد سعيد (انظر الى محادثات بومباى السرية مجلد ٤١ فى ١٨١٩/٧/٢١ من سادلر .

(٢) انظر محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ رقم ٢٨ ١٨١٩/٧/١٤ ، من هنرى ولك القائم بالاعمال البريطانى فى طهران الى الحاكم العام ١٨١٩/٤/١٩ .

- ٢٤١ -

غادر سادلر مسقط يوم ١٨١٩/٥/١٨ وبعد اقامة طويلة فى بوشهر
وصل القطيف يوم ٦/٢١ ، وهناك فوجيء بأن الاجزاء الداخلية من البلاد قد
تمردت ضد المصريين واصبح انسحابهم من نجد والاحساء بين ليلة
وضحاها . وقد اعاد ابراهيم باشا تنصيب عائلة ابن غرير ، وهم فصيلة
من شيوخ بنى خالد فى الاحساء باعتبارهم صنائع المصريين غير انه يبدو ان
المشايخ الرئيسيين محمد وماجد ابنى غرير كانا غير راضيين عن قمع ثورة
القبائل ، وقد علم سادلر من قائد الحامية المصرية فى القطيف بأن الوحدات
المصرية التى تم توزيعها على مختلف مناطق البلاد قد تلقت اوامر بالتراجع
بأسرع ما يمكن فى اتجاه معسكر الباشا الواقع على بضعة ايام من الشمال
الغربى للدرعية ، وقد غادر سادلر القطيف يوم ٢٨ يونيه تحت حراسة احد
شيوخ ابن غرير ، وبعد اسبوعين وصل الى الهفوف فى واحة الاحساء حيث
ابلفه الحاكم المصرى انه على وشك تسليم المقاطعة الى ابن غرير ، ومن هنا
اصبح تعاون المصريين فى عملية اخضاع قبائل الساحل غير ذى موضوع .
وفى يوم ١٧ يوليو كتب سادلر من الهفوف رسالة الى نبين يقول فيها .

« من الواضح انه سوف يتمخض عن احتلال الاحساء وميناء القطيف
واحتمال الوصول الى العقير الفوائد التى قد تتحقق من ضم رأس الخيمة .
فاذا اضطر الباشا الى التخلّى عن هذه المناطق فليس من المحتمل ان يتمكن
من المشاركة فى اى عمليات تهدف الى ضم اراضى جديدة لا يستطيع الاحتفاظ
بها والتى قد تزيد نفقات الاحتفاظ بها على عوائدها . (١) »

(١) نفس الحلقسات محسادات رقم ٣٠ ١٨١٩/٧/٢٨ من ولك الى
الحاكم العام ١٨١٩/٥/٢٤ .

(١٦ - بريطانيا والخليج)

وعلى الرغم من ذلك فقد كان سادلر يرى أنه لا بد من تقديم مقترحاته فى هذا الشأن لحكومته ، وفى يوم ٧/٢٢ بعد حصوله على تعهدات من شيوخ ابن غرير غادر سادلر الهفوف عن طريق الاحساء بمعية القوات المصرية المنسحبة وقبل ان يتسلم نئين خطاب سادلر كان قد توصل من خلال التقارير التى كانت تصله من دار المقيم البريطانى فى بوشهر ، بأن احتمال قيام تعاون مع ابراهيم باشا لاجضاع موانئ القراصنة ينبغى ان يستبعد تماما كما لا يمكن ان تقوم الحكومة التركية بممارسة نفوذها على القبائل الساحلية من الكويت جنوبا وبالتالى اصبح يتعين على نئين ان يضع خطة بديلة لتحقيق الاستقرار على الشواطىء العربية بعد انتهاء الحملة وفى يوم ٧/٢١ وضع نئين خطته الجديدة وقدمها للمجلس ولم تكن تختلف كثيرا ولم يكتف نئين فى خطته بوضع الساحل غربا تحت سلطة السيد سعيد ، لكنه ايضا ادخل البحرين ضمن ذلك النفوذ ، حتى يتمكن من الاتفاق على القاعدة البريطانية فى جزيرة قشم من عوائد البحرين (١) . وللمرة الثانية وجد نئين ان المجلس منقسم على نفسه حول مقترحاته فقد كان براندرجاست يعارض فكرة انشاء قاعدة بريطانية فى الخليج وذكر بأن السيد سعيد لم يكن له سلطة على جزيرة قشم ، عدا انه يشرف عليها بمقتضى اتفاق عقده مع الشاه . وفى الوقت الذى كان واردن وبيل يتفق مع نئين على ضرورة انشاء مثل تلك القاعدة الا انه كان يعترض على فكرة اجضاع البحرين لسلطة السيد سعيد (٢) ،

(١) مذكرات سادلر ص ٢٤ - ٥٤ وفارس والخليج مجلد ٣٢٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٠/٨/٩ .

(٢) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ رقم ٢٩ بتاريخ ١٨١٩/٧/٢١ مسودة خطاب من نئين الى الحاكم العام بنفس التاريخ .

ولدعم هذا الرأي أبرز و اردن رسالة حول هذا الموضوع تاريخها عام ١٨١٦ غير أن موضوع هذه الرسالة لم يرد فى المحادثات التى اجراها مع السيد سعيد على الاطلاق ، وفى صيف ذلك العام توطأ السيد سعيد مع أمير فارس على شن هجوم مشترك على البحرين ، ولكى يوحى السيد سعيد الى آل خليفة ، بأن الحكومة البريطانية كانت تؤازره على ذلك الاجراء اطلق تلك الاشاعة كوسيلة لتهديد آل خليفة . وكان فحوى الاشاعة أن الحكومة البريطانية كانت تفكر فى اغلاق موانئ الهند فى وجه سفن العتوب، وبالفعل قد اثار تلك الاشاعة المخاوف فى اوساط شيوخ البحرين ، مما دعاهم الى الاستفسار عن هذا الموضوع من المقيم البريطانى فى بوشهر اللفتنانت بروس. وقد رد بروس على رسالة شيوخ البحرين بزيارة قام بها لهم فى شهر يوليو ١٨١٦ واكد لهم شخصيا بأن الاشاعة ليس لها أساس من الصحة ، وعقد معهم معاهدة صداقة تعهد فيها بفتح الموانئ الهندية أمام سفنهم التجارية ، وعند رفع هذا الأمر الى الحكومة فى بومباى أشار بروس الى أن حكام البحرين (قوم مسالمون ويفضلون الأعمال التجارية على عمليات القرصنة) . وان علاقتهم الاخيرة بالقواسم تعود الى الهجوم الذى شنه السيد سعيد على بلادهم فى النصف الأخير من عام ١٨١٦ وخلال اشارة و اردن الى التقرير الذى بعث به بروس الى نبيين أعاد الى ذاكرة الحاكم ما سبق أن أشار اليه فى شهر يناير ١٨١٦ من وجوب معاملة آل خليفة بطريقة تتسم بالتسامح بصرف النظر عن علاقاتهم السابقة بالقواسم ، كما أشار الى أنه بعد أن يتم التغلب على القواسم سوف تفقد البحرين أهميتها كمركز للقرصنة غير أن نبيين لم يقنع بهذا الرأى كما لم يقنع بأن سبب تعاون العتوب مع القواسم فى عمليات القرصنة يعود الى خوفهم من السيد سعيد أو أن الاتفاقية التى لم تتم الموافقة عليها كانت السبب فى الحد من التعامل مع حكومة البحرين، وبما ان الظروف لم تتيح للمجلس الاتفاق على تحديد مصير

الجزيرة فقد ترك امر ذلك الى الحاكم العام لاتخاذ قراره فيه . (١) .

وقد أدى عدم اكتراث الحاكم بأراء زملائه ، الى أن يقوم و اردن باعداد تقرير مستفيض حول السياسة البريطانية برمتها فى الخليج ، وهو التقرير الذى قدمه الى نابين وضمنه مجموعة من المقتطفات التاريخية عن الخليج حصل عليها من سجلات الحكومة (٢) . وزعم و اردن فى تقريره بأن المحادثات التى دارت عن الخليج فى المجلس حتى الآن كانت تقوم على أسس سطحية ومعرفة غير تفصيلية بشئون الخليج ، وقال بأنه لابد أولا من الحصول على معلومات دقيقة عن الاسس التى تقوم عليه ادعاءات مختلف القبائل فيما يتعلق باستقلالها ، وهى الاسس التى يمكن بموجبها تحديد علاقاتنا معها على أساس مبادئ ، وهو ما يتفق مع حق الفرقاء فى وضع الاسس التى تزيد عليها لمصالحهم جميعا ، الا وهو القضاء على القرصنة واستئصالها (٣) وبالتالي فان مبدأ العدالة ودافع الخير سوف يفقدان معناهما لو عمل باقتراح نابين بوضع ساحل القرصنة تحت سلطة السيد سعيد . اما ان قبائل القرصنة ينبغى أن تلقى جزاءها فهذا امر لاخلاف عليه ، ولكن تجريدنا من استقلالها واخضاعها لسلطة حاكم تمقته امر لا مبرر له .

ولعل ما اثار شكوك و اردن فى خطة نابين هو محاولته التخلّى عن مسئولية الاشراف على امن الخليج بعد ان تودى الحملة مهمتها ، وذلك بوضعها تحت سلطة السيد سعيد وبالتالي فان السياسة البريطانية فى الخليج كما كان و اردن يعتقد بأن العوامل التى أدت الى انتشار الفوضى والعنف فى

(١) محادثات بومباى السرية مجلد رقم ٢٩ ٢١/٧/١٨١٩ من نابين الى الحاكم العام بنفس التاريخ .

(٢) اعيد طبع هذه المقتطفات من مجموعة بومباى مجلد ٢٤ .

(٣) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ رقم ٣٧ - ٢٠/٩/١٨١٩ بيان و اردن فى ١٣/٨/١٨١٩ .

منطقة الخليج ، هي أطماع السيد سعيد غير المحدودة واطماع والده سلطان بن أحمد مع أن هذا هو الحاكم الذى يقترح نبين اسناد القيادة السياسية لدول الخليج اليه وقد جاء فى بيانه : -

« هل بسبب محاولات السيد سعيد اليأسة أو هل بسبب فشله الدريع فى عملية البحرين أو هل بسبب وضعه المتردى تعد العدة الآن لتنصيبه الزعيم الانسب لتحقيق سياستنا الرامية الى تحقيق الاستقرار فى الخليج ؟ ان المرء لا يحتاج الى كثير من الذكاء السياسى ليفهم بأن تأييدنا لسلطان مسقط فى تحقيق أحلامه فى البحرين سوف يؤدى الى نشر الفوضى والحروب فى المنطقة وتمهيد الطريق الى تجدد اعمال السلب والنهب والقرصنة » .

ولو اننا طبقنا سياسة نبين فى الخليج فانها سوف تؤلب علينا اعداءنا فى الوقت الذى يمكننا ان نكسبهم الى صلفنا خصوصا وأن هؤلاء الأعداء قد اثبتوا أنهم اقوى نفوذا من الامام الذى هو حسب معلوماتى اقل الزعماء العرب شعبية فى الخليج .

فإذا كان لأبد من وجود حليف لبريطانيا فى منطقة الخليج فهناك شيخ ابوظبى وشنيخ الكويت ، فان هذين الزعيمين لم يشتركا فى أى نشاط للقرصنة فى الخليج ، أما بالنسبة لعتوب البحرين فان و اردن لم يطلب لهم بأكثر من معاملة عادلة وبأن اشتراكهم فى اعمال القرصنة مع القواسم انما كان لسبب حبههم للتجارة أكثر من كونه طبعاً متأصلاً من طباعهم ، وبالتالي فلا يجوز أخذهم بجريمة غيرهم . واختتم و اردن تقريره بالتحذير من اضاءة النتائج المحققة للحملة باتخاذ قرارات متسرعة وغير حكيمة .

ومن الأفضل لنا ان نتفادى مثل تلك القرارات وذلك بتكوين فكرة دقيقة وشاملة عن حقيقية المصالح المختلفة المتضاربة لتلك الدول وللثورات

الكثيرة التي شهدتها الخليج . ولقد حاولت جهدى أن أجمع وأقدم مثل هذا التقرير وهذه المعلومات وغيرها من الآراء التي يمكننا على ضوءها أن نتخذ قرارا سديدا فى هذه المسألة ، فالأذا لم تخضع عملية تدخلنا لاحترام حقوق مختلف الدول التي تعيش على سواحل الخليج واذا عمدنا الى اخضاع دولة لأخرى بطريقة عشوائية وعنيفة فاننا سوف نساعد على انتشار المزيد من أعمال القرصنة بدلا من أن نزيل ما هو قائم بينها . اننا ينبغي أن نكسب ثقة العرب ورضاهم من خلال التصرف بالحكمة والعدالة . وأخيرا فان انتهاج خط سياسى مخالف لهذا الخط سوف يجلب علينا عداوة العرب فى منطقة الخليج (١)

غير أن نبين لم يول هذا التقرير الاهتمام الذى يستحقه فقد اعتبر تقارير أمينه الأول من النوع الذى قد يفيد بعض قواد الحملة ، وبالتالي فقد أبلغ المجلس انه متمسك بآرائه التى يؤيده فيها ، كما قال، أكثرية الضباط فى الأسطول وفى القوات المسلحة ممن قاموا بزيارات كثيرة لموانئ الخليج (٢) ولكنه على أى حال أبدى استعدادا لإرسال بياناته وتقريره الى الحاكم العام رغم أنه كان واثقا من أن الحكومة السابقة فى بومباى كانت على اطلاع مستمر بشئون الخليج . غير أن هستنجز لم يكن يشاركه ذلك الموقف ، ففي ٢٨ أغسطس كتب يقول : انه لا يستطيع اتخاذ أى قرار فى المسائل التى احيلت اليه فى شهر يوليو من نبين وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع البحرين قبل استكمال المعلومات فى ذلك الشأن اما اذا كان الموضوع يتطلب سرعة البت فان ذلك من شأن نبين وحده . وعلى أى حال فقد أصر الحاكم العام على نقطتين ، أولهما أن اقامة قاعدة دائمة فى الخليج

(١) محادثات حكومة بومباى رقم ٣٧ مجلد ٤١ - ١٨١٩/٩/٢٠ بيان

• وarden فى ١٢/٨/١٨١٩ .

(٢) نفس الحلقة من بيان نبين ١٨١٩/٩/٦ .

أمر غير مرغوب فيه الا اذا تكفل سلطان مسقط بدفع نفقات تلك القاعدة أو تم تدبير تلك النفقات من مصادر أخرى كعائدات الجمارك مثلا ، وقال بأنه مهما كانت التدابير السياسية التي يرى نبيين اتخاذها بالنسبة لدول القرصنة فإنه لابد وأن يتجنب كل أنواع التدخل في شؤون الدول العربية فيما عدا ما يتصل بتنفيذ الخطط الخاصة بمكافحة القرصنة . (١)

وهكذا جاء الرد على غير ما يهوى نبيين، وبخاصة بعد ان انتقلت موضوعات رسم السياسة الى الحاكم العام ، فبالنسبة للبند الوحيد الذي اتفقت حوله آراء كل من نبيين وأعضاء المجلس وهو انشاء قاعدة دائمة ومرابطة قوة عسكرية فى الخليج ، فقد عارضه هستنجز معارضة تامة . أما بالنسبة للنقاط الأخرى فلم يعط هستنجز رأيه فيها اطلاقا ، وكان يجرى بسرعة وكانت الحملة التي كان يجرى اعدادها فى بومباى خلال صيف ذلك العام قد اوشكت على الإنتهاء ، وكان قائدها فى انتظار التعليمات الخاصة بتوزيع قواته بعد أن تكون القوة قد فرغت من مهمتها ، والواقع أن نبيين لم يكن على خلاف مع أعضاء مجلسه فحسب بل ان مدة خدمته كانت على وشك الإنتهاء ايضا . فقد أخذت صحته تسوء كما كانت أكثرية القرارات الخاطئة التي اتخذها يعود سببها الى تدهور صحته ، وحتى عندما أبلغه الماجور جنرال السير وليم جرانت كبير قواد الحملة فى شهر اكتوبر أنه يستعد للإبحار كان نبيين لايزال مترددا فى موقفه ، ولم يكن أمامه مفر من صرف النظر عن الخطوط الرئيسية للسياسة . وأبلغ القائد كير بأنه سوف يتلقى التعليمات الخاصة بالاهداف السياسية للحملة فيما بعد اما منه شخصيا او من الحاكم الذى سيخلفه . وفى يوم ٢٧/٢٨ اكتوبر صدرت التعليمات العاجلة الى كير بالاقلاع الى زاس الخيمة والاستيلاء عليها وتدمير اسطول القواسم

(١) نفس الحلقة مجلد ٤٢ رقم ٣٨ - ١٨١٩/٩/٢٩ من الحاكم العام

الى مجلس الحاكم فى بومباى - ١٨١٩/٨/٢٨ .

الحربى وجميع مستودعات الذخيرة والمخازن الحربية كما ابلغ بأن يتوجه بعد ذلك الى الشارقة فالجزيرة الحمراء فعجمان وغيرها من سواحل المنطقة ممن لها علاقة بالقرصنة وتدمير المعدات والسفن التابعة لتلك المشيخات ، كما ابلغ كير بأنه قد يحصل على مساعدة من السيد سعيد حاكم مسقط بعد ان أصبح اشتراك ابراهيم باشا فى العملية أمرا مستبعدا . وقد تم ارسال خطاب الى أمير اقليم فارس يتضمن شرحا لاهداف الحملة ودعوة الى الأمير للمشاركة فى العمليات التى سوف تتخذ ضد موانئ القرصنة الواقعة على الساحل الفارسى من الخليج مع التأكيد على احترام حقوق السيادة لفارس ، كما كلف القائم بالأعمال البريطانى فى طهران ببذل أقصى جهد فى وسعه لتطمين حكام فارس من وجود الأسطول البريطانى فى المياه الفارسية بأعداد كبيرة ، وقد حذر كير فى الأوامر التى اعطيت اليه من محاولة استخدام قواته على أى منطقة من الساحل تتعدى المسافة اللازمة لإطلاق نيران مدفعيته على تجمعات سفن القواسم ، وقيل لكير انه بعد أن يقوم بالاستيلاء على رأس الخيمة أن يضع فيها قوة بريطانية ترابط فيها ، وربما تصل معلومات من سادلر عن مدى استجابة ابراهيم باشا لمقترحات الحاكم العام بشأن الاحتلال المشترك للمشيخة ، كما طلب الى كير بأن يقترح موقعا فى الخليج يصلح لإقامة قاعدة بريطانية دائمة (١) .

لم يصل من سادلر أى خبر منذ أن بعث برسائلته من الهفوف والتى ذكر فيها بأنه يعتزم مرافقة القوات المصرية فى طريق انسحابها من الأحساء

(١) محادثات حكومة بومبائى السرية مجلد ٤٢. رقم ٤٥ -
 ١٨١٩/١٠/١٧ من وarden الى كير ١٨١٩/١٠/٢٧ ومجلد رقم ٤٦ -
 ١٨١٩/١١/١ من وarden الى كير ١٨١٩/١٠/٢٨ لقد تقاعد وarden وتسلم منصبه كامين اول عند وصول القائد العام الجديد لجيش بومبائى للفتنات السير شارلس كوفيل والذى كان يشغل منصبه مؤقتا .

وقد بقى أحد الطرادات البريطانية عدة أسابيع على ساحل الخليج فى انتظار أخبار من سادلر الا أنه لم تصل أخبار من داخله البلاد (١) وقد غادر سادلر الهفوف يوم ٢٢ يوليو فى صحبة الفيلق المصرى الذى خرج يشق طريقه ببطء، بينما كانت الجمال تنفق والبدو يتدمرون والترك يسبون ويشتمون ، وقد علم فى المنطقة الواقعة على بعد عشرة أميال جنوب شرق الدرعية بأن حامية السلامة الواقعة الى الجنوب والتي كان من المفروض ان تنضم الى الفيلق الرئيسى قد حوصرت من قبائل محمات مما اضطر نصف افراد الفيلق الى الانفصال والتوجه الى الحامية لفك الحصار عنها وبالتالي فان الفيلق لم يتمكن من الوصول الى الدرعية قبل ٨/١٣ وقد صدم سادلر من الوحشية التى استعملها ابراهيم باشا فى تدمير البلدة فقد سوى تحصيناتها بالأرض وأحرق كل ما كان فيها من مزروعات وحدائق وقال بأننى لم التقي خلال تجوالى فى انقاض تلك البلدة بأثر لآى انسان (٢) .

كان ابراهيم باشا قد غادر المعسكر الى الحجاز ولكن كان من الممكن ان يلحق به سادلر ولذلك فقد قرر ان يمضى اليه ، ولقد ظل الفيلق يسير لعدة أيام فى المناطق الغربية والشمالية من الدرعية خلال منطقة مقفرة ووسط انقاض البيوت والحدائق دون ان يكون هناك وجود لآى انسان ،

(١) ربما كان وجود الطراد سببا لانطلاق تك الاشاعة التى رواها منجى فى مؤلفة تاريخ مصر فصل ٢ ص ١٦٠ - ١٦٢ وهى ان البريطانيين قد قاموا بهجوم فرعى على القطف لدعم ابراهيم باشا واعادة التجارة البريطانية ويروى قلبى فى كتابه (العربية السعودية) (طبعة لندن ١٩٥٥ ص ١٤٨ - ١٤٩) قصة يبدو انها انتشرت داخل البلد عن انزال بريطانى على الساحل والذى ربما كان قد بدأ فى نفس الوقت او خلال زيارة الكابتن واردن لخور حستن فى - مارس ١٨١٠ .

(٢) المذكرات ص ٥٥ .

وعند وصول الفيلق الى الشقرة هرب نصف قبائل بنى خالد بما فى ذلك حرس سادلر بعد أن شاهدوا المصريين يقتربون أعمالا بربرية ضد بعض البدو ، وبعد ذلك ببضعة أيام قام القائد المصرى بطرد بقية أفراد هذه القبيلة واستبقى جمالهم معه، وبعد أن رحل هؤلاء لم يعد هناك أمل لسادلر فى العودة الى الخليج فبدون جمال ومرافقين وبدون حرس ومع اضطراب الحالة فى المنطقة الواقعة لم يكن امام سادلر الا مواصلة السير مع الفيلق وفى يوم ٢٤ أغسطس وصل الفيلق الى عنزه التى «تعتبر من الوجهة الجغرافية والسياسية والتجارية قلب الجزيرة العربية (١) وبعد مضى يومين وصل الفيلق «الرجسى» وهناك علم سادلر أن ابراهيم باشا قد غادر المنطقة الى المدينة فى نفس اليوم الذى وصل فيه سادلر الى عنزه، وقد قرر سادلر عندئذ أن يقطع مهمته ويطلب حرسا لمرافقته الى البصرة ، غير ان نائب الباشا أو السكرتير الاول . . الذى عهد اليه بالإشراف على عملية الانسحاب فى منطقة الرص رفض طلب سادلر بحجة ان الرحلة ستكون شاقة جدا وان كان كما علق سادلر بأن القائد المذكور لم يكن يعرف أى شىء عن جغرافية البلد التى ظل سيده يحارب فيها لمدة ثلاث سنوات ، وكان كالطفل الذى لم يفادر أسوار مدينة القاهرة (٢) . ولاضطرار سادلر البقاء مع الفيلق فقد ظل يسير معه حتى ساءت صحته وانتابته الحمى وتعرض لاهلانات المصريين كما هاجمه البدو وسرقوا ما معه من متاع ونقود ، وأخيرا فى الأسبوع الأول من سبتمبر وصل الفيلق الى مشارف المدينة المنورة وكان فى استقباله أحد رجال الباشا الذى صحبه الى معسكر الباشا فى مدينة بير بالقرب من المدينة .

وفى يوم ٩/٨ كانت اول مقابلة مع الباشا وفى مقابلته الثانية فى اليوم التالى قدم سادلر سيف وخطاب الحاكم العام، وقد أعرب ابراهيم باشا عن

(١) المذكرات ص ٦٦ .

(٢) المذكرات ص ٧٢ .

أسفه بأنه لم يعلم بالخطة البريطانية مبكرا أو قبل ذلك وخاصة أنه كان قد أبدى اتصالا مع السيد سعيد بعد سقوط الدرعية مباشرة ، وأنه قد تلقى منه عرضا بالتعاون معه ضد القواسم غير أنه لم يصله أى شىء من مسقط بعد ذلك الخطاب ، كما قال بأنه لا يستطيع أن يرد ردا قاطعا على مقترحات الحاكم العام قبل احالة الموضوع الى والده محمد على باشا ، ولذلك طلب من سادلر ان يتوجه الى جدة لينتظره هناك حتى وصول محمد على باشا للحج ، وبقي سادلر ينتظر مدة شهر وفى جدة تعرض هناك لاصابة شديدة من الحمى ، فلم يتمكن من مقابلة ابراهيم باشا قبل ٢٩ اكتوبر ، وقد وجد الباشا مترددا ولم يقل سببا حاسما عن موضوع اتصاله بالقاهرة او ان يرتبط باعطاء رد كتابى على مقترحات الحاكم العام ، كما قال بأنه يرغب فى ارسال جواد ومهر كهدية للحاكم العام ولكنه لم يسمح لسادلر بفحصهما ، ثم مرت خمسة عشر يوما دون أن يكون هناك اثر للهدايا او رد رسمى ، وفى ١١/١٢ طرق الباب على سادلر أحد خدم الباشا ومعه جوادان هزيلان وقال بأنهما هدية من ابراهيم باشا للحاكم العام غير ان سادلر اعادهما الى الباشا وقال بأنهما لا يصلحان كهدية لشخص كالحاكم العام . وقد تصور سادلر أن تقديم الجوادين المذكورين كان المقصود منه اهانة الحاكم العام وقد تأكد له هذا عندما أعرب ابراهيم باشا عن استيائه من اعادة الهدية ، وأمر سادلر بمغادرة المعسكر بعد أن انذره بأنه سوف يبعث برسالة احتجاج الى الحاكم العام بعد رجوعه الى القاهرة ويعيد اليه السيف ، وقد غادر الباشا بعد ذلك بوقت قصير الى مصر وترك سادلر يبحث بنفسه عن وسيلة للخروج . ولمدة شهرين ظل سادلر يعيش عيشة الكفاف فى جدة كرجل مسيحي واوربى وسط شعب مسلم معاد له ، وظل على هذه الحال حتى ٢٣ يناير سنة ١٨٢٠ وعندما وصل الطراد برنس اوف ويلز ورسا على شاطئ جدة كانت نهاية لتعاب سادلر . وعلى الرغم من ان المراحل الأخيرة لمهمة سادلر كانت حرجة نتيجة لفرور باشا مصر فاننا لا نستطيع ان نقلل من المكانة المرموقة التى اكتسبها لشجاعته وحكمته بوصفه الاوربى الوحيد الذى

اجتاز شبه الجزيرة العربية من الشرق الى الغرب . (١)

فى الوقت الذى كان سادلر يسعى للحصول على رد من ابراهيم باشا كانت الحملة تشق طريقها الى مياه الخليج بقيادة السير وليم جرانت كير ولقد اقلعت الوحدة الاولى من الاسطول من بومباى يوم ١٨١٩/١١/٣ والتي سبق لها الاشتراك فى الحملة الاولى ضد القواسم. قبل عشر سنوات ، وكانت تتألف من الفرقة ٤٧ والفرقة ٦ والفصيلة الاولى والفرقة الثانية من مشاة بومباى ، وفصيلة بومباى البحرية والفصيلة الاولى والفرقة الثانية وسرية الجناح ٢٤ ووحدة من مدفعية بومباى ونصف عدد احدى فصائل الاستطلاع وكان مجموع القوة كلها ١٠٤٥٣ اوروبى و ٢٠٩٤ كرى هندى (٢) اما سفن الحراسة فكانت تتألف من الطراد ليفربول (٥٠ مدفعا بقيادة الكابتن كولير) والطراد كرار (١٨ مدفعا بقيادة الكابتن واليول) وطراد الشركة الموقرة اورورا ١٤ مدفعا ، اما الطرادات التى كانت موجودة بالفعل فى مياه الخليج ففى الطراد ايدن (٢٥ مدفعا بقيادة الكابتن دوک) وتبين مادت (١٦ مدفعا) ونوتيلوس (١٤ مدفعا) وترنيت (١٤ مدفعا) وسيش (١٢ مدفعا) وابريل (١٠ مدافع) وفستال (١٠ مدافع) وعند وصول الحملة الى خليج عامن ، انشق عنها الطراد ليفربول الذى ابجر الى مسقط يحمل على ظهره قائد

(١) لقد كتب سادلر بنفسه وصفا عن هذه المهمة فى كتابه مذكرات حول رحلة عبر شبه الجزيرة العربية . اما عن سيرته وحياته فى بدايتها او اخرها فيمكن الرجوع الى كتاب « جورج فورستر سادلر » تأليف اف . ام . ادواردز طبعة عام ١٩٥٧ ص ٣٨ - ٤٩ وقد اعتزل العمل من الجيش فى عام ١٨٣٧ واصبح عمدة لبلدته كوك وفى نحو عام ١٨٥٥ هاجر الى نيوزيلندا حيث توفى فى ازلاند يوم ١٨٥٩/١٢/٢ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من الحاكم العام الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٠/٨/٩ .

— ٢٥٣ —

الحملة السير جرانت كير الذى كلف بمقابلة السيد سعيد . ولقد سبق لنبيين ان اوفد فى شهر اكتوبر السير جون اندرو جيركس من جيش بومباى ليستفسر من السيد سعيد عما اذا كان يوافق على رسو الحملة فى جزيرة قشم وتزويدها بالمؤونة وبالزوارق اللازمة لانزال المعدات والمدفعية ، كما كلف جيركس ايضا بابلاغ سعيد بحجم العمليات المنوى القيام بها ، ومعرفة ما اذا كان سيوافق على الاشتراك فيها خصوصا وان اشتراك ابراهيم باشا فى الحملة قد أصبح مستبعدا الان ، ولقد وجد جيركس السيد سعيد على اتم استعداد للتعاون وقال بأنه قد أصدر الأمر بتجميع الخرفان والعجول وغيرها من المستلزمات فى بندر عباس ، بالاضافة الى تجهيز ٧٠ زورفا لانزال الجنود والمعدات كما أبدى استعداده بتسيير ٤٠٠٠ من رجال القبائل الى رأس الخيمة للمساهمة فى الهجوم على البلدة ، كما وعد بأنه سوف يخرج بنفسه على رأس ثلاث سفن حربية و ٦٠٠ الى ٨٠٠ جندي للاشتراك فى الهجوم البحرى على رأس الخيمة وعندما وصل كير الى مسقط فى الاسبوع الثالث من نوفمبر كرر سعيد تلك الوجود للمبعوث .

غادر كير مسقط يوم ١٨ نوفمبر ولحق ببقية الاسطول بعد ثلاثة ايام فى مكان ما من الساحل الفارسى وقد وجد أن بعض السفن لم تصل من بومباى بعد ، ولكنه ابحر الى ساحل القرصنة على الطراد ليفربول تاركا بقية قطع الاسطول تتزود بالماء من جزيرة قشم وكان يرافقه الطراد والسفينة بنارس التى قامت بمسح لمداخل رأس الخيمة ، وكان فصل الرياح الشمالية يقترب بسرعة وكان واضحا ان اى تأخير فى انزال القوات سوف يقضى على نجاح الحملة ولذلك تم ارسال السفينة بنارس الى جزيرة قشم لتستعجل وصول قوارب النقل اللازمة للهجوم ، وفى يوم ٢ ديسمبر كان الاسطول يشق طريقه الى رأس الخيمة بالاشتراك مع فرقاطتين من مسقط مع السيد سعيد ونحو ٦٠٠ مقاتل من رجال القبائل .

منذ الحملة الفاشلة على رأس الخيمة فى نوفمبر ١٨١٦ قام القواسم بتعزيز وسائل الدفاع عن البلدة بصورة مكثفة حيث اقيم حولها سور ارتفاعه نحو (٩) اقدام وعرضه قدمين ، كما بنى سور آخر اقيمت عليه بعض البروج بارتفاع قدره ٢٠ قدما حول البلدة والى الناحية الجنوبية مباشرة انشئت قلعة مربعة بالاضافة الى عدد من البروج الأخرى التى تحيط بالنصف الاسفل من شبه جزيرة رأس الخيمة وكان بعضها يختفى وراء مزارع النخيل ، وقدر عدد المقاتلين فى البلدة فى حدود ٤٠٠٠ الى ٧٠٠٠ رجل وقد وقع الانزال البريطانى التمهيدي يوم ٣ ديسمبر وكان هدفه المنطقة الرئيسية من البلدة كما أحاط الجنود بالمنطقة من البحر وقد انقضى بقية اليوم فى انزال المدافع والمؤن وفى حفر الخنادق ، وفى صباح ٤ ديسمبر بدأ الجنود من الفرقتين ٤٧ ، ٦٥ - تحرشاتهم بالعدو والتوغل الى خطوطه الامامية . وبحلول الظلام كانت القوات البريطانية توغلت الى مسافة ٣٠٠ ياردة من القلعة الرئيسية وبدأت فى قصف القلعة يومه وقد اقترب الطراد ليفربول لقصف المنطقة غير أن القواسم تمكنوا من صد الهجمات بمدافعهم ، وكانوا احيانا يخرجون من خلف تحصيناتهم لمواجهة القصف البريطانى الذى كانت قذائفه تتساقط بعيدا عن الاهداف ، وقد تم انزال مدافع أخرى من الاسطول يوم ٦ ديسمبر لتشديد القصف وفى تلك الليلة قامت مجموعة من القواسم بقيادة ابراهيم بن رحمة اخى شيخ رأس الخيمة بالهجوم على احدى وحدات المدفعية واستطاعت أن تسحب أحد المدافع الهاوتزر ، ولكن مجموعة من الفرقة ٦٥ خفت لنجدة الوحدة بعد نشوب معركة بالسلاح الأبيض قتل خلالها مالا يقل عن ٩٠ من القواسم بما فيهم ابراهيم بن رحمة ، ثم قام القواسم بهجوم آخر قبل الفجر امكن صدّه .

وفى يوم ٧ تم انزال المزيد من المدافع من الاسطول بما فى ذلك فيها مدفعان عيار ٢٤ من الطراد ليفربول . وفى الصباح التالى فتحت المدفعية البريطانية كل نيرانها على الحصن واستمر القصف طوال الليل . وما ان

أشرف اليوم الثامى على الانتهاء حتى كانت أسوار القلعة قد تهشمت وقد زحف الجنود على القلعة ولكنهم لم يجدوا فيها أحدا كما كانت البلدة نفسها خالية تقريبا من السكان الذين تمكنوا من الإفلات ، ويقال أن القواسم خسروا نحو الف رجل بين قتيل وجريح ، خلال القتال الذى استمر خمسة أيام .

اما الجانب البريطانى فكانت خسائره فى الأرواح ضابطا وخمسة جنود ونحو ثلاثة ضباط ، و٩٠ جندي أصيبوا بجراح ، وكان من الممكن أن تكون خسائر القواسم أكثر لو أن الجنود العمانيين الذين أرسلهم سعيد عن طريق البر قد وصلوا فى الوقت المناسب ، ولكنهم وصلوا رأس الخيمة بعد يومين من سقوط البلدة . أما الذين رافقوا السلطان فى رحلة البحر فقد قدموا مساعدة قيمة فى عملية انزال المدافع والمعدات والمؤن من السفن وقد تقدم جسن بن رحمة لتسليم نفسه بعد ظهر يوم ٩ وجاء معه معظم من بقى من رجاله على قيد الحياة . (١) .

لم يكن القتال على ساحل القراصنة قد انتهى بعد ، وفى الوقت الذى كانت الوحدات الرئيسية تقوم بعملها كان اثنان من الطرادات يحاصيران

(١) فيما يتعلق بعملية رأس الخيمة انظر الرسا١ مجلد (٥) من نئين الى جى - دارت (سكرتير مجلس ادارة الشركة) لندن فى ٢٢/٤/١٨٢٠ ومرفق به خطاب كبير الى الادجوتانت جنرال جيش بومباى ورأس الخيمة فى ٩/١٢/١٨١٩ وخطاب كبير الى وarden ١٠/١٢/١٨١٩ والتقرير الادارى للمقيم البريطانى فى الخليج رقم ١/١٩٠ من الكابتن اف.اى كولير الى لاميرال كنج ، ليفربول رأس الخيمة ١١/٢١ ديسمبر ١٨١٩ (ومرفق بخطاب كروكر ٧/١/١٨٢٠ رقم (١٠٥) راجع أيضا «الاسطول الهندي» تأليف لوفصل ١ ص ٣٥١ الى ٣٦٠ وينقل لو عن احد الضباط الذين اشتركوا فى القتال الذى قال بأن السيد سعيد ذكر بأن الجنود وصلوا من من البر قبل نشوب المعركة غير ان هذا يتعارض مع تقرير كبير .

بلدة رمس ، الواقعة على الساحل ، وهى مركز حسين بن على الشهير ونائب الحاكم الوهابى السابق فى ساحل القرصنة . ولهذا تم ارسال الفرقة ٦٥ مع سريات الجناح التابعة للفصيلة الاولى والفرقة الثانية ووحدة داعمة من المدفعية الى رمس لشن هجوم على الشيخ ولكن عند وصول تلك القوات الى البلدة وجدتها خالية من السكان فقد انسحب حسين بن على واتبعه الى قرية العينة على احد المرتفعات على بعد ميلين وهناك تحصنوا فى احدى القلاع القديمة وكانت مشهورة بقوة تحصينها وقد ثبت ذلك فيما بعد ، فعندما وصل القائد كير الى الضيعة اكتشف بأنه لا يمكن اقتحام القلعة الا بعد قتال عنيف ولذلك عاد يطلب امدادات من الفرقة ٤٧. والفصيلة الاولى والثالثة وتم انزال مدفعين كبيرين من الطراد ليفربول وبصعوبة كبيرة امكن نقل تلك المعدات الى نقطة قريبة من المرتفع ، وقام بذلك بحارة الطراد كولو ، وفى يوم ٢٢ ديسمبر كانت وحدة المدفعية قد وصلت الى موقع يمكن منه قصف القلعة وبعد قصف استمر ساعتين امكن فتح فجوة فى القلعة وبعدها استعد الجنود لاقتحامها ولكنهم شاهدهوا علما أبيض يرفرف فوق قممها . ثم بعد ذلك خرج حسين بن على ورجاله وكان تعدادهم ١٦٩ شخصا . وقد تم نقلهم اسرى الى السفن . وقد قتل من البريطانيين ضابط وثلاثة جنود وجرح ١٦ وتوفى احدثهم فيما بعد (١) .

لم تنته مهمة العملة عند ذلك الحد فقد بقيت هناك أعمال أخرى يتحتم انجازها كتدمير جميع تحصينات رأس الخيمة تدميرا تاما وتفتيش جميع الموانئ الى جنوبها بحثا عن السفن التى تكون مخبئة فيها كما تعين على القائد كير أن يتخذ قرارا بشأن مصير الاسرى الذين كان اكثرهم بما فيهم حسين بن رحمة وحسين بن على مرضى أو جرحى . وربما كان الأهم

(١) محادثات حكومة بومباى السرية رقم ٤ مجلد ٤٥ - ١٨٢٠/١/٢٦ من كير الى واردين ١٨٢٠/١/٦ انظر كذلك « الاسطول الهندى » تأليف لوفصل ١ ص ٣٦٠ - ٣٦٦ .

من ذلك كله هو الوصول الى تسوية سياسية تضمن ان لا يعود القواسم الى ممارسة ارهابهم للمياه الواقعة بين البصرة وبومباي ، ولم يتلق كير اى تعليمات حتى ذلك الوقت ، وكان الوقت يجرى بسرعة ، وكان لابد للأسطول من مغادرة المنطقة قبل ان تسوء الأحوال الجوية .

وفى أوائل يناير كان اكابر الشيوخ للمنطقة قد حضروا الى مقر كير لاعلان خضوعهم والاعراب عن صداقتهم ، وكان بينهم سلطان بن صقر شيخ الشارقة وشخبوط بن دياب والد طنحون بن شخبوط شيخ آل بوفلاح فى ابوظبى ، ومحمد بن حزه شيخ دبی وكان لايزال صبيا وقد جاء بصحبة عمه الاكبر بالاضافة الى شيوخ عجمان وأم القوين والجزيرة الحمراء ولكي يكسب الوقت الذى يستطيع خلاله تلقى الأوامر من الهند وليؤكد للشيوخ انهم لن يفلتوا ، وكان كير قد وجه الدعوة الى هؤلاء الشيوخ للحضور والتوقيع على اتفاقيات يسلمون بموجبها جميع السفن التابعة لهم باستثناء سفن الصيد وتسليم اى أسير هندي قد يكون لديهم (١) . وتطبيقا لهذه الاتفاقيات امر كير بعض القوات بتفتيش جميع الموانئ ابتداء من رأس الخيمة حتى دبی . وتم تدمير جميع التحصينات والسفن التى وجدت فى هذه الموانئ وتقدر قيمتها الاجمالية بـ ٨٣٠٢ (اى ما يزيد على ٣٠٠٠٠ جنيه استرليني) (٢) ولما لم تصل الاوامر حتى الاسبوع الثانى من يناير ١٨٢٠ قرر كير أن يفرج عن السجناء بعد أن اخذ سكان رأس الخيمة يتذمرون من احتجاز

(١) يمكن الرجوع لنصوص هذه الاتفاقيات الى اتشيمون (المعاهدات).

جزء ١٠ ص ١٢٢ - ١٢٧ .

(٢) محادثات حكومة بومباي السرية رقم ٨ مجلد (٤٥) ١٨٢٠/٣/١ من كير الى وarden ١٨٢٠/٢/٧ ووثائق بومباي السرية مجلد ٨ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٢/٧/٣١ (رقم ٣ - الدائرة السياسية) وقد تم توزيع جزء من هذا المبلغ كمكافأة على البحارة والجنود .
(١٧ - بريطانيا والخليج)

- ٢٥٨ -

شيوخهم خصوصا وانهم فهموا من شروط المعاهدة التمهدية أنه سيفرج
من شيوخهم خلال بضعة أيام سيما وأن احتجاز الرجال القادرين كان يسبب
متاعب لاسرهم .

يوم ٨ يناير استدعى كير حسن بن رحمة وأبلغه بأن قرار احتجازه
يقوم على اساس انه الشيخ المستول فى رأس الخيمة ثم قدم له مسودة
معاهدة للسلام كان كير قد أعدها بالاشتراك مع معاونيه وتنص ديباجة
المعاهدة على ما يلى :

(بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله الذى جعل السلام بركة على
الناس ، وانه بناء على ذلك يتفق الطرفان على توطيد السلم بين الحكومة
البريطانية والقبائل العربية الموقعة على هذا العقد وذلك على الشروط
الآتية) (٣) .

الشرط الاول (المادة ١) تقرأ كما يلى (يجب الامتناع عن جميع اعمال
النهب والقرصنة على البر وفى البحر من جانب العرب الموقعين على هذا
الاتفاق الى الابد ، وتوضح (المادة ٢) من الاتفاق «مفهوم النهب والقرصنة»
بانها : اى عمل من أعمال العنف التى تقترف فى أوقات السلم من جانب
أى دولة وأن كل من يرتكب عملا كهذا قد أهدر حياته وحقوقه . وتضمن
البند الثالث الى السادس توضيحا للأجراءات التى يرى القائد كير ، انها
سوف تضع حدا لأعمال القرصنة ، وكان قد طلب الى كير فى التعليمات
التي ارسلت اليه بأن يقرر ما اذا كان من المناسب وضع أنظمة للملاحاة تلتزم
بها القبائل البحرية ويمكن بموجبها للاسطول البريطانى تحديد هوية السفن
العاملة وتحديد تسليحها وتفتيش مواهبها وقد اقترح كير أن ترفع سفن
القراصنة علما ابيض عليه خط أحمر كعلامة مميزة لها سواء كانت مبحرة
او راسية فى الميناء ، وكان كير يرمى من وراء اقتراحه هذا أن يكون العلم

انظر معاهدات جزء ١٠ ص ١٢٧ .

هو رمزاً للعلاقات السلمية القائمة بين القبائل من ناحية وبين الانجليز من ناحية اخرى ، كما تنص المعاهدة على ان تحمل كل سفينة سجلاً وتصريحا بالسفر (اذن خروج) يوقع عليه شيخ المنطقة ويبين فيه حمولة السفينة ونوع تسليحتها ومنشأتها ووحدها ، وعلى ربانها هذه السلن ابراز هذا التصريح للطرادات البريطانية عندما تقوم بتفتيشها على ان يجدد هذا تصريح سنويا ويصدق عليه ممثل من قبل الحكومة البريطانية .

وقد تناولت بقية الاتفاقية فى بنودها الخمسة موضوع التزام قبائل ساحل الخليج بمبادئ السلوك الانسانى فى تعاملها مع بعضها البعض، فنصت الفقرة الثانية التى كتبت (وذكريات فظائع القواسم لاتزال حية فى الأذهان) على حظر اعدام الأسرى ، كما نصت على القيام بعمل مشترك بين القبائل والحكومة البريطانية ضد كل انتهاك لهذا الالتزام ، كذلك اشتملت الاتفاقية على نص مشابه فى حالة ارتكاب أعمال القرصنة العادية بموجب المادة السابعة . أما المادة التاسعة فقد نصت على حظر نقل العبيد من افريقية بقصد الاتجار ، وقد اختتمت الاتفاقية بنودها ببند ينص على استخدام موانئ الهند لسفن القبائل البحرية للاغراض التجارية وموانئ الدول الحليفة للحكومة البريطانية أمام السفن (١) .

وفى يوم ٨ من يناير وقع حسن بن رحمة وشيخ الجزيرة الحمراء على معاهدة السلام العادية كما سميت فيما بعد ، أما الشيخ شخبوط بن دياب حاكم ابوظبى فقد وقعها بالنيابة عنه ابنه طحنون فى اليوم الثالث من ابرامها ، كما وقع عليها شيخ رمس حسين بن على وعم شيخ دى بتاريخ ٢٨ من يناير . وفى نفس اليوم تلقى كير التعليمات التى كان ينتظرها وقد

(١) المعاهدات « تأليف اثشيسون » جزء (٢) ب ص ١٢٧ - ١٢٩ .

صدرت من بونشتورت الفينستون الذى خلف نين كحاكم على بومباى بعد وقت قصير على خروج الحملة ، وقد تضمنت التعليمات التى ارسلت الى كير توصيات الفينستون التى تضمنها خطابه الى الحاكم العام بتاريخ ١٨١٩/١٢/١٥ حول السياسة التى يتعين على القائد كير اتباعها فى الخليج ، وهى لم تضن تختلف اختلافا كبيرا عن تعليمات سلقه . وتضمنت التعليمات رأى الفينستون فى أن السبيل الوحيد لتصفية القرصنة فى الخليج هى فى اخضاع السفن للتفتيش بشكل منظم من قبل الاسطول البريطانى ، وفى تدمير معازل القراصنة تدميرا تاما وتعيين مندوب بريطانى محلى فى رأس الخيمة ليقوم بالتأكد من السفن المعاملة ، وفى تشجيع الروح التجارية بين القواسم وربطهم بالمؤثرات الحضارية الحديثة عن طريق حثهم وتشجيعهم على القيام بزيارات الى موانئ الهند للأغراض التجارية وقد اقترح الفينستون عزل حسن بن رحمة من المشيخة وتنصيب خليفة له يكون على استعداد للعمل بموجب هذه القرارات . اما اذا لم يكن هناك شيخ يرضى بالعمل على اساس هذه التوصيات ، فيعهد الى سلطان مسقط بالاشرف على بلدان الساحل وقيام أسطوله بحراسة سواحل المنطقة ومداخلها .

(١) ولد الفينستون عام ١٧٧٩ وهو الابن الرابع لعمدة اسكوتلندى ، وقد التحق بالعمل فى الشركة ككاتب فى مكاتب الشركة بالبنغال وكان عمره اذ ذلك ١٥ عاما ووصل الى الهند فى فبراير ١٧٩٦ وقد تبناه وليسلى وبعد ذلك بوقت قصير عين مساعدا للمقيم فى بونا عام ١٨٠١ ثم فى ناجيور عام ١٨٠٤ وفى عام ١٨٠٨ اختاره منستو لرياسة البعثة البريطانية الى كابل ومنذ عام ١٨٢٧ عمل مقيما فى بونا وفى نهاية الحرب الثالثة للمهراتنا عين محافظا للمقاطعة دكنى وكان تعيينه فى بومباى خيبة أمل كبيرة لجون مالكولم الذى يأمل ان يحتل المنصب .

(٢) محادثات حكومة بومباى السرية حلقة ٥٣ مجلد ٤٣ بتاريخ ١٨٣٩/٤٢/٣٥ من الحاكم الى الحاكم العام بنفس التاريخ .

عند استلام كير لهذه التعليمات التي وصلته متأخرة جدا لم ير فيها
 أى شيء ذى أهمية ، وفى رده على الفينستون توخى ان تحظى التسوية
 التي توصل اليها على موافقته غير ان الفينستون لم يوافق عليها ، وكان
 كير قد توقع تلك النتيجة منذ مغادرة السيد سعيد للمنطقة قبل التوقيع
 على المعاهدة بأسبوعين نتيجة سياسة الليونة التي أظهرها كير تجاه
 القواسم كما ان معارضة الفينستون للاتفاقية ، وان كانت قد صيغت
 بصيغة مقبولة ففدلقيت معارضة عنيفة، ففى الوقت الذى أشاد الفينستون
 بالاعتبارات الانسانية التي أملت على كير اطلاق سراح الأسرى وشيخى
 القراصنة حسن بن رحمة وحسين بن على ، الا أنه كان يعتقد بأن الزعيمين
 لم ينالا من العقاب ما يتناسب مع حجم الفظائع التي ارتكباها ، وكان يرى
 بأن نقاط الضعف فى الاتفاقية هى القوانين التي فرضها كير لتنظيم حركة
 الملاحة لأنها لم تتضمن قدرا كافيا من الضمان عن سلوك القراصنة فى
 المستقبل ، فالسجلات والتصاريح التي نصت عليها الاتفاقية ليست
 ضمانات كافية بالنسبة للنشاط الملاحى غير المشروع ولعل الميزة الوحيدة
 لهذا البند هى أنه تحدد الميناء الذى خرجت منه السفن وقال الفينستون
 هتهدمكا بان الخطر لا يأتى من الموانى التي تغادر منها السفن التي ظلت تهددنا
 طيلة هذه المدة (١) ولما كانت السفن التي تمارس القرصنة تزود عادة
 ببعض الأوراق الا ان المعاهدة لا تنص على فرض عقوبة على السفن التي
 تزور الأوراق او التي لاتحمل شيئا من التصاريح وكان الاجدى بالقائد كير
 ان يحصل على موافقة شيوخ المنطقة على تجديد حجم السفن كما جاء فى
 التعليمات الاصلية الصادرة فى اكتوبر ١٨٠٩ . ولو انه حصل على التعهد
 لتمكن الاسطول البريطانى من التغلب على هذه المشكلة وكان يجب ان
 تتضمن الاتفاقية نصا أكثر تحديدا من النصوص التي وردت فى المادة

(١) محادثات بومباى السرية رقم ٦ مجلد ٤٥ - ١٨٢٠/٢/١٦ من

واردن الى كير بنفس التاريخ .

الخامسة والتي تقول انه اذا التقت بعض السفن البريطانية او غيرها من السفن بسفن القراصنة فينبغى على الاخيرة ان تبرز دفتر السجل وتصريح السفر كما انه من حق الطرادات البريطانية أن تستولى على جميع السفن التي تزيد حمولتها على الحد المتفق عليه فى المعاهدة وبدون حق النص على هذا الحق فان بنود الاتفاقية التي كانت تبدو مكاسب فعلية كالتعهد بالامتناع عن ممارسة القرصنة وتجارة الرقيق لم يجد الفينستون فى نصوص الاتفاقية اى فائدة حقيقية وكان المفروض فى كير أن يمنع بناء السفن المسلحة ابناء رأس الخيمة ، كما كان مفروضا من الفينستون بأن يصدر قرارا يحظر الاخشاب من الهند الى ساحل القراصنة غير ان الوقت كان قد انتهى ، وهذا ما صرح به كير وبالتالي لم يكن امامه فرصة لتغيير الاتفاقية كما لم يكن امامه الا أن يطلب من الحاكم العام للهند التصديق عليها .

وسبب انتقادات الفينستون للمعاهدة العامة يرجع الى حد ما الى الرسالة الخاصة التي تلقاها من الكابتن طومسون ، المترجم العربى للحملة والذي ابدى شكوكه فى فعالية القوانين البحرية التي وضعها كير ، وعلى الرغم من أن طومسون كان قد وافق على أن تصاريح السفر قد تساعد على مراقبة سفن القراصنة الا انه لم يكن يعتقد بأن تلك القوانين ستكون قوانين فعالة ، الا اذا عهد للمعتمدين البريطانيين المقيمين فى تلك الموانئ بتفتيش السفن والاوراق التي تحملها . وعلى اى حال فانه يبدو ان الفينستون قد فاته أو انه تجاهل بعض النقاط ، ولكن طومسون كان يؤيد فرض القيود التي فرضت على تسليح السفن او على حمولاتها مما كان الفينستون يرغب فى فرضها ولكن لم ترد فى التعليمات التي وصلت الى كير فى البداية كما انها كانت قيودا غير واقعية ، سيما أن القرصنة كانت تمارس بكل الوسائل وبكل انواع السفن ، والاسلحة التي تحملها سفن القرصنة عادة لا تتعدى مدفعا واحدا صغيرا ، اما فيما يختص بالتسليح الشخصي فان العرب عادة يتسلحون سواء فى البر أو البحر وسوف يستمرون على ذلك مهما كان

موقف الحكومة البريطانية . كما قال طومسون بأنه ليس هناك حل لهذه المشكلة اذا تعذر التمييز بين السفن التي تمارس القرصنة والسفن العادية ، فالسفن جميعها سواء تلك التي تمارس القرصنة وأعمال السلب والنهب هي سفن مسلحة . فاذا كان الهدف من تشجيع البريطانيين للقبائل العربية الساحلية على تعاطى التجارة هو القضاء على القرصنة فان طومسون يتساءل ، كيف يمكنهم ذلك اذا ما فرضت قيود على تسليح السفن ، ان هناك قطاعا برمائيا من الافراد متورطون فى أعمال القرصنة وبالتالي فان تدمير سفن هؤلاء الأفراد لن يكون اجراء تعسفيا فحسب والما سوف يؤدي الى القضاء على القدرة الطيبة التي يمثلها هؤلاء الناس . (١) لم يتسلم كير تعليمات الفينستون الا بعد ان انتهت الحملة وكان فى طريق العودة الى بومباي وعند وصول كير الى بومباي دافع بجرارة عن طريقته فى ادارة الحملة ، وعن المعاهدة التى عقدها مع شيوخ المنطقة ، وقال بأن المادة الثانية من الاتفاقية تتضمن أقصى حد للعقوبة ، وهى اهدار حياة الشخص واهدار ممتلكاته ، اما بالنسبة لفرض قيود على حجم وتسليح السفن فان ذلك سوف يرغم الحكومة البريطانية على الدفاع عن القبائل التى وقعت على المعاهدة ضد أى عدوان عليهم من الدول التى لا تخضع سفنها لتلك القيود، اما بالنسبة لحظر تصدير الاخشاب اللازمة لبناء السفن فان هذا الموضوع يخص السلطات البريطانية فى الهند ، ولم يكن ثمة داع لاضافته فى الاتفاقية ، اما فيما يتعلق بمعاملة زعماء القرصنة فقد ذكر كير للحاكم بأن

(١) لقد اثار الحاكم هستنجز هذه النقطة بالذات عند تصديقه على المعاهدة فى بداية ابريل (انظر محادثات بومباي السرية رقم ١٣ مجلد ٤٦ تاريخ ١٨٢٠/٥/٣ ، س س . اف متكاف (سكرتير الحاكم العام) الى وأردن بتاريخ ١٨٢٠/٤/٣ .

جميع الزعماء فيما عدا حسين بن علي قد حضروا اليه برغبتهم وعلنوا ولاءهم له غير أنهم لم يكونوا ليفعلوا ذلك لو أنهم علموا مسبقاً بالقيود البحرية المشددة التي فرضها الفينستون ، كما ذكر بأنهم لو لم يتقدموا اليه سلمياً لأضطر الى أن يخوض حرباً طويلة معهم ، وقد تؤدي الى الحرب في الداخل ، كما أن التعليمات التي تلقاها لم تكن تسمح له بذلك كما قال كير بأنه لو حاول استبدال بعض هؤلاء الشيوخ بآخرين فان ذلك سوف يلزم بريطانيا بتأييدهم وبالتالي مزيد من التدخل في المنطقة . (١)

وعندما علم الفينستون بالتسوية التي توصل اليها كير مع شيوخ القرصنة قرر القيام ببعض الخطوات لانقاذ ما يمكن انقاذه من خطة كير ، فطلب من سلطان بن صقر بأن يوافق على اضافة القيود الى البند الخاص بحمولات السفن ونوعية تسليحها (٢) مقابل تنصيبه شيخاً على رأس الخيمة ، وقد ارسلت هذه التعليمات غير أنها وصلت متأخرة اليه بحيث تعذر عليه أن يقوم بتنفيذها ، وقد اشار كير فيما بعد بان القضاء على القرصنة في الخليج لم يكن يعتمد على كثرة القيود والقوانين والموانع اكثر مما كان يعتمد على يقظة الاسطول والقوة العسكرية المتوافرة لدى حكومة بمباي ، للحفاظ على أمن الخليج (٣) .

وإذا نظرنا الى التسوية بأثر رجعي فانها تعتبر تسوية سليمة وتتسم بالروح الانسانية والاريفية ويعود الفضل في ذلك الى كير وانطلاقاً من نظرة كير الى اوضاع القواسم وحياة البؤس والشقاء التي كانوا يعيشونها ، وشحة المورد ، ونظرة العداة التي كان ينظر بها جيرانهم اليهم ، كل هذه

(١) دليل الخليج جزء ١ ص ٦٧٣ - ٦٧٤ تأليف لورمار .

(٢) نفس الحلقات محادثة رقم ٦/مجلد ٤٥ - ١٦/٢/١٨٢٠ من واردين

الى كير بنفس التاريخ .

(٣) دليل الخليج جزء ١ ص ٦٧٣ - ٦٧٤ تأليف لورمار .

الاعتبارات اثارته فيه شعور العطف والتسامح نحوهم ، وكان كير يعتقد بان
معاملة القواسم بطريقة انسانية كريمة بعد الحملة التأديبية سوف تساهم
الى حد كبير في تغيير موقفهم تجاه الحكومة البريطانية التي كانت قد صممت
على محو كل اثر للقرصنة بدلا من اتباع سياسة القوة والبطش والانتقام
ضدهم وقد اثبتت الايام صحة موقفه .

فى الاسبوع الأول من عام ١٨٢٠ كانت مهمة كير فى ساحل القرصنة قد
انتهت تماما وامكنه توجيه اهتمامه للساحل الفارسى . وبالنسبة لهذا
الموضوع فان المشكلة الرئيسية لم تكن معارضة الدول البحرية التي تمارس
القرصنة وانما معارضة حكومة فارس الشديدة لآى عمليات على ساحل
فارس ، غير أن التعليمات كانت واضحة وصريحة بمهاجمة جميع الموانئ
التي تنطلق منها أعمال القرصنة مهما كان موقف حكومة فارس من الموضوع،
وقد طلب الى الكاتبن هنرى ويلوك الاتصال بالشاه حول هذه المسألة والوصول
الى اتفاق معه حولها .

تناول ويلوك الموضوع مع وزراء الشاه فى اجتماعه بهم يوم
١٨١٩/١٢/٢٢ وبعد أن أطلعهم على الخطوات التي كانت تنوى حكومة
بومباى اتخاذها لردع القراصنة أينما وجدوا فى الخليج طلب من حكومة
فارس بالاتدع العابثين بالأمن أن يفلتوا من العقاب لمجرد كونهم يقيمون أو
يقطنون على أرض فارسية غير أن الحكومة الفارسية اعتبرت ذلك تدخلا
يجرح كبرياءها وكان رد الشاه بأنه لا يعلم عن أى أعمال للقرصنة يقترفها
رعاياه وأنهم حتى لو حدث وهاجموا بعض السفن التي ترفع العلم البريطانى
فان الاجراء السليم أمام الحكومة البريطانية ، هى ان تطلب من الشاه تعويضا
عن ذلك ، لا أن تلجأ الى اتخاذ عمليات معادية ضد حرمة اراضيه ، غير ان
ويلوك ذكر وزراء الشاه بأنه سبق للحكومة البريطانية أن تقدمت بعدد من
الشكاوى الى أمير اقليم فارس عن اعتداءات قام بها الرعايا الفرس ضد
السفن البريطانية غير أنها لم تحصل على أى فائدة، لان أمير فارس لم يكن

يمارس اى نفوذ على قبائل الساحل (١) وبعد ذلك بأسبوع تلقى ويلوك تبليغا من حكومة فارس بأن الشاه قد بعث بأوامره الى نجله أمير شيراز لتقديم كل مساعدة ممكنة للحملة غير أن ويلوك قد راودته الشكوك فى جدوى مثل تلك الأوامر لأن الشاه كان يهيمه مركزه أكثر مما يهيمه شىء آخر ، وأنه سوف يتخوف من الحملة فلا يقدم اى مساعدة فعالة لهم (٢) .

وكانت شكوك ويلوك فى محلها ، فعلى الرغم من أن حسين على ميرزا قد بعث برسالة الى القائد كبير عند وصول الحملة الى الخليج يرحب فيها بالاجراءات التى اتخذت لردع القراصنة ، ويعرض استعداداه لتقديم المؤن ، فإن الرسالة التى وصلت كير فيما بعد ، اى بعد احتلال رأس الخيمة ، كانت فاترة فى عباراتها الى حد كبير (٣) . وفى رسالة ثالثة كتبها الامير الى ويلوك ، كانت اللهجة عنيفة ، وجاء فيها بالنسبة لقواسم لنجة مايلى ... ان ميناء لنجة تابع لمقاطعة فارس ، وأن سكانها هم رعايا اوفياء للشاه ...

(١) محادثات حكومة بومباى السرية رقم ١٠ مجلد ٤٦ تاريخ ١٨٢٠/٤/٥ من ويلوك الى حاكم بومباى ١/١/١٨٢٠ وقد ارفق به محاضر اجتماع هنرى ويلوك وقد اظهر ويلوك تعاطفه مع الشاه ووزرائه الذين لم يسبق لهم ان واجهوا مثل هذا الموقف وكانت الاشارة التى تضمنها خطاب كير فى حقهم اشارة لم يسبق لاي مسئول ان ذكرها فى حقهم طوال مدة خدمة كير فى فارس .

(٢) محادثات بومباى السرية مجلد ٨ تاريخ ١٨٢٠/٣/١ من ويلوك الى كير ١٨١٩/١٢/٢٩ ومرفق لخطاب كبير الى واردين ١٨٢٠/٢/٧ .

(٣) محادثات بومباى السرية مجلد ٤٥ رقم ٨ - ١٨٢٠/٣/١ من ويلوك الى كير ١٨١٩/١٢/٢٩ .

وعليه يتعين عليكم طالما تقيمون فى الخليج بأن تصدروا أوامركم بعدم (٣) التعرض لآى من سكان الموانى البحرية فى فارس ولنجة ، وعلى الرغم من ان كير لم يكتثر بهذا التحذير فقد قرر أن يقوم فى الأسبوع الأول من فبراير بعمليات استطلاع فى الساحل الفارسى قبل بدء عملياته . غير انه قبل ان يغادر رأس الخيمة وصلت أخبار تذكر بأن بعض وحدات الاسطول قد بدأت بالفعل عملياتها على الساحل الفارسى . ولقد صدرت الأوامر الى الكابتن ويلوك ، قائد الطراد ايدن ، بالتوجه الى البحرين يوم ٣ يناير ، برفقة الطراد كارلو والسفينة نوتلس ، لمطاردة أى سفن للقواسم توجد فى ميناء ذلك البلد ، وخلال عودة ويلوك بلغه أن عددا من سفن القرصنة قد لجأت الى ميناء أمالى على الجانب الفارسى للخليج ، وعلى ذلك الأساس قرر أن يتأكد من هذا الموضوع . وبالبحث وجدت ثلاثة سفن راسية فى أمالى اثنتان منهما جاءت من ميناء خرك والثالثة من دى ، ومن طريقة تسليح تلك السفن شك ويلوك ، بأنها سفن للقرصنة . ولذلك أمر بحرق السفينتين وقطر السفينة التى جاءت من دى ، كما التقى بسفينتين أخريين مسلحتين فى ساحل كانجون ، وقد جاءتا من لنجة ، وأمر بحرقهما أيضا ، لشكه فى انهما من سفن القرصنة . وقد احتجت حكومة فارس على اجراء ويلوك ، واعتقد كير أن ويلوك لم يتأكد تماما من نوعية السفن التى أمر بتدميرها ، وعلى هذا الأساس رأى كير أنه قبل اتخاذ أى اجراء ضد الموانى الفارسية لابد من دراسة الموضوع دراسة شاملة للتأكد من بطلان الاتهامات التى توجه اليهم فى هذا الشأن، ولقد أحال كير الموضوع الى القومندان بروسى ، المقيم البريطانى فى بوشهر ، بينما أبحر هو

(١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من حسين على ميرزا الى القائد كير شيراز ٩ ربيع الاول ١٢٣٥ الموافق يناير ١٨٢٩ وقد ارفقت نسخة من هذه الرسالة فى خطاب كير الى واردن بتاريخ ١٠/٢/١٨٢٠ .

للقيام بعملية استطلاع للساحل الفارسي وفقا للخطة التي وضعها ، بعد أن أعطى التعليمات الخاصة بعمليات نقل القوات التي أمر بأن تلحق به بأسرع ما يمكن .

وقد وجد بروسي أن هناك حالتين فقط ارتكبتهما قبائل الساحل الفارسي ضد السفن البريطانية ، احدهما هي قيام سكان خرك بنهب سفينة تحطمت بالقرب من جزيرة قيس في عام ١٨١٤ ، والاخرى قام بها بعض العرب من سكان لنجة في عام ١٨١٥ ، وفي كلتا الحالتين كانت هناك ظروف استثنائية لأن شيخ جزيرة خرك قد ساعد في انقاذ حمولة السفينة الاولى واما في الحالة الثانية التي قام بها سكان لنجة فقد كان الميناء في ذلك الوقت تحت سيطرة سلطان بن صقر ولم يكن تحت سلطة شيخها الحالي محمد بن قضيب . وقد أنهى بروس خطابه بقوله « لقد ظلت الموانئ الفارسية تقاوم محاولات القرصنة لضمهم الى صفوفهم غير اني أشك في أنهم كانوا سيتعاونون مع القرصنة لو أنهم وجدوا مساندة حقيقية من رؤسائهم في حكومة شيراز (١) . وبالتالي فلم يكن أمام كير الا ان يصرف النظر نهائيا عن مهاجمة الموانئ الفارسية وكان هذا يعني ان الدور التأديبي للحملة قد انتهى ، ولهذا أمر كير سفن النقل التي كانت تقل الجنود الأوربيين ، وكانت راسية في ميناء قيس ، بأن تبحر الى بومباي وكان ذلك في الأسبوع الأخير من فبراير ، أما كير نفسه فقد أبحر الى ساحل القرصنة بمن بقي معه من أفراد الحملة لكي يشرف على العمليات النهائية هناك .

وقد نتساءل هنا ما الذي دعا كير الى شن الهجوم على الموانئ الفارسية في الوقت الذي لم يكن متأكد من اشتراكها في عمليات القرصنة ، والجواب

(١) محادثات حكومة بومباي السرية. مجلد ٤٥ رقم ٩ - ١٨٢٠/٣/٨
من بروس الى كير ١٨٢٠/٢/٢٠ وقد ارفق نسخة من هذه الرسالة في خطاب كير الى وarden بتاريخ ١٨٢٠/٢/٢٤ .

هذا السؤال نجده في اجابة ايفان نبين الذي كان يعتقد بأن أغلبية القبائل البحرية للخليج هم قراصنة ، وذلك يعود الى قلة المعلومات التي كانت في حوزته وحوزة حكومته عن الوضع في الخليج ، وقد جاء في التقرير الذي رفعه الكابتن تايلور عام ١٨١٨ ، وكان وقتها يشغل منصب المقيم البريطاني في البصرة بأن عددا من الموانئ الواقعة على الجانب الفارسي للخليج كان سكانها يتعاونون مع القواسم ، ولكن يبدو ان هذا الرأي كان مبنيًا على الافتراض فقط وهو رأي كان يؤيده في نفس الوقت ايفان نبين ، وهو على أساس أن سكان الموانئ الفارسية من أصل عربي عموما ، ومنهم كثير من القواسم ، ولما كان بعضهم واقعا تحت سيطرة النفوذ الوهابي فانهم لا بد وأن يمارسوا عمليات القرصنة مثل غيرهم من العرب من أبناء بلدتهم ، وقد ايد الفنستون فكرة الهجوم على الموانئ الفارسية ، كما ايدها نبين غير انه عندما علم برد فعل الحكومة الفارسية عن العمليات المقترحة اعاد النظر في موقفه وفعل كبير مثله فهو لم يؤيد موقف كبير تأييدا مطلقا فحسب وانما اصدر أمرا باتخاذ الخطوات الفورية لتعويض أهالي فارس الذين دمرت سفنهم خلال تلك الأحداث (١) .

ولم تتضمن التعليمات التي أرسلت الى كير في شهر اكتوبر ١٨١٩ أى اشارة الى عمليات ضد البحرين ، لأن نبين وبقية اعضاء المجلس لم يتفقوا على السياسة الواجب اتباعها تجاه تلك الامارة وقد تناول الفنستون الموضوع في شهر ديسمبر ١٨١٩ ، وأدرك بسرعة أن خطة نبين لاختضاع البحرين لنفوذ سلطان مسقط لم تكن سياسة حكيمة ، وبالتالي فإن سياسة الحياد التي ينأى بها كبير الامناء واردين كانت هي الاصحوب ، وقد أوضح الفنستون هذا الرأي بقوله : ... اننا يجب أن نعارض أى خطوة لاحتلال البحرين،

(١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٤٦ رقم ١٠ بتاريخ

١٨٢٠/٢/٥ محضر من اعداد الفنستون ١٨٢٠٤٣/١٥ .

وذلك بأن نوضح لحاكمها أنه طالما استطاع أن يمنع رجاله من ممارسة أعمال العدوان والسلب في البحار وأستمروا في ممارسة نشاطاتهم التجارية المشروعة التي اعتادوا عليها فإن موانئ الهند سنوف تبقى مفتوحة أمام سفنهم ، كما يمكنه أن يتوقع من الحكومة البريطانية كل تشجيع ومعاملة ودية ، وعلى العكس من ذلك إذا ظهرت أي ميول عدوانية من جانب رعاياه فإننا سوف نضطر إلى اتخاذ الإجراءات الردعية (١) ضدهم .

ورغم وضوح هذه التصريحات ، إلا أنها لم تكن تعكس موقف الفنستون الكامل من الموضوع ففي نفس التاريخ الذي قدم فيها الفنستون مقترحاته إلى الحاكم العام كتب إلى ويلوك في طهران يقترح عليه محاولة كسب ود الشاه عن طريق التلميح له بأن الحملة على القرصنة قد تسفر عن استعادته لبعض الموانئ والجزر التي انفصلت عن فارس إبان المد الوهابي في الخليج ، وبأن بريطانيا قد تتوسط له في الحصول على اعتراف من شيوخ آل خليفة بسيادته على جزر البحرين بشرط أن لا يكون للبريطانيين دور في المفاوضات التي ستجرى بهذا الشأن وبشرط أن يبقى آل خليفة حكاما للبحرين ، وكان الفنستون على يقين من أن السيد سعيد سوف يتقبل بروح ودية رفض مطالبه بشأن البحرين ، وجاء في رسالة الفنستون للحاكم العام « اننا نأمل الا نلاقى أدنى صعوبة في اقناع السيد سعيد بأنه من الأفضل له العمل على تدعيم وتقوية موارده وممتلكاته الراهنة بدلا من اضعافها عن طريق سياسة التوسع والضم (٢) .

-
- (١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٤٣ حلقة ٥٣ -
 ١٨١٩/١٢/١٥ من مجلس الحاكم إلى الحاكم العام بنفس التاريخ .
 (١) محادثات حكومة بومباي السرية سلسلة رقم ٥٣ مجلد ٤٣ -
 ١٨١٩/١٢/١٥ من الحاكم إلى مجلس الحاكم العام بنفس التاريخ .

ان سبب تردد الفنستون يعود الى اقتناعه بأن وجود قاعدة بريطانية دائمة فى الخليج شرط أساسى للقضاء على أعمال القرصنة . فاذا أمكن كسب ود الشاه عن طريق الحصول على اعتراف من شيوخ آل خليفة بسيادة فارس على الجزيرة من غير أن يمس ذلك الاعتراف استقلال الشيوخ فان ذلك سوف يشجع الشاه على التنازل لهم عن احدى الجزر التابعة له على الساحل الفارسى ، والأفضل ان تكون تلك الجزيرة هى جزيرة قشم حتى يتسنى استعمالها كقاعدة للاسطول البريطانى ، غير ان الأمور سارت على غير ما توقع الفنستون . . . :

وقبيل مغادرة السيد سعيد رأس الخيمة سأل كير عما اذا كان ينوى التوجه الى البحرين فأجابه كير بأنه لم يتلق أى تعليمات بهذا الخصوص . وعندئذ عاد السيد سعيد يسأل عما اذا كان لدى حكومة بريطانيا أى اعتراض على قيامه بضم البحرين اليه ، فرد كير بأن السيد سعيد حاكم مستقل ومن حقه أن يتصرف كما يشاء ، غير أن ذلك الرد لم يصادف هوى السيد سعيد فقد كان يتوقع أن يعرض كير مساعدته فى احتلال البحرين . وبذلك لم يعد أمامه غير العودة الى التفاوض مع امير اقليم شيراز للقيام بحملة مشتركة لاختضاع البحرين .

وقد زار مبعوث للشاه السيد سعيد فى رأس الخيمة يوم ٢٥ ديسمبر كما زاره مبعوث آخر فى مسقط بعد عودته مباشرة فى الأسبوع الثانى من يناير .

ويبدو أن الامير هو الآخر متلهفا لحياء فكرة الحملة المشتركة، وعلى الأخص أنه لم يكن يعرف حقيقة نوايا كير بالنسبة للبحرين (١) . وقد أعرب حسين ميرزا فى رسالة بعث بها الفنستون اثناء وجوده فى رأس الخيمة عن قلقه ازاء خطط كير بالنسبة للجزيرة ، وتحدث عن وجود جيش

(١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من كير الى ويلوك يناير ١٨٢٠ .

قوى مزود بكافة أسلحة الحرب تم حشده للاستيلاء على البحرين ، وأن الجيش أصبح على أهبة الاستعداد للزحف الى منطقة الساحل (١) ثم وردت رسالة أخرى منه فى بداية يناير يقول فيها انه سوف يصل كنجون فى منتصف الشهر ليتحرك منها الى البحرين ، وقد اقترح الأمير فى رسالته انه بالنظر الى تقارب الآراء والتفاهم القائم بينهما فانه ، أى كير ، قد يحتاج الى مهلة ليعود بسفنه لتقوم بنقل قوات الشاه (٢) ولكن كير تجاهل الرسالة ، الأمر الذى اثار امتعاض الأمير الفارسى فعاد فأرسل خطابا آخر الى كير فى أواخر شهر يناير يذكر فيه : «... أن البحرين تعتبر بشكل قاطع إحدى توابع حكومة فارس » .

وتنفيذا لأوامر صاحب الجلالة الفارسية ، سوف نستولى عليها هذا العام ، وبناء على ذلك فانى أرجو ألا تكون لديكم تصورات خاطئة حول هذا الموضوع بما يتعارض مع الصداقة الثابتة بين دولتنا وأنكم ... سوف تتصرفون وفقا لما بيناه فى رسالتنا هذه « (٣) » .

ولكن كير كان أبعد من أن يفكر « أفكارا خاطئة » بشأن البحرين ، وإنما كان فى ذلك الوقت مشغولا بخطاب الفنستون المؤرخ ١٨١٩/١٢/١٥ الى الحاكم العام وبوصول القائم بالأعمال البريطانى فى طهران ولم يكن لديه من الوقت ما يسمح له بالتفكير فى موضوع التدخل فى مشكلة البحرين وفى

-
- (١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من حسين ميرزا الى حاكم بومباى وقد وصلت الرسالة الى رأس الخيمة فى ١٨١٩/١٢/٢٥ وقد أرفق نسخة منها فى خطاب ويلوك الى اللجنة السرية فى ١٨٢٠/٣/٦ .
- (٢) من حسين على ميرزا الى كير (وقد وصلت الرسالة الى رأس الخيمة فى ١٨٢٠/١/٩ وقد أرفق نسخة منها فى خطاب ويلوك مؤرخ ١٨٢٠/٣/٦ المشار اليه آنفا .
- (٣) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٥٥ حلقة ٩ - ١٨٢٠/٣/٨ من حسين على ميرزا الى كير فى ربيع ١ - ١٢٣٥ يناير ١٨٢٠ ومرفق فى خطاب كير الى واردن ١٨٢٠/٢/١٢ .

المحاولات التي كانت تبذل لاحتلالها ، او فى موضوع التوسط للحصول على اعتراف من شيوخ البحرين بالسيادة الفارسية على الجزيرة وعلى اى حال فقد اهتدى الفستون فى نفس الوقت الى فكرة اخرى ، فقد علم لتوه بوصول خطاب من حسين على ميرزا الى كير يطلب فيه مده ببعض سفن النقل وباستئناف المفاوضات بين الامير والسيد سعيد للقيام بغزو مشترك للبحرين ، فوجد فى ذلك الخطاب قرصة مناسبة لمحاولة الوصول الى حل لمشكلة البحرين بطريقة ترضى جميع الاطراف المعنية ما عدا آل خليفة ، وفى يوم ٢٦ يناير صدرت تعليمات الى كير منا ، وهى انه فى حالة اضطراره الى القيام باجراء ضد آل خليفة فيتعين عليه بعد استيلائه على البحرين ان يسلمها الى سلطان مسقط نظير دفع زكاة سنوية الى حكومة فارس اما اذا اعترض امير شيراز على ذلك الاجراء فانه يتعين على كير ان يسلم الجزيرة الى اى مسئول يعينه الامير لحكمها وبأن يستغل تلك الفرصة للحصول على موافقة الحكومة الفارسية على اقامة قاعدة بريطانية فى جزيرة قشم .

غير ان ذلك لم ينفذ اطلاقا ، وفى الاسبوع الاخير من يناير وصل مبعوث من شيوخ آل خليفة الى معسكر كير فى رأس الخيمة برسالة من شيخى البحرين وهما سلمان وعبد الله ابنا أحمد وكانا متخوفين من نوايا كير ، وقد ازدادت مخاوفهم هذه بعد وصول وحدة جديدة من الأسطول بقيادة ويلوك الى المنامة يوم ١٧ يناير للبحث عن بعض السفن التى كان يظن أنها قد لجأت الى البحرين ، وقد قام الشيوخ بتسليم جميع السفن الموجودة فى الميناء ، وعددها عشر الى ويلوك الذى أمر باحراقها . بعد أن تعهدوا له بعدم التعاون مع القراصنة أو السماح لهم باستعمال موانئ البحرين (١) .

(١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من ويلوك الى كاتبين كولبير ٢٤٣/١/١٨٢٠ .
وقد ارفقت صورة منه الى خطاب ويلوك الى اللجنة السرية طهران فى

١٨٢٠/٣/١٣ .

كما أوفدوا مبعوثا آخر الى كير يعرضون الانضمام الى معاهدة السلم العامة، وبالتالي وبناء على التعليمات التي كان قد تلقاها كير من الفنستون المؤرخة ١٨١٩/١٢/١٥ بمعاملة آل خليفة معاملة خاصة طالما أنهم لا يشتركون في أعمال القرصنة فقد وافق كير على طلبهم ، وقد حصل كير من المبعوث على تعهد خطي لاطلاق سراح أى أسير هندي يوجد فى البحرين وبالامتناع عن التعاون مع القراصنة أو الاتجار فى السلع المنهوبة ، وعلى هذا الأساس سمح كير للمبعوث بالتوقيع على الاتفاق بالنيابة عن حكام البحرين ، وكان ذلك يوم ٥ فبراير . وفى وقت متأخر من ذلك الشهر صدق سليمان وعبد الله على المعاهدة شخصيا فى البحرين .

من هناك اتجه مبعوث آل خليفة الى مسقط للتفاهم مع حاكمها على بعض نقاط الالتقاء وقد امر كير بالمساعدة غير المباشرة فى مهمته مع السيد سعيد ، وكان كير قد سبق له أن كتب الى السيد سعيد ، يحذره من أن الحكومة البريطانية فى الهند ان تنظر نظرة ارتياح الى وقوع أى معارك فى الخليج تؤدي الى بعث الفوضى فيه من جديد ، كما يبلغه نصيحة الفنستون، إنه من الأفضل له أن يوجه طاقاته نحو معالجة التدهور الاقتصادى فى بلاده كنتيجة لاعتداءات الوهابيين على عمان ، بدلا من القيام بمغامرات خاصة ، ولكن السيد سعيد لم يرحب بتلك النصيحة ، وفى منتصف فبراير كتب الى كير يقول له ، بأنه من المستحيل عليه أن ينسى المتاعب التى قاستها عمان على يد آل خليفة (١) . وبعد ذلك بوقت قصير عاد السيد سعيد فكتب الى كير رسالة يقول فيها ، بأنه قد توصل الى اتفاق مع المبعوث البحرينى وبذلك لم تعد هناك ضرورة للقيام بهجومه على البحرين فقد اعترف له آل

(١) محادثات بومباى السرية مجلد ٥ حلقة ٩ - ١٨٢٠/٣/٨ من

السيد سعيد الى كير ٣ جمادى الاولى ١٢٣٥ الموافق ١٨٢٠/٢/١٧ .

خليفة بالسيادة ، كما وافقوا بأن يدفعوا له زكاة سنوية قدرها ٣.٠٠٠ ر.ريال نمسوى (١) .

وبانضمام البحرين الى المعاهدة العامة وقيام الصلح بين السيد سعيد وآل خليفة أفسدت خطة الفنستون لاستخدام الجزيرة كأداة للحصول على امتيازات من الشاه . وعلى الرغم من أن الشاه قد رفض في البداية اعتبار موضوع انضمام آل خليفة الى المعاهدة بأنه اعتراف ضمنى من حكومته للوضع المستقل للبحرين ، الا أنه عاد في النهاية وخاصة بعد محاولات واردين معه فوافق على أن تتعهد الحكومة البريطانية بعدم تأييد سعيد لاختضاع البحرين واشعاعوا الشاه بأن أى محاولة من جانب السيد سعيد بفرض مطالبه بالقوة على البحرين قد يؤدي الى تعكير حالة السلم والاستقرار في الخليج وبأن حكومة الهند سوف تنظر باستياء الى مثل هذه الامور (٢) .

وانتهت الحملة على سواحل القراصنة في مارس ١٨٢٠ وكان معظم سفن نقل الحملة قد عادت الى بومباي ، عندما قام كير بزيارة اخيرة الى الساحل الغربى في الاسبوع الثانى من مارس ، وبالقرب من فليحة يوم ١٥/٣/١٨٢٠ استقبل كير شيوخ عجمان وأم القوين على ظهر الطراد ليفربول، قبل اشتراكهم فى معاهدة الصلح . وكان كير قد وافق سابقا على اشتراك سلطان بن صقر شيخ الشارقة فى التوقيع على المعاهدة ، وقد ادعى سلطان بأن راشد بن أحمد شيخ عجمان وعبد الله بن راشد شيخ أم القوين خاضعان له وأن توقيعه على المعاهدة يشمل هذين الشيخين غير أن كير لم يعلق على ذلك الموضوع ، ولكنه بعد أن فكر قليلا فى الموضوع قرر بأنه لابد من وضع

(١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٦٦ حلقة ١٠ - ١٨٢٠/٤/٥

من كير الى واردين ١٨٢٠/٤/١ .

(٢) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٦٦ حلقة ١٠ بتاريخ

١٨٢٠/٤/٥ محضر الفنستون برودا مارس ١٨٢٠ .

- ٢٧٦ -

حد لادعاءات القواسم بالسلطة عن طريق الاعتراف بالشيخين المذكورين كحاكمين مستقلين . وعلى ذلك الأساس تم ضمهم الى المعاهدة يوم ١٥/٣ .

ولنفس الاسباب عندما قام كير بزيارته الاخيرة لرأس الخيمة لم يعهد بمسئولية الحكم الى سلطان بن صقر وإنما أجل البت في هذا الموضوع ، وكانت التعليمات التي تلقاها من كير تنص على مرابطة قوة عسكرية في الخليج تقوم بمراقبة تحركات القواسم ، ولكن بشرط أن لا ترابط تلك القوة داخل البلد ، حتى لا يثير وجودها التوتر في الأوساط القبلية ويعطيها الانطباع بأن للحكومة البريطانية اطماعا اكثر تتعدى القضاء على القرصنة وحتى ذلك التاريخ لم يتحقق شيء في موضوع الحصول على جزيرة لإنشاء قاعدة بها ولم يبق أمام كير الا أن يترك القوة العسكرية لترابط في رأس الخيمة وتتألف من فصيلة من الجنود وسريتين من المشاه الأوربيين وبطارية مدفعية ، وعين على رأس تلك القوة الكابتن طومسون ، وفي يوم ١٦/٣/١٨٢٠ أبحر كير من منطقة الساحل للمرة الاخيرة وتوجه الى بومباي .

الفصل الخامس

البحث عن قاعدة في الخليج

والحملة على قبيلة بنى بوعلی

١٨٢٠ - ١٨٢٣

في المناقشات التي دارت في بومباي خلال عام ١٨١٩ حول مستقبل السياسة البريطانية في الخليج كان هناك اجماع تام على ضرورة الحصول على قاعدة دائمة لبريطانيا في الخليج ، وذلك للحيلولة دون ظهور نشاط جديد للقراصنة بعد انتهاء الحملة ضدهم ، وكان الراى يتجه الى انشاء القاعدة في موقع يشرف على خليج هرمز على مسافة غير بعيدة من مناطق القرصنة ، فلو توفرت قوة عسكرية بهذا المستوى فانها بالاضافة الى عمليات الدوريات البحرية للأسطول سوف تنجح في منع القبائل البحرية من استئناف نشاطاتهم العدوانية وكان العاملون في مراكز الشركة في كل من البصرة وبوشهر قد سبق أن طالبوا أكثر من مرة بنقل تلك المراكز الى إحدى الجزر ، غير أن اقتراحاتهم لم تنفذ ، ربما لأن فشل المركز الهولندي في سرك سابقا كان قد دفعهم الى ذلك ، ولعل رجال الشركة لم يروا أى فائدة من مثل تلك الخطوة بحيث توازى ما يصرف عليها من نفقات .

وقد دعا مالكولم الى احياء تلك الفكرة بين عام ١٨٠٠ ، ١٨٠١ عندما حاول ولم ينجح في اقناع الشاه بالتنازل عن جزيرتى قشم وُهنجام أو تأجيرهما . وفى عام ١٨٠٨ ، وجه مالكولم اهتمامه الى جزيرة خرك ، ودعا الى الاستيلاء عليها ولو بالقوة اذا اقتضى الأمر . وبعد مضي عام على ذلك كلف قواد الحملة ضد القواسم بأن يبحثوا عن الجزر والمواقع التي تصلح أن تكون قواعد عسكرية بحيث يمكن منها مكافحة أعمال القرصنة ومراقبة النشاط الذى يقوم به الفرنسيون فى كل من فارس وتركيا العربية ، وقد

اقترح هؤلاء جزيرة هنجام ، غير أن حكومة بومباى لم تكن فى وضع يسمح لها بالحصول على تلك الجزيرة ، أو تملك القوة العسكرية لاقامة القاعدة المقترحة ، وفى عام ١٨١٧ اقترح هنرى ويلوك ، القائم بالأعمال فى طهران على وزير الخارجية الفايكونت كاستلريج الحصول على قاعدة فى الخليج وقال ، بأن ذلك سوف يساعد على وقف القرصنة وتدعيم النفوذ البريطانى فى فارس الذى أصبح من المحتمل أن يتقلص أمام محاولات روسيا لتوطيد أقدامها فى فارس (١) . غير أنه لم تتوفر دلائل على الأخذ بذلك الاقتراح .

عندما أصدر نابين تعليماته الى كير فى شهر اكتوبر ١٨١٩ طلب اليه أن يتحرى عما اذا كانت جزيرة قشم تصلح كقاعدة عسكرية وكان نابين يعتقد بأن قشم تخضع لسلطة السيد سعيد حاكم مسقط خضوعا كاملا ، وذلك على أساس المعلومات التى كان سادلر قد نقلها عن السيد سعيد خلال اجتماعه به فى مسقط فى شهر مايو من ذلك العام ، وكان السيد سعيد قد أبلغ سادلر فى ذلك اللقاء بأنه قد ورث ملكية جزيرة قشم عن والده سلطان ابن احمد الذى كان يسيطر عليها بحكم الاحتلال ، ولم يكن يدفع الى فارس أى زكاة عنها ، فضلا عن ذلك فإنه لم ترد فى المرسوم (الفرمان) الذى تلقاه كير من الشاه فى موضوع تأجير بندر عباس وتوابعها ما يشير الى وضع جزيرة قشم (٢) . غير أن موضوع السيادة على قشم لم يكن بالسهولة التى صورها السيد سعيد للمبعوث البريطانى ، ففى تقرير للكابتن تايلور عن موانى القرصنة أعده فى عام ١٨١٨ ذكر بأن السيد سعيد كان يحكم

(١) فارس والخليج مجلد ٣٣ من ويلوك الى كاستلريج ، طهران

١٨١٧/٤/١٦ .

(٢) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ رقم ٢٦ - ١٨١٩/٧/٢١ .

من سادلر الى الحاكم العام مسقط فى ١٧/٥/١٨١٩ .

جزيرة قشم بطريق الالتزام من الشاه (١) كما ذكر ذلك فرانسيزا و اردن في العام التالي .

وعلى أساس التصريحات التي كان قد ادلى بها قبل سنوات كل من الحاكم جونانان دنكان والكابتن سيتون المقيم البريطاني السابق في مسقط فانه لم يكن للسيد سعيد أى حق في الجزيرة ، وان أى محاولة لوضع قوات عسكرية فيها دون موافقة الشاه سيعد انتهاكا لسيادة الشاه على حد اعتقاد اردن (٢) . وعلى الرغم من ان مونستورت الفنستون كان اقرب الى آراء نابين فيما يتعلق بموضوع السيادة على جزيرة قشم منه الى آراء اردن، الا انه كان يفضل استطلاع رأى الشاه اولا قبل القيام بأى خطوة لاحتلال الجزيرة ولهذا كلف ويلوك فى التعليمات التى أرسلها اليه بتاريخ ديسمبر ١٨١٩ . بأن يتحرى الموضوع فان وجد أن الشاه قد تخلى عن مطالبه فى الجزيرة ، وبأن السيد سعيد هو صاحب السيادة الحقيقية عليها فيتعين عليه أن يقرر ما اذا كان من الضرورى الحصول على موافقة الشاه أو الاكتفاء باشعاره بعزم بريطانيا على احتلال الجزيرة . ولم يمض وقت طويل على ارسال خطاب الفنستون الى ويلوك حتى عرف الفنستون من الطبيب الجراح اندرو جيوكس ، الذى زار مسقط فى شهر نوفمبر ١٨١٩ فى بداية الحملة، بأن قشم لم تكن تتبع فارس منذ أيام نادر شاه ، وأن السيد سعيد هو الذى كان يعين ولاية الجزيرة . وقد أكدت المعلومات على سيادة السيد سعيد على قشم ، وعلى هذا الأساس اصدر الفنستون فى شهر يناير ١٨٢٠ أوامره الى كبير بأن ترابط القوة العسكرية التى ستتخلف فى المنطقة بعد الحملة على جزيرة قشم بصرف النظر عن ردود فعل الحكومة الفارسية حول هذا الموضوع .

(١) محادثات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٣٣ .

(٢) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤١ رقم ٣٧ - ١٨١٩/٩/٢٠ .

محضر من اعداد و اردن ١٨١٩/٨/١٢ .

عند وصول هذه التعليمات الى كير، كان كير قد زار قشم ووجد هافير صالحة لتكون قاعدة لأن طقسها غائم باستمرار ومعرضة لتيارات الهواء ولا يوجد بها ماء صالح للشرب ، وتعتمد فى الحصول على المواد الغذائية من داخل البلاد ، كما أخبره الكابتن كولير قائد الحملة بأنه لا يوجد فى الجزيرة منطقة صالحة لرسو السفن ، وأن موقعها يقع فى الاتجاه المعاكس لهبوب الريح أكثر ايام السنة كما أن صغر مساحتها يجعل الدفاع عنها صعبا كذلك فان عدم وجود ميناء صالح يجعلها غير صالحة كمركز للتجارة وعلى العكس من ذلك كانت جزيرة قيس الواقعة الى شمال هذه الجزيرة تضم بضعة مراسى ممتازة ، وبها مياه صالحة للشرب كما تتميز بوفرة المواد الغذائية فضلا عن انها تقع على خط المواصلات الملاحي الرئيسى وقريبة من الموانى الفارسية التى يسيطر عليها القواسم . وعلى أساس هذه الاعتبارات قرر كير أن يتجاهل أوامر الفنستون وتحذيراته السابقة من مرابطة الجنود فى المناطق الداخلية ، كما قرر أن يعين الكابتن توماس قائدا للفصيلة التى ستبقى بمنطقة رأس الخيمة ريثما تعرف نتيجة المحاولات الجارية لاقتناع فارس بالتنازل عن الجزيرة المذكورة ، وقد تناول ويلوك موضوع جزيرة قشم مع وزراء الشاه فى الأسبوع الثانى من شهر مارس ١٨٢٠ أى قبل أن يعلم بما جد من تطورات . وقد أجرى محادثاته معهم على أساس خطاب الفنستون المؤرخ ١٨١٩/١٢/١٥ . الذى توخى فيه آراء كير وويلوك بالإضافة الى التعليمات الخاصة بقشم بإبلاغ حكومة فارس عن استعداد الحكومة البريطانية للتوسط مع شيوخ البحرين للحصول على اعتراف منهم بسيادة فارس على البحرين مقابل موافقة الشاه على انشاء قاعدة عسكرية بريطانية دائمة فى الخليج .

وبعد أن شرح ويلوك لوزراء الشاه رأى حكومة بومباى فى أنه لا يمكن القضاء على القرصنة بصورة نهائية الا بوجود موقع تدار منه العمليات الخاصة بهذه المهمة ، كما ابلغهم بأن النية كانت تتجه الى مرابطة قوة عسكرية

بفي جزيرة قشم بعد انتهاء جيلة كير ، أما اذا ظهر أن قشم التي تعتبر في
جوزة سلطان مسقط لا تصلح كقاعدة فانه مفوض بأن يطلب من حكومة فارس
التنازل عن منطقة اخرى او تأجيرها بشرط ان تكون صالحة لهذا الغرض
وأن وجود مثل هذه القاعدة كما قال ويلوك لن يساهم في تأكيد سلطة حكومة
فارس على موانئها فحسب وانما سينفتح الطريق الى ان تصبح الجزر
المستقبلية الآن عن فارس خاضعة لسلطة الحكومة الفارسية ، سواء بالترغيب
او الترهيب (١) .

وكان رد الحاج حسين الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) على طلب
ويلوك بان اقامة قاعدة عسكرية بريطانية بالقرب من سواحل فارس أمر لن
يوافق عليه الشاه ، كما اضاف بأن الشاه في الوقت الذي يقدر كل التقدير
المكاسب التي سوف تعود عليه من تحالفه مع البريطانيين الا أنه لا يرغب
ان يحدث ما يعكر صفو هذه العلاقات ، وقد سبق للشاه أن تلقى طلبا
للتنازل عن احدى الجزر ، ولكنه رفض ذلك ، كما ذكر رئيس الوزراء ،
بأن الدول التي تفصل بين حدود بعضها البعض مسافات شاسعة هي أكثر
نفعاً من الدول المتاخمة لبعضها البعض وأضاف الصدر الأعظم بأن امام
مسقط يحتل قشم بموافقة حكومة فارس وذلك على غرار اشرافه على
شئون بندر عباس .

وقد رد ويلوك على هذه الحجّة فأشار الى المكاسب التي قد تترتب من
التحالف البريطاني الفارسي ، وعلى الأخص في ميدان التبادل التجاري بين
فارس والهند والذي لا يمكن أن يزدهر مالم يتحقق الأمن والاستقرار في
الخليج ، والذي لا يمكن ان يتحقق الا عن طريق الوجود البريطاني العسكري
في المنطقة . ولو كان في نية الحكومة البريطانية شن هجوم على أي جزء

(١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من ويلوك الى كير ١٨٢٠/٣/١٠ ومرفق

بخطاب ويلوك الى اللجنة السرية ١٨٢٠/٣/١٧ .

من اراضي فارس فقد كان في استطاعتها شن مثل هذا الهجوم بسهولة من القاعدة البريطانية في رأس الخيمة بدلا من بعض الجزر البعيدة عن الساحل الفارسي ، وأضلاف ويلوك بلهجة تحذيرية ، بأنه في حالة استمرار الشاه في رفضه لاقامة قاعدة بريطانية ، فإن من المحتمل أن يخسر الشاه حق السيادة على كافة الجزر الواقعة في الخليج ، كما أنه لو حدث أن تعرضت البحرين لغزو ما ، ولم ينجح الغزو ورفضت الوساطة البريطانية فلن يكون في وضع يسمح له بأن يؤكد بأن الحكومة البريطانية لن تتوسط في موضوع احتلال البحرين (١) . غير ان كل تلك الحجج لم ينجح في تبديد مخاوف الشاه ووزرائه . وجاء في تقرير ويلوك أن اعتزاز الفرس ببلدهم قد جعلهم يعتبرونها أحسن بلاد العالم قاطبة ، وان بلادهم قد أصبحت هدفا للأطماع ومحطاً لأنظار جميع الدول المجاورة .

لم يرد أي ذكر لموضوع القاعدة مرة أخرى من جانب الشاه لمدة شهرين ، ويعود السبب في ذلك حسب معلومات ويلوك الى تعقد الشاه من هذا الموضوع غير أنه في يوم ٥ مايو أبلغ الصدر الأعظم ويلوك ، بأن الشاه لا يزال متمسكا بموقفه في عدم التنازل عن أي جزيرة للحكومة البريطانية وأن هذا يشمل أيضا جزيرة قشم التي كان السيد سعيد يهيمن عليها باعتبارها منطقة تابعة لبندر عباس ، وأضاف الصدر الأعظم في حديثه بأنه لن يسمح للطرادات البريطانية بتفتيش الموانئ الفارسية وسفنها أو لتعقب نشاط القراصنة كما يحدث في الموانئ الواقعة على ساحل القرصنة ، وقد كلف الشاه أمير شيراز بأعداد القوانين الملاحية لتطبيقها على الموانئ والسفن الفارسية ، التي سيتعين عليها اعتبارا من ذلك التاريخ بأن ترفع أعلامها المميزة ، وبعث ويلوك بهذه المعلومات الى السلطات المسؤولة في بومباي دون التعليق عليها غير أن القنصلون لم يحملها محمل الجد . فقد كان يشك في

(١) فارس والخليج مجلد ٣٤ من ويلوك الى كير ١٨٢٠/٣/١٠ . ومرفق

لخطاب ويلوك الى اللجنة السرية ١٨٢٠/٣/١٧ .

ما اذا كان أمير شيراز سوف يصدر بالفعل تلك الأنظمة والاعلام المميزة ، وكان يعتقد بأن الشاه سوف يقتنع فى النهاية بالفوائد التى سيجنيها من الوجود العسكرى البريطانى فى جزيرة قشم ، وعلى الرغم من أن الفنستون قد سبق أن طلب من ويلوك فى بداية ابريل ، اى بعد أن تلقى تقرير كبير عن جزيرة قيس الاتصال بالشاه والحصول على موافقته على احتلال جزيرة قيس بدلا من جزيرة قشم الا أنه قد اتضح الآن من خلال تقرير ويلوك الموقف العدائى لطهران ، بأن يصرف النظر عن اى شىء وعلى هذا الأساس فعندما كتب ويلوك فى يوليو يقول انه بالنظر الى الملابس التى تحيط بالعلاقات الفارسية البريطانية فى الوقت الحاضر ، فليس من الصواب أن نطلب من الشاه التنازل عن جزيرة قيس ، وبالتالي اقترح بعدم اثاره موضوع القاعدة كليا ، وكل ما كان عليه أن ينقل للحكومة فى بومباى أى مطالب يتقدم بها الشاه بالنسبة لجزيرة قشم ، وقد تم نقل الوحدة العسكرية التى عينها كبير فى رأس الخيمة الى جزيرة قشم فى شهر يوليو ، خصوصا وأن كبير قد أكد على وجوب نقل القوة بأسرع ما يمكن لأن المناخ فى رأس الخيمة لم يكن صحيا ، وكانت البلدة تعاني من نقص فى مياه الشرب ، وذكر انه كلما طال بقاء القوة هناك كلما كان تورطنا فى نزاعات مع اصحاب البلاد أكثر احتمالا ، وفى منتصف ابريل وصلت تعليمات من بومباى الى الكابتن طومسون قائد الفصيلة بنقل القوة الى جزيرة قشم بمجرد موافقة السيد سعيد موافقة رسمية على مرابطة القوة فى الجزيرة ، وقد كلف قائد الفصيلة بأن يدمر كل التحصينات فى رأس الخيمة عند اخلائه المنطقة وأن يحرق أو يسلم الى سلطان مسقط جميع السفن التى تم الاستيلاء عليها من القراصنة ولم تعد فى حاجة اليها ، وبأن يسلم مهام الحكم فى رأس الخيمة الى سلطان بن صقر أو اى شخص آخر يراه صالحا لذلك المنصب (١) .

(١) محادثات بومباى العربية مجلد ٤٦ رقم ١٢ فى ١٩/٤/١٨٢٠ من

• وارجن الى طومسون ١٧/٤/١٨٢٠ .

بدأ طومسون عملية إجلاء القوات فى أوائل يوليو ، وقبل أن ينتهى من هذه العملية بدأت محاولة للحصول من سلطان بن صقر على تعهد يلتزم فيه بالشروط التى تحدد حجم وتسليح سفن القواسم وغيرها من الإجراءات الخاصة بتفتيش الموانى ، كما وردت فى التعليمات الاصلية الصادرة من الفنستون ، فى مقابل تسليم الحكم الى سلطان بن صقر ، غير أن سلطان طالب بالمقابل بالابقاء على التحصينات فى رأس الخيمة كما هى . وبالرغم من أن طومسون كان يعلم تمام العلم ، أنه بمجرد أن تفادر القوة العسكرية سيجد القواسم أنفسهم أحرارا مرة أخرى فى إعادة بناء تحصيناتهم بالطريقة التى تلائمهم ، الا أن التعليمات التى لديه كانت صريحة ، ولذلك قام بتدمير جميع التحصينات قبل إبحاره الى جزيرة قشم يوم ١٨/٧/١٨٢٠ ، ولكنه ما كاد ينزل فى منطقة ديرستان على الناحية الجنوبية من جزيرة قشم المواجهة لجزيرة هنجام ، حتى صدر الأمر اليه بالتوجه للتحقيق فى حوادث القرصنة التى كانت قد وقعت فى أوائل شهر مايو بالقرب من سواحل عمان الجنوبية ، وكان ذلك أول حادث يقع بعد الحملة ، وكاد أن يؤدى الى سلسلة من الحوادث تجعل من موضوع الاحتفاظ بقوة عسكرية فى الخليج أهم الموضوعات .

وقد ذكر الكابتن بروس المقيم البريطانى فى بوشهر عند وصوله الى بومبلى فى اجازة خلال الاسبوع الاول من يونيو ، بأنه قد علم عند توقفه فى مسقط فى شهر مايو بأن بعض أفراد قبيلة بنى بوعلى قد هاجموا احدى سفن كراتشى وقتلوا معظم بحارتها ، وقد وقع الحادث فى بداية الشهر ، وذكر بروس بأن بنى بوعلى هى احدى القبائل العمانية التى تقطن مقاطعة جعلان ويبلغ عددها ٤٠٠٠ شخص ، وهى تقيم فى الغالب فى منطقة الأشخرة على الساحل ، وفى بلاد بنى بوعلى بنداخية عمان حيث تملك بعض مزارع النخيل وخلال الفرو الوهابى للمنطقة امتنق أفراد هذه القبيلة المذهب الوهابى ، كما أنهم فى عام ١٨١٨ ثاروا على السلطان السيد سعيد ، ومنذ

ذلك الوقت أخذوا يمارسون القرصنة ، فهاجموا سفينة تابعة لكراثشى وسفينتين (١) وعند وصول هذا التقرير الى الفنستون أصدر تعليماته الى طومسون باجراء تحقيق فى ذلك الحادث ، فان صحت المعلومات التى وردت فى تقرير بروس فيتعين عليه ان يوجه خطابا الى شيوخ قبيلة بنى على يشرح لهم فيه السياسة البريطانية المعلنة بالنسبة لأعمال القرصنة ، وينصحهم بالكف عن هذه الأعمال ، وفى شهر أغسطس وجه طومسون خطابا بهذا المعنى الى مشايخ بنى بوعلى حمله الطراد كرلو ، وقد توقف الطراد وهو فى طريقه الى الأشخرة فى مسقط حيث أخذ معه شيخ رأس الحد ليتولى عملية ارشاد الطراد على المنطقة . وفى يوم ٢٠ سبتمبر وصل الطراد الى الأشخرة ، ولما كان البحر هائجاً فى ذلك اليوم فقد استحال على الزورق الوصول الى الشاطيء ، وهنا تطوع شيخ رأس الحد بأن يذهب الى الشاطيء سباحة حاملاً رسالة طومسون ، وبمجرد أن وطأت قدمه الشاطيء فوجىء بمجموعة من قبيلة بنى بوعلى تهاجمه بالسكاكين والرماح فتصرعه ، ولم يتمكن بحارة الطراد من انقاذ حياته ، على الرغم من انهم أطلقوا النار على المهاجمين وقتلوا ثلاثة منهم .

لم يعلم طومسون بالحادث قبل نهاية سبتمبر ، وقد تأكد له انه لا بد من القيام باجراءات انتقامية فورية ، فقرر أن ينقل جزءاً من القوات المرابطة فى ديرستان على الطراد كرلو ، الذى كان وقتها فى مكان ما من الخليج ، وطرادين من البحرية وأقلع بهم الى مسقط يوم اول اكتوبر . وقد كان السيد سعيد أبلغ مساعد طومسون انه ينوى أن يعيد تثبيت سلطته على قبائل بنى بوعلى وأنه كان يزمع الخروج اليهم فى نهاية سبتمبر ، وهو الوقت الذى يتجمعون فيه لجنى المحصول . وذكر السيد سعيد انه لما كان طومسون قد قرر اتخاذ اجراء ضد بنى بوعلى جزاء اعتدائهم على سفينة كراثشى ، فإنه

(١) فارس والخليج مجلد ٣٢ من بروس الى وarden ١٨٢٠/٧/٣ .

يقترح التنسيق بين الجانبين . . واعتقادا من طومسون بأن التعليمات التي وصلتته من حكومة بومباي تخوله اتخاذ مثل تلك الخطوة ، وقد تم الاتفاق على أن تتحرك قوات السيد سعيد برا الى جعلان ، وأن يتحرك طومسون باسطوله عن طريق البحر وأن تتقابل القوتان فى صور .

وقد وافق الفنتستون على الخطة بعد الاطلاع عليها واشترط أن يلتزم طومسون بعدم التعرض اطلاقا للمناطق الداخلية من البلاد . غير أن هذه الأوامر التي ارسلت فى أواخر اكتوبر لم تصل فى وقتها، وقد التقت قوات طومسون بقوات سلطان مسقط فى صور يوم ٢٦ اكتوبر وفى أول نوفمبر بدأت الحملة المشتركة زحفها الى المنطقة الداخلية وكنت القوات العمانية تتألف من الف مقاتل و ٦٠٠ من راكبي الجبال . أما القوات البريطانية فكانت تتألف من ٦ سرايات من الجند من الفصيلتين الأولى والثانية ، ومن الفرقة الثانية ، ومن مشاة بومباي ، ومن الفصيلة الأولى والفرقة الحادية عشرة وبطارية مدفعية مكونة من ٦ مدافع وسرية استطلاع . وفى يوم ٨ نوفمبر وصل الجيش الى بلاد بنى بو حسن وهى قرية تبعد نحو ثلاثة أميال من بلد بنى بوعلى . وكانت القبيلة فى هذه القرية من القبائل الموالية للسيد سعيد . وقد وصلت معلومات مفادها أن بنى بوعلى قد ركزوا قواتهم المقاتلة والبالغ عددها ٩٠٠ رجل فى بلدتهم ، وداخل مزارعهم وأنهم احرقوا بلدة الأشخرة وأخلوها بعد أن علموا بوصول القوات البريطانية العمانية المشتركة .

وفى يوم ٨ نوفمبر بعث السيد سعيد الى مشايخ بنى بو على يطلب منهم تسليم قتلة شيخ رأس الحد ، وإخلاء حصونهم وتسليم أسلحتهم فأجابوا بأنهم مستعدون لتنفيذ المطلبين الاولين ، فيما عدا المطلب الثالث الخاص بتسليم سلاحهم . ولما كان طومسون لم يحضر الى المنطقة لمساومة بنى بوعلى فقد قرر مهاجمتهم ، وفى صباح يوم ٩ نوفمبر زحفت القوات المشتركة على بلاد بنى بوعلى مع القوات القبلية التي كان يزيد عدد أفرادها على ٢٠٠٠ رجل ، وكانت هذه القوات فى المقدمة بينما كان الجنود الهنود

وعدددهم نحو ٣٨٠ رجل في المؤخرة ، وكانت خطة طومسون. تقوم على محاصرة البلدة ، وتدمير حصونها بالمدفعية ثم الزحف لاحتلالها بعد ذلك ، وبينما كان الفيلق لا يزال يواصل تحركه نحو هدفه قام رجال بنى بو على الذين اتخذوا مواقع الدفاع على ربوة خانج البلدة حيث أخذوا يطلقون بالنيران ، وقد أمر طومسون الوحدة الهندية التي كانت نيران بنى بو على مواجهة اليهم بأن يزحفوا ، ولكنهم رفضوا ، ثم أمرهم بالبند في اطلاق النار الا انه لم تنطلق الا طلقات متقطعة قليلة من بناذفهم . وفي تلك اللحظة كان السيد سعيد قد نقل بعض رجاله الى خطوط العساكر الهنود. لدعم موقفهم . وعندما وصل رجال بنى بو على الى نقطة لا تبعد بأكثر من عشرين ياردة من قوات طومسون. عاد طومسون فأصدر أوامره الى جنوده بالزحف ، وبدلا من اطاعة الجنود. لأوامر طومسون تفرقوا . ولأذوا بالفرار شاقين طريقهم الى وسط قوات السيد سعيد التي كانت ترابط خلفهم ، وعندما شاهد رجال المدفعية الذين كانوا يرايطون على الجانبين الأيمن والأيسر من المعسكر هذا المشهد لأذوا هم أيضا بالفرار ، تاركين مدافعهم ورأءهم ، وقد حاول طومسون إعادة الجنود الى مواقعهم ، ولكنهم كانوا قد احتلظوا بقوات السيد سعيد ، وعندئذ قامت البقية من رجال بنى بو على الذين كانوا على الربوة تشن هجوما على هذا الجيش وهكذا اضطرب الوضع ، واضطر كل من الجنود العمانيين والهنود الى الفرار في ذعر . . . وعندما رأى رجال بنى بو على الذين لم يستخدموا سلاحهم حتى ذلك الوقت الحال الذي عليه الجيش ، أخذوا يطلقون النار على جموع الجيش المتقهقر ويطعنونهم بالسيوف والخنجر .

وقد اصيب السيد سعيد بطعنة سيف عندما كان يحاول انقاذ أحد الضباط البريطانيين ، وكاد يفقد حياته هو الآخر ، لولا وجود بطال المطيري القائد الوهابى السابق للبريمى وغيره من حرس السلطان الوهابيين الذين حموه وفتحوا له طريقا للنجاة عبر صفوف بنى بو على . ولقد حاول

طومسون تعظية الانسحاب عن طريق احضار وحدات الحرس المكلفة بحراسة معسكر بلاد بنى بوحسن ، ولكن بالرغم من انه استطاع صد هجوم بنى بوعلی لبعض الوقت ، الا انهم التفتوا حول قواته واضطر الى التراجع الى بلاد بنى بو حسن . وعلى امتداد السهل الذى يفصل المنطقتين كانت جثث القتلى من الجنود العمانيين وثمانية من الضباط البريطانيين ونحو ٤٠٠ عسكرى. ملقاة على الأرض (١) .

فى ليل ذلك اليوم قام افراد بنى بوعلی بالهجوم على المعسكر فى بلاد بنى بوحسن . ولكنهم صدوا على اعقابهم . وفى صباح اليوم الثانى اكتشفه طومسون بأن اثنين من ضباطه، ومن بقى من طاقم المدفعية قد تسللوا من معسكرهم الى ضور تحت جناح الظلام - كذلك اخذ رجال السيد سعيد يغادرون المعسكر غير مهابئين بوجود السيد سنفيد . واصبح الانسحاب هو الحل الوحيد لمانتهم ، وبعد ان قام طومسون بتستير المدافع (اى بسد فتحاتها لتعطيل مفعولها) والقاء مخزونه من البارود فى احدى الآبار واتلاف المون ، غادر مع السيد سعيد المعسكر الى مسقط ، متغاديا المرور بمدينة صور ، خوفا من ان يكون افراد قبيلة بنى بوعلی قد سدوا مداخلها .

وبمجرد وصولهما الى مسقط يوم ١٧/١١/١٧٢٠ وجه طومسون نداء الى قائد اقرب وحدات الجيش فى السندوكتش يطلب امداده ببعض الجنود والمدافع بأقصى سرعة ممكنة ، كما اكد طومسون للسيد سعيد بأن امكانيات الحكومة البريطانية ستكون فى كل مكان تحت تصرفه اذا ما اراد ، ومن مسقط توجه طومسون الى جزيرة قشم لاعداد بقية القوات البريطانية المرابطة هناك للقيام بحملة اخرى على قبائل بنى بوعلی .

(١) فارس والخليج مجلد ٣٢ من طومسون الى قائد القوات البريطانية فى السندوكتش ١٦/١١/١٨٢٠ . ومن خطاب طومسون الى وارند ١٨/١١/١٨٢٠ .

ومن الغريب حقا ان يتجاهل طومسون انه كان الشخص المسئول عن الكارثة التي لحقت بالحملة على بنى بوعلی ، وعلى الرغم من ان تحذيرات الفنستون لطومسون بعدم التوغل الى داخلية البلاد قد صدرت بعد خروج الحملة ، الا ان طومسون كان ملما بها كما ان كير قد سبق ان نبه اليها فى العام السابق عندما عينه قائدا للوحدة المرابطة فى رأس الخيمة . وحتى اذا افترضنا جدلا بأن الظروف التى احاطت بالحملة كانت تبرر له خرق تلك التعليمات ، وعلى الأخص الفقرة التى تنص على انه لا يمكن التعلب على بنى بوعلی الا بمقاتلتهم داخل اراضيهم - فقد كان يتعين عليه حصر العمليات ضمن اهدافها المشروعة - اى الحصول على التعويض عن مقتل شيخ رأس الحد وسفينة كراتشى ، ومن هنا فان موضوع تأكيد سلطة السيد سعيد على قبائل بنى بوعلی او عدم تأكيدها موضوع خارج عن اختصاص طومسون ، كما ان اشراك طومسون للسيد سعيد فى الحملة اجراء لم يكن توافق عليه السلطات الحاكمة فى بومباى ، مهما كانت الرغبة قوية فى وضع حد لتلك الأعمال . . . ومع ذلك فان التقاء طومسون مع رغبة السيد سعيد فى ان يكون القائد للحملة وتجنّب إعطاء انطباع عن وجود قوتين وقيادتين انما يترك انطباعا من ان الهدف من الحملة هو تأكيد سلطة السيد سعيد على قبائل بنى بوعلی . ومما زاد هذا الانطباع تأكيدا ، هو رفض طومسون طلبا للسيد سعيد بتوجيه طلب مشترك الى قبيلة بنى بوعلی لتسليم الحصون والاسلحة وقتلة شيخ رأس الحد . وعلى حين اننا لا يمكن ان نلوم السيد سعيد على محاولته الظهور امام خصومه بمظهر من له حلفاء اقوياء ، فان رفض طومسون الاشتراك فى اصدار البيان مهما بدا ذلك سليما من الناحية النظرية ، بحكم ان قبائل بنى بوعلی هم رعايا السيد سعيد فان ذلك قد قلل الى حد كبير من مبررات الحملة ، بل انحدر بطومسون وبجنوده الى مستوى المرتزقة ، كما ان اية مبررات اخرى لاجراءاته قد تبددت برفضه الرد

المعقول الذى تلقاه من شيوخ بنى بوعلى لتسليم تحصيناتهم وقتلة شيخ رأس الحد دون تسليم أسلحتهم . وان قوله بأنه لم يكن يريد أن يظهر بمظهر القائد المتهافت على التفاهم حجة مرفوضة .

لقد كان طومسون يعزف أنه يتعامل مع وهابيين مهووسين كما كان فى استطاعته لو انه فكر قليلا ، أن يدرك بأن الحاح قبائل بنى بوعلى لاحتفاظهم بأسلحتهم انما كان بدافع الخوف ، وهو نفس ما حدث فى شناس قبل بضع سنوات عندما قاتل الوهابيون قتالا مستميتا ضد القوات العمانية البريطانية المشتركة كما انهم كانوا يتوقعون لو أنهم سلموا أسلحتهم أن يبادوا عن بكرة ابيهم ، وكان فى امكان طومسون أن يتجنب الكارثة لو انه تصرف كما تصرف ليونيل سميث فى عام ١٨١٠ فأعطاهم الضمان على ارواحهم غير انه لا يبدو أن هذا الاحتمال قد خطر على طومسون ، والواقع ان طومسون على ما يبدو ، قد أساء التصرف فى قراره بالهجوم على قبائل بنى بوعلى لأن طومسون كان قائدا ذكيا وعنييدا ولكنه كان مجبا للمغامرة وكان رجلا يعتقد بأن له رسالة فى الحياة وقد تلقى طومسون دراسته فى جامعة كامبردج ، وكان ترتيبه السابع فى الرياضيات ، وبعد تخرجه التحق بالاسطول الملكى عام ١٨٠٩ ، وكان اذ ذاك فى التاسعة عشرة من عمره برتبة ضابط صف ، ولكن حياة الاسطول لم ترق له فتحول عنها الى الجيش الذى عين فيه ملازم اول فى فيلق الرماة ، وقد اشترك فى الحملة على بوينس آيرس عام ١٨٠٦ ووقع هناك فى الأسر . وعند بلوغه الخامسة والعشرين من العمر عين حاكما على سيراليون ، ولكن لم يمض عامان على وجوده فى هذا المنصب حتى ثار فيه الحماس لقضية تحزير الزواج مما أدى الى اصطدامه بالمستوطنين البيض هناك فاستدعى من هناك ، وبعد عودته الى الجيش اشترك فى القتال الذى نشب فى الجنوب الفرنسى عام ١٨١٤ ، ثم بعد ذلك رافق فرقة السابعة عشرة الى بومباي .

ولما كان طومسون يجيد اللغة العربية التي تعلمها خلال الفترة التي التي اعقبت عودته فقد عين مترجماً للجنرال كير في سنة ١٨١٩ بدلا من الكابتن سادلر ، والى طومسون يرجع الفضل في إضافة المادة التاسعة الى معاهدة الصلح العامة التي تنص على أن الاتجار في الرقيق يعتبر عملا من أعمال القرصنة . كان طومسون يومئذ يمثلء بالحيوية والشجاعة والعزم ، وهي الصفات التي كان يمازجها قدر من الغرور والزهو . وكان قد تعود على تحمل المسؤولية ووجد في تعيينه كمعتمد بريطاني في المنطقة السفلى من الخليج فرصة لاستغلال مواهبه وكان يثق بنفسه ثقة عمياء ويؤمن بالمثل الانسانية . وأذا أخذنا هذه الجوانب من شخصيته في الاعتبار فإننا نجد صعوبة في فهم الدوافع التي أملت عليه بأن يتغير من موقفه الذي كان يهدف الى الحصول على تعويض من قبائل بني بوعلی عن الأعمال الاجرامية التي اقترفوها والى القيام بأعمال انتقامية ضدهم واخضاعهم لسلطة حاكم مسقط كخطوة لأذخالهم الى الحضارة .

وأيا كانت الاسباب التي دعت طومسون الى اتخاذ تلك الاجراءات فانه مما لا شك فيه أن هزيمته البكره قد قضت على الهيبة التي اكتسبتها العسكرية البريطانية من خلال الحملة الأخيرة على القواسم ، وكان من الطبيعي أن لا تسمح الحكومة البريطانية بالهزيمة التي لحقتها على يد بني بوعلی بأن تستمر ، ولذلك بادرت بعد أيام من وصول أخبار الهزيمة الى تجميع قوة عسكرية أخرى في بومباي لمقاتلة قبائل بني بوعلی ، وقد عقد بلواء هذه القوة الى اللفتنانت كولونيل إن. بي واردين من الفرقة الخامسة والستين . وقد أبحر من بومباي في منتصف ديسمبر قبل أن تتحرك قوته ، وكلف بالاتصال بالسيد سعيد لمعرفة ما اذا كان في استطاعته الاشتراك في هجوم آخر على قبائل بني بوعلی ، فان وافق فقد كان ينبغي على واردين أن يطلب منه الخروج الى جعلان بأسرع ما يمكن وأن يربط على خطوط

الدفاعات الواقعة بين الساحل وبلاد بنى بو حسن ، أما فيما يختص بالتوغل في داخلية المنطقة ، فقد طلب إلى وارن أن يربط في صور ، وأن لا يسمح بحال أن تختلط قواته بقوات سعيد في ميدان المعركة ، أما طومسون فقد صدرت الأوامر إليه بأن يضع نفسه تحت تصرف وارن ، وأما بالنسبة لجنود طومسون التابعين للفصيلة الأولى والفرقة الثانية فكان لابد من رد الاعتبار اليهم (١) .

وصل وارن إلى مسقط يوم ١٨٢٠/١٢/٢٨ وكان السيد سعيد قد شفى من جروحه وكان متلهفا للعودة إلى القتال ضد قبائل بنى بوعلی مرة أخرى كما أنه لم تقع أي مضاعفات عن هزيمة طومسون كما كانت تخشى حكومة بومباي ، فلم تتمرد أي قبيلة أخرى على سلطة السيد سعيد ، كما أن بنى بوعلی أنفسهم لم يحاولوا استغلال الانتصار الذي تم لهم ضد القوات المشتركة .

وفي الوقت الذي كانت حكومة بومباي تقوم باستعداداتها للحملة وتعكف على دراسة تقرير طومسون الذي استنتجت منه أنه لابد من مضاعفة قوات الحملة لتفادي هزيمة مشينة أخرى ، ولهذا زيد عدد الجنود إلى أكثر من ٣٠٠٠ نفر ، وأسندت قيادته إلى الكولونيل سميث الذي رقى إلى رتبة لواء ليحل محل وارن ، وأبلغ بهذا التغيير في شهر يناير ١٨٢١ وأمر بالتوجه بقواته التي كانت متجمعة في جزيرة قشم لمقابلة سميث والإشراف على الامدادات التي أرسلت إلى صور من بومباي . وقد وصل عدد رجال الحملة إلى ١٢٦٣ جنديا أوربيا و ١٦٨٦ جنديا (سيوى) هنديا ، وكانت القوات تتألف من الفرقة السابعة وجناح الفصيلة الأولى ومن الفرقة الثالثة

(١) مقارن والخليج مجلد ٣٢ من وارن إلى وارن ١٨٢٠/١٢/٢٢ .
والى طومسون أيضا بنفس التاريخ .

والفصيلة الاولى والفرقة الرابعة ومن الفصيلة الثانية والفرقة التاسعة ومجموعة من فصائل المدفعية والخيالة والمهندسين وفصائل الاستطلاع.

غادرت الحملة ميناء بومباي بقيادة الجنرال سميث يوم ١٠/١١/١٨٢١ وبعد ثمانية عشر يوما من خروجها التقت بقوات وارن في صور ، وكان من اهداف الحملة كما اوضحها سميث هو اعتقال قتلة شيخ راس الحد واعدامهم ، وتسليم سلطة المنطقة المحررة الى السيد سعيد ، واطلاق سراح الاسرى وتسليم الاسلحة التى وقعت خلال الحملة السابقة فى يد قبائل بنى بوعلى ، واخيرا استكتاب القبائل تعهدا بالكف عن مزاوله القرصنة ، فاذا تبين لسميث ان السيد سعيد لا يستطيع فرض سلطته بشكل فعال على القبائل يتعين على سميث أن يطلب من شيوخ بنى بوعلى التوقيع على تعهد بالامتناع عن بناء سفن مسلحة فى موانئهم بالاضافة الى فرض قيود اخرى على حجم تلك السفن واعطاء الحق للأسطول البريطانى بتفتيش تلك السفن ومصادرتها اذا لزم الامر ، فاذا نجح سميث فى عقد لهذه الاتفاقية فينبغى ان تشمل نصوص اتفاقية الصلح العامة المعقودة عام ١٨٢٠، الايما يتعلق بالاحتفاظ بالسجلات واذون السفر ، فاذا وافق شيوخ بنى بوعلى على هذه الشروط فعلى سميث ان يبلغهم بأن الهجوم الذى شنه طومسون على جعلان كان اجراء مخالفا لسياسة الحكومة البريطانية التى لم تخوله بذلك ، كما طلب اليه بأن يبلغ السيد سعيد ايضا ، بأن يتعهد طومسون له بوضع امكانيات الحكومة البريطانية تحت تصرفه ثم يغير موافقة حكومة بومباي ، وان الالتزامات التى تضمنها ذلك التعهد كانت تتعارض مع السياسة البريطانية فى الخليج . وكان الفنتون مهتما بصفة خاصة بمعرفة الأسباب التى دعت طومسون الى التعاون مع السيد سعيد ولذلك طلب الى سميث ، بأن يتأكد ما اذا كان قد تم بناء على طلب من السيد

سعيد ، أو أنه كان بمبادرة من طومسون لدعم موقف السيد سعيد ضد القبائل (١) .

بعد يومين من وصول سميث الى صور ، وصل اليها السيد سعيد بمجموعة محدودة من القبائل ، وعند وصوله علم من السيد سعيد بأن القوات الرئيسية من القبائل سوف تصل خلال ١٠ او ١٢ يوما . وقد شعر سميث انه بالنظر الى مشاكل النقل والتموين فإنه سيكون من الصعب عليه تطبيق التعليمات التي صدرت اليه من وارن بعدم دمج قوات السيد سعيد ، وبالتالي فقد قرر الانتظار حتى تصل بقية قوات السيد سعيد قبل زحفه على داخلية البلاد (٢) . وفي ليلة ١٠ فبراير ١٨٢١ ، شن رجال بنى بوعلى هجوما مفاجئا على المعسكر البريطانى بعد أن التفوا على التلال المحيطة بالمعسكر عن طريق ملتو ، لكى يتفادوا رجال الحراسة وقد انقض ٤٠٠ من هؤلاء على مؤخرة فرقة بومباى الاوربية وقتلوا عددا منهم قبل استيقاظ افراد المعسكر وتبع ذلك التحام رهيب بين الطرفين حيث كان يجرى القتال وسط الظلام الدامس وصيحات رجال الجيش المذعورين وصهيل الخيل التى هبت مذعورة من الحادث ولم يخل الحادث من لحظات المرح ، كما ذكر فيما بعد أحد افراد فرقة بومباى الذى قال « كان هناك عدد من الضباط التابعين لسلاح النقل وكانوا يقضون بضعة أيام على الشاطئ مع بعض اصدقائهم من افراد الجيش ، وقد شوهوا يندفعون وهم عمارة الاجسام من مخيماتهم فى اتجاه المعسكر . وكان بينهم جندى شاب حديث الالتحاق بالجيش ، كان يجرى للنجاة بحياته وكان يلاحقه عربى قوى البنية

(١) محادثات حكومة بومباى السرية رقم ٣٠ مجلد ٤٩ ، ١/١/١٨٢١-
من واردن الى سميث بنفس التاريخ .
(٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من سميث الى واردن ١/٢/١٨٢١ .

يؤجبه اليه طعنات من رمحه الخاد (١) ، غير أن القوات تمكنت فى النهاية من ارقام قبيلة بنى بوعلى على الانسحاب مخلقين وراءهم اثنى عشر قتيلاً بينما قتل من الجانب البريطانى ضابط و ١٦ جندياً وجرح ثلاثة ضباط وأربعون جندياً (٢) .

اما قوات السلطان فقد وصلت فى الأسبوع الأخير من فبراير ، وفى يوم ١٤ منه بدأت القوات المشتركة تقدمها الى داخلية المنطقة يوم ٢ مارس ، فوصلت الى مشارف بلاد بنى بوعلى . وفى المساء شن سميث هجومه على البلدة ونشب قتال دموى حاد ، خصوصاً على الجناح الايمن للقوات البريطانية ، حيث ركز رجال بنى بوعلى هجومهم ، شاقين طريقهم وسط الفرقة الخامسة والستين والفصيلة الاولى ثم الفرقة السابعة حتى آخر القوات . وكانت حدة القتال فى هذا القطاع فى منتهى الشدة ، حيث استردت الفرق التى قاتلت فى الحملة السابقة مكانتها وهيبتها بجدارة اذهلت أحد الضباط الذى شهد بنفسه البسالة التى ابدائها مقاتلوننا فى تلك المعركة .

وقد كتب فى ذلك يقول ،

« كانت المذبحة رهيبة على الجانبين : وان قوات العدو التى كانت فى المؤخرة اضطرت الى شق طريقها وسط لوائنا فى محاولة لاستعادة مزارعها ، وكل الذين شاهدوا ذلك الهجوم الفريد ، قالوا بانهم لم يشهدوا

(١) رحلة شتوية عبر روسيا وجبال القوقاز وجورجيا مجلد ٢ طبعة لندن ١٨٣٩ جزء ٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٥ تأليف الكابتن آرمجنان .

(٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من سميث الى الادجوتانت جنرال للجيش ١٨٢١/٢/١١ . علم سميث فيما بعد ان بنى بوعلى قد اصيب منهم ٢٠ رجلاً بجروح بما فيهم شيخ القبيلة نفسه .

في حياتهم جيشا قاتل بتلك البسالة التي لا نظير لها ، ولم نستطع إيقاف
تقدمهم رغم قصفنا المتكرر لواقعهم والذي كان يبيدهم باعداد غفيرة متحدين
الجراب المصوبة اليهم (١) . وهكذا ابدوا صمودا في القتال وكانوا ينقضون
على سياراتنا وينتزعون بناذقنا من ايدينا في محاولة لشق صفوفنا وابدتنا
حتى بعد ان كانت حرابنا قد انفرست في اجسادهم .

قبل حلول الظلام سقط اكثر من ٢٠٠ قتيل من رجال بنى بوعلی
وجرح نحو ٣٠٠ شخص ، كانت جراح ٩٦ منهم خطيرة . كما سقطت بلاد
بنى بوعلی بيد التهديد بقصفها ، كما استسلم لقواتنا ٢٣٦ مقاتلا مع
عائلاتهم . وكانت خسائر البريطانيين في القتال هي ٢٨ قتيل و ١٦٩ بالاضافة
الى خمسة ضباط جرحى (٢) .

وان المشكلة التي واجهت سميت في أعقاب القتال هي كيفية التصرف
بالأسرى وعائلاتهم ، وقد رفض السيد سعيد الذي لم يغادر بلاد بنى بوحسن
طوال القتال ، ان يتولى أمرهم وطلب الي سميت بأن ينقل غير المصابين
الى بومباي ، وبعد أخذ ورد ، وافق سميت على نقل ١٥٠ معه الى بومباي
يما فيهم زعيما القبيلة اللدان اصيبا بجراح خطيرة ، بالاضافة الى خمسين
صبيا يزيد عمرهم على عشر سنوات ، اما من بقي من النساء والرضع وكبار
السن فقد قدمت لهم الاسعافات في بلاد بنى بوحسن ، اما بقية الأسرى
وعدددهم ١٨٢ رجلا بينهم ٦٣ جراحهم خطيرة و ٣٣ من الشيوخ ، ٢٤ صبيا
نقل اعمارهم عن العاشرة سلموا الى السيد سعيد ، وبما ان السيد سعيد
قد رفض الاشراف على اراضي بنى بوعلی فقد امر القائد سميت بدك القلاع
والتحصينات وتسويتها بالأرض . كما سمح لرجال السيد سعيد باتلاف
المزارع وتغيير مجاري المياه كما اشعلت النار في مساكن القبيلة في الأشخرة

(١) رحلة شبتوية فصل ٢ ص ٢٦٧ تأليف نجمان .

(٢) فارس والخليج مجلد ٣٢ من سميت الي وarden ١٨٢١٣/٤ .

الواقعة الى الجنوب يوم ٢ مارس ، وقد قام بهذه العملية مجموعة من بحارة الطراد سيش الذين استولوا ايضا على ثلاثة من قوارب بنى بوعلى كانت تبجر غير بعيدة من الشاطئ ، وفى نهاية الاسبوع الاول من مارس تحرك سميث بالقوات والمعدات التى تركها طومسون الى الشاطئ للابحار الى بومباى مصطحبا معه الأسرى (١) .

ومنذ البداية حتى النهاية كانت الحملة على رجال بنى بوعلى مخزية ومؤلمة ، وقد ذهب ضحيتها من الرجال اكثر مما ذهب فى معركتى ١٨٠٩ ، ١٨١٩ . معا ، وأسفرت عن نتائج لا قيمة لها وقد يكون طومسون مسئولا الى حد كبير عما حدث لمخالفته للتعليمات الصريحة بشأن العمليات العسكرية داخل المنطقة العربية ، وتحول الحملة التأديبية الى حرب بسافرة كل هدفها هو استعادة سلطة السيد سعيد على قبائل جعلان . وقد دفع طومسون ثمنا غاليا على تلك الأخطاء ، فقد فصل من منصبه كعمد سياسى بريطانى فى الخليج فى نفس اليوم الذى ابجر فيه سميث الى بومباى ، كما جوكم محاكمة عسكرية بعد عودته الى مقر عمله فى بوشهر ، وكانت التهم الموجهة اليه هي عصيانه للأوامر بالتوغل الى بلاد بنى بوعلى والاهمال والتقصير فى عدم اتخاذه الاحتياطات اللازمة قبل المعركة ، وانه كان مقصرا فى جهوده الذاتية ، وانه قد تصرف بطريقة مخزبة لا تليق بضابط مثله حين القى مسئولية الهزيمة الى الضباط والجنود العاملين معه ، وقد جاء فى حكم

(١) كان الاشتباك مع رجال بنى بوعلى هو آخر عملية عسكرية تقوم بها الفرقة الخامسة والستون بتكليف من حكومة الرئاسة . وقد ظلت هذه الفرقة فى عمليات عسكرية متتالية منذ وصولها الى الهند فى شهر مايو ١٨٠٣ ، وكانت بعض تلك العمليات موجهة ضد الامراء الهنود فى ولايات كتش وكتساور ، وفى الهجوم على جزر موريشيس وفى كل الاشتباكات الثلاثة فى الخليج ، وبعد أن استمرت هذه الفرقة فى العمل الى مايقرب عشرين عاما فى الهند ، انجرت الى انجلترا يوم ١٨٢٢/٨/١٩ .

المحكمة بأن طومسون مسئول عن جزء من التهمة الأولى وبريء من التهمتين الأخرين ، كما ادين عن التهمة الأخيرة وبريء من تهمة اساءة التصرف ، وقضت المحكمة ببطلان التهم التي وجهها طومسون إلى ضباطه وجنوده كنتيجة لاستنتاجاته الخاطئة ، وقد صدر الحكم ، بتوجيه اللوم العلني إليه .

وإذا نحينا الجانب العسكري من سلوك طومسون ، فإن ادانة الحكومة له كانت في محلها . فبعد ان كلفته الحكومة بالتعاون مع السيد سعيد ضد قبائل بني بوعلی ، عادت فوجت اللوم اليه على اعطائه انطبعا بان الاسلحة البريطانية كانت تستخدم لمصلحة السيد سعيد لاختضاع القبائل المتمردة عليه ، ومن الصعب ان نتصور كيف كان الناس في الخليج ينظرون الى ذلك التعاون خصوصا بعد ارسال الحملة الثانية التي كان الهدف منها هو رد الاعتبار للقائد طومسون . ومهما أصرت حكومة بومباي على ان الهدف الأساسي من الحملة الثانية هو معاقبة قبائل بني بوعلی على أعمال القرصنة ومصرع شيخ رأس الحد ، فإن الحملة يمكن اعتبارها أيضا وبنفس القدر على انها لم تكن تهدف الى الانتقام لهزيمة طومسون فحسب ، بل وعن هزيمة السيد سعيد أيضا كذلك فان تصرف سميث مع رجال بني بوعلی بعد الهزيمة ، وعلى الأخص طريقته في معاملة الأسرى ، انما تؤكد ذلك الانطباع .

وإذا كان ثمة طرف له الحق في ان يفخر بنتيجة الحملة فهو قبائل بني بوعلی أنفسهم لدفاعهم الباسل عن أراضيهم ومواطنهم ، وهذا هو ما اعترف به أعضاء مجلس الإدارة لشركة الهند الشرقية عندما اجتمعوا لتقييم نتائج الحملة ، فقد اعترفوا بأنه لم تتخذ الاجراءات اللازمة منذ البداية عن طبيعة أعمال القرصنة التي كان متهما فيها قبائل بني بوعلی ، وان حكومة بومباي قد اكتفت برأي السيد سعيد في هذا الموضوع وان أعضاء مجلس الإدارة لم يقتنعوا بهذا الرأي . كما أقر مجلس الإدارة على ان تصرف طومسون تصرف لا يفتقر ، وانه لابد من توجيه اللوم له وان أمر تكليفه

بالتعاون في الحملة مع السيد سعيد كان اجراء خاطئا . أما معاملة سميث للأسرى فقد تبين لرجال الشركة بأنها معاملة ليس لها ما يبررها ، فقد انتقدوا بشدة قرار سميث بتكليف رجال السيد سعيد باتلاف وحرق مزارع القبيلة وتحويل قنوات المياه واعتبروا ذلك الاجراء تصرفا في منتهى القسوة لم يكن له ما يبرره على الاطلاق (١) ، أما نقل الأسرى الى بومباي حيث توفي أحد الشيوخ وعدد من رجال القبيلة فيما بعد فقد كان تصرفا أحق ، وقد تلقى أعضاء مجلس الادارة تظلما من الشيخ الوحيد الذي بقى على قيد الحياة وهو محمد بن على ، الأمر الذي جعلهم يشعرون بالخجل من ذلك .

كما ان تسليم بقية الأسرى الى سعيد والتصرف بهم في عمان ، فيعتبر اكثر الأعمال خزيا ، وأن الاسباب التي أبدأها سميث لتصرفه هذا كانت أسبابا مرفوضة كما أن الخطر على السيد سعيد كما تصوره سميث ممن بقى من رجال القبائل المتمردة ، فيبدو أنه تصور خاطيء ، وقد اختتم أعضاء مجلس الادارة مداولاتهم بالاعتراف بوجوب تقديم المساعدات والإسعافات الى قبائل بني بوعلی ، ولذلك فقد اصدروا أوامرههم الى الفنستون باطلاق سراح الأسرى ، واعادة توطينهم في أراضيهم وتقديم كل المساعدات الممكنة لاعادة الحياة الطبيعية اليهم .

في شهر أكتوبر سنة ١٨٢١ . افرج الفنستون عن الأسرى وأجرى الترتيبات اللازمة لهم للعودة الى جملان قبل وصول الأوامر بعام واحد ، أما بالنسبة للأسرى الذين سلموا الى السيد سعيد فلم يكن في مقدور الفنستون أن يعمل شيئا ، فقد أودع هؤلاء سجن الجلالى في مسقط حيث توفي ثمانية منهم جوعا (٢) أما الذين عادوا من بومباي الى بلاد بني بوعلی فقد حصلوا على مساعدات كبيرة من السلطات في بومباي استمرت لبضعة

(١) التقارير السياسية الى حكومة بومباي . مجلد ٣ من مجلس ادارة الشركة الى مجلس الحاكم ١٨٢٢/٨/٧ رقم ٣٨٣ .
(٢) ابن رزيق ائمة وسلاطين عمان (ص ٣٤٤) .

سنوات ، وبعده وقت قصير عبادت هذه القبيلة الى ممارسة اعمالها السابقة حتى انها اشتركت فى بعض عمليات القرصنة وفى سنة ١٨٢٧ قام كبير شيوخ هذه القبيلة محمد بن على برحلة الى بومباى لتقديم الشكر الى الحاكم شخصيا على المساعدات التى قدمها اليه .

على ان ما كان يثير القلق فى نفس الفنستون من مغامرة طومسون الأخيرة هو ما سوف تتركه من انطباع فى اوساط القبائل الخليجية عن السياسة البريطانية ، ان تلك السياسة ، كما ذكر الفنستون فى تقريره الأول عن تصرف طومسون كانت تنطلق من مبدأ القضاء على القرصنة اينما وجدت ، وعدم الاشتراك فى الخلافات التى تنشأ بين دول الخليج حتى ولو كانت فى مناطق تعتبر فى متناول قواتنا البحرية ، الا اذا كان ذلك بقصد مكافحة اعمال القرصنة ومن ناحية اخرى فان تعاون طومسون مع السيد سعيد سلطان عمان انما يوحى بأنه محاولة منا للتدخل فى الشؤون الداخلية للمنطقة بهدف حماية مصالحنا من الأخطار التى تهددها فى مياه الخليج (١) .

وللحيلولة دون انتشار مثل هذا الانطباع عن سياستنا فقد كلف الفنستون الجنرال سميث بزيارة ساحل الخليج فى محاولة لازالة اى انطباع عن السياسة البريطانية لديهم . وعلى الاخص بالنسبة لعلاقة بريطانيا بحكومة مسقط . كما طلب الفنستون الى سميث بأن يعيد البحث فى امكانية مرابطة قوة عسكرية فى منطقة الخليج وبإبداء رايه فى تكوين هذه

(١) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤٩ رقم ١ - ١٨٤١/١/٣ .

من جى.بى.سمسون (سكرتير الحكومة) الى واردن معسكر كرينا
١٨٢٠/١٢/٢٧ .

القوة ، وفيما اذا كانت جزيرة قشم تصلح كمقر لها (١) وان الهزيمة التي منى بها طومسون في جعلان جعلت الفنستون يتساءل ما اذا كان الاحتفاظ بحامية في قشم قد يضر بمصالح الحكومة البريطانية اكثر مما ينفعها . لان الخطر من تورط هذه القوة في حروب اخرى كحرب بنى بوعلى سيشكل خطرا مستديما على المصالح البريطانية الى جانب الاعتبارات الاخرى لحالة المناخ الصخى للجزيرة الذي كان يودى بحياة عدد كبير من افراد الحامية . بالاضافة الى كل هذا فان هناك احتمالا آخر وهو ان يؤدي الاحتلال اليائهم للجزيرة الى خلافات مع حكومة فارس .

وقد برز هذا الاحتمال بشكل قاطع في ختام سنة ١٨٢٠ ، عندما قطعت حكومة فارس ضمتها حول هذا الموضوع منذ شهر مايو . ففي ٩ من ديسمبر سلم رئيس وزرائها هنرى ويلوك طلبا رسميا بجلاء الحامية البريطانية من قشم ، وقد استند في طلبه هذا الذي عجلت به اخبار هزيمة طومسون ، على ان سلطان مسقط لم يكن له الحق في السماح للقوات البريطانية بالمرابطة في الجزيرة ، وان مسقط كما جاء في خطاب الصدر الأعظم ، هي الاخرى تابعة لفارس ، وان الامام لا يملك حق السماح للقوات البريطانية بالبقاء في مسقط ، فكيف والحالة هذه يملك السلطان حق السماح للقوات البريطانية بالمرابطة في قشم وهنجام وهما جزيرتان تابعتان لندر عباس الفارسية . كما رفض الصدر الأعظم الحجة القائلة بان وجود القوة العسكرية البريطانية في الخليج امر ضرورى لتحقيق الاستقرار فيه . فاذا كان من الضرورى اتخاذ خطوات اخرى للقضاء على القرصنة في الخليج الفارسي فان امير فارس في مقدوره اتخاذ مثل هذه الاجراءات الفعالة دون الحاجة الى عون خارجي ، وازضاف الصدر الأعظم بان الشاه يزمع ايفاد مبعوثين الى قشم والهند للمطالبة باخلاء الحامية من البريطانيين،

(١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٤١ ، رقم ٢ - ١٨٢١/١/١٠ .

من وarden الى سميث بنفس التاريخ .

وسحب الكاتبن بروسن المقيم البريطاني في بوشهر بوصفه المسئول عن تدمير السفينتين الفارسييتين اسالو ، وكاندون في شهر يناير من عام ١٨٢٠ وفي التواطؤ الذي تم بين شيوخ آل خليفة في البحرين والسيد سعيد ، وهو عمل فيه افتراء على حقوق فارس في البحرين . (١) .

لم يكد يمضى اسبوعان على تقديم الصدر الأعظم مطالبه إلى ويلوك، حتى بعث رئيس الوزراء بيمذكرة إلى وزير الخارجية الفايكونت كستكر تتضمن احتجاج الشاه على حكومة الشركة في الهند واستهلها بتحليل للاحداث الاخيرة في الخليج .

« عندما كانت السلطة في السابق في يد الوهابيين كان القواسم يقتربون ما شاءوا من الأعمال المنافية للقانون ، غير أن أمير فارس لم يول تلك الأعمال اى أهمية . غير أنه رغبة من الحكومة البريطانية في تحقيق الاستقرار في البحار قررت اتخاذ اجراءات ضد المخلين بالامن فأرسلت حملة إلى المنطقة ، وقام القائم بأعمال صاحب الجلالة باطلاع حكومة فارس بقرار الحكومة البريطانية ، وتقديراً من حكومة فارس لقرار الحكومة البريطانية في الهند فقد رحبت به اعتقاداً منها بأن مكافحة القرصنة أصبحت مسألة ملحة وأنها سوف تعود بالفائدة على الدولتين ولهذا فقد وافقت حكومة فارس على مشروع الحملة » (٢) .

(١) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤٩ رقم ٧ في ٢٨/٢/١٨٢١ .
من ويلوك إلى هستنجز ٢٠/١٢/١٨٢٠ رقم ٢ وقد ارفق معه الوسائل المتبادلة مع الوزراء الفرس .

(٢) فارس والخليج مجلد ٣٤ من الحاج محمد حسين خان الى كستلر ربي وقد ارفق نسخة منه في خطاب ويلوك الى اللجنة السرية بتاريخ ٢٦/١٢/١٨٢٠ .

كانت بصفة عامة الرسالة منطقية، وكانت تعبر عن قلق حقيقي عن إجراءات وأهداف السياسة البريطانية تجاه فارس، ومنذ شهر نوفمبر من عام ١٨١٥ بقيت السياسة البريطانية في طهران في يد القائم بالأعمال، وهو اجراء رأت فيه حكومة مغرورة بحكومة طهران. انتقاصا لها، على أحسن الفروض، ويتسم بالخبث على أسوأها، فمنذ انتهاء الحروب الفرنسية كان اهتمام الحكومة البريطانية بعلاقاتها بحكومة فارس قد قل وأخذ يتبادل الرسائل بين بريطانيا وحكومة فارس يتسم بالطابع الروتيني، وفي الوقت الذي كان ويلوك قد يبلغ وزراء الشاه بأمر الحملة فقد شكوا هؤلاء الوزراء من أن مشروع هذه الحملة كانت تنقصه روح المجاملة والإحترام من جانب الحكومة البريطانية تجاه حكومة فارس، وقد وافقهم ويلوك على هذا الرأي (١). وكان لمخاوف الشاه ما يبررها من قلة اهتمام بريطانيا بفارس، وفي اعتراضه على إقامة قاعدة بريطانية في جزيرة قشم كل هذه المسائل تضمنها في رسالة الصدر الأعظم إلى كستلرربي. وبعد أن أشار الصدر الأعظم إلى أن احتلال قشم قد لا يكون سببا لخلافات بين فارس وبريطانيا، أضاف بأنه سيكون أمرا مؤسفا لو عرفت به «الدول الأجنبية» وبعبارة أخرى فإن روسيا قد تستغل ذلك كذريعة للحصول على امتيازات مماثلة في منطقة قزوین غير أنه لم يكن في وسع ويلوك أن يعمل شيئا ليثنى الصدر الأعظم عن موقفه بالنسبة لإنشاء قاعدة في جزيرة قشم، ولكنه على كل حال نجح في إقناع الصدر الأعظم بتأجيل إيفاد مبعوثه إلى الهند وقشم، ريثما يتلقى ويلوك ردا على رسالته إلى الحاكم العام حول هذا الموضوع (٢).

(١) محادثات حكومة بومباي السرية مجلد ٤٥ رقم ٨. في ١/٣/١٨٢١ من ويلوك إلى كبير ومرفق بخطاب كبير إلى واردة ٧/٢/١٨٢١. راجع أيضا ص ١٦٠ أعلاه.

(٢) فيما يتعلق بالرسائل المتبادلة بين ويلوك والصدر الأعظم راجع فارس والخليج مجلد ٣٤ من ويلوك إلى اللجنة السرية ٢٦/١٢/١٨٢٠ ومرفقات لرسائل سنكوتير حكومة بومباي مجلد ٧ ومرفق بخطاب السكرتير رقم ١ في ٢٥/٥/١٨٢٠.

وعندما علم الفنتون برسالة الصدر الأعظم التي كنتلر ربي تاجر كثيرا بما تضمنته الرسالة من اشارة الى مخاوف الشاه من احتلال جزيرة قشم ، لدرجة انه أبدى استعدادا للتخلي عن الفكرة نهائيا ، هذا على الرغم من انه لم يكن موافقا على اعتبار الجزيرة تابعة لفارس ، فلم يكن يستطيع تجاهل آراء الضباط البريطانيين الذين خدموا في الخليج من انه لا يمكن القضاء على القرصنة قضاء تاما بدون وجود قاعدة . فاذا تغذر الحصول على موقع آخر للقاعدة ولم تلق معارضة قوية كمعارضة الحكومة الفارسية ، فان على الفنتون أن يختار بين الجلاء عن قشم وما سوف يستتبعه من عودة القرصنة او الاحتفاظ بالجزيرة وما يعقبه من استياء من جانب حكومة فارس ، ولكن الفنتون لم يكن في وضع يسمح له بالاختيار بين الأمرين ، ولذلك فقد قام في شهر مارس ١٨٢١ بالحالة الموضوع إلى الحاكم العام ، كما كتب إلى الجنرال سميث في الخليج ، يستشير في الحصول على موقع مناسب على الساحل الغربي يصلح أن يكون كمحطة بحرية عسكرية .

وقد اجاب سميث على سؤال الفنتون عند عودته الى دار المقيم في اواخر ابريل وكان رايه ، انه لا بد من وجود قوة عسكرية لمواجهة القرصنة ، واقترح ان تكون قوة صغيرة ممتحركة ومسلحة تسليحا جيدا ، واقترح ان تتألف مثل هذه القوة من ٢٠٠ أوربي مشاه و٤٠ مدفعا وفصيلة بحرية من ٣٠٠ افريقي ، وكان سميث يحبذ الافريقيين على الهنود لان العرب يحترمون الجنود الاوربيين والافريقيين وليس الهنود ، وكان سميث يحبذ ايضا شأنه شأن كبير ، ان ترابط القوة في جزيرة قيس او هنجام ، فاذا تعدر هذان الموقعان فلتكن جزيرة قشم بدلا عنهما ، لان ذيرستان ، على اى حال ، مناخها غير صحى ، وانه قد سبق له ان امر بنقل الفصيلة الى الجانب الشرقى من الجزيرة بالقرب من بلدة قشم ، كما قال سميث انه لا توجد منطقة اخرى بديلة تصلح ان تكون قاعدة . وقد استنتج الفنتون من تقرير سميث حول هذا الموضوع بأنه يتعين بذل محاولة اخيرة للبحث عن نقطة التقاء بين بريطانيا وحكومة فارس حول الاحتفاظ بالخامية ، في جزيرة

قشم ، لأن مخاوف لشاه من نوايا بريطانيا لاحتلال الجزيرة انما ترجع
 بى معظمها الى التقارير التى كان يوافيه بها نجله حسين على ميرزا ، أمير اقليم
 فارس ، فقد سبق لميرزا ان اوفد فى شهر مارس مبعوثا الى جزيرة قشم .
 يطلب سحب الجنود البريطانيين منها ، كما قيل انه دعا الزعماء القبليين
 للاقليم لحشد قواتهم للقيام بهجوم على الجزيرة . ولهذا رأى الفنستون انه
 لكى يتم اقناع الشاه بالموافقة على احتلال جزيرة قشم ، فانه يتعين عليه
 ان يسعى الى تبديد مخاوف أمير شيراز من وجود مثل هذه القاعدة .
 وبحكم مركز ويلوك فانه لم يكن فى استطاعته الاتصال بميرزا مباشرة وانما
 عن طريق حكومة فارس . وكان بروس المقيم البريطانى فى بوشهر يعتبر
 شخصا غير مرغوب فيه فى شيراز . وبالتالي لم يبق امام الفنستون طريق
 اخر سوى ارسال مبعوث خاص ، وقد اختار لتلك المهمة الجراح اندرو
 جيوكس الذى سبق ان عمل مع مالكولم فى فارس والذى يرجع الفضل
 اليه فى تعاون السيد سعيد مع حملة كيز فى شهر نوفمبر ١٨١٩ .

تلقى جيوكس الامر بالتوجه الى فارس يوم ١٠ مايو من سنة ١٨٢١ .
 وكلف بأن يتوجه اولا الى مسقط ليحاول التأكد من حقوق كل من السيد
 سعيد وفتح على شاه فى جزيرة قشم . وكان الوزير المسئول للسيد سعيد
 قد ابلغ الكابتن طومسون فى شهر اكتوبر من العام السابق ، بأن مبعوثين
 من فارس قد زارا مسقط فى مستهل ذلك الشهر لجمع الهدايا ، وتحصيل
 إيجارات قشم وبندر عباس (١) . كما تساءل الفنستون عما اذا كان الطلب
 الذى تقدم به مالكولم لحكومة فارس للتنازل عن قشم قبل خمسة وعشرين
 عاما قد لا يفسر على انه اعتراف ضمنى بتبعية قشم للشاه ، وبالتالي يصعب

(١) فارس والخليج مجلد ٣٥ من طومسون الى ويلوك مسقط
 ١٨٢١/١٠/١٣ ومرفق بخطاب ويلوك الى جوزيف وارث (شركة الهند
 الشرفية) ، ١٨٢١/٢/٨ . والتأكيدات واردة فى الاصل .

هو قف هذه الحكومة فى معالجتها للقضية: الأند (الملك) ومن جهة أخرى فقد كانت قشم تعتبر من ممتلكات مسقط قبل استيلاء السيد سلطان بن أحمد على بندر عياس الذى أخذ يدفع عنها وعن توابعها إيجارا سنويا لحكومة فارس ، وعلى النقيض من ذلك لم تكن فارس تتمتع بملكية الجزيرة وحتى استيلاء البرتغاليين على هرمز فى سنة ١٥١٤ ، كانت قشم تابعة لهرمز . وبقيت تحت الحكم البرتغالى حتى عام ١٦٢٢ ، عندما أجلى البرتغاليون من هرمز وعندئذ ولأول مرة فى تاريخها خضعت لحكم فارس ، وبعد مضي ربع قرن احتلها الهولنديون لفترة قصيرة ، ثم انتقلت منهم إلى الامام اليعربى فى عمان فى بداية القرن الثامن عشر ، وبقيت تحت حكم اليعاربة حتى الفترة الواقعة فيما بين ١٧٣٥ و ١٧٤٣ ، عندما استولى عليها وعلى الجزر الأخرى على الساحل الفارسى نادر شاه . وكان يحكمها بالنيابة عنه زعيم ، ولكن هذا الزعيم رفض بعد وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧ ان يعترف لخلف نادر شاه بالسلطة ، وعندما كان الرحالة كورستين ينهور فى الخليج سنة ١٧٦٤ وكانت قشم فى يد راشد بن مطر القاسمى شيخ رأس الخيمة ، الذى كان حتى ذلك الوقت تابعا لإمام عمان أحمد بن سعيد ، وقد طرد القواسم من قشم فى نحو عام ١٧٧٠ ، وقاد الحملة عليهم أحد زعماء القبائل الذى كان يسمى «عبد الله بن معين» ، وقد ظل يدفع الزكاة للحكومة فارس لفترة من الوقت ، وبعد وفاته عاد القواسم إلى احتلال الجزيرة؛ ولكن آل بو سعيد كانوا ينازعونه على حكمها . وقد نشب صراع طويل للسيطرة عليها انتهى لصالح آل بو سعيد ، وقاد الحملة ضدهم السيد سلطان بن أحمد عام ١٧٩٤ - ١٧٩٥ ، منذ ذلك الوقت ظلت قشم اسميا على الأقل تابعة لمسقط ، ويبدو من كل ذلك ، كما تصور الفنستون ، ان ادعاء فارس بسيادتها على قشم إنما كان يقوم على أساس ان جميع الجزر فى الخليج كانت فى

(١) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤٩ رقم ٩-٢١/٣/١٨٢١ .

من سمسون إلى وarden ٤/٣/١٨٢١ .

١٧٤٤-١٧٤٤

وقته من الأوقات تابعة لفارس وان هذا الوضع لا يزال مستمرا بصرف النظر عما جد من أحداث ، وبالتالي فقد كان الفنستون يعتقد بأن تلك الدعوى لم تكن منطقية مثل دعاوى الشاه بتبعية عمان له على اساس الاحتلال الفارسي لها فيما بين ١٧٣٧ و ١٧٤٤ (١) .

بعد ذلك وافق السيد سلطان على دفع ايجار سنوي عن بندر عباس وماحفاتها ، ولكن ليس عن جزيرة قشم ، على الرغم من ان جيوكس لم يتمكن من الاطلاع على المرسوم الأصلي المتضمن هذا الاتفاق ، الا انه كان واثقا من ان السيد سعيد كانت له الاحقية في جزيرة قشم ، وعلى الأخص فيما سمعه من الوزير السلطاني وهو يعكس ما ذكره لطومسون بأن قشم لم تكن مدرجة في قائمة ايصالات الايجار التي كان الشاه يحجزها عن بندر عباس (٢) . وعند مغادرة جيوكس لمسقط متوجها الى قشم لم يتلق أخبارا

(١) سجلات الرسائل لبومباي مجلد ٥ (١) من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٢١/٥/٢٥ (رقم ١ سرى الادارة السرية) انظر ايضا ص ١٩٠ ادناه .
 (٢) فارس والخليج مجلد ٣٥ من جيوكس الى واردين (يوليو ١٨٢١) وقد ارفق نسخة منه لخطاب ويلوك الى اللجنة السرية بتاريخ ١٨٢٢/١/٢٥ . وكان ويلوك من الناحية الأخرى يعتقد بأن قشم كانت تابعة لبندر عباس ، كما كان يعتقد ان سلطان بن احمد قد فقد حقه بالاحتلال للجزيرة بعد موافقته على دفع ايجار مقابل احتلال السلطان لها (انظر فارس والخليج مجلد ٣٥ من ويلوك الى الفنستون ١٨٢٢/١/٢٢ ومرفق بخطاب ويلوك الى اللجنة السرية ١٨٢٢/١/٢٥) غير ان قشم على ما يبدو لم تضم رسميا الى ملحقات بندر عباس حتى عقب المعاهدة العمانية الفارسية لسنة ١٨٥٦ وان كلا من كرزن وسكايز يحددان توابع بندر عباس ضمن ميناب وغيرها من المناطق الواقعة على الارض الرئيسية من فارس . (انظر فارس والمسألة الفارسية فصل ٢ ص ٤٢٣ ، وكتاب تاريخ فارس « تأليف السير برسي سكايز المجلد الثاني الفصل الثاني ص ٤٥٦ ص ٤٥٧ طبعة لندن ١٩١٥) .

جديدة عن هجوم متوقع على الجزيرة . وقد وصل شيراز يوم ٦ أكتوبر ،
 وبدلاً من أن يجد فيها استعدادات للحرب وجد المدينة في هلع وفزع فقد
 اجتاحت الكوليرا شيراز واخذت تمتد لتشمل اقليم فارس كله ، وكان
 الكل يحاول الفرار من المدينة للنجاة بنفسه من الوباء ، وقد مر أسبوعان قبل
 ان يتمكن جيوكس من مقابلة الامير وتسليمه الرسالة التي حملها اليه .
 وقد كان على ميرزا في غاية الود ، واصفى باهتمام بالغ لشرح جيوكس عن
 حقيقة الوجود البريطاني في جزيرة قشم ، واعرب في النهاية عن موافقته
 لوجهة نظر جيوكس ، هذا بالرغم من انه قداكد لجيوكس تبعية الجزيرة لفارس ،
 وانه لم يكن من حق سلطان مسقط ان يسمح بمرابطة القوة البريطانية في جزيرة
 قشم ، وفي نهاية المقابلة ذكر الامير بأنه سوف يوصى في خطابه الى والده بالسماح
 ببقاء الحامية البريطانية في الجزيرة ، غير ان جيوكس ساوره الشك في
 اقوال الامير ، وبالتالي قرر التوجه الى طهران ، واثناء سيره مرض
 بالكوليرا وتوفى في اصفهان يوم ١٠ نوفمبر . وقد حل محله اللفتنانت فريزر
 الذي حمل الوثائق وسلمها الى ويلوك في طهران (١) .

بذل القائم بالأعمال محاولات أخيرة خلال الاسابيع القليلة التالية
 لاقتناع الشاه بالطبيعة السلمية للسياسة البريطانية في الخليج ، غير ان
 ذلك لم يؤد الى نتيجة ، ولذلك تعين على ويلوك ان يبعث الى الغنستون
 بتقرير في يناير سنة ١٨٢٢ ذكر فيه ، انه ليس هناك امل في زحزحة
 الشاه عن الموقف الذي اتخذه بالنسبة لاحتلال جزيرة قشم ، وجاء في هذا
 التقرير :

« بان جلالتة لا يخفى مخاوفه من الوجود البريطاني في المناطق القريبة
 من فارس ، ولما كانت سياسته تقوم منذ البداية على مقاومة اى نفوذ اجنبى
 فى اراضيه فانه لن يسمح بمثل هذا الاجراء الذى يعد فى رايه مصدراً

(١) فارس والخليج مجلد ٣٥ من ويلوك الى اللجنة السرية طهران
 ١٨٢٢/١/٢٥ ومرفق خطاب جيوكس لواردن شيراز ١٨٢١/١٠/٢٣ انظر
 ايضا كتاب فريزر « رحلة الى خراسان » فصل ٦ .

لخطر يهدده فى المستقبل . كذلك فانه لا فائدة من محاولة اقتناعه بالمكاسب التجارية التى ستعود عليه من الوجود البريطانى فى الجزيرة ، وأن نتقدم اليه بمقترحات تبرر الحماية البريطانية بما يؤثر على الحكام الآخرين . ان دخل فارس دخل مقطوع ، وسواء ازدهرت التجارة او تدهورت فان هذا الدخل لا يتغير على الاطلاق ، ولذلك فانى اعتقد بحق ان صاحب الجلالة لن يتردد عن التنازل عن جميع المصالح التجارية مع الهند بدلا من ان يبقى فى قلق دائم من وجودنا المباشر فى مناطق تعتبر ضمن سيادته (١) .

وحتى قبل ان يتسلم الفنستون هذا التقرير كان قد قرر انهاء احتلال قشم ، وكان قراره السابق بالاحتفاظ بقوة عسكرية فى الخليج قد تبدد بنتائج الحملة على بنى بوعلى وبمعدل الوفيات بين جنود الحماية بسبب رداءة الطقس ، وفيما بين يوليو ١٨٢٠ و فبراير ١٨٢٢ نقلت الحامية معداتها واخذت تبحث عن منطقة صالحة للاقامة فى الجزيرة . وعندما زار المنطقة كل من جيوكس وفريزر فى شهر اغسطس ١٨٢١ صدموا من الحالة المزرية للجنود (. . . اننا لم نر قط حالات تشير الرعب والاشمئزاز من حالة الجنود المرضى والناقيين فى جزيرة قشم) هذا ماجاء فى تقرير فريزر (٢) فان الجنود الأوربيون يعانون من مرض الحمى بينما كان الجنود الهنود يعانون من مرض خطير آخر ، فالقوة التى أرسلت الى الجزيرة لكى تضرب بشدة على أى نشاط للقراصنة لم يبق منها أكثر من ٣٠٠ جندى هندى وثلاثة ضباط أوربيين صالحين للخدمة ، كما ان الحماية كانت تعاني من نقص فى المواد الغذائية والأدوية بشكل خطير ، كما كان الماء غير صالح الاستعمال ، ولم يكن بالجزيرة بناية واحدة نظيفة فى المعسكر ، أما المنطقة المحيطة بالمعسكر فقد كانت عبارة عن أراضى رملية ومناطق صخرية ، ومعرضة لهبوب الرياح الشمالية الجافة والشديدة الحرارة طوال

(١) فارس والخليج مجلد ٣٥ من ويلوك الى الفنستون ١/٢٢/١٨٢٢ .

(٢) رحلة الى خراسان ص ٢٩ .

أشهر الصيف (١) . وجاء في تقريرهما بأنه لتفادي خسائر جديدة فى الأرواح والجنود ، فإنه ينبغي الانسحاب من الحامية قبل حلول صيف عام ١٨٢٢ ، وكان الفنستون على وشك أن يصدر الأوامر باخلاء الجزيرة فى أوائل شهر مايو ، عندما وصله خبر عن أن ويلوك قد طلب جواز سفره وترك طهران وأصبح الصدام مع فارس قضية حتمية ، ومع ذلك فقد قرر الفنستون عودة الحامية الى قشم ، وبدلا من الانسحاب أمر بارسال تعزيزات الى الجزيرة ، خوفا من أن يركب أمير فارس رأسه فيشن هجوما عليها ، ومرت اسابيع دون أن يقع الهجوم ثم علم الفنستون بأن سفر ويلوك المفاجئ كان بسبب الخلاف على دفع جزء من المعونة المالية البريطانية لفارس بموجب معاهدة ١٨١٤ ، وبالتالي قام الفنستون بالغاء الأمر الخاص بارسال التعزيزات الى الحامية ، وأرجأ موضوع الانسحاب منها ريثما تتطور العلاقات البريطانية الفارسية نحو الأحسن . (٢) .

(١) راجع كتاب فريزر « رحلة الى خراسان » والواقع ان الفنستون طلب من ويلوك فى أوائل ١٨٢٢ بأن يطلب من حكومة فارس بأن تسمح بنقل الحامية من جزيرة قشم الى جزيرة قيس ، غير أنه من المحتمل ان يكون ويلوك قد غادر طهران قبل وصول خطاب الفنستون من بومباي أو أنه لم يجد الوقت مناسباً لعرض الاقتراح على الشاه . إذ لم يرد ذكر لهذا الخطاب بعد ذلك .

١ راجع سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ٨ من مجلس الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٢/٣/٢ رقم ١ - الادارة السياسية - .

فى اكتوبر سنة ١٨٢٢ قدم اللفتنانت جى . آتش جرب من ضباط البحرية والكابتن تى . ريمون من سلاح المهندسين تقريرا الى حكومة بومباي بخصوص جزيرة قيس ، وكان الاثنان قد قاما بجولة استطلاعية للجزيرة للبحث عن ضلالتها كقاعدة (انظر مختارات بومباي مجلد ٢٤ ، ٤٨) .

(٢) الرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ٥ جزء (١) من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٢٢/٦/٢ (رقم ٢ الادارة السياسية) كان موضوع المعونة المالية لفارس والذي كان يعكس الحد الأدنى للعلاقات البريطانية =

ولو أن الفنستون تمسك بموقفه وظل ينتظر تحسن العلاقات الفارسية البريطانية قبل الانسحاب من جزيرة قشم لبقيت الحماية هناك الى أجل غير مسمى ، غير أنه اضطر في أواخر صيف ١٨٢٢ وكنتيجة لاجراءات غير قانونية قام بها المقيم البريطاني في بوشهر الكابتن وليم بروس الى اتخاذ تلك الخطوة . وكان بروس متغيبا عن عمله فى النصف الأخير من عام ١٨٢١ بسبب مرافقته للحملة البريطانية الى مخا بوصفه المترجم العربى للحملة ، ولم يعد للخليج قبل ربيع عام ١٨٢٢ ، وفى شهر يونيه وصلت رسالة الى بوشهر من حسين على ميرزا يدعو فيها بروس للحضور الى شيراز لبحث المسائل التى تهمة البلدين ، وشعر بروس انه بالنظر الى العلاقات التى تربط فارس وبريطانيا فمن الأفضل تلبية الدعوة التى وجهت اليه . وبمجرد وصول الخبر دعوة بروس الى بومباى تلقى تعليمات بعدم تلبيةها ، على أساس ان العلاقات الدبلوماسية الطبيعية بين البلدين كانت متوقفة منذ رحيل ويلوك الى إنجلترا .

ولكن تلك التعليمات وصلت متأخرة بعد أن كان بروس فعلا قد سافر الى شيراز ، وهناك وبغير تصريح من حكومته عقد اتفاقا مكتوبا بتاريخ ٨/٣٠ مع ميرزا زكى خان احد وزراء أمير شيراز ، وقد تناول الاتفاق جميع المسائل المختلف عليها بين حكومة بومباى وحكومة فارس مثل احتلال قشم ،

= الفارسية بعد سنة ١٨١٤ ، وقد اقنع ويلوك بان الحل الوحيد لهذه المشكلة هو احوالة الموضوع الى وزير الخارجية الذى فى استطاعته وحده ان يتخذ موقفا اكثر ايجابية تجاه فارس . غير ان كاننج كان يعتقد بان ويلوك كان يبالح فى تصوراته للموضوع وانه ، كما قيل ، قد ابدى بعض الملاحظات عند وصول القائم بالاعمال الى وزير الخارجية لمقابلة كاننج وما جاء فى ملاحظاته ، بانه لا يجهل بان ويلوك شخص له اهميته غير ان ذلك فى طهران ولبس فى لندن (إنجلترا وروسيا فى الشرق ص ٣٨ . تأليف رولنسون) .

— ٣١٢ —

ووضع البحرين وتدمير بعض سفن فارس من جانب فصيلة ويلوك فى يناير
 اذ هذه الاتفاقية التى يطلق عليها احيانا خطأ (معاهدة شيراز) (١) .
 تتضمن الى جانب الديباجة خمس بنود ، ففي الديباجة اعرب الطرفان عن
 رغبتهما فى توثيق اواصر الصداقة بين حكومتهما ووصفا حملة كير بأنها
 انتهاك لبعض مظاهر هذه الصداقة ، كما اشارت الديباجة ايضا الى أن
 مبعوث الأميز قد توصل الى نوع من التفاهم (٢) . أما البند الأول من
 الاتفاق فليست له أهمية ، غير ان البند الثانى قد شدد على حق فارس

(١) انظر على سبيل المثال (جزر البحرين تأليف آف. ادميات) : دراسة
 دبلوماسية وقانونية للنزاع البحرينى الفارسى طبعة نيويورك عام ١٩٥٥
 وكتاب (غلوم رضا تاجبخش) «وعنوانه مسألة الجزر البحرانية» طبعة
 باريس ١٩٦٠ ، وقد جاء فى وصف لبروس لهذه الوثيقة بانها (ترجمة
 للاتفاق المقترح من جانب السمو الملكى حسين على ميرزا عن طريق وزيره
 زكى خان ونوقشت بينه وبين بروس المقيم البريطانى الموقر فى بوشهر
 بتاريخ ١٨٢٢/٨/٨) انظر مرفقات للرسائل مجلد ٧ مرفقات لخطاب
 السكرتير رقم ٣ فى ١٨١١/٩ .

(٢) توجه المبعوث ميرزا باقر قبل وصول جيوكس الى شيراز ووصل
 بومباى يوم ١١/٥ وعلى الرغم من أن الفينستون قد وافق على الاجتماع
 به فقد شعر بانه ليس هناك نقاط يمكن بحثها معه . (انظر سجل الرسائل
 السياسية لحكومة بومباى مجلد ٨ من مجلس الحاكم الى مجلس ادارة الشركة
 بتاريخ ١٨٢١/١١/١٤ (رقم ٨ الادارة السياسية) . ويؤكد تاجبخش
 (ص ٦٩) أن ميرزا باقر قد نجح فى انتزاع حقوق فارس فى البحرين من
 الفينستون غير أن سجلات حكومة بومباى لا تشير الى ذلك الاتفاق ، كما
 أنه ليس من المحتمل أن يكون مثل هذا الاتفاق قد وقع بالفعل نظرا لتسلسل
 الأحداث كما ذكرنا آنفا .

في البحرين (ان جزيرة البحرين كانت دائما من الاقطار الخاضعة لالتقنين فارس (١) . وطالب بسحب علم لآل خليفة بمقتضى المادة الثالثة لمعاهدة الصلح العام ١٨٢٠ ، كما نصت المادة الثالثة على دفع تعويضات للرعايا الفرس الذين دمرت سفنهم فى شهر يناير ١٨٢٠ خلال حملة ويلوك . أما المادة الرابعة فقد نصت على سحب حكومة فارس اثماتها السابقة الى بروس ، بأنه المسئول عن تدمير سفن الرعايا الفرس وعقد المعاهدة المسقطية البحرانية فى شهر فبراير ١٨٢٠ ، كما ورد فى الاتفاق ذكر لرغبة بروس فى الاحتفاظ بمنصبه كمقيم بريطانى فى بوشهر . ولعل البند الاخير هو أهم بنود الاتفاق على الاطلاق وينص على :

« ان القوات البريطانية التى اتخذت لها موقعا فى جزيرة على ساحل فارس وطلب سحب القوات البريطانية منها - وبما ان صاحب المقام الرفيع حاكم بومباى قد أعرب عن رغبته فى السماح لهذه القوات بالبقاء لفترة من الوقت وذلك حفاظا للمظهر والفائدة المتوخاة من ذلك - وعليه فان صاحب السمو الملكى الذى يرى أنه من الافضل بالنسبة لآمن الخليج واستقراره المحافظة على المواصلات حرة ومأمونة ، قد وافق على الخمس سنوات التى نصت عليها المعاهدة ريثما يتم تنظيم القوة البحرية اللازمة لهذا الغرض من جانب فارس وذلك على الشروط التالية

وقد اشتملت الشروط على سحب القوات البريطانية من جزيرة قشم خلال فترة الخمس سنوات فى حالة تمكن الأمير من تنظيم قواته البحرية الخاصة بفارس وعلى تخفيض حجم القوات ، لو زادت عن المعدل الاقتصادى ، واستبدال الجنود البريطانيين الذين يتم سحبهم بعدد مماثل

(١) مرفقات رسائل حكومة بومباى السرية مجلد ٧ ومرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ بتاريخ ١٨٢٢/١١/٩ ترجمة الاتفاقية المقترحة من جانب السمو الملكى حسين على ميروزا

٣١٤ -

من الجنود الفرس ، ونقل الحامية البريطانية الى جزيرة اخرى اذا ما طلب الامير ذلك ، وتقديم عون بحرى الى الامير اذا ما طلب ذلك من بريطانيا ، على ان يكون الامير مسئولا عن تأمينهم فى حالة استبقائهم اكثر من اربعين يوما فى خدمته ، واخيرا نص الاتفاق على حق الامير فى شراء السفن والمؤن من موانى الهند البريطانية .

ولم يقدم بروس اى توضيح عن الدوافع التى حملته على ابرام هذه الاتفاقية حين بعث بنصوصها الى حكومة بومباى ، وعلى العكس فقد تركوا تعليقه حول نقطتين اثنتين من الاتفاقية :

اولا : ان حسين على ميرزا سوف يخوله بموجب البند الخاص بتموين السفن الافادة من الخدمات التى يقدمها الاسطول البريطانى .

ثانيا : ان اعادة سيادة فارس على البحرين سوف يساهم فى تحقيق مزيد من الاستقرار على الجانب العربى من الخليج اكثر من اى عمل او اجراء آخر . . . (١) . . . وحتى بدون هذا التوضيح الذى قدمه بروس ، يمكن اكتشاف الاسباب التى دعت بروس الى عقد ذلك الاتفاق ، فقد اتهم اكثر من مرة من حكومة فارس بأنه المسئول شخصيا عن تدمير السفن الفارسية فى يناير ١٨٢٠ وعن التواطؤ فى التسوية التى تمت بين آل خليفة والسيد سعيد فى الشهر الذى اعقب تدمير السفن الفارسية ، كما ان الصدر الاعظم قد استدعاه الى شيراز فى شهر ديسمبر سنة ١٨٢٠ ، وبالتالي فان استدعاه الى شيراز اتاح له الفرصة لازالة ذلك الانطباع من ناحية وتحقيق بعض التحسن فى العلاقات المتوترة بين البلدين من ناحية اخرى ، وربما يعود ذلك الى التأثير الذى كانت تمارسه شيراز مع المبعوثين

(١) مرفقات لخطابات حكومة بومباى السرية مجلد ٧ ومرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ - ١٨٢٢/١١/٩ من بروس الى الفنتون ١٨٢٢/٩/٣ (رقم ٣٥ الادارة السياسية) .

— ٢١٥ —

البريطانيين ، حيث كانت تدفعهم الى معالجة المسائل الدبلوماسية الخارجة عن سلطتهم فى المناطق التى يعملون فيها . ومهما كانت المبررات التى دعت بروس الى ذلك التصرف الا أنها لم تنقذه من غضب الفنستون فقد انتقد النحاكم اجراءاته بحذافيرها ، وفصله من العمل وطلب منه العودة فورا الى الهند ، كما ندد بالاتفاق واعتبره انتهاكا لمبادئ السياسة البريطانية فى الخليج . كما رأى الفنستون فى تعويض بريطانيا لسكان لنجة وخرنك عن الأضرار التى لحقت بهم اعتبر ذلك الفنستون تنازلا من الحكومة البريطانية وليس عملا وديا تجاه فارس (١) .

أما البند الخاص برغبة الأمير فى بقاء بروس فى منصب المقيم البريطانى فى بوشهر فقد جعل موضوع تعيين المسئولين البريطانيين فى بوشهر خاضعا لرغبة فارس ، وأما عن الاعتراف بسيادة فارس على البحرين فلم يكن لذلك الحق أى أساس ، وإن النص المذكور قد أضر باستقلال كل من آل خليفة وحقوق سلطان مسقط صديق حكومة بومباى وحليفها فى الجزيرة (أما كيف نجح الفنستون فى أن يوفق بين هذين المطلبين فهو موضوع يحيطه الغموض ، والاعتراف بحق فارس فى قسم لم يجعل من الاحتلال (عدوانا ظلما فحسب) ولكنه قضى أيضا على حقوق السيد سعيد فى الجزيرة ، وأما البند الخاص بالجنود الفرس فإنه لو طبق سوف يؤدى

(١) صدر قرار دفع التعويضات قبل ان يطالب به الفرس

فبعد إصدار الفنستون أمرا الى بروس فى شهر مارس ١٨٢٢ ليدفع مبلغ ٢٠٠٠ رونية فى أى وقت يراه القائم بالاعمال مناسبا لدفعها (انظر فارس والخليج مجلد ٣٥ من وarden الى بروس مارس ١٨٢٢ ومرفق لخطاب جورج ويلوك الى اللجنة السرية تبريز ٢٧/٨/١٨٢٢) . وكان الميجر جورج ويلوك شقيق هنرى ويلوك ينوب عن القائم بالاعمال فى الإشراف على البعثة البريطانية التى نقلت الى تبريز خلال غياب شقيقه فى إنجلترا .

١٨٢٢/١٠/٢٧

الى اجبار الحكومة البريطانية على تسليم الجزيرة التي تسلموها من سلطان مسقط الى أمير شيراز (١) .

ويصرف النظر عن أى اعتبار آخر فان تهور بروس قد اخرج الحكومة البريطانية بالنسبة لجزيرة قشم ، وبالتالي فقد أصدر الفنتستون فى يوم ١٨٢٢/١٠/٢٧ - أوامره بانسحاب بريطانيا من الجزيرة ، ونفهم من السرعة التي تم بها اصدار أوامر الانسحاب - بعد مضي اسبوع واحد من استلام نصوص اتفاقية بروس ، ومن الأسباب التي قدمها بروس - (فان الاتفاقية كما قال الفنتستون سوف ترغمه على اتخاذ انقراض لمنحبه الجنود البريطانيين من تلك الجزيرة التي ربما بقيت كما هي) - فإنه من الواضح أن الفنتستون قد حبد بالفعل ذلك الفرار . ولهذا كتب الى أمير شيراز يتصل من الاتفاق الذي وقعه بروس ويعلن عن قراره بسحب قواته من جزيرة قشم بأسرع وقت ، وتسليمها الى ممثل عن حاكم مسقط . كما بعث برسائل الى كل من شيوخ آل خليفة والسيد سعيد يوضح فيها الموقف البريطانى الذى لم يتغير بالرغم من الاتفاقية التي عقدها بروس ، كما كلف الضابط المعين خلفا لبروس بأن يسعى الى أن يزيل من اذهان هؤلاء الحكام أى شكوك او مخاوف تكون قد ساورتهم من جراء تصرف بروس المقيم السابق (٢) .

وكان على شاه يتفق فى الراى مع الفنتستون بالنسبة لاتفاقية شيراز، فقد علم بأن الشاه قد استاء استياء شديدا من نجله على الاتفاقية التي

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٧ ومرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ - ١٨٢٢/١١/٩ من وادرن (سكرتير الحكومة) الى فريش الامين الاول بالوكالة) بونا ، ١٨٢٢/١٠/٢٧ (رقم ١١٧ الادارة السياسية) .

(٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٧ ومرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ - ١٨٢٢/١١/٩ وصيغة خطابات لولى عهد اقليم فارس ، وامام مسقط ، وشيخ البحرين ، وصيغة التعليمات المرسله الى اللفتنانت جون ماكلويد .

وقعها مع بروس دون موافقته ، ورفض التصديق عليها (١) . ولهذه الأسباب فان حسين على ميرزا لم يحاول فى غضون السنوات التالية أن يتخذ من تلك الوثيقة حجة للمطالبة بالبحرين أو لمساومة حكومة بومباى فى عدم معارضة خطته الكثيرة للسيطرة على الجزيرة (٢) . ولكن النجاح لم يتحقق له فى كلتا الحالتين ، وعلى سبيل المثال فى بداية عام ١٨٢٣ ، عندما علمت حكومة بومباى بأن الشاه كان يتآمر مع السيد سعيد وشيخ القواسم سلطان بن صقر لشن هجوم مشترك على البحرين ووجهت الحكومة البريطانية تحذيرا صريحا الى حسين على ميرزا ووالده قالت فيه : « انه اذا ما اختل أمن الخليج وعادت الفرصنة من جديد فان الحكومة البريطانية سوف تجد نفسها مضطرة الى اعادة وضع قوات عسكرية فى الخليج (٣) . الا أن هذا الهجوم لم يقع ، كما ان محاولة الأمير فيما بعد عام ١٨٢٤ لاجتياح هذا المشروع لم يكتب لها النجاح ، وهكذا اصبحت تهديدات الشاه للبحرين مجرد اقوال ، وبمضى الوقت اتخذ موضوع الاستيلاء على البحرين طابع المسرحية التى يقوم بتمثيلها امير فارس امام امبراطور فارس ، كما كان لهذه القضية فى الواقع وجوه اخرى فان هذه المسرحية التى اصبحت تمثل ضد العتوب جزءا لا يتجزأ من سياسة حكومة شيراز لم تكن تقتصر على المطالبة باستقطاع جزء من المعونة السنوية التى تدفع ل طهران فحسب ولكنها ايضا تهدف الى ابتزاز الاموال من المناطق التابعة لها ، كما جاء ذلك فى تقرير المقيم البريطانى فى بوشهر .

(٢) انظر فارس والخليج مجلد ٣٥ من جورج ويلوك الى اللجنة السرية

١٨٢٣/١/٢٠ .

(٢) وبالمثل فان حكومات فارس المتعاقبة وغيرها من المطالبين بتبعية البحرين لفارس لم يترددوا حتى ذلك الوقت من استغلال هذه الاتفاقيات لدعم قضيتهم وهناك حالتان يمكن الرجوع اليهما فى مؤلف (قضية جزيرة البحرين) وهى من تأليف تاجبخش (وجزر البحرين تأليف ادميات ١٠) .
 (٣) سجل الرسائل السرية احكومة بومباى مجلد ٩ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٤/١/١٤ (رقم ١ الادارة السياسية) .

وفى الاسبوع الاول من يابر ١٨٢٣ تم جلاء الحامية البريطانية من جزيرة قشم ، الأمر الذى بعث الارتياح لدى حكومة الهند البريطانية ومجلس ادارة الشركة ، فقد كان الطرفان ينظران الى وجود القاعدة منذ البداية بشيء من عدم الارتياح . خوفا من التورط فى الشئون الداخلية لمنطقة شبه الجزيرة العربية واحتمال عبء النفقات المتزايدة للاحتفاظ بالحامية وبعد الحملتين على قبائل بنى بوعلى اعرب أعضاء مجلس الادارة عن معارضتهم لمجمل فكرة إنشاء قوة عسكرية للقضاء على القرصنة ، وعلى حين كانوا يقررون بضرورة وجود محطة بحرية للتموين ، وبصلاحية جزيرة قشم لهذا الغرض ، الا انهم كانوا يعارضون فكرة تحويلها الى قاعدة عسكرية (اننا يجب ان ننظر بشيء من الحذر الى الالتزام بأى نفقات كبيرة فى سبيل تحقيق فائدة غير مضمونة (أ) ولهذا السبب وعندما وصلتهم انباء الجلاء عن القاعدة لم يخفوا ارتياحهم من ذلك الاجراء ، الذى جنّبهم التورط فى مشاكل مع حكومة فارس من أجل (هدف كئيب مترددين فى السعى اليه لأسبابه الواضحة) ومنذ ذلك الوقت انتقلت مسؤولية حماية تجارة الهند البريطانية فى الخليج الى الاسطول ، وقد اقتنع أعضاء مجلس الادارة فى ان ذلك لن يؤدى الى منح القرصنة فحسب ، بل والى الاحتفاظ بقوة من الطرادات ستكلف الحكومات نفقات اقل من تنظيم حملات عسكرية دورية (٢)

- (١) من التقارير السياسية لحكومة بومباى مجلد ٢ من مجلس ادارة الشركة الى مجلس الحاكم فى ١٨٢٢/٨/٧ (مسودة رقم ٣٨٣) .
- (٢) من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨٢٢/٨/٧ (مسودة رقم ٣٨٣) ، أما ما اذا كان أعضاء مجلس الادارة على حق فى تقديراتهم المالية فان هذا موضوع قابل للمناقشة ، ان تكاليف حملة كير قد بلغت ٧٦٦٩٩٩ روبية هندية بمجموع يبلغ ١٨٦٢٧٨٩ أو ما يزيد على ١٨٠ الف جنيه استرلينى، أما تكاليف الاحتفاظ بوحدة الاسطول فى عام ١٨٢٣ والتي تتألف من ٧ طرادات لا تزيد على ٤١٣٧٥٥ روبية منها ٢٠٦٨٦١ رواتب للضباط والبحارة و ٢٠٦٨٩٤ للمؤن ، أو ما يزيد على ٤٠ الف جنيه استرلينى ، وبهذا المعدل يكون مجموع نفقات الوحدة البحرية لمدة ثلاث سنوات اكثر من التكاليف الاجمالية للحملة الواحدة (انظر رسائل حكومة بومباى السياسية مجلد ٩ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة فى ١٨٢٤/١/٢٤ (رقم ١ الادارة - السياسية) .

الفصل السادس

التفتيش والرقابة : الحفاظ على الامن البحرى

١٨٢٣ - ١٨٢٤

فى نهاية الحملة على قبائل بنى بوعلى اعرب الميجور جنرال سميث عن رايه لحكومة بومباى وملخصه، بانه على الرغم من ان مرابطة الفصيلة العسكرية فى الخليج سيعطى مفعوله على قبائل القرصنة ، الا ان الاستقرار فى الخليج سوف يعتمد فى النهاية على دوريات الاسطول فيه ، وانه عن طريق ممارسة الاسطول لهذه الدوريات يمكن للحكومة ان تعتمد بصورة رئيسية على الاحتفاظ بالمكاسب التى كلفتها كثيرا من الجهود والأموال (١) ولم يكن سميث راضيا عن الطريقة التى مارسها الاسطول حتى ذلك الوقت، فقد كانت الطرادات تقضى نصف وقتها فى البصرة وبوشهر، حسب نظام تموينها عن طريق الوكلاء المقيمين فى تلك الموانى أولا ، وبسبب اضطرارها الى نقل عوائد السلع الى حكومة بومباى ثانيا . وكان نظام التموين يستغرق فترات طويلة تزيد عن الحد ، بسبب تباطؤ الوكلاء المحليين فى توفير المواد التموينية ، كما ان نقل عوائد السلع يرغم ربانة الطرادات بان يحضروا اكثر من مرة الى البصرة وبوشهر للقيام بهذه المهمة . وكان هذا النظام فى مجموعة يحول بين ممارسة التفتيش والاشراف الكامل على ساحل القرصنة . وفى رأى سميث ان هذا النقص يمكن تلافيه باعطاء ربانة الطرادات مسئولية تموين سفنهم ، لأن الربانة غير مسئولين من هذه الاجراءات التى يتطلبها تحويل عوائد السلع الى حكومة بومباى ، كما اوصى سميث ايضا بوجوب تعيين اجد الضباط من الرتب العالية لقيادة

(١) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤٩ رقم (١٤) ١٨٢١/٥/١٦

من سميث الى وarden ١٨٢١/٤/٢٣ .

اسطول المراقبة فى الخليج وان يكون بدرجة كومندور ، وان يكون مقره العام فى جزيرة قشم ، على ان تكون مهمته الاساسية ضمان بقاء الطرادات دائما وابدا فى تادية المهمة الموكلة اليها ، اما بالنسبة لتعويضهم عن دخلهم من مبيعات السلع كتشجيع لهم على البقاء فى مراكزهم اطول فترة ممكنة فينبغى ان تدفع لربانة الطرادات مخصصات اضافية بمعدل ٢٠٠ روبية كل شهر ، اثناء وجودهم فى الخليج . وبهذه الطريقة يرى سميث انهم سيتمكنون من الالام بمنطقة الساحل العربى التى (يجهلوننا جهلا تماما) كما يجهلون وينفس الدرجة خليج البصرة (١) .

بدأ العمل فى الساحل العربى فى !واخر عام ١٨٢٠ ، عندما بدأت سفينة المسح (وسكفرى) ومعها السفينة (شيش) بقيادة الكابتن بين نوهان ، العمل على الجهة الغربية من شبه جزيرة مسندم ، وتتقدم عمليات المسح اتضح وجود مئات من الخلجان الصغيرة التى تضمها المنطقة الواقعة بين رأس مسندم ورأس الخيمة والتى كانت مجهولة لديهم فى السابق . وفى هذه الخلجان بالذات كانت سفن القواسم تكمن فى انتظار ضحاياها من السفن التجارية التى تعبر مضيق هرمز أو الاختفاء بها للانقراض بها على

(١) محادثات بومباى السرية مجلد ٤٩ رقم ١٤ فى ١٦/٥/١٨٢١ من سميث الى واردن ٢٣/٤/١٨٢١ وكانت لسميث كلمة نقد أخيرة لاعمال الطرادات نفسها فقد قال عن هذه الطرادات (بأنها صممت بطريقة غريبة) كما كان فى مقدوره ان يشكك فى صلاحيتها للخدمة وضرب مثلا على ذلك لسفينة اريل التى استغرقت رحلتها من البصرة الى بوشهر فى شهر مارس وقتا طويلا لدرجة انها تسببت فى وفاة ٨٧ شخصا من العاملين عليها ، وحسب اقوال المؤرخ 'بحرى الرسمى ان السفينة اريل تنتمى الى الفصيلة المعروفة باسم (اكفان) او (الموتى) وذلك بسبب كثرة عدد من ماتوا فيها . وقد اعتبرت اريل غير صالحة للخدمة قبل ان يرسلها المستر مارتون مامور الاسطول فى رحلتها الاخيرة. وعند وصولها الى مسقط تبين ان السارية

الطرادات ، وربما كان أهم تلك الخلجان جميعا هو خور الشم الذي يقع على بعد أميال من جزيرة مسندم وهو خليج يمتد الى شبه الجزيرة ، وتقطعه نتوءات يبلغ ارتفاعها من ٨ الى ٥٠٠ قدم ، وتفتersh مساحة قطرها ٩ أميال ، وقد أعاد اللفتنانت جى. أن جيه الديو خلف الكابتن نيوهان فى الاشراف على عمليات المسح فى شهر نوفمبر ١٨٢١. تسمية هذا الخليج باسم (خليج الفنستون) وقد واصل عمليات المسح من ساحل القرصنة حتى آخر شبه جزيرة قطر ، ولم تصادفه اى مقاومة من القبائل الساحلية وانما على العكس اقمى هو ورجاله الحماية والمساعدة من حكام المنطقة ، وعلى الأخص من طحنون ابن شخبوط شيخ ابوظبى (١) ، اما المنطقة الواقعة أسفل دى ، فقد اخذت السفن ترتطم بالمناطق الضحلة والرؤوس الصغيرة التى تزداد كثرة وتعقيدا فيها كلما اتجه الانسان نحو الغرب من ابوظبى حتى المناطق التى يتعذر فيها المسح او رسم الخرائط . وفى فبراير سنة ١٨٢٣ سلم جى قيادة السفر الى اللفتنانت جى. بى. بروكس قائد السفينة سيث ، وقد تولى بروكس اتمام عمليات المسح للساحل العربى حتى شط العرب خلال العامين التالين ، وفى مستهل عام ١٨٢٦ بدأ عملية مسح الساحل الفارسى ، وقد تبين ان هذه المهمة كانت اصعب بكثير مما توقع ولهذا أوقف بروكس عمليات المسح فى عام ١٨٢٨ ، وتوجه الى رأس مسندم للقيام بعمليات مسح

=الرئيسية كانت بالية جدا ، لدرجة ان اخذ الناس يتساءلون ما بها حيث كانت توفر على البحارة رفع اشروعها . . . الاسطول الهندى الجزء الاول ص ٣٦٩ - ٣٧٠ (تأليف لو) .

(١) انظر مختارات بومباى المجلد الرابع والعشرين ص ٥٤٧ - ٥٤٨ (مذكرات عن الملاحة فى الخليج) تأليف بروكس : . . ان الشيخ طحنون شخصية جذابة ويتمتع بكثير من خصال الكرم والصرافة التى جبل عليها العربى ، وانه كما اعتقد من المتعاطفين جدا مع الحكومة البريطانية سواء من ناحية الميول او المصالح .

(٢١) بريطانيا والخليج)

الساحل العماني ، وقد خلفه بعد ذلك مباشرة اللفتنانت اس.بي. هينز ،
الذي قام بمسح الساحل العماني حتى منطقة رأس الحد ومن هناك انتقل
الى ساحل مكران الذي قام برسم خريطته حتى المنطقة الواقعة الى اقصى
الشرق من كراتشى . وعندما انتهت عملية رسم الخرائط للساحل الفارسي،
والجزر الواقعة بين جزيرة قشم وجزيرة جاسك وذلك فى عام ١٨٢٩ تكون
عملية مسح الخليج باستثناء شق من الساحل الفارسي ، والذي سبق
أن رسمت خريطته قبل ذلك ببضعة سنوات ، قد انتهت تماما . وعلى الرغم
من بعض الأخطاء والسقطات بسبب عدم توفر المعدات والأجهزة العلمية ،
وما وقع من خطأ فى حساب دائرة خط الطول لبوشهر الذى اعتمدت عليه
أرقام خطوط الطول ، فان عملية المسح تعد انجازا عظيما ومفخرة لمهارة
وصبر رجال وضباط البحرية البريطانية ، وعلى الأخص فى ما جمعت من
معلومات شاملة عن قبائل المنطقة ومناطقها وامكانيات الساحل العربى،
فقد كان لكل ذلك أهمية خاصة للسلطات فى بومباى فى تعاملها مع القبائل
الساحلية خلال السنوات التى اعقبت ذلك (١) .

(١) للاطلاع على تفاصيل عمليات المسح هذه راجع (مذكرات بقلم
جى وهوتن) وكتاب مذكرات وصفية للملاحة فى خليج فارس) تأليف بروكس
وقد اعيد طبعها فى مختارات بومباى المجلد ٢٤ ص ٥٣١ - ٦٤٣ ، وكتاب
دراسة عن العرب القاطنين ساحل القرصنة و صورة وصفية للجزر والساحل
الواقع على مدخل الخليج ، ترجمة الجمعية الجغرافية فى بومباى مجلد
١ - (١٨٣٨) ، ص ٣٢ ٥٤ من ١١٣ - ١٢٧ ، ملاحظات عن
عمليات المسح للشواطئ الشرقية للخليج التى تمت عام ١٨٢٨ : مجلد الجمعية
الجغرافية الملكية مجلد ٥ (١٨٣٥) ص ٢٦٣ ، ٢٨٥ وكتاب (مدينة الخلفاء
تأليف ولستد الفصل الأول ص ١٢٥ - ١٢٦ مذكرات عن عمليات المسح
الهندية (الطبعة الثانية ، لندن ١٨٧٨ ص ١١-٣٠ ، الاسطول الهندى فصل =

وقد تبنى الفنستون مقترحات سميت حول القوة العسكرية فى الخليج وقام بتنفيذها على الفور ، وبعث بأوامره الى وكلاء الشركة فى الخليج بعدم تأخير الطرادات فى الموانئ وقتا أكثر مما يجب على الاطلاق ، كما امر بتحويل المكافآت عن حمولات السلع الى خزينة الدولة ، كما رفع المخصصات التى تدفع لربابنة الطرادات وفقا لاقتراح سميت كتعويض لهم عن الجهود التى كانوا يبذلونها وقد تبين لالفنستون بأن تعيين عميد بحرى لقيادة الوحدة العسكرية اصبح مسألة اكثر صعوبة مما كان متوقعا ، وكان هنرى مريتون قائد البحرية فى بومباى على توافق تام مع سميت على أن تعيين عميد سوف يسد نقصا كبيرا فى الترتيبات الارتجالية الراهنة ، حيث تسند المهمة الى القائد الأرفع فى الرتبة بصورة تلقائية ، ولكنه توقع ان تنشأ تعقيدات من كون ان ضباط البحرية يتعين عليهم اطاعة أوامر قادة السفن الحربية البريطانية التى قد تزور الخليج . والى حد ما فإن احتمال تضارب السلطة بين الجهتين قد تضاءلت بالقرار الذى أصدره القائد العام للأسطول فى الهند الشرقية فى ديسمبر عام ١٨٢٢ والذى امر فيه جميع ربابنة السفن الحربية بالامتناع عن اصدار التعليمات الى ربابنة طرادات الشركة فى الخليج ، مما كان يؤدي الى الاضرار بالترتيبات الخاصة بحماية التجارة ، مالم يتلقوا طلبا بذلك من أحد المعتمدين السياسيين للشركة فى الخليج . ولكن بقيت حقيقة واحدة فيها ، وهى ان ضباط البحرية الهندية يعتبرون خاضعين فى رتبهم لضباط الاسطول الملكى ، ومعنى ذلك أن العميد البحرى الهندى المعين للاشراف على القوة سوف يندرج تحت هذا النظام ، فضلا عن ذلك فان حكومة الهند لا تملك السلطة فى تعيين عميد من البحرية الهندية لأن ذلك يعتبر افتئاتا على سلطة قباطنة السفن الحربية الملكية

= واحد ص ٤٠٣-٤٠٨؛ تأليف لو ، ملخص للأبحاث العلمية فى الخليج تأليف البروفوسير ولسن ، مجلد جمعية التاريخ الطبيعى لبومباى مجلد ٣١ (نوفمبر ١٩٢٦) .

البريطانية غير ان الفنستون تمكن من ايجاد حل لهذه العقدة ، عندما عين فى شهر مارس ١٨٢٢ ضابط البحرية الأكبر فى الرتبة وكان فى ذلك الوقت بالخليج لقيادة القوة البحرية مع تزويده بتعليمات تنص على عدم الرجوع الى رئاسة الحكومة فى الهند دون تصريح محدد من حكومة انجلترا الا فى الحالات الطارئة (١) . وقد تم تعيين عدد من ضباط البحرية خلال السنوات القليلة التى تلت ذلك وقد مارسوا كل السلطات التى يتمتع بها العميد دون ان يحملوا ذلك اللقب . وفى نهاية عام ١٨٢٨ وبموجب مرسوم أصدره الملك وليام الرابع بمساواة ضباط البحرية فى الرتب تم تعيين عميد لذلك المنصب (٢) وفى عام ١٨٢١ تولى هنرى ماريتون اعداد الخطط اللازمة لتوزيع وانتشار القوة البحرية فى الخليج على أساس مقترحات سميت ، وقد وضعت موضع التنفيذ قبل ان ينتهى العام وقد اعتمد هذا النظام الذى تطور فيما بعد الى ما يعرف بنظام (القوة المتجولة) على أساس ستة طرادات (٣) ثلاثة من هذه الطرادات ، كل من نوع معين ، ترتبط بصفة مستمرة بالقرب من السواحل العربية التى تتطلب المراقبة كرمس - ورأس الخيمة ، والشارقة ، ودبى - حيث تقوم بزيارات الموانئ من حين لآخر ، وطرادان من الثلاثة الباقية يرابطان حول مسار السفن العابرة من مسقط الى البصرة وبالعكس لحماية السفن الجارية والمناطق البرية ، بينما يقوم الطراد السادس بالمحافظة على خطوط المواصلات المتجهة الى بومباى ، وبموجب هذا النظام الدورى فانه لم يكن يسمح لآى طراد بأن يبقى فى العمل لفترة طويلة من الوقت (٤) . وفى شهر اغسطس سنة

- (١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ٥٣ محادثة رقم ١٢ فى ١٩/٣/١٨٢٣. من ماريتون الى الحاكم ١٨/٢/١٨٢٣. ومن وليام نيو هام (سكرتير الحكومة) الى ماريتون ١٥/٣/١٨٢٣ .
- (٢) « سلسلة موضوعات متفرقة عن البحرية » المجلد ٤٦١ ملخص لخطاب من بحرية بومباى فى ٣/١٠/١٨٢٨ .
- (٣) ان نوع الطرادين يتحدد بحجم التسليح وليس بصنف السفينة .
- (٤) ملخص رسائل الخليج ، ١٨٠١ - ١٨٥٣ ص ١٢٨ من ماريتون الى الحاكم ٢٦/١١/١٨٢١ .

١٨٢١ صدرت تعليمات الى ضباط البحرية تحدد لهم طريقة تصرفهم مع السفن العربية العابرة للخليج ، وقد حذروا من ايقاف أي سفينة مالم يشتبهوا فيها ، فاذا امتنعت تلك السفينة عن ايراز هويتها فيمكنهم في هذه الحالة اطلاق رصاصه تحذير لارغامها على الامتثال للأوامر ، وبهذا يتعين عليهم الانتقال اليها وتفتيشها ، فان كانت تابعة لاحدى القبائل الموقعة على معاهدة الصلح العامة لعام ١٨٢٠ فيتعين ان ترز اوراقها فان تبين ان الاوراق مزورة فعندئذ يطلب من ربانها تصحيح تلك الأوراق ، أما اذا لم تكن تحمل أي اوراق فيتعين تحذير ربانها بأنه لو تكرر منه هذا العمل فسوف تحجز سفينته كما ان أي سفينة يتم حجزها على أساس الاشتباه في هويتها أو بسبب عدم حملها لاوراق فانه يتم ارسال ربانها للى المعتمد السياسي في جزيرة قشم لكي يقوم بعرض الموضوع على الشيخ التابعة له السفينة . ولكي يضع الفستون هذه الفوانين موضع التنفيذ قرر بأن لا يسمح لأى سفينة تشترك بلدها في معاهدة الصلح العامة ولا ترفع الاعلام المميزة المتفق عليها ان تزور موانى الهند البريطانية .

وكنتيجة لخبرة المسؤولين السابقة ادخلت بعض التغييرات على توزيع وانتشار القوة البحرية المرابطة في الخليج وذلك في شهر نوفمبر ١٨٢٢ أما الطرادات الثلاثة فقد استمرت في اداء عملها في مراقبة الساحل غير انه تم سحب احد الطرادات العاملة على خط مسقط بوشهر البصرة وخصص لاعمال الدورية في خليج عمان في المنطقة الممتدة من رأس مسندم الى مسقط ، على ان يقوم بالعمل في فترة الرياح الموسمية الشمالية عندما تصل حركة الملاحة التجارية الى ذروتها، واما اعمال التفتيش المنتظمة لموانى ساحل القراصنة فقد استمرت كما هي ، ولكن لم يكن يسمح لاكثر من سفينة

(١) الرسائل السياسية لحكومة بومباى رقم ٤٩ حلقة ٣٨٦ مجلد

٣٢ بتاريخ ١٢/١٢/١٨٢٧ من واران الى ماريتون ١/٨/١٨٢١ ٩

واحدة من سفن القوة أن تعود الى بومباى لاجراء الصيانة والعمرة عليها(١).
 فى نفس ذلك الشهر أى نوفمبر ١٨٢٢ ، وتم نقل مخازن الاسطول من جزيرة
 قشم الى مسقط ، غير أن مريتون كان يعارض ذلك ، وان الانسحاب من
 القاعدة العسكرية فى قشم قد ادى الى فشل هذا الاجراء وظهر على الفور
 أن مسقط هى المكان الاصلح لاقامة محطة لتموين الطرادات وبالتالي اصدر
 الضابط المسئول وأمره فى شهر يناير ١٨٢٣ بنقل المخازن الى خليج مغو
 الواقع على الساحل الفارسى المواجه لجزيرة قشم ، وطلب من الطرادات
 بأن تتوجه للتموين الى تلك المحطة ، غير أن الحكومة الفارسية احتجت على
 ذلك الاجراء بعد صدوره مباشرة ، وبالتالي فقد اضطرت السلطات البريطانية
 المسئولة الى الانسحاب منه فى شهر سبتمبر ١٨٢٣ ، اما مريتون فقد
 كان يفضل نقل المحطة الى جزيرة قيس القريبة من ساحل القراصنة غير
 ان الفنتستون لم يكن يرغب فى اثاره مشكلة جديدة مع الشاه . وقد بذلت
 محاولات كثيرة لايجاد بديل للمحطة الا ان كل هذه الآراء تركزت حول جزيرة
 قيس او جزيرة قشم وبالتالي لم يجد الفنتستون بدا من اصدار امره لاعادة
 المخازن الى جزيرة قشم رغم تعارض ذلك القرار مع حكومة فارس ، وفى
 نهاية عام ١٨٢٣ فوض الفنتستون المقيم البريطانى فى بوشهر بنقل المخازن
 الى باسيدو فى الطرف الغربى للجزيرة ، ومن الغريب حقا ان الحكومة
 الفارسية لم تعارض ذلك الاجراء وبغى المستودع فى مكانه كمحطة لتموين
 القوة البحرية المرابطة فى الخليج على امتداد الفترة البنافية من الترن .

(١) نفس المصدر مجموعة التعليمات التى صدرت الى الضابط
 البحرى المسئول لاسطول الشركة فى الخليج حول تنظيم وتوزيع القوة
 البحرية التى تحت قيادته للعمل ضد القراصنة ومراقبة السفن التى تعبر
 تلك المنطقة اعداد ، اتمه . مريتون ١٨٢٢/١١/٢٠

وخلال الاعوام الثلاثة التي اعقبت توقيع معاهدة الصلح العامة مع شيوخ الساحل اصبحت العلاقات السياسية بينهم وبين الحكومة البريطانية بواسطة المعتمد السياسى المقيم فى قشم وهو المسئول عن الاشراف على تلك العلاقات . وقد بدأت هذه الفكرة وقرار تعيين الكابتن توماس فى شهر مارس ١٨٢٠ عندما عينه الجنرال كير للاشراف على الفصيلة التى تخلفت فى رأس الخيمة ، وقد لاقى هذه الفكرة فى البداية معارضة من حكومة بومباى على أساس انه سيكلف نفقات لا لزوم لها خصوصا وان الشركة كان لها من يمثلها بالفعل فى الخليج فى شخص المقيمين البريطانيين فى البصرة وبوشهر وعلى أية حال فعندما تقرر نقل طومسون وفصيلته الى جزيرة قشم فى يوليو ١٨٢٠ تقرر تثبيت هذا التعيين وبذلك اسند الى طومسون منصب المعتمد السياسى البريطانى فى الخليج مع تفويضه سلطة لى العلاقات مع شيوخ القراصنة فى جميع المسائل المترتبة على معاهدة الصلح العامة كذلك نظمت على هذا الأساس العلاقات السياسية بحاكم مسقط وان كان هذا قد حدث عرضا ، وان بريطانيا لم تعين ممثلا لها فى مسقط منذ ان توفى الكابتن سيتون عام ١٨٠٩ ويشرف على الشؤون الرسمية لحكومة بومباى المقيم البريطانى فى بوشهر ، ومنذ شهر يونية ١٨٢٠ حتى بداية صيف ١٨٢٢ كان المقيم البريطانى الكابتن بروس متغيبا عن بوشهر ولما كان المقيم البريطانى مسئولا فى الدرجة الاولى بمباشرة مصالح الشركة فى بغداد فقد كان من الطبيعى ان يتولى هذه الشؤون المعتمد السياسى البريطانى فى قشم .

ومن بين الاهداف التى تشملها مهمة المعتمد السياسى فى الخليج هى علاقته مع القبائل العربية الساحلية وقدرته على منعها من ممارسة أعمال القرصنة والالتزام بسيادة القانون ، غير ان هزيمة طومسون فى معاركه مع

قبائل بنى بوعلی قد قللت الى حد كبير من هذا التأثير ولم يفعل خلفاؤه شيئا لاستعادة ذلك المركز نظرا للقيود التي كانت تضعها حكومة بومباي والغموض الذي كان يحيط بالأحكام البحرية الواردة في معاهدة الصلح العامة التي دفعت الى عودة بروس الى مقر عمله في صيف ١٨٢٢ والى إعادة النظر في موضوع التمثيل السياسي للشركة في منطقة الخليج وتحديد سلطات وإجبات وأوضاع المقيم السياسي في كل من البصرة وبوشهر والمعتمد السياسي البريطاني في الخليج بشكل أوضح .

كما شمل البحث اوضاع المثلية البريطانية في بغداد والتي انشئت إبان الحرب مع فرنسا ، ولكنها أغلقت في شهر مايو ١٨٢١ عندما قام المقيم كلوديوس ريش بالانسحاب منها بعد خلافه مع الوالي داود باشا وقد استقر ريش في بوشهر وتوفي في اكتوبر من عام ١٨٢٢ بعد اصابته بالكوليرا خلال وجوده في شيراز (١) . لقد كان مجموع نفقات كل من المثلية في بغداد والبصرة ٦٠ الف روبية في العام أما نفقات المثلية في بوشهر فقد كانت تزيد على ١٥ الف روبية في العام ، ونفقات الوكالة السياسية في الخليج كانت بنفس المقدار تقريبا ، وإذا أضيف الى هذه النفقات نفقات الوحدات الطبية في كل هذه المثلات فان المجموع الاجمالي لنفقات التمثيل السياسي للشركة كان يزيد على ١٠٠ الف روبية سنويا وقد رأى الفنستون أن هذه النفقات لم يكن لها مبرر وعلى الأخص بالنظر الى تضائل حجم مسؤوليات المقيمين في بوشهر والبصرة ولذلك فقد اقترح في شهر أغسطس ١٨٢٢

(١) وقد اغلقت مثلية البصرة في ديسمبر ١٨٢١ ونقلت الى الكويت ريشما تستأنف العلاقات الطبيعية مع ولاية بغداد وقد اعاد فتحها الكابتن نوبرت تايلور في ابريل ١٨٢٢ (انظر دليل الخليج تأليف لورمار فصل واحد ص ١٣٢٧ - ١٣٢٩ .

اجراء تغيير فى بنية التمثيل السياسى للشركة فى الخليج وقرر اغلاق ممثلية بغداد ودمج الممثلين فى ممثلية واحدة تسمى ممثلية الخليج الاعلى ، اما ممثلية قشم فبقيت كما هى لخدمة منطقة الخليج السفلى وقد خصصت نفقات شهرية لمثلية البصرة وبوشهر فى حدود ٣٥٥,٠٠٠ روبية ولمثلية قشم ١١٥.٠٠٠ روبية فكان مجموع النفقات السنوية للثنتين هو ٥٦ الف روبية او اكثر قليلا عن نفقات المثلثات الحالية كما قرر الفنستون أن يجرد المثلثين من ممارسة الاموال التجارية الخاصة (١) على أن القرار بالانسحاب من قاعدة قشم قد حال دون وضع هذه الاجراءات موضع التنفيذ . وقد قرّر الفنستون اغلاق الوكالة السياسية وسحب القوة العسكرية التابعة لها التى انتقلت مسئوليتها الى المقيم البريطانى فى بوشهر وبالنظر الى المسئولية المضاعفة التى كانت ستترتب (٢) على المثلث فقد تعذر تنفيذ عملية الادمج كما كان يتعين تحديد سلطات ومسئوليات المقيم البريطانى من جديد وبخاصة اذا اخذنا فى الاعتبار المعاهدة غير الموضح بها التى عقدها بروس مع امير شيراز .

كان بروس الذى تدهور مركزه من جراء مخالفاته لتعليمات حكومة بومباى آخر المجموعة القديمة من ممثلى الشركة فى بوشهر وان كان هو فى

-
- (١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ٨ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٢/٨/٣١ (رقم ٣ الادارة السياسية) ان هذا الاجراء لم يكن اكثر من اعتراف رسمى بأوضاع كانت قائمة سابقاً .
- (٢) مرفقات لرسائل حكومة بومباى السرية مجلد ٧ مرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ فى ١٨٢٢/١١/٩ محضر اجتماع الفنستون بونا فى ١٨٢٢/١٠/٣١ .

نفس الوقت أحد رواد المجموعة الجديدة فعندما كان بروس قائدا بحريا حديث العهد عين مساعدا لنيكولاس هنكى سميث فى الحقبة الاولى من القرن ، وكانت الممثلة فى ذلك الوقت مقصورا نشاطها على الأعمال التجارية ، والممثلون ومساعدوهم كانوا ضمن الموظفين المدنيين لشركة الهند الشرقية ، وكانت مسئولياتهم السياسية محصورة فى نقل البريد من الهند الى شيراز أو طهران وكان وجود بروس فى يوشهر كمساعد للمقيم ثم كئائب للمقيم ، و أخيرا كمقيم - قد امتد عبر سنوات التغيير الذى حدث ابتداء من بعثة مالكولم الثانية الى فارس عندما كان النشاط الفرنسى فى تلك البلاد يضىء على الممثلة أهميتها السياسية من خلال الاتصالات المتزايدة مع قبائل الساحل العربى وامارة الوهابيين فى نجد بانتهاء ممارسة الحكومة البريطانية لئسوليتها كحامية لامن الخليج ، ويعزل بروس من منصبه وتعيين خلف له بدأت المرحلة الاخيرة لهذه التغييرات واكتسبت الممثلة الطابع الذى دأبت تحتفظ به حتى نهاية القرن الأمر الذى اقتضى ان تكون مهمة كل مقيم ضابطا بحريا او عسكريا فى سلك الشركة او فى سلك القوات الملكية فى الهند هى ، مراقبة النشاط البحرى للقبائل العربية والاشراف على امن الخليج ككل وعلى هذا الأساس أصبح المقيم البريطانى فى الخليج الفارسى(١) من الناحيتين الاسمية والفعلية .

وقد أختير اللفتنانت ماكليود اول مقيم ، وكان من سلاح المهندسين فى بومباى وكان ضابطا شابا وذكيا ويتمتع بالكفاءة وقد سبق ان عمل مع الفنسنتون وقد صدرت التعليمات اليه فى نهاية اكتوبر ١٨٢٢ وكانت أهم

(١) ان اصطلاح المقيم السياسى بالمقارنة الى اصطلاح المقيم وحده لم

يتطور قبل منتصف القرن .

تعليمات تصدر لآى مقيم بريطانى فى ذلك الوقت حتى نهاية القرن هى
ايضاحات شاملة لسياسة حكومة بومباى فى المنطقة والتي استمر العمل
بها فى السنوات التى أعقبت ذلك ، وكان من أهم هذه التعليمات هى ان
الحفاظ على أمن الخليج والقضاء على أعمال القرصنة بالطرق السلمية مع
استعراض للقوة البريطانية والنفوذ البريطانى هى أهم المبادئ التى تقوم
عليها السياسة البريطانية فى الخليج وكان على مكلويد بعد تقلد منصبه فى
بوشهر أن يركزا جهوده على حماية التجارة البريطانية مع جتوب فارس كما
كان عليه ان يتأكد من أن السلطات المحلية هناك لا تميز بين سفن وبضائع
وتجارة الدول الأخرى وسفن بريطانيا ، كما كلف بأن يهتم بالأوضاع السياسية
فى فارس سواء ما كان يتعلق بالداخل أو فى علاقة فارس بدول الخليج
الأخرى ، كذلك يتعين عليه ان يتجنب التدخل فى خلافات هذه الدول او
فى شؤونها الداخلية الا فى الحدود التى يتطلبها عمله لمكافحة القرصنة
بطريقة فعالة ، وبالتالي فقد كانت مكافحة القرصنة هى أهم واجباته وكان
نجاحه فيها يعتمد الى حد كبير على طبيعة العلاقات التى تربطه بشيوخ
الساحل الذين يتعين عليه ان يتعامل معهم بالحزم والأسلوب الودى فى
نفس الوقت ، كما كان يتعين عليه أن يقوم بزيارات منتظمة لهم لكى يتأكد من
التزامهم بتطبيق نصوص معاهدة الصلح العامة . كذلك كلف بأن يعد تقريرا
عن الامكانيات البحرية للقبائل كقوتهم البحرية والغسكرية وعلاقات بعضهم
بالبحر ، واما اذا كان هناك نفوذ لآى دولة اخرى . مع اعداد نظام فعال
لتزويد سفن هذه القبائل بالأعلام والوثائق التى تنص عليها المعاهدة كما
أن حكومة بومباى سوف ترحب بأية آراء او تعليقات لمكلويد بشأن تجارة
الرقيق والحروب البحرية ، واذا ما اضطر الى اتخاذ أى اجراء ضد أى
شيخ من شيوخ القراصنة فيتعين عليه ان يقتصر ذلك الاجراء على تدمير

السفن فقط . ولما كانت الحكومة الفارسية تعتبر أنها المسئولة عن أية مخالفات بحرية تقوم بها قبائل الساحل الفارسي فإنه يتعين على مكلويد فى حالة وقوع مثل هذه المخالفات ان يكتفى بإبلاغ أمير فارس عن تلك المخالفات وأن يطلب منه توقيع القصاص عنها وإذا لم تسفر هذه الخطوة عن أى نتيجة فيتعين عليه إحالة الأمر الى المبعوث البريطانى فى طهران ، والى حكومة بومباى للحصول على تعليماتهم ، وقد تحدد لمكلويد راتبه ومقداره ١٢٠٠ روبية شهريا بالإضافة الى علاوات أخرى تبلغ ٦٠٠ روبية فى الشهر كما يسمح له بسحب علاوة اضافية مقدارها ٤٠٠ روبية شهريا عند القيام بأى مهمة (١) .

وصل مكلويد الى منطقة الخليج فى أواخر عام ١٨٢٢ وقد جاء وصوله فى الوقت المناسب ليشرح على انسحاب الحامية من قشم . ومن هناك أبحر الى ساحل القراصنة فى اليوم الثانى عشر من يناير ١٨٢٣ على السفينة تزويد يرافقه الكابتن فيثفل الضابط البحرى المسئول فى الخليج والسفينتان اورورا وانتيلوب ، وكانت رحلة مكلويد أشبه برحلة استكشاف لأن السفن التى سبق لها أن تواجدت فى تلك المنطقة منذ حملة عام ١٨١٩ - ١٨٢٠ كانت سفنا للمسح وكان أول ميناء يصل اليه هو ميناء رمس ، وهناك علم مكلويد بأن زعيم القراصنة الأسبق حسين بن على الذى قاد معركة الدفاع ثم وقع على المعاهدة قد احتجزه السكان ، وعند وصول مكلويد الى رأس الخيمة كانت البلدة لا تزال انقضا كما تركها طومسون فى شهر يوليو عام

(١) مرفقات لخطابات حكومة بومباى السرية مجلد ٧ ومرفق لخطاب السكرتير رقم ٣ بتاريخ ١٨٢٢/١١/٩ مسودة التعليمات المرسلة الى مكلويد لـ أكتوبر ١٨٢٢) .

١٨٢٠ ، وقد ظهرت بجانبها بلدة جديدة كانت لا تزال عبارة عن مجموعة من
اللاكواخ ، وكان حاكم البلدة محمد بن صقر شيخ القواسم الذى كان يحكم
بالنيابة عن اخيه سلطان بن صقر حاكم الشارقة ، وقد اعجب مكلويد بشخصية
سلطان بن صقر الذى رأى فيه اقوى وأقدر شيوخ منطقة الساحل من رسم
الى البحرين ، ولم يكن حكمه يقتصر على الشارقة ورأس الخيمة فحسب
وانما يتجاوزها الى الجزيرة الحمراء وأم القوين ايضا ، وقد انتهز راشد بن
حمد شيخ عجمان وكان من الشخصيات الهامة فى المنطقة الشمالية لساحل
القرصنة والذى لم يكن يعترف بسلطة صقر عليه انتهز فرصة زيارة مكلويد
فطلب حمايته من زعيم القواسم . وعلى الرغم من أن مكلويد لم يوافق على
طلبه الا انه اثار هذا الموضوع مع سلطان بن صقر خلال المقابلة التى حاول
فيها شيخ القواسم الحصول على اعتراف رسمى بسيادته على ساحل القرصنة
وعلى استمرار الحكومة البريطانية فى اعتبار جميع الشيوخ مسئولين عن
التزاماتهم بالنسبة للمعاهدة التى وقعوا عليها بصرف النظر عن الصراعات
التى قد تنشأ فيما بينهم على السلطة ، وقد اشار مكلويد فى تقريره الى
رؤسائه بأنه لابد أن يأتى الوقت الذى يتوجب فيه الحد من سلطة ونفوذ
سلطان بن صقر .

ولعل مما ازعج مكلويد اكثر هو حجم اسطول القواسم فقد شاهد
اكثر من ٣٠ سفينة شراعية راسية فى الشارقة كلها صالحة للعمل ويستطيع
كل منها أن يحمل اكثر من ٥٠ الى ١٠٠ رجل كما كان العمل يجرى فى بناء
سفينة كبيرة حمولة ١٢٠ طن ولم يكن من المعقول أن يكون القواسم قد
تمكنوا من بناء ذلك الاسطول خلال فترة الثلاثة اعوام التى انقضت على

الحملة ، وكان التفسير الوحيد الذى توصل اليه مكلويد هو أن أغلب تلك السفن كان مختبئاً فى الخليجان والمناطق الخلفية قبل وصول حملة كير كما حدث فى عام ١٨٠٩ كما كان من المحتمل أن يكون بعض تلك السفن جزءاً من الستين سفينة التى استولى عليها البريطانيون خلال الحملة وتم تسليم عدد منها الى السيد سعيد سلطان مسقط أو أن بعضها يتبع لأشخاص لاعلاقة لهم بالقرصنة ، ثم وجدت طريقها الى القواسم فيما بعد . وفى الشارقة حضر لزيارة مكلويد زعماء بنى ياس سكان ابوظبى ودبى وهما طحنون بن شخبوط وزيد بن سيف وأكدوا له صداقتهم ورغبتهم بالالتزام بشروط معاهدة كير وبالمقابل أكد لهم مكلويد مشاعر الود والصداقة من جانب حكومة بومباى طالما انهم ظلوا ملتزمين بالمعاهدة ، ومن الشارقة أبحر مكلويد الى الدوحة أو يدعة على الساحل الشرقى من قطر ، وكانت خاضعة لشيوخ آل خليفة حكام البحرين واكتشف بأن الاهالى لا يعرفون أى شىء عن معاهدة الصلح العامة ، وقد أعربوا عن رغبتهم على أى حال بعد أن أوضح لهم المقيم البريطانى الهدف من المعاهدة بالانضمام اليها والالتزام بشروطها وعلى العكس من ذلك كان سكان البحرين التى وصلت اليها مكلويد فى اليوم السابع والعشرين من يناير حيث لمس اهتماما عظيما من شيخها عبد الله بن احمد بالمعاهدة الذى كان يرى فى المعاهدة تعبيراً عن الروابط الوثيقة القومية وبين الحكومة البريطانية وسندا له ضد خصومه السيد سعيد حاكم مسقط ، ورحمة بن جابر شيخ خور حسن ، وحسين على ميرزا أمير فارس ، وعندما رد عليه مكلويد بأن العلاقة لم تكن بالقوة التى أشار اليها لم يعلق بشىء وقال بأن خصومه لا يشكلون أى خطر عليه وأنه باستطاعته الانتصار عليهم (١) .

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى رقم ١٣ . حلقة ٢٨٥ مجلد ٣٣ . فى ١٦/٢/١٨٢٣ . من مكلويد الى نيون هام ٢٧/٢/١٨٢٣ .

وانهى مكويد زيارته للخليج فى بوشهر فى اليوم العاشر من فبراير ١٨٢٣ وفى نهاية الشهر بعث الى حكومته فى بومباى بتقرير مفصل وشامل عن رحلته بالاضافة الى ملاحظاته على بعض النقاط التى وجهت حكومته نظره اليها ومن خلال المناقشات التى اجراها مع ضباط البحرية فى الخليج تبين لمكويد بان العقبة الرئيسية أمام الحملة ضد القرصنة هى استمرار الحروب والاشتباكات البحرية بين قبائل الخليج « ان خروج سفن مسلحة الى البحر بقصد الحرب مهما ارتكزت على أسباب شرعية لابد وأن تنحرف الى ممارسة القرصنة عند اول بادرة تسنح لها ممارسة تلك الأعمال » .

ويبدو أن فى البند الرابع من المعاهدة فقرة غامضة تحدد من احتمال نشوب حروب بين قبائل القرصنة غير ان الهدف من البند المذكور هو حظر القرصنة نفسها وليس حظر الحروب المشروعة . وعلى أى حال فقد طلب سلطان بن صقر من مكويد اثناء اجتماعه به أن يوضح له ما اذا كان هذا البند من المعاهدة يعنى أن الحكومة البريطانية سوف تتولى حماية السفن التى ترفع اعلام المعاهدة من أى اعتداء خارجى عليها وانها تتعهد برد السلع المنهوبة، وقد رد مكويد بانه لا يعتقد بأن البند المشار اليه من المعاهدة يحمل ذلك التفسير ولكنه وعده بالحصول على تفسير واضح للبند المذكور من حكومة بومباى ، وقد عرف مكويد أن الذى يثير قلق صقر هو احتمال تعرضه لهجوم من السيد سعيد حاكم مسقط ، الذى كان على الرغم من ضعف قواته البرية ، الا أنه كان قويا فى البحر ، وكان الاثنان يتبادلان شعور العداء وكان احتمال نشوب حرب بينهما قائما باستمرار ، وقد رأى مكويد الحل الوحيد لمنع انفجار الموقف أو الحرب بين القبائل الموقعة على معاهدة الصلح وعلى غيرها من المعاهدات هو تقديم مجرد الاجتجاجات ومحاولة الحصول على تعويضات للاطراف المتضررة (١) .

(١) رسائل حكومة بومباى السياسية رقم ١٣/حلقة ٣٨٥ مجلد ٣٣

فى ١٨٢٣/٣/٢٦ من مكويد الى نيوهام ١٨٢٣/٢/٢٧ .

وقد اثار مكلويد موضوع تطبيق بنود المعاهدة وقبل مغادرته الى منطقة الساحل العربى كان مكلويد قد اقتنع بان نظام التصاريح والسجلات الذى نصت عليه المعاهدة قد يكون اجراء كافيا لقمع القرصنة ، بشرط ان يمنح السجلات للسفن التجارية وليس للسفن المسلحة غير ان هذا الافتراض قد واجه اعتراضين ، الاعتراض الاول هو ما اشار اليه الكابتن طومسون قبل ثلاث سنوات من انه لا يمكن رسم خط فاصل بين السفن المسلحة والسفن التجارية اما الاعتراض الثانى فهو ان الحكومة البريطانية وحدها لا تستطيع تحديد هوية السفن عند اصدارها التصاريح لها والنتيجة التى يمكن ان نخرج بها من ذلك هى ان اى محاولة لفرض شروط المعاهدة بالقوة سوف تكون لها اضرار وخيمة . ونفس الراى ينطبق على البند التاسع من المعاهدة الخاص بحظر تجارة الرقيق .

ترك تقرير مكلويد انطبعا ملحوظا لدى الفنسنتون الذى وافق على اراء المقيم البريطانى بوجه عام . فبالنسبة للمادة الرابعة من المعاهدة اتفق الاثنان على انها تعنى دعوة القبائل الى العيش فى سلام مع بعضها البعض ، كما انها بمثابة التعهد من الحكومة البريطانية بعدم التدخل فى شئون القبائل او خلافاتها ، وبالتالي فلا يجوز تفسيرها على انها تعنى حظر العمليات الحربية فى البحار . ان ثمة اعتراضات قوية على فرض قيود على السكان العرب الذين تربطنا بهم معاهدات او اتفاقيات ، وهى اعتراضات ناشئة عن استحالة فرض نفس تلك القيود على الدول الاخرى كما اشار الفنسنتون الى انه فى حالة نشوب نزاع بين العرب انفسهم فان هذا النزاع لن يخلو من وجود مشكلات ، لان كل زعيم من هؤلاء الزعماء يجد نفسه معبونا او مظلوما لابد انه سيطالب الدولة التى تحده من خزينة فى الحصول على حقه بوسائله الخاصة او بتعويض . وبعد ان فرغ الفنسنتون من هذا الموضوع

بدأ البحث في موضوع آخر يتعلق بفرض الحظر على بناء التحصينات في الموانئ الخاصة بالقبائل الساحلية ، التي وردت في معاهدة كير ، وفيما اذا كان من الممكن أن يستمر العمل بها ، وكان سلطان بن صقر الذي كان حريصا على اعادة بناء التحصينات في رأس الخيمة والشارقة قد سأل مكلويد ، عما اذا كان ذلك الحظر لا يزال ساري المفعول من حيث أن المعاهدة لم تتضمنه ، وقد اضطر مكلويد الى الاعتراف بأن ثمة بعض الغموض يشوب هذا الموضوع ، ولكنه عاد فحذر سلطان بن صقر بأنه على الرغم من أنه من حقه اعادة بناء التحصينات في رأس الخيمة والشارقة ، الا ان عليه ان يمتنع عن اقامة تحصينات على الناحية البحرية للموانئ وقبل ان يمر وقت طويل استغل سلطان بن صقر غياب الطراد المسئول عن مراقبة ساحل رأس الخيمة فقام ببناء قلعة مربعة الشكل ارتفاعها ٣٠ قدما في مواجهة الساحل ، فما كان من الكابتن فيثفول القائد المسئول عن الاسطول في الخليج والذي رأى في آراء صقر تحديا لتحذيرات المقيم الا انه أبحر بخمس طرادات الى رأس الخيمة ، وقام بقصف وتدمير القلعة دون ابلاغ مكلويد مقدما بذلك (١) وعلى اثر ذلك اصدر الفنستون قرارا لم يصل الى مكلويد الا في شهر مارس ١٨٢٣ ويتضمن رفع الحظر على اعادة بناء التحصينات ولكنه طلب الى مكلويد ابلاغ شيوخ المنطقة بذلك القرار على أن يؤكد لهم بأنه في حالة استخدام تلك التحصينات لأعمال القرصنة فان الاسطول سوف يقوم بتدميرها (٢) .

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ٩ من مجلس الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٤/١/١٤ (رقم الادارة السياسية) .
 (٢) المحادثات السياسية لحكومة بومباي مجلد ٣٣ حلقة ١٨٥ رقم ١٣ ١٨٢٣/٣/٢٦ من نيو هام الى مكلويد في ١٨٢٣/٣/٢٦ وقد قدم زكي خان رئيس وزراء امير شيراز احتجاجا على اجراءات فيثفول الى = (٢٢ - بريطانيا والخليج)

وقد وافق الفنستون على آراء مكلويد فيما يتعلق بالبند الخاص بتجارة الرقيق على أنه سوف يكون غير قابل للتطبيق ، كما كان الفنستون يدرك ان البند الخاص بسفن وأعلام المعاهدة وتصاريح السفن لا يمكن الاعتماد عليه فى تحديد هويات السفن وعلى الرغم من أنه اعترف بأن الحكومة البريطانية لا تملك بموجب المعاهدة حق التمييز بين السفن المشروعة وغير المشروعة عند اصدار التصاريح الا انه أكد على أنه لابد من ذلك الاجراء لما سوف له من اثر على النظام ، غير ان هذا النظام لم يوضع موضع التجربة ، وحتى بداية شهر مايو ١٨٢٣ لم يتقدم ربان اى سفينة من الموانى التى وقعت على المعاهدة للحصول على تصريح كما لم يصدر أى شيخ ورئيس تصريحاً لآى سفينة ، وبالتالي فقد اُبلغ مكلويد الفنستون فى نفس الشهر أنه من الأفضل صرف النظر عن هذا الموضوع نهائياً ، لأنه ليس هناك أمل فى أن يسعى العرب من تلقاء انفسهم للحصول على سجلات وتصاريح وان اى ضغط من جانب السلطات البريطانية عليهم سوف يؤدي الى استفزازهم ، وقد اعترف الفنستون بصحة هذا الرأى فكلف مكلويد فى شهر يونيو بالغاء هذا النظام (١) .

= مكلويد ، على اساس انه اجراء يعد افتئانا على سلطة حكومة فارس على منطقة الخليج باسرها وعلى سكانها . وقد أخبر الفنستون مكلويد بأن يرد على رسالة زكى خان بأن الحكومة البريطانية غير معترفة بحق أى دولة فى التدخل فى تعاملها مع قبائل الساحل الغربى (سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد رقم ٩ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة فى ١٤/١/١٨٢٤ (رقم الادارة السياسية) .

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ رقم ٢٥ مجلد ٣٦ فى ١٨/٦/١٨٢٣ من مكلويد الى نيو هام فى ٥/٥/١٨٢٣ ومن نيو هام الى مكلويد فى ١٧/٦/١٨٢٣ .

وهكذا فبعد انقضاء ثلاثة أعوام على معاهدة كير أصبحت معظم نصوصها غير سارية وغير ضرورية وينطبق هذا على غيره من الاجراءات القسرية التي فرضت للحد من اعمال القرصنة كمنع تصدير الأخشاب من الهند الى ساحل القراصنة واغلاق موانى الهند البريطانية في وجه السفن القادمة من ساحل القرصنة ، كذلك صرف النظر عن موضوع رفع السفن لاعلام المعاهدة ، ورغم أن بعض الشيوخ كانوا يرفعون تلك الاعلام على سفنهم احيانا فان الأكثرية منهم لم تكن تكثرث بذلك ، مفضلة رفع اعلامها التقليدية الحمراء (١) وهكذا تغيرت الامور من سياسة التهديد الى سياسة التعقل والحكمة المقرونة بالحزم على غرار ما اقترحه كل من واردين وكير سابقا ، وأخيرا مكلويد ، وعلى الرغم من ان فترة عمل مكلويد في الخليج كانت قصيرة فقد توفي بالحمى في يوشهر في سبتمبر ١٨٢٣ وان تأثيره في علاقات بريطانيا بقبائل الساحل في الخليج بقى مستمرا ، كما ان المسار الذي تصوره مكلويد لتلك العلاقات قد تحدد بوضوح في ختام تقريره الشهير المؤرخ ١٨٢٣/٢/٢٧ والذي استمر العمل به على امتداد الفترة الباقية من القرن فيما عدا بعض تغييرات طفيفة ادخلت عليه . حيث جاء فيه :

« وينبغي علينا تشجيعهم بقدر الامكان على مزاوله اعمال التجارة ، وان نحاول تشجيعهم على الميول السلمية عن طريق تقديم ما في وسعنا من الحماية ، على ان نؤكد لهم في نفس الوقت حقنا في الحفاظ على الأمن في البحار . غير ان الأحقاد ونزعة النهب والسلب وحياة الفقر التي كانت تعاني منها هذه القبائل والتي كانت نزعات متأصلة فيها بقيت عقبة في تحقيق هذه الاهداف ، وبالتالي فلم يكن من المعقول ان نتوقع اصلاحا كاملا وسريعا كما لم يكن ينبغي ان نعتد على أي شيء سوى قوتنا لارغامهم على

(١) لقد تغيرت اعلام المعاهدة فيما بعد الى اعلام المصالحة وهذه الاعلام

لا تزال قيد الاستعمال من جانب اغلبيه شيوخ ساحل الصلح .

احترام التعهدات ، ان هدفنا الرئيسى كما أتصوره هو الحد من الاشتباكات البحرية التى تنشأ بين هذه القبائل بقدر المستطاع كما ينبغى أن نحول بين قيام صراعات داخلية فيما بينها حتى لا تؤدي الى انتشار الفوضى من جديد كما أنه علينا فى الوقت نفسه أن لا نتدخل فى شئونهم الداخلية وأن نكون حذرين كل الحذر فى تجنب ما يسوء اليهم . وثمة مجال واسع للعمل بموجب سياسة الضبط للمنطقة مضمونة بالأسلوب الودى الذى التزمت بها الحكومة فى سياستها، وعلى أى حال فقد يكون لنا الخيار فى تجنب استعمال الشدة مع الشيوخ تجنباً لاستفزازهم ، ويجب الا يغرب عن بالنا أن أى إجراء يتسم بالشدة والتسرع سوف يتمخض عن قيام توتر بين هذه القبائل الفوضوية اليائسة .

كان اول عمل للقرصنة ارتكبه رجال القبائل فى منطقة الساحل منذ التوقيع على المعاهدة فى بداية عام ١٨٢٤ عندما هاجمت ثلاث سفن تابعة لقواسم الشارقة بالقرب من جزيرة سقطرة إحدى السفن التابعة للمهرة على الساحل الجنوبى من شبه الجزيرة وقاموا بنهب السفينة وذبح بحارتها، وكانت السفن الثلاثة فى طريقها الى ممباسا ، لمساعدة قبيلة المزاريع التى تقيم هناك ، وكان هؤلاء أعلنوا تمردهم على السيد سعيد حاكم مسقط (١) وعلى اثر ذلك وجه اللفتنانت كولونيل اى.جى ستانوس الذى خلف مكلويد فى منصب المقيم وكان ضمن رجال حملة كير السابقة، رسالة الى سلطان بن

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٢٨٥ مجلد رقم ١٣

بتاريخ ١٨٢٣/٣/٢٦ من مكلويد الى نيو هام ١٨٢٣/٢/٢٧ .

(٢) عن ثورة المزاريع يمكن الاطلاع على كتاب كويلاند «افريقيا الشرقية وغزاتها» ص ٢١٧ - ٢٢٦ بالنسبة لمزاريع افريقيا الشرقية يستخدم كويلاند كلمة المفرد أى المزرعى فى كتابه ولعل هذه القبيلة تمت بصلا الى قبيلة المزاريع المنتشرة على ساحل القرصنة .

سقر يطلب فيها احتيـاجاً اصحاب السفن الثلاث عند عودتهم ريثما يتم التحقيق فى الموضوع ، كما بعث بتعليمات الى الضابط البحرى المسئول فى «خور باسيدو» بالبحث عن تلك السفن ، واحتجازها اذا استطاع (١) .
 اما كيف سيتم التصرف بأولئك القراصنة فى حالة القاء القبض عليهم فقد كان هذا موضوعاً آخر ، وحتى تسليم استانوس لمنصبه لم تصدر أية أوامر من دار المقيم الى ضباط البحرية بكيفية معاملة القراصنة باستثناء ما صدر منها فى شهر اغسطس ١٨٢١ . وكانت هذه القوانين قد صيرف النظر عنها .
 وبقي ضباط البحرية بغير تعليمات تحدد لهم كيفية التصرف بالقراصنة ، وبمجرد وصول استانوس للخليج أدرك أنه لا يمكن لهذا الوضع أن يستمر ، ولهذا أصدر فى شهر ابريل ١٨٢٤ مجموعة من القوانين الجديدة ليعمل بها ربانة الطرادات وتنص على أنه فى هجوم احدى السفن على سفينة ترفع العلم البريطانى او سبق لها أن هاجمت السفن البريطانية فيجب اغراقها على الفور اما اذا وقع الهجوم على سفن غير بريطانية فيجب اعتقال الجناة وحجزهم ، وبالنسبة للسفن المشتبه فى انها تمارس أعمال القرصنة فيجب حجزها وتسليمها للمقيم مع كافة الأدلة التى تدينها بذلك ، اما اذا لم يكن هناك من الأدلة ما يبرر الاستيلاء عليها أو حجزها فينبغى ارسال مواصفات السفينة وتفاصيل عن بحارتها الى المقيم البريطانى للعلم (٢) ، وقد صادق الفنستون على هذه القوانين دون ادخال أى تعديل عليها وقال بأنه فيما يختص باغراق السفن فلا ينبغى ان يفسر بعدم اعطاء الفرصة لاصحاب السفن

-
- (١) سجلات الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ٩ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٥/٧/٢ (رقم ٦ الادارة السياسية) .
 (٢) محادثات حكومة بومباى السياسية حلقة ٣٨٥ مجلد ٤٨ رقم ٢٠ .
 فى ١٨٢٤/٥/١٩ من استانوس الى الكابتن سيلى ١٨٢٤/٤/١٨ .

— ٣٤٢ —

المدافع عن انفسهم كما يجب ارسال تلك السفن وبخارتها الى بومباى
وليس الى بوشهر لاجراء محاكمتهم (١) .

عندما وصلت انباء عملية القرصنة التى قامت بها سفن القواسم
بالقرب من سقطرة الى الفنستون رآى انه من الافضل اعادة النظر فى قرار
احضار القراصنة الى بومباى للمحاكمة ، فقد نشأت صعوبات حول هذا
الموضوع حتى ان المدعى العام بدأ يشك فيما اذا كانت المحكمة العليا فى
بومباى ، بوصفها المحكمة المختصة بقضايا الاميرالية البريطانية ، تملك حق
المحاكمة فى القضايا التى تمس الرعايا والسفن غير البريطانية ، فضلا عن ذلك
فقد كانت هناك ملاحظات أعضاء مجلس ادارة الشركة على حجز أسرى
بنى بوعلى فى بومباى التى لاتزال ذكرها ماثلة فى الاذهان . وقد بدأ ان
هناك حلين امام السلطات فى بومباى فى معالجة موضوع المتهمين ، الحل
الاول هو تسليمهم الى القبيلة المعتدى عليها ، والحل الثانى هو تسليمهم
الى رئيس قبيلتهم لمحاكمتهم ثم اصدار العقوبة المناسبة ضدهم ، أما
بالنسبة لتسليمهم الى خصومهم فقد كان يعنى الحكم المسبق عليهم
بالاعدام ، وقد قال الفنستون بأن مثل هذا الاجراء سيعد تطرفا قاسيا لكل
الجرائم التى ارتكبوها ، وأما عن الاجراء الآخر فقد قال بأنه قد يسمح
للقراصنة بالافلات من العقوبة ، اذ لم يكن من المعقول أن يعاقبهم زعمائهم
وبخاصة فى قضية كهذه القضية وانه من المحتمل ان يكون لسلطان بن
صقر ضلع فى ارسال السفن الى ممباسا للتحرش بعدوه القديم السيد
سعيد . وعلى أى حال فقد كان هذا الاجراء هو الاجراء الوحيد أمام
السلطات البريطانية ، وبالتالي فقد أيد الفنستون هذا الحل عند عرضه على
الحاكم العام اللورد أمهرست على اساس انه يفس مسألة لا علاقة لها

(١) من نيو هام الى استانوس ١٨٢٤/٥/١٨ عن نفس المحادثات ،

بالسفن والرعايا البريطانيين (١) . غير أن امهرست عارض الفنستون فى حيثياته وقال بأن القراصنة لا ينبغي تسليمهم الى القبيلة المعتدى عليها خوفا من المصير الذى سوف ينتظرهم عند تلك القبيلة (. . .) . اننا غير ملزمين بأن ندقق فى نوع العقوبة التى قد يفرضها الطرف المعتدى عليه (٢) . وعلى اى حال ، اضاف امهرست بأن الضابط الذى يقوم باعتقال اى متهم له الخيار سواء من حيث الجريمة او من حيث ادلتها فى اتخاذ القرار الذى يراه ، سواء بتسليم المتهم الى الطرف المعتدى اليه أو الى شيخ قبيلته ، وقد اضطر الفنستون الى الاذعان لتعليمات الحاكم العام فأبلغ استانوس فى شهر يوليو ١٨٢٤ . بادخال تلك التعديلات على القوانين التى قد اصدرها استانوس .

اما السفن الثلاثة التابعة للقواسم فقد عادت من افريقيا الشرقية وما ان علمت بعزم الحكومة البريطانية على الاستيلاء عليها حتى غيرت طريق رحلتها وقد عثر على احداها فيما بعد فى خليج خرك على الساحل الفارسى وقد عثر على احدى تلك السفن فى حالة غير صالحة للعمل وتم تدميرها ، وفى اواخر ١٨٢٤ تناهى الى علم استانوس أن احدى السفينتين موجودة فى مطرح شمال مسقط حيث كانت تختبئ منذ عدة اشهر بسبب تساهل احد ربانة السفن البريطانية معها ، وبمجرد أن عرف استانوس بهذه الحادثة الغربية أبحر الى مسقط لمقابلة السيد سعيد وعلم منه بأن السفن الثلاثة موضوع البحث قد استوقفها أحد الطرادات البريطانية «اريادين» وقد

-
- (١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ٩/ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٥/٧/٢ (رقم ٦ الادارة السياسية) .
 (٢) المصادف . السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ٤٩ رقم ٣٠ فى ١٨٢٤/٧/٢٨ . من جورج سونيتون (سكرتير الحاكم العام) الى نيو هام فى ١٨٢٤/٦/٢٥ .

قام ربانه الكابتن هورسم بنقل الحمولة المنهوبة من سفينة المهرة وإعادها لالى أصحابها واعتقادا من الربان بأن بحارة السفن المذكورة قد نالوا ما يستحقون من العقاب فقد سمح لهم بالعودة الى الشارقة . وقد رأى استانوس بأنه لو أصر على تسليم السفينة الموجودة فى مطرح فان ذلك سيكون تصرفا غير ودى منه وسوف يلقى ظلما من الشك على نوايا الحكومة البريطانية كما سيؤدى الى تفاقم العداء بين السيد سعيد وسلطان بن صقر كما كانت هناك اعتبارات أخرى وهى ان الحكومة البريطانية لم يكن من حقها ان تطالب بتسليم السفينة ولذلك فقد أبلغ استانوس الفنستون بأنه من الأفضل صرف النظر عن ذلك الموضوع وقد وافقه الفنستون على رأيه .

كانت نهاية هذا الحادث عائقا فى سبيل وضع تعليمات الحاكم العام موضع التنفيذ ، الأمر الذى تكرر فى حادث خطر آخر من حوادث القرصنة .

وفى صيف ١٨٢٥ تعرضت إحدى سفن البحرين وكانت بالقرب من جزيرة هنجام لهجوم من سفن القواسم قتل خلاله ثلاثة من بحارتها كما استولوا على حمولة كبيرة من التوابل . وعند وصول الضابط البحرى المسئول الى مكان الحادث على رأس قوة بحرية للمطالبة باعادة البضائع المنهوبة ودفع التعويضات عن الخسائر التى نجمت عن الاعتداء أذعن سلطان بن صقر لطلبه وتعهد له بمعاينة الجناة ، كما تعهد بدفع الفدية عن ضحايا الحادث ، ولم يرد أى ذكر فى تلك المقابلة عن تسليم الجناة الى القبيلة المعتدى عليها ، كما ان هذه المسألة لم تثر مع شيوخ المنطقة خلال الأعوام

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٠١ من الحاكم الى مجلس الادارة ١٨٢٦/٤/١٩ (رقم ٥ الادارة السنبلية) .

الثلاثة التالية : وفي اواخر ١٨٢٨ تعرضت إحدى سفن عمان التابعة لصحار (١) لهجوم من سفينة تابعة لرأس الخيمة وكان يقودها شخص يدعى مسلم بن راشد ، وكانت تبخر من ساحل الباطنة وقد ربط جميع بحارتها وعددهم أربعة عشر شخصا على مرسة السفينة وقذف بهم الى البحر وبالنظر الى ما كان متوقعا أن تحدثه تلك الجريمة الشنعاء من ردود فعل لدى الحكومة البريطانية ، فقد قام سلطان بن صقر بإرسال سفينته الخاصة لتعقب مسلم بن راشد وكانت سفينة مسلم وأتباعه قد ارتطمت بساحل لنجھ فأمكن انتشالهم ثم اجضارهم الى رأس الخيمة ، كما تم إعادة حمولة السفينة الى حاكم مسقط ، بما في ذلك القراصنة كتعويض عن مقتل بحارة السفينة وقد أودع مسلم بن راشد سجن رأس الخيمة ثم نفذ فيه حكم الأعدام (٢) فيما بعد .

وفي هذه المرة أيضا لم يرد ذكر لموضوع تسليم المتهمين وهكذا فان هذا القانون لم يطبق منذ اللحظة التي صدر فيها لأن المسؤولين السياسيين والبحريين البريطانيين في الخليج بحكم معرفتهم للظروف السائدة قرروا عدم العمل بالقانون لأنه كان سييء في اعتقادهم لموقف بريطانيا من العرب ، وراوا من الأفضل أن يلتزموا بقوانين العرف السائدة في المنطقة وهو فرض تعويضات عن عمليات القتل والنهب التي ترتكب ، الأمر الذي كان ينفق أكثر مع مفهوم العدالة العربية بدلا من ادخال مفاهيم شرعية غريبة مستمدة

- (١) كان هناك أكثر من ١٢ نوعا من السفن المحلية في الخليج خلال القرن الأخير وهي تختلف أساسا في الحجم والشكل والمقدمة والطول والقاعدة . وهناك نوع اسمه البقرة أكبر أنواعه البغله ولها ساريتان ، سارية رئيسية وسارية داخلية وكلاهما يحمل شراعا واحدا .
- (٢) مختارات من ارشيف حكومة بومباي المجلد ٢٤ ص ٣٢٢ ، من كتاب اللفتنانت اس هنل (لمحة تاريخية عن قبيلة القواسم العربية ١٨١٩٤-١٨٣١ .

من التجارب البريطانية . وقد قام بالتصديق على القانون السير جون مالكولم ،
الذى خلف الفنستون كحاكم على بومباي وذلك فى شهر سبتمبر ١٨٢٨
وكلف المقيم البريطانى الخليج بقصد تدخله فى قضايا القرصنة التى لاتمس
الرعايا البريطانيين فى طلب التعويض فحسب ويترك أمر معاينة الجناة
الى زعمائهم اما اذا ما تطلب الحصول على التعويضات واستعمال القوة ففى
تلك الحالة يمكن للمقيم ان يستعين بالقوة البحرية المرابطة فى الخليج لتنفيذ
ذلك كما طلب عدم ارسال المتهمين الى بومباي للمحاكمة الا فى حالة وقوع
الاعتداء على الرعايا البريطانيين (١) ، وقد استمر العمل بأحكام هذا القانون
طوال الفترة الباقية من القرن .

وفى عام ١٨٢٨ تغير مفهوم استعمال القوة البحرية المرابطة فى الخليج
لقمع القرصنة من دور الهجوم حسبما تضمنه شعار (المراقبة والتفتيش)
الى دور الدفاع أى الزيارات الدورية لموانئ المنطقة والزام حكامها بالتعويضات
عن الاعتداءات التى يقترفها رعاياهم فى البحار . والواقع أن التعديل
لذى ادخل على القانون قد فرضته الضرورة الناتجة عن الصعوبة فى
الاحتفاظ بالقوة البحرية فى الخليج بكاملها وعلى الأخص فى الفترة الواقعة
فيما بين سنة ١٨٢٤ وسنة ١٨٢٦ عندما اضطرت البحرية الى توفير سفن
لحملة المرسلات الى بورما . على أن الهدوء النسبى للخليج خلال تلك الفترة
قد ساعد هو الآخر على تخفيض حجم القوة المرابطة فى الخليج دون أن
يؤثر على أمن المنطقة ، وفى شهر يناير من سنة ١٨٢٧ أبلغ الكولونيل ستانوس

(١) من مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٣٢٢ « لمحة تاريخية عن

ببيلة القواسم العربية » تأليف اللفتنانت اس هنز .

حكومة بومباى بأنه يمكن الاستغناء عن أحد الطرادات العاملة فى الخليج (١) وفى شهر مايو من سنة ١٨٢٨ تقدم خلفه الماجور ديفيد ويلسون بمشروع لقصر أعمال المراقبة فى الخليج على أربعة طرادات فقط . وقد وافقه رؤساؤه على المشروع غير أن العنصر الغالب فى مفهوم وظيفة القوة البحرية فى الخليج أصبح يرتبط بالادراك المتزايد لعدم امكان القضاء على القرصنة فضاء مبرما طالما بقيت الاشتباكات والنزاعات بين سكانه قائمة .

كانت القرصنة الوباء الذى يشكو منه الخليج لأنها كانت تعوق حركة الملاحة التجارية وتؤدي الى الفوضى وتستنزف الموارد الضئيلة للمنطقة وعلى طول ساحل الخليج من الكويت حتى مسقط لم تكن توجد دولة او بلد واحد على الأقل لم يكن متورطا فى صراع او نزاع مع جيرانه ، فكان رحمة بن جابر زعيم فرع قبيلة الجلاهمة من المتوب فى قتال مستمر ضد آل خليفة حكام البحرين ، ولم يقتصر تورط شيوخ البحرين على ضد الهجمات التى كان ينسبها رحمة على سفنهم فى المناطق الواقعة بين الساحلية القريبة من البحرين فحسب ، وإنما كان عليهم ان يواجهوا تمرد زعمايهم فى كل من الوكرة والدوحة شرقى قطر ، بالإضافة الى مواجهة المحاولات التى كان يقوم بها امير اقليم فارس لانتزاع البحرين منهم . كما أن بنى ياس سكان ابو ظبى ودبى كانوا على عدااء مستمر مع القواسم سكان الشارقة ورأس الخيمة ، كما كان هؤلاء بدورهم على عدااء مع آل بو سعيد حكام مسقط الى حد دفعهم الى التحالف مع كل من يجرؤ على تحدى جبروت السيطرة البحرية لمسقط كما دفعهم ذلك الوضع الى التدخل فى شئون عمان بانحيازهم لقبيلة الغافرية فى عمان ، فكان آل بوسعيد يرون على عكس ذلك مع آل بو فلاح . وكانت هذه الاحقاد والخلافات تؤدي فى اغلب الأحيان الى اشتباكات بحرية بين تلك

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى مجلد ٤ . حلقة ٢٨٦ رقم ٧ -

١٨٢٧/٢/١٤ من رستانوس الى نيو هام ١٨٢٧/١/٢٠ .

الإقطار ، وكانت النتيجة الحتمية هي أن الاشتباكات كانت تساعد على انتشار أعمال القرصنة ، أما الأوربيون فإنهم لم يكونوا يستطيعون التمييز بين القرصنة والخلافات السياسية وكما أشار كل من طومسون ومكلويد فإن أى سفن تخرج إلى البحر للقتال لابد وأن تتحول إلى ممارسة القرصنة ، غير أن المشكلة التي كانت مثار نزاع منذ عام ١٨٢٨ هي إلى أى مدى كان في إمكان السلطات البريطانية أن تمضى في وقف الاشتباكات الحربية بين تلك الدول البحرية ؟ لقد صرح مكلويد بأن « الهدف الأكبر » للسياسة البريطانية هو وقف الحروب البرية بين قبائل المنطقة ، غير أنه حذر من استغلال الصداقة لتهديد الشيوخ أو التأثير عليهم ، وكانت هناك أسباب حقيقية ، عملية وقانونية تحتم عدم اعتبار الحروب البحرية أعمالا محظورة ليس بين الدول المشتركة في توقيع المعاهدة وبين غيرها فحسب ، بل فيما بين تلك الدول نفسها أيضا ، وحتى في حالة نشوب نزاع بين العرب أنفسهم فإن نشوء مثل هذا النزاع كما أشار إلى ذلك الفنستون في مارس ١٨٢٣ لن يخلو من مشكلات ، لأن الزعماء القبليين الذين يجدون أنفسهم مغبونين في أى صراع سيطالبون بحقوقهم في التعويض من الدولة التي تقف حائلا بينهم وبين الحصول على حقوقهم بوسائلهم الخاصة (١) . وكنتيجة لهذا الوضع المائع ظل المقيمون البريطانيون يفتقدون التوجيه الصحيح عن الكيفية التي يمكنهم التدخل فيها في الاشتباكات البحرية بين قبائل المنطقة . إذ أن التعليمات كانت تطالبهم بالعمل على وقف تلك الاشتباكات حتى لا تعكر صفو الملاحة التجارية .

ويشكل التجمع السنوي لسفن صيد اللؤلؤ صيف كل عام مرتعا خصبا للفتن والاضطرابات ، ولهذا فقد اقترح الكولونيل ستانوس في شهر مارس ١٨٢٤ بأن يربط طرادان في المنطقة لمنع الحوادث وقد تم تنفيذ هذا

(١) محادثات بومباي السياسية حلقة ٣٨٥ مجلد ٣٣ رقم ١٢ - ١٩

مارس ١٨٣٢ من نيو هام إلى مكلويد ١٥ مارس ١٨٢٣ .٩

الاقتراح ، وان كان قادة السفن الحربية قد حذروا باتخاذ كل الاحتياطات عند تدخلهم في مثل تلك المنازعات (١) . ونظرا لوجود تلك الحماية التي تقدمها السفن البريطانية كل عام فانها سوف تمنع نشوب صراعات في منطقة المصايد خلال موسم اللؤلؤ ، وان اى فئة تخالف تلك التعليمات تعتبر ضمن الفئات التي تمارس القرصنة وقد اصبحت هذا القانون سارى المفعول ، وان كان قد فر غياب الطرادات البريطانية من منطقة المصايد سنة ١٨٢٩ كنتيجة للاشتباكات القائمة بين البحرين ومسقط على انه اجراء تأديبي للأطراف المعنية .

وكان هذا بالفعل هو المقصود منه (٢) أما بالنسبة للاشتباكات البحرية نفسها فان مالكولم لم يبد اى استعداد لوضع حد لتلك الأعمال فيما عدا الاوامر التي ارسلها الى المقيم البريطانى باستخدام نفوذه فى اقناع زعماء المنطقة بالتعايش السلمى وبعدم اللجوء الى القوة فى حل الخلافات . كما عارض مالكولم التزام حكومته بتقديم ضمانات عن التسويات التي قد يتوصل اليها زعماء المنطقة لخلافاتهم ، اما فيما يتصل بالمسائل العامة للخليج فقد ذكر ما لكولم بأنه ينبغي علينا أن نعتبر أنفسنا مسئولين عن استخدام قوتنا البحرية فى القضاء على القرصنة فى المنطقة ، وانطلاقا من هذا التصور فان تفوقنا فى هذا المجال يخول لنا أن نتقلد مسؤولية توجيه الاطراف المعنية

-
- (١) محادثات بومباى السياسية حلقة ٣٨٥١ مجلد ٤٧ رقم ١٩ -
 ١٨٢٤/٥/١٢ من ستانوس الى نيو هام ١٨٢٤/٣/١٦ (من نيو هام الى
 ستانوس ١٨٢٤/٥/٨) .
 (٢) ملخص لرسائل الخليج ١٨٩١ - ١٨٥٣ ض ١٨٥ من السكرتير
 السياسى لحكومة بومباى الى المقيم ١٨٢٩/٧/١ (رقم ٦٩٣) .

لتسوية خلافاتهم بالطرق السلمية كما علينا أن نقبل نتائج هذه المسؤولية سلبا كانت أو ايجابا .

والواقع أن مالكولم لم يكن اكثر رغبة من الفنستون فى أن يتولى دور الحكم فى منازعات الخليج فقد سبق لمالكولم أن واجه نفس المشكلة عندما تورطت احدى الدول المشتركة فى المعاهدة فى نزاع مع دولة لم تكن مشتركة فى التوقيع على المعاهدة ، وقد نشأ النزاع نتيجة لحرب الاستنزاف التى كان يشنها رحمة بن جابر ضد آل خليفة وكان رحمة قد ترك قاعدته فى خور حسن على الساحل الغربى من قطر سنة ١٨١٦ بعد أن اختلف مع الوهابيين وقام بتدمير قلعة للوهابيين تقع فى الأحساء ، وعلى ذلك اضطر الى نقل مقره العام الى بوشهر حيث بقى فيها عامين كمواطن فارسى ، وبعد اندحار الوهابيين على يد ابراهيم باشا فى عام ١٨١٨ عاد الى الدمام مع اتباعه واعاد بناء القلعة واستأنف حملاته ضد آل خليفة .

فى ابريل ١٨٢٨ طولب رحمة بن جابر بأن يلتزم بشروط المعاهدة العامة غير أنه رفض بحجة أنه من رعايا فارس ، غير أن السبب الحقيقى لرفضه يعود الى خصومه فى البحرين لأنهم كانوا شركاء فى التوقيع على المعاهدة . وخلال موسم صيد اللؤلؤ عام ١٨٢١ هاجم رحمة اسطول الصيد البحرينى ، واستولى على سبع سفن وقتل عشرين شخصا من بحارتها ، وقد طلب شيوخ آل خليفة من المقيم البريطانى التدخل لمعاينة رحمة بن جابر الذى قدم احتجاجا الى السلطات الفارسية يطالبها باتخاذ الاجراءات اللازمة ، غير أن رحمة تخلى عن جنسيته الفارسية ولجأ الى السيد سعيد فى مسقط ، وفى بداية عام ١٨٢٢ وافق على الاجتماع بالشيخ عبد الله بن أحمد اكبر مشايخ آل خليفة ، وتم الاجتماع بحضور المعتمد السياسى للخليج . وبذلت فى الاجتماع محاولات لتسوية الخلافات بين الطرفين وعلى الرغم من أن الاجتماع قد تم فى باسيدو غير ان مطالب الجالبيين

كانت متباعدة جدا لدرجة ان المعتمد السياسى البريطانى اعلن استحالة التوفيق بينهما . وفى شهر نوفمبر من العام التالى رفع السيد سعيد حمايته عن رحمة بعد ان فقد الأمل فيه فعاد رحمة الى الدمام من حيث اخذ يمارس اعمال القرصنة ضد سفن البحريين (١) .

قبل ان يعين الكولونيل ستانوس الذى كان خبيرا فى سلوك بن رحمة مقيما بريطانيا فى الخليج سنة ١٨٢٤ قرر القيام بمحاولات لايجاد نسوية للخلاف بين آل خليفة ورحمة ، وكان رائده فى ذلك هو تحقيق الامن والاستقرار فى الخليج . وفى بداية شهر فبراير سنة ١٨٢٤ اثناء اول جولة قام بها للسواحل العربية حاول الاجتماع بجابر وفى ٧ من فبراير وبحضور كل من رحمة وعبد الله بن أحمد انفق الجانبان بوقف العمليات الحربية بينهما واعادة السلع المنهوبة وتحقيق السلم الدائم بينهما (٢) غير ان هذا السلم الدائم لم يستمر اكثر من عامين ، وفى اواخر عام ١٨٢٥ طالب رحمة بن جابر اهالى القطيف باستئناف دفع الزكاة التى كانوا يدفعونها اليه مقابل عدم الاعتداء على سفنهم ، وانهم اذا رفضوا دفع الزكاة فان رحمة سوف يهاجم جميع السفن الداخلة او الخارجة منه ، وقد قام ستانوس بارسال طرادين الى الدمام لحماية السفن التجارية وحذر رحمة مسئولية اصابه وطالبه بالكف عن الاعتداءات على السفن

(١) من مجموعة مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٥٢٣ - ٥٢٦ ،
(صورة لمحادثات رحمة بن جابر شبيخ خور حسين) اعداد اف . و اردن
واس هنل .

(٢) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ٤٧ رقم ١٧
مؤرخ فى ١٨٢٤/٤/٢٨ من ستانوس الى نيو هام فى ١٨٢٤/٢/٧ ومرفق معه
نص الاتفاق المشار اليه .

غير أن رحمة تجاهل الانذار وقد شجعه على ذلك الوهابيون الذين كانوا قد استغلوا مركزهم في نجد ، وأخذوا يسعون الى تفويض نفوذ بنى خالد حكام الاحساء ، وهما محمد وماجد العيسار ، اللذان يحكمان القطيف في ذلك الوقت ، وعند عرض الموضوع على الفنستون قرر انه مهما كانت أعمال رحمة تهدد أمن المنطقة فقد كانت أعمالا جارية مشروعة وانه طالما انحصرت تلك الأعمال في المنطقة القريبة من القطيف فلم تكن هناك اسباب تبرر منعه ولذلك أرسلت الأوامر الى استاتوس بسحب الطرادين من القطيف (١) .

غير ان رحمة لم ينتفع من سحب الطرادين لان الكويت والبحرين عبأتا امكانياتهما البحرية واخذنا تهددان جابر بعد ان انتهك الاتفاقية المعقودة مع آل خليفة وهاجم السفن التنابعية لهم . كما هاجم سفن آل صباح اقارب آل خليفة وفي نهاية عام ١٨٢٦ تقريبا قام شيخ آل خليفة وبنو خالد حكام القطيف بمحاصرة الدمام وقد خرج رحمة الى المنطقة السفلى من الخليج لجمع امدادات بعد ان ترك ابنه للدفاع عن الدمام غير ان السيد سعيد رفض مده باى مساعدة ، وذلك بسبب الاتفاق الذى كان قد عقده مع آل خليفة والذى كان السيد سعيد يعتقد بأنه اضر بحقوقه فى البحرين ، وعند وصول رحمة بن جابر الى بوشهر فى بداية شهر ديسمبر عرف بأن حكومة فارس قد أصبحت هى الأخرى تعتبره رجلا خارجا على القانون ، فكان ذلك بمثابة الصدمة له وبخاصة وانه قد أصبح شيخا كبيرا يناهز السبعين وانه فقد كلتا عينيه ولا توجد منطقة من جسمه الا وعليها آثار الجروح والندوب من اثر المعارك التى خاضها وبما

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٦/٢/١٩ (رقم ٥ الادارة السياسية) ومجموعات مختارات بومباى المجلد ٢٤ ص ٥٢٧ (صورة تاريخية لرحمة بن جابر) .

انه لم يبق له من كل اسطوله سوى سفينة واحدة وبما ان اتباعه الذين كان دائما يقودهم الى الموت والدمار قد هزبوا فانه لم يجد مفرا من اللجوء الى الكولونيل تشانوس لالتماس المساعدة . لقد كانت النهاية فاجعة . غير انه تحمل الموقف فى شجاعة واعتزاز دفعت كل من اسثانوس ومساعده الشاب اللغتيانت صمويل هنل الى النظر اليه نظرة احترام وليس نظرة تسففة ، وخلال اجتماع الرجل العجوز بالمقيم البريطانى لمس الأخير فيه نفس صفات الصرامة والشجاعة التى طبعت سلوكه طوال حياته كما اظهر نفس الشراسة والأجتقار ازاء أعدائه العتوب (١) .

بعد بضعة أسابيع تلقى هنل خبر وفاة رحمة من احد شهود العيان . لقد توجه رحمة الى الدمام وفى الطريق اصدر امره الى سفينة باطلاق طلقة من أحد مدافعها كعلامة احتقار لشيخوخ البحرين الذين استفزهم ذلك فتطوع أحمد بن سليمان ابن أخ الشيخ الحاكم بمهاجمة رحمة بن جابر وهو فى سفينته . وكان قد وافق حاكم البحرين على ذلك فخرج أحمد بن سليمان وأخذ يسير بجانب سفينة رحمة وفى هذه الأثناء وقع صراع شرس بين الاثنين وعلى أى حال فان بحارة سفينة العتوب تعرضت لخسائر كبيرة نتيجة للنيران الكثيفة التى كانت تصبها عليهم بحيث اضطرت السفينة الى أن تتحرف وتصلدو لى تأتى بإمدادات جديدة من السفن البحرانية الأخرى القريبة منها ، وبعد خضتول أحمد بن سليمان على الأمدادات عاود هجومه على رحمة بن جابر ، وبما أن رحمة قد اصابه الانهاك هو وبحارته فقد احس بأنه لا يستطيع مواصلة القتال وأدرك بأنه لا بد

(١) من مجموعة مختارات بومباي المجلد ٢٤ ص ٥٢٧ .

وأن يقع أسيرا في يد خصمه الا اذا استسلم اليهم ، غير أن هذا الخيار لم يكن واردا بالنظر الى الحروب الشرسة الطويلة التي كان يشنها على اهل البحرين ، وبعد أن اعطى أوامره لرجالہ بمواصلة الاشتباكات أخذ ابنه الصغير (وكان صبيا لم يتجاوز السنة الثامنة من عمره) بين ذراعيه ، ثم انتزع عود ثقب وطلب من حاشيته مرافقته الى مخزن الذخيرة . ولما كان اتباعه يعرفون صلابة زعيمهم ، ويدركون المصير الذي أصبح ينتظرهم فقد نفذوا أوامره على الفور وفي ثوان قليلة تناثرت شظايا السفينة المتفجرة وامتلا سطح البحر باشلاء رحمة بن جابر واتباعه ، وقد دمر الانفجارات السفينة برمتها ، غير أنه أمكن انقاذ الريان والبحارة بقوارب النجاة . وبهذه الصورة انتهت حياة رحمة بن جابر ، الرجل الذي ظل ينشر الأرهاب والرعب سنوات طويلة في هذا الجزء من العالم ، وكان لمصرعه ارتياح كبير في نفوس سكان الخليج ، وهكذا اتسمت نهاية هذا الرجل بنفس البشاعة والقسوة التي طبعت حياته بروج الشجاعة وتحدي الاخطار (١) .

وعلى الرغم من العنف والقسوة التي اتسمت بها طبيعة هذا الرجل إلا أنه لا يمكن اعتباره قرضانا أو من الخارجين على القانون بل على العكس من ذلك فقد كانت تصرفاته ضمن القانون ، أي قانون الثأر والانتقام الذي كان جزءا لا يتجزأ من مبادئ عرب الجزيرة كما كانت هجماته على السفن تتحدد دائما على أسنان واحد ، وهو ما اذا كان أصحابها على وفاق مع خصومه أم لا . لقد كان زعيما مستقلا رغم أنه كان يعتبر نفسه تحت حماية الأمير الوهابي تارة والسيد سعيد تارة أخرى ، كما كان يعتبر نفسه فلوسيا أو من

(١) من مقتطفات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٥٢٨ كذلك راجع سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ١٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٧/١/٢١ (رقم ٤ الادارة السياسية) .

رعابيا. الفرس ، ورغم أنه قد رفض التوقيع على المعاهدة العامة فلم يكن من مصلحة الحكومة البريطانية ان تعده مسئولاً عن أعمال القرصنة التي كان يفتريها. وحتى لو كان رحمة قد وقع على المعاهدة العامة فلم يكن في غير مقدور الحكومة البريطانية أن تمنعه من مزاولة الجروب ضد أعدائه إذ لو فعلت ذلك كما كان يعتقد الفنستون في البداية فيستكون الحكومة البريطانية مسئولة عن دفع التعويضات اليه كما أنه لا يكتفى في هذه الحالة بأقل من اذلال آل خليفة.

وعلى أي حال فان موضوع رحمة بن جابر الذي انتهى بمضرعة لم يكشف عن الموقف الحقيقي لحكومة بومباي تجاه الخروب البحرية. ولعل الأهم من ذلك كله القرارات التي اتخذتها حكومة بومباي عام ١٨٢٥-١٨٢٦ في قضيتيه تمس احدهما أبو ظبي ودبي، وتتعلق الثانية بالقواسم والسيد سعيد، ففي شهر أبريل من عام ١٨٢٥ ابلغ الكولونيل ستانوس الحكومة عن وقوع اعتداء على سفينة من دبي بالقرب من منطقة الهويلة على ساحل قطر . وقد وقع الاعتداء من بعض افراد قبيلة بنى ياس اتباع محمد بن شخبوط حاكم أبو ظبي السابق الذي خلعه أخوه عن الحكم في عام ١٨٢٠ وظل منذ ذلك الوقت يشن حربا انتقامية ضد طحنون شقيقه، وبما أنه قد قتل عدد كبير من بحارة السفينة نتيجة لذلك الاعتداء ، فقد اقتنع استانوس بأن الحادث يستدعي القيام باجراء فعال بموجب البند الثامن من المعاهدة التي تنص على تحريم قتل الأسرى ، وحذر ستانوس الفنستون في رسالته من أي موقف يتسم بالتردد في معاقبة المعتدين سوف يجعل القبائل العربية تعتقد بأن الحكومة البريطانية كانت في حالة حرب مع محمد بن شخبوط وبأنه ليس شخصا متمردا ضد الحكم القائم في أبو ظبي ، وبالتالي فقد كان من حقه مهاجمة كل من يتحالف مع شقيقه طحنون . فلو قدر لهذا الانطباع أن يسود المنطقة حسب رأي ستانوس فانه قد يشجع القبائل على الانتفاض على زعمائهم تحت ستار الدفاع عن النفس أو لممارسة القرصنة في البحار .

غير أن الغنستون لم يوافق على تفسيرات ستانوس ثم خلع محمد بن شخبوط من مشيخة أبو ظبي عن طريق تدخل حاكم مسقط السيد سعيد الذي كان في ذلك الوقت يطالب بالسيادة على أبو ظبي وسواء كان محمد بن شخبوط أو والده لم يكن معروفا غير أن الغنستون يتصور بأن العكس هو الصحيح ، وذلك على أساس تصرف محمد بن شخبوط منذ ذلك الوقت . لقد كانت كل هذه الأعمال تعتبر ضمن الحروب المشروعة سواء ضد أبو ظبي نفسها أو ضد دبي التي كانت خاضعة لها وان كانت لم تتحول الى فوضى شاملة في المنطقة . وقد يكون قتل الأسرى في حادث السفينة اجراء مشروعا الا انه في ظل الحضارة العربية الراهنة لا تستطيع الحكومة البريطانية أن تلتزم بشرط اعلان الحرب على شيخ كل قبيلة موقعة على المعاهدة يذبح انتزاعه الا ان الغنستون لم يقتنع من أن ستانوس قد بحث موضوع الاعتداء على السفينة بحثا جيدا . اذ تبين من التحقيق أن الاعتداء قد وقع بتحريض من زيد بن سيف حاكم دبي ، وفي هذه الحالة يعتبر الاعتداء اجراء مشروعا كعمل من أعمال الحرب ، الامر الذي لا يتطلب التدخل البريطاني في الموضوع ، اننا اذا قمنا بمعارضة كل زعيم في استعادة حقوقه المشروعة بالقوة فان هذا سوف يلزمنا بالتحقيق في كل دعوى من دعاوى الاعتداء ، وبأن نفرض العقوبة على الطرف المعتدى في حالة ثبوتها وهذا سوف يورطنا لا محالة في كثير من المنازعات التي تشهدها المنطقة وقد نجد انفسنا في المدى القريب أو البعيد في موقف معاد لسultan مسقط (١) .

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ٩ من الحاكم

الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٥/٧/٢ (رقم ٦ الادارة السياسية) .

ولقد اثبتت التطورات صحة رأى الغنستون عندما تأكد بأن محمد بن شخبوط لم تكن له أى علاقة بحادث الاعتداء الأخير ، بل أن الحادث المذكور لم يقع اطلاقاً وان القصة كلها من تليف خصوم الشيخ .

وفى أواخر عام ١٨٢٥ وقع حادث أكثر خطورة عندما انفجر القتال بين زعيم شيوخ القواسم سلطان بن صقر والسيد سعيد وطحنون بن شخبوط وكان السبب المباشر للقتال النزاع الذى كان قائماً حول تحصينات واحة البريمى فى أقصى الطرف الغربى من حدود عمان ، وبعد انسحاب الوهابيين أخذ نفوذ كل من طحنون بن شخبوط حاكم أبو ظبى وسلطان بن صقر يتزايد فى البريمى وكان من عادة والد الشيخ شخبوط الشيخ طحنون أن يقضى معظم أوقاته فى واحة البريمى وكان يحظى بنفوذ واسع بين قبيلة الظواهر ، غير أن القبيلة الرئيسية الأخرى وهى النعيم لم تكن تعارض امتداد نفوذ آل بوفلاح الى واحة البريمى فحسب بل كانت أيضاً تستظل بحكم السيد سعيد الذى كانت له حامية فى البريمى ، فكان يؤيدها فى موقفها نعيم عجمان وسلطان بن صقر الذى كانت منطقة عجمان تخضع له ، وبعد اخذ ورد طويل وعلى الاخص فيما يتعلق باحتلال الغديبد من القلاع والجصون فى الواحة ، اتفق الثلاثة وهم طحنون بن شخبوط والسيد سعيد وسلطان بن صقر على هدم التحصينات وعدم اغادة بنائها ، وقد وقع هذا الاتفاق فى شهر ديسمبر ١٨٢٤ غير انه لم تتخذ أى خطوات من جانب الأطراف المعنية لتطبيقه ، وبعد أن قام ستانوس بمحاولات يائسة للتوسط فى النزاع فى شهر مايو ١٨٢٥ نشب القتال بين المجموعات المتصارعة ، ثم امتد هذا الصراع الى البحر ، فأدى الى تعطيل عمليات استخراج اللؤلؤ من البحر ، واغتصاب سفينة بحرانية بالقرب من جزيرة قشم من جانب القواسم الذين ظنوا بأن السفينة تابعة لأبو ظبى ، وعلى الفور أرسل ستانوس الضابط البحرى المسئول الى الشارقة لطلب التعويض عن الاعتداء ، وبعد تردد وافق سلطان بن صقر على

الطلب . وفى تلك الأثناء أبحر السيد سعيد الى أبو ظبى على رأس ثلاث سفن وعدد من السفن التى تسمى (البقله) لدعم موقف الشيخ شخبوط وكان لوجود السيد سعيد على رأس تلك القوة سبب فى حمل سلطان بن صقر على عقد هدنة فى شهر سبتمبر . وفى هذا الاتفاق لم يرد ذكر لتحصينات البريمى (١) .

وقد استاء السيد سعيد من حياذ ستانوس فى النزاع اذا استثنينا موضوع السفينة البحرانية بسبب عدم تدخله لحماية سفن مسقط وأبو ظبى وكتب رسالة الى المقيم البريطانى فى نهاية شهر سبتمبر قال فيها بأن أهل الشمال يعتقدون بأنهم فى حل من مهاجمة رعاياى ولم يحدث قبل هذه الواقعة ان يقع، كما اتذكر ، أى خلافات بينكم وبيننا وعلى هذا الأساس فان الجرب منذ الأزمنة القديمة متفاهمون مع بعضهم البعض وهم أدرى بمصلحتهم (٢) .

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٦/٤/١٩ (رقم ٥ الادارة السياسية) ومن مجموعات مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ١٩٢ - ١٩٣ ودراسة بعنوان لمحة تاريخية لحكومة مسقط (١٨١٩ - ١٨٣١) اعداد اللفتنانت أس هنل ، ويذكر هنل ان التأخير فى تنفيذ اتفاق ديسمبر السابق لهدم التحصينات انما يعود الى مؤامرات السيد سعيد أكثر مما يعود الى مؤامرات سلطان بن صقر .

(٢) الحوادث السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٦ مجلد ٤ رقم ٧ فى ١٨٢٦/٢/١٥ من السيد سعيد الى ستانوس بتاريخ ١٧ صفر ١٢٤١ الموافق ١٨٢٥/٩/٣٠ .

ولكن مثل هذه الشكاوى لم تكن بذات أهمية فقد سبق في مناسبتين سابقتين على الأقل أن أعرب السيد سعيد عن خيبة أمه في الحكومة البريطانية التي لم تفعل شيئاً في منع القواسم وغيرهم من القبائل الموقعة على المعاهدة العامة من الاقتتال في البحر ، كما أعرب عن أسفه بنوع خاص لزيارة مكويد لساحل القراصنة في شهر فبراير ١٨٢٣ واخفاقه في ازالة الانطباع الذي تركه انسحاب الحامية البريطانية من قشم قبل ذلك بشهر واحد ، الامر الذي فتح المجال واسعا أمام القبائل البحرية للصراع فيما بينها بلا ضابط ، كما أعرب السيد سعيد عن نفس المخاوف والشكوك لستانوس في شهر ديسمبر ١٨٢٥ عندما زاره المقيم البريطاني في مسقط وهو في طريقه الى بومباي لازالة بعض الانطباعات السيئة حول السياسة البريطانية والتي أشار اليها السيد سعيد في رسالته . وقد ذكر السيد سعيد لستانوس بأنه كان يعتقد دائماً ، بأن رعاياه يتمتعون بحماية الحكومة البريطانية . ولذلك سأل ستانوس : من الذي سمح للقواسم بالقيام بعمليات عدوانية في البحار ؟ وقد أوضح له ستانوس بأن الحكومة البريطانية لم يكن لها الحق بموجب المعاهدة العامة أن تمنع الحروب البحرية وأن مجال تدخلها محصور في تقديم المشورة والنصيحة ، غير أن السيد سعيد لم يرض عن ذلك الرد ، ولم يحاول الاسترسال في الموضوع اثناء الزيارة ولكنه بعد سفر المقيم البريطاني وجه رسالة الى الفنسنتون يحتج فيها على موقف الحكومة البريطانية الذي قال أنه يساعد على انتشار الفوضى والعنف في كل أنحاء الخليج .

والواقع أن السيد سعيد كان يعمل تدريجياً على التحرير من أوهامه في السياسة البريطانية وفي البداية كان متصوراً بأن حكومة بومباي قد تؤيد مطالبه وعلى الأخص بالنسبة للبحرين لو أنه استطاع أن يقنعهم

بمقدراته على تحقيق الأمن والاستقرار في الخليج. وعندما تأكد ان حكومة بومباي لن تسايه في هذا الاتجاه خاب امله في الجبصنول على التأييد البريطاني لخطته ، وعلى اى حال فقد ظل السيد سعيد يتذكر الحملة البريطانية على قبائل بنى بوعلى ، على الرغم من أن البريطانيين قد أكدوا له انه اكثر من مرة بانهم لن يسمحوا بتكرار ذلك التدخل وكان اهتمام سعيد بعد عام ١٨٢٠ يتركز أساسا على نشاط القواسم ووجد نفسه حرا فى بناء السفن لتحقيق اهدافه فى البحرين وأفريقيا الشرقية ورغبة منه فى اضعاف نفوذ القواسم على البر سعى الى التحالف مع أبو ظبى التى كانت فى ذلك الوقت اقوى المشيخات الساحلية عسكريا كما اعتمد على البريطانيين فى كبح جماح القواسم فى البحر (١) وبالتالي فقد صدم صدمة كبيرة عندما ابلغه مكلويد فى مارس ١٨٢٣ بأن حكومة بومباي لا تنوى التدخل فى موضوع الحروب البحرية التى تنشأ بين القواسم وغيرهم من القبائل كما كانت تنتظر للسيد سعيد حاكم مسقط خيبة امل اخرى على يد الفنستون الذى عرف من مكلويد بمطالب السيد سعيد فكتب يقول : انه ليبدو من حديث امام عمان انه يتصور بأن الحكومة البريطانية قد ربطت مصالحها به فى الخليج ، وانها سوف تقف دائما الى جانبه فيما ينشأ من خلافات بينه وبين الحكام الآخرين ، الامر الذى يضطرننا الى أن نوضح لسموه انه كنتيجة للاتصالات التى جرت معه فى أعقاب حملة طومسون ، كان من المتوقع أن يكون عند سموه

(١) مما لا شك فيه أن موافقة السيد سعيد على ما يسمى بمعاهدة (مورسى) فى شهر سبتمبر ١٨٢٢ كانت تهدف الى تحديد موقف الحكومة البريطانية من امن الخليج اما المعاهدة المشار اليها فتتعلق بحظر تجارة الرقيق فيما بين زنجبار وجزر موريشيوس .

- ٣٦١ -

فكرة صحيحة عن سياستنا نحوه بدلا من أن يعيش علي أمل أن نقدم له العون والمساعدة ضد خصومه (١) .

وقد تضاغت خيبة الأمل هذه في شهر فبراير ١٨٢٤ عندما علم أن سكان ممباسا (المزارع) قد أعلنوا التمرد ضد السيد سعيد ، وكان هؤلاء الثوار يحتمون بالكابتن وليم أوين (من ضابط البحرية الهندية) الذي كان في ذلك الوقت يجري عمليات المسح للساحل الأفريقي (٢) ويبدو أن الحكومة البريطانية لم تكن تكتفى بسحب تأييدها من السيد سعيد في شؤون الخليج فحسب وإنما كانت تعمل على انتزاع ممتلكاته في أفريقيا خفية . ونتيجة لاستيائه وغبه من الحكومة البريطانية خرج في صيف عام ١٨٢٤ الى الحجاز لاداء فريضة الحج واجراء اتصالات بمحمد علي باشا ، ولما عاد من الحجاز ووجد أن أوين يحيك المؤمرات والدسائس ضد ممتلكاته بأفريقيا الشرقية ، وجه احتجاجا رسميا الى الفنستون ، كما بعث في نهاية العام برسالة الى ملك بريطانيا جورج الرابع عن طريق الفنستون (٣) وعندما التقى بستانوس في شهر فبراير ومايو من عام ١٨٢٥ شكاه له مر الشكوى من أعمال الكابتن أوين ، غير أن المقيم البريطاني لم يكن في وضع يسمح بالادلاء برد مقنع حول هذا الموضوع بعد أن رفع الأمر الى الملك انجلترا ، ولكن الحكومة البريطانية لم تتمكن من اتخاذ قرارها في الموضوع قبل نهاية عام ١٨٢٧ وعلى الرغم من أن القرار قد جاء في صالح السيد سعيد ونجد

-
- (١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ٩ من الحلاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٤/١/١٤ (رقم ١ الادارة السياسية) .
 (٢) للاطلاع على عمليات أوين راجع كتاب (افريقيا الشرقية وغزاتها) تأليف كوبلند فصل ٧ و ٤٢٦ - ٤٢٨ دنانير .
 (٣) كوبلند ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

- ٣٦٢ -

باجراءات الكابتن اوين الا ان القرار وصل متأخرا الى اوين بحيث لم تكن منه فائدة في تخفيف استياء السيد سعيد .

كانت هذه هي الأسباب وراء احتجاجات السيد سعيد لستانوس في ديسمبر عام ١٨٢٥ ورسالته الى الفنستون في نفس الشهر ، غير أن رسالة الحاكم لم تتضمن اى تأكيدات له ، فقد كان موضوع العلاقات بين بريطانيا ومسقط في تلك المرحلة يخضع للدراسة كنتيجة للاجراء غير القانونى الذى قام به الكابتن اوين فى مباحثنا وتدخله فى تجارة الرقيق فى اقاليم افريقية الشرقية ، وربما كون السيد سعيد رايه عن علاقته ببريطانيا ومدى التأييد الذى كان يتوقع ان يحصل عليه منهم على قراءته لاتفاقية عام ١٧٩٨ (القولنامه) وعلى الأخص البند الثانى منها الذى ينص على ان اصداقاء وأعداء احدى الدول يعتبرون بموجب المعاهدة اصداقاء وأعداء الدول الأخرى الواقعة على المعاهدة ، وكان هذا هو الانطباع الذى خرج به استانوس من عند السيد سعيد ، وهكذا عندما قام الفنستون بدراسة الموضوع فى شهر يناير ١٨٢٦ لم يستطع ان يقطع ، ما اذا كانت القولنامه سارية المفعول أم لا حتى ذلك الوقت ، فإن كانت لا تزال سارية المفعول فقد كان لاحتجاجات السيد سعيد من الاجراءات الأخيرة فى الخليج وافريقيا الشرقية ما يبررها دون شك ، فهل كانت المعاهدة لا تزال سارية المفعول لانه لم يرد اى ذكر للمعاهدة المذكورة فى المراسلات المتبادلة بين السيد سعيد وسلطات حكومة الهند لعدة سنوات كما ان السيد سعيد نفسه قد أشار فى خطابه المؤرخ ديسمبر ١٨٢٥ الى الفنستون والذى خصص اغلبه لموضوع تجارة الرقيق الى انه يعتبر الاتفاق منتها او على الأقل لا يتعدى مضمونه الشئون البحرية الأسطولية ، كما انه قد اشترط مقابل حظر تجارة الرقيق ان تتعهد الحكومة البريطانية بعدم المساس بأى ضرر لأراضيه واذا اعتبرنا (القولنامه) وثيقة منتهية وان بريطانيا غير ملزمة بتقديم المساعدات الى السيد سعيد ضد معارضيه فإن الحكومة

= ٣٦٣ =

البريطانية في رأي الفنتون لم يكن لها حق التدخل في شؤنه (١) .

أما فرانسيس و اردن ، السكرتير الأول السابق وعضو المجلس الآن فلم تكن تساوره أية شكوك حول وضع هذه الوثيقة التي كانت تتناول موضوع الحرب مع فرنسا فقط ، وعندما سمحت حكومة الهند لمسقط في عام ١٨٠٧ ، بالوقوف موقف الحياد في تلك الحرب فقدت معاهدة (القولنامه) مفعولها ، زد على ذلك أن السيد سعيد لم يضالاق عليها كما فعل خلفه بدر بن سيف ، كما لم يشر إليها في العديد من رسائله الى حكومة الهند التي كان يناشدهم فيها للمساعدة ضد الوهابيين ، وكان و اردن يوافق الفنتون على أنه اذا رفض طلب السيد سعيد للمساعدة في حربه ضد خصومه في شبه الجزيرة العربية فقد كان من حقه أن يمارس شؤنه دون تدخل من جانبنا بشرط الا تؤدي اجراماته الى تهديد الأمن في مياه الخليج ، وعلى اية حال كما حذر و اردن فاني كنت اتصور دائما أنه لابد من وضع حد لاطباع امام مسقط لأن مثل هذا الاجراء ضروري لتأمين سلامة الخليج ، وان علينا أن نحذر كثيرا من تدميره السياسي أكثر مما نحذر من سلوك الدول الصغرى في تلك البقعة ، كما اني لا ارى سببا في الاشادة به اذ ان اكثرية المعتمدين السياسيين الذين اتصلوا به قد تأثروا بشخصيته .

غير أن الفنتون كان يختلف في الرأي مع و اردن حول الطابع المؤقت للمعاهدة فقد عكف على دراسة الوثائق الخاصة بالمعاهدة ، وللتأكد من ان الغرض من ابرامها هو أن تصبح اتفاقا دائما وليس مؤقتا ، فلم اذن نصت المعاهدة في بنودها على عمليات انقاذ السفن البريطانية التي تنحطم

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباي حلقة ٣٨٦ مجلد ٤ رقم ٧ في

١٨٢٦/٢/١٨ محضر الفنتون ١٤/١/١٨٢٦ .

على حدود سواحل عمان واقامة مركز عجلدى لشركة الهند الشرقية فى بندر عباس ؟ وعلى كل فقد كان واضحا من التحفظات التى ابدتها والد السيد سعيد عند ابرام المعاهدة هو احتمال تورطه فى حرب مع الفرنسيين . وان عبارة الأصدقاء والأعداء الواردة فى المعاهدة كانت مجرد عبارة مكمله . ولا تعنى عقد حلف هجومى أو دفاعى بين الطرفين . على أن الحكومة البريطانية لم تكن ملتزمة بموجب تلك المعاهدة بمساعدة السيد سعيد ضد معارضيهِ وقد تم ايضاح هذه النقطة للسيد سعيد فى مناسبات كثيرة وعلى الخصوص فى عام ١٨١٠ ، ١٨١١ ، ١٨١٢ وبالمثل لم يكن من حق الحكومة البريطانية مساعدة خصوم السيد سعيد وأن كل طرف من أطراف المعاهدة كان ملتزما بموقف الحياد من الحرب التى قد تنشأ بين الاطراف الأخرى ، وبالتالي لم يكن الغنستون فى وضع يسمح له بمنع السيد سعيد وبخاصة القواسم من شن الخروب عليه فى البحر ، لأنها لو فرضت مثل هذا الحظر على القواسم الذين تكمن قوتهم أساسا فى امكانياتهم البحرية لوضعهم تحت رخصة جيرانهم الأقوى عسكريا وعلى الأخص بنى ياس حلفاء السيد سعيد الذين يستمدون قوتهم من ممتلكاتهم الاقليمية ومن ارتباطاتهم بالقبائل البدوية كالمناصير والعوامر (١) .

فى فبراير ١٨٢٦ . كلف الكولونيل ستانوسن بإبلاغ هذا المؤقف للسيد سعيد كما طلب اليه بأن يؤكد له انه فى الوقت الذى لا تستطيع الحكومة البريطانية مساعدته على تحقيق مطالبه إلا أنها لن تقف عثرة فى طريقه إذا حاول تحقيق تلك المطالب بطرقه الخاصة وأن الشيء الذى تود أن توجه

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٦ مجلد ٤ رقم ٧

فى ١٨٢٦/٢/١٥ محضر الغنستون ١٨٢٦/١/٣٠ .

- ٣٦٥ -

نظرة اليه هو ان المصالح المشتركة للدولتين هي في استتباب الامن في الخليج ووضع نهاية دائمة لاعمال القرصنة ، وعلى ضوء تلك الاعتبارات فقد كان يهم الدولتين ان تتحاشيا اى عمل من شأنه ان يعكر صفو الامن في الخليج ، وان تكونا على استعداد للقيام بعمل مشترك ضد اى دولة تحاول احياء اعمال القرصنة ، وقد ابلغ ستانوس هذه الرسالة الى السيد سعيد في شهر ابريل ١٨٢٦. بعد عودته من اجازته في الهند ، وعلى حين لم يكن للسيد سعيد مفر من قبول وجهة نظر الفنستون في الاتفاقية الا انه عند فكشف عن موقفه الحقيقى عندما رفض مقترحات الحاكم حول تصرفاته المقبلة ، وفي شهر مايو اعلن السيد سعيد الحرب على حاكم بوشهر الشيخ عبد الرسول خان بحجة ان الشيخ عبد الرسول قد طعن فيه امام محكمة شيراز بهدف منع زواجه من احدى شقيقات امير شيراز لكي يتزوجها لنفسه .

وفي اواخر شهر يوليو ظهر السيد سعيد على رأس اسطوله امام مدينة بوشهر غير ان عبد الرسول خان كان متغيبا عن البلاد في رحلة لتأدية فريضة الحج ، فأبحر سعيد الى البصرة ليصفي حسابه مع داود باشا والى بغداد ، بعد ان ادعى ان داود باشا لم يلتزم بتسديد الزكاة السنوية لسقط مقابل المساعدة التي قدمتها مسقط لتركيا في عهد احمد بن سعيد جد السيد سعيد وقت حصار البصرة في عام ١٧٧٥ - ١٧٧٦ ، وعندما اعلن السيد سعيد عن اعتزاه فرض حصار على البصرة عرض عليه استانوس خدمات الكابتن روبرت تايلور المقيم البريطانى في البصرة لحل النزاع ، ولكن بعد ان صرح داود باشا انه لن يدفع اى شئ للسيد سعيد لعدم احقيته في ذلك قرر تايلور وستانوس الانسحاب من الوساطة غير ان الحصار الذى فرضه السيد سعيد على البصرة قد ارفم داود باشا على

تلبيته لطلبات السيد سعيد فرفع الحصار عن المدينة في شهر نوفمبر (١) وفي هذه الأثناء نجح السيد سعيد في شهر سبتمبر في اعتقال عبد الرسول خان بالقرب من جزيرة قشم ، وكان عبد الرسول عائدا من مكة ، فأخذه أسيرا هو وسفينته ، وفي شهر مايو ١٨٢٧ أفرج عنه مقابل دفع فدية مقدارها ٨٠ ألف ريال نمسوى ، ثم بعد شهرين تزوج السيد سعيد من شقيقة امير شيراز (٢) وفي نهاية ذلك العام أبحر السيد سعيد الى افريقيا على رأس قوة من ١١ سفينة و ١٢٠٠ جندي لقمع ثورة المزارع في مبابسا (٣) .

لقد كان الهدف من الزواج بشقيقة حسين على ميرزا هو تحسين علاقة السيد سعيد بامير شيراز ، وهى العلاقة التى تصدعت خلال السنوات الاربع السابقة ، كما كان لها هدف آخر أيضا وهو تمهيد الطريق لاحتلال البحرين ، ولما كان حسين على ميرزا قد فشل فى الحصول على اعتراف بريطانى بمطالبه فى البحرين عام ١٨٢٢ فقد حاول فى عام ١٨٢٣ الاستعانة بكل من سلطان بن صقر والسيد سعيد للقيام بهجوم مشترك على الجزيرة، وبما عرف عن امير شيراز من المناورات فقد أرسل مبعوثا الى السيد سعيد يدعوهُ الى زيارة بندر عباس للاجتماع بزكى خان رئيس وزرائه بينما أرسل مبعوثا آخر الى سلطان بن صقر برسالة يمنحه فيها رتبة دريا بيچى اى « القائد الأعلى للأسطول » ويطلب مساعدته فى طرد حامية السيد سعيد

-
- (١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٧/٦/٢١ (رقم ٤. الادارة السياسية) .
- (٢) مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ١٩٤ - ١٩٥ ، لمحة تاريخية لحكومة مسقط ١٨١٩ - ١٨٣١ تأليف هنل .
- (٣) افريقيا الشرقية وغزاتها تأليف كوبلند ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وواليه من كل من بندر عباس وجزيرة قشم ، وربما يكون خمين على مبرزا
 قد استهدف من هذه الخطوة وجود قوات سعيد في بندر عباس ارضامه
 على الاشتراك في مهاجمة البحرين ثم اذا تحقق ذلك يعود بمطاله في اعاده
 بندر عباس اليه كوسيلة للضغط عليه بالانسحاب من البحرين ، بعد ان
 يحتلها الفرس ، وعلى اى حال فقد وصل السيد سعيد الى بندر عباس قبل
 وصول الفرس ، واستطاع ان يكسب زكى خان الى صفه مقابل وعد بدفع
 الف تومان ايجارا اضافيا على مدى السنتين القادمتين (١) .

عندما وصل خبر المؤامرة الى السلطات البريطانية في الهند كلفت
 القائم بالأعمال البريطانى فى طهران بأن يطلب من حكومة فارس الامتناع عن
 اى عمل قد يعكر الامن فى الخليج ، وأن اى محاولة لحياء اعمال القرصنة فى
 المنطقة سوف يرغم حكومة بومباى الى انشاء قاعدة عسكرية لها فى الخليج
 ولكن قبل ان يتسلم القائم بأعمال المثلثة البريطانية فى الخليج ، الذى عين
 بعد وفاة مكويد هو الكابتن اتش هاردى ، وكان المذكور قد سبق ان وجه
 رسالة الى زكى خان يذكره فيها بان آل خليفة شيوخ البحرين أحد الأطراف
 الموقعة على المعاهدة وينصحه بأن لا يبدأ بأى أعمال عسكرية ضد البحرين
 قبل ان يطلع حكومة بومباى على ما ينوى عليه .

وعندما علم الفينستون بالإجراء الذى قام به هاردي خشى ان يؤدي ذلك
 الى اثاره مشكلة البحرين من جديد ، ولذلك فقد كلف ستانوس عند تعيينه
 بأن يعمل كل ما فى وسعه لتسوية هذه المشكلة . وقبله زار ستانوس شيراز

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ٩ من الحاكم
 الى مجلس ادارة الشركة ١٤/١/١٨٢٤ رقم ١ الادارة السياسية .

- ٣٦٨ -

فى النصف الأخير من عام ١٨٢٤ وهناك عرف عن التعاون بين السيد سعيد وأمير شنيراز ، وأن قوة من ٣٠٠٠ خيال و ٢٠٠٠ من المشاة على وشك أن تغادر بوشهر الى البحرين تحت قيادة حسين على ميرزا نفسه وقال لستانوس بأنه اذا كان يرغب فى الاشتراك فى الحملة فعليه أن يقوم بتوفير سفن النقل وتحذير شيوخ آل خليفة بالا يتوقعوا اى مساعدة بريطانية لهم فى الدفاع عن بلادهم ، وقد انجاب المقيم بأن الحكومة البريطانية لا تعتبر نفسها ملزمة بحماية البحرين من اى عدوان ، وانه يمكن للأمير ان يطمئن بأن بريطانيا سوف تلتزم الحياد التام فى هذا النزاع . غير أن هذا لم يكن الرد الذى كان يتوقعه حسين على ميرزا فبدون وجود سفن كافية للنقل فان الأمير لم يكن يستطيع ان يرفع اصبعاً واحداً ضد البحرين . وأن الحديث المتداول عن تعاون السيد سعيد فى تلك الحملة لم يكن أكثر من ستار (١) وعلى أى حال فقد كان ستانوس متأكداً من أن هذه الحملة كغيرها من الحملات السابقة لن تتحرك من مكانها ، وبأنه لم تكن هناك رغبة جديّة منذ البداية للقيام بها . (٢) .

وقد اثبتت الأحداث صدق تنبؤات ستانوس ، اذ لم تدع اى أخبار عن حسين على ميرزا عن هجومه على البحرين ليس فيما تبقى من عام ١٨٢٤

(١) قام السيد سعيد فأمر بإيداع وكيله فى بندر عباس السجن فى قلعة الجلالى التى بقى فيها الى أن توفى هناك (انظر سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٠ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٦/٤/١٩ . (رقم ٥ الادارة السياسية) .

(٢) - سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ٩ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٢٥/٧/٢ (رقم ٦ الادارة السياسية) .

فحسب وانما للسنوات المقبلة أيضا ولم يكن الحظر على البحرين ينطلق من شيراز وانما كان ينطلق من مسقط ويؤيد ذلك اعتقاد واردين من أن الامن في الخليج لن يستتب مالم يوضع حد لاطماع السيد سعيد .

وفي عام ١٨٢٥. توفى الشيخ سليمان بن أحمد شقيق عبد الله وشريكه في الحكم ولقد برهن عبد الله الذي كان الحاكم الاوحد للجزيرة انه ينوى الاحتفاظ بالحكم ، بينما اتجه أبناء سليمان يطلبون المدد من السيد سعيد للاطاحة بعبد الله واحتلال المركز الذي كان لوالدهم . وعلى الرغم من أن السيد سعيد تبنى طلبهم لفترة من الوقت ، الا انه عاد قنصل عندما أخطره الفنستون بأن السلطات البريطانية في الهند سوف تنظر الى اى تدخل من جانبه في شئون البحرين على النحو الذى يخل بالامن في منطقة الخليج باستياء شديد وقد بطلت حجة سعيد في التدخل بعد أن حقق عبد الله مصالحه مع النجال سليمان بعد أن قبل اشراك احدهما في الحكم وهو خليفة على مدى السنوات الثلاث المقبلة ، وبعد ان بذل هو وأعضاء مجلس ادارة الشركة قصارى جهدهم للتنصل من تحالفهم مع مسقط ، وانهم تحملوا تبعه ذلك التنصل وان هذا السؤال لا يمكن الإجابة عليه نظرا لأن الفنستون قد أحيل على المعاش في ذلك الوقت .

وعندما واجه خلفه مالكولم وضعا أكثر خطورة وجد أنه لا يستطيع ان يفعل شيئا لموقف السيد سعيد بسبب القرارات السابقة حول السياسة البريطانية .

في صيف ١٨٢٨، انتشرت اشاعات في الخليج عن قرب قيام السيد سعيد بهجوم شامل على البحرين ، ولكن السيد سعيد نفى هذا (٢٤ - بريطانيا والخليج)

الخبر عندما سئل عنه وقام بإرسال هدايا الى الشيخ عبد الله بن حمد لتفتيت تلك الاشاعة ، غير ان عبد الله لم يقتنع بإدارة السيد سعيد وطلب من المقيم البريطاني الكابتن ديفيد ويلسون الذى حل محل ستانوس سنة ١٨٢٧ ان يتدخل ، وعلى الرغم من ان المقيم لم يتمكن من اجابة عبد الله الى طلبه الا أنه بعث برسالة الى طحنون بن شخبوط شيخ ديبى ، الذى قيل أنه كان هو الآخر يقوم باستعدادات شبه عسكرية ، ينصحه فيها بعدم التورط فى النزاع حتى لا ينضم القواسم الى العتوب . الا ان الشيخ طحنون تجاهل نصيحة المقيم فى شهر افسطس بعد ان أعلن سعيد الحرب على البحرين ، وفى شهر سبتمبر ابحر من مسقط الى أبو ظبي ، وهناك انضم اليه طحنون بفرقة من بنى ياس وبعض القبائل الأخرى ، ووصل الأسطول المشترك الى ساحل البحرين فى نهاية أكتوبر ، وبدأ فى فرض الحصار على قلعة المنامة ، وفى اليوم السادس من نوفمبر قصفت المنامة وهوجمت جزيرة مستره على بعد نحو نصف ميل على الجانب الشرقى للساحل . وكان سعيد يعتزم شن هجوم مباشر على المنامة بعد أيام قليلة ، غير أن بنى ياس قاموا يوم ٩ نوفمبر بالهجوم على الجفير الواقعة على الساحل الشرقى (١) .

وقبل أن يتمكن السيد سعيد من طلب غوثهم كان العتوب قد شنوا عليهم هجوما كاسحا ، ثم توجه السيد سعيد الى البر بقن معه من القوات فى محاولة لانقاذهم ولكنه اضطر الى الانسحاب ثانية الى البحر لينجو بنفسه من الموت . وقد دب الفرع فى قوات السيد سعيد من هول الكارثة التى لحقت برجالهم على الشاطئ فأسرعوا عائدين الى سفنهم بعد أن فقدوا سفينتين ، وبالرغم من الخسائر التى متى بها السيد سعيد فى الجفير وتقدر ب ٥٠٠ رجل ،

(١) رأس الجفير بروز يقع على بعد قليل الى الشرق .

كما ذكر ، فقد واصل حصاره للمنامة وأخذ يعيد تنظيم قواته لمعاودة الهجوم على العتوب غير أن ظهور وباء الكوليرا بين أفراد جيشه وخوفه من ظهور وباء الكوليرا بين أفراد جيشه وخوفه من أن يخونه بعض أنصاره قرر رفع الحصار والعودة الى مسقط. (١) .

وقد طلب عبد الله شيخ البحرين من المقيم البريطاني تعويضات عن الاعتداء الذي وقع عليه وذكره بأن اشتراك طخنون بن شخبوط في الهجوم يتعارض مع البند الرابع للمعاهدة العامة التي تحظر على الأطراف المشتركة ان تعتدى على بعضها البعض .:

ولكن ويلسون رد عليه بأنه لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار قرار مالكولم الذي كان قد صدر في بداية الصراع بين البحرين ومسقط ، بوجوب التزام البريطانيين بمبدأ عدم التدخل في الاشتباكات البحرية بين دول الخليج وأوضح عبد الله بأن البند الرابع للمعاهدة ينطبق على حروب القرصنة فقط . واتخذ عبد الله من رد ويلسون ذريعة لشن حملة انتقام على مسقط وأبو ظبي فأرسل سبع سفن حربية الى الخليج سنة ١٨٢٩ لمهاجمة سفن مسقط وبنى ياس . وبعد ان يئس الأسطول البحريني من العثور على اى سفن لمسقط وبنى ياس اعتدى على احدى السفن التابعة لمرياط على الساحل الجنوبي الشرقى لشبه الجزيرة ونهب حمولتها واعتراض أسطول للقرصنة سلفيتين من السفن التابعة لمسقط وقاموا بنهبها . وقد اعتبر ذلك عملاً سافراً من أعمال القرصنة ، وعندما علم به ويلسون بعث بطرادين الى البحرين مع طلب باعادة البضائع المنهوبة ودفع

(١) مختارات بومبي مجلد ٢٤ ص ١٩٦ - ١٩٧ ، و (لمحة تاريخية لحكومة

مسقط ١٨١٩٠٤ - ١٨٣١) و « دليل الخليج » تأليف لوريير فصل / ١

ص ٨٥٢ - ٨٥٤ .

تعويض لأصحاب السفن المعتدى عليها فاضطر عبد الله الى الاذعان لطلب المقيم بسبب ما أسفرت عنه العملية من نتائج مؤسفة .

هذا الحادث أقنع حكومة بومباي باحتمال وقوع أعمال جديدة من أعمال القرصنة فيما لو استمر العداء بين مسقط والبحرين ولهذا طلب الى ويلسون فى شهر مايو ١٨٢٩ بأن يتوسط بين الأطراف المتنازعة لحل المشاكل بينهما سلميا. وقد بذل ويلسون أقصى ما فى وسعه غير أن جهوده تعثرت بسبب اصرار عبد الله على أن تلتزم الحكومة البريطانية بحماية الأطراف المعنية وبالرغم من الحاح سعيد على التزام بريطانيا بحماية الاتفاق الا أن ويلسون لم يكن يملك الخروج على سياسة عدم التدخل التى وضع أسسها كل من الفنستون ومالكولم كما تبين ايضا بأن تقديم ضمانات عن الاتفاقات التى تعقد بين أقطار المنطقة تلاقى معارضة بين دول الخليج لأنها تدفع بالحكومة البريطانية الى التدخل كطرف فى قضايا ظالمة بطبيعتها (١) وكنتيجة لذلك قرر ويلسون الانسحاب من الوساطة ، ولما كانت مطالب عبد الله غير معقولة فقد اقترح ويلسون على مالكولم أن تسحب الحكومة البريطانية سفن الحراسة من منطقة مصايد اللؤلؤ التى تقرر أن ترابط فيها فى أشهر الصيف، وقد وافقه مالكولم على ذلك ، وتم سحب الوحدات فى موسم ١٨٢٩ ، وقد حل السلام أخيرا بين الأطراف المتصارعة فى ديسمبر من عام ١٨٢٩ عن طريق وساطة شيخ بوشهر ، واحتوى الاتفاق على عدم تدخل أى من الأطراف فى شئون الطرف الآخر ، وعلى أن يتنازل السيد سعيد عن الزكاة التى كانت تدفعها له البحرين ، وقد حصل

(١) محادثات حكومة بومباي السياسية حلقة ٣٨٧ مجلد ٤ رقم ٣٣ فى

١٨٣٠/١٠/٢٧ من ويلستون الى جى. ه. موريس (سكرتير الحاكم) يوليو ١٨٣٠

السيد سعيد على شروط أفضل من الشروط التي سبق أن اقترحها ويلسون ، مما أدى بالمقيم البريطاني الى أن يعلق على ذلك الاتفاق بقوله ، أن الوساطة البريطانية قد تسببت في اطالة أمد الصراعات بين هذه الدول ، أكثر مما أدت الى انتهائها (١) على أن فشل السيد سعيد في البحرين قد ترك آثارا عكسية عليه فهو ان لم يكن قد تخلص من عقدة السيطرة على البحرين فإنه على الأقل قد تلقى درسا لن ينساه نتيجة لحملته على البحرين ولكي يعرض سعيد الفشل الذي منى به في البحرين وجه اهتمامه الى ممتلكاته في افريقيا ، وكان التمرد الذي وقع في ممباسة ضده نذيرا بفقده لتلك البقعة أيضا ، ومن هنا أخذ يفكر في اعتزال الحكم منذ بداية عام ١٨٢٦ ليعيش بقية حياته في مستعمراته الافريقية وبالتالي أصبحت هذه المنطقة شغله الشاغل حتى أنه كان يقضى معظم أوقاته في زنجبار الا ان غياباته الطويلة عن عمان بعد ١٨٢٩ أضعفت سيطرته على البلاد وشجعت زعماء القبائل المعارضة على تحدى سلطته الى درجة أنها حرّضت القواسم ثم الوهابيين على الاعتداء على عمان .

اما الاسلوب الذي اتبعه السيد سعيد في مواجهة هذه التحديات فهو تهديد تلك القبائل التي يفيد فيها التهديد ، ومما طلة الوهابيين بغية ابعادهم عن عمان والاستعانة بحلفائه بنى ياس في كبح جماح القواسم .

ان الصراع على التفوق والسيطرة بين هذه القوى المتصارعة كان السمة البارزة التي طبعت تاريخ ساحل القراصنة منذ سنة ١٨٢٩ حتى سنة ١٨٣٥ وهو صراع كانت نتيجته استنزاف قوى جميع الأطراف المشتركة فيه ونضوب

(١) من ويلسون الى موريس يوليو ١٨٣٠ انظر كذلك مختارات بومباي مجلد ٢٤ ص ١٩٧ - ١٩٨ (لمحة تاريخية لحكومة مسقط) ١٨١٩ - ١٨٣١ اعداد هنل ودليل الخليج اعداد لورمر فصل واحد ص ٥٥ - ٥٦ .

مواردها، وامكانياتها الاقتصادية والبشرية فضلا عن تعريض أمن المنطقة للتهديد والخطر، كما امتد ذلك الصراع الى المناطق البحرية مما عرض تجارة المنطقة الجنوبية من الخليج للخطر .

وعلى الرغم من ان سياسة الحياة التي انتهجتها الحكومة البريطانية ازاء الصراعات البحرية بين قبائل المنطقة وهي السياسة التي شرعها الفنستون وصادق عليها مالكولم كانت تحتم على حكومة بومباي أن تقف بمعزل عن تلك الصراعات منذ عام ١٨٢٩ ، الا أنه قد تعذر وضع تلك السياسة موضع التنفيذ .

ولو ان البريطانيين مارسوا تلك السياسة لما استطاعوا حماية السفن البريطانية العاملة في هذه المنطقة (١) أو المحافظة على الكيان الاقليمي والسياسي لمسقط باعتبارها عنصر استقرار بالنسبة لامن الخليج ، وفي أوائل عام ١٨٢٩

(١) بعد ان تورط بحارة السفينة البريطانية لمشادة في الشارقة في شهر يونيه عام ١٨٢٩. عندما حاول بعض أفراد قبيلة القواسم الاستيلاء على بعض الاسلحة والمؤن من السفينة والتي كانت متجهة من مسقط الى ابوظبي اللتين كانتا محاصرتين من جانب القواسم قررت حكومة بومباي بأن تصادق على تصاريح السفر للسفن التابعة لها مع تقييدها بأن ترسو في موانئ مسقط وصحار والبصرة وبوشهر فقط وبالرغم من ان الحكومة العليا كانت تقدر دوافع السلطات في بومباي التي اتخذ هذا الاجراء فقد قررت منع ذلك على أساس ان السفن البريطانية غير مطلوب منها ان تتزود بهذه التصاريح لزيارة الموانئ للدول المتحالفة مع بريطانيا باستثناء الصين حيث كانت الشركة تمارس أعمالها . وقد اضطرت حكومة بومباي الى الاكتفاء بمطالبة ربانة السفن البريطانية التي تزور موانئ الخليج بأن تحصل على موافقة المقيم السياسي =

حذر ويلسون مالكولم بأن الخطر قد يحيق بالسياسة البريطانية المتبعة في المنطقة اذا ما تصدع مركز السيد سعيد كنتيجة لهزيمته على يد آل خليفة ، وقد وافقه مالكولم على رايه وكتب اليه يقول : انه مهما ارتكب هذا الأمير من اخطاء لتحقيق الطماعه التوسعية ، ومهما كان التدخل في الصراعات البحرية القائمة بينه وبين بعض زعماء منطقة الخليج غير مضمون النتائج ، فليس من الحكمة ان نسمح لنفوذ هذا الأمير ودولته الصغيرة الموالية ان تتحطم لكى تحل محلها مجموعة من الدول الأخرى ، ولو حدث شئ من هذا فسيكون له آثار ضارة لطيف لنا لا نزال نستمد منه العون فى تأمين المصالح التجارية للهند البريطانية ، تلك المصالح التى كان والد هذا الأمير من المدافعين عنها والعاملين فى سبيل تنميتها . وان الزعماء الذين جعلتهم الظروف يتألبون ضده قد

=البريطانى فى حالة زيارتها لموانى خلاف مسقط وصحار والبصره وبوشهر فاذا ما رفضت تلك السفن نصائح المقيم فعليها الا تنتظر اى مساعدة منها فيما لو تعرضت بعد ذلك لآى صعوبات تعترضها فى المنطقة .

للاطلاع على حادث السفينة سمبرى انظر «مختارات حكومة بومباى» مجلد ٢٤ ص ٣٢٣ الى ٣٤٢ وكتاب هنل « نبذه تاريخية عن القواسم » ١٨١٩ - ١٨٣١ والمراسلات المتعلقة بالموضوع - محادثات بومباى السياسية حلقة ٣٨٦ مجلد ٦١ رقم ١٠ فى ١٠/٣/١٨٣٠ من ويلسون الى موريس انسكرتير الأول لحكومة بومباى ١٨٣٠/١٢/٢٢ مجلد ٦٤ رقم ١٧ فى ١٨٣٠/٦/٢٣ من جورج سونتن (سكرتير الحاكم العام) الى موريس ١٨٠/٣/٢٦ وسجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٥ من مجلس الحاكم العام الى مجلس ادارة الشركة ١٨٣٠/١١/١٦ (رقم ٧ الادارة السياسية) .

يستغلون الفرصة التي قد تحققها لهم تلك النجاحات لممارسة القرصنة بدلا من استغلالها في الأغراض التجارية (١) .

بعد وقت قليل تعرضت آراء مالكولم للاختبار ، ففي شهر ديسمبر من عام ١٨٢٩ قام السيد سعيد بمحاولة غير موفقة لضم ظفار في أعقاب وفاة محمد عقيل الذي كان يحكمها في ذلك الوقت ، وقد أبحر السيد سعيد الى افريقيا الشرقية لقمع ثورة اهالي ممباسا وقبل سفره حاول ان يتخذ الاحتياطات لعدم قيام أي تمرد ضد حكمه في عمان فأودع ابن عمه هلال بن محمد أقوى زعماء القبائل الرئيسية في عمان ووالى السوق السجن بقلعة الجلالى ، ولكنه ما كاد يفادر البلاد حتى قامت شقيقة هلال السيدة خوخة بالاستيلاء على السوق وتحريض القبائل على التحرك لاطلاق سراح شقيقها . وقد استغل السيد حمود بن عزان زعيم الركن الأصفر لال بوسعيد الفرصة فأعلن نفسه حاكما على صحار التي كان يعتبرها الاقطاعية الوراثية لعائلته قبل ان يستولى عليها السيد سعيد قبل وفاة عزان بن قيس والتم السيد حمود سنة ١٨١٤ (٢) ولم يستطع السيد محمد بن سالم ابن أخ السيد سعيد والذي عينه نائبا عنه قمع ذلك التمرد ، فبعث برسالة عاجلة الى ويلسون واخرى الى مالكولم مباشرة يطلب فيهما مساعدته ، وكان اول ما طرأ على ذهن ويلسون هو أن القواسم قد يستغلون الوضع لاجتياح عمان والاعتداء على السفن العمانية ،

(١) ملخص لرسائل الخليج ص ١٨٥ ، من سكرتير حكومة بومباى الى

المقيم السياسى البريطانى فى ١٨٢٩/٧/١ .

(٢) عزان بن قيس هو ابن قيس بن أحمد واحد انجال مؤسس أسرة آل

بوسعيد والذي اعطيت له الولاية على صحار بعد دمج بركا اليها سنة ١٧٩٣

ولهذا أوعز الى الطراد افريتيس بالتوجه الى ساحل القرصنة فى أوائل شهر فبراير سنة ١٨٣٠ ومعه رسالة موجهة الى سبطان بن صقر وغيره من شيوخ الساحل يحذرهم فيها من الاعتداء على عمان أو السفن العمانية وبعد ان سلم الطراد الرسائل الى زعماء الساحل توجه الى مسقط لتدعيم موقف السيد محمد بن سالم (١) وقد اثنى مالكولم على التحرك الفورى لويلسون وعلى الاخص انه قد جاء بالغاية المنشودة دون أن يودى الى الخروج على السياسة المرسومة ، وهى التمسك بسياسة الجياد وعدم التدخل الا فى الحالات الهامة وبطريقة فعالة . كذلك كلف مالكولم وويلسون بأن يحذر حمود بن عزان بوجوب احترام سلطة السيد سعيد وبأن يبقى طرادات الوحدة فى حالة استعداد للدفاع عن مسقط اذا اقتضت الضرورة .

وفى ٩ مايو ١٨٢٣، عاد السيد سعيد من أفريقيا وبعد أن فشل فى استرداد ممباسا من المزاريع ولم يعرب عن شكره لويلسون على المساعدة التى قدمها دعما للحكم أثناء غيبته ، وانما على العكس من ذلك فقد حاول ان يقلل من خطورة الأحداث التى وقعت فى البلاد خلال سلفه ، وطلب الى الطراد افريتيس بالسفر كما أعرب عن استيائه الى المقيم البريطانى حول الأوضاع السيئة التى وصلت اليها البلاد (٢) ومهما كان شعور السيد سعيد فى تلك اللحظة فمن المحتمل على أى حال أن يكون استياؤه من ويلسون نتيجة الاحراج الذى وقع فيه بعد ان انكشف ضعف مركزه من وجود الطراد البريطانى .

(١) مجموعة مجلس ادارة الشركة مجلد ١٣٩٨ مجموعة رقم ٥٥٤٤٠ من

ويلسون الى نوريس ١٨٣٠/٢/٦ .

(٢) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٧ مجلد ٤ رقم ٣١ -

١٨٣٠/١٠/١٣ من ويلسون الى نوريس ١٨٣٠/٨/٣١ .

ميناء مسقط - فان الحقيقة التي لاشك فيها أن نفوذه في عمان قد تدهور كثيرا ، وأن الهزائم التي منى بها في البحرين ومباسا قد هزت القوة التي كانت تتركز عليها دعائم حكمه وعلى العكس من الإمام أحمد بن سعيد وأئمة البعارة الذين كانوا يستمدون سلطتهم أساسا من تحالفهم مع القبائل الداخلية فقد كان السيد سعيد مثل والده سلطان بن أحمد يعتمد في حكمه أساسا على التجارة والأعمال التجارية ، وكان يعتمد بالتالي في سلطته على موارد التجارة والملاحة ، وفي عام ١٨٣٠ اتسعت الفجوة بينه وبين القبائل الداخلية ، ويعود ذلك في المقام الأول الى تعيينه لولاء لم يكونوا يتمتعون بتأييد كبار زعماء القبائل كذلك فان قضية دفع أموال الى شيخ آل بوفلاح في أبو ظبي لقاء اشرافهم على الداخل الشمالية لعمان كان سياسة غير فعالة لدعم الحكم في مسقط ، ومع ذلك فقد كان السيد سعيد يفضل الجري وراء أوهام الفتوحات الخارجية بدلا من الاضطلاع بمهمة دعم الكيان الداخلي لحكمه .

وقبل أن يغادر السيد سعيد الى افريقيا الشرقية في ديسمبر عام ١٨٢٩ ذكر لويلسون بأنه ينوي الذهاب الى مكة بعد تسوية مشكلة مباسا وأنه سيتغيب عن البلاد لمدة ثلاثة سنوات ، وعلى الرغم من أنه عاد من افريقيا في شهر مايو ١٨٣٠ الا أنه ما كاد يصل الى العاصمة حتى أبلغ المقيم السياسي بأنه ينوي مساعدة أمير إقليم فارس على اخضاع الشيخ عبد الرسول حاكم بوشهر بفرض حصار على ميناء تلك المدينة ، وبالرغم من أن ويلسون حاول أن يصدّه عن ذلك الاجراء الأحقق الا أنه فشل ، وبقي سعيد متمسكا بأذيال مغامراته ، وقد تنبأ ويلسون أيضا أنه في حالة انهيار مركز السيد سعيد أمام خصومه في عمان كالهوايين مثلا فمن المحتمل أن يثقل مقر الحكم الى زنجبار حيث سيظل هناك يعاني من تأنيب الضمير الذي سببه له سوء تقديره للأمور

ت ٣٧٩

في السنوات الأخيرة (١) ولم يكشف شيء عن ضعف السيد سعيد كما كشف اخفاقه في ازاحة حمود بن عزان عن صحار وغيرها من المناطق الواقعة على ساحل الباطنة التي استولى عليها حمود ، وفي أواخر عام ١٨٣٠ أرغم السيد سعيد على الاعتراف بحمود واليا على صحار مقابل زكاة سنوية قدرها ٨٠٠٠ ريال نسوى يدفعها اليه ، وعلى الرغم من أن السيد سعيد قد نقض هذا الاتفاق في اوائل عام ١٨٣٠ وقام بفرض حصار على صحار فقد بقي حمود متحصنا داخل المدينة وتمكن من ائزال خسائر جسيمة بقوات السيد سعيد ثم جدد هذا الاتفاق .

وعلى اثر ذلك غادر السيد سعيد في شهر ديسمبر الى الساحل الاريقي للقيام بمحاولة اخرى لاختضاع ممباسا (٢) وكما حدث في عام ١٨٢٩ فقد اسفر غيابه عن عمان الى قيام ثورة فيها ، وكان اول من رفع علم هذه التمرد هو السيد سعود بن علي بن سيف والى بركا وابن أخ بدر بن سيف الذى كان سلف السيد سعيد فى الحكم ، وكان سعود أحد الثالوث الذى أوكل اليه السيد سعيد اليه مقاليد الحكم فى السلطنة اثناء غيابه اما الاثنان اخران فكانا نجله الاكبر هلال والى السويق ، وابن أخيه محمد بن سالم والى مسقط ، وقد قام سعود باعتقال زميليه فى الحكم فى ابزيل عام ١٨٣٢ ونزج بهما فى سجن ببركا . وقد استغل حمود بن عزان الظروف فقام بحصار الرستاق بالاشتراك مع هلال بن محمد الذى كان لاعتقال السيد سعيد له سبب فى التمرد السابق .

- (١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٧ مجلد ٤ رقم ٣١ - ١٣ اكتوبر ١٨٣٠ من ويلسون الى موريس بتاريخ ٣١ أغسطس ١٨٣٠ .
 (٢) مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ صفحة ٢٠١ ، ٢٠٢ وكتاب « نبذة تاريخية عن حكومة مسقط » (١٨١٩ - ١٨٣١) تأليف هانيل .

وقد أمكن فك الحصار عن الرستاق بمساعدة محمد بن ناصر شيخ بنى جابر ومستشار السيد سعيد الذى حشد نحو ١٥٠٠ فرد من الغافرية لمهاجمة انبلدة ، وفى هذه الاثناء تولت شئون الحكم فى مسقط السيدة موزة بنت أحمد عمه السيد سعيد . وقد أظهرت هذه السيدة الشجاعة والطاعة فى السن كفاءة وروحا اكثر من اقاربها الذكور وبعثت بنداء للمساعدة الى حاكم بومباى ايرل اوف كلير والى المقيم البريطانى الجديد فى الخليج دى اى يلين الذى كان قد خلف ويلسون لتوه ، وقد تحرك يلين بنفس السرية التى تحرك بها خلفه ويلسون قبل عامين فأوفد مساعده اللفتنان هانيل الى مسقط مع طرادين هما تيجريس والفرنستون كما كتب الى شيوخ القراصنة يحذرهم من التدخل فى القتال الدائر فى عمان (١) .

غير أن ذلك التحذير وصل متأخرا فعند وصول هانيل الى باسيدو علم أن سلطان بن صقر تحرك عند أول سماعه بالامدادات فى عمان أرسل اسطوله الى شبه جزيرة مسندم واحتل دبا وخور فكان على ساحل الشمالى شمال صحار ، كما كان راشد بن حمد شيخ عجمان وأجد عملاء القواسم قد خرج هو الآخر بسفنه الحربية الى البحر واستولى بالفعل على مجموعة من السفن العمانية وبعض سفن ساحل مكران ، أما هانيل فقد واصل رحلته بالطرادين من باسيدو الى مسقط وفى طريقه توقف فى كل من صحار وبركا حيث علم

(١) مجموعة مجلس ادارة الشركة مجلد ١٤٣٥، رقم ٦٧٢٦ من السيدة موزة الى حكومة بومباى ٨ ابريل ومن بلين الى نوريس ٧ مايو سنة ١٨٣٢ ومن يلين الى هانيل بنفس التاريخ انظر كذلك مجموعة بومباى المجلد ٢٤ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ للفتنات راي بى كامبل نبذة تاريخية لحكومة مسقط ١٨٣٢ - ١٨٤١ .

هناك أن نجل السيد سعيد وابن أخيه قد أفرج عنهما بفضل جهود السيدة موزة بعد دفع فدية عنهما . وعند وصول هانيل الى مسقط يوم ٢٦ مايو كان الثالث الحاكم هناك فأخبروه بأن المرحلة الخطرة من التمرد قد انتهت ، ومع ذلك فقد قرر هانيل أن يترك أحد الطرادين وهو الفنستون فى مسقط للدفاع عنها (١) وحتى فى هذه المرة لم يعرب السيد سعيد عن تقديره للمساعدة التى قدمت اليه غير أن يلين تصور أن السيد سعيد لم يكن يقصد شيئاً من ذلك وحتى لو كان السيد سعيد قد تعمد ذلك فإنه يعتبر المساعدة البريطانية له مسألة بديهية .

بعد ستة أعوام على تدمير ابراهيم باشا للدعية مقر الوهابيين سنة ١٨١٨ بقى المصريون مسيطرين على نجد (١) وعلى أى حال فقد كانت المعركة الفعلية على السلطة خلال هذه السنوات تدور بين الاحياء من الأسرة السعودية

(١) مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ٣٢٩ (نبذة تاريخية عن قبيلة القواسم العربية) ١٨٣٢ - ١٨٤٤ تأليف اللفتنانت ايه بى كمبل .

(٢) (افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٢٧٤) كوبلاند الفصل الثانى ص ١٨٩ ، ١٩٠ فى تحديد تاريخ الثورة السعودية لسنة ١٨٢٨ ويذكر أيضا ان عودة السيد سعيد قد حسمت الموضوع وقد قام غولين بمسح الساحل الشرقى لافريقيا بناء على تعليمات من وزارة البحرية الفرنسية وكان على ظهر الفرقاطة دورسىدى سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٤٨ وتضم هذه الوثائق بيانا عن عملية المسح هذه ووصفا مفصلا للمسائل التاريخية وغيرها حول علاقة عمان بزنجبار ويعتبر غولين من اكثر المطلعين حول هذا الموضوع واكثرهم صحة عن تاريخ هذه الفترة .

وزعماء القبائل التي كانت تعارضهم وفي أواخر عام ١٨١٩ أو بداية عام (١) ١٨٢٠ كان مشارى بن سعود شقيق الأمير السابق عبد الله هو المسيطر على الدرعية ولم يدم حكمه الا بضعة أشهر وانتهى بظهور الرجل الذي كان يؤيد عودة السعوديين الى الحكم وهو تركى بن عبد الله حفيد محمد بن سعود أول أمير اعلى دست الحكم (٢) وابتداء من ١٨٢٠ حتى سنة ١٨٢٤ ظل تركى يتسبب حروبا متواصلة ضد المصريين والقبائل المعادية له وانتهى هذا الصراع بانسحاب المصريين من الرياض فى شهر اكتوبر ١٨٢٤ وخضوع معظم مناطق نجد لتركى بعد ذلك ، ومنذ ذلك اليوم أصبحت الرياض التى لا تبعد الا بضع أميال الى الجنوب من الدرعية عاصمة السعوديين وقد أمضى سعود السنوات الخمس الأولى من نجاحه فى تثبيت حكمه لنجد ، ولم يتمكن من الاستيلاء على الأحساء من شيوخ بنى خالد محمد وماجد العيار قبل خريف عام ١٨٢٩ وقد نجح هو ونجده فيصل فى سحق مقاومة بنى خالد عبر سلسلة من المعارك انتهت بسقوط الهفوف والمناطق الساحلية خلال ربيع سنة ١٨٣٠ (٣) . وبعد وقت قصير من استرجاع الوهابيين للأحساء بدأت

(١) يختلف المؤرخون حول هذا التاريخ ففي الوقت الذى يحدد لوريمر فى « دليل الخليج » فصل ١ ص ٢٠٩٣ سنة ١٨١٩ يرى فلبى فى مؤلفه « السعودية العربية » ص ١٥١ على غرار ابن بشر أنها حدثت فى شهر مارس

١٨٢٠

(٢) لم يكن كما يذكر كثرة من المؤرخين نجح الأمير عبد الله بن سعود الذى اعتمد فى القسطنطينية سنة ١٨١٨ .

(٣) أفضل مرجع لهذه الأحداث هو كتاب تاريخ نجد جزء ٢ ص ١ - ٣٨ تأليف ابن بشر الذى اعتمد عليه فلبى بعد حذف بعض المقاطع فى مؤلفه =

ظهر آثار ذلك على امتداد سواحل الجزيرة العربية وقد توقع راشد بن حمد شيخ عجمان الذي سر بتلك الأحداث أن تلك التطورات سوف تؤدي إلى العودة إلى القرصنة البحرية بتحريض من الوهابيين وانطلاقاً من هذا التصور طلب إلى تركي أن يعينه نائباً عنه في المنطقة الساحلية ، ولكنه كما يذكر لوريمر تسلم رداً فائراً على اقتراحه يفيد ، بأن الأمير الوهابي يعتبر ، وسوف يظل يعتبر ، سلطان مسقط وشيخ الشارقة الزعيمين الوحيدين لقبائل عمان ، وكان تركي قد عقد العزم على أن لا يعيد أخطاء أسلافه من الأمراء ، وكان كما أشار اللفتنانت هانيل المقيم البريطاني بالنيابة شخصاً أكثر ثقافة من الأمراء السابقين ، وأنه كان متقيداً في خطواته بمبادئ السياسة على العكس من الزعماء الوهابيين السابقين الذين كان حماسهم لنشر العقيدة الوهابية أكثر من حماسهم للحكم (١) ولكي يؤكد رفضه القاطع لمقترحات راشد بن حمد كلف شيخ عجمان في منتصف سنة ١٨٣١ بإبلاغ حكومة بومباي رسالة منه يعبر فيها عن رغبته في إقامة علاقات ودية مع الحكومة البريطانية ، وقد ردت الحكومة البريطانية عليه برسالة تبادلها فيها نفس الرغبة وأرسلتها إليه عن طريق المقيم البريطاني في الخليج . وعلى أية حال فقد ظل راشد بن حمد مصمماً على العودة إلى القرصنة سواء بتأييد من الوهابيين أو بدونهم ، وفي مستهل عام ١٨٣٢ انتهز فرصة التمرد في عمان فشن هجوماً على سفن مسقط وقام بنهب بعض السفن التابعة لساحل مكران وسفينة

== « السعودية العربية » ص ١٤٩ - ١٦٣ كذلك انظر مختارات بومباي مجلد ٢٤ ص ٤٩٧ - ٤٩٩. ونبذة تاريخية عن قبيلة الوهابيين العربية ١٨١٩ - ١٨٣١. ودليل الخليج تأليف لوريمر مجلد ١ ص ١٠٩٣ - ١٠٩٥ .

(١) مختارات بومباي مجلد ٢٤ ص ٤٣٩ .

تابعة لكتش وقد قام اللفتنان هانيل بزيارة الى ساحل الخليج فى بداية يوليو سنة ١٨٣٢ للحصول على تعويض لأصحاب السفن المتضررة ، وعند وصوله الشارقة أبلغه حاكمها القاسمى سلطان بن صقر شيخ عجمان بأن راشد بن حمد لم يعد يخضع لسلطته ، وأنه على هانيل أن يحصل على التعويض من راشد مباشرة ، وقد وافق هانيل على ذلك وان كان قد لاقى صعوبات كثيرة فى محاولته (١) ومما لاحظته هانيل فى مقابلته للشيخين أنهما كانا يخلجان فى موقفيهما من دعوة الوهابيين الى الحكم وبخاصة من احتمال عودتهم الى غزو عمان مرة أخرى ، وعلى حين كان راشد يرحب بعودة النفوذ الوهابى بدون تحفظ كان سلطان يبدى مخاوفه من ذلك ، وعلى الرغم من أنه كان يفضل وجود حليف قوى الى جانبه فى صراعه ضد آل بوفلاح شيوخ ابوظبى غير أنه لم يكن يطمئن الى الوهابيين الأقوياء والى وجودهم على مقربة من حدوده ، وكان سلطان فى شهر نوفمبر ١٨٢٥ قد استفسر من الكولونيل ستانوس بشىء من اللباقة السياسية ما اذا كانت الحكومة البريطانية ستساعده فى الاحتفاظ باستقلاله لو استعاد الوهابيون نفوذهم السابق فى شبه الجزيرة ، وبماذا يرد عليهم لو أنهم طلبوا أن ينضم اليهم للقيام بهجوم مشترك على مسقط ، وقد أجابه ستانوس بأنه لو فكر فى إقامة علاقات مع الوهابيين فان البريطانيين لن يؤيدوه ، وقد يؤدى ذلك الى عودة أعمال القرصنة ، كما أنه لن عقد أى اتفاقات معهم تهدد مركز السيد سعيد . فسوف يعتبر عمله موقفا عدائيا ، وقد أكد الفنستون هذا الموقف حين ذكر بأنه على الرغم من أن القيام باجراء ضد الوهابيين لم يكن واردا طالما أنهم يحصرون نشاطهم على البر الا أن

(١) مجموعة مجلس ادارة الشركة مجلد ١٤٣٥ رقم ٤٦٧٢٦ من هانيل

حكومته لا يمكنها أن تغض الطرف في حالة وقوع غزو لعمان كما إنها لن تشجع مثل هذه الأعمال العدوانية لعدم اعلان اهتمامها بهذا الأمر ، ولم يثر سلطان بن صقر هذا الموضوع مرة أخرى حتى شهر يوليو ١٨٣٠ عندما اقترح على المقيم البريطاني في أعقاب استيلاء تركى بن عبد الله على الأحساء بأن تستترك الحكومة البريطانية مع قبائل الساحل الغربى في وقف التوسع الوهابى وقد رفض اقتراحه هذا وقيل له بأن السياسة البريطانية في الخليج مبنية على مكافحة القرصنة فحسب ، ولا شأن لها بالسياسات الداخلية لسكان المنطقة . وبعد فترة قصيرة تجددت مخاوف سلطان حول نوايا تركى بعد ان رفض الأمير الوهابى مقترحات راشد بن حمد (١) .

ولما كان تركى مشغولا باهتمامات اخرى فإنه لم يفكر بعد فى الاهتمام بسواحل القرصنة ، ولكنه فى نهاية عام ١٨٣٠ دعا عبد الله بن احمد حاكم البحرين الى الاعتراف بسلطته ودفع الزكاة بالاضافة الى دفع مبلغ ٤٠٠٠٠ ريال نمساوى عن بعض الخيول التى تركها الوهابيون فى البحرين اثناء انبجابههم كما إنه طالب بتسليم قلعة الدمام التى كانت فى يد آل خليفة فى ذلك الوقت الى بشير نجل رحمة بن جابر الذى اصبح احد صنائع الوهابيين . وقد طلب عبد الله تأييد البريطانيين فى رفضه لطلب الوهابيين ، ولكنه تلقى نفس الجواب الذى تلقاه سلطان بن صقر سابقا ، وفى عام ١٨٣٠ اوفد عبد الله مبعوثا خاصا لمفاوضة تركى ، وتوصل الجانبان الى اتفاق تعهد بموجبه عبد الله بالاعتراف بالأمير الوهابى كسلطة عليا وبأن يدفع له الزكاة المقررة

(١) مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ٣١٩ و ٣٢٤ - ٣٢٥ نبذة تاريخية عن

الوهابيين ١٨١٩ - ١٨٣١ اعداد هانيل .

مقابل ضمان الأمير الوهابي للسيادة الإقليمية لحاكم البحرين ، وهكذا صرف النظر كما يبدو عن موضوع تسليم قلعة الدمام ، أما بشير بن رحمة بن جابر فقد عين مسئولاً عن الطاروت بدلا من القطيف (١) .

كما أجرى السيد سعيد اتصالا هو الآخر بتركي بعد احتلاله للأحساء يعرض عليه الخضوع لسلطته مقابل مساعدته في الهجوم على البحرين (٢) ورغم أن تركي رفض العرض مفضلا أن يعالج موضوع البحرين لحسابه الخاص إلا أن ذلك قد أثار اهتمامه كدليل على عدم اكتراث السيد سعيد بمصلحة عمان كما ظهرت أدلة أخرى على هذا الموقف ، فقبل عامين من ذلك التاريخ قامت قوة بقيادة عمر بن عوفيضان حاكم الأحساء بالاغارة على واحة البريمي ولم يعترض السيد سعيد أو يتحرك ضد الوهابيين . وفي سنة ١٨٣٠ غادر بعض المبعوثين العمانيين موفدين من بعض زعماء القبائل المعادية للسيد سعيد للاتصال بالأمير تركي في الأحساء (٣) كما كشفت حركات التمرد التي وقعت بعد ذلك عن ضعف مركز السيد سعيد بصورة أكثر . وهكذا أصبح الوقت ملائما للانقضاء على عمان لانتزاع ما يمكن انتزاعه من الحاكم . وفي أواخر

(١) مختارات بومباي ص ٣٨١ نبذة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية .

(٢) ١٨١٩ - ١٨٣١ ودليل الخليج « اعداد لوريمر مجلد ١ ص ٨٥٦ - ٨٥٧ .

(٣) دليل الخليج مجلد ١ صفحة ٨٥٦ - ٨٥٧ اعداد لوريمر .

(٣) راجع « تاريخ نجد جزء ٢ صفحة ٣٨ تأليف ابن بشر » وعلى الرغم

من أن هذا المؤرخ يحدد القبائل التي انضمت الى القائد الوهابي فقد يكون بعضها جاء من راشد بن حمد حاكم عجمان ومن الزعماء الآخرين ربما يكونون

من أمثال حمود بن عزان والي صحار .

سنة ١٨٣٢ أصدر الأمير تركى أمرا الى عمر بن عوفيسان لاعداد حملة
ضد عمان .

زحف عمر بن عوفيسان من الأحساء بقوات قوامها ٣ آلاف رجل فى
منتصف شهر يناير سنة ١٨٣٣ وبعد أن اجتاز منطقة الظفرة وصل الى واحة
البريمى يوم ١٨ فبراير ، وبمجرد وصوله احتل القلعة الرئيسية قصر الخندق
وبعد ذلك طالب القبائل المجاورة بدفع الزكاة وقد اشتمت القبائل من هذا
الطلب أن الانضمام الى القائد الوهابى سوف يجلب لهم الغنائم ، ولهذا
التفوا حوله ، كذلك زاره رسل من راشد بن حمد وسلطان بن صقر (١) وكان
يبدو أن عمر بن عوفيسان لم يكن على عجلة من امره ليتحرك ضد السيد
سعيد ، ولهذا بعث برسل الى مسقط يؤكد له بأن مجيئه الى عمان هو لمساعدة
السيد سعيد على معارضيهِ (٢) لكن بن عوفيسان كان يخشى شيئا واحدا ،
وهو أن يتعرض لهجوم من قبل طحنون بن شخبوط شيخ أبو ظبى الذى كان
فى وضع يسمح له بقطع خطوط مواصلاته مع الأحساء . غير أن طحنون بن
شخبوط لقي هو الآخر نفس المصير الذى تعود أن يلقاه حكام آل بوفلاح ، ففى
شهر ابريل من عام ١٨٣٣ اغتاله شقيقاه خليفة وسلطان ، ثم تولى خليفة بعد

(١) نفس المصدر صفحة ٤٤ وملفات المثلية البريطانية فى الخليج ومن
وكيل المثلية فى الشارقة الى المقيم لبريطانى ١٣ يناير ، ١٥ ، ٢٤ فبراير
١٨٣٣ .

(٢) ملفات المثلية البريطانية فى الخليج الكتاب ٣٧ من الوكيل فى مسقط
الى المقيم ٢٢ مارس ١٨٣٣ كذلك فانه لم يتردد بأن يتبادل الرسائل مع عدو
سعيد الأكبر ونعنى به حمود بن عزان وان يقبل منه منحة مقدارها ١٥٠٠ ريال
دمسوى (نفس المصدر) .

ذلك المشيخة، غير أن آل بو فلاسه وهم أقوى الفئات في قبائل بنى ياس رفضت الاعتراف بسلطته وهاجرت الى دبی الأمر الذي أضعف مركز خليفة كما أن خوفه من أن يواجه سخطا عاما نتيجة اغتياله للشيخ طحنون الذي كان يعد من اكفأ الحكام وأشجعهم قد اضطره للاذعان الى عمر بن عوفيسان (١). وقد بدأ القائد الوهابي في تشديد الضغط على السيد سعيد مطالبا بخضوعه لسلطة تركي بن عبد الله وبدفع الزكاة المقررة للأمير الوهابي . ولكن السيد سعيد كتب في شهر يوليو الى بلين المقيم البريطاني في ذلك الوقت يذكره بأنه في وضع خطير جدا وبأنه غير واثق فيما اذا كان يمكنه الصمود أمام عمر بن عوفيسان أم لا . ورغم تعاطف بلين مع السيد سعيد الا أنه لم يكن متأكدا من ان التعليمات التي لديه تسمح له بمساعدة السيد سعيد ولهذا نصحه بمحاولة التفاهم مع الوهابيين (٢) ، وبعد شهر أبلغ السيد سعيد بلين انه قد توصل الى اتفاق مع عمر بن عوفيسان على أن يحترم كل طرف حدود الطرف الآخر على أساس أن تمتد حدود السيد سعيد الى جعلان وتمتد حدود الوهابيين الى القطيف ، وأن يتعاون الطرفان على قمع أي حركات للتمرد والثورة في أراضيهم ، غير أن سعيد أخفى عن بلين موضوعا آخر وهو تعهده بدفع زكاة

(١) سجل الرسائل الرسمية لحكومة بومباي مجلد ١٦ من مجلس الحاكم الى مجلس ادارة الشركة بتاريخ ١٤ أغسطس ١٨٣٣ (رقم ٣١ الإدارة السياسية) ومختارات بومباي مجلد ٢٤ صفحة ٤٧١ وكتاب نبذة تاريخية عن قبيلة بن ياس العربية ١٨٣٣ - ١٨٤٣ تأليف اللفتنانت كمبرل .

(٢) مجموعة مجلس الادارة مجلد ١٤٣٥ رقم ٥٦٧٢٦ من بلين الى السكرتير السياسي بحكومة بومباي ٢٥ يونيو ١٨٣٣ .

سنوية بواقع ٥٠٠٠ ريال نمساوى الى حكومة الرياض (١) ، وبعد ذلك مباشرة
 سافر بن عوفيسان الى الأحساء محملا بالفنائم التى قدرت بـ ١٥ ألف ريال
 نمساوى و ٣٠٠ بعير وقد ترك وراءه نائبه محمد بن عبد العزيز على رأس حامية
 قوامها ٧٠ جندياً .

ومن الصعب ان نفهم ما الذى حمل السيد سعيد الى ذلك الاستسلام
 للوهابيين ، صحيح ان مركزه داخل عمان لم يكن قويا كما ينبغي لكنه كانت لديه
 كل الامكانيات لدحر هجوم بن عوفيسان كما لا يمكن ان تكون عمان فريسة
 سهلة كما تصور السيد سعيد ، وكان السيد سعيد نفسه مقاتلا
 وشجاعا وهى الصفة التى اكتشفها فيه كل الأوربيين الذين قابلوه ،
 قد كتب اللغتنا جى آر ولستند من الأسطول الملكى فى سنة ١٨٣٥ يصف
 السيد سعيد بقوله « طويل القامة مهيب ذو ملامح رقيقة ولكنها مؤثرة دمت
 الاخلاق وقور المحيا ، وكان السيد سعيد فى ذلك الوقت فى الخامسة
 والأربعين من عمره وأضاف ولستند فى حديثه عن السيد سعيد يقول :

لقد احتفظ الامام فى سلوكه الشخصى ببساطة البدوى ، فهو متقشف
 فى اعتدال ، ولا يرتدى المجوهرات وان قميصه اذا استثنينا جودة القماش
 ليس افخر من قمصان كبار مواطنيه وهو يقابل المواطنين من غير ابهة او
 بروتوكولات وان حكومة هذا الأمير تتميز بالبعد عن الضرائب المجحفة والقوانين
 العرابة ، وذلك لما يبيده الحاكم من روح التسامح تجاه أصحاب الأعمال الوافدين
 الى مسقط من الدول الأخرى وللتسامح العام أزاء كافة المذاهب والمعتقدات ومن
 ناحية أخرى فان نزاهة هذا الحاكم واستقامة خلقه وعدأته وعدم مغالاته

(١) مختارات بومباى مجلد ٢٤ صفحة ٢٠٦ (نبذة تاريخية عن مسقط .

١٨٣٢ - ١٨٤٤) اعداد كميل .

فى العقوبات التى يفرضها على مواطنيه فضلا عن الحرص الذى يبديه فى سبيل تحقيق الخير لرعاياه قد اكسبه اعجاب واحترام سكان المدن مثلما اكسبته لبراليته وشجاعته حب الوطنيين البدو (١) .

غير ان شعبية سعيد لم تكن تمتد الى المناطق الداخلية من البلاد الامر الذى يعسر بلا ادنى شك اعراض تلك القبائل عن انتخابه اماما لهم ، ولا توجد اسباب مقنعة عن فشل السيد سعيد فى تولى الامامة ، وقد يكون عزوفه عن الامامة هو احد تلك الاسباب ، ولكنه من المؤكد الى حد كبير انه لم يكن ليتولى الامامة لو انه سعى لها ، ذلك ان المفاهيم النظرية لبعض القبائل الاباضية المتطرفة قد اهتزت بسبب المعتقدات الوهابية الجديدة الوافدة على المنطقة وكانت النتيجة انهم اصبحوا اقل حماسا لانتخاب امام جديد وان كانوا لا يخفون اهتمامهم بالنتائج التى بدت تنتشر عن انتخاب خلف للامام احمد بن سعيد والى تحديدهم للخصائص التى يجب ان تتوفر فى الامام المرشح ، واذا نظرنا الى الموضوع من زاوية عملية فقد كان غياب السيد سعيد المتكرر عن البلاد يحول بينه وبين ممارسة الوظيفة الاساسية للامام وهى قيادته لصلاة الجماعة . كما كان اختياره لسقط كعاصمة لحكمه

(١) « رحلات الى الجزيرة العربية » فصل ١ ص ٦ - ٨ للاطلاع على نموذجين لهذا التقييم للسيد سعيد من قبل اثنين من الرحالة الامريكانيين رحلة الى العواصم الشرقية لكوشين والصين وسيام ومنسقط ... خلال اعوام ١٨٣٢ و ١٨٣٣ و ١٨٣٤ طبعة نيويورك ١٨٣٧ ص ٣٥١ - ٣٦١ وقصة رحلة بحرية حول العالم خلال الاعوام ١٨٣٥ و ١٨٣٦ و ١٨٣٧ مجلدين طبعة لندن ١٨٣٨ فصل ١ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

وتفضيلها على الزستاق قد اضاف صعوبات اخرى الى المشكلة (١) .

ان التقديرات التي اعدت عام ١٨٣١ لقوات السيد سعيد المسلحة تحددها (٣٠٠٠) جندي نظامي تحت السلاح يضاف اليهم عشرة آلاف يمكن حشدهم من القبائل فى حالات الطوارئ (٢) اما الجيش فكان جنوده النظاميون مسلحين بالبنادق والرماح والسيوف .

غير ان قبائل الداخلية كانت تنظر بازدراء الى جيش السيد سعيد بل ان السيد سعيد نفسه لم يكن يفخر بجيشه وبالذور الذى كان يقوم به لصالحه وكان يدفع للجندي الواحد من ٣ الى ٥ ريالات فى الشهر ، وكان على الجنود ان يشتروا السلاح بانفسهم ، ويشمل اهمال السيد سعيد للجيش الثكنات والقلاع التى كانوا يرابطون فيها على امتداد ساحل عمان وقد تدهورت حالة القلعتين الرئيسيتين فى مسقط وهما الجلالى والميرانى نتيجة لذلك الاهمال . فالقلعة الشرقية (الجلالى) كانت متآكلة ومهترئة ومن وصفه لهذه القلعة جاء فيه « ان القلعة محاطة بثلاثين مدفعا كانت كلها مليئة بالثقوب والخدوش فيما عدا اثنين او ثلاثة من المدافع النحاسية التى خلفها البرتغاليون وكانت مرفوعة فوق عربات رديئة الصنع .

وعلى اى حال كانت معدات السيد سعيد الحربية معدات متواضعة فقد كان اسطوله البحرى على العكس من ذلك . فقد شاهد اللفتنانت آج هارت

(١) لا تختلف رواية بادجر عن هذه الا اختلافا بسيطا فى كتابه «ائمة وسلاطين عمان» ملحق (١) ورغم التحقيقات التى اجراها فى كل من مسقط ووزنجبار لم يجد احدا يمكنه ان يلقى ضوءا على هذا الموضوع .

(٢) رحلة خمسين شهرا فصل اول ص ٦ ملحق ١ .

من الاسطول الملكى) بعض قطع ذلك الاسطول فى ميناء زنجبار فى شهر فبراير حيث كانت راسية هناك سفينة حربية مسلحة بـ ٧٤ مدفعا تسمى ليفربول وفرقاطة مسلحة بـ ٥٠ مدفعا ، واخرى بـ ٣٦ مدفعا ، وطراد بـ ٢٠ مدفعا وسفينة طراز (برك) مسلحة بـ ١٠ مدافع بالاضافة الى سفينة اخرى وكل هذه السفن بنى فى بومباى (١) وعلى اى حال فخلال شهر سبتمبر الماضى قام زائر امريكى بعد السفن الراسية فى ميناء مسقط فوجد بالاضافة الى السفينة ليفربول خمس سفن اخرى بواقع ٣٠ مدفعا فى كل منها الى جانب ست سفن اخرى من مختلف الحمولات كانت احداها تحمل ٢٢ مدفعا . اثنتان اخرى بـ ١٨ مدفعا فى كل منهما واثنتان ١٢ مدفعا فى كل منهما .

والى جانب القوة البحرية كان السيد سعيد يمتلك سفينتين تجاريتين من صنع بومباى واربع سفن شرعية (طراز البغلة) نسبة الى البغلا وترمز الى الضخامة وكان كل من هذه السفن مسلحا ببعض المدافع كما كان يمتلك

(١) مختارات بومباى مجلد ٢٤ ، ص ٢٨٢/٢٨٣ مقتطفات من ملخص ملاحظات لرحلة الى زنجبار على السفينة الملكية ابوجين . . . يناير وفبراير ١٨٣٤ افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٢٩٠ وقد اقتبس معلوماته من بعثة الى الحكومات الشرقية فى الصين وكوشن وسيام ومسقط ص ٣٦١ - ٣٦٣ وقد اجري ستوكبر نفس التقديرات لاسطول السيد سعيد سنة ١٨٣١ انظر زيادة خمسة عشر شهرا فصل ١ ص ٦ من كتابه كما حدد الكابتن غليوم نفس العدد تقريبا سنة ١٨٤٦ - ١٨٤٨ (انظر وثائق تاريخية لافريقيا الشرقية فصل ٢ ص ٢٤١ . . .

عددا من السفن التجارية الصغيرة (١) .

ان مكانة اقتصاد السيد سعيد لم تكن موضع شك فقد كان دخله السنوى من الرسوم الجمركية يتراوح بين ١٦٤ر٠٠٠ و ٢٠٠ر٠٠٠ (٢) ريال نمسوى . وعلى أساس الأرقام القديمة فان رقم الواردات لمسقط يصل الى ما قيمته ٣٣٠ر٠٠٠ ريال نمسوى مما يعنى ان مسقط تأتى فى المرتبة الثانية بعد جدة من حيث الاهمية التجارية للموانئ التجارية فى شبه الجزيرة . اما دخل السيد سعيد من جمارك زنجبار فكان اقل من دخل مسقط ، غير انه ابتداء من ثلاثينيات القرن التاسع عشر اخذ هذا الرقم يتزايد

(١) فارس والخليج مجلد ٣٧ من ستانوس الى ويلوك بتباريخ ١٨٢٣/٦/٣ ، ومرفق به صورة من خطاب ويلوك الى كانج ، سلطانبة ١٨٢٤/٧/٧ وقد ذكر هاتى ان السيد سعيد كان يملك عشرين سفينة تجارية من مختلف الانواع (مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٢٧٩) كما ابلغ ولستد فى عام ١٨٣٥ ان نحو ٨ الى ١٠ سفن تجارية وضعفها من السفن الاصغر حجما كانت تعمل فى التجارة مع مناطق البحر الاحمر والهنبد وتركيا والعراق « رحلات الى الجزيرة العربية فصل ١٠ ص ٤٣ » .

(٢) الرقم الاول لو لستد وقد حددها على أساس مدفوعات الرسوم الجمركية (وبواقع ٥٪ من القيمة) منها ١٠٥ر٠٠٠ من جمرك مسقط و ٦٠ر٠٠٠ من جمرك مطرح (رحلات الى شبه جزيرة العرب فصل ١ ص ١٢٢) ويذكر ستوكلر انه بالاضافة الى الـ ٥٪ كان يدفع رسوم اخرى بواقع ١٠٪ عن المنتجات التى تدخل مسقط ولا يفرق ستوكلر بين مسقط ومطرح عن المناطق الداخلية وان الجمارك كانت مؤجرة لاحد الهنود التجار مقابل ١٠٠ر٠٠٠ عن كل من المدينتين (رحلة خمسة عشر شهرا) فصل ١ ملحق ١ .

بشكل سريع وكان يأتي معظم هذا الدخل خلال تلك الفترة من تجارة الرقيق .
 ولقد قيل للفتنانت هارت في عام ١٨٣٤ ان دخل السيد سعيد من جمارك
 زنجبار كان يصل الى ١٥٠.٠٠٠ ريال نمسوى في العام ، غير انه قبل زيارة
 السيد سعيد لزنجبار في عام ١٨٣٣ كان يحصل على ٣٠.٠٠٠ الى
 ٤٠.٠٠٠ ريال نمسوى (١) وقد تكون الارقام التي ذكرها الثلاثة
 هارت وولستد وستوكلر مبالغاً فيها غير انه من المؤكد ان دخل
 السيد سعيد من مسقط وزنجبار لم يكن اقل من ٢٥٠ الف
 ريال نمسوى في العام او قد نقول بأن مجموع دخله اذا اضيف اليه دخل
 من بندر عباس والارباح التي تأتيه من معاملته التجارية الخاصة لا يمكن
 ان يقل عن ٣٥٠ الف ريال نمسوى او سبعين الف جنيه استرليني في
 العام (٢) .

(١) مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ ص ٢٨١ مقتطفات من ملاحظات
 لرحلة الى زنجبار .

(٢) كوبلاند افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٣١٧ - ٣١٨ ويمتقد كوبلاند
 ان تقديرات هارت مبالغ فيها اما هو فيقدر مجموع الدخل من زنجبار بما
 لا يقل عن ٢٠ الف جنيه استرليني كل عام او ١٢٠ الف ريال نمسوى اذا
 حسبنا السعر على اساس ٦ وليس على اساس ٥ ريالات للجنيه الاسترليني
 وهذا على عكس جواين الذي يقدر الدخل في عام ١٨٤٦ - ١٨٤٨ من زنجبار
 وملحقاتها بمبلغ ٢٤٩ الف ريال نمسوى سنويا وذلك في كتابه وثائق تاريخية
 عن افريقيا الشرقية . وهذه الدخول مضاف اليها دخل عمان وتقدر ١١٦
 الف ومائة ريال و ٢٠ الف و ٥٠٠ ريال من جواين وبندر عباس وملحقاتها
 و ١٠ الف ريال من المعاملات التجارية الخاصة بالسيد سعيد كانت تعطيه
 دخلاً سنويا عن ٤٨٠ الف و ٦٠٠ ريال نمسوى او نحو ١٠٠ الف جنيه
 استرليني .

وهكذا لم يكن ينقص السيد سعيد شيء فقد كان المال والقوة البحرية واردة القتال في رجاله متوفرة لصد الوهابيين عن حدود عمان ولم يتردد السيد سعيد في استخدام هذه العوامل الثلاثة في حملته التي شنّها على البحرين ومباسا ، فما هي الاسباب التي جعلته يحجم عن استخدام قوته البحرية كما استخدمها في قمع التمرد ضد حكمه في مباسا لفرض حصار على القطيف والعقير لكي يصرف اهتمام الوهابيين عن عمان ، ولماذا فضل ان يخضع لهم خضوعا مشينا يهدد حكمه وبلاده والأجيال القادمة من أسرته ؟ ان الرد على هذه الاسئلة هو ان السيد كان قد عقد العزم بعد سنة ١٨٣٣ على ان يكرس امكانياته لمستعمراته الافريقية ، وأن يجعل من زنجبار العاصمة الفعلية لحكمه ، اما ان السيد سعيد لم يكن يفكر في التخلي نهائيا عن عمان فهو امر لا يمكن ان يجادل فيه انسان غير انه منذ ذلك الوقت كانت عمان بالنسبة اليه اقليما بعيدا متمردا عليه بدلا من ان تكون روح وقلب مملكته ، فضلا عن ذلك فقد كان سعيد على يقين انه اذا احتاج الى مساعدة سواء للدفاع عن البلاد ضد الوهابيين او لقمع حركات داخلية فانه سوف يحصل بسهولة على تلك المساعدة من الهند البريطانية ، ولهذا أبحر من مسقط في شهر نوفمبر عام ١٨٣٣ الى مباسا لقمع التمرد هناك وهو مطمئن كل الاطمئنان .

ويبدو ان السيد سعيد كان متفائلا اكثر مما يجب ، وبالتالي فان ما حدث في عمان في سنة ١٨٣٣ قد حتم على الحكومة البريطانية في الهند وفي انجلترا بأن تعيد تقييم علاقتها بمسقط من جديد ، وقد بدأت دراسة الموضوع بتقرير بلين المؤرخ في شهر يونيو سنة ١٨٣٣ عن ضعف مركز السيد سعيد ازاء اطماع عمر بن عوفيسان ، لقد غدا وجود عمان كدولة مستقلة

على حد راي بلين في كفة الميزان فلم يكن بلين يطمئن الى الوهابيين فاذا قدر لعمان ان تصبح مستعمرة وهابية ، وتصبح مسقط واسطولها التجارى تحت رحمتهم يصبح التدخل البريطانى المسلح امرا لا مفر منه فاذا اضطرت بريطانيا الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات فان من الافضل ان يكون التدخل العسكرى تدخلا مباشرا وليس عن طريق السيد سعيد (١) ، وقد وافق حاكم بومباى ارل اوف اوكير على مقترحات بلين ، ودعا كلير الى ابلاغ تركى بن عبد الله بأن اى اعتداء على اراضى السيد سعيد لن يكون تصرفا مقبولا من بريطانيا كما قام بتعزيز الاجراءات بالاتصال بمحمد على باشا والى مصر ، اذ كان لا يزال يمارس نفوذا على تركى باعلان تأييده للسيد سعيد الذى كانت تربطه به علاقات صداقة ، اما اذا لم يكن تركى خاضعا لباشا مصر فقد يفكر الباشا فى اخضاع الوهابيين لسلطته مرة اخرى ، وهذا سوف يتيح لبريطانيا فرصة لصنع سياستها الجديدة بالنسبة لهذه المشكلة .

ولما كان موضوع التدخل المسلح لا يدخل ضمن اختصاص بلين بنفسه فقد قرر احوالة الموضوع الى الحاكم العام اللورد وليم بيتنك للنظر فيه غير ان بيتنك لم ير ضرورة للتدخل وأوضح هذا الامر لكلير ايضا كما تاما فى اوائل شهر فبراير ١٨٣٤ ، بأن الحاكم العام غير مستعد لأن يوافق على استخدام الاسلحة البريطانية من اجل المحافظة على ممتلكات امام مسقط . لاننا اذ تورطنا مرة فى سياسة تأييد هذا الحاكم او ذاك فسيكون لابد لنا من متابعة هذا الخط السياسى مهما يكن الثمن ، وبالتالي سيكون من الصعب

(١) مجموعة مجلس ادارة الشركة مجلد ١٤٣٥ مجموعة ٥٦٧٢٦ من

بلين الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى ١٨٣٣/٦/٢٥ .

علينا أن نضع حداً لعمليات سفك الدماء واهدار الأموال التي سوف تترتب على هذه السياسة وعلى العكس من كليير وبلين لم يكن اللورد بتنتك يعتقد بأن استقلال عمان كان على وشك الانهيار بل على العكس كان واثقا على ضوء الانفاقية المبرمة اخيرا بين الأمير تركى والسيد سعيد أن روح المصالح المشتركة سوف تحول بينهم وبين الوصول بخلافاتهم الى حد الاصطدام . وان الحكومة البريطانية ليس لديها أسباب مباشرة مع الوهابيين كما لاتعنيها الخلافات الكثيرة القائمة بين دول شبه الجزيرة بأى شكل من الاشكال .

إن اهتمامنا ينحصر فى التجارة البحرية للخليج وطالما بقيت هذه التجارة فى امان فلا يهمنى من الذى يسيطر على الدول الواقعة على سواحل الخليج وحتى لو قدر للوهابيين أن يستولوا على ميناء مسقط وهى مسألة لا يبدو ان امام مسقط تساوره أى شكوك نحوها فان هذا لن يتطلب بالضرورة شروعهم فى ممارسة القرصنة . ومما يبدو أكثر احتمالا أن الوهابيين قد وعوا دروس الماضى القريب فى الخليج بالنسبة لتفوقنا البحرى وانهم بالتالى لن يجرؤوا على استفزازنا وأنهم على ضوء هذه الاعتبارات فانهم سوف يحرضون على العلاقات الودية التى تربطنا بهم مثلما تربطنا بالسيد سعيد ولكن حتى اذا ساءت الأمور وقدر للوهابيين أن يستولوا على مسقط وأن يمارسوا أعمال القرصنة ضد تجارة الخليج فمن المعتقد بأنه سيكون من الأسهل لنا مطاردتهم فى هذه المنطقة بدلا من ان نتبنى سياسة التدخل فى شئون الخليج ونجعل من انفسنا حراسا لمستعمرات حاكم مسقط .

وعلى العموم فان معالى الحاكم العام يرى بأن الموضوع قد تبلور بوضوح من خلال المناقشات السابقة والتى منعتنا من التورط فى اتفاقات دفاعية مع حاكم مسقط ، وانه لمن المرغوب فيه ان تخطر السلطات البريطانية فى الخليج

بالتقيد الدقيق بسياسة الحياد في المنازعات التي قد تنشأ فيما بين السيد سعيد وأى من الدول المجاورة له في قارة شبه الجزيرة العربية (١) .

وفي شهر مارس ١٨٣٤ أُبلغ قرار الحاكم العام الى السيد سعيد عن طريق وكيله في بومباي ، وعلى الرغم من أن القرار لم يكن أكثر تأكيداً للسياسة المتبعة منذ قيام الحملة على قبائل بني بوعلی فان السيد سعيد تميزاً ذلك الموقف الى استياء حكومة الهند البريطانية من المعاهدة التجارية التي عقدها السيد سعيد في شهر سبتمبر السابق مع الولايات المتحدة وليس الى رغبة حكومة الهند في تجنب التوريطات العسكرية في شبه الجزيرة العربية (٢) وكان السيد سعيد قد استقبل في زنجبار خلال شهر فبراير ١٨٣٤ اللفتنانت آتش هارت قائد السفينة الحربية ايموجين من أسطول الهند الشرقية الذي توجه للاستفسار عن نصوص وهدف المعاهدة المذكورة وكان اللفتنانت هارت قد أوفد من قبل الفيلد ادميرال السيرجون جور القائد العام لأسطول الهند الشرقية للتحقيق في اشاعة انتشرت ، ومفادها ان السيد سعيد قد عرض على الأمريكان منحهم قاعدة على الساحل الافريقي مقابل تأييدهم له على اخضاع ممباسا ، والواقع كما اكتشف هارت ان المعاهدة لم تتضمن شيئاً من هذا القبيل ، وقد تم عقد هذه المعاهدة بمبادرة من احد تجار ولاية سالم الذين يتعاملون مع زنجبار واقترح على الحكومة الامريكية ابرام معاهدة تجارية

- (١) مجموعة وثائق مجلس الادارة مجلد ١٥١٦ المجموعة رقم ٥٩٨٥٩ من س . اى تريفليان سكرتيرة الحكومة بالنيابة الى جون باكس سكرتير حكومة بومباي ، وفورت ويليام ١/٢/١٨٣٤ .
- (٢) بعد تعديل الميثاق في عام ١٨٣٣ اطلق على حكومة الهند (الحكومة العلية) .

مع السيد سعيد خدمة للمصالح التجارية لأمريكا ، وكان التاجر الذي يدمى الكابتن اوموند روبرتس قد عين وكيلا خاصا لحكومة الولايات المتحدة في الصين ومسقط ، وقد خول صلاحيات لعقد اتفاقيات تجارية مع حكام هذه الدول، وقد غادر وشنطن في الولايات المتحدة في شهر مارس ١٨٣٢ على الطراد الأمريكى بيكوك ووصل الى مسقط في سبتمبر ١٨٣٣ . وفى يوم ٢١ سبتمبر وقع هو والسيد سعيد على معاهدة للصدقة والتجارة تنص على استيفاء رسم لا يزيد على ٥٪ عن البضائع التى ترد على السفن الأمريكية الى مسقط (وهى نفس النسبة التى تستوفى على البضائع الواردة على السفن البريطانية). وذلك على أساس معاملة للتجار والسفن التابعة للطرفين المتعاقدين، وعلى تعيين قناصل لحكومة الولايات المتحدة في الموانئ الرئيسية لعمان ، على أن يمارس هؤلاء القناصل الصلاحيات الإقليمية على رعايا الولايات المتحدة ، ولم تتضمن المعاهدة أى بند عن تنازل السيد سعيد عن أى جزء من عمان أو تقديم مساعدات عسكرية الى السيد سعيد تساعده على إخضاع سكان ميباسا لحكمه (١) .

(١) للاطلاع على نص هذه المعاهدة راجع مجلد المعاهدات الرقم ١١ اعداد ايشسون ملحق رقم ٥ اما تقرير روبرتس عن مهمته فيمكن الرجوع اليه في كتابه مهمة الى حكومات الشرق والصين وسينام ومسقط (١٨٣٢ - ١٨٣٤ التصديق على تلك المعاهدة من جانب حكومة الولايات المتحدة في يونيه ١٨٣٤ ، اما بشأن القناصل التى نصت عليها المعاهدة فقد عينوا في زنجبار حيث كانت تتركز المصالح الأمريكية ولم يتم تعيين قنصل في مسقط قبل عام ١٨٨٠ وقد بقيت المعاهدة سارية المفعول حتى شهر ديسمبر ١٨٥٨ عندما استبدلت بمعاهدة جديدة للصدقة والشئون الاقتصادية والقنصلية .

وعندما سئل هارت السيد سعيد عن المعاهدة أعرب عن استعدادة لتعديلها أو الغائها اذا اعتقد هارت انها تسبب ضررا للحكومة البريطانية (١) كما عرض السيد سعيد أيضا على هارت تقديرا منه للحكومة البريطانية بأن يهذى الى الاسطول الملكى سفينة القيادة « ليفربول » (٧٤ مدفعا) التى بنيت فى بومباى . وقال لهارت بأن السفينة لا تزال فى حالة جيدة وانها تزيد على حاجة مسقط فاذا كان ملك انجلترا يقبل منى تلك الهدية فانى سأكون سعيدا (٢) وقد أبدى الاميرال جور الذى أبلغه هارت بموضوع الهدية استعدادة لقبولها ، وأن كان قد راوده الشك فى أن يفسر قبوله لها كتعهد باسم الملك لتأييد السيد سعيد فى فسخ معاهدته مع أمريكا والتى كان يبدو عليه انه كان نادما على إبرامها (٣) وقد وافق بنتنك عندما أبلغه جور على قبول

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلة ١٧ من الحاكم الى مجلس الادارة - ١٨٣٤/٩/٣٠ « رقم ٢٦ الادارة السياسية » وقد اعيبه طبع تقرير هارت وصدر فى مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ٢٧٣ - ٢٨٣ ويبدو ان السيد سعيد كان يحاول ان يحصل على ٢٠٠٠ جندى من الملكة رنا فولتا ملكة مدغشقر لضمهم الى قواته التى تحارب فى مباسا وقد عرض على الملكة ان يتزوجها مقابل هذا الطلب ولكن الملكة رفضت الطلبين (تقرير هارت ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) مختارات حكومة بومباى ٢٤ مجلد ص ٢٧٦ و « افريقيا الشرقية وغزاتها » تأليف كويلاند .

(٣) مجموعة مجلس ادارة الشركة والمراسلات والسياسية العامة مجلد ٢ واحد من جور الى الكابتن جورج اليط (سكرتير الاميرالية) ١٨٣٤/٤/١٠ . ومرفق لخطاب اليط الى سكرتير مجلس حكومة الهند ١٨٣٤/٨/١ .

الهدية وان كان قد اعرب عن اسفه لإبرام السيد سعيد معاهدة مع الأمريكين
عنى الرغم من أنه لم ير فيها أى شىء يتعارض مع السياسة البريطانية كما
أنه شك فى جدية السيد سعيد لفسخ المعاهدة (١) .

وعلى أى حال فان عرض السيد سعيد رغم شكوك الأيرال جور لم يكن
عرضا جديا ، فقد كان السيد سعيد يدرك الفوائد التجارية التى سيجنونها من
تلك المعاهدة ، وبالتالي فليس من المتصور أن يقدم السيد سعيد على الفائها
وبالأحرى كان فى نية السيد سعيد أن يترك انطبعا حسنا فى نفس الحكومة
البريطانية فى انجلترا التى كان يعلم أن عرضه لفسخ المعاهدة وهديته الى
الأسطول الملكى سوف تترك لها أثرا حسنا لدى الحكومة البريطانية وفى مقابل
ذلك كان يأمل سعيد أن يتم الضغط على السلطات فى الهند لتدعيم حكمه فى
عمان فى الوقت الذى تفرغ هو لمستعمراته فى افريقيا وقد وصل عرض السيد
سعيد فى اللحظة التى كان مجلس ادارة الشركة قد بدأ فى اظهار اهتمامه
بالخطوط العامة لسياسة حكومة بومباى تجاه عمان فى الأعوام القليلة الأخيرة .

وفى يوم ١٦/٤/١٨٣٤ لخص أعضاء مجلس الادارة رأيهم فى تقرير
رفعوه الى الحاكم وأشاروا فيه الى أنه ابتداء من تحذير ميجر ويلسون لشيونخ
القراصنة فى شهر فبراير ١٨٣٠ بعدم التورط فى مشاكل عمان فى ذلك الوقت
لاحظ أعضاء مجلس الادارة أن هناك انحرافا تدريجيا عن سياسة عدم التدخل
فى الشئون الداخلية لدول الجزيرة العربية ، وهى السياسة التى كانت
متبعة منذ الحملة على قبائل بنى بوعلى كما أن إرسال الطرادات الى مسقط

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٧ من الحاكم الى
مجلس الادارة ٣٠/٩/١٨٣٤ (رقم ٢٦ الادارة السياسية) .
(٢٦ - بريطانيا والخليج)

فى نفس ذلك الشهر ، ثم مرة أخرى فى شهر مايو ١٨٣٢ يعد تصعيدا لهذا الاتجاه ، وقال أعضاء مجلس الإدارة بأنه من حسن الحظ أن السيد سعيد قد رفض هذه المساعدة بعد عودته من أفريقيا، كما أشاروا الى أن السيد سعيد لو قبل المساعدة لضاف الينا عبئا جديدا فى كبح جماحه عن القيام بمغامرات طائشة جديدة ضد الدول الأخرى ، وبما أنه من الخطر أن نسمح بوقوع مثل هذه الاعتداءات من حاكم نعتبر نحن مسئولين عن حمايته (١) وعلى أية حال فان الدروس المستفادة من تلك الأحداث دروس واضحة فنحن لا نعتقد بأنكم ملزمون بأى شكل من الأشكال على ضوء الالتزامات السابقة بأن تقدموا الى السيد سعيد نفس المساعدة اذا تعرض لأزمة مماثلة فى المستقبل تمس مصالحه. وبما أن السيد سعيد قد أعرب بنفسه عن قبول المساعدة سابقا فان رفضه لها الآن يعتبر سببا وجيها لعدم تقديمها اليه من جديد. وبعد وقت قليل على ارسال تقرير مجلس إدارة الشركة علم أعضاؤه بالاضطرابات الجديدة فى عمان سنة ١٨٣٣ وبعودة الوهابيين الى البريمي والمقترحات التى قدمها كل من بلين وكليبر بخصوص التدخل المسلح فى عمان وبالتالى لم يكن أمام بلين وكليبر الا أن يكررا وفى عبارات شديدة اللهجة تحذيراتها الى حاكم بومباى فى شهر أغسطس ١٨٣٤ والتى جاء فيها ، أنه فى حالة اصراركم على هذا الموقف بعد الآن ففد يجد السيد سعيد نفسه فى حاجة الى حماية الحكومة البريطانية ، وبالتالى سوف تعتبرون المسئولين عن كل تصرفاته تجاه الدول الأخرى . ومن هنا فان تمتعه بهذه الحماية دون أن يلتزم بالكف عن ارتكاب الأعمال العدوانية ضد الأطراف الأخرى يعنى تشجيعه على اقتراف المظالم ضد غيره من الحكام (٢) .

- (١) تقرير سياسى الى بومباى مجلد ٤ من مجلس الإدارة الى الحاكم
١٨٣٤/٤/١٦ (رقم ٦ الإدارة السياسية) .
- (٢) التقرير السياسى الى حكومة بومباى مجلد ٤ من مجلس الإدارة الى الحاكم ١٨٣٤/٨/٢٠ (رقم ١ الإدارة السياسية) .

أما إذا قلنا ان حكومة بومباى كانت تتصرف فى المقام الأول من منطق اللامبالاة بما يجرى من اضطرابات تهدد الأمن فى الخليج فان أعضاء مجلس الإدارة لا يخامرهم الشك انطلاقا من تجارب الماضى بأن استيلاء الوهابيين على عمان من شأنه أن يصيب المصالح البريطانية فى الخليج بأضرار بالغة ، وأن أعضاء مجلس الإدارة ليتساءلون عما اذا كانت السلطات المسئولة فى بومباى قد فكرت فعلا فيما كانت تنطوى عليه مقترحاتها للحاكم العام من أن التدخل المسلح قد يكون أمرا لا مفر منه فى يوم من الأيام ؟ غير أن أعضاء مجلس الإدارة لا يشاركونهم هذا الرأى ، وسواء كانت الاجراءات التى اعتدناها قابلة للتنفيذ ام لم تكن فانها قد وضعتنا من غير شك فى موقف جديد بالنسبة لدول الخليج، وهو موقف لو تصرفنا على أساسه فالتنا لن نستطيع ان نتراجع عنه فاما ان نتراجع عنه وأما أن نكون على استعداد لتحمل نتائجه وهو ان نقوم بدور الحكم فى جميع المنازعات التى تقع بين دول المنطقة وأن النتيجة الحتمية لهذه انسياسة لن تكون فى صالحنا ، ان الحكومة البريطانية لا دخل لها بالخلافات التى تنشأ بين الزعماء العرب الا فى حالة واحدة وهى الا تحول تلك الخلافات الى ذريعة لارتكاب أعمال القرصنة كما أنه لا يهملها اطلاقا من الذى تكون له الغلبة فى الخليج طالما بقيت تجارة المنطقة حرة ومأمونة من أى اعتداء يسودها الاستقرار .

ان أعضاء مجلس الإدارة لا يتصورون بأن هناك خطرا من وجود الوهابيين وانما على العكس يشعرون بأن امتداد سيطرة الوهابيين الى الساحل العربى كله قد تكون فى النهاية فى مصلحة الأمن والتجارة فى المنطقة، وبناء عليه فانهم يرون بأنه من الضرورى أن نعارض أى اجراء يهدف الى اتخاذ أى اجراءات معادية من جانبنا ضد شعوب هذه المنطقة كما أنه ليس من مصلحتنا التدخل لحماية أمام عمان أو أى زعيم آخر من الوهابيين طالما ظل

سكان المنطقة يحترمون العلم البريطاني ولا يرتكبون أى أعمال عدوانية ضد حكومتنا أو رعايانا .

كان هذا هو موقف أعضاء مجلس الإدارة من عرض السيد سعيد بالغاء المعاهدة الأمريكية وتقديم السفينة ليفربول كهدية الى الأسطول الملكى عندما احيل اليهم هذا العرض ، ولذلك لم ينظروا الى العرض بارتياح ، ولما كان من المتعذر عليهم توجيه لومهم الى السيد سعيد فقد صبوا جام غضبهم على اللفتنانت هارت على اثاره مثل هذه المسائل السياسية مع السيد سعيد وعلى سؤاله عن تلك المعاهدة التى أتاحت الفرصة للسيد سعيد ليتقدم بعرضه الذى سبب حرجا لشركة الهند الشرقية فى علاقتها بمسقط ، فالى أى حد كانت هذه المعاهدة تهم الشركة؟ لقد سألت اللجنة السرية لمجلس الإدارة حكومة الهند هذا السؤال فى خطابها المؤرخ ٢٧ أغسطس «ان الأمريكين ليسوا طرفا سياسيا منافسا لنا فى الهند والأعمال التجارية المحدودة التى قد يقومون بها بسفنهم الصغيرة مع ممتلكات سلطان مسقط لاتتعارض فى تصورنا مع مصالحنا فى تلك البلاد» (١) ان هارت قد تدخل فى موضوع هو من اختصاص السلطة العليا لحكومة الهند كما جاء فى التعديل الذى وافق عليه البرلمان لميثاق الشركة اى بشأن تنظيم العلاقات مع الدول المجاورة للهند البريطانية ، وكما هو واضح من هذا فقد كان يتعين على حكومة الهند ان تكون على دراية أفضل بالظروف التى يمكنها على أساسها اتخاذ إجراءات سلمية فى أى مسألة من المسائل التى تخص الدول الأخرى . . كما لا يجوز اجراء الاتصالات مباشرة مع تلك الدول فى أى

(١) مجموعة مجلس الهند والمراسلات السياسية العامة مجلد ٢ جزء
(من تى ال . بكوك المفتش المساعد لشركة الهند الشرقية الى جى . ايه
ستيوارت ماكنز (سكرتير مجلس الهند) بتاريخ - ١٨٣٤/٨/٢٤) .

مسألة من المسائل العامة الا عن طريق الحاكم العام وقد طلب القائد العام لأسطول الهند الشرقية موافاته بالتعليمات التي تمكنه من أن يعالج بموجبها هدية السيد سعيد ، وكما ذكرت اللجنة فان هناك تعليمات عامة يتوجب على القائد العام أن يتصرف على أساسها وهي احالة مثل هذه الموضوعات الى حكومة الهند مشفوعة بالمعلومات والمقترحات اللازمة لتكون موضع التنفيذ وعلى الاميرالية وحدها ان تقرر ما اذا كانت ستقبل السفينة الهدية من السيد سعيد وفي حالة قبولها الهدية ان تقرر ما اذا كان من الضروري رد تلك الهدية بهدية مناسبة . ولكن اللجنة تلاحظ انه مهما قدم للأمام من هدية مقابل هديته فان ذلك لن يمحو الفكرة المسيطرة عليه وهو أنه قد أهدى حكومة صاحب الجلالة هدية تجعلها مدينة اليه ويمكنه في مقابلها أن يطالب الحكومة البريطانية بالتأييد والمساعدة .

وقد كان لهذه الآراء صداها بين أعضاء مجلس الهند الذين أعربوا عن أسفهم لما قد تسفر عنها من نتائج اذا قبلت هدية السيد سعيد خصوصا وأن حكومة بومباي على حد رأى المجلس قد سبق أن تدخلت بالفعل لصالح امام مسقط أكثر من مرة الى مدى أبعد مما يحتمله ذلك التدخل وعلى اى حال فقد استاء المجلس من زيادة التورط فى شئون مسقط فقد كان يتعين عليه بأن ينظر الى العلاقات البريطانية مع مسقط من زاوية أوسع من مجرد كونها سياسة خاصة بالجزيرة العربية وقد صادف ان كان مجلس وزراء الخارجية البريطانية والاميرالية البريطانية فى هذه الأثناء يدرسون قضية ادخال الملاحة البخارية الى الهند وأن اللجنة الخاصة بالملاحة البخارية قد تقدمت بتوصية الى البرلمان فى شهر يوليو سنة ١٨٤٣ ببذل الجهود الممكنة لتحقيق هذا المشروع ، وذلك عن طريق البحر الأحمر والخليج الفارسى ، وقد كانت أهمية مسقط بالنسبة للطرفين بديهية ، وكان معروفا ان محمد على باشا يقدر

- ٤٠٦ -

اهمية مسقط الاستراتيجية كما كان يبدى اهتماما بالمناطق الشرقية للجزيرة العربية وبالتالي لم يكن من المصلحة اغفال هذه الاعتبارات عند اتخاذ قرارات تمس السياسة البريطانية تجاه السيد سعيد .

في بداية نوفمبر عام ١٨٣٤ بعث الملك وليم الرابع برسالة الى شارلس جرانت رئيس مجلس الهند يحثه على العمل على فتح طريق البحر الاحمر الى الخليج الفارسي كطريقين للملاحة التجارية الى الهند ، وكان الملك يعلق اهمية بالغة على مشروع الملاحة البخارية ، وقد شجعت المقتراحات التي قدمها لادميرال جور لجلالته بشأن طريق البحر الاحمر واهمية موقع مسقط ، وعلى الاخص في تسهيل عملية احتلال محمد علي باشا لهذا الطريق وما سوف يجنيه من فوائد من سيطرته على مخا وجدة وبما أن الملك لم يكن يتصور أن يتم المشروع بسرعة الا انه مع ذلك كان يشعر بأن الاوضاع القائمة كانت تكفل له النجاح الى حد كبير وبالتالي يصبح موضوع ابرام معاهدة مع سلطان مسقط يبدو أنه كان امرا ضروريا لمنع وقوع المنطقة تحت سيطرة محمد علي باشا (١) وردا على رسالة الملك بعث جرانت اليه بتقرير كير الذي أعده خلال زيارته للسيد سعيد وما أعقب التقرير من مراسلات تتصل بالموضوع ، وقد ذهل وليم اربع من الضجة التي اثارتها شركة الهند الشرقية حول زيارة هارت لمسقط فكتب الى جرانت رسالة بتاريخ ١٠ نوفمبر يعرب فيها عن استيائه من رأى اللجنة السرية في أن الشركة هي وحدها صاحبة الحق في التخاطب مع الولايات الهندية . وان على حكومة الملك أن تدرك بأن المنطقة

(١) مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٢ (جزء ١)

من السير هربرت تايلور (السكرتير الخاص للملك) الى جرانيت ٢/١١/١٨٣٤ .

الشرقية من شبه الجزيرة العربية والسواحل الواقعة عليها تعتبر جزءاً من الهند وهى تشكل أى جزء من شبه الجزيرة تمارس شركة الهند الشرقية « السيادة عليه » .

ومن ثم فان الملك لا يفهم الأسباب التى منعت السير جور من ايفاد الكابتن هارت الى مسقط أو لماذا تحرم حكومة صاحب الجلالة من مزايا وجود سفن لها فى المنطقة أو من المعلومات التى قد تجمعها من ضباط أسطولها عن طريق اتصالاتهم وزياراتهم لمناطق الخليج ، كما لا يتصور صاحب الجلالة أن الزيارة التى قام بها الكابتن هارت لامام مسقط اجراء يدعو الى الاسف حتى وان كان هارت لا يوافق على قبول الهدية (السفينة ليفربول) من امام مسقط .

لقد وقعت تطورات كثيرة على حد رأى الملك تجعل من مسقط وغيرها من المناطق الواقعة على سواحل شبه الجزيرة العربية وشواطئها موضع اهتمام مباشر لحكومة الملك وشركة الهند الشرقية على السواء كما ان محمد على باشا باعتراف السلطات الهندية نفسها قد أصبح القوة الفعالة الأولى فى منطقة شبه الجزيرة العربية ، وانه قد أخذ يوجه اهتمامه الى الساحل الممتد الى مسقط ولعله يطمع فى السيطرة على هذا الجزء كما أن هناك اعتقاداً بأن امام مسقط ينظر الى باشا مصر باحترام أكثر مما ينظر به الى شركة الهند الشرقية طمعا فى التأييد والمساعدة التى قد يحصل عليها السيد سعيد من محمد على باشا .

وقد أعرب الملك وليم الرابع عن تأييده لموقف شركة الهند التى رفضت ان تتبنى سياسة تدفعها الى التورط فى المنازعات الصغيرة التى تنشأ بين حكام شبه الجزيرة ، كما كان يشاطر أعضائها الراى عموماً حول هذا

الموضوع غير انه لم يكن مقتنعا بسبب اطماع باشا مصر لسياسة عدم الاهتمام بوضع مسقط الاستراتيجى بالنسبة للصراع فى شبه الجزيرة العربية وسيطرة محمد على باشا على مصر والجزء الأكبر من سوريا وسواحل البحر الأحمر بحيث أن يكون خط المواصلات المقترح انشاؤه عن طريق الفرات والخليج الفارسى يمر عن طريق سوريا ، وخط البحر الأحمر يمر عن طريق مصر، فضلا عن ان الحكومة البريطانية المساهم الأكبر فى هذا الخط فان كل هذه الاعتبارات اقنعت وليم الرابع ورجال حكومته بتوجيه اهتمامهم الى سواحل شبه الجزيرة العربية ولها والذي كان دورها فى السابق مقصورا على رجال شركة الهند الشرقية وحدهم ، وربما كان استياء وليم الرابع من الموضوع يعود الى حبه للاسطول' وغضبه من توجيه اللوم الى أحد ضباط ذلك الاسطول على قيامه بتنفيذ الاوامر الصادرة اليه كما أن امتعاض كل من اللجنة السرية ومجلس الهند من التطفل على اختصاصاتهم السياسية كان امرا بديهيا ، فقد كان هؤلاء لا يزالون يتذكرون قصة الكابتن أوين على ساحل افريقيا الشرقية منذ بضع سنوات كما أن أوين عاد فائرا هذه المخاوف عندما تقدم عام ١٨٣١ بطلب الى وزارة الخارجية لتعيينه قنصلا عاما لبريطانيا فى افريقيا الشرقية والمنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية (١) .

لهذه الاعتبارات لم يكن شارلس جرانت يؤيد ايلاء أى أهمية لاعتراضات الملك . وقد لقنه دروسا دستورية فى المسئولية الأساسية للشركة بالنسبة لعلاقتها مع الدول التى تقع ضمن مجالات حكومة الهند .

(١) انظر مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٣ (١)

من أوين الى الفايكونت بالمرستون ١٨٣٤/٩/٨ .

- ٤٠٩ -

لقد تقرر بدافع المصلحة القومية أن تسند إلى الشركة مسؤولية رعاية المصالح القومية في الخارج ، واستنادا إلى هذا القرار فقد عهد إلى الشركة بالإشراف على الاتصالات مع فارس والعراق ودول الخليج الفارسي الواقعة على سواحل الجزيرة العربية . . . والهدف من هذا واضح ، وهو أن السلطة المسئولة مباشرة عن رعاية الاتصالات السياسية مع الدول سألغة الذكر من حقها أن تمارس حقوق الإشراف الكامل على مسؤولياتها هذه . فإذا كانت الهند الشرقية تتمتع بهذه المسؤولية فينبغي عليها القيام بذلك لأنه ليس من حق الحكومة البريطانية أن تجرى اتصالات سياسية مباشرة مع تلك الدول إلا بعد موافقة الشركة (٢) .

لقد كانت زيارة اللفتنانت هارت لسultan مسقط زيارة سياسية في الأساس كما ذكر جرائد ولهذه الأسباب اعترضت الشركة عليها ومهما كانت طبيعة الاتصالات فإن الشركة لن تعترض ولا حق لها أن تعترض طالما أن تلك الاتصالات ليس لها طابع سياسي كما أن توجيه السياسة البريطانية تجاه أي دولة من الدول هو مسؤولية الحكومة البريطانية وحدها . ولا يجوز لشركة الهند الشرقية أن تصدر أي تعليمات تمس علاقاتنا بدول كدول شبه الجزيرة العربية أو أي دولة من دول الشرق بغير موافقة المفاوضين السياسيين (لشئون الهند) والذين يعتبر رئيسهم عضوا في البرلمان أو بعبارة أخرى لا يجوز إصدار تعليمات من أي نوع مالم تنسجم تلك التعليمات مع السياسة العامة للحكومة البريطانية ، وأيضا كان شكل وطبيعة السلطة فالهند باعتبارها

(١) مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد (١) من جرائد

إلى تايلور بتاريخ ٢٥/١١/١٨٣٤ .

٤.١.٥ -

جزءا من الامبراطورية البريطانية تخضع لحكومة الملك شأنها شأن كندا او جامايكا ، وأن سلطة الشركة مستمدة من سلطة الملك وبين السلطتين لا يوجد خط فاصل ولا تعارض فى المصالح وكل ما يمس سلطة الشركة فى مجال صلاحياتها وكل من ينتقص من هذه السلطة ، أو يفرض عليها سلطة أخرى أو سلطة منافسة فانه بالتالى يمس من سلطة الملك نفسه (١) .

وعلى أى حال فقد وضع هذا الخطاب نهاية لخلاف حول زيارة هارت، فلم يعد الملك بعد ذلك يتدخل فى المناقشات الدائرة بشأن الموضوع كما أن الاميرالية بعثت برسالة الى جور تطلب منه تحذير الضباط العاملين تحت قيادته من اجراء اتصالات حول المسائل السياسية مع الحكام الشرقيين (٢) .

(١) مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٢ (١) من

جرائد الى تايلور ١٨٣٤/١١/٢٥ .

(٢) مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٣ (١) من جى برو

سكرتير الاميرالية) الى جور فى ١٨٣٤/٩/١٢ وعند عودة هارت الى انجلترا فى عام ١٨٣٥ احتج لدى جورج تكرر الذى كان أحد رؤيس مجلس ادارة الشركة عام ١٨٣٤ ضد ما اعتبره هارت ملاحظات قياسية وغير صحيحة جاءت فى تقرير اللجنة السرية حول سلوكه ، وقد لاحظ تكرر ان لهجة احتجاج هارت كانت تتسم بالتشدد ، فرفع الامر الى الاميرالية البريطانية ومنذ ذلك الوقت نشب خلاف بين تكرر وهارت وبين الشركة والاميرالية واستمر الخلاف لمدة شهرين وانتهى بتقديم هارت اعتذاره الى الرئيسين ولكنهما رفضا قبول الاعتذار وعندئذ تدخل اللورد اكولن الاميرال الاول للبحرية البريطانية وحاول اقناع تكرر بقبول الاعتذار والتغاضى عن الموضوع وفى النهاية قدم هارت اعتذارا شخصيا لتكرر (انظر أيضا مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٤ (١) .

غير أن القضية الأساسية وهى موضوع العلاقة بمسقط بقيت على أى حال دون أن يبت فيها وقد أوضح أعضاء مجلس الإدارة موقفهم من هذه المسألة فى التقارير التى بعثوا بها الى حاكم بومباى بتاريخ ١٦/٤/١٨٣٤ وعلى الأخص بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٨٣٤ وأعربوا عن موافقتهم على تصريح بنتنك الصادر أول فبراير ١٨٣٤ الذى جاء فيه : أن السلاح والأموال البريطانية لايجوز استخدامها للدفاع عن ممتلكات السيد سعيد ، كما وافقوا أيضا على رأى جور الذى سبق أن أعلنه عما يمكن أن يحدث من سوء تفاهم اذا قبلت هدية السيد سعيد وانتقلت ملكية السفينة المهداة الى الأسطول الملكى . وقد وافق مجلس الهند على ذلك القرار . وفى نهاية عام ١٨٣٤ أعلنت الاميرالية أنها لن تقبل الهدية . ومن هنا يبدو أن لعبة السيد سعيد قد فشلت . وعلى الرغم من ذلك فلم يكن السيد سعيد من الذين يستسلمون بسهولة ، ولما لم يصله رد قاطع على عرضه حتى شهر ابريل عام ١٨٣٥ قرر أن لا ينتظر وقام بارسال السفينة الى انجلترا مباشرة وقد سلمت الى عهدة الكابتن روبرت كوجان من الأسطول الهندى وكلف ببيعها اذا رفض الملك قبولها كهدية (١) وعند وصول كوجان الى انجلترا عام ١٨٣٦ كان مجلس الهند قد أجرى تعديلا على موقفه من السيد سعيد فعلى الرغم من أن الاعراض عن التورط فى مشاكل شبه الجزيرة العربية ظل قائما

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٨ من الحاكم الى مجلس الادارة - ١٨٣٥/٧/٢٩ . (رقم ٢٠ الادارة السياسية) والواقع أن السفينة كانت عبئا على السيد سعيد وكان سعيد يبحث فى الأصل عن فرقاطة غير أن المواصفات التى سلمت الى أحواض بناء السفن فى بومباى أثناء بناء السفينة ليفريول كانت خصوصا فيما يتعلق بعدد المدافع والتى كان من المفروض أن تضم ٧٤ مدفعا .

وان كانت هذه المشاكل قد خفت حدتها نتيجة ضعف النفوذ الوهابى بعد وفاة الامير تركى بن عبد الله فى عام ١٨٣٤ . الا ان الاهمية الاستراتيجية لمسقط قد تعاظمت فى التصور البريطانى ليس فقط من جراء القرار الحاسم بشأن اجراء مسح لنهر الفرات وطرق البحر الاحمر بهدف انشاء مواصلات بخارية مع الهند فحسب وانما ايضا كما سيأتى شرح ذلك فى فصل جديد من هذا الكتاب بسبب بدء مرحلة جديدة من النشاط المصرى فى المنطقة . ومن هنا فقد ترتب على ذلك استرضاء السيد سعيد وبذلك قبل الأسطول الملكى هديته وأسمائها «الإمام» كما أرسل الى السيد سعيد مقابلها يختا بخاريا . البرنس ريجنت « ردا على هديته (١) غير ان هذه الهدية لم تكن كل ما كان يطمح فيه السيد سعيد وان كانت بمثابة تشجيع مؤقت له من الحكومة البريطانية (٢) .

استغرقت زيارة السيد سعيد الثالثة لأفريقيا عاما ونصفا ابتداء من نوفمبر ١٨٣٣ حتى ربيع ١٨٣٥ وقد فشل فى هذه المرة أيضا فى استعادة ممباسا وأثناء غيابه أخذت عمان تتداعى من بين يديه ، وقد عين نجله السيد هلال وابن أخيه محمد بن سالم نائبين عنه وكان كلاهما فى اوائل العقد

(١) من التقارير السياسية لحكومة بومباى مجلد (٥) من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨٣٦/٦/٨ (رقم ٣ الادارة السياسية) .

(٢) ان السفينة برنس ريجنت التى اهديت للسيد سعيد فى بريطانيا قد تبين انها هى الأخرى قد أصبحت بمثابة عبء عليه مثل السفينة ليفربول حتى أنه فى عام ١٨٤٠ سمح له بأن يقدمها كهدية للحاكم العام .

الثالث من عمره ، كما كان كلاهما على حد رأى بلين غير صالح للحكم (١) وقد دب الضعف فى نظام حكم السيد سعيد حتى أصبح مقصورا على مجرد الاحتفاظ بالمدن الهامة على ساحل الباطنة عن طريق الولاة الذين كان يعينهم السيد سعيد ، وعن طريق الاعتماد على عدد من زعماء القبائل المواليين له ولاء تاما لكى يحافظوا على بقايا اسرة آل بوسعيد فى المنطقة الداخلية . وفى عام ١٨٣٤ تلقى هذا النظام المهتز ضربتين قويتين ، ففى بداية تلك السنة اغتيل والى الرستاق السيد سعود بن على وعلى أثر ذلك الحادث تحرك خصم السيد سعيد حمود بن عزان والى صحار واحتل الرستاق ، كما توفى فى نفس العام محمد بن ناصر شيخ بنى جابر وهو أقدم الزعماء المواليين للسيد سعيد وأخلصهم ، وبعد وفاته أصبحت مسقط معرضة لأى هجوم يقوم به حمود بن عزان على المدينة لأن تلك العاصمة كانت تعتمد فى الماضى على الأموال التى كان يجمعها الشيخ محمد بن ناصر للانفاق منها على وسائل الدفاع عن المدينة .

كما أصبح من المحتمل أيضا أن يستولى حمود على المقاطعات التى كان يدير شئونها المرحوم الشيخ محمد بن ناصر وهى مقاطعة الظاهرة ومنطقة تجمع مياه الرى شمال جبال الحجر ، كما كان هناك أيضا خطر آخر وهو أن ينتهز نائب الأمير الوهابى فى البريمى وفاة الشيخ الموالى للسلطان سعيد لمد حدوده الى منطقة سفوح الحجر .

(١) مجموعة المجلس مجلد ١٥١٦ رقم المجموعة ٥٩٨٥٩ مرفقات لخطابات حكومة بومباى السياسية حلقة ٣٩ فى ١٨٣٤/١٢/٢٤ من بلين الى نوريس ١٨٣٤/٧/٣ .

ولم يظهر أى دليل على أن نائب الأمير محمد بن عبد العزيز قد أصبح يعتبر الاتفاقية التى عقدت بين السيد سعيد والأمير تركى فى العام السابق وتنص على احترام كل من الطرفين لحدود الطرف الآخر كشيء يمنعه من التدخل فى شئون عمان بل على العكس من ذلك كان ينظر اليها حسبما أبلغ بلين فى رسالة بتاريخ ١٨٣٤/٤/١٠ بأنها وثيقة تؤكد امتداد الحكم الوهابى على عمان كله وقد أصبح تركى بن سعود صاحب النفوذ المطلق فى شبه الجزيرة العربية ، وقد اعترف له جميع المواطنين من البدو والحضر والقبائل الداخلية بالسيادة وكان فى الواقع هو الزعيم الفعلى للبلاد بما فى ذلك منطقة الحجر فى عمان ومنطقة الساحل من جعلان الى القطيف (١) كان هذا مضمون رسالة من محمد بن عبد العزيز الى بلين يحتج فيها على رفض احتجاج سابق من جانبه ضد الحملة التى أرسلها المقيم البريطانى لمعاوية قواسم راس الخيمة على اقتراحهم بعض أعمال القرصنة ، وجاء ايضا فى رسالة محمد بن عبد العزيز أن القواسم هم من رعايا الوهابيين وأن أى شكوى ينوى المقيم البريطانى تقديمها ضدهم يجب أن توجه الى الأمير تركى أو اليه شخصيا بوصفه ممثل الأمير الوهابى وقد تكون هناك بعض المبررات لادعاء الوهابيين السيادة على القواسم ولكن ادعاء ممثل الأمير الوهابى بهذا الشأن لم يكن صحيحا كما ذكر محمد بن عبد العزيز فى رسالته ، فقد جاء فى تقرير من الوكيل البريطانى فى الشارقة بتاريخ ابريل ١٨٣٤ أن سكان

(١) مختارات حكومة بومباى المجلد ٢٤ ص ٤٤٢ (نبذة تاريخية عن القبائل الوهابية العربية) ١٨٣٢ - ١٨٤٤ (تأليف ايه.ب.كمبل والإطلاع على النسخة الاصلية من هذه الرسالة انظر مجموعة المجلس مجلد ١٤٣٥ رقم ٥٦٧٢٦ من محمد بن عبد العزيز الى بلين بتاريخ ١ ذى الحجة ١٢٤٩ .

رأس الخيمة موالون للأمير عبد العزيز . الذى تقوم سياسته على بث الفتن والايقاع بين شيوخ المنطقة ومهما كان شيوخ هذه المنطقة فسوف يستحيل على حفنة من الجنود الوهابيين ان يفرضوا سيطرتهم على عمان كلها كما يفرضونها الآن ، أما فى السر فقد كان الشيخ سلطان شتيخ القواسم ينظر الى اجراءات محمد بن عبد العزيز بشيء من الاشمئزاز غير انه لم يكن يستطيع أن يجاهر بمعارضته خوفا من تمرد مواطنيه عليه (١) .

بعد شهر أصبح هجوم الوهابيين على عمان فى عام ١٨٣٤ غير وارد وذلك بسبب مصرع الامير تركى وما وقع بعد ذلك من فوضى واضطرابات فى نجد والاحساء ، وقد ذبح تركى فى الرياض فى بداية شهر مايو من جانب ابن عمه مشارى بن عبد الرحمن بن سعود الذى نصب نفسه اميرا على البلاد ، أما فيصل الأكبر انجال تركى فقد كان مشغولا فى ذلك الوقت بمحاولة فك الحصار الذى فرضه آل خليفة شيوخ البحرين على القطيف والعقير ، وكان آل خليفة قد نقضوا اتفاقية عام ١٨٣١ مع الامير تركى وأعلنوا الحرب عليه (٢) .

(١) ملفات المثلثة البريطانية فى الخليج المجلد ٣٧ من الملاحين الى

بلين ١٨٣٤/٤/١ .

(٢) يذكر فلبى (السعودية العربية ص ١٠٨) أن مصرع تركى كان نتيجة تحريض من اسماعيل بك القائد المصرى فى المدينة غير أن الراى السائد فى الخليج فى ذلك الوقت يرى أن المسئول عن اغتيال تركى هو عبد الله بن أحمد شتيخ آل خليفة . انظر: مجموعة المجلس مجلد ١٨١٦ رقم المجموعة ٥٩٨٥٩) من بلين الى كبير سكرتارية حكومة بومباى ١٨٣٤/٦/١١ ومختارات بومباى مجلد ٢٤ .

وقطع فيصل العمليات الحربية مع آل خليفة وتوجه الى الرياض بصحبة عمر بن عوفيسان حاكم الأحساء وفرقة من رجال القبائل . وقد تمكنوا فى أوائل شهر يونيو من الوصول الى العاصمة وذبح مشارى ثم نصب فيصل أميرا على البلاد الا انه كان لابد لفصل من اخضاع بقية المناطق وعلى الأخص الاحساء حيث كانت أسرة العيار تحاول استرداد نفوذها السابق مستغلة حالة الفوضى التى عمت المنطقة اثر اغتيال تركى (١) .

انتهت خدمة بلين كمقيم بريطانى فى صيف عام ١٨٣٤ وقد توقف فى مسقط وهو فى طريقه الى الهند ليرى ما اذا كان حمود بن عزان لايزال يحتل الرستاق او انه تخلى عنها لنائبى السيد سعيد وعندما ابلغه نائبا السيد سعيد بأن حمود ما زال يرفض تسليم المدينة قام بلين بتوجيه رسالة الى حمود يحذره فيها من محاولة القيام بأى اعتداءات جديدة والا فان الحكومة البريطانية سوف تعتبره طرفا معاديا لها وعند وصول بلين الى الهند تعلل بأنه اضطر الى ذلك الاجراء لعدم كفاءة المسئولين اللذين عينهم السيد سعيد للإشراف على الحكم فى مسقط وذكر بأن السيد سعيد كان لا يميل الى تسليم شئون الدولة الى الأكفاء من رجاله ربما خوفا منهم او ربما لأن الحكم كان يفتقر الى العناصر ذات الكفاءة ، وانطلاقا من هذا يمكن القول انه اذا كان السيد سعيد لا يحبذ ان يعهد بالسلطة الى الرجال الأكفاء فما كان ينبغى له ان يتغيب كثيرا ولفترات طويلة عن البلاد ، غير أن بلين لم يكن ميالا لتوجيه اللوم للسيد سعيد على هذا التصرف لسبب بسيط وهو أن السيد سعيد كان يحصل على الجزء الأكبر من دخله من مستعمرات فى افريقيا

(١) مجموعة المجلس مجلد ١٥١٦ رقم ٥٩٨٥٩ من هانيل الى نوريس

الشرقية بما في ذلك الاموال التي كان يدفعها كرشوة للوهابيين لابعادهم عن مسقط ، وبالتالي فقد كانت مصلحة السيد سعيد الفعلية تقضى بتدعيم تلك المستعمرات والحفاظ عليها ، واذا ما سلمنا بهذا الرأي عن السيد سعيد وكان الاحتفاظ بتحالفنا مع مسقط لا يزال مرغوبا فيه يصبح دعم السيد سعيد قضية بديهية ، ويضيف المقيم بأن سبب بقاء السيد سعيد لفترات طويلة في افريقيا الشرقية يعود في الواقع الى التشجيع الذي كان يتلقاه المتمردون ضد حكمه في ممباسا من ضابط الاسطول البريطاني هناك ورغم أن كلير كان يتفق في الرأي مع بلين وكان يتعاطف مع السيد سعيد الا أنه كان مضطرا الى الالتزام بالسياسة التي وضعها بنتنك في شهر فبراير السابق وصادق عليها مجلس ادارة الشركة في شهر ابريل ، وعلى هذا الأسس أصدر اوامره الى مساعد بلين الكابتن هانيل المقيم البريطاني بالوكالة بالالتزام بتلك السياسة ورفض أي طلب يأتيه سواء من السيد سعيد أو من المسؤولين في حكومته ويبدو أن ما اغفله بنتنك ثم أعضاء مجلس ادارة للشركة (حتى لو كانوا قد تنبهوا اليه ولكنهم رفضوا الاعتراف به) هو ان مطالبة بلين وكلير بتدعيم موقف السيد سعيد سواء من ناحية ثورة داخلية أو من اي اعتداء خارجي عليه لم يكن كافيا في حد ذاته وإنما لا بد وأن يرتبط بقضية تدعيم السلام في الخليج والناطق المجاورة واو قدر أن تعود الاضطرابات الى عمان نتيجة لأطماع ومؤامرات حمود بن عزان ، أو غيرة من الزعماء المحليين فإن حكم السيد سعيد سوف ينهار وسيعقبه تفتت عمان الى مشيخات ودويلات ، وينقض القواسم على منطقة الشيلية والموانئ الواقعة شمالا ، بخور فكان وخور كلبه ، ودبا، الأمر الذي سيفتح لهم موانئ ينطلقون منها لممارسة أعمال القرصنة في خليج عمان والمناطق الخلفية ، وقد يسمح وضع كهذا لعمود بن

عزان أو غيره من فروع أسرة آل بوسعيد بأن ينضبوا أنفسهم حكاما على بعض المناطق الداخلية من عمان والباطنة بل وعلى مسقط نفسها .

كان الخطر الأكبر الذى كان يهدد عمان هم الوهابيون فلو نجح فيصلى فى الاستيلاء على نجد والأحساء واستعاد نفوذ والده فانه لن يمر وقت طويل حتى يتجه الى الزحف على عمان ولو قدر للسيد سعيد أن يتدهور حكمه فان ذلك سوف يسهل عملية احتلالها بواسطة السياسيين البريطانيين العاملين وأو أصبحت سفن مسقط تحت رحمة الوهابين فان الخليج سوف يتعرض لوجود جديدة من الارهاب البحرى تعادل ان لم تكن تفوق الارهاب الذى شهدته المنطقة خلال العقدين الأول والثانى من القرن . ولم تظهر دلائل تشير الى ان الوهابيين قد غيروا من أسلوبهم وأن هناك تغيرا نسبيا فى نفوذ الأمير فيصل وقبله تركى ومن سبقوهم من حكام نجد ، وعلى حين كان أعضاء مجلس إدارة الشركة يميلون الى الاعتقاد بأن سيطرة الوهابيين على السواحل العربية للخليج لا تملية عليهم دوافع شريرة وأنه يمكن الاعتماد على حسن نية الأمير الوهابى فى منع القراصنة من العودة الى سابق أعمالهم فقد كان بلين والمسئولون البريطانيون فى بومباى يرون بأن الاعتدال الذى أظهره كل من تركى ونجله انما يعود الى انحسار قوة الوهابيين أكثر مما يعود الى تغيير فى طبيعة سياستهم ، ومن المؤكد ان سجل الوهابيين فى المناطق الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية حتى ذلك الوقت لم يكن يدعو الى التفاؤل ، فبدلا من ان يحاول هؤلاء التقريب بين زعماء القبائل كانوا يبحثون عن كل السبيل التى تؤدى الى الايقاع فيما بين تلك القبائل واستغلالها بهدف توطيد أقدامهم فى المنطقة ، وحتى لو كانت نوايا فيصل حسنة فانه لم يكن يملك الامكانيات اللازمة لتحقيقها ، كما أن نائبه فى البريمى لم يكن عاجزا عن تسوية الخلافات بين القواسم وبنى ياس فحسب ، بل كان عاجزا حتى عن تحصيل الزكاة من

تلك القبائل (١) فإذا صحت وجهة نظر بلين عن احتمال اتجاهات فيصل السياسية في المستقبل ، فإن الحكومة البريطانية سوف تجد نفسها مدفوعة الى التدخل للحيلولة دون اضطراب الأمن في الخليج مرة أخرى ، وكان رأى بلين يدعو الى سرعة القيام بمثل هذا التدخل حتى يكون له أثره في دعم حكومة السيد سعيد (الصديقة) من ناحية ومنع خصومه من استغلال وضع السلطنة لتقويض وحدتها من ناحية أخرى . لأن التأخير في اتخاذ ذلك الاجراء قد يضطر السلطات البريطانية الى الدخول في مواجهة مباشرة مع الوهابيين .

وفي النصف الأخير من عام ١٨٣٤ لم يكن التهديد المباشر لأمم الخليج ناتجا عن الاجتياح الوهابي لعمان وانما عن الحرب التي نشبت بين القواسم وبني ياس نحتي نهاية عام ١٨٣٣ كانت الاشتباكات بين القبيلتين مقصورة بوجه عام على النزاع على مصائد اللؤلؤ أو نتيجة للغارات التي كان يقوم بها المناصير حلفاء آل بوفلاح على المراعي ومزارع النخيل غير أنه في شهر سبتمبر من عام ١٨٣٢ خرج سلطان بن صقر على رأس قوة مقاتلة من القواسم يقدر عددها بنحو ٥٠٠ مقاتل و ٧٥٠ من قبيلة بوفلاسه سكان دبي لشسن هجوم بحري على أبو ظبي ، وعند نزول القوة الى الساحل وجدوا في انتظارهم قوات محتشدة من بني ياس والمناصير ، فعادوا الى سفنهم بعد أن قتل منهم نحو ٤٥ فردا خلال عمليات الانسحاب وأسر ٢٣ فردا من قبيلة آل بوفلاسه ، وأرغموا على العودة الى موطنهم وقد كاد أن يفوق الشيخ بسايد بن صقر أثناء عملية الانسحاب وقد تم الاستيلاء على ٦٦ سفينة من مجموع ١٠٢ سفينة كان يتألف منها أسطول الغزوة ، ورغم هزيمة سلطان فقد كان

(١) ملفات المثلثة البريطانية في الخليج مجلد ٣٧ من الملاحين (وكيل

المثلثة في الشارقة) الى المقيم البريطاني ١٨٣٤/١١/٢ .

مصمماً على أن يعيد الكرة فقام بجمع أسطول جديد بمساعدة عميله شيخ عجمان وقريبه شيخ لنجه. وابتحر الأسطول الى أبو ظبي في شهر نوفمبر ، وبهذا الأسطول حاول اقتحام المدينة بحرب خاطفة وعندما فشلت خطته قرر أن يحاصر أبو ظبي . ومن هذا العام وبسبب الحصار المفروض على البلدة من البحر والبر . كادت قبائل بنى ياس سكان أبو ظبي أن يهلكوا جوعاً ، ومع ذلك فقد نجحوا في الحصول على ثلاث سفن وأبحروا بها للاستيلاء على عجمان وسفن القواسم . أما في البر فقد نجح خليفة بن شخبوط في طرد حلفاء الشيخ سلطان الذين كانوا يحاصرون طرق تموينه من داخل واحة البريمي ، وبعد ذلك بوقت قصير بدأ بحارة السفن الذين كانوا يحاصرون أبو ظبي يعانون من المتاعب بقدر ما كان يعاني بنى ياس مما اضطر سلطان بن صقر في النهاية إلى الاعتراف بالفشل ، وقد عقدت هدنة بواسطة شيخ لنجة : تعهد القواسم بموجبها برفع الحصار كما تعهد بنو ياس بإعادة السفن التي استولوا عليها من القواسم (١) ودامت الهدنة حتى شهر يونيو عام ١٨٣٤ عندما نقضها المناصر بفشارتهم على منطقة تابعة للقواسم ، وقد رد القواسم على المناصر باغتصاب عشرة من سفن بنى ياس كانت متجمعة في مصايد اللؤلؤ وأخذوا بحارثها ومعهم محصول اللؤلؤ . وفي نهاية الصيف عقدت هدنة أخرى بإشراف الشيخ خليفة والد الشيخ شخبوط وقد تعهد زعيم بنى ياس بالاعتراف بسلطة آل بوفلاسه على دبي على أساس الأمر الواقع واصبحوا منذ ذلك اليوم تابعين

(١) مختارات بومباي ٢٤ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ (نبذة تاريخية عن القواسم

١٨٣٢ - ١٨٤٤ ص ٤٧٠ - ٤٧٣ و (نبذة تاريخية عن بنى ياس ١٨٣١ -

١٨٤٣) انظر أيضا دليل الخليج جزء / ١ ص ٦٩٠ - ٦٩٣ تأليف لورمار .

لسلطان بن صقر (١) وقد عزى خليفة بن شخبوط أن يضطر الى الخضوع وكاد ان ينفجر الموقف مرة أخرى من جانب بنى ياس .

وفى الشهور الأخيرة من عام ١٨٣٤ أخذ التوتري يسود الأوساط القبلية الى دول ساحل القراصنة فقد انخفض مستوى المعيشة لهذه القبائل الى حد الكفاف واصبح المواطنون على شفا اليأس نتيجة لحروب الاستنزاف التى كانت تدور بين زعماء القواسم وآل بوفلاح كما تلفت المزروعات والمحاصيل ودمرت المباني ونفقت المواشى بسبب الغارات المسلحة كما تأثرت الدورات الزراعية والرعية من جراء الحروب المتتابة التى فرضت على سكان هذه الأقطار . والادهى من كل ذلك أن المواطنين فى هذه المناطق لم يتمكنوا من الخروج الى صيد اللؤلؤ لثلاثة مواسم متتالية مما حرمهم من الحصول على المواد الغذائية الضرورية من الخارج . وكان رأى الاغلبية أن المخرج من تلك الأوضاع لا يكون الا بالاعتماد على السلب والنهب . وخلال الصيف وقعت بعض الأحداث التى ساعدت على أن يتحول الأمر من حرب مشروعة بين هذه القبائل الى قرصنة وفوضى قال بوفلاسة سكان دى الذين كانوا ناقلين من نتيجة الحرب مع ابوظبى لم تتح لهم الفرصة للانتقام من خصومهم آل بوفلاح، فقرروا العودة الى أعمال القرصنة ، فخرجوا بأعداد كبيرة للاعتداء على سفن مسقط والبحرين ونابند على الساحل الفارسى وقاموا بسلب ونهب تلك السفن كما اغاروا على بركا الواقعة على ساحل الباطنة وقد انضم اليهم بعض افراد قبيلة السودان التى انفصلت عن عجمان وانضمت الى ابوظبى فاعتمدوا على سفينة تابعة لمطرح (فى عمان) وأخذوا كل حمولتها ويقدر ثمنها

(١) مختارات بومباى ٢٤ ص ٤٧٣ « نبذة تاريخية عن بنى ياس »

بـ : ١٠٠ ريال بمساوى . وقد رافق معظم هذه الاعتداءات أعمال ارهابية وقتل وعنف . وقد قدم المقيم البريطانى طلبا الى حاكم دبنى وأبو ظبى لدفع فدية القتلى . وقد ترتب على ذلك توجيه انذار الى حاكم دبنى بفرض حصار على بلاده ما لم يوافق على توقيع العقوبات على المتهمين ودفع تعويضات لأصحاب السفينة ورغم ذلك فان بعض أوئلك القراصنة قد افلتوا من العقاب بعد أن تمكنوا من الهرب الى البريمى (١) وهكذا كلما طال امد الاشتباكات بين بنى ياس والقواسم أو تكرر وقوع مثل هذه الاعتداءات فى منطقة الخليج الأمر الذى سبب زعزعة فى موقف أعضاء ادارة شركة الهند الشرقية بسبب رفضهم المستمر القيام بدور البوليس فى المنازعات القبلية بين دول الخليج ، ولما كانت القرصنة هى السبب فى الحروب البحرية بين القبائل الساحلية فلا يكون فى الامكان القضاء على أعمال القرصنة ما لم يتم القضاء أولا على هذه الحروب ، ومع ان أعضاء مجلس ادارة الشركة كانوا يقرون هذا المنطق ، الا أنهم كانوا يرفضون مبدأ العمل به وكان تصورهم يقوم على أساس ان الحكومة البريطانية ليست بالضرورة طرفا فى تلك المنازعات ، الا اذا أدت تلك المنازعات والحروب الى عودة القرصنة الى الخليج (٢) ولكى تحقق الحكومة البريطانية الهدف من هذا فينبغى عليها أن تدلل على أن تلك الاشتباكات هى عمليات قرصنة، الأمر

- (١) سجل المراسلات السياسية لبومباى مجلد ١٨ من الحاكم الى مجلس ادارة الشركة ١٨٣٥/١٢/٧ . (رقم ٥٧ . الادارة السياسية) مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ٤٩٨ - ٤٩٩ . نبذة تاريخية عن قبيلة ابوفلاسه العربية (دبنى) . من ١٨٣٤ الى ١٨٤١ ودليل الخليج تأليف لوريمار ص ٦٨٣ - ٦٨٤ .
- (٢) من التقارير السياسية لبومباى مجلد ٤ من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨٣٤/٨/٢٠ (رقم ١٠ الادارة السياسية) .

الذى سوف يتفق مع الدور الذى يريده لها اعضاء مجلس الادارة كما كان عليها
أن تتحمل النتائج المترتبة على ذلك الدور . وفي هذا الصدد كتب مونستورث
الفنستون فى عام ١٨٢٥ يقول :

« اذا لم نسمح لآى فرد بأن يسترد ما يعتبره حقا من حقوقه فانه يتعين
علينا ان نقوم بالتحقيق فى كل الادعاءات التى تنشأ وأن نعمل على تسويتها اذا
ثبت صحتها » - . وبعبارة اخرى فان على الحكومة البريطانية أن تقوم بدور
(المحكم) وهو الدور الذى كان يعترض اعضاء مجلس الادارة عليه ، فرد على
ذلك ما جاء فى تقرير الفنستون ، أنه اذا تعين فرض حظر كامل على الحروب
البحرية فان الحكومة البريطانية ستكون ملزمة بالدفاع عن مشايخ المنطقة ضد
أى هجوم تشنه عليها دولة اخرى لا تشملها المعاهدة ، ووفقا لهذا المنطق فقد
كان لابد من نرض نوع من القيود خلال الفترة الواقعة فى منتصف الثلاثينات
من القرن التاسع عشر على الحروب البحرية التى كانت تنشب من وقت الى
آخر بين شيوخ المنطقة والتى كانت سببا فى الاوضاع المعيشية المتردية فى
المنطقة . اما عن دور بنى ياس فى الموضوع فسوف نتطرق اليه فى فصل
آخر من الكتاب ، أما الآن فنختتم قصة الأحداث فى الخليج خلال الفترة الواقعة
بين عام ١٨٢٣ ، وعام ١٨٣٤ باعطاء بيانات عن الاوضاع التجارية للمنطقة فى
تلك الفترة والتعبيرات التى طرأت على الادارة فى الممثلة البريطانية فى الخليج
خلال تلك السنوات .

ان السمة البارزة للحالة التجارية فى الخليج بين سنة ١٨٢٠ وسنة
١٨٣٥ هى أن الحالة التجارية واصلت تدهورها تدريجيا بعد الصعود الذى
حققته خلال ذروة نشاط القرصنة قبل حملة البيروليم كير بعامين فقد كان
مجموع قيمة النشاط التجارى لمحافظة بومباى ومؤسسات فورت وليم
وفورت سنان جورج مع بلدان الخليج الفارسى والبحر الأحمر فى حدود
١٠٧٧٢٠٢٤٩ روية (أو ما يعادل ٢٣٠٠٠٠٠ ج س) فيها ١٠٧٧٢٠٢٤٩

روبية للصادرات و ١٢ر٤٥٣ر٦٨١ روبية للواردات (١) وبعد عامين على الحملة انخفض الرقم الى ١٧ر٢٩٥ر٣٤٤ روبية أي (١٧٠٠٠٠٠٠ ج س) أو ما نسبته ٢٥ ٪ وكانت نسبة الانخفاض أكثر من الواردات من الخليج الى الهند التي انخفضت من ١٢ر٤٠٠٠٠٠ الى نحو ٧ر١٠٠٠٠٠٠ ويعود هذا الانخفاض بلاشك الى انتشار وباء الكوليرا الذي اجتاح الخليج عام ١٨٢٠ - ١٨٢١ .

وليس هناك أدنى شك في أن التدهور في تجارة الخليج الذي استمر خلال السنوات التالية يمكن رد أسبابه الى الدمار الذي أحدثه الوباء في المنطقة . وكان مجموع قيمة الواردات الى الهند من الخليج في عام ١٨٢٤ - ١٨٢٥ بنحو ٤٠٠٠٠٠٠٠ ر. و ٤٠٠٠٠٠٠٠ ر. سنة ١٨٢٦/١٨٢٥ و ٤٠٠٠٠٠٠٠ ر. سنة ١٨٢٦/١٨٢٥ و ٣٠٠٠٠٠٠٠ ر. سنة ١٨٢٧/١٨٢٦ كما هبطت أرقام الصادرات من الهند الى الخليج عن نفس المدة من ١٠٠٠٠٠٠٠٠ ر. روبية في ١٨٢١ - ١٨٢٢ الى ٧ر٦٠٠٠٠٠٠٠ روبية عام ١٨٢٢ - ١٨٢٤ ثم الى ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية عام ١٨٢٥ وعام ١٨٢٦ الى نحو ٧ر٨٠٠٠٠٠٠٠ روبية، ثم عاد فانخفض خلال العامين التاليين عندما اشتبكت فارس في حرب ضد روسيا الى ٦ر٤٠٠٠٠٠٠٠ روبية عام ١٨٢٦ - ١٨٢٧ و ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ روبية في عام

(١) تقارير اللجنة (١٨٢١) مجلد ٦ ورقة رقم ٧٤٦ التقرير الثالث للجنة المنتخبة عن التجارة الخارجية ملحق ١ ج (أ) .

(٢) بيانات ووثائق ١٨٣١ - ١٨٣٢ مجلد ١٠ ورقة ٧٣٥ ملحق ١٤ غير أن الأرقام الصحيحة هي ٦٠٤٩٩٠٠٠٠ ر. روبية و ٣٧٧٠٢٨٩ ر. روبية و ٤٩٨٠٧٥ ر. روبية و ٤٠٨٦٠٧٦٥ ر. روبية و ٣٥٠٠٦٧٠ ر. روبية .

١٨٢٧ - ١٨٢٨ وهكذا كان المجموع الكلى لقيمة تجارة الخليج مع الهند غن تلك الفترة هو ١١٣٩٧٢٥٤ روبية أو ثلثى أرقام ١٨٢١ - ١٨٢٢ وأقل من نصف أرقام ١٨١٧ - ١٨١٨ .

وان الأرقام المتوفرة لدينا عن تجارة الخليج خلال الثلاثينات من القرن التاسع عشر قليلة وغير مؤكدة ، ويبدو على أى حال انه لم يطرأ أى تحسن ملموس على الوضع التجارى فى تلك الفترة . وقد قدر السيرجون مالكولم قيمة تجارة الهند مع البصرة وبوشهر فى عام ١٨٣٠ بثمانية عشر مليون روبية ، وكان هذا رقما مبالغاً فيه (١) . وكان مجموع تجارة الخليج مع الهند عن عام ١٨٣١ - ١٨٣٢ حسب تقدير الكولونيل اف . ار . تشيزنى قائد بعثة الفرات هى ١١٤٢٣٣٥١ روبية منها ٤٦٠.٠٢٨ عن الواردات و ٦٨٢٣٣٠٣٠ روبية عن الصادرات (٢) وفى ذلك العام اجتاحت مرض الطاعون

(١) فى ذلك الوقت كان مالكولم يحاول البحث عن وسيلة للاستيلاء على جزيرة خرك لانشاء قاعدة بريطانية فيها وقد وردت تقديراته هذه فى بيان أعده بتاريخ ٢١/١٠/١٨٣٠ عن الأسطول الهندى وقد أشير اليه فى الخطاب الموجه من اللفتنان هنل الى السكرتير الأول لحكومة الهند بوشهر ١٩/٥/١٨٣١ كما أشير اليه فى المحادثات السياسية لبومباى الحلقة ٣٨٧ مجلد ١٣ رقم السلسل ٣١ المؤرخ ٢٧/٧/٣١ وقد تعذر الحصول على النسخة الأصلية للبيان فى كل من المحادثات السرية والسياسية لحكومة بومباى او فى مرفقات المراسلات السرية الصادرة من بومباى او فى مجموعة المجلس . أما فيما يتعلق بالمحادثات الخاصة بالأسطول فقد اتلف الجزء الأكبر منها ، ولم يعثر على البيان فى الملفات المتفرقة للبحرية .

(٢) تشكلت هذه البعثة للقيام بعمليات مع نهري دجلة والفرات مجلد ٢ طبعة لندن ١٨٥٠ مجلد ٢ ص ٥٩٩ أما بالنسبة لبعثة الفرات يراجع الفصل السابع من هذا الكتاب .

سواحل الخليج وامتد الى المنطقة الجنوبية من فارس وتركيا والعراق بوجه خاص وفي شهر يونية ١٨٣٤ رفع المقيم البريطانى فى الخليج تقريرا الى حكومته أشار فيه الى ما اصاب تجارة بوشهر من اضرار بالغة وبالتالي فقد انخفضت ارقام التجارة عن عام ١٨٣٢ - ١٨٣٣ بنحو ٥٠٪ عن ارقام ١٨٢٩ - ١٨٣٠ كما انخفضت الواردات من ٨٣٧٤٢٩٨ روبية الى ٤٢٥١٥٢٤ روبية والصادرات من ٣٣٢١٣٧٧ روبية الى ٢٢٧٠٥٤٤ (١) ومعنى ذلك انه لم يطرا تحسن على تجارة الخليج بوجه عام فى غضون الاعوام الخمس التالية ، وربما يكون سبب ذلك هو التدهور الذى سببه مرض الطاعون والاضطرابات الداخلية فى فارس فى اعقاب وفاة فتح على شاه وظهور الراهبين على المسرح على الجانب الغربى من الخليج وأخيرا الحروب التى ظلت مشتتة بين بنى ياس والقواسم والتى اضررت بصناعة اللؤلؤ (٢) وهذه الارقام تنطبق على تجارة الخليج مع الهند

(١). ملخص من مواصلات وتجارة الخليج عن الفترة ١٨٠١ - ١٩٠٥ ومع ذلك فالواردات من الخليج الى مؤسسة فورت وليم عن نفس العام كانت ١٥٦١٠٨٨ والواردات ٧٢٠ ر ٧٣٥ ر ٢ روبية وهذا يعنى لو كانت ارقام تشيزن عن ١٨٣١ - ١٨٣٢ صحيحة - أى ٩٥٦٧٣٣ روبية فى الواردات من الخليج الى المؤسسة المذكورة ١٨١٦٨٥٥ ر عن الصادرات فمعنى ذلك انه لم تكن هناك زيادة فى تجارة الهند مع الخليج بوجه عام خلال ١٨٣٢ - ١٨٣٣ .

(٢) الأرقام التى يحددها شزن (تقرير البعثة فصل ٢ هي ٤٧٢٤٠٢ روبية عن الواردات و ٢٧٦٨٢٣ ر ٥ روبية عن الصادرات وهى تشمل تجارة البنغال وبومباى مع منطقة الخليج عن عام ١٨٣٦-١٨١٧ وهو لم يدخل مدراس فى هذه التقديرات ولكن اذا كانت تجارة مدراس مع

وان كانت تشكل فى الواقع القسم الاكبر من تجارة الخليج ، اما ما هى قيمة تجارة الخليج عن كل عام فذلك يستحيل تحديده وهناك رحالة معاصر يبدو انه اشار ببعض التخمينات حول هذا الموضوع ولكننا لا نستطيع التأكد من الرقم الذى حدده وهو ٣٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك او مليون جنيه استرلينى تقريبا .

والنتيجة من كل ذلك انه لا يمكننا أن نحدد بشكل مباشر من المعلومات والأرقام المتوفرة لنا عن تجارة الخليج والأثر الذى أحدثته الحملات البريطانية على القرصنة فيما بين عام ١٨٢٨ - ١٨٣٥ ومن المعروف عموما ان القرصنة كان لها انعكاس سيء على التجارة رغم أن الوضع لم يكن بذلك السوء قبل ١٨٢٠ كما لا يمكن تأييد الراى القائل بأن انخفاض نشاط القراصنة قد اهبطه تحسن فى الأحوال التجارية وبأن هذا ينطبق على المرحلة التى جاءت بعد عام ١٨٢٠ ، ويمكن القول بأن الهدف من العلاقة التى كانت تربط بين التجارة والقرصنة على غرار ما كان قائما بين القواسم وآل خليفة قبل حلول عام ١٨٢٠ هو استثناء الخليج من القوانين التجارية السائدة وهناك تفسير آخر لهذا الموضوع وهو أن القرصنة التى كانت تؤثر على سير التجارة فى الخليج خلال تلك المرحلة لم تكن هى السبب المباشر فى تدهور التجارة كما يعتقد الاوربيون وانما سببها هو تصاعد الاعمال الحربية فى مياه الخليج .

=الخليج قد مرت بأى تغيرات كما حدث لتجارة البنغال وبومباى فيما بين ١٨٣١ - ١٨٣٢ ، ١٨٣٦ - ١٨٣٧ (٢٠٥٨٨ر٧٥٠ و ٢٠٣٩٥ر٦٩٩ عن البنغال و ٣١٨ر١٩٨ و ٠٨٨ ر ٧٠٤٩ عن بومباى) وظلت محتفظة برقمها وقدره ٦٠.٠٠٠ روبيه ، فان المجموع الكلى لقيمة تجارة البنغال وبومباى ومدراس من الخليج عن العام التالى ربما لم تزيد عن ٣٠.٠٠٠ ر ١٠ روبيه .

فى هذه الفترة كان وضع الممثلة البريطانية فى الخليج موضع مناقشة بين حكومتى الهند وانجلترا، وليس فيما يختص بالشئون الادارية فحسب وانما بالنسبة الى انشاء قاعدة فى الخليج أيضا ، وهو الموضوع الذى كان يشغل اسياسة البريطانيين فى تلك الفترة ، فبعد الجلاء عن القاعدة العسكرية فى جزيرة قشم فى يناير ١٨٢٣، لم تبرز هذه المسألة للبحث خلال حكم الفنستون لبومباى وبالتالى لم يكن من المتوقع اطلاقا ان يعمد خليفة مالكولم الذى ظل ينادى لعشرين عاما برأيه حول الاهمية الاستراتيجية والتجارية للخليج واهمية وجود قاعدة للبريطانيين فيه ، الى اغفال هذا الموضوع فترة أطول .

وعندما تسلم مالكولم منصبه كحاكم على بومباى كان النقاش يدور بشكل واسع حول موضوع الملاحة البخارية بين انجلترا والهند عن طريق البحر الاحمر والخليج الفارسى ، وبعد وصوله الى بومباى مباشرة بدأ مالكولم فى دراسة انشاء قاعدة فى الخليج الى جانب نقل الممثلة البريطانية من بوشهر الفارسية الى الخليج . وفى اواخر عام ١٨٢٧ (١) استدعى مالكولم الميجور ويلسون المقيم البريطانى فى الخليج الى بومباى لبحث الموضوع معه ، وفى بداية العام اخطر الكولونيل ستانوس المستر مالكولم الذى خلف ويلسون فى منصب المقيم ، انه بالنظر الى نشوب اضطرابات سياسية فى فارس بين حين وآخر فسيكون من الافضل ان لو استأذنت حكومة فارس فى نقل الممثلة البريطانية الى ضواحي البلدة . وقد ذكر ستانوس بأن امير فارس كان

(١) المحادثات السياسية لبومباى حلقة ٣٨٦ مجلد ٢٢ رقم ١٨ فى ١٨٢٧/٥/٢ من ستانوس الى السكرتير الاول لحكومة بومباى من بوشهر ١٨٢٧/٣/٢٦ ومن نيوهام الى المقيم من بومباى ١٨٢٧/١/٢٨ .

يمارس سلطة غير كاملة على بوشهر ، وأنه في حالة استياء الأهالي من المقيم يتعذر على الأمير الحاكم توفير الحماية اللازمة له كما اضاف بأن مبنى المثلثة يقوم على حراسته مجموعة صغيرة من الحراس الهنود ، وليس بها مورد خاص للماء ، ولهذا فقد كان يشك أن تستطيع المثلثة ان تقاوم اى هجوم عليها لأكثر من ٤٨ ساعة . وعلى الرغم من أن الفنستون اقر رأى ستاتوس الا أنه لم يكن يرغب بالنظر الى الحرب الروسية الفارسية والإضطرابات السياسية فى الاقاليم الجنوبية فى أن يضيف متاعب أخرى الى الوضع غير المستقر فى المنطقة ، بنقل المثلثة من بوشهر ، غير أن مالكولم لم يقر الفنستون على ذلك الرأى ، وعندما استدعى ويلسون الى بومباى فى شهر ديسمبر ١٨٢٧ طلب منه أن يقترح عددا من المناطق على الساحل الفارسى تصلح كموقع للمثلثة، وبين فبراير ومايو ١٨٢٨ قام ويلسون بمعاينة باسيديو وكنج (الموقع السابق للمركز الهولندى) ولتجه وأسألو . وقال فى تقريره ، انه لا يوجد بين هذه اللواقع التى زارها موقع يصلح للمثلثة كجزيرة خرك التى تقع بمواجهة بوشهر وذلك لما تنفرد به من المزايا السياسية الى جانب صلاحيتها كمنطقة لتجميع وتوزيع السلع والمنتجات . وقد ارتاح مالكولم من هذا القرار لانه هو نفسه قد سبق أن اختار تلك الجزيرة قبل عشرين عاما ولنفس الأسباب وفضلها على باسيديو الواقعة فى جزيرة قشم حيث كانت ترابط الوحدة العسكرية فى الخليج ، اما باسيديو فقد كانت فى نظره غير صالحة كمركز تجارى لأن تجارة الخليج تتركز فى المنطقة الشمالية ولهذا السبب كانت جزيرة خرك موقعا نموذجيا للقاعدة وان احتلالها فى رأيه لن يسهل بنقل المثلثة من بوشهر فحسب وانما قد يسهل أيضا دمج ممثليتى البصرة وبوشهر فى ممثلية واحدة، هذا رغم ان مالكولم لم يكن يرغب فى اغلاق ممثلية البصرة حتى ذلك الوقت ، نظرا للحرب القائمة بين روسيا وتركيا

والمكاسب التي حققتها روسيا في أذربيجان . والنتيجة أن مالكولم لم يفعل شيئاً في هذا الصدد ، ربما لأنه كان لا يزال واقعا تحت تأثير الموقف العدائي لفتح شاه ضد وجود قاعدة بريطانية من قبل ، كما أنه من المحتمل أن يكون مالكولم واقعا تحت تأثير فشل الحكومة البريطانية في الوقوف الى جانب الشاه في خلافاته مع الروس في سنة ١٨٢٦ ، مما لم يشجع الشاه على اتخاذ موقف مؤيد لاقامة القاعدة في خرك .

ولم يعد مالكولم الى بحث هذا الموضوع مرة أخرى قبل شهر نوفمبر من عام ١٨٣٠ فقد بحث موضوع ارتفاع نفقات الاحتفاظ بالمثلثتين . فقد بلغت نفقات المثلثية في بوشهر عن العام المنتهى في ٣٠ ابريل سنة ١٨٣٠ - ٧٨٥٢٤ روبية ، بينما بلغت نفقات مثلثية البصرة عن العام المنتهى في ٣١ يناير ١٨٢٩ مبلغ ٥٤٢٠٢ روبية ، وقد بلغ مجموع نفقات كلتا المثلثتين عن عام ١٨٢٩ بما فيها المصروفات الاضافية للحرس بلغ ١٣٨٥٩٠ روبية

(١) المجموعات مجلد ٤١ رقم ٣٧ مؤرخ ١٨٢٨/٩/٢٤ محضر مالكولم بومباي ١٥ ، ١٦ سبتمبر ١٨٢٨ ، رغم اني مازلت اتصور احتمال اجراء تخفيض في نفقات وكالتنا في فارس وتركيا وذلك فيما يختص بحجم الاعمال فاني لا اعتقد أن ذلك ممكن في الوقت الحاضر ما دامت الحرب قائمة كما يقال بين روسيا والباب العالي والقوات الروسية تحتل أذربيجان أننا نستطيع استدعاء الميجور تايلور من البصرة دون أن يترك هذا الاجراء انطباعا ليست في مصلحتنا في ذلك الجزء من آسيا . وعلى الرغم من ان المثلثية البريطانية في تركيا العربية كان مقرها من الناحية الرسمية في البصرة الا ان المقيم الكابتن تايلور يقضى معظم اوقاته في بغداد ، الامر الذي يتيح له بأن يكون على اتصال اقرب لحكومة الباشا .

- ٤٣١ -

او ١٤٠٠٠ رطلين . وحسب تقرير المستر شارلس نوريس ، السكرتير
الاول للحكومة كان الانفاق الشهري لمثلية بوشهر بـ ١٨٨٥ روية ولمثلية
البصرة ٣٧٩٧ روية . وكان مجموع النفقات الشهرية للمثليتين هو ٨٩٨٥
روبية . وبالمقارنة الى نفقات مثلية واحدة فى خرك مكونة من مقيم ومساعد
مقيم وطبيب وحارس فانها لم تكن تزيد على ٤٠٠٠ روية كل شهر . وبذلك
يكون المبلغ الذى يمكن توفيره من اندماج المثليتين هو ٤٩٨٥ روية كل شهر
او ٥٩٨٢٠ روية سنويا .

وعلى ضوء هذه الدراسة كلف صمويل هانيل الذى كان مقيما بالوكالة
فى الخليج فى ذلك الوقت بمعاينة منطقة خرك . وقد قضى هانيل عدة ايام
فى الجزيرة فى اوائل شهر مايو ، وقد عاد فقدم تقريرا يفيد بصلاحيه الموقع
وعلى اساس تقرير سابق اعده ويلسون تبين ان اقامة حامية مكونة من ١٧٨
جنديا اوربيا و ٦١٠ جنديا هنديا تكفى لتوفير الحماية للقاعدة ، ولن تتعدى
نفقات انشاء معسكرات لهم ٣٨٣٠٠ روية كما ان قلعة الجزيرة وتحصيناتها
لا تتعدى ٧٠٠٠٠ روية . اما نفقات الاحتفاظ بالحامية فى تقديرات
هانيل فسوف تتطلب ٢٠٨٠٠٠ روية كل عام، غير انه كان واثقا من ان تحويل
الجزيرة الى مركز تجارى سوف يضمن تحصيل نصف هذا المبلغ من الرسوم
الجزكية التى فى تقديره ستصل من ٩٠٠٠٠ الى ١٣٥٠٠٠ روية
فى السنة .

وكان مالكولم قد غادر الهند عند وصول تقرير هانيل حول هذا الموضوع،
ولم يتخذ بشأنه اى قرار لمدة عام واحد . غير ان ظهور الطاعون فى سنة ١٨٣٢
وانتشار هذا الوباء على طول الساحل الفارسى ادى فى ذلك العام الى نقل
المثلية الى جزيرة اصغر الى الشمال من جزيرة خرك تسمى خاركو، وفى شهر

يوليو اقترح كلير حاكم بومباي الجديد على الحاكم العام التحرك لانحنال
 بالحكومة الفارسية لكي تتنازل عن جزيرة خرك أو خاركو (١) وكان رد الحاكم
 العام هو أن البنت في هذا الموضوع من اختصاص السلطات في إنجلترا، وبناء
 عليه فقد بعث كلير في أكتوبر ١٨٣٢ بمذكرة الى اللجنة السرية ، ضمنها
 التعليقات والمناقشات التي كانت تدور منذ سنة ١٨٢٨ حول الحصول على
 جزيرة خرك ودمج ممثليتي البصرة وبوشهر في ممثلية واحدة ، وقد شدد
 بصفة خاصة على امكانيات خرك كمركز تجرى واستعان بتقرير هانيل بتاريخ
 مايو ١٨٣١ لتوضيح المسألة بالتفصيل (٢) .

ومن المسائل التي ظلت تشغل بال حكومة بومباي قبل سنة ١٨٢٢
 واستمرت تشغلها لفترة تالية من الوقت ، هو ما يتعلق بالنظام الادارى لممثلة
 الخليج. موضوع اختيار المقيمين البريطانيين ومساعديهم . فقد كانت
 التعليمات التي تلقتها الهند من الحكومة البريطانية سنة ١٨٢٥ تطالب حكومة
 الهند باجراء تخفيض في عدد العسكريين العاملين في الوظائف المدنية ،
 وقصر الوظائف الجديدة على الموظفين المدنيين ، وفي أكتوبر سنة ١٨٢٦ ابلغ
 كولونيل ستانوس الفنستون انه كان ينوى العودة الى إنجلترا على الطراد
 "تولو" ، وأنه سوف يقدم استقالته من منصبه بعد ذلك بقليل . وقد قبل
 الفنستون الاستقالة مع ابداء أسفه عليها ، وعين خلفا له الكابتن دافيد

-
- (١) المحادثات السياسية لحكومة بومباي حلقة ٣٨٧ مجلد ٢٧ رقم ٢٥
 في ١٨٣٢/٦/٢٧ من نورييس الى سكرتير الحاكم العام بومباي ١٨٣٢/٦/٢١ .
 (٢) سجل الرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ٦ (١) من الحاكم
 الى اللجنة السرية ١٨٣٢/١٠/١٧ (رقم ٣ الادارة السرية) .

ويلسون من الفرقة السابعة لمشاة بومباي (١) غير أن اختيار ويلسون لقي معارضة من احد اعضاء المجلس وهو ريتشارد جودون بحجة أنه كان يتعارض مع التعليمات التي أصدرها أعضاء مجلس الادارة فى العام السابق وأشار جودون الى أنه قد سبق ان خولفت هذه التعليمات فى شهر فبراير عندما تم تعيين الكابتن هانيل من الفرقة الثانية عشرة مشاة بومباي فى منصب مساعد المقيم الجديد وهى الوظيفة التى انشئت حديثا ، وكان رأى الفنستون انه فى الوقت الذى تشمل تعليمات مجلس الادارة بخصوص تعيين العسكريين نصف جملة المناصب السياسية فى حكومته ، الا ان المثلثة تعتبر التعيين فيها قضية خاصة بمعنى أن الوظيفة ذات طابع عسكري فى الأساس ، باعتبار أن وظيفة المقيم هى مراقبة النشاطات العدوانية التى تجرى بين القبائل البحرية للخليج واتخاذ الاجراءات التأديبية ضدها اذا كانت تهدد الأمن فى الخليج . وبالإضافة الى ذلك فانه لا يوجد أى موظف له فى الخدمة أكثر من سبع سنوات لشغل الوظيفة التى شغرت باستقالة ستانوس ، بينما الكابتن ويلسون يعتبر من الأشخاص المطلعين على شئون الخليج حيث ان شغل منصب السكرتير العسكرى للسير ولیم كير خلال حملة ١٨٢٨ ، كما ان ستانوس نفسه ، شحه لهذا المنصب ، وقد أيد فرانسز واردين السكرتير الاول السابق لحكومة بومباي وأحد اعضاء المجلس أيد جودون فى هذه المسألة بحجة ان النقص الشديد فى ضباط جيش بومباي لا يسمح بالاستغناء عنهم لشغل مناصب سياسية ، غير أن الفنستون رفض هذا النقد وكان

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباي حلقة ٣٨٦ مجلد ١٧ رقم الوحدة ٣ فى ١٧/١/١٨٢٧ من ستانوس الى نيوهام ٢٠/١٠/١٨٢٦ ومحضر الفنستون ٢٢/١١/١٨٢٦ .

أحد عشر ضابطاً فقط من جهاز حكومة بومباي يشغلون الوظائف المدنية وأن ثلاثة من هؤلاء فقط عينوا أثناء حكم الفنستون وقد ظل هذا الموضوع رهن النقاش طول شهر ديسمبر ١٨٢٦ ، ولكنه لم يمنع حاكم بومباي من تعيين ويلسون كمقيم في الخليج في يناير ١٨٢٧ .

وقد أعيد بحث هذا الموضوع بعد أربع سنوات عندما قدم ويلسون استقالته لأسباب صحية ولما كان مالكولم يرى أن الأوضاع في فارس تتطلب أن يكون المقيم المعين ذا خبرة بشئون المنطقة فقد اختار الدكتور جون مكنيل طبيب البعثة البريطانية في طهران لشغل المنصب ، وقد ثبت كبير هذا التعيين عند وصوله إلى بومباي في شهر مارس ١٨٣١ ثم صادق الحاكم العام عليه فيما بعد ، لكن عضوين من المجلس وهما جون رومر وجيمس سزرلاند اعترضوا على اختيار طبيب لشغل منصب عسكري في الوقت الذي يحرم فيه الموظفون المدنيون من هذه المناصب ، وذكر أنه بالنظر إلى كثرة الموظفين المدنيين الشبان في بومباي لم يتح لأى منهم شغل أى منصب في الممثلة البريطانية في الخليج (١) وكان لهذا الاعتراض أثره فقد قرر كبير إحالة موضوع تعيين مكنيل إلى أعضاء مجلس الإدارة في أغسطس سنة ١٨٣١ ولكن سبق وصول رسالته إلى أعضاء مجلس الإدارة أن تلقى خذلاً من أعضاء مجلس الإدارة يأمرونه فيه بدراسة موضوع تعيينات الضباط العسكريين في الوظائف المدنية واستعادة الأشخاص الذين لم يعد هناك سبب لاستمرارهم في وظائفهم في تلك التعيينات ، وفور تلقيه رسالة أعضاء مجلس الشركة ودون انتظار رد منهم على رسالته الغى كبير تعيين

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ١٥ من الحاكم إلى مجلس الإدارة ١٨٣١/٨/٢٣ رقم ٢٢ الإدارة السياسية .

مكنيل واختار. بدلا منه دى . ايه . بلين وكان قبل ذلك يشغل منصب المعتمد السياسى فى كاثياوار ، ولكنه لم يوافق على استبدال اللفتنانت هانيل المعين مساعدا مقيما بالنظر الى خبرة هانيل بالخليج ومعرفته بأهل البلاد وبعاداتهم وعلى العكس فالبرغم من المحاولات التى كانت قائمة يومئذ لضغط مصروفات المثلية فى بوشهر قرر كليز رفع مرتب هانيل الى درجة تتناسب مع مركزه ومؤهلاته (١) وكان بلين هو اول وآخر الموظفين المدنيين الذين عينوا فى المثلية البريطانية فى الخليج وعندما اضطر لاسباب صحية الى تقديم استقالته فى ديسمبر ١٨٣٤ عادت حكومة بومباى الى اسلوب تعيين ضباط عسكريين لمنصب المقيم فاخترت جيمس موريسون من الفرقة الثانية لخيالة مدراس وبقيت متمسكة بهذا الاسلوب طوال بقية القرن (٢) .

فى فبراير سنة ١٨٣٤. أصدر مجلس الادارة قراره بشأن دمج ممثليتى البصرة وبوشهر وفى موضوع الاستيلاء على خرك كموقع لمثلية مشتركة ولم ينتبه أعضاء مجلس الادارة الى أن المكاسب التى سوف تنتج

(١) من الحاكم الى مجلس الادارة ١٨٣١/١٢/٣٠ (رقم ٤١. الادارة السياسية) ويبدو أن كليز قد غير موقفه تجاه المثلية فى الخليج . فعلى حين أنه قد انتفض ارتفاع نفقات المثلية عند وصوله فى مارس ١٨٣١ (وكانت فى حدود ٤١٥٠ روبية فى الشهر) فانه عاد نفس العام فوافق على الكادر الجديد للمرتبات والمصروفات السياسية لبومباى مجلد ١٥ من الحاكم الى مجلس الادارة ١٨٣١/٨/٢٣ (رقم ٢٢ الادارة السياسية) و ١٨٣١/١٢/٣٠ رقم ٤١ الادارة السياسية .

(٢) سجل الرسائل السياسية لبومباى مجلد ١٨ من الحاكم الى مجلس الادارة ١٨٣٥/١٢/٨ (ورقم ٥٨ الادارة السياسية) .

من الاستيلاء على خرك سوف ترجح تكاليفها ولهذا فقد رفضوا الاقتراح (١) وقد رأى الاعضاء أن الأحوال المضطربة في بغداد لم تكن تسمح في تلك الظروف بالتفكير في نقل مقر المثلية من البصرة وأنه عندما تعود الأحوال فيها الى وضعها الطبيعي فعندئذ يمكن التفكير في دمج المقرين في مقر واحد. وعلى هذا الأساس فقد تقرر أن تبقى المفوضية في بوشهر حيث هي ، غير أن أعضاء مجلس الإدارة كانوا قلقين من احتمال وهو الاحتمال الذي تنبه اليه كل من مالكونم والسير جون مكدونالد أحد الوزراء المفوضين السابقين في فارس ، أن يؤدي وجود ممثل بريطاني مستقل على الساحل الفارسي مع وجود مفوض لها في طهران الى تداخل العلاقات مع السلطات الفارسية وعلى الأخص مع أمير فارس . وكحل لذلك اقترحوا تعيين الممثل في بوشهر مساعدا للمفوض في طهران الأمر الذي يخضع المصالح البريطانية في فارس والخليج لاشراف واحد وسيمنح المقيم قدرا من الصلاحيات في الاشراف على الشؤون الأخرى في قضايا القرصنة التي فوض بالتصرف فيها دون الرجوع الى طهران غير أنه لم يخول سلطة التخاطب المباشر مع أمير فارس أو مع اى سلطة فارسية أخرى في المسائل التي لا تتعلق بالقرصنة أو سلامة الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم .

وفي التقرير الذي اعده كبير لتقييم اقتراحات أعضاء مجلس الإدارة لخص موقفه في الفقرة الأولى من التقرير الذي جاء فيها « أنه يبدو أن أعضاء مجلس اداراتكم قد وضعوا تقييما موضوعيا للمهام التي سوف

(١) من التقارير السياسية الى بومباي مجلد ٤ من مجلس الإدارة الى

الحاكم ١٨٣٤/٢/٢٦ (رقم ٤ الإدارة السياسية) .

تضطلع الممثلية بها فى بوشهر غير اننا نعتقد أن الاقتراح الخاص بتغيير وظيفة المقيم الى وظيفة مساعد مفوض للمفوض العام فى طهران يتعارض مع هذا التقييم (١) وعند استلام كلى رسالة أعضاء مجلس الإدارة قام بتحويلها الى بلين المقيم المتقاعد لبدء الراى فيها غير أن بلين وجد فيها كثيرا من الصعوبات فى فهم الأسباب التى جعلت أعضاء مجلس الإدارة يتصورون أن وجود ممثلية مستقلة فى بوشهر قد يؤدى الى تعقيد العلاقات البريطانية مع فارس ، وتساءل بلين عن الأسباب التى تقرر تعيين المقيم البريطانى فى بوشهر مساعدا للوزير المفوض فى طهران فقد كانت طبيعة العمل فى المثلية تختلف اختلافا كليا عن العمل الدبلوماسى للوزير المفوض فى طهران ، كما أن التعليمات الخاصة بعمل المقيم كانت تمنعه من التدخل بأى شكل من الأشكال فى سياسة الحكومة الفارسية . وازداد بلين بانه من المشكوك فيه أن يستطيع مجرد موظف بدرجة مساعد وزير مفوض أن يقوم بالاشراف على الأمن فى منطقة الخليج بصورة مرضية لأن هذه المهمة تتطلب فى المقيم أن يكون لشاغرها الخبرة والرتبة والمهبة التى لا تتوفر فى الموظفين من ذوى الرتب الأصغر . إن المحافظة على الأمن فى منطقة الخليج يعتمد بدرجة كبيرة على توقيع العقوبات الفورية على المعتدين الأمر الذى يتعدى تحقيقه فيما لو تعين على المقيم أن يحيل الموضوع الى طهران . والمعروف أن ايفاد رسول لهذه المهمة يستغرق شهرا واحدا لقطع المسافة من بوشهر الى طهران وقد يستغرق وقتا أطول فى فصل الشتاء بينما فى امكان الطراد اذا غادر بومباى أن يصل الى بوشهر فيما بين ١٢ ، ١٥ يوما تقريبا ويعود فى خلال شهر وعلى عكس طهران فان بومباى

(١) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٨ من الحاكم الى

مجلس الإدارة ١٦/٩/١٨٣٥ (رقم ٣٣ الادارة السياسية) .

هى المركز الذى تصدر منه الأوامر والتعليمات والمساعدات الى منطقة الخليج أما الاعتراض الآخر الذى رآه بلين - وهو اعتراض له أهميته بالنظر الى مطالبة فارس بالبحرين والمحاولات اليائسة لأمير شيراز لاحتلالها - هو أن الوزير المفوض قد يعانى كثيرا من الحرج اذا عهد اليه بالاشراف على الحامية فى الخليج خصوصا وأن الاشراف على الحامية سوف يعهد به اليه فى الوقت الذى يقوم بالاشراف على أعمال المثلثة فى الخليج . وقد استطاع الوزير حتى ذلك الوقت ارجاء النظر فى طلب الحكومة الفارسية الحصول على بعض السفن التابعة للأسطول الهندى بحجة انه لا سلطة له على طرادات الشركة (١) وقد وافق كلير على رأى بلين وقال « أنه من الأفضل لنا بأن نعيد النظر فى الموقف الذى اتخذناه فى الخليج حتى لا يتسبب فى الاضرار بكفاءة النظام المتبع حاليا ، وكان ذلك فى أغسطس ١٨٣٤ .

الى هذا الحد كان كلير يعارض اقتراح مجلس الإدارة وكان مصمما على انه فى حالة وضعه موضع التنفيذ أن يتقدم باقتراح بنقل مسؤولية الاشراف على الخليج الفارسي الى حكومة الهند التى كانت تشرف على المفاوضات فى طهران أيضا ولعدم تدخل حكومة بومباى بعد ذلك فى شؤون المثلثة فى بوشهر ، فاذا كان الهدف من اقتراح مجلس الادارة هو اخضاع المثلثة لسلطة المفوضية فى طهران من أجل التوفير فى النفقات فانهم سوف

(١) مجموعة المجلس مجلد ١٥٣٩ رقم ٦١١٦٥ من بلين الى كلير ١٨٣٤/٦/٤ وقد تم تغيير اسم بحرية بومباى الى اسم (الأسطول الهندى وذلك فى يوم ١/٥/١٨٣٠ تقديرا لدورة الشجاعة فى المياه الشرقية لأكثر من مائتى عام .

يمنون بخيبة اذا تبين أن المبالغ التي يمكن توفيرها من هذا الاجراء لا يتجاوز
١٠٠ روبية في العام .

ونتيجة للتغيير الذي طرأ على المسؤوليات السياسية في الخليج وفقاً
لأحكام القانون الصادر في سنة ١٨٣٤ فقد أضيف عنصر جديد الى القضية.
وعملاً بالصلاحيات الواردة في أحكام هذا القانون تولى بنتنك سلطة
مباشرة على الممثلين في بوشهر والبصرة بعد اقتناعه برأى كلير فأصدر
تعليماته الى المقيمين البريطانيين بالتخاطب مباشرة مع حكومة الهند (١)
وقد شجع قرار الحاكم العام في أعقاب وصول مقترحات مجلس الادارة
شجع كلير الى ان يصرح بأن شئون ممثلى البصرة وبوشهر لم تعد من
اختصاص حكومته وأنه اعتباراً من ذلك اليوم سوف يحيل مراسلات
المقيمين البريطانيين الى حكومة كلكتا ، ويحتفظ بنسخ منها لديه (٢) وعندما
علم بنتنك بقرار كلير كتب يطمئنه على أن اشراف حكومة الهند على الشئون
السياسية للممثلين لا يعنى تجريد حكومة بومباى من صلاحيتها فى توجيه
وتنفيذ السياسة البريطانية فى الخليج وسوف يستمر الحاكم فى بومباى
فى تصريف الشئون المحلية البحتة كمكافحة القرصنة وغيرها مما يراها
فى المصلحة العامة فيما عدا المسائل التى تمس العلاقات السياسية بدول.

(١) مجموعة المجلس مجلد ١٥٣٩ رقم ٦١١٦٥ من سكرتير الحاكم
العام الى الحاكم فى بومباى وفورت وبليام ١٨٣٢/١١/٢٠ .

(٢) مجموعة المجلس مجلد ١٥٣٩ محضر كلير ١٨٣٤/١٢/٣١ .

الخليج عموماً. والتي يتعين عليه اطلاع الحكومة بشأنها (١) ولم يعترض السير روبرت جرانت الذي حل محل كلير في منصب الحاكم العام في شهر مارس ١٨٣٥ على هذا النظام ، وان كان قد أخطر المقيمين البريطانيين في كل من بوشهر والبصرة بأنه على الرغم من أن قد يتلقون أحياناً التعليمات من حكومة بومباي إلا أنه يتعين عليهم بأن يعيشوا بطلباتهم الى حكومة الهند عن طريق بومباي (٢) ومن الواضح أن الوضع لم يكن ليبقى على ما كان عليه فعلى الرغم من عناد كلير وتردده في العمل بمقتضى النظام الجديد فلم يكن ثمة أدنى شك في أن الحق كان في جانبه .

وفي أوائل شهر أبريل ١٨٣٥ عندما تقرر تعيين موظف ليخلف بلين في منصب المقيم في بوشهر عكف السير شارلس متكاف الحاكم العام على دراسة وضع المثلية وادارتها من جديد ، وقد خرج من تلك الدراسة بأن النظام الذي أدخله بنتنك يمكن أن يستمر ما لم يرفضه مجلس ادارة الشركة، وفي الوقت نفسه ، ولما كانت حكومة الهند لا تزال تمارس اشرافها على ممثلية الخليج رأى متكاف بأن من حقه تعيين خلف لبلين وبالتالي وافق على اختيار ميجر جيمس موريسون من ادارة مدراس لهذا المنصب أما فيما

(١) المجموعة من دبلواوشه مكاناتهم الى ال . ارد . ريد (سكرتير حكومة بومباي) وفورت وويليام ١٨٣٥/١/٢٨ ومرفقات الخطاب السياسي لحكومة بومباي رقم ٣٣ في ١٨٣٥/٩/٢٦ .

(٢) المجموعة من تشيز نوريس (سكرتير الحكومة) الى المقيم بالوكالة في بوشهر بومباي ١٨٣٥/٣/٢٣ ومرفق الخطاب السياسي لحكومة بومباي رقم ٣٣ في ١٨٣٥/٩/١٦ .

يتعلق بموضوع تحول المقيم الى مساعد وزير مفوض ل طهران فقد وافق متكاف على رأى الاغلبية فى حكومة بومباى بأن الاجراء لم يكن سليما واقترح بأن تكون رتبة المقيم فى المرتبة الثانية بعد الوزير المفوض وذلك فيما يختص بشئون منطقة فارس أما الشئون المحلية التى تمس الخليج وقضية القرصنة فعلى المقيم أن يتخاطب ، كما كان الأمر سابقا ، مع حكومة بومباى مباشرة بشرط أن تحال المسائل ذات الأهمية الى حكومة الهند ، أما اذا طرأت أمور تستوجب اجراء فوريا يستطيع المقيم وعلى مسؤوليته الخاصة أن يتخذ الاجراءات الكفيلة للبت فيها دون الرجوع الى حكومة الهند (١) .

ولقد قطع متكاف شوطا طويلا فى وضع التنظيمات الادارية الخاصة بممثلة الخليج ومسئولياتها غير أنه لم يتم وضع نظام فعال ومرن قبل النصف الأخير من عام ١٨٣٦ فى مستهل ذلك العام انتقلت عملية الاشراف على المفوضيه البريطانية فى فارس الى وزارة الخارجية مما وضع نهاية للاقتراحات التى دعت الى تعديل منصب المقيم الى منصب مساعد للوزير المفوض فى طهران وعلى خلاف ذلك فقد وافق أعضاء مجلس الادارة على التنظيم الذى اقترحه متكاف للاشراف على المقيم وكالمعتاد لم يكن يجوز للمقيم بموجب ذلك التنظيم أن يتخاير مع السلطات الفارسية مباشرة الا فى

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٧ رقم ١٩ مجلد ٧٤ فى ١٨٣٥/٥/٢٠ ومقتطفات من محادثات الادارة السياسية للحاكم العام بتاريخ ١٨٣٥/٤/٦ كما عرض متكاف انه يمكن توفير نفس المبالغ فى نفقات الممثلة عن طريق الغاء منصب مساعد المقيم بعد سفر هانيل وتركه للوظيفة غير أن هذا الاقتراح لم يوضع موضع التنفيذ مما اضطر هانيل أن يستمر لفترة من الوقت فى عمله .

اطار المسائل الخاصة بالقرصنة أو بسلامة الرعايا البريطانيين فى اقليم فارس . اما اذا رأى المقيم نفسه مضطرا فى أى وقت من الأوقات الى التخاطب بشأن أى موضوع من الموضوعات فسوف يتعين عليه فى هذه الحالة الرجوع الى الوزير المفوض فى طهران والتقىد بتعليماته (١) وبعد قليل عادت حكومة الهند فأبدت استعدادها للعودة الى النظام المعمول به سابقا ، حيث كان لحكومة بومباى الاشراف المباشر على المصالح البريطانية فى الخليج وأن يكون لها الحق فى اختيار المقيم وفى تعيينه ، وفى شهر سبتمبر سنة ١٨٣٦ أعيد العمل بالنظام القديم وقد أشار السير روبرت جرانث فى وقت ما من ذلك الشهر بقوله (يجب أن نعمل بأنفسنا لأنفسنا) فى جميع القضايا الهامة أو التى تتعلق بالأمور السياسية فيجب أولا ان نحيل المسائل الى حكومة الهند اذا كان الوقت يسمح بذلك ، أما اذا لم يكن الوقت يسمح فيتعين علينا أن ندرس وننفذ على مسئوليتنا الخاصة .

وربما كان لثورة بنى ياس فى سنة ١٨٣٥ ومبادرة السلطات المسئولة فى بومباى لقمعها - رغم أنه لم يرد ذكر مباشر لذلك فى المراسلات الخاصة بالمثلثة والتي تم تبادلها بين بومباى وكلكتا فى سنة ١٨٣٥ وسنة ١٨٣٦ - تأثير كبير فى اقناع حكومة بومباى بصواب ابقاء ادارة شئون الخليج فى أيدي الذين كانوا مسئولين عنها فى السنوات السابقة .

(١) من التقارير السياسية المرسله الى بومباى مجلد ٥ من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨/٦/١٨٣٦ (رقم ٣ الادارة السياسية) .

الفصل السابع

الطريق الى الهند

١٨٢٦ - ١٨٣٦

« يمكن اعتبار كل من تركيا وفارس منطقتين عازلتين بالنسبة للهند البريطانية ، وبالتالي فإن وقوع أى من هذين البلدين فى أيدى دولة أوربية سوف يعرض الهند للخطر من حيث أنه سيجعلها منطقة مكشوفة أمام أى غزو تقوم به تلك الدولة للهند ، وانطلاقاً من هذا فان سياسة الحكومة البريطانية تقوم على دعم وتأييد هاتين الدولتين وعلى خلق وتقوية دول اخرى يتحقق من جرائه نفس الغرض » (١٨٠٧) (١) .

جون مالكولم ١٨٠٧

بعد عام ١٨١٥ ، أخذت المصالح البريطانية فى فارس تتقلص بدرجة سريعة ، وذلك ان الأسباب التى أملت تلك العلاقة مع حكومة فارس قبل بضعة أعوام ، عندما كانت فرنسا تحتل مركزاً هاماً لدى حكومة الشاه ، وكان الروس يتوغلون داخل الأراضى الفارسية باقليم القوقاز ، هذه الأسباب قد تبخرت بعد هزيمة نابليون وتوقيع معاهدة جوليستان بين فارس ،

(١) متفرقات فى رسائل الحكومة البريطانية مجلد ٧٣٧ من مالكولم

الى بى . امون ستون سكرتير الحاكم العام ميسور فى ١٢/٨/١٨٠٧ .

وروسيا عام ١٨١٣ . وبالرغم من أن روسيا كانت فى ذلك الوقت الدولة الكبرى التى يمكن أن ينطلق الخطر منها على الهند إلا أن هذا الخطر قد تلاشى بعد إبرام معاهدة طهران لعام ١٨١٤ ، التى ألزمت الشاه بالتصدي لآى جيش أوربى يحاول العبور من بلاده لغزو الهند . وفى مقابل هذا الشرط وعدت بريطانيا بتقديم مساعدتها الى الشاه فى حالة تعرض فارس للهجوم من أى دولة أوربية . وقد تحسنت علاقات بريطانيا بروسيا بعد عام ١٨١٥ ، وأصبح الراى السائد فى الدوائر الهندية أن قيام الروس بمثل هذا الغزو لم يعد أمرا واردا فى تصوراتهم ، وحتى لو كان هذا الافتراض فرضا صحيحا فقد كان فى الامكان مواجهة ذلك الغزو عند نهر ستلج ، والواقع أن بريطانيا لم تكن ترغب فى انتهاج (سياسة المواجهة مع) عن طريق مد حدود الهند البريطانية الى ما وراء نهر ستلج أى الى حدود الهند الطبيعية عند سلسلة الجبال التى تحيط بالهند من الغرب (١) والشمال كما أنه لم تبدل جهود فعلية من جانب الحكومة البريطانية فى الهند لندعيم الأحلاف الدفاعية مع الدول الواقعة فى منطقة شمال غرب نهر ستلج والتى كانت على حد رأى ويلسلى تمثل المنطقة العازلة بين الهند وجاراتها . وكانت فارس وهى أهم تلك الدول قد وصلت بسبب سياسة التواكل والاهمال إلى حالة من اليأس والتدمير . وقد فشلت البعثات التى أوفدها الشاه الى إنجلترا فى اقناعهم بالمصلحة المشتركة التى تربط بين الدولتين

(١) سياسة التهذئة والاكتفاء وهى السياسة التى أعلنتها حكومة الهند عام ١٨١٨ وهى سياسة تخدم مصالح الشركة وأهدافها فضلا عن كسبها للرأى العام بجانب تطبيق القوانين الدستورية وفقا لما تقضى به حكومة الهند .

فى مقاومة الأطماع الروسية فى القوقاز وبحر قزوين . وفى عام ١٨٢٣ كشف قرار نقل عملية الاشراف على المفاوضات البريطانية فى طهران من الحكومة الى الشركة ، عن استخفاف بريطانيا لمصالحها فى فارس .

غير أن اندلاع الحرب أو بعبارة أدق استئناؤها بين روسيا وفارس عام ١٨٢٦ لم يغير فى ذلك الموقف كثيرا . وقد توافق نشوب الحرب مع تولى جورج كاننج وزارة الخارجية البريطانية ، كما توافق مع وصول طلب الشاه للمساعدة من الحكومة البريطانية ، بموجب نصوص المعاهدة . وقد كان كاننج يسعى الى الوصول الى التفاهم مع الروس حول المسألة اليونانية ، ولم يكن يرغب أن يقضى على فرص النجاح فى مساعيه لتحقيق استقلال اليونان ، وفى نفس الوقت أن يحول بين قيصر روسيا وتفتيت الامبراطورية العثمانية ، باضطرارها الدخول فى حرب ضد روسيا فى آسيا . وقد توصل الى مخرج من هذه الورطة باعتبار حكومة فارس هى المسئولة من الناحية التكنيكية عن بدء الحرب ضد الروس ، وقد أدلى بهذا التصريح حتى لا تطالب فارس بالمعونة البريطانية . وبعد عامين من هذا التاريخ حذفت الفقرة الخاصة بالمعونة فى معاهدة طهران بعد أن تعهدت بريطانيا بتقديم دعم مالى الى حكومة فارس .

وقد كتب رولنسون فى هذا الصدد يقول : لقد نزلنا عليهم نزول الصاعقة وبسرعة تمكنا من إبرام صفقة غير عادية ومربية فى نفس الوقت ، لقد كان الفرس فى حالة يائسة تشبه دانيا فى الأسطورة الاغريقية (١)

(١) اسطورة اغريقية مفادها ان فتاة عذراء اسمها دانيا كانت مسجونة من قبل والدها اكلسيوس فى قبة من النحاس وكان والدها ملك ارجوس وقد عاشرها زيوس فى هيئة وابل من الذهب وأصبحت اما لبرسيوس .

على أن الصفقة التي فازت بها روسيا بموجب معاهدة تركمان شاي المعقودة في شهر فبراير ١٨٢٨. والتي وضعت حدا للحرب بينها وبين فارس كانت ضربة قاسية على فارس ، فقد أرغمتها على تأكيد تنازلها عن المنطقة التي اقتطعتها روسيا بموجب معاهدة جولستان بالاضافة الى التنازل عن أرض جديدة لروسيا و دفع تعويضات باهظة لها . وما كادت أخبار معاهدة تركمان شاي تصل الى لندن في نهاية ابريل ١٨٢٨ حتى أعلنت روسيا الحرب على تركيا بسبب المشكلة اليونانية واكتسحت الجيوش الروسية ولايات الدانوب . وقد بدأ في اللحظة الأولى كما لو كانت روسيا على وشك أن تنقض على العالم الاسلامي في أوروبا وآسيا(١) وقد أحييت هذه التطورات احتمال غزو أوروبا للهند ، كما أطلقت العنان لسلسلة من التحركات السياسية الناجحة في الشرق من جانب المسئولين البريطانيين وانتهت بقيام بريطانيا بقصف منطقة النقب والهجوم على كابل في أفغانستان . وكان طبيعيا أن يصاحب مخاوف البريطانيين من غزو على الهند تكهنات حول الطريق الذي سوف يسلكه مثل هذا الغزو . ولعل نظرية دي لاس ايفانز التي وردت في مؤلفيه « الأطماع الروسية » الصادر عام ١٨٢٨ و « احتمالات غزو الهند البريطانية » الصادر ١٨٢٩ قد لقيت رواجا كبيرا في كل من إنجلترا والهند في أواخر العشرينات ومستهل الثلاثينات من القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من أن ايفانز كان يشك في قدرة الروس على

(١) « اللعبة الكبرى في آسيا » ١٨٠٠ - ١٨٤٤ من محاضرة آتسه .
 دبليو . س . دافيز في قاعة رالي عام ١٩٢٦ وقد أعيد طبعها في محاضر
 الأكاديمية عام ١٩٢٧ ص ٩ .

تسيير جيش الى منطقة بعيدة عنهم كالهند . فقد كان يعتقد بأن هذه المحاولة لو تمت فان الطريق المحتمل أن يسلكها الجيش هي طرق كيفا وبخارا ثم نهر الاندس . أما الاحتمال الثاني فهو طريق فارس ، الحيرة فقندهار ولقد وجدت آراء أيفانزا صدى عند اللورد الينبورو الذي تولى رئاسة مجلس الهند في شهر سبتمبر ١٨٢٨ خلال وزارة ديوك أوف ولنجتون . ومنذ أن تولى الينبورو منصبه وهو يبدي معارضته للمحافظين من أمثال كاتنج الذين كانوا لا يمانعون في اخضاع المصالح البريطانية في آسيا لسياستهم الأوروبية . وكان رأيه بأن دعاة سياسة أسيوية لن يسكتوا لو قدر للروس أن يحتلوا الصين غير أن المنادين بسياسة أوروبية لن يتمكنوا من التحرك فيما لو دخل الروس كابل (١) أما الينبورو فلم يكن يخشاهه الشك في ان الروس واصلون في النهاية الى كابل . فبعد قراءته لكتاب أيفانز الثاني كتب في مذكراته يوم ٣٠ أكتوبر ١٨٢٩ يقول :

« حول موضوع غزو الهند فان هذه الفكرة ليست ممكنة فحسب بل وسهلة أيضا إلا اذا عقدنا العزم على أن نتصرف كدولة أسيوية . ففي مقابل احتلال الروس لمنطقة كيفا يجب أن نحثل نحن لاهور أو كابل . ان مواجهة العدو لن تكون على نهر الاندس فاذا لم نواجهه في كابل وعلى سفوح جبال هندوكوش وفي ممراتها فالأفضل لنا ان نبقي في ستلج . لأن الروس اذا نجحوا في احتلال كابل فان وجودهم هناك يجعلهم أمام الأندس ريثما

(١) «مذكرات سياسية» ١٨٢٨ - ١٨٣٠ ادوارد لو البارون الثاني وارف الينبورو الأول تصنيف اللورد كولسنشتر مجلدان طبعة لندن ١٨٨١ فصل ١٢٢ ص ١٢٢ - مذكرات يوم ٢٦/١٠/١٨٢٩ .

يتمكنون من تنظيم وحدات للعمل وراء خطوطنا واعادة تسليح قواتهم « (١) » .

وعلى اى حال فان الخطر المباشر كما تبين الينبورو انما يكمن فى الامتيازات التى حصلت عليها روسيا الآن بحكم معاهدة تركمان شاي . وكان السير جون مالكولم قد أشار عام ١٨٢٦ قـبـل بدء الحرب الفارسية الى أن اى سيطرة روسية على حكومة طهران سيكون له تأثير سلبى على الحكم البريطانى فى الهند . وقد يكون الوقت لايزال بعيداً لشن هجوم خطير على ممتلكاتنا فى الهند ولكن هذه الممتلكات قد تتعرض لتهديدات وأخطار كثيرة لا وجود لها فى الوقت الحاضر ، مما سيضعف من تكاليف وصعوبة السيطرة على هذه الممتلكات الى حد كبير ، وعلى حد رأى مالكولم فان القوة البحرية وحدها غير كافية لحماية الهند من الغزو ، ولا يمكن لآى دولة أن تجنى أى فائدة من الهند أو بالأحرى تحتفظ بها دون أن تكون لها السيادة على البحر ، غير أن هذه الاعتبارات قد لاتعوق روسيا اذا كانت فى حرب مع انجلترا ، من محاولة اضعافنا عن طريق الضغط علينا فى تلك البلاد . ان خط الدفاع عن الهند هو فارس . ولهذا فانه لزاما على انجلترا أن تحمى استقلال فارس من روسيا . وانه لمن الخطأ الجسيم أن نتصور باننا لا نمتلك الوسائل لمساعدة فارس حتى تستطيع مقاومة الروس

(١) كان الينبورو متأثراً برأى السكرتير المساعد لمجلس الهند بنجامين جونز الذى كان ينادى منذ زمن بمد النفوذ البريطانى الى ما وراء الاندس : ان كابل وقندهار هما بوابتا هندوستان (راجع شركة الهند الشرقية ص ٤٦٨ فيليب) ١٣ من تقارير ومراسلات ومذكرات الفيلد مرشال آرثر ديوك اوف ولنجتون جمع نجله ديوك اوف ولنجتون ٨ مجلدات طبعة لندن ١٨٦٧ - ١٨٧٣ . فصل ٣ من مالكولم الى ولنجتون ١٦/٢/١٨٢٦ .

فنحن نسيطر بالكامل على الخليج ، وهو بالنسبة لنا كبحر قزوين بالنسبة للروس . ولدينا رصيد محلى من الثقة يفوق كثيرا الرصيد المالى .

على أن ولنجتون الذى وجه اليه مالكولم هذه الملاحظات عجز عن تحديد موقفه من حقيقة التهديد الروسى للهند . صحيح أن ولنجتون كان يكره روسيا . وكان متفقا من حيث المبدأ مع وجهة نظر مالكولم (١) الا أنه لم يكن يحدد النفقات المالية التى اقترحها مالكولم (٢) أما الينبورو فلم يكن يعانى من تلك العقدة . لقد كان الروس فى تقدمهم الى نقطة لا تبعد أكثر من ٣٠٠ ميل من الموصل حيث يلتقى نهر الفرات مع الخليج الفارسى ، مما اثار مخاوف ولنجتون . من ألا يتوقف الزحف الروسى عند ذلك الحد ، وازاء اعتراضات ولنجتون أرسل الينبورو تعليمات الى الحاكم العام فى شهر أغسطس ١٨٢٩ ليزود شاه فارس بـ ١٢٠٠٠ بندقية وايفاد ضباط من الجيش البريطانى الى فارس . على نفقة الحكومة البريطانية اذا اقتضى الأمر لتدريب الجيش الفارسى . وفى الشهر التالى أعلن أنه لو حاول الروس الزحف نحو الخليج عن طريق العراق .

(١) اننا مهجتون جدا بالحفاظ على استقلال فارس هذا ما ذكره مالكولم .
 اكاننج فى يناير ١٨٢٧ ونحن ملتزمون بذلك من الناحية السياسية والحفاظة على الشرف « تقارير ومراسلات ولنجتون » فصل ٣ ص ٥٣٩ - ٥٤٠ .

(٢) انظر العلاقات البريطانية الفارسية « من ١٨١٥ - ١٨٤٠ » بقلم سي.جى. كورلى فى المجلة التاريخية لجامعة كمبريدج الجزء الثالث ص ٥٠ - ٥١ (١٩٢٩ - ١٩٣١) .

(٢٩ - بريطانيا والخليج)

• هسوف يحتل جزيرة خرك واغلاق الفرات فى وجههم (١) •

وعلى أى حال فان التكهانات فى غزو الروس للهند ، لم تكن هى السبب فى بحث المصالح استراتيجية البريطانية فى الخليج ، وفى أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر ، وانما يعود ذلك الى تطور الملاحة البخارية ومحاولة استغلال تلك الوسائل لانشاء طريق للمواصلات يربط الهند بانجلترا • وكان ثمة طريقان واضحان لانشاء تلك المواصلات ، الطريق البرى عبر مصر والطريق المباشر عبر روسيا والعراق والخليج وقد أستخدم الطريق الثانى كثيرا فى غضون القرن الثامن عشر لنقل البريد الى الهند • فالمطاريق كانت ترسل بانتظام من لندن الى بيت اخوان سمتر فى فينا ، ومن هناك كانت تجد طريقها الى القسطنطينية وحلب ودمشق والبصرة وأخيرا بومباى (٢) وخلال الاحتلال الفرنسى لمصر من ١٧٩٨ الى ١٨٠١ لم يستخدم طريق الصحراء

(١) جزء ٢ ص ٩٢ - ٩٣ مذكرة يوم ٣ سبتمبر ١٨٢٩ • كان مالكولم أول من نادى بهذه الفكرة وقد تبناها فى شهر سبتمبر ١٨٢٨ أما فى الهند فلم يكن أحد يتوقع وصول الروس وفى شهر يوليو عام ١٨٢٨ كتبت احدى صحف بومباى تطمئن قراءها وتقول (ان الروس لم يصلوا بعد) وسوف ينقضى بعض الوقت حتى يضطر المواطنون الى تخزين موادهم الغذائية ومجوهراتهم عندما تكف ضفادع الليل من تشنيف أسمع السكان وتسمع سهيل خيول أبناء القوقاز وهم بالقرب من مضاجعهم (مقتبسة من كتاب « لمحات من بومباى القديمة والهند الغربية » ص ٥٨ طبعة لندن ١٩٠٠ تأليف جيمس دوغلاس)

(٢) واجع شركة جون واعمالها « تأليف هولدن فزير طبعة كامبردج ١٩٤٨ ص ٣٤٢ وبحث بعنوان الطريق البرى الى الهند فى القرن السابع عشر والثامن عشر مجلة تاريخ الهند مجلد ٢٩ ١٩٥١ ص ١٢١ - ١٢٤ •

٤٥٩

السورية الا بصفة نادرة (١) وعندما اثار ادخال الملاحة البخارية خلال العقد التالي من القرن احتمال نقل البريد بشكل أسرع بين انجلترا والهند تركزا الاهتمام في أول الأمر على طريق البحر الأحمر . وفي شهر مايو ١٨٢٢ اقترح كل من مونستورت الفنستون واللورد امهرست الحاكم العام للهند على مجلس ادارة الشركة أن تقسم الملاحة على جانبي برزخ السويس لكي تكون هناك خدمة يريدية شهرية الى بومباي . فاذا حال وقوع اضطرابات في مصر من ارسال البريد بالطريق البري في أى وقت من الاوقات فيمكن ارساله عن طريق البصرة . أما رجال الشركة فلم يجبتوا المشروع وبالتالي لم يوافقوا على تخصيص الاعتمادات اللازمة لذلك المشروع (٢) .

عند تولى مالكولم منصب الحاكم في بومباي خلفا لالفنستون تحمس لمشروع الملاحة البخارية الى حد كبير وبرغم أنه كان يفضل الطريق البحري ، أنه لم يكن يفضل أهمية الطريق الثاني وعلى الاخص من الوجهة السياسية . وفي عام ١٨٢٩ أرسل مالكولم اثنين من خبراء المسح هما بو. وانز. واليوت للتأكد من صلاحية الخليج ، وان أمكن نهر الفرات للملاحة البخارية . وقد أكد بو. وانز. في تقريره حول هذا الموضوع أن الخليج صالح للملاحة في جميع الاوقات ولا خطر حتى في أسوأ الأحوال الجوية ، ولهذه الأسباب فقد فضل هذا الطريق على البحر الأحمر (٣) وكنتيجة لتقرير بو. وانز تم ايفاد

(١) الطرق البريطانية الى الهند . اتشه. ال هوسكنز طبعة لندن ١٩٢٨ ،

ص ٢١ يونيو ١٩٤٧ .

(٢) هوسكنز ص ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣) فارس والخليج مجلد ٤٦ آراء جول الخليج والبحر الأحمر

وصلاحياتها للملاحة البخارية بغداد في ١٧/٦/١٨٣٠ .

الفتنات هنرى اورمسبى من الاسطول الهندى فى أواخر العام للقيام بمسح لموانئ الساحل السورى ، وفى نفس الوقت توجه فريق صغير برياسة جيمس تايلور ، شقيق المقيم البريطانى فى بغداد من بومباى بتشجيع من مالكولم لتعزيز محاولات بو.بونزا وأورمسبى لمسح طريق الفرات . وبعد بضعة أشهر لقي تايلور ورفاقه ومن بينهم بوانز مصرعهم على يد بعض قطاع الطرق العرب . وفى شهر أبريل ١٨٣١ خرج اليوت الذى بقى من أفراد البعثة للتوجه الى سوريا لمسح طريق الساحل السورى واصطحب معه اور.مسبى . وقد وصل الاثنان بيروت فى شهر يونيو بعد عبور الصحراء الكبرى من منطقة حثا على نهر الفرات الى دمشق ، وهو طريق لم يكن يستعمل كثيرا . وفى بيروت تسلم اورمسبى التعليمات التى أرسلت اليه أثناء رحلته ، وتطلب منه استكمال عمليات المسح للموانئ السورية بدءا من بيروت حتى الاسكندرونة وأن يسافر بعد انتهاء مهمته عن طريق حلب الى بيروت على نهر الفرات ثم الى الحلة وخلال ذلك عليه أن يفحص بدقة صلاحية المنطقة للملاحة البخارية (١) ولقد تمكن اورمسبى من استكمال الجزء الأول من مهمته ، غير أن عداة السكان العرب فى الفرات الأعلى حال بينه وبين اتمام العمل الذى أوكلت له من أجليه .

فى الوقت الذى كانت حكومة بومباى تبذل جهودها للتأكد من القيمة العملية للطريق المباشر كانت الحكومة فى انجلترا قد بدأت تعى الأهمية السياسية والاستراتيجية للمشروع . وهذا الإدراك لأهمية المشروع يعود

(١) مختارات المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد (١) ملخص

م. خطاب موجه من القنصل البريطانى فى بيروت ١٨٣٠/٦/١٨ .

فى المقام الاول الى جهود توماس اوف بيكوك ، المكلف بفحص برىد شركة الهند الشرقية والذى اشتهر أخيرا بمواهبه كشاعر روائى . ففى أواخر عام ١٨٢٩ سلم بيكوك الى الينبورو مذكرة مطولة تتناول موضوع الملاحة البخارية ، زعم فيه بان تطوير الطريق المباشر قضية حيوية بالنسبة للمصالح السياسية فى الشرق (١) وقد أبدت بعض الاعتراضات على قيام السلطات البريطانية بعمليات مسح للطريق المباشر كى لا يؤدى ذلك الى استفزاز الروس ودفعهم انى الاهتمام بالعراق على حساب الوجود البريطانى فى الهند « ان الروس يتقنون معرفة الجغرافيا كما يعرفون الزايات النسبية للطرق الى الهند معرفة تامة حتى أنهم لا يحتاجون الى من يعلمهم ذلك وعلى اى حال فان طريق كىفا على حد رأى بيكوك أكثر أجراء للروس فيما لو فكروا فى الوصول الى الهند فما الذى يجعلهم يتآمرون بالزحف عبر الخليج الفارسى ومواجهة التفوق البحرى البريطانى هناك ، وقد ارتأى بيكوك بأن ذلك الاحتمال لا يمكن تجاهله بأى حال ، كما لا يمكن تجاهل التسهيلات المتاحة للروس فى العراق . اما المعدات العسكرية والبحرية فيمكن نقلها بسهولة من الموانى الجنوبية الشرقية للبحر الأسود الى تلك المواقع التى يلتقى فيها نهر دجلة والفرات ومن ثم يمكن تعويمها من هناك فى صنادل يمكن بناؤها بأعداد كبيرة من الأخشاب

(١) كان الينبورو معجبا جدا بالمذكرة التى ارسلها بيكوك لدرجة انه بعث بنسخة منها الى ولنجتون فى ديسمبر ١٨٢٩ ثم اعيد طبع تلك المذكرة كملحق « لتقرير اللجنة المنتخبة للنظر فى الملاحظة البخارية للهند عام ١٨٣٤ وتختلف الصيغتان احدهما عن الأخرى ولكنه اختلاف طفيف والاشارة هنا هى للنسخة التى أرسلت لولنجتن وتم نشرها فى تقارير ومراسلات ولنجتون الجزء السادس - ص ٣٣٠ - ٣٤٣ .

التي تنمو في جبال أرمينيا . فاذا قرر الروس الاستيلاء عليها فان كل المنطقة الممتدة من البحر الاسود الى الخليج الفارسي ستكون تحت سيطرتهم ، ولهذا فاذا نحن سبقناهم في الاستيلاء عليها فانها سوف تكون لنا . أما الموانئ فيمكن انشاؤها في بغداد والبصرة وفي المناطق الساحلية من البلاد وكذلك يمكن بناء سفن من مختلف الأحجام ، واذا نشبت حرب بيننا وبين الروس وافترضنا أن الروس قد قاموا فعلا بغزو الهند فلا بد في هذه الحالة من الاحتفاظ بأسطول قوى في الخليج كما يتعين علينا أن نبحث الوسائل والامكانيات التي تمكننا من منع ذلك الغزو من تحقيق أهدافه . وربما كان احتلال الروس لبغداد والبصرة هو الخطوات التمهيدية للهجوم على الهند . وعلى أساس هذا الافتراض فانه يتعين علينا أن نحتل أى منطقة تقع بالقرب أو عند مدخل الفرات كذلك فان اهتمامنا بالملاحه في نهر الفرات سوف يكون ذريعة لنا لمقاومة أى تيارات قادمة .

وكتأييد لهذا الرأي أشار بيكوك الى رسالة الكولونيل مكدونالد كينبر الذى سبق له أن عبر نهر دجلة على أحد الصنادل قبل ذلك ببضع سنوات (١) وقد أبدى كينبر في تلك الرسالة مخاوفه من أن يفطن الروس قبل وقت طويل الى أهمية دجلة لنقل المؤن والجنود اذا ما فكروا في تحدى النفوذ البريطانى في الهند « أما نهر دجلة فانه يصلح لسير القوارب الكبيرة من منطقة ديار بكر ، كما أن القلعة الموجودة في هذه المنطقة قد أنشئت من الأحجار البركانية وتصلح كقاعدة عسكرية . غير أن منطقة الجزيرة هي الأفضل لأن النهر هناك واسع جدا والمسافة من أرض روم ليست بعيدة عنها . ويتعاطى

(١) لم يحدد بيكوك بالاسم صاحب الرسالة ، وان كان قد تبين فيما

بعد من الملاحظات التي دونها بان كينبر هو صاحب تلك الرسالة .

٥٠٤٥٥٠

السكان في تلك المنطقة بناء الصنادل التي يصنعونها من الجلود والأخشاب وفي إمكان هذه الصنادل أن تبحر بشحنات كبيرة فوق المناطق الضحلة للنهر ، أما أنا فقد قطعت هذا النهر من الموصل الى بغداد بمعدل ثلاثة أميال في الساعة وكانت حمولة الصندل الذي انتقلت به بما في ذلك الأمتعة والركاب ثلاثين طنا وقد بنى هذا الصندل في أقل من ١٢ ساعة .

على الرغم من أن الينبورو كان يرى أن طريق البحر الأحمر عمليا أكثر بالنسبة للملاحة (١) البخارية الا أنه قد اقتنع بوجهة نظر بيكو لكي يصدر تعليماته الى الحاكم العام في شهر مارس ١٨٣٠ بأن يضغط على انتهاء عملية المسح للطريقين (٢) البرى والمباشر . وفى نفس الوقت بعث وزير الخارجية البريطانية اللورد ابردين قائمة بمجموعة من الأسئلة أعدها بيكوك حول صلاحية الطريقين الى القنصل البريطانى العام ووكيل شركة الهند الشرقية فى مصر ارنست باركر وطلب منه أن يحصل على اجابة الأسئلة ، وبطريق الصدفة كان باركر قد تلقى فى اللحظة نفسها التى تلقى باركر رسالة وزير الخارجية حضر لزيارته فى الاسكندرية الكابتن اف . ار . شيزنى الذى كان قد وصل لتوه من القسطنطينية وكان شيزنى هذا من أشد المتحمسين لاختيار

(١) انظر مذكراته السياسية الجزء الثانى ص ٧٧ مذكرة يوم

١٨٢٩/٧/٢٨

(٢) مسودات المجلس من تقارير ومختارات الى الهند مجلد ٧ مسودة

لحاكم العام ١٨٣٠/٣/١٤ وكان شارلى جرانت الذى خلف الينبورو فى رئاسة مجلس الهند قد أصدر تعليمات مماثلة الى حاكم بومباى وذلك فى شهر يونيو ١٨٣١ (نفس الحلقات مجلد ٨ مسودة الى الحاكم بومباى

١٨٣١/٦/١٨)

الخط المباشر ، وكان قبل وصوله قد تطوع للعمل في القوات التركية في حربها مع روسيا عام ١٨٢٩ ولكنه عند وصوله الى القسطنطينية وجد أن الحرب على وشك الانتهاء ولأنه كان مترددا في العودة الى انجلترا بتلك السرعة بعد وصوله الى تركيا فقد وافق على القيام بالمهمة التي كلفه بها السير روبرت جوردون السفير البريطاني لدى الباب العالي ، وذلك للتعرف على الاقاليم التركية في آسيا وبنوع أخص على امكانيات مصر . وعند وصوله الاسكندرية في مايو ١٨٣٠ حيث علم بأن باركر قد كلف بمعاينة الطرق الى الهند تطوع شيزني بأن يقوم بتلك المهمة بدلا منه وقد قبل باركر تطوع شيزني وبدأ شيزني أول رحلاته الكبرى عبر الطرق الدولية الى الهند (١) .

وقد قام شيزني أولا بمسح برزخ السويس واقتنع بأن طريق مصر والبحر الاحمر لها مزايا عديدة وأخيرا تنبأ بأن كل النظريات عن طريق السويس سوف تؤدي الى تحقيق تلك « الامنية الكبرى » عن شق قناة عبر البرزخ (٢) من مصر توجه شيزني الى سوريا لمحاولة الوصول الى الفرات للتأكد من صلاحيته للسفن البخارية وفي يوم عيد الميلاد عام ١٨٣٠ شاهدت عيناه لأول مرة النهر العظيم وفي اليوم الثاني من يناير ١٨٣١ بدأ جولته في

(١) حياة الجنرال اف . ا . ار . شيزني بقلم زوجته وكريمته اعداد اس . لين بول طبعة لندن ١٨٨٥ ص ١٦٧ - ٢٠٨ انظر كذلك بعثة مسح نهري الفرات ودجله بقلم اف . ا . ار . شيزني .

(٢) مسودات المجلس تقارير ومختارات الى الهند مجلد ٨ مسودة للحاكم العام ١٤/٣/١٨٣١ . (رقم ٢٢٩) ومرفق به صورة من خطاب شيزني لجوردون يافا ٢/٩/١٨٣٠ .

النهر من قرية اناح ، وقد استغرقت جولته أربعة شهور بكاملها وكاد يقطع مهمته عندما علم من تاييلور في بغداد عن وصول كل من اور . مسبى والبيوت ، ولحسن الحظ أن اور . مسبى والبيوت لم ينزلا الى الفرات ولذلك استطاع تاييلور أن يقنع شيزنى بالاستمرار في عمله حتى وصل في النهاية الى البصرة . وبعد أن بعث تاييلور بتقريره الى جوردون رحل عائدا الى القسطنطينية عن طريق فارس وكردستان وشمال سوريا حيث قام بمعاينة المشارف العليا لنهر الفرات . وقد وصل تاييلور الى العاصمة التركية في ابريل ١٨٣٢ ، وهناك التقى بالسير ستافورد كاننج الذي كان موفدا في مهمة خاصة . وقد أبدى كاننج اهتماما بالغا بالمنطويات السياسية لمهمة تاييلور . وبعد عودة شيزنى الى انجلترا في شهر سبتمبر ١٨٣٢ وقدم تقريره عن عمليات المسح الى مجلس الهند ، وبعث بصورة منه الى كاننج . أما كاننج الذي كان وقتها في باريس فقد أرسلها مع مذكرته الشهيرة المؤرخة ١٨٢٣/١٢/١٩ حول وضع الامبراطورية العثمانية الى الفايبونيت بالميرستون من وزارة الخارجية البريطانية (١) .

ان الآراء التي تضمنتها مذكرات شيزنى كانت تؤيد الطريق المباشر تأييدا شاملا . وقد اقر شيزنى بالافضلية المطلقة للطريق البري لاعتبارات تكتيكية ، غير أن الاعتبارات السياسية في نظره كانت ترجح الطريق المباشر ، أي احتمال لأن يؤدي استعمال هذا الطريق الى نشر الحضارة بين العرب وتعزيز فرص التجارة وتدعيم موقف الباشا في العراق عن طريق تشجيع

(١) حياة شيزنى ص ٢٢٣ - ٢٥٣ تأليف لين بول وأما بالنسبة لمذكرة

كاننج فيمكن الرجوع الى ص ٢٧٢ من الكتاب .

السكان والباشا على الدفاع عن دجلة والفرات لانهما بوضعهما الحالى يمثلان هدفا سهلا لآى غزو من الشمال (١) .

فبالإضافة الى المزايا التجارية والدفاعية ضد أى غزو محتمل ، فان خط الفرات على حد تعبير شيزنى سوف يوسع من الاتصالات بفارس سواء من فارس أو من انجلترا عن طريق انشاء خط المواصلات اما من طهران أو تبريزا الى الفالوجة أو مقدم (٢) وكلا الخطين على أساس المستعجل حيث يتم نقل الرسائل خلال سبعة أيام وهكذا فبدلا من أن تتخلف الرسائل وتسلم الى الفالوجة ، فانها سوف تصل الى البعثة فى بومباى خلال ٢٠ أو ٢٢ يوما ، ثم تسلم الى الرئاسة فى ١٧ يوما ، كما تنقل من فارس الى فلموث خلال ٣٤ يوما وفى العودى خلال ٣٢ يوما (٣) .

ولعل نقطة الضعف الكبرى بالنسبة لطريق الفرات كما اعترف شيزنى هى غارات القبائل العربية غير أنه كان واثقا من الاحتكام التدريجى بالأوربيين سيحمل القبائل الى التصرف بأسلوب أكثر حضارة ومدنية ، ان هذا ليس هو الوقت لمناقشة ما هو فى مقدورنا أن نقوم به ، وأن نحققه بغير تكاليف ، وذلك باتباع الخطط القانونية لدعم نفوذ الباشا فى بلاد ما بين النهرين ، وأن نشجع الوالى على تنظيم وسائل الدفاع عن البلاد على نطاق واسع ، وعلى الأخص المداخل الحصينة للنهرين ، اللذين نستطيع نحن

(١) مجموعة التقارير حول الملاحى فى الفرات اعداد أف . آر . شيزنى

١٨٣١ - ١٨٣٣ .

(٢) كلتا المنطقتين تقع على نهر الفرات بالقرب من بغداد .

(٣) تقارير شيزنى .

تعزيرها ودعمها عند الضرورة ، وذلك بإرسال الجيوش الجرارة الى مداخلها ، وبالتالي فينبغى أن نلاحظ أنه اذا كانت المواصلات البخارية عن طريق البلاد العربية سوف تدعم من نفوذها في تلك البلاد فان ذلك يشجعنا ويقوى من عزيمتنا لمواجهة مصاعب طريق الفرات وبالتالي نفضل طريق مصر والباهظ للتكاليف في نفس الوقت ، أما الى أى حد كانت تلك الآراء هي آراء شيزنى وحده والى أى حد كانت آراء غيره في الموضوع ، فمن الصعب أن نحدد ذلك فلقد تم اطلاق باركر بآراء شيزنى عن طريق قائمة الاستفسارات التى سلمها اليه باركر فى الاسكندرية كما أنه أعجب جدا بشخصية بيكوك عندما التقى به فيما بعد فى وزارة شئون الهند (١) كما ان جى . ديليو . فارين الذى كان قد عين قنصلا عاما فى سوريا فى بداية عام ١٨٣١ والذى التقى به شيزنى كثيرا فى تنقلاته ، كان من أشد المتحمسين لافتتاح طريق القرات . وعندما كتب فارين الى شارلس جرانت رئيس مجلس الهند فى شهر يناير ١٨٣١ يطلب تعيينه وكيلا لشركة الهند الشرقية فى سوريا حاول اقناع الأخير أن تطوير طريق البحر الأحمر لن يخدم مصالح الشركة «ان الاقطار الواقعة حواله أقطار متخلفة وغير منتجة ، ولا ترحب بوجود مثل هذه المشروعات فى مناطقها وعلى العموم فان الطريق الى الهند الذى لا تعتبره الشركة مشروعا سياسيا وتجاريا مرتبط بهذه الاجراء .. (٢) كما صرح

(١) (لقد اكتشفت انه كان عميق الاطلاع بالتاريخ القديم للفرات) هذا ما سجله شيزنى فى مذكراته يوم ١/١/١٨٣٣ وأنه كان أول من دفع بهذا المشروع الى حيز الوجود ، لين بول ص ٢٦١ .

(٢) مسودات المجلس ومختارات وتقارير للهند مجلد ٨ . مسودة الى الحاكم العام ١٨٣١/٣/١٤ (رقم ٢٢٩) ومرفق نسخة من خطاب فارين الى جرانت ١٨٣١/١/٢٦ .

فارين بأنه بالمقارنة الى الخط الثاني فان الخط الأول لن يتم الا بتطوير الملاحة البخارية عن طريق سوريا والعراق .»

« ستقوم شركة الهند الشرقية بالتوجيه والاشراف على الخط الأول من أوروبا الى آسيا الغربية ومع المناطق الواقعة على هذا الطريق التي يتطلب بحث موضوعها ، وكذلك فان الامر البالغ الأهمية للشركة هو أنها ستعالج الموضوعات الخاصة التي تتصل بجميع علاقاتنا ومصالحنا مع فارس وما يتصل منها بمراسلات الحكومة الهندية معها ومع مجلس الإدارة وكذلك مع كل من تبريز وطهران وبغداد واصفهان والبصرة وبوشهر » (١) .

وقد دعا شيزنى الى نفس الرأى ولكنه ربما كان مستقلاً فى رأيه هذا، وقد كون آراءه هذه عن مزايأ طريق الفرات فى وقت مبكر ، كما عاد فأدخل تعديلات عليها . وفى أواخر عام ١٨٣١ كتب الكابتن جى . ان . ار . كامبل القائم بالأعمال البريطانى فى فارس الى اللجنة السرية بعبارة شيزنى له فى تبريز، ومما جاء فى رسالته (من الفوائد الكثيرة التى قد تنجم عن اقيام اتصالات عادية مع السكان العرب فى هذه المنطقة هي احتمال تحقيق نفوذاً سياسى قد يكون بمثابة توازن ضد أى أطماع تبيتها روسيا تجاه العراق) .

وصل تقرير شيزنى الى مجلس الهند فى وقت كان أعضاء المجلس يساورهم قلق شديد حول تدهور النفوذ البريطانى فى الإقطار الواقعة بين منطقة البحر الأبيض المتوسط وبحر قزوين والحدود الشمالية الغربية

(١) نفس المصدر .

(٢) فارس والخليج مجلد ٤٦ من كامبل للجنة السرية ١٨٣١/١٢/٢٢ .

للهند البريطانية ، وبناء على إيعاز من جرائت قدمت مذكرات عديدة الى المجلس خلال عام ١٨٣٢ وفي الشهور الأولى من عام ١٨٣٣ وقد جاءت تلك المذكرات من السياسيين البريطانيين الذين يعملون في تلك الاقطار ومن بينهم السير هنرى وبلوك والسير جور أوزلى والمستر (السير فيما بعد) هنرى اليس وكافة الوزراء المفوضين والقائمين بالأعمال في طهران والكابتن (السير فيما بعد) جون كامبل مساعد المشرف على المفوضية البريطانية في فارس ، والميجور دافيد ويلسون المقيم السياسى البريطانى فى الخليج أخيراً والميجور روبرت تايلور المقيم في بغداد (١) وأن جميع هؤلاء السياسيين بدون استثناء أكدوا على أن الخطر الكامن على النفوذ البريطانى فى الهند هو ازاء التوسع الروسى فى آسيا وبنوع خاص فى فارس وذلك منذ الحملة على كينفا عام ١٨٢٠ وقد نبه كل من أوزلى واليس وكامبل الى أن أى توسع جديد يأتى من جانب الروس لابد من التصدى له عن طريق تطبيق السياسة التى زسها الينبورو تجاه فارس بعد معاهدة تركمان شاي ، أى تقديم الاموال والأسلحة والضباط الذين يحتاج اليهم جيش فارس حتى يصل الى مستوى يمكنه من مقاومة الروس (٢) . أما اليس فقد كان يرغب بالاضافة الى هذه الاجراءات إعادة البنود الملغاة الى المعاهدة المذكورة ، أما ويلوك فقد

(١) انظر فارس والخليج مجلد ٤٨. (والمذكرة المتعلقة بفارس التى اعدتها فى الدرجة الأولى المستر اليس وذلك بشأن اتخاذ بعض الاجراءات الحاسمة فيما يتعلق بالمعاهدة مع تلك الدولة كنتيجة لالغاء البند الثالث والرابع من معاهدة طهران الموقعة فى نوفمبر عام ١٨١٤) .

(٢) مذكرة ويزلى ومذكرات اليس ٤/٢١ ، ١٨٣٢/٦/١٤ أما الاطلاع على رأى كامبل فيمكن الرجوع الى تقريره رقم ٢٨ (السرى) المؤرخ ١٨٣٢/٩/٤ وقد جاء فى المجلد ٤٧ من نفس الحلقة .

كان يرى من ناحية أخرى أن الخطر الحقيقي لا يكمن فى الضغط الروسى على فارس ، بقدر ما يكمن فى أطماع الروس الى استعمار المنطقة الواقعة شرق بحر قزوين (ذلك أن احتلال تلك المنطقة يحرم فارس فورا من التمكن من صد التوسع الروسى صوب الهند ويتعين علينا ألا نعلق أهمية كبرى على تحالفنا مع الشاه وأن نبحث عن إيجاد سبل لاثارة أفغانستان وحكامها لانشاء خط دفاعى ضد الخطر الروسى (١) وعلى أى حال فقد كان الرأى الأرجح هو الذى ينادى بدعم فارس ، وتأسيسا على ذلك فقد اضطر الملك وليم الرابع نفسه بأن يتدخل فى المحادثات فى شهر يونيه ١٨٣٠ حيث صرح جلالته .. (اننى من المؤيدين بشكل قاطع بتعزيز الاتصالات مع فارس والحفاظ على الاسلوب الودى كوسيلة لتقوية وتعزيز نفوذنا هناك ولاحياط محاولات روسيا لفرض نفوذها على فارس (٢) وكان تايلور هو الوحيد من بين الذين اعدوا المذكرة فى بغداد الذى نبه الى الأوضاع المهتزة للامبراطورية العثمانية فى آسيا وضعف وسائل الدفاع فى كل من العراق والخليج الفارسى .

وكان جرانت وغيره من أعضاء المجلس واثقين من أن الزحف الروسى الى الهند لو قدر له أن يتبلور فانه سيأتى عن طريق فارس وليس عن طريق العراق والخليج ، وبالتالي فان الامبراطورية العثمانية على أى حال هى موضع اهتمام وزارة الخارجية البريطانية وليس مجلس الهند ، فضلا عن ذلك فان زملاء تايلور كانوا يعتقدون انه ليس جديرا بالحكم على تطورات الأحداث ، فمنذ اندلاع الحرب الروسية التركية ظل يوجه تحذيراته الى

(١) مذكرة ويلوك ١٨٣٢/٣/٦ .

(٢) مذكرة الملك وليم الرابع قصر وندسور ١٨٣٢/٧/١٦ .

الحكومة الهندية عن هجوم روسى وشيك الوقوع على العراق يتبعه زحف القوات الروسية الى الهند عن طريق البصرة وبوشهر ، وانه فى عام ١٨٣٠ وضع تايلور رؤساءه فى موقف حرج جدا بتأييده داود باشا آخر حكام المماليك فى العراق والذي كان السلطان التركى قد أمر بخلع (١) من منصبه وكان تايلور فى ذلك الوقت يعتقد بقرب انهيار الامبراطورية العثمانية بسبب الانحلال الداخلى الذى كان يسرى فيها، وبأن روسيا التى كانت تراقب الموقف سوف تتحرك لتتمركز على حدود الهند، ولاحياط هذه الخطة دعا تايلور الى اقامة دولة مستقلة فى العراق تحت حكم داود باشا تعمل كمنطقة عازلة بين روسيا والخليج (٢) غير أن خطة تايلور لم تكتسب تأييدا فى الهند ولا فى انجلترا وقيل له بأن العراق جزء لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية وأن السياسة البريطانية تسعى الى الاحتفاظ بالامبراطورية ، كما أبلغ تايلور بالآل يحاول أن يزج نفسه فى مسائل هى من إختصاص السفير البريطانى فى تركيا (٣). أما النقاط التى كان مجلس الهند على استعداد للموافقة

(١) انظر سجل الرسائل السرية لبومباى مجلد ٦ من الحاكم الى اللجنة السرية فى ١٧/١٠/١٨٣١ - (رقم ٤ الادارة السرية) .
(٢) كان مالكولم قد تقدم بخطة مماثلة فى عام ١٨٠٧ .

(٣) مسودات المجلس ، التقاير السرية للهند مجلد ٨ مسودة الى الحاكم بومباى ١/٧/١٨٣١ (رقم ٢٣٧) ٠٠ (وقد علق اليس فى خطاب له الى جرانت بعد اطلاعه على بعض التقارير التى كان يبعث بها تايلور أن شيئا فى جو بغداد والبصرة يكسب جميع ممثلى الشركة هناك عقلية دبلوماسية (فارس والخليج) مجلد ٤٨ من اليس الى جرانت بولون
١٨٣٣/٩/٣

على مقترحات تايلور فهي اقتراحه ايفاد ضباط بريطانيين للعراق للقيام بتدريب جنود الباشا، وبالفعل أرسلت تعليمات بهذا الشأن الى الهند في شهر يوليو ١٨٣٢ غير أن ظهور وباء الطاعون في العراق حال دون سفر الضباط من الهند (١) ومهما كان تصور جرانت وزملائه لكفاءة تايلور وبعد نظره فقد كانت الامبراطورية العثمانية عام ١٨٣٢. أقرب الى الانهيار والتمزق من حكومة فارس . أما النقطة التي أساء تايلور تقديرها فيما يتعلق بهذا الموضوع فهي اعتقاده بأن تكون روسيا هي السبب في انهيار الحكومة التركية ، وفي الواقع فقد كانت سياسة روسيا تجاه تركيا بعد إبرام معاهدة أدريان بول سياسة تتسم بالحدري . وكان القيصر نيكولاس الاول يعتقد بأن سقوط الامبراطورية العثمانية لن يكون في صالح روسيا ، فان حدث هذا فقد تضم النمسا أقاليم بوسينا، وألبانيا، ومنتجرو كما قد تستولى على مصر وتستولى بريطانيا على جزيرتي بحر ايجة وكريت ، وقد تصبح القسطنطينية ميناء حراً ويصبح البحر الأسود مفتوحاً أمام السفن البريطانية والفرنسية . والنتيجة من كل ذلك أن تصبح روسيا محاطة بثلاث دول قوية بدلا من دولة واحدة ضعيفة ، وبالتالي فان تمركز النفوذ العثماني في آسيا يهدد روسيا في منطقة القوقاز . وهكذا فمند عقدت معاهدة ادريان بول التزم الروس بسياسة الحدري متحاشين أي خطوة قد تعجل بانهيار النفوذ العثماني وبأن ما كانت تأمل روسيا في الحصول عليه من تركيا سوف يتحقق لها بالتدريج بدلا من أن تسعى للحصول عليه بالقوة .

(١) فارس والخليج مجلد ٥. مذكرة حول السياسة البريطانية في تركيا العربية اعداد وليم كامبل (رئيس كتاب مجلس الهند) ١٨٣٤/٦/٢
انجلترا والشرق الأدنى تأليف اتشه دبليو فيه تمبل لندن ١٩٣٦ ص ٥٧ - ٥٨ .

وعليه فان التهديد الذي كانت تتعرض له الامبراطورية العثمانية لم يكن ينطلق من الشمال ، وانما كان ينطلق من الجنوب من جانب محمد علي باشا في مصر ، فلقد كانت عيون الوالى مصوبة بشراهة على سوريا منذ وقت طويل وكان يعتقد فى البداية انه سوف يحصل على سوريا كمكافأة للقضاء على الوهابيين . وعندما خاب هذا الأمل تصور محمد علي بأنه سوف يحقق ما كان يسعى اليه عن طريق قمع التمرد اليونانى فى موريا الذى وقع بين عام ١٨٢٥ - ١٨٢٧ ، ومرة أخرى خاب أمله ، ولهذا فقد عقد العزم فى خريف عام ١٨٣١ ان يحقق بالقوة ما عجز عن تحقيقه بالوسائل السلمية . وفى أكتوبر ١٨٣١ أمر نجله ابراهيم باشا بأن يزحف على الحدود الفلسطينية ويستولى على النقب بعد أن لفق زعماً بأن اهانة قد وجهت اليه من والى دمشق . وقد أبلغ محمد علي باشا الباب العالى بأنه على استعداد لسحب قواته من سوريا فى مقابل تعيين نجله ابراهيم باشا والياً على دمشق والنقب . غير أن السلطان محمود الثانى اعتبر ابراهيم باشا شخصاً متمرداً ، وقام بإرسال جيش الى سوريا لقمع قوات ابراهيم باشا . غير أن النقب سقطت فى يد ابراهيم باشا فى شهر مايو ١٨٣٢ ، ثم بعد شهرين أصيبت القوات التركية فى حمص وحلب بهزيمة ساحقة ، كما أصيب الجيش الآخر الذى أرسله السلطان محمود بهزيمة مماثلة ، وذلك فى معركة كينه فى يوم ٢١ ديسمبر وهكذا أصبحت سوريا كلها خاضعة لابراهيم باشا ، بينما أخذت بعض عناصر من جيشه تتقدم نحو الأناضول الغربى حتى وصلت فى تقدمها منطلقاً برصه .

فى بداية نوفمبر وجه محمود الثانى نداء الى كل من بريطانيا وفرنسا للمطالبة بمساعدة بحرية لمواجهة محمد علي باشا ، غير أن الدولتين رفضتا

الطلب . والواقع أن رفض بريطانيا كان مثيرا للدهشة ، والذي يمكن استنتاجه من هذا الموقف هو أن البرلمان البريطاني في ذلك الوقت كان مشغولا طوال عام ١٨٣٢ بالمناقشات الدائرة حول القوانين الإصلاحية ، كما كان بالمرستون نفسه مشغولا بمشكلكتى بلجيكا وهولندا ، ولهذا لم يستطع أن يوجه اهتمامه الى موضوع التوسع الروسى فى آسيا ، كما لم يكن يهتم بمصير الامبراطورية العثمانية أو بأطماع والى مصر (١) خصوصا وأن هذه الأطماع كانت معروفة من قبل ، ففي شهر مارس ١٨٣٠ اقترح محمد على باشا على ارنست باركر فى أن مساعدة بريطانيا له سوف تساعد على الحفاظ على الامبراطورية العثمانية تجاه الأطماع الروسية ، وقال له فى هذا الصدد ، (وبمساعدتكم لى سوف يكون لدى السلطان جيش نظامى مكون من ١٢٥ ألف مقاتل ومستعد لاقامة سد منيع ضد روسيا سواء فى تركيا أو فى فارس ، لأن فارس هى الميدان الذى يتعين على بريطانيا أن تواجه فيه روسيا (٢) ، لقد طرح الوالى نفس الاقتراح على مالكولم فى يناير التالى ، عندما كان مالكولم فى طريقه الى انجلترا فى نهاية فترة عمله كحاكم لبومباى ، وقد قال محمد على لمالكولم أثناء اللقاء بأنه من الأهمية بمكان أن يكون لبريطانيا دولة صديقة تقع حدودها بين أوروبا والهند ، وأن مصر تعتبر تلك الدولة ، خصوصا وأن مصر خلال حكم محمد على قد قطعت أشواطاً واسعة فى طريق التقدم ، الأمر الذى ساعد بريطانيا على تأمين طريق

(١) انظر السياسة الخارجية فى عهد بالمرستون ، ١٨٣٠ - ١٨٤١

المجلدين طبعة لندن ١٨٥١ تاليف السير شارلس ويستو .

(٢) من باركر الى ابردين ١٨٣٠/٣/٨ وقد استقى منه دودويل فى

كتابه « مؤسس مصر الحديثة » ص ١٠٥ .

المواصلات الى الهند ، وان انهيار الامبراطورية العثمانية في أوروبا أصبح حقيقة مؤكدة وقريبة ، وبالتالي فان من مصلحة بريطانيا أن تؤمن نفسها ضد أى خطر قد ينجم عن التوسع الروسى فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وذلك باتخاذ الاجراءات الضرورية بالنسبة للأقاليم الآسيوية للامبراطورية العثمانية ، وقال محمد على بأن هذه أمور لا تحتاج الى شرح من جانبه ، وقد قال مالكولم فيما بعد بأنه قد اتضح له من حديث محمد على باشا بأنه كان يأمل فى الحصول على تأكيدات من جانب بريطانيا باستعدادها للموافقة على توسعات محمد على باشا (١) وقد أثبت سير الأحداث فى بلاد الشام فى صيف ١٨٣٢ بما لا يدع مجالاً للشك بأن الوالى كان مصمماً على المضى فى تحقيق أهدافه حتى ولو كان ذلك على حساب الامبراطورية العثمانية ، ورغم ذلك فان جميع تلك الأحداث لم تثر اهتمامات بالمرستون ، رغم أنه كان يطلع عليها من التقارير التى كان يبعث بها اليه كل من باركر وقارين ، وكان يكتفى بتحويل تلك التقارير الى مجلس الهند (٢) حيث كان يطلع عليها هنرى اليس لأنها كانت تعبر عن خطر حقيقى على المصالح البريطانية . وفى نهاية العام بعث اليس بمذكرة الى بالمرستون وذلك فى الأسبوع الأول من شهر يناير ١٨٣٣ أى بعد فترة لا تزيد على ثلاثة أسابيع من وصول مذكرة استرادفورد كاننج حول أوضاع الامبراطورية العثمانية ، بالإضافة الى تقرير شيزنى حول الملاحه فى الفرات ، غير أن تلك التقارير الثلاثة أثارت ثائرة بالمرستون ، فلقد كشف تقرير كاننج عن حقائق صارخة ، فقد قال كاننج

(١) حياة مالكولم فصل ٢ ص ٥٥٧ تأليف كى .

(٢) بالمرستون وأزمة بلاد الشام ١٨٣٢ بقلم ام . فريت فى مجلة

التاريخ الحديث ص ١٤٢ - ١٤٧ .

فى تقريره : أن الامبراطورية العثمانية قد وصلت فى انهيارها الى مفترق الطريقين فاما أن تهب من جديد وتبدأ مسيرة من الازدهار أو تتساقط وتهوى الى منحدرات الانحلال والتدهور (١) ان هذه الامبراطورية قد أخذت تتدهور على يد محمد على باشا ، وأن استقلال الأسرة العثمانية الحاكمة أصبح الآن فى كفة القدر ، ولو سمح محمد على باشا بأن يمضى فى خطه فمعناه أن تركع هذه الامبراطورية تحت أقدام روسيا . ويقول كاننج بأن مصر هذه الامبراطورية مسألة تهمة بريطانيا العظمى لأنها سوف تؤثر على مصالحها التجارية مع الهند الشرقية حتى ولو لم تكن هناك علاقة بالمحافظة على نعوذها النسبى فى أوروبا . لقد كان الخطر على حد رأى كاننج كبيرا جدا بحيث أنه طالب بشن هجوم فورى على مصر تشترك فيه بريطانيا وتركيا لمنع ذلك الخطر ، وأضاف كاننج فى مذكرته يقول : لينجح محمد على فى تدوين دولة مستقلة الأمر الذى سيتبعه تفتيت الامبراطورية العثمانية (٢) .

وقد أفاض هنرى آليس فى ذكر النتائج التى سوف تنجم من مضى

(١) من كاننج الى بالمرستون باريس ١٨٣٢/١٢/١٩ .

(٢) نفس المصدر . فى المذكرة بعض التعليقات المؤثر عليها بالقلم

الرصاص الأمر الذى يدل على أن الذى كتب التأشير لم يكن مقتنعا بقوة رأى كاننج والمعروف عموما ان تلك التعليقات هى تعليقات بالمرستون ويستنتج من ذلك أن بالمرستون كان مترددا فيما اذا كان يساعد السلطان أو يترك محمد على باشا يبتلعه غير ان الدكتور فريت يتحدى هذا الرأى على أساس أن الكتابة ليست بخط بالمرستون ويرى أنها من المحتمل أن تكون الكتابة بخط اللورد هولاند ، وقد يكون (وكان هولاند عدوا لتركيا طوال حياته) هذا صحيحا وان رأى فريت بان بالمرستون لم يكن فى الواقع فى حيرة بقدر ما كان يجهل الظروف التى حملت محمد على باشا على ضم سوريا وهو الرأى الاقرب الى الصحة من الرأى الثانى .

محمد علي باشا في تحقيق أطماعه في آسيا دون ردع (١) وقد استهل
تقريره في تلخيص الآراء التي كان ينادى بها الوالي في ذلك الوقت لاقناع
الحكومة البريطانية بان امتداد سلطته سوف يكون في مصلحة الطرفين .
وكانت حجته كالآتي :

ان قيام دولة اسلامية تسعى الى اكتساب خيرة الدول الأربعة فيما
يختص بالتجارة والسلاح ، ويشمل نفوذها سوريا وبلاد ما بين النهرين ،
وتتمتع بإمكانيات بلد كمصر سوف يضع حدا للأطماع الروسية في الاقاليم
الآسيوية للباب العالي وبانشاء هذه الدولة ويكون بها علاقات للدفاع المشترك
مع حكومة الشاه سيجعل في مقدورها أن تقدم مساعدات فعالة لشاه فارس
ضد الاعتداءات الروسية ، وبالتالي تحبط خططها لغزو الهند ، والخلاصة
أنه لو نفذت خطة محمد علي باشا فسوف يتمخض عنها قيام حلف رباعي
يضم السلطان التركي أولاً ، والوالي الجديد لمصر وسوريا والعراق ثانياً
وشاه فارس ثالثاً والحكومة البريطانية بوصفها الدولة المسيطرة على الهند
رابعا ، وذلك بهدف اقامة دفاع مشترك في الأقطار الآسيوية الخاضعة لهم
ضد روسيا (٢) .

(١) لقد تم طبع المذكرة بكاملها في الملحق الأول للكتاب أما النسخة
الأصلية فهي في وزارة الخارجية البريطانية وتحمل رقم ٧٨٢٣٣ في
١٨٣٣/١/٩ كما توجد نسخة غير مؤرخة في وزارة شؤون الهند (فارس
والخليج مجلد ٤٨) .

(٢) اليس يستقى من حديث دودويل الذي كان يعتقد بأن محمد علي
باشا كان في مقدوره أن يحقق هذا الحلم فهو اليوم يمثل القوة التقدمية
الحقيقية في العالم الإسلامي وانه يمكنه بمساعدة بريطانيا أن يؤسس في ظل
الخلافة العثمانية دولة على غرار دولة شركة الهند الشرقية في ظل
امبراطورية دلهي (مؤسس مصر الحديثة ص ١٠٦) .

— ٤٧٠ —

وعلى الرغم من أن مقترحات اليس كانت مقنعة الى حد كبير إلا أن اليس لم يكن مقتنعا بأن المصالح البريطانية سوف تتأثر بالفعل لو تم العمل بموجب هذه المقترحات :

وانى لأعتبره مبدأ بأن أقرر أنه ليس من مصلحة الدولة الأوربية الحاكمة فى الهند أن تقوم على أرض الغرات دولة اسلامية قوية ، اذ أنه من المحتمل جدا أن تتحد تلك الدولة مع روسيا لاقتسام فارس بنفس الصورة التى قد تتحد بها مع فارس لمقاومة الأطماع الروسية (١) كما أن أية دولة تنشأ فى هذه المنطقة سوف يمتد نفوذها بلا أدنى شك الى جميع أقطار شبه الجزيرة العربية ، وقد تصبح فى مدى قصر دولة بحرية هامة ، وان عدم وجود دولة كهذه فى الوقت الحاضر لهو خير ضامن ضد غزو الهند من جنوب نهر الاندس ، ان منطقة آسيا الوسطى بأسرها يمكن اعتبارها منطقة اسلامية وانها تشكل حلفا اسلاميا هدفه طرد الدولة المسيحية ، وهذا الكلام ليس وهما قلو توحدت كل ممالك الخليفة الاسلامى فى دولة وحدة قوية يتزعمها حكام طموح فانها ستصبح خطرا على المصالح الأوربية وعلى الرغم من أن الفرس ينتمون الى المذهب الشيعى وبقيّة السكان فى الأقطار الأخرى التى يضمها هذا الحلف من المذهب السنى فان هناك احساسا دينيا مشتركا بينها يدفعها الى الاتحاد مع بعضها البعض فى تلك المهمة المقدسة .

(١) ان التأشير بالقلم على هذا الموضوع يوجد فى النسخة التى تحتفظ بها وزارة الخارجية البريطانية فقط ويرى الدكتور جى . آتسه بولصوفر ان تلك التأشيرات يمكن أن تكون من وضع بالمرستون (انظر كتاب بريطانيا العظمى وروسيا والمسألة الشرقية) ١٨٣٨ - ١٨٤١ (النسخة الخطية لرسالة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن ١٩٣٣ الملحق رقم ١) .

وأضاف اليس يقول : بأنه لا مجال للانكار أن هذا المشروع سوف يوجد أيضا تحالفا ضد روسيا بهدف تحرير الاقاليم التى يقطنها المسلمون فى روسيا غير أنه من المحتمل ، وقد يتم ذلك سريعا ، أن قيام اتصالات مستمرة بين دولة بحرية فى العراق وسكان الهند والأرخبيل الشرقى قد يهمل أهل تلك البلاد أكثر مما يهتمهم من التحالف ضد روسيا .

وقد اختتم اليسر ملاحظاته بنقطة هامة : «هل سيستطيع ابراهيم باشا بأن يحتفظ بما حققه محمد على باشا أو بالأحرى هل سيحتفظ به الى الوقت الذى يخلفه فيه غيره سواء من أسرته أو من اختياره ؟ » .

وما لم توجد اجابة حاسمة لهذا السؤال فلن يكون من المصلحة لبريطانيا أن تقوم بتشجيع توسع سلطات محمد على لتشمل سوريا والعراق .

لقد تركت مقترحات اليس انطبعا سريعا على بالمرستون وهى انطباعات لم تفقد حداثتها كما سوف تثبت الأيام ذلك ، وفى نهاية يناير ١٨٣٣ أثبت بالمرستون آراءه حول المشكلة السورية فى الخطاب الذى وجهه الى اللورد جرانفيل حيث قال فيه : بأنه يجب المحافظة على الامبراطورية التركية ، كما ينبغى ارغام محمد على باشا بحصر نفوذه على مصر فقط ، لأن احتلال سوريا سوف يؤدى بالضرورة الى احتلال بغداد ، وان اقامة دولة واحدة من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد على باشا لن تفيد بريطانيا فى شىء ، أما السلطان التركى فسوف يزداد ضعفه فى مقاومة روسيا وأنه من المحتمل ان تتألب تلك الدولة مع الوالى للتحرش بفارس وذلك على حساب الوجود البريطانى فى الهند . ان تفتيت الامبراطورية العثمانية سوف يكون ثمنا باهظا لرسالة الحضارة التى ينوى محمد على باشا فى ادخالها على الاقاليم العربية للامبراطورية العثمانية (١٥٢٥)

ان الضرر الذى سوف ينجم عن هذا لمصالح دول أوروبا عن طريق وضع حكام تركيا الاوربية تحت مظلة الحماية الروسية سوف لا يتوافق مع الفوائد التى سوف تجنيها من وجود معاهد علمية فى هذه الاقطار ومن ضم سوريا والعراق الى حكم محمد على باشا (١) .

وقد أشار بالمرستون الى نفس النقاط فى خطاب بعث به الى شقيقه الوزير المفوض فى نابولى بعد ذلك بشهرين ، وحول تعليقه على الجهود التى يبذلها الفرنسيون لاجراء تسوية بين السلطان وواليه قال بالمرستون :

ان الشروط التى سوف تفرض على الباشا هى شروط معقولة طالما أن دمشق وحلب لا تنضم الى حكم محمد على وكذلك العراق ، وفوق ذلك فانه سوف يحتفظ بالولايات العراقية بمثل احتفاظه بمصر . ان هدفه هو انشاء مملكة عربية تضم جميع الاقطار التى لغتها العربية وقد لا يكون فى هذا أى ضرر فى حد ذاته ، اما اذا اشتمل هذا المشروع على تقسيم تركيا فاننا سوف نعارضه ، كما أن تركيا ليست أقل صلاحية لحماية الطرق الى الهند من أى حاكم عربى (٢) .

وعلى الرغم من تقدير بالمرستون للمشاكل التى كانت تنطوى عليها تحركات محمد على باشا الا أنه لم يكن يرغب أو بالأحرى لم يكن يستطيع أن يحمل البرلمان على اتخاذ قرار بالوقوف الى جانب السلطان العثمانى .

(١) « وثائق جزانفيل » رقم ٤١٥ من بالمرستون الى جرانفيل

١٨٣٣/١/٢٩ .

(٢) « حياة هنرى تمبل » الفايبكونت بالمرستون فى ثلاث مجلدات طبعة

لندن ١٨٧٠ - ١٨٧٤ . ص ١٤٥ . المجلد الثانى من بالمرستون الى وليام تمبل

١٨٣٣/٣/٢٤ .

ومن ناحية أخرى فشل محمود الثانى فى الحصول على تأييد من فرنسا ، وأخيرا بعد أن يئس اتجاهه الى روسيا . وعلى الرغم من أن قيصر روسيا كان يعنى تماما ما قد يسببه تدخله من قلق فى أوساط الدول الكبرى ، الا أنه كان يدرك فى نفس الوقت الأزمات الخطيرة التى سوف تنشأ فى الوضع الدولى فيما لو مضى محمد على باشا فى تنفيذ مخططاته حتى تصل قواته الى مشارف القسطنطينية ، وتأسيسا على ذلك فقد قرر القيصر الاستجابة لطلب محمود الثانى . وقبل نهاية شهر فبراير تحركت قوة من الأسطول الروسى ، ثم تبعتها وحدات من الجيش الروسى ، تحركت فى اتجاه الشاطئ الآسيوى للبوسفور . أما ابراهيم باشا فقد أوقف تقدمه وقرر التراجع عن الاناضول . وقد قامت كل من فرنسا والنمسا بمبادرة لتحقيق تسوية بين محمد على باشا والسلطان التركى ، على أساس انسحاب القوات الروسية من الأراضى التركية وبموجب الاتفاق الكتابى المعقود فى ١٨٣٣/٥/٦ وافق السلطان بأن يتنازل عن ولايتى سوريا وأطنة لمحمد على باشا وفى مقابل ذلك عاد الوالى فأكد ولاءه للسلطان العثمانى . وفى شهر يونيه انسحبت القوات الروسية وتبع هذا الانسحاب عقد معاهدة « هنكيار اكسليس » بين السلطان العثمانى وقيصر روسيا يوم ٨ يوليو ، وقد تعهد الطرفان بموجب تلك المعاهدة بالدفاع عن ممتلكات الطرفين ضد أى هجوم يقع عليها ، فقد تعهد القيصر بتقديم مساعدات للسلطان فى حالة وجود تهديد لاستقلاله ، بينما تعهد السلطان من ناحيته باغلاق مضيق البوسفور فى وجه السفن الأجنبية اذا اشتبكت روسيا فى أى حرب (١) وكانت مدة

(١) لتفسير هذا البند من المعاهدة انظر كيميا تأليف تمبرلى

هذه المعاهدة ثمانية أعوام ، وقد لاحظ بالمرستون أن المعاهدة المذكورة تعطي لروسيا الحق فى التدخل فى شئون الامبراطورية العثمانية كما أيقظت هذه الاتفاقية مخاوفه من الأطماع الروسية فى تركيا وأوجدت فى نفسه كراهية مستديمة لمحمد على باشا الذى كانت سياسته سببا فى اعطاء الروس الفرصة التى كانوا يبحثون عنها منذ زمن بعيد .

ولقد كان من غرائب الأزمة السورية لسنة ١٨٣٢ - ١٨٣٣ هو الحادثه التى بعث بها المندوب السامى النمساوى الى مصر فى شهر ابريل ١٨٣٣ ويطلب فيها وضع مواد التسوية بين محمد على والسلطان التركى وبموجب معلومات حصل عليها القنصل البريطانى العام فى مصر عن تلك الرسالة أن المندوب وهو الكولونيل بروكيش فون اوشتن ، أبدى تحمسا كبيرا فى محادثاته مع محمد على حول امكانية اقامة مملكة عربية تمتد حدودها من النوبة الى سوريا وتضم اقطار الخليج والعراق (١) ان اقامة مثل هذه المملكة كما ذكر اوشتن سوف يرفع من قيمة محمد على فى نظر العالم الإسلامى للانتقام من السلاطين العثمانيين فهو الرجل الذى قيضه الله لرفع شأن المسلمين . وبالتالي كان يجب البدء فى مفاوضة والى بغداد ورؤساء قبائل الضفة الغربية للفرات بعدم معارضة البريطانيين فى محاولاتهم لتتقارب مع الحكام فى منطقة المحيط الهندى والخليج (٢) .

(١) موضوع رقم ٣٠٤٣/٧٨ وزارة الخارجية من الكولونيل بى . كمبل (القنصل العام) الى بالمرستون القاهرة ١٨٣٨/١١/٢٧ (رقم ٧٨) ومرفق للملخص المحادثات بتاريخ ١٨٣٣/٥/١٧ الاسكندرية .

(٢) من الكولونيل كمبل (القنصل العام) الى بالمرستون القاهرة ١٨٣٨/١١/٢٧ (رقم ٧٨) ومرفق معه ملخص للمحادثات الاسكندرية . ١٨٣٣/٥/١٧

غير أن محمد على لم يكن فى حاجة الى تشجيع فون اوشتن ، وقد كان يعرف كل المعرفة الاتجاه الذى كانت تسير فيه أطماعه بعد استيلائه على سوريا ، ولم يكن محمد على باشا يفكر بصورة جدية أن يكون خليفة للمسلمين ، صحيح أنه قد فكر فى هذا الموضوع قبل خمسة عشر عاما أثر هزيمة الوهابيين وتحرير الأماكن المقدسة ، غير أنه سرعان ما صرف النظر عنها (١) غير أن محادثة فون اوشتن قد تثير الفضول وقد يكون لها علاقة وان كانت واهية بتحركات محمد على القادمة .

فى أواخر عام ١٨٣٣ أوفد مبعوثا سريا يدعى سيد خالد افندى الى بغداد عن طريق الخليج وقد زار المبعوث فى طريقه بوشهر فى مارس ١٨٣٤ ، وهناك أبلغ المقيم البريطانى بأنه يحمل رسائل من محمد على باشا الى سلطان مسقط وأمير شيراز ومشايخ المنتفك وقبائل بنى كعب سكان شط العرب والعراق الأسفل ، وقال المبعوث للمقيم بأن محمد على باشا قد فوض من جانب الباب العالى للتحدث باسم بغداد وسواحل وجزر الخليج التى كانت أصلا خاضعة للنفوذ العثمانى ابتداء من عام ١٢٥٠ بعد الهجرة (١٨٣٥/٤/٢٨) وأن على باشا والى بغداد قد اطلع على هذه الخطة وأنه وافق عليها وقد بعث تايلور المقيم السياسى فى بغداد يومئذ بتقرير عن مهمة سيد خالد افندى الى القنصل البريطانى العام فى مصر الكولونيل ناترك كامبل وقام هذا بدوره فى يونيه ١٨٣٤ بالاتصال بمحمد على باشا للاستفسار عن الموضوع وعن رأيه عموما بالنسبة للوضع فى بغداد ، غير أن الوالى حاول أن يتنصل من الموضوع وقال لكامل بأنه من المعروف أن سكان بغداد

(١) من كميل الى المرستون بالاسكندرية ١٨٣٣/١٠/١ (رقم ٦٩

سرى) انظر أيضا تمبرلى ص ٤١٩ - ٤٢٢ .

متدمرون جدا من الحكم التركي ، وأنهم قاموا بالاتصال بواليه فى سوريا شريف بك يطلبون منه أن يتحرك للاستيلاء على بغداد بالنيابة عن الوالى ، أما محمد على باشا فلم يفكر فى شىء من هذا القبيل ، أما بالنسبة لسيد خالد فقد قال الوالى بان هذا من أتباع داود باشا والى بغداد السابق والموجود حاليا فى المنفى ، وأن المذكور قد تقدم الى الوالى يطلب العمل عنده ، ولكى يتخلص منه الوالى قام بارساله الى سلطان مسقط مزودا بخطاب توصية منه (١) .

غير أن كمبل لم يقتنع بتفسيرات محمد على لأن محمد على لم يتعود اعطاء خطابات توصية الى الاجانب دون أن يكون وراء ذلك هدف محدد وبالإضافة الى ذلك فقد كان هناك فى نفس ذلك الوقت مبعوث من السيد سعيد فى دار الوالى ، وان الوالى نفسه قد ذكر لكمبل أن السيد سعيد قد عاتبه على شراء سفن لحملته على اليمن فى الوقت الذى كان السيد سعيد على استعداد لأعارته تلك السفن ، ولهذا كان كمبل على يقين من أن سيد خالد قد توجه الى بغداد لأسباب هامة ، حتى ولو كان ذلك لجمع المعلومات عن البلاد، خصوصا وأن محمد على باشا كان يعرف الكثير عن التدمير الذى يسود سكان بغداد . وعلى الرغم من ادراك بالمرستون للأهمية الاستراتيجية لبغداد ادراكا تاما الا أنه كان مترددا لاتخاذ أى إجراء يهدف الى تدعيم الوجود البريطانى هناك ، لثلا يخلق لروسيا وفرنسا الفرصة للتدخل فى شئون الامبراطورية العثمانية وطوال عام ١٨٣٣ كان بالمرستون يتجنب مقابلة شيزنى حتى لا يشير تكهنات حول اعتزامه تبنى مشروع شيزنى الخاص بالملاحة

(١) مختارات المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٢ رقم (١) من كمبل الى بالمرستون ١٨٣٤/٦/٢٤ (رقم ٢٨) ومرفقاً لخطاب بالمرستون لجراند ١٨٣٤/٨/٢٩ .

البخارية عن طريق الفرات . وكان كل من حكومة الهند ومجلس الحاكم يشاطرون بالمرستون شكوكه بشأن التدخل البريطاني في العراق ، وكان رأى المجلس أن التدخل البريطاني سوف يضعف من نفوذ السلطان التركي ، وبالتالي يساهم في تقوية دعائم الامبراطورية ، كما أنه سوف يعطى الروس الحجة لاثارة موضوع معاهدة هنكيار اكسيس (١) أما حكومة الهند فقد كانت تعارض التدخل من زاوية أخرى فقد كانت هذه الحكومة تتوقع انهيار الامبراطورية التركية وبالتالي فانه سيكون من الأفضل في نظرها أن يحتلها محمد علي باشا بدلا من احتلال الروس لها (٢) وهكذا تركت بغداد لتلقى مصيرها المحتوم حتى منتصف عام ١٨٣٤ عندما أصبحت الأوضاع لا تحتمل السكوت ، ففساد الحكم في العراق قد دفع أهلها الى دعوة محمد علي باشا لاحتلالها ولانقاذ بغداد من ذلك المصير . وكان لابد من البحث عن طريقة لتدعيم الحكم التركي فيها داخليا دون اظهار ذلك التدخل ، وقد دعت تلك الامتبارات بالمرستون وزملاءه الى تغيير موقفهم من خطة شيزنى لارسال بعثة للتحقيق في صلاحية نهر الفرات للملاحة البخارية .

لقد عرضت هذه المسألة على البرلمان في شهر يونيه ١٨٣٤ ثم أحيلت الى لجنة منبثقة من مجلس العموم البريطاني وعهد اليها بالبحث في موضوع

(١) فارس والخليج مجلد ٥ . مذكرة كمبل ١٨٣٤/٧/٢ .

(٢) محادثات بومباي السياسية حلقة ٣٨٧ مجلده رقم ٢٢ في ١٨٣٤/٦/١١ من مكثائن (سكرتير حكومة الهند) الى السكرتير الاول لحكومة بومباي ١٨٣٤/٥/١٤ ويبدو أن هذا الرأى كان يسود أوساط المجلس في الهند . وقد أشار كمبل في مذكرته هذه بأن تايلور المقيم في بغداد كان يعتقد بأن الطريقة الوحيدة لإبعاد الروس عن العراق هي في قيام بريطانيا أو مصر باحتلالها وتضم المذكرة على هامشها تعليقا بالقلم الرصاص . ويبدو أن هذا التعليق كان بخط توماس ماكولى سكرتير المجلس .

الملاحه البخارية برمته . ولم يغيب عن أذهان المؤيدين لطريق الفرات النواحي
السياسية والاستراتيجية للمشروع ، وكان شيزنى فى مقدمتهم و من أكثرهم
معرفة بالمشروع كما أن الاهمية التى يوليها أعضاء اللجنة وتوصيات شيزنى
كانت تسمح للحكومة بتجاوز اعتراضات الذين كانوا يفضلون طريق البحر
الأحمر لأسباب عملية وسياسية (١) .

وقد ظل شيزنى يلح على هذا الموضوع منذ عودته الى انجلترا عام
١٨٣٢ غير أن اتصالاته ببيكوك قد هيات الفرصة لادخال بعض التعديلات على
المشروع (٢) بالنسبة لشيزنى كان طريق الفرات هو الطريق الأسهل والمحتمل
أن يسلكه الجيش الروسى لو فكر فى غزو الهند ، وعلى الرغم من وجود
حمنى طرق أخرى يمكن للروس أن يسلكوها للوصول الى الهند ، الا أن طريق
الفرات كان أقرب الطرق الى الهند ، فهناك غابات أرمينيا وفارس التى يمكن
للروس أن يصنعوا من أخشابها الصنادل اللازمة لنقل الجنود والمعدات ،
وخلال شهرين من العام أى من أبريل حتى نهاية ارتفاع منسوب المياه فى
الفرات أن يتمكن من نقل المعدات العسكرية والمدافع الثقيلة ، كما أنه يمكن
خلال ثمانية أشهر على الأقل من كل عام نقل المؤن فى مياه النهر بمنتهى
السهولة ، وأن أربعة الى خمسة أسابيع تكفى لنقل جيش بكامله الى شط

(١) انظر الطرق البريطانية الى الهند ص ١٥٤ - ١٥٥ تأليف هوكنز .

(٢) تضمنت هذه التعديلات فى المذكرة التى أعدها شيزنى وقدمها الى

مجلس الهند بتاريخ ٢٣/١٢/١٨٣٤ (انظر المراسلات السرية والسياسية

العامة للمجلس) مجلد ٣ .

العرب ، وهى منطقة تصلح لاقامة قاعدة بحرية (١) وأن أى جيش يملك قاعدة فى شط العرب يمكنه أن يزحف عبر ساحل الخليج حتى رأس جاسك التى تقع على بعد ٢٦٥ ميلا من حدود الهند ، وعلى هذا الأساس فانه يمكن لاي قوة عسكرية روسية أن تصل الى حدود الهند فى ظرف ثمانية أو عشرة أسابيع من خروجها من العراق ، فالأذا استطاع الروس أن يتحركوا على هذا الطريق فانهم سوف يغلقون خطوط الدفاع عن الهند ويصبح من المستحيل إيقاف الزحف الروسى من رأس جاسك ، ويمكنهم فى هذه الحالة أن يقوموا بنقل المعدات العسكرية فى مجموعات من القوارب بالقرب من المناطق الساحلية ، وإذا ما اعترضتهم أى قوة بحرية معادية فيمكنهم سحب تلك القوارب الى الشاطئ تحت حماية الجيش وقد ذكر شيزنى « بأنه اذا قدر للروس ان يستولوا على منطقة الفرات فسوف يكون فى مقدورهم الاشتباك معنا على حدود نهر الأندس أو يرابطون فى جاسك ليتقدموا منها تدريجيا الى الهند ، ولو حدث ذلك فانه سوف يؤثر على الروح المعنوية للجنود أمام سكان

(١) مقتبس من مذكرة شيزنى مؤرخة ١٨٣٤/١٢/٢٣ : (من القرنة عند تقاطع نهر دجلة والفرات الى الخليج لزيادة المسافة عن ١٠٤ أميال ويمكن اعتبار مجرى النهرين كميناء كبير تتوسطه البصرة ويتراوح عرض النهر من ٥٠٠ ياردة الى ميلين وعمقه من اربعة الى سبعة قامات وقد وصلت احدى السفن الى القرنة وأما السفن الأصغر فترسو مقابل البصرة (فى حدود ميلين) كما ترسو قريبا من المحمرة وهى ميناء ممتاز يقع عند تقاطع نهري قارون وشط العرب كما أن الضفاف والتربة القوية تصلح لإنشاء مراسى وبناء السفن واقامة مراكز بحرية على شط العرب كما يمكن تقوية جزره وضافه عن طريق اقامة بروج وبطاريات بحيث أن أى محاولة للسيطرة عليه فى منتهى الصعوبة . . .) .

— ٤٨٠ —

الهند ، فضلا عن النفقات التي ستتكبدها من جراء وضع قوة بحرية لمراقبة العدو ومرابطة مزيد من الجند على الحدود الشمالية الغربية لفارس (١) أما اذا اختارت بريطانيا أن تتمركزا في منطقة الفرات وانشاء أسطول من البواخر فانها سوف تسد الطريق الوحيد أمام الروس لغزو الهند وبالتالي ارغامهم على أن يسلكوا الطريق الشاق والخطر عبر فارس ، وبالإضافة الى كل ذلك نستطيع بريطانيا اذا اقتضى الأمر الحصول على امدادات عاجلة لقواتها في الهند وأن تقوم بنقل تلك الامدادات بسرعة من منطقة البحر الأبيض المتوسط عن طريق الفرات (٢) .

وقد أيد شيزنى في هذا الرأى عدد من أعضاء اللجنة الذين ادلوا بشهاداتهم أمام اللجنة حول هذا الموضوع ومن بين هؤلاء جون هاين ، مساعد المقيم البريطانى السابق فى بغداد والفتنانت كولونيل كوك بروك وبيكوك ، أما كول بروك الذى كان من الخبراء البريطانيين فى منطقة الخليج فانه يرى أن التحرك الروسى عن طريق الفرات أمر محتمل وان كان ذلك التحرك سوف يعتمد الى حد كبير على قوة أو ضعف الامكانيات البحرية البريطانية فى مياه الهند .

(١) بيانات ووثائق (١٨٣٤) مجلد ١٩ وثيقة ٤٧٨ تقرير اللجنة المنتخبة للنظر فى الملاحة البخارية للهند وتتضمن شهادة الكابتن شيزنى فى
١٨٣٤/٦/٩ .

(٢) الشهادة التى أدلى بها الكابتن شيزنى ١٨٣٤/٦/١١ وان فكرة ان نهر الفرات يصلح لنقل الجنود الى الهند يشاطر شيزنى فيها الكابتن الكسندر برنس (انظر حياة شيزنى ص ٢٦٨ ويشير الى فقرات من مذكرات شيزنى مؤرخة ١٨٣٤/٦/٩ تأليف لين بول .

ولم يختلف رأى بيكوك هذ المرة عن رأيه فى عام ١٨٢٩ رغم أنه أصبح مقتنعا بأن غزو الهند عن طريق الخليج لم يكن أقل احتمالا من غزوها عن طريق بحر قزوين . وبسؤاله عما اذا كان يتصور بأن هناك احتمالا لهجوم الروس على الهند من بحر قزوين عبر نهر الاكسس أكثر منه عن طريق الفرات والخليج حيث التفوق البحرى البريطانى أمر لا جدال فيه فأجاب : (ولكن التفوق فى البحر ليس طلسمًا فلابد من الاحتفاظ برقابة مستمرة على المنطقة وتوفير وحدات كافية من القوات للرقابة ، كما ذكر بأنه لا يجهل الخطر المحتمل من نهر الاكسس ، غير أن هناك خطرا محتملا لهجوم من العراق داو أستطيع لقمتم بايقاف الخطرين معا ، ثم دعا بيكوك الى البت بسرعة فى مشروع طريق الفرات قبل أن تقوم روسيا بدعم نفوذها هناك ، وهو الحلم (١) الذى كان يداعبها منذ زمن بعيد ، واختتم بيكوك شهادته بأن أكد على الأهمية البالغة لطريق الفرات بالنسبة لبريطانيا وقال : ان جميع مصالحنا وعلاقاتنا مع فارس وما يحتاج اليه التبادل التجارى مع بومباى انما يقع ضمن هذا الطريق وليس على طريق البحر الأحمر كما أتصور أن المصالح السياسية لهذه البلاد تتطلب أن تبقى روسيا بعيدة عن منطقة الخليج أكثر مما تبقى بعيدة عن منطقة البحر الأحمر ، حيث لا مصلحة لنا هناك فى إبعاد أى دولة عن منطقة البحر الأحمر (٢) .

(١) وقد علم شيزنى أن داود باشا قد تقدم بعرض خلال الحرب الروسية التركية بأن يضع الإقليم تحت سلطة الجنرال باسكفيتش القائد الروسى فى القوقاز (انظر مجموعة المجلس السياسية والسرية العمامة . مجلد ٣ .

(٢) تقرير اللجنة وشهادة بيكوك .

(٣١ - بريطانيا والخليج)

أما المعارضون لانشاء طريق الفرات والذين ادلوا بشهاداتهم أمام اللجنة منهم الأمير السسير بلتنى مالكولم (شقيق جون مالكولم) وجى . اس . باننجهام الرحالة البريطاني وعضو البرلمان وصاحب مجلة اورينتل هيرالد والكولونيل ستانوس المقيم السياسى البريطانى فى الخليج ، والسير هارفورد جونز المقيم البريطانى السابق فى بغداد والوزير المفوض فى فارس . أما جونز فقد استخف بفكرة احتمال قيام الروس بغزو الهند عن طريق الخليج وقال للجنة : اننى على استعداد لان أقدم لهم البصرة ، ولكن بأى طريقة سوف يصلون الى الهند وكيف يدخلون الخليج اذا لم يكونوا يتمتعون بتفوق فى القوة البحرية على الأسطول البريطانى ؟ واذا كان لروسيا أسطول أقوى من الأسطول البريطانى فى منطقة الرجاء الصالح فما الذى يضطرها الى دخول الهند عن طريق الفرات ؟ (١) وفى ١٤/٦/١٨٣٤

(١) تقرير اللجنة وشهادة جون بريدج هارفورد ١٨٣٤/٦/٢٧ وكان جون يتوقع وقوع هجوم على الهند عن طريق العراق وعندما كان فى بغداد فى أوائل القرن كان يعتقد ان نابليون كان يستطيع ان يقوم بمحاولة لغزو الهند عن طريق البحر الأحمر وذلك بالاستفادة بالمكانيات المصرية والبحرية أكثر مما كان يمكنه ان يقوم بالهجوم عن طريق البصرة وبوشهر ، كما حدد جونز منطقة استرا باد كقاعدة للانطلاق فى الهجوم على الهند وقد ظل جونز متمسكا برأيه هذا لمدة أربعين عاما وفى نشرة أصدرها جونز فى عام ١٨٣٨. خاطب الماركويس ويلسلى المصمم الأول لخط دفاعات الهند فى منطقة الشمال الغربى وجاء فى هذه النشرة حول الموضوع ما يلى : (خلال عملى هنا فقد تلقيت عددا من المشروعات من الدبلوماسيين الهنود الذين زاروا الخليج . . . وقد سئلت مرة وهى المرة الوحيدة التى سئلت فيها عن =

صدّرت اللجنة توصياتها وأكدت على سرعة انجاز خطوط الملاحة البخارية مع الهند عن طريق البحر الأحمر ، كما أوّست بايفاد بعثة لاختيار صلاحية نهر الفرات للملاحة البخارية وتخصيص اعتماد بمبلغ ٢٠ ألف جنيه استرليني (١) ، وفى ٨/١٤ وافق مجلس العموم البريطانى على توصيات اللجنة وكلف مجلس الهند بالاشراف على تشكيلها وأعمالها . وقد أحست الحكومة انها كلما أسرع فى تنفيذ هذا المشروع كما تضاعل أمل محمد على باشا فى التحرك الى العراق عن طريق الشام . وفى صيف ذلك العام كان اللورد بونسوبى السفير البريطانى فى القسطنطينية آنذاك يتوقع أن يتحرك محمد على الى الشام فى اى لحظة الى درجة انه كلف القنصل البريطانى فى بيروت ريتشارد وود بأن يقوم باستطلاع الأوضاع فى العراق وارسال تقرير اليه عن أى تحرك قد يقوم به المصريون فى اتجاه العراق لتنفيذ مشروع امبراطورية مستقلة فى شبه الجزيرة العربية ، وهو المشروع الذى كان يسعى اليه محمد على باشا (٢) وقد تأكّدت تكهنات السفير بونسوبى فى شهر سبتمبر عندما أفضى محمد على باشا الى قناصل

= احتمال غزو الروس للهند عن طريق دجلة والفرات وشط العرب والخليج ولعل اللورد ويلسلى يستطيع ان يتكهن عن طبيعة ردى على ذلك السؤال خطاب الى الماركويس ويلسلى بشأن المصالح والشئون البريطانية فى فارس
ضبعة لندن ١٨٣٨ (٥)

(١) التقرير ص ٣ - ٤ .

(٢) مذكرة وود فى أعماله وقد أشار اليها تمبرلى فى كتابه «كريميا»

بالمحقق رقم ١ من الكتاب .

الدول الأوروبية في الاسكندرية بنيته في اعلان انفصاله عن الباب العالى ،
ولكن بالمرستون حذره من تنفيذ هذ المشروع ، كما اتصل بجراند يحثه
على التعجيل في إنهاء الاستعدادات الخاصة بسفر البعثة الى العراق .

وفى نوفمبر استقالت وزارة ملبون وخلف بالمرستون فى وزارة
الخارجية ولنجتون ، بينما خلف جرانت فى الهند اليمبورو ، وعلى الرغم
من أن اليمبورو كان ميالا الى روسيا الا أنه لم يكن يجبد مشروع ارسال
البعثة الى العراق كما لم يكن يؤيد الأسس التى شكلت البعثة عليها ،
وبالتالى فقد حاول جهده بأن يوقف سفر البعثة . غير أنه لحسن حظ
شيزنى فشل الينبورو فى هذه المحاولة لانه عين رئيسا لتلك البعثة . وقد
كتب شيزنى خطابا الى والده بهذا الشأن قال له فيه : (عندما عدت
الليلة الماضية الى ليفربول وهو الميناء الذى ستغادر منه البعثة الى العراق
يوم ١٦/١/١٨٣٥ ، وخلال تغييبى صدر الامر للبعثة للإبحار الى بومباى ،
ولكن سرعان ما تفرقت ثم عادت واستأنفت رحلتها الى البحر الأبيض
المتوسط بأقصى سرعة ممكنة . . وقد انتهز اللورد آينبورو بعض المتاعب التى
صادفت البعثة فى تركيا لصرف النظر عن المشروع الذى كان يعتبره مشروعا
متطرفا ، كما كان يعتبرنى أنا صنيعا لأصحاب المشروع وأنى الشيطان
الذى سوف آقود البعثة الى الهلاك المحقق ، غير أن زملاء الينبورو فى البرلمان
انتقدوه على هذا الموقف من المشروع ، وفى مقدمتهم العضو ابردين . .)

غادرت البعثة الفرات ميناء ميناء ليفربول يوم ١٨٣٥/٢/٤ وكانت وجهتها الاولى خليج أنطاكيا حيث كان مقررا أن تنضم اليها السفينتان الصغيرتان دجلة والفرات ، ثم تعبر نهر ارنستوس وذلك قبل أن تبحر الى الفرات فى فصل الربيع عند ارتفاع المد . اما الباخرة دجلة فلم تتمكن من السير فى النهر بسبب التيار وبالتالي تقرر فك أجزائها ، وبعد ذلك بدأت الرحلة العملية الطويلة المضنية لنقلها وبقية السفن وغيرها الى الفرات . وعلى أية حال فانه مما يبعث على السخرية أن يعتمد نجاح مشروع الفرات على موقف ابراهيم باشا . وعلى هذا الأساس فقد تم اصدار مرسوم من السلطان فى شهر ديسمبر يصرح للبعثة فيه بمزاولة نشاطها فى الشام والعراق ويطالب ولاية الاقاليم المذكورة بتسهيل مهمة البعثة . غير أن المرسوم لم تكن له اية قيمة عند ابراهيم باشا أو عند محمد على باشا ، فبالنسبة لمحمد على باشا فقد كان ينظر الى موضوع البعثة بشيء من الاستياء ، وكان له عذره فى ذلك لأن نجاح المشروع البريطانى سوف ينال من أهمية مصر كطريق رئيسى الى الشرق ، كما أن وجود النفوذ البريطانى فى العراق سوف يقضى على أطماع محمد على فى العراق . وبالتالي فلم يكن من الغرابة فى شيء أن يبذل ابراهيم باشا كل ما فى وسعه لافشال مهمة البعثة ، ومن هذا المنطلق كان اللقاء فى الأهداف بين محمد على باشا والسفير الروسى فى القسطنطينية ، فقد بذل هذا السفير جهودا مستميتة فى شهر ديسمبر ١٨٣٤ لكى يحول بين السلطان واصدار ذلك المرسوم . وعندما فشل السفير « اوفر الى » القنصل العام لروسيا فى مصر بالاتفاق مع محمد على باشا على الوسائل التى يمكن بها احباط مهمة

شيزنى (١) وكان ابراهيم باشا قد نجح بالفعل فى عرقلة موضوع تزويد البعثة بالعمال والجمال وغيرها من وسائل النقل .

وكانت المعاكسات التى تعرضت لها البعثة منذ وصولها الى سوريا كثيرة بحيث لا يمكن أن نعتبرها قضاء وقدرًا . فوسائل النقل والبواخر التى كان شيزنى قد قدر بأن الحصول عليها لا يستغرق أكثر من شهر لم تتوفر قبل ربيع ١٨٣٥ ، كما عانت البعثة من الأمراض وعلى الأخص بين الاوربيين من أعضائها . وقد أضاف وصول الكونت موديم السفير الروسى فى تركيا الى المكان الذى ترابط فيه البعثة مشكلة جديدة ، لقد صادف هذا الوقت أن عاد بالمرستون كوزير للخارجية فى وزارة ملبورن الثانية ، وقد أبلغه بونسوبى بأنه لا شئ يمكن أن يضع حداً لمتأهب البعثة الا بصدور مرسوم خاص من محمد على باشا .

وحتى ذلك الوقت كان الباب العالى يرفض اصدار مثل هذا المرسوم حتى لا يفضب روسيا ، غير أن بالمرستون كان يتدمر من هذا الوضع ، وكان غاضبا على محمد على للدرجة أنه أخذ يفكر فى فرض حصار بحرى على الإسكندرية لارغام الوالى على تغيير موقفه (٢) غير أن وصول أنباء

(١) انظر خطاب بونسوبى الى بالمرستون ١٨٣٥/٦/٣٠ رقم ١١٦ وخطاب كامبل الى بالمرستون ١٨٣٥/٧/٣٠ (رقم ٢٦ وخطاب كامبل الى بالمرستون ١٨٣٥/٩/١٨ - وقد اشار الى هذا الخطاب الاخير بولصوفر فى كتابه « بريطانيا العظمى والمسألة الشرقية » ١٨٣٢ - ١٨٤١ ص ١٦٨ .

(٢) من بالمرستون الى كامبل ١٨٣٥/٦/٣٠ وقد اشار اليه بولصوفر بالصفا ١٧١ .

من كامبل لخضوع الوالى لاحتجاجات بالمرستون واصدار اوامره الى ابراهيم باشا بتقديم مساعداته الى شيزنى قد غير من هذا الموقف (١) .

وعلى الرغم من أن موقف ابراهيم باشا من المشروع البريطانى قد تحسن الا أنه هو ووالده محمد على باشا استمرا فى محاولتهما لعرقلة أعمال البعثة حتى ان السير جون هوب هاوس رئيس مجلس الهند آنذاك استاء من هذه التصرفات وطلب من بالمرستون : (بأن يلحق الاسكندرية درساً لن تنساه وقال له : بأنه لا يمكننى أن اتحمل الفشل فى مشروع خط الفرات بحجة أن هذا تدخل فى شئون العراق كما يتصور محمد على ونجله (٢) وقد حدث تغيير فى موقف الوالى مع بداية العام الجديد ، حتى ان ابراهيم باشا طلب من شيزنى بأن يرافقه فى جولته عبر الفرات ، غير أن شيزنى شك فى طلب الوالى . . وربما نصحه أصدقاؤه فى الشمال باتخاذ موقف مضاد من المشروع ولكن بما أنه لم يستطع ايقاف العمل فى المشروع ، وكان يتعين عليه أن يسهل عمل البعثة ، فقد أصبح الآن حريصاً او من دعاة شق الطرق وفتح القنوات (٣) ، أما شيزنى فكان واثقاً من أن الدافع وراء رغبة ابراهيم باشا فى مرافقة البعثة هو أنه كان ينوى القيام

(١) من كامبل الى بالمرستون فى ٢٦/٥/١٨٣٥ (رقم ١١٥) وقد اشار اليه بولصوفر بالصفحة ١٧١ .

(٢) من هوب هاوس الى بالمرستون ٢٩/١٢/١٨٣٥ وقد اشار اليه بولصوفر بالصفحة ١٨٤ .

(٣) متفرقات وزارة الخارجية مجلد ٨٣٣ من شيزنى الى هوب هاوس ٢٧/٢/١٨٣٦ .

بِهجوم مفاجيء على قبيلة عنزة فى بغداد والمنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية ، وكان يريد أن يتخذ من ذلك وسيلة لاختضاع تلك القبائل لطاعته ،

وقد يكون شيزنى مصيبا فى تكهناته هذه الى حد ما ، غير أن شيزنى فى تلك الفترة كان يعانى من حالة اضطراب وكانت نفسيته متوترة نتيجة المرض الذى كان يعانى منه والمعاكسات التى كان يتعرض لها كل يوم فى مهمته ، وكان قد مضى على وصوله الى الشام عام كامل ، ومع ذلك فلم يتمكن من القيام بجولته الاستطلاعية عبر الفرات ، كما كان يتعرض لانتقادات لاذعة فى انجلترا بسبب التأخير الذى تعرضت له البعثة فى برنامجها ، وحتى يوقف تلك الحملات عليه ، وافق زملاءه أعضاء البعثة على نشر بيانات فى الصحف والمجلات يتحدثون فيها عن متاعبهم ، مما كان له أسوأ الأثر لدى السلطات التركية والمصرية والسورية ، بالإضافة الى ردود الفعل التى أحدثتها تلك التصريحات فى الهند وانجلترا ، فقد سببت تلك البيانات احراجا لبالمستون وهوب هاوس اللذين اضطرا الى الدفاع عن البعثة فى البرلمان واقناع مجلس العموم وأعضاء مجلس ادارة الشركة بزيادة اعتمادات البعثة ، وكانت البعثة قد أنفقت المبالغ التى سبق أن خصصت لها كما كان مجلس العموم وأعضاء مجلس ادارة الشركة غير راغبين فى التصويت على اعتمادات أخرى لمشروع أصبح مصيره فى كفة الميزان ، غير أن هوب هاوس تمكن أخيرا من الحصول على جزء من المبلغ الاضافى المطلوب ومقداره ١٨ ألف جنيه استرلينى من أعضاء مجلس الادارة بعد أن تعهد لهم بأنه سوف يحمل البرلمان على الموافقة على اعتماد المبلغ الاضافى ، وفى يوم ١٨٣٦/٣/٣١ بعث هوب هاوس بتعليماته الى الكولونيل شيزنى يطلب منه التأكد من أن البعثة سوف تنتهى من

أعمالها في أواخر شهر يونيو ، وبعد ذلك يتعين على شيزنى ، اذا كانت الظروف مواتية ، أن يعبر الفرات بمجرد وصوله الى البصرة ، ثم يعود فيعبره للمرة الثانية الى الخليج ، فاذا تعذر هذا الاسلوب من الناحية العملية فيتعين على شيزنى أن يسافر الى بومباى بعد أن يكون قد أنهى العبور الاول للفرات ويقوم بتسليم السفن التي فى عهده الى الرئاسة(١) .

وقد أطلق شيزنى سفينته الاولى عبر الفرت يوم ٣/١٦ وأطلق السفينة الثانية بعد ذلك بوقت قصير ثم بدأت عملية العبور فى شهر مايو ، وفى يوم ٢١ مايو انقلبت السفينة دجلة فى النهر بعد أن هب عليها تيار هوائى وغرقت ومعها عشرون من طاقمها ، بما فيها شقيق مساعد ريان البعثة اللغتنانت لنش غير أن لنش استطاع هو وشيزنى أن يسبجا الى الشاطئ وعندما كانت السفينة الفرات تبحر بمفردها كادت أن تتحطم عند مستنقعات منطقة الملون الواقعة فى منتصف الطريق ، وفى يوم ١٠ يونيه وصلت الى البصرة حيث كان من المفروض أن يتزود رجال البعثة بالمؤن لرحلة العودة ، غير أنهم لم يجدوا شيئاً ، وبالتالي قرر شيزنى أن يسافر الى بوشهر اعتقاداً منه بأن المؤن قد تكون قد أرسلت الى بوشهر ، حيث كان يأمل اجراء بعض الاصلاحات على السفينة ، غير أنه لم يجد فى بوشهر شيئاً من المؤن ولهذا قرر أن يبقى هناك فى انتظار وصولها ، وقد استغل فرصة وجوده فى بوشهر فقام بجمع المعلومات عن أهل الخليج وعن تجارته وعن امكانياته ، وأخذ يرسل التقارير التفصيلية الى هوب هاوس ، وكان يؤكد فى تلك التقارير على الأهمية السياسية والاستراتيجية لخط

(١) مجموعة المجلس والمراسلات السياسية العامة مجلد ٢ (١) من

هوب هاوس الى شيزنى ١٨٣٦/٣/٣١ .

الفرات بالمقارنة الى خط البحر الاحمر وعلى الأخص بالنظر الى احتمال تحرك يقوم به الروس أو المصريون فى اتجاه العراق ، كما تحدث فى تلك التقارير برغم ما فى ذلك الحديث من غرابة عن السهولة والسرعة التى يمكن أن يتم بها نقل الجيش من شمال سوريا عن طريق الفرات وأن غابات طوروس يمكن ان تستغل فى توفير الأخشاب لصنع الصنادل اللازمة التى يمكن أن تنقل مالا يقل عن مائة ألف جندي ، وأنه لا يوجد على طول المسافة الممتدة الى البحر ما يمكن أن يعوق تحرك مثل هذا الجيش لا من جانب المصريين ولا من جانب الروس (١) ، والى تلك الدرجة كان شيزنى واثقا من نجاح مشروع الملاحة البخارية فى الفرات . . (وانى أقدر بأن كل من أتبع له بأن يعبر الفرات بعينين مفتوحتين لابد وأن يقتنع بأن هذا النهر صالح للملاحة للسفن العادية ، وأن هناك احتياطا كبيرا من الوقود على ضفاف النهر ، أما ما بقى فيعتبر ذلك من التفاصيل .

وصلت المؤن الخاصة بالبعثة فى شهر يوليو ، غير أن شيزنى قرر البقاء هناك فى انتظار وصول البريد من بومباى ليحمله معه وبذلك يضىء على عمله أهمية أكبر . وقد حل شهر أغسطس وانقضى بدون أن يصل البريد ، وفى هذه الأثناء توجه شيزنى الى الكويت حيث اكتشف وجود بعض المبعوثين المصريين هناك ، الأمر الذى أكد له بأن حملة محمد على باشا على الخليج على وشك أن تبدأ . وعند وصول أخبار بدء الحملة المصرية على بغداد فى نهاية أغسطس خشى شيزنى من أنه اذا ذهب الى العراق فقد

(١) متفرقات وزارة الخارجية مجلد ٨٣٧ من شيزنى الى هوب هاوس

١٨٣٦/٧/١٦ بوشهر .

يقع أسيراً في يد ابراهيم باشا ، ولهذا رأى بأن يقوم أولاً بعملية مسح لنهر دجلة واذا أمكن نهر قارون وذلك قبل أن يبدأ عمله في الفرات (١) .

وفي يوم ٢٨ سبتمبر وصل شيزنى الى بغداد قادماً من بوشهر ، وهناك وجد رسالة تنتظره من هوب هاوس بتاريخ ١ يونيه ، تكلفه بالقيام بعبور نهر الفرات وقد حاول هوب هاوس في تلك الرسالة ان يؤكد بأن وقوع حرب بين محمد على باشا والسلطان التركي احتمال مستبعد وبالتالي فانه لا خوف عليه من المصريين في تنفيذ مهمته (٢) . غادر شيزنى بغداد في طريقه الى دجلة وأخذ يبحر ببطء شديد حتى أنه لم يتمكن من الوصول الى القرنة وهي تقاطع الفرات قبل يوم ١٦ أكتوبر . وقد وجد هناك الباخرة « هيلونس » التي تحمل البريد من بومباي في انتظاره ، وبعد تسلمه للبريد بدأ شيزنى رحلة الفرات ، غير أن الرحلة كانت بطيئة بحيث أنه لم يتمكن من الذهاب الى أبعد من مستنقعات ملون في نهاية اكتوبر حيث توقف هناك بسبب عطب أصيبت به ماكينة الباخرة بسبب تسرب الرمل الى أنابيب الهواء ، كما كسر الكباس ولهذا الأسباب توقفت الرحلة ، ثم عاد شيزنى الى البصرة حيث سلم قيادة البعثة الى الكابتن ايست كورت وكلفه بمواصلة عمليات المسح لنهرى دجلة وقارون وبانتهاء مهمة البعثة في بغداد يوم

(١) متفرقات وزارة الخارجية مجلد ٨٣٧ من شيزنى الى هوب هاوس

١٨٣٦/٩/٢٧ .

(٢) مسودات المجلس التقارير السرية للهند مجلد ٩ مسودة الى

الحاكم في بومباي ١٨٣٦/٧/١ (رقم ٣٣٧) ومرفق معها خطاب هوب

هاوس الى شيزنى مؤرخ ١٨٣٦/٦/١ .

٠ ١٨٣٧/١/٣١ غادر شيزنى بغداد فى طريقه الى بومباى (١) .

وفى بريطانيا ساد الاعتقاد بأن البعثة قد منيت بالفشل التام فى مهمتها رغم أن كلا من هوب هاوس وبالمستون — لأسباب واضحة لم يستطيعا الاعتراف بذلك : (اننا هنا فى بريطانيا لا نعتقد بأن البعثة التى توجهت الى الفرات قد فشلت فى مهمتها ، كما أننا من ناحية اخرى لا نعتقد بأنها حققت نجاحا كاملا فى هذه المهمة) . هذا ما جاء فى رسالة هوب هاوس الى السير روبرت جرانت حاكم بومباى فى شهر فبراير ١٨٣٧ . أما الراى العام فى الهند فقد كان اكثر وضوحا وحسما ، فقد لخصت احدى صحف بومباى نتائج أعمال البعثة فى الأبيات الشعرية الآتية :

فلننشىء ثلاث خطوط بدلا من خط واحد .
قبل أن يبدأ خط البحر الأحمر
أيها الناس اذرفوا الدموع عند مياه بابل
على ماضع من نفوذ وماسوف يضع
وعلى البريد الذى فقدناه فى هذه العملية (٢)

(١) البيانات الخاصة بتلك البعثة وردت فى كتاب « شيزنى » (بعثة لنهرى الفرات ودجلة) مجلدين طبعة لندن ١٨٥٠ وكتابه الثانى (قصة بعثة الفرات) لبعثة لندن ١٨٦٠ أما الأول فيضم المعلومات التى كانت البعثة قد جمعتها عن جغرافية المناطق التى زارتها وعن سكانها وعن الحالة التجارية فيها أما الكتاب الثانى فإنه يضم قصة البعثة نفسها وقد صدر بعد تأخير وجدل كثير حول هذا الموضوع .

(٢) « لمحات عن مدينة بومباى القديمة » ص ١٣٤ وقد أشار اليه

دوجلاس .

كان جرانت أحد كبار المسؤولين الذين تحمسوا لمشروع الفرات كما كان احد الذين تبناه في انجلترا . وكان ينطلق في تأييده للمشروع من أسباب عملية وفنية ، فلقد كانت تقارير شيزنى السابقة واللاحقة كلها تشير بالمشروع وتدمو اليه ، ولهذا كانت تقلل من عيوب خط الفرات ، بينما تبالغ في ميزاتهِ ، ولسوء الحظ فان آراء شيزنى ذهبت ادراج الرياح ، مما حمل هوب هاوس الى استغلال اخطاء شيزنى ويبرهن على أن فشل البعثة يعود الى عدم صلاحية رئيسها وليس الى عيب في الخط نفسه ، وقد انتهر هوب هاوس الفترة التي كان يقضيها شيزنى في بوشهر في انتظار البريد من بومباي قبل بدء الرحلة ليهاجمه في رسالة كتبها اليه في شهر نوفمبر ١٨٣٦ ويقول له فيها (ان الهدف الاساسي من مهمتك ليس هو نقل البريد من البصرة الى سوريا وانما عليك أن تثبت بالتجربة العملية بأن في وسع بحارتك ان تقطع النهر في نفس الفترة التي حددتها لذلك ، واننى سوف أشعر بخيبة الامل لو عرفت أنك قد فوت تلك الفرصة لانجاز الجزء الهام من مهمتك والصعب منها بانتظارك رسائل السيد روبرت جرانت (١) ومما ضاعف خيبة الامل هذه هو أن المبلغ الاضافى وقدره ٨ آلاف جنية استرليني الذي ساهمت به شركة الهند الشرقية لاتمام المشروع قد تم دفعه بشرط واحد ، وهو أن يتم عبور النهر الذي هو مفتاح المشروع وبما أن هذا لم يتم حسبما كان مقررا ، فلا توجد هناك مبررات لاطهار الأسباب التي صرفت بموجبها المبالغ التي رصدت للمشروع وهى ٤٠ الف الى ٤٢ الف جنية استرليني ، ورغم فشل المشروع فقد كان هوب هاوس مصمما على تنفيذه ، كما كان مصمما على استبعاد شيزنى كليا من المشروع ففى رسالته الى

(١) متفرقات وزارة الخارجية من هوب هاوس الى شيزنى

الكولونيل اوكلاند الحاكم العام للهند فى شهر فبراير ١٨٣٧ ذكر هوب هاوس:
 (بأنه ليس من المناسب بأن نعهد الى الكولونيل شيزنى برئاسة هذه البعثة
 مرة أخرى فقد كانت اجراءاته تتسم بسوء التصرف والتي اعتقد بأنها
 هى من الاسباب الرئيسية وراء فشل البعثة ، وبالتالي فان اللوم يقع الى
 حد كبير فى السماح لمعاونيه من الضباط بالاتصال بالصحف والاساءة الى
 السلطات المسؤولة فى كل من الهند وانجلترا *

وعندما علم هوب هاوس بعد شهرين ان شيزنى بمبادرته الخاصة كان
 يقوم بنقل البريد من الهند عن طريق الفرات وأنه امتنع جرات بالموافقة
 على ذلك فكتب رسالة الى اوكلاند يقول فيها (لايجوز اطلاقا تعيين شيزنى
 مرة ثانية فى سوريا وأن اللفتنانت لينش الذى تقرر أن يتوجه الى بغداد
 فى ١٥ من الشهر هو الرجل المناسب لهذه المهمة لقد طغى شيزنى
 على جرات ويبدو أنه أصيب بمس من الجنون (١) وكانت خطة هوب هاوس
 ان يستمر فى عمليات مسح نهري دجلة والفرات باستخدام البخار
 الفرات وان يقوم فى الوقت نفسه بنقل البريد من وقت الى آخر . وعلى
 أية حال فلم يكن من المفروض أن يحتفظ لينش باتصالات منتظمة بين منطقتى
 البحر الأبيض المتوسط والخليج عن طريق الفرات وأن القسم الاكبر من
 هذا البريد كان يجرى ارساله عن طريق البحر الأحمر ، فاذا ما أريد ارسال
 نسخ اضافية من هذا البريد عن طريق العراق فهذه النسخ يمكن ارسالها
 عن طريق القوافل ، وهو النظام الذى ادخله فارين أخيرا لنقل البريد بين
 دمشق وبغداد (وبين بيروت ودمشق) أو عن طريق النظام الذى كلف تايلور

(١) متفرقات وزارة الخارجية مجلد ٨٣٨ من هوب هاوس الى اوكلاند

بانشائه لنقل البريد بين البصرة والمحيرة حيث سيتم نقل ذلك البريد مع بريد حمص - دمشق (١) أما اذا تصادف وجود الباخرة الفرات في بغداد أو في أى منطقة أخرى من العراق عند وصول البريد فيمكن لهذه السفينة أن تنقله عن طريق الفرات كما يمكن أن تنقله أيضا اذا سمحت الظروف من البصرة . ومن الواضح كل الوضوح أن طريق البحر الأحمر سوف يبقى الطريق الرئيسى للمواصلات بين انجلترا والهند (٢) .

وعندما اتخذت الحكومة البريطانية هذه القرارات لم يغيب عن بالها الاعتبارات السياسية التى دفعتها فى الدرجة الأولى الى تشكيل بعثة الفرات ، لقد كانت هذه الاعتبارات معروفة تماما فى الأشهر الأولى من عام ١٨٣٧ أكثر منها فى عام ١٨٣٤ - ١٨٣٥ . وكان شبح الأزمة يخيم على كل من شاه فارس ومحمد على باشا ، وهما يعدان العدة للدخول فى مغامرات جديدة للغزة والتوسع ، الأول بتأييد مستتر من روسيا ، والثانى بتأييد علنى من فرنسا ، ولتلك الأسباب ان لم يكن لأسباب أخرى كان من الأفضل أن تبقى البعثة فى منطقة عملها لتقوم بمراقبة نشاط الروس والمصريين فى المنطقة من ناحية وتدعيم خطوط المواصلات مع فارس من ناحية أخرى (٣) .

(١) مسودات المجلس التقارير السرية للهند مجلد ٩ مسودات الحاكم العام ١٨٣٦/١٢/١ ، ١٨٣٧/٣/٣ ، رقمى ٣٤٤ ، ٣٥٤ .
(٢) متفرقات وزارة الخارجية مجلد ٨٣٧ من هوب هاوس الى جراندا ١٨٣٧/٢/٢٣

(٣) لقد أقام تايلور محطات إعادة فى كل من كورمنشاه وهمدان وذلك فى عام ١٨٣٨ وذلك لنقل البريد من المفوضية فى طهران الى بغداد (انظر مسودات المجلس) التقارير السرية للهند مجلد ٩ مسودة الحاكم العام ١٨٣٨/٨/١ (رقم ٣٩٤) .

— ٤٩٦ —

استأنفت البعثة عملها برئاسة لينش بعد تغيير اسم البعثة واستمرت في عملها هذا على امتداد فترة الخمس سنوات التالية ، حتى عام ١٨٤٢ .

وقد ثبت من خلال وجود البعثة في العراق ان دجلة والفرات لا يصلحان في أى وقت من الاوقات كطريق دولى بين أوروبا والشرق ، غير أن تشكيل البعثة وما حققته في مهمتها الى جانب الاكتشافات التي توصلت اليها والمعلومات السياسية والتجارية التي جمعتها قد أكدت صحة آراء شيزنى بالنسبة لتشكيل هذه البعثة .

وقد توفى فتح على شاه عام ١٨٣٤ وخلفه في الحكم حفيده محمد نجل ولى العهد السابق عباس المتوفى عام ١٨٣٣ ، وبالرغم من أن الفضل في اختيار محمد شاه لتولى الحكم يعود الى الجهود البريطانية في اقناع الشاه الأكبر والدعم الذى لقيه من السفير الروسى والبريطانى في طهران والى الحملات الناجحة التى خاضتها القوات الملكية الفارسية بقيادة الضباط البريطانيين ضد منافسيه على الحكم ، فقد أعلن الشاه الجديد بوضوح أنه لا يهتم بنصائح بريطانيا . ونظراً لكون الشاه الجديد قد نشأ في منطقة أذربيجان فقد كان يحترم روسيا ويخشها أكثر مما كان من بريطانيا ، كما أنه لم ينس اقدام بريطانيا على الغاء البنود الخاصة بمسألة الدفاع عن فارس فى معاهدة طهران المعقودة عام ١٨٢٨ . كما لقيت اطماعه فى الفتوحات والتوسع تساهلاً من جانب الروس الذين كان يهمهم أن تبقى فارس ضعيفة ومفككة ، وأن - ينصرف اهتمام الشاه عن التطلع لاسترجاع أقاليم القوقاز وعلى العكس من ذلك كان البريطانيون ينفعلون بأن يهتم الشاه باجراء الإصلاحات الداخلية ، غير أن الشاه لم يعد يستمع الا لمشورة شخصين من مستشاريه هما الكونت سموينيش السفير الروسى

فى طهران الذى ظل يحثه على العمل الى استعادة الامبراطورية نادر شاه ، والحاج ميرزا اغاس رئيس وزرائه الذى كان قصير النظر (١) .
ان التغيير الذى طرأ على نظام الحكم فى فارس والاضطرابات السياسية التى كان من المتوقع أن تصاحب ذلك التغيير ، حملت مجلس الهند فى نهاية ١٨٣٤ الى الاقتناع بضرورة نقل الاشراف على المفوضية البريطانية فى طهران من شركة الهند الشرقية الى حكومة التاج ، وذلك للمحافظة على المصالح البريطانية فى فارس .

وفى شهر يناير ١٨٣٥ وافقت اللجنة السرية لمجلس الادارة على هذا الاقتراح وأعربت عن رغبتها فى أن يقوم الممثل البريطانى فى طهران بتكليف إجراءاته وفق هذا النظام وأن تحدد إجراءاته منذ ذلك الوقت فصاعدا فى اطار العلاقات البريطانية الروسية . ولهذه الاعتبارات ارتأى مجلس الادارة أن علاقات بريطانيا بفارس ، وهى علاقات كانت ترتبط بسياسة أوروبا أكثر منها بسياسة الهند ، هذه العلاقات يمكن توجيهها بأسلوب أفضل من داخل بريطانيا بدلا من الهند (٢) ، وعند عودة بالمرستون الى وزارة

(١) كان مغرورا الى حد الحماسة وجاهلا بالسياسة والشئون المالية والعلوم العسكرية جهلا تاما ومع ذلك فقد كان يشعر بالزهو لتلقى المعلومات وكان يشعر بالغيرة الى حد كبير ، كما كان جافا فى حديثه ومتغطرسا فى سلوكه وكسولا فى عمله وقد أدت تصرفاته الى جعل الخزنة البريطانية على وشك الافلاس كما كانت ستؤدى بالبلاد الى الثورة . هكذا كان حكم رولنسون على الحاج ميرزا اغاس (انجلترا وروسيا فى الشرق ص ٨١) .

(٢) مذكرة رقم ٢١٤/٦٥ وزارة الخارجية حول الأسباب التى دعت الى نقل الاشراف على المفوضية فى فارس من سلطة الشركة الى سلطة التاج .
١٨٥٦/٥/٩

الخارجية فى شهر ابريل ١٨٣٥ تم تنفيذ هذا الاقتراح فعين هنرى اليس وزيرا مفوضا فى طهران وممثلا للتاج البريطانى وقد عهد اليه بالسفر الى فارس وتقديم تهانى الحكومة البريطانية للشاه الجديد بمناسبة اعتلائه عرش فارس ، كما عهد اليه بالادلاء بآرائه حول افضل الطرق لتقدم العلاقات البريطانية الفارسية . وقد أصبح بالمرستون هذه المرة أكثر ادراكا بخطور قيام الروس باحتلال فارس مما كان فى السابق وفى شهر أكتوبر ١٨٣٥ صرح بالمرستون : (ان استقلال فارس هدف من الاهداف الكبيرة للسياسة البريطانية ليس لارتباط ذلك بالهند فحسب وانما لارتباطه باستقلال الباب العالى أيضا لأن الروس يمارسون نفس الاستراتيجية السياسية تجاه كل من فارس والباب العالى) فروسيا كانت تتوغل فى منطقة البحر الأسود وتثوى أن تقوم بنفس الشيء فى منطقة قزوين والهدف هو الاستيلاء على كل من فارس والباب العالى (١) .

كذلك كان بالمرستون يعرف أن عداء الشاه الجديد يعود الى حد كبير الى قيام بريطانيا بالغاء البنود الخاصة بالدفاع فى معاهدة طهران ، وأن ثقة الفرس فى تأييد هذه البلاد ومناصرتها لهم قد حل محلها اليأس من مساعدة انجلترا لهم فى صراعمهم للاحتفاظ باستقلال بلادهم ضد روسيا ، كما أن اعتقاد فارس بأنها لاتستطيع الوقوف فى وجه روسيا بغير مساعدة من بريطانيا قد دفعهم أكثر للانصياع لأطماع روسيا (٢) . فاذا قام الروس فى توسيع حدودهم شرقا نحو أفغانستان فان ذلك سيقرب الروس أكثر الى حدود الهند . ولهذه الاعتبارات كان هدف بريطانيا ذا شقين :

- (١) من بالمرستون الى اللورد درهم السفير البريطانى لدى روسيا ١٨٣٥/١٠/٢٧ وقد أشار الى ذلك ونستون فى كتابه (سياسة بالمرستون الخارجية) فصل ٢ ص ٧٤١ - ٧٤٢ .
- (٢) متفرقات الخارجية البريطانية مجلد ٨٣٣ من بالمرستون الى هوب هاوس ١٨٣٦/٥/٦ .

تعديل معاهدة ١٨١٤ بحيث تتعهد بريطانيا بمساعدة الشاه اذا تعرضت بلاده لآى هجوم من الخارج ، والثانى هو الحيلولة دون قيام الشاه بهجوم على اى دولة أخرى . والواقع أن الشق الثانى كان الشق الاكثر أهمية فى تلك المرحلة ، ليس لمنع الشاه من التفكير فى خلق صدام مع روسيا فحسب بل ان ذلك سيحول بينه وبين غزو افغانستان ، وان خير ضمان لكلا الاحتمالين هو أن تتعهد بريطانيا للشاه بالدفاع عن فارس بشرط ألا يقوم الشاه بالاعتداء على اى دولة قبل استشارة الحكومة البريطانية فى ذلك .

وقد اختير الدكتور جون مكنيل الطبيب السابق للمفوضية البريطانية فى طهران والوزير المفوض الجديد بتنفيذ تلك المهمة وذلك عند تعيينه فى ذلك المنصب فى شهر مايو ١٨٣٦ ، وقد طلب منه بأن يعرض على الشاه ابرام اتفاقية دفاعية جديدة وفقا للصفة التى اقترحها بالمرستون بالإضافة الى اضافة فقرات جديدة للاتفاقية تنص بالمساعدة وتختلف عن الفقرات التى وردت بمعاهدة طهران السابقة ، على أن تحل الفقرات الجديدة محل الفقرات الواردة فى الاتفاقية السابقة أو عقد معاهدة جديدة (فاذا وافق الشاه على عقد معاهدة جديدة فيتعين على مكنيل أن يحذف منها البنود التى تحظر على الحكومة البريطانية التدخل فى اى صراع ينشب بين فارس وافغانستان مالم يطلب اليها الطرفان المتنازعان ذلك) كما يتعين على الدكتور مكنيل اضافة ملحق للمعاهدة فى شكل اتفاق تجارى جديد يمنح بريطانيا نفس الامتيازات التى حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة تركمان شاى والتى تنص بتعيين قناصل بريطانيين فى اى جزء من الاراضى الفارسية . (١)

والواقع ان هذه الأهداف كانت على جانب كبير من الأهمية فاذا كان لابد من الدكتور مكنيل أن يحققها فعليه أن يتحرك بسرعة لأن جميع القرائن

(١) مسودات المجلس التقارير السرية للهند مجلد ٩ مسودات الى الحاكم العام بتاريخ ١٨ مايو ، ٧ يونيه ، ١٥ يونيه ، ٧ يوليه ١٨٣٦ (أرقام ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٨) ومرفق معها صور من تعليمات مكنيل .

فى النصف الثانى من عام ١٨٣٦ كانت تدل على تحرك وشيك يقوم به الجيش الفارسى فى اتجاه الشرق . وكان أحد الدلائل هو إبعاد الضباط البريطانيين من القصر الملكى ، الأمر الذى اعتبر كمقدمة لإبعادهم من الجيش الفارسى كليا ، وكان هذا يعنى شيئا واحدا ، وهو أن الشاه أدرك أن وجودهم فى فارس يشكل عائقا للخطة التى كان ينوى القيام بتنفيذها .

وفى شبه الجزيرة العربية كانت هناك تيارات أخرى . وحتى قبل أن تصطدم خطة محمد على باشا فى التحرك الى سوريا بوجود البعثة البريطانية فى العراق كان محمد على باشا يتطلع الى الجنوب كطريق بديل الى العراق التركى ، وكان فيصل بن تركى الأمير الوهابى الجديد يلقى صعوبات كبيرة فى اخضاع أهالى الاحساء لسلطته بعد أن تمرد شيوخ بنى خالد عليه ، كما كان عبد الله بن أحمد حاكم البحرين يحاصر المناطق الساحلية للاحساء . وفى صيف عام ١٨٣٥ قام أحمد باشا والى الحجاز بإيفاد وكيله عبد الله بن مشارى الى الاحساء وكان هذا من تجار البحرين السابقين ، وقد سافر مشارى عن طريق مسقط حيث رحب به السيد سعيد وقدم له كل المساعدات الممكنة . وعند وصول مشارى الى القطيف أعلن أنه قد جاء ليتولى البلاد باسم أحمد باشا الذى عينه . هناك مقابل دفع ايجار سنوى قدره ٢٠ ألف الى ٢٤ ألف ريال نمسوى . غير أن اقامة مشارى فى القطيف كانت قصيرة ، فقد قام جنود فيصل بطرد مشارى من القطيف وتأكيد سلطة فيصل على المنطقة (١) .

لقد تردد فى أرجاء الخليج بأن القصد من مهمة مشارى هو صرف أنظار فيصل عن اليمن حيث كان أحمد باشا يحاول استكمال سيطرته على

(١) متفرقات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٤٤٢ - ٤٤٣ (لمحة تاريخية عن الوهابية من ١٨٣٢ - ١٨٤٤ تأليف كمبل) .

قبائل عسير اليمنية (١) كما كان من الممكن أن تكون مهمة مشارى هي لأختبار سيطرة فيصل! على الأحساء وفي نفس الوقت جس نبض السيد سعيد في التعاون على القيام بعمل مشترك لاختضاع كل من البحرين والأحساء للسلطة المسقطية المصرية المشتركة .

وكان محمد علي باشا قد عرض مثل هذا المشروع على السيد سعيد عام ١٨٣١ غير أن اهتمام محمد علي في ذلك الوقت كان مركزا على الاستيلاء على سوريا أكثر مما كان مركزا على مغامرات بعيدة من هذا النوع ، ولهذا حاول أن يخدع السيد سعيد بعرض اقتراح مضاد يضم الأحساء والبحرين الى سلطة السيد سعيد ، ووضع قوات كافية في البلدين لتمكين السيد سعيد من الاحتفاظ بهما في مقابل دفع زكاة سنوية مقدارها ٣٠٠ الف ريال^١ نسوى . غير أن السيد سعيد رفض الفكرة رفضا باتا(٢) أما ما اذا كانت مهمة مشارى تتعلق باحياء تلك الخطة أم لا فان ذلك كله كان نذيرا بما يخبئه الغيب من أحداث .

* * *

(١) من مستهل عام ١٨٣٤ تحرك أحمد باشا ضد عناصر من الحامية المصرية في الحجاز التي سبق أن تمردت على سلطته قبل ١٨ شهرا من ذلك التاريخ وأقاموا لهم سلطة في اليمن في كل من مخا والحديدة. وبنهاية ربيع ١٨٣٤ تمكن أحمد باشا من اخضاع المتمردين عليه كما تمكن في نفس الوقت من ارغام اليمن في صنعاء على الاعتراف بسلطة محمد علي باشا .

(٢) سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباى مجلد ١٥ من الحاكم الى مجلس الادارة ١٣/٤/١٨٣٢ (رقم ١٠ الادارة السياسية) .

الفصل الثامن

الأزمات المصرية والفارسية (1)

١٨٣٧ - ١٨٤٠

في أواخر عام ١٨٣٦ أفرج محمد علي باشا عن خالد بن سعود أحد أفراد الأسرة السعودية ، وكان الأخير قد أخذ أسيرا من جانب القوات المصرية مع أخيه الأمير عبد الله الذي تلقى فيه إبراهيم باشا حكم الأعدام في القسطنطينية بعد سقوط الدرعية عام ١٨١٨ ، ومنذ ذلك الوقت كان خالد يقيم في القاهرة تحت الإقامة الجبرية لدرجة أنه تطبع بالطباع المصرية . وها هو الآن يتم أعداده لاسقاط حكم فيصل واخضاع نجد والاحساء لسلطة محمد علي باشا . وكانت الأوامر قد صدرت الى اسماعيل باشا حاكم المدينة لتزويد خالد بما يحتاجه من الجنود والعتاد .

وفي أوائل عام ١٨٣٧ بدأ خالد تحركه نحو منطقة القاسم . وقد حاول فيصل في البداية ان يقنع محمد علي باشا بالكف عن تأييده لخالد ، وعرض مقابل ذلك الاعتراف به كحاكم على نجد ، غير أن الوالى لم يكثر لعطلب فيصل ، وفي أواخر ابريل أخذت قوات خالد تقترب من الرياض واستطاع بسرعة الاشتباك مع القوات التي يقودها فيصل وهزيمته في

(١) ان الجزء الأكبر من هذه المعلومات والأخرى الى وردت في الفصل السابق قد ظهرت في مقال كتبه في شهر يوليو وأكتوبر عام ١٨٦٥ في مجلة دراسات الشرق الأوسط « بعنوان » حملة محمد علي الى الخليج الفارسي « ١٨٣٧ - ١٨٤٠ » واني لادين بالشكر الى رئيس تحرير هذه المجلة البروفسور ايلي خضوري وناشرها المستر فرنك كاس لسماحهما لي لاعادة نشر هذه المعلومات في هذا الكتاب .

المعركة • وتراجع فيصل الى الاحساء بعد أن أخلى العاصمة لخصمه (١) .

وقد تلقى الكابتن هانيل المقيم السياسى البريطانى بالوكالة نبأ سقوط الرياض فى الأسبوع الثانى من شهر مايو واقترن هذا النبأ بانتشار اشاعة عن القوات المصرية المساندة لخالد بالهسا كانت أكثر عددا مما كان معروفا فى البداية ، وعلى الفور أرسل هانيل أحد الطرادات الى البحرين برسالة عاجلة الى حاكمها عبد الله بن أحمد وبرسالة أخرى الى المقيم البريطانى هناك لاستيضاحهما عن صحة تلك الاشاعة وعن التحركات المصرية • وقد رد عبد الله بن أحمد على رسالة المقيم بأن ذكر له بأن القوات المصرية التى هاجمت الرياض تتألف من الف فارس والف من المشاة ، وأن هذه القوات قد وصلت الى ما وراء مدينة الرياض بمسيرة سبعة أو ثمانية أيام • اما وكيل المقيم البريطانى فقد حدد عدد القوات الراكبة بـ ١٥٠٠ والمشاه بنحو ٥٠٠ رجل كلها بقيادة اسماعيل باشا نفسه ، وكان مع القوات عشرة مدفعا والربعة مدافع من طراز مورتر ، وكانت هذه الأسلحة الميكانيكية تحت اشراف راشد باشا وكانت قوات الاحتياط ترابط فى القطيف وتتألف من ٨٠٠٠ خيال بقيادة خورشيد باشا ، وفى جميع المناطق الواقعة بين الرياض والمدينة قد أصبحت حاميات عسكرية كدليل على ان هذا الجيش ينوى البقاء بصفة دائمة فى البلاد • وكان الشيخ عبد الله بن أحمد كما جاء فى رسالة وكيل المقيم البريطانى قلقا من الهدف النهائى للحملة وكان أكثر ما يخشاه أن يقوم تعاون بين محمد على باشا والسيد

(١) مجموعات مجلس الادارة مجلد ١٦٩٩ رقم ٦٨٧٧٢ من هانيل الى ويلومى ، ٢/٢٥ ، ٣/١٥ ، ٨ ، ١١٨٣٧/٥/١٥ . كذلك راجع مختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٤٤٤ مقالة كامبل « لمحة تاريخية عن - الوهابية » ١٨٣٢ - ١٨٤٤ •

سعيد سلطان عمان ، وذلك لاحتلال البحرين عن طريق أساطيل السيد سعيد (١) :

وقد قام هانيل بالرسال التقارير التي تلقاها حول هذا الموضوع الى حكومة بومباي الى ماكنيل في طهران ، ومن طهران أرسلها ماكنيل الى لندن حيث وصلت الى وزارة الخارجية البريطانية يوم ١٣ نوفمبر (٢) ، غير ان بالمستون فضل التريث في الموضوع ريثما ينجلي له الموقف في شبه الجزيرة العربية (٣) ، وفي اول ديسمبر تلقى بالمستون مذكرة من بونسونبي وكانت هذه المذكرة قد تسلمها من اللفنتنان لينش من بغداد ، وتاريخها أغسطس ، وتتضمن الرسالة معلومات على جانب كبير من الخطورة ، اذ يذكر فيها : (انه من الصعب تحديد صورة الأوضاع الراهنة والذي أود أن أتبه اليه هو انه لا توجد أي قوة في هذه المنطقة تستطيع التصدي لمحمد على باشا أو أن تضع حدا لمحاولته الرامية الى الاستعانة بالقبائل العربية في العراق لتحديد أهدافها . فالعرب بوجه عام اما منقسمون ضد بعضهم البعض أو أنهم فقراء . ورؤساء عشائر المحمرة يعارضون نفوذ الباشا

(١) نفس الحلقات والمجلد والمجموعة ، من هانيل الى ويلوبى بتاريخ ١٨٣٧/٦/٨ . (رقم الادارة السياسية) ومرفق معه خطاب عبد الله بن حمد الى هانيل المؤرخ ١٧ صفر ١٢٥٣ الموافق ١٨٣٧/٥/٢٣ ، وخطاب ميرزا محمد على الى هانيل أيضا المؤرخ ١٨ صفر ١٢٥٣ الموافق ١٨٣٧/٥/٢٤ .

(٢) انظر فارس والخليج المجلد ٥٧ من ماكنيل الى بالمستون ١٨٣٧/٨/٣٤ ورقم (٦٧) .

(٣) مراسلات مجلس الادارة السياسية السرية والعامه المجلد الثامن من جى باك هاوس (السكرتير المساعد بوزارة الخارجية) الى سكرتير مجلس الهند ١٨٣٧/١١/٣ .

بصورة علنية ، ولا يمكن لهذه الأحوال أن تستمر لأجل غير مسمى ، كما أن دخل العراق لا يشكل الا جزءا ضئيلا من ميزانية الحكومة التركية ولعلكم أعلم منى بمدى علاقة محمد على بهذه الأوضاع ، ورغم ذلك فان تحركات الباشا تتطلب اتخاذ قرار فوري بشأن مصير الامبرطورية العثمانية ، ومدى تأثر مصالحنا المباشرة فى الهند اذا استولى محمد على على ضفاف أنهار العراق وموانى الخليج الفارسى فضلا عن سواحل البحر الأحمر التى سمح له للأسف الشديد باحتلالها ، فقد كان من مصلحة الباشا أن يستولى على هذه المناطق جميعها فذلك أمر يعتبر حيويا بالنسبة اليه لأنه سوف يدعم موقفه وبالتالي يمكنه من تحدى بريطانيا الا اذا تورط فى حرب منهكة وطويلة فى صحراء شبه الجزيرة العربية . . وعلى حين يخفى محمد على نواياه بالنسبة للعراق فإن جيوشه تتقدم فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية ، كما انه نجح فى نشر بذور الخلاف بين الوهابيين وفرض نفوذه على هؤلاء الزعماء الى حد ما ، مستغلا مساندة أحد خصوم الأمير الوهابى فى نجد ، وقد سمعنا (وهذا امر مشكوك فيه) أن مرشح الباشا موجود بالفعل فى الاحساء وهى إحدى المقاطعات الخصبة فى نجد ولا تبعد كثيرا عن حدود الخليج الفارسى (١) .

بعد مضى ثلاثة أيام من استلام المرستون لهذا التقرير ، علم من كامبل الموجود يومئذ فى الاسكندرية بأن ابراهيم باشا قد غادر مصر الى سوريا فى يوم ٢٥ أكتوبر ، وذلك بعد مناقشة طويلة جرت بينه وبين كامبل ، وتناولت عجز باشا بفسداد عن كبح جماح القبائل البدوية التى كانت تتحرش بسوريا (٢) . وكان هذا شيئا واضحا . وفى يوم ٨ ديسمبر أوعز بالمرستون

(١) وزارة الخارجية - خطاب من لينش الى بونسوينى ، أغسطس ١٨٣٧ ومرفق بخطاب بونسوينى الى المرستون ٣٠/١٠/١٨٣٧ (رقم ٢٦٠) .
 (٢) وزارة الخارجية - من كامبل الى بالمرستون ٣/١١/١٨٣٧ .
 رقم (٧) *

الى كامبل بالاتصال بمحمد على باشا وبحث هذا الموضوع معه بطريقة ودية ، وطلب اليه بأن يوضح للبasha بأن حكومة صاحب الجلالة سوف تشعر بالأسف حيال أى خطوة يقوم بها البasha لمد سلطته الى بغداد(١)، وفي اليوم نفسه قرر بالمرستون توجيه تحذير عنيف : وكتب الى كامبل يقول له : « انه ينبغي عليك أن تبلغ البasha بأن لدى الحكومة البريطانية معلومات عن تحركات لقوات محمد على باشا في سوريا وشبه الجزيرة كمحاولة منه لمد نفوذه الى الخليج الفارسي والعراق ، وبناء على ذلك يقتضى أن توضح له في صراحة تامة بأن الحكومة البريطانية لا يسعها أن تتجاهل مثل هذه الأحداث .

سلم كامبل هذا التحذير في أوائل شهر إبريل عام ١٨٣٨ ، وقد انكر محمد على انكارا تاما بأن له أطماعا في العراق وأما بالنسبة للخليج الفارسي فليس من حق كامبل التدخل في هذا الموضوع ، وأن البلد الوحيد الذي يحق له التحدث في ذلك هو حكومة مسقط وأن محمد على يكن لها كل احترام ومودة خصوصا وأن حاكمها قد أعلن عن رغبته في ادخال الاصلاحات الحديثة الى بلده وبالتالي فان احتلاله لمسقط حتى لو تسنى له ذلك فانه لن يعود عليه بأية فائدة ، لأن هذه البلاد تتمتع بحكم مستنير (٢) ، غير أن كل هذه التأكيدات لم تنجح في تبديد شكوك بالمرستون ، أما كامبل فلم يجد من المناسب في ذلك الوقت بالتوسع في محادثاته مع الوالى حول نشاطات الأخير في نجد لعدم وجود ما يبرر ذلك . وفي نهاية الأسبوع الثالث من شهر مايو أبلغ

(١) وزارة الخارجية - من بالمرستون الى كامبل ١٨٣٧/١٢/٨ .

(رقم ٢٣) .

(٢) وزارة الخارجية من كامبل الى بالمرستون ١٨٣٨/٢/٧ .

محمد على كامبل بأن نجد كلها قد أصبحت خاضعة له وبأن شبه الجزيرة العربية من مكة الى المدينة ثم الى سواحل الخليج قد أصبحت تحت نفوذه ، كما ذكر الوالى لكامل بأن السيد فيصل بن تركى قد أعلن اعترافه بسلطة الوالى كما تعهد له بتوقيع العقوبات على المعارضين للوالى ، كما عرض السيد فيصل استعداده بتقديم المساعدة العسكرية ضد قبائل عسير اذا رأى الوالى ذلك وفى احتلال البصرة ايضا (١) . وبعد أربعة أيام على هذا الاجتماع ، وفى يوم ٢٥ من شهر مايو بالتحديد أعلن الوالى استقلاله عن الباب العالى وتأسيس حكم أسرة محمد على لمصر وسوريا (٢) .

وطبيعى ان يستأثر هذا الاعلان باهتمام المرستون أكثر مما استأثر باهتمامه خير خضوع نجد لوالى مصر . وقد جاءت هذه الاخبار الى المرستون فى الوقت الذى كان مشغولا بأزمة أخرى مع حكومة فارس . وعلى الرغم من احتجاجات ماكنيل فقد قرر محمد شاه حاكم فارس التحرك بقواته من طهران صيف ١٨٣٧ للهجوم على الحيرة وهى الولاية الجبلية الواقعة على أقصى الطرف الغربى لأفغانستان ، وكانت هذه الولاية فى ملتقى الطرق الشرقية المتجهة الى كابول وفندهار ، وتمتد منها الى حدود الهند ، وتأسيسا على ذلك فان سيطرة الفرس على هذه المنطقة سوف تعطى الروس مركزا متقدما يسمح لهم بحرب المؤامرات ضد البريطانيين فى مناطق الحدود بين أفغانستان والهند ، ولم يكن من المستبعد أن يكون هجوم فارس على الحيرة قد تم بتحريض من السفير الروسى فى طهران الكونت سيمونيش ، وقد تجلّى ذلك فى القرض الذى قدمه الروس الى

(١) وزارة الخارجية من كامل الى المرستون ١٨٣٨/٥/٢١ رقم (٣٥) . ومرفق به خطاب فيصل بن تركى الى خورشيد باشا ٩ ذو القعدة ١٢٥٣ الموافق ١٨٣٨/٢/٤ .
(٢) « مؤسس مصر الحديثة » دودويل .

فارس ويبلغ نحو ٥٠ ألف تومان أي (٣٥ - ألف جنيه استرليني) كما وعدوا الحكومة الفارسية باسقاط الديون الروسية عليها في حالة احتلالها للحيرة ، وكانت هذه الديون قد تراكمت على فارس كنتيجة للحرب الأخيرة بينها وبين روسيا (١) .

كان اقليم الحيرة خاضعا للأمير كرمان ميرزا من أسرة سادوزاي من مرع أسرة الدرانية في أفغانستان . وقبل قيام الشاه بهذه الحملة كان قد عقد مفاوضات مع رؤساء أسرة البراكارى الحاكمة ، الأعداء التاريخيون لأسرة سادوزاي ، وهم دوست محمد خان حاكم كابول ، وكوهنديل خان حاكم كابول ، وكوهنديل خان حاكم قندهار . وقد أسفرت تلك المفاوضات بالنسبة لحاكم قندهار عن عقد اتفاقية تحت اشراف الروس تنهى استقلال الحيرة ، وأما دوست محمد فلم يكن ينظر الى مسألة ضم الحيرة الى فارس بشيء من الارتياح خوفا من أن يؤدي ذلك الى اضعاف مركزه ، غير أن عداؤه لكرمان ميرزا حاكم الحيرة ورغبته في استعادة اقليم بشاور من رانجندت سنج حاكم البنغال الذي كان حليفا للحكومة الهند البريطانية جعلته يستقبل مبعوثى حكومتى فارس وروسيا . كذلك فان احتمال عقد حلف بين أمراء أفغانستان وشاه فارس بتأييد من روسيا كان يشكل كابوسا لحكام الهند انبريطانية . ومن هنا أصبحت مهمة اللورد اكولند الحاكم العام للهند بعد عام ١٨٣٧ هى العمل على افضال قيام مثل ذلك الحلف والحفاظ على استقلال الدويلات الافغانية كمناطق عازلة للهند .

وعلى الرغم من وصول ماكنيل الى طهران الا انه فشل فى محاولته لاقناع الشاه على تعديل معاهدة ١٨١٤ التى كانت تخول للحكومة البريطانية التدخل فى أى نزاع بين فارس وأفغانستان ، كما أنه أخفق أيضا فى منع الشاه من الهجوم على الحيرة ، ولم يبق أمامه بعد ذلك الا أن يلجأ الى

(١) دليل الخليج فصل ١ ص ١٨٦٣ تأليف لوريمر .

أسلوب الحوان ، أو اذا فشل فى ذلك فليستخدم أسلوب التهديد لكى يقنع
 أنشاه بعدم اللجوء الى الحرب . وهكذا وفى شهر مارس ١٨٣٨ غادر ماكنيل
 طهران الى معسكر الشاه الواقع بالقرب من الحيرة ، ولكنه قبل ان يفادر
 طهران كتب الى الحاكم العام فى الهند والى بالمرستون يذكر لهما بأن عملية
 استعراض القوة فى فارس أصبحت امرا ضروريا لارغام الشاه على الاحتكام
 الى المنطق . وفى الأسبوع الثانى من شهر مارس أعرب اللفتنانت كولونيل
 جوستن شيل سكرتير المفوضية البريطانية فى طهران عن نفس الآراء تقريبا،
 وذلك بعد عودته من اجازته فى إنجلترا ، وأكد بأن تدهور مركز بريطانيا فى
 فارس لا يمكن معالجته بقطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس لأن الفرس
 قوم لايفهمون شيئا اسمه الاعتدال ، ولايمكن لغير القوة ان تززعهم عن
 موقفهم ، واقترح على غرار ماكنيل ، أن تقوم الحكومة البريطانية باحتلال
 جزيرة خرك بالقوة والاحتفاظ بها حتى يستجيب الشاه للمطالب البريطانية،
 وكتعزيز لهذا الاجراء اقترح شيل احتلال بريطانيا لبوشهر والاحتفاظ
 بالمنطقتين أو باحدهما لأهميتهما التجارية والاستراتيجية ، وقد قال فى
 هذا المعنى : « بأن مداخل الفرات سوف تصبح بعد ذلك تحت اشراف بريطانيا
 كما ستخضع منطقة شبه الجزيرة العربية والجزء الجنوبى من فارس
 لنفوذنا (١) ولكن المشكلة الوحيدة بالنسبة الى اقتراح شيل هو انه قد
 يشجع روسيا على القيام بخطوة مماثلة باحتلال بعض المناطق الشمالية من
 ايران وقد يدفع الشاه الى توثيق علاقته بروسيا . ولكن هذه الاحتمالات
 على حد رأى شيل كانت احتمالات بعيدة بينما سيؤدى اتخاذ موقف سلبى
 من استفزازات الشاه الى نتائج عكسية على الفور (٢) .

(١) المراسلات السياسية والسرية العامة لمجلس ادارة شركة
 انهد الشرقية مجلد ٨ مذكرة شيل ١٢/٣/١٨٣٨ .
 (٢) المراسلات السرية والسياسية لمجلس الادارة مجلد ٨ مذكرة شيل
 ١٢/٣/١٨٣٨ .

كلان كل من بالمرستون وزميله هوب هاوس على استعداد لانتهاج سياسة متشددة مع شاه فارس وأن تطبق هذه السياسة المتشددة على ساحل الخليج ، وفى منتصف شهر ابريل كتب هوب هاوس الى اوكلاند يقول : « اننى أتصور أنه فى امكانك أن تقوم باحتلال بوشهر واحداث قلاقل واضطرابات فى تلك المنطقة اذا تبين لك أن ذلك ضرورى(١) وتضمن الخطاب الذى كتبه الى بالمرستون فى هذا الشأن مايلى : « ان الوقت قد يأتى قريبا عندما يتعين عليك مخاطبة الشاه بلغة تختلف عن اللغة التى تعود سماعها منك قبل الآن، وقد يستدعى الأمر أن تقوم بعملية لاستعراض القوة البريطانية لارغام الشاه بأنه اذا كان يعرف الطريق الى الهند فانتا نعرف أيضا الطريق الى أصفهان (٢) غير أن وصول أخبار من الاسكندرية فى أوائل شهر يونيو عن خضوع نجد لمحمد على باشا وعزم الوالى على اعلان استقلاله عن الباب العالى قد حسم هذا الموقف ، فقد كتب هوب هاوس الى اوكلاند يقول : « اننا بالطبع سوف ننحاز الى جانب السلطان العثمانى ، ونحن لدينا بلا أدنى شك الامكانيات اللازمة لهذا الأمر أكثر من أية دولة من الدول الكبرى ، وقد لا يقتصر عملنا على منطقة البحر الأحمر وحدها وانما العراق سوف يكون فى متناول الجيش الهندى ، وأعتقد أنه فى امكانك أن تقوم بارسال بعض القوات الى كل من المنطقتين ، وعلى أى حال فان مهمتك الفورية هى أن تقوم باحتلال عدن فهى المنطقة التى كنت تسام عليها منذ وقت طويل ، وهى ليست تابعة لمحمد على باشا ، وأتوقع حتى قبل وصول هذا الخطاب اليك أن تكون قد قمت أنت أو السير روبرت جرانت (حاكم

(١) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٨ خطاب من هوب هاوس الى

اوكلاند ١١٨٣٨/٩/٩٠

(٢) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٩ خطاب من هوب هاوس الى

بالمرستون ١١٨٣٨/٤/١٧٠

بومباى) بالأجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الخطة ، ولا يسعنى والحالة هذه إلا أن أفكر فى النتائج التى قد تسفر عنها خطوة محمد على باشا باعلان استقلاله عن العثمانيين ، الأمر الذى يبرر لنا احتلال جزيرة خرك ، اذ لابد لوالى مصر أن يتبع اعلانه الاستقلال بمهاجمة العراق فاذا حدث هذا فان القوات البريطانية سوف تكون فى أمس الحاجة الى قاعدة لها فى الخليج الفارسى للتصدى لقوات محمد على * وجزيرة خرك هى المكان الوحيد الذى يصلح كقاعدة عسكرية .: وصحيح أن خرك تابعة للشاه ، غير انه فى ضوء تصرفات الشاه الأخيرة فان الأمر بالنسبة لبريطانيا لا يحتمل التردد أو الانتظار ، ومن الأفضل أن نقوم أولاً باحتلال هذه الجزيرة ، ثم نفاوضه فى شرائها منه ، كما أن هذه الخطوة التى هى فى رأينا خطوة حاسمة قد تدعم موقف ماكنيل فى مفاوضاته مع شاه فارس بشأن الحيرة ، لقد أردت بهذا الشرح أن أضعك فى دائرة الضوء * أما إذا كان باشا مصر سوف يعلن استقلاله عن الباب العالى بالفعل فإن هذه الحكومة لاتستطيع أن تترك هذا الأمر لتتصرف فيه كيف تشاء ، وإنما ينبغى أن توجه إليك أوامر محددة تتصرف بمقتضاها حول هذا الموضوع (١) *

غير أن اوكلاند كان قد قرر قبل أن يصله هذا الخطاب أن يتصرف ، وفى أول مايو أرسل تعليمات الى جرانت فى بومباى يطلب ارسال أكبر قوة ممكنة من الأسطول البريطانى الى منطقة الخليج بالإضافة الى كتيبة من المشاة لآى اجراء قد يتخذه ماكنيل (٢) *

(١) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٨ من هوب هاوس الى اوكلاند

١٨٣٨/٦/٩ .

(٢) بيانات ووثائق (١٨٣٨) مجلد وثيقة ١٣١/٤ خطاب رقم ٢ من

ماكنان (سكرتير حكومة الهند الى ويلوبى ١٨٣٨/٥/١ .

كانت القطع الاحتياطية المتوفرة من الأسطول الهندي في ذلك الوقت تتكون من الطراد كوت - والفرقاطة الفرات والفرقاطة البخارية سميراميس والسفینتان برنیس وهولندس وكانت الفرقاطة الفرات قد أبحرت بالفعل الى برسائل الى ماكنيل تتضمن الخطوات التي قررت حكومة بومباي القيام بها ، كما صدرت الأوامر الى برنیس بالاستعداد للسفر بأسرع وقت ممكن . ولما كان من المقرر أن تبخر برنیس بالبريد الصحراوي الى السويس يوم ٢١ مايو ، ولم تكن هولندس صالحة للعمل خصوصا في ذلك الفصل الذي يصادف هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، فقد كانت السفينة الوحيدة المتوفرة للعمل في الخليج هي سميراميس ، ففي بداية شهر يونيو أبحرت هذه السفينة بـ ٥٠٠ جندي من بومباي ، وبمدفعين عيار ٦ ، بالإضافة الى سفينة نقل اخرى الحقت بالقوة ، وقد أبحرت هذه القوة من بومباي بقيادة الكوموندور جى . بى . برکس (من الاسطول الهندي) مساء يوم ٤ يونيه ، وقبل أن تتحرك القوة أصدر قائدها أمرا الى الكابتن هانيل بوجوب انزال الجنود في جزيرة خرك لانه اعترض على بقاء الجنود في السفینتين لفترة محدودة من الانتظار ، كما طلب اليه تحذير السلطات الفارسية في بوشهر بأن القوة العسكرية الموجودة في جزيرة خرك على اهبة الاستعداد للعمل في أى لحظة ، واذا لمس هانيل أن الفرس يستعدون لمقاومة هذه القوة في حالة نزولها للجزيرة فعليه أن يختار بين مواصلة الخطة أم لا (١) .

(١) نفس المصدر خطاب رقم ٤ وخطاب رقم ٨ مداوات اللجنة الطارئة لحكومة بومباي وخطاب من برکس الى ملفيل (سكرتير) شركة الهند الشرقية) سميراميس : ١٨٣٨/٦/١٩ وقد شكل الجيش من بعض جنود الفرقة ١٥ والفرقة ٢٣ والفرقة ٢٤ ومن الفصيلة البحرية .

وصل ماكنيل الى معسكر الفرس الواقع بالغرب من الحيرة يوم ٦ ابريل ٤٠٠٠ وقد وجد الشاه ممتعضا من فشله فى ارغام حامية الحيرة على الاستسلام . وبالنظر الى تدهور روحه المعنوية فقد رحب الشاه باقتراح ماكنيل للتوسط بينه وبين سكان الحيرة ، ولكن ماكاد المبعوث البريطانى يغادر المعسكر لمفاوضة أهل الحيرة على تسوية النزاع مع الشاه حتى وصل الكونت سيمونيش الى المعسكر ، وكنتيجة لذلك رفض الشاه مشروع الصلح الذى اقترحه ماكنيل واخذ يضاعف من عملياته لاحتلال المنطقة وقد أدى ذلك الى ازدياد الموقف سوءا بين ماكنيل والشاه وبذلك توترت العلاقات بينهما . وفى منتصف شهر مايو تاكد ماكنيل من أن الشاه لا ينوى رفع الحصار عن الحيرة الا اذا قامت بريطانيا بارسال تحذيرات اليه واتخاذ خطوات أشد من جانبها ، ومع ذلك فقد شعر ماكنيل بأن لا بد من بذل محاولة أخيرة مع الشاه للاستماع الى صوت العقل . والى جانب موضوع الحيرة كانت هناك مسائل أخرى وكان يهم ماكنيل أن يصل الى حل مرض بشأنها . ومن هذه المسائل ما حدث لساعى المفوضية البريطانية فى طهران الذى تعرض لاعتداء من قبل المسئولين والجنود الفرس بينما كان الساعى فى طريقه من الحيرة الى طهران . وقد استولى الجناة على البريد الذى كان يحمله ، ثم بعد ذلك بشهرين ، أى فى شهر ديسمبر ١٨٣٧ ، نشأ نزاع بين طبيب المثلية البريطانية فى بوشهر وأحد الدراويش ، وعلى اثر ذلك طلب حاكم بوشهر من المقيم البريطانى بالوكالة تسليم الطبيب للمحاكمة امام محكمة البلدة ، غير أن المقيم رفض طلب السلطات الفارسية التى أرسلت تهديدات ضمنية الى المقيم بأنها سوف تنزل أشد العقاب بالمقيم ورجال المثلية وأنهم سيلاقون المصير الذى سبق أن لقيه السفير الروسى لدى فارس الذى هاجمه الأهالى هو

وأعضاء سفارته ومزقوهم اربا فى طهران فى فبراير ١٨٢٩ (١) ، وقد رد
 ماكنيل بعنف على تهديد السلطات الفارسية وارسل مذكرة لرئيس وزراء
 فارس يحتج فيها بشدة ويتهم السلطات الفارسية بأنها تقف وراء تصرفات
 حاكم بوشهر وأكد له بأن هذه التهديدات لا تخيف المسؤولين البريطانيين
 الذين يستطيعون الرد عليها بقوة (٢) . وقد أيد بالمرستون مذكرة ماكنيل
 حول هذا الموضوع وأوعز فى شهر ابريل ١٨٢٨ الى ماكنيل بأن يتصل بالحاج
 ميرزا أغاسى وتحذيره بأن حكومة صاحب الجلالة تطالب وتتوقع الحماية
 للمقيم البريطانى فى بوشهر وأنها تعتبر الحكومة الفارسية مسؤولة عن
 سلامته (٣) .

وفى مقابلة لماكنيل مع الشاه بتاريخ ٥/١٦ سلمه مذكرة بريطانية
 تحدد فيها الشروط التى توافق بريطانيا بمقتضاها على عودة العلاقات
 الودية مع فارس ، وأهم ما فى تلك الشروط مطالبة بريطانيا بعقد « اتفاق
 متكافئ » بين حاكم الحيرة وشاه فارس بالاضافة الى توقيع العقوبات اللازمة
 على المسؤولين الفرس عن الاعتداء على ساعى المفوضية البريطانية فى فارس
 وتخلي حكومة فارس عن طلبها بمعاينة الموظفين العاملين فى الممثلة قبل

(١) فارس والخليج مجلد ٥٩ من الدكتور مكنزى الى ماكنيل بوشهر
 ١٨٣٧/١٢/٢٧ ومرفق مع خطاب ماكنيل الى بالمرستون طهران
 ١٨٣٨/٢/١٧ (ورقم ١٧) .

(٢) بيانات ووثائق (١٨٩٠) مجلد ٤٠ وثيقة رقم س/١٧١ وخطاب
 رقم ٧٢ من ماكنيل الى الحاج ميرزا اغاسى ومرفق معه خطاب ماكنيل الى
 بالمرستون الذى أرسله من طهران بتاريخ ١٨٣٨/٢/٢٨ (٢) خطاب وزارة
 الخارجية البريطانية رقم ٦٠/٥٥ من بالمرستون الى ماكنيل ١٨٣٨/٤/١٤
 (٣) ٥٥/٦٠ من بالمرستون الى ماكنيل ١٨٣٨/٤/١٤ (رقم ٢٠) .

عرض الأمر على الوزير البريطانى فى طهران ، كما طالبت المذكورة بعقد معاهدة تجارية تمنح الوكلاء التجاريين البريطانيين فى الأراضى الفارسية نفس المعاملة التى يلقاها قناصل الدول الأخرى وإبعاد الموظفين المسؤولين عن توجيه الإهانات والاتهامات الى المقيم البريطانى من مكتب حاكم بوشهر (١) . وفى الرد الذى تلقاه ماكنيل على مذكرته حاول رئيس الوزراء التملص بأسلوب ذكى من المطالب البريطانية ، غير أن ماكنيل لم يتردد فى الاعراب لهم عن هذا الراى . كما لم تسفر المقابلة الثانية لماكنيل مع حاكم فارس التى تمت يوم ٣٠ مايو عن نتائج أفضل من نتائج المقابلة السابقة ، وأخيرا أدرك ماكنيل بأنه لافائدة من البقاء فى معسكر الشاه حتى لايتعرض لمزيد من الإهانات وبعد أن قام ماكنيل بتوجيه تحذير نهائى الى الشاه من أن الحكومة البريطانية لن تبقى مكتوفة اليدين ازاء حصار الشاه لاقليم الحيرة . حمل ماكنيل علم الممثلة وغادر المعسكر الى مشهد وغادر طهران يوم ١٦/٧ (٢) .

بعد عشرة أيام على هذا الحادث وصلت الحملة البحرية القادمة من بومباى الى ميناء بوشهر ، وفى يوم ١٩/يونيه نزلت القوات البريطانية منها الى جزيرة خرك (٣) أما ماهى الخطوة التى تخطوها بريطانيا بعد هذه العملية فإن ذلك الأمر كان ينتظر البت فيه . لقد كان اوكلاند منذ بداية الأمر يظهر

(١) فارس والخليج مجلد ٦٠ من ماكنيل الى بالمرستون من معسكر الشاه فى الحيرة ١٧/٥/١٨٣٨ (خاص) .

(٢) فارس والخليج من ماكنيل الى بالمرستون من مشهد بتاريخ ١٨٣٨/٦/٢٥ رقم (٣٠) .

(٣) مرفقات لرسائل حكومة بومباى السرية مجلد ١٠ ومرفق معه خطاب السكرتير رقم ١٤ المؤرخ ١٤/٧/١٨٣٨ من هانيل الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى بتاريخ ٢٠/٦/١٨٣٨ (رقم ٢٨ الادارة السياسية) .

حماسا شديدا لاتخاذ اجراء ما فى الخليج ، وقد كتب فى هذا الصدد خطابا الى هوب هاوس بعد خروج الحملة جاء فيه « اننى لا أميل الى الموافقة على هذه الحملة لانى اعارض الاعمال العسكرية الصغيرة التى لا تقوم على هدف محدد ، واذا كان لابد من مثل هذه الاجراءات فانه يتعين على ان اكون أكثر وضوحا فيما سأرسله من تعليمات الى حكومة بومباى حتى تقوم بوضع السفن والطرادات على أهبة الاستعداد فى بوشهر ، والا ففى إمكانها الاحتفاظ بقوة عسكرية صغيرة تبقى على أهبة الاستعداد هناك . وعلى أى حال فانه من المحتمل أن يؤدي هذا الاستعراض للقوة ، رغم صغره ، الى دعم موقف ماكنيل خلال مفاوضاته مع حكومة فارس ، وأن الخطاب الذى تلقته منه حول هذا الموضوع يتضمن رغبته الاكيدة فى اتخاذ اجراء كهذا (١) وكان اوكلاند يرى بأن أفضل عمل نقوم به لارغام الفرس على الانسحاب من اقليم الحيرة واتقاء الأخطار التى تأتينا من تلك الجهة هو أن نقوم باجراء عسكري ضد افغانستان . وهذا يقتضى تثبيت حكم رانجت سنج فى بشاور والاتفاق معه على خلع دوست محمد حاكم كابول وتنصيب شاه شوجا المطالب بالحكم مكان دوست محمد ، وذلك بسبب غموض موقف روسيا ، واذا تم هذا فان من المتوقع أن يوافق شاه شوجا على عقد حلف مع حاكم اقليم الحيرة السودازى . وقد أبدى بالمرستون ميلا الى تبني هذا الاقتراح وصرح : « بأن الخطوة السلمية أمامنا هى القيام بعملية عسكرية كبرى فى افغانستان وبعدها نقوم باعادة تنظيم تلك الدولة تحت زعامة حاكم واحد ، على أن يتم تعويض رانجت سنج باعطائه بشاور وكشمير . وبالتالي فان وجود دولة صديقة مرتبطة بعلاقة مع حكومة الهند البريطانية فى افغانستان سيكون أنضل لنا من حكومة فارس لأن تلك الحكومة سوف تكون تحت سيطرتنا

(١) خطاب من اوكلاند الى هوب هاوس شيلا ١٨٣٨/٦/١٧ .

وسوف يتيح لنا وجود مثل هذه الدولة مركزا جغرافيا لا يقل عن المركز الجغرافي الذي تتمتع به روسيا في فارس (١) .

ومن ناحية أخرى فقد كان ماكنيل يتصور وجوب ممارسة ضغط أكبر على حكومة الشاه كاجراء لدفعها على الانسحاب من اقليم الحيرة، وقد كتب الى اوكلاند وهو في تبريز حيث توقف بعض الوقت ، وهو في طريقه الى الحدود التركية ، كتب يقترح ارسال مابين ٥٠٠٠ و ٦٠٠٠ جندي الى الخليج للقيام بزحف على شيراز وطهران . ولم يرفض بالمرستون الاقتراح رفضا مباشرا الا انه أبدى اعتراضات هامة عليه « اذا كان يتعين علينا ان نقوم بعملية زحف على شيراز فانه من المحتمل ان ننجح ومن المحتمل ان نفشل ، فان فشلنا فاننا سوف نعطي انطبعا مؤسفا عن انفسنا ، أما اذا نجحنا فان هذه العملية سوف تؤدي الى اهتزاز عرض الشاه وحكمه بدرجة تتجاوز مصالحنا . ان هدفنا بالطبع ليس الاحتفاظ بجنوب فارس وانما ارغام الشاه على التسليم بمطالبنا بالنسبة الى اقليم الحيرة وغيره من المسائل ، غير أن وجود قوات غزو في فارس قد يؤلب الرأي العام ضدنا كما قد يؤدي الى انقسامات خطيرة بين الفرس انفسهم بحيث يضطر الشاه الى الاعتماد أكثر وأكثر على الروس ، وهذا شيء لانسى اليه اطلاقا ، أما القيام بعمليات عسكرية في افغانستان فانه سوف يحقق لنا الهدف المنشود وسوف نتمكن من الاحتفاظ بها، لهذا فلا ينبغي أن نسدد ضربة في منطقة ما كي تحدث نتائج عكسية في منطقة أخرى .

كان الشعور الذي يسود البرلمان البريطاني خلال شهرى أغسطس وسبتمبر يكاد يكون نفس الشعور ، وان كان الرأي الغالب فيه أن الخيار قد

(١) متفرقات حكومة بريطانيا مجلد ٨٣٨ من بالمرستون الى هوب

هاوس ١٨٣٨/٨/٢٥

أصبح فى يد اوكلاند ، وقد تحدث مالبورو فى هذا الصدد الى هوب هاوس فقال : « بأنه لا يعتقد بأن اوكلاند سوف يقوم بمثل هذه العملية فى أصفهان ولكنه اذا قام بها فينبغى علينا أن نسانده ، وانى أميل الى الاعتقاد بأن القيام بعمليات عسكرية فى أفغانستان سيكون أضمن لنا من القيام بعمل ضد فارس من الخليج خصوصا واننا لا نملك قاعدة ننتقل منها غير السفن البحرية

غير ان فكرة اعداد هجوم على فارس من الخليج ظلت تسيطر على ذهن بالمرستون ، وفى أواخر شهر سبتمبر كتب الى هوب هاوس يقول « بأنه اذا كان فى الامكان ارسال حملة عسكرية الى الخليج للهجوم على طهران وخلع الشاه وتنصيب حاكم جديد مكانه موال للحكومة البريطانية، واذا استطاعت هذه الحملة ان تتحدى الشاه وحلفاءه الروس فانها تعتبر خطوة جريئة تستحق أن تقوم بها ، غير أنى اعتقد أن هذا الاجراء فوق امكانياتنا ، وبالرغم من ان نجاح مثل هذه العملية سيكون نجاحا عظيما ، فان فشلها سيكون فشلا قاتلا . غير أن هوب هاوس عارض هذه الفكرة كما عارض موقف البرلمان وعلى الاخص موقفى مالبورو وبالمرستون اللذين تركا الأمور لاوكلاند لتقريرها : « اننا ملزمون بتحديد موقفنا من التحركات الجزرية على سواحل الخليج لأن هذه التحركات ان تقتصر على احتلال جزيرة خرك لوحدها وعلى العدد القليل الذين تتألف منهم الحملة ، اننا نعرف أن ماكنيل طلب ارسال ٥٠٠٠ جندى . وأنه طلب من الكابتن هائيل المقيم البريطانى العمل على احتلال بوشهر ، واذا قدر للقوات العسكرية ان تصل الى الشاطيء وترفع العلم البريطانى على جزء من اراضى فارس فان الشاه فى هذه الحالة سوف يخير بين أن يخضع لشروطنا أو أن تقوم الحملة بالزحف على البلاد . ان التردد فى هذه القضية أو التراجع عنها سوف يصيبنا بالعار الأبدى ليس بين جيراننا الشرقيين فحسب بل فى أوروبا كلها . وبالتالي فان علينا أن نعد أنفسنا لاتخاذ قرار حاسم وأن نعلنه على الرأى العام وذلك على ضوء الاقتراح القائل بـ
بفزو فارس » .

فى جلسة البرلمان المنعقد فى وندسور يوم ٦ اكتوبر تم اتخاذ القرار النهائي فى هذا الموضوع وقد تم ابلاغ أوكلاند به بموجب المذكرة المؤرخة ٢٤ اكتوبر (١) ، وقد تضمنت هذه المذكرة العدول عن القيام بأى عملية لغزو فارس من الخليج لأن عملية كهذه ستعتبر حربا سافرة • ولما كان من المتوقع أن ينضم عدد كبير من سكان المنطقة الجنوبية من فارس الى القوات البريطانية فان الحملة سوف تظهر وكأنها محاولة لخلع الشاه ، ومهما تكن هذه الخطوة مفيدة لخلع حاكم ، كان ولايزال مستعدا لفتح بلاده لأى دولة تغذى فيه نزعات الفتح والتوسع ، فان هناك احتمالا بأن يدفع هذا الغزو حكومة الشاه الى طلب العون من روسيا ، الأمر الذى سيؤدى الى نشوب حرب بين بريطانيا وروسيا فى آسيا ، لهذه الأسباب ينبغى أن تنحصر المطالب البريطانية من حكومة فارس فى الحصول على تعويضات عن الأضرار التى لحقت بالمفوضية البريطانية فى طهران ، وتخلى الشاه عن أطماعه فى أفغانستان ، كما تقرر بقاء الحملة العسكرية فى خرك حتى يتم الوصول الى اتفاق حول هذا الموضوع ، وبعد أن يتحقق هذا المطلب يمكن أن يطلب من الشاه الموافقة على بقاء خرك كقاعدة للأسطول البريطانى فى الخليج •

أما الشاه فقد قرر رفع الحصار عن اقليم الحيرة قبل أن يعلم البرلمان البريطانى بذلك ، ففى منتصف شهر يوليو تسلّم ماكنيل فى تبريز مذكرة من بالمرستون تاريخها أواخر مايو ، وقد أوعز اليه فيها بأنه فى حالة فشله فى اقناع الشاه برفع الحصار عن اقليم الحيرة يتعين عليه أن يوضح له الآتى: أن الحكومة البريطانية لا تستطيع بأى حال أن تغض الطرف عن مخطط الشاه لاحتلال أفغانستان ، وبأن حكومة صاحب الجلالة لديها من الأسباب ما يجعلها تعتقد بأن خطة الشاه هذه قد تمت بالاتفاق مع روسيا ، وأن

(١) من مسودات مجلس ادارة الشركة التقرير السرى المجلد العاشر

المسودة المرفوعة للحاكم العام ٢٤/١٠/١٨٣٨ •

الحكومة البريطانية لذلك ينبغي أن تنظر الى هذه الخطة باعتبارها مظهرًا
عدائيا من مظاهر السياسة الفارسية ضد حكومة الهند البريطانية . .
وبالتالى فانه او قدر لخطط الشاه أن تحقق النجاح فان ذلك سوف يضع
حدا لعلاقات الصداقة التى ظلت حتى الآن قائمة بين بريطانيا العظمى
وحكومة فارس ، وبأن الحكومة البريطانية سوف يتوجب عليها تبعا لذلك
أن تتخذ من الخطوات ما تراه ضروريا لتأمين مصحتها والحفاظ على ممتلكات
التاج البريطانى فى الهند (١) .

وقد قرر ماكنيل تسليم هذا التحذير الى حكومة الشاه ولذلك فاقدم
أوفد أحد أعضاء هيئة المفوضية البريطانية الكولونيل استودارت ليقوم
بتسليم التحذير الى الشاه شخصيا فى معسكره القريب من اقليم الحيرة .
وقد شعر ماكنيل بأن الشاه قد تلقى من الدروس ما فيه الكفاية من تطورت
الاحداث التى مرت عليه منذ خروج ماكنيل . فقد تحطم الهجوم الكبير الذى
قام به الشاه يوم ٢٣/٦/١٨٣٨ على دافعات الاقليم وتكبد الفرس من جراء
ذلك خسائر جسيمة كما ان الانزال البريطانى فى جزيرة خرك واحتشاد
القوات البريطانية فى الهند استعدادا للهجوم على أفغانستان لتأييد أسرة
السادوزى قد أشاع القلق فى صفوف الفرس مما أرغم الشاه على
الاستماع الى مبعوث ماكنيل وعلى موافقته بعد تردد على جميع المطالب التى
سبق له ان رفضها قبل ثلاثة أشهر . وفى اليوم التاسع من سبتمبر

(١) مذكرة الخارجية البريطانية رقم ٦٠/٥٥ من بالمرستون الى
ماكنيل ٢١/٥/١٨٣٨ وقد عاد بالمرستون فبعث بتحذير آخر شديد اللهجة
وذلك فى شهر يوليو (انظر نفس المجلد من بالمرستون الى ماكنيل رقم ١٣٩
المؤرخ ٢٧/٧/١٨٣٨ .

انسحب الجيش الفارسي من اقليم الحيرة متجها الى الغرب (١) غير ان رفع الحصار عن اقليم الحيرة لم يؤد تلقائيا الى الغاء خطة غزو أفغانستان فقد عاد ماكنيل فأكد بان هذه الخطة يجب أن تَمْضى قدما حفاظا على المصالح البريطانية في الهند مستقبلا . وكان هذا يعنى علي اي حال عدم التفكير في غزو فارس من منطقة الخليج لانه اجراء لم يكن يتلاءم مع تفكير ماكنيل كما أكدت ذلك المذكرات التي وصلت حول قرار البرلمان الذي اتخذ في شهر أكتوبر ، واذا وضعنا في الاعتبار معارضة اوكلاند لحملة الخليج والنهاية التي انتهت اليها سياسته الأفغانية فان ذلك يجعلنا نتساءل عما اذا كان احتلال جزيرة خورك من جانب القوات البريطانية يخدم الغرض المطلوب منه، وعلى الأخص اذا كان له تأثير على انسحاب القوات الفارسية من اقليم الحيرة . أما هوب هاوس فقد كان يعتقد بأن ذلك الاحتلال لم يخدم شيئا على الإطلاق ، وذكر رأيه هذا لجرانت : « اننى أخشى أن تكون الحملة على الخليج قد بدأت متأخرة بينما قال لاوكلاند » بأن الحملة جاءت فعلا متأخرة جدا ، كما كانت صغيرة في حجمها فاذا اتفقنا مع هوب هاوس على أن : « الحملة تبدو له صغيرة ومحدودة جدا وتتعارض مع رأيه الذي يقوم على اساس أننا اما أن نتخذ اجراء فعلا وعنيفا أولا نتخذ أى اجراء » أما اوكلاند فكان يعتقد ، وهذا ما يدعو الى الغرابة ، بأن الحملة كانت فعالة وقد كتب في هذا الشأن يقول : « بأن حملة الخليج قد ساهمت الى حد كبير في تعزيز موقف ماكنيل في مفاوضاته مع الشاه (٢) . أما الكابتن هانيل الذي كان قريبا من

(١) بيانات ووثائق (١٨٣٩) مجلد ٤٠ وثيقة رقم ١٧١ وخطاب رقم ٩٨ وخطاب رقم ١٠٠ من ماكنيل الى بالمرستون بتاريخ ١٨٣٨/٩/١١ ، ١٨٣٨/١٠/٦ .

(٢) متفرقات من أرشيف حكومة الوطن مجلد (٨٣٨) من هوب هاوس إلى جرانت ١٨٣٨/٨/٢٨ وخطاب الى اوكلاند بنفس التاريخ .

مسرح الأحداث فقد كان يرفض الراى وهو : « أن خوف الشاه من قيام البريطانيين من اجتياح المنطقة الجنوبية من فارس هو الذى جعله يقرر رفع الحصار عن الاقليم والعودة الى طهران، كما قيل أيضا ، بأن الشاه كان يحس بانزعاج بسبب اضطراره الى التخلي عن مكسب اقليمى كان فى متناول يده وذلك بسبب ذلك الاستعراض التافه للقوة البريطانية . وكان شيل سكرتير المفوضية البريطانية فى طهران يؤيد نفس هذا الراى (١) . ثم جاء هنرى رولنسون فأعرب عن رأيه هو الآخر فى هذا الشأن وقال، بأن انسحاب الشاه من اقليم الحيرة لم يكن بسبب الاحتلال البريطانى لجزيرة خرك وانما يعود الى فشل الهجوم الفارسى يوم ٦/٢٣ والذى قرر المصير لتلك الحملة ، ويضيف هنرى رولنسون بأنه اذا كان وجود كتيبة من ٥٠٠٠ جندى ومدفعين من عيار ٦ هو الذى أدى الى رفع الحصار عن الحيرة وتخلي شاه فارس عن أطماعه فى ذلك الاقليم فان هذا يعطينا فكرة واضحة عن قوة هذا البلد الذى كنا نتوقع أن يأتينا الخطر منه (٢) .:

لقد وقع الاحتلال البريطانى لجزيرة خرك والهجوم الفارسى الكبير الآخر على اقليم الحيرة خلال بضعة أيام من أحدهما الى الآخر ، وبالتالي فمن المرجح أن يكون تأثيرهما على الشاه تأثيرا جماعيا . فليس المهم حجم الحملة العسكرية ، وعلى أى حال فان كلتا النتيجةين كان يمكن أن تثير القلق والانزعاج للشاه . ومن المؤكد أن الحملة قد أحدثت ارتباكا للروس . ففى أول نوفمبر قام الكونت فوزودى بورجا السفير الروسى فى لندن بتسليم مذكرة من الكونت نسلرود الى بالمرستون يحتج الأول فيها بشدة على احتلال البريطانيين

(١) مسودات مجلس ادارة الشركة التقرير السبرى الى حكومة الهند مجلد ٢١ مسودة مرفوعة الى الحاكم بتاريخ ١٨٥٦/١٠/٢٥ ومرفق معه مذكرة من هانيل من شلتهنهام فى انجلترا بتاريخ ١٨٥٦/١٠/٢٢ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٦٤ من شيل الى باك هاوس ارض روم

١٨٣٩/٢/١٢ .

لجزيرة خرك ويقول نسلرود في مذكرته بأنه يتكلم باسم الشاه ويقدم الاحتجاج بالنيابة عنه ، كما يقول وزير خارجية روسيا ، بأن وجود القوات البريطانية في خرك انتهاك صريح لسيادة فارس ، ويتعين سحبها فوراً هي والأسطول العامل في الخليج ، فإذا تم ذلك فإن روسيا سوف تؤيد بريطانيا في جهودها لاقتناع شاه فارس بالبقاء ضمن حدود بلاده وعدم القيام بعمليات عسكرية جديدة كتلك التي قام بها على إقليم الحيرة (١) ، وقد ذكر بالمرستون لهوب هاوس بأن الروس تنتابهم الحساسية تجاه خرك فقد ركز السفير الروسي تركيزاً شديداً على هذا الموضوع ، ربما لأنهم يدركون الأهمية التي تتميز بها هذه القاعدة ، وقد قال بوزدي ، انكم سوف تنسحبون منها ولكنكم يمكنكم العودة إليها متى شئتم ، والذي استنتجته من هذا القول هو أنه بمجرد انسحابنا من هذه الجزيرة فائهم سوف يقنعون الشاه بوجوب تحصينها بحيث يتعذر علينا الاستيلاء عليها مرة أخرى (٢) ، غير أن بالمرستون لم يكن يرغب في الانسحاب من جزيرة خرك في تلك الفترة على الأقل كما أنه لم يكن يهتم بتهدئة المشاعر لوزير الخارجية الروسية ، وقال بأن الاحتفاظ بالقاعدة سوف يستمر كضمان لوفاء حاكم فارس بالوعود التي قطعها لستوردت ، بل من المحتمل أن تطلب إنجلترا من الشاه التخلي عن تلك الجزيرة بصفة دائمة لكي تتخذها بريطانيا قاعدة للأسطول في الخليج ، ولكن بالمرستون لم يكن يتوقع اطلاقاً بأنه ستكون لاحتلال بريطانيا

(١) انظر متفرقات اضافية رقم ٣٦٤٦٩ من نسلرود إلى بوزدي بورجا ١٨٣٨/١٠/٢٠ ومتفرقات وزارة الهند مجلد ٨٣٩ من هوب. هاوس إلى بالمرستون ١٨٣٨/١١/١٦ وإلى اوكلاند ١٨٣٨/١١/٢٤ .

(٢) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٩ من بالمرستون إلى هوب هاوس ١٨٣٨/١١/١٤ ويكمن الاطلاع على رد بالمرستون على بوزدي من الخطاب المؤرخ ١٨٣٨/١٢/١٠ .

لحرك تلك الأهمية العظيمة ، لا فى مساومة الفرس على تحقيق تسوية نهائية للمشاكل المعلقة فحسب وانما كمرساة فى خضم العاصفة الهوجاء التى كانت على وشك أن تهب من سواحل الخليج . وفى شهر مايو عهد الى خورشيد باشا بقيادة الجيش المصرى فى نجد الذى كان قد أقام مقر قيادته العامة على بعد نحو مائتى ميل الى الشمال الغربى من الرياض (١) وأمضى خورشيد باشا طوال فصل الصيف فى تدعيم نفوذه فى شبه الجزيرة وانشاء مراكز لتموين الجيش ، كما تلقى تعزيزات من الجنود تقدر بنحو ألفى جندى، وبهذه القوات مجتمعة تحرك فى شهر سبتمبر نحو الرياض . وعند وصوله اليها انضمت اليه قوات الأمير خالد ، ثم بعد فترة قصيرة تحركت كل هذه القوات فى طريقها الى الأحساء . وكان خورشيد باشا قد قام بمبادرة بارسال وفود الى شيخى الكويت والبحرين يخطرهما فيها بتقدم جيشه وبطلبهما بتقديم ما يحتاجه الجيش من تموين عند وصوله الى ساحل الخليج . اما فيصل الذى يبدو أنه كان يعارض الخضوع لمحمد على فقد أخذ

(١) كان مالبورو على عكس بالمرستون يبدى ضيقا شديدا من النتائج غير المرضية التى قد تترتب على التمسك بجزيرة خرك خاصة على ضوء احتجاج وزير خارجية روسيا وقد قال لهوب هاوس : ان الخروج يبدو ضعيفا بالنسبة لجزيرة خرك ولما كانت الحملة قد حققت هدفها بالنسبة لغزو شاه فارس لاقليم الحيرة فالى اشك فى مبدأ التمسك بهذه الجزيرة بعد التطورات الاخيرة لأن استثمارنا فى جزيرة خرك سوف يضىء على ذلك الاجراء الدفاعى طابع الغزو العدوانى (وزارة الهند - متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٩ مجلد ٨٣٩) من مالبورو الى هوب هاوس ١٨٣٨/١١/٣٠) ونزولا على راي مالبورو فقد ادخل هوب هاوس بعض التعديلات التى أرسلها الى اوكلاند بخصوص خرك راجع خطاب هوب هاوس الى اوكلاند ١ ، ١٨٣٨/١٢/٥ نفس المجلد .

يستعد لمواجهة عسكرية مع خورشيد باشا عند مشارف الرياض ، وقد وضع خطته على أساس أن يقوم بقتال انسحابى الى الأحساء التى أسند الدفاع عنها الى القائد عمر بن عوفيسان والى الأحساء (١) ، وطوال شهرين تمكن فيصل بما كان يتميز به من الشجاعة والحنكة العسكرية من الصمود أمام المصريين وخالد ، غير أن خورشيد تمكن فى بداية شهر ديسمبر من محاصرة الامير فيصل فى ديلم على بعد خمسين ميلا جنوب الرياض بينما واصل خالد زحفه الى أن وصل الى ساحل الاحساء فى القطيف . وقبل نهاية الشهر اضطر فيصل الى الاستسلام بينما أوقف بن عوفيسان العمليات العسكرية وفر هاربا الى البحرين (٢) .

ان أول خبر تلقاه بالمرستون عن تحرك قوات خورشيد باشا من عنزة جاءت من كامبل فى القاهرة ، اما المعلومات الخاصة عن عزم خورشيد باشا الزحف الى الخليج ومنه الى البحرين فقد تلقاها من اللفتنان كولوئيل تايلور المقيم البريطانى فى بغداد ، وفى ٢٩ نوفمبر بعث بالمرستون بالرسالة التالية الى كامبل : -

« ان المعلومات التى تلقتها حكومة صاحب الجلالة مؤخرا من بغداد تفيد بأن القوات المصرية على وشك الوصول الى الاحساء والقطيف بهدف

(١) وزارة الخارجية رقم ٧٨/٣٤٣ من كامبل الى بالمرستون ١٨٣٨/٧/٢ ومرفق معه خطاب خورشيد باشا الى حسين باشا الياور الاول لمحمد على عنزه فى ربيع الاول ١٢٥٤ الموافق ١٨٣٨/٥/٢٨ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٦٣ من هانيل الى ماكنيل ١٨٣٨/١١/١ والى اللجنة السرية بتاريخ ١٨٣٨/١٢/١٥ ومختارات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٤٤٥ « ملحمة تاريخية عن الوهابيين » ، ١٨٣٢ - ١٨٤٤ تأليف كامبل .

الاستيلاء فى النهاية على جزيرة البحرين الواقعة فى الخليج الفارسى .
 لهذا فاننى اطالب منك بأن تقوم باستفسار محمد على باشا عن صحة
 هذه المعلومات وبأن تبلغه بأن حكومة صاحبة الجلالة تثق وتأمل أنه بعد
 التفكير فى الأمر أن تتخلى تلك القوات عن نواياها فى احتلال الخليج ،
 لأن مثل هذا العمل كما سبق أن تم توضيحه اليه سوف تنظر اليه الحكومة
 البريطانية نظرة جادة (١) .

كان بالمرستون متأكداً من ان ذلك التحذير سوف يأتى مفعوله لمنع
 الوالى من القيام بمغامرات عسكرية فى شبه الجزيرة العربية ليس فقط
 على جانبها الشرقى وإنما على جانبها الغربى أيضا . وعندما كتب بالمرستون
 الى هوب هاوس يوم ١٢/٢٤ يقترح استخدام القوات العسكرية فى جزيرة
 خرك اذا لم يكن بد من سحبها فى احتلال عدن ، وقد أشار اليه فى هذا
 الصدد بأنه يتعين على اوكلاند بأن لا يبدى أى ارتياح تجاه محمد على باشا ،
 كما لا ينبغى أن يخشاه لأن الوالى لن يجرؤ على اتخاذ موقف مضاد
 لانجلترا بأى حال من الأحوال أو بأى اجراء خطير قد تقوم به للمحافظة على
 مصالحنا ، وان قائد الحامية فى خرك سوف يقوم بتوضيح هذه النقطة
 والنقاط المتعلقة بالخلاء القاعدة لسلطان عدن حتى لاتساوره أى شكوك حول
 هذا الموضوع (٢) ، وبعد شهرين أى فى شهر يناير ١٨٣٩ استولت بريطانيا

- (١) رسائل وزارة الخارجية البريطانية رقم ٧٨/٣٤٣ من بالمرستون
 الى كامبل بتاريخ ١٨٣٨/١١/٢٩ .
 (٢) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٩ من بالمرستون الى هوب هاوس
 ١٨٣٨/١٢/١٢ وقد ورد نص هذه الرسالة فى خطاب هوب هاوس الى اوكلاند
 بتاريخ ١٨٣٨/١٢/٢٦ بنفس المجلد وقد جاء فى هذه الرسالة : « اننى
 اعتقد بذلك سوف تواجه بعض الصعوبات بالنسبة لاحتلال عدن فارجو
 الا تضيع الوقت وإنما ان تبادر الى استخدام القوة لاحتلال تلك المنطقة
 ولا تحاول أن تجامل باشا مصر اطلاقاً » .

على عدن بالرغم من معارضة حاكمها على هذا الاجراء ، وقد قامت باحتلالها
 قوة من الجيش الهندى فى بومباى •

وفى بداية الشهر كان كامبل قد انتهى من تسليم احتجاج بالمستون
 الى الحكومة المصرية ، غير أن محمد على باشا كان متغيبا عن مصر فى
 السودان وقد حصل كامبل على وعد من وزير محمد على باشا باغوص بك
 ببلاغ رسالته الى الوالى كما أنكر باغوص بك بأن للوالى أطماعا فى
 البحرين ، غير أن كامبل لم يتعرض فى مذكرته الى موضوع الاحتلال
 المصرى للاحساء (١) • وفى بداية شهر يناير كان خورشيد باشا قد أقام
 حاميات عسكرية فى الموانى الهامة الواقعة على ساحل الاحساء كالتطيف
 والعقير وسيحات ، كما أوفد مبعوثين منه الى الكويت والبحرين والى
 زعماء قبائل المنتفك فى العراق للحصول منهم على امدادات وتموين ، أما
 خورشيد نفسه فقد أقام معسكره فى السلمية على بعد بضعة أميال شمال
 ديلم بين الرياض والهفوف • وفى نهاية فبراير وصل يوسف ارتون الطبيب
 الخاص لخورشيد باشا الى بوشهر يحمل رسائل للكاتب هانيل المقيم
 السياسى البريطانى فى بوشهر والى قائد الحامية البريطانية فى جزيرة خرك ،
 وقد ذكر هذا الطبيب الذى يعتبر نفسه فرنسيا ، ولكنه ربما يكون سوريا ، بأنه
 قد جاء للحصول على مشروب البراندى وغيرها من الاشياء والمواد التى يحتاج
 اليها الباشا ، وقد أنكر خورشيد باشا فى رسالته الى هانيل ما ادعى به
 سابقا ، من ان حملته الى وسط وجنوب شبه الجزيرة العربية من أجل خالد
 بن سعود ، وأضاف فى رسالته بأن نجد قد خضعت له وأصبحت تحت
 السلطة الشرعية لمحمد على باشا ، كما ان البحرين التى كانت تابعة للوهابين

(١) من رسائل وزارة الخارجية البريطانية رقم ٧٨/٣٧٣ من كامبل الى

بالمستون ١٨٣٩/١/٢٦ •

سوف ترغم على الخضوع للوالى وبأن فيصل بن تركى قد أخذ أسيرا وهو الآن فى طريقه الى القاهرة ، أما اتباع الامير وعلى رأسهم عمر بن عوفيسان فقد لجأوا الى البحرين ولكن الترتيبات جارية للقبض عليهم والاستيلاء على الأموال التى هربوا بها، وأما أهل البحرين الذين يرتبطون بعلاقات تجارية ببريطانيا فلم يمسه اى سوء كنتيجة للاحتلال المصرى للجزيرة (١) . كما ان هدف خورشيد من ارسال هذا الخطاب الى هانيل هو مواجهته بالأمر الواقع . ففى يناير بعث خورشيد برسول يدعى محمد افندى الى شيخ البحرين يطالبه بتسليم عمر بن عوفيسان والأموال التى يقال انه استولى عليها ، كما طلب الى الرسول ابلاغ الشيخ بوجوب حضور نجليه الى معسكر الباشا ليأخذهما كرهينة وأن يطالبه باستئناف دفع الزكاة التى كان يدفعها للرياض مع المبالغ المتأخرة . ولم يعرف ما اذا كان الجزء الأخير من هذه المطالب قد أرسل بالنيابة عن الأمير خالد بن سعود أم بالنيابة عن الوالى نفسه ، وقد حاول شيخ البحرين رشوة المبعوث المصرى وعرض عليه (١٣ الف ريال نمسوى) ولكن عندما رفض المبعوث المبلغ صارحه الشيخ بعدم استطاعته الاستجابة لمطالب خورشيد باشا ، لأنه على حد قوله تابع لفارس فى السلطة . وعلى اثر ذلك بادر شيخ البحرين الى ارسال خطاب الى أمير فارس يعرض عليه وضع البحرين تحت حمايته ودفع الزكاة السنوية للأمير (٢) .

- (١) مرفقات لرسائل حكومة بومباى مجلد ١٢ مرفق لخطاب السكرتير رقم (٤) بتاريخ ١٨٣٩/٤/١٣ من هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٣/٢ (رقم ١٤ الادارة السرية) ومرفق معه خطاب خورشيد باشا الى هانيل بتاريخ ٢٤ ذى القعدة ١٢٥٤ الموافق ١٨٣٩/٢/٩ .
- (٢) فارس والخليج مجلد ٦٤ من هانيل الى اللجنة السرية ١/٢٤ ، ١٨٣٩/٢/١٧ ومن تابلور الى اللجنة السرية بتاريخ ١٨٣٩/٣/٢١ .

وقبل ذلك بحوالى شهرين وفى الوقت الذى كان المصريون يتقدمون نحو الاحساء وكان شيخ البحرين الذى يراقب تقدمهم بكثير من القلق قد قدم طلبا مماثلا الى المقيم البريطانى فى بوشهر ، وقد أحال المقيم طلبه الى حكومة بومباى دون أن يعلق عليه ، وعندما استشير فى رأيه بعد ذلك ذكر ، بأنه فى الوقت الذى يعتبر فيه وضع البحرين تحت الحماية خطوة مقبدة لنا فى مقابل تصاعد نفوذ محمد على بين القبائل الساحلية لشبه الجزيرة بعد احتلاله لنجد والاحساء ، كما أن الاجراج الذى سوف يسببه انشاء تحالف رسمى مع الخليفة وبالأخص التزام بريطانيا بالدفاع عن ممتلكات البحرين فى قطر يفوق فى خطورته المزايا التى قد تحصل عليها بريطانيا من القيام بهذه الخطوة . وكان من رأى هانيل أن المحافظة على استقلال البحرين أمر جوهري بالنسبة لأمن الخليج ولكنه كان يعتقد من ناحية أخرى بأنه يمكن اقناع خورشيد باشا بالكف عن تهديداته للبحرين مع توجيه تحذير له بهذا الشأن (١) .

وقد عاد هانيل فاضطر الى تغيير رأيه هذا أو على الأقل إدخال تعديل على الجزء الأخير منه وذلك بعد وصول يوسف ارتون مبعوث خورشيد باشا .

وقد ذكر ارتون لمساعد هانيل اللفتنانت تى ادمونز أن خورشيد على اهبة الاستعداد للهجوم على البحرين ، غير أنه يريد أن يعرف قبل قيامه بهذا الهجوم رد الفعل البريطانى ، كما أنه فى الوقت نفسه ينتظر وصول

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢ مرفق للخطاب السرى رقم ٤١ مؤرخ ١٣/٤/١٨٣٩ من هانيل الى ويلوبى ٢٢/٢/١٨٣٩ (رقم ١٣ الادارة السرية) .

الامدادات عن طريق البحر الأحمر والتي يتوقع ان تصل فى أية لحظة . ومع ذلك فقد كان هانيل يعتقد بأن البحرين يمكنها أن تصمد لهجوم خورشيد باشا على الأقل الى أن تصل الامدادات التى ينتظر خورشيد وصولها ، غير أن ادموندز لم يكن يشاطره هذا الرأى فقد كتب يقول : « اننى لا أعتقد أن مغامرا مثل خورشيد باشا الذى قام بالزحف من شواطئ البحر الأحمر الى سواحل الخليج وأصبح يثير الرعب بين سكان تلك المناطق قد لا يلقى صعوبة فى الحصول على بعض السفن لعملية عبور المضيق الفاصل الذى يفصل بين جزيرة البحرين وأرض شبه الجزيرة العربية (١) كما لا أتصور أن أى قدر من الاحتجاجات قد يمنعه من تحقيق اطماعه . على أن شيئا واضحا يبدو تمام الوضوح ، وهو أن الباشا وجيشه متلهفان للوصول الى البحرين طمعا فى وضع أيديهم على الاموال واللآلىء التى يعتقدون أنهم سوف يستولون عليها من البحرين ، وعلى الأخص المبلغ الذى يقدر بـ (٤٠٠ ألف ريال نمسوى) والذى يقال (وربما كان هذا رقما مبالغا فيه) أن وزير الأمير فيصل قد هرب به الى البحرين (٢) وقد ذكر ادموندز بأنه بدلا من تقديم الاحتجاجات فانه سيكون من الأفضل تسوية تلك المشكلة عن طريق تسليم شيخ البحرين للمطلوبين أو الاموال التى اصطحبها معه عمر بن عوفيسان ، وذلك بدلا من المضى فى مطاردة الباشا وجيشه وفى رأى أن هذا الباشا قائد موهوب لأن جميع السكان العرب على امتداد المنطقة المينة الى البحرين متحدون ومنضبطين تحت حكم هذا الباشا لدرجة أنهم يقومون بأنفسهم بحراسة المراكز العسكرية وابقاء الاتصالات مفتوحة مع مصر .

بالرغم من ان هانيل كان يزود رؤسائه بتقارير منتظمة عن تقدم قوات

-
- (١) متفرقات من ادمونز الى ويلوبى بوشهر فى ١٨٣٩/٣/٥ .
 (٢) اذا تصورنا ان خورشيد باشا يتسلم بريده فى مدة لا تتجاوز ٣١ يوما وقد اقترح ادمونز على الحكومة البريطانية باتباع نفس الترتيب .

خورشيد نحو الخليج خلال الشهور الثلاثة الماضية ، الا أنه لم تكن لديه التعليمات الخاصة بالخط السياسى الذى يتوجب عليه أن يتبعه فى حالة وصول قوات خورشيد الى الخليج . ومن هنا فقد حرص هانيل فى رده على خطاب خورشيد باشا على القول بأن حكومته سوف تنظر بشئ من القلق تجاه أى خطوة معادية يقوم بها ضد البحرين باعتبارها من الدول الموقعة على المعاهدة العامة لسنة ١٨٢٠ ، كما دعاه الى ارجاء هجومه على الجزيرة ريثما يتمكن من احالة القضية الى حكومة بومباى والحصول على تعليماتها فى هذا الشأن ، وفى حالة رفضه لهذا الاقتراح طلب منه أن يمهله بعض الوقت قبل أن يقدم على عملية الهجوم على الجزيرة ، وذلك لكى يتمكن المقيم البريطانى من ارسال بعض القوات لحماية الرعايا البريطانيين والممتلكات البريطانية فى الجزيرة (١) . وقد بعث هانيل بخطابه الى القطيف بيد ادمونز الذى توجه على الطراد دجلة وقد كلف ادمونز أيضا بعملية استطلاع لقوات خورشيد باشا وتحركاته . وصل ادمونز الى القطيف يوم ٢٤ مارس وقد علم من قائد الحامية هناك محمد الكاشف بأن خورشيد باشا لا يزال فى السليمية مع القوات الرئيسية من الجيش ويقدر عددها بـ ٣٠٠٠ جندى وبانه قد بعث فى طلب امدادات وتعزيرات جديدة تقدر بنحو الف جندى من الخيالة وألفين من الجنود المشاه ، وذلك من ضمن الاحتياطى من القوات ويقدر عددها بنحو ١٥ ألف جندى والذين يرابطون فى المدينة بقيادة سليمان باشا وبأنه من المتوقع أن تصل تلك التعزيرات الى السليمية فى بحر ١٥ يوما بالسير السريع وكان معقولا أن يستنتج ادمونز من ذلك كما ذكر لهانيل فيما بعد بأن الباشا لن يتمكن من الهجوم

(١) مرفقات حكومة بومباى السرية مجلد ١٢ مرفق لخطاب رقم ٤١

بتاريخ ١٨٣٩/٤/١٣ من هانيل الى خورشيد باشا ١٨٣٩/٢/٢٨ .

على البحرين قبل وصول تلك التعزيزات اليه (١) .

من القطيف توجه ادمونز للاجتماع بعبد الله بن أحمد فى البحرين وقد فوجيء ادمونز عند اجتماعه بالشيخ بأنه لم يكن يشعر بأى قلق بسبب تهديدات خورشيد باشا ، وأكد الشيخ لادمونز بأنه فى وسع البحرين أن تصمد فى وجه القوات المصرية لمدة عام واحد على الأقل ، غير أنه سيكون من الأفضل لو عمدت الحكومة البريطانية الى العمل على وقف تقدم القوات المصرية الى اكثر مما تقدمت اليه ، وذكر أيضاً بأن محمد على باشا يهدف من احتلال البحرين الى اتخاذاها قاعدة لشن هجوم على البصرة واستخدام السفن التابعة لآل خليفة فى نقل قواته الى البصرة كما ذكر له بأنه على الرغم من انه لا يفكر فى التحالف مع محمد على باشا الا أنه رغم ذلك قد عرض على محمد على باشا استعداده لدفع زكاة سنوية زهيدة فى حدود ٣٠٠٠ ريال نمسوى ترضية له ولكسب وده ولكن الشيخ عبد الله أخفى أمر الزيادة التى قدمها مبعوث أمير فارس للبحرين والذي كان يحمل للشيخ هدية رمزية عبارة عن عباءة حريرية وكان يأمل أمير فارس من تلك الهدية أن يعود المبعوث بوعد قاطع من الشيخ عبد الله بدفع الزكاة التى كانت تدفع سابقا للأمير الا أن عبد الله لم يكن فى الحقيقة يعنى ما يقول (٢) ، وواقع الأمر

(١) مرفق للخطاب السرى رقم ٦٧ المؤرخ ١٨٣٩/٥/١٨ من ادمونز الى هانيل ومرفق بخطاب هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٢/١٠ (رقم ٢٢ الادارة السرية) .

(٢) فارس والخليج مجلد ٦٤ من هانيل الى اللجنة السرية بتاريخ ١٨٣٩/٥/١٥ وكان هذا المبعوث هو الحاج قاسم رئيس عمال النقل البحرى وكان يصحبه عشرة من الحرس المسلح . راجع ملفات وزارة الهند مرفقات حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٣٨٨ .

أن المصريين كانوا فى ذلك الوقت يشكلون قوة عسكرية تقف غير بعيد من حدود البحرين ، كما أن البريطانيين لم يستجيبوا الى طلب الحماية ولم يقدموا اليه اى شىء يستطيع به التصدى لخورشيد باشا ، بينما الفرس لم يكونوا يملكون القوة البحرية التى يمكن للشيخ ان يستعين بها ضد المصريين، كما ان الشيخ لم يكن بأى حال من الأحوال يرغب فى استبدال نفوذ بنفوذ، كما كان هناك احتمال بأن ينتقل النزاع من فارس وبريطانيا الى مرحلة أكثر خطورة مما قد يؤدي الى تغيير الأوضاع السياسية فى الخليج .

وعلى الرغم من انقضاء وقت طويل على عودة محمد شاه من اقليم الحيرة الا انه لم يبد اى بادرة لتحقيق الوعود التى كان قد قطعها لاستودارت فى أغسطس ١٨٣٨ ، وعند وصول شيل سكرتير المفوضية الى طهران عائداً من تبريز فى نهاية العام لتقديم احتجاجه على التأخير الذى تعرض له لم يلق احتجاجه اى اهتمام من جانب الشاه الذى كان قد أوفد مبعوثاً خاصاً الى انجلترا لعرض الموضوع على الحكومة البريطانية مباشرة، وذلك كمحاولة منه للتهرب من الوفاء بالوعد ، وازاء ذلك كله ادرك ماكنيل انه لا يستطيع العودة الى طهران ، وبالتالي فقد قرر نقل المفوضية الى تركيا وأصدر أمره الى الضباط البريطانيين المعارين للقوات الفارسية بمفادرة البلاد الى بغداد (١) . غير ان قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فارس لم يؤد تلقائياً الى اغلاق المثلثة البريطانية فى بوشهر لانه كان قد تقرر من قبل انه فى حالة اتخاذ هذا القرار فلن يكون من الضرورى اغلاق المفوضية لان وجود هانيل فى بوشهر سوف تبقى له فائدة كبيرة (٢) . وكان الدافع

(١) لمحة تاريخية عن قبيلة العتوب العربية ، ١٨٣٢ - ١٨٤٤ تأليف اللفتنانت اية بنى كاميل .

(٢) هذا الحادث توجد له سابقة وذلك عندما احتفظت بريطانيا بممثلها فى بوشهر عام ١٨٠٧ - ١٨٠٨ بعد ان قطعت علاقاتها الدبلوماسية احتجاجاً على ما حدث فى اجتماع فتح على شاه ببعثة الجنرال جاردن .

الى ذلك القرار هو أن الحكومة البريطانية قد اقتنعت بأن وجود الممثل الرسمي البريطاني الوحيد في أراضيها قد أصبح الوسيلة الوحيدة للشاه في اظهار عدائه للحكومة البريطانية . وقد تأكدت هذه الحقيقة من المظاهرات التي قامت في بوشهر عام ١٨٣٨ وأسفرت عن هجوم المتظاهرين على أحياء اليهود ، وبالأخص على سمسار المثلثة بحجة أن ذلك السمسار كان يتاجر في الخمر ، وهو عمل يتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وقد قام المتظاهرون بمهاجمة منزل السمسار وضربه ضربا مبرحا مما جعله يهرب الى بيت أمير فارس فرهاد ميرزا ، وقد طلب السمسار من ماكنيل الاتصال بحكومة فارس للحصول على تعويض ، وعلى الرغم من أن وزير خارجية فارس قد أبدى استعداداه لارسال تعليماته الى أمير شيراز لاجراء تحقيقات في الحادث ، وبتعويض السمسار اذا ثبتت براءته الا أنه أوضح للمقيم بالوكالة بأنه يرى بأن السمسار كان على خطأ ، لأنه كان يتخذ من منزله مكانا لبيع الخمر وتوزيعها ، وقد أعقب هذا الحادث حادث آخر عندما أصدر حاكم بوشهر مرسوما بحظر شحن الحبوب من داخلية البلاد الى الحامية البريطانية من خرك بحجة وجود نقص في المحصول من المواد الغذائية وبرغم الحوادث التي أجراها هانيل مع حاكم الاقليم الا أن الأخير رفض الرجوع عن قراره ، مما اضطر هانيل الى ان يطلب من السلطات المسؤولة في بومباي القيام بفرض حصار على بوشهر لارغام حاكمها على رفع الحظر بتوريد الحبوب الى الحامية البريطانية في خرك . ولكن اقتراحه أحيل الى الحكومة في لندن ، بينما رفضه بالمرستون على أساس أن فرض حصار على بوشهر قد يسئ الى العلاقة القائمة بين بريطانيا والتجار الفرس الذين كانوا متمسكين بصادقتهم للبريطانيين . وعلى أي حال فان بالمرستون لم يكن يرغب في تعريض سلامة الجنود البريطانيين في خرك للخطر ولذلك فقد كلف هانيل بتوجيه تحذير الى حاكم بوشهر بأن الحكومة البريطانية سوف تلجأ الى التدابير الضرورية لتأمين المواد الغذائية للحامية

البريطانية هناك وبأن عليه أن يقوم بتنفيذ هذا القرار اذا لم تستجب
السلطات الفارسية لطلبه ١٥

لكن قبل وصول هذه التعليمات الى هانيل كان قد تورط في مشكلة
جديدة مع السلطات الفارسية في بوشهر حول امداد الحامية العسكرية
البريطانية في جزيرة خرك بالمواد الغذائية ، ففي بداية ١٨٣٩ عينت
السلطات الفارسية حاكما جديدا على بوشهر يدعى ميرزا أسد الله ، ولقد
بدر هذا الحاكم بعد تعيينه الى اظهار تحمس أكثر في تنفيذ الأوامر التي
أخذت تصدر اليه من طهران ، ومن سلفه في شيراز ، وأصدر قرارا بفرض
حظر شامل على جميع الصادرات من داخل البلاد الى جزيرة خرك ، ومنع
المواطنين الفرس من التعاون مع رجال الحامية البريطانية أو العمل لديهم ،
وردا على ذلك بعث هانيل باحتجاج على القرار المذكور الى أمير شيراز الذي
استجاب لطلبه فأصدر أمرا الى ميرزا أسد الله برفع الحظر ، ولكن هانيل
شك في جدية الأمر الصادر من شيراز ، وكان يعتقد بأن حاكم شيراز كان
يشجع حاكم بوشهر سرا على اتخاذ مواقف متشددة ، إذ أنه عندما سلم
ذلك الأمر الى ميرزا أسد الله رفض الأخير تنفيذه ، ولم يوافق عليه الا بعد
أن هدد هانيل حكومة فارس باغلاق المفوضية البريطانية في طهران .

وفي شهر مارس ١٨٣٩ لم يبق أمام هانيل ما يفعله للرد على حاكم
بوشهر الا أن يطوى علم دولته ويرحل عن البلاد . في ذلك الوقت كانت
أعمال التمرد ضد الحكام الفرس كنتيجة لفشل الشاه في حملته على اقليم
الحيرة منتشرة في جميع أنحاء البلاد ، ولذلك كان لابد لأمير فارس من أن
يعد الى البحث عن طريقة يسترد بها ولو قليلا من هيبة أسرته الحاكمة
فأخذ يهدد بالهجوم على جزيرة خرك لصرف نظر الشعب عن الفشل الذي
لقيته حملته على الحيرة . وكان هانيل قد طالب في شهر يوليو ١٨٣٨ بتعزيز
الدفاع عن الحامية ، واقترح لذلك ارسال مجموعة من الجنود الأوربيين
الى الجزيرة . وفي شهر أكتوبر من نفس العام وصلت الى خرك كتيبة

عسكرية تتكون من ٣٠٠ جندي أوربي من وحدة مدفعية ، وقد أبلغ هانيل بأن الهدف من ارسال الجنود هو العمل على تقوية وسائل الدفاع عن جزيرة خرك ضد أى هجوم محتمل ، كما طلب اليه بأن يعتمد على نفسه فى تقرير الطريقة التى ستعمل بها تلك القوة بالتشاور فى ذلك مع اللفتنانت كولونيل شريف قائد الحامية (١) أما اذا تبين لهانيل وشريف بأنه لا يمكن الدفاع عن الممثلة البريطانية فيمكنهما الانسحاب الى خرك (٢) وقد أصدر ماكنيل أمرا الى هانيل باحتلال بوشهر اذا اكتشف أى نوايا عدوانية من جانب أمير شيراز ضد الحامية فى خرك . غير أن كلا من هانيل وشريف لم يكونا متأكدين من امكانية الاحتفاظ ببوشهر وبالممثلة نفسها فى حالة شن هجوم عنيف عليها من جانب الفرس ، كما كانا مترددين فى المجازفة بحياة الجنود الهنود فى أول اشتباك لهما مع قوات الفرس ، ولذلك اضطر هانيل الى ابلاغ ماكنيل بأن احتلال بوشهر يتطلب وجود قوات كافية من الأوربيين وبأنه اذا تعرض موقفه للخطر فانه سوف ينسحب الى خرك (٣) .

-
- (١) ورد اسم هذا الضابط فى كتاب لوزيمار (دليل الخليج) باسم شريف ولكنه يقطن عادة فى المراسلات المتبادلة فى ذلك الوقت « شريف » .
- (٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٠ مرفق بخطاب السكرتير رقم ٣٠ المؤرخ ٢٤/١٠/١٨٣٨ من ويلوبى الى هانيل بتاريخ ١٣/٩/١٨٣٨ (رقم ٢٣٢) الادارة السرية .
- (٣) خطاب ميرى رقم ١٥ مؤرخ ١٠/٩/١٨٣٨ من هانيل الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى بتاريخ ٧ ، ١٣/٨/١٨٣٨ ومرفق معه خطاب ماكنيل الى هانيل ١٠/٧/١٨٣٨ وخطاب هانيل الى ماكنيل أغسطس ١٨٣٨ والخطاب الأخير لم يرد ذكره فى المخابرات الخاصة بفارس والتي عرضت على البرلمان فى عام ١٨٣٩ وقد اوعز هانيل الى ماكنيل باغلاق الممثلة اذا لم تقم حكومة اقليم فارس بدفع التعويضات عن حادث الاعتداء =

وقد ازدادت الأمور تعقيدا فى عام ١٨٣٩ فى أواخر فبراير استفسر جيمس فاريش نائب الحاكم فى بومباى من القائد العام للهند الشرقية اليريرادميرال السير فريدرك مثلاند الذى كان فى ذلك الوقت فى زيارة كبومباى فيما اذا كان يستطيع الاستغناء عن بعض قطع الأسطول لارسالها الى الخليج لتدعيم مركز هانيل . وقد أبحر مثلاند يوم ٢٣ فبراير على سفينة القيادة ويلسلى (٧٤ مدفعا) ترافقه الفرقاطة الجرين ، وفى يوم ٢٠ مارس وصل الى بوشهر . وبعد مضي ثلاثة أيام من وصوله توجه لزيارته على ظهر السفينة الحربية ميرزا أسد الله ، وقام القائد برد الزيارة فى نفس اليوم ، وخلال اجتماعه بميرزا أسد الله أخبره هذا الحاكم بأنه يتعين على جميع القادمين للبلاد من السفن الحربية البريطانية النزول على رصيف الجمرك وليس على رصيف المثلية كما كان يتم سابقا عندما كان الضباط البريطانيون وغيرهم من الزوار الرسميين يستعملون فى نزولهم رصيف المثلية ، وقد اعتبر مثلاند طلب حاكم بوشهر النزول على رصيف الجمرك أهانة له ، وأصر مثلاند على نزوله وصعوده الى البارجة عن طريق رصيف المثلية وليس عن طريق الجمرك ، غير أن ميرزا لم يوافق على طلب مثلاند ، وبالتالي فقد أنهى مثلاند لقاءه مع حاكم بوشهر ، وقام بابلاغ هانيل بما حدث ، وقد قام هانيل بارسال مذكرة الى الحاكم يطلب منه فيها تعهدا كتابيا بالتصريح لمثلاند وغيره من الضباط البحريين باستعمال رصيف المثلية ، وكنتيجة لرفض ميرزا أسد الله الموافقة على هذا الطلب لم يجد

= على سمسار المثلية غير ان الخطاب الذى يتضمن هذا الأمر فقد أثناء نقله بين تبريز وبوشهر ولم تصل نسخة منه الى هانيل قبل يوليو ١٨٣٩ - (انظر نفس الحلقات مجلد ١٥ مرفقات للخطاب السرى رقم ١٠٣ بتاريخ ١٨٣٩/٩/١٠ من هانيل الى ويلوبى بتاريخ ١٨٣٩/٧/٢٥) ورقم ٦٩ الادارة السرية) ، ومرفق معه خطاب ماكنيل الى هانيل تبريز ١٨٣٨/١٢/٢٨ .

مثلاند مفرا من مغادرة بوشهر واستعمال رصيف المثلية عند مغادرته البلاد
بواسطة قوة مسلحة من الطراد ويسلى .

صباح اليوم التالى الموافق ٢٥ مارس وقف القائد مثلاند ومجموعة من الضباط البحريين على رصيف المثلية فى انتظار القوارب التى ستقلهم الى الطراد ويسلى . وبالقرب منهم تجمع عدد من أهالى بوشهر مع بعض الجنود الفرس الذين أنيطت اليهم مهمة الحراسة من قبل الحاكم ، وقد وقف احد هؤلاء الجنود على الساحل عندما وصل القارب الذى يقل الكابتن توماس مثلاند أخ الأدميرال وعند وصول هذا القارب الى الشاطئ صوب الجندى الواقف ببندقيته على الكابتن مثلاند ليمنعه من النزول . وعندئذ تقدم السير فريدريك ودفع ببندقية الجندى وقبل أن يتمكن الجندى من القيام بأى حركة جرد من السلاح من جانب هانيل والمرافقين له من الضباط ، غير أن هذا التصرف أحدث رد فعل عنيف من جانب الأهالى الذين أخذوا يقذفون البريطانيين بالحجارة والعصى ولم يتوقفوا الا بعد أن تدخل بحارة القارب وصوبوا بنادقهم نحو الأهالى المتجمعين ، وتبين أن هناك مجموعة أخرى من الجنود كانت تكمن وراء أحد المتاريس وأخذوا يطلقون النار على مثلاند وزملائه ، وقد اضطرت البحارة الانجليز الى الرد بالمثل وقتلوا جنديا وأصابوا اثنين بجراح . وقد أرسل هانيل مذكرة احتجاج عاجلة الى قاضى بوشهر الذى كان هانيل يعتقد بأنه هو الذى كان يحرض الجنود . وقد حذر هانيل القاضى بأن البريطانيين سوف يردون عليهم باطلاق النار اذا لم يتوقف الاعتداء على الطراد دون حدوث عواقب (١) .

(١) خطاب الاميرالية رقم ١/٢١٩ من مثلاند الى وود (سكرتير الاميرالية) من الطراد ويسلى فى خرك ١ ، ١٨٣٩/٤/٧ ، ١٨٣٩/٥/١ ، (أرقام ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩) من مثلاند الى فاريش ، ١٨٣٩/٣/٣٠ (رقم ٢٥ ومرفقات رسائل حكومة بومباى السرية مجلد ١٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٥ المؤرخ ١٨٣٩/٥/٨ من هانيل الى ويلوبى جزيرة خرك ١٨٣٩/٣/٣٠ (رقم ٢٣ الادارة السرية) .

ولما لم يصل التعهد الذى طلبه هانيل فى اليوم السابق بعدم التعرض لقوارب الأسطول البريطانى فى استخدام رصيف المثلثية للنزول والصعود من السفن البريطانية حتى ليل ٢٥ قرر هانيل فى ذلك اليوم انزال العلم البريطانى واغلاق المثلثية . غير أن هذا القرار الذى اتخذته هانيل والذى أوضح أسبابه ميرزا اسد الله وللمسئولين فى بومباى لم يكن بسبب الاهانة التى تعرض لها مثلاند فى ذلك اليوم فحسب ، وانما بسبب العراقيل والاهانات الكثيرة التى وجهتها السلطات الحاكمة فى بوشهر الى مثلاند خلال الشهور السابقة . وقد خشى التجار فى بوشهر من أن يؤدى اغلاق المثلثية الى نتائج ضارة على تجارة الميناء وناشدوا هانيل اعادة النظر فى قراره ، غير أن هانيل رفض الطلب .

وفى صباح يوم ٢٦ مارس امر بنقل اثاث المثلثية الى السفن الحربية البريطانية الراسية فى الميناء . وعندما فقد تجار بوشهر الامل فى استجابة هانيل لطلبهم بعثوا بوفد منهم الى الطراد ويلسلى لتقديم الاعتذار عن سلوك الاهالى ويعدون بتقديم اعتذار كتابى من حاكم بوشهر عن أحداث يوم ٢٥ مارس . غير أن مثلاند أوضح لهم بأنه لايملك أى سلطة على قرار المقيم ، ولكنه رحب بوعدهم بارسال اعتذار من حاكم بوشهر فى هذا الشأن (١) . أما ميرزا اسد الله فانه لم يكن يفكر بالاعتذار للسلطات البريطانية عما حدث ، وانما فعل العكس من ذلك ، فقد طلب من بأقر خان حاكم تنجستان أن يشترك معه فى القيام باظهار عدائه للمقيم البريطانى . ففى الوقت الذى كان تجار بوشهر يحاولون تهدئة الموقف مع مثلاند كان حاكم بوشهر وتنجستان مشغولين ببناء منصة أمام رصيف المثلثية ، وقد أضفى هذا الموقف بعدا جديدا الى سلامة القرار الذى اتخذته هانيل لمغادرة بوشهر .

(١) نفس المصدر من مثلاند الى وود ، الطراد ويلسلى الخليج

— ٥٤٠ —

وقد طلب من مثلاند حماية مسلحة لتفطية انسحاب موظفي المثلثية بينما قام هو بالاشراف على نقل الامتعة الى السفينة وذلك فى يوم ٢٩ مارس . وفى ذلك اليوم كان هناك ٣٠٠ رجل مسلح تحت اشراف باقرخان يحتلون رصيف المثلثية ، غير أن عملية الانسحاب تمت فى هدوء وبدلا من حدوث أى بادرة عدائية من باقرخان فان هذا أبدى استعداداه لحماية عملية الانسحاب والمحافظة على المثلثية الى ان يعود هانيل الى بوشهر مرة أخرى .

وقد غادر المقيم البريطانى بوشهر تحت حراسة السفن البريطانية وتوجه الى جزيرة خرك وكانت ترافقه فى هذه الرحلة ثلاث سفن حربية هى ويلسلى والجرين والفنستون بينما بقيت السفينة كوت (١) لمراقبة الوضع هناك .

تسلم بالمرستون خبر اغلاق المثلثية فى الاسبوع الثالث من يونيه أى بعد وصول حسين خان سفير فارس الجديد لدى حكومة بريطانيا ، ولم يتردد بالمرستون من مصارحة السفير بموقف بريطانيا ، وقد ذكر له فى الاجتماع الذى تم بينهما . . . « حتى ولو أن الاميرال ضرب بوشهر بالمدافع ودمرها لكان له الحق فى ذلك » (٢) . غير أن اوكلاند كان له موقف آخر فعلى الرغم من انه قال بأن اقامة المنصة فوق رصيف المثلثية يعتبر عملا يشكل تهديدا مباشرا لسلامة أعضاء المثلثية ، الا انه كان يود لو أن هانيل

(١) مرفقات للخطاب السرية لحكومة بومباى السرية مجلد ١٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٥ المؤرخ ١٨٣٩/٥/١ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٦٥ مذكرة بمحضر اجتماع اللورد بالمرستون وسفير فارس حسين خان بتاريخ ١٨٣٩/٦/١٩ اعداد جى.بى. فريزر وكان فريزر الذى سبق له أن رافق الدكتور جوكسن فى مهمته فى شيراز سنة ١٨٢١ قد عين مترجما للقسم الشرقى لشؤون وزارة الخارجية البريطانية .

اتخذ موقفا وديا ازاء ذلك الاجراء ، ولو أنه فعل ذلك لما اضطر الى اغلاق الممثلية ، كما كان اوكلاند يعتقد بأن قرار هانيل باغلاق الممثلية والانسحاب الى جزيرة خرك قد تم بتشجيع من مثلاند . غير أن هذا لا يتفق مع التعليمات التي تسلمها هانيل من حاكم بومباي في شهر سبتمبر ١٨٣٨ وكلفه فيها باغلاق الممثلية اذا ما رأى أن الأوضاع تستدعي ذلك كما لا يتفق أيضا مع التعليمات الأخرى التي أصدرها ماكنيل في يوليو وتضمنت مطالبته باتخاذ موقف متشدد وانذار السلطات الفارسية بعزم البريطانيين على احتلال بوشهر اذا ظلوا متمسكين بموقفهم العدائي تجاه بريطانيا . غير أن اوكلاند نفسه لم ير من المناسب اصدار تعليمات على الاطلاق وبالتالي فان القيود التي عاد فرضها على هانيل لم تكن ضرورية . أما مثلاند فقد رفض الانتقادات التي وجهت اليه واستعمل لهجة تتسم بالخشونة وذكر بأنه لم يتعود أن يتلقى اهانات كالاهانات التي تلقاها في بوشهر من قبل السلطات الفارسية (١) ، وان وجد أية شكوك حول التأثير الذي مارسه مثلاند على المقيم في اتخاذ قراره باغلاق الممثلية فقد تبددت بما قاله هانيل نفسه ، بأنه لو قدر له أن يتسلم تعليمات ماكنيل التي أرسلها في ديسمبر الماضي في وقتها لمضى في تنفيذها دون ابطاء وكان قد اضطر الى اغلاق الممثلية تحت ظروف أسوأ مما كان عليه الحال في اواخر شهر مارس (٢) واذا تأملنا في الأمر نجد أن اوكلاند قد عاد فأدرك بأن انتقاداته السابقة لم يكن لها

-
- (١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٤ رقم ١٢ للخطاب السري رقم ٩٢٠ المؤرخ ١٨٣٩/٧/٣١ من مثلاند الى السير كرنالك (حاكم بومباي) على الطراد ويلسلي خليج ترانكوماي ١٨٣٩/٦/٢٢ .
- (٢) الخطاب السري رقم ١٠٣ المؤرخ ١٨٣٩/٩/١٠ من هانيل الى ويلوبى جزيرة خرك ١٨٣٩/٧/٢٥ (رقم ٦٩ الادارة السرية) .

ما يبررها ، كما اعترف بأن الأوضاع فى بوشهر كانت تحتم على هانيل بأن يفادر البلاد . وإذا صرفنا النظر جانبا عن مضمون العدالة فى هذا الموقف نرى أن الظروف التى تم فيها اغلاق الممثلة تبدو ، بأن الاثنى قد اضطررا الى اتخاذ الخطوة التى اتخذها للخروج من بوشهر (١) وعلى أى حال فقد كانت النتيجة أن هيبة الحكومة البريطانية قد تلقت ضربة شديدة فى نظر سكان الخليج فى نفس الوقت الذى كان فيه خورشيد باشا يصول ويجول فى شبه الجزيرة العربية .

فى أوائل شهر مارس ١٨٣٩ تسلّم اوكلاند صورة من المذكرة التى بعث بها بالمرستون الى كاميل ؛ وتتضمن تعليمات بالمرستون لتوجيه تحذير الى محمد على باشا من محاولة التوسع نحو الخليج ، وفى ١٣ مارس بعث الحاكم العام فى الهند بأوامر الى هانيل عن طريق حكومة بومباى بضرورة استخدام كل ماله من نفوذ لوقف توسع خورشيد باشا فى المنطقة ، كما تضمنت التعليمات تكليف ماثلاندى بتقديم كل مساعدة ممكنة لهانيل فى هذا الصدد ، وبتقديم كل تأييد ممكن الى شيخ البحرين فيما عدا المباشر مع المصريين . وقد ذكر ماثلاندى بأن تلك الاجراءات هى الحد الأقصى لما يمكن أن يقوم به البريطانيون فى تلك المرحلة . حتى ذلك الوقت لم يكن من المحتمل أن يكون خورشيد باشا قد تلقى التعليمات التى أرسلها اليه محمد على باشا بعد استلام الأخير احتجاجات بالمرستون ، خصوصا وأن اوكلاند كان واثقا بأن محمد على باشا لابد أن يصدر تعليمات الى خورشيد باشا ، وأن هذا

(١) كان هذا هو رأى اللفتنانت ادموندز المقيم البريطانى المساعد راجع مرفقات خطاب حكومة بومباى السرية مجلد ١٩ المرفق للخطاب السرى رقم ١٠ فى ١٨٤٠/٢/٢٨ من ادموندز الى ويلوبى ١٨٤٠/١/٢٢ رقم (٢) الادارة السرية) .

سوف يقوم بتنفيذها (١) ثم نقل تعليمات الحاكم العام الى هانيل على الطراد كروز الذى أبحر من ميناء بومباى فى اليوم الثانى من ابريل ، كما نقل الطراد مجموعة أخرى من التعليمات التى أصدرها جيمس فاريش حاكم بومباى بالوكالة ، وكانت هذه التعليمات قد صدرت قبل استلام هانيل لرسالة خورشيد باشا والتى هددت فيها خورشيد باشا باحتلال البحرين بالقوة المسلحة وقد طلب فاريش بمقتضى تلك التعليمات أن يقوم هانيل بتوجيه تحذير الى خورشيد باشا ، بأن العلاقات بين مصر وبريطانيا سوف تتدهور فيما لو حاول خورشيد تنفيذ تهديده باحتلال البحرين (٢) ، غير أن هانيل كان قد قررا إتخاذ إجراء قبل أن تصله تلك التعليمات . وكان القائد مائلاند قد أبلغ هانيل خلال الاسبوع من ابريل بأن احتياطيتهما من المؤن يفرض عليه التوجه الى بومباى للتزود بالتموين قبل نهاية الشهر وانه اذا كان المقيم يريد منه القيام بعملية استعراض للقوة البريطانية على الساحل العربى فانه لا يستطيع ذلك قبل منتصف الشهر التالى ، واقترح على هانيل بأن يتوجه مائلاند بالطراد الى البحرين أولا ، ومنها يبحر فى سرعة بطيئة بمحاذاة الساحل العربى على أن يبتعد عن مياه الخليج فى أواخر الشهر . وقد وافق هانيل على الاقتراح وسلم مائلاند رسالة الى خورشيد باشا تتضمن الاحتجاج الذى بعث به بالمرستون الى والى مصر بتاريخ ٢٩ نوفمبر والذى لم يتسلم هانيل صورة منه الا فى ذلك اليوم .

-
- (١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى - محضر فاريش
 ١٨٣٩/٤/١ ومن ويلوبى الى هانيل بنفس التاريخ رقم «٦٧١ الادارة السرية» .
 (٢) مرفق للخطاب السرى رقم ٦٧ المؤرخ ١٨٣٩/٥/١٨ من هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٤/١٠ (رقم ٢٢ الادارة السرية) ومرفق به خطاب هانيل الى خورشيد باشا بنفس التاريخ .

فى يوم ١٧ أبريل أقلع ماثلاندى من جزيرة خـرك يرافقه ادموندى المقيم المساعد ، وللكومندور جى.بى بركىس قائد الوحدة البحرية فى الخليج وذلك على السفينة الفنستون ٠ وفى يوم ٢١ وصلوا الى البحرين ، وفى اليوم التالى زارهم على ظهر السفينة اثنان من انجال عبد الله بن أحمد شيخ البحرين وذكرنا لمثلاندى بأن والدهما قد سافر الى قطر ، وانه لم يتلق مطالب أخرى من خورشيد باشا منذ زيارة ادموندى له فى الشهر الماضى ، كما ذكرنا له بأنهما لا يتوقعان هجوما يقوم به خورشيد باشا على البحرين فى الوقت القريب وبالفعل لاحظ ماثلاندى بعدم وجود أى مظاهر للهجوم على البحرين ٠ وفى يوم ٢٣ ابريل عندما كان الطراد ويلسلى يفادى منطقة المنامة وصل الشيخ سلطان بن شخبوط حاكم أبو ظبى لزيارة القائد ماثلاندى وليؤكد له استمرار روابط الصداقة القوية التى تربط بين البحرين وأبو ظبى ، وفى اليوم التالى عندما كان الطراد المذكور يفادى مياه الخليج الى لنجة التقى بالسفينة كروزر وكانت متجهة الى الخليج لتسليم تعليمات اوكلاندى وفاريس الى هانيل ، غير أن ذلك لم يغير شيئاً من خطط ماثلاندى ، لقد كان احتياطيه من المواد التموينية على وشك النفاد بحيث لا يسمح له بالبقاء فى الخليج فترة أطول . وعلى أية حال فقد كان ماثلاندى يشعر بأنه قد قام فعلاً بتنفيذ المهمة التى اوكلت اليه .

استقبل ماثلاندى فى لنجة استقبالاً حاراً من حاكمها سعيد بن قتب ، وقد ذكر لمثلاندى بأنه على الرغم من أنه لم يكن يخشى شيئاً من المصريين الا أن مصلحة وأمن أبناء الخليج فى مقدمة الأمور التى تهمة ، كما اكتشف ماثلاندى بان الشيخ سلطان بن صقر كبير مشايخ القواسم قلق هو الآخر من الوضع عندما التقى به ماثلاندى يوم ٢٧/٤ فى مشيخة رأس الخيمة ، وقد صرح ماثلاندى بأن السكان العرب لا يستطيعون وحدهم ايقاف خورشيد باشا ، وأنهم يتطلعون الى الحكومة البريطانية لحمايتهم وقد رد عليه ماثلاندى فأبلغه بالتحذير الذى وجهه بالمرستون لمحمد على باشا وان كان قد أعرب له عن رأيه فى أن قبائل الساحل

العربي في وسعها التصدي لخورشيد باشا لو انها وحدث صفوفها ، وذكر
 مانلاندا للشيخ بأنه علم من الكلونيل بر كس بأن قبائل اتحاد القواسم وحدها ،
 والذي يضم رأس الخيمة وأم القوين ، وعجمان والشارقة تستطيع تعبئة
 ١١ ألف مقاتل ، غير أن سلطان بن صقر لم يوافق على رأيه ، وذكر له بأنه على
 الرغم من احتمال تعبئة هذه القوة من القبائل في تجمع واحد تحت قيادة
 بريطانيا ، إلا أن الحزازات القبلية سرعان ما ستعمل على تحطيم هذا
 الاتحاد ، وقد وافق مانلاندا في قرارة نفسه على رأى الشيخ ، وقال مانلاندا
 « انه لما يحز في النفس ان أرى زعماء القبائل غير مدركين للخطر الذي
 يداهمهم وانهم رغم المخاوف التي يعربون عنها من حين الى آخر فانهم لم
 يتخذوا أى خطوة لمواجهة هذا الخطر (١) ولم تؤد الزيارة التي قام بها شيخ
 أبو ظبي للقائد مانلاندا في صبيحة ٣٠ ابريل الى تغيير رأى هذا ، وقد غادر
 رأس الخيمة في وقت متأخر من صباح اليوم ، ثم عبر الخليج بسرعة بعد
 الظهر (٢) .

وقد تخلف الكابتن ادمونز للاشراف على الاجراءات الخاصة بتجديد

(١) من مانلاندا الى وود رقم ٢٢٠/١ بتاريخ ١٨٣٩/٥/٢ (رقم ٤٠)
 ومرفق به محاضر إجتماع الاميرال السير مانلاندا مع شيوخ الخليج ،
 وقد قام بكتابة تلك المحاضر الكابتن ادمونز - المقيم البريطاني المساعد فيما بين
 ٢٢ ، ٣٠ ابريل ١٨٣٩ (ونشير بهذه المناسبة بأنه قد تمت ترقية ادمونز الى
 رتبة كابتن وهانيل الى رتبة ميajor في ربيع ١٨٣٩ .

(٢) مذكرات مانلاندا ٣٠/١٧ ابريل ١٨٣٩ رقم ٢١٤/٥٠ ومرفقات
 للخطابات السرية لحكومة بومباي الملجد ١٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٩ في
 ١٨/٥/١٨٣٩ من مانلاندا الى فاريش ٣/٥/١٨٣٩ .

معاهدة الصلح البحرية . وفى أول مايو استقبل جميع شيوخ المنطقة على ظهر السفينة الفنستون (١) وقد أبلغ الشيوخ الكابتن آدمونز بأن جماعة من المسلمين تقدر بـ ١٥٠ رجلاً قد دخلت إلى الشارقة قادمة من نجد فى منتصف شهر أبريل ، وكان يقودهم سعد بن مطلق نائب الملك فيصل فى واحة البريمى سابقاً ، وكان سعد هذا قد غادر البريمى إلى نجد فى بداية العام ، بعد أن وصله نبأ استسلام الأمير فيصل لقوات خورشيد باشا ، وأن مطلق هذا يعتبر نفسه النائب لخالد بن سعود خليفة فيصل ، وخلال الفترة التى تغيب فيها سعد بن مطلق عن منطقة البريمى قام النعيم بطرد افراد الحامية للبريمى واحتلال القلعة الرئيسية قصر الخندق ، وقد أعلنوا بعد احتلالهم للقلعة بأنهم لن يتخلوا عنها حتى ولو دقنوا جميعاً تحت انقاضها (٢) وبعد احتلال النعيم للقلعة بعثوا بنداء إلى السيد حمد بن عزام وإلى صحار يطالبونه بالتأييد ، فأوفد أخاه على بن ماجى *عليه السلام* رجلاً لمساعدتهم فى الدفاع عن الواحة . وعند وصول سعد بن مطلق إلى الشارقة أبلغ سلطان بن صقر بأنه قد جاء إلى المنطقة موفداً من قبل الأمير خالد بن سعود لاحتلال واحة البريمى ، وعلى الرغم من أن وصول هذا القائد قد سبب خيبة أمل لسلطان بن صقر كما ذكر فى حديثه لآدمونز إلا أنه اضطر إلى استقباله والترحيب به حتى لا ينصرف عنه إلى خليفه بن شخبوط حاكم أبو ظبى الذى كان يومئذ الخصم اللدود لسلطان ، غير أن آدمونز نصح سلطان بالتخلص من سعد بن مطلق بأى شكل من الأشكال مهما تكن مخاوفه من رد الفعل لأنه من المحتمل أن يكون سعد

-
- (١) للاطلاع على الاتفاقيات المعقودة بين حكومة الهند ومشيوخ ساحل الخليج انظر فصل ٩ ، ولقد كان الاجتماع الذى عقده ماثلاندر مع شيوخ المنطقة بحضور المقيم هو أول اجتماع من نوعه .
- (٢) مختارات من حكومة بومباى مجلد ٢٤ ص ٤٤٦ - لمحة تاريخية عن الوهابيين ١٨٣٢ - ١٨٤٤ تأليف كامبل .

بن مطلق قد جاء بتكليف من خورشيد باشا وليس بتكليف من الأمير خالد
بن سعود (١) .

كان التوسع المصرى فى جنوب شرق وشمال شرق الجزيرة العربية
الشغل الشاغل لهانيل طوال هذا الوقت وحتى قبل أن يكتشف ادمونز ما رآه
فى رأس الخيمة كانت الاشاعات تملأ المنطقة بأن عملاء مصر منتشرون فى
جميع أنحاء منطقة الخليج . وفى يوم خمسة مايو أوفد هانيل الدكتور تى .
ماكنزى طبيب المثلثة البريطانية على ظهر أحد المراكب للكويت والبصرة
والمحمرة للتأكد من صحة تلك الاشاعات . وبعد يومين من ذلك أرسل الطراد
كليف الى شيخ الكويت جابر بن عبد الله ومعه رسالة لخورشيد باشا لى
يطلب تسليمها الى القائد المصرى عن طريق حاكم الكويت ، وكانت هذه الرسالة
عبارة عن نسخة مشمعة بالشمع الأحمر من الخطاب الذى كان قد بعث به
هانيل الى الباشا يوم ٢٩ ابريل الى القطيف فى موضوع التحذير الذى ورد
فى تعليمات كل من اوكلاند وفاريس التى صدرت فى الشهر السابق ، وكان
هدف المقيم من ارسال صورة من ذلك الخطاب الى حاكم الكويت هو أن يقوم
هذا باقناع خورشيد باشا بالتخلى عن أطماعه لأن الحكومة البريطانية كانت
مصممة على منع القائد المصرى من التحرك بقواته الى أبعد من الاحساء (٢) .

(١) الخطاب السرى رقم ٨٧ المؤرخ ١٦/٧/١٨٣٩ ومرفقات الخطابات
السرية لحكومة بومباى من ادمونز الى هانيل بتاريخ ٤/٥/١٨٣٩ ومن
ملاحسين وكيل المقيم البريطانى فى الشارقة الى هانيل بتاريخ ثالث ربيع
الأول ١٢٥٥ الموافق ١٧/٥/١٨٣٩ .

(٢) الخطاب السرى رقم ٧٦ بتاريخ ١٢/٦/١٨٣٩ ومرفقات الخطابات
السرية لحكومة بومباى من هانيل الى ويولبى ٢٩/٤ ، ٧/٥/١٨٣٩ (رقم ٣٧ ،
٤١ الادارة السرية) ومرفق به نسخة من خطاب - هانيل الى خورشيد باشا
بتاريخ ٢٩/٤/١٨٣٩ .

وقد انضح لهانيل بصورة أوسع بأنه لابد من أن يعتمد على شخصيته الخاصة فى وقف تقدم الزحف المصرى أكثر من اعتماده على المساعدة التى قد تصل اليه من الهند . وعندما توجه ماثلاند عائدا الى بومباى ومنها الى ترانكومالى ترك السفينتين كروزر والجريين فى الخليج وطلب أن يلحق به بأسرع وقت ممكن ، وفى منتصف شهر مايو أصبح لديه قوة مؤلفة من أربع سفن بينها كلايف والفرنستون ، وكان احتمال لقائه ببعض قطع الأسطول الملكى مرة أخرى احتمالا ضئيلا جدا ، وهذا ما أوضحه ماثلاند لفاريش فى بداية شهر يوليو حيث قال : « ان الصلاحيات التى أتمتع بها صلاحيات واسعة ، وقد قال هذه العبارة ردا على طلب تلقاه من نائب الحاكم لارسال بعض قطع الأسطول أو سفينة حربية على الأقل لى منطقة الخليج فى أسرع وقت ممكن ، وقد أضاف ماثلاند فى رسالته يقول : لقد أصبحت الطلبات على السفن القليلة التابعة لقيادتى كثيرة وعاجلة ، بحيث لا أجد هناك مجالا لارسال بعض من هذه القطع الى الخليج الفارسى من وقت الى آخر (١) . لقد وضع هنا نهاية للتأييد الذى كان يلقاه هانيل من اوكلاند . وفى الاسبوع الثالث من شهر ابريل تلقى فاريش ردا من الحاكم العام للهند على الاستفسار العاجل الذى بعث به الى الحاكم حول السياسة البريطانية التى يتعين اتباعها مع خورشيد باشا فى حالة رفض الأخير للتحذيرات التى وجهت اليه ، وقال الحاكم العام فى رده ، بان

(١) من سجلات حكومة بومباى السرية مجلد ٩ (جزء ١) من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٣٩/٨/٤ (رقم ٨٥ الادارة السرية) ومرفق به خطاب ماثلاند لفاريش ترانكومالى ١٨٣٩/٦/٣١ كانت هناك فى ذلك الوقت ١٤ سفينة تعمل فى مياه الهند الشرقية وتتألف من سفينة حربية وأربع فرقاطات وتسع سفن أخرى شراعية (انظر مطبوع سيلويد) - تقييم وتوزيع السفن الحربية البريطانية خلال القرن التاسع عشر مجلد مارنر ميرو عدد ابريل ١٨٤٩ ص ١١٤ .

خورشيد باشا لابد وأن يكون قد تلقى تبليغا من القاهرة حول احتجاج بالمرستون المرسل بتاريخ ٢٩ نوفمبر ، وتأسيسا على ذلك فقد كان اوكلاند يتصور بأن خورشيد باشا اما أنه سوف يمضى فى فتوحاته باستخدام القوة بحيث تمتد تلك الفتوحات الى أقصى المناطق كى يواجه الحكومة البريطانية بالأمر الواقع أو أن يكون قد أوقف زحفه العسكرى بناء على توجيهات من سيده والى مصر ، وقال اوكلاند بأنه فى كلتا الحالتين لا يرى هناك ما يمكن القيام به بالنسبة لجزيرة البحرين : « . . ان مسألة قيام هذه الحكومة بتدخل عسكرى لمنع سقوط البحرين فى يد القائد المصرى قد انتفت كلية نتيجة لاحتمالين الاحتمال الأول ، وهو أن يتمكن خورشيد باشا من احتلالها قبل وصول الحملة اليها أو بوصول الحملة ونجاحها . فى انقاذ الجزيرة من هجوم خورشيد عليها ، واذا كان مثلاند بالرغم من وجوده هناك قد فشل فى منع خورشيد باشا من الهجوم على البحرين فانه يتعين عليه أن يستنبط أفضل السبل لحماية البحرين ضد تهديد خورشيد باشا (١) » .

قبل أن يتمكن اوكلاند من ارسال تعليماته إلى مثلاند بهذا الخصوص كان الأخير قد قطع المسافة عبر الخليج وفى ١٠ مايو كتب اوكلاند السير ميثلاند رسالة ذكر فيها : « لقد وضعت للسير فريدريك ميثلاند مشروع خطة أعتقد انها ستلبى مطالب سياستنا الخارجية وانى أعتقد اننى بهذا العمل قد مارست مسئوليتى ولسوف أشعر بأسف كبير لو نشبت خلافات جديدة ، غير أننى أخشى أن تصل هذه التعليمات الى ميثلاند قبل وصوله الى بومباى ، وعلى أى حال فليس هناك ضرر من ارسالها وعلى الأخص أن لهجة خورشيد

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٣ الخطاب السرى رقم ٥٥ المؤرخ ١٨٣٩/٥/٨ من مادوك الى ويلوبى شيملا
 ١٨٣٩/٤/١٨

قد أصبحت أقل عداء ، وبعد أسبوعين علم أوكلاند بصورة مؤكدة بأن ميشلاندا قد غادر الخليج بالفعل واعترف لهوب هاوس بأنه لم يكن يعرف ما الذى يتوجب عليه أن يفعله فى ذلك الوقت وكتب لهوب هاوس يقول : « كنت أفضل لو أنك زودتني بالتعليمات اللازمة حول الاجراء الذى ينبغي أن أسلكه ازاء خورشيد باشا وموضوع البحرين لاني كنت أخشى ان أتخذ اجراء فعلا أو أن لا أتخذ أى اجراءات على الاطلاق ، وبالتالي يسعدنى ان اتلقى منك تعليمات اخرى بعدم القيام باى اجراءات ، وقد استمر موقف التردد هذا حتى شهر يونيو ، وفى ١٦ من نفس الشهر كتب اوكلاند لغاريش رسالة يقول فيها « انه لما يبعث السرور آتة ليس هناك احتمال بقيام خورشيد باشا بعدوان على البحرين وبأن التعليمات التى أصدرتها بشيء من التردد لحماية البحرين من أى اعتداء لم يعد لها لزوم ، كما كتب رسالة اخرى الى هوب هاوس يذكر فيها : « أننى حريص على أن أعرف منك عما يجرى من أحداث وتطورات على الجانبين الشرقى والغربى للخليج ، وعلى الرغم مما تحت أيدينا من امكانيات يتعين علينا أن نبقى مطمئنين بالنسبة للمشكلتين وان كان نفوذنا سوف يتأثر تبعا لذلك الى حد ما ، لقد أصدرت تعليمات مشددة الى طرادتنا العاملة فى الخليج بالدفاع عن جزيرة البحرين ضد أى هجوم يشنه خورشيد باشا على الجزيرة ، غير أن خورشيد باشا كما يبدو لا ينوى القيام بأى خطوة من هذا القبيل وسواء كان التصرف من جانبى سليما او خاطئا الا أنه لم يؤد الى أية نتائج عكسية وخيمة .

كان التردد الذى يعانى منه اوكلاند أو بالأحرى مواقفه السلبية من هذا الموضوع لا تعود الى عجز فى اتخاذ القرارات ، وانما لأن الامكانيات العسكرية والمالية للهند كانت قد نضبت بسبب العمليات العسكرية التى قامت بها هذه الحكومة فى أفغانستان . كما كان هذا الوضع يستدعى الاحتفاظ ببعض السفن والقوات فى عدن للدفاع عنها ضد هجوم القبائل الداخلية أو ضد أى هجوم قد يقوم به المصريون عليها من اليمن ، كما كانت الخلاقات مع الصين

توجب مرابطة بعض السفن فى منطقة الشرق الاقصى ، ومن هنا فان القيام بعمليات عسكرية فى الخليج لم يكن أمرا واردا ، وقد ذكر اوكلاند لفاريش فى هذا الصدد : « قد تكون العمليات الحربية فى الخليج اجراء مرغوبا فيه ، غير أن هذا الاجراء لم يكن يتم بأقل من ١٠ ألف جندي وست من السفن الحربية وملايين الروبيات ، وبالتالي ارى أن الظروف غير مواتية للقيام بهذه العملية (١) ورغم كل هذا لا يمكن اخلاء اوكلاند من المسؤولية فى عدم اتخاذه أى اجراءات واسعة كانت أو محدودة لأنه بموقفه ذلك كان يعرض الوجود البريطانى فى الخليج للخطر ، وهو الوجود الذى حققته بريطانيا بعد ثلاثين عاما من الجهود والاجراءات .

وقد طرح ادمونز كبر سكرتيرى حكومة بومباى هذه المسألة فى شهر مارس على النحو التالى : « . . ان الوقت لن يكون بعيدا عندما يتوجب علينا أن نقرر ما اذا كنا سنقدم لشيخ الساحل الحماية التى تستهدف بها لهم او نتخلى عن مسئوليتنا تجاه شئون الخليج ونقصرها على ابقاء طراد أو طرادين لحماية تجارتنا مع المنطقة ، ونترك الشيوخ والباشوات والفرس والمصريين يتقاتلون فيما بينهم (٢) ، كان هذا رأى فاريش فى الموضوع ، ولهذا أوعز الى اوكلاند فى بداية شهر ابريل باعادة النظر فى موضوع الحماية البريطانية بحيث تشمل البحرين ، وفى نفس الوقت أوعز الى الميجور هانيل بالعمل على اقامة علاقات أوثق بين الشيخ عبد الله بن أحمد حاكم البحرين والحكومة البريطانية (٣) وعملا بهذه التعليمات قام هانيل فأصدر أوامره الى

(١) من اوكلاند الى فاريش شيلا ١٦/٦/١٨٣٩ .

(٢) من ادمونز الى ويلوبى ٥/٣/١٨٣٩ .

(٣) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢ مرقق للخطاب

السرى رقم ٤١ المؤرخ ١٣/٤/١٨٣٩ ومحضر فاريش المؤرخ ١/٤/١٨٣٩

وخطاب من ويلوبى الى هانيل بنفس التاريخ (رقم ٦٧١ الادارة السرية) .

— ٥٥٢ —

ميثلاندا فى يوم ١٨ ابريل بادخال البحرين ضمن مناطق الحماية غير ان ميثلاندا لم يوافق على فكرة اعطاء الحماية صيغة رسمية وأستند فى اعتراضه هذا على الاسباب التى سبق أن ذكرها لهانيل قبل شهرين سبقا .

وسواء ادرك اوكلاندا الاخطار التى كانت تحقيق بالوجود البريطانى فى الخليج أو انه لم يدرك ، فانه لم يتمكن من العمل على هذا الأساس وعلى نقيض أوكلاندا كان بالمرستون الذى كانت سلطاته واسعة . وفى يوم ٩ مايو علم بالمرستون من المذكرة التى بعث بها اليه هانيسل عن تهديد خورشيد باشا باحتلال البحرين عن طريق القوة (١) كما تلقى بالمرستون فى نفس اليوم تقريراً من كامبل للمخص حديث جرى بين القنصل البريطانى وبين محمد على باشا يوم ٢ ابريل بعد عودة الوالى من زيارته للسودان . فقد حاول محمد على التقليل من خطورة الحملة التى يقوم بها فى شبه الجزيرة ، وذكر بأن الهدف الأساسى فيها هو حماية مكة والمدينة من سطوة الوهابيين والحصول على الجمال التى يحتاج اليها جيشه فى الحجاز . كما ذكر الوالى لكامليل بأن قوات خورشيد باشا سوف تنسحب خلال بضعة أشهر . وسوف يتم تسليم السلطة فى الحجاز لخالد بن سعود ، وعندما استوضحه كامبل عن البحرين أجاب الوالى بأن البحرين كالكويت ولاية من ولايات نجد ، وأنها كانت تدفع الزكاة الى ابن سعود لسنوات عديدة . ولقد اتضح لكامليل من سير الحديث أن الوالى يعتبر نفسه الحاكم الشيعى لنجد وملحقاتها ، وتساءل كامبل فى قرارة نفسه ما اذا لم تكن تصوراته للمشكلة سليمة على ضوء المرسوم الذى أصدره السلطان العثمانى وفوض فيه والى مصر فى اخضاع نجد كان لايزال سارى المفعول حتى تلك اللحظة (٢) :

(١) فارس والخليج مجلد ٦٤ خطاب من هانيل الى اللجنة السرية

١٨٣٩/٢/٢٨

(٢) من كامبل الى بالمرستون ٦ ابريل ١٨٣٩ (رقم ٢٠) وقد جاء ذكر كامبل فى هذا الخطاب وصول الامير فيصل الى القاهرة فى ٢٦ مارس وتحديد اقامته فى نفس المنزل الذى حددت فيه اقامة الامير عبد الله فى عام ١٨١٨ .

ولعل الاحتمال الأخير حال بين المرستون واتخاذ موقف أكثر تشدداً ضد محمد علي باشا . وفى يوم ١١ مايو بعث بالمرستون برسالة الى بنسوبنى بالقسطنطينية يكلفه ببحث الموضوع مع الباب العالى والتأكد مما اذا كانت فتوحات محمد علي باشا الأخيرة فى نجد قد تمت بتأييد من السلطان ، كما كلفه بأن يوضح للحكومة العثمانية بأن أمن الولايات العثمانية فى العراق قد يتعرض للخطر فيما لو نجح محمد علي باشا فى مد نفوذه الى مناطق الخليج (١) . وقد طلب بالمرستون من كامل أن ينتظر نتائج الاتصالات التى كلف بنسوبنى باجرائها مع الحكومة العثمانية ، فاذا تبين أن الباب العالى يعارض هو الآخر امتداد النفوذ المصرى الى المناطق الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية فيتعين عليه تحذير الوالى بأن الحكومة البريطانية لن تسمح لمحمد علي بعدئذ سيطرته البحرية والعسكرية على شواطئ الخليج ، وانه اذا ما أصر الوالى على هذا التوسع فان القوات البريطانية سوف تقوم بمنعه من توطيد سيطرته على أى قاعدة من القواعد البريطانية على ساحل الخليج (٢) .

بعد أكثر من ثلاثة أسابيع على وجه التقريب وفى يوم ٦ نوفمبر تلقى بالمرستون تقريراً من تايلور المقيم البريطانى فى بغداد تطرق فيه الى تدهور حالة الولايات العثمانية فى العراق وقال بأنها قد أصبحت فى حالة خطيرة من الناحيتين الادارية والعسكرية ، كما علم بالمرستون من التقرير الذى بعث به هانيل عن وصول ماتيلاند الى الخليج على ظهر الطراد ويلسلى (٢) . وعلى

(١) من بالمرستون الى بنسوبنى رقم ٦٤ فى ١٨٣٩/٥/١١ .

(٢) فارس والخليج مجلد ٦٤ من تايلور الى اللجنة السرية ٨ ابريل ١٨٣٩ (رقم ٢١ الادارة السياسية) وخطاب من هانيسل الى اللجنة السرية ١٨٣٩/٥/٢١ .

الرغم من علم بالمرستون باحتمال مغادرة ماثيلاند منطقة الخليج الا أنه مع ذلك ، صدر أمره عن طريق الأمير اليه بوجود الدفاع عن جزيرة البحرين بما كان لدى ماثيلاند من السفن وذلك اذا ما تعرضت البحرين لهجوم من المصريين ، كما كتب رسالة خطية الى كامبل كلفه فيها بتحذير محمد علي باشا من أنه في حالة قيام خورشيد باشا بالزحف على البصرة فان ماثيلاند قد يضطر الى استخدام القوة لمنع خورشيد من ذلك (١) . كما أرسلت تعليمات أخرى تتسم بالحذر من هوب هاوس الى المقيم البريطاني في بغداد تتضمن أنه في حالة قيام خورشيد باشا بهجوم على بغداد وطلب باشا بغداد المساعدة من بريطانيا فيتعين على تايلور ألا يقدم أى تعهد باعطاء أى مساعدة بريطانية نظرا لعدم وجود امكانيات جاهزة يمكن وضعها موضع التنفيذ . وفي حالة احتلال خورشيد باشا للبصرة فإنه يتعين على تايلور الافاد ضابط من الضباط البريطانيين مزودا بمذكرة احتجاج الى خورشيد باشا وابلاغه باحتمال اتخاذ اجراءات عسكرية لارغامه على الانسحاب من البصرة (٢) .

(١) من شيز آدم ويليام باركر الى ماثيلاند ١٨٣٩/٦/١٤ وخطاب رقم ٧٨/٣٧٢ من الخارجية البريطانية وموجه من بالمرستون الى كامبل بتاريخ ١٨٣٩/٦/١٥ (رقم ١٧) وقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يخرج فيها بالمرستون بتصريح عنيف ضد محمد علي باشا وقد ورد هنا التصريح في الرسالة التي بعث بها الى اللورد جرانفيل بتاريخ ١٠ يونيو وجاء فيه : أما بالنسبة لى فاني اكره محمد علي باشا . . . الخ (راجع كتاب كريميا) ص ٨٩ .

(٢) مسودات مجلس ادارة شركة الهند الشرقية مجلد ١٠ مسودة الى تايلور بتاريخ ١٨٣٩/٦/١٣ (رقم ٦٧ سرى للغاية) كما كتب هوب هاوس رسالة خاصة الى اوكلاند يقول فيها : « لو أن الظروف سمحت لك بتوفير خمسة آلاف أو ستة آلاف بندقية نصفها من بريطانيا - لربما فكرنا فى رسالها الى بغداد أو على الأقل الى جهة ما من تلك المنطقة ولكنك كما اعرف سوف تحتاج الى قواتك بكاملها للعمل فى مياه الهند (وزارة الهند) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٣٩ من هوب هاوس الى اوكلاند ١٨٣٩/٦/١٥ .

وعلى الرغم من السرعة التي تصرف بها بالمرستون فى اتخاذ قراراته الا أن مفعولها قد تعثر بسبب الظروف التي طرأت فى منطقة الخليج خلال شهر يونيه ١٨٣٩ خصوصا فيما يتعلق بالبحرين ، وفى ٢ يونيه سلم كامبل الى محمد على باشا صورة من التعليمات التي أصدرها اوكلاند فى ١٨ ابريل الى مثلاند ، وعهد اليه فيها بالدفاع عن البحرين ضد أى هجوم يقوم به خورشيد باشا . وكان كامبل قد تسلم تلك التعليمات من بومباى فى ذلك اليوم . وقد اعترض الوالى على هذه الاجراءات بحجة أن هدفه الوحيد من التهديد باحتلال البحرين هو حماية نفسه من المؤامرات التي كان يحيكها اللاجئون الوهابيون فى البحرين ضد المصريين ، وقد أصر خورشيد من جانبه على استلام أوامر صريحة من محمد على باشا بعدم مهاجمة البحرين تحت أى شكل من الأشكال . وفى ١٢ يونيه سلم باغوص بك الى كامبل صورة من الأوامر التي أرسلت الى خورشيد باشا فى نفس اليوم يطلب اليه فيها عدم التدخل فى شئون البحرين حتى يتسنى للحكومة البريطانية بحث هذا الموضوع مع الجهات المختصة ، ومن ثم تقوم بالرد على التفسيرات التي أدلى بها الوالى لكامل فى شهر ابريل (١) . وقد كان من السهل أن يذكر الوالى مثل هذا القول فهو مهما حاول اخفاء موقفه بالتصنع أمام كامبل الذي حاول استغلال تردد الوالى فى موضوع البحرين وادعائه بتلبية رغبة الحكومة البريطانية فى هذه المسألة الا أن شيئا من هذا لم يحدث فقد كانت البحرين واقعة بالفعل تحت سيطرته .

(١) خطاب من وزارة الخارجية البريطانية موجه من كامبل الى بالمرستون بتاريخ ١٥/٦/١٨٣٩ رقم ٤٢ - ومرفق به صورة من خطاب محمد على باشا الى خورشيد باشا بتاريخ ٢٩/ربيع الاول ١٢٥٥ الموافق ١٨٣٩/٦/١٢ .

في ٢٧ مايو وصل الى خرك مبعوث سرى من خورشيد باشا للاجتماع بهانيل وكان يدعى محمد افندى ، وكان يحمل معه رد خورشيد باشا على تحذيرات هانيل المؤرخة ٢٨ فبراير والتي ذكر فيها بأن الحكومة البريطانية سوف تنظر نظرة خطيرة الى أى غزو مصرى للبحرين ، وكما قال الباشا فى رسالته بأنه ليس هناك سبب يدعو هانيل الى الاهتمام بالبحرين منذ الآن لأن خورشيد كان قد استولى عليها بالفعل بتكليف من والى مصر لكى يمنع من أن تتحول هذه الجزيرة الى وكر للمتمردين النجديين ، فالبحرين كانت ولا تزال من توابع نجد وليس لاية دولة حتى فارس سلطة عليها . كما حاول خورشيد أن يتهم فى رسالته فقال بأنه سوف يكون سعيدا باعادة البحرين الى فارس اذا استطاعت هذه اولا أن تسترد كافة أجزاء الامبراطورية الفارسية القديمة والى أن يتم ذلك فسوف تبقى البحرين خاضعة للسيطرة المصرية(١) . وللتأكيد على هذه النقطة فقد ارفق خورشيد مع رسالته صورة من الاتفاق الذى وقعه مع عبد الله بن أحمد حاكم البحرين والذى يعترف فيه الشيخ بالسيادة المصرية على البحرين ودفع زكاة سنوية قدرها ٣٠٠٠ ريال نمسوى (يخصم منها مبلغ ٥٧٠٠ ريالا نظير الخدمات) كما تعهد الشيخ بتقديم كل مساعدة الى الوالى اذا ما احتاج الى مساعدته ، وفى مقابل ذلك اعترفت الحكومة المصرية بهذا الاتفاق بتاريخ ٢٢ صفر ١٢٥٥ الموافق ١٨٣٩/٥/٧ غير أن هانيل قد اكتشف بعد اتصال قام به مع شيخ البحرين بأن التاريخ المذكور ليس تاريخ التوقيع وانما تاريخ التصديق على الاتفاق ، لان توقيع

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٤ خطاب سرى رقم ٨٧ المؤرخ ١٨٣٩/٧/١٦ من هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٥/٣٠ (رقم ٥٧ الادارة السرية) ومرفق به خطاب خورشيد باشا الى هانيل بتاريخ ١٨ محرم ١٢٥٥ الموافق ١٨٣٩/٤/٣ مع صورة من الاتفاق .

الاتفاق قد تم قبل زيارة مثلاند للبحرين والتي تمت فى ٢٢ ابريل بنحو
ثلاثة اسابيع (١) ١٠

وبالتالى فعندما كان محمد على يفاوض كامبل بشأن البحرين فى
اوائل شهر يونيه. كان الوالى يعلم بان البحرين قد كانت خاضعة له بصورة
رسمية ، كما كان يعلم بان مطالبته بالسيادة على الجزيرة باعتبارها منطقة
من المناطق الخاضعة لنجد لم تعد موضع نقاش ، ومنذ بداية ذلك القرن
خضعت البحرين من الناحية الاسمية والفعلية لعدد من الغزاة ، وأن الزكاة التى
كانت تدفعها البحرين للوهابيين انما كانت تدفعها عن طريق القوة ، ثم انها
لم تعد تدفعها فى الستوات التى أعقبت عام ١٨٠٣ عندما كانت تؤخذ منها الزكاة
سنوة واقتدارا ، ثم عادت البحرين فقطعت دفع هذه الزكاة فيما بين عام ١٨١٥ ،
١٨٣١ ، وعندما تولى الامير تركى بن عبد الله الحكم قام بارغام البحرين على
استئناف دفع الزكاة السنوية الا انها توقفت عن دفعها قبل وفاة الامير تركى
فى عام ١١٨٣٤ ، كما أن محاولات ذلك الامير لارغام البحرين على استمرار دفع
الزكاة لم تنجح ، الا انه اظى عام ١٨٣٦ وافق الشيخ عبد الله على دفع الزكاة

(١) مرفقات لرسائل حكومة بومباى السرية مجلد ١٤ مرفق بالخطاب
السرى رقم ٨٩ المؤرخ ١٨/٧/١٨٣٩ من هانيل الى ويلوبى ١٠/٧/١٨٣٩
عند اطلاع اوكلاند على الاتفاق لم يصدق بان هذا الاتفاق قد وقع فى شهر
مارس وان كان مما لاشك فيه انه قد وقع فى ذلك التاريخ بالفعل كما
ان خطاب خورشيد باشا - لهانيل والذى يبلغه فيه باستسلام البحرين له
كان بتاريخ ١٨ محرم ١٢٥٥. الموافق ٣ ابريل ١٨٣٩ وكان عبد الله بن احمد
حاكم البحرين قد ذكر لادمونز عندما التقى به فى الاسبوع الاخير من
مارس بانه قد عرض على خورشيد باشا ان يدفع مبلغا قدره ٣ الاف ريال
نمسوى كزكاة وانه كان مبلغا زهيدا .

وقدرها ٢٠٠٠ ريال نمسوى سنويا مقابل وعد من الأمير السعودى بمساعدة الشيخ ضد سلطان مسقط وأمير فارس اللذين كانا يتآمران عليه كما كان يتصور الشيخ عبد الله . ومن المشكوك فيه أن يكون الشيخ عبد الله قد دفع شيئا من الزكاة قبل اندحار قوات فيصل' والتي أدت إلى الغاء الاتفاق (١) .

وفيما يتعلق بدعوى محمد على باشا بنجد فان بنسوبنى لم تسنح له الفرصة ند مما اذا كانت تلك الدعوة تقوم على أساس المرسوم الأصى القديم الذى انقضى عليه ما يقرب من ثلاثين عاما أو أن هذه الدعوة كانت تقوم على أسس أخرى ، لأنه فى نهاية شهر يونيه وقعت العاصمة العثمانية فى فوضى نتيجة لوفاة السلطان محمود الثانى وهزيمة الجيش التركى على يد ابراهيم باشا .

وفى ربيع ١٨٣٩ قرر محمود الثانى على عكس نصيحة بونسوبنى القيام بهجوم عسكري على محمد على باشا فارسل فى أواخر شهر ابريل جيشا الى سوريا غير أن المعارك لم تبدأ ضد الأتراك قبل منتصف شهر يونيه الذى منى الجيش التركى فى الرابع والعشرين منه بهزيمة ساحقة ، وذلك فى موقعة نصيب بالقرب من بريجيك الى الجانب الأعلى من نهر الفرت ، وفى ٢٢ يونيه توفى محمود الثانى وخلفه على الحكم عبد المجيد الذى لم تتجاوز سنه لاسداسة عشر ثم بعد ذلك بأسبوع ترك كبتان باشا القائد العام للأسطول العثمانى معسكر الأتراك وانضم الى محمد على باشا وأبحر بالجانب الأكبر من الأسطول الى الاسكندرية ، وبذلك أصبحت الطرق ممهدة أمام محمد على لدخول القسطنطينية غير أن الوالى تلكأ فى الاستيلاء عليها وكلف قائده ابراهيم باشا بمرابطة قواته على مشارف جبل طوروس بينما اتجه هو الى أحداث بعض التغييرات فى النظام القائم فى القسطنطينية عن طريق دفع الرشاوى السخية والوعود الكثيرة بالاصلاح .

(١) فارس والخليج مجلد ٦٥ من هانيل الى اللجنة السرية

كالت هذه الفترة هي أنسب فترة لقيام إبراهيم باشا بهجومه على البصرة وبغداد لو أن محمد علي باشا كان يفكر بالفعل في الاستيلاء عليهما ، وفي بداية شهر يونيه اتصل القنصل الفرنسي العام المسيو كوشليت بالاستفسار عن الاشاعات التي كانت تملأ العاصمة المصرية عن قيام خورشيد بالزحف على البصرة ولكن الوالى أجابه بأن هذه اشاعات وقال بأن خورشيد باشا مازال حتى تلك اللحظة في الرياض وقد عاد كوشليت فأثار هذه المسألة في ٢٤ يونيه بعد علمه بالتعليمات التي بعث بها بالمرستون الى بونسنبى بتاريخ ١١/مايو والتي حذر فيها بأن بريطانيا لن تقف مكتوفة اليدين ازاء توسع نفوذ محمد علي باشا في الخليج . وفي التقرير الذي كتبه كوشليت عن محادثاته مع والى مصر ذكر ما يلي :

وقد كرر الوالى (١) تأكيده هذا لكامل بعد أسبوعين من هذا التاريخ وذلك عندما قابله كامل للاستفسار حول هذا الموضوع على أثر وصول تعليمات بالمرستون المؤرخة في ١٥/٦/١٨٣٩ غير أن محمد علي باشا لم يحاول التنصل من خططه فحسب وانما بعث برسالة خطية الى بالمرستون تتضمن انكاره لأى شىء من هذا القبيل على الرغم من الحاح كامل عليه بأن ذلك لم يكن ضروريا (٢) : ومن المؤكد أن خورشيد باشا لم يكن ينوى

(١) من كوشليت الى دلمانى ٢٥/٦/١٨٣٩ عن تسلّم سولت تقرير بوشليت الاول كلفه بان يوجه نظر محمد علي باشا من محاولة تعقيد مشكلة هي بالفعل معقدة عن طريق القيام بمبادرات عدوانية ضد بغداد أو الخليج حتى لا يستفز البريطانيين لاحتلال البصرة أو أى منطقة أخرى (كتاب دريوت جزء ١ ص ١٢٧ - ١٢٨) من درماتى الى كوشليت ٧/٧/١٨٣٩ .

(١) من كامل الى بالمرستون ١١/٧/١٨٣٩ رقم (٥١) ومرفق به خطاب باغوص بك الى كامل بتاريخ ٩/٧/١٨٣٩ .

الانسحاب من نجد ، وكان الشيخ جابر حاكم الكويت قد أبلغ هانيل في الأسبوع الثاني من شهر مايو بأن خورشيد ما يزال في الرياض وأن رسله الذين حضروا الى الكويت للحصول على بعض المؤن لم يسيروا الى أن خورشيداً باشا ينوي القيام بهجوم على البصرة في المستقبل القريب . وقد أيد هذا الرأي كلايف قائد الطراد الذي كان هانيل قد أوفده في بداية شهر مايو الى الكويت للتأكد من الاشاعات عن وجود نشاط للمصريين هناك ، كما أن ماكنزى طبيب المثلثة الذي أوفده هانيل في نفس المهمة الى كل من البصرة والمحمرة قد ذكرا بأنه على الرغم من كثرة تردد الاشاعات في البلدين عن هجوم مصرى وشيك فإنه لم ير أى دليل يؤكد ذلك (١) وكان من الواضح أنه فيما يتعلق بالقضايا التي تهم محمد على باشا فان التطورات في كل من سوريا والقسطنطينية قد طغت على موضوع بغداد وأن أى تفكير في غزوها كان لا بد وأن يؤجل النظر فيه ، وعلى أى حال فان الأزمة التي كان يعاني منها خورشيد في ذلك الوقت لم تكن تسمح له بالبقاء في نجد دون القيام بأى اجراءات ، فاذا لم يجد منفذا لتوجيه طاقاته الى منطقة الخليج العليا فلا بد أن يوجهها الى منطقة الخليج السفلى .

وفى أواخر شهر يونيه تقريبا علم هانيل من وكيل المثلثة في الشارقة بان سعد بن مطلق واتباعه لا يزالون في الشارقة وأن الشيخ سلطان بن صقر قد رحب بمقدم مبعوث خورشيد بدلا من أن يعترض على وجوده هناك ، كما أبلغ سعد بن مطلق شيخ القواسم بأنه لم يحضر الى المنطقة كمعتمد لخالد

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ١٤ مرفق للخطاب السرى رقم (٨٧) المؤرخ ١٦/٧/١٨٣٩ من هانيل الى ديلوبى ١٨/٥/١٨٣٩ (رقم ٥٣ الادارة السرية) مرفق بخطاب جابر بن عبد الله الى هانيل بتاريخ ٢٥/٢٥/١٢٥٥ الموافق ١٠/٥/١٨٣٩ كممثل للحاكم المصرى فى المنطقة ولايات هذه الصفة ابرز سعد بن مطلق خطبا معتمدا من خورشيد باشا .

بن سعود فحسب وانما كمثل للحاكم المصرى كما قال بأنه لا ينوى مفادرة الشارقة الا بأمر خطى من المقيم البريطانى نفسه وانه اذا خرج على ذلك الأساس فسوف يقدم احتجاجا على أمر المقيم (١) وقد أدرك هانيل بأنه اذا سمح لنائب الأمير بالبقاء فى منطقة الساحل فلن يمضى وقت طويل حتى يكون جميع شيوخ الساحل قد خضعوا لمحمد على بنفس الطريقة التى أخضعت له البحرين . فى ذلك الوقت كانت السفينة البريطانية هيولنس فى طريقها الى البصرة بالبريد الصحراوى ، وقد اصدر هانيل أمرا بنقل البريد الذى كانت تحمله السفينة الأخرى ثم قام هو بعد أن تلقى تقريرا من وكيل المشيلة فى الشارقة بالإبحار بعد أربع وعشرين ساعة الى منطقة الخليج السفلى .

وصل هانيل الى أبو ظبى يوم أول يوليو وقد حضر لزيارته على ظهر السفينة خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبى ، وقد بادره هانيل بالاستفسار عن رسالته التى قيل انه قد بعث بها الى سعد بن مطلق ، غير أن الشيخ أنكر ذلك بصورة قاطعة وأكد لهانيل بأنه لم يقم بأى خطوة تؤدى الى تشجيع وكيل المصريين فى مهمته كما عرض على هانيل بأن يكتب تعهدا بمقاومة اطماع خورشيد باشا فى المنطقة ، وأنه تبعا لذلك يتوقع المشورة والتأييد من الحكومة البريطانية وقد قبل هانيل التعهد من الشيخ خليفة بن شخبوط على الرغم من أنه لم يعلق عليه أهمية كبيرة وأقلع بسفينته فى نفس اليوم الى دبی ، وفى دبی علم من حاكمها الشيخ مكتوم بن بطى بأن هناك شسبه اجماع من المنطقة بوجود اتصال وثيق بين سعد بن مطلق وحاكم أبو ظبى .

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٤ خطاب رقم ٨٧ المؤرخ ١٨٣٩/٧/١٦ انظر ايضا نفس المجلد خطاب رقم ٨٩ المؤرخ ١٨٣٩/٧/١٨ من ملا حسين الى هانيل بتاريخ ٧/ربيع الاول/١٢٥٥ الموافق ٢١ مايو ١٨٣٩ .

وكان موقف عبد الله بن راشد حاكم أم القيوين نفس الموقف . وعند وصول هانيل الى الشارقة وتوقفه هناك وهو في طريقه من دبي الى أم القيوين علم بأن أحد الرسل قد وصل الى هناك موفدا من خورشيد باشا ، وأن هذا الرسول قد أفاد بوصول بعض الامدادات الى سعد بن مطلق ، كما قيل لهانيل ان الشيخ سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة من المؤيدين لنائب الأمير ، وعندما اجتمع هانيل في يوم ٣ يوليو بالشيخ سلطان في رأس الخيمة أقسم له أغلظ الايمان بأن تأييده لسعد بن مطلق كان رغم انفه وأنه لو طلب الى سعد بن مطلق بمغادرة الشارقة كما جاء في نصيحة ادمونز له فان مطلق سيتوجه الى أبو ظبي وقال : شيخ الشارقة بن خليفة شخبوط على وفاق تام مع سعد بن مطلق وبرز الشيخ كتأييد لقوله هذا خطابه كان قد بعث به خليفة بن شخبوط الى وكيل المصريين ، وأنه هو الذي تمكن من الاستيلاء على الخطاب ، وقد عرض حاكم أبو ظبي على سعد بن مطلق وضع امكانيات أبو ظبي كلها تحت تصرفه ، وقد أثار هذا الخطاب دهشة هانيل ، لأنه كان يعرف بأن بنى ياس من الأعداء التقليديين للوهابيين ، ولكن ربما يكون السبب حسب اعتقاد هانيل يعود الى أطماع أبو ظبي في الاستيلاء على قلعة البريمي التي كانت في يد النعيم ، وكان يتوقع أن يحصل على مساعدة سعد بن مطلق في تحقيق هذا الطلب (١) .

كذلك ذكر سلطان بن صقر سرا لهانيل بأنه لو زوده بأمر خطي لطرد سعد بن مطلق من الشارقة ولما كان يتردد في تنفيذ ذلك ، غير أن هانيل لم يكتف بتسليم هذا الأمر لليه فحسب وإنما بعث برسالته الى الوكيل المصري مباشرة يستنكر فيها شرعية ولايته على المنطقة ويدعوه الى مغادرتها على الفور كما يحذره من التدخل في شؤون النعيم سكان البريمي الذين يعتبرون تحت الحماية البريطانية ، طالما بقي النزاع قائما بين بريطانيا ومصر . وقد تكرر هذا

(١) المرفقات السرية لخطابات حكومة بومباي الخطاب رقم ٨٩ المؤرخ

١٨٣٩/٧/١٨ من هانيل الى ويلوبي ١٨٣٩/٧/١٠ .

الطلب فى الرسالة التى بعث بها الى خورشيد باشا فى اليوم التالى وسجل فيها استنكاره لتعيين خورشيد باشا سعد بن مطلق حاكما على المنطقة ، وعلى الأخص بعد أن قام محمد على باشا باعطاء ضمانات مؤكدة بأنه لا ينوى توسيع سلطته فى منطقة الخليج ، كما طلب من خورشيد باشا سرعة سحب الوكيل من المنطقة . وقد حصل هانيل من سلطان بن صقر على تعهد خطى مماثل ومن خليفة بن شخبوط ومن غيره من حكام الساحل يعربون فيها عن رغبتهم فى التعاون مع حكومة بريطانيا فى مقاومة أى تدخل من جانب خورشيد باشا فى أراضيهم . وقد وافق هانيل على التعهد بالحماية لزعماء المنطقة وتعهد بتزويد سلطان بن صقر بالأسلحة اذا اضطر الى الدخول فى حرب مع المصريين نظير تعهد الشيوخ بعدم اجراء مفاوضات أو عقد اتفاقات مع الحكومات الأجنبية الا بموافقة الحكومة البريطانية ، واعتبار أعداء أو اصدقاء بريطانيا أعداء أو اصدقاء لهم ، وفى ختام جولته عقد هانيل اجتماعا مع رسول قبيلة النعيم الذى وصل خصيصا للاجتماع به وأمر له بمؤونة من الأرز والبارود كما أبلغه بأن الحكومة البريطانية بصدد تعيين وكيل لها فى البريمى .

ورغم ما قام به هانيل فى هذه الجولة الا أنه لم يكن متفائلا بالنتائج وذلك ان انتصار ابراهيم باشا على العثمانيين ، ورغم أن أخبار هذه المعركة لم تكن قد وصلت بعد الى هانيل ، ووصول تعزيزات من الأسلحة والمعدات الى سعد بن مطلق وعودة هذا الى المنطقة بدفعة جديدة من القوات . كل هذه الاحتمالات كان لابد وأن تكون لها عواقب وخيمة على نفوذ المقيم البريطانى فى المنطقة ، وبهذا المعنى بعث هانيل بتقرير عاجل الى حكومة بومباى وأبدى فيه شكه فى جدوى الاحتجاجات التى كان يقدمها السفير البريطانى فى مصر الى حكومة محمد على باشا كى تحدد من التوسع العسكرى لخورشيد باشا فى الجزيرة العربية ، وأكد هانيل بأنه ليس هناك أى شىء يمكن أن يوقف محمد على باشا عند حده غير التهديد بالقوة المسلحة كما طالب هانيل بتعزيز الأسطول العامل فى الخليج : ونبه أنه اذا حاول خورشيد باشا إعادة سعد بن مطلق

الى منطقة الساحل بمزيد من العتاد والرجال فينبغى فرض حصار بحرى على سواحل القطيف والعقير وسيحات ، كما انه فى حالة قيام خورشيد بهجوم على البريمى التى تعتبر مفتاح الطريق الى عمان الشمالية ، وفى حالة اشتراك بعض شيوخ المنطقة فى هذا الهجوم يتعين توجيه انذار اليهم بالكف عن هذا العمل والا سيقوم الاسطول البريطانى بتدمير تحصيناتهم ، ولا ينبغى على أى حال أن يضيع الساحل منا كما ضاعت البحرين من قبل بسبب سياسة العجز والتردد التى نسير عليها . وكان حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن أحمد قد ذكر لهانيل فى اواخر شهر يونيه عند زيارة المقيم للبحرين وهو فى طريقه الى ابو ظبى بأنه فى الحقيقة كان ينوى التصدى لخورشيد باشا لو انه لم يكن قد فقد الأمل فى الحصول على التأييد من بريطانيا وأن الحكومة البريطانية لم توفر له اطلاقا الحماية التى يحتاج اليها كى يستطيع مجابهة خورشيد باشا . ولكن هانيل لم يكن يثق فى أقوال الشيخ وكان يرى أن السياسة الاستسلامية التى يسير عليها الشيخ تعود الى الشيخوخة والى رغبته فى حياة هادئة بالرغم من ان هانيل كان يعتقد بأن أحاديث الشيخ عبد الله لم تكن كلها عارضة من الصحة، وذكر هانيل أيضا أن خورشيد باشا قد أصبح يتمتع بمركز مرموق بين سكان المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة واننا اذا لم نقم باجراء سريع لدرء هذا النفوذ فإن خورشيد باشا سوف يجد المجال مفتوحا أمامه للتوسع كيف يشاء . ومن ناحية أخرى أشار هانيل بأنه لو وجه تحذير الى محمد على باشا باعتباره مسئولا عن أى اصابات أو تلف ينجم عن فتوحاته العسكرية فان مثل هذا التحذير سوف يدفعه على الانسحاب من سواحل الخليج .

ومن منطقة الساحل توجه هانيل الى مسقط لاستطلاع رأى العام هناك عن وجود القوات المصرية فى شبه الجزيرة العربية . وكان مبعوث من سعد بن مطلق قد زار مسقط أيضا خلال الأسبوع الأول من يونيه مزودا بخطابات من نائب الأمير ومن خورشيد باشا للسيد سعيد ، بأنه أرسل سعد

بن مطلق الى البريمى للاشراف على شئون الحكم فى منطقة الساحل، وأنه لذلك يطلب من السيد سعيد تقديم المساعدة الممكنة اليه ، أما خطاب سعد بن مطلق الى السيد سعيد فقد كان شديد اللهجة ، وقد ذكر فيه بأن السيد سعيد لم يقدم اليه أى مساعدة فى مهمته ، كما طالبة بدفع الزكاة السنوية التى كان السيد سعيد يدفعها فى الماضى للحكومة الرياض (١) . وعند وصول هانيل الى مسقط وجد ان السيد سعيد متغيب عن البلاد وقد استقبله نجله ثوينى وابن أخيه محمد بن سالم اللذان كانا ينوبان عنه فى الحكم ، ولكن النائبين أكدا للمقيم البريطانى بأنهما لا ينويان تقديم أى مساعدة الى خورشيد باشا وانهما على العكس من ذلك يقفان الى جانب الحكومة البريطانية فى مواجهة الاعتداءات التى كان يقوم بها نائب الأمير ، غير أن معارضتهما لسعد بن مطلق لم تتحول الى عمل ايجابى ، وعندما اقترح هانيل عليهما تنفيذ وعودهما بمقاومة خورشيد باشا وذلك عن طريق تقديم العون الى مقيم البريمى رفض اقتراحه بطريقة مهذبة ويرجع السبب فى ذلك حسب اعتقاد هانيل الى الغيرة التى كانا يحسان بها من حمود بن عزام والى صحار واحد اقربائهما ، وكان هذا قد قدم بعض المساعدات للمقيم فى الربع الماضى .

لقيت مقترحات هانيل تأييدا قويا من جانب السير جيمس كرتاك حاكم بومباى بعد أن اطلع عليها من التقرير الذى بعث به اليه وقال : « انه يبدو ان انصاف الحلول قد تؤدى الى الفشل الذريع فالما ان نقف بكل ثقلنا الى جانب الحكام العرب فى تصديهم لاعتداءات خورشيد باشا أو ان نستسلم

(١) مرفقات للخطابات السرية لبومباى مجلد ١٤ مرفق للخطاب

السرى رقم ١٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٧ المؤرخ ١٦/٧/١٨٣٩ من روبيى
ناسلام (وكيل شركة الهند الشرقية فى مسقط) الى هانيل ٢٩ ربيع الأول
١٢٥٥ الموافق ١٠/٦/١٨٣٩ .

للسيطرة المصرية على الساحل العربى للخليج ، غير ان اوكلاند عارض هذا
الراى وأشار الى كرناك فى بداية شهر اغسطس بأن اتخاذ اجراءات
للمحافظة على نفوذ بريطانيا على الساحل العربى انما تتوقف على الخط
السياسى الذى تسير عليه حكومة بريطانيا ازاء محمد على باشا وعلى نتائج
مباحثات كامبل فى القاهرة وازضاف اوكلاند :

بأن من الواضح أنه ليس فى وسع حكومة الهند أن تقدم على أى
اجراءات من قبيل استعراض القوة البحرية فى الخليج لمساعدة الحكام
العرب الذين يرغبون فى التصدى لخورشيد باشا بالطريقة المتاحة لهذه
الحكومة ، وقد تؤدي الى نتائج حاسمة كانسحاب جيش خورشيد باشا
من المنطقة انسحابا تاما ، والتخلى عن النفوذ الذى حققه مؤخرا لتشجيع
محمد على باشا كما اننا لا نستطيع أن نعتد على السلوك المتقلب والمواقف
الخادعة لكثير من هؤلاء الحكام والى تأييدهم للجهود التى نبذلها نحوهم .
ان خورشيد باشا كما يبدو قد أصبح يمارس نفوذا كبيرا عليهم ، وفى الوقت
الذى يستمر هؤلاء الحكام فى تخاذلهم فان محاولتنا لتشجيعهم على الحفاظ
على استقلالهم سوف يتطلب منا حجما من القوة لتحقيقه ، الامر الذى
لا يتفق مع الاعتبارات السياسية الراهنة التى تلتزم بها حكومة الهند فى
الوقت الحاضر من هذه القضية .

كان احتلال خورشيد البحرين يسبب خداعا شديدا لاولكلاند ومن ثم
فقد رفض التفسيرات التى قدمها الشيخ عبد الله بن احمد لهذا الاحتلال
ويعتقد اوكلاند بأن الشيخ عبد الله بن احمد كغيره من شيوخ المنطقة ملزم
تجاه الحكومة البريطانية بمقتضى معاهدة الصلح العامة المعقودة فى عام ١٨٢٠
وأن تعاونه مع خورشيد باشا يصبح تبعا لذلك خرقا لذلك الالتزام ، كما
ينطبق هذا الراى على بقية حكام المنطقة كسلطان بن صقر وخليفة بن
شخبوط ، ويرى اوكلاند بأن الاجراء الوحيد الذى سوف يلزم هؤلاء الشيوخ
بالتقيد بنصوص المعاهدة وعدم التمادى فى خضوعهم للمصريين هو الحصول منهم

على تفهد خطى بالاستمرار فى ذلك الالتزام مقابل تقديم بعض المساعدات العسكرية اليهم والتي تمكنهم من الوقوف فى وجه المصريين والحفاظ على استقلالهم ، غير أن اوكلاند عارض رأى هانيل بتقديم الحماية للمقيم وقال ان هذا يتعارض مع الخطوط الأساسية التى تقوم عليها العلاقات البريطانية مع تلك القبائل العربية ، وهو عدم التدخل فى شؤونهم الاقليمية ولكنه على أى حال وافق من حيث المبدأ على تقديم الحماية البريطانية للمقيم ، وأحال مقترحات هانيل باستعراض القوة الى القائد العام للأسطول البريطانى بالهند الشرقية للنظر فيها ، وان كانت الشكوك قد ساورته فى احتمال الموافقة على هذا الاجراء فى القريب العاجل . أما توفير السفن لهذه الحملة فقد كانت من اختصاص حكومة بومباى ، وأبدى اوكلاند موافقته على اقتراح هانيل بارسال أحد الطرادات البريطانية الى الخليج اذا استطاعت حكومة بومباى توفير هذا الطراد بالقياس بدوريات بحرية لمنع تسلل الجماعات المسلحة المؤالية لخورشيد باشا الى ساحل الصلح .

ويبدو أن اوكلاند فى هذا الخطاب كان يحاول التملص من الموضوع لانه كان يعلم علما اكيدا « . . كما أن خورشيد باشا فى انتظار أن تأتية التعليمات من القاهرة كذلك فانى انتظر التعليمات من لندن » . وقد كتب هذا القول الى مائيلاند فى شهر يوليو وأضاف أوكلاند « بأن الموضوع برمته يرتبط بالسياسة المصرية والتركية والأوربية مثلما هو مرتبط بالسياسة الشرقية ، وأن المعلومات القليلة التى فى حوزتى لا تكفى للارسترشاد بها فى هذا الموضوع (١) غير أنه لا يمكننا لقاء اللوم على أوكلاند وذلك بسبب نقص الامكانيات التى كانت تحت تصرفه ، غير أن المبررات التى أبداها فى عدم اتخاذ أى اجراءات لاتبدو سليمة ، ولما كان يعتقد بأن الحل الوحيد هو انسحاب المصريين انسحابا تاما من الخليج فقد كان يتعين عليه أن يتخذ

(١) خطاب من اوكلاند الى مائيلاند ٢٩/٧/١٨٣٩ .

الخطوات اللازمة لمواجهة هذا الوضع فضلا عن انه كان يعلم تمام العلم أن أحكام المنطقة كانوا مترددين وغير جادين في مواجهة التوسع المصرى ، هذا بالإضافة الى أن خورشيد باشا كان له نفوذ واسع على أولئك الشيوخ ومع ذلك فإن اوكلاند لم يتخذ أى اجراء للرد على ذلك النفوذ كما لم يكن اوكلاند موفقا فى احكامه على شيوخ الساحل ، وكان شيخا دى وأم القوين قد رفضا استقبال سعد بن مطلق أو الترحيب به فى منطقتهم .

وان تصرفه على أساس مبدأ عدم التدخل ، والتدخل العسكرى بوجه خاص فى شؤون شبه الجزيرة العربية لم يكن واقعيًا ، وصحيح أن هذا المبدأ كان معمولا به منذ عام ١٨٢١ غير ان اوكلاند قد صرف النظر عنه منذ بداية عام ١٨٣٩ عندما أقر الحملة البريطانية لاحتلال عدن حتى لا تقع فى ايدى المصريين ، وبالتالي فإن الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية فى تلك الفترة كانت تشبه الوضع فى عدن . ومنذ بداية دخول النفوذ البريطانى الى الخليج فقد ظل يواجه تحديات مستمرة من الخارج كما أن مركز خورشيد باشا بين القبائل قد نشأ بحكم الانتصارات العسكرية التى حققها وكان الاعتقاد السائد فى ذلك الوقت انه رغم تفوق البريطانيين فى البحر الا أنهم لم يكونوا ندا للمصريين فى البر .

فى أول شهر أغسطس وصلت الى خرك أخبار عن اندحار الجيش التركى على يد ابراهيم باشا ، ثم أعقب ذلك وصول خبر عن وفاة السلطان العثمانى وانضمام الاسطول التركى لمحمد على باشا وخلال أيام قليلة كانت أخبار هذه التطورات قد وصلت الى منطقة الخليج السفلى ، غير ان سعد بن مطلق ورجاله كانوا قد غادروا منطقة الساحل الى نجد قبل وصول تلك الأخبار ، وقد أوفى سلطان بن صقر بوعدده فأخرج نائب

الأخير من رأس الخيمة غير أنه وعده نرا كما ذكر وكيل المثلية في الشارقة ، وعده بتأييد القواسم له لو عاد الى المنطقة بقوات أكبر (١) ، وقد وافق نبا انتصارات خورشيد باشا في نجد وصول خبر تسليم خورشيد باشا سلطة الحكم في نجد لخالد بن سعود تنفيذا لأوامر صريحة وصلت خورشيد باشا من محمد علي باشا (٢) ومن التفسيرات غير الصحيحة التي أضيفت على هذا الحادث هو أن خورشيد باشا كان ينوي الزحف على بغداد بعد اعادة تنظيم قواته هناك ، وقد ضاعفت انتصارات المصريين في سوريا ووفاة السلطان العثماني من خطورة الوضع على بغداد ، ولم يعد هناك أدنى شك في أن خورشيد يستطيع متى شاء احتلال العراق بكل سهولة خصوصا اذا جاءته مساعدات من جيش أحمد باشا في الحجاز ومن قبائل المنتفك سكان المنطقة السفلى للعراق وحسب تقديرات هانيل كانت قوات خورشيد لا تزيد عن ٣٠٠ فرد خيال و ٣٥٠٠ فرد من النظاميين وغير النظاميين ونحو ٨ الى ١٠ مدافع ميدان يوجد أكثرها في الثرمدة الواقعة في منتصف الطريق بين المدينة

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباي خطاب سرى رقم ١٠٣ مؤرخ ١٨٣٩/٩/١٠ من هانيل الى ويلوبى بتاريخ أول اغسطس ١٨٣٩ (رقم ٧٣ ، ٧٨ سرى الادارة السرية) ومجلد ١٦ مرفق للخطاب السرى رقم ١١١ مؤرخ ١٨٣٩/١٠/٤ من هانيل الى ريد بتاريخ ١٨٣٩/٨/٢٦ (رقم ٨٨ الادارة السرية) .

(٢) نفس المصدر مجلد ١٥ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٣ مؤرخ ١٨٣٩/٩/١٠ من هانيل الى ويلوبى بتاريخ ١٨٣٩/٧/٢٩ (رقم ٧١ الادارة السرية) انظر نفس الحلقات مجلد ١٤ ومرفق للخطاب السرى رقم ٩٢ مؤرخ ١٨٣٩/٧/٣١ من خورشيد باشا الى باغوص بك الموافق ١٨٣٩/٤/٨ ومرفق بخطاب كامبل الى ويلوبى فى ١٨٣٩/٦/١٦ .

— ٥٧٠ —

وعنزته ، أما زميله أحمد باشا فقد كان لديه جيش قوامه ٤٠٠٠ مقاتل في المدينة وان اندماج هاتين القوتين في جيش واحد سوف يمكن خورشيد من الزحف على العراق (١) .

كان كامبل يعتقد بأن محمد علي لم يتراجع عن العهد الذي قطعه على نفسه في شهر يوليو بالتحرك الى البصرة وبغداد ، كما كان يعتقد بأن خورشيد باشا ، المعروف لديهم معرفة وثيقة كما ذكر في رسالته وبأنه كان يكن له كل التقدير والاحترام ، بأنه سوف يعصى أوامر محمد علي باشا وبالإضافة الى ذلك فان إبراهيم باشا بعد الهزيمة التي منى بها مع الأتراك قد انسحب الى الضفة الغربية للفرات الامر الذي لا يدل على أنه ينوى القيام بأى عمليات عسكرية ضد العراق (٢) .

ويبدو أن آراء كامبل بوصول خطاب خورشيد باشا الى هانيل في نهاية اغسطس والذي أكد فيه القائد المصرى بأنه لاينوى التحرك من قاعدته في الثرمدة مالم تصله أوامر من مصر بذلك . وقد أبلغ المبعوث الذي حمل خطاب خورشيد الى هانيل أبلغ هذا الأخير بأن سعد بن مطلق قد توجه الى معسكر خورشيد بعد نزوله في العقير مباشرة الأمر الذي استنتج منه هانيل احتمال تحركات جديدة يقوم بها المصريون ضد البريمي (٣) .

-
- (١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٥ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٣ مؤرخ ١٨٣٩/٩/١٠ من هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٨/١ (رقم ٧٣ الادارة السرية) ومجلد ١٦ مرفق للخطاب السرى أ ١١ مؤرخ ١٨٣٩/١٠/٤ (رقم ٧٢ الادارة السرية) .
- (٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٦ مرفق للخطاب السرى ١١١ مؤرخ ١٨٣٩/١٠/٤ من كامبل الى ريد ١٨٣٩/٨/٢٧ .
- (٣) نفس الحلقات والمجلد والمجموعة من هانيل الى ريد ١٨٣٩/٨/٢٨ (رقم ٨٩ الادارة السرية) - ومرفق به مخطاب خورشيد باشا الى هانيل مؤرخ ١٧ جمادى الأولى ١٢٥٥ الموافق ١٨٣٩/٧/٢٩ .

وقد عزز هذا الاستنتاج وصول أخبار من ساحل القرصنة تفيد بأن خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبي قد قام بهجوم في أواخر يوليو على قلاع البريمي لاحتلالها . وفي نفس الوقت تمكن وكيل الممثلة البريطانية في الشارقة من الاستيلاء على بعض الرسائل التي كان قد بعث بها كل من خورشيد باشا وخالد بن سعود الى سعد بن مطلق وسلطان بن صقر ، وبعث بها الى هانيل ، الأمر الذي يتضح منه بأن هدف خورشيد باشا من إيفاد سعد بن مطلق الى الشارقة هو لتوطيد نفوذه في منطقة الساحل ، وقد حدا هذا بهانيل الى تحذير خورشيد باشا بأن الحكومة البريطانية لن تحتل تدخله بعد الآن في شؤون القبائل الساحلية ، وأن على خليفة بن شخبوط أن يعلم بأنه لا يمكنه التحلل من التزامه بمقتضى المعاهدة بهذه السهولة . وقد تقدم المقيم بمقترحات الى حكومة بومباي يطالبها بتوجيه تحذير الى شيخ بنى ياس بأن الحكومة البريطانية سوف تقوم بتدمير سفنهم وتحصيناتهم اذا لم يتوقف عن الاعتداء على النعيم أو يعرضهم عن الأضرار التي لحقت بهم من جراء الاعتداء على منطقتهم . وقد انتهز هانيل الفرصة فنبه رؤسائه الى المقترحات التي سبق ان بعث بها اليه في نهاية شهر يونيه بوجوب مرابطة إحدى السفن البريطانية بالقرب من ساحل القطيف وتوجيه تحذير الى الوالى المصرى هناك بعدم ارسال أى سفن تحمل أسلحة الى منطقة الساحل (١) .

لم يبين اوكلاند مقترحات هانيل التي صيغت بلهجة شديدة فحسب .
وتما طلب الى ميثلانده القيام بعملية الاستعراض لقوة بريطانيا كاجراء له

(١) نفس المصدر من هانيل الى ريد بتاريخ ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ اغسطس ١٨٣٩ (رقم ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١) الادارة السرية وانظر ايضا نفس المصدر مجلد ١٥ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٣ مؤرخ ١٠/٦/١٨٣٦ من هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٧/٣١ رقم ٧٢ سبرى .

اهميته وقد قام هذا القائد البرى بتنفيذ ما طلب اليه بأقصى الحسم والسرعة الممكنة، فقد غادر قاعدة ترنكومالى فى أواخر سبتمبر الى مدراس للتموين من هناك ، ثم أبحر مسرعا الى بومباى التى وصلها يوم ٣ نوفمبر ، ترافقه السفن الحربية الملكية ويلسلى ولارن والجرين ، الا انه قبل مغادرته اضطر الى الانتظار فى بومباى ريثما تصله تعليمات من انجلترا بشأن الوضع فى الصين، وعند وصول تلك التعليمات وجد نفسه مضطرا الى الإبحار على الفور الى الشرق الأقصى (١) وبسفر القائد الى الشرق الأقصى تلاشى كل أمل فى توفير جانب من القوة البحرية البريطانية للعمل فى الخليج . كما كانت السلطات الهندية فى النصف الثانى من سنة ١٨٣٩ تعاني من مشكلة أخرى ، هى حالة الوحدة البحرية المرابطة فى الخليج . فى أواخر سبتمبر أبلغ الكومندور بركس القائد المسئول عن هذه الوحدة هانيل بأن السفينتين اللتين تحت قيادته لم تعودا تصلحان للأعمال المنوط بها ، والتي تتطلب مالا يقل عن أربع سفن شراعية وبأخرة واحدة (أو سفينتان شراعيتان وبأخرتان) تقوم احدهما بحراسة القاعدة فى خرك والأخرى لأعمال المراقبة فى بوشهر والثالثة للقيام بدوريات على ساحل القرصنة تمتد شمالا حتى الكويت ، وهذه العملية تستغرق مالا يقل عن شهر ، وبالإضافة الى حامية للأشراف على المواصلات مع بومباى . كما أشار بركس الى احتمال أن تطرأ ظروف فى منطقة الخليج العليا أو السفلى مما يتطلب وجود طرادين أو ثلاثة معا . غير أن حكومة

(١) من سجلات الرسائل السرية لحكومة بومباى المجلد العاشر رقم (١) من الحاكم الى اللجنة السرية فى ١٠/٢٦ ، ١٨٣٩/١١/٢٨ ، (كما ١١٨ ، ١٢٧ سرى) انظر أيضا خطاب رقم ١/٢٢٠ من ميشلاندى الى وود فى ١٨٣٩/٩/١٥ (ورقم ١١٠) ومرفقات حكومة بومباى السرية مجلد ١٨ خطاب سرى رقم ١١٣ مؤرخ ١٨٣٩/١٠/٥ من مدوك الى ريد شميللا ١٨٣٩/٩/١٦ .

بومباى لم تفعل شيئاً لسد العجز الذى يعانى منه أسطول الخليج .
 أما الباخرة هيوليدس التى كانت تقوم بأعمال الدورية فى الخليج خلال يوليو
 فقد تقرر سحبها لكى تستأنف عمليات نقل البريد الصحراوى الى السويس ،
 وكانت السفينة الوحيدة الموجودة يومئذ فى بومباى هى السفينة الفنستون
 ولكنها كانت تجرى عليها بعض الاصلاحات ولم تكن جاهزة للعمل فوراً ،
 ولحسن حظ هانيل لم يظهر خورشيد باشا أى دليل خلال شهر سبتمبر
 لاستئناف عملياته العسكرية فى شرق شبه الجزيرة . وكان خورشيد قد
 استاء من قيام وكيل المثلية بطرد سعد ابن مطلق من ساحل القراصنة ومن
 امثال خليفه لمطالب هانيل وقام بدفع تعويضات الى النعيم عن الاضرار التى
 لحقت بهم بعد أن اتضح لهانيل بأنهم هم الذين اضطروه الى مهاجمتهم . وقد
 رد خورشيد على هذه الاجراءات برسالة قوة من القطيف للاغارة على الفرع
 الشمالى للنعيم فى قطر ، وذلك فى شهر سبتمبر تذرعا برفض النعيم دفع
 الزكاة المقررة عليهم عن طريق عبد الله بن احمد شيخ البحرين . ولقد قام
 المصريون بائتلاف مزارع النعيم ، ولم ينسحبوا الا بعد أن راجت اشاعة عن
 مقتل حاكم القطيف فى أوائل شهر أكتوبر (١) وفى ٢٧ أكتوبر وصل يوسف
 ارتون طبيب خورشيد باشا الى خرك برسالة من خورشيد باشا الى هانيل
 ولم يتطرق فى الرسالة الى ابعاد سعد بن مطلق من منطقة الساحل وانما
 تركزت رسالته على البريمى التى ادعى أنها هى الأخرى تابعة لآل سعود
 وبالتالي لمحمد على باشا (٢) .

- (١) نفس المصدر مجلد ١٧ وخطاب سرى رقم ١٣٣ فى ١٨٣٩/١٢/٢٤
 من هانيل الى السكرتير الاول - بالوكالة بومباى فى ٢٦ ، ١٨٣٩/١٠/٢٧ ،
 (رقم ١٠٩ ألف و ١١٠ سرى) .
 (٢) نفس المصدر من هانيل الى رين ١٨٣٩/١٠/٢٨ رقم (١١١ سرى)
 ومرفق معه خطاب خورشيد باشا الى هانيل المؤرخ ١٦ رجب ٢٥٥ الموافق
 ١٠٠١٨٣٩/٩/١٥

ان الأهمية المتزايدة للبريمي من التطورات التي كانت تأخذ مجراها في الخليج يومئذ قد اقنعت هانيل بأنه يتعين أن يكون لديه المام بشئون المنطقة . فلم يقم أى أوروبى بزيارة البريمي اطلاقا ، كما كانت المعلومات عنها قليلة فى أرشيف المثلية . وفى منتصف نوفمبر طلب هانيل من الكابتن اتكنسر هامر تندن من قوات مشاة بومباى الذى كان قائدا للكتيبة الميدانية فى خرك بالإبحار الى الشارقة ومنها الى البريمي (١) بينما استقل هانيل نفس الباخرة الى مسقط ، وذلك للتعرف على ما أعلن ان السيد سعيد يقوم به وقد عاد لتوه من زنجبار لمساعدة حكام الحدود العمانية ضد المصريين . وفى لقاءهما ذكر السيد سعيد لهانيل انه لا يعتقد فى امكانه القيام بأى عمل لوقف تقدم خورشيد باشا بالقوات القبلية الموجودة أو بالقوات التى يمكن أن يساهم بها السيد سعيد ، وبالتالي فهو ليس فى حاجة الى الأسلحة وغيرها من معدات الحرب التى عرض هانيل تقديمها لتسليح تلك القوات ، كما ذكر أنه لا جدوى من محاولة توحيد القبائل ضد خورشيد باشا الا أنهم يتقيدون بالتزامهم . وعندما ذكر له هانيل بأن نعيم البريمي قد صمدوا لخورشيد باشا أجاب السيد سعيد بأن للنعيم وضعا خاصا لأنهم عانوا كثيرا من اضطهاد سعد بن مطلق لهم فى الماضى ويعتقد هانيل أن رغبة السيد سعيد عن تقديم المساعدة . وهو نفس الموقف الذى سبق ان اتخذه كل من نجله وابن أخيه ، انما يعود الى غيرته من حمود بن عزان وإلى صحار .

لقد كان النزاع بين السيد سعيد والسيد حمود خطيرا بحيث بات يشكل خطرا على كيان السلطنة نفسها فى تلك الفترة الدقيقة من تاريخ المنطقة على حد تعبير هانيل الذى رأى أن يقوم بمحاولة لراب الصدع بينها . وقد وفق فى مسعاه هذا وتم عقد اتفاق بينهما يوم ٢٣ ديسمبر يحقق سلاما دائما بين

(١) أعيد نشر المعاهدة فى كتاب « المعاهدات » تأليف إيتشيسون .

الزعيمين وحدهما وبين رعاياهم (١) وبطبيعة الحال لم يكن في مقدور هانيل ان يتنبأ الى متى سيدوم ذلك السلم بينهما ، غير أن الأمل كان يحدوه بأن يستمر الالتزام بالاتفاق حتى تنتهي الأزمة المصرية البريطانية . أما فيما يختص بالهدف الأساسي من زيارة هانيل للسلطنة وهو اقناع السيد سعيد باتخاذ موقف أشد ضد أطماع خورشيد فقد كان نجاحه ضئيلا ، فقد أصر السيد سعيد على القول بأن الجهة القادرة على ردع خورشيد باشا هي بريطانيا وحدها . وأن أفضل وسيلة أمامها لتحقيق ذلك هي احتلال البحرين وارسال فصيلة من الجنود للمرابطة في واحة البريمي . وعندما ذكر له خورشيد عدم وجود تفكير في اتخاذ أى من الاجراءين ابدى السيد سعيد دهشته وقال بأنه لا بد من احتلال البحرين فان لم يقم البريطانيون بذلك فانه سوف يتولى هذا الأمر بنفسه (٢) .

ان التناقض بين اصرار السيد سعيد على احتلال البحرين وعدم اهتمامه بأمن عمان يبدو مثيرا للاهتمام أكثر مما يبدو مثيرا للدهشة . فمنذ ثلاثين عاما والسيد سعيد يحاول الاستيلاء على البحرين ولأنه فشل في مشروعه هذا أكثر من مرة فقد اضطره ذلك الفشل الى الاعتكاف في زنجبار وتكريس وقته لممتلكاته في أفريقيا الشرقية . وأيا كانت دوافع السيد سعيد في محاولاته لاحتلال البحرين فان هانيل لم يشأ ان يرفض هذه الفكرة من حيث المبدأ . وكما شرح في تقريره لحكومة بومباي عن اجتماعه بالسيد سعيد

(١) اعيد نشر هذا الاتفاق في كتاب « المعاهدات » تأليف اتشيسون

ص ٨٧ - ٨٩

مرفقات الرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ١٧ خطاب سري

برقم ١٣٥ مؤرخ ١٨٣٩/١٢/٣١ من هانيل الى ريد ١٨٣٩/١٢/١٠ (رقم ١١٧

الادارة السرية)

فقد كان احتلال البحرين ليس اجراء هاما فحسب وانما سيضمن للحكومة البريطانية نفوذا أكبر في سياسات الخليج . واذا أضفنا الى ذلك فكرة احتلال البريمي فان هذا الاجراء سوف يكون كفيلا بوضع حد لنشاط خورشيد باشا في المنطقة . اما اذا اعتبر الاستيلاء على البحرين من جانب بريطانيا قضية غير واردة فانه يمكنها ان تقدم مساعدات الى السيد سعيد للاستيلاء على الجزيرة بدلا منها . ورغم ذلك فان هانيل نفسه لم يكن مقتنعا بهذه الفكرة كل الاقتناع ، فقد كانت الشكوك تساوره حول سلامة العلاقة التي تربط بريطانيا بحكومة مسقط ، ولم يكن نشاط اولئك الذين كانوا ينحون باللائمة على فتور تلك العلاقة في الأعوام الأخيرة . . اننى لا أتصور أن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة لأن تلك العلاقة الحميمة التي تربطنا بحكومة مسقط كانت كما برهنت الأحداث مصدر أزعاج لنا ، لأنها كانت تؤدي الى توريث بريطانيا في هذه المشاكل .

غادر هانيل مسقط في الأسبوع الأخير من ديسمبر متوجها الى الشارقة، وعند وصوله اليها في السادس من يناير ١٨٤٠ علم هناك بأن الكابتن هامرتون لم يتمكن من الدخول الى المنطقة بسبب موقف سلطان بن صقر حاكم الشارقة . وعند وصوله كانت الاشاعات تملأ جو المنطقة عن قرب قدوم المصريين وانتهاء النفوذ البريطاني في المنطقة ، وانحياز الفرنسيين الى صف محمد علي باشا . كما كانت لهجة سلطان بن صقر حين اجتمع به شديدة . كذلك فان المبعوث الذي أوفده هامرتون بخطاب الى شيوخ النعيم في البريمي قد تعرض للاعتداء من جانب البدو المواليين لحاكم الشارقة، ولما تعذر على هانيل الوصول الى واحة البريمي قرر شيوخ النعيم التوجه اليه بأنفسهم في النصف الأخير من شهر ديسمبر ومقابلته في عجمان التي كان يحكمها شيخ من اقاربهم وعندما علموا أن هانيل سيصل في الأسبوع الأول من شهر يناير فقد فضلوا البقاء هناك حتى يصل ويجتمعوا به شخصيا (١) .

(١) المدونات السرية لحكومة بومباي مجلد رقم ١٣٢ محادثة بتاريخ ١٨٤٠/٤/٢ من هانيل الى ويلوبى ١٨٤٠/١/٣٠ ومرفق به تقرير هامرتسونى .

استقبل هانيل حكام المنطقة بعد وصوله الى عجمان مباشرة وقد أشاد بهم المقيم على حسين موقفهم من أطماع خورشيد باشا ونائبه وسعد بن مطلق ولكنه أوضح لهم بأن الحكومة البريطانية فى الوقت الذى لا تنوى التدخل فى شئون الجزيرة أو فرض أى نوع من الحماية على القبائل التى لا تستطيع الدفاع عن نفسها فان بريطانيا يهتما جدا أن تتوحد قبائل المنطقة ضد الخطر المصرى ولهذا الأسباب فانه يأمل أن يرى نهاية للخلاف بين النعيم وجيرانهم الظواهر سكان البريمى لأن استمرار هذا الخلاف يعرض أمن الواحة للخطر ، وقد استجاب له النعيم فوافقوا على عقد حلف دفاعى بينهم وبين الظواهر ضد المصريين بشرط اقناع خليفة بن شخبوط بالكف عن التهديد بالهجوم عليهم ، وبعد مناقشة الموضوع مع شيوخ الظواهر الذين جاءوا للاجتماع بهانيل نجح المقيم فى عقد معاهدة دفاعية بين القبيلتين ضد الخطر المشترك وقد قدم هانيل الى كل من القبيلتين بعض الأموال والذخيرة وقبل أن يغادر عجمان أجرى الترتيبات اللازمة لزيارة همرتون للبريمى تحت حماية قبائل النعيم (١) .

لم يغادر همرتون الشارقة الى البريمى قبل ٢١ من يناير بسبب موقف سلطان بن صقر ، ولم يتمكن من الوصول الى الواحة قبل أربعة ايام ، وبذلك كان اول أوربى تعلقاً قدمه هذه المنطقة وقد وجد همرتون أن البريمى مساحتها واسعة ، وفى حالة يرثى لها من التهدم ، فقد كان السور الذى يحيط بالبلدة مجرد انقاض (٢) وكان ارتفاع القلعة الرئيسية المطلّة على البلدة من الجهة

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٩ مرفق للخطاب

السرى رقم ١١٠ فى ١٨٤٠/٢/٢٨ من هانيل الى ويلوبى ١٨٤٠/١/١٢

(رقم ٢ الادارة السوية) .

(٢) المحادثات السرية لبومباى مجلد ١٣ محادثة بتاريخ ١٨٤٠/٥/٢٥

خطاب من همرتون الى هانيل ١٨٤٠/٣/٢٧ .

(٣٧ - بريطانيا والخليج)

للجنوبية يبلغ ١٥٠ قدما ويحيط به أسوار يبلغ علوها ١٤. قدما ومن خمسة إلى ستة أقدام عند القاعدة ومن ١١ إلى ٢ قدما عند القمة وكانت تحيط بالقلعة يروج مستديرة يبلغ ارتفاعها من ٨ إلى ١٢ قدما من قدم الأسوار بالإضافة إلى سور آخر يبلغ ارتفاعه من ٥ إلى ٦ أقدام ويحيط بالقلعة بمسافة تبلغ نحو ٣٠ قدما وخلف الحائط الخارجى للقلعة يوجد خندق عرضه نحو ٢٤ قدما ولهذا أطلق على هذه القلعة (قصر الخندق) وكانت على حد رأى همرتون فى حالة يرئى لها من القدم والاندثار ، ولا يمكن أن تصمد لآى هجوم بالمدافع ولو لساعة واحدة ، وكل ما فيها من الأسلحة عدد من المدافع القديمة ، ولكنها كانت تعتبر بمقاييس أهل المنطقة من القلاع الحصينة . ويعتقد همرتون بأنه يمكن للقلعة أن تصمد ضد عدو ليس لديه مدافع وإلى الشمال الغربى وعلى بعد ٣٠٠ ياردة كانت توجد قلعة أخرى لحماية قرية حماسة ، وكانت هذه القلعة مربعة الشكل وقطرها ١٢٥ قدما تحيط بها الأبراج من جميع الجهات والأسوار التى يصل ارتفاعها من ١٥ إلى ١٦ قدما ، وهى بسمك ٥٠ أقدام عند القاعدة وقدام ونصف عند القمة والمدافع المسلحة بها القلعة غير مغطاة ولا أحد يعرف شيئا عن تاريخها ويتم إطلاق تلك المدافع بوضع صخرة أو قطعة من الخشب لرفع زناد المدافع عن الأرض وليس لهذه المدافع قذائف ولكن شيوخ المنطقة عثروا على بعض الأحجار المستديرة وكتل الحديد وذلك عندما جاء سعد بن مطلق إلى الشارقة فى العام الماضى . ويقال أن مطلق المطيرى والد سعد بن مطلق هو الذى بنى تلك القلعتين عندما كان نائبا للأمير فى واحة اليريمى فيما بين عام ١٨٠٨ - ١٨١٣ (١) ؛ وكانت القلعة

(١) محادثات حكومة بومباى السرية مجلد ٤٣٥ محادثة بتاريخ ١٨٤٠/٥/٢٠ خطاب من همرتون إلى هانيل بتاريخ ١٨٤٠/٥/٢٧ وقد يكون من المحتمل جدا أن تكون قلعة رأس الخندق قد بنيت قبل ذلك التاريخ ولكن ربما امید بناؤها فى عهد مطلق .

والبريمي نفسها تخضعان لمحمد بن عبد الله ، بينما تخضع منطقة حماسة لحكم أحمد بن سرور ، وكان كلاهما من شيوخ آل بوشامس المتفرعين من النعيم . أما منطقة النعيم فكان شيخها على بن حمودة من فرع آل بوخريان وكان مقره في السينية ويبعد عن الواحة بضعة أميال جنوبا ، وقد ذكرها همرتون في تقريره ، بأن عدد قبيلة النعيم قد تناقص وأنهم اندمجوا في القبائل العمانية . وكان تعداد قبيلة بوشامس نحو ٤٠٠٠ شخص بينما انخفض التعداد حاليا الى ٨٠٠ نفر ، وقد عرف همرتون بأن كافة التقسيمات القبلية للنعيم كان لا يمكنها أن تعبىء أكثر من ٢٦٥ مقاتلا (١) .

غادر همرتون البريمي في ٢٨ يناير برفقة محمد بن عبد الله وشقيقه وحرس مكون من خمسة أفراد ، وكانت وجهتهم صحار على ساحل الباطنة ليستقل من هناك الطراد . ولكنه شاهد في وادي الجزى وهو في طريقه الى صحار مدفا عيار ١٨ وكان ذلك في منطقة تسمى برج الشجيرة . وعندما سأل عن ذلك الموقع أخبروه بان السيد سعيد كان قد أرسله الى قلعة البريمي ، غير أنه تعذر حبه الى أبعد من برج الشجيرة ، ولم يتمكن همرتون من معرفة التاريخ الذي أرسل فيه ذلك المدفع . وصل همرتون الى صحار يوم ٣٠ يناير وقد قال عند وصوله معلقا على رحلته « بأنني لو كنت وحشا من نوع لا يوجد له مثيل لما أثرت من الفضول بين أهل المنطقة ما أثرت . فقد تقاطر الناس لمشاهدة الرجل الانجليزي الذي زار البريمي (٢) .

(١) نفس المصدر والفرع الثالث من قبيلة النعيم هو الخواطر .

(٢) نفس المصدر ويوجد ملخص لتقرير همرتون (من مخبرات حكومة

أثارت زيارة هانيل الى منطقة الساحل ومسقط والجولة الاستطلاعية التي قام بها همرتون لواحة البريمي عددا من القضايا التي كان يتوجب على حكومة الهند اتخاذ قرار بشأنها ، وعلى رأس تلك القضايا احتمال قيام بريطانيا باحتلال البحرين ، وتدعيم وسائل الدفاع عن واحة البريمي ، ثم العمل على حماية عمان من تعرضها لغزو المصريين ، ومما زاد الطين بلة هو وصول تقرير من ادمونز المقيم البريطاني بالوكالة بأن سفينة شرعية يعتقد انها كويتية الجنسية قد دخلت مياه الخليج من البحر الأحمر وانها تتجه الى القطيف بحمولة من الأسلحة الحربية لخورشيد باشا ، وكان ادمونز يريد أن يعرف ما اذا كان يتعين عليه حجز السفينة وما اذا كان وصول الأسلحة والمواد الحربية الى المصريين عن طريق البحر يتوجب اتخاذ اجراء أو تدخل في الأمر وكان من رأى كرنالك بأنه طالما بقيت العلاقة بين مصر وبريطانيا علاقة طبيعية فلا مبرر للتدخل ، غير أن السلطة الحقيقية القادرة على البت في ذلك الموضوع هو الحاكم العام للهند نفسه (١) ، غير ان الحالك لم يتمكن من اتخاذ أى قرار في هذه المشكلة عندما عرضت عليه ، وفي شهر فبراير ١٨٤٠ كتب الحاكم العام رسالة الى بالمرستون جاء فيها : « اننى حتى الآن لم أفهم بوضوح اتجاهات السياسة المصرية وكنت اتصور أن تصفية هذه المشكلة تقع في اختصاصكم وأرى على أى حال أنه طالما ظلت لهجة حكام القاهرة معتدلة فيما يتعلق بتحركات خورشيد باشا في منطقة الخليج فانه لا يبدو أن هذا القائد سوف يتراجع عن خطته في توسيع نفوذه في تلك المنطقة وأنه من المحتمل سواء بكثير من الجهد او بقليل منه أن يمتد نفوذ هذا القائد اكثر ، كما سيزداد مركزه قوة في هذه المناطق ، وهكذا ففي الوقت الذى

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ١٨ مرفق للخطاب السرى رقم ١٣٣ المؤرخ ٢٤/١٢/١٨٣٩ من ادمونز الى ويلوبى ٣٣/١١/١٨٣٩ ، (رقم ١٢٠ الادارة السرية) ومن ويلوبى الى المقيم ٢٦/١٢/١٨٣٩ (رقم ١٨٤٢ الادارة السرية) .

يتصاعد نفوذ محمد على باشا يزداد موقف حكام هذه المناطق ضعفاً . وحتى اذا افترضنا ان الوالى سوف يواصل سياسته هذه فانى أجد احتلال البحرين لأنها حسب معلوماتى منطقة غير صحية وكبيرة المساحة الى درجة يتعذر الدفاع عنها بقوات محدودة ، والواقع أنى لا أعرف وسيلة من الوسائل يمكننا ان نحصل بها على قاعدة مناسبة فى الخليج تسمح لنا بالانطلاق منها بصورة فعالة بدلا من الارتباط بأحلاف دفاعية او هجومية مع سلطان مسقط ، غير أن احتلال البحرين سيكون خطوة على جانب كبير من الخطورة وليس من الحكمة تنفيذها قبل تقييم نتائجها الخطيرة (١) .

وكان اوكلاند قد أعرب عن نفس هذه الآراء فى الشهر السابق عندما ذكر له بأن الحكومة البريطانية هى التى عليها ان تقرر السياسة التى نسير عليها ازاء القوات المصرية فى منطقة الخليج وان حكومته حتى ذلك الحين لم تزوده بتعليمات محددة حول هذا الموضوع (٢) وبالتالي كما يرى اوكلاند فمن الأفضل تجنب أى صدام مع المصريين خصوصا وان محمد على باشا نفسه يفضل الوسائل السلمية على أن نحتفظ فى الوقت نفسه بتصميمنا على التصدى لخورشيد باشا ، وذلك عن طريق القيام بعملية استعراض لقوتنا البحرية

(١) خطاب من اوكلاند الى بالمرستون كلكتا فى ١٦/٢/١٨٤٠ .

(٢) فى شهر يوليو ١٨٣٩ صدرت بالفعل تعليمات محددة من هوب هاوس . وقد جاء فيها : « اننا نترك لك اتخاذ القرار الذى تراه فى هذا الشأن مع اجراء التنسيق مع القائد العام لاسطول صاحب الجلالة وذلك فى حدود الامكانيات التى تحت تصرفك بطريقة تضمن المحافظة على استقلال حكام السواحل العربية للخليج (وزارة الهند مسودات مجلس الادارة - من التقارير السرية المرسلة للهند مجلد ١٠ مسودة الى الحاكم العام للهند بتاريخ ١٨٣٩/٧/١ (سرى جدا) .

- ٥٨٢ -

كما ينبغي على حاكم بومباي بأن يخطر الجهات المعنية في الحكومة البريطانية عن عدد السفن التي يمكن أن يساهم بها من ضمن الاسطول الهندي وعن مطالبه من الحكومة البريطانية لانجاح هذه الخطة ، أما تزويد سلطان مسقط وشيوخ الساحل بالأسلحة وتوفير الحماية البحرية لهم فأمر لا يمكن تنفيذه إلا في حالة قيام خورشيد باشا بتوغل سريع في جنوب شبه الجزيرة ، وحتى في هذه الحالة فان اوكلاند لم يكن يوافق على اعارة الضباط البريطانيين لسلطان مسقط لتدريب الجيش العماني ، كما طرحت بعض الجهات ، الأبعد التعرف على امكانية السلطان ومدى الخطر الذي يواجهه في هذه الناحية : « . . وربما كانت الخطوة الأولى لاستعادة النفوذ البريطاني على سواحل الخليج والتصدي بشكل فعال لاعتداء المصريين على تلك المناطق هو تعيين ممثل بريطاني في سلطنة مسقط وتخويله صلاحيات واسع مع اشراف الكابتن هانيل على شؤوننا السياسية هناك (١) .

اما فيما يختص بالنعيم فلم يكن مطلوباً من اوكلاند بأن يفعل أكثر مما فعل فلقد كان في الواقع يشعر بحرج كبير بشأن التعهد الذي قطعه هانيل لمبعوث قبيلة النعيم في شهر يوليو العام الماضي عند اجتماعه به في الشارقة بحماية حكام الساحل وذلك حتى لا يأخذ النعيم كتعهد رسمي ، ولهذا فقد شعر بالارتياح عندما أوضح لهم خلال اجتماعه بزعمائهم في عجمان في شهر يناير بأن الحكومة البريطانية لم تتعهد بحمايتهم وانما كان هدفها التعاون معهم لمقاومة التوسع المصري في شبه الجزيرة (٢) اما بالنسبة للبحرين فقد كان

- (١) مرفقات لخطابات حكومة بومباي السرية مجلد ١٩ مرفق للخطاب السري رقم ٥ في ١٨٤٠/١/٣١ من مادوك الى ويلوبى ١٨٤٠/١/١٣ .
- (٢) نفس المصدر مجلد ١٩ مرفق للخطاب السري رقم ٥ في ١٨٤٠/١/٣١ من مادوك الى ويلوبى بتاريخ ١٨٤٠/١/١٣ ومجلد ٢٠ خطاب سري رقم ١٥ بتاريخ ١٨٤٠/٣/٣١ من هانيل الى ويلوبى في ١٨٤٠/٢/١ (رقم ٩ الادارة السرية) .

هانيسل يرى بأن الشيخ عبد الله بن أحمد قد قضى بتصرفاته على علاقة الصداقة التي تربطه بالحكومة البريطانية غير أن اوكلاند لم يوافق على تأييد سلطان مسقط في الهجوم على البحرين خوفا من التورط في حرب مع المصريين . وأخيرا فقد كان اوكلاند متفقا مع كرنك بأنه طالما ظلت العلاقة الطبيعية مستمرة بين مصر وبريطانيا فلا مبرر للتدخل في موضوع ارسال الاسلحة الى الجيش المصرى وان كان يرى وفقا لاتفاقية السلم البحرى للخليج أنه من حق بريطانيا بأن تطالب السلطات المصرية فى شبه الجزيرة بتفسيرات عن تحركات السفن والعتاد فى مياه الخليج، وفى الوقت الذى كان الحاكم العام يناقش هذا الاقتراح كان هانيل قد قطع شوطا فى فرض حصار على نقل الاسلحة الى خورشيد باشا عن طريق البحر وذلك بموجب تفويض اوكلاند له فى شهر سبتمبر بمنع نقل الجنود والاسلحة من الاحساء الى ساحل الامارات، ففى يوم ٢٧ فبراير بعث هانيل برسالة الى الحاكم المصرى فى القطيف يحذره من أى محاولة للتسلل الى عمان عبر المنطقة لأن الاسطول البريطانى سوف يقوم بمنعها . ولقى هذا الاجراء تأييد كارناك (١) كما سبق ان وافق هوب هاوس فى البداية على مثل هذه الاجراءات (٢) وعندما أدركت حكومة بومباى أن ذلك التحذير قد يفسر كتعهد بريطانى لمقاومة أى غزو عسكري لأراضى عمان (٣) بعث بخطاب عاجل الى كرنك يلفت نظره فيه الى أن اجراء كهذا

-
- (١) مرفق لخطابات حكومة بومباى السرية مجلد ٢٠ مرفق للخطاب السرى رقم ١٥ فى ١٨٤٠/٣/٣١ من هانيل الى ويلوبى ١٨٤٠/٢/٨ (رقم ١٤ سرى) .
- (٢) نفس المصدر خطاب سرى رقم مؤرخ ١٨٤٠/٤/١٧ من مادوك الى الى ويلوبى ١٨٤٠/٢/٨ (رقم سرى ٥٦٧) .
- (٣) ملحوظة هوب هاوس على خطاب هانيل تقول : « قل اننا نؤيد هذا الاجراء بالنيابة عن المقيم » .

سوف يكون بمثابة عمليات عسكرية لا يقرها القانون والتي سبق للمسؤولين البريطانيين أن عارضوها (١) لكن هانيل اضطر آخر الأمر الى توضيح نقطة كانت واضحة منذ البداية ، وهى ان رسالته الى الحاكم المصرى للقبط لم تكن ترجى الى أكثر من ابلاغ روح التعليمات التى كان قد تلقاها من الحاكم العام فى سبتمبر الماضى وأنها تمس ساحل الامارات وليس سلطنة مسقط . وقد وجد كثيرا من الضعوبة كى يفهم بأن الاجراء الذى اتخذه قابل لان يفسر بكونه تعهدا من بريطانيا بالدفاع عن عمان (٢) .

فى الوقت الذى أوقف خورشيد نشاطاته العسكرية فى نجد فى الأشهر الأخيرة من عام ١٨٣٩ لم يبد بالمرستون أى اهتمام بهذا الموضوع . فقد كانت جهوده منصبه على الوصول الى صيغة وفاق مع روسيا والنمسا بشأن الخطوات التى يتعين اتخاذها فيما لو قام الوالى بشن هجوم على تركيا .

وعلى أى حال فان تخوف بالمرستون من نوايا محمد على فى منطقة الخليج لم تهدأ . فقد تجددت تلك المخاوف غداة تلقى بالمرستون فى شهر فبراير تقريراً من ادمونز حول موضوع نقل الامدادات العسكرية الى خورشيد عن طريق البحر بالإضافة الى تقرير آخر بعث به ادمونز فى شهر ديسمبر وذكر فيه ان الأوامر الأخيرة التى تلقاها خورشيد باشا من محمد على تحثه على مواصلة الزحف حتى سلطنة عمان . ويؤكد هذان التقريران، بالإضافة الى استمرار احتلال خورشيد باشا للقطف والعفير وسيحات ، أن محمد على باشا لم يلتزم اطلاقاً بتأكيداته على أنه لا ينوى توطيد أقدامه فى الخليج . وكان محمد

(١) مسودات المجلس - مسودة مرفوعة الى حاكم بومباى ١٨٤٠/٧/٤ .

(٢) مرفقات لرسائل حكومة بومباى السرية مجلد ٢٦ خطاب سرى رقم ٧

مؤرخ ١٨٤٠/١/٣١ من هانيل الى ريد ١٨٤٠/١٢/٢ (سرى رقم ١١٤) .

على قد أدلى بهذه التأكيدات الى الكولونيل جى.ال هودجز القنصل البريطانى العام فى القاهرة وذلك يوم ١٢ فبراير (١) . وفى أواخر فبراير ذكر بالمرستون لهوب هاوس انه يعتقد بأنه قد أصبح من حق حكومة الهند اللجوء الى القوة اذا دعت الظروف لارغام المصريين على الانسحاب من موانئ الاحساء ومن أية منطقة أخرى يحتلونها على سواحل الخليج وأن الحد الأدنى لمثل هذه الاجراءات هو كما اقترح هانيل فرض حصار على سواحل القطيف . أما بالمرستون فقد كان على استعداد لاتخاذ اجراءات أشد لمنع محمد على من تزويد جيشه فى شبه الجزيرة بالأسلحة والمعدات عن طريق البحر ومن احتلال البحرين ولو لفترة مؤقتة وقال ، بأن هذا الاجراء سوف يتمخض عن نتائج ايجابية (٢) .

عند قيام هوب هاوس بإبلاغ هذه التعليمات الى أوكلاند حذره من أن يستنتج مما قاله وزير الخارجية بأنه هناك رغبة فى استخدام القوة لاجراج المصريين من الاحساء أو أن يتصور بأن المسألة لاستدعى القيام بأى اجراء على الرغم من أننا قد لانكون على استعداد لتحريك قوات برية الى النقاط التى يتركز المصريون الآن فيها الا اننا قد نستعيز عن هذا الاجراء باستخدام أي قوة بحرية لدينا لحصار تلك الموانئ أو منع الملاحة بها من موانئ البحر الأحمر او الخليج الفارسى . الأمر الذى قد يسمح للمصريين بالحصول على ما يحتاجون اليه من الأسلحة والمعدات (٣) وعلى أى حال فانه يوجب علينا

(١) خطاب وزارة الخارجية رقم ٧٨/٤.٤ من هودجز الى بالمرستون الاسكندرية فى ١٤/٢/١٨٤٠ رقم ٢٤ ولقد حل هودجز محل كامبل فى شهر سبتمبر السابق .

(٢) مسودات مجلس الادارة من التقارير السرية لحكومة الهند مجلد ١٢ من بالمرستون الى هوب هاوس ٢٩/٢/١٨٤٠ .

(٣) مسودات مجلس ادارة الشركة من التقرير السرى الى حكومة الهند مجلد ١٢ مسودة الى الحاكم العام فى ٣/٣/١٨٤٠ (رقم ٥٧٩) .

الا نسمح لمحمد على باشا بأن يكون فى وضع يسمح له بمنافسة النفوذ البريطانى فى الخليج ، ولو كان حجم هذا التنافس لايشكل خطرا فى البداية الا أنه بحكم تفوقنا البحرى فى تلك المنطقة قد يشكل فى النهاية خطرا على نفوذنا ومصالحنا هناك ، ولهذا فنحن نأمل أن يوضع حد لهذا الخطر فى اسرع وقت ممكن ، أما فيما يتعلق بالبحرين فإن أى محاولة من جانب المصريين لاحتلالها بالقوة يبرر لنا اتخاذ نفس الاجراءات للاستيلاء عليها أيضا أو تقديم مساعدتنا الى سلطان مسقط لاحتلالها، ويضيف هوب هاوس فى رسالته بأننا لا بد من الانسحاب من خرك بمجرد عودة العلاقات الطبيعية بين بريطانيا وفارس مما يتيح لنا بعد ذلك أن نوجه اهتماما أكبر الى البحرين ولكنه عاد فأوضح « بأنه لا يمكننا أن نعتبر قول اللورد بالمستون فى هذا الصدد ، وكانت رغبة ضمنية لاعداد حملة عسكرية بريطانية لاحتلال البحرين مالم تطرأ ظروف تستوجب ذلك أو تحدث تطورات تتيح الفرصة والمبررات لك لاحتلالها .

وقد اتسمت التعليمات التى أصدرها هوب هاوس فى الأسابيع القليلة التالية بنفس اللهجة التحذيرية فيما يختص بسلطنة عمان ضد أى عدوان مصرى محتمل . فقد عقدت اتفاقية تجارية بين مسقط وبريطانيا يوم ١٨٣٩/٥/٣١ وأصبحت فى انتظار التصديق عليها بين آونة وأخرى وقد تضمنت الاتفاقية بندا بتعيين قنصل لبريطانيا فى السلطنة وقد جاءت التطورات التى مرت بالمنطقة بعد إبرام تلك الاتفاقية فأكدت على أهمية تعيين قنصل بريطانى فى سلطنة عمان . ويبدو من المعقول على ضوء هذا التعمين أن يكون القنصل هو المعتمد السياسى الذى كان اوكلاند قد اقترح تعيينه فى بلاط السيد سعيد ، وكان الشخص الذى رشح لشغل هذا المنصب هو الكابتن

همرتون (١) وعلى اى حال فلم يكن بالمرستون او هوب هاوس يهدف من تعيين همرتون اعطاء انطباع عن وجود تحالف قوى بين مسقط وبريطانيا فقد اوضح هوب هاوس هذه النقطة ايضا كما تأمنا فى التعليمات التى ارسلها حاكم بومباى وحدد فيها شكل السياسة التى يتعين على الحاكم العام انتهاجها من حالة استشعار تحركات عدوانية من المصريين ضد السلطنة . فاذا ما قرر محمد على باشا أن يلجأ الى استخدام القوة ضد سلطنة مسقط فسيعتبر عمله هذا انتهاكا صريحا للاحتجاجات التى تقدمت بها اليه الحكومة البريطانية . غير اننا لا نعرف الطريقة التى يمكنكم بها استخدام الامكانيات المتاحة لكم فى ردع مثل هذا العدوان لو وقع كما ذكر بأن مثل هذه العمليات سوف تقتصر على الخليج وعلى غيره من المناطق الساحلية الواقعة فى متناول الاسطول البريطانى (٢) .

قبل وصول هذه التعليمات الى بومباى وردت رسالة من السيد سعيد تفيد عن زيارة قام بها مبعوثون من خورشيد باشا لمسقط وأن هؤلاء المبعوثين قد ابلغوه بأن خورشيد باشا لا يتوى القيام بأى عمل ضد البحرين او البريمى أو البصرة مع أن خورشيد باشا نفسه كان قد ذكر للسيد سعيد فى احدى الرسائل عن نيته ارسال حملة عسكرية فى وقت قريب الى البريمى ولكنه أكد بأن الحملة لن تتعدى حدود الواحة كما ذكر بأنه مصمم

-
- (١) مسودات مجلس الادارة من التقرير السرى الى حكومة الهند مجلد ١٢ مسودة لحاكم بومباى ١٨٤٠/٤/٣ (رقم ٥٩٨) ومرفق خطاب بالمرستون الى هوب هاوس ١٨٤٠/٤/٢. انظر أيضا المكاتبات السرية مجلد ١١ من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٤٠/٢/٢٨ رقم سرى (١٠) .
- (٢) مسودات مجلس الادارة التقرير السرى لحكومة الهند مجلد ١٢ مسودة لحاكم بومباى ١٨٤٠/٤/٣ (رقم ٦٠٨) .

على اخضاع كافة المناطق التي كانت خاضعة في السابق لآل سعود لسلطته .
كما عرض خورشيد باشا على السيد سعيد تقديم أى مساعدة قد يحتاج
اليها في مواجهة خصومه . وعندما نقل السيد سعيد هذه المعلومات الى
كارناك أكد له بأنه قد رفض عرض خورشيد باشا الا أن كارناك قد اكتشف
فيما بعد بأن السيد سعيد قد طلب من مبعوثي خورشيد بأن يطلبوا من الباشا
امتناع عبد الله بن أحمد شيخ البحرين بتسليم منطقة الدمام اليه ، وكانت
هذه المنطقة قد خضعت لبعض الوقت لسلطة عبد الله بن أحمد (١) ومن
المشكوك فيه ما اذا كان خورشيد باشا جادا في موضوع الحملة التي قال
انه كان يعدها ضد البريمي . وقد ذكر محمد علي باشا لهودجز في نهاية
شهر مارس بأنه لم يسمع قط عن سعد بن مطلق الذي كان مرشحا لقيادة
الحملة الزمعة ضد منطقة الساحل ، كما ذكر له بأنه يكن كل احترام للسيد
سعيد ، وأنه لم يفكر في التآمر عليه اطلاقا (٢) ولم يكن ثمة ما يدعو هودجز
الى التشكيك في أقوال الوالى لأن السيد سعيد كان أكثر تلهفا في خطب ود
خورشيد باشا من خورشيد باشا له وعلى الاخص انه كان يرى في وجود
خورشيد باشا في الجزيرة فرصة الأخيرة للاستيلاء على البحرين .

(١) مرفقات لخطابات حكومة بومباى السرية مجلد ٢٠ مرفق للخطاب
السرى رقم ١٥ مؤرخ ١٨٤٠/٣/٣١ من سعيد الى كارناك ذى الحجة ٢٥
الموافق ١٨٤٠/٣/٦ مرفق للخطاب السرى رقم ١١٦ فى ١٨٤٠/٤/٢٧ من
سعيد الى كاناك فى مجرم ١٢٥٦ فى ١٨٤٠/٣/٦ ومجلد ٤٣ مرفق للخطاب
السرى رقم ٣٧ الموافق ١٨٤٠/٦/٢٢ من هانيسل الى ريد ١٨٤٠/٥/٢٠
(٢) خطابات وزارة الخارجية من هودجز الى البارستون ١٨٤٠/٣/٣١
(رقم ٣٥) وقد ذكر خالد بن سعود لاجد الضباط البريطانيين فى ديسمبر
١٨٤١ ان خورشيد كان ينوى شن هجوم على البريمي ولكنه عدل عن هذه
الخطة بعد ان تلقى أوامر من محمد علي باشا اصدرها بالحاح من الحكومة
البريطانية .

لم يتخل بالمرستون نهائيا عن فكرة احتلال البحرين لطفى اواخر شهر
يناير أصدر تعليمات بوجوب اجراء تخريبات عن امكانيات الجزيرة وقابليتها
للاحتلال (١) .

بعد شهرين عاد بالمرستون فاقترح على هوب هاوس أن يقوم بمحاولة
لعقد نوع من الاتفاق مع زعماء البحرين يسمح للكتيبة البريطانية المرابطة حاليا
في خرك أن تقضى في البحرين بعض الوقت ، وحتى تكون في مأمن من وقوع
اي عدوان عليها من محمد على (٢) وقد أخذ بالمرستون يتفهم أكثر وأكثر
ن الاستيلاء على قاعدة دائمة في الخليج سوف لا يعزز وضع الحكومة
بريطانية فحسب ، وانما سيمنكها من أن تتصرف بغالعية أكثر في سياسات
شبه الجزيرة وفارس . واذا اردنا أن نحكم على موقف بالمرستون من خلال
سير الأحداث في الخليج قبل ١٨٤٠ وبعدها فيبدو أنه كان على حق ، وكان
هانيل يشاطره هذا الرأي ، وفي بداية ١٨٣٩ طلب الى ادmondز وضباط آخرين
من اسطول الخليج أن يقوموا بمسح لجزيرة فيلكه عند مدخل ميناء الكويت
للتأكد مما اذا كانت تصلح كقاعدة بحرية وعسكرية ، غير ان نتائج هذه المهمة
جاءت غير مشجعة فقد كان المرسى الرئيسي في الجزيرة عرضة للرياح
الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية ، الأمر الذي يجعل الجزيرة غير
صالحة .

- (١) مسودات المجلس التقريرى الى الهند فجنستلد ١٢ مسودة
لحاكم بومباي ١٨٤٠/١/٢٥ (٥٦٨) .
(٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ١٧ مرفق للخطاب
السرى رقم ١٣٥ المؤرخ ١٢/٣١/١٨٣٩ من هانيل الى كبير أمناء بومباي
بالوكالة ، بومباي في ١١/١١/١٨٣٩ (رقم ١١٥ سرى) ومرفق تسعة تقارير
ادmondز والفتنات جى . تى . جونز ١٨٣٩/١١/٥ وقد اعيد نشر تقارير
جونز في مجموعة مختارات حكومة بومباي مجلد ٢٤ .

- ٥٩٠ -

أما هانيل فكان يعتقد بأن خرك هي المكان الأنسب للقاعدة وكان اوكلاند يؤيده في هذا الرأي كما كان كلاهما يعارض اجتلال البحرين أو ضمها : اوكلاند بسبب النفقات التي قد يتطلبها الاحتلال والثاني لاعتقاده بأن مناخها غير صحي أو خطر على صحة الأوربي . كانت البحرين تستخرج كمية من اللؤلؤ تصل قيمتها الى ٣٥٠٠٠ ريال نمسوى كل عام، وهذه الكمية بالاضافة الى محصول البحرين من البلح والذهب وغيرها من المنتجات كانت تشكل صادرات البحرين التجارية وتصل قيمتها الى ٨٠٠٠٠ ريال نمسوى وثلاثة أرباع هذه السلع يعاد تصديرها الى مناطق أخرى من الخليج . فلو قامت الحكومة بضم البحرين فانها سوف تعطى إيرادا سنويا يقدر بنحو ثلاثمائة ألف روبية ، وليس هناك أدنى شك في أن موقع جزيرة البحرين وبحارها ومينائها يجعل لنا ذكرا سياسيا وتجاريا غير أن مناخها اذا استثنينا مسقط وباسيدو هو اسوأ مناخ في الخليج . الا أن وجود العتوب فيها يجعل احتلالها والاحتفاظ بها مشكلة صعبة (١) وعلى أي حال فإن المسألة الملحّة في ذلك الوقت لم تكن هي الوصول الى قرار باحتلال البحرين وانما في توفير السفن اللازمة لتنفيذ خطة حصار الموانئ التي كان يحتلها المصريون على ساحل الاحساء ومنع المؤن من الوصول الى خورشيد باشا عن طريق البحر . وعندما علم هانيل بأن الحكومة البريطانية قد وافقت على فكرة الحصار استفسر من القائد المسئول عن اسطول الخليج وهو الكومندور اى . ا . ج . نوث عن عدد السفن التي يحتاج اليها لتنفيذ خطة الحصار ، وكان تقدير نوث هو خمس سفن : سفينة لكل من القطيف والعمير وسيحاح وانثان لأعمال المراقبة الساحلية . ولما كانت الأعمال المعادية في مياه الخليج تتطلب ثلاث سفن على الأقل فان العملية ستحتاج الى ٨ سفن وان كان القائد نوث يعتقد بأن ست سفن تكفى للعملية .

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ٢٣ خطاب سرى رقم ٢٧ في ١٨٤٠/٦/٢٢ من هانيل الى ريد ١٨٤٠/٥/٢١ (رقم ٤٨ سرى) مرفقات خطاب هانيل الى ويلوبى ١٨٣٩/٣/٢ :

وكان مجموع السفن التي لديه لا تزيد على ثلاثة وهي : كوت ودجلة وروبل
تايجر (١) . ولهذه الأسباب لم يكن هناك أى معنى لفرض الحصار ورغم
الاقتراحات العديدة التي قدمها هانيل في هذا الشأن والمناقشات الحامية التي
دارت حول هذا الموضوع فى كل من حكومتى الهند وانجلترا وجد هانيل نفسه
فى نهاية شهر مايو غير قادر على اتخاذ أى إجراء ضد خورشيد باشا . ولقد
كان من المفاجآت الغربية أن يتلقى هانيل فى تلك اللحظة خبرا من ساحل شبه
الجزيرة عن بدء المصريين عمليات الانسحاب من نجد والاحساء .

أشار باغوص بك عند اجتماعه بالكولونيل هودجز فى الاسكندرية فى
أواخر فبراير الى هذا الموضوع (٢) وبعد شهر تحدث الوالى بنفسه الى
كوشليت بأنه قد أصدر أوامره بالفعل الى خورشيد باشا بالانسحاب من
المنطقتين الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة غير أن محمد على لم يتطرق
الى الموضوع عند اجتماعه بهودجز مرة أخرى (٣) وفى أواخر فبراير وصلت
الى هانيل أخبار بأن الجنود المصريين بنيتهم فى الانسحاب . وفى هذا
الوقت أيضا أخذت القبائل فى كل من نجد والاحساء تعلن الثورة المسلحة
على خورشيد مما وضع صعوبات كثيرة فى اتصالاته مع المناطق الشرقية
والغربية من شبه الجزيرة . وقد أكد هذه المعلومات يوسف إرتون طبيب
خورشيد باشا الخاص خلال زيارته لخرنق فى نهاية فبراير عندما كان فى

- (١) نفس المصدر من هانيل الى ريد ١٨٤٠/٥/٢٥ (رقم ٤٩ الإدارة
السرية) ومرفق خطاب نوت الى هانيل ١٨٤٠/٥/٢٠ (رقم ٥١ الإدارة
السرية) .
(٢) فارس والخليج مجلد ٦٨ من هودجز الى بالمرستون ١٨٤٠/٤/٢١
(رقم ٢٥) .
(٣) من هودجز الى بالمرستون الاسكندرية ١٨٤٠/٣/٣١ (رقم ٣٥) .

طريقة إلى الهند لبيع بعض الجياد لحساب خورشيد باشا (١) وعلى الرغم من
 أن سمع الكثير من الاشاعات عند وجوده في الساحل الغربي في شهر
 ابريل لتجديد « معاهدة الصلح البحرية » عن الصعوبات التي كان يواجهها
 خورشيد الا أنه لم يستطع التأكد من صحة تلك الاشاعات . وأخيرا في
 الأسبوع الاخير من مايو تلقى تقريرا من وكيل الممثلة في البحرين يفيد بأن
 المصريين قد جلوا عن الاحساء كما أن القوات الرئيسية لخورشيد قد انسحبت
 من نجد .

وبمجرد أن تم الاستغناء عن السفينة دويل تايجر في خرك طلب اليها
 هانيل الإبحار الى ساحل القطيف لجمع ما يمكن جمعه من معلومات عن
 الأوضاع هناك ، وقد ذكر قائد السفينة في تقريره ، بأن المعلومات التي
 تضمنها تقرير الوكيل سابقة لأوانها . فقد كانت القطيف لاتزال تخضع لحكم
 محمد أفندي احد رجال خورشيد باشا ، وهو نفس الشخص الذي زار خرك
 قبل عام واحد ، كما أن سلاح الفرسان والقوات غير النظامية التابعة لجيش
 مصر لاتزال في نجد رغم أن القسم الأكبر من قوات المشاة قد غادرت المنطقة
 الى الحجاز ، وقد ذكر محمد أفندي أن خورشيد باشا قد تلقى أمرا من
 محمد علي بالانسحاب الى المدينة وأنه سوف يبقى هناك للاشراف على شئون
 المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة ، وعلى أي حال فقد كان خورشيد كما قيل
 مترددا في التخلي عن فتوحاته أو على الأقل قبل أن يعتصر آخر قطرة من تلك
 الفتوحات ولهذا أرجأ تنفيذ أوامر الوالي ريشما يعرف نتيجة اقتراحه للوالي
 بتأخير عملية الانسحاب لبعض الوقت . كما ذكر محمد أفندي بأن خورشيد
 باشا يتوى تعيين أحد اتباع خالد بن سعود كحاكم على القطيف على الرغم

(١) مرفقات الرسائل السرية لحكومة بومباي مجلد ٢٢ مرفق للخطاب

السري رقم ٢٦ المؤرخ ١٨٤٠/٥/٢٠ من هانيل الى ويلوبى ١٨٤٠/٣/٧

(رقم ٢٢ الادارة السياسية) .

انه كان ينوى البقاء قريبا من الميناء لفترة من الوقت لمراقبة سير الأمور ، وعلى الرغم مما ذكره فقد كان من الواضح أن خورشيد لم يعد يستطيع الاستمرار فى نجد أو الاحساء فقد كانت البلاد تغلى بالثورة ضده وأصبحت مشكلة القائد المصرى هى البحث عن وسيلة ينجو فيها بجلده (١) .

وقد كان هذا رأى محمد على باشا أيضا الذى أصبح فى حاجة الى جيشه للدفاع به عن سوريا ومصر ، وبنهاية يونيو كانت الفرق الثلاث عشرة المصرية من القوات النظامية فى طريقها الى مصر كما أن إبراهيم باشا النجلى الأصغر لمحمد على باشا قد انسحب هو الآخر من اليمن ، بينما انسحب خورشيد باشا من نجد ، وعاد ابراهيم باشا الى القاهرة فى بداية أغسطس ، ثم أعقبه خورشيد باشا وفرقتان من الجيش ، أما مكة والمدينة فقد ترك امرهما للقوات النظامية تحت اشراف محمد بن عون شريف مكة الذى كان عينه محمد على باشا حاكما على الحجاز خلفا لأحمد باشا (٢) .

وبعد انسحاب المصريين من شبه الجزيرة لم تعد هناك حاجة الى الاجراءات التى كان هوب هاوس وبالمرستون قد قررا اتخاذها ، وفى منتصف يونيو تلقى هانيل أمرا بوقف العمل بالتعليمات التى سبق أن تلقاها لحصار

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٢٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٦ المؤرخ ١٨٤٠/٨/٢٢ من هانيل الى ريد ٢ ، ٤ يوليو ١٨٤٠ (رقم ٨ ، ٨٢ الادارة السرية) ومرفق معه خطابات محمد أفندى وميرزا محمد على (وكيل المثلثة فى البحرين) .

(٢) درايوت ٢ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ من كوشليت الى تيرز ١٨٤٠/٦/٢٢ جزء ٣ ص ٨٨ - ٩٠ من كوشليت الى تيرز ١٨٤٠/٨/٦ وجزء ٦ ص ١٦١ من كوشليت الى جيوزوت ١٨٤٠/١٢/٢٤ .

(٣٨ - بريطانيا والخليج)

— ٥٩٤ —

حوانى الاحساء (١) وكانت حكومة بومباى قد قررت بالفعل فى شهر مايو أن تقطع علاقاتها بنعيم البريمى كما رفضت مقترحات هانيل وهمرتون تقديم مساعدة للنعيم لترميم حصونهم • فقد أبلغ هانيل بأن مهمته لا تتعدى مجابهة رؤسائهم وتقديم بعض الهدايا الصغيرة اليهم من وقت لآخر وحثهم على توحيد صفوفهم ضد أية محاولة لاختصاصهم كما أبلغ بأن الحكومة البريطانية لا توافق على أية نفقات جديدة فى هذا الشأن •

أما قضية البحرين فقد كانت أكثر تعقيدا • وكانت التقارير غير المشجعة التى يبعث بها هانيل الى هوب هاوس قد جعلته يقطع بأن الجزيرة غير صالحة ، وبالتالى فليس هناك ما يدعو الى اتخاذ أى اجراء للاستيلاء عليها (٢) ، كما أشار اللقيم الى أن موقف الشيخ عبد الله حاكم البحرين من الحكومة البريطانية تبرر لها اذا شاءت تأييد السيد سعيد فى مطالبته بالبحرين • وقد رحبت حكومة بومباى بهذا الاقتراح ، وأوعزت فى شهر يوليو الى هانيل بعدم وضع أية عراقيل فى وجه السيد سعيد لاحتلال البحرين •

وفى بداية أغسطس قابل هانيل السيد سعيد فى مسقط وناقش معه هذا الموضوع • غير أن السيد سعيد ذكر له بأنه لم يكن يريد احتلال البحرين ليحتفظ بها لنفسه وأنه كان يفضل لو تولت الحكومة البريطانية بنفسها هذا الأمر • أما اذا كانت بريطانيا لا تريد احتلالها وتفضل أن يقوم السيد سعيد

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٢٣ مرفق للخطاب السرى ٤٧ المؤرخ ١٨٤٠/٧/١٨ من ريد الى هانيل ١٨٤٠/٧/١٤ (١١٦٤)
الإدارة السرية) •

(٢) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ١٣ مسودة لحاكم بومباى ١٨٤٠/٨/١٥ (رقم ٦٤٥) •

— ٥٩٥ —

بالاستيلاء عليها فانه على أتم استعداد للقيام بهذا الأمر وتوفير الإمكانيات اللازمة له ، غير أن هانيل لم يكن في وضع يسمح له بإعطاء تعهد للسيد سعيد بعدم ممانعة الحكومة البريطانية على احتلاله للبحرين . والواقع أن السيد سعيد قد رحب بالفكرة أيما ترحيب وأسر الى هانيل بأنه قد بدأ يفقد الأمل في تحقيق هدفه هذا وأنه يستعد للعودة الى زنجبار . وقال بأنه قد يؤجل سفره الى افريقيا الشرقية اذا كان هناك أمل في تأييد بريطانيا له بالاستيلاء على البحرين .

ولقد بقيت هناك تحفظات لدى هانيل في أهمية التحالف مع السيد سعيد بوجه عام وفي تأييده لاحتلال البحرين بوجه خاص ، وقد أشار هانيل في هذا المعنى بأنه سوف يكون اجراء خاطئا من الوجهة السياسية أن تبدو بريطانيا وكأنها تكافئ السيد سعيد على مواقفه السابقة وعلى الأخص بشأن تجارة الرقيق بالتواطؤ معه على شن عدوان على البحرين (١) ، وعلى أى حال فقد أيد هانيل بشدة سياسة السيد سعيد لدى حكومة بومباي ، وذكر لها في تقريره أنه على ضوء مواقف السيد سعيد السابقة تجاه الحكومة البريطانية فان السيد سعيد جدير بالحصول على تأييدها ، لأنه من مصلحة بريطانيا أن تتعاون مع السلطان في استرجاع نفوذه المنهار في الخليج ، وبالتالي فان استيلاءه على البحرين سوف يسهم في تحقيق هذا الهدف . فهو قد تخلى عن البحرين نزولا على رغبة الحكومة البريطانية برفضه عرض خورشيد باشا للقيام بحملة مشتركة لاحتلالها ، فاذا كنا الآن نفكر في مساعدته في احتلال الجزيرة فان هذه العملية كلها لن تتطلب قوات كبيرة ويكفيها ٥٠٠

(١) مرفقات للخطابات السرية للحكومة بومباي مجلد ٢٣ مرفقات للخطاب السري رقم ١٥٦ في ١٨٤٠/٨/٢٢ من هانيل التي ريد ١٨٤٠/٨/٤ (رقم ٨٧ الادارة السرية) .

جندى أوربى وفصيلة من الجنود الهنود وستة مدافع ميدان (١) ، وقد حظيت مقترحات المقيم بشيء من التأييد فى الأوساط الحاكمة فى بومباى ، وعلى أى حال فلم يكن كارناك يعتقد بأن المثلثة البريطانية فى بومبهر يمكنها الاستغناء عن بعض قواتها للقيام بهذه المغامرة العسكرية خصوصا وان الوضع فى افغانستان لا يدعو الى الارتياح . وكان اوكلاند يرى نفس الشيء . وقال بأننا لا ينبغي أن نلوح للسيد سعيد بالمساعدة قبل تدعيم الوضع البريطانى العسكرى فى الخليج بوصول سفينة أو أكثر من السفن الحربية من بريطانيا (٢) وعلى الرغم من ان هوب هاوس كان يؤيد هانيل الى حد كبير الا انه فى الوقت نفسه كان يتفق مع اوكلاند على: « ان الوقت لم يحن بعد للقيام بعمليات عسكرية أو بحرية لتمكين سلطان مسقط من احتلال البحرين وأنه لا يزال من السابق لأوانه القيام بالحملة المقترحة قبل أن تعرف نتائج الحرب فى سوريا والطريقة التى سوف يتم بها حل الازمة المصرية (٣) وفى نهاية العام أنهى هوب هاوس المناقشة حول هذا الموضوع بارسال تعليمات حاسمة الى بومباى بالحيلولة دون قيام السيد سعيد (٤) باحتلال البحرين أو القيام

-
- (١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٢٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٦ فى ١٨٤٠/٨/٢٢ من هانيل الى ريد ١٨٤٠/٨/٤ (رقم ٩٧ الإدارة السرية) .
- (٢) من سجلات الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١١ جزء ١ من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٤٠/٨/٢٢ (رقم ٥٦ الادارة السرية) .
- (٣) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٢٦ مرفق للخطاب السرى رقم ٩٠ المؤرخ ١٨٤٠/١٢/٢٨ .
- (٤) مسودات مجلس الادارة من التقارير السرية الى حكومة الهند مجلد ١٣ مسودة الى الحاكم فى بومباى ١٨٤٠/١٠/٣١ (رقم ٦٧٤) .

بأى اجراء بشأن الجزيرة قبل الرجوع الى السلطات في انجلترا غير أن السيد سعيد كان قد صرف النظر عن هذه الفكرة قبل وصول التعليمات من هوب هاوس وعاد يرى فيها فكرة عقيمة ثم سافر الى زنجبار .

وفيما بين شهري سبتمبر ونوفمبر ١٨٤٠ منى الجيش المصرى بهزيمة ساحقة على يد القوات المشتركة لتركيا وبريطانيا والنمسا . وقد وضع هذا حدا نهائيا لمخططات محمد على التوسعية ولتطلعاته فى انشاء امبراطورية مصرية تمتد من النيل الى الفرات . وبمقتضى اتفاق الاسكندرية المعقود فى شهرى نوفمبر وديسمبر وافق محمد على والى مصر على التخلي عن سوريا وأطنة وكرت وشبه الجزيرة العربية واعادة الأسطول التركى الى السلطان العثماني . وبهذا القرار فقد محمد على باشا المناطق التى احتلها خورشيد باشا وهى القاسم ، ونجد والاحساء ، كما ضاعت منه الحجاز ، والاماكن المقدسة واليمن . أما خالد بن سعود الذى عينه خورشيد باشا أميراً لنجد والاحساء صنيعة للمصريين فلم يكن يستطيع المضى فى تحقيق اطماع الباشا فى البحرين وعمان ورغم ذلك فقد قرر اوكلاند تكليف حكومة بومباى بايعاز من هانيل فى شهر فبراير ١٨٤١ بتوجيه تحذير الى خالد بأنه اذا حاول توسيع رقعة نفوذه الى منطقة جنوب شرقى الجزيرة العربية بارسال قوات مسلحة من الاحساء عن طريق البحر الى ساحل القرصنة فإنه سوف يلقى مقاومة من السفن البريطانية الحربية (١). وبعد شهر علم ان خالد قد اعترف بسلطة الباب العالى وتم تعيينه والياً على نجد ، وفى

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٠ مرفق للخطاب

السرى رقم ١٨ المؤرخ ١٨٤١/٥/٢٦ من مادوك الى ويلوبى ١٨٤١/٢/٢٢

(رقم ٢٢ الادارة السرية) .

شهر أَسبتمبر كتب الى هانيل معربا عن رغبته فى انشاء علاقات ودية مع
الحكومة البريطانية (١) .

وعلى الرغم من عرضه هذا فقد علمت السلطات البريطانية فى شهر
توفمبر بأن خالدا يفكر فى ارسال حملة عسكرية برية لاحتلال البريمى ومن
المنطقى أن يعين خالد بن سعود سعد بن مطلق قائدا لتلك الحملة ، وسرعان
ماقرر هانيل ايفاد مبعوث خاص الى الامير خالد ، وأختار اللفتنانث كيف
جوب لهذه المهمة وتم ايفاده الى الهفوف للاجتماع بخالد وتحذيره من
القيام بأى تحرك عسكرى ضد ساحل القرصنة سواء عن طريق البر او البحر،
وعلى الرغم من أن خالدا خلال مقابلته لجوب أكد على حقه المطلق فى احتلال
البريمى الا انه وافق على صرف النظر عن الفكرة . وقد أعاد تأكيد رأيه هذا
فى الخطاب الذى بعث به الى هانيل بصحبة جوب ، والواقع أن خالدا لم يكن
ملزما بتوجيه ذلك الخطاب الى هانيل ، وجاء فى تقرير المبعوث الى هانيل بأنه
متأكد مما سمع وشاهد بأن الامير ليس فى وضع يسمح له بالقيام بعمليات
عسكرية خارج الاحساء وأن جيشه القتالى لايزيد على ٣٠٠٠ مقاتل وان
القوات المقاتلة الاخرى لايزيد عددها على ٨٠٠ جندى مصرى غير نظامى نصفهم
من الفرسان ونصفهم من المشاة وتسليحهم كان ضعيفا جدا وهم متدمرون
لسنيب تأخر صرف الرواتب لهم (٢) .

(١) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومبائ خطاب سرى رقم ٦٧
المؤرخ ١٨٤١/٨/٣٠ من هانيل الى ويلوبى ١٨٤١/٦/٣٠ رقم ٨٠ الادارة
السرية) ومجلد ٣٦ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٧ المؤرخ ١٨٤١/١٢/٣١
من هانيل الى ويلوبى ١٨٤١/١٠/٥ (رقم ١١٢ الادارة السرية) .

(٢) نفس الحلقات مجلد ٤١ مرفق للخطاب السرى رقم ١٧ فى
١٨٤٢/٢/٢٨ من جوب الى هانيل (ديسمبر ١٨٤١) ويمكن مقارنة تقرير
جوب مع لجنة خليفة لوشليت الذى ارسله من القاهرة فى مايو السابق وجاء
فيه ان جميع الجنود المصريين النظاميين كانوا قد عادوا من شبه الجزيرة .

وعلى امتداد عام ١٨٣٩ لم يظهر بالمرستون أى رغبة فى الوصول الى تسوية مع حكومة فارس وعلى العكس فقد كان يميل الى ترك الأمور تأخذ مجراها فى كل من فارس وأفغانستان . وقد تم رفع الحصار عن اقليم الحيرة كما أصبح هناك جيش بريطانى يربط فى كابل ، كما حصل بالمرستون على وعد من تسليروود باستدعاء سيجونيس من طهران . وأضف الى كل ذلك نشوء أزمة فى الشام بين محمد على والسلطان بحيث لم تترك له وقتا يخصصه لبحث المشاكل مع فارس . وعندما بلغه فى الربيع بأن مبعوثا من الشاه فى طريقه الى إنجلترا للاجتماع به كان رد فعله فى البداية هو رفضه للاجتماع به ، وعلى اى حال فعند وصول المبعوث حسين خان الى إنجلترا فى شهر يونيو ١٨٣٩ وافق بالمرستون على الاجتماع به بصفة غير رسمية ، وكان حسين شاه يحمل معه مذكرة من الشاه ، أوضح فيها الأسباب التى دفعته الى الهجوم على الحيرة وهى (انقاذ الرعايا الفرس من القهر) والقى اللوم على ماكنيل عن الأزمة التى نشأت بين الدولتين . كما كشف المبعوث عن عدد من القضايا التى تدين بريطانيا واحتلالها لخرم وقال بانه مالم تقم بريطانيا بخطوات مرضية فى هذا الشأن فان الشاه سوف يضطر الى الاحتماء بالحل ، وهو تهديد كشف الشاه عنه بنفسه ، بارساله صورة من المذكرة الى تسليروود، غير أن بالمرستون رفض التهديد ، وعندما قابل حسين خان فى اليوم التاسع عشر من يونيه أبلغه بأن خطوة ماكنيل قد تمت بموافقة الحكومة البريطانية ، وأن الهجوم على الحيرة كان فى نظر بريطانيا تحريضا من الروس ، وهو يمثل تهديدا للهند البريطانية وبالتالي كان احتلال بريطانيا لخرم دافعا عن النفس ضد ما كانت حكومة فارس تقوم به من اجراءات ضد مصالحنا فى المناطق الأخرى (١) . وقد رد حسين خان على بالمرستون بقوله : « أن الاحتلال

(١) فارس والخليج مجلد ٦٥ مذكرة بمحضر الاجتماع المعقود بين اللورد بالمرستون وحسين خان بشارع شيبا نهوب فى ١٩/٦/١٨٣٩ اعداد جى بى .
فريزر .

البريطاني كان عملا من أعمال الغدر لأنه لم يسيقه اعلان رسمى للحرب ضد فارس . وربما كان فى هذا القول بعض الصحة وكاد بالمرستون أن يعترف به عندما قال : بأن اوكلاند قد تصرف على النحو الذى رآه مناسبا للموقف . وعلى أى حال فاذا كان حسين خان قد أشار الى موضوع الغدر فما هو رده على الاعتداءات التى قام بها المسئولون الفرس على مثلاند وهانيل فى بوشهر . غير أن حسين خان لم يعلق بشيء على ذلك لأنه لم تكن لديه أى معلومات عن ذلك الحادث . وعندما أشار الى أن تصرف اهالى بوشهر نجاء نتيجة لوجود الأسطول البريطانى فى مياههم الاقليمية مما استنفذ مشاعرهم لم يقبل بالمرستون هذه الحججة منه (١) .

وقد اشترط بالمرستون لعودة العلاقات الودية مع فارس أن تقدم الحكومة الفارسية اعتذارها عن الاهانات التى لحقت بالقيم ، وبالأمرال ، وأن تدفع تعويضا عن الاعتداء على صراف المثلثة وساعى المفوضية البريطانية فى طهران ، وعلى أى حال فهذه لم تكن شروطا بالمعنى الدقيق للكلمة لعودة العلاقات . وبالتالي يتعين على الشاه أن يوافق على عقد اتفاق تجارى وان يتخلى عن أطماعه فى أفغانستان ، وان يقوم بسحب حميته من حدود غوريان الواقعة فى الأراضى الأفغانية بالقرب من الحيرة ، وفى اجتماع آخر مع مبعوث الشاه يوم ١٣ يوليو كثر بالمرستون هذه المطالب مؤكدا على حوادث بوشهر ومطالبيا بسحب حاكم بوشهر . وعندما وعد حسين خان ببحث الموضوع بحثا كاملا رد بالمرستون بلهجة عنيفة بأن هذه عبارة مألوفة من جانب الفرس ، وهم يلجأون اليها عندما يواجهون واقعة ما . وعلى أى حال فقد كان المبعوث لايعرف شيئا غير ماسمعه من بالمرستون فى لندن ولايمك

(١) نفس المصدر « تاريخ فارس » تاليف واتسون ص ٣٣٤ للاطلاع

على كلمات بالمرستون لحسين خان فى هذا الاجتماع انظر اعلاه ص ٣١ .

صلاحية تقديم الاعتذار . وقد وافق بالمرستون على تاجيل البت فى هذا الموضوع (١) .

وقد سببت صراحة بالمرستون استياء شديدا للشاه فعبر عن غضبه باعطاء المبعوث علقه غير ان غضب الشاه سرعان ما تلاشى . ففى شهر سبتمبر امر رئيس وزرائه الحاج ميرزا اغاس بان يكتب الى بالمرستون رساله يشعره فيها بموافقة الشاه على المطالب البريطانية ، كما قدم رئيس الوزراء اعتذار حكومته عن الاعتداء الذى وقع على ساعى ملاكنيل كما أصدر الشاه مرسوما (فرمانا) بمنح الحصانة لأفراد هيئة المفوضية البريطانية وارسل أمرا آخر الى امير شيراز يأمره بتوقيع العقوبات على المسئولين عن الاعتداء على صراف الممثلة . كما وعد رئيس الوزراء بابعاد حاكم بوشهر واخلاء منطقة غوريان واستعداده لتوقيع اتفاق تجارى عند وصول السفير البريطانى الجديد الى طهران (٢)، وتبدو هذه التعهدات فى ظاهرها وكأنها موافقة واضحة على المطالب البريطانية الا أن تنفيذها واجه عراقيل كثيرة . . فقد بقيت غوريان فى أيدي الفرس عدة شهور ولم تقدم الحكومة الفارسية أى اعتذار عن الاهانات والاعتداءات التى وجهت للمسئولين البريطانيين . وكان الوضع فى بوشهر لا يدعو إلى الارتياح فقد حل محل ميرزا اسد الله المسئول عن توجيه الاهانات الى ميثلانده وهانيل حاكما جديدا فى شهر يونيو ، وبالتالي فان وعد الحاج ميرزا اغاس بابعاده لم ينفذ . وعلى الرغم من أنه كان متوقعا ان يربط، كما كان متوقعا، ابعاد ميرزا اسد الله برغبة الحكومة الفارسية فى الاستجابة لمطالب الحكومة البريطانية حتى ولو تم ذلك بعد ٣ أشهر من

(١) نفس الحلقات والمجلد مذكرة بشأن الاجتماع الثانى المعقود بشارع

سنا شهوب. فى ١٣/٧/١٨٣٩ اعداد جى.بى. فريزر .

(٢) فارس والخليج .

- ٦٠٢ -

الوعد إلا أن الواقع أن الظروف التي احاطت بإبعاده لم تكن تتفق أساساً ومضمون الطلب فلم يصدر بيان رسمي عن الأسباب التي دعت إلى استدعائه فضلاً عن أن يكون السبب هو سلوك ذلك الحاكم مع مائيلاند وهانيل فرد على ذلك. أنه منح رداء الشرف (حلقة) قبل مغادرته بوشهر . وعلى أي حال فقد اعتاد سكان بوشهر على سرعة ذهاب ومجيء حكامهم . فقد تم تعيين وابعاد مالا يقل عن عشرة حكام ، وتم ابعاد بعضهم باستعمال القوة فيما بين يونه ١٨٢٨ وديسمبر ١٨٣٩ .

وقد عاد بالمرستون فأثار هذا الموضوع حين بعث برده على خطاب الحاج ميرزا اغاس . وأكد في خطابه لرئيس وزراء فارس أنه مالم يصدر بيان رسمي بأن ابعاد ميرزا اسد الله تم بسبب سلوكه تجاه مائيلاند وهانيل فان الحكومة البريطانية لن تعدل عن مواقفها من حكومة الشاه ، كما عبر بالمرستون عن عدم ارتياحه من صيغة المرسوم الذي يكفل الحصانة للعاملين في المفوضية او فيما يتعلق بحادث الصراف . ومن ثم فان بالمرستون كما ذكر سوف ينتظر من المقيم معلومات تؤكد على تلبية الحكومة لتلك المطالب (١) . وفي شهر ابريل اصدر الشاه مرسوماً جديداً بمنح حصانة اوسع للعاملين في المفوضية البريطانية غير ان هانيل قد بعث بتقرير في شهر مايو ذكر فيه أنه لم يتم حتى ذلك الوقت أي تعديل للموقف في بوشهر (٢) وربما كان السبب هو

-
- (١) مسودات مجلس ادارة شركة الهند الشرقية - من التقارير السرية الى الهند مجلد ١٢ مسودة الى الحاكم البريطاني العام ١٨٤٠/١/٢١ (رقم ٥٦٠) ومرفق به خطاب بالمرستون الى الحاج ميرزا اغاس في ١٨٤٠/١/١٨ مسودة الى المقيم في الخليج ١٨٤٠/١/٢٢ (رقم ٥٦٠) .
- (٢) فارس والخليج مجلد ٦٩ من هانيل الى اللجنة السرية . ١٨٤٠/٥/١٦

الأوضاع المضطربة في إقليم فارس كما أمر الشاه بوقف فرهاد ميرزا كحاكم عام وتعيين حاكم آخر مكانه أكثر انقيادا للشاه ومن غير الأسرة الملكية الحاكمة كما أعاد تثبيت الحكم الوراثي في بوشهر الى الشيخ ناصر في منصبه مع منحه لقب دريابيجي « قائد البر الأعلى » (١) وكان من الصعب التكهّن في ذلك الوقت عما اذا كان ذلك الاجراء يقصد به استفزاز الحكومة البريطانية لاسيما وأن الشيخ ناصر كان الرجل المسئول عن التهديدات التي وجهت الى المقيم بالوكالة في شهر ديسمبر ١٨٣٧ غير أن الشيخ ناصر قد رحب بالحملة البريطانية لدى وصولها الى خرك في يونيو التالي ، ووضع نفسه تحت تصرف قائدها (٢) ولم يكن دافعه الى ذلك التصرف بريئا لأنه كان قد جرد من منصبه كحاكم لبوشهر خلال مايو ١٨٣٨ لفشله في دفع الزكاة المقررة عليه الى إقليم شيراز ، وكنتيجة لذلك لجأ الى خرك التي كانت تعتبر اقطاعية خاصة لأسرة الناصري ، وفي شهر ابريل ١٨٣٩ طرده الكولونيل شيريف قائد القوات البرية للحامية البريطانية في خرك لاقتناعه بأن وجوده في الجزيرة كان يشكل خطرا معنويا على نفسيات الجنود البريطانيين . وقد أمضى الشيخ ناصر بقية

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٦ مرفق للخطاب

السري رقم ١١١ المؤرخ ٤ أكتوبر ١٨٣٩ من هانيل الى ويلوبي ١٨٣٩/٨/٢٤ (رقم ٦٧ الادارة السرية) ومجلد ٢٠ مرفق للخطاب السري رقم ١٥ المؤرخ ١٨٤٠/٣/٣١ من هانيل الى ويلوبي ١٨٤٠/٢/٩ (رقم الادارة السياسية) .

(٢) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٠ مرفق للخطاب السري رقم ١٤ المؤرخ ١٤/٧/١٤ من هانيل الى السكرتير السياسي لحكومة بومباي ١٨٣٨/٦/٢٠ (رقم الادارة السياسية) .

— ٦٠٤ —

شهور العام فى التودد الى مانوشر خان الذى كان فى ذلك الوقت معتمدا
للدولة لاسترداد منصبه السابق فى بوشهر (١) *

وعلى أية حال فإن المشكلة الأساسية لم تكن المضايقات الصغيرة فى
بوشهر وإنما استمرار الاحتلال الفارسى لغوربان وفى شهر نوفمبر بعث
بالمستون بخطاب شديد اللهجة الى الحاج ميرزا أغاس قال فيه :
ان ما يهم بريطانيا ليس الجلاء عن القلعة وإنما الجلاء نفسه ، وحول بقية
النقاط أبدى بالمستون استعداد حكومته للتساهل وقبول بيان رئيس
الوزراء بنصه حول ابعاد حاكم بوشهر بأنه قد تم نزولا على رغبة الحكومة
البريطانية وبأن الحكومة البريطانية مقتنعة بعزم الحكومة الفارسية على توقيع
العقوبات على المسئولين عن الاعتداء على صراف المثلثة .

وقد شاء هوب هاوس بأن يضيف فقرة الى خطاب بالمستون تقول بأن
انسحاب بريطانيا من خرك مرتبط بانسحاب القوات الفارسية من غوربان
وبأن الحكومة البريطانية لا تمنع فى امهال الحكومة الفارسية فترة زمنية
محددة تعلن بعدها بأن خرك أصبحت جزءا من ممتلكات التاج البريطانى اذا

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٣ مرفق للخطاب
السرى رقم ٦٧ المؤرخ ١٨٣٩/٥/١٨ من هانيل الى ويلوبى ١٦/٤/١٨٣٩
(رقم ٢٧ الادارة السرية) ومجلد ١٦ مرفق للخطاب السرى رقم ١١١
المؤرخ ١٨٣٩/١٠/٤ من هانيل الى ويلوبى المؤرخ ١٨٣٩/٨/٢٤ (رقم ٦٧
الادارة السرية) وللسير ويتشارد برتون راى طريف عن الشيخ ناصر وذلك
فى المقالة الختامية من الف ليلة وليلة .

لم تقم حكومة فارس بخطوات ترضى عنها حكومة بريطانيا (١) وكان اوكلاند اول من دعا الى هذا الأمر وقد طرأت تغييرات على موقفه منذ ربيع ١٨٣٨ عندما كان مترددا بشأن احتلال خرك والمزايا التي ستعود على الحكومة البريطانية من وجود قاعدة دائمة لها فى الخليج .

ففى شهر فبراير أعرب اوكلاند عن أمله لبالمستون فى الا يتخلى عن خرك بسرعة (٢) ثم عاد فى شهر أغسطس فبعث برسالة الى هوب هاوس يقول له فيها : انى أرجوك بأن تتوسل الى بالمستون بضرورة التفكير فى موضوع خرك ولا بد من تحديد فترة زمنية محدودة لحكومة فارس تصبح بعدها جزيرة خرك اذا ما نكثت فارس بعهودها من ممتلكاتنا ، وياجبدا لو صدر هذا التصريح كى تصبح هذه الجزيرة سنغافورة الخليج (٣) غير ان بالمستون لم يوافق على اصدار التصريح المذكور فى تلك الظروف وعلى الاخص بسبب تحفز روسيا لمراقبة ما يجرى بين بريطانيا وفارس ، وحاجة إنجلترا اليها فى الوقوف فى وجه اطماع محمد على باشا . وقد صحت تنبؤات بالمستون فى شهر مارس ١٨٤١ سلم الشاه بالمطالب البريطانية

(١) مسودات مجلس الادارة من التقارير السرية الى حكومة الهند مجلد ١٣ مسودة الى الحاكم العام ١٨٤٠/١١/٣٠ (رقم ٦٨٤) ومرفق به خطاب بالمستون الى الحاج ميرزا اغاس ١٨٤٠/١١/٢٤ .

(٢) خطاب من اوكلاند الى بالمستون كلكتا ١٨٤٠/٢/١٦ .

(٣) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٤٢ من اوكلاند الى هوب هاوس كلكتا فى ١٨٤٠/٨/١٥ .

وتم جلال القوات الفارسية عن غوربان وسلمت المنطقة الى حاكم البحيرة
وحضر مراسيم التسليم مندوب عن المفوضية البريطانية في طهران .

وعلى الرغم من علم أوكلاند بأن عودة خرك الى فارس مشروطة
بانسحاب قوات فارس من غوربان فقد واصل ضغوطه على هوب هاوس
للاحتفاظ بها بشكل او آخر (١) وكان هوب هاوس نفسه شبه مقتنع بوجهة
نظر اوكلاند في هذه المسألة ، وذلك لارتباطها بموضوع اقامة قاعدة دائمة في
الخليج . غير ان هوب هاوس كان يبحث عن منطقة بديلة لخرك لو أمكن
العثور عليها . وفي الوقت الذي كان هوب هاوس يذكر عدم تحييد هانيل
لفيلكه في ١٨٣٩ فقد كتب اليه يستفسر عما اذا كانت الكويت نفسها
تصلح كقاعدة (٢) . وقد زار هانيل الكويت في شهر ابريل في مستهل
جولته السنوية واقتنع بأنها هي الأخرى لا تصلح لهذا الغرض ، ووجد أنه
بالرغم من صلاحية الميناء الا أن البلدة وحدها غير صحية المناخ ومياه
الشرب فيها رديئة ، كما كان هانيل مقتنعا بأن الحاكم الكويتي الشيخ جابر
سوف يعترض على تحويل الكويت الى قاعدة كما ابن هانيل نفسه كان يعارض
اقامة قاعدة فوق الجزء الاساسي من شبه الجزيرة العربية لاستحالة الدفاع

(١) نفس الحلقات مجلد ٨٤٣ من اوكلاند الى هوب هاوس في
١/٢٣ ، ١٤/٢/١٨٤١ . ٠٠ . قد لا تكون المبادلة عملية خاسرة ولو اني ساشعر
بالأسف لو اننا خسرننا مركزنا الذي نتمتع فيه بالاستقلال والاستقرار في
الخليج .

(٢) مسودات مجلس الادارة من التقارير السرية الى حكومة الهند مجلد
١٤ مسودة الى المقيم في الخليج - بتاريخ ٢٢/٢/١٨٤١ (رقم ٧٠٩) .

-٦٠٧-

عنها بالأسلحة البحرية وجدها (١) ، وقد عاد المقيم فأكد صلاحية خرك كقاعدة ،
 وفى شهر أغسطس ١٨٤١ اقترح هوب هاوس على بالمرستون الاستفسار
 من الشاه عما اذا كان على استعداد لبيع خرك لبريطانيا ، غير أن اثاره هذا
 الموضوع مع الشاه فى ذلك الوقت كان تصرفا خطيرا . وكان السير جون
 هاكنيل فى طريق عودته الى فارس فى ذلك الوقت يحمل تعليمات بانسحاب
 الحماية البريطانية من خرك فور التصديق على الاتفاق التجارى الذى كان
 من المتوقع ابرامه فى ذلك الوقت مع الشاه . ولو ان هانيل عرض على الشاه
 طلب شراء الجزيرة فى ذلك الوقت لكان قد فسر بأنه محاولة للتملص من
 الالتزام البريطانى بالانسحاب . والآنكى من ذلك هو أن يحاول الروس
 استغلال استمرار الاحتلال البريطانى لخرك للحصول على امتيازات اقليمية من
 الشاه فى شمال فارس . وكانت فارس لا تزال مدينة لروسيا بجزء من
 التعويضات التى فرضتها عليها فى عام ١٨٢٨ ، وبالتالي فقد كانت روسيا
 تفضل الحصول على مناطق اقليمية فى جيلان مقابل التعويضات . وكان
 أقصى ما تطمع فيه بريطانيا كما ذكر بالمرستون لهوب هاوس هو أن تسمح
 حكومة فارس ببناء المثلية البريطانية فى خرك وقتما ترغب بريطانيا فى
 ذلك كما كان من المحتمل أن يوافق الفرس على اقامة مستودع للفحم هناك
 لتموين السفن التى تتراد منطقتى دجلة والفرات ، غير أن الجزيرة سوف

(١) فارس والخليج مجلد ٧٢ من هانيل الى اللجنة السرية
 ١٨٤١/٤/٢٤ (رقم ٩ الادارة السرية) كما زار هانيل جزيرتى هنجام
 وديرستان بجزيرة قشم ولكنه وجدتهما لا تصلحان لتكونا قاعدتين
 عسكريتين .

-٦٠٨-

تبقى من الناحية الاسمية تابعة لفارس . وقد وافق هوب هاوس على ذلك
الحل الوسط وكلف ماكنيل فى أواخر شهر اغسطس ببذل قصارى جهده
للحصول على موافقة الشاه على تلك المطالب (١) :

ولما كان اوكلاند يجهل ما استجد من تطورات على الوضع فقد بادر
بارسال اوامر الى ماكنيل فى شهر اغسطس بارجاء عملية الانسحاب من
حركه الا اذا قدم الشاه تعهدا قاطعا بالتخلي عن اطماعه فى افغانستان كما
اوضح اوكلاند لبارستون بأنه سوف يكون مسئولاً عن أى تغيير فى التعليمات
الاصلية التى وصلتته من بالمرستون ، وفى الوقت نفسه بعث اوكلاند
بتعليمات الى هانيل بعدم سحب القوات من خرك ريشما تصله تعليمات
جديدة من الهند بهذا الشأن (٢) ويعود السبب فى هذا الاجراء الذى اتخذه
اوكلاند الى تدهور وضع الحماية البريطانية فى أفغانستان . وكان اوكلاند
يرمى الى الحصول على تعهد من الشاه بوقف تدخلاته فى أفغانستان قبل
ان يزداد الوضع سوءاً هناك ، غير أن هذه التعليمات وصلت للأسف
متأخرة الى ماكنيل . وصل المبعوث البريطانى الى طهران يوم ١١ اكتوبر
فوجد الشاه فى انتظاره لتوقيع الاتفاق التجارى ولم يشأ المبعوث أن تضيع

(١) من هانيل الى اللجنة السرية ١٩/٥/١٨٤١ رقم ١١ الادارة السرية .

(٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٩ ومرفق

للخطاب السرى رقم ٢٠٧ المؤرخ ٣١/١٢/١٨٤١ من ماكنيل الى السكرتير
الاول لحكومة بومباى ٣٠/١٠/١٨٤١ ومسودات مجلس الادارة من التقارير
السرية الى حكومة الهند مجلد ١٥ مسودة الى الحاكم العام ٣٠/١٢/١٨٣١

(رقم ٨٠٤) ومرفق معها خطاب ماكنيل الى بالمرستون ١/١١/١٨٤١ .

منه هذه الفرصة ، وهكذا وقع الاتفاق يوم ٢٨ أكتوبر وتم التصديق عليه في نفس اليوم . ونص الاتفاق على حرية التبادل التجاري بين رجال الأعمال البريطانيين والفرس . وحرية تنقلاتهم في أراضي كل من الدولتين المتعاقبتين ، كما نص الاتفاق على حق القنصل البريطاني في الإقامة في تبريز مع أن هذا يعتبر أقل من الامتيازات التي حصلت عليها روسيا بمقتضى معاهدة تركمنشاه كما سمح للمقيم البريطاني بموجب الاتفاق البقاء في مقره في بوشهر (١) .

كما كلف ماكنيل بالحصول على تعهد خطي من حكومة الشاه بعدم معاقبة أهالي خرك على تعاونهم مع القوات البريطانية أثناء احتلالها للجزيرة . وقد حصل ماكنيل على التعهد المذكور في نفس اليوم الذي تم فيه التوقيع على الاتفاق البريطاني الفارسي . ولم يعد أمام المبعوث البريطاني بعد كل ذلك الا أن يطلب من قائد الحامية البريطانية في خرك الانسحاب منها فوراً وتسليم شئون الإدارة لمدوب حكومة فارس . وقد بعث ماكنيل بهذه الأوامر الى قائد الحامية يوم ٢٨ أكتوبر وطلب اليه ابلاغ الممثل المنتدب من الحكومة الفارسية عند تسليم الجزيرة بعزم الحكومة البريطانية الاحتفاظ بمستودعات الفحم فيها لتموين السفن البريطانية العاملة في مياه دجلة والفرات تحت اشراف مسئول بريطاني وذلك كما سبق لماكنيل ان ابلى وزير

(١) مسودات مجلس الإدارة من التقارير السرية الى حكومة بومباي مجلد ١٦ مسودة الى الحاكم العام ١٨٤٢/١/٢٩ (رقم ٨١٦) . ومرفق بها خطاب من ابردين الى ماكنيل ١٨٤٢/١/٢٢ .
(٣٩ - بريطانيا والخليج)

خارجية فارس بذلك (١) غير أن تعليمات اوكلاند وصلت متأخرة الى ماكنيل، كما لم توافق الحكومة فى لندن عليها ، فقد سقطت حكومة ملبورن ولم يرغب اللورد أبردين الذى خلفه فى وزارة الخارجية فى تعكير صفو العلاقات مع حكومة الشاه أو أن يسئ الى مركز الحكومة البريطانية عن طريق تمسكه بخرك (٢) . وحتى يتفادى أبردين تردد اوكلاند فى تنفيذ الانسحاب من القاعدة فقد بادر الى ارسال تعليمات الى بومباى فى نهاية شهر يناير ١٨٤٢ لتنفيذ عملية الانسحاب فورا (٣) .

والواقع أن قلق أبردين من هذه الناحية لم يكن له ما يبرره . فعندما علم اوكلاند بأن الأوامر التى أصدرها الى ماكنيل لم تصل اليه بادر فى الأسبوع الثالث من ديسمبر الى ارسال تعليمات أخرى الى بومباى بوجوب تنفيذ الانسحاب (٤) .

(١) مسودة الى حاكم بومباى ١٨٤٢/١/٢٩ (رقم ٨١٨) .

(٢) مرفقات للرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٩ مرفق للخطاب

السرى رقم ١٠٧ فى ١٨٤١/١٢/٣١ من مادوك الى ويلوبى ١٨٤١/١٢/١٨ من مادوك الى ويلوبى ١٨٤١/١٢/١٨ (رقم ١٨٤٧ الادارة السرية) .

(٣) مرفق للخطاب السرى رقم ٤٢ المؤرخ ١٨٤٢/٤/٣٠ من الكولونيل

ج دى روبرتسون (المقيم بالوكالة) الى ويلوبى ١٨٤٢/٣/٢٦ (رقم ١٨ الادارة السرية) .

(٤) مرفق للخطاب السرى رقم ٨٢ المؤرخ ١٨٤٢/٧/١٨ من روبرتسون

الى ريد ١٨ مايو ١٨٤٢ (رقم ٨١ الادارة السرية) .

غادر الجانب الأكبر من القوات البريطانية خرك فى نهاية شهر فبراير ، وقد استكملت عملية الانسحاب من الجزيرة يوم ٢٦ مارس . وقد أثارت السرعة التى تم بها سحب القوات البريطانية دهشة الفرس . ولم يتسلم المسئول الفارسى المنتدب عهدة الجزيرة قبل شهر مايو . وقد بعث سحب القوات الارتياح فى نفس ابردين . فقد كان على غرار سلفه بالمرستون يخشى أن يؤدى استمرار احتلال بريطانيا للجزيرة الى تشجيع الروس على احتلال مناطق ساحلية أخرى من فارس على بحر قزوين . كما كان لابد من وضع معارضة الشاه للاحتلال موضع الاعتبار . ولم يكن واضحا ما اذا كانت معارضته للاحتلال البريطانى لجزيرة خرك ناشئة عن الخوف من وجود قاعدة أجنبية بالقرب من شواطئه ام من احتمال اضطرابه الى اعطاء الروس امتيازات مماثلة فى شمال البلاد (١) غير أن استيائه من الوجود البريطانى فى خرك لم يكن يقل خطورة عن خنق جده قبل عشرين عاما نتيجة لوجود قاعدة لبريطانيا فى جزيرة قشم . واستمر موقف الشاه الودى تجاه البريطانيين نحو اربعة أشهر ، اى حتى وقت وقوع مذبحة البعثة البريطانية فى كابول ، وتفهم الجيش البريطانى الى حدود داخل الهند فى

(١) مسودات مجلس الادارة التقارير السرية الى الهند مجلد ١٦ مسودة الى الحاكم العام ١٨٤٢/٢/٢٥ (رقم ٨٢٢) ومجلد ١٧ مسودة الى المقيم فى الخليج ١٨٤٢/١١/٢ - (رقم ٨٩٦) وكان هانيسل فى الاجازة عندما تقرر اعادة المثلثة فوجدها فى حالة غير صالحة ولذلك فقد عاد الى خرك الى ان تم تجديدها (انظر فارس والخليج مجلد ٧٦ من شيل الى ابردين ١٨٤٢/٨/١٠ (رقم ٤١) .

شتاء ١٨٤١ - ١٨٤٢ ، وقد إنقلب موقف الشاه الى العداة ، حتى أن ابردين قد اضطر منعا للمزيد من تدهور العلاقات الى معارضة الاقتراحات التي وصلت اليه من الهند ببقاء الممثلة في خرك بصورة دائمة كما عارض انتقال المقيم الى خرك في شهور الصيف (١) . وما أن نجحت الحكومة البريطانية في تحسين العلاقات بينها وبين الشاه حتى شرع الأخير في حملة لاغلاق مستودع الوقود في جزيرة خرك بعد أن سبق ووافق على بقاءه هناك . وقد تصاعدت حملة الاحتجاجات من جانب الشاه وحكومته بالنسبة الى هذا الموضوع ضد الحكومة البريطانية ، وربما يرجع السبب في ذلك على حد رأى جوستين رشييل القائم بالأعمال البريطاني في طهران الى خوفه من قيام الروس بانشاء مستودع مماثل لهم بالقرب من استرابان ، بحيث اضطر وزير الخارجية البريطاني في شهر مارس ١٨٤٤ الى تكليف حكومة الهند بالنظر في هذا الأمر واتخاذ التدابير اللازمة لاغلاق المستودع بأسرع وقت .

وضعت الخلافات الكثيرة التي نشأت بسبب بوشهر نهاية مؤسفة للعلاقات الودية مع فارس . ولم يحصل ميثلانداو هانيل على رد الاعتبار عن الاهاتات التي تعرض لها في شهر مارس ١٨٣٩ ، وقد توفي ميثلاندا في البحرين في شهر نوفمبر من ذلك العام بينما كان في طريقه الى بحر الصين ، كما كان هانيل في اجازة عندما أعيد فتح الممثلة البريطانية في بوشهر في شهر مايو ١٨٤٢ ، كما لم تقم حكومة فارس من جانبها بأية خطوة بشأن

(١) فارس والخليج مجلد ٧٩ من شيبيل الى ابردين ١٢/١/١٨٤٤ للإطلاع على الرسائل المتبادلة حول هذا الموضوع انظر نفس الحلقات مجلد ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ومسودات مجلس الادارة مجلد ١٧ ، ١٨ .

أصدار بيان للسكان في بوشهر . يؤكد ان فصل ميززا اسد الله من منصبه قد تم بسبب منسلكه تجاه ممثلى الحكومة البريطانية ، فقد اغتتم المسؤولون الفرس فى بوشهر وشيراز كل فرصة لخلق المتاعب للمقيم بعد عودته الى المدينة . فقد منع من قضاء شهور الصيف خارج بوشهر كما حظر على الممثلين الانتقال بعد غروب الشمس ، كما احيطت المثلية بأسوار وتمت محاولة أخرى لمنع المسؤولين البريطانيين من استخدام رصيف المثلية خلال انتقالهم من السفن الى المدينة والعكس بالعكس (١) .

ولم تقدم الحكومة الفارسية أى دليل على تحسين موقفها ومسلكتها تجاه الحكومة البريطانية وخاصة فيما يتعلق بالاعتداء على صراف المثلية كما أنها لم تدفع له أى تعويض عن الأضرار التى تحملها ، كما لم تقم الحكومة الفارسية بالقبض على الجناة أو معاقبتهم . والأسوأ من كل هذا هو موقف حكومة الهند من قضية الصراف رغم الحاح بالمرستون فى سنة ١٨٣٩ على تعويضه . فقد اقترح الكولونيل ا . ج . دى ربرتسون المقيم بالوكالة فى ١٨٤٢ دفع تعويض للصراف عن الأضرار والخسائر التى تعرض لها بعد ان فقد الأمل فى الحصول على تعويض من السلطات الفارسية . هذا وعلى

(١) للاطلاع على الرسائل المتبادلة حول هذا الحادث انظر (فارس والخليج) مجلد ٨٠ وعلى الأخص تقارير شيل بتاريخ ٨ ، ١٥ ، ١٨ / ١٢ / ١٨٤٤ (رقم ١١ ، ١٢١ ، ١٢٩) انظر ايضا نفس الحلقات مجلد ٨١ وعلى الأخص خطاب شيل الى ابردين المؤرخ ١٧ / ٦ / ١٨٤٥ (رقم ٦٥) ومسودات مجلس الادارة مجلد ١٨ وعلى الأخص مسوذة الى الحاكم العام بتاريخ ١٣ ، ١٦ / ١٠ / ١٨٤٥ (رقم ١١٢٣ ، ١١٢٥) .

الرغم من ترحيب حكومة بومباى بالاقتراح الا أن حكومة كلكتا لم توافق عليه . وكان المبلغ المطلوب هو ٢٠ جنيها فقط (١) ومثل آخر على سوء مسلك حكومة فارس هو ما حدث لسكان جزيرة خرك ، فعلى الرغم من أن الشاه قد أصدر مرسوما (فرمان) الى أمير شيراز فى شهر نوفمبر ١٨٤١ طالبه فيه بعدم الاساءة أو الانتقام من سكان جزيرة خرك المتعاونين مع السلطات البريطانية فقد ارسل أمير شيراز قوة من ٢٠٠ جندي فى شهر سبتمبر ١٨٤٣ لاحتلال الجزيرة ، غير أن حجم هذه القوة بالمقارنة الى عدد سكان الجزيرة الذى لا يتعدى ٣٠٠ نسمة انما يدل على أن أمير شيراز يبيت أمرا ، وما ان علم سكان خرك بوصول القوة الفارسية الى الجزيرة حتى خرجوا منها بالجملة ولجأوا الى الكويت ولم يعودوا الى مواطنهم الا بعد أن وجه هانيل تحذيرا الى المسؤولين الفرس من أن الحكومة البريطانية لن تسمح بأى حال من الأحوال بالحاق أى ضرر بسكان الجزيرة (٢) .

لم تشعر الحكومة البريطانية بالارتياح من نتيجة التسوية الشاملة مع حكومة فارس ، صحيح أن الاتفاق التجارى الذى كانت تطالب به قد وقع ، كما صدر مرسوم بمنح الحصانة للعاملين فى المفوضية البريطانية ، وقدمت الحكومة الفارسية اعتذارا رسميا عن الهجوم على ساعى المفوضية ، غير أن

-
- (١) مسودات مجلس الادارة من التقارير السرية الى حكومة الهند مجلد ١٨ مسودة الى الحكام العام ١٨٤٤/٣/١٩ (رقم ٩٨٣) ومرفق به خطاب ابردين الى الاميرال يربون (رئيس مجلس الهند) .
- (٢) من شيل الى ابردين ١٨٤٣/١٠/٢٧ (رقم ٨٥) ومجلد ٧٩ من شيل الى ابردين ١٨٤٤/٤/١٨ (رقم ٤٣) .

جذور الخلاف بين الدولتين لم تحسم كما لم يتخل الشاه عن أطماعه في إقليم الحيرة . وقد حاول اوكلاند عبثا اقناع الشاه بالكف عن التدخل في أفغانستان لأن الحكومة البريطانية لم تؤيده في تلك الخطوة . ولم تتضح الأسباب التي منعت بالمرستون من الاصرار على الحصول على تعهد رسمى من الشاه حول هذه النقطة . ولعل خوفه من الروس في آسيا قد خفف كنتيجة للخلافات التي دبت بين القيصر ومحمد على باشا . وعلى الأخص انتهاء العمل بمعاهدة هنيكار اسكليس والعودة الى العمل بالنظام القديم بالنسبة للمضائق التركية بمقتضى معاهدة يوليو ١٨٤١ ، وبالتالي فلا يصح أن ننظر الى تعليمات بالمرستون الى مالكنيل في ذلك الشهر من زاوية تناقض شكوك بالمرستون في نوايا الروس في آسيا من ناحية أو كتغيير عن اعتقاده بأهمية التوصل الى تسوية ما مع حكومة فارس لأن بقاء الوضع على ما هو عليه قد يدفع الروس في استغلال توتر العلاقات الانجلو - فارسية لتوسيع قاعدة نفوذهم في فارس . فاذا كان الاحتمال الثانى هو الاحتمال الاصح فان قرار بالمرستون بالنظر الى الانتكاسة العسكرية البريطانية في أفغانستان والتي جاءت بعد التسوية مباشرة يعتبر قرارا حكيما ، غير ان هذا القرار أبقى على مشكلة الحيرة بدون حل وتطلب الأمر حروبا طويلة مع فارس قبل ان تحل هذه المشكلة .

وعلى الجانب الآخر من الخليج كان التهديد الذى تمثله الحملة المصرية على المنطقتين الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة فيما بين عامى ١٨٣٧ ، ١٨٤٠ فى الرؤية البريطانية أقل خطرا من هجوم الشاه على إقليم الحيرة لا لخلو الأول من التورط الروسى فحسب وانما من حيث حجم ذلك الخطر

أيضا ، رغم انه كان مصدر أخراج للحكومة البريطانية . أما جيش خورشيد باشا فلم يكن يزيد عن ٤٠٠٠ مقاتل في أى وقت من الأوقات بما في ذلك الجنود البدو غير النظاميين ، كما أن اختيار خورشيد باشا « السليمية » كمقر عام لهذا الجيش ثم اتخاذ الثرمدة مقرا له فيما بعد انما يدل على ان خورشيد باشا لم يكن ينوى التوغل بجيشه الى ما وراء الحدود التي استقر بها خلال ربيع ١٨٣٩ ، أما حملة سعد بن مطلق وتهديده للبريمي فقد كانت تنطلق من دوافع شخصية وليس بتحريض من خورشيد باشا الذى كان على ما يبدو يطمع فى احتلال سلطنة عمان .

والسؤال الآن عن الأسباب الحقيقية التى دفعت محمد على باشا الى شبه الجزيرة العربية . من المؤكد أن تلك الدوافع لم تكن مجرد احتلاله لنجد أو الاستيلاء على البحرين رغم ما كان لثروتها من جاذبية وسحر . كما لا يبدو بأن نية محمد على باشا كانت هى الوصول الى المشارف الجنوبية للعراق فى ذلك الوقت الذى كان اهتمام السلطان العثمانى والدول الأوربية مركزا فى الدرجة الأولى على نفوذه ونشاطه فى الشام . لقد كانت حملة محمد على باشا تسير بصورة بطيئة حيث بدأت عام ١٨٣٧ وانتهت فى الأشهر الأولى من سنة ١٨٣٩ حيث كان محمد على باشا يتخذ من الأمير خالد ستارا لاختفاء أهدافه الحقيقية من حملته ، وأصبح هذا الأمير يمثل دور التابع للسيطرة المصرية . ومن سوء حظ محمد على أن يتوافق ظهور الجيش المصرى على الضفاف العربية للخليج مع انفجار الصراع البريطانى الفارسى على ضفافه الشرقية مما جعله يحدث أصداً أكثر مما كان متوقعا له .

وإذا نظرنا الى تهديد خورشيد باشا من زاويته الفعلية وتردد خورشيد فى أن يواجه الموقف بسرعة وفعالية فان موقفه هذا لا يعتبر

موقفا شاذا . وعندما نتذكر بأن حكومة بومباى وبالمرستون وهوب هاوس
وأخيرا أوكلاند الى حد ما قد احسوا بخطر ذلك التهديد فان تردد خورشيد
باشا كان نابعا من ضعفه . وحتى اذا لم نضع فى الاعتبار الالتزامات
الكثيرة والنقص فى الامكانيات العسكرية والبحرية لحكومة الهند فى ذلك
الوقت فلقد كان فى امكان أوكلاند أن يتخذ اجراءات أكثر مما اتخذه .

وعلى أى حال فان عجز حكومة بومباى الواضح فى المجابهة مع
المصريين وذلك باستعراض القوة البريطانية المسلحة فى المنطقة أدى الى
تشجيع القبائل الساحلية على تحدى قوة بريطانيا . وإذا كان هؤلاء الحكام
قد غيروا من مواقفهم هذه فيما بعد فان ذلك يرجع الى جهود حكومة
بومباى والضباط السياسيين والبريطانيين فى منطقة الخليج . وبنوع خاص
الى جهود رجل واحد هو صمويل هانيل المقيم البريطانى فى الخليج فى
تلك الفترة .

الفصل التاسع

نظام الصلح

١٨٥٣ - ١٨٣٥

—

فى ليل ٢٥ نوفمبر عام ١٨٣٤ انتهى حمود بن عزان والى صحار ، فرصة غياب السيد سعيد عن البلاد ، وقام باحتلال بلده السويق على ساحل الباطنة ، وبعد ان اجتاحتها عاد فانسحب الى المنطقة الداخلية من البلاد ، وقد قام كل من هلال أكبر أنجال السيد سعيد ومحمد بن سالم ابن أخيه اللذين عينهما السيد سعيد نائبين عنه بالرد على اجراء حمود بن عزان بارسال عدد من السفن الى ساحل السويق كما طلبا مساعدة كل من سلطان بن صقر شيخ القواسم وخليفة بن شخبوط شيخ بنى ياس وزعيم النعيم ضد حمود بن عزان . وقد رأى سلطان بن صقر فى ازمة آل بوسعيد ضالته المنشودة لتحقيق مكاسب اقليمية من وراء ذلك . وهكذا أبحرت خمسون سفينة شراعية على الفور من الشارقة ورأس الخيمة وغيرها من موانئ القواسم على خليج عمان ، بينما انطلقت قوة من القواسم للاستيلاء على خور فكان ، وكان ملجأ للسفن على ساحل الشمالية ، كما كان يستخدمه القواسم كقاعدة للانقضاض على السفن التى ترتاد مضيق هرمز . كما تحركت بطلب من نائبي السيد سعيد إحدى سفن بنى ياس وكانت ترسو فى ميناء مسقط ، وأبحرت الى ساحل صحار للاستيلاء على أى سفينة تصادفها فى مياه تلك المنطقة وبعد ذلك بوقت قصير قام بنو ياس بنهب سفينتين تابعتين لشيخ جزيرة قشم .

وأصبح من الواضح جدا ان النائبين قد فتحا البلاد لموجة من الاضطرابات والفوضى لم يعد فى وسعهما السيطرة عليها . وكان الاحتمال ضعيفا ، أن يلتزم شيوخ القرصنة بالتمييز بين السفن الصديقة وغير الصديقة ، كما كان من الصعب على النائبين التدخل فى هذا الأمر خوفا من انحياز بنى ياس الى معسكر حمود بن عيزان .

لقد كان هذا رأى الكابتن هانيل المقيم المساعد الذى عهد اليه بالاشراف على شئون المثلثة بعد رجوع بلين الى الهند فى الصيف ، وقد وجه هانيل تحذيرا الى كل من سلطان بن صقر والشيخ شخبوط فى أوائل شهر يناير ١٨٥٢ ، بأن السلطات البريطانية تراقب تحركاتهما مراقبة دقيقة . غير ان هذا التحذير وصل متأخرا جدا الى شيخ ابوظبى .

إن السهولة التى تمكنت بها سفينة بنى ياس من الاستيلاء على بعض الغنائم من السفن التى اعترضتها على ساحل صحار ، ثم اندلاع القتال فى عمان من اقصاها الى اقصاها قد هيا الفرصة لخليفة بن شخبوط من تحسين اوضاع بلاده الاقتصادية . وفى أوائل شهر فبراير قرر شيخ بنى ياس اطلاق أسطوله الحربى للعبث بالملاحة التجارية فى الخليج . وقد اتخذ هذا الأسطول منطقة القوين على مدخل الخليج قاعدة لنشاطه ، ومن هذه القاعدة أخذ يستولى على كل سفينة غصبا ، ويقوم بنهب محتوياتها من السلع ، ويقوم فى أغلب الأحيان ببتز أعناق بحارتها بحد السيف . وحتى شهر فبراير ومنتصف شهر ابريل وقعت فى أيدي أسطول بنى ياس ما لا يقل عن ١٧ سفينة ، وقاموا بالاستيلاء عليها ونهبها وأرسالها الى أبو ظبى . وكانت أغلب السفن المنهوبة تنتمى الى الموانئ الفارسية عدا اثنتين منها فقد كانتا ترفعان العلم البريطانى . وقد قام بنو ياس بقطع

رَقَابِ عَدَدُ غَفِيرٍ مِّنْ بَحَارَةِ السَّقِينَةِ « ذَرِيَا ذَوْلَتِ » التَّابِعَةُ لِبُومْبَايِ كَمَا مَزَقُوا
شَعَارَهَا .

فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ يَوْجَدُ الْإِطْرَادَ وَاحِدًا مِّنْ طَرَادَاتِ أَسْطُولِ
الْخَلِيجِ بِالْقُرْبِ مِنْ تِلْكَ الْمَنْطِقَةِ . وَقَدْ صَدَرَتْ الْأَوَامِرُ إِلَى ذَلِكَ الْإِطْرَادِ
بِالْبَحَارِ فُورَ وَصُولِ الْأَخْبَارِ عَمَّا يَرْتَكِبُهُ أَسْطُولُ الْقَرَاصِنَةِ . وَقَدْ قَامَ قَائِدُ
أَسْطُولِ الْخَلِيجِ بِعَمَلِيَّاتٍ مَسَّحٍ شَامِلَةٍ فِي مَنْطِقَةِ الْخَلِيجِ الْأَسْفَلِ مِنْ
هَنْجَامِ إِلَى أَبُو ظَبْيٍ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْثُرْ عَلَى أَسْطُولِ الْقَرَاصِنَةِ . أَمَّا الْإِطْرَادُ
الْفَنَسْتُونُ أَحَدُ السَّفِينِ التَّابِعَةِ لِلْأَسْطُولِ فَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي شَطِّ
الْعَرَبِ . وَقَدْ أُصْدِرَ هَانِيْلُ أَوَامِرِهِ إِلَى قَائِدِ الْإِطْرَادِ لِلتَّوَجُّهِ إِلَى بُوْشَهْرٍ فِي
الْأَسْبُوعِ الْآخِرِ مِنْ مَارِسَ ، كَمَا سَافَرَ بِنَفْسِهِ عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْإِطْرَادِ مُتَوَجِّهًا
إِلَى قَاعِدَةِ الْأَسْطُولِ فِي بَاسِيدُو يَوْمَ ٦ أِبْرَيْلٍ . وَعِنْدَ وَصُولِ هَانِيْلِ إِلَى
القَاعِدَةِ عَلِمَ بِأَنَّ الْقَرَاصِنَةَ بَعْدَ انْتِصَارَاتِهِمْ الْآخِرَةِ الَّتِي حَقَّقُوهَا قَدْ بَعَثُوا
بِرِسُولٍ إِلَى بَاسِيدُو ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ قَائِدَ الْأَسْطُولِ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْبَحْرِ
لِمُبَارَزَتِهِمْ . وَقَدْ كَلَّفَ هَانِيْلُ جُونِ سُوْبِرٍ قَائِدَ الْإِطْرَادِ الْفَنَسْتُونِ يَقْبُولُ
التَّحَدِيَّ ، بَيْنَمَا اسْتَقَلَّ هُوَ السَّفِينَةَ الْحَرَبِيَّةَ امْهَرَسَتْ وَهَاجَمَ بِهَا
أَبُو ظَبْيٍ .

فِي نَهَارِ يَوْمِ ١٦ أِبْرَيْلِ التَّقَى الْإِطْرَادُ الْفَنَسْتُونُ بِأَسْطُولِ بَنِي يَاسَ
الْمُؤَلَّفِ مِنْ أَرْبَعِ سَفِينٍ مَخْتَلِفَةِ الْحَجْمِ ، وَكَانَ هَذَا الْأَسْطُولُ يَقْطُرُ السَّفِينَةَ
الْفَارْسِيَّةَ الَّتِي اسْتَوْلَى عَلَيْهَا . وَفِيمَا يَلِي وَصَفَ لِأَحْدَاثِ الْأَصْطِدَامِ الَّذِي
وَقَعَ بَيْنَ الْإِطْرَادِ وَأَسْطُولِ الْقَرَاصِنَةِ عَلَى لِسَانِ سُوْبِرِ نَفْسِهِ : -
« وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ مُسْرِعِينَ فِي الْمَجِيءِ نَحُونَا ، وَفِي السَّاعَةِ السَّلَاسِيَّةِ
صَبَاحًا أَرْغَمْنَاهُمْ عَلَى أَنْ يَنْحَنُوا قَلِيلًا بِالسَّفِينَةِ وَأَصْبَحْنَا فِي مَوْجِ

التحكيم منهم ، واخذنا نستعد للدخول في معركة معهم ، وفي الساعة السابعة اطلقنا مدافعنا ورفعنا اعلامنا ، ولاحظنا أثناء ذلك ان السفينة الامامية من سفن القراصنة مكتظة بالرجال وكانوا يقطرون سفينة اخرى ، وقد اطلقت طلقة ثم رفعت علما احمر ثم اغطست العلم ثلاث مرات في الماء كعلامة على التحدي فاطلقنا طلقة لكنها لم تصب الهدف وقد ردت السفينة الكبيرة على الفور ولكن قذائفها سقطت في منتصف الهدف ، ثم انزلوا اعلامهم كما انزلت احدى السفن اشروعها ، وتقدمت نحونا ربما بهدف لفت انتباهنا ، وعندما امعنا النظر فيها وجدناها مكتظة بالناس واقطنعنا عند ذلك بان تلك السفن ما هي الا أسطول للقراصنة التابع لأبو ظبي ، كما أكد لنا ذلك القبطان الغربي ، وعند اقتراب تلك السفينة منا تعرفنا عليها ، وقد تأكد لنا ان السفينة تقل الشيخ سلطان بن شخبوط وعندما تبين لهم باننا أقوى منهم قاموا بفك السفينة المقطورة ونكسوا اشروعهم واقتربوا منا الى حد مرمى البسديس دليلا على استعدادهم للمعركة . وقد تحركنا حتى كنا في وسطهم ونجحنا في تلك الحركة دون أن تحرك سفينا بسفنتهم بحيث أصبحت سفينة الشيخ في الجانب الايمن والمقطورة على الجانب الأيسر ، وإثناء مرورنا فيما بينهم وجهنا عليهم نيران مدافعنا لدرجة أن مدافعنا كادت أن تلامسهم . وقد أخذ بحارة سفينة الشيخ يصيحون فينا « الله اكبر ، انهم الكفار » وقد شوهد بعضهم يحاول أن يرمى برماحهم نحونا ، غير أننا اطلقنا عليهم النار ، وإذا بنحو ٩٠ أو ١٠٠ رجل يهجمون برماحهم الطويلة علينا بهدف الصعود الى سفينتنا ، غير انهم فشلوا أمام سيل القذائف التي اطلقناها عليهم . وكان في السفينة ما لا يقل عن مائة رجل وكانوا يمثلون خطرا علينا برماحهم ، كما تعرضت سفينتهم لأضرار بالغة إذ كانت قطع الخشب تتناثر منها في كل الاتجاهات ، وعند مرورهم قفز نحو ٩٠ رجلا من السفينة المقطورة والتقطتهم سفينة الشيخ شخبوط

- ٦٢٢ -

التي كانت قد رفعت اشرعتها واستقرت في الناحية الشمالية منا ، وكانت تصحبها احدى السفن من طراز الباتل ثم افترقت عنها ، ثم حاولنا الالتفاف عليها ولكنها انطلقت بسرعة وقد حاولنا استخدام مدفع المقدمة في محاولة لأحداث خلل بها ولكننا لم ننجح لأن القذيفة لم تصبها، ثم قامت السفن الأخرى بتغيير اتجاهها نحو السفينة المهجورة وجردوها من اشرعتها وبعض الأشياء الصغيرة الأخرى ووقفوا في الجنوب الغربي. وفي الساعة التاسعة شاهدنا السفينة المطاردة تنقل بعض الأشياء الى ظهرها ولكننا لم نتمكن من معرفة تلك الأشياء وقد اصلنا مطاردتها حتى الغروب حيث تمكنت من تغيير وجهتها نحو الشرق على بعد عدة أميال منا وبعد أن حل الظلام تخلينا عن فكرة المطاردة واتجهنا الى الجنوب على أمل ان نلتقى معها في النهار .

وعلى الرغم من أن الريان سوبر لم يفلح في الاشتباك مرة أخرى مع اسطول القراصنة في اليوم التالي ، فان العملية التي جرت في منطقة ذي جريت تومب قد قصمت ظهر قبائل بنى ياس . كما كانت تلك العملية هي الاشتباك الأخير التي يشترك فيه اسطول الخليج ضد قبائل الساحل الغربي .

وقد وصل الكابتن هانيسل الى أبو ظبي على ظهر السفينة امهرست يوم ١٩ أبريل . وبعد بضع ساعات من وصوله واجتماعه بالشيخ خليفه وافق الأخير ، وبعد نقاش حاد مع المقيم المساعد ، على استدعاء السفن المشتركة في العملية ، واعادة السفن التي تم الاستيلاء عليها مع بحارتها ودفع تعويضات عن السلع التي تم الاستيلاء عليها وبعدها سافر هانيسل الى باسيدو لانتظاره تنفيذ خليفة لوعوده . وطوال الأسابيع الثلاثة الأخيرة

من شهر مايو رابطة ثلاثة طرادات فى مياه أبو ظبى للتأكد من تنفيذ الاتفاق . وقبل نهاية الشهر كان بنو ياس قد نفذوا وعدهم ، فأعيدت السفن المغتصبة وبحارتها ، وقاموا بدفع تعويضات رمزية عن السلع والبحارة المقتولين مقدارها ٢٥٠٠٠ ريال نمسوى (نحو ٥٠٠٠ ج س) كما تم تسليم ربانى السفينتين اللتين قامتا بالاعتداء على دريا دولت وغيرها من السفن التى كانت ترفع العلم البريطانى الى السلطات البريطانية . وقد جرت محاكمة الربانة فى بومباى بتهمة اقتراف اعمال القرصنة . وكان أحد الربانة وهو محمد بن صقر بن دياب من أفراد أسرة آل بوفلاح الحاكمة فى أبوظبى . وربان السفينة ممباسة التى قامت بالهجوم على السفينة البريطانية الفنستون . أما التهمة الموجهة الى الربان الثانى وهو محمد بن ماجد أحد المنشقين عن القواسم ، فلم تثبت التهمة عليه لعدم توفر الادلة ، وبالتالي فقد أعيد الى منطقة الخليج ليقوم زعيم قبيلته بتوقيع العقوبة عليه .

امضى هائل فترة الانتظار فى قاعدة باسيديو يفكر فى الكيفية التى يمكن بها منع تلك الحوادث فى المستقبل . ولا جدال فى ان الأسباب الاقتصادية ووليدة الحرب الطويلة بين قبائل بنى ياس والقواسم هى التى دفعت قبائل بنى ياس الى ممارسة القرصنة . ثم ان افتقارهم لمصايد اللؤلؤ فى عام ١٨٣٤ كان القشة التى قصمت ظهر البعير . ان اقتصاد القبائل الساحلية كان يعتمد فى المقام الأول على مواسم صيد اللؤلؤ السنوية وعلى الرحلات التجارية البحرية الى البصرة وبومباى ورنجبار والبحر الأحمر . واذا ما توقف هذا النشاط أو انخفض كنتيجة لما يحدث من اشتباكات بحرية بين هذه الدولات فان النتيجة تكون قاسية على

سكان هذه المناطق ، بل على تجارة الخليج عموماً . وكان تمرد بنى ياس أهم وآخر تمرد تقوم به هذه القبائل ، وإن كان أقسامها تعبيراً عن النتائج المشؤمة والخطيرة لحرية القبائل الساحلية فى إن تشن الحروب ومتى وكيف تشاء . كما أن هذا - التمرد قد أظهر السهولة التى يمكن أن يتحول بها هذا التمرد الى حروب مشروعة ، وكمثل على هذا التمرد موضوع محاصرة نائب السيد سعيد لمدينة صحار وتحوله الى عمليات للقرصنة ، غير انه لم يكن هناك أقل أمل فى أن توافق القبائل من تلقاء نفسها ، بالكف عن الاقتتال فيما بين بعضها البعض مهما كانت الفوائد التى قد تأتىها من ذلك ، وقد اثبتت التجربة أن الطريقة الوحيدة لارغام تلك القبائل على الحد من اندفاعها الى الحروب هى ان تقوم الحكومة البريطانية بفرض معاهدة صلح بحرى على هذه القبائل وتسوية الخلافات القائمة بينها . غير ان مجلس ادارة شركة الهند الشرقية كان حتى أغسطس ١٨٣٤ يعارض حكومة بومباى فى القيام بهذا الدور ومهما كان موقف مجلس الادارة فقد كان واضحاً على أية حال ، ومنذ أعوام عديدة أن الأحداث قد ترغم السلطات البريطانية فى النهاية على التحول عن سياسة الحياد التى كان قد وضعها مونستارت الفنسرتون والتزم بها المسئولون البريطانيون حتى ذلك الوقت . ولعل تمرد بنى ياس هو أحد تلك الأسباب التى فرضت نفسها .

وصل الشيخ شخبوط بن دياب والى الشيخ خليفة الى باسيدو فى منتصف شهر مايو لدفع التعويضات المستحقة على بنى ياس . وصادف وصوله وجود الشيخ سلطان بن صقر شيخ مشايخ القواسم الذى انتهز فرصة وجود المقيم فى باسيدو ليرهبه بمزيد من الشكاوى . وقد وجد

هانيل فى تواجد الزعيمين فرصة لتسوية الخلافات بين القواسم وبنى ياس ، مما يتيح للجانبين الاشتراك فى موسم صيد اللؤلؤ ١٨٣٥ كما تصور المقيم أنه فى الامكان اقناع الزعماء الآخرين على اجراء تسوية سلمية ، لهذا فقد بعث بطراد الى دى وعجمان لاحضار الشيخ عبيد بن سعيد شيخ ملاسة ، وراشد بن حمد شيخ النعيم . وكان هانيل يدرك تمام الادراك صعوبة التوفيق بين جميع الأطراف نظرا لأن مواقفهم متعارضة ، كما أن مطالب كل فريق من الفريق الآخر متطرفة بحيث كانت امكانية التسوية بينهم معدومة . فضلا عن ذلك ، كما اكتشف هانيل من مقابلتهم على انفراد ، انهم كانوا جميعا يصرون على أن تضمن الحكومة البريطانية أى تسوية تتم فيما بينهم . وبما أنه لم يكن فى وسع هانيل قبول هذا الشرط ، فقد اقترح عقد هدنة بحرية تمتد طوال موسم صيد اللؤلؤ سنة ١٨٣٥ . ولما كان هذا الاقتراح لا يلزمهم بالتخلى عن تحفظاتهم ويضمن لهم فى نفس الوقت الاستفادة من موسم الصيد ، فقد وافقوا عليه بدون تحفظ . وفى يوم ٢١ مايو وقع شيوخ المنطقة على أول معاهدة للهدنة البحرية . وقد نصت المعاهدة على الامتناع عن اللجوء للحرب اعتبارا من ٢٢ محرم ١٢٥١ - الموافق ٢١ مايو ١٨٣٥ الى ٢٩ شهر رجب ١٢٥١ الموافق ٢١ نوفمبر ١٨٣٥ ، كما تعهدوا بدفع قيمة التعويضات عن أية انتهاكات لهذا الاتفاق يقوم بها رعايا هذه الامارات ضد بعضهم البعض أثناء الفترة التى تكون المعاهدة سارية المفعول فيها ، والابلاغ عن أية انتهاكات من هذا القبيل الى المقيم البريطانى أو الى قائد أسطول الخليج ، ليقوم باجراء التدابير اللازمة فى الأمر ، كما تعهد شيوخ المنطقة بالتخلى عن القيام بأى اجراءات انتقامية ضد بعضهم البعض ، كذلك تعهد زعماء المنطقة بالعمل على تجديد هذه المعاهدة على أسس راسخة قبل (٤٠ - بريطانيا والخليج)

أربعة أسابيع من انتهائها ، أما اذا لم يقرروا تجديد المعاهدة وفضلوا
استئناف صراعاتهم فيتعين عليهم ابلاغ المقيم البريطانى بهذه النية
مسبقا (١)

على الرغم من ان الاتفاقية تشبه الى حد ما اقتراحات مالكولم لعام
١٨٢٨ التى تنص على اعتبار المصايد مناطق محايدة تكون بعيدة عن
الحروب البحرية القبلية ، كما أضافت نسا آخر يحظر الحروب لفترة محددة
كما حددت عقوبات لمن يرتكب أية مخالفة . لقد كان هانيل هو الذى
توصل الى فكرة الهدنة البحرية وأن الفضل فى ذلك يرجع اليه وحده .

ولقد حذر هانيل حكومته فى التقرير الذى بعث به اليها حول هذه
الاتفاقية ألا تتفاعل بها كثيرا . ولعل أهم ما فى الاتفاقية هو تعهد زعماء
المنطقة بالاحتكام الى السلطات البريطانية عند أية انتهاكات بدلا من
الانتقام بأنفسهم من بعضهم البعض . فاذا نجحت الاتفاقية فى أهدافها
فيمكن اقناع الشيوخ بالموافقة على تجديدها فى العام التالى . وكان
الخوف الوحيد على الاتفاقية، كما يتصور هانيل ، هو أن تعمد المشيخة الأقوى
فى الامكانيات البحرية كالقواسم الى الانتقام فى البحر عن اعتداء امارة أخرى عليها
فى البر . وبالإضافة الى ذلك فان المعاهدة لم تقض على الاشتباكات البحرية بين

(١) مجموعة مجلس الادارة مجلد ١٥٩٦ ، خطاب من هانيل الى

ماكناتن (السكرتير الاول لحكومة الهند) باسيدو ١٨٣٥/٥/٢٦ .

القبائل بشكل حاسم ، وبالتالي فقد كان من المحتمل أن تعاني التجارة البحرية من انعكاسات تلك الاشتباكات . وتأسيسا على هذا الاعتقاد فقد اقنع هانيل الشيوخ الموقعين على المعاهدة بالاعتراف بالخطوط الملاحية الرئيسية الواقعة على امتداد الساحل الفارسي كمياه دولية محايدة ، لا يحق لأى من سفن تلك المنطقة التواجد فى أى وقت من العام فى هذه الخطوط الملاحية ، ولضمان التزام الشيوخ بهذه التحديدات ، رسم هانيل خطا بين جزيرة موسى وجزيرة سرى باعتبارها الحد الجنوبي للمنطقة المحايدة ، وحصل على تعهد من كل شيخ بحصر صراعاتهم الى الجنوب من ذلك الخط .

وخلال شهر يناير التالى وبينما كان هانيل فى اجازة قام المقيم الجديد الماجور جيمس مارسون باعادة رسم الخط الفاصل وقد رأى أن يكون هذا الخط بعيدا عن الساحل الفارسي بعد أن نبه الضباط العاملين فى الأسطول بأن جزيرتى أبو موسى وسرى هما قواعد مشهورة للقراصنة ، وأصبح الخط الجديد يمتد من قشم على الجانب الغربى من شبه جزيرة مسندم الى نقطة تبعد عشرة أميال جنوب أبو موسى امتدادا منها الى جزيرة سر أبو نعيم . وعند ابلاغ سلطان بن صقر بهذا التعديل ، احتج عليه بأنه قد يمنعه من ارسال سفنه حول رأس مسندم الى خليج عمان للدفاع عن ممتلكاته الواقعة فى خور فكان . وقد رفض موريسون احتجاجه بشدة وذكره بأن استيلاءه على خور فكان قد تم نتيجة الاضطرابات التى وقعت فى عمان فى اواخر ١٨٣٤ . وقد كان السبب الحقيقى وراء رفض موريسون احتجاج سلطان بن صقر كما ذكر موريسون لرؤسائه هو أن التعديل سوف يخلق تماما اكثر جوانب خط

الملاحه تعرضا لسفن القواسم ، كما أنه فى نفس الوقت يمنح سلطان مسقط بعض الضمان ضد اعتداءات القواسم على سفنه .

. وقد التزم الاطراف بالمعاهدة بشكل مرض دون وقوع أى انتهاك لها حتى نهاية العمل بها فى ٢١ نوفمبر . ومن جهة اخرى لم يظهر شيوخ المنطقة أى بادرة لتقدير مزايا الاتفاق او الرغبة فى تحويله الى نظام دائم . وقد جاءت ساعة الاختبار بعد ٢١ نوفمبر عندما أصبح الشيوخ احرارا فى استئناف صراعاتهم البحرية . وقد انقضى شهران دون أن تبدو أى دلالة على استعدادهم لتنفيذ ذلك .

وفى الربيع استفسر موريسون من هؤلاء الشيوخ عما اذا كانوا راغبين فى تجديد اتفاقية الهدنة للموسم القادم لصيد اللؤلؤ ، فردوا بالايجاب ، وتم التوقيع على الاتفاقية الجديدة يوم ١٣ ابريل ١٨٣٦ . وهى لا تختلف عن الاولى الا من حيث مدتها التى لم تتجاوز ثمانية أشهر ، واشترك فيها بالاضافة الى الزعماء الموقعين عليها سابقا شيخ ام القوين وكان قد تعذر اشترك هذا الشيخ فى الاتفاقية الاولى بسبب اعتراض حاكم راس الخيمة الذى أصر على أن ام القوين تابعة له . وباشترك شيخ ام القوين أصبحت للاتفاقية تشمل توقيع جميع الزعماء الرئيسيين الذين وقعوا على معاهدة ١٨٢٠ البحرية ، باستثناء شيخ البحرين . وكانت الأسباب المباشرة لعدم اشترك البحرين فى معاهدتى ١٨٣٥ و ١٨٣٦ ذات شقين ، ففى المقام الاول لم تكن النية متجهة الى اشراك دول كالبحرين والكويت اللتين لم تمارسا القرصنة . اما السبب الثانى والاهم فهو احتمال قيام السيد سعيد من جديد باحتلال البحرين ، مما قد يضع الحكومة البريطانية فى موضع حرج من الالتزام بارغام السيد سعيد بالانسحاب ، ومما يثير الغرابة أن نقول

بأن الخلافات الداخلية فى البحرين أصبحت الخطر الأكبر الذى يهدد الأمن فى مياه الخليج فى الأعوام التى تعقبت عام ١٨٣٥ . كان الشيخ عبد الله بن أحمد الحاكم الوحيد فى البحرين بعد وفاة ابن أخيه وشريكه فى الحكم خليفة بن سلمان فى شهر مايو ١٨٣٤ . ولكن حكومة عبد الله كانت ضعيفة جدا ، كما كانت سلطته على أنجاله الأقوياء وأقاربه واهية ، مما ألقى بالبلاد من الالتزام بارغام السيد سعيد بالانسحاب ، ومما يثير الغرابة ان نقول فى خضم المشاكل والاضطرابات . فقد تدهورت اوضاع المناطق ، كما نهارت حالة التجارة فجأة ، وتضاعفت الهجرة الى درجة خطيرة لأن الكثيرين من السكان قد تركوا البلاد هربا من اضطهاد آل خليفة . وفى عام ١٨٣٥ ثارت قبائل آل بو على وآل بوعينين سكان هديلة على ساحل قطر ضد عبد الله . وقد تم تليفق نوع من الصلح عن طريق السيد هلال أكبر انجال السيد سعيد ، غير أن هذا الاتفاق سرعان ما انهار بعد أن قام أحد افراد اسرة عبد الله بشن هجوم على هديلة ، واغراق احدى سفنها ، وقتل احد اقارب زعيم آل بوعينين عيسى بن طارق . وعندما تقدم الشيخ بطلب التعويض من الشيخ عبد الله لم يحصل منهم على أكثر من تعهد بعدم تكرار مثل تلك الأعمال . وقد قام عيسى بن طارق وآل بوعلى وآل بوعينين بفك تحالفهم مع البحرين وهاجروا جماعات الى أبو ظبى فى أواخر تلك السنة احتجاجا على ما تعرضوا له من ظلم حكام البحرين (١) ، فى هذا الوقت كانت مدة اتفاقية الهدنة الأولى قد انتهت . وكان هناك احتمال أن يتخذ خليفة بن شخبوط من وجود اللاجئين

(١) مرفق للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٧ المؤرخ ١٨/٥/١٨٣٩ ملخص من اعداد ويلوبى (السكرتير السياسى للحكومة) للنزاع بين عبد الله بن احمد وعيسى بن طارق بومباى ١٨٣٩/٢/٢٥ . ودليل الخليج ص ٥/٧٩٤ لوديمر .

فى مشيخته حجة للهجوم على البحرين وسفنها . ولكن خليفة فى ذلك الوقت كان فى حالة نفسية سيئة بسبب العقوبات التى وقعت عليه فى العام السابق ، وان كان على أية حال غير ملزم بموجب نصوص اتفاقية الهدنة بعدم مهاجمة المشيخات غير المشتركة فى التوقيع على المعاهدة . وقد دفعت نتائج احتمال نشوب صراع بين ابوظبى والبحرين ، الماجور موريسون ، وكان قد فرغ من ادخال بعض التعديلات على الخط الملاحي الفاصل فى شهر يناير ١٨٣٦ الى استمرار العمل بموجب الخط شمال غرب المنطقة وبذلك تم وضع خط حاجز بين المنطقة الخطرة بالقرب من البحرين وخط الملاحة الدولى . ولهذا فقد صدر بلاغ الى شيوخ المنطقة يفيد بمد الخط الفاصل الى ما وراء جزيرة سراىو نصير من خلال جزيرة هول الى نقطة تبعد عشرة اميل من رأس فكان ، على طرف شبه جزيرة قطر ومنها الى جزيرة القرين حتى رأس الزور على الساحل الغربى أسفل الكويت وقد تم ابلاغ الشيخ عبد الله بالتعديل وطلب اليه اعلان موافقته الخطية على رسم الحدود الجديدة ، وقد نفذ عبد الله الطلب يوم ٢٦ مارس ١٨٣٦ وكان يبدو غربيا بعض الشيء ان يكون الحاكم الذى استبعد من اتفاقية الهدنة أول الموقعين رسميا على تعديل الخط الملاحي . وقد دار بخلد أعضاء مجلس ادارة الشركة عند استعراضهم للتركيب الذى قام عليه نظام الهدنة فى الخليج ان يوجهوا رسالة فى شهر سبتمبر الى حاكم بومباى لاستطلاع رأيه فى تجميع كافة شيوخ المنطقة الموقعين على اتفاقية ١٨٣٥ ، ١٨٣٦ لتقديم تعهد رسمى باحترام الحدود الجديدة لخطوط الملاحة فى الخليج . وقد رد هانيل الذى كان قد عاد الى الخليج كمقيم بالوكالة فى بداية ١٨٣٧ بأنه ليس من المناسب استعمال شيوخ المنطقة فى تبديل تقاليدهم البحرية بهذه السهولة ، وراى الاكتفاء فى البداية بنظام الهدنة المعمول به ، وقال بأنه ليس ثمة أية فائدة من استفزاز

الشيوخ بمثل هذه الاقتراحات • وبدلا من ذلك عرض هانيل اقتراحا مضادا يقوم على اقناع زعماء المنطقة عند انتهاء اتفاقية الهدنة بالموافقة على احترام الحدود الدولية للملاحة والتوقيع على تعهد بهذا . وقد تمت الموافقة على الاقتراح من جانب كل من حكومة بومباي ومجلس ادارة الشركة (١) .

وفى منتصف ١٨٣٨ قرر عبد الله بن احمد القيام بمحاولة لارغام المتمردين من آل بنى على وآل بوعينين على العودة الى ديارهم ليكونوا تحت سلطته ، غير ان هانيل حاول أن يمنعه من ذلك ونبهه الى أنه على الرغم من أن عيسى بن طارق وخليفة بن شخبوط لا يستطيعان تأليف قوة بحرية لشن هجوم على البحرين ، الا أنه فى وسعهما الحاق الضرر بتجارة البحرين الى حد كبير • وعلى امتداد عامين ظل هانيل والماجور موريسون يكبحان جماح عيسى واتباعه من القيام بعملية انتقامية من عبد الله عن طريق مهاجمة سفن البحرين التجارية . كما ان عبد الله من ناحيته لم يبذل أى محاولة لتسوية خلافاته مع المتمردين من رعاياه بل أستمر يرفض بشدة تعويضهم عن الاضرار التى لحقت بهم • وبالتالي فقد نبه هانيل عبد الله بأنه لم يعد يرى سببا فى الاستمرار فى منع عيسى بن طارق من اللجوء الى القوة لاسترداد حقه ، وأنه بالتالى ينفذ يده من النزاع وعلى الرغم من أن عبد الله قد فوجيء بموقف هانيل المتصلب الا أنه لم يعدل عن المضى فى خطته للانتقام من

(١) التقارير السرية الى حكومة بومباي من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨٣٧/٩/٥ ومجموعة المجلس رقم ٧٢٤٦٣ مجلد ١٧٦٧ من هانيل الى ويلوبى بوشهر ١٨٣٨/٥/١٥ ومن ريد (السكرتير السياسى لحكومة بومباي) الى هانيل ١٨٣٨/٧/١١ •

عيسى بن طارق . فبدل عبد الله محاولة ماكرة ، فعرض على هانيل ان يوافق على اعفائه من الالتزام بالخط الملاحي الفاصل فى موضوع نزاعه مع زعيم آل بنى على . وكان يريد استغلال حرص المقيم على قضية أمن المنطقة مما يضطره الى منع نشوب اصطدام بين عبد الله وخصمه فيضطر هانيل الى اقناع عيسى بالعودة الى المنطقة . ولكن يبدو ان عبد الله قد أساء فهم المقيم . وكان خليفة من جهة اخرى قد أبلغ هانيل فى وقت مبكر بأنه لم يكن يؤيد نشوب قتال بين عيسى وشيخ البحرين ، وبالتالي فان خطر انفجار صراع واسع فى الخليج لم يكن موضوعا واردا . وعليه فقد ابلغ هانيل شيخ البحرين ، أنه بالنظر الى سلوكه المرن منذ عام ١٨٢٠ فليس مطلوبا منه ان يلتزم بمراعاة الخط الفاصل . ثم عندما يؤس عبد الله من خلافه مع عيسى طلب من هانيل أن يدبر نوعا من التسوية بينه وبين خصمه ، وقد وافقه المقيم ، الا أن المفاوضات بين الطرفين توقفت بسبب اصرار عبد الله على أن تعلن الحكومة البريطانية ضمانها لاية تسوية يتم التوصل اليها . غير ان هانيل رفض هذا الطلب على أساس المبادئ التى يلتزم بها ، حسبما ابلغ هانيل رؤساء بذلك ، و اشار الى خطأ السماح للمتمردين بترك مواطنهم بالجوء الى بلد معاد يقومون منه بشن الاعتداءات على حاكمهم الشرعى . وقد نشبت الحرب بين عبد الله وعيسى بن طارق فيما بعد ، وكان لها تأثير مدمر على تجار البحرين واصحاب السفن فيها اكثر مما كان على عيسى بن طارق واتباعه . وكان القتال لايزال مستمرا بين الشيخين عندما ظهر خورشيد باشا على مسرح الأحداث فى شبه الجزيرة العربية ، وخوفا من احتمال غزو مصرى لبلدهم وجه تجار البحرين نداء الى هانيل يناشدونه العمل على انتهاء الصراع بين الطرفين حتى تتمكن البحرين من توحيد قواها الوطنية للوقوف فى وجه المصريين . وعند زيارة ادموندز مساعد هانيل للبحرين فى شهر مارس

١٨٣٩ (١) ، كانت لديه تعليمات لمحاولة تسوية الخلاف بين عبد الله وعيسى بن طارق ، ولكن محاولاته اصطدمت بإصرار شيخ البحرين على ضمان الحكومة البريطانية للتسوية بصورة إجبارية (٢) . ولما كانت السلطات البريطانية فى الهند حريصة على منع انتشار النفوذ المصرى بين القبائل العربية الساحلية ، وعلى الأخص فى البحرين فقد كانت على استعداد بالرغم من معارضة هانيل على ارغام عيسى بن طارق للعودة الى تحالفه السابق مع شيخ البحرين . غير أنها لم تحصل على التأييد لهذا الموقف من إنجلترا ، حيث عارض هوب هاوس الفكرة باعتبارها غير سليمة . وأثنى على تراجع هانيل عن الرسالة وأضاف هوب هاوس . . . أننا لا نرغب فى أن تتحمل الحكومة البريطانية اى مسؤولية حول مسلك الاطراف المعنية سواء فى البحرين أو على الساحل الغربى لأنها لا سلطان لها على ذلك ، فضلا عن انها لا تملك الوسائل الفورية والفعلية لمثل هذا التدخل وقد صدقت تنبؤات هوب هاوس فانجاز عبد الله بن احمد الى جانب المصريين ، وقد وضعت نهاية لهذه الحالة المؤلمة بإبرام اتفاق بين عبد الله والشيخ خليفة حاكم أبوظبي ، تعهد فيه الشيخ خليفة بارغام عيسى بن طارق بوقف نشاطاته المعادية وأن يبحث له عن مكان آخر يلجأ اليه بعد انتهاء موسم صيد اللؤلؤ ١٨٣٩ . وفى اواخر العام

-
- (١) مسودات المجلس ، التقارير السرية الى الهند مسودة الى الحاكم العام ١٨٣٩/٩/٣ (رقم ٤٠٣) انظر ايضا نفس الحلقات مجلد ١٠ مسودة الى الحاكم ١٨٣٩/٧/١١ .
- (٢) نفس المصدر مجلد ١٩ خطاب سرى رقم ٥ فى ١٨٤٠/١/٣١ من هانيل الى ريد ١٨٣٩/١٢/٢٧ (الادارة السرية رقم ١٤٠) ودليل الخليج تأليف لوريمر ص ٨٦١ .

أبلغ عيسى بن طارق بأنه يود أن يستقر هو وأتباعه في جزيرة قيس على الساحل
الفارسي .

وخلال العامين الأولين من إبرام معاهدة الصلح كان للمعاهدة دور
كبير في تحسين الظروف الاقتصادية للمنطقة رغم أن أصحابها لم يدركوا
تلك الحقيقة بسهولة . وعند وصول هانيل إلى المنطقة في شهر إبريل من
عام ١٨٣٧ للتهدئة لتجديد المعاهدة لثمانية شهور أخرى وجد شيوخ القرصنة
أو شيوخ الهدنة كما أصبحوا يعرفون الآن (١) متلهفين لتجديدها ، والواقع
أن الشيخ سلطان بن صقر شيخ القواسم الذي ظل أتباعه يرهبون منطقة
الخليج بأعمالهم ، أصبحوا الآن من أشد المتحمسين لتجديد المعاهدة . وعلى
أثر تجديد المعاهدة لسنة ١٨٣٧ مباشرة أوفد الشيخ سلطان بن صقر مبعوثا
إلى هانيل يقترح أن يقوم هو وزملاؤه الشيوخ الآخرون بعقد اتفاق لإنهاء
الصراعات البحرية بينهم إلى الأبد . وكان غرض سلطان الرئيسي من الاقتراح
هو ضمان سلامة السفن التابعة له والتي كانت تبصر إلى الهند خلال موسم
الرياح الشمالية الشرقية ولا تتمكن من العودة قبل انتهاء صلاحية المعاهدة
في شهر نوفمبر من كل عام . وقد رد هانيل على مبعوث الشيخ بأنه شخصيا
لا يملك الصلاحيات لعقد مثل هذا الاتفاق ، وأنه لا يعتقد بأن حكومته ستكون
على استعداد للقيام بدور الحكم في كل نزاع ينشب بين القبائل الساحلية .

(١) لم يبدأ استعمال هذا التعبير قبل أواخر القرن ، وإن كنا لانستطيع
أن نحدد تاريخ استعماله بالضبط . وحسب معلومات المؤلف إن المقيم
السياسي اللفتينانت كولونيل روس هو أول من استخدم هذا اللفظ في
التقرير السنوي للممثلة في الخليج عام ١٨٧٥ - ١٨٧٦ .

- ٦٣٥ -

ولقد كان هانيل مصيبا فى تصويره ، قفى شهر نوفمبر عام ١٨٣٧ أكد اوكلاند الحاكم العام بشكل قاطع بأنه لا يرغب فى ان تلتزم حكومته بالتدخل فى كل نزاع ينشب بين هذه الاقطار ، ولكنه يحتفظ بالحق فى التدخل او عدم التدخل حسبما تقتضيه المصلحة .

غير ان سلطان بن صقر لم ييأس فعندما زار هانيل منطقة الساحل فى شهر أبريل ١٨٣٨ عاد الى طرح الفكرة عليه . وللمرة الثانية رفض المقيم التزام حكومته بمثل هذه التدابير التى اقترحها . وأضاف بان سبب نجاح معاهدة الصلح يعود الى النص الوارد فيها والذي يكفل للشيوخ الموقعين حرية العودة الى ممارسة صراعاتهم عند نهاية موسم الصيد وان وضع أى حجر على هذا البند سوف يؤدى الى حزازات جديدة بينهم ، فاذا كان حرص الشيخ سلطان يقتصر على سلامة سفن القواسم وضمن عودتها من الهند كل عام ، فيمكن تبديد مخاوفه ، حسب اقتراح هانيل بتجديده صلاحية الاتفاقية من ثمانية أشهر الى عام كامل . وقد وافق سلطان على هذا الاقتراح ، وتم حصول موافقة بقية الشيوخ ، وبالتالي فقد تم اعداد اتفاقية سنوية جديدة ووقع عليها يوم ١٨ ابريل ١٨٣٨ ، ومنذ ذلك الوقت كان يتم تجديد المعاهدة سنويا فى ربيع كل عام .

واعتبارا من عام ١٨٣٥ حتى ١٨٤٣ لم يرتكب اهالى المنطقة أى حادث قرصنة يستوجب تدخل السلطات البريطانية فى الخليج . وفى صيف عام ١٨٣٩ نشب القتال فى مصايد اللؤلؤ بين قبائل بنى ياس سكان البوظبى وقبائل آل بوفلاسه سكان دبى ، ادى الى توقف العمل فى منطقة المصايد وارسال طراد بريطانى الى المنطقة للتحقيق . وقد عادت أعمال صيد اللؤلؤ بعد توجيه تحذير الى الشيوخ المعنيين وبأن يعملوا على السيطرة على

رعاياهم ، وفى ربيع ١٨٤١ استوجب ارسال طراد الى دبی وعليه قوة للعمل على رد ثلاث سفن لأبوظبى ، استولى عليها بعض افراد من قبيلة القبيسات ، وكانت قد انشقت عن قبيلة بنى ياس ولجأت الى دبی ، وقد أدى اطلاق بعض الاعيرة النارية فى اتجاه دبی الى ارغام شيخها مكتوم بن بطى الى اعادة السفن الى اصحابها . وكلا الحادثين كان حصيلة عداوة مريرة بين بنى ياس سكان أبوظبى وحكامهم آل بوفلاح وآل بوفلاسه سكان دبی . ولعل اخطر الجرائم التى اقترفت فى مياه الخليج فيما بين عام ١٨٣٥ و ١٨٤٣ هى الاعمال القرصنية التى تمارسها عناصر من خارج المنطقة ، أو التى تقطن على اطرافها البعيدة . وقد انشق فرع القبيسات من قبيلة بنى ياس عن أبوظبى فى عام ١٨٢٣/١٨٣٦ تهربا من دفع حصتهم من التعويضات التى فرضت على القبيلة المذكورة عن تمرد ١٨٣٥ ، ولكى يكونوا فى حل من ممارسة اعمال القرصنة . وقد استقر بهم القرار فى خور العديد على الحافة الشرقية لقطر ، حيث اقاموا مستوطنات لهم تحولت بسرعة الى قاعدة للقرصنة . وحتى يفهم هؤلاء وغيرهم بأن المناطق المنزوية أو الخطيرة على الجنوب الشرقى من قطر لايمكن ان تؤمن لهم حماية من الهجوم عليهم هناك . فقد أرسل هانيل فى عام ١٨٣٦ ثلاث سفن حربية للابحار بالقرب من الساحل الشرقى لقطر . وقد رست السفن فى الدوحة ، والوخرة ، والعديد ، وأخذت تعهدات من شيوخها بانهم سوف يصادرون أى سفينة تقترب عملا من أعمال القرصنة وتلجأ الى مناطقهم ، والا فعليهم أن يدفعوا غرامات عن ذلك .

وفى شهر مايو ١٨٣٧ قام خليفة بن شخبوط بعد استئذان المقيم بهجوم على العديد وقتل خمسين من سكان المستوطنة وتفرير الباقي وتدمير

مساكنهم . وقد فر عدد من القبيسات الى الدوحة ومنها الى ديبى . وقد
امكن فى النهاية التوفيق بينهم وبين الشيخ خليفة فعادوا الى ابوظبى .

كان جاسم بن جابر أخطر قرصان عرفته المنطقة خلال هذه الفترة
وكلن يتخذ من الدوحة وغيرها من القرى الواقعة على الساحل الشرقى لقطر
قاعدة لنشاطه . وعلى اثر ارتكاب قاسم بن جابر لأبشع عملية قرصنة ،
عبأ المقيم أسطول الخليج كله بقيادة الكومندور بركس على ظهر سفينة
القيادة سيسو تريس ، وقد أبحر الأسطول فى شهر فبراير ١٨٤١ الى
الدوحة مزودا بتعليمات لفرض تعويض على جاسم بن جابر لضحاياه أو
لورثتهم . وقد رفض جاسم فى البداية الامتثال ، ولكنه عاد فغير رأيه
بعد أن أندر هانيل سكان قريته بأخلائها باطلاق بعض القذائف على حصن
القرية .

لقد جرت العادة منذ أواخر العشرينات للقرن التاسع عشر أن يقوم
المقيم البريطانى فى الخليج بجولة سنوية على الجانب الغربى للخليج ،
وكانت هذه الجولة تتم عادة فى فصل الربيع من كل عام . واعتبارا من عام
١٨٣٦ أصبح الغرض من جولة المقيم فى المنطقة هو العمل أساسا على تجديد
اتفاقية الهدنة . وفى الحالات التى تدب فيها الصراعات والخلافات بين
المشاركين فى المعاهدة فان المقيم يصطحب معه فى جولته أسطول الخليج .
وكان كثيرا ما يطلب منه التدخل فى حل خلافات الشيوخ وأحيانا يضطر
الى تدخله اذا احس بأن أمن الخليج يتعرض للخطر ، غير ان تدخله هذا
لم يتخذ فى أى وقت من الاوقات مجال الوساطة ، لان الحكومة البريطانية
ظلت ترفض باستمرار حشر نفسها فى موضوع فرض التسويات التى يتم
التوصل اليها ، فقد كان شبح الحملة على قبائل بنى بو على لايزال ماثلا

أمامها من عواقب التورط فى السياسات الداخلية لعرب المنطقة . وكان المقيم يستقبل ضيوفه من حكام المنطقة على ظهر الطراد ، حتى لا يثير احراجا لى منهم فيما لو زار أحد الحكام ولم يزر الحكام الآخرين . كما كان هناك سبب آخر لهذه الاحتياطات ، وهو العمل على تقليل وقوع حوادث ، قد تؤدى الى تورطه شخصيا وتكون لها نتائج محرجة .

وفى كل الجولات كان المقيم حسب التقاليد يأخذ معه بعض الهدايا لتقديمها للشيخ وكانت أغلب هذه الهدايا تتكون من النقود والشيلان والمسدسات وقماش للعباءات وبعض البارود . كما بذلت جهود لتلبية بعض طلبات الشيخ كالبوصلات والسيوف والمناظير ، كما كان طبيب الطراد يلبى طلبات الشيخ الذين كانوا يبعثون بطلبات لصيدلية الممثلة لحصولهم على عقاقير وأدوية منشطة للجنس، وكان العمل يتطلب ان يقوم احد الطرادات التابعة لاسطول الخليج بجولة فى خلجان اللؤلؤ خلال الموسم . كما كان المفروض أن يتواجد طراد فى مناطق الصيد طوال فترة الموسم ، غير أن الامكانيات لم تكن تسمح بذلك وبسبب كثرة المشتركين فى أعمال الصيد ، والذين قد يصل عددهم الى ٤٠ ألف عامل فى ذروة الموسم كانت المحافظة على النظام فى منطقة الصيد عن طريق تنظيم زيارات دورية للطرادات غير ممكنة ، وفى جولة قام بها بركس فى أحواض الصيد فى شهر اغسطس من عام ١٨٤١ قدر عدد السفن المشتركة بنحو ٢٤٠٠ الى ٢٥٠٠ سفينة تعمل عبر مساحة تمتد من البحرين الى جزيرة سر بنى ياس . ويعمل فيها ما لا يقل عن ٣٧ الفا الى ٣٨ الف رجل (١) وعلى الرغم من انخفاض عدد الحوادث خلال

(١) من مرفقات حكومة بومباى السرية مجلد ٣٦ مرفق للخطاب السرى رقم ٧٩ المؤرخ ١٨٤١/٩/٣٠ من بركس الى هانيل ١٨٤١/٨/٢٥ لقد لاحظ=

هذه المواسم الا انها كانت تقع فى بعض الأحيان ، ويحدث هذا عندما يحاول بعض العمال الهرب من الشيخ الذى يعمل معه الى شيخ آخر من غير أن يرد له السلفة التى كان قد حصل عليها فى بداية الموسم . كما يحدث أيضا عندما ينتهز أحد شيوخ المنطقة فرصة خلو احدى المشيخات من سكانها خلال موسم الصيد فيشن هجوما على تلك المشيخة وقد وقع حادث من هذا النوع فى عام ١٨٤١ عندما اعتدى الشيخ خليفة حاكم ابوظبى على مشيخة دبى ، وقام بنهبها ، وكانت فى ذلك الوقت شبه خالية من السكان . وعلى اثر ذلك طلب حاكم دبى الشيخ مكتوم مساعدة من القواسم فى كل من الشارقة وراس الخيمة ، غير ان الشيخ خليفة رد على هذا الاجراء بشن هجوم آخر على القواسم وقد امتد حتى الشارقة وقد اضطرت اغلبيه سفن القواسم الى نرك المصايد والعودة الى بلادهم للدفاع عنها كما بعث شيخ القواسم فى لنجة ب ١٠٠ من رجاله فى محاولة لمساعدة اخوانه القواسم .

وقبل وقوع هذا الحادث بوقت قصير كانت حكومة الهند قد اقترحت على المقيم البريطانى فى بوشهر وضع صيغة لاتفاقية جديدة بصلاحيه لمدة اطول ، وذلك على أساس النجاح الذى حققته اتفاقية عام ١٨٣٥ على ان تكون الاتفاقية الجديدة شبيهة بالاتفاقية التى اقترحها الشيخ سلطان بن

==بركس بالنسبة لهذه المصايد كثرة عدد السفن المشتركة فيها من دبى وعدد قليل من البحرين ، الأمر الذى يعود الى الاضطرابات الداخلية فى الجزيرة وهو يذكر بهذه المناسبة ان مجموع ما أرسلته كل من البحرين وقطر من السفن نحو ١٥٤٠ فى عام ١٨٢٦ بينما لم يتجاوز عدد السفن فى عام ١٨٤١ ٥٧٣ سفينة .

صقر فى عام ١٨٣٧ ، غير أن هانيل رأى عدم المضى قدما فى هذا المشروع لنفس الأسباب التى أدت الى وقوع الصدام بين كل من أبوظبى من جهة والشارقة ودبى من جهة اخرى . وكانت القيود التى تضمنتها هذه الاتفاقية البحرية تشكل عبئا على القواسم الذين تعتمد قوتهم العسكرية على امكانياتهم البحرية ، عكس بنى ياس الذين تعتمد قوتهم العسكرية على امكانياتهم العسكرية البرية ، فبمقتضى هذه الاتفاقية يحق لحاكم أبوظبى اعلان الحرب على القواسم الذين يشكلون قوة عسكرية أضعف من قوته ، بينما لا يحق للقواسم الذين يتفوقون عليه فى البحر ان يعتدوا على بنى ياس فى البحر ، وقد استطاع الشيخ خليفة ان يكبح جماح اتباعه خلال العامين أو الثلاثة أعوام الماضية من الانتقام من القواسم عن طريق تذكيرهم بالفرص التى سوف تنهأ لهم فى نهاية صلاحية الاتفاقية السنوية غير انه ما تكاد تنتهى صلاحية الاتفاقية ويجنى الجميع الفوائد الكثيرة من الموسم الوفير حتى يطفى هذا العامل على الحروب القبلية ، الأمر الذى يتيح لهذا الحاكم من تجديد اتفاقية الهدنة عاما آخر ، وكان هانيل يتصور بأن مد أجل الاتفاقية الى فترة اطول قد يحرم القبائل من ذلك الأحماس بالحرية فى شن الحروب البحرية على بعضها البعض متى حان الوقت ، كما قد يتسبب فى حدوث مزيد من الانتهاكات للاتفاقية .

وقد ادركت حكومة بومباى أهمية آراء هانيل حول هذا الموضوع ولم تحاول أن تعطى الموضوع أهمية اكثر . غير ان مجلس الهند كان له رأى آخر ، فقد أبلغ حكومة بومباى فى سبتمبر ١٨٤١ أنه يؤيد مشروع عقد اتفاقية تكون مدة صلاحيتها اطول ، كما ذكر بأنه يتطلع الى اليوم الذى يفكر فيه الشيوخ فى أن تشمل الاتفاقية الصراعات داخل المنطقة وتمثل للوساطة

البريطانية ، والتي لن ترفضها الحكومة البريطانية لأسباب تتعلق بمصالحها مع عدم التورط فى تدخلات عسكرية ، وعلى أى حال فان هذا التحول الجذرى عن السياسة السابقة يمكن ارجاعه الى مسلك الشيوخ ابان الحملة المصرية على شرقى الجزيرة العربية خلال عام ١٨٣٦ و ١٨٤١ . كما يرجع بشكل مباشر الى الاهتمام الذى يوليه بالمرستون وهوب هاوس لشئون الخليج ، وعند وصول تعليمات المجلس الى الهند كلف اللفتنانت كولونيل اج . دى روبرتسون - لان هانيل قد سافر فى اجازة - بجس النبض لشيوخ المنطقة بالنسبة الى مد صلاحية الاتفاقية . غير أن تحريات روبرتسون اقنعتة بأن الوقت لم يحن بعد لاجراء كهذا . فلقد كان الشيخ خليفة بن شخبوط الذى كان فى حرب برية مع القواسم فى الشارقة ورأس الخيمة فى شتاء ١٨٤١ - ١٨٤٢ كان لايزال يعانى من فشله فى تلك الحرب ، ولهذا لم يكن فى حالة نفسية تسمح له بالموافقة على مد صلاحية الاتفاقية سواء من حيث الزمان أو المكان .

وقد تولى هانيل هذا الموضوع بعد عودته الى الخليج ١٨٤٢ . ففى شهر مارس من ذلك العام اوفد مساعده اللفتنانت كامبل الى ساحل الهدنة للتأكد مما اذا كان شيوخ المنطقة وعلى الاخص الشيخ خليفة بن شخبوط ، قد غيروا رأيهم بشأن المعاهدة . وقد اكتشف كامبل بأن جميع الشيوخ بما فيهم الشيخ خليفة قد ابدوا رغبتهم فى عقد اتفاقية جديدة تكون مدتها عشر سنوات حسب الاقتراح الذى عرض عليهم . وفى اليوم الاول من يونيه ١٨٤٣ تم توقيع اتفاقية لمدة عشر سنوات بحضور هانيل . وبموجب نصوص هذه الاتفاقية تعهد الشيوخ بمراعاة شروط الهدنة فى الخليج لمدة عشر سنوات من تاريخ توقيعها ، كما تعهدوا بالنظر فى ابرام اتفاق دائم بعد انتهاء صلاحية

الاتفاقية أو بمد صلاحيتها ، كما تعهد كل شيخ من الموقعين على تلك الاتفاقية بدفع تعويضات عن أية أضرار تنجم عن اعمال يرتكبها رعاياه فى مياه البحر من أى طرف آخر مثيرك فى تلك الاتفاقية ، وكذلك الامتناع عن القيام بأعمال انتقامية ضد بعضهم البعض وباحالة أى مخالفة أو اعتداء الى الحكومة البريطانية لتتولى البت فيه باعتبار الحكومة البريطانية الطرف الضامن للاتفاقية . ويمكن للانسان أن يستشعر مدى مساهمة هانيل فى وضع صيغة هذه الاتفاقية من قراءة البند الرابع والأخير من الاتفاقية الذى ينتهى بالقول : « انه فى حالة عدم التوصل الى حل بالنسبة لأى من المشكلات فاننا نتعهد باعلان موقفنا هذا الى المقيم البريطانى واخطاره بعدم رغبتنا فى تجديد الاتفاقية عند انتهاء صلاحيتها أى فى شهر مايو ١٨٥٣ (١) .

لم تتضمن الاتفاقية أى اشارة الى الاشتباكات التى تقع فى البحر ، وقد اوضحت الحكومة البريطانية موقفها عند توقيع المعاهدة على انها مرتبطة فيما يتعلق بمنع الاشتباكات فى البحر ، وأما فيما يتعلق بالاشتباكات التى تنشأ بين القبائل على البر ، فان بريطانيا لا علاقة لها بها ولن تتدخل فيها ، كما أنها قد اوضحت للمشاركين فى المعاهدة بأنها لا تعتبر ان الاتفاقية تنطبق على الاعتداءات التى تقع على السفن فى البر أو من الخلجان أو البحيرات أو ضد السفن المسحوبة على الشاطئ ، كما كانت هناك نقطتان أخريان فى

(١) كتاب المعاهدات ص ١٣٤ - ١٣٥ تأليف اتشيسون الموقعون على هذه الاتفاقية هم سلطان بن صقر حاكم الشارقة ورأس الخيمة خليفة بن شخبوط حاكم أبو ظبى ، مكتوم بن بطى حاكم ديبى ، عبد العزيز بن راشد حاكم عجمان وعبد الله بن راشد حاكم أم القيوين .

حاجة الى ايضاح ، ونعنى بهما نقل الأسلحة بالسفن وحق كل حاكم فى اعادة احد مواطنيه ممن يكون قد هرب ولجأ الى حاكم آخر من حكام المنطقة . أما بالنسبة لنقل الأسلحة بالسفن فقد تم حظر هذا لأنه يبرز للخصم الهجوم على تلك السفن التى تستعمل لهذا الغرض ، الأمر الذى يشكل انتهاكا لاتفاقية الهدنة . أما النقطة الأخرى فتتعلق بمشكلة المديونين الذين يتركون دائنيهم من اصحاب السفن تهربا من رد السلف التى يحصلون عليها فى مستهل موسم الصيد . وعلى اى فان التدخل فى الحقوق التقليدية والحد من ممارسة تلك الحقوق سواء عن طريق ارغام المدين على العودة ، أو بمنع حاكمه من اعتقاله فى أحواض الصيد عند نهاية الموسم ، كما يحدث غالبا ، فان ذلك يشكل نوعا من التدخل فى الشؤون الداخلية للمشيوخ الأمر الذى لم يكن هاتيل يحبذه فى تلك المرحلة من الظروف . لأن ذلك قد يحرم رجال القبائل من ضمانات هامة ضد ملاحقتهم من حكامهم .

ان نجاح نظام الهدنة منذ بداية عام ١٨٣٥ انما يعود الى حد كبير لصبر ودأب ومهارة صمويل هاتيل ، فلقد وفق هذا الرجل فى تحقيق بداية لحل مشكلة تطويق الحروب البحرية فى الخليج ضمن نطاق محدود ، حتى لا تؤدى انعكاستها الى الأضرار بالملاحة البرية فى المنطقة ، وكان عند تطبيق هذا الحل حازما ولبقا فى نفس الوقت . أن الفرق الجوهرى بين اتفاقية الهدنة والمعاهدة العامة لسنة ١٨٢٠ هو ان الأولى كانت تهدف الى منع القرصنة بالقضاء على أسبابها . وذلك بمنع الجروب البحرية ، بينما كان هدف المعاهدة العامة هو القضاء على القرصنة عن طريق فرض العقوبات على ممارسيها . وعلى أية حال فان المعاهدة العامة تعتبر مرحلة ضرورية فى عملية فرض الأمن البحرى فى الخليج . وبدون ذلك لم يكن من الممكن للشيوخ

الاشتراك فى نظام الهدنة أو الالتزام به فيما بعد ، ويعود نجاح نظام الهدنة الى درجة كبيرة الى فاعلية الرقابة البحرية وفق النظام الذى ادخل عام ١٨٢٠ ، وذلك لاشعار حكام المنطقة بتصميم الحكومة البريطانية على المحافظة على الأمن فى البحار . فعلى حين كان الأمر قبل عام ١٨٣٥ يقضى بارغام الشيوخ على دفع تعويضات عن الاعتداءات التى يقترفها رعاياهم فى البحر ، فان هذا قد أصبح نادر العمل به بعد الاتفاقية . فقد تغيرت نظرة الشيوخ بعد توقيع اتفاقية العشر سنوات لدرجة أنهم أخذوا يفرضون عقوبات على مرتكبى الاعتداءات من رعاياهم حتى قبل أن يعلم المقيم البريطانى بها . بل أنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك ، وذلك بمنع اعمال القرصنة قبل وقوعها ، وعلى سبيل المثال عندما قذفت الأمواج بالحدى سفن القواسم سكان لنجة الى عجمان عام ١٨٤٥ بادر حاكمها الى التوجه الى مكان الحادث . صحبة اخوته وسيفه فى يده ، وأقسم هناك بقطع رأس كل من يحاول الاقتراب من السفينة . ولعل الحافز الاكبر لمراعاة الهدنة يأتى من المكاسب الاقتصادية التى تحققت لاهل المنطقة . ومن الأدلة النسبية للأمن الذى حققه نظام الهدنة للمنطقة فى بداية الأربعينات للقرن التاسع عشر هو الانخفاض فى عدد السفن الاوربية التى تزاول التجارة فى الخليج . وخلال هذه الفترة على سبيل المثال أصبحت الكويت فى مقدمة الأقطار الناقلة للمنتجات التجارية فى الخليج (١) كما انعكس هذا الاستقرار ايضا على تواجد سفن الأسطول.

(١) من مرفقات الرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٥ . الخطاب السرى رقم ١٠٤ المؤرخ ١٨٤٢/٩/٢٨ من روبرتسون الى السكرتير الاول لحكومة بومباى ١٨٤٢/٧/٢٣ (رقم ١١٨ الادارة السياسية) وقد انضمت الكويت الى اتفاقية الهدنة مؤقتا فى عام ١٨٤١ ، وقد تم هذا بالصدفة وليس =

البريطاني التي انخفض عددها تبعا لذلك في مياه الخليج . والواقع ان حجم الانخفاض لقوة اسطول الخليج كان مسألة مقلقة فقد تعذر تخصيص سفن لاي من الخليج والبحر الأحمر بسبب تزايد الطلب على السفن لنقل الجنود والبريد . فقد كان لدى الاسطول الهندي عام ١٨٤٤ نحو ١٤ سفينة من مختلف الأصناف والأحجام (١) وكان هذا النقص في السفن يعود الى استمرار تواجدها في الخدمة في مياه الخليج والبحر الأحمر لفترات تمتد الى سنتين

= بالقصد ، فعندما زار هانيل الكويت في شهر ابريل ١٨٤١ ، بايعاز من السلطات البريطانية في انجلترا للتأكد عما اذا كانت تصلح لاتخاذها قاعدة فقد حاول اخفاء القصد الحقيقي من مهمته حين قال بأنه قد جاء للبحث في احتمال انضمام الكويت لنظام الهدنة . وقد ذكر الشيخ صباح أكبر أنجال الحاكم الشيخ جابر والذي كانت بيده مقاليد الحكم بسبب عجز والده بأنه في الوقت الذي لا يمانع على التوقيع على اتفاقية الهدنة البحرية الا أنه لم يكن يرغب في اقامة علاقات مع شيوخ الساحل . وعلى أى حال فقد سلم تعهدا خطيا منه بالامتناع عن الاشتراك في قتال بحرى لمدة عام ، وبأن يحيل حوادث الانتهاكات ضد سفن رعاياه الى المقيم البريطاني قبل اتخاذ اجراءات انتقامية ضد المعتدين . غير أن هذا التعهد انتهت صلاحيته بعد عام واحد ولم يجدد (انظر أيضا مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي خطاب سرى ٥٨ المؤرخ ١٧/٧/٤١ . مجلد رقم ٥٨ من هانيل الى ويلوبى ٢٧/٤/١٨٤١ (رقم ٤٢ الادارة السرية) .

(١) من سجلات الخطابات السياسية لحكومة بومباي مجلد ٢٩ من حاكم بومباي الى مجلس ادارة الشركة ٣١/١/١٨٤٤ (رقم ٥ الادارة السياسية) .

وثلاث سنوات ، يرافق ذلك تدهور فى حالة السفن وعدم صلاحيتها للخدمة بسبب ضغط العمل عليها . وفى أواخر عام ١٨٤٣ حذر قائد الاسطول الهندى حاكم بومباى بأن هذا النظام فيه ضرر كبير على المصلحة العامة والانضباط فى العمل ، كما أنه ضار بصحة البحارة ومصدر للمتاعب والتدمر وقد أوصى هذا القائد بعدم إبقاء السفن المخصصة للخليج أو الساحل العربى أكثر من اثنى عشر شهرا ، وعند وجود هذه السفن فى أعمالها هذه فلا ينبغى أن يسمح لها بالبقاء فى الموانئ غير الصحية كميناء عدن وبوشهر كما كان الحال فى الماضى ، بل ينبغى أن ترسو بعيدا عن الشاطئ بقدر المستطاع ، بحيث يمكنها القيام بواجبها الذى أرسلت من أجله الى تلك المناطق ، وهو منع حوادث القرصنة وحماية التجارة .

وقد وافق حاكم بومباى على توجيهات المسئول وأوعز الى المقيم البريطانى والمعتمد السياسى فى عدن بتنفيذها ، كما طلب منهما موافاته بخفظ لفرض رقابة بحرية على الخليج والبحر الأحمر على أساس سفينتين أو ثلاث لكل من المنطقتين ، وقد قدم هانيل خطته فى شهر إبريل ١٨٤٤ ، وصدر الأمر بتنفيذها بحذافيرها . وعلى حين كان هانيل يفضل أن يكون هناك أربعة طرادات للعملية ، بحيث تتواجد ثلاثة منها فى قاعدتها على الدوام ، الا أنه كان يعتقد ان أعمال الدورية فى مياه الخليج يمكن ان تقوم بها ثلاث من السفن بشرط أن تتم الاستعانة بسفينة المثلية فى بوشهر ، وعلى أن يقوم طراد آخر برحلته الى بومباى ، فى بداية شهر يناير من كل عام ، ويعود فى شهر مارس ، كما يتوجه طراد آخر الى الهند ويعود منها فى نهاية شهر يونيو ، على أن تبقى جميع الطرادات الثلاثة فى قواعدها خلال موسم اللؤلؤ اعتبارا من أول يوليو حتى أواخر سبتمبر ، ينفصل عنها احد الطرادات فى بداية أكتوبر للتفرغ لأعمال المثلية ، ويعود الى قاعدته فى نهاية

ديسمبر . أما السفينة المخصصة للممثلة فيتمين أن تقوم برحلتها الى بومباي على مرحلتين خلال العام الواحد ، اى فى منتصف فبراير وبداية نوفمبر ، على أن تكون جاهزة للاشراف على حراسة خطوط المواصلات خلال شهور الصيف ولسوء الحظ فان سفينة الممثلة تحطمت بالقرب من جزيرة قيس فى شهر مارس عام ١٨٤٥ ، وعندما تقدم هانيل الى المسئولين بطلب لاستبدالها بأخرى رفض طلبه رغم تزكية قائد الاسطول الهندى لطلبه ، وكان السبب فى الرفض ان الظروف لم تكن تسمح بانفاق مبلغ ١٨٨٤٢ روبية ، نظرا لسياسة التقشف الاقتصادى التى كانت حكومة الهند تنتهجها فى ذلك الوقت .

ان ثمة عاملين ساهما فى انجاح نظام الهدنة البحرية وهما رحيل الوهابيين وابعادهم عن المنطقة الشمالية من عمان فيما بين ١٨٣٩ و ١٨٤٥ والاستقرار النسبى الذى تحقق فى داخل عمان خلال هذه الفترة . ان اقضاء الحامية الوهابية من واحة البريمى عام ١٨٣٩ قد وردت الاشارة اليه فى غير هذا المكان فى سياق مذكرات رحلة الكابتن همرتون الى الواحة والى صحار عام ١٨٤٠ . وعلى اى حال فلم يكن همرتون أول أوربى يصل الى المنطقة الداخلية من عمان . بل الفضل فى ذلك يعود الى اثنين من الضباط البريطانيين . الشبان العاملين فى الاسطول الهندى وهما اللفتنانت جى . ار . ولستد واللفتنانت اف . وايتلك ، اللذان قاما برحلة فى هذه البلاد فى أواخر عام ١٨٣٥ وبداية عام ١٨٣٦ ويقتضى التنويه برحلة هذين الضابطين ، لا من حيث اهميتها فحسب ، وانما من حيث المعلومات التى دونها احدهما ، وهو ولستد ، حول انطباعاته عن تلك الرحلة ، وتعد هذه المعلومات من أهم الخفائق عن وضع عمان قبل قرن من الزمان .

- ٦٤٨ -

غادر ولستد مدينة مسقط في نوفمبر ١٨٣٥ بعد أن اذن له السيد سعيد يارتباد المنطقة الداخلية من عمان . وقد أبحر في البداية الى مدينة صور على الساحل الشرقى . ومن هناك جنوبا عبر المنطقة جعلان الى بلاد بنى بوعلى وبنى بوحسن ، ثم منهما الى رمال وهيبة بمنطقة الجنبه وبعد أن اجتاز بلاد ينى بو على أتجه الى وادى بطما عبر الشمال الغربى ومنها الى بديه حيث لقي القائد الوهابى مطلق المطيزى مصرعه على أيدي الحجريين عام ١٨١٣ ، ومن بديه واصل ولستد رحلته الى وادى بطما فى سمد التى وصلها فى منتصف شهر ديسمبر ، وفى هذه المنطقة التقى بواتيلك الذى قطع المنطقة عبر الممرات قادما من مسقط ، وتوجه الاثنان عن طريق منح وفرق الى نزوى قلب عمان الأم ، وقد دهش ولستد كثيرا من منظر المدن والقرى التى زارها وماتسم به من وجاهة التصميم وروعته ، ومن الخصوبة التى تتميز بها هذه البلاد ، ويرجع جمال ووجاهة القرى الى لون بيوتها الرمادى الداكن والى وجودها وسط خمائل النخيل وحدائق الفاكهة ، ومن وراء تلك الخضرة ترتفع صفوف التلال العارية الداكنة الألوان ، كما دهش الى حد بعيد من روعة تصميم المدن والقرى العمانية ، ويتحدث ولستد عن نظام الرى فى عمان فيقول :

انها عبارة عن قنوات يتم شقها داخل التربة على عمق ٦ او ٨ اقدام ، وتكون الأتربة التى تستخرج من حفر القناة على حوافيها . وقد لاحظت أن هذه القرى التى زرتها والقرى الأخرى فى عمان يرجع الفضل فى خصوبتها وأزدهارها الى هذا النظام الذى يطبقه السكان فى رى المزارع ، وهذا النظام يكاد يكون وقفا على عمان وحدها ، وان كانت المهارة والتكاليف التى يتطلبها هذا الاسلوب ذات سمة صينية اكثر منها عربية .

ويسمى نظام الرى هذا بنظام الأفلاج الذى يشبه نظام القنوات الجوفية فى فارس ، والذى يستمد مصادر مياهه من الينابيع القريبة منه . ويتم

تنظيف الأفلاج بزج قضبان داخلها لازالة التراكمات . وقد ساهم هذا النظام وخصوبة التربة فى عمان فى زراعة أنواع كثيرة من الفاكهة على نطاق شد انتباه ولستد ، فقد شاهد اشجار اللوز والتين والجوز بأحجام هائلة ، وكانت الثمار على اشجار الليمون والبرتقال كثيفة لدرجة أنها كانت تغطى المزارع ، بالإضافة الى ذلك فهناك اشجار النخيل التى تضى مزيدا من الجمال على المنطقة غير ان لهذه الأوضاع عيوبها ايضا ، فبمجرد أن تخرج من المناطق المقفرة فانك تحس بتغير هائل فى الجو . فالهواء بارد ورطب ، والتربة فى كل مكان مشبعة بالرطوبة وان المنظر يبدو لك من كثافة الظل نعمتا وكثيبا ، ولهذه الأسباب فان معظم السكان يشكون من الأمراض الصدرية ، وهم أقل صحة من البدو سكان الصحارى .

وصل ولستد وابتلك مدينة نزوى يوم ٢٢ ديسمبر ، وهذه المدينة باعتبارها العاصمة القديمة لعمان ، تتميز بقلعتها الهائلة التى يعتقد اهل البلاد انها قلعة حصينة لا يمكن اقتحامها أو احتلالها لمناعتها . وقطر القلعة حسب تقدير ولستد حوالى ٣٠٠ قدم وارتفاعها ١٥٠ قدما .

« والى ارتفاع نحو ٩٠ قدما ملئت بكتل من الأتربة والأحجار ، وحفر نحو ٧ أو ٨ آبار خلال هذا البناء ، تقوم بتزويد القلعة بما يكفيا من الماء . أما الآبار الجافة فتتخذ كمخزن للدخيرة والبارود ويحيط بالقلعة سور يبلغ ارتفاعه اربعين قدما وهو سور حصين قد لا تؤثر فيه القذائف والمدافع ، وهو عال جدا بحيث يتعذر التصويب عليه حتى ولو أصيب الحائط . وفى تصورى بأن الطريقة الوحيدة للاستيلاء على القلعة هى ، اما بمحاصرتها ، أو بث الأتغام حولها .

وترجع أهمية مدينة نزوى من بعض الوجوه الى كونها المدينة الوحيدة التى كان السلطان يحصل على الضرائب منها ، ولكن هذه الضرائب حسب ملاحظة ولستد ضرائب محدودة اذ لا تزيد على الف ريال كل عام .

خلف نزوى مرتفعات الجبل الأخضر ، وقد استمد اسمه هذا من الأودية الخصبة التى تجرى خلال قممه الجيرية . ولما كان الضابطان مصممين على التوغل الى ما وراء الضباب الكثيف الذى كان يحجب منطقة الجبل الأخضر . فقد غادرا نزوى يوم ٢٦ ديسمبر عبر الطريق الجبلى الذى يؤدى الى تنوف . وعلى امتداد مائة عام من ذلك التاريخ لم يقدر لى اوروبى أن يرى ويشاهد مآزاه كلى من وليستد وواتيلك فى هذه البلاد . وفى يوم ٢٨ ديسمبر وصل الرجلان وادى وقرية سيت ، وهى قرية اكثر جمالا ورومانتيكية لدرجة يتعذر تصورها وعلى امتداد المنحدرات والسفوح الجبلية كانت ترتفع المنازل التى بنيت من الحجر الأبيض ، واحدا فوق الآخر ، وكانت تبدو لمن يشاهدها من السفح وكأنها معلقة فى الفضاء . وكانت منطقة الوادى زاخرة بمزارع الفاكهة والثمار : الرمان والبرتقال بانواعه ، واللوز ، والصمغ والجوز بالاضافة الى أشجار البن ومزارع العنب . ويقع خلف سيت واد آخر يسمى وادى الشجيرة ولا يقل جمالا عن بلاد سيت ، ويضم مالا يقل عن مائتى منزل تقع كلها على طرف الوادى (١) .

(١) لم يصل اوشير الوى الى منطقة الشريحة اطلاقا التى يقول انه شاهدها من السفح الأخر الذى يثير الشك فى كونه وصل الى قمة الجبل الأخضر . وارتفاع الجبل حسب تقديره من ٨٠٠ الى ٩٠٠ تويسن أى ١٢٠٥ الى ٧٦٠هـ قداما . كتاب وصف لرحلة فصل ٢ ص ٥٦٣/٥٦٤ .

وقد قضى الضابطان ثلاثة أيام يتجولان عبر هذه الأودية والمنحدرات وأكثر ما أثار إعجابهما ودهشتهما هو انتشار مزارع العنب التي تمتد صفوفها على ضفاف الأودية لعدة أميال تغطي المنحدرات وتلتف حول الأودية . ويزرع فى الجبل الأخضر العنب بنوعيه الأسود والأبيض ، ويتم تجفيف العنب الأسود أما الأبيض فتصنع منه الخمور . وبنو ريام هم سادة الجبل الأخضر ويبلغ تعدادهم نحو ١٠٠٠ نسمة ولم يسبق ان خضعوا لى سلطة ، وهم نادرا ما ينفادرون مناطق سكناهم الا للأسباب التجارية التي لا تتعدى منطقة السفوح أثناء تنقلاتهم . وبقية قبائل عمان تعتبر سكان الجبل عصبى الطباع وكسالى ومنحليين أخلاقيا ، ولعل عيبهم الأكبر كما لاحظ ولستد هو البخل والتحفظ فى الضيافة اما أكبر نقطة ضعف فيهم. فهي انهم مدمنو خمر : -

« على الرغم من أن سكان الجبل الأخضر اقوياء ورياضى الاجسام اذا قارناهم بسكان السهل الا أنهم لا يتمتعون بالجسم الصحى السليم الذى يميز الجبليين عادة ، فهم على العكس لهم وجوه متغضنة وشاحبة ، وكانهم يعانون من الشيخوخة المبكرة . واعتقد أن يكون السبب فى ذلك هو الخمر الحادة التى يتناولونها ويستقظرونها بأنفسهم بكميات كبيرة من الكروم ويتناولونها عيانا فى خلال وجباتهم اليومية وهم يتحججون بمعاقرة الخمر ببرودة الجو عندهم (١) .

ونساء الجبل الأخضر على العكس من رجاله ويقول ولستد انهن على جانب كبير من الحسن والجاذبية ، ويبدو أن الحركة المستمرة التى تقوم بها النساء فى الهواء الطلق تكسبهن رشافة وخفة فى الحركة بالإضافة الى

(١) رحلات ولستد فضل ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

صحة ابدانهم ونقاء بشرتهم التي لا توجد الا فى نساء السهل ، وهذه الخصائص يضاف اليها تقاطيع نساء الجبل التي لا تقل جمالا ، وقاماتهم الطويلة تميزهن عن الرجال (١) .

وقد قرر كل من الرحالتين ولستد وواتيلك وهما عائدان الى نزوى ان يمرا بالمنطقة الساحلية وان يواصلوا رحلتها عبر ساحل الباطنة الى السوق ، قبل ان يعودا الى المنطقة الداخلية مرة اخرى . وقد وصلا السيب عن طريق وادى سمايلك يوم ٣٠ يناير ، ثم السوق بعد اسبوع من ذلك ، وقد حلا هناك ضيفين على السيد هلال نجل السلطان ونائبه السابق ، وبقيتا هناك حتى الاسبوع الاول من مارس ثم غادراها بعدئذ الى منطقة الحجر على امل الوصول الى واحه البريمي ، ومنها يواصلان سفرهما اذا سمحت الظروف الى نجد ، وفى اليوم السابع من مارس قطعنا الجزء الداخلى من الحجر ، وبعد عدة ايام وصلا عبرى ، حيث تلتقى سفوح الحجر بمرتفعات الظاهرة ، وقد استقبلهم شيخ البلدة بطريقة غير ودية ، ولم يتغير أسلوبه معهم حتى بعد ان ابرزوا له التصريح الذى يحملانه من السلطان ويقول ولستد ، بان شيوخ عمان بصفه عامة شخصيات مهذبة ويتحلون بقدر من المجاملة والسلوك الودى ، الا ذلك الشيخ فقد كانت لهجته وسلوكه فى غاية الفظاظة ، وكان اشبه بالحيوان الدميم منه بالانسان ، وكان اقرب الى ان يكون سفاحا منه شيئا . كانت عبرى ولاتزال حتى هذا الوقت مشهورة بعنف سكانها وقسوة طباعهم . ويذكر جيران عبرى ، انه يستحيل على أى شخص ان يدخل بلدتهم ما لم يكن مسلحا

- ٦٥٣ -

تسليحا كاملا ، أو أن يكون شحاذا تحيط الاسمال بخصره وليس شخصا عاديا مهذبا .

قضى الضابطان تلك الليلة فى خيمة خارج البلدة . وقد بعث الشيخ اليهما يطلب منهما سرعة مغادرة المكان نظرا لأن البلدة مليئة بالوهابيين المسلحين الذين لا يقل عددهم عن ألفين . ورغم ذلك فقد طلبهما وقال أن البلدة غير آمنة ، وفى هذه الأثناء كان خبر وجودهما قد انتشر ، وأخذ المئات من رجال القبائل يقتربون من مخيمهما . وكان هؤلاء المتجمعون صغار القامة ويلبسون رداء واحدا حول خصورهم وكانوا سمر البشرة ولهم شعور طويلة وقد شعر ولستد وزميله بأنه من الحماقه اطالة البقاء ، ولذلك فقد طويا خيمتهما سرا وركبا بعيرهما . وقد أخذ المتجمعون من السكان يصفرون ويقذفونهما بالحجارة . وقد علم الضابطان بعد أسبوعين بأن الوهابيين كانوا يقومون بغارة على عمان وانهما وصلا الى مسقط بقيادة سعد بن مطلق المطيرى نائب الامير .

وكان قد عين سعد بن مطلق المطيرى حاكما على البريمي فى أواخر عام ١٨٣٥ . وعندما التقى به ولستد وواتيلك فى عبرى كان سعد فى طريقه ومعه ٣٠٠٠ قبلى لشن هجوم على الحجريين فى بداية ، والانتقام لمقتل والده الذى شهده وهو صبى قبل ٢٢ عاما . وقد علم ولستد بنتيجة تلك الغارة فيما بعد وهى كما يلى : « ما ان علمت القبيلة التى كان مطلق ينوى ابادتها قبل ساعتين من وصوله حتى عبأت نحو ٨٠٠ رجل من الموجودين فى ذلك الوقت للتصدى لقوات سعد بن مطلق . وكان جميع هؤلاء مسلحين تسليحا جيدا . كما أن تهديدات الشيخ سعد بعدم التراجع عما كان ينويه جعلهم يبذلون أقصى ما فى وسعهم لتحطيم هجومه . وعلى الرغم من عدم التكافؤ فى عدد المقاتلين فقد قام العمانيون بمفاجأة الوهابيين بشن هجوم

- ٦٥٤ -

عنيف عليهم وأرغموهم على الإنسحاب من ميدان المعركة ، وبعد إبادة أعداد غفيرة من الوهابيين ، أرغموا البقية على الفرار . وقد تمكن مطلق الذى أصيب بجنون من نتيجة الهجوم من الافلات بفضل بعض الموالين له من رجاله ، ولولا ذلك للقى نفس المصير الذى لقيه والده من قبل .

بعد ثلاثة أعوام من هذه الواقعة كان سعد بن مطلق خلالها قد أثار عداة كل قبائل الظاهرة بشراسته وغطرسته ، وانتهز شيوخ البريمى فرصة غياب نائب الأمير عن الواحة فقاموا بطرد الحامية واخراجهم نهائيا من عمان .

خلال العقد التالى من انشاء نظام الهدنة فى الخليج تعرض هذا النظام ليكون موضع الاختبار ، نتيجة للصراعات المسلحة التى انفجرت بين القواسم وبنى ياس خلال فترة اتفاقية الهدنة ، وتغلغل الوهابيين الى جنوب شرقى الجزيرة . ومن الغريب أن تلك الصراعات لم تترك لها مضاعفات فى البحر . وكما حدث خلال الفترة الواقعة بين ١٨٣٥ - ١٨٤٣ كالت الاضطرابات تقع نتيجة للخلافات التى نشبت بين الدول غير المشتركة فى اتفاقية الهدنة وعلى الأخص كنتيجة للصراع الذى نشب للإستيلاء على البحرين . ومن الميسور تقديم بعض البيانات عن تلك الصراعات قبل الدخول فى تفاصيل ما حدث فى مشيخات الهدنة وعمان بعد ١٨٤٣ والاتجاه الذى سارت فيه الأحداث التى انتهت الى انشاء نظام الهدنة فى الخليج .

وكانت الصعوبات ترجع الى عدم الرقابة الفعالة من جانب الأسطول بسبب قلة الصلاحيات التى يمارسها الأسطول الهندى فى مراقبة ساحل الخليج . فبعد جملة عام ١٨١٩ / ١٨٢٠ ولبضع سنوات كانت وحدة أسطول الخليج هى التى تتولى الرقابة على السواحل الفارسية ، وعلى الأخص تلك السواحل الموبوءة ، وكان هذا يتم بموافقة ضمنية من

السلطات الفارسية . وقد صرف النظر عن هذه العمليات فى أعقاب وفاة فتح على شاه سنة ١٨٣٤ ، الأمر الذى يعود بشكل خاطئ الى تدهور العلاقات البريطانية مع فارس بعد تولى محمد شاه الحكم فى فارس وقد ثبت من التجربة ان السلطات الفارسية فى اقليم فارس لا تقوى بشكل فعال على السيطرة على قبائل فارس الساحلية . وبعد انتهاكات عديدة من قبل هذه الموانى خلال عام ١٨٣٩ ، اقترح هانيل على حكومته فى شهر سبتمبر من ذلك العام أن تقوم بريطانيا بممارسة مسؤولياتها فى مراقبة المنطقة على أساس الأمر الواقع . ولما أعيدت العلاقات الدبلوماسية التى كانت مجمدة فى ذلك الوقت بسبب مشكلة الحيرة ، فقد كان هناك احتمال أن توافق حكومة فارس على قيام بريطانيا بهذا الدور .

والخطر الذى نشأ بنوع خاص عند افتقاد مثل تلك الرقابة للساحل الفارسى هو المضاعفات المعاكسة لذلك الوضع على عملية الهدنة على الساحل الغربى . فالدول التى لم تكن من ضمن المشتركين فى الهدنة كانت حرة فى القيام بالهجوم على مشيخات الساحل ، كما أن دول المنطقة لم يكن هناك شئ يمنعها بموجب المعاهدة من الاقتتال فى البحر كيفما شاءت . وعلى أى حال فقد كان هناك الحظر الدولى الفاصل الذى يمنع تلك الاقطار من مد أمد الحرب الى الساحل الفارسى . ون واقعة الصدام بين بنى ياس والقواسم فى صيف ١٨٤١ ، عندما عبر قواسم لنجدة الخليج لمساعدة أخوانهم ، فكشف عن هذا الحظر بشكل واضح . وكتيجة لهذا فقد تبنت حكومة بومباى مقترحات هانيل التى عرضها فى شهر أكتوبر عام ١٨٤١ واقترحت على السلطات المسؤولة فى إنجلترا وجوب اتخاذ الترتيبات اللازمة للاتفاق مع حكومة فارس لمنع وقوع مثل هذه الحوادث وكان اقتراح هانيل هذا قد أخيل بالفعل الى وزارة الخارجية فى شهر يناير ١٨٤٠ للدراسة ، ولكن بالمستون

لم يؤيده ، ليس بحجة أن الشاه سيعارضه فحسب ، وإنما لأنه قد يصبح مبررا للروس لمطالبة الحكومة الفارسية بامتيازات مماثلة فى منطقة بحر قزوين . وكان رأى بالمرستون « بأن على حكومة بومباى أن تكتفى » باتخاذ تلك الاجراءات التى يسمح بها قانون الأمم لقمع أعمال القرصنة فى تلك المناطق غير الخاضعة للسلطة الفارسية وقد ارسل نفس الرد على اقتراح حكومة بومباى الذى تقدمت به فى شهر نوفمبر ١٨٤١ ولم تبحث الموضوع مرة أخرى قبل سنة ١٨٤٦ ، عندما طلب حاكم فارس بنفسه من المقيم مساعدة بريطانيا له فى مكافحة القرصنة على سواحل فارس .

فى شهر مارس من عام ١٨٤٥ تحطمت السفينة البريطانية اميلى بالقرب من جزيرة قيس ، وقد قام السكان بنهب محتوياتها . وقد قدم الوزير البريطانى فى طهران طلبا الى الحكومة الفارسية بالتعويض ، ولكن لم يكن ثمة أمل فى نجاح الطلب ، اذ أن طلبات سابقة من هذا النوع لم تسفر عن نتيجة ، لاسيما وأن حكومة فارس كان ينقصها الوسائل البحرية اللازمة لمراقبة شواطئها . وبالنسبة لهذا الحادث بالذات فقد تعهد حسين خان حاكم الاقليم بالعمل ، وبالتالي ففى شهر ابريل ١٨٤٦ طلب الى هانيل ارسال طراد الى جزيرة قيس ليطلب من حاكمها رد السلع التى استولى عليها سكان الجزيرة أو دفع تعويض عنها . وقد امثل هانيل لطلب الحاكم وتم الحصول على التعويض فى الشهر التالى . ولكن حسين خان عاد فقدم طلبا آخر الى هانيل أكثر خطورة . فلقد جرت العادة منذ مدة أن يقوم بإرسال لطلبات الخاصة بالمخالفات للقوانين البحرية الى الوزير البريطانى المفوض فى طهران لإرسالها الى حكومة فارس . وقد نتج عن ذلك خروج سيل من المراسيم من طهران الى شيراز ، الأمر الذى كان حسين لا يعارضه فحسب بل كان يخشاه ، لأن فيه تحديدا لسلطاته فى فارس . ولكى يتجنب

هذا الاحراج ، اقترح الأمير على هانيل فى شهر يوليو ١٨٤٦ بأن يرأسه مباشرة حول أى حادث من حوادث القرصنة يرتكب ضد السفن أو الرعايا التابعين للحكومة البريطانية من جانب القبائل الساحلية لفارس . فضلا عن ذلك فقد أبدى رغبته فى السماح للمقيم باستخدام طرادات أسطول الخليج لارغام القبائل اذا اقتضى الأمر ، وأن تساعد عموماً فى أعمال مكافحة القرصنة وفتحها . والشرط الوحيد الذى وضعه حسين خان ، هو أن يرافق كل طراد واحد من ضباط الجيش الفارسى فى أى حملة تأديبية يتقرر القيام بها لهذا الغرض ، وقد بعث هانيل بتقرير حول هذا الموضوع الى حكومة بومباى جاء فيه : لقد حققنا مرحلة هامة بعد أن أصبحت عملية المراقبة فى أيدينا ، فاذا أحسنا خطواتنا فى الاستفادة من السلطة التى حصلنا عليها بموجب ذلك ، فان الأمل يراودنى بقوة فى أن أعمال السلب والنهب وانتهاك القانون التى سادت تلك المنطقة قد يتم القضاء عليها بصورة فعالة بحيث يستتب الأمن فى المستقبل . ولقد صحت تنبؤات هانيل . وتم العمل بموجب التدابير التى تمت مع حاكم فارس للمرة الأولى فى شهر نوفمبر ١٤٨٦ ، عندما قام اثنان من الطرادات بزيارة الى اسيلو ، وشيرو ، ونخيلو لارغام شيوخ تلك الموانئ على تسليم السلع التى استولوا عليها من الرعايا البريطانيين . ومنذ ذلك التاريخ أخذت أعمال القرصنة فى المياه الفارسية تتضاءل عاما بعد عام ، مما أسهم فى التقليل من الحاجة الى استخدام القوة تبعاً لذلك . غير أن هذا الاتفاق لم يوثق رسمياً من جانب حكومة الشاه ، كما أن الحكومة البريطانية لم تجد من المناسب مطالبة حكومة فارس بذلك ، فالتفويض الضمنى الذى اعطى للأسطول البريطانى بفرض رقابة على المياه الاقليمية الفارسية كان يعنى اعترافاً بالضعف وهو الشيء الذى يعارضه الشاه فى قرارة نفسه .

ان النجاح الذى تحقق فى مجال مكافحة القرصنة على السواحل الفارسية قد شجع هانيل على أن يستشير المقيم والقنصل البريطانى فى بغداد هنرى رولنسون فى أواخر سنة ١٨٤٦ فى اتخاذ اجراءات مشابهة لحل مشكلة القرصنة فى المياه التركية بعد أن تأكد بأن القراصنة العرب والفرس يفلتون من الاعتقال عن طريق اللجوء الى المياه التركية علاوة على أن غيرهم من القراصنة يمارسون هذه الأعمال فى المياه التركية نفسها وعلى الأخص فى مياه شط العرب ، دون أن تستطيع السلطات التركية معاقبتهم . وطالب بمحاولة اقناع والى بغداد نجيب باشا بتحويل الأسطول البريطانى سلطة القبض على القراصنة العرب والفرس فى المياه التركية عن أعمال اقترفوها فى مناطق أخرى واعتقال نفس القراصنة على أعمال اقترفوها فى المياه التركية . ولسوء الحظ رأى رولنسون فى طلب هانيل اليه تطورا خطيرا ، وعلى حين تظاهر باعتبار اقتراح هانيل غير سليم ، فقد بعث بتقرير مطول الى وزارة الخارجية البريطانية اشار فيه الى الصلاحيات الواسعة التى أصبح هانيل يتمتع بها بالنسبة للسيادة البحرية والتى تخوله الحق فى معاقبة القراصنة عن الأعمال التى يقترفونها ضمن الخط الفاصل أى الى الشرق من حدود الخط الملاحى الدولى . وفى رأى رولنسون أن هانيل كان يتصور بأن شط العرب يدخل ضمن هذا الخط ، وبالتالى فانه يتصور بأنه من حقه اعتقال أى مواطن عربى أو فارسى يقترف أعمال القرصنة فى المياه التركية . غير أن هذا الافتراض كانت ترفضه السلطات الفارسية لانه يهدف الى تجريدتها من حقوق سيادتها على مياه شط العرب . وفى مناقشة خاصة مع نجيب باشا اكتشف رولنسون أن الوالى يعارض بشدة المقولة البريطانية فى تحويل الأسطول البريطانى القبض على القراصنة فى المياه التركية ، وهو لا يعارض هذا فحسب وانما يعارض أيضا معاقبة رعايا

الدول الأجنبية الذين يقترفون أعمال القرصنة في المياه التركية . وكان رولنسون يؤيد هذا الرأي . أولا لأنه موقف ينسجم مع القانون الدولي ، وثانيا لأن أى تساهل من جانب الباب العالي في هذا الشأن سوف يخلق سابقة مؤسفة قد تشجع للدول الأوروبية الأخرى الى استغلالها لانتهاك حياذ الملاحة التركية وموانئها (١) .

وقد اقر بالمرستون هذه الآراء وأبلغ حكومة الهند عن طريق مجلس الهند في إنجلترا في شهر مارس ١٨٤٧ بعد الاحقية للأسطول لبريطاني في القبض على القرصنة في المياه التركية أو حجزهم في المياه الدولية عن جرائم اقترفوها في المياه التركية . وقد كان هذا القرار مفاجأة بعد أن كان الباب العالي قد وافق قبل بضعة أسابيع على حظر استيراد العبيد بطريق البحر الى العراق التركي وأنه قد خول الأسطول البريطاني حق تفتيش أى سفينة تخالف هذا الحظر وقد علق هانيسل باستياء بعد علمه بقرار وزير الخارجية هذا بقوله :

اننى اعترف وأنا أرى سياستنا المتقلبة في الخليج الفارسي على امتداد العشرين عاما الماضية ، اننى كنت تحت انطباع خاطيء ، اننا اذا ما ادخلنا في الاعتبار انتهاك احد الزعماء العرب لآى معاهدة تربطنا به ، حتى ولو تم هذا الانتهاك ضمن حدود سيادة دولة أجنبية ، فاننا اذا اعتبرناه مسئولا عن ذلك الجرم ، ففي هذه الحالة لا نكون مخالفين للقانون الدولي . وفي الوقت نفسه اذا اعترفنا بالتصور الخاطيء الذى كنا نعمل على أساسه حتى الآن ،

(١) ميهودات المجلس - من التقارير البحرية الى الهند مجلد ١٩ مسودة الى الحاكم العام ١٨٤٧/٣/١١ (رقم ١٢٦٠) ومرفق به خطاب رولنسون الى بالمرستون ١٨٤٦/١٢/٢٨ .

بأننى أرى أن التطبيق الحرفى لمبادئ هذا القانون كما هو مطبق بين الشعوب الأوربية على القبائل المتحضرة والمتحاربة التى تقطن سواحل الخليج الفارسى قد يودى الى نتائج فى غاية الخطورة بالنسبة لعلاقتنا مع تلك القبائل (١).

ولقد تساءل هانيل عن الخطوات الواجب اتباعها لو وقع انتهاك لاتفاقية الهدنة بين دولتين مشتركيتين فيها ؟

فلو قيل فى هذه الحالة للطرف المتضرر ، عندما يتقدم بطلب التعويض ، بوجوب الاتجاه الى السلطات التركية ، « فان مثل هذا الرد لن يصدق » وكما ذكر هانيل فاننا لا نستطيع أن نقدم تفسيراً مقنعاً لانسحابنا من نظام الرقابة فى المياه الدولية مما يؤدى الى ازالة الانطباع من أننا قد اضطررنا الى اجراء هذا التغيير فى مسئوليتنا بسبب ما أصاب نفوذنا وسلطتنا من ضعف . غير أن أقواله وحججه لقيت أذنا صماء . فقد شكّا شيل الوزير المفوض فى طهران والذي كان متخوفاً من أن يعلم الروس عن تلك الامتيازات التى اعطاها الحاكم العام فى فارس سنة ١٨٤٦ للبريطانيين فيتخذها مبرراً للحصول على امتيازات مماثلة فى منطقة بحر قزوين ، وكان يجب على هانيل ان يستشير رولنسون قبل ارسال اقتراحه اليه ، كما أن رولنسون فى نظر شيل قد عقد الأمور اكثر ، وذلك بمناقشة الموضوع مع والى بغداد ، بل وأكثر من ذلك باحالة الموضوع الى السفير البريطانى فى القسطنطينية حيث تكشفت المسألة للرأى العام وعلى العكس من شيل ورولنسون فقد أبدت حكومة بومباى هانيل تأييداً تاماً . وأبدت أسفها على الطريقة العشوائية التى عالج بها رولنسون هذا الموضوع .

(١) مرفق لسجل الرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٨٨ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٦ المؤرخ ١٨٤٧/٦/١٦ من هانيل الى ماليت ١٨٤٧/٥/٢٢ (١٩٤ الادارة السرية) .

وفى شهر أغسطس ١٨٤٧ وضع بالمرستون نهاية لهذه المشكلة ،
 عندما أيد آراء رولنسون وويخ هانيل على تصوراته العقيمة لسياسة قمع
 القرصنة فى الخليج بحجة أن سفن الأسطول البريطانى لم يكن فى مقدورها
 ملاحقة القراصنة الى المياه التركية . وقال فى هذا الصدد « انه يبدو
 أن الماجور هانيل قد كون افتراضات مبهمة تقوم على أسس ضيقة جدا »
 وسيكون من الأوفى أن تترك الأمور كما هى حتى تتوفر الظروف الملائمة
 للحصول على التصريح الذى يطالب به هانيل » وختم بالمرستون رسالته قائلا
 « ولعله من الخطورة بمكان مناقشة الموضوع الا اذا دعت الضرورة ، اذ أن
 الاتصال بالحكومة التركية للحصول على مثل هذا التصريح ، قد تفسره بأنها
 نملك حق الرفض ، وهو الشئ الذى قد لا يفتنون اليه الآن .

لم يطلب الى البحرين الاشتراك فى اتفاقية العشر سنوات وذلك
 للأسباب نفسها التى دعت الى استثنائها من المعاهدة السنوية : وهى عدم
 استقرار الأوضاع فى البحرين وتوابعها والتهديدات التى كانت تتعرض
 لها من القوى الخارجية ، والتى جعلت من المحقق ، أن المياه القريبة من
 البحرين قد تصبح مرتعا لحروب مستمرة ، كما أن مطالبه زعماء البحرين
 بالامتناع عن الدخول فى حروب بحرية ، يعنى مطالبتهم بالتخلى عن مبدأ
 أساسى من مبادئ الدفاع عن أنفسهم ، بالإضافة الى ما سيؤدى اليه ذلك
 من توريط بريطانيا بغير أساسيد قانونية فى خلافات ونزاعات تافهة . وعلى
 أى حال فقد كان هناك أمر أكثر خطورة ، لأن اتفاقية الهدنة تتضمن التزام
 بريطانيا بالدفاع عن الأطراف المشتركة فى الاتفاقية ضد أى هجوم عليهم من
 الدول الخارجية . أما فيما يتعلق بالمشيخات الساحلية فان هذا الالتزام
 هو تطور منطقى للسياسة التى كانت متبعة فى الثلاثينات من القرن التاسع
 عشر ، وكان هدفها الحيلولة دون تعرض استقلال تلك الدويلات وسلطنة
 عمان للانتهاك من جانب الوهابيين أو غيرهم من الدول ، بحيث يتعرض الأمن

البحرى للخطر عن طريق اعاقة هؤلاء الشيوخ من ممارسة التزاماتهم بموجب معاهدة ١٨٢٠ بشكل فعال من ناحية ، ووقوع مسقط وموانئها وسفنها تحت سيطرة الوهابيين لاستخدامها فى أعمال القرصنة . وهكذا فقد تدخلت الحكومة البريطانية فى عمان خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لمنع خضوع سلطان مسقط لسيطرة الامير الوهابى أو سقوط حكمه عن طريق العناصر المنافسة والمناوئة له فى داخلية البلاد . ثم تدخلت بعد ذلك ببضع سنوات لمنع تغفل النفوذ الوهابى على السواحل العربية مما كان سيؤدى الى تعكير صفو الأمن فى مياه الخليج .

وفى الوقت الذى تم فيه ابرام معاهدة هذه السنوات العشر ، أصبحت السياسة المتفق عليها ، ان لم تكن السياسة للحكومة البريطانية ، هى ضمان استقلال مشيخات ساحل الهدنة وسلطنة عمان ضد خصومهم فى شبه الجزيرة ، وذلك لمصلحة الاستقرار فى منطقة الخليج ، غير أن ذلك كن على الدوام يتم على أساس الاعتماد على قوة الأسطول والضغط السياسى أو على كليهما ، ولم يتطلب التدخل بقوات عسكرية على أراضى المنطقة . اما الذى لم يكن مقبولا فى عام ١٨٤٣ ثم أصبح حقيقة لا مفر منها فى الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر ، أن نظام الهدنة قد جعل أمر الدفاع عن استقلال المشيخات التزاما على بريطانيا وليس مجرد ضرورة .

وكان هذا يعنى اشراك البحرين فى ذلك النظام وتحل مسؤولية الدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين . وعلى الرغم من أن السيد سعيد سلطان مسقط لم يعد مهتما بالاستيلاء على البحرين ، فان البحرين كانت معرضة لحركات تمرد وعصيان من جانب قبائل آل بنى على وآل بوعينين بزعامة عيسى بن طارق ، ومن جانب الفرس الذين كانوا يدعون السيادة عليها ، ومن جانب

ذوى الميول التوسعية لحركة الوهابيين فى نجد ، وأخيرا وان لم يكن بدرجة أقل من جانب القطاعات المتدمرة من أسرة آل خليفة . ومع ذلك فان حكومة بريطانيا قد اتخذت أول خطواتها فى مسئولية حماية البحرين سنة ١٨٣٩ ، عندما حاولت فى تلك الفترة منع المصريين من فرض سيطرتهم عليها . كما اضطرت الحكومة البريطانية الى اتخاذ سلسلة اجراءات من هذا القبيل للتدخل فى شئون البحرين ابتداء من عام ١٨٤٣ بسبب الأزمات التى تعاقبت على الجزيرة .

وقد اتجه حكم عبد الله بن أحمد فى البحرين الى الاستبداد فى عام ١٨٤٢ لدرجة أن تشكل حلف من العناصر التى تعرضت للاضطهاد على يديه وأعلنت نيتها فى اقصائه عن السلطة . وكان الحلف مشكلا من محمد بن خليفة أكبر أبناء أخيه ونجل شريكه السابق فى الحكم خليفة بن سلمان وعيسى ابن طارق وبشير بن رحمة ابن القرصان الخليجى المشهور رحمة بن جابر . وكان يساند هؤلاء الأمير الوهابى عبد الله بن نوينى الذى كان يناصر عبد الله العداة بسبب حصاره للقطيف والاحساء . وفى أواخر عام ١٨٤٢ طلب كل من عيسى بن طارق وبشير بن أحمد من هانيل السماح لهما بالانطلاق من جزيرة قيس حيث كانت تتجمع قبائل آل بنى على وآل بوعينين لشن حرب ضد عبد الله بن أحمد . وقد سمح لهما المقيم بشرط حصر عملياتهم الى الغرب من الخط الدولى . وقد احتج عبد الله الى هانيل على اجرائه هذا قائلا بأنه سوف يستعين بالأمير الوهابى اذا لم يضع هانيل خصومه عند حدهم ، غير أن هانيل لم يكثرث لاحتجاج عبد الله . فمئذ تواطؤ عبد الله مع المصريين عام ١٩٣٩ كانت حكومة الهند البريطانية تقف موقفا سلبيا منه ، ولم تكن تشعر بأى ندم على اسقاط حكمه . وفى شهر مارس ١٨٤٣ شن هذا الثلاثى هجومه على جزيرة البحرين . وخلال شهر أرغموا عبد الله على الاستسلام

وقد أقصى من الجزيرة بعد أن اصطحب معه سفينتين من سفنه .

وخلال الاعوام الستة التى أعقبت ذلك ظل عبد الله يتنقل فى مناطق الخليج حتى مرض . وقد رفض عرض أبناء عمومته الكويتيين لايوائه عندهم ، وفضل عبد الله بن احمد التحالف مع بعض العناصر المشبوهة التى كانت تتخذ منه مخلب قط فى تحقيق أغراضها . وكانت تروق ضميره باستمرار تصرفاته القديمة ، كما أعلن فيصل بن تركى الذى استعاد امارة الوهابيين عام ١٨٣٤ بأن عبد الله عدوه اللدود لا بسبب تواطئه فى عملية اغتيال والد فيصل ١٨٣٤ وانما لابتهاجه بقيام المصريين ١٨٣٨ باقصاء فيصل عن الحكم . وفى عام ١٨٤٢ طرده عبد الله من الدمام ، وكانت الدمام البقعة الوحيدة التى بقيت له على ساحل شبه الجزيرة ، والتى كان قد احتلها خلال الفوضى التى عمت المنطقة فى أعقاب انسحاب المصريين منها . كذلك أعطى فيصل تأييده السافر لمحمد بن خليفة ، خليفة عبد الله على الحكم فى البحرين ، والذى تعهد بدفع الزكاة للأمير الوهابى فى مقابل ذلك التأييد . كما أن شيوخ الساحل رفضوا مساعدة عبد الله لعدم رغبتهم فى اغضاب فيصل من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب التحذير الذى وجه اليهم هانيل بعدم التورط فى تلك المشكلة حتى لا تقع المنطقة فى حروب دموية . وبعد أن يئس عبد الله بن أحمد من كل هؤلاء عبر الى الساحل الفارسى فى عام ١٨٣٩ لطلب المساعدة من الفرس .

وباستثناء المحاولة الفاشلة التى قام بها الفرس عام ١٨٣٩ للحصول على اعتراف من حاكم البحرين بالسيادة على الجزيرة ، فان فارس لم تحاول مرة أخرى المطالبة بالبحرين منذ ابرام ماينسى بمعاودة شيراز لعام ١٨٢٢ . وقد راجت الاشاعات خلال عام ١٨٤٢ عن غزو تنوى فارس القيام به للبحرين ، مما دفع حكومة الهند فى شهر اغسطس من ذلك العام الى اصدار

تعليماتها الى المقيم البريطانى فى الخليج تقول : « انه فى حالة قيام الحكومة الفارسية بارسال قوة من السفن المسلحة ، او سفن تحمل مسلحين ، يتعين مراقبة تلك السفن بحيث اذا قامت تلك السفن بالاستيلاء فعلا على اراضى تابعة للزعماء العرب المتحالفين مع الحكومة البريطانية ، والاحتجاج لدى السلطات الفارسية فى البداية ضد تلك الاجراءات ثم التصدى لها فى حالة اسرارها على الاستيلاء على تلك الاراضى ، ولم تصدر هذه التعليمات لوجه عبد الله بن أحمد وانما لمصلحة الأمن البحرى فى الخليج . وكانت تلك التعليمات خطوة أخرى فى اتجاه الاعتراف باستقلال البحرين وتحمل مسئولية الدفاع عنها .

وأعقب هذه الخطوة التى اتخذتها سلطات الوطن سنة ١٨٤٤ بعد تلقيها تقارير من الخليج بأن عبد الله بن أحمد يتآمر مع حاكم فارس للانقضاض على البحرين . وقد أوعز اللورد ابردين وزير الخارجية فى ذلك الوقت الى الكولونيل شيل المقيم فى طهران فى شهر مايو بتقديم تحذير الى الحكومة الفارسية ، بأن أى تدخل من جانبه فى نزاع عبد الله بن أحمد سيكون موضع استياء من جانب حكومة الهند البريطانية ، وأنها ما لم يكن تدخل فارس فى هذه المسألة بشكل قانونى ، فانه قد يسفر عن قيام خلافات مع إنجلترا ، واستطرد ابردين فى رسالته يقول : ما لم تثبت حكومة فارس أن لها حقا شرعيا فى هذا التدخل فعليه أن يبلغها بأنه ما لم يكن لها حق واضح وغير قابل للنزاع فى السيادة على البحرين ، وانها قد مارست هذه السيادة وبغير انقطاع خلال حكم اسرة الفاجار ، وأن اجراءها هذا هو من منطلق ممارستها لهذه الحقوق المشروعة ، وليس على أسس غير مستندة

على حقوق قانونية ، فان على فارس أن تتوقع مجابهة نشطة من حكومة الهند البريطانية حول هذه القضية (١)

وقد سلم شيل تحذيره الى حكومة الشاه فى الشهر التالى . وكما كن متوقعا فقد تمخض هذا الاجراء عن التوجه باحتجاج من حكومة فارس الى بريطانيا . غير أن المسألة توقفت عند هذا الحد . وخلال هذه الفترة قام عبد الله بسلسلة من الغارات على سفن البحرين من ملجئه فى نابند على الساحل الفارسى . وقد أدى ذلك بمحمد بن خليفة الى أن يطلب من المقيم البريطانى بوقف عبد الله عند حده أو السماح له بعدم الالتزام بالخط الملاحي الفاصل حتى يتمكن من ردع الشيخ عبد الله بن أحمد بنفسه ، ولما كان من المحتمل أن يؤدى الجزء الثانى من الطاب الى نشوب القتال بالقرب من الخط الرئيسى من الملاحة البحرية للخليج ، فقد وافق هانيل على كبح جماح عبد الله . ولما رأى عبد الله ، وكان على حق ، أن الحكومة البريطانية تعامله معاملة مجحفة غادر نابند الى الكويت فى خريف عام ١٨٤٥ (٢) وفى صيف العام التالى استأنف عبد الله عملياته ضد محمد بن خليفة وذلك بالتعرض لسفن البحرين فى المياه الواقعة بين الجزيرة والساحل . ثم غاب عن المسرح لعدم واحد عاد بعده بمحاولة جديدة لاسقاط حكم خلفه عن الحكم ، وقد انضم هذه المرة الى عدوه القديم عيسى بن طارق ، الذى اختلف مع محمد بن

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ١٨ مسودة الى الحاكم العام ١٨٤٤/٥/٢ (رقم ١٠٠١) ومرفق نسخة من خطاب ابردين الى شيل ١٨٤٤/٥/١ (رقم ٢٣) .

(٢) من سجلات الخطابات السياسية لحكومة الهند مجلد ٣٣ من حاكم بومباى الى مجلس ادارة الشركة ١٨٤٦/١/٣١ (رقم ٢٠ الادارة السياسية) .

خليفة بعد مساعدته للوصول الى الحكم مباشرة فى عام ١٨٤٣ ، والذي ظل منذ ذلك الحين يتحرك ذهابا وايابا بين جزيرة قيس والدوحة . وفى شهر نوفمبر من عام ١٨٤٧ وبتحريض من عيد الله شن عيسى بن طارق هجوما على ممتلكات محمد بن خليفة الواقعة فى المنطقة الشمالية من قطر . غير أن هذا الهجوم قد فشل وسقط عيسى بن طارق قتيلًا فى المعارك التى نشبت بالقرب من الغويرات . وعندما علم هانيل بمقتل عيسى أبدى أسفه على موت رجل كان يتمتع بطاقت كبيرة وأخلاق عالية ، حتى ولو كان غيابه عن مسرح السياسة فى الخليج سوف يسهم ولاشك فى اقرار السلم فى المنطقة .

وكان أتباع عيسى بن طارق من قبائل آل بنى على وآل بوعينين لا يزالون مقيمين فى جزيرة قيس ، ولو استمر هؤلاء هناك وظلوا يواصلون نشاطهم ضد محمد بن خليفة ، فانهم سوف يخلقون للحكومة البريطانية نفس المشاكل التى كان يسببها لهم عبد الله بن أحمد ١٨٤٥ عندما كان ينطلق من قواعده على الساحل الفارسى للأغارة على سفن البحرين . ونصافا للواقع فانه لم يكن فى وسع المقيم أن يسمح لخصوم محمد بن خليفة بمهاجمته ، كما لم يكن فى وسعه أن يمنعه من اجتياز الخط الفاصل للانتقام من معارضيه . وكان محمد بن خليفة ملما بهذه الحقيقة ، وبالتالي عندما عرف فى عام ١٨٤٧ أن عيسى بن طارق ينوى الهجوم عليه فى قطر ، وقد استفسر من هانيل عما اذا كان له الحق فى اجتياز الخط الفاصل لمهاجمة خصمه عيسى ابن طارق وارغام المتمردين على العودة الى موطنهم الاصلى للانصياع لسلطته . وعندما فشل فى ذلك عاد يسأل عما اذا كانت الحكومة البريطانية على استعداد لكبح جماح المتمردين المقيمين فى جزيرة قيس ، كما فعلت بالنسبة لعبد الله ابن أحمد .

وكان محمد بن خليفة يراهن على خوف المقيم من تجدد القتال على الطريق العام للملاحة الدولية بحيث يضطره الى رفض الجزء الأول من الطلب ويوافق على الجزء الثانى . غير أنه قد تبين لشيخ البحرين بأن المشكلة لم تكن بتلك البساطة . فقد كان رد هانيل على طلب محمد بن خليفة بأنه سوف يبعث بطلبه الى رؤسائه ليقرروا رأيهم فيه . ولكن حاكم بومباى رأى احواله الموضوع الى الحاكم العام للهند ، ولذلك فقد أحاله الى كلكتا وقد أحاله الحاكم العام بدوره وبالنظر الى أن الموضوع يمس العلاقات البريطانية مع فارس بحكم أن جزيرة قيس جزيرة فارسية فقد رفع الامر الى السلطات فى لندن .

وفى وزارة الخارجية كان بالمرستون واثقا من الاجراء الذى سوف يتخذه وقد أوعز الى اقامم بالأعمال البريطانى فى طهران فى أواخر العام بالاتصال بالحكومة الفارسية لمنع الفارين فى جزيرة قيس من شن هجوم على البحرين ، كما طلب من مجلس الهند فى الوقت نفسه ، ليتأكدوا من حصول هانيل على تفويض باستعمال الامكانيات البحرية للدفاع عن البحرين اذا دعت الحاجة ولكن رئيس وزراء فارس الحاج ميرزا أفاس بعد أن اكتشف نوايا للجانب البريطانى قدم احتجاجا الى القائم بالأعمال البريطانى فى طهران اللفتنانت كولونيل فيرانت على تدخل الحكومة البريطانية فى شئون البحرين التى قال عنها أنها احدى الولايات الفارسية . أما فيرانت فقد ذكر لرئيس الوزراء عند تسليم رسالة وزير الخارجية اليه فى فبراير ١٨٤٨ بأن الحكومة البريطانية لاتعترف لفارس بسيادتها على البحرين ، وهنا توقفت المسألة عند هذا الحد . كما أن المتمردين فى جزيرة قيس لم يشنوا أى هجوم على البحرين طوال عام ١٨٤٨ ، ولم يقم محمد بن خليفة هو الآخر بأى تحركات ضد هؤلاء المتمردين . ولذلك فان هانيل لم يعد فى حاجة الى مناقشة الموضوع ، كما

أن حكومة فارس كانت مشغولة فى تلك الفترة بآثار وفاة محمد شاه وتقلد الشاه الجديد للحكم ، بما لم يكن يسمح لها هذا الموقف بإثارة موضوع البحرين .

فى مطلع عام ١٨٤٩ وقد ساءت حالة عبد الله بن أحمد الصحية والمالية ، فقد غادر بوشهر حيث كان يقيم فى ذلك الوقت وتوجه الى مسقط فى طريقه الى زنجبار لكى يحاول اقناع السيد سعيد خصمه القديم بأن يتبنى قضيته ، غير أن سفره أثار ازعاج محمد بن خليفة ، لأنه كان متورطا فى ذلك الوقت فى مشاكل داخلية مع الأمير فيصل بن تركى ، بصدد ممتلكاته فى شبه الجزيرة العربية ، بالإضافة الى احتمال نشوب نزاع مع عمه الأكبر . وقد كان هذا عبئا ثقيلا عليه . وهكذا ففى بداية عام ١٨٤٩ قرر محمد بن خليفة وأفراد أسرة آل خليفة جميعهم الاتصال بالحكومة البريطانية لوضع البحرين تحت سيادتها . وفى ٩ من فبراير (١٥ ربيع الأول ١٢٦٥) بعث محمد بن خليفة برسالة الى هانيل ضمنها هذا العرض :

« اعرفكى بأننى اعلم أن جميع البلدان الواقعة فى هذه المنطقة تعتمد على أخذ السلاطين فى وجودها ، وعلى سبيل المثال فان حكومة اقليم فارس تعتمد على الفرس وهكذا أيضا سكان الكويت والوهابيون وغيرهم يعتمدون على تركيا . أما عن نفسى فكما تعلمون فانى اعتمد على الحكومة البريطانية ، وأوقرة ، وانى أحد اتباعها . وانى متأكد انكم لن تقبلوا وقوع أى ضرر او اساءة للبلدان التابعة لحكومتمكم . ولهذا فانى اطلب منكم ، اذا كنتم توافقون الآن على ما اريد ، وقد ضمنت على تحقيقه . ان تعملوا على عودة اولئك الذين انشقوا عنى الى طاعتى وذلك لمصلحة البلد واهلها . أما اذا كنتم

تعتقدون اننى اتبع دولة اخرى فارجو أن تعرفونى عن الخطة التى تناسب الحكومة البريطانية كنى انفدها .

وقد بعث هانيل بخطاب الاسرة الحاكمة فى البحرين الى الحاكم فى بومباى مع ملاحظة واحدة وهى أن التصور المصطنع لمحمد بن خليفة أن رخاء الكويت من ناحية ، ورخاء بوشهر وغيرها من الموانئ الفارسية من ناحية اخرى ، إنما يعود الى خضوعها الى السلطان العثمانى وشاه فارس ، وبالتالي فان أحوال البحرين سوف تزدهر فيما لو خضعت هذه الجزيرة للنفوذ البريطانى . وعلى أى حال فقد أشار هانيل الى أن السبب الرئيسى لتدهور أوضاع البحرين فى السنوات الاخيرة إنما يرجع الى الحكم التمسلى الذى كان يفرضه عليها كل من عبد الله بن أحمد ومحمد بن خليفة . أما فيما يختص بطلب محمد بن خليفة فقد ذكر هانيل بأنه كان يعارض انشاء تقارب مع البحرين أعمق مما كان قائما بموجب اتفاقية الصلح العامة لسنة ١٨٢٠ ، وتمهد عبد الله ابن أحمد فى ١٨٣٦ باحترام الخط الدولى للملاحة البحرية . وأن هذه الوثائق تكفى لمنع البحرين من تعكير صفو الامن فى البحار . أما الجزيرة نفسها اذا استثنيتم ممتلكاتها الداخلية ، ففي قدرة الاسطول البريطانى أن يضعها عند حدها ، وأن فرض الحماية على البحرين قد يؤدي الى تورط بريطانيا فى شئون المناطق الساحلية لشبه الجزيرة العربية وقد أقرت حكومة الهند هانيل على آرائه ورفضت عرض محمد بن خليفة ١٨٤٩ لوضع بلاده تحت الحماية البريطانية . فى هذا الوقت تضال اهتمام محمد على بمشاكله . فقد سوى نزاعه مع الامير فيصل وفى شهر فبراير توفى خصمه عبد الله بن أحمد ، فى مسقط . أما وقد تخلص محمد بن خليفة من ألد خصومه ومناوئيه ، فقد أصبح فى مقدوره أن يتنفس الصعداء . أما موضوع

وضع البحرين تحت الحماية البريطانية أو موضوع دخولها الى عضوية اتفاقية الهدنة ، فلم يعرض للبحث مرة اخرى لفترة من الوقت .

لقد توافق ابرام اتفاقية الهدنة الموسعة مع قيام السلطات الوهابية وانتشار مبادئها فى المنطقتين الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية ، بعد انسحاب المصريين منها . ١٨٤٠ . أما خالد بن سعود صنيعا المصريين ، والذي أخلفه خورشيد باشا على الحكم بعد انسحابه ، فقد اقصاه عن الحكم ابن أخيه عبد الله بن ثنيان وذلك فى شهر ديسمبر ١٨٤١ والتجأ الى الاحساء ومن قاعدته فى الدمام ظل يحاول استعادة السلطة فى نجد ، غير أنه اضطر فى صيف عام ١٨٤٢ الى الاعتراف بعجزه عن تحقيق اهدافه . وفى شهر يونيو وصل الى جزيرة خرك حيث أبلغ المقيم بالوكالة انه ذاهب الى الكويت . وفى شهر مايو من عام ١٨٤٣ افرجت السلطات المصرية فى القاهرة عن فيصل بن تركى حاكم نجد السابق وسرعان ما عاد الى نجد حيث سلمه الحكم هناك عبد الله بن ثنيان ، ويبدو أن فيصل قد عاد الى السلطة فى نجد كصنيعة لمحمد على باشا وللسلطان العثمانى فى نفس الوقت ، لأنه شرع منذ ذلك الوقت فى دفع الزكاة الى محمد بن عون شريف مكة الذى أوكل اليه محمد على باشا السلطة فى الحجاز على أثر انسحاب القوات المصرية منها وقد سبق أن اعترف الأمير خالد قبل عامين بالسيادة العثمانية على الحجاز على الرغم من أن الباب العالى لم يكن يتمتع بالاسس القانونية للسيادة على نجد .

على أن السلطات البريطانية فى الهند أخذت تنظر الى عودة فيصل ابن تركى الى الحكم بتحفظ كبير . أما هانيل فقد كان يتصور أن خالد سيمارس نفوذا أكثر ثباتا فى الأوضاع السياسية لشبه الجزيرة العربية من

خالد ، حتى أنه اوصى فى شهر فبراير ١٨٤١ بممارسة الضغط على محمد على باشا للافراج عن فيصل ، اعتقادا منه ان مثل تلك الخطوة بالاضافة الى أن الانطباعات التى كان فيصل قد كونها عن قوة النفوذ البريطانى قد تشجعه على تأييد الجهود البريطانية التى تبذل لتحقيق السلم والاستقرار فى شبه الجزيرة العربية ، غير أن سلوك فيصل بعد عودته لم يكن يبرر ثقة هانيل فيه ، فخلال شهر من عودته اغتتم فرصة اقضاء عبد الله بن أحمد عن الحكم فى البحرين للتدخل فى شئون الجزيرة تحت شعار الوساطة وقبل أن ينتهى فصل الصيف أخذ يخبر شيوخ الساحل غير أن حكومة بومباى وبعد اجراء مشاورات مع حكومة الهند قررت فى نهاية العام أن تستمر فى اظهار مشاعر الصداقة تجاه فيصل طالما اقتضت جهوده على تثبيت حكمه على ممتلكاته السابقة ، أما اذا أصبحت علاقته بالبحرين وبمشيخات الساحل تبدد بعودة أعمال القرصنة الى المنطقة فينبغى مقاومة تلك السياسة ، وبعبارة أخرى فلم تكن هناك نية لوضع حدود معينة للمناطق التى يشملها نفوذه ، وعليه فعندما اتصل شيوخ النعيم فى البريمى بالمقيم البريطانى فى شهر نوفمبر ١٨٤٣ يعربون عن مخاوفهم من هجوم وهابى محتمل على منطقتهم ويطلبون بالمساعدة البريطانية لرده ، وقد أخبرهم المقيم بأن سياسة المحافظة على استقلال البريمى فى وجه التهديدات القادمة من نجد ، انما كانت تنطبق فقط على الفترة التى كان المصريون يحتلون فيها شبه الجزيرة العربية ، وخلال حكم مرشح الادارة المصرية الأمير خالد ، أما وقد انسحب المصريون والأمير خالد من المسرح ، فان الحكومة البريطانية بدورها لاتسعى الى التدخل فى سياسات شبه الجزيرة . وفى شهر ديسمبر تلقت المثلية رسالة من الأمير فيصل يبلغها فيها استثنافه الحكم فى نجد والاحساء ، ويعرب عن أمله فى استمرار العلاقات الودية التى كانت قائمة بينه وبين الحكومة البريطانية .

وقد بعثت حكومة الهند برِد ودى اليه، واشارت فى ردها الى حرص الحكومة البريطانية على الأمن البحرى فى الخليج . كما أشارت بنوع خاص الى أنها تأمل بأن لايتعارض امتداد نفوذه مع ممارسة شيوخ الساحل للتزامهم للمحافظة على السلم فى المنطقة . ولم يظهر فيصل أى دليل على القيام بأى تحركات فى اتجاه عمان الشمالية أو الساحلية قبل بداية عام ١٨٤٥ . ففى ١٣ يناير من عام ١٨٤٥ تحركت قوة من ٧٠٠ رجل بقيادة سعد بن مطلق من الاحساء فى طريقها الى عمان وفى ٧ فبراير وصلت القوة الى البريمى وسرعان ماسلم النعيم القلعة اليهم وقد استقبل سعد بن مطلق عند قدومه بحماس شديد وعلى الأخص من جانب القبائل الغافرية ، بينما سرى الخوف من وصولها بين القبائل الهناوية . وقد غادر السيد سعيد مسقط الى زنجبار فى شهر ديسمبر عام ١٨٤٤ ترافقه كتيبة من ١٠٠٠ مقاتل تم جمعها من ساحل الهدنة ، وذلك للاشتراك فى القتال فى افريقيا الشرقية . وقد أناب السيد ثوينى نجل السيد سعيد عنه فى الحكم . ونظرا لضعف شخصية ثوينى وعجزه عن مواجهة مثل هذه المواقف ، فقد شعر بالخوف من ظهور الوهابيين ، فبادر بالكتابة الى هانيل يسأله رأيه فيما يمكن أن يفعله ازاء تلك التطورات . وقد أشار عليه هانيل بعدم استفزاز الأمير فيصل بلا سبب ، وانما عليه أن يوافق على مطالبه منه اذا لم تكن تمس استقلال عمان . ولكى يطمئن هانيل السيد سعيد فقد أشار فى رسالته اليه بعلاقات الصداقة الوثيقة القائمة بين آل بوسعيد والحكومة البريطانية والواقع أن مخاوف السيد ثوينى كان لها ما يبررها . ذلك أن شيوخ الساحل ، فيما عدا خليفة ابن شخبوط . جاكم أبو ظبى العدو العريق للوهابيين ، ومكتوم بن بطى شيخ دوى الذى كان موجودا فى افريقيا الشرقية مع السيد سعيد سارعوا الى الاعراب

عن ولائهم لسعد بن مطلق . وفى إبريل وجه نائب الأمير رسالة بمطالبه من السيد ثوينى وابن أخيه السيد حمود بن عزان والى صحار ، باستئناف دفع الزكاة التى كانت تدفعها مسقط فى السابق الى الرياض . وقد طلب سعد مبلغ عشرين ألف ريال من ثوينى وخمسة آلاف ريال من حمود وقد اعتزم السيد حمود أن يدخل فى معركة مع الوهابيين ، غير أن السيد ثوينى نصحه بالتريث . وبعد ذلك بعث السيد ثوينى برده الى سعد وقال بأنه لا بد من إحالة الطلب الى والده فى زنجبار ، وأنه يطلب منه مهلة ريثما يتلقى الرد . وقد وافق سعد بن مطلق على طلب السيد ثوينى الذى وجه نداء عاجلاً بالمساعدة الى حاكم بومباى .

وقد كانت حكومة بومباى على استعداد للقيام بكل ما تستطيع لمساعدة السيد ثوينى . فقد كان الوضع فى عمان يبدو لهم مشحوناً بالأخطار ، سواء فيما يمس استقلال السلطنة ، أو فيما يختص بنجاح نظام الهدنة . وكانت الفرصة سانحة أمام سعد بن مطلق لكي يثير الخلاف الأبدى بين بنى ياس والقواسم ، ويسوق القبيلتين الى حرب قد تمتد الى البحر . ومع ذلك فقد كانت حكومة بومباى مقيدة اليدين بموجب بيان مجلس ادارة الشركة الصادر عام ١٨٤٤ بعدم أحقية سلطان مسقط فى طلب الحماية البريطانية ضد الوهابيين أو ضد أى من خصومه فى شبه الجزيرة ، وبعدم جواز تقديم المساعدة اليه طالما الوهابيون على علاقة ودية مع الحكومة البريطانية . أما عن حكومة الهند فإنها من جانبها ظلت متمسكة برأى بنك ١٨٣٤ بعدم استخدام الأسلحة والأموال البريطانية للدفاع عن عمان وإذا كان هدف سعد ابن مطلق هو السيطرة على القسم الشمالى من عمان ، فإن هذا الهدف ، كما قالت عنه حكومة الهند لحكومة بومباى بأنه لا يستدعى التدخل البريطانى . . .

الإذا كان غرض فيصل بن تركي هو دفع نفوذه الى ماوراء الحدود السابقة ، والاعتداء على أراضى حليفنا سلطان مسقط، أو اذا ماتبين أن هذه الاجراءات سوف تهدد علاقاتنا بالقبائل العربية على ساحل الخليج وجهودنا لوقف أعمال القرصنة ، فان هذا قد يثير موضوع تدخلنا فى المنطقة ، وفى هذه الحالة ينبغى التوضيح للامير فيصل بن تركي بأن صبرنا واحتمالنا الذى هو السبب فى تشجيعه على المضى فى هذه السياسة ، سوف ينفذ : وباننا لا يمكن أن نتساهل أو نسمح بشن اعتداء متعمد على حليفنا القديم وأن لحاكم العام يرغب على أى حال فى أن يوضح بأنه لاينوى توريط حكومته فى الوقت الحاضر فى سياسة من المحتمل أن تستدعى ارسال قوات الى الخليج من ناحية ، ومن ناحية أخرى لن يوجه أى تهديد الى الامير الوهابى أو نائبه سعد بن مطلق لا يستطيع تنفيذه .

وعلى كل فان الوضع فى المنطقة لم يكن من الوضوح الذى كان عليه قبل عقد من الزمن . فمن ناحية فان السيد سعيد قد قدم جملة تنازلات للحكومة البريطانية فى موضوع تجارة الرقيق على امتداد السنوات الاخيرة ، كما كان يطلب اليه من جانب المعتمد البريطانى فى زنجبار الموافقة على وضع حظر شامل على تصدير العبيد من ممتلكاته فى افريقيا الشرقية . فالتنازلات التى قدمها السيد سعيد سابقا قد حولت الراى العام ضده فى دول الخليج العربية ، واذا قدم تنازلات أخرى فقد تجعله هدفا لاجراءات انتقامية منهم . وبالتالي فقد كان هناك التزام من جانب الحكومة البريطانية ١٨٤٥ بتأييده . وهو تأييد لم يكن واردا فى ١٨٤٣ . ومن ناحية أخرى فان السيد سعيد قد أثبت خلال تلك المرحلة من علاقاته ببريطانيا ، أن مصلحة عمان لا تدخل فى اعتباره ، فقد كانت زنجبار قلب امبراطوريته . وبالتالي فان السؤال الذى

كان يطرح نفسه عندما ظهر سعد بن مطلق على المسرح لم يكن الجواب عليه سهلا وكانت المسألة لاتزال رهن البحث في أوساط الحكومة البريطانية حتى ذلك الوقت .

ان سعد بن مطلق بالرغم من وعده لثوينى بانتظار رد من السيد سعيد على مطالبه فقد أخذ يشن الغارات على ساحل الباطنة ، وعندما احتج ثوينى على ذلك ، تلقى ردا قاسيا متعجرفا ! صحيح فان القائد الوهابى كان يرمى الى أكثر من العبارات والتهديدات . . . أما حمود بن عزان فقد استسلم لسعد وقام بدفع الزكاة المطلوبة منه . وفي شهر يونيو استدعى سعد بن مطلق قبائل الظاهرة وطلب منها الاشتراك فى حملة ضد مسقط . وقد تحمس البعض لهذا الاجراء حتى يقال (أن بنى قتب وحدهم أبدوا استعدادهم للمساهمة بنحو ١٣٠٠ رجل) وهكذا أصبح مصير عاصمة عمان فى كفة القدر . أما الحكومة فى مسقط فقد اظهرت العجز والتخاذل ، ولم يتمكن ثوينى من تعبئة قوات للدفاع عن العاصمة كما ذكر هانيل . وفى هذه اللحظة بالذات تدخل هانيل وأرسل طرادين لمراقبة ساحل الباطنة ودعم موقف السيد ثوينى ، كما اضطر سعد بن مطلق بوقف عملياته ، كما بعث برسالة احتجاج الى الأمير فيصل يحتج على تصرف نائبه ، ويطلبه بوقفه عند حده . وقد رد فيصل ردا مؤكدا حق السيادة على عمان ، غير انه لم يجرؤ على القول بإمكان فرض تلك السيادة بالقوة .

فى هذه الأثناء كان ثوينى قد تلقى رد والده الذى أوعز اليه بالعمل على تقوية دفاعات عمان ، كبركا وسمائل ونخل ، وبأنه فى حالة اندلاع قتال سافر مع الوهابيين فعليه أن ينسحب الى مسقط، وإذا اضطر الى دفع الزكاة للوهابيين فيمكنه أن يدفع لهم ٦٠٠٠ ريال نمسوى فى كل عام . وفى أواخر

يونيو أو أوائل يوليو توصل السيد ثوينى الى اتفاق مع سعد بن مطلق وافق بمقتضاه على دفع ٥٠٠٠ ريال نمسوى سنويا للامير فيصل وباعطاء سعد ابن مطلق نفسه هدايا بقيمة الفى ريال نمسوى . ويعتقد هانيل بأن الاعتدال النسبى فى موقف سعد ترجع أسبابه الى تضاؤل التأييد القبلى له وظهور الأسطول البريطانى على ساحل الباطنة . وقد وافق مجلس ادارة الشركة فى صيف ١٨٤٥ على اجراءات هانيل بشىء من التحفظ ، وأقر المسئولون لهانيل بأن علاقة بريطانيا- بمسقط قد توثقت أكثر منذ ١٨٣٤ ، وذلك فى الدرجة الاولى نتيجة الاتفاقات التى عقدت بين الحكومتين حول تجارة الرقيق ، غير أنهم لم يفكروا فى الخروج على الخطوط العامة للسياسة التى قرروها فى ذلك الوقت . فالاعتراضات التى كانت موجودة يومئذ على التدخل فى الشئون الداخلية لعمان كانت لانزال قائمة . وان المساعدة البحرية من النوع التى قدمها هانيل للسلطان يمكن ان تقدم اليه مرة أخرى اذا تعقدت أموره مع الوهابيين ، وان مساعدة كهذه قد تساعده على الخروج من تلك المشاكل ، خاصة وأن الوهابيين يخشون من أى نشاط يقوم به الأسطول ضد موانئهم فى الاحساء وانه لمن تكرر القول أن تؤكد على خطأ القيام بأى عمليات برية فى شبه الجزيرة . وقد كان أعضاء مجلس ادارة الشركة يلحون على أن لا تقدم بريطانيا أى مساعدة للسلطان دون ثمن . وانما نظير تنازلات جديدة منه فى موضوع تجارة العبيد ، ومقابل تعهد منه بتنظيم شئونه الداخلية . ونتصور انه لابد لنا من مطالبة سلطان مسقط بتكريس قدر أكبر من اهتمامه الشخصى الى حماية ممتلكاته فى شبه الجزيرة . وأن الحكومة المحلية الموجودة حاليا فى مسقط لا يبدو أن فى وسعها مواجهة أى مشكلات داخلية كانت أو خارجية . وأنه مالم يقم السلطان فى البلاد ولو على فترات ، فانه لا يمكنه الاهتمام بمصالحه ، مالم يكن يتصور أن هناك

من سيحيمه من الخارج . كانت هذه التحليلات ، تحليلات تتمشى مع واقع عمان ومشاكلها ، غير أن أعضاء مجلس ادارة الشركة قد فشلوا فى ادراك اهمال السيد سعيد لعمان وتكريس نفسه لتحقيق أطماعه الشخصية فى إفريقيا الشرقية .

ظلت الحالة هادئة هدوءاً مشوباً بالقلق فى المنطقة الشمالية من عمان خلال الفترة الباقية من عام ١٨٤٥ . وقد عادت الأمور فاضطربت بشكل خطير عندما اغتيل كل من خليفة بن شخبوط ، شيخ ابوظبى وأخيه سلطان ، من قبل أحد أفراد آل بوفلاح فى نهاية الصيف ، غير أن القاتل قتل هو الآخر من قبل بعض اتباع سعيد بن طحنون نجل الزعيم السابق طحنون ابن شخبوط الذى وقع صريع ضربة نصل من خليفة فى شهر ابريل ١٨٣٣ . وقد خشى هانيل أن الاضطرابات فى ابوظبى والخلاف بين أسرة آل بوفلاح حول الخلافة على السلطة قد يمتد الى المناطق البحرية ، ولهذا رأى أن يعترف لسعيد بن طحنون بالمشيخة باعتباره الرجل الأقوى . وانطلاقاً من هذا التصور أرسل هانيل الطراد دجلة الى أبوظبى فى شهر اكتوبر لتسليم خطاب الاعتراف الى الحاكم الجديد ، وعرض التأييد والمساندة للشيخ . وقد رحب بنو ياس بخطوة هانيل ، وتعهد سعيد باحترام التزامات المشيخة للحكومة البريطانية . وفى بومباى أمر الحاكم الكومندور هنرى بلاكود الذى كان فى ذلك الوقت فى زيارة لبومباى على رأس بعض قطع من أسطول الهند الشرقية بالابحار الى الخليج ، واثبات الوجود البريطانى هناك . وقد قام هذا القائد البحرى على رأس السفن فوكس ، وفيليانث وبایلوت وبعض طرادات أسطول الخليج بجولة على امتداد ساحل الباطنة خلال شهرى نوفمبر وديسمبر كما زار مسقط .

وعلى بعد مائتى ميل الى الشرق من ابوظبى وفي صحار كانت تجرى أحداث أكثر خطورة ، فقد قرر السيد حمود بن عزان أن يقوم بمحاولة لانتزاع السلطة وتنصيب نفسه حاكما على عمان التى تخلى عنها السيد سعيد ، وكان نجله ثوينى غير كفاء لها . وكان السيد حمود يلقى التأييد لحركته هذه من رجال الدين فى عمان ومن أكثر الإباضية تعصبا . بعد أن ضاقوا ذرعا باهمال السيد سعيد لشئون البلاد وبسبب علاقته بالأجانب والنصارى ، وعلى الأخص تنازلاته للبريطانيين فى موضوع تجارة العبيد ، ويعتبر هذا أخطر تنازل منه فى هذا الصدد فى شهر اكتوبر عام ١٨٤٥ وقد وصل الى عم هانيل فى شهر فبراير ١٨٤٦ بأن السيد حمود قد سلم حصن صحار وغيرها من المراكز الدفاعية الى أحد مطاوعة (١) قبيلة بنى سعد التى تستوطن السفوح الشرقية لمنطقة الحجر على الجهة الغربية من صحار . كما كتب السيد حمود الى غيره من مطاوعة رجال القبائل الأخرى يستنكر ضعف حكومة السلطان ويحثهم على الانتفاض عليها . وقد انزعج السيد ثوينى من تلك الأعمال فوجه رسالة الى هانيل للتدخل . وكان خوفه ناشئا كما ذكر هانيل من أن يتمكن السيد حمود بتأييد ومساعدة قبائل بنى سعد من انتزاع الحكم على حساب مصلحة السيد سعيد أما هانيل فلم يكن متأكدا مما اذا كان السيد حمود يهدف فعلا للوصول الى الحكم أم لا ، غير أنه كان يعتقد

(١) المطوع وجمعها مطاوعة يعنى الشخص الذى يطيع أو يقدم الطاعة

بأنه كانت هناك أسباب حقيقية اضطرت السيد حمود الى القيام بتلك المحاولة . وكان السبب الواضح هو عجز السيد حمود من مواجهة الوهابيين بمفرده وعلى الأخص بعد أن خذله أقاربه فى مسقط ، ولم يقدموا اليه العون الضرورى . وانهم لو كانوا قد أيدوه وقدموا اليه المساعدة اللازمة لربما تمكن من صد العدوان الوهابى بنجاح . أما بنو سعد فانهم لم يكتفوا برفض مطالب سعد بن مطلق بدفع الزكاة فحسب ، وانما هاجموا رسله ومندوبيه بينما كانوا فى طريقهم الى مسقط . وبالتالي فلم يعد هناك من الشك فى أن بنى سعد سوف يقدمون الحماية للسيد حمود للدفاع عن صحار ضد اعتداءات الوهابيين . وان كان سوف يكشف النقاب آخر الأمر بأن ذلك لم يكن بغير ثمن وقد بعث هانيل رسالة الى السيد حمود يطالبه فيها بتوضيح موقفه ، كما يذكره فيها بالاتفاق الذى عقده فى ديسمبر ١٨٣٩ مع السيد سعيد بعدم التعرض أو الاعتداء أو التآمر سرا أو علنا على المناطق الخاضعة لحكم السيد سعيد . وقد رد السيد حمود على رسالة هانيل ينكر فيها انه ينوى القيام بأى عمل من شأنه الاساءة الى السيد سعيد ، كما ذكر فى الرسالة بأن مخاوف السيد ثوينى لم يكن لها أى مبرر .

ان شراسة وغطرسة سعد بن مطلق سرعان ما أثارت عليه القبائل العمانية . فقد أصبح كافة الزعماء يكونون له الكراهية والازدراء وتألّبوا جميعهم ضده ولقاومة أطماعه فى المنطقة . ولم يبق من مؤيدى سعد بن مطلق الا حاكم أم القوين . أما سلطان بن صقر شيخ القواسم فقد بعث بخطاب الى الأمير فيصل يطلعه فيه على الأعمال الارهابية والتعسفية التى يقترفها نائبه . وقد اقتنع فيصل بمضمون الخطاب واستدعى نائبه الى العودة الى نجد . غير أنه سرعان ما عفا عنه بعد أن قدم لأميره ٢٥٠ بعيرا وكميات كبيرة من الغنائم والأسلاب . وقد عاد سعد بن مطلق فاقترح على الأمير فيصل بأن

يرسل ابنه مشارى بن سعد بن مطلق بالخطابات التى أرسلها سلطان بن صقر الى الأمير فيصل لردّها اليه على أساس أنها مرفوضة . وقد تم ارجاع الخطابات الى سلطان بن صقر فى شهر يونيو ، ولكن هذا الاجراء كان سبباً فى احراج زعيم القواسم واثارته .

وقد عاد سعد بن مطلق الى البريمى فى وقت لاحق من العام ، كما أن رحلته القصيرة الى نجد لم تغير شيئاً من سلوكه ، وقد أخذ يسيل من الشكاوى يصل الى الأمير فيصل ضد سعد بن مطلق ، وقد تضمنت هذه الشكاوى بانه كان يجمع الزكاة من القبائل ويأخذها لنفسه . وقد أحس سعد بما قد تؤدي اليه تلك الشكاوى من تأثير على وضعه ، ولذلك فكر أن يشد الرحال مرة أخرى الى نجد ، حينما وصلتته اشارة من الأمير فيصل بالبقاء فى منصبه وبارسال مايتجمع لديه من الزكاة الى الرياض . وقد تمكن سعد من ارسال مبالغ ضخمة من الزكاة ، ومع ذلك فلم يطل المكوث هناك إذ استدعى الى الرياض فى أوائل ١٨٤٧ . وقد سافر عن طريق الشارقة بعد أن عهد بحصنى البريمى الى مساعده محمد بن سيف العجاجى وما أن حل الخريف حتى وجد العجاجى نفسه عاجزاً عن السيطرة على منطقة البريمى . وكان سعد قبل ذلك بعام قد قام بمحاولة لاحتلال بلدة ضنك من آل بوخريبان وهم فرع من قبيلة النعيم ، ولمواجهة هذا الاجراء تكتل هؤلاء مع خصومهم التقليديين آل بوشامس وطلبوا مساعدة من السيد حمود . وقد وجد العجاجى نفسه عندئذ محاصراً من الجنوب والشرق بينما كان بنو ياس من الناحية الغربية يراقبونه بأهتمام . ولقد حاول فيصل فك الحصار عن العجاجى فى ربيع ١٨٤٨ بارسال امدادات اليه من نجد بقيادة نائب جديد هو عبد الرحمن بن ابراهيم ، غير أن عبد الرحمن لم يصل الى ابعده من الاحساء ،

فلقد كان بنو ياس وحلفاؤهم يحاصرون الطريق الصحراوى ابتداء من قاعدة شبه جزيرة قط حتى الظفرة ، كما لم يكن فى امكانه اقناع شيخ البحرين بنقله هو ورجاله عن طريق البحر .

ولما نفذت المؤونة والذخيرة عند العجاجى قام بمحاولة فى شهر مايو ١٨٤٨ لحمل السيد حمود بن عزان على تزويده بشيء من المؤن ، وذلك بارسال فريق منه للافارة على صحار عن طريق وادى الجزى ، غير أن قافلة العجاجى وقعت فى كمين أعده لها سيف ابن السيد حمود بالتعاون مع النعيم (فرع آل بوخريبان) واضطرت الى الفرار . ومن ناحية أخرى فان سعيد بن طحنون الذى كان قد طلب منه آل بوخريبان المساعدة فى الهجوم على العجاجى كان مستعدا للتحرك صوب المنطقة الداخلية ومعه مجموعة من قبائل المزاريع والعوامر وغيرها من القبائل البدوية . وقد بدأ زعيم بنى ياس زحفه على واحة للبريمى فى بداية شهر يونيو ، وتمكن من احتلال منطقة الظواهر ، وهى القبيلة الرئيسية الثانية فى الواحة . ومن الشرق أطبق سيف بقواته من النعيم . غير أن العجاجى تحصن داخل القلعتين وأخذ يبعث بنداوات عاجلة الى الأمير فيصل لنجدته عن طريق كل من ميناءى الشارقة ودبى وهما الطريقان الوحيدان المفتوحان أمامه . أما شيخ القواسم سلطان بن صقر وشيخ آل بوفلاسه مكتوم بن بطنى حاكم دبه فقد ابديا استعدادهما لمساعدة العجاجى وذلك انطلاقا من غيرتهما من سعيد بن طحنون اكثر من حبهما للوهابيين ، غير انهما عدلا عن الخطة بعد وصول معلومات عن كثافة القوات التى كانت تحت امره بنى ياس . وفى ١٧ يونيو أخلى العجاجى قصر الصبارة . وفى هذه اللحظة انضم الى القوات المهاجمة فصائل من بنى كعب وبنى قتب والقفارة . وفى يوم ٢٠ منه استسلم العجاجى للقوات المهاجمة وقد سمح له ولجماعته من الوهابيين بمغادرة البريمى الى الشارقة بأسلحتهم

الشخصية . ومن هناك يشقون طريقهم الى نجد بالبحر ، وقد فكر سعيد بن طحنون فى هدم القلعتين ، وهما قصر الخندق وقصر الصبارة ، إلا أن السيد سيف بن حمود أيدى استعداده ليقم بها حامية من جنوده ، وقد وافقه الشيخ سعيد إلا أنه قرر بأن يبقى قريبا من المكان فى منطقة الظاهرة طول فصل الصيف .

وخلال شهر يونيو انطلقت اشاعات من نجد عن الأمير فيصل بأنه يعد حملة لفك الحصار عن قلعة البريمي أو استعادتها . وكان المفروض أن تتحرك الحملة فى نهاية شهر رمضان أو فى نهاية شهر أغسطس . أما هانيل الذى كان يراقب مجرى التطورات فى عمان ، فقد كان يشك فى صحة تلك الاشاعات ، خصوصا أن يقوم فيصل بارسال حملة خلال فصل الصيف عندما تكون منطقة الظفرة شعلة من اللهب ، وتصور هانيل أن الأكثر احتمالا أن تتحرك تلك الحملة عن طريق البحر ، وذلك باستعمال سفن يقدمها كل من شيخى انشارقة ودبى . ولو شعر هانيل بأن شيخى هاتين المشيختين ينويان بالفعل التعاون مع الأمير فيصل . فقد كان يفكر فى لفت نظرهما الى أن شحن أسلحة فى سفنهما سيعتبر خرقا لقانون نظام الهدنة البحرية .

غير أن الأمر لم يتطلب توجيه تحذير بهذا الشأن . إذ أنه مهما كان عداء سلطان بن صقر ومكتوم بن بطى لسعيد بن طحنون ، ومهما كان استعدادهما للتعاون مع الأمير فيصل للقضاء على خصمهما هذا ، إلا انهما لم يكونا راغبين فى استقرار السلطات البريطانية فى الخليج . وقد وقع الهجوم الوهابى المنتظر فى فصل الخريف . غير أن سعيد بن طحنون كان على أتم استعداد للتصدى لذلك الهجوم . فقد استبدل رجال حامية صحرالدين كانوا يرابطون فيها بقوات من رجاله ، وعقد لواها لزعيم آل بوشامس

حمود بن سرور ، كما دعا قبائل العوامر والمزاريع وبنى قتب والغفارة للدفاع عن الواحة من الجناح الغربي ، كما وضع قوات من المناصير والمزاريع من منطقة الظفرة الواقعة بين واحة ليوا والساحل لصد أى قوة تحاول التحرك من الاحساء . وفى اليوم الثامن من أكتوبر خرجت قوة مسلحة من الوهابيين بقيادة سعد بن مطلق من الاحساء متجهة الى ساحل الهدنة . غير أن قوات سعيد بن طحنون المرابطة فى الظفرة حاصرتها ومزقتها اربا ، وقد تمكن سعد بن مطلق نفسه من الافلات والتوجه الى الشارقة حيث وضع كل من سلطان بن صقر ومكتوم ابن بطى جميع قواتهما تحت تصرفه على الفور ، وبهذه القوات وبما تبقى من قواته المهزومة ، وبرجال حامية العجاجى الذى كان ولا يزال فى الشارقة بالاضافة الى بعض قوات ساهم بها كل من شيخى عجمان وام القيوين ، تحرك سعد بن مطلق من الشارقة فى الاسبوع الاول من ديسمبر وبرفقتة زعيما القواسم وآل بوفلاسه لفرض حصار على البريمى .

قبل أن يتحرك سعد بن مطلق من الشارقة كتب الى الأمير فيصل ، بناء على اقتراح سلطان بن صقر يطالبه بالاستفسار من هانيل ، عما اذا كان سيسمح بنقل الأسلحة والامدادات من الاحساء الى منطقة الساحل بطريق البحر . وفى هذا المعنى تلقى هانيل رسالة من الأمير فيصل فى شهر يناير ١٨٤٨ يدعى فيها ، بأن له حق السيادة على عمان ويذكره بالصدقة التى تربط آل سعود بالحكومة البريطانية مما يتوجب عليها تأييد اجراء سعد بن مطلق والحيلولة دون تدخل أى طرف فى عملية نقل الامدادات الى نائبه عن طريق البحر . وقد عامل هانيل رساله فيصل بما تستحقه من اجراء ، بعد أن شعر هانيل بانه ليس فى نطاق واجبه أن يعرض نظلم الهدنة للخطر عن طريق تحقيق أطماع الأمير فيصل فى

المنطقة ، وبالتالي فقد رد عليه بأنه لا يستطيع الإخلال باتفاقية الهدنة أو المجازفة بتشجيع سعيد بن طحنون بخرقها عن طريق شن هجوم بحرى على السفن الناقلة للامدادات من الاحساء الى عمان ، وقد أيدت حكومة الهند موقف هانيل ، وكلفته باستخدام القوة ، اذا دعا الأمر لمنع نقل الحملات العسكرية المسلحة الى ساحل الهدنة عن طريق البحر .

وقد استمر حصار البريمي من جانب سعد بن مطلق وحلفائه نحو شهرين ، دون أن يحقق أى نجاح . ومنذ البداية كان يبدو وضع سعيد بن طحنون وضعاً غير مطمئن ، فقد انقلب عليه السيد سيف بن حيود ، ربما بسبب وضع رجاله فى قلعتى البريمي وأخذ يتودد الى زعماء التحالف كما أن نعيم آل بوخريبان قد تخلوا عنه أيضاً ، ولم يكن لديه أى امل فى وصول عون اليه من السيد ثويني فى مسقط . وبمضى الوقت أخذ وضع المحاصرين للواحة يتأرجح بسبب الخلافات التي نشبت فيما بينهم ، وكاد ينتهى الحصار بنهاية مجزئة ، لولا دخول عنصر جديد الى حلبة الجراع ، ويبدو أن غرض الأمير فيصل من خلق الاضطرابات فى شمال عمان هو التنصل من تحويل الزكاة السنوية المقررة عليه الى الباب العالى عن سنة ١٢٦٤ هجرية (١٨٨٤ ميلادية) وقبل أن يقوم بايفاد سعد بن مطلق من الاحساء فى شهر أكتوبر ناشد رئيسه شريف مكة محمد بن عون التدخل مع سعد بن طحنون واقناعه بتسليم البريمي اليه . وقد بادر محمد بن عون بارسال مبعوث عنه الشريف على الذى وصل الى منطقة الساحل فى شهر فبراير ، ومنها توجه الى البريمي حيث نجح فى إعادة الامور الى وضعها الطبيعى قبل الحرب . فبعد أن يؤس سعيد بن طحنون من الحصول على مساعدة من سلطان مسقط ، وافق على إخلاء القلعتين وتسليمهما الى سعد بن مطلق ، بشرط أن يسمح لقوات التحالف بالانسحاب سالمة ، وأن يسفخ

له بإصطحاب كل ما حصل عليه من غنائم واسلاب كنتيجة للحرب التي شبت .

وصل الشريف على بوشهر في الاسبوع الثاني من مارس بخطاب نهائيل من محمد بن عون جاء فيه :

« اعرقكم بخصوص ابن سعود فيصل بان هذا من رعايا السلطان العثماني ، وغير خاف عليكم ان هناك بعض القلاع التي تخصه في عمان وان ابو سعيد وسعيد ابن طحنون قد طرداه منها ، وهو يدفع لخزينة السلطان . . . ١٧٠ ريال ، وانه عرض الامر على ، وبلغنى بعداء ابن طحنون والابو سعيد ضده كما ذكر لى بان ابن طحنون يقيم فى احدى الجزر فى البحر ، ولا سبيل له الى الوصول اليه ، وانى اعرقكم ان ابن سعود هو من رعايا السلطان، واملى فيكم الا تسمحوا بالقيام بأى اجراء ضده . ولا أحب ان اطيل عليكم فى الرسالة لعلمى انكم لا تفهمون اللسان العربى جيدا» . وقد طلب الشريف على من هانيل بالنيابة عن سيده ان يمنع بنى ياس من خلق المتاعب لفيصل ، غير ان هانيل رد يقول بان ذلك غير ممكن لان سياسة الحكومة البريطانية تقوم على أساس من عدم التدخل فى النزاعات القبلية على البر وقد عاد فيصل فكتب رسالة أخرى الى هانيل فى الشهر التالى تتضمن نفس المطالب ، وتترح ازغام بنى ياس على ان يختاروا بين الأوضاع الاقليمية والأوضاع البحرية . واذا اختاروا مهنة البحر فيمكن للحكومة البريطانية ان تتولى ميسوليتهم ، واذا اختاروا ان يبقوا كشعوب برية ، فعندئذ يحرمون من الاستفادة من الملاحه وأيا ما كان الجانب الذى سيختارونه ، فان مشيخة أبو ظبى سوف تبقى تحت رحمة الأمير فيصل .

أمضى سعد بن مطلق فترة ثقلى عن العمام فى البريمى منذ عودته الأخيرة إليها . غير أن الأوضاع قد تغيرت بالنسبة لما كانت عليه سابقا

فى شمال عمان ، وعلى الأخص بعد تحدى القبائل لسلطته ، وهزيمته على يد سعيد بن طحنون . وبعد أن جاءت عودته الى الواحة على حساب زعيمها . وقد غادر سعد بن مطلق البريمى بصفة نهائية فى شهر مارس ١٨٥٠ متوجها الى موطنه نجد عن طريق الشارقة والبحرين وعلى أثر ذلك قام سعيد بن طحنون فورا بطرد بقايا الحامية الوهابية واعادتها الى بلادها كما استولى على القلعة الصغرى ووضع فيها حامية من ٥٠٠ رجل ، وقد تمت هذه العملية بالتوافق مع تحرك السيد ثوينى نائب حاكم مسقط الذى أخذ هو الآخر يبدى اهتماما بما يجرى من أحداث فى المقاطعات الحدودية لعمان ، فبعث باربعين خيالا للمساعدة فى عمليات البريمى ، غير ان اهتمام السيد ثوينى بمصالح بلاده لم يتجاوز هذا الحد . ففى الوقت الذى كان سعيد بن طحنون ورجاله من نعيم آل بوشامس يخاصرون الحامية الوهابية فى البريمى . كان ثوينى منصرفا الى احياء خلافه مع السيد حمود بن عزان ، بأمل القضاء على زعيم صحار قضاء مبرما . وقد أقصى حمود عن السلطة فى صحار فى الشهور الأولى من عام ١٨٤٩ ، وقاد عملية اقصاص ابنه سيف الذى أخذ يضيق ذرعا بانصياع والده الى جماعة المطاوعة . وبمساعدة من والى شناص الواقعة على الساحل قام سيف بأبعاد هذه الطائفة المترهبة من صحار وطردها معها والده أيضا . وعند لقاء هانيل بسيف فى مايو ، والحصول منه على تعهد بتحريم استيراد العبيد الى منطقة صحار وتوابعها . وجد ان الحاكم الجديد لايتجاوز الثانية والعشرين من العمر ، وكان هادىء الطبع متحفظا ولكنه لا يخلو من سحنة الوقار التى يتميز بها كافة أفراد أسرة صاحب السمو امام عمان وقد انتقم حمود الذى انسحب الى الرستاق من ابنه سيف باغتياله فى مارس ١٨٥٠ ، فبعد استيلاء حمود على السلطة استدعاه ثوينى للاجتماع به فى شناص ، ربما بهدف التباحث معه بشأن الاشتراك

فى الاعداد لهجوم على الوهابيين فى البريمى . وعندما لم يبد حمود حماسا ، للفكرة ، أمر ثوينى باعتقاله واحضاره الى مسقط حيث زج به فى قلعة الجلالى . ثم قام ثوينى بعد ذلك بمهاجمة صحار التى كان قيس بن عزان والى الرستاق وشقيق حمود هو المسئول عن الدفاع عنها غير أن قيس دعا سلطان بن سقر ومدتوم بن بطى لكى يخفا لمساعدته ، وعلى أساس ذلك عبرت قوات الشارقة وديى جزيرة رأس مسندم واستولت على شناص . وفى يوم ٢٧ ابريل توفى حمود بن عزان فى سجن مسقط .

ان أسلوب الخيانة والتهور الذى استخدمه السيد ثوينى ضد السيد حمود قد أثار إستنكاراً شديداً فى الأوساط المسئولة فى بومباى ، التى رأت أنه أسلوب سوف يقوض اركان الحكم المتزعزع بالفعل لسلطان مسقط خصوصا اذا قررت القوات القبلية فى ساحل الهدنة الزحف من شناص الى الباطنة . ان اغتيال حمود والهجوم على صحار قد كان لهما تأثير مباشر على حكومة بومباى ، لأن هذه الأعمال تشكل خرقا لاتفاق ١٨٣٩ المعقود بين السيد سعيد وحمود بن عزان . والذى تمت مناقشته والتوقيع عليه عن طريق هانيل . زد على هذا أن التمهيد الذى حصل عليه هانيل من السيد حمود بمنع رعاياه من الاتجار فى الرقيق يعد اعترافا من بريطانيا بالاستقلال الداخلى للولاية . وبالتالي فقد كان الفايكونت فوكلاند حاكم بومباى مصمما على توبيخ السيد ثوينى ووالده على الأعمال المخجلة التى قاما بها ، غير أنه لم يكن يعرف الطريقة التى ينفذ بها تلك الرغبة . والواقع أن تأييد ودعم حكم السيد سعيد لعمان هو من قبيل السياسة الثابتة للحكومة البريطانىة ، ومع ذلك فقد قام الحاكم بالايعاز الى هانيل بأن يفعل ما فى وسعه لتحقيق تسوية للنزاع بين مسقط وصحار ، وللحصول على

تعويضات لورثة السيد حمود . كما صدرت الأوامر للسفينة المسلحة أوكلاند بالتوجه الى الخليج لدعم موقف هانيل ، غير أن المقيم خذر من استخدام أى وسيلة من وسائل القوة ، أو الزام حكومته بشيء فى اية تسوية يعقدها بين الطرفين . كذلك أوعز الحاكم الى المعتمد البريطانى فى زنجبار ، وهو لكابتن اتكنس همرتون ، بأن ينصح السيد سعيد بالعودة الى مسقط بأسرع وقت ممكن ، وأن يقترح عليه اصصدار بيان يستنكر فيه تصرفات نجله وتقديم تعويضات الى أسرة السيد حمود .

على أنه قبل أن يتلقى هانيل تلك الأوامر ، كان السيد ثوينى والسيد فيس قد توصلا الى نوع من الاتفاق فيما بينهما . وكان الاتفاق فى صالح فيس ، بحكم أن حليفه الأكبر سلطان بن صقر قد قرر فى بداية فصل الصيف توزيع رجاله على مصائد اللؤلؤ واخلاء بلدة شناص . أما ما اذا كان سلطان سيتمسك بموقف الاعتدال هذا حتى فصل الخريف ، وهو الوقت الذى تنتهى فيه اتفاقية الهدنة ، فقد كان هذا موضع تساؤل وكما كان متوقعا فقد انشغل سلطان فى الخريف بمرحلة جديدة من العلاقات بينه وبين سعيد بن طحنون . وبما أن سلطان قد ضاق ذرعا بالطريقة المتعالية التى عاملها به سعد بن مطلق ثم خليفته فى البريمى بتال المطيرى ، وبعد كل المساعدات التى قدمها لهم فى العام السابق ، قرر الانضمام الى سعيد بن طحنون والنعيم وكان ذلك فى شهر أكتوبر سنة ١٨٥٠ خلال الحصار المضروب على الحامية الوهابية فى الواحة . وفى الأسبوع الثانى من نوفمبر ارغموا قائد الحامية ابن بتال المطيرى على الاستسلام . وقد سمح له ولرجال حاميته بالرحيل الى نجد ، ثم تسليم القلعتين الى النعيم . وفى فصل الربيع الثانى تم الوصول

لبي معاهدة سلام تضم جميع قبائل عمان المتهادنة ، كما تضم قيس بن عزان ،
والى صحار وقبائل بنى ياس وزعماء القواسم ، وقد تم التوقيع على المعاهدة
فى الشارقة بتاريخ ٥ ابريل ١٨٥١ . وكان الهدف الأساسى من ابرام المعاهدة
هو توحيد صفوف القبائل فى مقاومة أى تدخل من جانب الامير فيصل وتأكيد
سلطاتها على أراضيها العمانية .

وقد لزم هانيل الفراش بسبب مرض شديد أصيب به فى خريف
١٨٥٠ ، ولم يتمكن من مغادرة يوشهر لتشفيد تعليمات أوكلاند قبل نهاية
ديسمبر . وفى مسقط رحب به ثوينى ترحيبا لائقا ، ولكنه لم يسمح له
بالمساهمة بأى اجراء فى تحقيق تسوية بينه وبين قيس . وأوضح له بأنه قد
تم تمديد الهدنة الى الخريف على أساس تعهد الطرفين باحترام الاوضاع
القائمة حتى عودة السيد سعيد التى كانت متوقعة فى أى يوم . وهنا شعر
هانيل بأنه لا يستطيع أن يفعل شيئا فى هذا الصدد ، وغادر السيد سعيد
زنجبار فى اليوم الثانى عشر من ابريل يرافقه همرتون ووصل مسقط يوم
١١ مايو ولكن حالته لم تكن ملائمة . فلم يظهر السيد سعيد أى بادرة لاستنكار
اجراءات السيد ثوينى ، وأخذ يتضح لهمرتون أكثر وأكثر بأن الهجوم الاول
على صحار واعتقال حمود بن عزان قد تم بايعاز من السيد سعيد نفسه .

وكان يبدو عليه أنه مصمم على سنسحق قيس بن عزان وتأكيد سلطته
على صحار ، وكان غير مكترث باتفاق ١٨٣٦ وفى الخريف زحف السيد
سعيد على اقليم صحار ، بعد أن نجح فى جلب سلطان بن صقر حليف قيس
الرئيسى الى صفه ، وبذلك احتل صحم والخابورة ثم أخذ يساوم قيس ،
بالسماح له بالاحتفاظ بصحار وشناس ، وأمهله شهرين لقبول عرضيه
أو رفضه . وقد أمضى قيس الوقت بحثا عن حلفاء يدعمونه ولكنه لم يفلح .

فخلال السنة الجديدة أرسل السيد سعيد قوة كبيرة ساهم فيها الشيخ مكتوم بن بطي حاكم دبي . وقد تمكنت هذه القوة من احتلال صحار وشناس ، وأسر قيس وكان هذا نهاية لاستقلال هذا الاقليم . فهذه الولاية التي كانت تتمتع بالحكم الذاتي منذ اتفاق بركا في ١٧٩٣ ، الحقت بأراضي السلطنة ، وسمح لقيس بالعودة الى موطن أسرته في الرستاق .

وفي غضون العاميين اللذين أعقبا طرد الحامية الوهابية من واحة البريمي في نوفمبر ١٨٥٠ ، لم يجد الأمير فيصل وقتا يخصصه لاسترجاع نفوذه الضائع في عمان ، وذلك لأنشغاله بمشكلات أهم في نجد . فقد كان يواجه بعض المتاعب في الاحتفاظ بمنطقة القاسم ، وهي المقاطعة الواقعة بين الحجاز ونجد ، حيث كان سكانها لا يزالون يحتفظون بولائهم للأمير السابق خالد بن سعود ، مما أضرر فيصل في ربيع ١٨٥٠ الى القيام بحملات لاختصاصها لنفوذه ، كما أن ظهور حركة مناوئة له في الشمال بقيادة ابن رشيد كانت تزيد من متاعبه على أن أكبر تحد كان يواجهه هو خضوعه لمحمد بن عون شريف مكة . وقد علم في أواخر ١٨٥٠ أن شريف مكة قد أجر نجد من الباب العالي نظير ٦٠٠٠٠ ريال نمسوى كل عام ومن هنا فقد كان فيصل في أمس الحاجة الى المال لدفع الزكاة التي كان يطالب بها شريف مكة ، ولهذا فقد قرر انتزاع تلك الاموال من البحرين . وهكذا ففي اوائل عام ١٨٥١ تحرك نحو الجنوب من القطيف في اتجاه قطر ، بهدف تهديد المستعمرة البحرينية في شبه جزيرة قطر ، وبالتالي ارغام آل خليفة الى دفع الزكاة اليه . وحدث وصول قواته الى قطر في شهر مارس قلقا واسعا على طول ساحل الهدنة ، وقد ساءت الاحوال أكثر من جراء الاستقبال الفاتر الذي استقبل به مبعوثه من جانب الشيخ سلطان بن صقر . وبالتالي فقد كان الأمير يكن منتهى الكراهية لزعيم القواسم ، وعلى الاخص من جراء ما قام به شيخ القواسم من دور في اقصاء

الحامية الوهابية بن البريمي . . وقد دفع هذا الخطر الزعيم القاسمي الى الاسراع في عقد اتفاق مع سعيد بن طحنون في شهر ابريل ، هدفه مقاومة زحف الأمير فيصل على المنطقة . كما أن عزم الأمير فيصل على سحق بنى ياس دفع سعيد بن طحنون بدوره ولنفس الأسباب الى تقديم مساعدته لحاكم البحرين محمد بن خليفة وذلك للوقوف في وجه الأمير فيصل .

وقد حفزت هذه المخاوف حاكم البحرين الى بدء مفاوضات مع شريف مكة في الخريف السابق يعرض عليه وضع البحرين تحت السيادة العثمانية ، ورفع العلم العثماني ودفع زكاة سنوية للباب العالي . غير أن تصرفه هذا اثار قلق الدوائر المسؤولة في كل من الهند وانجلترا . وفي صيف عام ١٨٤٩ بعث ستافورد كاننج السفير البريطاني في القسطنطينية ، بتقرير يقول فيه بأن الباب العالي قد أعلن فصل بلدة ومقاطعة النصيرة عن بغداد، وأن هذه المقاطعة مع إقليم الاحساء والساحل الجنوبي الغربي من الخليج الفارسي قد اصبح مقاطعة منفصلة والى جانب التقرير الذي ورد بكشف عزم الأتراك وضع سفينتين من سفنهم للعمل في مياه الفرات وسفينة ثالثة للعمل في الخليج ، فان ذلك كله كان يشير الى عزم الباب العالي على اتباع سياسة توسعية في هذه المنطقة . كما يبدو أن محمد بن خليفة كان مدفوعا في اتصاله بشريف مكة برغبة تفادى الرقابة البحرية التي يفرضها البريطانيون على سواحل الخليج . والتي كانت تسبب له احراجا ، وكان على خلاف مع هانيل حول بعض الحوادث التي وقعت في أحواض صيد اللؤلؤ خلال عام ١٨٥٠ ، وكان يستنكر مواقف الحكومة البريطانية في مجالسه ويقول ، أنها كانت منحازة الى الفرس وأنه لاشأن له بهم .

وفي ابريل عام ١٨٥٠ دعا فيصل مجيد بن خليفة الى الامتثال لدفع الزكاة السنوية المستحقة عليه ومقدارها ٤٠٠٠ ريال نمسوي وعشرة من الخيول

والا فسيلوم نفسه . ولم يمض وقت قليل على هذا الاجراء حتى قام مواطنو الدوحة بالانتفاض على حاكم البحرين واعلان ولائهم للامير الوهابى وقد تناسى محمد بن خليفة خلافه مع هانيل ، فبعث اليه برسول الى بوشهر فى شهر يونيو للتعرف عما اذا كان المقيم مستعدا للتدخل بالنيابة عنه . غير أن هانيل لم يعره اهتماما ، فقد أوضح للمبعوث بان السياسة البريطانية كانت دائما تقوم على الامتناع عن التدخل فى تصرفات الامير فيصل او غيره من زعماء المنطقة طالما لم تؤثر مواقفهم او تعكر صفو الامن فى الخليج وقال : مما لاجدال فيه أن وقوع البحرين تحت سلطة الوهابيين سوف يثير أسف الحكومة البريطانية ، غير أنه مالم يتلق تعليمات من حكومة بومباي بالتدخل فانه لا يستطيع أن يفعل شيئا .

ولخوف الامير فيصل من توجيه حاكم البحرين نداء الى الحكومة البريطانية ولاقناعه بان موقف المقيم سيكون أمرا حاسما فى تحديد نتيجة الخلاف فقد بادر بارسال مبعوث سرى الى بوشهر فى نفس الفترة . وقد وصل المبعوث الشيخ عبد العزيز الى بوشهر عن طريق الكويت ، لأن ميناء القطيف كان تحت حصار الاسطول البحرى . وقد أبلغ المبعوث هانيل عند وصوله بان الامير فيصل حائر من الاتجاه المعاكس الذى أخذت تسير فيه السياسة البريطانية تجاهه فى الآونة الأخيرة . فعلى حين كانت الحكومة البريطانية تحترم أسس التفاهم القائمة بينها وبينه ، والتي تقوم على امتناعها عن التدخل فى علاقاته بسكان الساحل الغربى . فانهم قاموا فى الفترة الأخيرة بمنع رعاياه فى رأس الخيمة ودبى من تقديم المساعدة البحرية اليه لاختصاص رعاياه المتمردين فى البحرين . كما انها سمحت فى الوقت نفسه لسعيد بن طحنون حاكم دبى بمساعدة محمد بن خليفة بالرجال والسفن . وقد رد هانيل على المبعوث بأن الحكومة البريطانية لم تعترف بسيادة الامير فيصل على البحرين أو مشيخات الساحل . ولقد سبق لعدد من الدول أن

ادعت بسيادتها على البحرين ، غير أن الحكومة البريطانية لم تعترف لها بتلك السيادة على البحرين التي تربطها به علاقات معاهدة منذ ثلاثين عاما . وأنها لن تنظر بارتياح الى انتقال السيادة عليها من حكامها شيوخ آل خليفة . وان عزوف شيوخ الهدنة عن مساعدة فيصل نابع من قلقهم على مصر الامن في البحر ، وليس نتيجة موقف عدائى . أما مساعدة بنى ياس لآل خليفة فانها لم تكن بايعاز من الحكومة البريطانية ، وانما لان الامير فيصل قد نذر نفسه للقضاء عليهم . وكان هانيل يميل الى تذكير محمد بن خليفة بهضائل الامير فيصل عليه ، وان يحاول تحسين علاقته به ، وكان هذا أقصى ما فى استطاعة هانيل أن يقوم به ، أما فيما عدا ذلك كما اشار هانيل الى رؤسائه فى بومباى فسوف لا يتعارض مع السياسة البريطانية المقررة للمنطقة فحسب ، وانما سيؤدى الى تسهيل وضع البحرين تحت السيادة العثمانية . أما من حيث العلاقة القائمة بين الامير فيصل والباب العالى فليس هذا موضع شك فى اعتقادى ، فعندما كان الشيخ عبد العزيز فى الكويت كان يعتبر نفسه مبعوث عباس باشا . وكان قد أخبرنى بأن رسلا من الباشا موجودون عند الامير فى الوقت الحاضر .

وفى الاسبوع الثانى من فبراير أصدر بالمرستون بوزارة الخارجية أوامره الى ستافورد كاننج ، بعد علمه بموضوع عرض محمد بن خليفة على شريف مكة بأبلاغ الباب العالى بأن الحكومة البريطانية لا يمكنها الموافقة على أى ترتيبات تتعلق بوضع البحرين تحت الحماية التركية وأرسلت نسخة من تلك الأوامر الى الكولونيل شيل فى طهران الذى قام بأحالتها الى هانيل . وهنا قرر هانيل بالإ ينتظر وصول تعليمات من الهند ، وبالتالي ففى الاسبوع الاول من يوليو طلب الى قائد اسطول الخليج بتوجيه ثلاثة طرادات للتجول

بالقرب من سواحل البحرين . كما كتب الى فيصل فى الوقت نفسه بأنه اذا حاول غزو البحرين فان الاسطول سوف يقاومه .

قام أسطول الخليج بالاشتراك مع أسطول البحرين بحصار ساحل القطيف طوال شهر يوليو . وفى بداية شهر أغسطس وصلت معلومات عن عقد اتفاق بين فيصل ومحمد خليفة عن طريق الوساطة غير المتوقعة لسعيد بن طحنون . وبموجب الاتفاق اعيدت الدوحة الى خليفة ، كما تعهد محمد بن خليفة بدفع الزكاة الى الامير فيصل بواقع ٤٠٠٠ ريال كل عام . وبهذا تكون المشكلة قد حلت فى وقتها وقد ظهرت الكوليرا فى البحرين ومنها انتشرت الى الاسطول المحاصر حيث اودت بحياة عدد من طاقم الطراد الفينستون . وفى اليوم السادس من أغسطس وصل الى بوشهر مبعوث آخر من فيصل هو الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم وهو نفس الشخص الذى بذل المحاولات لفك الحصار عن الحامية الوهابية فى اليريمى فى مطلع عام ١٨٤٨ لمقابلة هانيل ، وقد ابلغ المقيم بأن فيصل قد صرف النظر عن الهجوم على البحرين ، وذلك نزولا على رغبة الحكومة البريطانية ، رغم أنه لا يزال يطالب بالسيادة على القبائل البحرية بما فى ذلك عمان وساحل الباطنة .

ثم أخذ عبد الرحمن يسأل هانيل عما اذا كان سيرتب تسوية دائمة بين فيصل وشيوخ البحرين على أساس الاتفاق الأخير ، وفى حالة عدم تمكنه من فرض هذه التسوية فهل لدى الحكومة البريطانية ما يمنع من قيام الامير فيصل بنفسه بارغام البحرين على دفع الزكاة ، فيما اذا توقفت عن ادائها فى أى وقت من الأوقات ، وقد اجابه هانيل بأن الحكومة البريطانية لن تسمح للإمير فيصل بوقوع البحرين تحت سيطرة أى دولة ، مهما كانت الحجج وأنها من ناحية أخرى لا تعترف للإمير فيصل بأية سلطة على قبائل الساحل العربى

التي كانت ولا تزال تعتبرها وتعاملها كدولة مستقلة . . . وأما فيما يتعلق بإبرام اتفاق بين البحرين وأمير نجد فإنه ، أي هانيل ، لا يستطيع ذلك قبل حصوله على موافقة من حكومته ، وأن هذه الموافقة غير واردة في اعتقاده . ولقد كتب هانيل إلى رؤسائه بعد هذا اللقاء التقرير التالي : « انني لا أتصور أن تكون سياسة غير حكيمة او وافقت الحكومة على ممارسة ضغط على شيخ البحرين لحمله على دفع الزكاة الى الأمير الوهابي بصورة منتظمة ، مع الحرص على أن يكون دفع تلك الزكاة من منطلق ديني محض ، باعتبارها ضريبة مستحقة للامام أو الحاكم الديني لطائفة الوهابيين ، وليس كاتاة ، وعلى أساس أنها لا تتضمن اعترافاً له بالسيادة على البحرين ، وأن دفع مبلغ ٤٠٠٠ ريال سنويا ليس مبلغا كبيرا ، اذا وضعنا في الاعتبار موارد البحرين ، وبما أن هذه الضريبة السنوية ظلت تدفع من جانب حكام الجزيرة الى رئيس الوهابيين منذ وقت طويل ، فان مطالبة الأمير فيصل الآن باستمرار دفع الزكاة موقف له ما يبرره : انني متأكد كل التأكد أن هذا الاقتراح قد لا يلقي الموافقة ، الا أنني ارى انه جدير بالنظر باعتباره خطوة تساهم في اقرار السلام في الخليج (١) .

في شهر فبراير من عام ١٨٥٢ قام اللفتنان كولونيل هانيل بجولته الأخيرة في الخليج . وقد اصطحب معه في هذه الجولة مساعده الكابتن ارنولد كامبل ليقدمه الى الشيخ باعتباره المرشح الذي سيخلفه في منصب

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٠٢ مرفق للخطاب السري رقم ٧٣ في ١٨٥١/١٠/٢ من هانيل الى ماليت ١٨٥١/٨/٩ (رقم ٢٥٨ الإدارة السرية) .

تأثيم . غير أن رحلة الوداع التي قام بها لمشايخ المنطقة لم تحظ بأى اهتمام ولم يظهر الشيوخ أى أسف على رخيله . غير أنهم عندما سعدوا الى المركب الذى كان يقاه فى كل من الشارقة وأم القيوين وعجمان ودبي لتوديع هانيل للمرة الاخيرة ، شعروا جميعا بأن سفره يعنى نهاية المرحلة . ولقد كانت لحظة فريدة . اختلطت فيها المشاعر واستيقظت ذكريات الماضى بفواجهه وفوضاه ، وما تتخلله من أعمال السلب والنهب فى البحر وعلى الأخص من جانب شيخ مشايخ القواسم سلطان بن صقر ، وعلى الرغم من شيخوخته وتدهور حالته الصحية فقد كان ولا يزال فى مقدوره اشعال المنطقة من رمس الى أبو ظبى ، رغم أنه لم يعد يستطيع أن ينشر الرعب الذى كان يثيره اسم القواسم فى كافة أرجاء الخليج . كما أن سعيد بن طحنون شيخ مشايخ بنى ياس ، والذى التقى به هانيل فى مسقط فى أواخر الشهر ، كان من حقه أيضا أن يهتم برحيل المقيم عن المنطقة ، أن لم يكن للحملة التى قادها هانيل نسحق تمرد بنى ياس سنة ١٨٣٥ . فعل الأقل نتيجة للتأييد الذى منحه هانيل لشيخ بنى ياس خلال الايام الحرجة التى أعقبت استيلاءه على السلطة والمساعدة التى قدمها اليه لاجراج الوهابيين من عمان .

غير ان سعيد بن طحنون وأمثاله من شيوخ المنطقة لم يكونوا من النوع الذى يعترف بالجميل . فلقد كان الحقد والجشع أهم بالنسبة اليهم من التفاهم وبعد النظر ، وأن الأمن بالنسبة اليهم قد لا يساوى شيئا أمام المكاسب اليومية التافهة ، كما أن المراوغة عندهم غاية وليست وسيلة لغاية ، فخلال عامين تحول سعيد بن طحنون من الموقف المعادى للوهابيين الى موقف المتعاون معهم ثم العداوة مرة أخرى . وعند مقابلة هانيل له فى مسقط كان سعيد مشغولا بشراء سفينة حمولة ٣٥ طنا «بايدال» وقيل أنه حصل عليها من الامير فيصل . وقد سأل هانيل فيما اذا كان فى استطاعته أن يقف الى

أحد الجانبين فيما لو نشب خلاف بين الأمير فيصل ومحمد بن خليفة . ولقد راودت هانيل الشكوك أن تكون السفينة التي كان يقوم سعيد بن طحنون بشرائها قد تخصص لنقل جنود الوهابيين من الاحساء الى البحرين ، غير أن هانيل اجابه بأنه لا يستطيع تقديم أى مساعدة مجزية لاي من الجانبين . ولما استاء من رد هانيل عاد يسأله عن الموعد الذي ستنتهى فيه صلاحية اتفاقية الهدنة . فرد عليه هانيل بأنه باقى على الاتفاقية عام واحد ، وعند انتهائها سوف تجرى التدابير لتجديدها .

وفى التقرير الذى بعث به هانيل الى رؤسائه اشار الى ما لاحظته من نفاد الصبر بين قبائل المنطقة حول هذه النقطة . ولقد استمر التحالف الشاذ بين القواسم وبنى ياس لعله بسبب عزم المشيختين على سحق دوى . وكان الشيخ مكتوم بن بطى موجودا هو الآخر فى مسقط عندما زارها هانيل ، وكان يحاول شرح مشكلته للسيد سعيد ، غير أن السيد سعيد كان قد مال الى جانب سلطان بن صقر وسعيد بن طحنون . وعلى الرغم من الهدوء الذى يسود الخليج من اقصاه الى اقصاه ، الا أن هانيل كان يتوجس خوفة من المستقبل وعلى الاخص عندما تنتهى مدة الاتفاق . وبعد استلام تقرير هانيل أو عزت حكومة بومباى الى الكابتن كامبل الذى خلف هانيل بالعمل على جس نبض شيوخ الهدنة حول رغبتهم فى تجديد الاتفاقية عند انتهائها فى ٣١/٥/١٨٥٣ ، سوء بشكل دائم أو لمدة محدودة أخرى . وقد تم توجيه السؤال الى الشيوخ فى أواخر عام ١٨٥٢ ، وكان رد الفعل خليطا من المواقف . فقد اجاب كل من شيخ ذوى وعجمان وأم القيوين بأنهم يرغبون فعلا فى تحقيق طلب المقيم . أما زعيما بنى ياس والقواسم فقد اجابا بأنهما يفضلان عدم اتخاذ قرار قبل زيارة المقيم الى منطقتهم فى فصل الربيع القادم . وكان كامبل يفضل اتفاقية

دائمة بدلا من اتفاقية محدودة المدة ، وكان يشاطره هذا الرأي رجال السلطة فى بومباى .

ان الأجوبة المتناقضة لمشايخ المنطقة كانت تعود فى المقام الاول الى التوتر وحالة عدم الاستقرار التى تسود السواحل العربية للخليج ابان سنة ١٨٥٢ . فى شهر ابريل استقبل الأمير فيصل فى الرياض أحد أشقاء سعيد بن طحون واثنين من أنجال سلطان بن صقر . وفى أواخر ذلك الشهر وصل الأمير عبد الله أكبر أنجال فيصل الى الاحساء قادما من نجد ، وقد كان الهدف من زيارته هو مطالبة حاكم البحرين بدفع الزكاة المستحقة عليه بموجب الإتفاق المنوه عنه سابقا. والذى لم يتم تسديده بالكامل حتى ذلك الوقت . غير أن الزيارة كانت تنطوى على هدف أخطر من ذلك الا وهو غزو عمان ، وقد بقى الأمير عبد الله فى الاحساء طوال الصيف . وكانت الاشاعات تنطلق متدفقة بغزو وشيك للبحرين ، ثم يتبعه زحف على عمان . وكان أحد أنجال السيد حمود قد قام بزيارة للرياض ، وأن فيصل وعده خلال تلك الزيارة بأن يسترد له ميراثه من السيد سعيد . أما محمد بن خليفة حاكم البحرين فقد بعث بوفد الى مسقط يعرض عقد حلف دفاعى ضد الأمير فيصل ، وفى نفس الوقت كان السيد سعيد على اتصال بعباس باشا والى مصر ، لكى يطلب منه كبح جماح فيصل وفى شهر أغسطس توفى مكتوم بن بطى شيخ دوى ، وعلى أثره نشب صراع على السلطة بين أنجاله وشقيقه سعيد . وقد وجه أنجاله نداء الى سلطان بن صقر للمساعدة ، بينما وجه سعيد بن بطى نداءه الى السيد سعيد ، وعلى الرغم من أن السيد سعيد قد بعث اليه بحقنة من الرجال ، الا أنه لم تعد تهمة مشاكل عمان والخليج أو شبه الجزيرة . ونظرا لشيخوخته المبكرة بعد أن استنزفت قواه الأزمات والمثائب ، شعر بالحنين الى زنجبار ، وهكذا عند هبوب أول نسيمات الفصل الموسمى أقلع مرة أخرى الى ماواه فى أفريقية الشرقية .

غير أن غياب السيد سعيد عن عمان فتح الباب واسعا أمام أمير الرياض
وفى الأسبوع الأخير من يناير ١٨٥٣ ، تحرك عبد الله بن فيصل من الاحساء
الى عمان ورافقه فى الحملة أحمد السديرى والى الاحساء ، وكان القائدان
على رأس قوة من ٣ آلاف راكب جمل و ٣٠٠ الى ٥٠٠ خيال وبعد شهر من
خروجهما وصلا واحة البريمى ، ورابطت قواتهما فى مزارع النخيل التى تحيط
بالبلدة . ولقد بادر النعيم الذين كانوا يقومون بحراسة القلعتين بتسليمهما
الى عبد الله ، وقد صرح عبد الله بأنه قد جاء كحكم ومنقذ لابنائه الشيوخ مما
كانوا يعانون منه من ظلم واضطهاد فى عمان غير أن أهدافه الحقيقية لم تكن
أهدافا سامية كما صرح . وقد بادر عبد الله الى استدعاء السيد ثوينى نائب
السيد سعيد للحضور الى البريمى على الفور ، وطالبه باعادة ولاية صحار
لقبيس بن عزان ، ودفع متأخرات الزكاة وجميع تكاليف الحملة . ولقد كان
المبلغ الذى طلبه عبد الله بن فيصل ضخما ، مما يقطع بأن الهدف الأساسى
من ذلك الشرط ، هو أن يتخذ عبد الله من رفض السيد ثوينى لمطالبه ذريعة
التهجوم على ساحل الباطنة واجتياحها . ولكى يقطع عبد الله على السيد ثوينى
كل طريق فى الحصول على مساعدات وتأييد من شيوخ الساحل ، دعاهم
الى الحضور الى مقره فى البريمى واستبقاهم هناك .

وفى يوم ٢١ مارس وصل الكابتن كامبل الى الشارقة على ظهر الطراد
كلايف لمفاوضة الشيوخ فى عقد اتفاقية بحرية دائمة . ولما علم بأن شيوخ
الساحل مجتمعون كلهم بعيد الله فى البريمى كتب اليهم رسائل يدعوهم
للاجتماع به على الساحل فورا لعقد الاتفاقية . ثم بعد ذلك انسحب كامبل
الى باسندو فى انتظار وصولهم . ولم يرد عليه من الشيوخ سوى اثنين هما
سلطان بن صقر وحمد بن راشد شيخ عجمان وذكرنا له فى رسالتيهما أنهما
لا يستطيعان الحضور . ومن ناحية أخرى بعث الأمير عبد الله برسائل الى

كامبل يقول فيها أنه يهمله بقاء الشيوخ لديه (لانهم مرتبطون بنا ومحسوبون علينا) وبأنهم لا يستطيعون الحضور لمقابلته لبعض الوقت ، وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس وصل وكيل المثلية فى الشارقة الى باسيديو ، وأفاد بان سلطان بن صقر قد انحاز الى زعيم الوهابيين وذلك لسببين : الأول : العمل على إعادة قيس بن عزان لولاية صحار ، الأمر الذى سيسمح له بتوسيع رقعة نفوذه الى ساحل الباطنة من ناحية ، والثانى تأكيد سلطته على عجمان وأم القيوين من ناحية أخرى . ومن ناحية ثالثة فان زعيم بنى ياس سعيد بن طحنون رغم أن علاقته بمسقط لم تعد كما كانت سابقا بسبب تخاذل السيد ثوينى فى الدرجة الأولى ، الا أنه رفض الاشتراك فى هجوم على مسقط وسرح القسم الأكبر من رجال القبائل الذين كانوا معه . وقد عاد الأمير عبد الله فأرسل طلبا قاطعا الى السيد ثوينى لتسليم صحار ، وساعتها شعر كامبل بأن الوقت قد حان لكى يتدخل . فقام بإرسال خطابات الى كل من الأمير عبد الله و سلطان بن صقر أبدى فيها أسفه البالغ على تصرف الأمير بمنع الشيوخ من الاجتماع به ، كما وبخ زعيم القواسم على اشتراكه فى التحريض على شن عدوان على أرض أحد أصدقاء بريطانيا القديما كما أمر كامبل فى الوقت نفسه الطرادين كلايف وتجرنيس بالتحرك للقيام بدوريت على طول ساحل الباطنة لدعم موقف السيد ثوينى .

أما ثوينى فقد قذف بكل بالديه من رجاله الى ميدان المعركة فى صحار ورفض التهديدات التى وجهها اليه عبد الله وقد توافق قرار السيد ثوينى وموقف السيد سعيد بن طحنون مع تدخل كامبل الى جانبهما الى تميع موقف الأمير عبد الله ، مما اضطره فى الاسبوع الثانى من ابريل الى ايفاد مساعده ، أحمد السديرى الى صحار برفقة سعيد بن طحنون كوسيط لمفاوضة السيد ثوينى وقد أمضى كامبل اسبوعين عصيبين ، وهو ينتظر فى

— ٧٠٢ —

قاعدة باسيديو ، وهو نفس المكان الذى وضعت فيه صيغة نظام الهدنة ، وبالتالي أصبح مصير ذلك النظام بل ومصير عمان نفسها فى كفة القدر ، فإذا فشلت المفاوضات أو أطلق عبد الله قواته لشن هجوم على عمان ، فان منطقة الساحل سوف تفرق فى بركة رهيبة من الدماء ، كما ستعرض سلطنة عمان للدمار ، فضلا عن أن نظام الهدنة البحرية برمته سوف ينهار . والواقع أن صحار كانت تشهد فى ذلك الوقت صراعا بين كامبل وعبد الله ، أو بين الحكومة البريطانية وامارة الوهابيين فى نجد من أجل سبيل السيطرة على الدول البحرية للخليج . وفى يوم ٢ مايو علم كامبل بأنه قد كتب له النظر فى ذلك الصراع . فقد حضر اليه معبوث الى باسيديو ليلغنه عن عقد اتفاق لتسوية الأزمة تم توقيعه فى مدينة صحار .

لقد كان الاتفاق مجحفا بالنسبة لمسقط ، غير أنه كما ألمح سعيد بن طحنون لكامل بأن البديل سيكون تمزيق السلطنة . فقد تعهد ثوينى لعبد الله بدفع ٦٠ الف ريال كمتأخرات عن الزكاة المستحقة عليه ، وان يدفع بعد ذلك ما مقداره ١٤٠٠٠ ريال سنويا عن مسقط و ٨٠٠٠ ريال سنويا عن ولاية صحار ، كما تعهد بتوفير ٥٠٠ شوال من الأرز وأربعة صناديق بارود ، وكمية كبيرة من الرصاص لاستعمال الحامية الوهابية فى البريمي ومن جانب الامير عبد الله فانه قد عقد حلفا وثيقا وكاملا مع السيد ثوينى ، تعهد فيه باعتبار اصدقاء واعداء أحد الطرفين المتعاقدين اصدقاء واعداء للطرف الآخر وأن يؤيد كل طرف الطرف الآخر فى كافة المسائل التى تهّم الطرفين وتتطلب مساعدة الواحد للآخر وبموجب الاتفاق المعقود تم الاعتراف بالسيادة الوهابية على عمان الداخلية ابتداء من وادى الجزى جنوبا على امتداد سلسلة الحجز حتى بهلا ومنها الى رأس الحد ، كما اعترف للأمير بتبعية الباطنة له .

وفى مقابل ذلك اعترف أمير نجد للسلطان بالسيادة على عمان الأصلية ،
ومسقط والشرقية وجعلان .

لم يبق عبد الله فترة طويلة في البريمي بل غادرها قبل حلول فصل
الصيف الحار ، وقد أخذ معه قوات الخيالة والهجانة ، بعد أن ترك أحمد
السديري وحامية صغيرة في الواحة لجمع الزكاة السنوية من مسقط
وقبائل عمان الشمالية . وقد غادر البحر الى الساحل بمجرد علمه باتفاق
صحار ليرتب لتجديد اتفاقية الهدنة . وقد اكتشف لدى وصوله أن جميع
الحكام دون استثناء راغبون بل ومتلهفون على إبرام اتفاق بحرى للهدنة
الدائمة . وفيما بين ٤ و ٩ مايو وقع الشيوخ الخمسة - سلطان بن صقر
حاكم الشارقة ورأس الخيمة ، وعبد الله بن راشد حاكم أم القيوين ، وحمد
بن راشد حاكم عجمان ، وسعيد بن بطي حاكم دبي وسعيد بن طحنون حاكم
ابو ظبي على معاهدة السلم البحرية الدائمة ، تعهدوا فيها بالالتزام بها هم
وخلفاؤهم من بعدهم ، وبموجب البند الأول للمعاهدة تعهد الفرقاء انه
اعتبارا من هذا التاريخ وهو الخامس والعشرون من رجب ١٢٦٩ - الموافق
الرابع من مايو ١٨٥٣ ومن الآن فصاعدا سوف تتوقف جميع العمليات الحربية
في البحر بين رعايانا وأتباعنا ، وأن تقوم هدنة حقيقية دائمة فيما بيننا.نحن
الموقعين وفيما بين خلفائنا من بعدنا ، والى الأبد وفى البند الثانى تعهد كل
شيخ من هؤلاء الشيوخ بمعاينة كل فرد من رعاياهم أو أتباعهم عن أى انتهاك
يرتكبه فى البحر ضد ممتلكات رعايا وأتباع الأطراف الأخرى الواقعة على
المعاهدة ، كما أن عليهم أن يدفعوا ما يترتب على تلك الاعتداءات من تعويض
وغرامات ، كما تعهد كل منهم فى البند الثالث من المعاهدة ، انه فى حالة
وقوع اعتداء على رعايا أحد منهم فى البحر من جانب رعايا طرف آخر من
المشاركين فى المعاهدة فليس من حقه الرد على الاعتداء وإنما يبلغ عنه المقيم

البريطاني في الخليج ، او قائد اسطول الخليج الذي سيقوم باتخاذ الاجراء
اللازم للتعويض عن الاعتداء .

مر ثلاثون عاما منذ توقيع معاهدة السلم العامة باشراف السير وليم
كيبى . وقد أمكن التوصل اخيرا الى حل المتسكلة الخاصة بأعمال القرصنة
في الخليج . وحتى ذلك الوقت لاتزال هناك ثغرات في المعاهدة . نظرا لأن
المعاهدة لم تلزم الشيوخ بمراعاة السلم في الخليج تجاه الدول غير المشتركة
فيها . وقد سأل الشيخ سلطان بن صقر الكابتن كامبل عند توقيع المعاهدة
عما اذا كان الوضع يجيز له الرد على السيد سعيد فيما لو حاول شن
هجوم على ممتلكاته في الشمالية ، فاجابه كامبل بأنه يمكن ذلك بشرط أن
يوجه تحديرا الى الطرف الآخر بمدة كافية ولقطع خط الرجعة على هذه
الثغرة في المعاهدة فقد كان الالتزام بالخط الدولي للملاحة يمنع الى حد كبير
نشوب صراع بين الدول المشتركة في المعاهدة ودولة خارجية . كما تمنع امتداد
ذلك الصراع الى الخط الملاحي الرئيسى . وثمة ثغرة اخرى في المعاهدة وهى
أنها لا تحوى نصا بشأن الدفاع عن مشيخات الهدفة ضد أى اعتداء يقع عليها
في البحر من دولة خارجية . ومن ناحية أخرى فان مسئولية الدفاع عن
مشيخات الساحل انما تقع على عاتق الحكومة البريطانية التى تستمدتها
من نظام الهدنة نفسه . وكان الشيخ بطى بن مكتوم حاكم دبی قد اشاز
لكامبل عند توقيع المعاهدة بأن الوجود الوهابى في عمان يتعارض مع مصلحة
القبائل الساحلية ، وأنه قد يأتى وقت يشكل فيه هذا الوجود نوعا من
الإحراج للحكومة البريطانية ، واستطرد الشيخ يقول بأن اسهل طريقة أمام
الحكومة البريطانية لمواجهة هذا الوضع هى إعلان المنطقة الساحلية الممتدة
من ابو ظبى حتى رأس مسندم ، منطقة خاضعة للحماية البريطانية ، ثم تسأل
هل اذا هاجم الوهابيون مشيخة دبی ستنبرى الحكومة البريطانية للدفاع

عنها ؟ وقد أجابه كامبل بأن سياسة حكومته تقوم على أساس الحياد في المشكلات التي تقع داخل المنطقة رغم أنها حريصة كل الحرص على استقلال وسلامة الدول البحرية ، وأنها ستدافع بلاشك لو تعرضت لهجوم من البحر وأما مسألة الدفاع عن هذه الدول ضد الاعتداءات الوهابية على البر فقد ظلت بغير تحديد .

ان تردد الحكومة البريطانية في موضوع التدخل في العمليات العسكرية في داخلية شبه الجزيرة ظل مستمرا ، وكان في رأيها أنه طالما أمكن الحفاظ على استقلال تلك الدول ضد الوهابيين عن طريق الضغط السياسي واستعراض القوة البحرية عند الضرورة ، وظل الشيوخ متمسكين بالتزاماتهم الخاصة بالامن والسلم في الخليج ، فان مثل هذا التورط يظل خارج تفكير الحكومة البريطانية . وقد كان هذا التصور هو الأساس في استبعاد البحرين من نظام الهدنة في ١٨٥٣ كما كان الحال سابقا ، لان البحرين لا تتألف من الأرخبيل فقط وإنما تشمل بعض أجزاء من قطر . وإذا كان الدفاع عن الأرخبيل ممكنا بالوسائل البحرية ، فان الامر يختلف بالنسبة للقطاعات الداخلية للجزيرة ، وبالإضافة الى ذلك فان الخطر على البحرين بعد غياب السيد سعيد عن المسرح بدأ ينطلق من دولة فارس . وفارس دولة ليس لها أسطول . أما الخطر البري على البحرين فقد كان مصدره نجد ، وكان يشكل معضلة خطيرة للبريطانيين ، اذ لم تكن تجد القوة العسكرية الرئيسية في المنطقة فحسب ، وإنما لانها كانت تستطيع أن تهدد ممتلكات آل خليفة . وهكذا ففي الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية على استعداد لممارسة مسؤوليتها في البحر بمنع فارس من السطو على المشيخات العربية ، وإنما قد سبق لها أن مارست (٤٥ - بريطانيا والخليج)

- ٧٠٦ -

هذه المسئولية الا أنها لا تجد نفسها فى وضع يسمح لها بممارسة هذه المسئولية
ازاء الوهابيين .

وقد بنى نظام الهدنة سارى المفعول حتى يومنا هذا ، كما بقى رمزا
لجهود كل من صمويل هانيل وازنولد كامبل مساعده . ولم يحدث أن قام
رجل بما قام به هانيل فى توطيد اركان التفوذ البريطانى فى الخليج وحفظ
الامن فيه .

ولد هانيل من أب يعمل صائفاً بمنطقة روزهل فى برمنجهام سنة ١٨٠٠
والتحق بالخدمة العسكرية سنة ١٨١٩ بالفرقة ١٢ من مشاة بومباى . وفى سن
السادسة والعشرين عين فى منطقة الخليج كمساعد للمقيم ، فى ذلك الوقت
كانت قبائل القرصنة لاتزال تعانى من آثار هزيمتها على يد كبر ، وكانت
حماية الملاحة البحرية تتطلب وجود مالا يقل عن ٦ طرادات . وعند مغادرة
هانيل للمنطقة بصفة نهائية كان هناك طراد واحد فقط يتولى أعمال الرقابة
على الامن فى الخليج . ولقد استطاع هانيل خلال الفترة التى قضاها فى
الخليج أن يكتسب ثقة شيوخ الساحل ، كما نجح فى مناسبات كثيرة وبعمليات
خاطفة وضربات ساحقة أن يخمى سلطنة عمان من الوقوع فى خضم الحرب
الاهلية أو الاجتياح الوهابى لها . وعلى امتداد السنوات الحرجة من عام
١٨٢٨ حتى ١٨٤١ عندما كان البريطانيون يقاتلون بضراوة على جانبى الخليج ،
استطاع هانيل بهدوء أعصابه أن يستخدم الامكانيات المحدودة بأحسن ما
يكون الإستخدام ، ويحافظ بالتالى على سمعة حكومته وهيبته على امتداد
تلك المرحلة الحرجة . كما أن نجاحه فى اقناع سلطان مسقط وشيوخ
الساحل بوقف تجارة الرقيق لا يقل أهمية . بل ويضاعف من أهميته هذا
الانجاز الذى يكشف عن براعة ودبلوماسية هائلة ، لقد كان هانيل بلا جدال

- ٧٠٧ -

أعظم المقيمين السياسيين البريطانيين الذين خدموا في منطقة الخليج ، ورغم هذا فإنه عندما أحيل على المعاشن من عمله في الشركة اعتبارا من ٣ أكتوبر ١٨٥٤ ، غادر المنطقة دون تكريم من حكومته ، كما أن السنوات السبب والعشرين التي أمضاها في عمل مستمر في الخليج ذهبت سدى دون أن يلقى ما هو أهل له من ثواب وتكريم . ويومها عاد هانيل ليستقر في شلتنهام حيث أمضى بقية عمره حتى الثمانين وتوفى يوم ١٣ سبتمبر ١٨٨٠ .

انتهى الجزء الأول

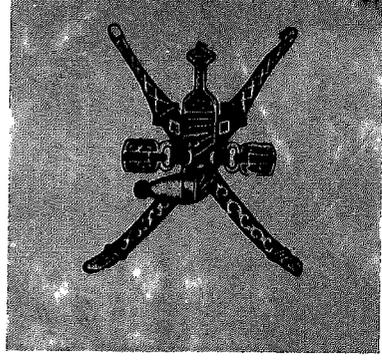
ويليه

الجزء الثانى

محتويات الجزء الأول

	صحيفة
الفصل الأول : الخليج في أواخر القرن الثامن عشر	٧
الفصل الثاني : الحرب مع فرنسا الوفود الى فارس .	٩٥
الفصل الثالث : القرصنة والوهابيون (١٨٠٠ - ١٨١٨ م) .	١٥٦
الفصل الرابع : الحملات العسكرية ضد موانئ القرصنة (١٨١٩ - ١٨٢٠ م) .	٢٣١
الفصل الخامس : البحث عن قاعدة في الخليج والحملة على قبيلة بنى بوعلى (١٨٢٠ - ١٨٢٣ م) .	٢٧٧
الفصل السادس التفتيش والرقابة : الحفاظ على الأمن البحرى (١٨٢٣ - ١٨٣٤ م) .	٣١٩
الفصل السابع : الطريق الى الهند (١٨٢٦ - ١٨٣٦ م) .	٤٤٣
الفصل الثامن : الأزمات المصرية والفارسية (١٨٣٧ - ١٨٤٠ م) .	٥٠٢
الفصل التاسع : نظام الهدنة (١٨٣٥ - ١٨٥٣ م) .	٦١٨

سَلْطَنَةُ عُومَانِ
وَزَارَةُ التَّرَاثِ الْقَوْمِيِّ وَالثَّقَافَةِ



بَرِيْطَانِيَا وَالْحَلِيْجِ

١٧٩٥ : ١٨٧٠

تأليف
چون. ب. كيلی

الجزء الثاني

ترجمة
محمد أمين عبدالنور



سَاطِنَةُ عُمَانِ

وزارة التراث القومي والثقافة

بريطانيا والخليج

١٧٩٥ : ١٨٧٠

تأليف

جون. ب. كيلني

الجزء الثاني

ترجمة

محمد أمين عبدالستار

راجع الكتاب وأشرف على طبعه الأستاذ

عبد المنعم عامر

طبع في مطبعة غلبي الباذي الجاني وشركاه

الفصل العاشر

تجارة الرقيق فى شبه الجزيرة العربية

١٨٠٠ - ١٨٤٢

ينبثق نظام الرق فى الاسلام من تشريع القرآن ومن الظروف التاريخية . وترجع اباحة هذا النظام الى التعليمات التى جاء بها رسول الله (سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) باعتباره حقا من الحقوق الدينية التى تجيز للمسلم تملك الرقيق من الأسرى المشركين . ولقد ساعد التوسع الاسلامى على انتشار هذا النظام نتيجة حروب الجهاد التى خاضها المسلمون ، ووقع فى أيديهم نتيجة لذلك أعداد غفيرة من الأسرى المشركين . وبمضى الوقت وتوطد نفوذ المسلمين فى المناطق الجديدة التى احتلوها ، أصبح للمسلمين الحق فى الاتجار فى الرقيق وفقا لتعاليم الرسول دون ما التزام بشرط الجهاد . وهكذا أصبح الرق جزءا لا يتجزأ من البنية الاجتماعية للاسلام كما أفسح الطريق لقيام تجارة الرقيق فى العالم الاسلامى وكان يؤتى بهم من مناطق متباعدة عن بعضها البعض كينيا فى افريقيا ، وجورجيا فى القوقاز . وكانت أفريقيا المورد الأكبر لهذه القوة البشرية : فمن غربها كانت دول البحر الابيض المتوسط الاسلامية تحصل على حاجتها من العبيد ، أما السودان فقد كان يزود مصر وأقطار آسيا الصغرى ، بينما كانت الحبشة وافريقيا الشرقية تفلدى منطقة شبه الجزيرة العربية .

ان القسوة التى اقترنت بالحصول على العبيد والاتجار فيهم قضية معروفة حتى أن مناقشتها تعتبر من الحديث المعاد . غير أنه لأبد لنا من

أن نشير الى طبيعة هذه التجارة ، وذلك فى ضوء الموقف الذى اتخذته الحكومة البريطانية من تجارة العبيد العربية فى أوائل القرن التاسع عشر .

ان الشرع الاسلامى يفرق بين نوعين من الملكية للعبيد (الملكية المطلقة والملكية المستعجة) والعبد الذى يندرج ضمن الفئة الثانية قد ينال حريته فى النهاية وفق بعض الشروط ، فمنح الحرية للعبد يعتبر عملا من أعمال البر ، وقد ركز عليه القرآن الكريم . كما ان القرآن قد حث أصحاب العبيد على حسن معاملتهم ، والمسلمون يعملون بموجب هذه التوصية كما شهد بذلك الأوربيون الذين احتكوا بالمجتمعات الاسلامية . وقد وصف ارنولد كامبل الذى كان يشغل منصب مساعد المقيم البريطانى فى بوشهر فى تقرير له عام ١٨٤٢ حول تجارة العبيد ، بأن معاملة العرب للعبيد لم تكن فى أى وقت من الأوقات معاملة قاسية ومجحفة ، وأضاف ان العبيد بعد شرائهم تتغير حالتهم المادية الى الأحسن ، وأن سادتهم يعاملونهم كمعاملتهم لأفراد أسرهم سواء بسواء ، وبالتالي فان هؤلاء العبيد بالمقابل يخلصون ويجدون فى أعمالهم بمنتهى الرغبة والحماس ، وتظهر عليهم امارات الرضا والسعادة . (١)

« أما اتكنس همرتون اول قنصل بريطانى فى زنجبار فيصنف حالة العبيد فى ١٨٤٤ » انهم عموما يتناولون طعاما جيدا ، ولاتساء معاملتهم ومن

(١) مرفقات لخطابات بومباى السرية مجلد ٥ . مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٦ المؤرخ ١٨٤٢/٩/٣٠ من كامبل الى اللفتنانت كولونيل روبرتسون (المقيم بالوكالة) جزيرة خرك ١٨٤٢/٧/٨ ومرفق لخطاب روبرتسون الى ويلوبى (كبير امناء حكومة بومباى) ١٨٤٢/٧/٩ (رقم ١١٦ الادارة السرية) .

النادر ضريهم (١) وبعد بضع سنوات تحدث أحد الذين خلفوه فى منصبه عن معاملة العرب للعبيد فيقول « لا توجد طبقة فى المجتمع سعيدة وخالية البال وتحظى بمعاملة كريمة كطبقة العبيد المسلمين » (٢) وفى فترة أقرب الى عصرنا أبدى أرنولد ويلسون الكاتب والمؤرخ ملاحظاته عن وضع العبيد فى المجتمع العربى فقال : « ثمة بون شاسع بين حالة العبيد قبل انتقالهم من مواطنهم الأصلية وحالتهم بعد دخولهم الى حوزة العرب . فبعد الظروف القاسية التى تصاحب عملية نقلهم أو الحصول عليهم ، أو الظروف التى كانوا يعيشون فيها قبل وصولهم الى الوجهة الأخيرة تتغير حالتهم الى الأفضل بمجرد انتقالهم أو بيعهم الى العرب . وعلى الرغم من صعوبة الحياة التى يحيها العبيد الا انها ليست أسوأ من حياة المواطن العربى العادى ، أو لعلها أقل شقاء من حياة رجل القبيلة الافريقى ، فهى بالقطع ليست حياة مهينة . فالعبيد قد يرقون الى أعلى المناصب ، كما انهم بعد اعتناقهم للعقيدة الاسلامية ، من حقهم تحت ظروف متفق عليها أن ينالوا حريتهم كاملة » .

وقد أكد هذه الحقيقة برترام توماس من واقع خبرته ومعرفته الوثيقة بحضرموت وعمان « ان معاملة العربى للعبد قد قضت نهائيا على وصمة العار

(١) «افريقيا الشرقية وجزاتها» تأليف كوبلاند ص ١٥١٤ وقد أشار الى خطاب همرتون الى اللورد ابردين بتاريخ ١٨٤٤/١/٢ ومن ملف الخارجية البريطانية) .

(٢) زنجبار وتجارة الرقيق « الجنرال رجبى وسى بى » رسل طبعة لندن ١٩٣٦ ص ٢٠٣ وقد أشار فيه الى خطاب اللغتنانت بليفيير
٠ ١٨٦٥/٥/٣٠

التي تلازم العبيد فى المناطق الأخرى ، وذلك أن المعاملة الحسنة والرفق بالعبيد هى السمة الغالبة اليوم فى معاملة العرب للرقيق .

وعلى حين يكلف العبد بأعمال يدوية ، داخل البيوت عادة أو فى الزراعة ، أو كما هو الحال فى الخليج فى صيد السمك وفى استخراج اللؤلؤ فإن بعض العبيد وصلوا الى مناصب عالية من السلطة ، أو الى تحقيق ثروات ضخمة ، أو كما هو الحال فى مصر والعراق حيث هم الذين أسسوا دولا حاكمة . وعلى أى حال فإن مستقبل العبيد لا يعتمد على موطنه الاصلى بقدر ما يعتمد على كفاءته الشخصية . وعلى حين يحتمل أن يصل العبد من أصل حبشى الى موقع السلطة فى شبه الجزيرة ، وزميله الذى من جورجيا قد يتقلد زمام الحكم فى العراق ، فإن أغلبية العبيد الذين يتم شحنتهم من افريقيا الى الأقطار العربية ، لا يصلون الى هذه المستويات .

لقد كان الخليج هو المعبر الذى تمر منه تجارة الرقيق الى أسواق المناطق الشرقية من شبه الجزيرة والعراق وفارس من افريقيا والحبشة . وعلى الرغم من أن افريقيا الشرقية كانت منذ عهد طويل المصدر الأساسى لتجارة الرقيق ، إلا أن الاستغلال على نطاق واسع لتجارة الرقيق لم يبدأ إلا بعد استيلاء عمان على منطقتى زنجبار والجزيرة الخضراء (ييميا) فى افريقيا فى أواخر القرن السابع عشر . وقد تحولت زنجبار تحت حماية دولة اليعاربة ومن بعدهم آل بوسعيد حكام عمان الى سوق للعبيد ، بحيث أصبحت على أيام السيد سعيد بن سلطان أكبر مراكز تجارة العبيد فى الشرق ، وكان يتم جلب العبيد اليها من داخلية افريقيا الشرقية من أقصى ارب فى ضفاف بحيرتى نياسا وتنجانيقا . وكانت الطريق التى تسلكها تجارة الرقيق الى داخلية المنطقة فى أوائل القرن التاسع عشر تمتد من كلوة على الساحل الجنوبى من زنجبار عن طريق نهر دوفوما الى كرال متاكا ،

ومنها الى بحيرة نياسا والى أقصى الشمال تمتد طريق أخرى من باجاموبو الى تسيساكي وتبورا ومنها غربا فى اتجاه اوزينجا واوجيجى وبينما يمتد طريق ثالث من ساحل تانجا الى جبال كيلميا نجارو، ومنها الى بلاد مساي(١) .

أما العبيد الذى يتم جلبهم من المناطق الداخلية الى المناطق الساحلية فيتم شحنهم بالسفن الى زنجبار لبيعهم هناك ، للعمل فى مزارع العرب المقيمين بالجزيرة أو الى المتعاملين فى الرق من الأقطار العربية فى الشمال . وفى كل عام مع انطلاق موسم الرياح الشمالية الشرقية فى شهر نوفمبر ، تبدأ سفن عرب الشمال فى الوصول الى ميناء زنجبار لنقل شحناتها من العبيد ، وتعود الى الشمال قبل ان يصل موسم الرياح الشمالية الغربية الى أقصى حدتها على الساحل الغربى للمحيط الهندي فى شهر ابريل أو مايو .

أما تجارة الرقيق الخاصة بزنجبار فقد كانت حكرا تماما لعرب مسقط وحكامهم ، الذين كانوا يحصلون على دخولهم من الضرائب الجمركية المفروضة على أستيراد العبيد (٢) . وكانت مسقط فى أوائل القرن التاسع عشر أكبر مركز ترانزيت لتجارة الرقيق الى دول الخليج وفارس والعراق والهند ، غير أن هذا المركز تقلص فى النهاية عندما أخذت تنافسها مدينة صور الواقعة الى الجنوب من مسقط . وقد جرت العادة على أن تقسوم احدى سفن القواسم بالرحلة الطويلة من موانئها الى شرق افريقيا لاحضار

(١) افريقيا الشرقية وفزاتها ص ٣٠٥ .

(٢) كانت الضرائب الجمركية تؤخذ سنويا من التجار الهنود

(البانيان) الذين يقيمون فى هذه الموانئ .

العبيد مباشرة الى ساحل القرصنة ، وقبل أواخر العشرينات من القرن التاسع عشر درج سكان الدول الساحلية للخليج على الاكتفاء بحصّة ما فى تجارة تصدير العبيد من موانى مسقط . ولم يكن كل العبيد الذين يشحنون من زنجبار الى الشمال يصدرون الى مسقط أو صور . فقد كانت هناك سفن الحضارم التى تخرج من المكلا وغيرها من الموانى على ساحل حضر موت تقوم برحلات سنوية الى زنجبار ، وتأخذ مجموعات من العبيد لبيعهم فى المكلا أو فى غيرها من موانى البحر الأحمر كمخا والحديدة . على أن الأدلة على هذا النوع من تجارة الرقيق ضئيلة جدا ، غير أن الطلب على العبيد الزوج كان موجودا فى الحجاز واليمن ، لأن العبيد الأحباش كانت أثمانهم مرتفعة ، كما أنهم لم يكونوا يصلحون للأعمال الشاقة . وكان تجار العبيد من منطقة البحر الأحمر يبحرون عادة الى زنجبار فى فصل الخريف ويعودون فى موسم الرياح الشمالية الشرقية ، فى الوقت الذى يبدأ تجار العبيد من منطقة الخليج الفارسى رحلاتهم السنوية الى زنجبار . وذلك فى الوقت الذى تبدأ الرياح الجنوبية الشرقية تهب على المنطقة السفلى من البحر الأحمر . وقد كان الاتجار من زنجبار الى منطقة البحر الأحمر خلال موسم الرياح الجنوبية الغربية يكاد يكون متعذرا أو مستحيلا بسبب هبوب الرياح الشمالية على البحر الأحمر فى هذا الوقت ، بحيث تكون رحلة السفن العربية الى خليج عدن وعن طريق مضيق باب المندب تغدو مستحيلة (١) .

(١) مرفقات لخطابات بومباى السرية مجلد ٣٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٩ المؤرخ ١٨٤١/٧/١٧ من الكابتن هينيس (المعتمد السياسى فى عدن) الى ويلوبى ١٨٤١/٧/٥ (رقم ٥٤ الادارة السرية) و « صيد العبيد فى المحيط الهندي » تأليف الكابتن كولومب طبعة لندن ١٨٧٣ ص ٥٣ - ٥٤ .

وأغلب العبيد المصدرين الى عمان يتم بيعهم فى عمان نفسها ، أما من يبقى منهم فيتم بيعهم الى بعض تجار ساحل القرصنة ، وعلى الأخص القواسم الذين يبيعونهم بدورهم فى مناطق الساحل نفسها أو فى أسواق فارس والعراق والبحرين والكويت ونجد . وكان القواسم أكبر المتاجرين فى العبيد فى أسواق الخليج ، هذا على الرغم من النشاط الذى كانت تقوم به سفن أهل البحرين والكويت من وقت الى آخر فى مضمار تجارة الرقيق بين الموانئ العمانية المناطق العليا للخليج . كما كان يتم نقل العبيد من ميناءى مسقط وصور الى موانئ السند مثل كتش وكاتياوار والى اقليم بومبى على ظهر السفن العمانية وسفن ساحل القرصنة والبحرين والكويت والسفن الهندية نفسها ، كما أن موسم تجارة الرقيق فى الخليج يتوافق عادة مع ذروة الموسم التجارى الذى يعتمد بدوره فى الدرجة الأولى على موسم حصاد البلح فى البصرة . واعتبارا من شهر يوليو فصاعدا تبدأ السفن التابعة للمنطقة السفلى من الخليج ومسقط رحلاتها السنوية الى شط العرب بمناسبة موسم الحصاد ، وهناك وأثناء رحلتها تتوقف هذه السفن فى بعض الموانئ الواقعة على طريقها لافراغ شحنتاتها من الرقيق الى تلك الموانئ . ويتم انزال العبيد المصدرين الى الموانئ الفارسية فى ميناء بوشهر ، وان كان يتم انزال بعضهم فى لنجة والشارقة ورأس الخيمة . وكان لكل من الكويت والبحرين حصة فى هذه التجارة ، بينما يرسل العبيد المصدرون الى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة وانزالهم فى ميناء القطيف . وخلال الفترة الأولى من القرن التاسع عشر كان من النادر أن يجلب العبيد من البحر الأحمر عبر شبه الجزيرة وذلك لبيعهم فى منطقة ساحل الخليج . وكان العدد الأكبر من العبيد الذى يجلب الى الخليج يتم بيعهم فى البصرة ، وأن المبالغ التى

تتجمع من هذه الصفقات تنفق بوجه عام على شراء البلح من البصرة لاستهلاك منطقة الساحل او لبيعها فى مسقط (١) .

ان أية محاولة لوضع تقييم دقيق لحجم وسعة تجارة الرقيق الأفريقية فى بداية القرن التاسع عشر مقضى عليها بالفشل منذ البداية لعدم توفر أرقام صحيحة عن الفترة المعنية ، والتي تتراوح من وقت الى آخر الى حد كبير . والخلاصة من كل هذا أن نقوم هنا بمحاولة للربط بين هذه الأرقام التي لم يتأت لأى من الكتاب السابقين فى محاولتهم تقييم حجم هذه التجارة . وأحد هذه التقديرات هو للكابتن تى.سمى من بحرية بومباى الذى أبحر الى أفريقيا الشرقية سنة ١٨١١ على ظهر السفينة ترنيت ، برفقة السفينة سيلف فى رحلة استطلاعية كانت قد تبنتها حكومة بومباى . ويقدر سمي عدد سكان زنجبار فى ذلك الوقت بـ ٢٠٠٠٠٠ نسمة بينهم ١٥٠٠٠٠ من العبيد . ويقدر عدد العبيد الذين يصدرون الى مسقط وغيرها بنحو ٦٠٠٠ و ١٠٠٠٠ عبد (٢) .

وثمة فجوة تمتد نحو عشرين عاما بين تقدير سمي والتقدير الآخر

(١) مجموعة المجلس مجلد ١٣٩٨ مجموعة ٥٥٤٤٠ من الماجور وليسون (المقيم البريطانى فى الخليج) الى نوريس (كبير امناء حكومة بومباى) بوشهر ١٨٣١/١/٢٨ .

(٢) ملاحظات رحلة استطلاعية بحرية عبر الساحل الشرقى من أفريقيا من رأس الفضروفى جنوبا الى زنجبار، مترجمة عن مجلة جمعية جغرافية بومباى مجلد ٦/١٨٤٤ ص ٤٤ - ٤٦ وعلى أى حال يذكر سمي ص ٦ بأن رقم ١٥٠٠٠ الذى يمثل عدد السكان العبيد فى زنجبار مجرد تخمين .

الذى قام به أحد الضباط البريطانيين وكانت له علاقة وثيقة بهذه التجارة، وهو الماجور ديفيد ويلسون المقيم البريطانى فى الخليج سنة ١٨٣١ . ففى شهر يناير من ذلك العام كما ذكر ويلسون فى تقريره كان يمر عن طريق جمارك مسقط من ١٤٠٠ الى ١٧٠٠ عبد كل عام ، وكان ثلاثة أرباع هؤلاء العبيد من افريقيا الشرقية وكانت اعمارهم تتراوح بين سبع سنوات الى أربعة عشر عاما ، وكان عدد الاناث ضعف عدد الذكور . وكان يتحصل مبلغ ريالين نمسويين كرسوم استيراد على كل عبد . غير أن عددا كبيرا من العبيد كان يهرب الى المنطقة . فقد بلغ عدد الذين تم تهريبهم من ٢٥٠ الى ٣٠٠ عبد من أصل ١٢٠٠٠ عبد وصلوا الى مسقط سنة ١٨٣٠ . ولم يوفق ويلسون فى تحديد رقم العبيد الذين استوردوا الى صور (١) ، أما بلين الذى خلف ويلسون كمقيم بريطانى فيقدر عدد العبيد الذين تم شحنهم من زنجبار خلال عام ١٨٣٢ - ١٨٣٣ ب ١٢٠٠٠ عبد ، ولكنه لم يحدد ، كم هو العدد الذى كان يصل منهم الى منطقة الخليج . وأفاد رحالة فرنسى يدعى فونتينييه بعد رحلات عديدة قام بها الى الخليج فيما بين ١٨٣٥ و ١٨٣٨ بأن عدد العبيد الذين تم استيرادهم الى مسقط كل عام نحو ٤٠٠٠ عبد والى كل من

(١) مجموعة مجلس الادارة مجلد ١٣٩٨ من ويلسون الى نوريس ١٨٣١/١/٢٨ ويقول الوريلى (تاريخ السيد سعيد) ص ٢٩ كان السيد سعيد يتقاضى دخلا سنويا مقداره ٧٥٠٠٠ ريال من تجارة الرقيق وبما انه لم يذكر ما اذا كان هذا الرقم يشمل كلا من مسقط وزنجبار ، أو من مسقط نفسها أو ماهى الرسوم المفروضة على هذه التجارة أو ما اذا كان الرقم يشمل المعاملات الخاصة بالسيد سعيد ، فان ذلك لا يمكن اعتباره وسيلة لتحديد عدد العبيد الذين تشملهم هذه التجارة .

البصرة وبوشهر من ٣٠٠ الى ١٤٠٠ (١) عبد ويفدر الكابتن كوجان من الاسطول الهندى الذى كان فى زيارة لزنجان سنة ١٨٣٩ عدد العبيد الذين يشحنون كل سنة من الجزيرة الى اقطار البحر الاحمر وشبه الجزيرة وفارس والخليج بحوالى ٢٠٠٠٠ نفر وقد توصل الى نفس التقديرات الدكتور مكنزى الذى كان يشغل منصب المقيم بالوكالة فى السنة التالية على أساس المعلومات التى جمعها أثناء وجود الممثلة البريطانية فى جزيرة خرك بصورة مؤقتة ، كما علم من بحارة السفن الغربية التى كانت تتوقف فى خرك وهى فى طريقها للتزود بالماء والمرشدين لمواصلة رحلتها الى البصرة بأن نحو ٤٠٠ عبد من مجموعات العبيد الذين يجلبون الى مسقط وصور تم بيعهم داخل منطقة الخليج (٢) .

وقد وضع اللفتنانت كولونيل روبرتسون المقيم بالوكالة فى الخليج سنة ١٨٤٢ تقديرات أعلى من هذه عن تجارة صادرات العبيد فى زنجبار ، وحدد

(١) رحلة عبر الهند فصل ١ ص ٢٧٧ ومجموعة المجلس مجلد رقم ٧٣٨١٦ من فونتينيه الى الكابتن جوليان ، بومباى ١٩/١٠/١٨٣٨ للاطلاع على هذه المعلومات ارجع الى ص ٤٣٤ أدناه .

(٢) وزارة الخارجية من مكنزى الى ريد (سكرتير حكومة بومباى) ، جزيرة خرك ١٦/١٠/١٨٤٠ (رقم ٩٣ الادارة السياسية) واحيلت الى وزارة الخارجية بتاريخ ٢٣/٤/١٨٤١ وابتداء من ١٨٤٠ فصاعداً كانت جميع التقارير المتعلقة بتجارة الرقيق والتى تصل الى مجلس الهند تحال لادارة تجارة الرقيق بوزارة الخارجية . وقد اغفل المجلس اكثر من مرة فى أن يحتفظ بنسخة من التقارير المذكورة .

الرقم بنحو ٣٠٠٠٠ عبد ، غير أن معلوماته هذه موضع تساؤل (١) وقد أجريت تحريات حول هذا الموضوع بدقة أكثر فى أواخر العام . وتوافقت مع عملية رصد للسفن حاملة العبيد فى جزيرة خرك خلال الموسم السابق وكشفت عن أن نحو ١٨٨٧ عبدا قد استوردوا للبصرة وبوشهر والشارقة والبحرين خلال ذلك الموسم . وعلى أى حال فلقد كان من الصعوبة بمكان التأكد من عدد العبيد الذين وصلوا الى مسقط وصور سابقا وكم عدد الذين استوردوا مباشرة من افريقيا للبيع وقد أشار الكابتن همرتون فى تقرير له بتاريخ شهر مايو سنة ١٨٤٢ بأن عددا يتراوح بين ١١٠٠٠ و ١٥٠٠٠ عبد كان يباع فى ممتلكات السيد سعيد الافريقية كل عام وقد توصل الكومندور بركس قائد اسطول الخليج الى نفس الرقم ، وذلك فى شهر اكتوبر من نفس العام . وحسب تصور بركس فان نحو ٥٠٠٠ عبد من هؤلاء كانوا يتوجهون الى موانئ البحر الأحمر ، وعلى الأخص الى جدة ونحو ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ الى

(١) مرفقات لخطابات بومباى السرية مجلد ٤٥ رقم ٥٨ فى ١٨٤٢/٥/٢٣ من روبرتسون الى ويلوبى ، جزيرة خرك ١٨٤٢/٣/٤ (رقم ٣٥ الادارة السرية) وكانت لدى مكنزى معلومات تفيد بان مايربو على ١٠٠ سفينة كانت تستخدم فى نقل العبيد من زنجبار الى مسقط فى كل عام ، وأن كل سفينة كانت تنقل من ٥٠ الى ٢٠٠ عبد ويقول روبرتسون أن ١٠٠ سفينة من سفن صور كانت تشترك فى العملية بحيث يصل مجموع ماتحضره عشرة آلاف عبد ، وهى مبالغة واضحة . وكانت تقديراته لما تستورده صور ومسقط من العبيد ٢٠ الف عبد وما يصل الى موانئ الخليج نحو ١٠ الاف عبد . ولكن بما أن معظم العبيد الذين يتم بيعهم فى موانئ الخليج كانوا قد استوردوا لمسقط وصور سابقا ، فلا يمكن ادراجهم ضمن اى تقديرات اجمالية .

مسقط ، ونحو ٥٠٠ الى الموانئ الجنوبية من شبه الجزيرة كعدن والمكلا .
وكان يتم شحن ١٠٠٠ عبد الى السند وكتش وكاتياوار وغيرها من ولايات
الهند ، أما الباقي فأما أن يتم استبقاؤهم داخل عمان وساحل القراصنة،
أو يتم بيعهم فى المناطق العليا من الخليج . وقد قيل لبركس بأنه قد بيع
٢٥٠٠ عبد فى بوشهر وحدها عام ١٨٤١ ، ويعتقد بركس بان سفن الكويت
والبحرين كانت تعود من افريقيا بنحو ٣٠٠ الى ٤٠٠ عبد كل عام بينما كانت
سفن لنجة وبندر عباس وقشم وغيرها من الموانئ الفارسية بنحو ٤٨٠ عبدا ،
وأما سفن ساحل القرصنة والتي كان عددها يتراوح فيما بين خمسة الى
سبعة سفن فقد كان كل منها يعود من الرحلة بنحو ٣٥ الى ٤٠ عبدا .

وإذا قارنا هذه الاحصاءات مع الظروف المتغيرة لتجارة الرقيق فى
زنجبار فى السنوات التى انقضت منذ اعدادها كاختفاء المشترين الاوربيين
تدرجيا ، وظهور سفن القواسم بصورة ملحوظة خلال فترة الثلاثينات من
القرن التاسع عشر والتي كان بحارتها لا يتورعون عن سرقة العبيد بدلا من
شرايهم ، فان الصعوبة تزداد لوضع تقديرات صحيحة عن تجارة الرقيق
العربية فى أوائل القرن التاسع عشر . وان أصح رأى حول هذه القضية
هو الزيادة فى عدد العبيد المصدرين سنويا من زنجبار فيما بين عام ١٨١١
عندما وضع سمي تقديراته ، وسنة ١٨٤٢ عندما وضع روبرتسون
وهمرتون وبركس تقديراتهم ، أما اذا كانت الزيادة كبيرة ، كما قدرها
روبرتسون أى من ٦٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ فى عام ١٨١١ الى ٣٠٠٠٠ فى عام
١٨٤٢ فمسألة يحوم حولها الشك . ولعل أرقام بركس وهمرتون عن هذه
التجارة اى من ١٠٠٠٠ أو ١١٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ أقرب الى الصحة حيث
كان يذهب اغلبية العبيد بين ٨٠٠٠ و ١٣٠٠٠ الى مسقط وصور ، وتذهب
البقية الى حضرموت ومنطقة البحر الأحمر . ولعل عمان وساحل القراصنة
وبقية داخلية شبه الجزيرة كانت تستوعب ما مقداره ٥٠٠٠ الى ٨٠٠٠ عبد .

ان نحو ٣٠٠٠ الى ٥٠٠٠ كان يعاد تصديرهم بانتظام الى مناطق الخليج الاعلى كل عام ، غير أن هذا الرقم لا يشمل العبيد الذين يتم استيرادهم بالسفن الى الكويت والبحرين وغيرها من موانئ الخليج الفارسي أو يأتون بصحبة الحجاج العائدين من مكة أو كربلاء . كما ان نحو ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ عبد كانوا على سبيل الاحتمال يصدرون الى السند وكتش وكاتياوار ، والموانئ البرتغالية مثل كدمون وديوجو والى موانئ بومباي (١) وثمة دليل أقوى على نمو تجارة الرقيق الى حد ما بعد سنة ١٨٣٠ ، يمكن في عقد مقارنة بين أسعار بيع العبيد في مسقط في عامي ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ، فالعبد الذي كان يباع فيما بين ٢٥ و ٣٥ ريالاً في الاسواق هبط ثمنه الى ٢٠ و ٢٤

(١) ويقدر الكابتن جيمس اوترام تجارة الرقيق الى كتش سنة ١٨٤٠ بما لا يقل عن ٧٠٠ الى ٨٠٠ عبد كل عام (مجموعة المجلس مجلد ١٨٨٠ مجموعة رقم ٧٩٨٨٠ مذكرة اعداد ويلوبى بومباي ١٠/٤/١٨٤٠) وعلى أى حال فمن المحتمل أن ارتفعت هذه التجارة في منطقة السند ، نظراً لاقفال سواحل كتش وكاتياوار في وجه تلك التجارة وقد ذكر المعتمد البريطانى في مدينة سورت في تقرير له في شهر ديسمبر سنة ١٨٤٠ بأن المعدل السنوى لاستيراد العبيد الى داخل المستعمرات البرتغالية الثلاث كان من ٢٥٠ الى ٣٠٠ عبد (سجل الرسائل السرية لبومباي مجلد ٢٤ من الحاكم العام الى مجلس الإدارة ٢٦/٤/١٨٤١) (رقم ١٩ الادارة السياسية) . وقد تناهى الى علم المقيم السياسى البريطانى فى الخليج عام ١٨٤١ بأن ٤٠٠ الى ٥٠٠ عبد كان يتم تهريبهم الى موانئ بومباي كل عام ، مرفق للخطابات السرية لبومباي مجلد ٣٨ مرفق للخطاب السرى رقم ٩٧ فى ٣/١١/١٨٤١ من هاتيل الى ويلوبى ٣١/٨/١٨٤١ (رقم ١٠١ الادارة السرية) .

ريالا واقل فى عام ١٨٤٠ . وقد ظل معدل الربح فى العبد الواحد فى زنجبار كما هو أى ٢٠٪ بالنسبة الى مسقط و ٥٠٪ بالنسبة الى البصرة وبوشهر (١) .

وتنشأ نفس الصعوبات بالنسبة لآى محاولة لتحديد تجارة الرقيق من الحبشة خلال نفس الفترة . فقد كان العبيد الأحباش يباعون بأسعار عالية عن الافريقيين فى شبه الجزيرة نظرا لما يتميزون به من ذكاء وحسن مظهر، الأمر الذى يزيد من الاقبال على شرائهم . ولما كان صفار السن من العبيد يعضلون على الكبار، وكانت تجارة الرقيق مع الحبشة تنحصر فى صفار السن والأطفال من عمر ٨ الى ١٦ سنة وأغلب هؤلاء أسرى الحرب التى كانت تشنها مملكة شوا ضد شعب جالا على الحدود الحبشية . وكان أكبر طريقين من بلاد جالا ضد شعب جالا على الحدود الحبشية . وكان أكبر طريقين من بلاد جالا يمران من شوا ليلتقيا عند روهينا على ساحل البحر شمالا وتاجورا وزيبلا جنوبا ، بينما يوجد على أقصى الجنوب طريق آخر لتجارة الرقيق يمر بهرر فى الصومال حتى يتصل بساحل بربرا . وكانت مملكة جونهار فى الحبشة فى تيجر تعتمد فى حصولها على الرقيق من غوندا الواقعة فى الغرب ، كما كانت تصدر الرقيق عبر ميناء مصوع بصورة رئيسية ، ومن أطراف

(١) نفس المصدر مجلد ٥٠ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٦ فى ١٨٤٢/٩/٣٠ من للفتنات كامبل (المقيم المساعد) الى اللفتنات كولونيل روبرتسون (المقيم بالوكالة) خرك ١٨٤٢/٧/٨ ومرفق بخطاب روبرتسون الى ويلوبى ١٨٤٢/٧/٩ (رقم ١١٦ الادارة السرية) وملفات وزارة الخارجية خطاب رقم ٨٤/٣٨٧ من مكنزى الى ريد ، خرك ١٨٤٠/١٠/٦ (رقم ١٩٣ الادارة السياسية) ومحال الى وزارة الخارجية بتاريخ ١٨٤١/٤/٢٣ .

شوا الشمالية الشرقية . ومن هرر الصومالية كان يجلب الرقيق الى السواحل فى قوافل يزيد عددها فى أكثر الأحيان على ١٠٠٠ عبد . وكان يقوم بذلك العرب ويمول هذه العمليات التجار الهنود البانيان المقيمون فى المناطق الساحلية شأنهم شأن نظرائهم فى أفريقيا الشرقية . والقسم الأكبر من العبيد الذين يشحنون من سواحل الحبشة يتم نقلهم الى موانئ البحر الأحمر كميناء جدة ومخا والحديدة حيث يباعون هناك الى من يطلبهم من المشترين من مناطق الحجاز واليمن والى غيرهم من التجار الملاحين من حضرموت وزنجبار وعمان والهند والخليج . وكان يتم شراء العبيد الأحباش من جانب تجار الخليج عادة فى بربرة على الساحل الصومالى حيث يقام سوق سنوى للعبيد يستمر من أكتوبر حتى ابريل . أما بالنسبة لحجم تجارة الرقيق الخاصة بالحبشة فمن المستحيل اعطاء تقديرات عنها وقد ذكر كراف من رجال البعثة التبشيرية العاملة فى شوا سنة ١٨١٠ بأنه كان يتم شحن ٢٠٠٠ عبد كل عام من ميناء تجورا وحده .

أما الكابتن هينز الذى كان يشغل منصب المعتمد السياسى البريطانى فى عدن فى عام ١٨٤١ فقد ذكر فى تقرير له بأن نحو ٢٠٠ الى ٣٠٠ عبد كانوا يصلون الى مخا كل شهر خلال الموسم ، بينما علم اللفنتانت كرسنوفر (من الاسطول الهندى) خلال زيارة له الى مصوع فى العام التالى بأن نحو ٨٠٠ الى ١٠٠٠ طفل معظمهم من الاناث كان يتم تصديرهم من الميناء المذكور فى كل عام (١) وفى وقت لاحق من ذلك العام افاد كرسنوفر أن ٤٠٠

(١) من ملفات الخارجية البريطانية خطاب من كرسنوفر الى كبير ضابط الأسطول فى عدن ١٨٤٢/٣/٧ وقد احيل الى الخارجية البريطانية = (٢ - بريطانيا والخليج) ;

مطل قد عرضوا للبيع فى سوق العبيد بمصوع . وفى العام التالى وضع الكومندور بركس تقديرا لعدد العبيد الاحباش الذين تم استيرادهم الى مسقط بحوالى ٧٠٠ الى ١٠٠٠ عبد ، بيع معظمهم فيما بعد فى فارس .

ولقد كانت تجارة الرقيق للاعباش تدر ارباحا طائلة الى أقصى حد ، وكانت الصبية التى تساوى ١٢ الى ٢٠ ريالا فى أسواق شوا يمكن أن يصل ثمنها فى مخا الى ٥٠ ، بينما يمكن أن تباع صبية تساوى ٤٠ ريالا فى بربرة بنحو ٩٠ ريالا فى مسقط ومن ٨٥ الى ١٠٠ ريال ومن ٥٠ الى ١٥٠ ريالا فى يوشهر أو البحرين ومن ١٠٠ الى ١٥٠ فى أسواق ساحل القراصنة أما الجميلات من العبيد فتباع الواحدة منهن فى مسقط أو يوشهر ب ١٥٠ الى ٢٠٠ ريال . أما الارباح المتأتية من بيع العبيد الافريقيين (سدى) لم تكن كبيرة . فالمستورد العمانى فى بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر ، يمكن أن يأمل فى معدل من الفائدة يصل من ٢٠٪ الى ٣٥٪ على سعر الشراء من زنجبار . أما العبيد الذين يتم شراؤهم فى مسقط ثم يعاد بيعهم فى منطقة الساحل فقد كانوا يدرون ربحا أعلى الى حد ما . وهكذا فان الذى يتم شراؤه فى زنجبار بمبلغ ٢٠ - ٣٥ ريالا يساوى ٢٥ - ٤٠ ريالا فى

= خطاب كرسنوفر بتاريخ ١٧/٥/١٨٤٢ ويضيف كرسنوفر فى خطابه بأن انتشار اشاعة عن احتلال قوة بريطانية لتاجورا وهى المنفذ الرئيسى لتجارة الرقيق فى جنوب الحبشة قد سببت ارتفاعا فى مبيعات العبيد فى ذلك الموسم فى أسواق مصوع حيث ارتفع العدد الى ١٤٠٠ و ١٦٠٠ ولعل سبب الاشاعة هو استخدام البعثة البريطانية الى شوا بقيادة الكابتن هاريس فى ذلك العام كقاعدة .

مسقط و ٤٠ - ٥٠ ريالاً في الشارقة والبحرين ، وقد كان مسعر العبد الواحد في البحرين حيث تم استيراد ٣٠٠ عبد افريقي سننة ١٨٣٠ نفس سعره في مسقط . وهذا ينطبق على بوشهر حيث تم استيراد ٢٤٥ عبداً في سنة ١٨٣٠ . وبوشهر هي المنطقة الوحيدة حيث كان يتم استيراد العبيد الاحباش والنوبيين . فقد كان يجلب كل عام اليها من ٥ الى ١٠ عبيد ، ويتم بيعهم بسعر ١٠٠ ريال الى ٣٠٠ ريال للعبد الواحد . وكان يعاد بيع هؤلاء العبيد فيما بعد في داخلية البلاد (١) .

خلال العقدين الأول والثاني من القرن التاسع عشر لم تهتم السلطات البريطانية في الهند بالعمليات التي كانت تجرى في تجارة الرقيق العربية خارج حدود الهند ، أما في المنطقة التي تزاوّل فيها شركة الهند الشرقية نشاطها فان الاتجار في الرقيق كان الى حد ما يخضع لمرسوم سنة ١٨١١ وهو المرسوم الذي يعتبر نقل العبيد من جانب الرعايا البريطانيين أو الأشخاص المقيمين داخل أراضي الشركة جريمة . وقد دعم هذا المرسوم باصدار قانون جديد في نفس العام في البنغال وقامت باصداره الحكومة العليا تحت رقم ١٠ لسنة ١٨١١ بحظر استيراد الرقيق الى البنغال بواسطة الطريق

(١) من سكرتير حكومة بومباي الى السيد سعيد ٤/٣/١٨١٢ ، وقد أشار اليه كربلاند في مؤلفه افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٢٠٨ . وفي نفس هذا العام طلب الي والي بغداد بأن يساعد في مكافحة الاتجار في النساء الهنديات التي كانت قائمة بين الهند وولاية بغداد ، وقد استجاب الوالي فاصدر قانوناً يحرم الاتجار في الهنود في العراق التركي من سجل الرسائل السياسية لحكومة بومباي مجلد ٤ من الحاكم الى مجلس الادارة

البحرى والبرى ، ومعاقبة المخالفين له بالسجن . كما صدر قانون بحظر استيراد أو تصدير العبيد لاقليم بومباى ، وقد قام باصداره حاكم بومباى فى أوائل عام ١٨٠٥ ثم استتبع بعد سنتين بقانون آخر يطالب ربانة السفن الأوربية وأصحاب السفن الآسيوية بإيداع تصاريح يتعهدون فيها بعدم ممارسة تجارة الرقيق . وفى أعقاب صدور مرسوم البنغال رقم ١٠ المشار إليه آنفا ، صدر مرسوم آخر لاقليم بومباى وبورت سانت جورج . وذلك تنفيذاً لتعليمات الحاكم العام للهند . والقانون الصادر فى بومباى سنة ١٨١٣ بحظر استيراد الرقيق الى الاقليم ويعتبره جريمة يعاقب عليها القانون بالحبس والغرامة .

وقد ناقشت حكومة بومباى للمرة الأولى موضوع تجارة الرقيق العربية فى مارس ١٨١٢ ، عندما تم ابلاغ السيد سعيد بتطبيق المرسوم ٥١ بند ٢٣ ، وبمرسوم حكومة البنغال رقم ١٠ لسنة ١٨١١ ، وطلب اليه ابلاغ رعاياه الذين يتاجرون مع كلكتا بالعقوبات التى قد يتعرضون اليها فيما لو ارتكبوا أى مخالفة لتلك القوانين وقد ادركت السلطات المسئولة فى بومباى حجم تجارة الرقيق الافريقية ، وحتمية وصول هؤلاء العبيد الى الأراضى الهندية على السفن العربية ، من التقرير الذى أعده الكابتن سسمى عند زيارته لزنجنبار سنة ١٨١١ . غير أن جونائان دنكن الحاكم فى ذلك الوقت ، لا يبدو أنه قد اهتم بالموضوع كما لم يهتم به السير ايفان نابيان الذى خلفه فى هذا المنصب . وعلى أى حال ففى شهر يوليو سنة ١٨١٥ ، وتحت ضغط بعض أعضاء مجلس ادارة شركة الهند الشرقية ، كتب الى السيد سعيد يقترح عليه بأن يحتل مكانه بين زعماء العالم المستنيرين بتحريم تجارة الرقيق داخل حدود بلاده ، وبذلك يكسب تأييد وصادقة الحكومة

البريطانية (١) ولو كان هذا الاقتراح قد عرض على السيد سعيد قبل سنوات ثلاث ، عندما كان الوهابيون يضغطون عليه ، ربما قبل أن يجامل الحكومة البريطانية بقبوله . أما والحالة هذه فان السيد سعيد لم يهتم حتى بإرسال رد على مقترحات نيين ، ولم يناقش الموضوع مرة أخرى فى الرسائل المتبادلة بين حكومة بومباى والسيد سعيد لعدة سنوات بعد ذلك .

ان السلطات البريطانية فى الهند لم تكن لديها الرغبة فى التدخل فى تجارة الرقيق ليس هذا فحسب ، بل انها لم تكن ترغب حتى فى اعطاء الانطباع عن مثل تلك الرغبة .

وفى صيف عام ١٨١٦ أوقف الطراد البريطانى فافورايت السفينة الشراعية سليمانى لوجود مجموعة من العبيد على ظهرها لبيعهم فى البصرة، وعملا بالصلاحيات المخولة بموجب مرسوم ١٨١١ ، فقد قام ربان الطراد بإرسال السفينة وبحارتها الى بومباى لمحاكمتهم فى محكمة البحرية . وعلى اثر ذلك وجه والى بغداد احتجاجا شديد اللهجة الى حكومة بومباى على مصادرة السفينة ، وجاء فى الاحتجاج بأن السفينة كانت تحمل بعض البضائع للتجار المقيمين فى البصرة . وقد تسلم والى بغداد ردا على احتجاجه مضمونه بأن مصادرة السفينة لم تتم بتعليمات من حكومة بومباى ، وانما قام بها احد ربابنة سفن الاسطول الملكى بموجب صلاحيات تابعة لجهة أخرى . ولما كانت محكمة الاميرالية تقع خارج نطاق سلطة حكومة بومباى فان الاستئناف

(١) الاجراءات السياسية لحكومة بومباى حلقة رقم ٣٨٣ مجلد

٦٢ محادثة رقم ٢٣ فى ١٨١٥/٧/٢٦ من نيين الى السيد سعيد

١٨١٥/٧/١٥ .

فى مثل هذه الحالة يجب أن يقدم الى صاحب الجلالة . وعلى أى حال فإن القضية لم تنظر فى محكمة الاميرالية على الاطلاق ، وبالتالي فقد تم ابلاغ الوالى بأن القضية سوف لا تنظر ، كما تم ايضا نقطة أخرى للوالى ، وهى أنه لولا أن السفينة كانت تحمل تصريحاً من السلطات البريطانية وترفع علمها ويقودها ربان يحمل الجنسية البريطانية لما كان هناك تدخل لمصادرتها .

ولم يدم اهتمام حكومة بومباى بتجارة الرقيق فترة طويلة خلال الحملة ضد القراصنة القواسم خلال ١٨١٩ - ١٨٢٠ عندما اضيف الى المعاهدة العامة بمبادرة من الكابتن تومسون المترجم العربى للحملة ، بند يعتبر نقل العبيد رجالاً ونساءً وأطفالاً من سواحل افريقيا أو من غيرها من المناطق على سلفنهم عملاً من أعمال القرصنة وعلى الرغم من تهليل مونستورت حاكم بومباى لاضافة هذا البند الى الاتفاق لأسباب انسانية محضة ، فقد ان الاعتقاد يستود بالنسبة للنصوص الأخرى من المعاهدة الخاصة بالقرصنة ، بأنها لم تحدد شروطاً كافية لضمان التقيد بها ومراعاتها

وهكذا فعندما صدرت الأوامر فى شهر اغسطس سنة ١٨٢١ الى طرادات بحرية بومباى العاملة فى الخليج ، لكى تتولى تطبيق بنود المعاهدة بالقوة ، وجه نظر ربابنتها بنوع خاص الى البند الخاص بتجارة الرقيق ، مع تنبيههم الى وجوب التأكد الى أقصى حد من هوية السفينة العربية الناقلة للعبيد ، وهل هى من السفن التابعة لأحدى القبائل الموقعة على المعاهدة ، وذلك قبل الاستيلاء عليها أو حجزها وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التحذير أن قادة الطرادات أخذوا يتجاهلون تجار العبيد كلياً . وحتى لو كان قادة السفن الحربية البريطانية الذين تحمسوا لتأدية مسؤولياتهم فإن ذلك لم يكن يؤدى الى انخفاض حجم تجارة الرقيق الافريقية الى الخليج ، لأن تجارة

نقل العبيد من أفريقيا الشرقية كان فى الواقع حكرا على عرب مسقط ، ومسقط لم تكن من الدول المشتركة فى المعاهدة .

ان اول بادرة يمكن وصفها بأنها خطوة هامة ضد تجارة الرقيق العربية جاءت فى عام ١٨٢١ ، ليس من جانب السلطات الهندية ، وانما من حاكم جزر موريشيوس السير روبرت فاركوهار . فقبل سقوط جزر موريشيوس فى أيدي القوات البريطانية ، كان من عادة سكان موريشيوس وجزر بوربون المجاورة لها ان يحصلوا على أكثرية العبيد الذين يحتاجون اليهم للعمل فى المزارع من مدغشقر . وبانتقال السيادة على الجزيرة من الفرنسيين الى البريطانيين فى أواخر الحروب النابليونية أصبح استيراد العبيد الى الجزيرة أمرا محظورا . وقد شمل هذا الحظر جزيرة بوربون فى سنة ١٨١٧ كنتيجة لصدور القانون الذى أصدره المجلس التشريعى الفرنسى بحظر استيراد العبيد الى المستعمرات الفرنسية . وقد أعقب هذا القانون تشريع آخر يحرم على الرعايا الفرنسيين ممارسة تجارة الرقيق . وعلى كل فان هذا القانون لم يعتبر الاتجار فى الرقيق جريمة ، كما أن الحكومة رفضت أن تتنازل للطرادات البريطانية عن حق تفتيش السفن التى يشتبه فى انها تقوم بنقل العبيد . وقد أمكن وضع حد لهذه التجارة اعتبارا من عام ١٨١٧ على اثر اجراء مشترك قام به كل من السير روبرت فاركوهار والحاكم الفرنسى لجزيرة بوربون ، وتمخض عن نجاح لوقف هذا النوع من تجارة الرقيق . ولما حيل بين التجار الفرنسيين المتعاملين فى الرقيق وبين مصدرهم الرئيسى ، اختلوا يتجهون الى زنجبار وكيلاوا باعداد متزايدة ، وما أن حل عام ١٨٢١ حتى كان

هناك ما لا يقل عن ثمان سفن متورطة فى تجارة العبيد بين الساحل الافريقى
وجزيرة بوربون وموريشيوس (١) .

وكان أفضل وسيلة لوقف هذه التجارة غير المشروعة هى توجيه طلب
الى السيد سعيد بتحريم بيع الرقيق فى موانئه للأوربيين . وهكذا فى بداية
عام ١٨٢١ كتب فاركوهار رسالة الى الحاكم العام الماركوزا هاشتنج يقترح
اجراء اتصال بالسيد سعيد بهذا الشأن . وقد أحال الماركوزا هاشتنج خطاب
فاركوهار الى موتستورت الفنستون الحاكم فى بومباى مع تعليمات منه بنقل
الخطاب الى السيد سعيد على أن يعزز بطلب الى السيد سعيد باصدار
أوامره الى ولايته فى افريقيا الشرقية بتسليم الرعايا البريطانيين المتورطين
فى تجارة الرقيق فى مناطق سيادتهم الى السلطات البريطانية (٢) . وقد
ارسلت تعليمات شبيهة بهذه الى الفنستون فى أوائل العام من قبل أعضاء
مجلس الادارة ، بعد أن تلقى مجلس الادارة مذكرة من المعهد الافريقى لتجارة
الرقيق فى زنجبار مرفقة بطلب منه بأن تتخذ السلطات المسئولة فى الهند
ما يمكن اتخاذه لوضع حد لهذه العمليات . وكان مضمون الطلب الى الفنستون
يتلخص فى بذل كل وسيلة ممكنة من وسائل الاقناع . . . مع امام مسقط
لحملة على حظر هذه التجارة الا انسانية ضمن مناطق سيادته والموافقة على

(١) افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٢٠٢/١٩٢ .

(٢) محادثات بومباى السرية حلقة ٣٨٥ محادثة رقم ٤ بتاريخ

١٨٣١/١٠/١٠ من سونتن (سكرتير الحاكم العام الى واردين فورت ولهم

٠ ١٨٢١/٨/١٨

باعتبار أى فرد من رعاياه ينغمس فى هذه التجارة من القراصنة (١) . كان هذا طلبا عسيرا أن يوافق عليه السيد سعيد سيما وأنه كان مستاء من السلطات البريطانية لاحتجازها سفينتين من سفنه فى مياه الخليج خلال تلك الفترة من جانب الطراد البريطانى سيش لوجود عبيد فيها ، وكان السيد سعيد قد تقدم باحتجاج شديد للهجة الى الفنتستون على هذا التدخل (٢) غير أن الفنتستون كان ضعيف الأمل فى أن يستجيب السلطان لطلب مجلس الإدارة وقال . . بانه لما كانت زنجبار مركزا هاما لتجارة الرقيق فى الشرق ، فانه من المحتمل أن يكون قسم كبير من دخل السلطان يأتى من هذه التجارة ، وفى هذه الحالة فانه يبدو من المستحيل أن يوافق سموه على وقف هذه التجارة دون مقابل ، وعلى الأخص أن ممارسة هذه التجارة لا تتعارض مع القيم الانسانية التى يؤمن بها كما أن دين السلطان يبيحها (٣) .

وعلى أى حال فرغم ذلك فقد كان من المحتمل أن يستجيب السيد سعيد لطلب فاركوهار سيما وأنه لم يكن يشكل خسارة مالية كبيرة للسلطان . وقد عرض على السيد سعيد فى شهر اغسطس سنة ١٨٢١ ، وقدم اليه فى نفس الوقت الاعتذار عن احتجاز السفن التابعة له ، وأكد له بأن ربان

(١) من التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٢ من مجلس الإدارة الى الحاكم ١٨٢١/٤/١١ .

(٢) المحادثات السياسية لحكومة بومباى حلقة ٣٨٥ مجلد محادثة رقم ٤٠ فى ١٨٢١/١٠/١٠ من واردة الى سونتن ١٨٢١/١٠/٤ .

(٣) سجلات الخطابات السياسية لحكومة بومباى مجلد ٨ من الحاكم الى مجلس الإدارة ١٨٢١/١/٢٩ (رقم ٥ الإدارة السياسية) .

الطراد سيس لم يتصرف وفقا لأوامر محددة . أما بخصوص تجارة الرقيق
عموما فقد كتب الفنسستون يقول : « بانه سوف يثلج شركة الهند الشرقية ،
والشعب البريطاني بصفة عامة لو أن السيد سعيد قام بحظر تجارة الرقيق
بشكل نهائي في ممتلكاته ، أما إذا لم يكن على استعداد لاتخاذ هذه الخطوة ،
فيمكنه أن يطمئن بأن الحكومة البريطانية لاتنوى بأى حال من الاحوال أن
تنتهك حرمة القانون وتقوم بتفتيش سفنه فى عرض البحر ، وأن تتدخل بأى
شكل من الأشكال فى استقلاله . ومن ناحية أخرى فانهم سوف يعتبرونه
بادرة كريمة من سموه لو أنه أصدر قرارا بحظر بيع الرقيق الى التجار
الأوربيين فى موانئه الأفريقية ، وإبلاغ ولايته فى تلك الموانئ بتسليم الرعايا
البريطانيين الذين يتاجرون فى العبيد الى أقرب طراد بريطانى موجود (١) .

غير أن فاركوهار ، من غير علم الفنسستون أجرى اتصالا مباشرا فى شهر
مايو السابق بالسيد سعيد ، ليطلب اليه التعاون فى القضاء على تجارة
الرقيق القائمة بين أفريقيا الشرقية ، وجزر الماسكرتيز فى مقابل منح السفن
التابعة لمسقط والتي تتعامل مع جزر موريشيوس بعض الامتيازات بخصوص
الرسوم الجمركية ورسوم الميناء مما تتمتع به السفن البريطانية . وكبادرة
من فاركوهار لهذا الموقف فقد أعفى إحدى سفن السيد سعيد التى كانت
موجودة فى ذلك الوقت فى ميناء لويس من الضريبة الاضافية التى تستوفى
عادة من السفن الأجنبية . ان عرض فاركوهار فى شهر اكتوبر التالى مهما
كان له تأثير أو لم يكن ، غير أن السيد سعيد بعث برسالة الى الفنسستون

(١) المحادثات السياسية لحكومة بومباى الحلقة ٣٨٥ مجلد ١٢ محادثة

رقم ٤٢ فى ٢٤/١٠/١٨٤٢ ، من الفنسستون الى السيد سعيد اغسطس

١٨٤١ .

فى أواخر العام يشعره فيها بأنه قد أصدر أمره الى والى زنجبار بمنع بيع العبيد الى الاوربيين ، كما أعرب عن أسفه فى نفس الوقت ، بأنه لم يكن فى وسعه أن يستجيب لكل رغبات أعضاء مجلس الادارة لأسباب وصفها بأنها واضحة وضوح الشمس والقمر كما جاء فى رسالته . وفى نحو أواخر شهر فبراير سنة ١٨٢٢. ابلغ السيد سعيد الكابتن بروس المقيم البريطانى فى بوشهر بأنه قد بعث بأوامر واضحة الى ولاته فى افريقيا الشرقية ، بان يمنعوا بيع الرقيق الى سفن الفرنسيين والبرتغاليين والامريكيين ، أو الى أى من الشعوب المسيحية « أيا كانوا » وقد شدد السلطان على بروس بأنه سوف يخسره مبلغا سنويا من دخله يتراوح بين ٤٠.٠٠٠ و ٥٠.٠٠٠ ريال (نحو ١٠.٠٠٠ الى ١٢.٠٠٠ جنيه استرلىنى) وبأن لا تتوقع منه الحكومة تنازلات أكثر من تلك التنازلات ، رغم انه كان على استعداد لتلبية طلباتهم على الدوام .

وقد كان الخط واضحا كما ألمح بروس ، ذلك أن العقيدة الاسلامية تسمح بامتلاك الرقيق ، وبالتالي فان أى انتهاك من جانب السيد سعيد لهذا التشريع سوف يؤلب عليه الشعور ، وقد يعرض سلامته وسلطته للخطر (١) .

وعلى الرغم من أن الفنستون قد اكتفى من السيد سعيد بذلك القدر من التنازلات الا أن فاركوهار لم يكن مثله . فقد علم فى الآونة الأخيرة بأن السفن التابعة للعرب وللأوربيين كانت تنقل العبيد الى جزر الماركينيز ،

(١) المحادثات السياسية لبومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ١٩ محادثة رقم ١١ فى ١٣/٣/١٨٢٢ من بروس الى كبير سكرتيرى حكومة بومباى السفينة اورورا مرفا مسقط ١٨٢٢/٢/٢٥ .

مما حمله الى الكتابة الى الفنستون فى شهر يناير ١٨٢٢ يقترح بأن يوقع السيد سعيد على اتفاق مكتوب بمنع السفن الأوربية والعربية من نقل العبيد من افريقيا الى جزر الماركينيز ، أو الى أية مستعمرة أوربية فى الشرق (١) غير أن الفنستون لم يجذب الفكرة ، ففرض قيودا على السفن العربية فى البحار الشرقية قد تكون لها انعكاسات بالغة المدى ، وانه لو وافق السيد سعيد على مثل تلك القيود فانه سوف يصبح هدفا لعداء الدول الاسلامية الأخرى ، فضلا عما سوف يتحمله من خسائر فى دخله (٢) وأن ما كان يدركه الفنستون ولم يكن يدركه فاركوهار فهو أن السيد سعيد قد يتوقع فى مقابل تلك الخطوة بعض التعويضات المالية ، عن الخسائر التى سوف تترتب على حظر تجارة الرقيق فى زنجبار . كما كان هناك احتمال أسوأ من ذلك وهو أن يضطر السيد سعيد الى طلب الحماية ضد زملائه من الحكام فى شبه الجزيرة فيما لو قرروا معارضته على تطبيق مثل تلك القيود على تجارة الرقيق . ومن الواضح أن فاركوهار كان يتصور بان معاملة الدول الأفضل بالنسبة لسفن مسقط التى ترتاد ميناء لويس ، هو عرض يكفى لتعويض السيد سعيد عن خسائره المالية ، لأنه لم يغير من موقفه عندما وافقت سلطات الهند فى تردد على دعوة السيد سعيد فى شهر يونيو لعقد اتفاقية رسمية لتحريم تصدير الرقيق من مستعمراته الافريقية الى أى من المستعمرات

(١) محادثات بومباى السياسية حلقة ٣٨٥ مجلد ٢١ محادثة رقم ١٥

فى ١٠/٢/١٨٢٢ من بروس الى الفنستون .

(٢) نفس الحلقة من واردن الى الماجور بارى (سكرتير حاكم موريشيوس)

بومباى ٨/٤/١٨٢٢ .

البريطانية أو الاوربية . والواقع أن فاركوهار قد ذهب الى أبعد من ذلك ، في تزويد المسئول المكلف بتنفيذ تعليماته ، بأن أكد عليه بعدم تقديم أى التزام مالى على حكومة موريشيوس ، لم توافق عليه وزارة المستعمرات البريطانية ، كما أوضح له بأنه يجوز لشركة الهند الشرقية تعويض السيد سعيد عن ذلك اذا شاءت (١) .

وقد وقع الاختيار للقيام بهذه المهمة على الكابتن فيرفاكس مورسبى من الاسطول الملكى ، وكان يقود السفينة ميناي التى كانت راسية فى ذلك الوقت فى ميناء لويس . وقد اقلعت السفينة الى مسقط فى شهر اغسطس ١٨٢٢ ووصلتها فى أواخر الشهر ، ولم يعترض سعيد على الاتفاق المقترح ،

(١) من فاركوهار الى الكابتن مورسبى ٣ و ١٠ يونيه ١٨٢٢ ويبدو أن موقف فاركوهار من تقديم المعاملة الأفضل لسفن السيد سعيد فى الجزيرة يشوبه النفاق فعندما كتب الى اللورد بانهرست وزير المستعمرات البريطانى فى شهر فبراير ١٨٢٢ ذكر فى خطابه بأن إحدى السفن المسقطية قد وصلت الى ميناء لويس برسالة من السيد سعيد يطلب فيها نفس الامتيازات الممنوحة لسفنه عادة فى موانئ الهند البريطانية ، وقد وجدت من الكياسة كما جاء فى رسالته ، ان أوافق على طلبه ، خطاب من فاركوهار الى بانهرست فى ١٨٢٢/٢/٢٩ ، وقد أشار اليه فى كتابه « افريقيا الشرقية وغزاتها » ص ٢١٦ ، ويبدو أن كوبلاند قد اقتنع بوجهة نظر فاركوهار من هذا الموضوع فعلق عليها يقول : « فى بداية المفاوضات بين السيد سعيد وفاركوهار تمكن السيد سعيد بلباقة من الحصول على الامتيازات التى كان يطالب بها فى مورشنيوس .

فقد سبق له أن وافق على تنازلات هامة بتحريم بيع الرقيق الى الاوربيين في زنجبار ، الأمر الذى كلفه خسائر كبيرة فى دخله لم يكن يريدھا . وكان عليه هذه المرة أن يوازن بين ما سيتمخض عنه رفضه للطلب من فقد الاعفاءات التى تتمتع بها سفنه فى جزر موريشيوس ، وبين الفوائد التى سيجنونها من موافقته على الاقتراح ، وأقلها التأييد الذى يتوقعه فى تحقيق أطعاه فى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج . فالاختبار بين الأمرين لم يكن سهلا . وفى اليوم الرابع من سبتمبر وقع السيد سعيد على اتفاق تم بموجبه حظر تجارة الرقيق من ممتلكاته الافريقية الى المسيحيين ونقل العبيد بالسفن العربية الى المستعمرات الأوربية . فقد حظر على أى سفينة عربية أن تقوم بعملية نقل العبيد الى الجنوب أو الشرق من خط الحدود الممتد من رأس دلجارو على الساحل الافريقى الى نقطة تقع درجتين الى الشرق من جزيرة سقطره ، ومنها الى رأس دير على ساحل كاتياوار . وأن كل سفينة يكتشف بأنها تنقل العبيد على ظهرها الى الجنوب أو الشرق من هذا الخط ، مالم تكن قد دفعت بها حالة الجو الى تلك المنطقة سوف تتم مصادرتها وتوقع عليها نفس العقوبات المفروضة على السفن البريطانية التى تمارس نفس التجارة (١) .

ومن الطبيعى أن تتضمن المصادرة حق التفتيش وكانت هذه الناحية سببا فى المصاعب التى تعرض لها مورسبى . فقد اعتبر حق التفتيش والمصادرة شرطا اضافيا من شروط المعاهدة الاصلية . غير أن السيد سعيد لم يعترض

(١) كتاب «المعاهدات» تأليف اثشيستون جزء ١ ص ٥٦ - ٥٨ كما نصت المعاهدة على تعيين وكيل بريطانى فى زنجبار للاشراف على أى انتهاك للمعاهدة، غير أن الممثل البريطانى أو الوكيل لم يتم تعيينه قبل مضى ١٨ عاما على إبرام الاتفاق.

عليها ، غير أن صيغة القرار الذى أصدره السيد سعيد بهذا الشأن تقرأ كالآتى « اننى أسمح لقادة الطرادات لصاحب الجلالة ملك إنجلترا (بحق) مصادرة السفن فى المنطقة الواقعة الى الجهة الشرقية من الخط الذى رسمه مورسبى ، ولكن هذا التصريح ينحصر على طرادات ملك إنجلترا وليس طرادات الشركة . وعلى الرغم من محاولات مورسبى فانه لم ينجح فى اقناع السيد سعيد بتحويل هذا الحق لطرادات الشركة . ولما لم يكن مورسبى على استعداد لاطالة النقاش حول هذا الموضوع فقد تركه عائماً . ولم يكن من الصعب على مورسبى بطبيعة الحال بأن يدرك الأسباب التى دعت السيد سعيد الى ذلك التحفظ أو الاحتياط . فقد كان السيد سعيد لا يزال غاضباً على البريطانيين من حجز بعض سفنه فى العام السابق من قبل السفينة سيس رجم الافراج عن تلك السفن وتقديم الفنستون اعتذاراً الى السلطان بذلك ، وبالتالي فقد كان مصمماً على تقليل احتمالات وقوع مثل هذا الحادث أو ما شابهه فى المستقبل ، وذلك عن طريق حصر حق التفتيش لسفن الأسطول الملكى وحدها والتى قلما تأتى سفنه الى السواحل العربية ، على عكس سفن الأسطول الهندى التى تجوب مياه الخليج باستمرار فى طريقها من والى الهند ، أما الفنستون فلم يتأثر بهذا التحفظ ، بل أنه فى الواقع قد رحب به لأنه يزيل سبباً محتملاً من أسباب التوتر أو الاحتكاك بين الجانبين فى المستقبل ، ولنفس الأسباب فقد غض الفنستون النظر عن خطأ آخر فى الاتفاق الذى لم يكتشف الا بعد وصول النسخ الى بومباى . والبند الرابع من النسخة الانجليزية للمعاهدة ينص على مطالبة السيد سعيد بتقديم يد المساعدة فى القبض على الرعايا البريطانيين المقيمين فى ممتلكاته اذا ما اشتركوا فى تجارة الرقيق ، غير أن هذا الشرط لم يكن وارداً فى النسخة العربية للمعاهدة ،

علما بأن الفنستون لم يتخذ أى إجراء لتعديل هذا البند فيما عدا ابلاغ الحكومة العليا للهند بهذا الشأن (١) .

لم يكن الهدف من معاهدة مورسبى ، التدخل فى تجارة الرقيق الطبيعية فيما بين افريقيا الشرقية والخليج . وكان الطريق الذى تسلكه السفن من الخليج الى زنجبار ، وفيها يقع على الناحية الغربية تماما من الخط الملاحي الفاصل . فمن وجهة نظر حكومة بومباى أن أى تدخل فى تلك المرحلة فى سير تلك التجارة غير مفيد ، لانه سوف يعرض للخطر كل الخطوة الموضوعة للقضاء على تجارة العبيد فى الخليج . وقد أكد على هذا التصور سفتنانت جون ماكلويد المقيم البريطانى فى الخليج فى مستهل عام ١٨٢٣ بعد رحلته الأولى الى ساحل شبه الجزيرة فقد لاحظ أثناء هذه الزيارة بأن القواسم مازالوا منغمسين فى تجارة الرقيق ، رغم أنف الحظر الذى فرض على هذه التجارة والوارد فى البند الرابع من معاهدة ١٨٢٠ . وعلى أى حال فان الدارسة المتأنية لنصوص المعاهدة فى النسخة التى كانت تحتفظ بها المثلثة قد دفع ماكلويد الى أن يستنتج بأن التفسير الذى كان سائدا للبند التاسع من المعاهدة لا يمكن العمل به . وقد ورد فى النسخة العربية للمعاهدة حظر اختطاف الافريقيين من جانب الملاحين العرب أو نقلهم عن طريق البحر ، غير أن هذا النص قد لا يعنى حظر شراء العبيد بالطرق العادية أو نقلهم بعد أن يتم شراؤهم . وقد ذكر ماكلويد فى تقرير الى الفنستون

(١) سجل الخطابات السياسية لبومباى مجلد ٣٠ من الحاكم الى

مجلس الادارة ١٨٤٤/١٢/٣١ (رقم ١٠٠ الادارة السياسية) .

وتفتيشها بحثا عن العبيد ، لأن ذلك سوف يثير فى أغلب الأحيان شعور
الاشمئزاز والكراهية ، كما أنه سوف ينطوى على احتمال تجدد الاشتباكات (١)
وبالتالى فبعد شئ من التردد أشار على الحاكم باغفال البند التاسع من
المعاهدة أو على الأقل بتفسيرها وفقا لنصها العربى . وأن أى شعور انسانى
قد ينتاب الانسان بالنسبة لهذا الموضوع ، فانه فى نظر ماكلويد شعور لا مبرر
له وأضاف « بأن العبيد لا يعاملون بمنتهى الطيبة والرعاية لدى أسيادهم
العرب فحسب ، بل انهم يتمتعون بقدر كبير من السلطة والنفوذ . وقد
أشرت الى أن العبيد هم أقوى الناس وأحسنهم تغذية وانه يبدو عليهم دائما
انهم سعداء ومرفهون وقد وافق الفنستون على رأى ماكلويد ، كما أشار
بأن أعمال النهب والقرصنة هما من قبيل اساءة استعمال اللغة باطلاقها على
أى تجارة مهما كانت مستساغة ، طالما أنها تمارس بطريقة سليمة » ومن
الآن فصاعدا فان البند التاسع من المعاهدة سوف ينطبق على الذين يتعمدون
الذهاب الى افريقيا لنقل العبيد ، وسوف تتخذ الاجراءات ضد العرب الذين
يمارسون تجارة الرقيق العادية فيما بين افريقيا ومنطقة الخليج .

وكان من الممكن أن يؤدى ذلك القرار الى وضع حد لاهتمام حكومة
بومباى بتجارة الرقيق العربية لعدد من السفن ، لولا أن تجددت المسألة
برمتها فى العام التالى نتيجة لتصرف غريب لأحد ضباط الاسطول الملكى فى
شرق افريقيا . لقد بدىء فى القيام بمسح لسواحل افريقيا الشرقية والمنطقة

(١) المحادثات السياسية لبومباى حلقة ٣٨٥ مجلد ٣٣ فى
١٨٢٣/٣/٢٦ من ماكلويد الى حاكم بومباى ، بوشهر فى ١٨٢٣/٢/٢٧ .

الجنوبية من شبه الجزيرة سنة ١٨٢٣ وقد عهد به الى الفرقاطة البريطانية ليفين بقيادة الكابتن وليم اوين وأثناء سير السفينة من الرأس الى زنجبار عشر اوين على أدلة هامة عن استمرار تجارة الرقيق فيما بين ممتلكات السيد سعيد الافريقية ومستعمرة موزمبيق البرتغالية ، والتلى كانت محظورة بصورة قاطعة بموجب معاهدة مورسبى . وعند وصول اوين بومباى فى شهر نوفمبر سنة ١٨٢٣ لتموين السفينة عرض تلك الأدلة على الفنستون وأشفعها باقتراحات عن أفضل السبل لوقف هذه التجارة ، ومن ضمن المقترحات اجراء تعديل على معاهدة مورسبى بحيث تجيز مصادرة اى سفينة اوربية تحمل عبدا وتوجد على بعد خمسة فراسخ من ساحل ممتلكات السيد سعيد الافريقية ، كما يجيز مصادرة أى سفينة أوربية تحمل عبدا وتوجد فى المنطقة الواقعة الى الجنوب من رأس دلجارو ، كما اقترح بأن يطلب الى السيد سعيد بأن تخول سفن جميع الدول حق مصادرة مثل هذه السفن وسحبها الى أقرب ميناء تابع له .

وقد رفض الفنستون مقترحات اوين على الفور . وقال بأن السيد سعيد لا يملك الحق فى تخويل الدول الأخرى سلطة تفتيش ومصادرة سفن الاقطار الأخرى ، وأن معاهدة مورسبى كافية فى حد ذاتها لتحقيق الغرض الذى أبرمت من أجله غير أن هذا الفشل لم يمنع اوين من مواصلة جهوده بأى حال من الأحوال ، فبينما هو فى طريقه الى افريقيا فى شهر ديسمبر سنة ١٨٢٣ توقف فى مسقط لمقابلة السيد سعيد والقى عليه محاضرة فى مساوىء تجارة الرقيق ، وطلب منه الغاءها كليا ، واذا لم يكن فورا فعلى مدى ثلاث سنوات على أقل تقدير . وبعد أن اقتنع بأن مقترحاته قد لقيت ضدى لدى السيد سعيد واصل رحلته حيث وصل الى ممباسا فى شهر فبراير سنة ١٨٢٤ ، وهناك عرف بأن المزاريع الذين يشكلون أغلبية السكان

قد أعلنوا الثورة على السيد سعيد ، وبأن الميناء تحت حصار من جانب أسطول السيد سعيد . وقد رأى المزاريع فى حضور أوين فرصة لفك الحصار رافشال أى محاولة أخرى من جانب السيد سعيد لفرض سلطانه على البلاد ، ولهذا فقد رحبوا به ترحيبا حارا ، ثم بعد وقت قصير عرضوا عليه أن يتولى حكم ممباسا عنهم ، ولقد رأى أوين فى ذلك العرض فرصته الذهبية لتوجيه ضربة حاسمة لتجارة الرقيق وبالتالي فقد قبل منهم العرض .

وقد ثار السيد سعيد بطبيعة الحال عندما علم بتصرف أوين ، وقدم احتجاجا شديدا الى الفنستون ، وعلى الرغم من تضايق الفنستون من تصرف أوين إلا أنه لم يستنكر ذلك على الفور . فقد كان حق سعيد فى ممباسا موضوعا يثير التساؤل ، ثم أن حجة أوين بأن الاستيلاء على ذلك الميناء فى يحد من تجارة الرقيق. ولا يمكن اغفاله فقد سبق أن عرض المزاريع على الفنستون مرتين خلال العام السابق تسليم الميناء للبريطانيين مقابل مساعدتهم ضد السيد سعيد (١) وعلى الرغم من أن الفنستون قد رفض العرض فى كل مرة ، إلا أنه كان من المحتمل أن تؤيد اجراء أوين ، فاذا ماتين أن السيد سعيد لا حقوق له فى ممباسا ، فانها قد تقرر ضم الميناء الى ممتلكاتها . وقد كان موقف السير لورى كول الذى كان قد خلف فاركوهار كحاكم على جزيرة موريشيوس نفس الموقف من القضية ، وكنتيجة لذلك فقد قرر الفنستون احالة الامر الى مجلس ادارة الشركة لتتخذ قرارها فيه .

غير أن أوين لم يكتف بضم ممباسا فحسب ، وانما أخذ يمد نشاطه الى ممتلكات السيد سعيد فى المناطق الساحلية المجاورة . وقد استتبع

(١) « افريقيا الشرقية وغزاتها » ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

ضم المناطق الساحلية القريبة من ممباسا ارسال تهديد الى والى السيد سعيد فى زنجبار بأنه اذا لم يقم السيد سعيد بالغاء الاتجار فى تجارة الرقيق فى الموانئ الافريقية التابعة له بسرعة فان السيد سعيد قد يفقد جميع ممتلكاته فى افريقيا . ومن ناحية أخرى اذا ماوافق السيد سعيد كما قال أوين للوالى بضرورة انهاء تجارة الرقيق حتى يمكن حصوله على موزمبيق كتعويض له على التخلي عن تلك التجارة . وقد اقتنع الفنستون بتصرفات أوين الأخيرة لوضع حد لموضوع ممباسا ، وبالتالي فقد بعث الفنستون برسالة أخرى الى مجلس ادارة الشركة يتضمن اقتراحا بأن تمتنع الحكومة البريطانية بتاتا عن التدخل فى ممتلكات السيد سعيد ، أو أن تعوضه تعويضا مجزيا مقابل تخليه عن تجارة الرقيق (١) وفى نفس الوقت استفسر الفنستون من وكيل السيد سعيد عن نوع التعويض الذى سيكتفى به السيد سعيد فى هذه الحالة . وقد احال الوكيل استفسار الفنستون الى السيد سعيد ، الذى ورد فى أوائل عام ١٨٢٦ ، بأنه قد تحمل خسائر كبيرة نتيجة للتنازلات التى قدمها بمقتضى معاهدة مورسبى ، وأنه لم يعد يستطيع تعريض موقفه لمزيد من الأخطار بفرض تيود جديدة على تجارة الرقيق . وعلى أى حال فقد أضاف السيد سعيد الى أنه سوف يوجه اهتمامه الى هذا الموضوع كى يتوصل الى تحريم هذه التجارة اذا وافقت الحكومة البريطانية على الدفاع عنه بحرا وبراً ضد مناوئيه فى شبه الجزيرة العربية والخليج ، أو أن تعطيه مستعمرة موزمبيق البرتغالية كتعويض له على ذلك . كما اقترح حلا آخر بدفع مبالغ من المال تكفيه للانتقال

(١) من سجل الخطابات السياسية لبومباى مجلد ٩ من الحاكم الى

مجلس الادارة ٢٤/٦/١٨٢٥ (رقم ٥ الادارة السياسية) .

من عمان والاستقرار فى زنجبار نهائيا(١) وقد رفض الفنستون اقتراحات السيد سعيد الثلاثة باعتبارها مقترحات غير عملية ، لأن تولى مسألة الدفاع عن عمان ضد خصوم السيد سعيد يعنى خروجاً على المبادئ التى قامت عليها السياسة البريطانية فى الخليج حتى ذلك الوقت ، كما أن فصل موزمبيق وعطاءها للسيد سعيد اجراء مستحيل ، وأخيراً فان ابتعاد السيد سعيد من عمان سوف يؤثر على توازن القوى فى الخليج ، ويفتح الأبواب الى موجة أخرى من الاضطرابات والفوضى . وعلى أى حال فقد كان الفنستون ميالا الى مناقشة القيمة النهائية لقيام السيد سعيد بتجريم تجارة الرقيق . فلقد كان الفنستون يعلم بأن حجم هذه التجارة من زنجبار قد تناقص كثيراً منذ أبرام معاهدة مورسبى ، ومما تم استنتاجه من سير هذه التجارة فقد تبين بأنها أصبحت تتركز فى أقصى الشمال فى مواليء البحر الأحمر ، أكثر مما فى منطقة جنوب رأس الغضروفى .

أما اذا كان الفنستون مصيباً فى افتراضاته ام لا ، فقد كانت هذه الافتراضات تقوم على أساس الدراسة التى رضعها السكرتير المسئول عن الشئون الفارسية للحكومة فى شهر فبراير ١٨٢٦ - فحجته ضد تحقيق نجاح مشكوك فيه بشأن تجارة الرقيق على حساب انفجار الاضطرابات والفوضى البحرية فى الخليج كانت مبنية على أساس الواقع الملموس . فلقد كانت وجهة النظر هذه أكثر متصابقة من رأى اوين رغم وزنه ، وهى أن أى نجاح للقضاء على تجارة الرقيق ، أن تقوم على أساس فرض رقابة بريطانية أشد صرامة

(١) المحادثات السياسية لبومباى ٢٨٦ مجلد ٤ محادثة رقم ٧ فى

١٨٢٦/٢/١٥ من السيد سعيد الى انما محمد شنستري .

على سواحل افريقيا الشرقية . وحتى لو وافقت الحكومة البريطانية على شروط السيد سعيد ، فليس هناك ما يضمن بانه سيلتزم بذلك التعهد ، او أنه كان في مقدوره تنفيذ ذلك . وكما أشار فرانسيس وأردن عضو المجلس الآن وكبيرسكرتيزي الحكومة ، فإنه ستنشأ صعوبات جمة في الالتزام بالاتفاق كـ بعض حلفائنا الاوربيين ، كما أن السيد سعيد سوف ينقص المبالغ ، ويستمر في ممارسة تجارة الرقيق .

وعلى الرغم من أن أعضاء مجلس الادارة لم يشاطروا واردين شكوكه في نزاهة السيد سعيد ، الا أنهم قرروا بأنه ليس ثمة جدوى من ابرام اتفاق جديد مع السلطان ، وعلى حد رأى أعضاء مجلس الادارة فان السيد سعيد قد قدم تنازلات تعتبر تنازلات هامة بالنسبة لامير في ظروفه . وحتى لو قُدر لتجارة الرقيق أن تزول كليا من المناطق الخاضعة له ، فإنها سوف تبقى مستمرة في الموانئ العربية والافريقية الاخرى التي لا تخضع لسيادته ، وبالتالي فان الغاءها من جانبه في مسقط وزنجبار لن يقضى عليها نهائيا . أما الثمن الذي طلبه السيد سعيد نظير امتناعه عن ممارسة تجارة الرقيق ، فلم يكن مقبولا من وجهة نظر مجلس الادارة ، كما أن ابرام معاهدة دفاعية معه لن يكون اجراء سياسيا حكيما ، كما أن فصل موزمبيق ووضعها تحت سيادة السلطان ، فموضوع جار النظر فيه بواسطة وزارة الخارجية التي قد ترفضه وترى فيه اجراء غير مرغوب فيه لا يمكن تحقيقه ، وأخيرا فان انتقال السيد سعيد من عمان الى زنجبار لاتخاذها مقره النهائي على حساب الحكومة البريطانية ، فان ذلك سيكون دعوة الى ارتكاب شر مستطير . فقد كانت هناك على حد رأى أعضاء مجلس الادارة اعتبارات أخرى غير الاعتبارات الانسانية .

ر لتى لآبد من ادخالها فى الاعتبار فى التعامل مع السيد سعيد حول موضوع
تجارة الرقيق .

« وأنه لمن الضرورى . . . ألا يتخذ من الاجراءات ما يؤدى الى اضعاف
نفوذ السيد سعيد وسلطته كأمر مسلم ، سيما وأنه مما يتعارض مع سياستنا
وغريب على اسلوبنا ، أن نتدخل للدفاع عن السيد سعيد ضد دول شبه
الجزيرة ، والذي لآبد وأنا سوف نضطر الى أن نتولاه فيما لو تعرضت
سلامته للخطر كنتيجة لاجراءات فرضناها عليه فرضا ، بعد أن قدم جميع
الضمانات الممكنة والاسباب التى قدمها لاثبات خطورة وضعه من هذه
الناحية لهذه الاسباب أبلغ أعضاء مجلس الادارة الفنستون فى شهر
أكتوبر من سنة ١٨٢٧ ، بأننا ندعوك الى عدم ممارسة مزيد من الضغوط على
الامام حول هذا الموضوع » .

وقد أدى قرار مجلس الادارة هذا الى اسدال الستار على موضوع
معباسا ، وأوصد باب المناقشة بشأن تجارة الرقيق لفترة تكاد تمتد الى
عقد من الزمن . أن الحامية الرمزية التى تركها اوين فى معباسا ، تم سحبها
فى شهر يوليو ١٨٢٦ ، بطلب من المزاريع أنفسهم ، وقد قوبل انتهاء هذه
الأزمة بارتياح كبير من كافة الأطراف المعنية ، ما عدا شخصا واحدا هو
اوين ، الذى كان يحلم باقامة امبراطورية بريطانية فى شرقى افريقيا (١) .

(١) أما عن نشاط اوين فى افريقيا فيمكن الرجوع الى الاستطلاع الذى
كتبه بنفسه عن رحلاته البحرية لاكتشاف شواطئ افريقيا وشبه الجزيرة
ومدغشقر طبعة لندن ١٨٤٣ .

في نحو أواخر عام ١٨٣٥ قدم جى.بى.ويلوبى كبير سكرتيرى حكومة بومباى الى الحاكم مذكرة بشأن تجارة الرقيق فى كتش وكاثياوار وهما ولايتان الهنديتان المجاررتان . وقد اعتمد ويلوبى فى اعداد تلك المذكرة على أساس المعلومات التى جمعها أثناء عمله كمعتمد سياسى بريطانى فى كاثياوار فى الفترة الأخيرة . وجاء فى مذكرته بأن تجارة الرقيق تنتشر فى تلك الولاية وأن موانئها وموانئ كتش تعج بالرقيق الذين تأتى بهم السفن العربية من البحر الأحمر وحضرموت وعمان والخليج ، وحتى شهر نوفمبر من عام ١٨٣٥ صرح ويلوبى بأن شحنة من الرقيق قد صودرت فى ميناء يور بندر بالهند من جانب قائد الحامية البريطانية فيها ، وكانت هذه الشحنة تستغل ثلاث سفن يعتقد انها كانت قادمة من المكلا وحضرموت . وقد تمكنت السفن الثلاثة فيما بعد من تضليل السلطات البريطانية ، فاقلمت كما اشيع يومئذ الى بومباى . وكان هدف ويلوبى من ابلاغ هذه المسألة لعلم الحاكم ، كما ذكر ويلوبى بنفسه « ليس الاقتراح باتخاذ اجراء فى الموضوع ضد السفن المذكورة من سلطات الميناء فى بومباى ، لأنها لم ترتكب أى مخالفة سيما وأن الاتجار فى الرقيق كان مسموحا به فى كاثياوار ، وإنما لاصدار الأوامر الى قائد الاسطول الهندى لوضع رقابة على سواحل كتش وكاثياوار ، وان يتم الاعاز الى حكام كتش وكاثياوار بمنع تجارة الرقيق فى موانئهم ، أما اذا رفض الحكام الاستجابة للطلب ، فعندئذ قد تستغل السلطات فى الهند امتداد حمايتها على الولايتين لاصدار مرسوم بتحريم تجارة الرقيق فى كافة أنحاء ولاية وتعميم منشور بذلك على جميع موانئ شبه الجزيرة .

احيلت توصيات ويلوبى الى المدعى العام فى بومباى ، وقد رد المدعى العام بأنه لا يعرف كيف يمكن تطبيقها . ومما لا شك فيه ، كما اعترف كبير السكرتارية بنفسه كيف يمكن اتخاذ الاجراءات ضد السفن الحضرمية ، سواء

عقبا على انتهاكها لقوانين هى ليست مسئولة عنها أو على ممارستها لتجارة الرقيق فى موانئ مسموح بها الاتجار فى الرقيق ، أما عن اصدار المرسوم فان قوانين وأنظمة اقليم بومباى غير قابلة التطبيق على كاثياوار وكان يبدو أن رأى مشرع القانون بأنه يسد جميع الثغرات أمام القيام بأى اجراءات فعالة على فرار الصيغة التى أشار اليها ويلوبى ، غير ان الحاكم السير روبرت جرانت لم يكن يرضى بأن تذهب المحاولات سدى ، وأن يواصل تجار الرقيق نشاطهم تحت سمع وبصر حكومته . وقد ارتأى جرانت بأن أفضل طريقة لاغلاق موانئ كتش وكاثياوار فى وجه هذه التجارة ، هى فى الحصول على تعديل للخط الملاحي المنصوص عليه فى معاهدة مورسبى باعتباره يشكل الحدود الشرقية للمنطقة ، حيث تستطيع السفن العربية ممارسة نشاطها التجارى فى تجارة الرقيق بمنتهى الحرية . والخط كما ورد فى معاهدة مورسبى ينتهى عند رأس ديوبجيت ، يترك سواحل كتش وكاثياوار والسند مفتوحة لهذه التجارة . فلو أمكن مد هذا الخط الى الجهة الغربية بحيث ينتهى فى مكان ما على ساحل مكران ، فان كل المنطقة الغربية من الهند سوف تندرج ضمن الخط المحظور ، وفى تلك الحالة يمكن اقناع حكام كتش وكاثياوار بتحريم هذه التجارة ، لان ممارستها عندئذ سوف تفدو فى غاية المجازفة ، أن لم يؤد ذلك الى ايقافها كليا ، حيث تصبح تحت سيطرة البحرية البريطانية . واذا اقتنع جرانت بانه توصل الى الحل المقبول ، فقد قدم توصيته هذه الى حكومة الهند فى شهر اغسطس من عام ١٨٣٦ .

غير أن ما أغفله جرانت فى تقييمه هذا الموقف هو أن معاهدة مورسبى لم تكن تنطبق الاعلى رعايا سلطان مسقط وسفنهم ، أما عن رعايا وسفن الدول الاخرى فلم تكن ملزمة بالانصياع لتلك المعاهدة ، ثم أن الحادث الذى وقع فى صيف عام ١٨٣٦ أكد هذه الحقيقة ، ذلك أن احدى السفن التى صودرت

شحنتها من الرقيق فى ميناء يوريندر كانت تابعة لحاكم وادى ، وهى ميناء على البحر الاحمر ، وكمالية انتقام لهذا الاجراء فقد اقدم حاكم المنطقة على مصادرة احدى السفن التابعة ليوريندر فى منتصف عام ١٨٣٦ . وقد اعتبر جرائت هذا الاجراء عملا من أعمال القرصنة ، واقترح على الحاكم العام فى شهر اغسطس بأن يرغم حاكم وادى ، ولو باستخدام القوة ، معه لاعادة سفينة يوريندر . غير أن اوكلاند الحاكم العام كانت له وجهة نظر مختلفة ، فقد اعتبر مصادرة العبيد فى يوريندر ، كما ابلغ بذلك جرائت ، بأنه عمل متسرع وغير مصرح به ، وبالتالي فلا يجوز لوم حاكم وادى على قيامه باجراء انتقامى . وعلى حد رأى اوكلاند فانه من الأفضل لحكومة بومباى أن تحاول استرضاء حاكم وادى بدلا من استخدام القوة لاسترجاع السفينة المأخوذة ، وأما فيما يتعلق بالاقترحات العامة التى قدمها جرائت للحد من تجارة الرقيق الى كتش وكاثياوار ، فهى لم تكن موضع مؤاخذة ، ولكنه استدرك يقول بأنه يتحتم على جرائت قبل أن يشرع فى تنفيذها ، أن يتأكد من أنه لا وجود لمثل تلك التجارة فى اقليم بومباى ، ولعله من المفيد على حد اقتراح اوكلاند ، لو تم استصدار قوانين كذلك المعمول بها فى كلكتا لمنع تهريب العبيد الى اقليم بومباى . وهذه القوانين تقوم على أساس انتزاع تعهد من ربانة السفن التى ترتاد هذا الميناء بانهم لا يمارسون أو يتعاملون فى تجارة العبيد ، كما تقوم على اجراء تفتيش دقيق لجميع سفن العرب التى تزور الميناء ، واصدار تحذير الى سكان منطقة الميناء ، بأن كل من يتورط فى تجارة الرقيق سيتعرض للمحاكمة بموجب نصوص القانون رقم ٥١ مادة ٢٣ (١) .

(١) مجموعة المجلس رقم ٦٨٤٦٣ مجلد ١٦٩٩ من مكنامن (سكرتير

الحاكم العام) الى ويلوبى فورت ولينم ٢١/١٠/١٨٣٦ . وقد استنكر مجلس =

غير أن جرائد لم يكن يرى بأن الموضوع يستوجب اصدار قوانين مشابهة لقوانين بومباي ، أما القوانين الخاصة بتفتيش سفن العزب القادمة الى بومباي ، فقد كان معمولا به منذ سنة ١٨٢٠ ، على الرغم من حسب اعتراف جرائد ، من أن هذا القانون كان نادرا ما يطبق . ولم يبق بعد ذلك في نظر جرائد ، غير أن يطبق هذا القانون تطبيقا فعليا ، مع تعزيزه باجراءات اضافية تحقق الغرض منه في منع نزول العبيد الى الميناء بطريقة غير مشروعة . ولقد خف تحمس جرائد لهذا الموضوع على اثر قراءته لتقرير أعده المدعى العام حول امكانية حكومة بومباي ، وفقا للقانون في معاقبة رعايا الدول الأجنبية ، الذين ينتهكون الأنظمة القائمة التي تحرم استيراد العبيد أو تصديرهم في موانئ الهند البريطانية . ويبدو أن ثمة ثغرات في هذا القانون من حيث انها لاتنص على مصادرة السفن في الموانئ الواقعة خارج سيادة المحكمة العليا في بومباي ، وعلى أى حال آخر ، فان ضباط الاسطول الهندي غير مخولين كضباط الاسطول الملكي صلاحيات مصادرة السفن الاجنبية التي تتعامل في تجارة الرقيق في الموانئ البريطانية . فكانت النتيجة ان قدم جرائد توصيات جديدة الى اوكلاند في خريف عام ١٨٣٧ جاء فيها : أن الثغرات في قانون بومباي يجب أن تعالج ، وأنه يجب أن يعطى له الصلاحيات اللازمة لضغط هذه القوانين واصدار أمر يعمم على كافة موانئ شبه الجزيرة ممن تتعامل مع الهند وينص على ان كل من يقوم باستيراد العبيد الى الهند يعاقب

= ادارة الشركة فيما بعد عملية مصادرة السفينة في يوربندر ورأى فيها اجراء لم يكن له ما يبرره . (انظر أيضا التقارير السرية الى بومباي مجلد ٥ . في ١٨٣٨/٨/٢٩ (قم ١٥ الادارة السياسية) .

وقد تحقق بعض النجاح فى هذه المرحلة على أساس مقترحات ويلوبى فى شهر ديسمبر ١٨٣٥ . وفى نهاية عام ١٨٣٦ وافق حاكما كتش وكايباوار على طلب لحظر تجارة الرقيق فى أراضيهما . كما عاد جرانب فادرك بأن أى تعديل لمعاهدة مورسبى لن يكون له أى تأثير على الحد من تجارة الرقيق مع المنطقة الغربية للهند ، ما لم توافق دول أخرى عدا مسقط على منع تجارة الرقيق . وفى شهر أكتوبر من عام ١٨٣٧ أوعز الى الكابتن هانيل المقيم البريطانى فى الخليج بالاتصال بسطان مسقط بطلب تعديل الحظر بحيث تستثنى سواحل السند وكتش وكايباوار من منطقة عمليات هذه التجارة ، وبأن يحاول اقناع شيوخ الساحل بالموافقة على مراعاة هذا الحظر أيضا . وبعد مضى شهر كتب أوكلاند يقول بأن مقترحات جرانب لمكافحة تجارة الرقيق فى الهند سيتم صرف النظر عنها ، ذلك أن موضوع تجارة الرقيق فى الهند بما فى ذلك عمليات استيراد العبيد اليها من البحر الأحمر والخليج الفارسى قد احيلت الى اللجنة القانونية ، وحتى تنتهى اللجنة من أعمالها وتقدم تقريرها فسوف يتعذر البت فى هذه المسألة . وقد تكررت خيبة الأمل بالنسبة لهذه المشكلة عند وصول تقرير من هانيل فى أوائل عام ١٨٣٨ يشير فيه الى أنه على الرغم من أنه سوف يغتنم أول فرصة لاثارة موضوع خط مورسبى مع السيد سعيد وشيوخ القرصنة ، إلا أنه كان يشعر بشيء من القلق أن يتوافق اثارة هذه القضية الحساسة مع وجود توتر بين دول نتيجة الحملة المصرية على وسط شسبه الجزيرة وهجوم شاه فارس على الحيرة . وكان الشك يراود هانيل كما ذكر ما اذا كان السيد سعيد سيوافق على تطبيق قيود جديدة على تجارة الرقيق ، أو أن يوافق شيوخ الساحل على مثل تلك القيود .

وقد عزز وصول تقرير هانيل اقتراحات هانيل بصرف النظر مؤقتا عن هذه المسألة ، مما اقنع حكومة بومباى على ارجاء البت فى هذا الموضوع مؤقتا . وقد أحيل جرائت على المعاش فى نهاية عام ١٨٣٧ ، وفى شهر فبراير ١٨٣٨ أوعز جيمس فاريش الحاكم بالوكالة الى هانيل بعدم الاتصال بالسيد سعيد أو شيوخ الساحل ، وبأن يحصر جهوده فى تقصى الحقائق عن أى حالة من الحالات الخطيرة والإبلاغ عنها .

وفى شهر سبتمبر من عام ١٨٣٧ عرض على هانيل موضوع من الموضوعات الخطيرة المتعلقة بتجارة الرقيق ، حينما اتصل به شخص يدعى عبد الله بن عوض أحد مشايخ الساحل الصومالى وأبلغه بأن بحارة احدى سفن القواسم قد اختطفوا ٢٣٣ فتاة من مدينة بربرة الصومالية فى شهر أبريل خلال الموسم التجارى للمعرض السنوى ، وأنه قد تم بيع هؤلاء الفتيات فى منطقة الخليج . وذكر الشيخ عبد الله بأنه مفوض من قبل مائلات هؤلاء الفتيات للبحث عنهن وطلب اعادتهن ، وأنه جاء الى هانيل لمساعدته فى تحقيق هذه المهمة . وعلى الفور أجرى هانيل تحريات حول هذا الموضوع ، وقد توصل الى أن الفتيات لم يختطفن من جانب القواسم ، وانما كن ضمن أسرى احدى الحروب التى تقع بين قبائل تلك المناطق من القرن الأفريقى ، ثم تم بيعهن الى القواسم ، ولعل أسوأ ما فى هذه المشكلة هو أن الصوماليين مسلمون عموما ، وبالتالي فانهم من الأحرار وليسوا من العبيد على عكس الزنوج أو الأحباش الذين يمكن اعتبارهم عبيدا وفقاً للشريعة الاسلامية .

وقد بادر هانيل الى اثاره الموضوع مع كبير مشايخ القواسم سلطان ابن صقر وكان ذلك فى شهر أبريل ١٨٣٨ عندما كان فى زيارة لساحل الهدنة لتجديد اتفاقية الصلح البحرية . غير أن الشيخ سلطان أنكر أن يكون لاحد من أتباعه ضلع فى هذه القضية ، رغم أنه ذكر بأن كثيرا ما يجرى اختطاف الصوماليين وبيعهم فى الخليج ، ولكن أهل مسقط والكويتيين هم

الذين يقومون بمثل هذه الأعمال فى الغالب (١) أما بالنسبة للشيخ سلطان فقد حاول أن ينفى تهمة الخطف عن القواسم ، حتى انه ذكر بأنه اقترح على السيد سعيد عقد اتفاق لتنظيم زيارات سفن القواسم وغيرها من الموانئ الأفريقية بهدف الاتجار فى العبيد . وقد اقترح عليه هانيل بأن يشرف على عملية تنظيم نشاط سفن القواسم وقد يتم ذلك بصورة أفضل لو وافق الشيخ سلطان بن صقر على تفويض طرادات الأسطول الهندى تفتيش وحجز السفن المشتبه فيها وفى نشاطها . وبصورة لم تكن متوقعة وافق الشيخ سلطان على اقتراح هانيل ، وبتاريخ ١٧ أبريل وقع على اتفاق من هذا النوع ، وقد نص الاتفاق فيما نص عليه على مصادرة أى سفينة تحمل رقيقا مسروقا . وقد حصل هانيل على اتفاق مماثل من شيوخ عجمان ودبى وأبو ظبى عندما زار هذه الشيخات فى أواخر ذلك الشهر (٢) .

(١) وقد يكون هذا صحيحا فقد سبق أن ذكر أحد سماسرة الشركة فى مسقط قبل ذلك بضع شهور بأن ٨ فتيات صوماليات قد اختطفن من بزيره فى الموسم السابق من قبل احدى السفن الكويتية ، وقد تم بيع ٤ منهن فى صور ومسقط وصحار فيما بعد ، بينما أخذت الفتيات الباقيات الى الكويت - مجموعة المجلس مجلد ١٨٨٠ رقم ٧٩٨٨٠ من تى مكنزى (المقيم باوكالة) أبى ويلوبى ، بوشهر ١٨٣٨/٢/٢٦ .

(٢) لقد كان وضع فونتونيه محل شك . ففى الرسائل التى تبعت بها حكومة بومباى كان يشار اليه « بنائب القنصل الفرنسى المزعوم » أما السير جون هاوس رئيس مجلس الهند ، فقد أشار فى ذلك الوقت الى وجود شخص يدعى فونتونيه يقيم فى فارس كعالم من علماء النبات للحكومة الفرنسية ، ثم عين نائبا للقنصل الفرنسى فى تريبزونند ، وهو ذكى وظريف =

لقد اقتنع فاريش الحاكم بالوكالة من النجاح الذي حققه المقيم بأن
تفاؤله في شهر فبراير كان موقفا سابقا لاوانه ، وبالتالي فقد أوعز إلى
هانيل في صيف عام ١٨٣٨ بأن يضع ويقدم خطته لوقف تجارة الرقيق مع
الهند . وقد عززت الجهود المبذولة على هذا المضمار عندما اتهم نائب
القنصل الفرنسي في البصرة المسيو فونتونيه حكومة فاريش بالتواطؤ في
تجارة الرقيق ، وبوضع غشاوة على أعينها ازاء عمليات تهريب العبيد إلى
اقليم بومباي . وقد وجه المسيو فونتونيه هذه الاتهامات عند زيارته لبومباي
على ظهر الطراد الفرنسي بقيادة الكابتن غولين الذي زار الميناء لتموين
سفينته أثناء قيامه بعمليات مسح للسواحل الافريقية وجنوب الجزيرة .
وعلى حد قول فونتونيه فقد كان يتم انزال الرقيق في بومباي بعد أن
يرتدوا الزى النسائي ثم ينقلون في محفات . ولا يعترض رجال البوليس
على العملية ، وهكذا يجد العبيد طريقهم إلى داخل البلاد بمنتهى السهولة
والاطمئنان . واذا نشب خلاف بين المقاتلين ، فتمثل الاطراف أمام
البوليس ، ويتقدم العبيد بوصفهم خدما ، أما البوليس فلا يتحرك أو يحاول
التحقيق في هوياتهم ..

وعلى الرغم من أن فاريش كان يعرف أن اتهامات فونتونيه التي كان
قد سبق أن وجهها منذ ثلاث سنوات ، عندما قال بأن نقل العبيد كان يتم
بكل حرية فيما بين الهند والخليج في سفن تحمل الجنسية البريطانية لم

=ومهرج وأحمق جدا ، وهو يبدي رأيه في كل مسأله على وجه الأرض
(مجموعة أوراق المجلس مجلد ١٧٩٧ رقم ٧٣٨١٦ محضر فاريش

تكن صحيحة ، الا أنه لم يعترف بذلك رسميا . فقد كان هناك تساهل من جانب المسؤولين فى ميناء بومباى ، وأن الحكومة لم تحاول بصورة جدية أن تحد من حجم تجارة العبيد بين الهند وأفريقيا وشبه الجزيرة . ولقد قرر فاريش بهذه المناسبة على أنه لا بد من القيام بإجراء لتصحيح الوضع ، ولما كان هانيل قد سبق أن أوصى ردا على طلب جرانت اليه فى الصيف . فقد رأى أن يتم تعديل خطة جرانت بمطالبة سلطان مسقط بتعديل خط مورسبى ، وبمطالبة الشيوخ بمراعاة نظام ذلك الخط ، وأن يقوم السلطان وشيوخ الساحل بمنح طرادات الأسطول الهندى سلطة تفتيش السفن التى تخالف نظام هذا الخط ومصادرتها ، كما اقترح هانيل أن يعتبر استبعاد الصوماليين ، أو أى فئة أخرى من الذين يعتبرون أحرارا بمقتضى الشريعة الاسلامية ، عملا من أعمال القرصنة وقد أقر فاريش هذه التوصيات ، وفى نهاية العام أوعز الى هانيل ببدء مفاوضات مع الحكام المعنيين وكلف المقيم بأن يعمل على ادراج كل ساحل مكران ضمن المنطقة المحظورة على تجارة الرقيق واعتبار الاحباش وكثير غيرهم من المسيحيين ن الأحرار الذين لا يجوز استرقاقهم .

وقبل أن يتمكن هانيل من عرض هذه المقترحات على السيد سعيد كان قد تلقى ايعازا من لندن بالعمل على تعديل معاهدة مورسبى . وكان السيد سعيد قد أوفد مبعوثا الى انجلترا فى صيف عام ١٨٣٨ لتقديم التهانى بمناسبة اعتلاء الملكة فكتوريا العرش ، ولتوثيق روابط الصداقة بين السلطنة والحكومة البريطانية عن طريق ابرام معاهدة صداقة وتفاهم بين الدولتين ، وكان يرافق المبعوث السلطانى الكابتن كوجان من الأسطول الهندى الذى اكتسب ثقة السيد سعيد ، وطلب اليه أن يكون الوسيط بين مندوبه والحكومة البريطانية . وقد وجد كوجان كلا من بالمرستون وهوب

هاوس يرحبان بفكرة عقد اتفاقية ، لا من حيث الأهمية التي أخذت تكتسبها السلطنة فحسب ، سيما بعد أن وضحت أطماع محمد على باشا ونشاطه فى شبه الجزيرة العربية ، وإنما لأن إبرام مثل هذا الاتفاق ، كما أشار كوجان بنفسه ، سوف يحمل السلطان الى الحد أو بالأحرى الى حظر تجارة الرقيق بين افريقيا والسلطنة (١) .

وفى نهاية شهر أغسطس ١٨٣٨ كلف بالمرستون المختصين بوضع صيغة معاهدة تجارية عرضت على كل من مجلس الهند وشركة الهند الشرقية لإبداء آرائهم عليها . وكانت تضم هذه المعاهدة ١٤ بندا ، وأهم بنودها هى تلك التى تتعلق بمعاملة سفن السلطنة فى الموانئ البريطانية معاملة أفضل ، وفرض رسم لا يزيد على ٥٪ من قيمة السلعة على البضائع البريطانية الواردة للسلطنة ، وتعين قناصل للإشراف على المصالح البريطانية ورعاية الرعايا البريطانيين فى السلطنة . وكانت تجارة الرقيق تمثل بنودا ثلاثة ، الأول يجدد ويؤكد معاهدة مورسبى والثانى والثالث اشتملا على أمور لم تكن واردة فى تفكير السلطات الهندية من قبل . وينص البند السادس عشر على ما يلى « كما يتعهد صاحب السمو بأن يحظر ويمنع نقل العبيد بين ممتلكاته والأقطار الأخرى ، وبصورة خاصة أقطار الهند وموانئ البحر الأحمر ومنطقة الخليج الفارسى » أما البند السابع عشر من الاتفاقية ، فيلزم السيد سعيد بمعاينة كل من يتعامل فى الرقيق من رعاياه أو فى تصديرهم ، وأن يوافق على أن تخضع كافة السفن التى ترفع

(١) الرسائل العامة السياسية والسرية للمجلس مجلد ٩ رقم ١

من كوجان الى جوردون (كاتب المجلس) ١٨٣٨/٧/١٨ .

(٤ - بريطانيا والخليج / ٢)

علم السلطنة للمصادرة والحجز فى حالة نقلها العبيد الى خارج السلطنة .
كما يحوى الطرادات البريطانية حق مصادرة تلك السفن ، كما يحق للمحاكم
البريطانية محاكمة جميع أصحاب السفن التابعة له أو تحمل علم السلطنة
اذا وجدت أنها تقوم بنقل العبيد ، وذلك فى أى مكان تكون فيه هذه
السفن ، وأيا كانت وجهتها ووجهة العبيد الذين تقوم بنقلهم (١) .

لقد فوجيء كوجان بخطورة هذه المقترحات التى لو طبقت فربما
تؤدى الى اسقاط السيد سعيد عن عرشه وبالتالي تعرض للخطر الأهداف
الحقيقية التى من أجلها وضعت . وهنا أبلغ كوجان مجلس الهند : -

« بأنه يعى تماما النتائج التى قد تترتب على هذه البنود لو أنه وافق
على شروطها ، وعلى الأخص اذا ما أدخلنا فى الاعتبار عدد الزعماء المسلمين
والدويلات المسلمة التى ترتبط أوضاعها باستمرار تجارة الرقيق فى
المنطقة . وبعضها دول قومية كدولة سلطان مسقط ، والذى كان منذ
فترة بعيدة من التاريخ يتلقى أعدادا كبيرة من الرقيق من ممتلكاته فى
أفريقيا . وانى أتصور أن هذه البنود سوف تضعف سلطة السيد سعيد ،
وأنه اذا ما انضم زعماء الوهابيين من داخلية شبه الجزيرة الى القطيف ،
فانها قد تؤدى الى تدمير نفوذ السلطنة فى المنطقة ، لأن الاجراءات التى
سوف تقتضيها هذه الاتفاقية سوف تحرم سلطان مسقط من كل عطف
ودعم من شعوب شبه الجزيرة ، كما انها ستضر بمصالح حكومة فارس ،

(١) مسودات المجلس - من التقارير السرية الى حكومة الهند مجلد
١١ مسودة الى الحاكم بومباى ١٨٣٨/٩/٢٨ (رقم ٤٠٨) ومرفق مسودة
لاتفاقية تجارية (أغسطس ١٨٣٨) .

ومصر ، والسند ، واني لا أعرف الى أي حد سوف ترى حكومتنا نفسها مضطرة تحت هذه الظروف الى مساعدة صاحب السمو سلطان مسقط ، والى أي حد ستجد نفسها متورطة من خلال تقديم هذا العون ، وهي كلها أمور تتطلب منى النظر الى الموضوع بكثير من الاهتمام والتفكير » .

وإذا كان لابد من اجراء مفاوضات لإبرام معاهدة حول الرقيق فسيكون من الأفضل كما أشار كوجان أن تقوم حكومة الهند بإبرامها . ومن الأفضل الى حد أكبر أن أية قيود يراد تطبيقها فيما يختص بهذه التجارة فينبغى أن يتم التفاهم حولها مع السيد سعيد بطريقة خاصة ، ولا ينبغى ادراجها ضمن معاهدة . أما كوجان نفسه فكان يجحد سياسة الخطوة خطوة ، تبدأ بتبنى مقترحات حكومة بومباي بتعديل خط مورسبي ، والحصول للأسطول الهندى على حق تفتيش ومصادرة السفن وهي الحق الذى يقتصر حتى الآن على الأسطول الملكى . وكان لابد للسيد سعيد من أن يتعرض لبعض الخسارة فى دخله ، اذا وافق على هذه التنازلات ، غير أنه يمكن تعويضه ، كما اقترح كوجان عن طريق السماح له باستخدام حوض السفن فى بومباي لاصلاح سفنه ، وباعفائه من دفع رسوم الميناء والارشاد فى موانئ الهند البريطانية .

وقد أقر كل من مجلس ادارة الشركة ومجلس الهند آراء كوجان ، فقد كان من رأى مجلس الادارة بأن أقصى ما يمكن أن يتوقعوه من السيد سعيد ، هو استخدام نفوذه للحد من عمليات نقل العبيد من ممتلكاته الافريقية الى هذه المناطق . وبالتالي فان مطالبته بأكثر من هذا سوف يعرض نفوذه للخطر فى العالم الاسلامى ، وقد أخذ بالمرستون المبادرة ، ومع احتمال نشوب أزمة مع حكومة فارس حول الحيرة ، وأزمة أخرى

متوقعة من محمد على ، لم تكن كل هذه الظروف تسمح باستفزاز مشاعر العالم الاسلامى بالعبث بواحد من أقدم معتقداته . وقد تم تعديل المعاهدة التجارية ، وأوعز الى كوجان الذى فوض بإبرام تلك المعاهدة بالنيابة عن الحكومة البريطانية ، بأن يقصر محادثاته مع السيد سعيد ضمن موضوع تجارة الرقيق للحصول للأسطول الهندى على حق تفتيش ومصادرة أى سفينه تخصه تكون مبحرة للناحية الشرقية من خط مورسبى ، وأن يحاول اقناع السيد سعيد باستنكار عمليات نقل الرقيق من ممتلكاته الى المناطق الأخرى (١) .

وقد سافر كوجان الى زنجبار عن طريق بومباى ، وهناك تم التأكيد عليه بأن الهدف المباشر لحكومة الهند لم يكن القضاء كلياً على تجارة الرقيق وإنما حصرها فقط على السواحل العربية والأفريقية ، ماعدا الهند . وقد تضمنت المعاهدة التى عقدها كوجان مع السيد سعيد فى زنجبار بتاريخ ١٨٣٩/٥/٣١ بنداً واحداً فقط حول تجارة الرقيق « وهو المادة ١٥ » التى هى تجديد وتأكيد لمعاهدة مورسبى ، ومنحت حق تفتيش ومصادرة السفن التى اقترتها تلك المعاهدة لسفن الاسطول الهندى ، ولم يزد أى ذكر لقيام السيد سعيد باستنكار ممارسة تجارة الرقيق ضمن أراضيه (٢) .

فى شهر يوليو ١٨٣٩ قدم هانيل المقترحات الخاصة بتجارة الرقيق

-
- (١) مجموعة اوراق المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ١١ مسودة الى الحاكم العام ١٨٣٨/٩/٢٨ (رقم ٤٠٨) ومرفق بها نسخة من خطاب بالمرستون الى كوجان ١٨٣٨/٩/٢٦ .
- (٢) راجع « المعاهدات » تأليف ايشيسون ص ٦٠ - ٦٥ .

الى شيوخ الهدنة ، غير أن الوقت الذى اختاره هانيل لا يبدو انه كان وقتا ملائما ، فالأزمة التى فجرها الوجود المصرى على سواحل شبه الجزيرة ، وحصار الفرس للحيرة ، كانا فى ذروتها ، بينما كانت هيبة بريطانيا فى الخليج فى ذلك الوقت فى الحضيض، وذلك منذ أن كان القواسم يشنون هجماتهم على السفن البريطانية بمنتهى السهولة . وازاء تلك الملبسات كان على هانيل أن يمارس مهمته بحذر شديد ، وبالتالي فقد حصر مهمته ضمن ثلاثة مطالب : الأول هو أن يحصر الشيوخ نشاطهم ونشاط رعاياهم فيما يختص بالعبيد ضمن المنطقة الغربية للحظر الممتد من رأس جادل على ساحل مكران الى نقطة درجتين شرقى سقطره ومنها الى رأس ولجارو ، والثانى أن يمنح الشيوخ سلطات لطرادات الاسطول الهندى بتفتيش ومصادرة أى من السفن التابعة لرعاياهم تعمل من الشرق من ذلك الخط ، وتحمل عبيدا ، مالم يتسبب فى وجودها هناك عوامل جوية ، والثالث أن يعتبر الاتجار فى الصوماليين عملا من اعمال القرصنة ، وتفرض عليه العقوبة بموجب ذلك . ولم يكن الوقت مناسباً حسب رأى هانيل للمطالبة باعتبار الأجناس كالصوماليين من الأحرار . ولم يظهر أى من الشيوخ أى اعتراضات على المقترحات التى قدمها هانيل ، وبالتالي فقد نجح هانيل فيما بين ١ و ٣ من شهر يوليو من الحصول على اتفاق مكتوب من جالب حكاه ابوظبى ودبى وام القيوين والشارقة ثم بعد مضى خمسة أشهر أى فى ديسمبر سنة ١٨٣٩ حصل هانيل على اتفاق مماثل من السيد سعيد مرة اخرى تحت ظروف غير ملائمة .

وقد أوضح هانيل للسيد سعيد ، بأنه على الرغم من الاتفاق الذى حرره السيد سعيد فى الآونة الأخيرة مع بومباى بتعويض سفن الأسطول الهندى فى تفتيش ومصادرة السفن التابعة لسقطه ، الا أن ذلك الاتفاق قد أبرم بين السيد سعيد والحكومة البريطانية وليس مع حكومة الهند

وشركة الهند الشرقية . وقال بأن حق التفتيش والمصادرة ينبغي أن يمنح الى سفن الأسطول الهندي مباشرة ، وذلك من خلال اتفاقية مستقلة . وقد أقر السيد سعيد رأى هانيل ووافق على منح ذلك التقيويض . كما وافق أيضا على حظر الاتجار فى الصوماليين بين رعاياه وبتعديل خط مورسبى ، وكان الاعتراض الوحيد للسيد سعيد على الاقتراح الأخير ، وهو أن تحديد الطرف الشمالى للخط ، كما حدده هانيل فى الاتفاقات التى عقدها مع شيوخ الساحل ، أى عند رأس جواديل ، سوف يضع ممتلكاته على ساحل مكران وهى جواذر وشهباز ضمن المنطقة المحظورة . وهنا وافق هانيل على اجراء تعديل على النقطة التى ينتهى عندها الخط ، بحيث ينتهى عند بسنى بحيث تبقى جواذر وشهباز مفتوحتين للتجارة . وفى يوم ١٧ من ديسمبر سنة ١٨٣٩ ، وقع السيد سعيد على الاتفاق المتضمن بشروط الثلاثة التى اوردناها آنفا (١) .

(١) مجموعة أوراق المجلس مجلد ٧٩٨٨٠ من هانيل الى ريد (السكرتير السياسى لحكومة بومباى) مسقط فى ١٧/١٢/١٨٣٩ (رقم ١٢٣ الادارة السياسية) وقد نشرت نصوص هذه المعاهدات فى كتاب انثيسون بعنوان « المعاهدات » فصل ١١ ص ٦٧ - ٦٨ ويذكر السير ارنولد وليسون فى مؤلفه الخليج الفارسى ص ٢١٧ ، بأن الخط الملاحى الجديد ينتهى عند رأس بيزوم ، وبهذا التحديد الجديد للخط المحظور ، أصبحت الموانى التابعة لسلطان مسقط وهى جواذر وشهباز مغلقة فى وجه تجارة الرقيق . ومن ناحية أخرى فان تقرير هانيل حول ابرام هذا الاتفاق يشير بوضوح الى « بوسين » باعتبارها نهاية الحدود الشرقية لأراضى صاحب السمو على ساحل مكران . ولعل الخطأ الوارد فى رأى ولسون هو وجود التباس بين =

ان التعهدات المكتوبة التى تم الحصول عليها من جانب هانيل فى عام ١٨٣٩ ، والتى تهدف الى اسدال الستار على تجارة الرقيق من غربى الهند . ولم يكن الهدف من ابرامها هو التعرض للسير الطبيعى لهذه التجارة فى المناطق الأخرى . ومع ذلك فان حكومة بومباى كانت تأمل أن الحد من مجال هذه التجارة ، قد يؤدى بالمثل الى تقلص فى حجمها ، وعلى أى حال فلم تظهر بوادر لهذه الآمال ، فالتقارير التى كانت ترد من الخليج خلال النصف الأخير من عام ١٨٤٠ كانت كلها تشير الى أن التجارة آخذة فى الازدهار بمعدل أقوى . وكانت هذه التقارير مبنية على أصح الاستنتاجات عن وضع تجارة الرقيق فى الخليج . وقد قام باعداد تلك التقارير الكابتن نوت قائد السفينة الفرات خلال شهرى أغسطس وسبتمبر ١٨٤٠ وهى سفينة

= لفظة بوسين ويوزيم ، الواقعة على الطرف الغربى لخور شهباز ، بدلا من يسنى الواقعة الى الشرق من جواذر . أما السير ريجلاند كوبلاند (أفريقيات الشرقية وغزاتها) ص ٥٢ فيعتقد بأن تاريخ الاتفاق مع السيد سعيد يسبق تاريخ الاتفاقيات المعقودة مع شيوخ الهدنة : اذ يقول : ان البند الخاص بالصوماليين فى اتفاقية مسقط ، كان موجها ضد تجار الرقيق القواسم . وبالتالي فقد كان من حق السيد سعيد بأن يشكو من قيام القواسم بسرقة الرقيق من زنجبار (فقد أبلغ هانيل فى اجتماعهما فى شهر ديسمبر سنة ١٨٣٩ ، بأن القواسم كانوا يسرقون ثلاثة أو أربعة من العبيد مقابل كل عبد يشترونه ، بل أن نفس السفينة التى أقلت مبعوث الشيخ سلطان بن صقر الى مسقط لبحث أسس الاتفاق المزمع ابرامه مع شيخ القواسم قد شوهدت قبل ابحارها وعلى ظهرها عشرون عبدا) أما فيما يتعلق بالصوماليين فقد كان سكان مسقط كالقواسم مسئولين عن ذلك .

الحراسة التابعة للممثلة البريطانية فى جزيرة خرك (١) وقد استقى نوت معلوماته من ربانة السفن العاملة فى المنطقة ، ومن الأسئلة التى كان يوجهها لى ربان كل سفينة تزور خرك لاستصحاب المرشدين لادخالها الى البصرة ، وكان هؤلاء الربانة يخبرونه عن ميناء المغادرة ، وعن الرقيق الموجودين على ظهر السفينة ، والميناء التى تم شراؤهم منها ووجهتهم ، والأسعار التى كان يتم بها بيعهم فى مختلف الموانئ التى ترتادها السفن . ومن استجواب الربانة توصل نوت الى أن أكثر من ١٠٠ سفينة تطلع من مسقط وصور الى زنجبار كل عام وتعود كل منها بنحو ٥٠ الى ١٠٠ عبد ، بينما تغادر عشرون سفينة أخرى أو أكثر كل عام الى بربرة والبحر الأحمر وتعود بنحو ٢٠٠ الى ٣٠٠ حبشى ، ومن بين العبيد الذين يردون الى مسقط وصور يتم بيع ما يقرب من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ عبد فى مناطق الخليج . وحتى فى الوقت الذى كان نوت يقوم بتجاريته هذه ، كان ما لا يقل عن ٤ سفينة فى طريقها الى الخليج محملة بشحنات من العبيد لبيعهم فى بوشهر ، والبحرين والبصرة والكويت . وقد دهش كل من نوت والمقيم البريطانى بالوكالة من مدى ارتباط تجارة الرقيق بالتجارة العادية . وكان يتم شراء الرقيق أثناء نقلهم الى البصرة من عائد بيع اللؤلؤ ، ومن أرباح التجارة الملاحية الى الهند وافريقيا . وتستخدم المبالغ الناتجة عن بيع العبيد فى شراء جزء من محصول البلح العراقى ، الذى يتم حصاده فى أواخر أغسطس وسبتمبر ، ثم يعاد بيعه فى ساحل الهدنة وفى الهند . وبالتالي فقد كان ثمة احتمال حقيقى ، كما ذكر مكنزى عند تقديمه لتقارير نوت الى حكومة بومباى ، أن يتم تهريب

(١) لقد أشرنا الى تقارير نوت أيضا (ص ١٦ أعلاه) .

العبيد الى الهند ضمن شحنات البلح وغيرها من السلع التجارية (١) .

تم تعيين حاكم جديد لبومباى فى شخص السير جيمى كارنك ، ولم يكن هذ اعلى استعداد للتساهل فى هذه المشكلة . فقد ذكر بعد اطلاعه على تقارير نوت ، أنه لا يمكن تحمل هذا الوضع اطلاقا وأنه فى الوقت الذى حققت الحكومة البريطانية نجاحا ملحوظا فى قمع تجارة الرقيق فى كثير من مناطق العالم ، فاننا سوف نضطر الى أن نغمض أعيننا عن الذين يمارسون هذه التجارة تحت سمعنا وبصرنا وفى موائنا وقرر كارنك بأن الاتفاقات التى كانت قد أبرمت أخيرا لابد من تعديلها ، لأنها لا تصلح فى ايقاف تجارة الرقيق مع المنطقة الغربية للهند ، كما كان الغرض من ابرامها . وعلى أى حال فقبل اجراء هذا التعديل على الاتفاقات أراد كارنك الحصول على مزيد من المعلومات عن سير هذه التجارة ، وعلى الأخص فى الموانئ الغربية للهند، واصدر أوامره الى هانيل بتكليف الكابتن اتكنس همرتون ، المعتمد السياسى الجديد فى مسقط ، والكابتن ستافورد هينز المعتمد السياسى فى عدن باجراء تحريات واسعة حول تجارة الرقيق ، وباعطاء آرائهم حول أفضل الطرق لوقفها .

وفى الخارجية البريطانية كان بالمرستون قد توصل هو الآخر الى نفس الاستنتاجات بعد اطلاعه على التقارير الخاصة التى وصلته من الهند ،

(١) ملفات الخاجية البريطانية من مكتزى الى ويلوبى خرك فى ٦/١٠/١٨٤٠ (رقم ٩٣ الادارة السياسية لا ومرفق المخابرات المتبادلة مع نوت وتقارير سفينة الحراسة عن شهر سبتمبر ١٨٤٠) التى احيلت الى وزارة الخارجية .

ومفادها أن سفن مسقط مازالت مستمرة في تهريب الرقيق الى بومباي ،
وأنها كانت تعود ببعض نساء الهند لبيعهن في مناطق أخرى وتبعاً لذلك
بعث بأوامر الى كارنك في نهاية ديسمبر لاجراء تحريات حول صحة تلك
المعلومات ، وأن ثبتت فعليه أن يتخذ الخطوات الكفيلة بوضع حد لها وقد
تم تنفيذ تلك التعليمات على الفور ، فطلب الى محقق الشرطة القضائي والى
مدير الجمارك فى بومباي باجراء تحريات ، كما اعطيت أوامر جديدة الى
مأمور الأسطول الهندى ، والى هانيل ، وهمرتون لمضاعفة تحرياتهم عن
تجارة الرقيق فى الهند الغربية كما صدرت أوامر فى ابريل ١٨٤١ الى
الكابتن هاريس من هندسة بومباي ، الذى وقع الاختيار عليه ليرأس بعثة الى
شوا فى جنوب الحبشة للقيام بتحريات عن وضع الرقيق فى الحبشة ،
وللتأكد مما اذا كان ملك شوا سهيلا سبلاسى على استعداد للمساعدة فى قمع
هذه التجارة .

غير أن أوكلاند كان ينظر الى كل تلك الاجراءات بكثير من الارتياب .
وقد ذكر لكارنك فى شهر مارس ١٨٤١ ، أنه اذا كانت تلك الاجراءات سليمة
بلا أدنى شك ، الا أنه وفقاً للصلاحيات المخولة للحكومة البريطانية بموجب
المعاهدة الخاصة بمكافحة تجارة الرقيق ، فانه يتعين استخدام تلك
الصلاحيات الى أقصى الحدود لتحقيق هذا الغرض . اما اذا كان ثمة أى
نقص فى تلك الصلاحيات ، فسوف يكون من الضرورى العمل على
استكمالها . غير أن اوكلاند فى الأساس لم يكن مقتنعاً كل الاقتناع من أن
أى اساءة فى استخدام مضمون الاتفاقيات التى عقدت أخيراً بشأن تجارة
العبيد - وكانت الشكوك تراوده فى حجم تلك التجارة وأرقامها - كان
يستدعى كل تلك الاجراءات الواسعة ضد تجارة الرقيق العربية فى أوسع

مداها . وقال فيما يختص بشيوخ الهدنة بصفة خاصة ، بأن أى اعلان مفاجيء يحظر التجارة ، سيكون خطوة غير سليمة وربما مجحفة (١) . ولقد تأكدت شكوك الحاكم العام عن حجم تلك التجارة فى موانى الهند الغربية من نتائج التحريات التى أمر كارنك باجرائها فى أواخر عام ١٨٤٠ . فقد ذكر الكابتن روبرت أوليفر من الأسطول الملكى ، وقائد الأسطول الهندى ، بأنه قد علم بأن ربابنة وبحارة السفن العربية التى تتراد ميناء بومباى قد درجوا على استصحاب الصبية الافريقيين معهم كخدم خاص لهم ، وقد عرف بعد ذلك بأنهم كانوا يبيعون أولئك الفتيان فى بعض الأحيان ، غير أن مدير عام جمارك لم يكن يستطيع اثبات حادثة واحدة من هذه الحوادث . وعلى أى فقد كان يعتقد بأن أصحاب السفن العربية كانوا يقومون باختطاف البنات لهنديات من موانى الاقليم وبيعهن فى البلدان العربية ، كما قدم قائد

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٣١ مرفق للخطاب السرى رقم ٣٠ المؤرخ ١٨٤١/٤/٢٧ من ويلوبى الى هاريس ١٨٤١/٤/٢٤ ، جاءت المبادرة لارسال البعثة الى شوا من بالمرستون الذى اهتم باراء جى . ال كرافت التى ادلى بها فى عام ١٨٤٠ ، ومفادها بأن مؤامرات المغامرین الفرنسيين فى شوا قد تنجم عن خطر على وضع بريطانيا فى منطقة البحر الأحمر ، وان ثمة امكانيات وفرصا كبيرة فى شوا للتجارة البريطانية وللحد من القسوة التى يتعرض لها العبيد الأحباش كنتيجة للتجارة التى تمارس فى هذا الشأن ، انظر مجموعة المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ١٣ مسودة الى الحاكم العام فى ١٨٤٠/١٢/٣ (رقم ٦٨٥) ومرفق نسخة من تقرير كرافت الى كامبل (القنصل البريطانى العام فى القاهرة) ١٨٤٠/٧/٣ وخطاب من بالمرستون الى هوب هاوس ١٨٤٠/١٢/٢ .

الشرطة دليلا آخر مماثلا ، حينما ذكر بأن عدد الفتيات اللاتي يتم اختطافهن من الهند لا يزيد على خمس فتيات كل موسم . أما في الخليج فلم يعثر هانيل على أدلة قاطعة عن تجارة الرقيق الى الاقليم ، بينما ذكر الكابتن همرتون في تقرير له من زنجبار بأن سفن مسقط كانت في أغلب الاحوال تنقل عبيد أو ثلاثة عبيد من افريقيا لبيعهم لاثرياء المسلمين ، وأنها من حين لآخر كانت تعود بفتاتين أو ثلاث فتيات من الهند لبيعهن في زنجبار (١) .

وفيما يختص بالاجراءات الطويلة المدى حول مكافحة تجارة الرقيق، فقد كان جميع المسؤولين السياسيين متفقين على فاعلية تلك الاجراءات او سلامتها . فلم تكن الفرصة أمام هانيل متاحة لاقتناع القبائل الساحلية العربية أن تتخلى عن عادة مرتبطة بنظامهم الاجتماعي والديني ، وفي نفس الوقت تدر عليهم أرباحا سهلة . وكان هانيل يتفق مع الحاكم العام بأن اصدار تصريح جماعي بتحريم تجارة الرقيق ، وتهديد القبائل بفرض عقوبات مناسبة عليها اذا هي رفضت ذلك سيكون اجراء أحقق ويتسم بالخطورة ، وكان في رأيه

(١) من ملفات وزارة الخارجية البريطانية ، خطاب من اوليفر الى ويلوبى ١٨٤١/٣/٤ (رقم ١٤٥ الادارة السياسية) ومن مدير عام الجمارك الى ويلوبى ١٨٤١/٦/٥ (رقم ٥٢ الادارة السياسية) ومن قائد عام الشرطة الى ويلوبى ١٨٤١/٧/٧ (رقم ١٧٣ الادارة السياسية من هانيل الى ويلوبى ١٨٤١/٦/٢٦ ، ومن همرتون الى ويلوبى ١٨٤١/٧/١ ، وقد احيلت كل هذه الرسائل الى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨/١٠/١٨٤١ ، وقد أضاف همرتون في رسالته، الى أنه من الصعوبة بمكان جمع معلومات أكثر عن تجارة الرقيق في الهند من سكان زنجبار . فهؤلاء ممنوعون منعاً باتاً من التحدث معي ، خوفاً من أن يتعرضوا للتدمير من جانب رئيس الجمارك فهو يملك السلطة في منعهم من مزاوله التجارة ، وله نفوذ اوسع من نفوذ صاحب السمو نفسه) .

بأن من الأفضل الاتصال بالسيد سعيد لمنع سفن القواسم ارتياد موانئه الافريقية ، كما سبق له أن أعرب عن استعداده لتلبية هذا القرار لهانيل ، عند اجتماعه به في شهر ديسمبر سنة ١٨٣٩ - وبأن يخول الطرادات البريطانية حق مصادرة أى سفينة داخل حدود أراضيه ، وأضاف هانيل ، « بأنه فى حدود تأكدي فان المناطق التى يمكن الحصول فيها على العبيد هى نفس المناطق بالاضافة الى ساحل بربرة . ولما كان سكان المنطقة الأخيرة هم من الصوماليين ، فان جميع السفن التابعة للقبائل العربية التى تتراد تلك المنطقة ، تعتبر خاضعة للمصادرة اذا كانت تحمل عبيدا . وكانت سفن الخليج تزور ميناء بربرة خلال موسم الرياح الشمالية الغربية ، بحيث يمكن ممارسة رقابة على الميناء المذكور خلال موسم تجارة الرقيق . وكان هانيل ، بأنه حتى فى حالة تنفيذ الاجراءات ، فان الأمل ضعيف فى أن تؤدى الى الحد من تجارة الرقيق . فقد كانت هذه التجارة تعتمد فى الأكثر على سفن مسقط وصور وغيرها من الموانئ العمانية ، وهذه السفن بالاضافة الى الموانئ الخاضعة لفارس وللسلطة التركية ، سوف تستثنى من القيود المزمع فرضها . فاذا أمكن اقناع الحكومتين التركية والفارسية لاغلاق هذه الموانئ فى وجه هذه التجارة ، واذا أمكن تخصيص قوة بحرية من الطرادات لمكافحة نشاط هذه التجارة ، فقد يكون هناك أمل فى الحد من هذه التجارة ، حسب تصور هانيل أو بالأحرى فى وقفها كليا .

ان لهجة التشاؤم التى سادت موقف هانيل كانت نتيجة لموقف الكابتن هينز المعتمد السياسى فى عدن ، الذى كان يتصور بأن أية محادثات حول الحد من تجارة الرقيق من البحر الأحمر سوف تكون عقيمة ومعقدة ، كما أن هناك

خمسة منافذ لهذه التجارة على الساحل الأفريقي وهى : سواكن ، ومصوع ، وتجورا ، وبربرة ، وزيلا . والمنفذان الأولان خاضعان لوالى مصر . وفى رأى هينز أن تجورا يصدر منها أكبر عدد من الرقيق ، بينما يسيطر على بربرة الزعماء المسلمون وهم يحصلون على الجزء الأكبر من مواردهم من دخل هذه التجارة ، أما زيلا فهى تخضع لشريف مخا الذى كان يؤجر عمليات هذه التجارة لأحد الرؤساء المحليين ، ريشاطر هينز هانيسل فى الرأى بضرورة مرابطة أحد الطرادات بالقرب من ساحل بربرة خلال موسم السوق السنوى لهذه التجارة من نوفمبر حتى مايو ، على الرغم من انه كان يعتقد بأن وجود الطراد لن يؤثر على هذه التجارة فى الأحباش ، والتي لا يمكن الحد منها ، الا باتخاذ اجراءات فعالة من داخلية البلاد . وقد حذر هينز بأن التدخل فى تجارة الرقيق فى البحر الأحمر قد يثير حروبا دينية بين قبائل اليمن والحجاز ، وأنه لا بد من اتخاذ الحذر فى أى خطوة تتخذ ضد هذه التجارة وان نتجنب القيام باى محاولة مباشرة لاستئصال هذه التجارة . وقد أشار همرتون بنفس الآراء على السلطات الحاكمة فى الهند وقال « بأن أى تحرك مفاجئ بصدد تجارة الرقيق سوف يجرح السيد سعيد أمام رعاياه وعلى الأخص فى عمان ، مالم يتم دعم المطالب البريطانية للحد من تجارة الرقيق بقوة من الأسطول ، فان هناك أملا ضئيلا فى رأى همرتون ، أن يجازف السيد سعيد بتحدى مشاعر مواطنيه لمجرد ارضاء النزعات الانسانية للحكومة البريطانية(١) .

(١) من مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٥٩ المؤرخ ١٨٤١/٧/١٧ من هينز الى ويلوبى ١٨٤١/٧/٥ (رقمى ٥٤ الادارة السرية) وملفات الخارجية البريطانية من هينز الى ويلوبى ١٨٤١/١٢/٢٢ (٣٩ الادارة السياسية) واحيل الى الخارجية بتاريخ ١٨٤٢/٤/١٨ وقد اصدر هينز هذا التحذير بعد أن تشاور مع قائد السفينة =

لم ينتظر بالمستون حتى تصل كل التقارير اليه ليتخذ قراره في هذه المسألة ، وحتى او اطلع على مثل هذه التقارير قبل ان يتصرف ، فلم يكن من المحتمل أن يسمح لآراء المسؤولين السياسيين بأن تؤثر على أحكامه ، بعد أن صمم على شن حملة تأديبية لممارسي تجارة الرقيق ، كما أنه لن يعيد عن قراره بسبب ما قد تسفر عنه من نتائج سياسية . وكان اعتراض اوكلاند على خطته يسبب له ازعاجا ، فقد كان يتصور بأن الرفق الذي يعرقل المقتضيات السياسية لمهمة انسانية عظيمة كمهمة تحرير العبيد قد ولى .

ومن ناحية أخرى فان محمد علي باشا قد منى بالهزيمة ، بينما قلمت أظافر الشاه ، وخرجت بريطانيا من الازمة الشرقية لسنة ١٨٣٩ - ١٨٤١ أقوى مما كانت عليه في لشرق الأدنى في أى وقت من الأوقات ، وبالتالي فلم يعد هناك مبرر للانزعاج من موقف بعض حكام شبه الجزيرة العربية الصغار ، فضلا عن السماح لمثل هذه الاعتبارات أن تثبط من عزمنا في شن حرب مقدسة ضد تجارة الرقيق .

في الثامن من شهر يونيه بعث اللورد ليفسن نائب مساعد وكيل وزارة

=اندمتيون التي كانت قد اشتركت مع السفينة كونستانس في زيارة بربرة في شهر ديسمبر سنة ١٨٤١ . وكان الكابتن جرى قائد السفينة اندميتون بعد أن لاحظ تورط رؤساء العشائر الصوماليين في تجارة الرقيق اوصى بشدة بعدم القيام باية محاولة في الوقت الحاضر على الأقل لاتخاذ اجراء ضد تلك التجارة وقد كتب في هذا الشأن الى حاكم بومباي يقول : « اننى مقتنع بأن أى محاولة من هذا القبيل في الوقت الحاضر سوف تؤدي الى نشوب نزاعات مع هذه القبائل ، مما سيضطرنا الى الاحتفاظ بقوة كبيرة من السفن الصغيرة لحامية تجارتنا في هذه المنطقة » (ملفات الخارجية من جرى الى =

الخارجية برسالة شديدة اللهجة الى مجلس الهند ، يطلب فيها اصدار التعليمات اللازمة الى حكومة الهند لكي تقوم بابلاغ سلطات مسقط وشيوخ الهدنة ، بأن المجلس لن يسمح بعد الآن باستمرار تجارة الرقيق « . . . ذلك أن شعب انجلترا قد نما لديه احساس بالمرارة ضد هذه التجارة ، وما ينطوى عليه من اجرام » هذا ما جاء فى رسالة ليفسن ، وبالتالي فلم يعد فى مقدور الحكومة البريطانية ان تمتنع عن استخدام كل ما لديها من سبل لمنع استمرار هذه الأعمال حينما تستطيع ذلك ، اما اذا كان سلطان مسقط وشيوخ الساحل يراودهم أقل شك فى سلامة هذا القرار فيتعين ابلاغهم بما يلى :

« . . . لقد تضافرت عوامل كثيرة لتمكن الشعب البريطانى من أن تكون لديه قوة بحرية ونفوذ فى مياه المحيط الهندى والخليج الفارسى والبحر الأحمر ، لم تبادر الى استخدام تفوقها البحرى هذا لمنع تجارة الرقيق من لاستمرار فى هذه الاصقاع » وعلى سلطان مسقط وشيوخ الهدنة أن يشتركوا جميعا فى التوقيع على معاهدة تحرم تجارة الرقيق فى البحر والبر . . .

وأن تسمح لسفن الحرب البريطانية تفتيش وحجز ومصادرة كل سفينة من سفن المنطقة يتبين أنها تحمل عبيدا وفى اى جزء من المنطقة ، ولتعويض سلطان مسقط عن الخسارة التى سوف يتكبدها من هذا الاجراء ، فقد كان بالمرستون على استعداد لتقديم معونة سنوية اليه بواقع ٢٠٠٠ جنيه استرلينى ، لفترة تمتد لثلاث سنوات ريثما تنتعش ميزانية السيد سعيد كنتيجة لتوسع التجارة المشروعة ، لسد الفراغ الذى سينشأ عن الغاء تجارة الرقيق . أما بالنسبة لشيوخ الهدنة فليس هناك أى تعويض لهم . ويكفى أن يبلغوا بأن الاتفاقات والمعاهدات المعقودة معهم ، تعنى التزامهم بالغاء تجارة

= حاكم بومباى ١٨٤٢/٢/٢ وقد أحيل الى الخارجية بتاريخ ١٨٤٢/٤/١٢ .

الرقيق في سفنهم وفيما بين رعاياهم . وان الهدف الوحيد من المعاهدة المقترحة الآن هو مجرد تأكيد للمعاهدات السابقة وبصورة أكثر وضوحا . أما اذا لم تكن لديهم الرغبة في إبرام اتفاق جديد حول الموضوع ، فان الحكومة البريطانية ترى انها تكفى بالعمل بموجب المعاهدات السابقة دون ما حاجة الى إبرام اتفاقيات جديدة بهذا الشأن .

غير ان الرأى الأخير لم يكن صحيحا بالمرّة . ذلك أن التفسير القانونى الذى يمكن ان تقوم عليه هذه الاتفاقيات ، كما أشار الى ذلك أكثر من مرة الكاتبان هانيل ، وهو الرجل الذى باشر المفاوضات لعقد هذه الاتفاقيات ، هى أنها حظرت تجارة الرقيق بالنسبة للصوماليين ، وخطف الافريقيين لتحويلهم الى رقيق ، ونقل الرقيق عبر خط مورسى . وضمن هذه الحدود فقد كانت تجارة الرقيق العربية شرعية بصورة كاملة ، رغم ما كانت تنطوى عليه من ضرر فى نظر البريطانيين . فضلا عن ذلك فقد كان من المؤكد بدرجة مطلقة أن الحكام العرب الذين اشتركوا فى التوقيع على تلك المعاهدات ، لم يكونوا يتصورون أنها تؤثر بأى حال على حرية تجارة الرقيق فى شبه الجزيرة والخليج ، فضلا عن اعتبارها معاهدة لالغاء تلك التجارة الفاء تاما . فهل يصح الآن بأن نعود فنقول لهم بأن تفسير الحكومة البريطانية لتلك المعاهدة يدور حول هذا المعنى ، مما يخشى منه بأن يؤدى الى ودود فعل عنيفة من جانبهم ، قد تقضى على جميع المكاسب السياسية التى تحققت لبريطانيا فى الخليج على سبيل ترويض شعوبها ، وادخال المدنية اليهم اعتبارا من هذا القرن . فاذا كان بالمرستون يعى تلك الحقائق فانه لابد أن يكون قد حاول تجاهلها . فلقد غدا مصمما أنه ابتداء من ذلك التاريخ فان تشكيله وتكييف السياسة

البريطانية بالنسبة لتجارة الرقيق فى شبه الجزيرة ، سيكون من اختصاص وزارة الخارجية ، وليس من اختصاص حكومة الهند التى كان يعتقد بانها لم تكن متحمسة فى جهودها لمحاربة هذه التجارة .

وبالتنقل مهمة مكافحة تجارة الرقيق الى وزارة الخارجية ، فان طبيعة هذه الحرب قد مرت بتغيرات واسعة أساسية ، فعلى حين كان هدف سلطات الهند مقصورا على ابعاد هذه التجارة عن شواطئ الهند الغربية ، فان هدف وزارة الخارجية البريطانية قد أصبح هو استئصال هذه التجارة أينما وجدت فى البحار الشرقية . وفى رسالة ليفسن المؤرخة ٨ يونيو وردت الخطوط العريضة للاساليب التى ستتبع فى ذلك المجال ، فقد تقرر ممارسة الضغوط على الحكام المسلمين بالتعهد بتحريم هذه التجارة فى أقطارهم وحدودهم عن طريق عقد معاهدات معهم لهذه الغاية ، ثم يتولى الاسطول البريطانى تنفيذ ما جاء فى تلك المعاهدات ، أما اذا أظهر أحد الحكام معارضته لذلك فسوف يتم تفسير المعاهدات القائمة تفسيرا يبرر للطرادات البريطانية اتخاذ الاجراءات اللازمة ضد رعايا ذلك الحاكم وسفنهم . وباختصار فقد كان بالمرستون قد عقد النية على تجاهل حرفية تلك المعاهدات القائمة ، بحيث يقوم بتطبيق روح تلك الاتفاقيات ، كما أن هذا سوف يتم بدوره وفقا لمتطلبات المرحلة السائدة .

غير أن حكومة الهند لم تكن على استعداد للموافقة على تلك الاجراءات . وفى شهر سبتمبر من عام ١٨٤١ أعرب اوكلاند عن رأيه لكارنك ، بأن تقارير هانيل وهينز وهمرتون تظهر فى جلاء بأن تجارة الرقيق فى المناطق الغربية من الهند على الأقل قد تضاءلت كثيرا من حيث الكم ، ومن المتوقع أن تتضاءل

مدرجيا حتى تختفى فى النهاية دون ما حاجة الى اتخاذ اجراءات جديدة
لحظرها .

وبعد شهر أعلن اوكلاند بأن السياسة التى وردت فى خطاب ليفسن لاصدار
اعلان لحكام سواحل شبه الجزيرة يجعل من الاتجار فى الرقيق عملا غير
قانونى وقد وصفها بأنها سياسة غير واقعية ولا يمكن تطبيقها ، لأنها لن
تنفر الحكام العرب فحسب ، بل ملك شوا أيضا ، وهو الذى تبذل الجهود
معه لاقامة علاقات تجارية بين البلدين . « ان هذه الخطوات المباشرة لمنع
تجارة الرقيق كما قال اوكلاند ، تخلق صعوبات سياسية ، بحيث يبدو تحقيق
الهدف منها غير ممكن عمليا ، بدون التعرض لخصومات مع كثير من الامراء
والقبائل الافريقية ، الذين نحاول أن نعقد صداقات وأحلاف معهم ، والذين
قد يؤدى اقامة صلات وثيقة وعلاقات تجارية مشروعة معهم ، وتحقيق نتائج
أفضل لقمع تجارة الرقيق ، بدلا من اللجوء الى الاجراءات المباشرة والتدخلات
القسرية ، وأضاف اوكلاند ، بأنه على أى حال ، فحتى الاجراءات القسرية
لن تأتى بأى مفعول ، دون الاستعانة بقوات بحرية أكبر من تلك المتوافرة
فى المياه العربية والافريقية . كما ان هذه الاجراءات لو اتخذت لن تسهم
فى تقليص هذه التجارة الى حد كبير ، ما لم يحصل على تعاون الحكومتين
الفارسية والتركية ، وهو هدف ، على حد اقتراح اوكلاند ، يجدر بوزارة
الخارجية أن توليه عنايتها .

استقبلت آراء الحاكم العام فى حكومة بومباى بمشاعر مختلطة ، حيث
اكتشف المسئولون أخيرا بأن اتفاقات عام ١٨٣٩ قد فشلت ليس فى وقف
تجارة الرقيق الى كتش وكاثياوار والسند فحسب ، بل والى اقليم بومباى
كذلك . كما أن المعلومات قد بدأت تتكشف فى هذا الوقت عن مدى انغماس

الموانئ الفارسية وموانئ الخليج في تجارة الرقيق ، الا أن سكان هذه المناطق لم يكونوا ملتزمين بأى شكل من الأشكال بخط مورسبى الملاحى او الامتناع عن اختطاف الافريقيين او استبعاد الصوماليين . أما ما هى الأسباب وراء إستغراب كارنك وزملائه من المسئولين عن عدم احترام سكان هذه المناطق لمعاهدات ١٨٣٩ ، فمن الصعب معرفتها ، سيما وان تلك المعاهدات كانت تعتمد فى تطبيقها على يقظة قادة الاسطول البريطانى فى البحار العربية . على ان النقص فى عدد الطرادات فى الفترة الواقعة بين عام ١٨٣٩ وعام ١٨٤١ ، يعود فى الواقع الى انه لم تكن هناك أعداد كافية منها للدفاع عن المصالح السياسية الحيوية البريطانية فى الخليج . ناهيك عن تخصيص بعضها لمراقبة عمليات تجارة الرقيق . ولعل هذا العامل بالذات كان يكفى لاقتناع هانيل بعدم احترام سكان الساحل للاتفاقيات المعقودة معهم . وهكذا فقد بقى يجهل هذه الحقيقة ، الى ان تنبه اليها هانيل فى خريف عام ١٨٤١ .

خلال زيارة قام بها الكومندور بركس قائد أسطول الخليج الى ساحل الهدنة فى شهر اغسطس سنة ١٨٤١ ، علم بأن سفن القواسم التى تتعامل مع افريقيا قد عادت ذلك الصيف من بربرة وعلى متنها ما لا يقل عن خمس عشرة فتاة صومالية كرفقات ، وتم انزال بعضهن فى رأس الخيمة ، بينما ارسلت البقية منهن الى لنجة فى الخليج . وقد كشفت تحريات بركس بأن سكان موانئ فارس الذين اعتادوا سابقا الحصول على الرقيق من مسقط ، قد أخذوا يقومون برحلات الى افريقيا لهذا الغرض . وقد أخذت هذه السفن فى جلب ٣٠٠ عبد على الاقل فى كل موسم من الموانئ الافريقية ، كما كان يتم بيع ٣٠٠ عبد آخرين فى الموانئ الفارسية من جانب سفن القواسم سكان ساحل الهدنة . كما علم بأن أحد أبناء شيخ الشارقة القاسمى وشقيق حاكم أم القيوين ، كانا يتاجران فى الصوماليين ، ويستخدمان ميناء لنجة ميدانا

لنشاطهم هذا . وعند تلقى هانيل لتقرير بركس ، ارتأى بأن يوجه طلبا الى الشيخ سلطان بن صقر لاطلاق سراح الفتيات الصوماليات ، كما اقترح على السلطات المسئولة في بومباي ، بأنه اذا امتنع سلطان من تلبية الطلب ، فسينبى فرض منع على جميع سفن القواسم من ارتياد ميناء خرك ، وهى فى طريقها الى البصرة الذى لا يزال حتى ذلك الوقت تحت سيطرة بريطانيا، ولكن هانيل لم يكن يؤيد كما هو الحال فى قضايا القرصنة ، مصادرة السفن المذكورة ، لان تجارة الرقيق كانت جزءا لا يتجزأ من حياة هذه القبائل ، بحيث أنه كان يراوده الشك فيما اذا كان فى نطاق سلطة الشيخ سلطان بن صقر حتى لو شاء تسليم تلك السفن او اصحابها الى السلطات البريطانية .

وقد أحال كارناك توصيات هانيل الى حكومة كلكتا ، مشددا فى طلبه بالموافقة عليها وعلى بدء مفاوضات مع الحكومة الفارسية لاقتناعها باغسلاق مواهبها على الخليج فى وجه تجارة الرقيق . غير ان اوكلاند رفض كلا الاقتراحين . وذكر فى رده بأنه قد فوجئ بمدى اشتراك الموانئ الفارسية فى هذه التجارة ، التى كان يتصور مما وصله من معلومات بأنها لم تكن بذات أهمية ، وبأنها قد تضخمت الى تلك الدرجة فى فترة زمنية قصيرة ، مما يستدعى اتخاذ خطوة خطيرة كالتى تقترح الآن ، وفى وقت قد عادت العلاقات الدبلوماسية مع فارس لتوها . وفى الوقت الذى كان موقف الشاه تجاه الحكومة البريطانية ينقصه الود ، ولاتزال مسائل عديدة فى منتهى الخطورة تنتظر التسوية بين الحكومتين . وعلى أى حال فان المبادرة لبدء المفاوضات مع حكومة فارس كما قال اوكلاند ، وفقا لما اقترحه الآن كرنالك ، لا بد وأن

تأني من وزارة الخارجية ، وليس من حكومة الهند (١) أن أربعة من الغييات اللاتي أنزلن في رأس الخيمة في بداية الصيف تم نقلهن عائداً الى بربرة في الصومال في نهاية العام . وقد سافرت على السفينة الملكية البريطانية اندميون . فقد خضع الشيخ سلطان بن صقر لمطالب المقيم ، ولكن بعد تردد ، مما كان يشير بوضوح ، الى أنه لا يمكن الاعتماد لا عليه ولا على بقية الشيوخ للساحل في الوفاء بالتزاماتهم بموجب معاهدة ١٨٣٩ طواعية ، ولهذا فقد اقترح هانيل في شهر أكتوبر اقرار فرض نظام الغرامات كعقاب للشيوخ على انتهاك الاتفاقات في المستقبل . ثم قال بان الوسيلة الوحيدة الأخرى التي قد تكون فعالة في ردع الشيوخ ، هي مصادرة السفن التي تشترك في تهريب الصوماليين الى الخليج ، والتي سبق أن وصفها هانيل من قبل بانها وسيلة وحشية . وعلى أي حال ، فاذا رأى الحاكم تبنى هذه الخطة ، فان عملية المصادرة يمكن ان تتم في شط العرب في فترة أواخر الصيف حتى

(١) من ملفات وزارة الخارجية رقم ٤٤٤/٨٤ من مادوك الى ويلوبى ، فورت ولیم ١٨٤١/١١/١ (رقم الادارة السرية) وقد احيل الى وزارة الخارجية . وقد عاد هانيل فعلق على هذا الموضوع بالقول بأن الزيادة الظاهرة في اشتراك الموانئ الفارسية للخليج في تجارة الرقيق ، لم يكن يسبب أي زيادة فعلية ، وانما بسبب توصل السلطات البريطانية في الخليج الى معلومات اوثق عن الموضوع . (انظر مرفقات للاخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ٤٣ ، مرفق للخطاب السري رقم ٤٩ المؤرخ ١٨٤٢/٤/٣٠ من اللفتنانت كولونيل روبرتسون (المقيم السياسي البريطاني بالوكالة) الى ويلوبى بتاريخ ١٨٤٢/٣/٣١ وقد أشار فيه الى تعليق هانيل على حاشية خطاب مادوك المؤرخ ١٨٤١/١١/١ .

تتواجد سفن اسطول القواسم فى رحلتها السنوية الى البصرة لشحن البلح من هناك . أما البديل الآخر حسب رأى هانيل ، فربما يكون تنفيذه اكثر صعوبة ، وهو منع سفن القواسم من القيام برحلاتها الى افريقيا وعلى الأخص الى زنجبار ، وقد يرحب السيد سعيد بمنع سفن القواسم من الدخول الى ارضيه الافريقية ، وهو فى هذه الحالة قد يوافق على تخويل طرادات الاسطول البريطانى حق مصادرة سفن القواسم التى تحاول تحدى ذلك .
الحظر .

كانت مقترحات هانيل متدرفة ان لم نقل خطيرة ، ومما يثير الدهشة أن تأتى هذه المقترحات من الرجل الذى اتسمت اجراءاته بالمرونة . كما كان تفهمه لمشاعر وحزازات عرب الخليج فى غاية الحساسية . والسبب فى ذلك يرجع الى ان هانيل فى خريف عام ١٨٤١ كان يعانى من ارهاق العمل رمن التوتر الذى سببته له الازمة المصرية والازمة مع فارس ، ومن انهيار حالته الصحية نتيجة تعرضه لنوبات من الملاريا والدسنتاريا . وربما كان قد ضاق ذرعا مما كان يطالبه به رؤساؤه فى الهند من اليقظة والتشدد فى مواجهة تجارة الرقيق ، بينما استمروا هم فى خضم من تضارب الآراء حول الهدف النهائى من تلك المشكلة . وازاء الالحاق المستمر من جانب رؤسائه بتقديم الاقتراحات والحلول الكفيلة بوضع الاتفاقات القائمة موضع التنفيذ ، مع حرمانه فى الوقت نفسه من تقديم قوة بحرية كافية لتنفيذها ، فقد اضطر الى تقديم حلول اكثر بأسا . وكانت مقترحاته الأخيرة ، هى آخر المقترحات التى عرضها فى هذا الصدد ، وفى أواخر عام ١٨٤١ سافر هانيل فى اجازة عبر رحلة بحرية طويلة فى محاولة لعلاج حالته الصحية التى ارهقها المناخ

القاسى للخليج ورغم صراحة مقترحات هانيل الأخيرة ، إلا أن كارناك أولاها كثيرا من الجديدة .

فقد كان كارناك منزعجا من آخر التقارير التى وصلتته من المقيم البريطانى فى الخليج ، ومن سمسار شركة الهند الشرقية فى مسقط فى أواخر الصيف عن استمرار تجارة الرقيق فى الافريقيين والصوماليين فيما بين مسقط وبومباى ، كما كانت هناك تجارة مماثلة فى الفتيات الهنديات فيما بين ميناء بومباى وموانىء شبه الجزيرة العربية ، وبأن الطريقة المتبعة فى تهريب العبيد الى بومباى كانت تتم حسب تقرير هانيل كالاتى :

« يتم انزال الذكور من العبيد على السفن العربية بوصفهم بحارة تلك السفن ، بينما يتم تحرير الاناث بوصفهم زوجات لهم . . ولما كان غالبية بحارة هذه السفن من الزوج ، فانه لابد أن يكون من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل على ضابط التفيتش ، أن يحدد ، ما اذا كان البحارة بحارة حقيقيين أم رقيقا للبيع ، وبالإضافة الى ذلك فقد تبلغت بأن الزوج الذين يؤتى بهم للبيع لا يبدون أى معارضة أو رفض ، وهكذا يتم الاشتراك بين الذكور والاناث من هؤلاء الرقيق فى عمليات التمويه ، واذا ما حدث وتم استجوابهم فانهم نادرا ما يدحضون أقوال الربان أو قائد السفينة باعتبارهم جزءا من متاع السفينة أو رجالها .

وقد ذكر روبين اسلام سمسار الشركة فى مسقط ، بأن ما لا يقل عن ٤٠٠ الى ٥٠٠ عبد يدخلون الى موانىء الهند كل عام بهذه الطريقة . وحتى السيد خالد النجل الثانى للسلطان ، كان يشترك فى هذه التجارة ، كما علم السمسار أيضا بأن عددا من الفتيات الهنديات يتم إختطافهن كل عام ،

وعلى الأخص من ساحل ملبار ، ثم يتم بيعهن فى مسقط وزنجبار أو فى موانئ البحر الأحمر أو الخليج الفارسى .

ولقد انزعج كارنالك من تلك التقارير وعبر عن غضبه هذا بالإباز الى المقيم البريطانى فى الخليج والى الكابتن همرتون من زنجبار بأبلاغ مضمون رسالة ليفسن المؤرخة ٨/يونيو الى كل من سلطان مسقط وشيوخ الهدنة بأسرع وقت ، كما انه فى نهاية العام بعث برسالة الى اوكلاند ، يحثه على العمل على تنفيذ الاجراءات التى كان هانيل قد اقترحها فى الخريف غير أن رد اوكلاند لم يرسل حتى أواخر شهر فبراير ١٨٤٢ . وقد كتب هذا الرد فى غمار كارثة الجيش البريطانى فى افغانستان وفى الأيام الأخيرة من منصبه كحاكم عام للهند . ومهما كان موقف حكومة الوطن - ولم يعد وقتها بالمرستون وزيراً للخارجية - فان الوقت لم يكن ملائماً ، على حد رأى اوكلاند، لاستفزاز الحكام المسلمين بلا مبرر ، باتخاذ اجراءات شديدة القسوة ضد تجارة الرقيق . فلقد كانت مقترحات هانيل مرفوضة من كافة الوجوه . أن فرض غرامات مالية على شيوخ المنطقة من مخالفات يرتكبها رعاياهم فيما يتعلق بتجارة الرقيق معناه سبق افتراض باشتراك هؤلاء الشيوخ فى تلك المخالفات ، كما أن مصادرة سفن القواسم على مياه شط العرب من جانب الطرادات البريطانية تشكل مساساً بالسيادتين التركية والفارسية ، فضلاً عن أن القانون الدولى لا يقرها . كذلك فان اصدار اعلان باعتبار تجارة الرقيق عملاً غير قانونى من جانب واحد ، كما رأى بالمرستون وايده هانيل سوف يكون سياسة خرقاء .

« واذا نظرنا الى المسألة عموماً من الناحية السياسية نجد ان معالى الحاكم العام أصبح مقتنعاً من أن الحكومة البريطانية اذا كان هدفها مركزاً على ازالة كل أثر لتجارة الرقيق فى المناطق الواقعة بين الساحل الإفريقى

والهند والأقطار المتاخمة للخليج الفارسي ، فيتعين عليها بأن تكيف خطواتها في هذا السبيل ، بطريقة لا تؤلب عليها قبائل الساحل في تلك الاقطار ، وتساهم بالتالي في تفويض ما حققته لنفسها من نفوذ هناك ، في مساعيها لتحقيق الأهداف النبيلة من سياستها الخاصة بالرقيق ، وانما ينبغي عليها أن تترك هذه المسألة لتتبلور مع الزمن حتى تحقق الأهداف السامية منها ، والا تلجأ الى أساليب القسر والعنف ، حتى لا تثير عليها مشاعر الدول والشعوب الواقعة على ساحل الخليج الفارسي . فقد يفتح مثل هذا الاسلوب الباب أمام القوى الاخرى فتستغله ضدنا ، خصوصا وان مكافحتنا للرق قد تثير علينا قبائل افريقيا الشرقية وشبه الجزيرة العربية . كما اننا قد نعرض النفوذ الذي نتمتع به في أوساط هذه الدول للخطر . وبالتالي فان معاليه قد بات مقتنعا بأن تأجيل موضوع الرق لبضع سنوات أهون علينا من تعريض نفوذنا لخطر الزوال لذلك النفوذ الذي نستطيع من خلاله أن نحقق المزيد من المكاسب الانسانية في تلك المناطق الشاسعة من افريقيا الشرقية وشبه الجزيرة العربية . وثمة من الاسباب ما يحمل على الاعتقاد بأننا قد نستفز حتى حليفنا المخلص القديم سلطان مسقط لو عمدنا الى تطبيق شروط المعاهدة التي عقدناها معه بهذه الطريقة العشوائية (١) (١٥)

لا مجال لانكار ما انطوت عليه رسالة اوكلاند من آراء وجبهة ، وقد

(١) من مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ٤٣ مرفق
سخطاب السري رقم ٢٩ في ١٨٤٢/٣/٣٠ من مادوك الى ويلوبي ، فورت ولیم
١٨٤٢/١/٢٨ (رقم ١١٠ الادارة السرية) .

تأكدت هذه الآراء بوصول تقرير اللفتنانت كولونيل روبرتسون المقيم بالوكالة بعد ذلك بوقت قصير . وكان روبرتسون قد أعد تقريره هذا بعد دراسة النتائج التي أسفرت عنها عمليات التفتيش الأخيرة للسفن التي زارت ميناء خرك ، وهي في طريقها الى شط العرب خلال صيف عام ١٨٤١ ، ومن خلال تلك الدراسة توصل روبرتسون الى ان ابلاغ شيوخ الهدنة بمضمون رسالة اللورد ليفسن المؤرخة ٨ يونيه ١٨٤١ لن يكون في مصلحة الحكومة البريطانية ، لأن هؤلاء الشيوخ ، على حد رأيه لم يشتركوا ولا رعاياهم اشتراكا مباشرا في تجارة الرقيق ، كما كان من المشكوك فيه ، ما اذا كانت حصة سفن هؤلاء الشيوخ في نقل الرقيق من زنجبار والساحل الافريقي تزيد على سبع العدد الذي ينقل سنويا الى المنطقة وأضاف روبرتسون في تقريره بأنه لما كانت حصة اشتراك سفن شيوخ الهدنة في هذه التجارة ، أقل من سفن غيرهم فأنى لا أرى مبررا لاستفزازهم وان نطالبهم بالتخلي كليا عن هذا النشاط ، ومن الأفضل أن نتركهم يتطورون مع مضي الزمن ، والا نحاول أن نفرض عليهم قرارات الاصلاح فرضا ، ولعدم وجود مبررات حقيقية لدينا ، فانه من الأفضل لنا بالأنا نتحداهم في هذا المجال (١) كذلك فقد اكتشف روبرتسون بأن أكثرية السفن الضالعة في عمليات تهريب العبيد ، لم تكن تابعة لمسقط ،

(١) من مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ٤٥ مرفق للخطاب السري رقم ٥٨ المؤرخ ١٨٤٢/٥/٢٣ من روبرتسون الى ويلوبي ١٨٤٢/٣/٤ ؛ رقم ٣٥ الادارة السرية) ومرفق به لائحة بعدد الرقيق الذين يتم نقلهم الى مناطق الخليج على السفن التي تزور ميناء خرك خلال يوليو - ديسمبر ١٨٤١ - اعداد اللفتنانت كولونيل دلافيس (القائد العام للحامية البريطانية في خرك) +

او لساحل الهدنة ، بل تخص الكويت ، والبحرين ، والبصرة ، وبوشهر ، وبالتالي فلو أمكن إبرام اتفاقيات مماثلة مع دول هذه الأقطار لحظر اتجار رعاياهم فى الرقيق مع الهند ، فسيكون هذا اجراء مناسباً . وحتى فى حالة التوصل الى عقد مثل هذه الاتفاقات مع دول تلك البلدان ، فان روبرتسون لم يكن متاكداً من نجاحها :

« ان المحاولات والاتفاقيات الفردية فيما يختص بهذه التجارة تبدو لى ، وكأنها محاولة لسد مياها احدى القنوات لدفع مائها الى قناة أخرى . وسوف يكون من الأفضل الى حد كبير لو امتنعنا عن عقد أى اتفاقات بشأن تجارة الرقيق ، اذا كنا لا نستطيع تطبيق نصوص تلك الاتفاقيات بصورة فعالة . كما ان وجود مثل هذه الاتفاقات مع حجم القوة المتوافرة لدينا ، ليسا كافيين لوقف تجارة الرقيق ، ومن هنا يتعين علينا بأن نبادر الى تطبيق نصوص هذه المعاهدات بكل ما نملك من القوة . وفى رأى أن عدم قيام الحكومة البريطانية بتنفيذ هذا الأمر حتى الآن ، انما هو دليل على ضعفها .

ان ثمة حلاً واحداً أكيدا لوقف تجارة الرقيق ، ألا وهو وقفها داخل سواحل افريقيا . فاذا امكن الحصول على حق التفتيش وممارسته بشكل فعال هناك ، فلسوف تنهار هذه التجارة . وعلى أية حال فان روبرتسون هو الشخص الذى يستطيع ان يقول رأيه فى هذا الأمر : « ان سلطان مسقط والزعماء العرب فى الخليج الفارسى ، لا يمكن أن يوافقوا على هذا الحق أو ان يمنحوه لنا عن طيب خاطر لانه سوف يقضى على أكثر الأعمال التجارية رواجاً عندهم ، كما سيؤدى الى خلق بطالة واسعة بين مواطنيهم وسفنهم لفترة من الزمن ، فضلا عن انه سوف يشيع التدمير فى صفوف قسم كبير من

رجال القبائل الساحلية . . . » أما بالنسبة لسلطان مسقط فقد كان روبرتسون على يقين من أن السيد سعيد لن يتخلى عن تجارة الرقيق مقابل ٢٠٠٠ تدفع له سنويا ولمدة ثلاث سنوات ، كما لم يكن متأكداً من أن الغاء هذه التجارة سوف يعود على بريطانيا بالمصلحة .

ان قبائل ساحل الهدنة بعد ان حرمت من القرصنة ، أخذت تتجه بشكل متزايد نحو تجارة الرقيق خلال السنوات الاخيرة ، وكانت هذه التجارة بدر أرباحا عليهم ، كما كانت تنفق مع شراسة طباعهم ، فاذا ما حرموا الآن من تجارة الرقيق ايضا ، فان ذلك سوف يرغمهم الى العودة لممارسة القرصنة ، باعتبارها الحرفة التى تناسب تجارتهم ، بعد أن يفقدوا موارد رزقهم ، وللتنفيس عن نزعات الحقد والانتقام ، واشباع غرائز السلب والنهب فيهم .»

وعلى أى حال ، يضيف روبرتسون بأنه اذا كانت الحكومة البريطانية مصممة على القضاء على تجارة الرقيق ، بصرف النظر عن الاعتبارات التى شرنا اليها آنفاً ، فإن الأفضل لها ان تركز جهودها فى افريقيا ، حتى لو اضطرت الى الاستيلاء على الشواطىء والموانىء البحرية التى يتم منها تصدير الرقيق . هذا الاجراء لن يكلفها كثيرا من الناحية المالية ، اذا ما قورن بنظام التفتيش فى الموانىء والبحار - بما فى ذلك الموانىء الافريقية - وسوف يمكننا دون ما حاجة الى ابرام معاهدات واتفاقيات مع حكام السواحل العربية والخليج الفارسى لوضع حد نهائى لتجارة الرقيق على امتداد الطرق التى تسلكها .

وعلى الرغم من أن روبرتسون لم يكن يعلم بما كان يجرى بهذا الشأن عند كتابته لرسالته ، الا أن الخطوة الاولى على هذا الطريق كان قد تم

اتخاذها . ففي شهر يناير من عام ١٨٤٢ أُطلع همرتون على رسالة ليفسن للسيد سعيد في زنجبار . وقد صدم السيد سعيد بمضمون الرسالة ولهجتها لدرجة أنه أبى أن يصدق أنها حقيقية وخين نجح همرتون أخيراً المطاف في اقناعه بأن الرسالة قد صدرت من وزارة الخارجية بالفعل ، ضرب السيد سعيد كفا على كف . وقال : كل شيء قد انتهى الآن . ان هذه الرسالة وعزرائيل هما شيء واحد وهكذا قرر ان يرسل مبعوثاً الى انجلترا على الفور ليقدم طلباً الى ملكة انجلترا لاعادة النظر في قرار حكومتها بالغاء تجارة الرقيق بشكل نهائى ، وعلى الرغم من ان همرتون رأى نفسه مضطراً الى اشعار السيد سعيد بأنه ليس ثمة أمل في رجوع الحكومة البريطانية عن قرارها ، الا أنه ، سرا ، أوعز الى رؤسائه في الهند بعدم ممارسة ضغط أكثر على السيد سعيد حول هذا الموضوع وقال « . . . لا يمكن تحقيق أى شيء عن طريق المفاوضات ، وليس السلطان سلطة للتدخل في هذه المسألة ، حتى ولو شاء ذلك ، غير أنه لا يفكر في شيء كهذا . ان الرق في رأى العرب حق من الحقوق التي يكفلها لهم دينهم ، وبالتالي فلا يجرؤ سلطان مسقط بأن يظهر وكأنه موافق على مطلب الحكومة البريطانية في هذا الشأن ، مالم تؤيده القوة ، وحتى في هذه الحالة فسوف يجد نفسه مضطراً الى ان يبدو في نظر رعاياه وكان الحكومة البريطانية قد ارغمته على اتخاذ هذا القرار (١) .

(١) من مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٤٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٤٣ المؤرخ ٣٠/٤/١٨٤٢ من همرتون الى وياووى ١٨٤٢/١/٢ (رقم ٢ الادارة السياسية) وقد وردت التأكيدات فى النسخة الاصلية للخطاب .

من الناحية السياسية فان جميع الأدلة كانت تتجه ضد التدخل فى تجارة الرقيق العربية فى تلك الفترة من الزمن ، ولو ان السلطات المسئولة فى الهند احتفظت برسم سياسة الحكومة البريطانية بعد عام ١٨٤٢ ، فمن المؤكد انها لم تكن لتتدخل فى هذا الموضوع لعدة سنوات قادمة . غير أن المبادرة قد انتقلت منذ ذلك الوقت الى وزارة الخارجية البريطانية كما ان مجلس ادارة شركة الهند الشرقية اقر رسميا انتقال تلك المسئولية الى وزارة الخارجية وذلك فى شهر سبتمبر ١٨٤٢ ، بموجب خطاب بعثوا به الى حكومة بومباى بهذا الشأن وجاء فيه : بما أن هذه القضية قد أصبحت قضية قومية اكثر منها هندية ، فان أى قرارات بشأن تلك القضية تعود الى حكومة صاحب الجلالة وحدها ، وبالتالي فليس ما يخولنا أن نتحدث فى هذا الموضوع (١) .

(١) من التقارير السياسية الى حكومة بومباى مجلد ٦ من مجلس الادارة الى الحاكم ١٨٤٢/٩/٢١ (رقم ١٥٠ الادارة السياسية) .

الفصل الحادى عشر

الحرب الفارسية

١٨٥٧ - ١٨٥٦

بعد أزمة ١٨٣٧ - ١٨٤١ لم تستقر علاقة بريطانيا بفارس على اتجاه واحد ، فقد كان الفرس متدمرين من الضغوط التى كانت تمارسها بريطانيا عليهم خلال تلك الفترة ، بينما كان البريطانيون غير مكترئين للمشاكل التى كان يعانى منها الفرس . وقد وصف كرزى السياسة البريطانية تجاه فارس بحق « انها كانت تعانى من نوبات الركود المفرطة أو الاهتمام المفرط » . وتميز الفترة منذ عام ١٨٤١ ، اذا استخدمنا عبارة لكزنى بالفتور المفرط» (١) . وبعودة بالمرستون وهوب هاوس عام ١٨٤٦ الى السلطة فى وزارة رسل لم تتغير هذه العلاقة نظرا لان آراء بالمرستون من حيث الاساس هى نفس الآراء السابقة ، وهى أن فارس كمنطقة عازلة بين الهند البريطانية لا يمكن أن نضحى بها كى تكون خاضعة للسيطرة الروسية ، أو أن تتخذ منها روسيا قاعدة لحبك المؤامرات فى المناطق المجاورة للهند . كما أننا لا نسمح بأن يكون هناك توسع فى الحدود الشرقية لفارس على حساب الدويلات الافغانية ، لأن ذلك سوف يقرب روسيا من مشارف الهند . كذلك فان روسيا بموجب معاهدة جولستان المعقودة عام ١٨١٣ ، والتى أعيد تأكيدها فى معاهدة تركمنشاه لعام ١٨٢٨ ، تملك الحق فى تعيين قناصل لها حيثما تشاء فى أراضى فارس . وعلى الرغم من ان روسيا لم تفعل ذلك حتى الآن ، فان الذى لا شك فيه هو أن روسيا هى الدولة الوحيدة بين الدول الاربية التى تتمتع بهذا الحق . ولقد حاول بالمرستون ان يحصل على امتيازات

(١) فارس والمسألة الفارسية فصل ٢ ص ٦٠٦ .

ممثلة لبريطانيا عام ١٨٤١ ، عندما كان يجرى التفاوض لعقد الاتفاق التجاري الجديد ، غير أنه لم ينجح في ذلك ، كما لم ينجح في انتزاع وعد من محمد شاه باحترام استقلال الحيرة .

وكان بالمرستون مترددا بشأن أهمية الحيرة ، وكان لا يتصور أن لها أهمية استراتيجية كبيرة ، وعندما أشيع في أوائل عام ١٨٤٧ ، بأن دوست محمد قد عاد يفكر مرة أخرى في مهاجمتها ، فقد اراد توجيه تحذير اليه بأن عملا كهذا لن تسكت عليه الحكومة البريطانية ، لأنه سوف يؤدي في نهاية الأمر الى اقامة قنصلية روسية فيها (١) . ومن ناحية أخرى فقد تغيرت الأمور الى حد كبير منذ عام ١٨٣٨ . فقد أصبحت العلاقات البريطانية بروسيا علاقات طيبة ، وصار احتمال بعث أطماع تلك الدولة في الهند. أمرا مستبعدا . أما من الناحية الأخرى فان موقف حكومة الهند من أي تورط رسمي في فارس أو افغانستان قد تغير كثيرا . وأصبح اهتمامهم الوحيد في دول افغانستان الثلاثة وهي كابول وقندهار والحيرة ، هو احتفاظها باستقلالها عن بعضها البعض . ولم يقم البريطانيون بأى اتصال بدوست محمد بعد نجاحه في الوصول الى السلطة في كابول في أعقاب عام ١٨٤٢ ، كما لم توجد لديهم أي رغبة لذلك . ولم يكن هناك أي تفكير جدي للقيام بحملة عسكرية جديدة في افغانستان على مستوى الحملة التي قام بها أوكلاند عام ١٨٣٩ ، والان بورو عام ١٨٤٢ ، وعلى أية حال فان التخفيض الكبير في حجم الجيش الهندي الذي أجراه اللورد هاردنج الذي خلف ألان بورو جعل مثل

(١) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٤٥ من بالمرستون الى هوب هاوس

٠ ١٨٤٧/٤/٣

تلك الحملة غير ممكنة اطلاقا . وتأسيسا على ذلك ، فقد أبلغ هوب هاوس بالمرستون فى شهر ابريل عام ١٨٤٧ ، بأنه سيكون من الأفضل لو قام بالمرستون بالتنسيق بين سياسته واجراءاته تجاه فارس دون لالرجوع الى حكومة الهند ، فان رأى ضرورة استخدام القوة ، فان الحكومة البريطانية هى وحدها التى يتعين أن تبت فى هذا الأمر « أما عن الهند فليس لدى ما أقوله » كما جاء فى رسالة هوب هاوس الى بالمرستون ، واطاف : كما انى لن أستعين بالحاكم العام أو اللجنة السياسية ، كما حدث فى المرة السابقة . فحرب كهذه ينبغى أن تكون حربا بين الملكين » . وبالطبع فبوجود الرئيس الحالى لحكومة الهند ، واللجنة السرية التى أتعامل معها الآن ، لا يمكن أن تتوقعوا أى تعاون حول هذا الموضوع من هاتين الجهتين . .

وكان لهوب هاوس نفس الآراء المحددة فى كيفية ومكان استخدام السلاح البريطانى فى حالة نشوب حرب مع فارس :

« وانى لا أتصور أنك لن تفكر تحت أى ظرف من الظروف فى القيام بعمليات عسكرية فى آسيا الوسطى (هكذا كتب الى بالمرستون) وأقول : تحت أى ظرف ، بحيث يشمل هذا القول أى عملية لاحتلال الحيرة ، والتقدم نحو قندهار وكابول من جانب فارس . فاذا كنت على صواب فى هذا الرأى ، فانى أنصح بالامتناع عن أى تهديد بالنسبة لمقاومة من جانب امبراطوريتنا الهندية . . أن أى عدوان كهذا من جانب الشاه ينبغى الرد عليه فوراً بالهجوم على أراضي الشاه فى الخليج الفارسى ، والاستيلاء على خرك لتكون قاعدة ثابتة لبريطانيا . . وبعبارة أخرى أنه فى حالة استيلاء فارس على الحيرة فاننا سوف ندخل الحرب ضد فارس بالطريقة التى نراها تحفظ لنا

غير أن المناسبة لشن الحرب أو حتى توجيه تحذير إلى الشاه لم تقع خلال عام ١٨٤٧ ، إذ أن الاشاعات عن نوايا شن الشاه لهذه الحرب لم تكن صحيحة . ومن ثم فقد وضعت مسألة الحيرة على الرف لأربع سنوات أخرى .

وفى عام ١٨٤٨ توفى محمد شاه وخلفه على الحكم نجله ناصر الدين ، كما تبعه بعد ثلاث سنوات حاكم الحيرة ، بار محمد خان ، الذى كان يوصف بأنه « أقدر شخصية فى آسيا » (١) وخلفه أيضا نجله سيد محمد خان : ولم يكن أفضل من والده بكثير : فقد وصفه هنرى رولنسون عن معرفته شخصيا بأنه « شاب فاجر أبله » (٢) وكان أكثر ما يخشاه محمد خان بعد توليه السلطة ، أن قد يقضى فى الحكم وقتا قصيرا بسبب منافسيه دوست محمد حاكم كابول أو بسبب أخيه دوست محمد فى قندهار . وبالتالي فما أن رأى الحكم حتى بادى إلى الاتصال بناصير الدين شاه يطلب حمايته . وكان ناصر الدين شاه يميل على ما يبدو إلى تلبية طلب دوست محمد ، وعلى الأقل فقد أجريت مظاهرة لاستعدادات عسكرية للزحف على الحيرة خلال صيف عام ١٨٥١ ، غير أن المناورة لم تنطل على إنجلترا كما كان متوقعا لها ، لأن أهمية الحيرة فى استراتيجية الدفاع عن الهند قد هبطت أكثر بعد ضم البنجاب فى عام ١٨٤٩ ، وبذلك امتدت حدود الهند البريطانية إلى ما وراء نهر شبلج ، على الأقل إلى الحدود الطبيعية للهند على سلاسل جبال الحدود الشمالية الغربية . بل أن بالمرستون كان على استعداد أن يوافق فى عام

(١) تاريخ الهند فصل ٥ ص ٤٩٣ تأليف دبليو . اى . جى اركبولد .

(٢) إنجلترا وروسيا فى الشرق ص ٨٤ .

١٨٥١ على قيام الشاه بالاستيلاء على الحيرة لو شاء . ولقد كتب الى هوب هاوس بهذا الخصوص يقول : « اذا كنت لا تزال ترى بأن سقوط الحيرة فى أيدى الفرس مسألة هامة بالنسبة لآمن الهند ، فان جزيرة خرك سوف تبقى كمنطقة دفاع عن الحيرة أو كتعويض عنها (١) .

غير أن هوب هاوس لم يكن يشغل باله الفرس : فانهم بمفردهم ليس فى قدرتهم الحاق أى ضرر . وانما كأدوات للروس « هذا ما جاء فى رد هوب هاوس الى بالمرستون ، لأن هذا يجعلهم أقوىاء لا يقهرون بالنسبة الى الهند البريطانية ، كما لم يكن هوب هاوس يتوقع أى خطر من اجتياح دوست محمد للحيرة : وفى رسالة لهوب هاوس فى شهر أكتوبر سنة ١٨٥١ موجهة الى ايريل اوف دل هاوس ذكر بأن هناك اشاعة بأن دوست محمد له أطماع فى الحيرة . فليتفضل وليذهب اليها . وقد أفادت آخر المعلومات التى تلقاها بالمرستون من شيل وزير صاحبة الجلالة فى طهران بأن هناك حملة يعدها الحمقى الفرس للهجوم على تلك البلدة . وقد تم ابلاغ شيل بعدم التدخل بأى صورة من الصور . وكان هوب هاوس واثقا من شىء واحد : انه لم يكن يؤيد أى اتفاقات مع دوست محمد لحماية الحيرة من الفرس ، مما سوف يورط حكومته فى مشكلة مع أفغانستان . « . . اننى آمل أن علاقتك بهذا الشخص وأسرته ، كما جاء فى تحذير هوب هاوس الى ول هاوس ، ينبغى أن تنحصر فى لف الحبل حول رقبة أى سفاح أفغانى يأتى للقيام بعمليات نهب أو قتل فى أراضيكم .

(١) متفرقات حكومة الوطن مجلد ٨٤٦ ، من بالمرستون ال براوثون ١٨٥١/٩/٨ وكان هوب هاوس فى هذا الوقت قد رقى الى درجة بارون لمنطقة براوثون دى جيفورد .

كانت نتيجة مناقشات بالمرستون وهوب هاوس قد تمخضت عن ابلاغ الوزير البريطاني المفوض في طهران (الكولونيل جوستين شيل) بعدم ممارسة الضغوط على الشاه فيما يختص بموضوع الحيرة ، وانما واجبه هو الحصول من الشاه عندما تسنح الفرصة على تعهد منه بعدم ارسال جنوده الى الحيرة لدعم حكم السيد محمد خان ، طالما أنه لم يتعرض لعدوان عسكري سافر من الشرق . وقد سلم ناصر الدين هذا التعهد يوم ٢٥ يناير سنة ١٨٥٣ . كما تعهد فيه أيضا بالامتناع عن التدخل في شؤون الحيرة والتخلي عن مطالبته سكان الحيرة بالولاء له . أما من جانب الشاه فقد ألح على أن تتعهد الحكومة البريطانية بالامتناع عن التدخل في شؤون الحيرة من جانبها .

وفي اليوم الثاني من يوليو عام ١٨٥٣ دخلت القوات الروسية ولايات الدانوب الخاضعة للإمبراطورية العثمانية ، وبعد مضي ثلاثة أشهر أعلن السلطان العثماني الحرب على روسيا ، وعلى أثر هذه الأحداث اتخذ الشاه ناصر الدين طابع العنف في تصريحاته ، فقد أعلن عن ثقته في انتصار روسيا ، وهمس بأنه ينوي استقلال أحداث الاضطرابات في آسيا الصغرى لتوسيع رقعة حدوده . وكانت نتيجة هذه الأحداث أن بادر القائم بالأعمال البريطاني في طهران بتجميد العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فارس . وقد ذكر رولنسون المقيم البريطاني والقنصل العام في بغداد في خطاب بعث به الى وزير خارجية الهند في أواخر نوفمبر : « بأنه كان يتوقع هجوما فارسيا على العراق التركي بين لحظه وأخرى ، وبأن الشاه قد أعلن انحيازه الى جانب الروس في صراعهم ضد الباب العالي ، وبالتالي فإنه ما لم تصل مساعدات من الهند فان الأتراك سوف يطردون من هذه المناطق ، وسيترتب على هذه التطورات تعريض الامبراطورية العثمانية في آسيا بأسرها للخطر .

وقد طالب رولنسون بامداده بقتل من الجنود ، بالإضافة الى المساندة البحرية بحيث ترسل الى الخليج على وجه السرعة ، كما طالب بالاستيلاء على جزيرة خرك ، والاستعداد العسكري ، اما لممارسة ضغط على الشاه و للزحف على الفرات للدفاع عن بغداد . غير أن دلهاموس الحاكم العام للهند لم يشاطر رولنسون مخاوفه هذه ، ففي رده على رولنسون ذكر : بأن الحكومة البريطانية في الهند لا ترى سببا يدعوها للقيام بعمليات عسكرية في الخليج ، لأن هذا الاجراء لن يلقى التأييد من حكومة صاحبة الجلالة ، وقد يتسبب في تعقيد الأمور .

وكان خطأ دلهاموس أنه كان يجهل حقيقة الجو في مجلس الوزراء في لندن . فالتحولات والمتطلبات التي اقترنت بها السياسة البريطانية منذ أكتوبر لتسوية الخلافات الروسية التركية قد انتهت . انتهت كارثة سينوب ، وحذر القيصر من أن الأسطول البريطاني والفرنسي سوف يدخلان مياه البحر الأسود ويرغمان السفن الروسية التي يصادفونها هناك على العودة من حيث أتت . وعند وصول التقارير من طهران بعث مجلس الوزراء بأوامره الى دلهاموس لاعداد حملة عسكرية وبحرية للعمل في الخليج . فاذا لم تستأنف العلاقات الدبلوماسية سريعا فيتعين عليه احتلال خرك ، ويبقى في انتظار أوامر جديدة (١) وقبيل صدور هذه الأوامر كانت العلاقات الدبلوماسية قد أعيدت بين الدولتين ، غير أن هذا الاجراء لم يؤد تلقائيا الى الغاء الأوامر . بل على العكس فقد أجرى استعراض للقوة البحرية فيما بين شهرى فبراير

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسوده

الى الحاكم العام ١٨٥٤/١/٩ (رقم ١٥٦٢) .

ومايو ١٨٥٤ ، وأوعز الا بريل . اوف . كلارندون وزير خارجية بريطانيا الى وليم تيلور ثومبسون بالابلاغ عن أى دليل عن اشتراك الشاه مع روسيا فى الحرب ضد تركيا ، أو استئناف أطماعه فى الحيرة . فان استدل ثومبسون على شىء من هذا القبيل ، فان عليه أن يقوم بابلاغ ذلك الى بومباى على الفور ، حيث ستكون الحملة على أهبة الاستعداد للتحرك (١) .

بعد ثلاثة أشهر من عودته الى طهران اكتشف ثومبسون أسباب استياء الشاه فى شهر نوفمبر السابق . وعلى حد أقوال الصدر الأعظم رئيس وزراء فارس ، فقد تلقى الشاه عرضا رسميا من الحكومة الروسية بعد احتلال الجيش الروسى لولايات الدانوب التركية مباشرة للاشتراك فى الحرب التى كانت لابد وأن تنشب مع تركيا . وقد عرضت عليه روسيا امتيازات مغرية ، منها : التنازل عما تبقى من التعويضات المستحقة لها بموجب معاهدة تركمنشاه ومقدرها ١٠ ملايين تومان (نحو ٥٠٠٠٠٠٠ مليون جنيه استرلينى) ، ومنح فارس مبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠ اضافى اذا استمرت الحرب ، وتزويد الجيش الفارسى بالمعدات الحربية ، وضم أى منطقة تكسبها فارس نتيجة لعملياتها الحربية فى أراضى تركيا ، أو منحها مبالغا من المال مقابل ذلك عند توقيع معاهدة السلم . كل هذه الامتيازات المغرية رفضها الشاه ، كما ذكر الصدر الأعظم ، وذلك احتراما منه للصدقة البريطانية . كما أن الشاه تمسك بموقفه رغم كل التهديدات الروسية ،

(١) مسودات المجلس - من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسوده الى حاكم بومباى ١٨٥٤/٢/٧ (رقم ١٥٦٨) ومرفق به نسخه من خطاب كلارندون الى ثومبسون ١٨٥٤/١/١٧ (رقم ٦ سرى للغاية) .

وأضاف رئيس الوزراء الفارسي يقول : أنه لو قدر لهذه الحرب أن تتطور الى حرب شاملة ، فيجب الا تتوقعوا من الشاه أن يستمر على موقف الحياد ، فإنه على العكس من ذلك ، قد يجد نفسه مضطرا الى أن ينحاز الى بريطانيا وحلفائها ، بل هو على استعداد أن يقوم بتنفيذه الآن ، كما أكد الصدر الأعظم بأنه على استعداد أن يعقد اتفاقا سريا مع بريطانيا على أساس المقترحات التي تقدمت بها روسيا ، مع فارق واحد ، وهو أنه سوف يفضل حصوله على الولايات الفارسية التي استولى عليها الروس إبان حرب ١٨٢٦/١٨٢٨ أو تعويضات نقدية عنها ، وليس الأراضي التركية (١) .

في الوقت الذي وصلت هذه المقترحات الى كلارندون كانت الحرب الروسية - التركية قد تطورت بالفعل الى حرب شاملة ، وبالتالي لم يكن لدى وزير الخارجية من الوقت ما يخصصه لمطامع الشاه أكثر من اهتمام عارض بمطالبه . وقد اوعز الى ثومبسون في شهر مايو بابلغ الشاه باستعداد الحملة في بومباي ، وبابلغ رئيس الوزراء بأن أفضل مساعدة تقدمها فارس الى بريطانيا في هذه المرحلة هي وقوفها على الحياد في الصراع الدائر (٢) ، وقد استجابت حكومة فارس للمقترحات البريطانية ، ولهذا فخلال ما بقي من عام ١٨٥٤ وحلول عام ١٨٥٥ لم يشر رئيس وزراء فارس مرة أخرى الى

(١) من ملفات وزارة الخارجية من ثومبسون الى كلارندون طهران ١٨٥٤/٣/١٨ (رقم ٥٧ سرى للغاية) .

(٢) مجموعة أوراق المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسوده الى الحاكم العام ١٨٥٤/٥/٢٢ (رقم ١٥٧٩) ومرفق به نسخه من خطاب كلارندون الى ثومبسون ١٨٥٤/٥/٢٨ (رقم ٥٩ سرى) .

احتمال اشتراك فارس في الحرب . وقد تم تعيين وزير مفوض جديد في فارس في شهر نوفمبر عام ١٨٥٤ في شخص اللورد شارلس موري ، القنصل البريطاني العام السابق في مصر . وبذلك انتهز اللورد كلارندون هذه الفرصة لاصدار تعليماته الى موري لتذكير الشاه بالمطالب البريطانية لتنفيذها (١) وكان أفضل سياسة تتبعها فارس في ذلك الوقت في نظر موري هو الوقوف على الحياد ، فلو أن الشاه انحاز الى صف الروس فان ذلك قد يعرض المنطقة الجنوبية من فارس لعمليات انتقام بريطانية ، حيث يمكنها في سهولة إثارة القبائل في هذه المناطق ضد أسرة القاجار الحاكمة . كما أنه من الناحية الأخرى لو أظهر الشاه عداؤه ضد روسيا ، على أمل أن تساعد الحكومة البريطانية في استرجاع الممتلكات الشمالية التي فقدتها ، فان هذه ستكون خطوة انتحارية من جانبه . والواقع أن بريطانيا لم تكن ترغب في أن ترى فارس تسقط ، أو أن تتخلى عنها في حالة الحرب ، غير أن كلارندون لم يكن في وضع يسمح له بتقديم تعهد قاطع لفارس بالمساعدة فيما لو ركب الشاه رأسه وقام بالهجوم على روسيا ، ومرة أخرى فطالما كانت بريطانيا هي الدولة الوحيدة القادرة على مساعدة فارس ضد أطماع روسيا ، فانه سيكون من الحماقة أن يحاول الشاه توسيع حدوده الشرقية على حساب الدويلات الأفغانية المجاورة ، وبذلك يثير عدااء الحكومة البريطانية عليه . وحول هذه النقطة فقد أبلغ كلارندون موري « بأنه من الضروري أن تفهم الحكومة الفارسية بوضوح تصميم الحكومة البريطانية على رفض أي

(١) لقد كان من مظاهر الإهمال المتخلفة عن الفترة التي اعقبت عام ١٨٤١ ، أن تركت البعثة الدبلوماسية البريطانية في طهران في يد قائم بالأعمال لفترة امتدت ١٨ شهرا قبل تعيين موري .

محاولة من جانب فارس لیسط نفوذها على الولايات الافغانية بشكل یمس استقلال تلك الدویلات « (١) .

ولم تسنح الفرصة لمورى بأن يعرض وجهة النظر هذه على الحكومة الفارسية قبل شهر ابريل ١٨٥٥ عندما تقدم اليه الصدر الأعظم (رئيس وزراء فارس) باقتراح يعطى الحق لفارس فى بعض المكاسب نتيجة للحرب . ولكنه قدم اقتراحه هذا بأسلوب ملتو . فقد سأله مورى عما اذا كانت الحكومة البريطانية تستطيع أن تتعهد لفارس بحمايتها من ردود الفعل الروسية ، لو أن الشاه رغم الضغوط المستمرة عليه من جانب حكومة بطرسبرج ، رفض التحلى عن سياسة الحياد التى يسير عليها . ولقد شعر مورى بالاستياء من الدوافع التى دفعت رئيس الوزراء لتقديم هذا الطلب ، سيما وأنه كان قد اكتشف قبل ذلك بوقت قصير بأن الشاه قد عقد اتفاقا سريا مع الروس لم يتمكن مورى من الاطلاع على نصوصه . غير أن موقف كلارندون من هذا الاقتراح لم يكن يختلف عن موقفه من الاقتراح السابق ، فقد رد بمحاضرة أخلاقية طويلة يشيد بفضائل سياسة الحياد ومزاياها ، ولما يئس من الشاه عاد مرة أخرى الى خطب ود ممثلى الدول الأخرى فى طهران ، ربما كمحاولة منه للضغط على بريطانيا . وهكذا توثقت الصلات بين وزارة الخارجية الفارسية والمفوضية الروسية فى طهران فى النصف الأخير من عام ١٨٥٥ ، وكان الوسيط بينهما شخصا أرمنيا دعى ملكوم خان وكان يعمل فى البلاط

(١) مستودات المجلس - من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسوده الى الحاكم العام ١٨٥٤/١١/٢٣ (رقم ١٥٩٨) ومرفق به صورته من خطاب كلارندون الى مورى ١٨٥٤/٦/١٨ (رقم ٢) .

الإيراني ، ويشغل منصب سكرتير المفوضية الروسية للشئون الفارسية في نفس الوقت . أما رئيس وزراء إيران ، فقد أخذ يخطب ود القائم بالأعمال الفرنسي . بي . بوري وعرض عليه كعربون للصدّاقة صيغه لمعاهدة تجارية بشروط أكثر سخاء من شروط المعاهدة المعقودة مع بريطانيا عام ١٨٤١ (١) .

وقد جرت محاولات من جانب الحكومة الفارسية لتوريط الولايات المتحدة في النزاع ، ففي خريف عام ١٨٥٥ تقدم داود خان القائم بالأعمال الفارسي في القسطنطينية باقتراح لوزير الولايات المتحدة المفوض لدى الباب العالي لإبرام اتفاقية تجارية مع حكومته . وكانت مسودة الاتفاقية التي حصل القنصل البريطاني في طهران على صورة منها - تتكون من سبعة عشر بنداً ، معظمها من النوع الذي يوجد عادة في الاتفاقيات التجارية - فيما عدا ثلاثة بنود تختلف اختلافاً كلياً عما يصاغ عادة في المعاهدات التجارية . فالمادة الحادية عشرة تنص على أن يبقى رعايا الدولتين المتعاقبتين الذين يعملون في خدمة أي منهما خاضعين لسيادة كل من حكومتيهما . وقد ورد هذا الشرط نتيجة الحساسية الفرس من العادة المتبعة بين أعضاء البعثتين البريطانية والروسية ، التي تعطيها الحق في حماية الرعايا الفرس العاملين معهم ، وتعود هذه الحساسية من ناحية إلى الامتيازات الممنوحة بموجب معاهدة تركمنشاه . وعلى أية حال فإن الفرس هم المسؤولون إلى حد كبير

(١) أن هذا الاتفاق كان مثار جدل مرير وطويل في فارس . أما الاتفاق الفرنسي فقد تم التوقيع عليه وختمه بعد ٨ ساعات من بداية التفاوض بشأنه (انظر فارس والخليج مجلد ١١٠ من موري إلى كلارندون ١٨٥٥/٨/١٧ (رقم ٤٤) وقد وردت نصوص هذا الاتفاق في كتاب «المعاهدات» أعداد ايتشيسون فصل ١١ ملحق (٣١) .

عن نظام الحماية هذا . اذ أن الحكم العرفى فى فارس قد أوجد احساسنا بالخوف بين رعايا الشاه . أما المادة الخامسة عشر من مسودة الاتفاق فتخص على أن تقوم السفن الحربية للولايات المتحدة بحماية السفن التجارية الفارسية . أما المادة السادسة عشر فهى أطول مادة فى المعاهدة ، بل وهى سبب وجودها . اذ يتعين على الولايات المتحدة بموجبها حماية السواحل الفارسية وجزرها ضد أى هجوم يقع عليها ، سواء من دول قوية أو دول ضعيفة ، وسواء كانت دولا مسيحية أو غير مسيحية ، وبتقديم المساعدة البحرية الى الحكومة الفارسية للاستيلاء على الجزر والموانئ الفارسية التى تعصها أو ترفض تسديد الضرائب المستحقة عليها ، كجزر قشم وهرمز والبحرين .. « (١) » .

وعندما علم بالمرستون بأمر هذه المعاهدة انفجر غضبا وذكر لكلا رندون « بأنه اذا ما اتخذت حكومة الولايات المتحدة هذه المعاهدة ، فان الأمريكين قد يفعلون كل شيء لجزر بريطانيا الى حرب معهم من أجل منطقة تعتبر فى الأهلية السياسية والتجارية بالنسبة الينا ، بينما هم لا مصلحة لهم فيها على الاطلاق .. وبالتالي فاذا كانت الولايات المتحدة تود قيام علاقات سلام وأمن مع إنجلترا ، فانها لابد وأن ترفض ابرام معاهدة كهذه مع حكومة فارس ، ثم أن الولايات المتحدة اذا كانت تريد الدخول فى حرب مع بريطانيا ، فانها لا تحتاج الى كل هذه الوسائل لكى توجد مبررا للنزاع .

(١) من مرفقات الخطابات السرية لبومباى مجلد ١٢٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٢٤ المؤرخ ١٨٥٦/٤/٢ من آر . دبليو ستيفنز الى مورى ١٨٥٦/٢/٢٧ (رقم ٢٩ سرى) ومرفق به ترجمة لبنود الاتفاقية المرسلة الى جان داود خان ٢٤ ذى الحجة ١٢٧١ فى ١٨٥٦/٩/٧ .

وعلى أية حال ، فان الولايات المتحدة لم تكن ترغب فى اقامة علاقات سياسية مع حكومة فارس على الرغم من أنها كانت مستعدة لعقد اتفاق تجارى معها ، وقد تم التوقيع على هذه الاتفاقية فى القسطنطينية فى ١٨٥٦/١٢/١٣ .

وكنتيجة لمثل هذه التصرفات من جانب حكومة فارس أصبحت العلاقات بين البلدين مهددة بالانقطاع . وفى يوم ١٩ من اكتوبر استدعى شاه فارس ، مورى ، اليه ، وأبلغه بأن فارس لم تعد تستطيع البقاء على الحياد من الحرب التركية الروسية ، ما لم تحصل على ما يمكنها من الاستمرار فى هذه السياسة . وقد رد مورى على الشاه ، بما سبق أن ذكره كلاريندون ، وهو أن من الأفضل أن تقف فارس على الحياد فى هذا النزاع ، وانها اذ تخلت عن هذه السياسة وانحازت الى جانب روسيا ، فان النتائج لن تكون فى صالحها وعندما علم كلاريندون بخطة الشاه هذه ، أوعز الى مورى بإبلاغ الشاه بأن أى خطوة يقوم بها للتحالف مع الروس سوف تعتبر بمثابة اعلان للحرب ضد انجلترا ، غير أن هذا التحذير وصل متأخرا ، وبالتالي تعذر إبلاغه الى الحكومة الفارسية ، ولكن الشاه ، على أى حال لم يكن جادا فى موضوع التحالف مع الروس ضد الأتراك . فقد كان فى ذلك الوقت فقد الأمل فى الحصول على أية مكاسب من حرب القرم ، وبدأ يتطلع الى التوسع نحو الشرق .

وفى صيف وخريف عام ١٨٥٥ ترددت اشاعات عن عزم دوست محمد الزحف على مناطق نفوذ أخوته غير الأشقاء فى كابول بهدف توحيد الأقاليم الأفغانية الثلاثة وهى كابول وقندهار والحيرة تحت حكمه . وكان ناصر الدين من ناحية أخرى مصمما هو الآخر على وقف دوست محمد عند حده ، وضم إقليم الحيرة الى فارس ، وقد سبق لدوست محمد أن عقد معاهدة سلام

وصداقة مع حكومة الهند فى شهر مارس السابق تأكيدا منه على عزمه على مقاومة الخصم . وكان دوست محمد يتصور بأن من حقه أن يتحرك بذلك الاجراء ، وأن الحكومة البريطانية تؤيده فى ذلك ، رغم التعهد الذى كان قد قطعه على نفسه فى شهر يناير من عام ١٨٥٣ بعدم التدخل فى شئون اقليم الحيرة .

وفى شهر أكتوبر سنحت الفرصة لناصر الدين لاقضاء دوست محمد عن الحكم ، بعد حركة انقلاب فى اقليم الحيرة ، وبما تمت بالتواطؤ مع فارس . وهكذا تم خلع السيد محمد خان عن الحكم ، وحل مكانه شاهزاده محمد يوسف من أسرة سادوزاى الحاكمة ، واحد المحالين على المعاش فى فارس . ولقد أدرك ناصر الدين بأن هذه الفرصة توجب عليه أولا التخلص من الوجود البريطانى الممثل فى البعثة الدبلوماسية البريطانية فى طهران .

وسرعان ما سنحت له هذه الفرصة . ففى يوم ٤ نوفمبر اتصل مورى برئيس وزراء فارس ليبلغه بأنه ينوى تعيين أحد العاملين فى البعثة البريطانية ، ويدعى ميرزا هاشم خان مراسلا أخباريا لهم فى شيراز . وعلى الفور اعترض الصدر الأعظم على هذا التعيين ، بحجة أن هاشم خان موظف من موظفى الحكومة ، وأن الحكومة البريطانية بموجب معاهدة ١٨٤١ يحق لها تعيين مراسلين فى طهران ، وتبريز وبوشهر فقط . غير أن مورى رفض احتجاج رئيس وزراء فارس بدعوى أن تعيين مراسلين فى تبريز كان يتم منذ سنوات كثيرة دون أن يعترض أحد على ذلك . ولم يتلق مورى ردا على وجهة نظره هذه . وفى يوم ١٦ نوفمبر اختطفت زوجة هاشم خان ونقلت الى البلاط الملكى . وقد أبلغ مورى بأنه سوف يتم تطبيقها من زوجها بالقوة ، اذا لم يترك عمله عند البريطانيين . وعندما طالب مورى بالافراج فورا عن

السيدة ، تلقى ردا من الصدر الأعظم بأنه ليس من حق مورى أن يحشر أنفه فى موضوع حساس كهذا يمس الأسرة الملكية (فقد كانت زوجة هاشم خان شقيقة احدى زوجات الشاه) ولكنه على الرغم من ذلك ابدى استعداداه للتفاوض عن الموضوع واعتباره كأنه لم يكن . غير أن مورى لم يكتثر بهذا الهراء ، فقد كان مصمما على ممارسته حق البعثة فى حماية موظفيها ، وبالتالي فقد وجه اندارا الى رئيس وزراء فارس بأنه ما لم يتم الافراج عن زوجة هاشم خان حتى ظهر يوم ١٩ ، فانه سوف يغلق المفوضية ويفادر البلاد .

فى منتصف يوم ١٩ نفذ مورى انداره ، بعد أن مد فى مهلة الانذار ، اثنتى عشرة ساعة أخرى ، نزولا على طلب عم الشاه والقائمين بالأعمال الفرنسى والتركى ، اللذين كانا يحاولان تسوية الخلاف . غير أن محاولة القائم بالأعمال الفرنسى كانت مجرد تضليل ، لأنه كان شريكا للصدر الأعظم فى المناورة . كما كان رئيس الوزراء نفسه يضع العراقيل فى طريق التفاهم ، وذلك باتهام مورى بأنه كانت له مصلحة شخصية فى زوجة ميرزا هاشم خان، وانها فى الحقيقة كانت خلية له ، غير أن هذه التهمة لم تكن شيئا جديدا . فلقد سبق للصدر الأعظم فى مناسبتين أن أبلغ أعضاء البعثات الأوربية الدبلوماسية فى طهران بأن سبب اهتمام تيلور ثومبسون سكرتير المفوضية ، ومن بعده مورى بزوجة هاشم خان أن الرجلين كانا يجبانها (١) .

(١) المراسلات المتعلقة بالقطيعة السياسية يمكن الاطلاع عليها فى « فارس والخليج » مجلد ١١٠ وملفات وزارة الخارجية وعلى الأخص ارساليات مورى الى كلارندون المؤرخه ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٢٨ نوفمبر و ٦ ديسمبر (رقم ٨٤ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٩٥) .

وقد استغرق اغلاق المفوضية ونقل الوثائق نحو أسبوعين ، وخلال هذه المدة أخذت رسائل وزارة الخارجية الفارسية تنهال على البعثات الدبلوماسية الأوربية تندد بتصرفات موري وموقفه . ولم تمنع خطوة موري لتجميد العلاقات مع فارس من هجوم الحكومة الفارسية عليه وتجريحه . كما اشترك الشاه نفسه في الحملة ، فأرسل خطابات الى موري عن طريق وزير الخارجية، اتهم فيها البعثة البريطانية باتباع سياسة النيل من الحكومة الفارسية وتوجيه الاهانات اليها . وقال بأن هذه البعثة قد دأبت على حماية العصاة والمفسدين والمنحرفين من أفراد أسرتنا ، واغرائهم بالعمل عندها مقابل مرتبات ووظائف كبيرة دون سبب من جانبنا يدعوهم الى ذلك ، بل أن هذا يشجعهم على التناول على حكومتنا ، والتدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلاد ، حتى أصبحت حقوق وامتيازات الضيوف تفوق حقوق المضيفين وأصحاب البلاد (١) . وفي أعقاب رحيل موري من طهران يوم ٥ ديسمبر نقلت مذكرة من الشاه الى وزير خارجيته لتعميمها على البعثات الأجنبية المعتمدة لدى طهران ، وقد حمل فيها الشاه بشدة على اللهجة الوقحة والمثيرة للاشمئزاز لرسائل موري حول موضوع هاشم خان وزوجته ، وجاء في الرسالة : اننى واثق من أن موري هذا ، رجل سخيف وجاهل وأحمق ، ولقد بلغت به الوقاحة والصفافة الى حد التناول حتى على الملوك وتجريحهم ! .. وانه

(١) فارس والخليج مجلد ١١٠ من موري الى كلارندون ١٨٥٥/١١/٢٨ (رقم ٨٨٠) ومرفق به صورة من خطاب الشاه الى وزير خارجيته بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٧٢ - ١٨٥٥/١١/٢٢ وكذلك خطابه المؤرخ ١٥ ربيع الأول ١٢٧٢ في نفس المجلد .

ما لم ترسل اليها ملكة انجلترا اعتذارا لائقا على وقاحة مبعوثها فاننا لن نوافق على استقبال هذا الوزير الاحمق مرة أخرى في بلادنا أو أن نقبل من جلالته أي وزير آخر (١) .

ان هذا التدهور الشامل في العلاقات مع فارس لم يكن أمرا متوقعا في لندن ، رغم أن الحكومة البريطانية كانت على علم بالحالة المتأزمة في طهران ، كما أن أخبار هذه القطيعة قد وصلت الى العاصمة البريطانية في وقت كان بالمرستون ومجلس الوزراء مشغولين بمناقشة المراحل الأخيرة لحرب القرم . وقد بعث كلارندون بمذكرة ارتجالية الى موري يؤيده في الاجراء الذي اتخذه بالانسحاب ، ثم بعد ذلك وضعت المسألة على الرف لمدة شهرين ، أما في الهند فقد كان رد الفعل مبهما ، ففي بومباي كان المسئولون يعتقدون بأن موضوع الحملة التي كانت لا تزال تنتظر الأمر بالتحرك من بومباي الى الخليج لا يزال قائما ، أما في كلكتا فقد اتسم الموقف بالحذر ، فقد كان من رأى الحاكم العام بأن الأوامر الصادرة من انجلترا في العام السابق كانت تنحصر في موضوع انحياس فارس الى روسيا فقط . وفي الوقت الذي كانت المشكلة لا تزال مطروحة للبحث جاءت التطورات في أفغانستان لتضيف اليها بعدا جديدا . فلقد استولى دوست محمد على قندهار في شهر ديسمبر ١٨٥٥ . وكانت الأخبار قد انتشرت بأن خطوته التالية ستكون الزحف على

(١) من ملفات وزارة الخارجية من موري الى كلارندون ، تبريز ١٨٥٦/٢/٢٢ (رقم ٢٦) ومرفق به صورة من خطاب الشاه الى رئيس وزرائه ديسمبر ١٨٥٥ ، وقد ورد هذا الخطاب أيضا في كتاب «المعاهدات» اعداد ايتشسون فصل ١٠ ص ٧٩ - ٨٠ .

(٧ - بريطانيا والخليج / ٢)

الحيرة . وقد وجه حاكمها الجديد محمد يوسف نداء عاجلا الى الشاه ليمد له يد المساعدة . وقد استجاب ناصر الدين للنداء على الفور ، وفى شهر فبراير من العام سير جيشا الى خراسان عقد لواءه الى احد امراء البيت المالك وهو سلطان مراد ميرزا . وبعد شهر من ذلك التاريخ فرض مراد ميرزا حصارا على غوريان واستولى عليها ، وكانت غوريان هى خط الدفاع الامامى للحيرة من الجهة الغربية . غير أن سكان الحيرة استاءوا من هذا الاجراء ، واعتبروا قائد الحملة معتديا أكثر منه منقدا . وعندما أراد سلطان مراد وضع حامية فارسية فى الحيرة ، وصك عملة فارسية وقراءة خطبة الجمعة فى المساجد باسم شاه فارس ، ادرك سكان الحيرة ما يراد بهم ، ولقد كان أهل الحيرة خائفين من أعمال محمد يوسف بسبب استدعائه الفرس وقاموا باعلان الثورة عليه بقيادة عيسى خان الذى تمكن من طرد الأمير السودازى من الحيرة ، وأرغمه على اللجوء الى معسكر الفرس ، وعلى أثر ذلك قام عيسى خان برفع العلم البريطانى على المبنى الذى كان يقيم فيه وكيل شركة الهند الشرقية ، وبعث بنداء يطلب المساعدة الى مورى الذى كان ذلك الوقت على الحدود التركية ، كما بعث بطلب آخر الى حكومة الهند (١) وقد تلقى الحكمدار البريطانى فى بشاور طالب عيسى خان يوم ٢ مايو ، وأبرق الى كلكتا على الفور . كما وصلت رسائل فى اليوم نفسه الى بشاور من دوست محمد ، يعلن فيها عزمه على التقدم لانقضاء الحيرة ، ويطلب فيها موافقة الحاكم العام على هذا القرار (٢) . غير أن هذين الطلبين وضعوا

(١) فارس والخليج مجلد ١١١ من آر . دبليو . ستيفنز (القنصل البريطانى فى طهران) الى كلارندون ١٨٥٦/٦/٢٠ (رقم ٣٧) .

(٢) من سجل الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٢ من حاكم بومباى الى اللجنة السرية ١٨٥٦/٢/٢٢ (رقم ٣٨ الادارة السرية) كان =

الحاكم العام الفايكونت كاننج فى مأزق . فقد كانت آخر التعليمات التى تلقاها بشأن الصراع بين فارس وأفغانستان قد صدر بتاريخ ٢٢ مارس ١٨٥٦ ، أى على أثر اجتماع مجلس الوزراء فى نفس اليوم لمناقشة قيام الجيش الفارسى بالزحف عبر خراسان . وبالتالي فلم يكن هناك من وجهة نظر مجلس الوزراء ما يمنع الشاه بموجب تعهد ١٨٥٣ من تقديم العون الى أهل الحيرة ضد خصومهم فيما لو شاء ذلك . وأنه ما لم يتضح أن للشاه أهدافا تتجاوز هذا الحد ، فليس ثمة ما يحمل الحكومة البريطانية على تغيير سياستها بشأن الحيرة . وأكد قرار مجلس استقلال الحيرة ومعارضه دوست محمد على ضمها (١) .

كانت حماقات اوكلاندا لا تزال تلقى ظلالها الكثيفة على الوضع . وكان هناك نفور واضح فى الأوساط المسؤولة فى لندن من التورط فى مشاكل أفغانستان ، أيا كانت أهمية مثل هذا التدخل بالنسبة للحكومة البريطانية . ولقد كان ول هاوس أكثر بعد نظر ، بالنسبة الى هذا الموضوع

يعتقد فى البداية بأن الرسالة التى وصلتته من الحيرة ، كانت مرسله من محمد يوسف .

(١) مجموعة مسودات المجلس - من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسوده الى الحاكم العام ١٨٥٦/٣/٢٢ (رقم ١٦٣٩) للاطلاع على سير المناقشات فى مجلس الوزراء يمكن الرجوع الى وثائق كلارندون (مجلد ٤٨ من فرنون سميث رئيس مجلس الهند الى كلارندون ١٨٥٦/٣/٢٢ « اننى اكتب اليك لاقول بأن القرار الصادر من مجلس الوزراء جاء مختلفا بعض الشيء عن وجهة نظرك ووجهة نظر ول هاوس » .

عندما قال بمناسبة انتهاء مدة عمله كحاكم عام للهند « ان رأبي الشخصي ينبع من الاعتقاد بأن المصالح الحقيقية للحكومة البريطانية في الشرق سوف تضطرها الى توثيق علاقاتها مع أفغانستان ، وان يخلق ألى الحد الممكن شعورا بالمصالح المشتركة بينهما وبين حكام وشعب ذلك البلد (١) وكان كلارندون يشاطره هذا الرأي الى حد كبير ، غير أن هذا الأخير كان موجودا في باريس لحضور مؤتمر السلم عندما أجمع مجلس الوزراء يوم ٢٢ مارس لمناقشة السياسة البريطانية تجاه أفغانستان . اما كاننج الذى خلف ول هاوس فقد كان أكثر حذرا منه . ولو أن الحاكم العام السابق بقى فى كلكتا حتى شهر مايو عند وصول الطلب من الحيرة ، لربما شعر ول هاوس بأن تغيير الظروف منذ الثانى والعشرين من مارس قد يبرر له تجاوز التعليمات التى لديه بهذا الشأن . وكما حدث ، فان كاننج لم يرد على الطلب ، كما لم يشجع دوست محمد على الزحف الى الحيرة لمساعدة سكانها .

قبل أن تعرف العاصمة البريطانية وحكومة الهند الدور الذى كان يقوم به الفرس فى الحيرة كانت حكومة فارس قد قامت بمبادرة للتفاهم بينها وبين الحكومة البريطانية . ولكن هذه المبادرة لم توجه الى مورى الذى كان قد انتقل هو وحاشيته الى بغداد وانما وجهت الى اللورد ستارنفورد . دى ردكليف السفير البريطانى لدى الباب العالى . فى العاشر من شهر ابريل عام ١٨٥٦ طلب القائم بالأعمال الفارسى الاجتماع بالسفير وعرض عليه جملة من المقترحات التى قد تساعد على استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين ، ومن بين هذه العروض : أن يعود

(١) من ملفات وزارة الخارجية محضر ول هاوس ١٤/١/١٨٥٦ .

مورى الى طهران ، على أن يقوم كل من الشاه ورئيس الوزراء باستقباله استقبالا وديا ، وسحب الخطاب الذى جرى تعميمه بين البعثات الأجنبية فى شهر ديسمبر ، واعادة زوجة ميرزا الى زوجها وارجاع زوجها الى عمله فى حكومة فارس (١) غير أن هذه المقترحات جميعها لقيت ردا فاترا فى لندن . فلم يكن مجلس الوزراء البريطانى فى ذلك الوقت يستعجل استئناف العلاقات مع فارس . فقد كانت حرب القرم قد وضعت أوزارها ، ولم يعد ثمة سبب ملح لخطب ود الشاه : « اننا لم نكن متعجلين بالنسبة الى هذا الموضوع ، هذا ما جاء فى رسالة كلارندون الى ستراتفورد » أولا ، لأن السبب الأسمى للخلاف لم يكن سببا وجيها ، وانه لم يحظ بتأييد مجلس الوزراء أو البلاد ، وثانيا لأن الموضوع لم يعالج بطريقة لبقة أو مرنة من جانب مورى ، وثالثا لأن المشكلات فى الشرق لا تفقد أهميتها بموور الوقت ، ثم أن الفرس قد يزعجهم عدم اهتمامنا بهذا الموضوع أكثر مما يثير حماسهم (٢) .

وفى أوائل مايو نوقشت المبادرة الفارسية فى مجلس الوزراء البريطانى . ولكن موضوع الحيرة لم يكن من بين الموضوعات البارزة التى تناولتها المناقشات ، بل كان الموضوع الرئيسى هو الاهانات التى وجهت

(١) من ملفات وزارة الخارجية من ستراتفورد الى كلارندون ١٠ و ١٢/٤/١٨٥٦ (رقم ٤١٣ و ٤٢٢) .

(٢) وثائق كلارندون مجلد ١٣٦ خطاب من كلارندون الى ستراتفورد ١٠ و ١٢ / ٤ / ١٨٥٦ (رقم ٤١٣ و ٤٢٢) وكذلك ملفات وزارة الخارجية من كلارندون الى ستراتفورد ١٢ / ٥ / ١٨٥٦ (برقية) .

الى مورى . وقد تقرر الاستئناس بآراء كل من السير جوستين شسيل
الوزير المفوض السابق فى طهران ، وهنرى رولنسون الذى كان قد ترك
بغداد فى الآونة الاخيرة ، وعلى أساس توصياتهم وضعت الخطوط
العريضة لتسوية النزاع مع حكومة فارس . وفى يوم ١٥ مايو أوغز
كلارندون لى ستراتفورد بابلاغ القائم بالأعمال الفارسى فى العاصمة
التركية ، بأن الأسس التى اقترحها لعودة العلاقات لم تكن كافية ، وأن
الحكومة البريطانية لتصر على تعيين هاشم خان مراسلا أخباريا لها فى
شيراز ، وأنه لابد من تقديم اعتذار رسمى على سلوك رئيس الوزراء .
وكان تصور كلارندون للتعويض المطلوب من فارس هو أن يتم سحب
المذكرات العنيفة التى أصدرها الشاه فى شهرى نوفمبر وديسمبر
السابقين ، وتقديم اعتذار كتابى من الصدر الأعظم وتعميمه على البعثات
الأجنبية فى فارس ، ودعوة شخصية من الشاه الى مورى بالعودة الى
طهران . وعلى أى حال فقد نصح كلارندون ، ستراتفورد فى السر بعدم
أظهار أى اهتمام بالقطيعة ، بل على العكس ، كلفه بأن يحاول أن يدخل
فى روع الحكومة الفارسية بأن الحكومة البريطانية لا يهمها أن يسوى
هذا الخلاف أم لا ، وخلال هذا كان كلارندون يسعى الى عدم اعطاء الحكومة
الفارسية أى انطباع يهدف الى اعتبار أحداث نوفمبر وديسمبر هى
السبب الأساسى للخلاف مع فارس ، وكما ذكر كلارندون لستراتفورد مع
الايغاز اليه بالتأكيد على القائم بالأعمال الفارسى أنه « اذا كان الفرس
يجبذون دخول حرب سافرة معنا ، بدلا من الاعتذار عما بدر منهم سابقا ،
وظمانتنا على المستقبل ، فاننا سوف نقبل التحدى . ان احتلال الفرس
للحيرة سواء كان عملا مدبرا أو غير ذلك انما هو انتهاك صريح لاتفاقهم
معنا ، كما أن المادة ١٥ والمادة ١٦ من المعاهدة المقترحة مع الولايات المتحدة
موجهة ضدنا ، الأمر الذى يبرر لنا الآن أن نعلن الحرب على فارس .

بعد أسبوع من ارسال هذه التعليمات وردت معلومات أكيدة الى لندن لأول مرة عن نشاط الفرس في الحيرة . وفي الحال فهم بالمرستون بأن الروس وراء تحركات الشاه « وانه لايد من حمل الحكومة الفارسية على التخلي عن خطها ضد الحيرة » هذا ما قاله بالمرستون لكларندون :

« انه لمن الاهمية والضرورة بمكان أن لا نسمح لفارس باستيلاء على الحيرة . وقد كانت فارس لعدة سنوات تعتبر المنطقة العازلة بالنسبة للدفاع عن حدود الهند ضد روسيا . أما الآن فينبغي علينا أن ننظر الى فارس باعتبارها خط الدفاع الامامي عن روسيا . ولكن أفغانستان قد أصبحت الآن خط الدفاع عن الهند ، وأن المرات الكثيرة التي يمكن أن يعبر من خلالها جيوش الغزو ينبغي أن نقوم باحتلالها كلما أطل خطر . وعلى أي حال ، وطالما بقي دوست محمد على قيد الحياة فيمكننا اعتباره حاكما صديقا على حدود الهند البريطانية .»

في يوم ٢٤ مايو ألبرق كларندون الى ستراتفورد ، يكلفه بالقيام بتوجيه تحذير الى القائم بالأعمال الفارسي في القسطنطينية بأنه : اذا قامت فارس باحتلال إقليم الحيرة فان ذلك العمل سيكون سببا جديدا وأكيدا للخلاف مع بريطانيا ، وبالتالي ستصبح جميع المفاوضات لتسوية الخلافات القائمة عديمة الجدوى « (١) .

وقد قام ستراتفورد بنقل تحذير كларندون وشروطه لتسوية الخلافات الى القائم بالأعمال الفارسي في يوم ٢٦ مايو ، ثم عاد فكرر انذاره في خطاب بعث به الى الصدر الأعظم في نفس اليوم .

(١) من ملفات وزارة الخارجية من كларندون الى ستراتفورد
١٨٥٦/٥/٢٤ (رقم ٥٦٠) برقية .

كان مالكولم خان قد عاد في هذا الوقت من طهران للاشتراك في المحادثات ، وفي الاسبوع الاخير من مايو والاسبوع الثاني من يونيو عقد ستراتفورد عددا من اللقاءات معه ومع القائم بالأعمال الفارسي ، وقد رفض الفرس الموافقة على الموضوع الرئيسي الخاص بتعيين ميرزا هاشم في شيراز ، وقد ركز ستراتفورد على اعتراض الفرس على هذه النقطة الى درجة أنه أوعز الى كلارندون يوم ٢ يونيو بصرف النظر عن هذا الطلب ، سيما وأنه قد شعر باحتمال التوصل للنجاح حول النقاط الأخرى للخلاف (١) وما ان بعث ستراتفورد باقتراحه هذا حتى وصلت الى القسطنطينية معلومات عن استيلاء الجيش الفارسي على الحيرة بعد حصارها . غير أن هذا الخبر كان سابقا لاوانه ، وأن كان قد أدى الى تغيير مسار النزاع مع فارس ، وأصبح مصير الحيرة نقطة الخلاف الرئيسية بين الدولتين ، بينما تراجع موضوع انسحاب موري الى المرتبة الثانية من الأهمية . وفي يوم ١٥ يونيو أشرق كلارندون الى ستراتفورد يكلفه بصرف النظر عن موضوع ميرزا هاشم اذا وافق الفرس على الانسحاب الفوري من الحيرة ، وعلى أى حال فقد علم ستراتفورد بأن الحيرة لم تكن قد سقطت في أيدي الفرس ، وقد أدى هذا الخبر الى التقليل من خطورة المشكلة . وخلال اجتماعاته التالية مع ممثلي حكومة فارس ظل كلارندون يؤكد على أهمية عودة البعثة البريطانية الى طهران ، باعتبارها الموضوع الأهم . ولعل ذلك يرجع الى حساسيات ستراتفورد

(١) من ملفات وزارة الخارجية من ستراتفورد الى كلارندون

١٨٥٦/٦/٢ (رقم ٦٧٩) انظر أيضا تقاريره أرقام ٦٥٢ و ٦٦٤ و ٦٧٠

في نفس المجلد .

نفسه ، كما يرجع أيضا الى عدم تلقيه معلومات جديدة من كلارندون خلال ما بقى من شهر يونيو . وفى يوم ٢٧ يونيو وجه سترااتفورد انذارا (١) الى ممثلى حكومة فارس يتضمن الشروط البريطانية لاستئناف العلاقات مع الحكومة الفارسية . ولم يرد فى الانذار أى ذكر عن مسألة تعيين ميرزا هاشم فى شيراز ، أو عن انسحاب القوات الفارسية من الحيرة ، ولعله كان متأثرا من اصوار مالكولم على استبعاد مناقشة أى انسحاب قبل استئناف العلاقات الدبلوماسية . كما أن المحادثات حول الانسحاب لابد وأن ترتبط بتعهد تقدمه الحكومة البريطانية ، بعدم السماح لدوست محمد بمد نفوذه الى الغرب ، لأن الهدف الاساسى من دخول الجيش الفارسى الى الحيرة ، كما أكد مالكولم ، هو منع دوست محمد من تحقيق ذلك .

غير أن الموقف فى لندن كان غير ذلك ، خصوصا بعد أن تلقت من الهند فى الاسبوع الثانى من يونيو طلب أهل الحيرة للمساعدة ، واستعداد دوست محمد لتأييدهم . كما تلقت لندن معلومات من ار . دبليو . ستيفنز القنصل البريطانى فى طهران عن قيام عيسى خان باقصاء محمد يوسف عن السلطة ونقله الى فارس أسيرا . وفى يوم ٥ يوليو اجتمع مجلس الوزراء فى لندن لبحث الوسائل التى تكفل انسحاب الفرس من الحيرة . وكان بالمرستون وكلارندون وفرنون سميث رئيس وزراء شئون حكم الهند من أنصار المواقف المتشددة ، غير أن زملاءهم لم يشاطروهم

(١) أن هذا الانذار يمثل الكلمة الأخيرة ، هذا ما جاء فى رسالته الى كلارندون (من ملفات وزارة الخارجية) من سترااتفورد الى كلارندون
١٨٥٦/٦/٢٣ (رقم ٧٧٩) .

هذا الرأي (١) . وكحل وسط تم تكليف الحاكم العام فى الهند يوم ١٠ يوليو بتأييد دوست محمد بالزحف على الحيرة لانقاذها وتزويده بالاسلحة اللازمة . وفى اليوم التالى بعث كلارندون بانذار الى رئيس وزراء فارس يحذره فيه ، أنه ما لم يتم سحب الجيش الفارسى فورا من الحيرة فان الحكومة البريطانية سوف تضطر الى اتخاذ الاجراءات التى تحفظ لها كرامتها ومصالحها . . (٢) وفى اليوم السادس عشر من يوليو نسلم ستراتفوردي رد الصدر الأعظم على انذار كلارندون المرسل اليه يوم ٢٦ مايو ، والذى ادعى فيه الصدر الأعظم ، أنه لا يستطيع أن يفهم سر غضب الحكومة البريطانية وقال : « بأن جيش فارس قد ذهب للدفاع عن الحيرة ضد دوست محمد ، وانه سينسحب منها اذا تراجع دوست محمد من قندهار وعاد الى الحيرة ، وانه اذا عادت البعثة البريطانية الى سهران فان هذه المشكلة سوف تحسم على الفور (٣) .

كان موقف البلاط الفارسى واضحا كل الوضوح ، والاحتجاجات وحدها لم تعد تكفى لحمل الفرس على الانسحاب من الحيرة . وفى يوم

(١) انظر وثائق كلارندون مجلد ٥٠ من بالمرستون الى كلارندون ١٨٥٦/٩/١٤ مجلد ٤٨ من سميث الى كلارندون ١٨٥٦/٩/٢٧ .

(٢) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة الى الحاكم العام ١٨٥٦/٧/١٦ (رقم ١٦٤٩) ومرفق صورة من خطاب كلارندون الى الصدر الأعظم ١٨٥٦/٧/١١ .

(٣) مسودات المجلس - من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة الى الحاكم العام ١٨٥٦/٧/٢٢ رقم (١٦٥١) ومرفق به صورة من خطاب ستراتفوردي الى كلارندون ١٨٥٦/٧/١٦ .

٢١ يوليو عقد مجلس الوزراء البريطاني اجتماعه ، وفى يوم ٢٢ منه أرسلت التعليمات التالية الى الهند : يتعين اتخاذ التدابير الفورية فى بومباى لاعداد حملة عسكرية يمكنها احتلال جزيرة خرك فى الخليج الفارسى ، ومنطقة بوشهر داخل فارس ، على ألا تتحرك هذه الحملة قبل وصول أوامر من هذه البلاد ولا بد من مضي بعض الوقت لتلقى الرد من الحكومة الفارسية على انذار ١١ يوليو ، وعلى أية حال فلا يمكن القيام بعمليات عسكرية فى الخليج قبل شهر أكتوبر ، أى بعد أن تخف حرارة الصيف المحرقة وتسمح الرياح الجنوبية - الغربية الموسمية باقلاع الحملة من بومباى الى الخليج مباشرة : غير أن الوقت كان فى صالح الفرس ويهيء لهم الفرصة للاستيلاء على الحيرة ، ووضع الحكومة البريطانية أمام الأمر الواقع » . وقد علم على سبيل المثال انه بعد وصول انذار ستراتفورد المؤرخ ٢٦ مايو أصدر رئيس وزراء فارس أمرا الى سلطان مراد ميرزا بسرعة احتلال الحيرة ، حتى لو كلفه ذلك فناء نصف جيشه (١) وعلى أى حال ففي ذلك الوقت لم يكن ثمة شيء يمكن عمله فى مواجهة مواقف الصدر الأعظم . ولقد ذكر بالمرستون لكларندون : « بأن الطريقة الوحيدة للتعامل مع رئيس وزراء فارس هى السكوت مؤقتا ريثما تحين الفرصة لتوجيه الضربة » كما طلب من ستيفنز ابلاغ كاننج بالآلاتخذ أى اجراء جديد فى الموضوع .. وعلى حكومة بومباى أن ترسل بأسرع ما يمكن الحملة العسكرية لاحتلال خرك وبوشهر فى ضوء سماح

(١) فارس والخليج مجلد ١١١ من ستيفنز الى كларندون من

المسكر القريب من طهران ١٨٥٦/٦/٢٢ (رقم ٣٨) .

الأحوال الجوية . ولكن عليها الآن والى أن تفلح الحملة أن يظل أمر تحركها ووجهتها سرا بقدر ما تسمح به تلك الاستعدادات » (١) .

كانت الاستعدادات الأولية للحملة قد استكملت عند وصول التعليمات بتاريخ ٢٢ يوليو ، واعتبارا من بداية العام عندما تلقت الهند خبر قطع العلاقات مع فارس ، جرت تحريات كثيرة لتحديد حجم وتشكيل القوة العسكرية اللازمة لاتخاذ اجراءات حربية ضد فارس فى الخليج والى حد كبير فقد كان المسئولون فى بومباى يعملون فى الظلام . فلم يسبق أن قام جيش أوربى بعمليات حربية فى جنوب فارس منذ حملة الاسكندر الاكبر ، كما أن احتلال خرك فى سنة ١٨٣٨ لم يكشف عن خبره بالظروف التى قد يواجهها أى جيش داخل اراضى فارس . وكان ثمة اقتناع عام بأن العمليات قد تتطلب قوة كبيرة من سلاح الفرسان ، وأن قسما كبيرا من رجال الحملة ، ربما نصفها ، ينبغى أن يتشكل من العناصر الأوربية ، لأن الجندى الهندى لم يثبت أنه ند للجندى الفارسى ، وأخيرا تم الاتفاق على تكوين الحملة من ٥٠٠٠ رجل كقوة تمهيدية للقيام بعمليات عسكرية محدودة .

كانت الأوامر الصادرة من لندن بتاريخ ٢٢ يوليو تحدد العمليات المطلوبة فى احتلال خرك وبوشهر فقط . وعلى حين كانت هذه المهمة ليست شاقة فى ظاهرها ، الا أنها من الوجة العسكرية ، كانت عملية الاحتلال تبدو أكثر صعوبة من عملية احتلال سنة ١٨٣٨ ، عندما كانت الجزيرة من غير تحصينات ، وقبائل الساحل الفارسى كانت فى ثورة ضد

(١) وثائق كلارندون مجلد ٤٩ من بالمرستون الى كلارندون

الحكومة المركزية فى فارس كما أن شيخ بوشهر كان منحازا الى البريطانيين . ففى الأعوام الأخيرة زودت خرك بحامية عسكرية ، كما تم تعزيز وسائل الدفاع عن بوشهر . كذلك أقيم حاجز دفاعى (متراس) على طول مبنى الممثلة السياسية البريطانية ، لا لارغام المقيم البريطانى فحسب ، وإنما لمراقبة رصيف الممثلة على الجانب الشرقى من الشاطئ . وفى شهر سبتمبر من عام ١٨٥٦ أفاد القائد المقيم فلكس جونز من الاسطول الهندى ، بأن سكان بوشهر وغيرها من المناطق الساحلية ساخطون جدا ، مما تسرب من أخبار عن عمليات اعداد الحملة العسكرية فى بومباى . وقد ترتب على ذلك انتشار حالة هوس ضد المسيحيين مما اضطره الى نقل وثائق الممثلة وخزانتها الى احدى الطرادات الراسية فى ميناء بوشهر ، كما رفض أن يسمح لبعض ضباط قومسارية بومباى الذين حضروا الى بوشهر للتفاهم على توفير المؤن للحملة لاكثر من بضع ساعات فى البلدة (١) .

ولعل أسوأ ما يمكن أن تتعرض له الحملة هو طبيعة المنطقة الداخلية من البلاد . فقد كان المسئولون فى الهند مترددين فى المجازفة بالقيام بتلك الحملة ، رغم اعترافها بأهمية تلك العمليات . ولم يكن أى من كاننج أو اللورد الفنستون حاكم بومباى مقتنعين بالرأى السائد فى لندن بأن معاومة الفرس للحملة قد تنهار بعد الاستيلاء على خرك وبوشهر . . لأن الطلسم الذى يعتقد أننا سنحصل عليه من مجرد احتلالنا لخرك

(١) مرفقات للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢٧ خطاب سرى رقم ١٧٨ المؤرخ ١٨٥٦/١/١٧ من جونز الى اندرسون (السكرتير السياسى لحكومة بومباى) ١٨٥٦/٩/٢٩ (رقم ٢٢ الادارة السرية) .

سوف يفقد مفعوله (١) فالطريق من بوشهر الى المنطقة الداخلية من فارس وعرة : بل حتى الطرق الكبيرة الى شيراز تكون غير صالحة للاستخدام أكثر أوقات السنة . وقد أفاد الكابتن جونز الذى كلف باستطلاع المنطقة الساحلية واعداد تقرير عنها رسم صورة كئيبة عن وعورة الطريق التى يتعين على الحملة أن تسلكها . فالاطعمة غير متوفرة بكميات كافية ، ومعظم ما سوف تحتاج اليه الحملة من المون يتعين الحصول عليه من تركيا العربية أو الهند نفسها . وبالمثل ما تحتاج اليه المواشى فلا بد من استيراد العلف لها من الخارج ، كما أن الماء شحيح جدا : فضلا عن أن حرارة الصيف سوف تكون صعبة الاحتمال على الجنود الأوربيين . ومن المحتمل أن يؤدي الشتاء الى افناء القسم الأكبر من رجال الحملة ، ثم أن القرى الواقعة بين بوشهر وتبريز مليئة بأمراض الدوسانتاريا . وحمى الدماغ ورمد العيون ، والأمراض التناسلية أو التهاب الكبد . كما أن وباء الكوليرا لا يفارق المنطقة ، أضف الى ذلك أن بوشهر منطقة غير صالحة على الاطلاق لتوجيه العمليات لعدم وجود مرفأ صالح ، وأن الرحلة من الشاطيء للوصول الى البواخر تكون تحت رحمة الرياح الشمالية . وأن هذه البلدة هى أكثر المناطق ضجيجا على الكرة الأرضية ، على حد رأى طبيب المثلثة :

(١) مرفق للخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٢٤ المؤرخ ١٨٥٦/٤/٢ من الفنستون الى اندرسون ١٨٥٦/٣/٢٤ (رقم ١٥ الادارة الخارجية) انظر كذلك وثائق كلارندون مجلد ٤٨ من الفنستون الى فرنون سمث ١٨٥٦/٧/٢٩ ومرفق لخطاب سمث الى كلارندون ١٨٥٦/٩/٢٠ .

« لا يوجد بها نظام للمجارى سواء تحت الأرض أو خارجها للمساكن والشوارع ، وبالتالي فإن جميع القاذورات التى تخرج من هذه البيوت تترك . أما لتتراكم فى الشوارع أو تتبخر بفعل أشعة الشمس . . ويوجد فى المدينة ما لا يقل عن سبعة أو ثمانية مدافن مفتوحة من جميع الجوانب ، وهذه أيضا تضاعف فى تلويث الجو الى حد كبير . كما لا تتخذ الاحتياطات اللازمة فى هذا الشأن لحفر قبور الموتى بأعماق أكبر ، كما أن الساحل الرملى كان ولايزال مصدرا رهيبا للأوبئة والقاذورات ، فعليه تتراكم كل الأوساخ والقاذورات بحيث تفوح منه رائحة شديدة النتانة .

أما العقبة الرئيسية التى كانت تنتظر الحملة العسكرية فى جنوب فارس فهى الجيش الفارسى . رغم أن تعداد هذا الجيش يقدر بستة وثمانين ألف رجل ، إلا أنه لا يستطيع أن يقذف الى الميدان بأكثر من ٢٠ ألفا من العناصر المدربة التى ينتمى معظمها الى منطقة أذربيجان ، كما ينطبق نفس الشيء على سلاح المدفعية الذى تملكه فارس . وتتكون المدفعية نفسها من ١٢٠ مدفعا عيار ٦ الى ١٢ . أما بقية الأسلحة فهى من نوع رديء ، كما تعاني نقصا فى الذخيرة ، كما أنها ضعيفة فى الاداء . أما النقل العسكرى فيعتمد على البغال والخيول والجمال : فالجيش الفارسى يكاد لا يملك عربة آلية واحدة ، كما لا يملك حتى عربات أو دافعات للمدافع . أما الروح المعنوية للجيش ، باستثناء بعض الفرق التى يتكون منها الحرس الخاص للشاه فتمتدنة جدا . ويتقاضى الفرد فى الجيش الفارسى اسما ٧ توماتان فى العام ومخصصات للخبز تبلغ بنسا واحدا فى اليوم (عمله انجليزى) . ولكن حتى التوماتان السبعة لا يستلم منها الجندى أكثر من تومانيين فى العام والبقية تذهب الى

الضباط عن طريق صراف الجيش . ثم حتى هذا المبلغ يتسلمه على شكل حصص من القمح التالف وعلى دفعات وبأسعار باهظة . وبالتالي فليس من الغرابة فى شىء ان يشغل الجيش الفارسى نفسه فى معاناة الصراع من أجل البقاء . أما النظام فيتم تطبيقه عن طريق الجلد والسجن والاعدام . وليس للجيش الفارسى خدمات طبية على الاطلاق . فالجندى أو الشخص المريض يترك ليموت الا اذا اهتم به بعض زملائه . وباختصار فان الجيش الفارسى اذا استثنينا العناصر الاذربيجانية منه ، فهو جيش عديم التجردى كقوة مقاتلة . ولعل القوة القتالية لفارس تكمن فى الخيالة غير النظاميين ، من القبائل الفارسية المحاربة . وحتى هذه لا تصل الى مستوى فرق الخيالة الاذربيجانية ، وعلى أية حال فقد كان من المشكوك فيه ، ما اذا كان الشاه يستطيع الاعتماد على تأييد القبائل . وكانت أغلبية قبائل البختيارى التى يتألف منها اتحاد القبائل الفارسية ترفض الولاء للشاه ، بينما قبائل الجنوب كانت تعيش فى ظل ثورات مستمرة ضد السلطة الحكومية (١) .

فى أوائل أكتوبر كانت الحملة قد استكملت استعداداتها للعمل فى الخليج . وعلى خلاف الأوامر التى اصدرها القائد العام لقوات بومباى فان حكومة الهند عارضت اشراك قوة الفرسان الأوربية . وقد وصل عدد أفراد الحملة فى شكلها النهائى ٥٧٢٠ رجلاً يمثلون القوات والأسلحة الآتية :

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة الى الحاكم العام ١٩/١٠/١٨٥٥ (رقم ١٦٢٦٥) ومرفق صورة من رسالة مورى الى كلارندون ١٨/٨/١٨٥٥ (رقم ٤٦ سرى) .

١ - المشاة - الفرقة ٦٤ والفرقة الثانية للشركة ، وقوة المشاة الأوربية الخفيفة ، والفرقة الرابعة والفرقة العشرون ، قوة المشاة المحلية لمنطقة بومباي ، وفصيلة البلوش الثانية .

٢ - الخيالة - فصيلتان من كتيبة الفرسان الثانية الخفيفة لمنطقة بومباي ومجموعتان من خيالة بونا غير النظامية .

٣ - المدفعية - مجموعتان من سلاح المدفعية الراكبة وبطارتين من مدفعية المشاة مع بعض الاحتياطي .

٤ - فيلقان من مهندسي الالغام (١) .

أما وسائل نقل الحملة فقد قام القائد العام للأسطول الهندي بتوفيرها . وكانت تتألف من ثماني سفن حربية وسفینتين شراعيتين من البحرية وباخرتين وثلاثين سفينة شراعية تم تأجيرها . وقد عين الماجور جنرال اف . ستوكر من قوات بومباي قائدا للحملة ، وزود بكل المعلومات التي أمكن الحصول عليها من الخليج وجنوب فارس وبعد ذلك غدا كل شيء معلقا على قرار يصدر من لندن .

في ٧ سبتمبر وصل رد الصدر الأعظم على انذار كلارندون المؤرخ ١١ يوليو الى استراتفورد رد كليف في القسطنطينية ، وقد تم ابراقه الى

(١) خطابات بومباي السرية مجلد ٣٢ رقم (١) من حاكم بومباي الى وزارة الخارجية محضر كاننج ١٨٥٦/٩/٢٢ ومرفق بخطاب كارك الي هيوند ١٨٥٦/١١/١١ .

لندن في نفس اليوم . ولكن ميرزا آغا خان على ما يبدو لم يهتم بانذار وزير الخارجية . فقد ذكر في رده بأن الشاه قد عين سفيراً جديداً في فرنسا ، وأنه سوف يسافر الى مقر عمله عما قريب ويفرج على القسطنطينية حيث سيجري مشاورات حول موضوع الحيرة الشائك يحذافيره (١) وفي نفس اليوم ألح بالمرستون بامتياز لكلاوندون بأنه ليس هناك شيء جديد يمكن أن يأتينا من فارس غير المزيد من الاهانات ، فقد كان الصدر الأعظم على يقين من أن التهديد البريطاني لن ينفذ أما بالنسبة لالمرستون فإنه لم يجد أى صعوبة في معرفة أسباب تلك الثقة ، لأن تأييد الروس له في نزاعه مع البريطانيين كان أمراً مفروغاً منه ، وعلى الأخص في تلك المرحلة ، التي أوشكت فيها حرب القرم أن تضم أوزارها ، غير أن الفرس لم يعتمدوا على الروس وحدهم ، فقد كانت هناك فرنسا التي تعتبر حليفاً قوياً لهم ، ولهذا أخذ ميرزا آغا خان يتملق المسيو بوري القائم بالأعمال الفرنسي في طهران ويقدم إليه الهدايا . كما كانت الاتصالات والمراسلات مستمرة بين وزارة خارجية فارس والموضيه الفرنسية . وقد منح القائم بالأعمال الفرنسي السياه وسام الشرف الفرنسي ، وقد منحه الشاه رداً على ذلك وسام الأسد والشمس الفارسيين . وقد اشترك أحد المهندسين الفرنسيين في عمليات الحضار على الحيرة ، كما نعلم الشاه ضرورة له مرسعة بأحجار الماش الى سفيرة الجديد في فرنسا فاروخ خان لتقديمها هدية الى وزير خارجية

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة التي الحاكم العام ٩/١٠ و ٤/١٠/١٨٥٦ (١٦٥٦ و ١٦٦٥) ومرفق به صورة من خطاب ستراتفورد الى كلاوندون ٩/٧ وخطاب من الصدر الأعظم الى كلاوندون ١٤ ذى الحجة ١٢٧٢ - ١٨٥٦/٨/١٧ .

فرنسا . ومن ظاهر الأمور كان الصدر الأعظم يأمل أن تقوم فرنسا بحسواء منفردة أو بالاشتراك مع روسيا بمنع بريطانيا من شن الحرب على فارس (١) .

وطبيعي إلا يستسيغ بالمرستون تودد الشاه الى فرنسا ، فقد كان مبصرا على الا يسمح لفرنسا وروسيا ان يكونا الحكم في النزاع البريطاني الفارسي . كما لم يكن يرضى ان يستقبل الصدر الأعظم الانذار البريطاني بتلك اللامبالاة . وفي الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر طلب بالمرستون الى فرنون سميت عضو مجلس الهند ارسال التعليمات الى الهند بشأن إبحار الحملة العسكرية . غير أن سميت الذي كان معروفا بأنه من أنصار الخط المتشدد تجاه فارس أخذ الآن يعيد النظر في موضوع اللجوء الى القوة في حسم الخلاف . فربما كان هناك بعض الصواب فيما ذكره المفاوضون الفرنسيون في اجتماعات القسطنطينية ، من أن الغرض من الحملة العسكرية الفارسية الى حيرة كان منع دوست محمد من الاستيلاء عليها ، إذ لم يكن من المحتمل ، كما ذكر فرنون لكلاوندون أن تشن فارس حربا على أساس أن تخف روسيا لمساعدتها (٢) كما لم تكن الأوساط المستولة في الهند متحمسة لفكرة الحملة

(١) للاطلاع على نشاط الفرنسيين في طهران فيما بين يناير ويوليو ١٨٥٦ انظر تقارير ستيفنز من طهران ، خصوصا تقريره رقم ٣١ المؤرخ ٥/٢١ وذلك في « فارس والخليج » مجلد ١١١ وخطاب من هوري الى كلاوندون بغداد ١٨٥٦/٦/٢١ (رقم ٥٧) بنفس المجلد .

(٢) وثائق كلاوندون مجلد ٤٨ من سميت الى كلاوندون . ١٨٥٦/٩/١٠ .

من كاننج الى سميت ١٨٥٦/٨/٨ .

العسكرية كما قال . وكان كانبج قد بعث برسالة اليه في الشهر السابق يقول فيها : « ابني الشهير بالاشمئزاز أكثر من أي وقت مضى مميا قد تتمخض عنه مثل هذه الحملة المشؤمة » كما أعاد الحاكم العام التحذيرات التي سبق أن أعرب عنها عن شكوكه في عمليات احتلال الساحل الفارسي ك محاولة لإرغام الشاه على الخضوع ، ولهذا فقد أوضح سميث لكларندون بأنه قبل اتخاذ الإجراءات النهائية في أمر هذه الحملة ، فهو يود أن يعرف رأي مجلس الوزراء حول هذه العمليات .

غير أن بالمرستون أصم أذنيه من تحذيرات سميث . فبالنسبة لهذا الموضوع فقد كان يعتقد بأن مجلس الوزراء قد اتخذ قراره النهائي في شهر يوليو ، وحتى إذا سلمنا بصواب آراء سميث ، رغم عدم اعتراف بالمرستون بهذا ، فقد كانت هناك مسائل كثيرة لا يزال الخلاف قائما حولها بين الدولتين . كما كان هناك موضوع رد الاعتبار من جانب الشاه عن الاهانات التي تعرضت لها الحكومة البريطانية على امتداد السنوات السابقة (١) ورغم اصرار بالمرستون على موقفه فقد ظل سميث يشكك في صواب القيام بعمليات عسكرية ضد فارس ، وفي فاعلية العمليات العسكرية على سواحل فارس . وقد استشهد تعزيزاً لرأيه بأراء هنري رولنسون ، الذي أعلن بأنه لا يعتقد أن احتلال جزيرة خرك في عام ١٨٣٨ ، على أثر الهجوم الفارسي السابق على الحيرة ، قد لعب دوراً كبيراً في حمل الفرس

(١) وثائق كларندون مجلد ٥٠ من بالمرستون الى كларندون

على التراجع (١) ولكن بالمرستون لم يغير رأى رولنسون أى اهتمام ، « ولكى
أكون صادقا فاننى أشكك فى الكثير مما قاله رولنسون » الذى كانت له عندما
طالب باختلال خرك أسباب أخرى غير أرغام الفرس على الانسحاب منها ،
فهذه الجزيرة قد تصبح لها أهميتها بالنسبة اليها فيما لو تغير طريق
المواصلات من مصر الى آسيا الصغرى (٢) .

عقد مجلس الوزراء جلسة فى الاسبوع الأخير من سبتمبر ليصدر
قراراته حول السلام أو الحرب مع فارس . والذى جرى من نقاش فى
المجلس غير معروف ، ولكنه اتضح ، أنه على الرغم من أن بالمرستون
وكلارندون قد نجحوا فى موقفهم ، فانهما لم يستطيعا اقناع المجلس بذلك .
وفى اليوم السادس والعشرين من سبتمبر صدرت الأوامر الى كاتنج بتسيير
الحملة الى الخليج ، بينما أوعز الى كل من القنصل البريطانى فى طهران
وتبريز بمغادرة فارس على وجه السرعة (٣) .

(١) أعلن رولنسون عن رأيه هذا فى مقال نشره فى مجلة كلكتا ريفيو
سنة ١٨٤٩ زاجع إنجلترا وروسيا فى الشرق ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) وثائق كلارندون مجلد ٥٠ من بالمرستون الى كلارندون
١٨٥٦/١٢/٢١ وكذلك نفس المجلد من بالمرستون الى كلارندون
١٨٥٦/٩/٢٠ ومجلد ٦٩ من بالمرستون الى كلارندون ١٨٥٧/١/٧ .

(٣) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة
الى الحاكم العام ١٨٥٦/٩/٢٦ (١٦٦٠) ومرفق معه نسخة من تعليمات
كلارندون الى القنصلية البريطانية .

وفى تصورى أن فرنون سميث قد إنبرى يومئذ ليكتب بحجة

« إن هذه القضية هي أهم القضايا ، وقد كنا نفضل أن يتخذ المجلس قراره فيها بالاجتماع . إن بعض الزملاء حسب علمى يعارضون التدخل ، كما أن عددا كبيرا من أعضاء مجلس الإدارة للشركة ، ومنهم على معرفة وثيقة بشئون فارس يعارضون أيضا .

إن كلتا الفئتين فى يد جلاستون وشركاه ، ويمكن أن يثيرا الاضطرابات فى المجلس . اننى انصور - كما قلت أنت فى مناسبة توجيه الانذار الى الوزير الفارسى ، بأن حكومة صاحبة الجلالة قد أجرت التحريات عما إذا كان المجلس قد صادق بكافة أعضائه ووافق على الانذار لأنه انذار يتعلق بالحرب ، وبأن الملكة قد أخطرت بتلك الخطوة ، وأرجو الا تتصور اننى سافرت كل هذه المسافة من منطقتى لاقتراح انه يجب اطلاع فرنسا على هذه الخطوة . . وانى لأجد لفسى مضطرا الى الكشف عن هذه القضايا بصراحة لأن رئيس مجلس الهند هو السلطة الوحيدة التى يمكنها مساءلة وزير الخارجية حول استخدام موارد الهند ، من اجل أى خطوة تملئها عليه سياسته ، دون ابلاغ البرلمان بذلك ، كما حدث فى مناسبات اخرى ، وأن هذا الاستثناء فى دستورنا كان ولا يزال يستخدم بنجاح ضدنا فى مجلس العموم » .

فى يوم ٢٩ يوليو أوقف البرلمان أعماله ، ولم يحدث منذ ذلك الوقت أن أثير موضوع الخلاف مع فارس مرة أخرى بسواء فى مجلس العموم و فى البرلمان ، وكان بالمرستون وكلاوندون حريصين على حسم هذه المشكلة

يل اجتماع البرلمان (۱). وقد انعكس هذا الحرص في قرارهما بعدم اصدار تصريح بالحرب ، لان مثل هذا كان يستدعى اجتماع البرلمان . وقد اكتفى بإبلاغ الحكومة الفارسية بتحريك الحملة العسكرية من الهند في رسالة بعثت بها كلارندون الى الصدر الأعظم بتاريخ ۱۰ أكتوبر (۲) ولقد أثار حذف الفقرة الخاصة باعلان الحرب في التعليمات التي أرسلت يوم ۲۶ سبتمبر قلق الفنستون عند تسلمها في يوم ۲۵ أكتوبر ، وقد أبرق في اليوم نفسه الى كاننج يطلب منه اصدار بيان باعلان الحرب بحيث يتسنى للسفن الفارسية مغادرة موانئ الهند البريطانية واعطاء ضمانات للرعايا الفرس المقيمين في الهند بالأمان (۳) وقد وافق كاننج على الاقتراح ، وفي اليوم الاول من نوفمبر أصدر بياناً باعلان حالة الحرب كرد على هجوم الفرس على الحيرة وانتهاك معاهدة يناير ۱۸۵۳ غير أن هذا الاجراء من جانب الحكام العثمانيين قد دغا المجلس الى اعادة النظر في صواب اعلان الحرب ، وفي أوائل شهر ديسمبر اجريت تحقيقات في وزارة الخارجية بشأن الاجراء الذي اتخذ في عام ۱۸۳۸ عند احتلال جزيرة خزك . وبعد مراجعة سجلات المجلس تبين أنه لم يصدر أي اعلان بالحرب في تلك المناسبة . وكنتيجة لذلك ، وبالنظر الى ان الحملة

(۱) على سبيل المثال يمكن الاطلاع على وثائق كلارندون مجلد ۵. من المرستون التي كلارندون ۱۸۵۶/۱۰/۲۶ .

(۲) مجموعة المجلس - من التقارير السرية الى الهند مجلد ۲۱ مسبوقة الى الحاكم العام ۱۸۵۶/۱۰/۱۰ (رقم ۸۳ الادارة السرية)

(۳) من سجلات الرسائل السرية لبومباي مسبوقة رقم ۳۲ (۱) من حاكم بومباي الى اللجنة السرية ۱۸۵۶/۱۱/۳ (رقم ۸۳ الادارة السرية) .

كانت فى طريقها الى وجهتها فى ذلك الوقت ، ونظرا لما اتخذنا من اعتراضات على اصدار اعلان بالحرب لأسباب ترجع الى الظروف الداخلية ، فقد تقرر أن نترك الأمور على ما هى عليه .

سافرت الحملة العسكرية الى فارس فى الأسبوع الثانى من نوفمبر ١٨٥٦ وقد تحركت الحملة التى تتألف من ٤٥ سفينة فى أربع مجموعات اعتبارا من اليوم الثامن من نوفمبر ، وكان خروجها من ٤ موانئ كراتشى وفتنجويلا ويوريندر وبومباى . وكانت المجموعة الأخيرة بقيادة الزيرادميرال السير هنرى ليك القائد الأعلى للأسطول الهندى ، تحمّل القسم الأكبر من القوات المشتركة . أما يوم ١٦ نوفمبر فقد غادر القائد جونز المقيم البريطانى وأعضاء المثلثية فى بوشهر . وقد تم اختيار بندر عباس مكانا لتجمع أفراد الحملة . وبنهاية الشهر كان الأسطول كله قد تجمع فيها . وكانت التعليمات التى يحملها ستوكى هى الاستيلاء على جزيرة خرك وبوشهر وتحويل المنطقة الأخيرة الى قاعدة للقيام بعمليات عسكرية فى داخلية فارس . وقد تم احتلال خرك فى اليوم الرابع من ديسمبر دون مقاومة لأن الحامية الفارسية قد أخلتها من قبل . وفى اليوم السادس من ديسمبر القى الأسطول مراسيه فى خورهليلة ، على بعد عشرة أميال جنوب بوشهر . وكانت خطة القائد ستوكر التى وضعت وفقا لتوصيات جونز والمقيم البريطانى السابق الكولونيل كامبل ، هى أن يتم الانزال فى قلب شبه الجزيرة التى تطل عليها بوشهر والتقدم منها نحو البلدة . وعلى امتداد الطريق الى البلدة أقيمت سلسلة من التحصينات التى أنشأتها الحامية العسكرية فى بوشهر ، والتى تحولت حتى ذلك الوقت الى مستوى الجيش البصير بعد أن تم تعزيزها بالجند النظاميين وبالمئات من رجال قبائل تنجستان بقيادة باقرخان . أما خط الدفاع عن

البلدة عبر شبه الجزيرة فيمتد خلال خندق متهدم يبدأ من الخور حتى ساحل ديشبار ، التي تبعد نحو خمسة أميال من بوشهر حيث توجد القناص قلعة هولندية قديمة حولت الى معقل .

وفي نهار يوم ٧ ديسمبر بدأ انزال الجنود من سفن النقل التابعة للأسطول في خور هليله واستمر الانزال طوال اليوم واليوم التالي . اما الزحف الى منطقة ريشاير فقد بدأ في الصباح المبكر من يوم ٩ ديسمبر حيث أخذت السفن الحربية تتسابق مع الجنود وهم ينتقلون الى الشاطئ . وكان الحصن يضم من ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ جندي ورجل قبيلة ، وكان هذا الحصن يرتفع نحو ٣٠ الى ٣٥ قدما من الخندق الذي حفر امامه . وقد تولى الأسطول قصف الحصن مما أرغم نصف رجال الحامية الى مغادرته ، ولم يبق به غير رجال باقرخان ، وقد قام جزء من القوات يتكون من الوحدة الثالثة ، وفصيلة بومباي العشرين (جندرمه) وفصيلة البلوش الثانية والكتيبة ٦٤ والكتيبة الاوربية الثانية ولواء مشاة بومباي بهجوم مركز على ريشاير ادى الى اجتلالها ولكن بثمن باهظ ، فقد قتل كل من قائدى لواء المشاة والفرسان ، كما جرح عدد كبير من ضباط الحملة . وقد انسحبت بقايا الحامية الى المتاريس الممتدة على طول الخندق حيث كان يتحصن رجال الجيش الفارسى . وفي الوقت نفسه طبقت البوارج على البلدة من جنوبها ، وأخذت تفتح النار على بطاريات الفرس من البحر والبر . وكان الفرس يردون على نيران البريطانيين بمتتهى الحماس . ولكن الفرس بعد أن حوصروا من جميع الجهات أخذوا في الانسحاب الى خطوط دفاع جديدة كانوا قد اعدوها من قبل وتقع على الناحية الشرقية على امتداد شبه الجزيرة في اتجاه المنطقة الداخلية . وعلى اى حال فقد تمكنت وحدة الفرسان الخفيفة التابعة لبومباي

وخيالة يونا من قتل أعداد كبيرة منهم ، أما الذين أفلتوا فقد تمكنوا من ذلك عن طريق الخور الذي يفصل منطقة بوشهر عن الأرض الأصلية لفارس ، وورفع ذلك اليوم فرق حاكم بوشهر العلم الفارسي تمييزاً عن الاستسلام ، ثم تقدمت بعد ذلك القوات البريطانية والهندية لدخول البلدة (١) .

حتى الوقت الذي غادرت فيه الحملة لم تصل أية إشارة من لثنان عن العمليات المطلوب القيام بها بعد احتلال بوشهر ، وكان بالمستون حتى تلك اللحظة يعتقد بأن احتلال خرك وبوشهر سوف يدفع الفرس الى الانسحاب من الحيرة غير ان الآخرين لم يكونا يشاطرانه تفاؤله هذا . فقد كان كاتنج لا يزال ممتعضاً من الحملة . وكان يرى أن الشاه لن يخضع الا بالزحف الى عمق البلاد ، وأن تحقيق هذا الأمر ، كما سبق أن ذكر لفرنون سميث في بداية نوفمبر ، لا يمكن تحقيقه الا باشتراك جنود أوربيين ، لم يكن من الممكن توفيرهم من الهند ، أما الفنستون في بومباي فرغم أنه لم يكن متحمساً للحرب ، كان يميل الى القيام بجملة أوسع ، وقبل مغادرة القائد ستوكر بالجملة أوعز اليه بالتأكد من امكانية القيام بزحف عن طريق المخمرة ، ونهر قارون وشيستر كما أدلى صمويل هانيل الذي كان قد أجيل الى المعاش في شيلتنهام برأيه في الموضوع في شهر اكتوبر رداً على استفسار وجه اليه من كلارندون ، انه في الوقت الذي كان الاستيلاء على خرك في عام ١٨٣٨ عاملاً

(١) مرفق للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٢٧ مرفق للخطاب السري رقم ١١٠ الأورخ ١٨٥٦/١٢/٣١ من ستوكر الى ادجوتانت جنرال ، بومباي ١٨٥٦/١٢/١٢ ، ومن ليك الى الفنستون ١٨٥٦/١٢/١٠ ومن جونغز الى اندرسون ١٨٥٦/١٢/١٣ ، والجميع مع المرفقات .

حاسما في ارفع الفرس على الانسحاب من الحيرة في تلك الفترة ، فان هذا الاجراء وحده لا يخطر على بال احد ان يؤدي الى نفس النتائج في هذه المناسبة . وافاد بأنه اذا كان لابد من القيام بعمليات طويلة الأجل ، كما كان يتصور هانيل ، فانها لا يمكن ان تبشر من بوشهر ، وبالتأكيد ليس عن طريق شيراز ، لوعورة الطرق في هذه المناطق ، ومناعة الممرات ، كما أن المناخ هناك يشكل خطورة على حياة الجنود الاوربيين . وبالتالي فان افضل طريق لمثل هذه الحملة في رايه تقع عبر المحمرة وخورستان . وكان هذا نفس رأى الماجور جنرال السير وليم الذي عمل في اجنة تخطيط الحدود الفارسية - التركية ، والذي قاد عملية كازس خلال حرب القرم ، ولم يكن هذا القائد واثقا من ان الحملة اذا سلكت طريق الأهواز وتستر سوف تؤلب اغلبية قبائل خورستان ولورستان ضد الشاه فحسب ، وانما كان يعتقد بان احتلال المحمرة احتلالا دائما سوف يوتي بأحسن النتائج .

كان مجلس الوزراء لا يزال منعقدا لمناقشة موضوع توسيع العمليات العسكرية في فارس وفي نهاية اكتوبر عندما وصلت اشارة تلغرافية من استراتفوردي تفيد بأن فاروق خان سفير فارس في فرنسا قد وصل الى القسطنطينية قادما من شيراز ، وأنه قد أعرب عن رغبته في الوصول الى حل معنا على اساس انسحاب فارس من الحيرة . وكان هذا الخبر بالنسبة الى المرستون الذي تصور بأن مجرد التهديد باحتلال خرك وبوشهر كافيا لاعادة الشاه الى صوابه . وفي الحال أوعز بالمرستون الى كلارندون بأعداد قائمة بالشروط التي يراها ضرورية لاستئناف العلاقات مع حكومة فارس ، وكان الشرط الاساسي فيها هو : سحب القوات الفارسية من الحيرة مع دفع تعويضات عن أي اضرار ترتبت على ذلك الهجوم . وبعد ذلك يتعين على فارس

بأن تتعهد بموجب اتفاق رسمي بالتنازل عن أى مطالب لها في الجيرة ،
أو أى منطقة أخرى مع أفغانستان ؛ وبالإعتراف باستقلال الولايات
الأفغانية ، والامتناع عن التدخل في شؤونها ، وبالموافقة على إحالة أى خلاف
بيننا مع تلك الولايات الى الوسايط البريطانية . واعتقادا من أن الإنزال
البريطاني في جنوب فارس ، وقد اضعف موقف الشاه ، فقد اُضيف
بالمستون شريطين رئيسيين آخرين لاستئناف العلاقات ، الأول : هو إبرام
اتفاقية تجارية جديدة بدلا من اتفاقية ١٨٤١ ، تمنح الحكومة البريطانية
حقوقا متساوية مع روسيا ، فيما يختص بتعيين القناصل . أما الشرط
الثاني فهو اقالة الصلبر الأعظم من منصبه كدليل على اعتذار الحكومة
الفارسية لما حدث وتعبيرا عن حسن نية الفرس فيما يمس مستقبل
العلاقات مع بريطانيا . كذلك طالب بالمستون بتجديد ايجار بندر عباس
الى سلطان مسقط بشروط معقولة ، ودفع جميع الديون المستحقة للرعايا
البريطانيين المثلين في فارس فورا ، واعداد الترتيبات اللازمة لتقديم
مزايا استقبال الرسمية للبعثة البريطانية عند عودتها الى طهران ، وهو
ما تم الاتفاق عليه في يونيو الماضي ، واخيرا بقطع الطريق على السفير الفارسي
في المراوغة ، ثم الاعاز الي ستراتفورد بأن يوضح للشاه بان أى محاولة
لتأخير تنفيذ تلك المطالب أو تعطيلها ، قد يؤدي الى فرض شروط أكثر
قسوة ، كازغام فارس على دفع نفقات وتكاليف الحملة العسكرية كلها .

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ منشورة
الى الحاكم العام ١٨٥٦/١١/٣ (رقم ١٦٧٧) . ومرفق به صورة من خطين
كلارندون الى ستراتفورد ١٨٥٦/١١/٢٧ .

تم إبراز هذه الشروط الى ستراتفورد يوم ٢٧ أكتوبر ، وانقضت ثلاثة اسابيع دون وصول رد من ستراتفورد بشأنها ، وفي منتصفه شهر نوفمبر وصلت أخبار الى لندن عن سقوط الحيزة في أيدي القوات الفارسية يوم ٢٦ أكتوبر ، وكان انطباع بالمرستون هو ان سكوت ستراتفورد انما يعود الى محاولة فاروق خان استغلال النجاش الذي حققه للشاه لكن يرفض المطالب البريطانية . واذا افترضنا ان تصوره كان صحيحا ، فان حكومة فارس لو تفاوضت على هذا الأساس فانها ستكون على حسابها ، وفي يوم ١٩ نوفمبر تم الابعاز الى الماجور جنرال السير جيمس أوثرام من ضباط الجيش الهندي ، الذي كن في تلك اللحظة على وشك مغادرة إنجلترا لتسلم قيادة الحملة العسكرية بدلا من ستوكر ، بأنه سوف يزود بصلاحيات مطلقة للتفاوض مع الفرس . وانه سوف يتم الابعاز الى ستراتفورد بقطع مفاوضاته في القسطنطينية ، ويؤمئد كتب كلارندون يقول « . . . انه في حالة التعامل مع انسان مثل الفرس فان تركيز الصلاحيات في شخص واحد امر ضروري ومفهوم ، وسياسة التخويف هي العامل الوحيد للتأثير على الفرس ، لأن أسلوبهم هو التسوية والمباظة (١) . فاذا وجد أوثرام عند وصوله الى بوشهر بان الشاه لا يزال يرفض الانسحاب ، فيتعين عليه ان يقوم بنقل غالبية قوات الحملة العسكرية الى شط العرب واحتلال المحمرة ، والتقدم عبر نهر قارون الى شستر ليهدد أصفهان (٢) .

(١) وثائق كلارندون « مجلد ١٣٧ » من كلارندون الى موري

١٨٥٦/١١/٢١ .

(٢) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودات

الى أوثرام ١٨٥٦/١١/١٩ (رقم ١٦٨٦) والى الحاكم العام ١٨٥٦/١١/٢٦

(رقم ١٦٨٩) .

فى يوم ٢٠ نوفمبر أبحر أوترايم ، وفى يوم ٢١ ابرق ستراتفوردي يقول :
بأن فاروق خان أصبح مستعدا لإلزام حكومته بالجللاء عن الحيرة على
الغور (١) وعلى أى حال فلم يكن سكوت ستراتفوردي يعود الى مراوغات فاروق
خان ، وإنما يعود أولا الى مرض السفير الفارسى ، وثانيا لى تردده فيما إذا
كان يتمتع بالصلاحيات التى تخوله الموافقة على شروط ٢٨ أكتوبر . وربما
كان ينطبق هذا أكثر على طلب اقالة الصدر الأعظم ، إذ أنه لم يكن من المعقول
أن يوافق على اقالة الشخص الذى عينه فى ذلك المنصب . وعند مواجهة
ستراتفوردي له ذكر فاروق خان بأنه يستطيع أن يتعهد له بموضوع الجللاء
عن الحيرة ، واعداد استقبال رسمى مناسب للبعثة البريطانية عند عودتها
الى طهران . أما فيما يتعلق بالنقاط الأخرى ، وعلى الأخص ما يتصل
منها بالاتفاقية التجارية المقترحة فقد كان يتعين عليه أن يعرض الأمر على
طهران للحصول على تعليماتها فى هذا الشأن . وان ذلك سوف يستغرق
نحو أربعين يوما حتى يصل الرد . وقد رد عليه ستراتفوردي بأنه سوف
يقترح على كلارندون بالموافقة على المهلة المطلوبة .

ما ان وعد ستراتفوردي بذلك حتى اعتري موقف فاروق خان تغيير .
فعندما طلب ستراتفوردي من فاروق خان بأن يقدم تمهدا مكتوبا بالجللاء عن
الحيرة ، حتى سرد عددا من الأسباب التى تمنعه من ذلك ، وعندما فند
ستراتفوردي له ذكر فاروق خان بأنه يستطيع أن يتعهد له بموضوع الجللاء الذى
سبق أن اتخذه مالكوم خان فى يونيو الماضى، وهو أن الانسحاب من الحيرة لا يمكن

(١) نفس المصدر مسودة الى الحياكم العام ١١/٢٦/١٨٥٦ (رة
١٦٩٢) ومرفق به صورة خطاب من ستراتفوردي الى كلارندون
٠ ١٨٥٦/١١/٢١

مناقشته الا بعد عودة البعثة البريطانية الى طهران، ومن الغريب أن ستراتفورد قبل هذه الحجة، فقد كان ستراتفورد قد كون انطبعا طيبا عن فاروق خان (« يبدو أنه مخلص في موقفه، وأنه يتصرف بطريقة رتتم عن الكندوق والأتران وحسن الطباع... ») وبأنه سوف يجاريه . ولكن فاروق خان استغل مرونة ستراتفورد . ففي يوم ٢٧ نوفمبر طلب من ستراتفورد بأن يقدم اليه قائمة مكتوبة بالمطالب البريطانية . وفي يوم ٧ ديسمبر ابلغ ستراتفورد بأنه لا يرى ضرورة إلى احوالة للمطالب البريطانية الى طهران لاخذ تعليماتها، ثم بعد انقضاء خمسة أيام عاد فأخبر ستراتفورد بأنه لن يرسل تلك المطالب الى حكومته بما لم يحصل على تعهد قاطع من البريطانيين بأن الحملة العسكرية الموجية من الهند لن تنزل في فارس، وبأن التهديدات باتخاذ اجراءات أكثر شدة سوف يتم الغاؤها .

ان عودة التصلب الى موقف فاروق خان انما يعود الى وصول الميسيو يورى السفير الفرنسى في طهران الى القسطنطينية . ومنذ ساعة وصوله كان السفير على اتصال دائم بفاروق خان ، ولم يكن ثمة شك في أن السفير الفرنسى قد حرض فاروق خان بالتوجه الى فرنسا ، لعرض موضوع الخلافات الانجليزية الفارسية على نابليون الثالث . كما ترددت اشاعة في القسطنطينية بأنه قد تم الاتفاق بين فارس وروسيا على أن تقوم القوات الروسية باحتلال استرabad وساحل بحر قزوين المحاذى لها ، اذا ما نزلت القوات البريطانية في جنوب فارس (١) .

(١) وناثق كلارنون مجلد ١٣٧ من كلارندون الى اللورد وود هويس.

(سفير بريطانيا في روسيا) ١٨٥٦/١٢/١٧ .

حتى الآن كان الروس لا يظهرون اهتماما سافرا في النزاع البريطاني الفارسي . وكان الامير جورتاكون وزير خارجية روسيا قد ذكر للسفير البريطاني في سانت بطرسبرج بأنه ينوي الإيعاز الى القائم بالأعمال الروسي في طهران بتقديم نصيحته الى الشاه برفع الحصار عن الحيرة أولا ثم زولا على طلب بريطانيا (١) وقد بر جورتاكون بوعده الى حد أن قام القائم بالأعمال الروسي بتحذير الشاه والصدر الأعظم لاحقا من الاخطار التي قد تتعرض لها فارس باصرارها على احتلال الحيرة . وقد أجاب كل من الشاه ورئيس وزرائه بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنسحب فارس من الحيرة ، ما لم تتعهد الحكومة البريطانية بعدم السماح لدوست محمد بتوسيع نفوذه الى الغرب ، وبأن تعاد قندهار الى حكمها السابقين (٢) أما بالمرستون فلم يكن يميل الى تصديق الاشاعات عن التفاهم الفارسي الروسي . وكان يتصور بأنه لو كان هناك شيء من هذا ، فربما كان من بقايا حرب القرم (٣) وقد سأل كلارندون الكونت كرتوفيتش السفير الروسي في لندن عن هذا الخبر يوم ١٦ ديسمبر ، ولكن كرتوفيتش أخبره بأن الاشاعة كاذبة وقد

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة الى الحاكم العام ١٨٥٦/١٠/٢٣ (رقم ١٦٧٣) ومرفق به صورة من رسالة وود هاوس الى كلارندون ١٨٥٦/١٠/١٠ (رقم ١٩٩) .

(٢) مرفق للخطابات السرية لبومباي مجلد ١٢٧ مرفق للخطاب السري رقم ١٠٨ المؤرخ ١٨٥٦/١٢/٣١ من سيفنز الى وزير خارجية حكومة الهند ، طهران ١٨٥٦/١٠/٢١ .

(٣) وثائق كلارندون مجلد ٥ مذكره من بالمرستون ١٨٥٦/١٢/١٢ .

اختلفتها الحكومة الفارسية لاغراض الدعاية . أما اسباب تشدد فارس
فيمكن للحكومة البريطانية ان تبحث عنها هنا في اوريا وعلى اى حال فان نفى
السفير واتهامه لفرنسا بأنها هي وراء الاكاذيب التى يرددتها الشاه ، وقد
انكشف ذلك عندما التقى السفير في آخر الشهر بوود هاوس وذكر بأنه فى
الوقت الذى كان يعتبر المطالب البريطانية بشأن انسحاب الفرس من الحيرة
وتعويض سكانها ، واعداد استقبال رسمى لائق للبعثة البريطانية اذا ما عادت
الى بوشهر مطالب معقولة ، الا أنه لم يكن يقر الشروط البريطانية الأخرى،
وعلى الأخص فيما يتعلق باقالة الصدر الأعظم . وقد اراد ان يعطى انطباعا
بأنه كان يفكر فى مطالبة الشاه برفضها (١) .

فى هذه الفترة لم يكن ثمة احتمال فى اقناع بالمرستون بصرف النظر
عن المطالب الخاص باقالة ميرزا أغا خان . فقد أصبح بالمرستون يكره رئيس
الوزراء الفارسى بنفس الدرجة التى كان يكره بها محمد على باشا قبيل
١٧ عاما ، وذلك بسبب الاحتكاك والنفقات والاحراج الذى كان يسببه هذا
الرجل من ناحية ، ثم بسبب عدوانه على الحيرة ، الامر الذى يعرض
افغانستان ، على حد اعتقاد بالمرستون ، للتغلغل الروسى فى النهاية . وفى
اجتماع مجلس الوزراء يوم ١٢ ديسمبر اصر بالمرستون على الاحتفاظ بهذا
الشرط ، رغم نصيحة ستراتفورد بأنه العقبة الرئيسية فى الوصول الى

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة
الى الحاكم العام ١٢/٢٦ / (رقم ١٦٩٧) ومرفق منه صورة من رسالة
ويود هاوس الى كلارندون .

التسوية ، ورغم اعتراضات فرنون سميث بأن ذلك الشرط لم يجد شيئاً (١) .
فى اليوم السادس عشر من ديسمبر تم الاعاز الى ستراتفورد بابلاغ فاروق
خان بأن المطالب لانزال كما هى ، وأن المطلوب هو ابلاغها الى الحكومة . كما
تم ابلاغ ستراتفورد بعد ذلك بأيام قليلة ، بأن يوحى أمام الآخرين وعلى
الأخص الروس والفرنسيين بأن البريطانيين مستعدون للتفاهم ، مهما
كان سلوك فاروق خان غير محتمل . ولم تسنح الفرصة لستراتفورد بتنفيذ
هذه التعليمات . ففي يوم ٢١ ديسمبر علم فاروق خان لأول مرة باعلان
الحاكم العام الحرب على فارس ، وبخروج الحملة الى وجهتها . وبالتالي
فقد أخبر ستراتفورد فى اليوم نفسه عن انهاء المفاوضات واعتبار كافة
التزاماته السابقة ملغاة (٢) .

لقد سادت جبهة الحرب الفارسية فترة من الهدوء ، اى بعد فشل
المفاوضات فى القسطنطينية ، واستمر حتى اوائل فبراير سنة ١٨٥٧ .
اما على الصعيد السياسى فقد كان من المتعذر تحقيق أى شىء قبل وصول

(١) اننى أشك كما كنت دائماً فى جدوى الاصرار على هذه السياسة .
انها لن تفيدنا بشىء فى آسيا كما أنها ستكون موضع تساؤل فى انجلترا
« وثائق كلارندون » مجلد ٤٨ من سميث الى كلارندون ١٨/١٢/١٨٥٦ .
اما عن اجتماع مجلس الوزراء فيمكن الرجوع الى مجلد ٥٠ مذكرة
بالمرستون ١٢/١٢/١٨٥٦ .

(٢) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة
الى الحاكم العام ١٨٥٦/١٢/٢٦ (١٦٩٧) ومرفق به صورة من رسالة
كلارندون الى ستراتفورد ١٦ ، ١٩ ديسمبر ومن ستراتفورد الى كلارندون
١٨٥٦/١٢/٢٤ .

فاروق خان الى باريس وقيامه بخطوة جديدة . وايا كان الامر فان بالمرستون وكلارندون . لم يكونا ليسمحا بأن تأتي التسوية من جانب الفرنسيين ، سيما وأن ستراتفورد كان قد ذكر بأنه لولا تدخلات الفرنسيين ، وعلى الاخص السفير الفرنسي بوري لما تصلب فاروق خان في موقفه . وقد أقره كلارندون على رأيه هذا (« لقد كان الفرنسيون هم السبب في وقوعنا في هذه الورطة ، وهم الآن السبب في عدم نجاحنا في الخروج منها . . ») (١) ومن ثم فقد أوعز كلارندون الى السفير البريطاني في فرنسا ، اللورد كولي بأن يتقدم باحتجاج الى الحكومة الفرنسية على مسلك بوري ، وإن يطالبهم بإبلاغ فاروق خان بأن لا يتوقع أى تأثير من الفرنسيين . وعلى أى حال فان كولي لم يكن يميل الى القاء اللوم فى فشل المفاوضات على الفرنسيين بل على الأسلوب الذى تكثرت به تلك المفاوضات ، وفى هذا الصدد كتب سرا الى كلارندون يقول : « لقد كنت دائماً من المتشككين فى مفاوضات ستراتفورد » .

« لقد اختار فاروق خان أن يوافق على بعض الشروط مما جعله فى حل من البقية . فقد كان يهدف أساساً الى تعطيل الحملة العسكرية ، وعندما فشل فى ذلك ، غير من لهجته ومن موقفه فى المفاوضات ، وبالتالي فان ستراتفورد الذى كان يتصور بأن نجاح المفاوضات سوف يقوى من مركزه ، قد بالغ فى الحكم على فاروق خان الى الحد الذى يفوق ما كان يسمح به فىهذه لطبيعة الفرس . فإذا كان القصد هو تسوية الخلاف عن طريق التفاوض ، فيمكن أن يتم ذلك فى لندن أو فى فارس نفسها . وربما كانت

(١) « وثائق كلارندون » المجلد ١٣٧ رسالة من كلارندون الى اللورد

كولي (سفير بريطانيا فى باريس) ١٦/١٢/١٨٥٦ .

القسطنطينية هي أسوأ اختيار لمكان المفاوضات لأنها ليست أكثر من وكر للمؤامرات ، وحيث كان ولا يزال هدف البعثات الدبلوماسية وتسليتها الوحيدة هي افشال مهمة ستراتفوردي .

كان استئناف الحملة العسكرية متوقفا على وصول أوترام وشحن الامدادات من الهند . وقبل سفره من إنجلترا كان أوترام قد طلب تزويده بكتيبتين أخريين من الخيالة وأربع فصائل مشاة ، ووحدة مدفعية ، وقاطرة جبلية وذلك لشن هجوم على المحمرة والتقدم صوب نهر قارون . على أن يتم تشكيل هذه الكتائب الى فرقة ثانية مستقلة عن القيادة الحربية التابعة للقائد ستوكر . وعلى الرغم من أن توفير كل هذه الامدادات سيكون بمثابة استنزاف لامكانيات بومباي ، الا أن الحكومة بذلت كل ما في استطاعتها لتلبية طلبه ، فقد صدرت الأوامر الى كل من وحدة سلاح الفرسان الرابعة عشرة في كيوكي . والكتيبة الأولى لخيالة السند في جاكوب آباد ، وكتيبة الهابلاندرز الثامنة والسبعون الملكية في بونا والوحدة السادسة والعشرون في ستادا ، وكتيبة البلوش الثانية في كراتشي ، وفصائل المدفعية وهندسة الألفام من مختلف القواعد ، بالتجمع في بومباي عند وصول القائد أوترام اليها يوم ٢٢ ديسمبر . وقد كان هناك بعض الصعوبات في الاستغناء عن خدمات فصيلة سلاح الفرسان للسند للعمل في فارس . غير أن أوترام كان قد طلب هذه الفصيلة وقائدها ألفتنانث كولونيل جون جاكوب بصورة خاصة ، الا أن سلطات بومباي لم تشعر بالارتياح لترك الحدود الشمالية للسند بغير حماية ، وكان القائد جاكوب نفسه يشاطرها ذلك الرأي . ولهذا فقد عرض على أوترام أن يحل محل تلك الفصيلة كتيبة فرسان البنجاب ، غير أن أقرب كتيبة كانت موجودة في ديرغا غازي خان على بعد ٥٠٠ ميل من كراتشي ، وهي

ميناء سفر الحملة ، بينما كانت الكتيبة الأولى لسلاح فرسان السند قد خرجت من جاكوب اباد يوم ٦ يناير ١٨٥٧ ، وكان من المتوقع ان تصل الى كراتشى فى يوم ٢٧ من الشهر . وكبدليل ذلك فقد رثى ارسال كتيبة خيالة البنجاب الى السند لتحل محل خيالة الفان جاكوب ، او بعض اجنحة فرسان ماهراتا ، وكمجرات ، وبونا غير النظامية بدلا من خيالة السند للعمل فى فارس او المرابطة على حدود السند . وكان هذا الموضوع لا يزال يناقش عندما غادر اوترام بومباى الى الخليج يوم ١٥ يناير . وبعد اربعة ايام لحق به فيلق المشاة التابع للفرقة الثانية التى تضم الكتيبة السادسة والعشرين ، وكتيبة الهايلاندرز الثامنة والسبعين بقيادة هنرى هافلوك . وقد وصل اوترام الى كراتشى يوم ٢٠ يناير حيث التقى بجاكوب واقنعه بضرورة ذهاب سلاح فرسان السند الى فارس . واخيرا لم يتوجه سلاح فرسان السند فحسب ، بل وفصائل خيالة مهراتا وبونا للسند ايضا ، غير ان السير جون لورنس محافظ البنجاب رفض السماح لاي من فصائل الفرسان التابعة لقيادة البنجاب بالتحرك من مناطقها ، ولهذا فان الثغرة على حدود السند قد سدت اخيرا بالكتيبة السادسة للخيالة غير النظاميين التابعين للبنغال ، والتى تم نقلها من مولتان الى جاكوب اباد (١)

ابحرت الامدادات العسكرية كلها الى فارس خلال الاسبوع الاول من مارس ، وكان كتيبة الفرسان الرابعة عشرة هى آخر مجموعة تحركت .

(١) من مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢٧ مرفق للخطابات السرية رقم ٣ و ٦ المؤرخة ٢ يناير ١٨٥٧ و ٨ و ١٣ و ١٦ يناير ١٨٥٧ و ٢٣ فبراير ١٨٥٧ ومجلد ١٢٩ مرفق للخطابات السرية رقم ٣٤ و ٣٦ المؤرخة ٢/١٦ و ١٨٥٧/٣/٢٧ .

وهكذا أصبح ثلث الجيش الهندي فى فارس . وقد تم سد النقص الناشئ عن هذا الرحيل بنقل كتيبتى مشاة ، وكتيبة فرسان ووحدات مدفعية من البنغال . واذا وضعنا فى الاعتبار هاتين الحادثتين ، فقد كان سيكون لهما تأثير خطير على مجريات الأحداث فى الهند خلال الأسابيع القليلة القادمة ، خصوصا اذا أضفنا الى ذلك نظرة عدم الارتياح من جيش بومباى ، وبصورة خاصة بعد وقوع التمرد من ناحية وسوء تنظيم عمليات جيش البنغال الذى عجل بحدوث التمرد من ناحية أخرى .

استغرق وصول اوترام الى بوشهر يوم ٢٧ يناير وقتا طويلا . كان جيش الجنرال ستوكر مجمدا داخل مواقعه فى بوشهر ، بينما على بعد ٣٦ ميلا فى برازجون عبر الطريق الى شيراز ترابط قوة فارسية من ٧ آلاف رجل من أوائل يناير وعددها يزداد كل يوم . وكان جونز المقيم البريطانى فى بوشهر قد حاول كثيرا اقناع ستوكر بشن هجوم على الفرس وتشتيت شملهم قبل ان يتكاثر عددهم بحيث يشجعهم على التقدم نحو الخطوط البريطانية فى بوشهر ، غير أن ستوكر الذى كان يعانى من الملنخوليا التى أودت بحياته بعد ذلك ببضعة أسابيع رفض ان يتحرك قبل وصول التعزيزات من الهند . كما أنه لم يستمع ايضا الى شارلس مورى الذى جاءه من بغداد فى الأسبوع الثانى من يناير ليناشده القيام بهجوم على التحصينات الفارسية فى الحجرة ، قبل ان تصل الامدادات الى حامياتهم هناك بشكل يمكنهم من التحكم فى شط العرب وقطع خطوط مواصلات البريطانيين مع تركيا الغربية . وكان رد ستوكر بأنه ليس فى وضع يسمح له بانتهساك حياذ منطقة شط العرب ، حتى ولو كانت لديه الامكانيات البحرية للقيام بذلك ، كما أشار مورى . وقد كان جونز ومساعداه الكابتن دسبيراو الشخصين الوحيدين اللذين كانا على استعداد للعمل والتعاون خلال

الأسابيع التي أعقبت احتلال بوشهر . فقد قام جونز بالاتصال بباقر خان ، زعيم قبائل تنجستان وأقنعه بمؤازره البريطانيين . ولو في الخفاء مقابل مكافأة شهرية ، بينما سافر دسبراو ومرافق له الى الساحل حتى وصلا بندر ديلام لاغراء القبائل بالتخلي عن ولائهم الضعيف للشاه ، وقد نجحنا في ذلك الى حد كبير ، غير انه لسوء الحظ فان الحاكم العام انتقد تصرف جونز ، وخصوصا حصوله على تعهدات خطية سرية من الشيوخ المحليين . وقد ثار خلاف عنيف في اوساط قواد الجيش والمسؤولين في الهند حول هذا الموضوع . وقد حذا اوترام حدو جونز في التعامل مع قبائل خوزستان ، وقد تعرض للوم الشديد من جانب كاننج هو الآخر (١) .

أما الفرس من جانبهم فلم يقفوا مكتوفى الايدي ، فقد أخذت الجنود والمعدات تندفق من الشمال في سيل لا ينقطع منذ اول ديسمبر ، وبحلول اول يناير وصل الى اقليم فارس خمس كتائب من جنود المشاه و ١٠٠٠ من الخيالة ، كما تم تعزيز الحامية الموجودة في الحمرة بكتيبة من المشيخة و ٥٠٠ من الخيالة ، كما أدخلت تحصينات جديدة الى القلاع التي كان قد انتهى بناؤها منذ بضعة أشهر ، وفي شستر الواقعة على نهر قارون ، كان

(١) كانت الحكومة الفارسية تماطل كثيرا حول هذا الموضوع . فهذه الحكومة تصرح علنا انها لن تمنع الناس من الحصول على نقود ، وجاء اعلان في جريدة طهران الرسمية بتاريخ ١٨٥٧/١/٢٢ : اذا كان البريطانيون سيدفعون نقودا الى أى مواطن من هذه الدولة ، فانهم احرار في قبولها غير أن ذلك لن يلزمهم بعد استلام النقود بأن يصبحوا ضد حكومتهم (مكتب الهند) مرفق لخطابات بومباي السرية مجلد ١٣٠ مرفق للخطاب السرى رقم ٩٤ المؤرخ ١٨٥٧/٤/٣٠ .

هناك نحو ثلاثة آلاف رجل على أهبة الاستعداد للقتال ، كما كانت ترابط خمسة كتائب احتياطية فى كرمشاه للعمل فى خوزستان اذا احتساج الامر . وقد اخليت اذربيجان من الجنود ، رغم وجود قوة روسية كبيرة فى منطقة القوقاز ، وكان ذلك دليلا هاما على اطمئنان الحكومة الفارسية من جانب الروس وقد اعتبرت الحرب ضد البريطانيين حربا دينية مقدسة (جهاد) وقد جاء ذلك فى بيان أصدره الشاه يوم ٨ يناير ، حيث سبق ذلك تجمع شعبى كبير فى طهران تلافيه الصدر الاعظم مرسوما فى جامع الملك ، دعا فيه جميع المؤمنين للدفاع عن الاسلام ضد الغزاة النصارى الذين دنسوا الهند بالفعل ، وهم الآن يعتزمون فرض هيمنتهم على فارس . وجاء فى البيان بأن البريطانيين قد تعمدوا اضطهاد المسلمين فى الهند ومصادرة المصاحف وكتب الحديث ، وارغام النساء المسلمات على خلع الحجاب ، وتحريم الختان على صبية المسلمين ، فاذا كان هناك اى شك لدى المسلمين فى الطريقة التى تمكنهم ان يتآمروا بها ضد العدو ، فما عليهم الا ان يقتدوا بالافغان الذين قاموا بذبح افراد البعثة البريطانية فى كابول فى شتاء عام ١٨٤١ . غير ان البيان لم يكن له تأثير كبير على سكان طهران او فارس او خوزستان ، حيث تم توزيع نسخ منه على قبائل هذه المناطق . اما ما هو التأثير الذى أحدثه البيان بين سكان شمال الهند خلال الاشهر التى تلت ذلك ، فذلك موضوع آخر .

بعد اسبوع واحد من نزوله فى بوشهر قام اوترام بهجوم على القوات انفارسية فى برازجون . وكان له هدف مزدوج فى اختيار تلك المنطقة : هو الايحاء الى الفرس بأن هدفه المباشر سيكون مدينة شيراز ، وليس المحمرة ، ولتأمين بوشهر من خطر التهديد الذى كان يشكله وجود قوات

فارسية فى برازجون ، التى عهد بقيادتها فى ذلك الوقت الى شجاعة الملك ، حاكم اقليم فارس وابن أخ الصدر الأعظم . كما أن النقص المفاجيء فى المؤن بسبب عدم وصول المواد الغذائية من الداخلىة الى بوشهر ، كان من العوامل التى عجلت بذلك الاجراء ، خصوصا وأن القبائل بدأت توافدها الشكوك فى فعالية الأسلحة البريطانية مما جعلها تبادر الى الانحياز الى صف شجاع الملك . وفى ٣ فبراير زحف أوترام بقواته من بوشهر . وبعد مسيرة ٤٦ ميلا قطعها فى ٤٨ ساعة فى جربارد شديد المطر ، وصلت القوات برازجون فى ٥ فبراير ، ولكن الفرس قاموا باخلاء المنطقة قبل وصول البريطانيين . فقد انسحب منها الفرس فى الليلة السابقة تاركين ذؤاءهم ذخيرتهم وخيامهم ومؤنهم . وقد رأى أوترام بأنه ليس من الحكمة ملاحقة الفرس عبر المرات ، ولذا فقد قرر العودة الى بوشهر فى تلك الليلة بعد أن قام جيشه بتدمير معدات الفرس وأخذ المؤن التى تركوها .

وفى منتصف ليل ٥ فبراير قام البعض من قوات خيالة الفرس بمهاجمة مؤخرة القوات البريطانية غير أن أوترام أعاد توزيع الطابور فى منطقة تقع بالقرب من خشاب ليلتف حول أمتعة الجيش لحمايتها . وقد فتح الفرس النار على الجنود البريطانيين من أربعة مدافع ، غير أن الظلام كان دامسا بحيث أنهم لم يحدثوا أى أضرار تذكر . وفى صباح اليوم السادس تم اكتشاف قوة فارسية قوامها ٦ آلاف أو ٧ آلاف رجل ، وكان قد تم اعدادها للقيام بعمليات عسكرية خلف المؤخرة اليسرى للفيلق البريطانى . وقد أصدر أوترام على الفور أوامره لسلاح الفرسان بالهجوم وكان يعزز تلك القوات صفان من المشاة والمدفعية . وقد شن الفيلق هجومين ناجحين ، بينما قام فيلق الخيالة الخفيفة باجتياح الكتيبة الفارسية وابتدتها تقريبا . وما أن زفت الساعة المباشرة من نهار ذلك اليوم حتى كان الفرس قد لقوا

هزيمة تامة : لاذوا بعده بالفرار مسرعين ، لدرجة أن القوات البريطانية لم تتمكن من ملاحقتهم . وقد خسر الفرس في المعركة ما لا يقل عن ٧٠٠ قتيل وفقدوا جميع اسلحة الكتيبة بما فيها مدفعا ميدان بكامل ذخيرتهما . اما خسائر البريطانيين فقد كانت مصرع ضابط واحد و ٩ جنود وجرح خمسة ضباط و ٥٧ جنديا ، مات ستة منهم بعد ذلك متأثرين بجراحهم . وبعد استراحة طوال اليوم على مقربة من ميدان المعركة غادرت القوات البريطانية ليلا الى بوشهر ووصلتها في منتصف ليل ٧ فبراير . وفي غضون خمسين ساعة قاتلت تلك القوات وهزمت العدو ، وسارت مشيا على الاقدام نحو ٢٤ ساعة تحت وابل من المطر (١) .

بعد ان اطمئن أوترام الى تأمين قاعدته في بوشهر ضد أى هجوم فارسي محتمل عليها بدأ يركز على المهمة الأصعب ، لاحتلال المحمرة والتقدم منها نحو خوزستان ، وخلال ذلك كان الضباط البريطانيون يتجولون في تركيا العربية للبحث عن المواد الغذائية وعلف الحيوانات . واستطاعوا ان يفتنوا السلطات التركية بالسماح للرعايا الأتراك بالانضمام للخدمة في القوات البريطانية بصفة سائقي جمال وبغال ، كما استطاعوا اغراء القبائل عسى جانبي شط العرب بمساعدة الجنود البريطانيين في العمليات العسكرية

(١) من مرفقات الخطابات السرية لبومباي مجلد ١٢٩ مرفق للخطاب السري رقم ٦٢ المؤرخ ٥ مارس سنة ١٨٥٧ ، من أوترام الى اللفتنانت جنرال السين سومرست (القائد العام لقوات بومباي) ١٨٥٧/٢/١٠ ، انظر كذلك كتاب أوترام « حملة فارس في سنة ١٨٥٧ » لندن ١٨٦٠ - ص ٢٩ - ٣٦ وكتاب « حملة أوترام وهاملوك في فارس » ١٨٥٨ ، ص ٢٠١ - ٢٠٧ .

المقبلة ، أو البقاء على الحياد . ولم تكن هناك نية فى الاستعانة بالأتراك فى الهجوم على الحمرة ، لأن مثل هذا الاجراء سوف يثير مشكلة الكخذود التركية الفارسية من جديد ، ولم يمض على تسويتها اكثر من بضعة سنوات عن طريق لجنة دولية ، قضت باعطاء الحمرة لفارس . كما كان هناك احتمال ، انه فى حالة تخطى الامبراطورية التركية عن حياها ، فتوقف يعطى ذلك الروس الحجة للاحتجاج على العمليات العسكرية البريطانية باعتبارها انتهاكا لاتفاقية الحدود . لقد اصبح الزمن الآن مهما بالنسبة لوترام لأن السفن التى كان يعتمد عليها اوترام لنقل البريد لم تعد تستطيع الملاحة فى نهر قارون ، للوصول الى شستر خلال فصل الصيف ، عندما تكون مياه النهر فى ادنى مستواها . وبالتالي فان الوصول الى شستر قد لا يتم قبل شهر أبريل على الحد الاقصى ، وبعد الاستيلاء على شستر لم يكن اوترام يعرف الى أى وجهة سوف تتجه قواته . اما شستر نفسها فتعتبر طريقا مسدودا لا يمكن اجتيازه ، لأن المعرات التى تقع خلفها عبر سلسلة الجبال الممتدة الى داخلية فارس لا يمكن للجيش ان يعبر منها . ثم ان التقدم نحو شستر سوف يكشف عن جناح جيشه ليعرضه لهجوم جيش فارسى من بهبهان ، العاصمة الثانية لاقليم فارس . كل هذه الاعتبارات جعلت اوترام يتساءل ، ما اذا كان من الافضل بعد الهجوم على الحمرة ان يعود الى بوشهر ، ويتقدم من هناك عبر بندر ديلم الى بهبهان ، لأن احتلال هذه المدينة سوف يفسح الطريق امام قواته الى شيراز واصفهان ، كما ان الزحف من هذا الطريق سوف يزيل كثيرا من الصعوبات التى كان اوترام

يتوقعها في تعامله مع قبائل خوزستان ، وبلاد قبائل البختيارى التى تقم
وراءها (١) .

خلال شهرى يناير وفبراير كان الكولونيل كامبل العنصل البريطانى
العام فى بغداد ، والقس بادجر المترجم العربى للحملة ، والكابتن فلكنس
جونز ، كانوا مشغولين جميعا فى اختيار مواقع وتوزيعات القبائل التى
تستوطن الضفة الفارسية لشط العرب . وقد لسوا فى كل مكان ذهبوا
اليه ازدياء بالسلطة الواهية لحكومة فارس على المنطقة . فقد كانت قبيلة
كمب ، وهى اقوى القبائل منقسمة فى ولائها وكانت متفتتة . كما اكتشف
بادجر عدة فصائل ، منها فصيلتان تخضمان لسلطة الشيخ فارس حاكم
الفلاحية والشيخ جابر حاكم المحمرة فى وقت واحد . ويسدو ان الشيخ
فارس كان خاضعا لسلطة حكومة فارس التى كان يستمد نفوذه منها ،
الا ان الشيخ جابر كان يتحين الفرصة للانتفاض على الفرس . وقد صرح
لبادجر بأنه سوف يؤيد بريطانيا برغبته ، اذا ما اقصوا الحماية الفارسية
عن المحمرة (٢) .

غير ان اوترام أبدى حسدا فى قبول ذلك العرض . فقد كانت
التعليمات تمنعه من قبول أى مساعدات الا من القبائل المستقلة ، لان

(١) (مكتب الهند « فارس والخليج » مجلد ١١٢ من اوترام الى كاننج
١٨٥٧/٢/١٤ ومرفقات للخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٨ مرفق
للخطاب السرى رقم ٢٤ المؤرخ ١٨٥٧/٢/٢ اخباريات قام بجمعها اللغتننت
بلارد (يناير ١٨٥٧) .

(٢) فارس والخليج مجلد ١١٢ من بادجر الى اوترام ١٨٥٧/٤/٢١
ومرفق بخطاب اوترام الى كلارندون ١٨٥٧/٤/٢٢ .

الحكومة البريطانية كما قيل له ، لم تكن ترغب في تفويض نفوذ الشاه وسلطانه على المقاطعات الجنوبية من فارس . وعلى أي حال ، فسرعان ما اكتشف أوترام انه لا يوجد قبائل مستقلة شرقى شط العرب فلجها كانت ، ولو بالاسم على الأقل ، خاضعة ل طهران حتى ولو كانت قبضة السلطة المركزية واهية عليها . وكان أوترام يفضل مساعدة تلك القبائل في الصراع مع فارس أو على الأقل يصادقها حتى يضمن وصول الامدادات الى قواته من العراق ، ولكي يتمكن من الحصول على المواد الغذائية والإعلاف التي يمكنه الحصول عليها من خوزستان . وفي منتصف فبراير بعث برسالة الى كاننج يطلب فيها رفع الحظر ، وعلى الاخص في تعامله مع قبائل كعب والبختياري « ان أي هجوم نقوم به على فارس من الجنوب ، اذا ما حيل بيني وبين الاستماعة بالقطاعات البدوية من السكان المعروفين بعدائهم للحكومة الفارسية فان ذلك سيمدني بأهم عنصر من عناصر النجاح ، والواقع أن كون هذه القبائل في ثورة مستمرة ضد السلطات الفارسية ، كان السبب الرئيسي الذي كنت أضعه في الاعتبار (حيث كنت اتصور انها قبائل مستقلة) عندما تصورت أن المحمرة وشتر هما أضعف نقطة في فارس » ونظرا لكون عرب خوزستان محاربين ونهابين بطبيعتهم ، فانهم لا يمكن أن يقفوا على الحياد في مثل هذه الظروف « فاذا لم أستعن بهم أو ادعوهم ، فان البديل لذلك سيكون عداءهم الذي سيتحول الى قطع خطوط المواصلات والمعلومات عنى وتعرض قوافل التموين والامتعة للنهب من جانبها . وليس من الضروري ، كما أشار أوترام ، أن نتمهد لهذه القبائل باعطائها الاستقلال في مقابل تعاونها معنا ، وأن أي خوف من جانبها من خطر القيام بأعمال انتقامية تقوم بها حكومة طهران ضدهم فيما بعد ، يمكن ازالته ، عن طريق الاشتراط على حكومة طهران في أي معاهدة

سلام مقبلة مع فارسن بالغفور عنهم (١) :-

غير أن كاننج لم يقتنع بأقوال أوترام . فقد تعمقت كراهته للحرب ، ورفض أن يتورط فى سياسات فارس القبلية ، بحيث يتعذر عليه الخروج سها بعد أن تنتهى الحرب . وفى رده الى أوترام ذكر كاننج بأن حكومة الهند ليست لها مصلحة مشتركة مع قبائل خوزستان فى تخليط تلك المقاطعة من نفوذ الشاه . وإنما على العكس من ذلك فان السياسة الثابتة لبريطانيا هى المحافظة على كيان فارس . وأن يطلب من الشاه أن يعفو عن الذين دعوا للعمل مع القوات البريطانية ، أو التى تطوعت لتقديم خدماتها ، فلا يمكن بأى حال أن نتوقع من الشاه أن يعفو عن الذين تطوعوا للعمل مع القوات البريطانية لمحاربهه « . . وقال كاننج انه بالنظر الى تعاضد الحكومة البريطانية لسياسة تجزئة فارس . . (وبالنظر الى ما يسوف يسببه ذلك من اجراج لنا فى المستقبل ، فانى لا احبذ مثل هذا الاجراء) (٢) وقد توقفت المسألة عند هذا الحد ، وحتى اليوم الذى قام فيه أوترام بعرض مقترحاته على الحكومة فى لندن لأخذ موافقتها عليها ولتجاهل اعتراضات كاننج عليها ، ثم حصوله على تلك الموافقة ، كانت الحرب فى فارس قد انتهت .

ولقد قام فاروق خان بمبادرة لاستئناف المفاوضات فى بداية شهر فبراير ١٨٥٧ . وبمساعدة الكابتن بلوس لينش ، من الأسطول الهندى سابقا ، ومنتقعد يعيش فى باريس ، حصل على مقابلة مع اللورد كولى يوم أول فبراير . وكان يحضر معه مالكوم خان كمبرجم لفاروق . وقد ذكر فاروق

(١) فارس والخليج مجلد ١١٢ . أوترام الى كاننج ١٤/٢/١٨٥٧ .

(٢) ملفات وزارة الخارجية ، محضر كاننج ٢١/٣/١٨٥٧ ومرفق بخطاب السير جور مع كلارك (سكرتير مجلس الهند) الى هموند ٣٠/٤/١٨٥٧ .

خان كولى بأنه مفوض تفويضا كاملا بالتفاوض حول كافة المسائل المتنازع عليها . بما فى ذلك النقاط التى سبق أن رفض الموافقة عليها فى اجتماعات القسطنطينية ، وقال بأن الشاه أصبح مستعدا للجلاء عن الحيرة ، وبالتعهد بعدم مهاجمتها أو مهاجمة أى منطقة أخرى فى أفغانستان . كما انه مستعد لأن نحيل جميع الخلافات مع الأفغان الى الوساطة البريطانية ، على شرط أن تتعهد الحكومة البريطانية بمنع الأفغانيين من مهاجمة الفرس . وأضاف فاروق خان بأن فارس بالطبع لا يمكن أن تتخلى عن حقها فى ائزال العقاب الفورى بأية قبيلة أفغانية تغزو أراضيها . وقال بأنه يحمل طلبا خاصا من الشاه ، بالا تصر الحكومة البريطانية فى طلبها بإقالة الصدر الأعظم . وأما فيما يختص بالتمثيل القنصلى فى فارس فان الشاه مستعد بأن يسمح للحكومة البريطانية بتعيين قناصل لها فى أى منطقة من فارس يوجد بها قنصل لروسيا ، وأضاف فاروق بأن المطالب البريطانية الباقية لا تشكل أى صعوبة ، وإن كانت حكومة فارس تعتقد بأن حماية الرعايا الفرس من جانب البعثة البريطانية قابلة للبحث ، لأن هذه المسألة قد أسئء ممارستما فى السنوات الأخيرة (١) .

من ناحية أخرى كان كل من بالمرستون وكلاوندون قد انتهيا من اعداد شروطهما لعقد معاهدة سلام فى شهر يناير . وقد استعاننا فى وضع صيغة لتلك المعاهدة بمسودات معاهدة سياسية وتجارية كان قد أعدها سارلس مورى فى بغداد فى شهر أكتوبر الماضى ، بناء على طلب كلاوندون، وقد جاء فى تلك المسودة النقاط الأساسية التالية : -

١ - تتعهد فارس بالوفاء بالشروط الخاصة بعودة البعثة البريطانية والتى

(١) وثائق كارندون مجلد ٧٣ من كولى الى كلاوندون ١٨٥٧/٢/١ ومجلد ٢٧ « المستندات الخاصة بمفاوضات فاروق خان فى باريس » من كولى الى كلاوندون ١٨٥٧/٢/١ (١٧٠ . سرى) وقد طبعت تلك المستندات بوزارة الخارجية البريطانية .

سبق أن قدمت إليها في القنصلية في شهرى مايو ويونيو من عام ١٨٥٦ .

٢ - تتعهد بأن تشترك مع بريطانيا في اصدار بيان مشترك بالاعتراف باستقلال ولاية الحيرة .

٣ - تتعهد بدفع تعويض يصل الى أربعين (٤٠) مليون تومبان (نحو ٢٠ مليون جنيه استرليني) عن خسائر الحرب ، على أن تبقى جزيرة خرك في أيدي البريطانيين ريثما يتم سداد التعويضات كلها بالتمام .

كما تضمنت المسودة التي وضعها مورى ، أن تقوم حكومة فارس بتجديد معاهدة ١٨٥١ الخاصة بحظر تجارة الرقيق واستمرار قيام الطرادات البريطانية بأعمال المراقبة لمياه الخليج ، والعفو عن جميع الرعايا الفرس الذين تعاونوا مع الحملة العسكرية البريطانية . أما فيما يخص إلغاء فارس لاتفاقية تأجير ميناء بندر عباس الى سلطان مسقط ، فلم تكن نمة حاجة الى اضافتها الى بنود المعاهدة ، لأن السيد سعيد كان قد تمكن بالفعل من تجديد الايجار بنفسه وكانت الميزة الوحيدة لمعاهدة مورى هي انها تضمنت بندا يطالب فارس بالسماح للحكومة البريطانية بتعيين قناصل لها في فارس ، وفي أى منطقة تقوم عليها المصالح التجارية (١) .

سلم كلارندون مسودة مورى الى جوستين شيل ، الوزير البريطانى المفوض السابق في طهران لابداء رأيه فيها . وقد عارض شيل في اصدار بيان مشترك باحترام استقلال الحيرة : وقال بأن تخلى الشاه عن جميع مطالبه في الاقليم شرط كاف في حد رأيه لتحقيق الغرض المنشود . كما شك جوستين في قدرة حكومة الشاه على دفع تعويضات بالحجم الذى اقترحه مورى في مسودته . وذكر بأن وجود احتلال بريطانى في خرك

(١) من ملفات وزارة الخارجية من مورى الى كلارندون بغداد

هر احسن تعويض تحصل عليه بريطانيا من حكومة فارس ، وعلى الأخص بعد ادخال المواصلات التجارية الى المنطقة عبر الفرات . أما فيما يتعلق بمعاهدة تحريم الرقيق فدعا الى ابقائها وتثبيتها . كما عارض شيل طلب تعهد حكومة فارس حول عمليات المراقبة فى مياه الخليج : فالاتفاق السرى الذى كان سارى المفعول مع السلطات المحلية على سواحل فارس كان ناجحا ، وان لى اتفاق علنى حول هذا الموضوع قد يجرح كبرياء فارس . وأما نظام حماية الرعايا الفرس من جانب البعثة الدبلوماسية البريطانية فى العاصمة الفارسية ، والذى كان مورى قد اثار موضوعه أكثر من مرة ، فيتعين على حد رأى شيل اعادة النظر فيه أو الغاؤه . أن هذا النظام وما شابهه من النظم الذى كان يمارسه الروس فى فارس قد اثار كثيرا من المشاكل فى الماضى ، وقد يكون مصدر توتر للفرس فيما لو استمر ، كما ابدى شيل شكوكه فى صواب اقالة الصدر الأعظم وقال : « بأنه فى البلد الذى يتساوى فيه الجميع فى السوء فان اتخاذ مثل هذا الاجراء العنيف لا مبرر له . . » كما أشار شيل الى عدم الاصرار على تعيين هاشم خان مراسلا اخباريا للبعثة فى شيراز . والخيلا فقد كان من رأى شيل بأنه من غير المعقول اطلاقا أن يوافق الشاه على أية من البنود السياسية والتجارية للمعاهدة ما لم تتعرض بلاده لخسائر كبيرة فى الحرب أو ينشب تمرد أو ثورة ضد سلطته (١) .

عكف بالمرستون فى فترة العمام الجديد على دراسة مسودة مورى وتعليقات شيل عليها . وكان اهتمام بالمرستون يرتكز فى الدرجة الاولى

(١) من ملفات وزارة الخارجية مذكرة من شيل ١٨٥٦/١٢/٢١ .

على موضوع الحيرة ، وبالتالي فقد وافق على صرف النظر فى اصدار بيان مشترك حول استقلال الاقليم ، سيما وان كانج كان قد كتب مؤخرا يقول بأن لا فائدة فى رايه من دعم حكومة ضعيفة فى الحيرة ، بحجة استقلالها، خصوصا اذا كان من الامكان ان يحكمها رجل قوى مثل دوست محمد . وقد وافق بالمرستون على هذا الاقتراح وعلق قائلا : « اننى اتطلع الى اليوم الذى تصبح فيه كابول وقندهار خطوط الدفاع الامامية عن الهند البريطانية » (١) كما وافق بالمرستون على رأى شيل بالاحتفاظ بجزيرة خرك كبديل عن التعويضات ، وبالأخص ان هذه هى الفرصة الأخيرة لبريطانيا لحصولها على هذه الجزيرة . كما وافق بالمرستون ، وفقا لاقتراح شيل ، بجعل معاهدة حظر تجارة الرقيق معاهدة دائمة ، او على الأقل تجدد لثلاثين عاما اخرى . اما فيما يختص بطلب اقالة الصدر الأعظم فقد وافق بالمرستون على صرف النظر عنه ، بشرط ان يأتى بذلك طلب خاص من جلالة الشاه ، بحيث يكون لنا الفضل فى الموافقة عليه (٢) كذلك أبدى بالمرستون استعداداه لاعادة النظر فى نظام حماية الفرس العاملين لدى البعثة البريطانية ، او الغائه كليا ، اذا حذت البعثات الدبلوماسية الأجنبية الأخرى حذو بريطانيا (٣) .

(١) وثائق كلارندون مجلد ٦٦ من بالمرستون الى كلارندون

١٨٥٧/١/٧ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢٢

مسودة الى الحاكم العام ١٨٥٧/١/٢٢ (١٧١٢) ومرفق به صورة من خطاب هموند الى كلارك ١٨٥٧/١/٢٠ ، وكان خطاب هموند صورة حرفية لذكره بالمرستون المؤرخه ٧ يناير .

أقر مجلس الوزراء المقترحات بعد تعديلها كأساس لتحقيق تسوية مع حكومة فارس وذلك خلال جلسته التي عقدها في الأسبوع الثالث من شهر يناير ١٨٥٧ (١) كما أقر المجلس أيضا بأنه لا يمكن الوصول الى تسوية بمعزل عن الدول الأخرى . فقد كانت روسيا ، على الأخص ، جريصة على الا تكسب بريطانيا امتيازات أكثر منها كنتيجة للحرب . وكان كورتوكوف قد أوضح لوود هاوس يوم ١٩ ديسمبر ، حول طلب بريطانيا السماح لها بتعيين قناصل لها في أى منطقة تشاؤها من فارس ، وأضاف بأنه يكفي ان فارس قد وافقت على الانسحاب من الحيرة ، ودفعت تعويضات عن الحرب ، وتقديم اعتذار مناسب للبعثة البريطانية ؟ اما ان تستغل بريطانيا الخلاف القائم لتطالب بامتيازات اضافية فان ذلك هو منتهى الظلم وقد ألمح كلارندون للسفير الروسى فى لندن بعد أن بلغه عن تدمر الروس ، بأنه يبدو امرا مثيرا للسخرية أن تلقى روسيا على بريطانيا محاضرة حول التعامل مع فارس « وأضاف بأنه فى الوقت الذى كان يقدر منسأغى روسيا لدى الشاه لتغيير موقفه ، الا لانه لن يسمح لروسيا بأن تكون الحكم فى مصير المصالح البريطانية فى فارس ، او فى عدالة مطالبها . غير أن رد بالمرستون على كورتوكوف لم يذهب سدى : ففى أواخر يناير أعلن كورتوكوف أنه كان لا يزال يعتقد بأن الشروط البريطانية من فارس شروط مجحفة بأنه قد عقد العزم على عدم التدخل مرة أخرى فى النزاع ، على الرغم من

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢٢ مسودة الى الحاكم العام فى ١٨٥٧/١/٩ (رقم ١٧٠٢) ومرفق به صورة من خطاب وود هاوس الى كلارندون ١٨٥٦/١٢/١٩ (٣١٥) كذلك فقد وجه كورتوكوف تهمة مفاجئة بأن المحاولات البريطانية لتجديد عقد ايجار بندر عباس الى سلطان مسقط هو لتعويضه عن حرمانه من عدن .

كما أن الحكومة الفرنسية رغم انتقاء المبررات ، كانت هي الأخرى
تبدى اهتماما كبيرا بالنزاع البريطانى الفارسى . ففي أواخر شهر ديسمبر،
ذكر الكونت ويلوسكى وزير الخارجية الفرنسى لكولى بأنه مستعد للتوسط
فى النزاع ، غير أن كولى أغلق الباب فى وجهه ، بلغت نظره الى محاولات
السفير بورى الى تضخيم النزاع ورغم ذلك فان ويلوسكى لم يخجل من نفسه
فعاد يعرض خدماته فى أواخر شهر يناير ، بعد وصول فاروق خان الى
باريس . غير أن كولى عاد هو الآخر فرد عليه ردا مفحما مما آثار ارتياح
كلارندون : « اننا عازمون على ألا نسمح للفرنسيين بحشر أنوفهم فى شئون
فارس ، هذا ما ذكره بالمرستون لكولى ، الا أنه عاد فقال ، ولكن لا ينبغي
أن نقول لهم ذلك بصريح العبارة (١) فقد كان بالمرستون حازما فى هذا
الموضوع » . . اننا اذا وافقنا على اجراء المفاوضات فى باريس ، فان
السفير الروسى الكونت كيسيليف ، وبورى سوف ينتهزان هذه الفرصة
لاحباط المفاوضات ، كما أن الحكومة الفرنسية اذا استطاعت ان تحصل
على التنازلات التى وعدنا بها فارس ، فيما يتعلق بالصدر الأعظم ومراسم
الاستقبال للبعثة وغيرها من النقاط ، فانها تنسب هذا الفضل لنفسها (٢) .

ونفس الشئ بالنسبة لاجراء المفاوضات فى لندن ، وقد اضطر كل
من بالمرستون وكلارندون الى الاعتراف بوجود معارضة قوية لحضور فاروق
خان الى العاصمة البريطانية . وجاء فى رسالة كلارندون الى كولى بتاريخ
٥ فبراير حول هذا الموضوع « بأنه اذا جاء فاروق خان الى هنا فانه سوف

(١) ملفات وزارة الخارجية من كلارندون الى كولى ١٨٥٧/١/٢٧ .

(٢) وثائق كلارندون مجلد ٦٩ من بالمرستون الى كلارندون

١٨٥٧/٢/٤ .

بتعرض لصنوف كثيرة من الضغوط والمؤثرات المفرضة » .

« فال مواطنون هنا سوف يستغلون وجوده اسوأ استغلال ، وسنتعرض في البرلمان لاستجابات يومية ، عما اذا كنا ننوى ممارسة ضغط على فارس حول هذا الموضوع او ذلك ، وقد تؤدي المؤامرات التي ستصاحب وجوده الى جعل المفاوضات مستحيلة .

ان حرب فارس لا تلقى التأييد هنا ، كما ان شركة الهند الشرقية تعارضها بشدة بسبب ما تكلفه من نفقات ، وبما ان الشعب يجهل حقيقة هذه الحرب فسوف يكون من السهل تضليله من جانب القوى السياسية داخل البرلمان وخارجه . ومن الواضح ان المحافظين واللوردات قد اتفقوا فيما بينهم حول هذا الموضوع ..

ولقد كانت ثمة مبررات لمخاوف كلارندون ، فقبل يومين فقط افتتح البرلمان جلساته . وقد خرج خصوم الحكومة من اللوردات عن التقليد المتبع في مثل هذه الأحوال ، فطالبوا في بيان الرد على الحكومة بادراج الموضوع في جدول اعمال المجلس . وقد شن الأربل أوف دربي هجوما عنيفا على الحكومة لاستخدامها القوة وأوضح في حديثه : « بالنسبة الى فقد كنت أفضل ان تلجأ الحكومة الى الوساطة بدلا من ارسال الحملة العسكرية الى الخليج » (١) ثم واصل دربي هجومه فقال : بأن العملية تنعوى على مخالفة لمبدأ أساسى من مبادئ الدستور وهو فشل الحكومة في اصدار اعلان بالحرب والاكتماء بالاعلان الذى صدر عن الحاكم العام في الهند . ان اعلان الحرب حق مقصور على الملكة ، وأن الحكومة ملزمة

(١) موسوعة هانارد مجلد ١٠ (الحلقة الثالثة) ١٨٥٧ ، ١٨٥٧/٢/٣

فى قضية هامة كهذه ان تدعو المجلس الى الانعقاد . والانى من ذلك ان الحكومة دخلت طرفا مع حكومة الهند بمشاركتها فى دفع نفقات هذه الحرب . ولكن هذه الحرب ليست حرب الهند ، وبالتالى فلا ينبغى ان تتحمل نفقاتها الهند ، بل بالعكس فان هذه الحرب تقع مسئوليتها على البرلمان (١) ، وقد توافق القاء بيان دربى مع صدور تحذير فرنون سميث الى كلارندون فى ديسمبر الماضى الامر الذى زاد موقف الحكومة ضعفا . كما ان دربى لم يكن اللورد الوحيد الذى انبرى الى انتقاد سياسة الحكومة حول هذه المشكلة ، فقد استهدفت الحكومة الى هجوم أشد قسوة من ارل اوف جري الذى أدخل تعديلا على القرار الخاص بلوم الحكومة على تصرفها فى هذا الموضوع (٢) .

وعلى الرغم من موقف كل من بالمرستون وكلارندون من اجراء المفاوضات فى باريس ، فقد كانت تبدو باريس بأنها المكان الاكثر امانا من لندن . وتأسيسا على ذلك فقد تم تفويض كولى بالاجتماع بفاروق خان فى باريس . وعلى أى حال فقد تبين ان فاروق خان قد تراجع عن موقفه السابق ، فقد ذكر لكولى يوم ٤ فبراير ، بأنه ما لم تكن الحكومة البريطانية مستعدة بالتعهد كتابيا بأنها لن تعمل على تشكيل دولة افغانية واحدة من

(١) نفس المصدر مجلد ٤٠ - ٤١ حسب الاتفاق الاصلى المقود مع الشركة فى نوفمبر ١٨٥٦ فان الحكومة تتحمل ثلث نفقات الحملة غير ان احتجاجات مجلس الادارة قد اضطر الحكومة الى زيادة حصة الحكومة الى النصف (انظر ملفات وزارة الخارجية) .

(٢) موسوعة هانارد مجلد ١٠ (حلقة ٣) ١٨٥٧ فى ١٨٥٧/٢/٣

الولايات الأفغانية الثلاث تحت حكم دوست محمد ، فانه غير مستعد لقبول تسوية سلمية للنزاع ، وأضاف فاروق خان بأنه يشك كثيرا فى امكانية موافقة الشاه على الطلب الخاص بتعيين القناصل ، وبأنه حتى لو تساوت بريطانيا فى هذا الحق مع روسيا ، فان الشاه سيرفض تعيين قنصل (فى مشهد مثلا) (١) غير أن بالمرستون كان يعارض اعطاء أى تعهد حول أفغانستان ، وقال : بأنه سوف يكون من غير المناسب أن نقف مكتوفى الأيدي ازاء هذه المسألة ، أو أن نقطع كل تعامل لنا مع كابول أو قندهار فى المستقبل (٢) وبالإضافة الى ذلك فان كاننج قد فوض مؤخرا بتقديم عون مالى لدوست محمد ، لكى يتمكن من الدفاع عن حدوده الغربية ضد فارس ، وان اتفقا حول هذا قد عقد مع بشاور فى ٢٦ يناير ، على الرغم من أن التفاصيل الخاصة بالاتفاق لم تكن قد وصلت الى لندن حتى ذلك الوقت (٣) أما فيما يختص بتعيين القناصل فقد كان بالمرستون على استعداد للموافقة على رأى فاروق خان الى حد كبير « . . بشرط انه فيما يختص بالشئون التجارية ، فاننا نود أن نعامل على قدم المساواة مع الدول التى تتمتع بالمعاملة الأفضل ، وقد نتنازل عن طلب تعيين قنصل لنا فى مشهد ، اذا لم يسمح بهذا الحق لدولة أخرى (٤) كما أعرب بالمرستون عن رغبته فى ابلاغ فاروق بأن بريطانيا مستعدة للتنازل عن شرط حماية المواطنين الفرس

(١) « وثائق كلارندون » مجلد ٧٣ من كولى الى كلارندون ١٨٥٧/٢/٤ .

(٢) نفس المصدر مجلد ٦٩ من بالمرستون الى كلارندون ١٨٥٧/٢/٤ .

(٣) ورد نص هذه الاتفاقية فى كتاب « المعاهدات » اعداد اتيشسون

فصل ١٠ ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٤) « وثائق كلارندون » مجلد ٦٩ من بالمرستون الى كلارندون

. ١٨٥٧/٢/٤

العاملين فى البعثة البريطانية ، اذا تنازلت الدول الأخرى التى لها تمثيل سياسى فى فارس عن هذا الشرط .

فى يوم ٦ فبراير تم ارسال مسودة معاهدة تمهيدية من اثنى عشر بندا الى السفير كولى فى باريس أما البنود الخاصة بالحيرة وأفغانستان ، فهى من نفس البنود التى سبق أن أقرها المجلس قبل ثلاثة أسابيع : وهى أن على الشاه أن يتخلى عن جميع مطالبه فى الحيرة ، وفى غيرها من أراضى أفغانستان ، وأن يعترف باستقلال الاقليم والولايات الأفغانية الأخرى ، وبأن تحيل أى خلاف معها الى الوساطة البريطانية ، باستثناء ما يتعلق بالعمليات العسكرية التى توجه ضد فارس من حدودها الشرقية وقد تعهد البريطانيون من جانبهم باستخدام نفوذهم لمنع الأفغانيين من القيام بأى عمل استفزازى ضد فارس . وأما عن فكرة عقد اتفاق تجارى منفرد فقد صرف النظر عنها واستبدلت بها فقرة تنص ، على منح بريطانيا معاملة الدولة الأكثر رعاية ، بالنسبة للشئون التجارية ، وذلك على قدم المساواة مع الدول الأخرى ، التى تتمتع بنفس الحقوق ، بما فى ذلك حق تعيين قناصل فى فارس .

كذلك فان بريطانيا قد صرفت النظر عن تعيين هاشم خان فى شيراز، خصوصا بعد أن علم بأن المذكور قد عاد الى عمله فى الحكومة الفارسية ، وبأن زوجته قد أعيدت اليه اما بشأن اقالة الصدر الأعظم فقد كان هذا الموضوع لايزال يحيطه الغموض بعد أن اضيفت فقرة الى البند الخاص بعودة البعثة البريطانية الى فارس ، غير أن هذه الفقرة قد حذفت أخيرا بعد أن ذكر فاروق خان كولى بأن هذا الشرط سوف يخلق سابقة قد

تستغلها روسيا فى المستقبل (١) أما بقية البنود فقد تناولت موضوعات الحماية ، ودفع تعويضات لاهالى الحيرة ، ودفع تعويضات للرعايا الفرس الذين ساعدوا الحملة البريطانية ، وتسديد الديون المستحقة للرعايا البريطانيين المقيمين فى فارس ، وتجديد معاهدة حظر تجارة الرقيق وانسحاب القوات البريطانية من فارس . ولم يرد فى المعاهدة ذكر لدفع تعويضات عن جزيرة خرك او التخلّى عنها . وكان بالمرستون متردداً فى التخلّى عن هذا المطلب الأخير ، بنفس السبب ، وهو احتمال أن يكون سابقة تستغلها روسيا فى المستقبل .

توقف فاروق خان طويلا أمام الكثير من النقاط التى اقترحها بالمرستون كأساس للتسوية ، وعلى الأخص ما يتعلق منها بأفغانستان ، وبالتالي فقد أصر بأن يكون للشاه الحق فى شن الحرب على أفغانستان فى حالة الدفاع عن النفس . غير أن بالمرستون رفض هذا الشرط بسبب سبب ، وهو انه شعر بأن فاروق خان يحاول ان يستغل ذلك الشرط لاتاحة الفرصة لفارسى بشن الحرب متى أرادت ضد أفغانستان . وكان ويلوسكى يؤيد فاروق خان فى هذا الموقف طمعا فى أن يحصل لسيداه الامبراطور على نصيب فى الحل السلمى . وقد سبق لنابليون ان ناقش شروط السلام

(١) غير ان على حكومة فارس أن تضع فى تقديرها الدوافع الهامة لهذه الشكوى التى على الحكومة البريطانية أن تشدد عليها فيما يختص برئيس وزراء فارس ، وأن على الشاه أن يتخذ من الخطوات ما يمنع تكرار مثل هذه الشكوى « وثائق كلارندون » مجلد ٢٧٤ الوثيقة الخاصة بفاروق خان من كلارندون الى كاولى ١٨٥٧/٢/٦ (رقم ١٨٤) ومرفق بها مسودة معاهدة السلام التمهيدية .

مع فاروق خان أكثر من مرة ، كما كان ويلوسكى يثير هذا الموضوع دائما مع كولى ، غير انه لا الامبراطور ولا السفير كانا ينطلقان فى ذلك من منطلقات بريئة . وفى ١٤ فبراير ذكر نابليون لكولى أثناء مقابله ، بأنه كان دائما يحث فاروق خان على ضرورة الوصول الى تسوية سلمية بأى شكل من الأشكال . غير أن فاروق خان عاد يوم ١٦ فبراير بعد اجتماع له مع ويلوسكى فأبلغ السفير كولى ، بأنه لا يستطيع أن يلزم حكومته بعدم التعرض لاستغلال أفغانستان ما لم تعلن الحكومة البريطانية نفس التعهد بالنسبة لفارس . وبأن أقصى ما يمكن أن وافق عليه بالنسبة لاضافة فقرة الى نصوص المعاهدة التجارية هو أن يتعهد لها بتجديد اتفاقية ١٨٤١ (١) .

غير أن ويلوسكى لم يكن هو وحده المسئول عن التغيير الذى طرأ على موقف فاروق خان من الموضوع . وقد شعرت الحكومة الفارسية بارتياح شديد من المتاعب التى أخذت تواجه بالمرستون فى البرلمان حيث أخذت المعارضة تشن هجوما عنيفا على الحكومة بسبب حادث كانتون فى الصين ، والذى كاد أن يؤدى الى الإشتباك فى حرب ضد الصين . وفى يوم ١٣ فبراير شن هنرى ليسارد عالم الآثار والمستشرق البريطانى هجوما عنيفا على بالمرستون بسبب الدخول فى حرب بدون موافقة البرلمان . وقد اشترك معه فى الهجوم جلاستون الذى طالب الحكومة ببيانات أوفى حصول الأسباب الحقيقية للحرب ، وصيغة الانذار الموجه الى فارس ، وتاريخ صدور الأمر الى بومباى لارسال الحملة العسكرية . كما طالب عضو آخر بتنوير المجلس حول الشروط التى تنوى الحكومة البريطانية فرضها على

(١) « وثائق كلارندون » مجلد ٧٣ من كولى الى كلارندون

فارس ، مما حمل اللورد جون رسييل الى التلميح فى شيء من السخرية بأنه يشفق على الحكومة ازاء ترددها عن اعلان الشروط ، على الا تظهر عند نشرها . بانها شروط مجحفة وغير ملائمة من الناحية السياسية . وقد استيطاع بالمرستون تجنب ظهور انقسام خطير عندما أعلن أن مناقشة المشكلة بشكل أوسع قد يضر بموقف المفاوض البريطانى فى تلك المرحلة بالذات (١) .

وهكذا افلت بالمرستون بأعجوبة . أما كلارندون فقد أبدى اشمزازه من الانانية والتعقيب الذى أبداه بعض أعضاء المجلس : « اننى لا أذكر أنى رأيت تهورا وتطرفا حزبيا مثل هذا الذى اراه » بهذه العبارة كتب بالمرستون الى كولى ، كما المح لوود هاوس : « بأن جلادستون يتلطف للمنصب لدرجة أن أصدقاءه يجدون صعوبة كبيرة فى منعه من الانضمام الى مقاعد المحافظين » . وعلى اى حال فقد كان الموقف يتطلب اتخاذ اجراء ما لوقف تلك الحرب . ولم يعد هناك وقت لانتظار ضربة يوجهها القائد اوترام لفارس تجعل الشاة أكثر تساهلا . وقد تساءل بالمرستون . ما هى النقاط الحيوية التى يمكن كسبها ؟ أن تخلى فارس عن كل مطالبها فى الحيرة ، كما ذكر بالمرستون لكراندون أمر لا بد منه ، وهو يشمل بالطبع اعتراف فارس باستقلال الحيرة . غير انه اذا رفض فاروق تقديم اعتراف صريح باستقلال الاقليم ، ما لم يصاحبه اعتراف مماثل من الجانب البريطانى ، فيمكن صرف النظر عن هذا الشرط والاكتفاء بشرط تنازلات فارس عن جميع مطالبها فى الحيرة . أما اعتراضات فاروق خان الأخرى

(١) هتسنارد مجلد ١٠ (حلقة ٣) ١٨٥٧ - ١٨٥٧/٢/١٣

على شروط الاتفاق ، فيمكن حلها باعطاء الشاه حق الرد على أى اعتداء أفغانى على أراضيه ، وصرف النظر عن الاصرار السابق على موضوع الوساطة البريطانية فى الخلافات التى قد تنشأ بين أفغانستان وفارس ، والنص بدلا منه على طلب المساعدة البريطانية فى تسوية مثل هذه الخلافات ، كذلك لا داعى للاصرار على دفع تعويضات لاهالى الحيرة .
أما الامتيازات الخاصة بتعيين القناصل فينبغى التمسك بها على أساس المساواة مع روسيا فى هذا الشأن .

ولقد أقر المجلس التعديلات التى ادخلت على شروط الاتفاق يوم ١٨ فبراير ، وتم ابلاغ كولى بها فى نفس اليوم . غير أن التعديلات لم تؤد الى نتيجة . على أن فاروق خان ظل متمسكا بموقفه بأنه لم يكن يستطيع قبول المقترحات البريطانية ، ما لم تقدم بريطانيا تعهدا بعدم ضم الحيرة الى كابول وقندهار . وفى يوم ١٩ فبراير تدخل كيسليف السفير الروسى فى الموضوع وابلغ كولى بأنه ليس فى وسع حكومته تأييد المطالب البريطانية ، طالما أضيف إليها بند بمساواة بريطانيا مع روسيا فى التمثيل القنصلى ، واقترح كحل وسط لذلك بأن تمتنع بريطانيا عن تعيين قناصل لها فى شمال فارس مقابل أن تمتنع روسيا عن تعيين قناصل لها فى جنوبها . ولم يرفض كولى الاقتراح مباشرة غير أن كلارندون وصفه فيما بعد بأنه « صفاقة .منهاية » وبعد بضعة أيام عاد كيسليف فعزز اقتراحه السابق بتلميحات خرقاء ، عما سوف يحدث من نتائج فيما لو أن الحرب استمرت فى فارس . وقد رد عليه كولى ردا مقتضبا ، بأنه فيما يختص ببريطانيا فهى لا تبالى بروسيا ، كما عقب كلارندون فيما بعد على ذلك القول بأن كورتوكوف سوف يحرق اصابعه اذا لم يأخذ حذره ، وعلى أى حال فقد ظل المجلس يشسعر

بالقلق من الوضع ، وكما ذكر كلارندون لوود هاوس فقد كان شعور بالخوف يسود الأوساط السياسية ، من احتمال أن تكون الحرب الفارسية بداية لحرب مع روسيا من أجل الهند ، والتي يحرص الانجليز على ألا تحدث . وقد تلقت لندن أنباء مفادها أن روسيا قد اتفقت مع فارس ، على تزويدها بمساعدة عسكرية فيما لو استمرت الحرب . كما اتبع فى الوقت نفسه احتلال روسيا لمنطقة استر اباد . وكان كورتكوف يعير وود هاوس كل يوم تقريبا بقرب سقوط حكومة بالمرستون . وضرورة تشكيل وزارة تسرع بانتهاء الصراع مع فارس . وفى يوم ١٩ فبراير عاد جلاستون فطالب ببيان عن الحرب ، كما كانت الحكومة هدفا متواصلا حول الأزمة مع الصين واحتمال أن تسقط حكومة بالمرستون فى أقرب وقت .

وطبعي أن يشعر فاروق خان بالارتياح من ذلك الوضع ، ومن زيارته المتكررة للخارجية الفرنسية ، والسفارة الروسية ، غير أنه فى الواقع كان قلقا من المستقبل . والسبب هو اكتشاف مؤامره فى تبريز ، قيل أنه كان مشتركا فيها لاسقاط الصدر الأعظم . ولعله من المحتمل أن يكون فاروق قد أدرك أخيرا ، بأنه على الرغم من التشجيع الذى كان يلقاه من ويلوسكى وكيسيليف فان بريطانيا ستظل هى الدولة التى يمكن التفاهم معها فى النهاية . فى يوم ٢٥ فبراير قام فاروق بمحاولة أخيرة للحصول على تعهد بريطانى بعدم توحيد الولايات الأفغانية . غير أنه لم يوفق . وكما ذكر كتب كلارندون الى كولى ، بأن ولهاوس وغيره من رجال السلطة فى الهند يعتقدون بأنه ، اذا تعذر استقلال الاقاليم الأفغانية الثلاثة عن النفوذ الفارسى - الروسى ، فمن الأفضل لنا أن نتوحد تحت حكم رجل واحد وفى يوم ٢٨ فبراير قام فاروق بمحاولته الأخيرة لإغلاق الباب عندما جس نبض ويلوسكى حول قطع المفاوضات ، غير أنه لم يلق تشجيعا على ذلك ، ثم بعد ثلاثة أيام وقع هو وكولى على المعاهدة المتكاملة .

وعلى أثر ذلك انبرى كولى ليكتب الى كلارندون . « مع شيء من الوقت وكثير من الصبر كان يمكن تحقيق أمور أكثر ، غير أن الوقت أصبح مهمتنا جدا بسبب الوضع فى البرلمان ، بينما لم يدخل ذلك فى حسابان الفرنسيين على الإطلاق » (١) والواقع أن كولى دون أن يعلم كان يتنبأ بالغييب . ففى نفس اللحظة التى كان يكتب فيها الى كلارندون عن الموضوع ، أى يوم ٣ مارس كان مجلس العموم يعانى من انقسام خطير حول مشروع القرار المقدم من كويدن ، والذى يتهم فيه الحكومة بفشلها فى تبرير العمليات العسكرية التى قامت بها فى كانتون . وقد نال القرار ١٦ صوتا . وحول هتافا الموضوع كتب كلارندون بأسف الى كولى يقول : لقد كان هذا كله أكثر الاستعراضات الحربية ، وأنه لابد وأن يسىء الى سمعتنا فى جميع أنحاء العالم (٢) وعلى أية حال فقد كان لإنهاء الحرب الفارسية بعض الارتياح . وقد ذكر كلارندون لشارلس مورى ، بأننا ينبغى أن نعتبر أنفسنا من أكثر الناس سعادة بتحقيق السلام مع فارس ، لأننا لم نكن نستطيع مواصلة الحرب . وكان الشيء الوحيد الذى جنبنا تقديم البيانات ومناقشة المشكلة ، على غرار ما حدث بالنسبة لمشكلة الصين هو أن المفاوضات جارية ..

وربما كان هذا العامل هو أن أكثر الأسباب التى يعود الفضل إليها هو مرونة معاهدة باريس التى وقعت فى ٤ مارس ١٨٥٧ . فهذه المعاهدة لم تؤد الى انتزاع أى جزء من أراضى فارس ، كما لم تفرض عليها أية تعويضات ، وبالنسبة للاهانات فإن المعاهدة لم تفرض شروطا قاسية على الأهانة التى وجهت الى مورى . وقعت المعاهدة على أساس أن يقوم الشاه بسحب قواته من الحيرة وافغانستان خلال مدة أقصاها ثلاثة أشهر بعد

(١) وثائق كلارندون مجلد ٧٢ من كولى الى كلارندون ١٨٥٧/٣/٢ .

(٢) وثائق كلارندون مجلد ١٣٨ من كلارندون الى كولى ١٨٥٧/٣/٣ .

تبادل وثائق التصديق على الاتفاق (البند الخامس) وبأن يتنازل عن كل مطالبه فى هذا الاقليم وفى غيره من الافغانية بوجه عام . وبأن يعترف باستقلالها ، ويمتنع عن التدخل فى شئونها الداخلية ، وأن المساعدة من بريطانيا فى حالة نشوب أى خلاف معها (المادة ٧) وتتناول الفقرة التاسعة تعيين القناصل من قبل الدولتين المتعاقبتين فى كل من بلديهما على أساس الدولة الأكثر رعاية ، على أن يسرى هذا الشرط أيضا على التبادل التجارى بين الدولتين ، ومعاملة كل دولة منهما لمواطنى الدولة الأخرى . أما البند العاشر فينص على اعداد استقبال لائق لأفراد البعثة الدبلوماسية البريطانية عند عودتهم الى فارس . ويتناول البند الحادى عشر تسوية الديون المالية المستحقة للرعايا البريطانيين المقيمين فى فارس ، بينما تنص (المادة ١٢) على حق الحكومة البريطانية فى التمتع بنفس الامتيازات التى تمنح للدولة الأكثر رعاية . وقد أضحى بهذه المادة عرض من الحكومة البريطانية بالتنازل عن حقها فى حماية الرعايا الفرس غير المقيدين فى البعثة البريطانية ، بشرط تنازل الدول الأجنبية الأخرى بالمثل . وينص البند الحادى عشر على العمل على تجديد اتفاقية حظر تجارة الرقيق لخمسة عشر عاما آخر ، على أن يحق للدولتين المتعاقبتين انهاؤها فى ختام المدة باخطار سابق مدته عام واحد . وتضمنت المادة ١٤ شرطا لانسحاب القوات البريطانية من اراضى فارس مقابل انسحاب الجيش الفارسى من الحيرة (١) .

وطبعمى أن يكون رد الفعل الروسى للمعاهدة الفارسية - البريطانية ردا مريرا . فقد أوضح كرتوكوف لكلا رندون بأن سيوف يستخدم كافة الوسائل المتاحة لمنع الشاه من التصديق على البند الخاص بتعيين القناصل ، حتى لو اضطرت روسيا الى التنازل عن حقها فى تعيين قناصل لها فى

١٥٦ - ١٥٧

(١) « المعاهدات » اعداد اتشيسون فصل ١٠ ص ٧٤ - ٧٨ .

الأراضي الفارسية ، كما كان كرتوكوف ينوى أن يطالب بعدم تعيين قناصل
بريطانيين فى المناطق المتاخمة لبحر قزوين (١) وهكذا احس بالمرستون
بارتيح عميق ، لانه استطاع ان يلوى اذن كرتوكوف . ولكى يستمر بالمرستون
فى مناقفة كرتوكوف فقد أوعز الى وود هاوس بأن يذكر لوزير الخارجية الروسى
عرضاً ، بأنه او لم تكن روسيا تمارس فى منطقة قزوين أعمالاً لا ترغب أن يعرف
بقية العالم عنها شيئاً ، لما رفضت ان يكون لبريطانيا قناصل فى المناطق
الشمالية من فارس لخدمة التجارة البريطانية هناك . وعلى اى حال ،
اضاف بالمرستون بأن هذا ليس بدرجة كبيرة من الاهمية لأن بريطانيا فى
وسعها دائماً ان تعرف عما تقوم به روسيا فى قزوين حتى ولو لم يكن لها
قناصل هناك ، غادر السفير الى بلده ، ولكن كرتوكوف قد أنكر بتاتا أن
روسيا تمارس أعمالاً غير نظيفة على الشواطىء الجنوبية لبحر قزوين ،
ولكنه عاد يسأل عن سبب الاصرار الذى يدعو بريطانيا الى تعيين قناصل
اها فى شمال فارس . ولماذا لم توافق كما اقترح كيسيليف فى باريس على
تحديد عدد القناصل لكل من الروس والبريطانيين فى فارس . كان من
المحتمل أن يستمر هذا الجدل الى أجل غير مسمى ، لولا أن قرر كل من
بالمرستون وكلارندون بعدم المضى فى مشاكسة وزير الخارجية الروسى ،
على الرغم من أن كلارندون الملح بمرارة ، من أنه كان من الصعب أن
يعرف المرء ، ما الذى يغضب ذلك المغرور الاهوج ، وما الذى لا
يفضيه (٢) وفى أوائل ابريل تم الايعاز الى وود هاوس بابلاغ كرتوكوف سرا

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢٢ مسودة
الى الحاكم العام للهند ١٧/٣/١٨٥٧ ، ومرفق صورة من خطاب وود هاوس
الى كلارندون ١٢/٣/١٨٥٧ .

(٢) وثائق كلارندون مجلد ١٣٨ من كلارندون الى وود هاوس

بأن الحكومة البريطانية لن تقرر تعيين قناصل لها فى المستقبل المنظور على الأقل ، لا فى استر أباد ولا فى أى جزء آخر من شمال فارس ، لأنه لا توجد لبريطانيا مصالح تجارية فى تلك المنطقة (١) .

بعد مضى ثلاثة أسابيع على توقيع معاهدة باريس ، وقبل عشرة أيام من وصول انباء تلك المعاهدة الى القائد أوترام ، كان هذا قد شن هجومه على المحمرة . وقد أبحر من بوشهر يوم ١٨ مارس بقوة قوامها ٤٨٨٧ رجل ، مؤلفة من فرقة المشاة ٦٤ ، وفرقة الهايلاندرز ٧٨ ، وفصائل الخيالة التابعة لبومباى ، وهى فصائل ٢٠ و ٢٣ ، و ٢٦ وكتيبة الفرسان التابعة للسند ، ووحدة مهندسين ، ووحدة مدفعية ، وقد تولى جاكوب قيادة الحامية فى بوشهر ، بعد أن أطلق ستوكر النار على نفسه لاسباب بقيت لغزا حتى الآن . وفى المحمرة كان الفرس قد حشدوا ١٣.٠٠٠ رجل ، منهم ٧ آلاف من الجند النظاميين و ٣٠ مدفعا اقيمت بحيث تتحكم فى مدخل القناة المؤدية الى المحمرة بالقرب من الجزيرة عبادان . وكان الجزء الأكبر من القوات الباقية على امتداد الضفة الجنوبية للنهر وجزيرة عبدان (٣) . وقد اقام الفرس بطاريات ذات طاقة هائلة من الخرسانة المسلحة بشخانة عشرين قدما وعلو ثمانية عشر قدما ، ومزودة بفتحات مدرعة على جانبى الضفتين الشمالية والجنوبية لنهر قارون . وتتحكم هذه التحصينات فى ممر شط العرب من اقصاه الى اقصاه ، وقد وضعت بطريقة فى منتهى البراعة بحيث تغطى النهر كله على المدى الأقصى للمدافع صعودا ونزولا والى الضفة المواجهة له . وقد فكر أوترام بأنه لو قام بانزال فى عبدان التى يتحصن فيها

(١) نفس المصدر .

(٢) مرفق للخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٩ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٤ المؤرخ ١٦/٤/١٨٥٧ مذكرة من كامبل (مارس ١٨٥٧) .
(١١ - بريطانيا والخليج / ٢)

الفرس بقوة كبيرة ، ومن ثم يشن هجومه على الدفاعات الجنوبية ، ثم يقوم بهجوم عبر نهر قارون شديد التيار ، فسوف تكون خطة عملية صعبة وباهظة التكاليف . وبالتالي فقد قرر أوترام بأن يهاجم مواقع النيران الفارسية ، بعد أن يتمكن من تخفيف حدتها ، الى أقصى حد ممكن ، ثم يقوم بانزال قواته فى منطقة تبعد نحو ميلين عن البطارية الشمالية ، ومن هناك يتقدم نحو المحمرة .

فى ليل يوم ٢٥ مارس تم اعداد رمث يحمل مدافع عيار ٨ ، و١٥ بوصة فى سرية تامة ، وتم سحبه عبر النهر وارساؤه فى مواجهة البطارية الشمالية .

وفى صباح يوم ٢٦ فتحت المدافع نيرانها على البطاريات الفارسية فى الشمال والجنوب ، وفى نحو الساعة السابعة تمكنت من ارباك الفرس ، بحيث فشلوا فى توجيه نيران مدافعهم الى الرمث ، فيما عدا بعض طلقات متقطعة . ومن ناحية اخرى قامت السفن المسلحة التابعة للأسطول الهندى بالاشتراك مع بعض الفرقاطات البريطانية بقيادة الكومودور يونج يبدان فى التقدم عبر النهر بمجرد ان بدأت المدفعية البريطانية تطلق نيرانها ، وما ان دقت الساعة السابعة حتى كانت هذه المجموعة من السفن أمام البطاريات الفارسية تماما . ولفترة امتدت ثلاثة ارباع الساعة ، أخذت هذه السفن من مسافة قريبة تمطر البطاريات الفارسية بوابل من نيرانها . وتمكنت من اسكاتها كلها فيما عدا ثلاثة منها ، وأن كان ذلك مقابل خسارة جسيمة لحقت بالسفن نفسها . كما قامت وحدات انقضاض تحت وابل من نيران الفرس بالنزول من السفن ومهاجمة التحصينات الفارسية وطرد الفرس منها . وفى هذه الأثناء وتحت قيادة البريجادير هنرى هافلوك ، تحركت القوات عبر النهر ونزلت فى المحمرة حسب الخطة الموضوعة .

وعند هذا الحد كانت المعركة قد انتهت تقريبا . أما الجيش الفارسي المرابط في السهل الخارجى فانه لم يبق لانتظار هافلوك ، وانما انسحب بسرعة بعد ان فجر بطارياته وترك خيامه ومعداته وذخيرته بجانب ١٦ مدفعا . وقدرت خسائر الفرنس ب ٢٠٠ قتيل . اما خسائر البريطانيين فكانت خمسة قتلى وثمانية عشر جريحا (١) .

ومن المحمرة تحركت قوة استطلاعية عبر النهر الى الاهداف التى تبعد نحو ٥٧ ميلا وذلك فى الايام الأخيرة من شهر مارس . غير أن الفرنس فى هذه المنطقة والذين كانوا قد انسحبوا من المحمرة امام الهجوم البريطانى فروا هاربين وهم فى حالة من الفوضى والارتباك بمجرد أن شاهدوا القوات البريطانية قادمة . كما سارع حاكم البلدة الى تسليم نفسه وكانت هذه آخر عملية للحملة .

فى اليوم الخامس من ابريل تلقى أوترام نبأ توقيع معاهدة باريس ،

(١) بعد بضعة أشهر عادت احدى الكتائب الفارسية التى لاذت بالفرار من المحمرة الى طهران وقد جرى تكديرها علنا عند وصولها . وقد ادخلت حلق فى اذان الضباط وتم جرهم بالحبال ثم جلدوا على مرأى من جنودهم ثم اودعوا السجن بعد ذلك . أما خان لارميرزا أمير خوزستان وحاكمها والذى كان يتولى قيادة قوات المحمرة فقد نجح فى تجنب عملية التكدير وذلك بدفع رشوة كبيرة الى الصدر الأعظم . وقد انعم عليه مقابل ذلك بسيف وبدلة شرف من الشاه (انظر أيضا مكتب الهند) مرفق للخطابات السرية الى بومباى مجلد رقم ١٣٢ ومرفق للخطاب السرى رقم ٢١٤ المؤرخ ١٦/١/١٨٥٧ من مورين الى كلارندون ، طهران فى ٢٥/٩/١٨٥٧ (رقم ٩٨) .

وفام فى الحال بوقف العمليات العسكرية ، لكنه وجد نفسه فى وضع محرج جدا بالنسبة للقبائل العربية التى تقطن المحمرة والمناطق المحيطة بها . فخلال الأيام العشرة الأولى من الاستيلاء على المحمرة ظل أوترام يستقبل سبيلا لا ينقطع من وجهاء القبائل من مختلف مناطق خوزستان ، وكان كلهم يعرب عن ولائه للانجليز واستعداده لتأييدهم والتخلى عن الشاه . وقد نجح أوترام فى تهدئتهم فقال لهم ، بأنه عندما يقرر الزحف على شستر فانه سوف يسعده أن يتلقى مساعدتهم . أما الآن فقد أصبح عليه أن يبلغهم بأنه لم يعد فى حاجة اليهم مما سوف يخيب أملهم فى الحملة العسكرية كلها . ولم تكن تلك هى المشكلة الوحيدة كما اكتشف أوترام . فقد أفضى اليه شيوخ تلك القبائل عن تخوفهم من أن يعمد الفرس الى القيام بأعمال انتقامية ضدهم ، وكانت خطورة هذا الاحتمال تشد عليهم من فقدانهم للغنائم التى كانوا سيحصلون عليها فيما لو استمرت الحملة وشاركوا فيها . وقد وضع أوترام هذه القضية نصب عينيه عندما بدأ مفاوضاته فى منتصف ابريل مع خان لاريدرا حاكم أمير خوزستان ، وميرزا محمد خان سر كاشى شى باشى أو القائد العام الفارسى للاتفاق على الهدنة .

وإذا وضعنا فى اعتبارنا شروط معاهدة باريس ، والتى كان سيتم تبادل وثائقها للتصديق عليها فى ظرف ثلاثة شهور ، والتى اشترطت فيها بريطانيا بالا تقوم بأى انسحاب من فارس قبل تنفيذ الحكومة الفارسية للشروط التى التزمت بها ، فان الانسحاب من الحيرة هو أهم بند فى المعاهدة . ومن هنا كان أوترام مترددا بين البقاء فى المحمرة وبوشهر ، أو الانسحاب منيما فى حالة عدم تصديق الشاه على المعاهدة واستئناف العمليات الحربية ضد فارس . او فيما اذا كان الاحتفاظ بالمنطقتين عنصرا

ضروريا لضمان تنفيذ شروط المعاهدة ، وازاء هذه الاحتمالات قرر أوترام بأن من الأفضل بأن يطلب من الفرس أن يضعوا قواتهم على مسافة بعيدة من بوشهر والمحيرة وبعدم التنكيل بالسكان فى المنطقة الفاصلة . واكد للفرس بأنه بمجرد التصديق على المعاهدة ستسحب بريطانيا من البلدين مع بقاء وحدة من الاسطول الهنـدى فى المياه الفارسية لأعمال المراقبة . ريشما يتم التصديق على المعاهدة . وبعد تردد وافق خان لارى ميرزا ، وسيركاشى شى باشى على الشروط التى عرضها أوترام للهدنة . وفى يوم ٢ مايو تم تبادل وثائق التصديق على الاتفاقية بين شارلس مورى وأحد الضباط المسئولين فى الجيش الفارسى . ثم بعد أسبوعين قام أوترام بسحب قوات الحملة من المحيرة وابحر الى بوشهر .

عند وصول أوترام وقواته الى بوشهر تلقى نبأ حركة التمرد التى قامت فى الجيش الهنـدى فى ميرت ومعها طلب عاجل جدا من حكومة الهند ، بسرعة ارسال كل جنـدى يمكن الاستغناء عنه الى الهند . ولقد وجد أوترام نفسه بين فكى الرحى : فهو لم يكن فى وضع يسمح له بالاستغناء عن قوات الحملة قبل أن تقوم حكومة فارس بتنفيذ شروط الاتفاق ، كما لم يكن من ناحية أخرى يستطيع ان يتجاهل الظروف التى تواجه حكومة الهند بسبب اتساع نطاق حركة التمرد . وقد استطاع الى حد ما حل هذه المشكلة بالاستعانة بقوات اخرى لم تكن تحت قيادته . كذلك لم تكن لديه فى بوشهر وسائل نقل ، وكان اجلاء قوات الحملة كلها يتطلب وصول سفن لنقلها من الهند . وبعد أن تمكن أوترام من نقل ما أمكن نقله من القوات ، ابحر من بوشهر يوم ١٨ يونيو ، بعد أن عهد بقيادة بقية الكتائب الى البريجادير جنرال جاكوب (١) .

(١) للاطلاع على اتفاقية الهدنة وانسحاب أوترام انظر (مكتب الهند)

مرفقت الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٣٠ مرفق للخطاب =

عاد موري الى طهران يوم ١٨ يوليو ١٨٥٧ وقد أعد له ولأعضاء
البعثة استقبال رسمي مهيب ، كما سحبت حكومة فارس الخطابات
العنيفة التي كان قد بعث بها رئيس وزراء فارس في شهر ديسمبر ١٨٥٥
وانقضت الأشهر في محاولات لتنفيذ شروط الاتفاقية ولو بحد أدنى .
فقد ظهرت دلائل عن موقف الشاه قبل ثلاثة أشهر من وصول موري .
وذلك في الطريقة التي عومل بها محمد يوسف حاكم اقليم الحيرة السابق
والذي كان معتقلا في قصر الشاه منذ طرده من الحيرة في ربيع
سنة ١٨٥٦ . وبمجرد أن عرفت طهران بنصوص معاهدة باريس قامت
الحكومة بتسليم محمد بن يوسف الى خصومه الوارثين أقارب سيد محمد
خان الحاكم السابق للحيرة ، والذي كان محمد يوسف مسئولاً عن
مصرعه . وفي اليوم الثاني عشر من ابريل اقتيد محمد يوسف الى قلعة
تقع خارج القصر ، وهناك تم تقطيعه ارباً على مرأى من الجمهور . وقد
طالب موري فيما بعد بايضاحات من فاروق خان ، غير أنه لم يتلق الا ردودا
مائعة (١) . ومن ناحية اخرى كان الشاه ووزراؤه يراقبون باهتمام بالغ

= السرى رقم ١١٢ المؤرخ ١٨٥٧/٦/١٠ « فارس والخليج » مجلد ١١٢ من
أوترام الى كلارندون ١٨٥٧/٤/٣ و « الحملة الفارسية » ص ٢٥٥ - ٢٦٠
و ٢٩٥ - ٢٩٠ - و ٣١٣ - ٣١٤ و ٣٨٤ - ٣٨٦ .

(١) انظر « فارس والخليج » مجلد ١١٢ من موري الى كلارندون ،
بغداد ١٨٥٧/٥/٧ (رقم ٣٠) ومسودات المجلس من التقارير السرية الى
الهند مجلد ٢٢ مسودات الى الحاكم العام ٧/٨ و ١٨٥٧/٩/٣ (رقم
١٨١٦ و ١٨٤١) مع المرفقات انظر ايضاً خطاب شيسل الى هموند
١٨٥٧/٨/٢٥ (ملفات الخارجية) .

تطور حركة التمرد في الجيش الهندي ضد السلطات البريطانية ، ومن الواضح انهم كانوا يعلقون الآمال على نجاح تلك الحركة ، املا في أن يؤدي ذلك الى تعطيل تنفيذ الاتفاق .

من باريس توجه فاروق خان الى لندن شخصيا في محاولة لاقتناع كلارندون بتقديم تأييد وحدة من الأقاليم الأفغانية كطلب الشاه ، غير أنه لم ينجح في محاولته . فلقد عادت حكومة بالمرستون الى الحكم بأغلبية كبيرة في انتخابات ١٨٥٧ ، وكان يسود شعور الأوساط الحاكمة في بريطانيا بأن معاهدة باريس كانت في صالح فارس . والى جانب ذلك ، أصبح كاننج يؤمن بأنه من الخطأ تقديم تعهدات حول الوضع السياسي في أفغانستان ، أو عن مستقبل الحيرة .

« ان أقصى ما نطالب به هو أن تبقى الحيرة منطقة مستقلة والا يكون للحكومة البريطانية أى مطمع فيها . فأننى اتصور بأن استقلال الحيرة استقلال وهمى ويتعذر تحقيقه . . كما أتصور ان ليس ثمة خطر على الهند انبريطانية من اندماج الولايات الأفغانية في دولة واحدة ، بل انه العكس، ومع ذلك فأنى لا أعتقد أن من مصلحتنا تأييد هذا الاندماج الى حد بعيد . اما ان تكون الحيرة مستقلة عن فارس فهذا مطلب عادل ، لأن الحيرة منطقة افغانية وليست فارسية ، وأما أن تكون مستقلة عن السلطة المركزية لحكومة كابول فهذا شيء لا نقره او نسعى اليه » . . (١)

(١) ملفات وزارة الخارجية - محضر كاننج ١٨٥٧/٢/٦ مرفق مع رسالة شميث الى كلارندون ١٨٥٧/٤/٤ .

عاد فاروق خان من لندن بخفي حنين . أما الشاه فقد قام فعلا
يسحب جيشه من الحيرة في شهر سبتمبر ١٨٥٧ ، وقبل أن يخرج
الجيش منها ، قام الفرس باستباحة المدينة ونهبها وذبح أعداد كبيرة من
أهلها ضاربين عرض الحائط بمبادرة كلارندون التي تنازل فيها عن شرط
التعويض في المعاهدة . أما اليهود فقد تم نقلهم بالجملة الى مشهد ،
وهناك خيروا بين أن يبقوا في الأسر أو يدفعوا فدية مقابل إطلاق
سراحهم . وبما أنهم قد سلبوا من جميع ممتلكاتهم فقد كان هذا خيارا
قاسيا عليهم . إلا أن البعثة البريطانية بذلت أقصى ما في وسعها للأفراج
عن اليهود ، ولكن جهودها منيت بالفشل وسرعان ما أثبت الحاكم الجديد
للحيرة ، بأنه ليس أكثر من صنيعه للفرس ، وقد قام الفرس بصك عملة
بأسمهم ، كما كانت خطبة الجمعة تقرأ باسم الشاه على الرغم من أن
كلا الأمرين يتعارض مع نصوص معاهدة باريس ودليل على الخضوع
لفرانس (١) .

لم يتم تطهير مقاطعات الحدود الأفغانية من فلول القوات الفارسية
قبل شهر فبراير ١٨٥٨ . وذلك بسبب أسلوب المراوغة الذي اتبعه
تابلور من جيش بومباي الى الحيرة وغوريان للإشراف على عمليات
الانسحاب والمقابل فان الجيش البريطاني لم يغادر الأراضي الفارسية
قبل شهر فبراير ١٨٥٨ ، وذلك بسبب أسلوب المراوغة الذي اتبعه
الفرس في تطبيق نصوص معاهدة باريس . في شهر يوليو ١٨٥٧ تقرر
سحب الفصيلة فورا ، إلا أن الجلاء عن بوشهر لم يتم قبل شهر أكتوبر

(١) « فارس والخليج » مجلد ١١٢ - ومجلد ١١٣ - تقارير

عموري والماجور تايلور .

سنة ١٨٥٧ ، عندما استكملت فارس سحب جميع قواتها من اقليم الحيرة .
وعندئذ تم ارسال جميع القوات التي أمكن الاستغناء عنها الى الهند .
ولم يبق فى فارس الا قوة رمزية وكتيبة مدفعية للدفاع عن خرك . وفى
٢ اكتوبر أبحر جاكوب الى الهند على رأس أفراد حامية بوشهر ، وتولى
فليكس جونز مسؤولية المقيم السياسى البريطانى فى بوشهر . وبعد شهرين
تم تخفيض حامية خرك . وفى فبراير ١٨٥٨ غادرت بقية القوات الجزيرة .

بالنسبة للأهداف المباشرة للحرب الفارسية ، يمكن القول بأن الحملة
قد حققت أغراضها فقد أرغم الفرس على الانسحاب من الحيرة ، وتقديم
الضمانات عن المستقبل ، كما تم انتزاع اعتذار رسمى من الفرس على
الاهانات التى وجهت الى مورى ، وأصبح لبريطانيا الحق فى تعيين قناصل
لها حيثما تشاء من اراضى فارس لمراقبة نشاط الروس . ومع ذلك فان
الأهداف البعيدة المدى للسياسة البريطانية لم تتحقق ، وان الحرب لم
تفزع فى تنقية الجو . بل على العكس من ذلك فقد تعمقت الشكوك الفارسية
فى اوساط المسئولين الفرس وعلى رأسهم الشاه فى نوايا البريطانيين
أكثر من أى وقت مضى . فلقد ظل هناك خوف متواصل من قيام البريطانيين
بعمليات أخرى على غرار ما حدث فى الهند . وكان سببا أساسيا
لمعارضتهم الشديدة لتوسيع التمثيل القنصلى البريطانى فى فارس ، لأن
القناصل فى نظر الفرس هم نسخة أخرى من المقيمين السياسيين . كما
كان هذا الخوف هو السبب أيضا فى الرفض المستمر ، لتأجير أو التنازل
عن أى جزيرة فارسية الى الحكومة البريطانية . واخيرا فان الخوف على
المصير النهائى لاقليم الحيرة قد تحول الى مرارة واستياء . وفى شهر اكتوبر
بدا العمل فى تطبيق السياسة التى دعا اليها كانج بالنسبة لاقليم الحيرة ،
وبالتالى فقد طلب الى دوست محمد احترام استقلال الحيرة طالما كف

أهل الحيرة أيديهم عن مناطق حكمه (١) وفى أوائل سنة ١٨٦٣ شن حاكم الحيرة هجوما على بلدة تراح الأفغانية ، وعلى الفور اجتاح دوست محمد الحيرة ، وفى اليوم السابع والعشرين من مايو ضمت الحيرة رسميا الى الممتلكات الأفغانية . وكان هذا آخر عمل يقوم به الأمير دوست محمد خلال حياته الصاخبة ، فقد توفى بعد ذلك بأسبوعين ، أى فى يوم ٩ يونيه . غير أن عملية تصفية استقلال الحيرة مرت دون اهتمام من البريطانيين من الناحية الرسمية على الأقل .

* * *

(١) انظر مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند ، مجلد ٢٢ مسودة الى الحاكم العام ١٨٥٧/١٠/١٥ (رقم ١٨٧٠) ومرفق به صورة من خطاب كلارك الى هموند فى نفس التاريخ .

الفصل الثاني عشر

مسقط والبحرين

١٨٥٣ - ١٨٦٤

ازدياد عمليات التدخل

إذا كانت المعركة ضد أعمال القرصنة والاشتباكات البحرية في الخليج لم تكن قد انتهت حتى عام ١٨٥٣ ، فانها قد كسبت . ومنذ ذلك الوقت لم تعد قبائل الساحل العماني هي مصدر أعمال الشغب والغنف في الخليج ، على الرغم من أنه لم يطرأ تحسن كبير على سلوكهم . لقد انتقلت هذه الأعمال بعد هذا التاريخ الى سكان مسقط والبحرين . فمنذ أواسط الخمسينات من القرن التاسع عشر تحولت مسقط والبحرين الى بورتين للاضطرابات الداخلية ، كان سببها الرئيسي هو محاولات بعض أديعاء الحكم لانتزاع السلطة من الحكام الفعليين ، مما أفسح الطريق للدول المجاورة لتهديد استقلال هذين البلدين والاعتداء عليهما . وكما حدث في السابق ، فقد كان التهديد الذي تتعرض له عمان يجيء من الوهابيين في نجد ، بينما التهديد ضد البحرين يأتي من كل من فارس ونجد ومن الامبراطورية العثمانية أيضا . وكانت بريطانيا قد أصبحت الدولة المسؤولة عن حماية استقلال كل من مسقط والبحرين ، لا من أجل سواد عيونهما ، وانما من أجل استقرار الأمن في المنطقة وسلامة الملاحة التجارية فيها ، وأخيرا من أجل أمن الهند البريطانية . وقد تركزت المصالح البريطانية في الخليج خلال الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر ، اي حتى عام ١٨٨٠ على مصير هاتين الدولتين في المقام الأول ، وبالتالي فقد رافقها تصاعد في درجة التدخل البريطاني في شئونهما الى حد يفوق ما كان مرغوبا فيه ، أو بالأحرى

ما كان مقررا قبل جيل من الزمن . والسؤال الذى ينبى على ذلك هو ما اذا كان ذلك التدخل ضروريا أم لا ؟ وعلى أية حال فان التدخل لم يكن امرا حتميا ، كما أنه لم يكن هدفا بمعنى أنه لم تكن ثمة أسباب لمد السياسة التى كانت متبعة فى البحر الى المناطق البرية ، وانما على العكس من ذلك ، فقد كانت المعارضة لتلك السياسة لاتزال قائمة . ولعل الأحداث وحدها هى التى دفعت بالمسؤولين البريطانيين الى تصعيد عمليات التدخل ، او بالأحرى عند وضع وتنفيذ السياسة البريطانية المرسومة ، عن ادراك ما كانت تقودهم اليه تصرفاتهم : وحتى لو كانوا قد ادركوا ذلك فانهم كانوا واثقين من قدرتهم على تغيير منهجهم متى شاءوا ذلك ، غير أنهم عندما جاء الوقت لتغيير هذا الموقف ادركوا أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا .

كانت البحرين قد استبعدت من الاشتراك فى اتفاقية الهدنة البحرية فى سنة ١٨٥٣ ، وذلك لنفس الأسباب التى استبعدت فيها عن اتفاقية نظام الهدنة سابقا ، اى بسبب الصراعات المستمرة على السلطة ، وامتداد تلك الصراعات الى المناطق البحرية واستحالة القضاء على الحرب البحرية فى المناطق المحيطة بالبحرين . على أية حال ففى الوقت نفسه كان استقلال البحرين يعتبر امرا حيويا بالنسبة لاستقرار الخليج . وعلى أى حال فقد كان الوضع متفجرا بالمناقضات . فعلى حين ظلت البحرين خارج نظام الهدنة ، فقد كان التحكم فى سلوك حاكمها محمد بن خليفة متعذرا . وكان هذا السلوك يشكل الخطر الأكبر على استقلال الجزيرة خلال الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر ، فقد كان محمد بن خليفة حاكما مستبدا ومتغطرسا ، كما وصفه صمويل هانيل بأنه كان يعامل رعاياه بمنتهى القسوة ، ويعامل جيرانه باحتقار . ولم يكن يخفف من قسوة هذا الحاكم واستبداده ، الا نفوذ أخيه على ، الذى كان يتحلى بالأخلاق الحميدة والطباع الكريمة والاحساس بالمسئولية ، وقد وصفه هانيل بأنه

بمثل نقيضا صارخا لشقيقه الحاكم (١) . غير أن شقيق الحاكم لم يكن يستطيع كبح جماح شقيقه الحاكم خارج الجزيرة ، وعلى الاخص استفزازاته الرعناء لجاره القوي الأمير فيصل بن تركي حاكم نجد .

كان فيصل قد أرغم محمد بن خليفة على الخضوع له عام ١٨٥١ وأجبره على دفع الزكاة وكان محمد بطبيعة الحال يرزح تحت وطأة هذا الشعور ، وكان يحاول التنفيس عن نفسه من هذه الوطأة خارج حدود بلاده . فقام بايفاد بعثة الى السيد سعيد في زنجبار في صيف عام ١٨٥٢ يقترح عليه ابرام معاهدة دفاعية ضد الوهابيين ، وربما كان السيد سعيد يتحيز مثل هذه الفرصة لو أنها جاءت قبل عشر سنوات للحصول على موطىء قدم في البحرين : اما الآن فلم يعد له أى اهتمامات في هذا الخصوص . وقد عاد رسل آل خليفة من زنجبار وهم صفر الأيادي ، ولكنهم عادوا بفكرة جديدة . كان السيد سعيد قد سبق ان تقدم الى عباس باشا والى مصر بطلب ، يناشده فيه بمنع فيصل بن تركي من تنفيذ خطته بايفاد نجله عبد الله على رأس حملة الى عمان خلال الشتاء (٢) وعند عودة

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٠٤ ، مرفق للخطاب السرى رقم ٧٦ المؤرخ ١٦/١٢/١٨٥٠ من هانيل الى ماليت (كبير السكرتاريين فى حكومة بومباي) ١١/١٠/١٨٥٠ (رقم ٣٣٧ أ - الادارة السياسية .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباي مجلد ١١٢ مرفق للخطاب السرى رقم ٧٩ فى ٣٠/٦/١٨٥٢ من همرتون الى ماليت زنجبار ٢٠/٨/١٨٥٢ (رقم ٢٢ الادارة السياسية) ومن كامبل للى همرتون بوشهر ١٠/٨/١٨٥٢ (رقم ٢٥٨ الادارة السياسية) .

الوفد من زنجبار اقترح اعضاؤه على حاكم البحرين تقديم طلب مماثل لطلب السيد سعيد الى والى مصر . وقد وافق الحاكم على الاقتراح ، وقبل مذى وقت طويل كانت الرسائل تذهب وتأتى فيما بين المنامة والقاهرة ، مما اسفر عن ايفاد مبعوث مصرى خاص الى الخليج فى ربيع سنة ١٨٥٣ . وفى شهر ابريل نقلت باخرة الشركة الموقرة (فكتوريا) وهى فى طريقها من السويس الى بومباى مسئولاً مصرياً مرموقاً ، يدعى باغات اغا افندى ومعه بعض المرافقين . ومن بومباى استأجر باغات اغا باخرة أخرى لتقله الى مسقط ، ثم الى البحرين . وعند وصول باغات الى البحرين قدم للشيخ محمد بن خليفة مجموعة من الهدايا من عباس باشا علاوة على خمسة فتيات من العبيد . وحسب التقارير التى وردت الى بوشهر كان الموضوع الرئيسى للمحادثات بين الرجلين ، هو كيفية تدخل والى مصر فى نزاع محمد بن خليفة مع الأمير فيصل ، وعند عودة باغات افندى الى القاهرة فى شهر يونيو رافقه مبعوث سرى من قبل محمد بن خليفة الى والى مصر ، وكان يحمل لوالى مصر مجموعة من الهدايا القيمة (١) .

على أن هذا الغزل المتبادل بين عباس باشا ومحمد بن خليفة لم يتمخض عن نتائج ملموسة ، لأن الباشا لم يكن فى وضع يسمح له بتقديم اى مساعدة مباشرة الى البحرين ولارغام فيصل على شىء . وانما على العكس من ذلك فقد ادى ذلك الاجراء الى اذكاء روح العداء لحاكم البحرين . أما بالنسبة للبريطانيين فقد أثبت لهم بأن الوصول من القسطنطينية الى البحرين يمكن

(١) مجموعات المجلس مجلد ٢٥٣٦ مجموعة ١٤٧٤٦١ من كامبل الى ماليت ٥/٢١ ، و ١٠ و ١١ يونيو ١٨٥٣ (رقم ٢ و ٣ و ٥ الادارة السرية) ومرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١١٧ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٩ المؤرخ ١٨/١١/١٨٥٣ من كامبل الى ماليت ٧/٢٧/١٨٥٣ (٧ الادارة السرية) .

أن يتم بأكثر من طريق . وقد تأكد هذا عندما قام والى البصرة بإفساد مبعوث الى البحرين لإبلاغ حاكمها بأنه اذا كان فعلا يرغب فى وضع بلاده تحت الحماية التركية فما عليه الا أن يرسل طلبا بهذا الى الحكومة العثمانية عن طريقه .

لقد أدت محاولات محمد بن خليفة التقرب من عباس باشا الى ازدياد غضب الأمير فيصل حتى أنه قام فى شهر يوليو ١٨٥٤ بشن هجوم على البحرين بقوة مؤلفة من ألفى مقاتل ، ومائة وعشرين سفينة ساهم بها محمد بن عبد الله المنشق عن محمد بن خليفة والذي كان يعيش لأجئا فى الدمام ، كما اشترك معه فى الهجوم حلفاؤه من آل بوعلى وآل بوعينين . وعلى الرغم من أن الهجوم كان مفاجئا وباعداد كبيرة من الرجال الا أنهم فشلوا فى الاستيلاء على البحرين . وعندما علم الكابتن كامبل المقيم السياسى البريطانى فى الخليج بهذا الهجوم غادر بوشهر فوراً على رأس الطرادين كلايف وتيجريس فى محاولة لمنع المهاجمين من تحقيق أغراضهم . وعند وصول كامبل الى البحرين وجد حاكمها محمد بن خليفة وانقضا من نفسه ، ومن قدرته على صد هجوم الوهابيين بالامكانيات البحرية التى كانت فى حوزتهم ، وان كان قد اعترف لكامل بأن نيران المعركة قد ينقلب الى صالح الوهابيين لو تمكنوا من زيادة عدد السفن التى فى حوزتهم . ولهذه الأسباب كان محمد بن عبد الله حريصا على عدم تسلل من بقى فى جزيرة فيس من رجال آل بوعينين وآل بوعلى الى الدمام والانضمام الى خصمه محمد بن عبد الله . ولهذا رأى أن يستفسر من كامل عما اذا كان فى وسعه منع اتباع محمد بن عبد الله من مغادرة جزيرة فيس ، أو القيام بعملية تصفية للموجودين منهم فى الدمام التى لا تبعد عن البحرين الا بمسيرة بضع ساعات ، أو بارغامهم على الإقامة فى احدى مناطق الخليج ؟ غير أن كامل لم يكن فى وضع يسمح له بتحقيق أى من المطلبين ، وقد سبق لهانيل فى عام ١٨٤٦ أن أبلغ المرحوم عبد الله بن أحمد فى عام ١٨٤٧ بأنه اذا استطاع

ان يركز نفسه على الجانب العربى من الخليج ، وليس على الجانب الفارسى .
منه ، فانه حر . فى العمل ضد ابن اخيه مجمد بن خليفة . كما أعرب هانيل
عن هذا الراى لانجال الشيخ الكبير بمن فيهم . محمد بن عبد الله واتبعاه
من اللاجئين البحرينيين بوجه عام . وقال لهم بانهم اذا انتقلوا من جزيرة
قيس الى الجانب العربى من الخليج فانهم احرار فى شن الحروب ضد
خصمهم محمد بن خليفة فى سبيل تحقيق ما يعتقدون انه حقهم . وبالتالي
فقد اوضح كامبل لمحمد بن خليفة بأن قيامه الآن يمنع هؤلاء من ممارسة
نشاطهم دون تحديد المناطق التى يجوز لهم العمل منها ، أى الى الغرب من
الخط المحظور ، فسوف يكون بمثابة الحكم بأحقية مطالبهم . وهكذا انتقل
محمد بن عبد الله مع الأغلبية من أفراد قبيلتى آل بوعينين وآل بوعلى الى
الضفة الغربية للخليج ، واصبح من حقهم ان يمارسوا ما شاءوا من النشاط
ضد خصمهم محمد بن خليفة حاكم البحرين . صحيح أن محمد بن عبد الله
تد قبل مساعدات من الوهابيين ، وان الامير فيصل كان من غير شك
بستخدامه كاداة لتحقيق اطماعه فى المنطقة ، الا أنه لا يمكن منعه من قبول
مساعدة الأمير فيصل .

على أن كامبل لم يكن فى وضع يسمح له بأن يعد محمد بن خليفة
بأكثر من انه سوف يحاول اقناع المنشقين البحرينيين فى الدمام ، والذين
انتقل بعضهم من جزيرة قيس الى الدمام مؤخرا للاشتراك فى الحملة على
البحرين ، بأن يتركوا الدمام ويعودوا الى جزيرة قيس . وفى هذا الاطار
أستدعى كامبل الشيخ على سلطان شيخ مشايخ قبائل آل بوعلى الى الاجتماع
به فى البحرين ، حيث سلمه أمرا مكتوبا بمغادرة الدمام الى قيس ، كما
كتب الى محمد بن عبد الله يطلب منه تقديم تفسير مقنع عن تصرفاته الأخيرة .
وقد أجابته محمد بن عبد الله بأنه كما يفهم ، من حقه بأن يمارس نشاطه
ضد محمد بن خليفة من الجانب الغربى للخليج ، وبأنه لا يرى أن مساعدة
الوهابيين له تغير من هذا الوضع وازضاف فى رسالته يقول « بأنه اذا كانت

الحكومة البريطانية لا تعارض مهاجمته للبحرين ، ولكنها تعارض اشتراك الوهابيين فى هذا الهجوم ، فان الامر ينطوى على سياسة متناقضة . وكان كامبل يرى نفس الراى ، وقد اشار الى ذلك فى التقرير الذى بعث به الى بومباى حول الأوضاع فى البحرين ، ومنه الى أن أى هجوم وهابى مباشر على البحرين يعتبر من الناحية العملية هجوما يقوم به المنشقون البحرينيون بالتعاون مع الوهابيين . ولما كان فيصل عميلا لوالى مصر ، فقد كانت التعليمات التى لدى كامبل تنص على منع الوهابيين من الاعتداء على البحرين . لأن استيلاء الوهابيين على البحرين سيوقعها تحت السيطرة التركية . واطاف كامبل بأنه اذا كان بقاء البحرين دولة مستقلة يعتبر امرا جوهريا لنجاح السياسة البريطانية فى الخليج ، فيتعين منع أى هجوم على هذه الجزيرة ، وهابيا كان أو من جانب الفئات البحرينية المنشقة فى الدمام . وربما كان من الافضل كما اقترح محمد بن خليفة لو أرغم المنشقون البحرينيون على مغادرة الدمام نهائيا ، لأن وجودهم هناك هو بمثابة الفتيل لكل مظاهر الفوضى والاضطرابات فى منطقة الخليج . اما اذا تعذر هذا فان على حكومة بريطانيا ان تنسحب من الصراع الثلاثى الناشب فيما بين فيصل ومحمد بن خليفة والمنشقين البحرينيين .

ولكن السلطات المسئولة فى الهند لم تكن تحبذ الانسحاب من الصراع ، لأن انسحاب بريطانيا فى وجه الضغوط الوهابية معناه تقويض مركزها فى كافة الأجزاء الغربية للخليج ، وبما أن هذا المركز قد قام على أساس نظام الهدنة ، وعلى أساس النظرية التى تقول بأن بريطانيا سوف تكون الدولة الخاسرة ، فيما لو انهار استقلال الدولات الساحلية . وبعد تقييم اللورد الفينستون حاكم بومباى ، لما ورد فى تقرير كامبل من آراء ، قرر بأن يوقف

محمد بن عبد الله عند حده . لقد فشل هذا حتى الآن من اثبات حقه في حكم الجزيرة ، رغم أنه ظل يحاول ذلك على امتداد خمس سنوات ، كما لم يؤيده سكان البحرين في مطالبه ، وبذلك فقد أثبت أنه عاجز عن اقضاء الشيخ الحاكم عن السلطة ، وان كان من المحتمل أن ينجح فيما لو تلقى مساعدة فعالة من الوهابيين ، غير أن هذا سيضع البحرين تحت السيطرة الوهابية . وكان الفنستون يرى بأنه لو أمكن أرغام محمد بن عبد الله على التخلي عن مطالبه في البحرين أو على الأقل تجميد كل نشاط عملي له فان ذلك سوف يخدم قضية الأمن والسلام في منطقة الخليج . « وعلى هذا الأساس قرر الحاكم بأن يعهد الى الكابتن كامبل بابلغ الامير الوهابي فيصل بأن الحكومة البريطانية لن تسمح له بالتدخل في شئون البحرين ، وأنه اذا ما حاول التلمص أو رفض هذا الطلب ، فيتعين تفويض كامبل بالصلاحيات اللازمة لأرغام الامير أو غيره من المسؤولين ، حتى ولو أدى الأمر الى استخدام القوة ضده لمنع من القيام بأي محاولات عدوانية ضد البحرين تحت أي حجة . كما ينبغي مطالبة الشيخ محمد بن عبد الله بالتخلي عن جميع مطالبه في البحرين ومغادرة الدمام التي يتخذ منها قاعدة للقيام بالاستفزازات في المنطقة » (١) .

بعد وقت قصير صادق الحاكم العام على التعليمات التي أصدرها الفنستون حاكم بومباي لكامل . غير أن لندن لم ترحب بها ورأت فيها اتجاها خطيرا قد يؤدي في النهاية الى القيام بعمليات عسكرية داخل أرض شبه الجزيرة . ولهذا أرسلت لندن في مطلع عام ١٨٥٥ تعليمات عاجلة الى

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٢٠ مرفق للخطاب

النسري رقم ٦٩ المؤرخ ١٨٥٤/١١/٢٨ محضر الفنستون ١٨٥٤/١١/٢٠ .

بومباى بعدم وضع تلك الاجزاء موضع التنفيذ ، وأرقتها بطلب الى حاكم بومباى بتخفيف تلك التعليمات (١) غير أن الأمر لم يكن بالخطورة التى تصورتها حكومة لندن ، لأن استعمال القوة لم يكن واردا فى حساب السلطات الهندية ، وإنما على العكس من ذلك ، اذ يمكن الدفاع عن البحرين ، بحكم انها جزيرة عن طريق الامكانيات البحرية ، وهذا ما كان يرمى اليه الفنستون فى التعليمات التى بعث بها الى كامبل . وبالإضافة الى ذلك فان الفنستون قد حذر المقيم من القيام بأى اجراء عسكري ضد الوهابيين لا يتوقع له النجاح . فاذا ما وجد بأن القوات البرية التى تحت تصرفه غير كافية لتنفيذ تلك التعليمات ، فالأحرى به الا يقوم بأى اجراء ، وإنما يحيل الموضوع الى حكومة بومباى لآخذ التعليمات منها (٢) .

قبل أن يتسلم كامبل هذه التعليمات كان قد قرر تحت ضغط الظروف ، وعلى مسئوليته الخاصة بأن يوجه تحذيرا الى الأمير فيصل الذى كان قد بعث برسالة الى كامبل فى نهاية شهر سبتمبر ، حاول فيها تبرير الهجوم الذى قام به فى شهر يوليو ، بحجة «أن ثمة تفاهما سابقا بينى وبين الحكومة البريطانية بشأن المناطق التابعة لنجد ، والتى تمتد من عمان الى الكويت ، والتى لا يحق لكم ممارسة أى سلطة عليها او التدخل فى شئونها كما ذكر فى

(١) مسودات المجلس من التقارير السرية الى الهند مجلد ٢١ مسودة الى الحاكم ١٨٥٥/١/٣ (رقم ١٦٨) .

(٢) من مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٠ مرفق للخطاب السرى رقم ١٢ فى ١٨٥٥/١/٣١ من اندرسون الى كامبل ١٨٥٥/١/١٨ (رقم ١٤٤ الادارة السياسية) .

رسالته « بأن آل خليفة هم من رعاياه ، وقد تمردوا عليه فقام بمعاقتهم ، وذلك كل ما فى الأمر ، وأشار فيصل بأنه سوف يعتبرها مساعدة من كامبل فى تحقيق هذا الهدف لو استخدم الأخير ما له من نفوذ مع محمد بن خليفة لاقناعه برفع الحصار الذى يفرضه على سواحل الأحساء والقطيف بشكل خاص غير أن كامبل رفض توضيحات فيصل كما رفض طلبه بارغام آل خليفة لارغام شيخ البحرين على ما يريد . وفى رد كامبل على رسالة الامير ذكر « انه بالاشارة الى رسالتكم فان من واجبى بأن اوضح لكم تمام الايضاح . بأن دعواكم الخاصة بالسيادة على دول الساحل العماني ، فان الحكومة البريطانية لا تملك أى سلطة على زعماء المنطقة الذين كانت ولا تزال تعتبرهم حكاما مستقلين ، وتربطها بهم معاهدات واتفاقيات تمتد الى الثلاثين عاما القادمة » . أما فيما يخص البحرين فقد اوضح كامبل بأن حاكمها مستقل ، وبالتالي فهو لا يستطيع دفعه الى اتخاذ أى اجراء قد يعرض سلامة البحرين للخطر . ولكنه أضاف بأنه على استعداد لاستخدام ما له من نفوذ لدى محمد ابن خليفة لاقناعه بايجاد تسوية سلمية مع الامير فيصل ، وأن التمهيد لهذا الاجراء يمكن أن يتحقق بابعاد خصمه محمد بن عبد الله من الدمام .

وقد كرر كامبل اقتراحه هذا للامير فيصل بتأكيد أكثر فى نهاية شهر يناير ١٨٥٥ ، بعد أن تلقى تعليمات الغنستون . فقد وجه طلبا مباشرا الى محمد بن عبد الله بالانسحاب من الدمام ومن المنطقة القريبة من البحرين بوجه عام ، واقترح ضمن هذا الطلب بأن ينتقل محمد وأتباعه من الدمام للإقامة فى الكويت اذا وافق حاكمها على ذلك . كذلك بعث كامبل برسالة الى فيصل يبلغه فيها باقتراحه هذا ، ويطلب التعاون معه فى ابعاد المنشقين

عن الدمام (١) غير أن أملة خاب . ونظرا لاستيائه من خطاب كامبل السابق، ورفضه الاقتراح بأى سلطة له على المشيخات الساحلية ، رد فيصل على كامبل يقول : بأنه عملا بتحكيم هانيل لسنة ١٨٤٦ ، فان من حق محمد بن عبد الله اعلان الحرب على البحرين ، طالما انه كان ينطلق من الساحل العربى للخليج ، وأن من حق فيصل فى الوقت نفسه مساعدته على ذلك . وعلى أية حال فقد كان الهدف الحقيقى من ذلك الخطاب هو اعادة تأكيد موقف الأمير فيصل حول طبيعة امتداد سلطته فى شبه الجزيرة .

نص رسالة الأمير فيصل الى كامبل

« بخصوص ما ذكرتموه عن الاتفاقات المعقودة بين شيوخ ساحل عمان والمقيم البريطانى ومدتها ثلاثون عاما ، اننا نعلم بذلك وبأن الغرض منها منع المخالفات او منح اللجوء للمخالفين وغيرهم سيىء الأخلاق . وانى اوافق على هذه التدابير موافقة تامة سواء التدابير الـ بقية أو اللاحقة ، لانه يوجد بيننا وبين الحكومة البريطانية تفاهم مدته مائة عام وذلك بقصد حماية التجار والمسافرين فى البحار . وأن سواحل عمان والمناطق التابعة لها هى على أية حال تابعة لشبه الجزيرة التى نحكمها وان أهلها يدينون بالولاء لنا . وايضا فان أهل المقاطعات الداخلية من عمان ، وفى قلب مواطن القبائل البدوية ، فان هؤلاء أقوى من الجميع وهم يتحكمون فى سكان الساحل ويعتدون عليهم وكثيرا ما يذبحونهم . وتعلمون بانى عينت نائبا فى عمان تحت تصرفه قوة عسكرية ومهمته هو أن يمنع مثل هذه الاعتداءات والاضرار . وان هؤلاء يتمتعون بحماية هذا النائب ولولاه لتركوا يلاقون مصيرهم المحتوم .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢ مرفق للخطاب

وأيضاً بسبب اهمالهم قد تحدث خلافات لا مجال لتفصيلها فى هذا الخطاب .
وبذلك وقعت مذابح بين زعماء الساحل المذكور ، ولكن لا أحد يستطيع أن
يكبح جماح هؤلاء القوم ويحفظ النظام والوئام بينهم سوى نائبنا فى عمان
ووجوده هنا هو مرضاة الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ، ثم لأمير المؤمنين
نسال الله أن ينصر دينه . وبما اننى تابع لحكومة تركيا السامية فانى احمل
تفويضا من السلطان بحكم جميع العرب نيابة عنه . وعلى سبيل المثال
أن محمد على باشا عندما أعلن مشروعاته بشأن البصرة والمحمرة والمناطق
التابعة لها ، وعندما ظهرت نواياه تجاه الهند ، فقد ارسل مبعوثه الينا لأنه
يعتبرنا اعز عليه حتى من أبنائه وطلب منى أن انقل رأيه بشأن ساحل عمان
وغيره من المناطق داخل شبه الجزيرة ، وبالا اعارض أو أقيم العراقيل فى
طريقه ولكنه لم يهتم بأحد غيرنا من الحكام ، وقد اجبته على مطالبه بما يلى:
انكم تعلمون اننى تابع للسلطان ، فاذا كانت لديكم أوامر منه فعرفونى ،
والا فليس فى وسعى أن أعمل شيئا على الاطلاق . بعد ذلك اندلعت الحرب
بينى وبينه واستمرت عامين ، وقد وصلت أخبارها الى مسامع السلطان ،
وقد سر السلطان بتلك الأنباء وكان جدا راضيا عنا وعن نفوذنا فى المنطقة ،
كما ارتفعت مكانتى لديه الى درجة كبيرة ، نسال الله أن يديم حكمهم
ومجدهم » .

غير أن كامبل أبى أن يقر ليفصل بأى من الادعاءات التى ذكرها فى
رسالته فيما يختص بموضوع السيادة على عمان ، أو مشيخات الهدنة أو
البحرين ، سيما وأن تلك الادعاءات كانت مستمدة من النفوذ الذى أصبح
يتمتع به فيصل بحكم علاقته بالباب العالى ، ولهذا رد عليه كامبل بالرسالة
التالية : -

« . . فى الوقت الذى لا تدعى الحكومة البريطانية بأى نفوذ لها على زعماء

القبائل الساحلية لشبه الجزيرة الذين كانوا ولا تزال تعتبرهم حكاما مستقلين ذوى سيادة ، فانها غير مستعدة لأن تقبل أى تدخل من جانبكم فى شئون البحرين ، أو بحفكم فى شئ الحسب على تلك الدولة تحت أى ظرف من الظروف . وان سياسة الحكومة البريطانية ازاء هذا الموضوع غير خافية على السلطان التركى أو غيره من الدول الأجنبية . ولعلمكم تتبينون بأن علاقتكم بهذا السلطان هى فى الحقيقة سبب اضافى يدعو ذلك الحاكم الى التخوف من أطماعكم ، وهى اوضح دليل على محاولات التملص التى وردت فى رسالة سلفى الى المرحوم الشيخ عبد الله بن أحمد الذى أشرت الىه فى رسالتكم « (١) .

وبعبارة أخرى فان ما كان يقصده كامبل هو ان هانيل لو كان قد عرف بتبعية فيصل للسلطان العثمانى فى ذلك الوقت لما أقدم على ذلك الاعتراف ، وعلى اية حال فلم يكن كامبل فى وضع يسمح له بأن يسترسل فى التفاصيل ، فقد كانت بريطانيا وتركيا فى ذلك الوقت مشتبكتين فى حرب ضد روسيا ، ولم يكن من المناسب ازعاج الباب العالى حول شجار تافه على أقصى الحدود الخارجية للامبراطورية ، وعلى اية حال فان كامبل فى الوقت نفسه كان يعارض محاولة فيصل حصر النفوذ البريطانى ضمن المناطق البحرية للخليج وانتحال سلطات غير محدودة لنفسه فى البحر استنادا على بعض الاتفاقيات التى لم يعد لها وجود . كما لم يتخذ كامبل بالعبارات الجوفاء حول الدور الحضارى لنائبه فى واحة البريمى فقد كان هنا النائب أبعد ما يكون من كبح جماح قبائل الساحل عن مقاتلة بعضها البعض ، وانما على العكس من

(١) مرفقات الخطابات السرية لحكومة بومباى مجلد ١٢٣ مرفق للخطاب.

السرى رقم ٦٦ المؤرخ ١٨٥٥/١١/١ من كامبل الى فيصل ١٨٥٥/٢/٢١ .

ذلك فقد كان يستغل الأحقاد والصراعات القبلية لتدعيم سيطرته على المنطقة . ولم تمض بضعة أسابيع على رسالة فيصل الى كامبل واشادته فى الرسالة بنائبه واعتدال موقفه حتى كان هذا النائب لو استطاع ان يدبر انقلابا وقدر له النجاح ، لادى الى تثبيت اقدام نائبه على منطقة الساحل . فتحت ستار .مساعدة زعيم القواسم الشيخ سلطان بن صقر ، فى محاولته تأكيد سلطته على بعض المجموعات الثائرة من قبيلة الشحوح سكان الحميرية ، الواقعة فيما بين مشيخة عجمان ومشيخة أم القيوين ، حاول أحمد السديرى الاستيلاء على الحميرية لنفسه ، غير أن محاولته فشلت بسبب تدخل آل بوشامس سكان البريمى بقيادة زعيمهم فاضل بن محمد ، الذى سبق أن دافع عن الحميرية ضد قوات مشتركة من القواسم والوهابيين . وفى نهاية شهر مايو عام ١٨٥٨ أجرى كامبل تسوية سلمية لهذا النزاع ، عندما زار الحميرية فى نطاق جولته السنوية للمنطقة ، وخلال المباحثات طرح فاضل سؤالا على كامبل ، عما اذا كانت الحكومة البريطانية تنوى اقامة اتحاد من قبائل الساحل العماني لطرد الوهابيين من البريمى مرة والى الأبد ؟ وعلى الرغم من تعاطف كامبل مع شيخ آل بوشامس ومع رغبته فى التخلص من السديرى ، سيما .وان الحكومة البريطانية كانت متعاطفة مع القبائل التى فقدت استقلالها أمام التوسع الوهابى ، الا أنه لم يكن فى وضع يسمح له باعطاء أى رأى فى الموضوع . فعلاقات بريطانيا بالأمير فيصل لم تكن علاقات عداة ، كما لم تكن هناك مبررات بالنسبة للأوضاع التى تسود المنطقة يومئذ تستوجب الخروج على سياسة عدم التدخل فى الشؤون الداخلية لشبه الجزيرة العربية (١) .

(١) من سلسلة المناقشات لحكومة بومباى حلقة ٣٩٥ مجلد ٢٧ مجموعة ١٤ المؤرخة ١٨٥٥/٨/١٢ من كامبل الى السكرتير السياسى لبومباى ١٨٥٥/٦/٦ (رقم ٢ الف الادارة السياسية) .

كان كامبل فى رده على رسالة الامير فيصل يضع فى الاعتبار التحسن الذى كان قد طرأ على العلاقات الوهابية البريطانية منذ أن أخذ فيصل وكامبل يتبادلان الرسائل فى بداية العام . وفى نهاية مارس وصل محمد بن عبد الله الى بوشهر ومعه رسالة من الامير فيصل يطلب فيها من كامبل الاحتكام فى النزاع بين محمد بن عبد الله ومحمد بن خليفة . وكان محمد ابن عبد الله فى قرارة نفسه لا يحبذ ذلك الاجراء ، كما ظهر من حديثه مع كامبل الذى أكد فيه رفضه مغادرة الدمام أو التنازل عن حقوقه فى البحرين ، على أساس الشروط التى عرضها عليه محمد بن خليفة ، أى يتقاضى ٦٠٠٠ ريال سنويا مقابل انسحابه من الجزء الساحلى الى داخلية منطقة الاحساء ، أو ١٠٠٠٠ ريال مقابل الانسحاب من اراضى الوهابيين كليا . وكما استنتج كامبل من حديثه مع محمد بن عبد الله فان الأخير لم يكن يثق فى وعود محمد ابن خليفة ، فقد كان هناك احتمال دائم بأن يقطع عنه المبلغ بمجرد مغادرته الدمام . وقد شعر كامبل بأن مخاوف محمد بن عبد الله لها ما يبررها ، مما جعله يتصور بأن الحل الأمثل للمشكلة هو فى تخفيض مداخيل القرى والمناطق التى يدعى محمد بن عبد الله تبعيتها لأسرته بصورة دائمة للاعاشة منها . وقد رأى كامبل بأن يعرض هذا الاقتراح على حاكم البحرين فى شهر مايو عند زيارته لها فى نطاق جولته السنوية (١) .

فى اليوم الخامس عشر من شهر مايو غادر كامبل بوشهر مع الطرادين

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٢٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٦ المؤرخ ١٨٥٥/١١/١ من كامبل الى اندرسون ١٨٥٥/٤/٣٠ (رقم ٤ الادارة السرية) ومرفق به صورة من خطاب فيصل الى كامبل ١٣ جمادى الآخرة ١٢٧١ - ١٨٥٥/٣/٢٠ .

كونستانس وكلايف ووصل الدمام يوم ١٩ منه ، ومن هناك انضم اليه محمد ابن عبد الله ووصلا البحرين يوم ٢٠ مايو ، وبعد سلسلة من اللقاءات مع محمد بن خليفة توصل الطرفان الى اتفاق ، تعهد بموجبه محمد بن عبد الله عن نفسه ، وبالنيابة عن أفراد أسرته ، بالتنازل عن حقوقه في البحرين ، والامتناع عن أى عمل من أعمال العدوان ضد محمد بن خليفة . كما تعهد بقطع كل علاقة له بالوهابيين قد تعرقل تنفيذ بنود هذا الاتفاق ، كما تعهد بالامتناع عن ايواء أو استضافة أى من خصوم محمد بن خليفة . وفى مقابل ذلك سمح لمحمد بن عبد الله بالبقاء فى الدمام بعد أن أصبح له فيه املاك ومصالح ، على أن يتقاضى مخصصات اعاشة له ولأتباعه ، هى عبارة عن مجموع ايرادات القرى والعقارات التى لهم فى البحرين ، على أن يعرض أى خلاف بين الطرفين على تفسير بنود الاتفاق على المقيم البريطانى للبت فيه .

ومن الصعوبات التى واجهت كامبل فى اقناع الطرفين بتسوية الخلاف ماتعلق بكيفية دفع الزكاة السنوية التى تدفعها البحرين الى الرياض . وكانت هذه الزكاة تجمع من الضريبة العقارية المفروضة على أملاك محمد بن خليفة وكان يتم ارسالها الى العاصمة الوهابية . وبهذا الخصوص استفسر محمد بن عبد الله ، من كامبل خلال المفاوضات التى أجراها معه عما اذا كانت العقارات التى سيحصل على مخصصاته فيها ، تعتبر خاضعة هى الأخرى للزكاة حتى لو تنازل الأمير فيصل عن جزء من الزكاة المقررة يعادل قيمة عوائد تلك العقارات . وعند سؤال كامبل محمد بن خليفة عن هذا الموضوع أجاب ، بأنه اذا حضر محمد بن عبد الله خطابا من الأمير فيصل بهذا المعنى فانه سوف يعفى تلك العقارات من الزكاة . وبناء على طلب محمد بن عبد الله أدرج هذا التعهد فى ذيل الاتفاقية . وحول هذه المسألة بالذات أشار كامبل فى تقريره

عن التسوية التي أجراها بقوله : « على الرغم من احاطتى بهذه النقطة ، فقد رفضت التصديق على هذه الفقرة أو الموافقة على أن أكون طرفا فيها بأى شكل من الأشكال ، علما بأن الزكاة التي تدفع للأمير فيصل هي ذات طابع ديني بحيث لا دخل للحكومة البريطانية فيه ، سيما وأن الالتزام بنصها لا يستوجب أى نوع من السيادة الإقليمية للأمير الوهابي على البحرين (١) .

كان كامبل فى هذا القرار قد خالف تعليمات الفنستون لشهر يناير الماضى بالسماح لمحمد بن عبد الله بالبقاء فى الدمام . مدفوعا باعتقاد أن الأمير فيصل قد يشعر ببعض المسؤولية فى حمل محمد بن عبد الله على الالتزام بالاتفاق الذى عقده مع حاكم البحرين ، طالما كان يقيم فى الأراضى الوهابية . فى الوقت نفسه لم يكن كامبل يود أن يتصور فيصل ، بأن الحكومة البريطانية تعتبره ضامنا للاتفاق . وخلال المفاوضات حاول كامبل بدكاء ان لا يلتزم بأية ضمانات من جانبه ، أو اعطاء أى دليل على أن الحكومة البريطانية لا تعتبر البحرين أكثر من دولة مستقلة تمارس شؤونها الداخلية والخارجية دون تدخل من طرف ثالث . وقد أوضح كامبل هذا الأمر للأمير فيصل فى خطاب بعث به اليه فى أعقاب إبرام الاتفاق . وقد ذكر له فى هذا الخطاب بأنه فى الوقت الذى تعهدت فيه الحكومة البريطانية بحماية البحرين من أى اعتداء يقع عليها من الاحساء ، فانها بالمثل ترغب فى حماية الاحساء من أى هجوم يشنه عليها حاكم البحرين ، وللأمير فيصل أن يتوقع من الحكومة

(١) من مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٦ المؤرخ ١٨٥٥/١١/١ من كامبل الى اندرسون ١٨٥٥/٥/٢٦ (ب الادارة السرية) وقد ارفق بهذا الخطاب نص الاتفاق وكان تاريخه ٧ رمضان ١٢٧١ .

البريطانية أن تمارس ما لها من نفوذ مع محمد بن خليفة لمنع من القيام بأى عدوان عليه (١) . غير أن رد فعل الأمير فيصل لهذا الخطاب كان يشوبه الغموض ، ففي الوقت الذى أعرب فيصل عن ارتياحه من النجاح الذى أحرزه كامبل فى تسوية الخلاف (كما سبق أن اقترحت) الا أنه اعترض على اصرار المقيم على الوضع الاستقلالى للبحرين ، وأكد « انه منذ عصور بعيدة كان آل خليفة حكام البحرين ولا يزالون تابعين لنا ويدفعون الزكاة السنوية المقررة عليهم بانتظام » .. غير ان كامبل لم يحاول التمسك بهذه النقطة ، فقد كانت لهجة الاعتدال فى خطاب فيصل وتأييده للطريقة التى عالج بها كامبل المشكلة كانت بمثابة اعتراف بمسئوليته عن تصرفات محمد بن عبد الله فى المستقبل . ولم تعد ثمة جدوى من الاستمرار فى النقاش حول أهمية الزكاة التى تدفع كل عام من جانب البحرين . وقد شرح كامبل هذه النقاط لحكومته كالاتى : -

« وسواء اعتبرناها (اى الزكاة) شعارا من شعائر الدين - كما يعنى اسمها - اضطرت حكومة البحرين الى دفعها بحكم الظروف التى كانت تعاني منها أثناء حكم عبد الله بن أحمد ، دون أن يشكل دفعها اى مظهر من مظاهر التبعية أو الخضوع للوهابيين ، أو اذا اعتبرناها جزية عن الجزء الذى يحتله شيوخ البحرين من شبه الجزيرة العربية (وهو قطر) التى كانت معرضة لغزو الوهابيين ، وهو شئ لا يعنى الحكومة البريطانية فى شئ ، فلقد كانت السلطات البريطانية فى الخليج تتحاشى الزج بنفسها فى هذا الموضوع ، وهو ما التزمت به أتا بالنسبة لهذا الحال » ..

فى الفترة الواقعة بين أعوام ١٨٥٥ و ١٨٥٩ ساد المنطقة المحيطة بالبحرين هدوء نسبي . والحادث الوحيد الجدير بالملاحظة هو هجرة قبيلة

(١) نفس المصدر .

آل بنى على بزعامة الشيخ على بن سلطان من جزيرة قيس الى الدمام فى الفترة الأخيرة من خريف ١٨٥٥ . وقد قيل بأن تلك الهجرة قد تمت بايعاز من محمد بن عبد الله ، فاذا كان هذا القول صحيحا فان استقباله لرجال هذه القبيلة فى الدمام يشكل انتهاكا لاتفاقه مع محمد بن خليفة .

غادر كامبل الى بغداد لكي يتولى منصب المعتمد السياسى والفنصل العام فيها خلفا لرولتسون، وكانت أى خطوة يتخذها القائد فيلكس جونز المقيم البريطانى بالوكالة لمساءلة محمد بن عبد الله حول خرقه للاتفاق ستبوء بالفشل نظرا الى النقص فى عدد الطرادات العاملة فى منطقة الخليج . ولهذا اضطر جونز الى الانتظار حتى شهر مايو حتى يتمكن من توفير القوة البحرية اللازمة للقيام باجراء ما ضد محمد بن عبد الله وعلى بن سلطان . فقد وصل المقيم الى البحرين يوم ٤ مايو وهناك عرف بأن الخلاف بين محمد بن خليفة وآل بنى على، انما ينحصر فى بعض أفراد هذه القبيلة فحسب ، وأن حاكم البحرين على استعداد للموافقة على اقامة أغلبية رجال هذه القبيلة فى البحرين نفسها . غير أن جونز لم يجبد الفكرة خوفا مما قد تخلقه من تعقيدات فى المستقبل . ولهذا فقد بعث برسالة الى على بن سلطان يطالبه فيها بتوضيح موقفه من التصرفات الأخيرة . وقد حضر شيخ هذه القبيلة بنفسه الى البحرين بصحبة محمد بن عبد الله وكان تواطؤ الأخير فى عملية خروج القبيلة من جزيرة قيس ونزوحها الى الدمام قد تأكد ، وبالتالي فقد عرض بأن يقوم بترحيلهم من الدمام تنفيذا لقرار حكومة بومباى الذى سبق أن اتخذته عند وصول انباء تلك الهجرة . وكانت حكومة بومباى تتوقع من محمد بن عبد الله بأن يحاول التملص من تنفيذ هذا المطلب ، وان لم يكن يرفضه رفضا باتا - فقد يدعى بأنه لا يملك شيئا من السلطة على آل بنى على تخوله القيام بهذا الاجراء . وردا على ذلك فقد أوعزت حكومة بومباى الى المقيم بإبلاغ محمد ابن عبد الله ، بأنه ما دام لا يتمتع بأى سلطة فى الدمام فان بقاءه فيها ليس

فى مصلحته ومن الأفضل له مغادرتها وأنه أمام أمرين ، فاما ان يقوم بطرد آل بنى على من الدمام ، او أنه سوف يطرد بنفيه فيها (١) .

وبمواجهة محمد بن عبد الله بهذا القرار وافق على ابعاد رجال القبيلة ، الا انه طلب مهلة للتنفيذ حتى نهاية شهر رمضان الذى كان على وشك أن يبدأ . وعلى النقيض من ذلك كان موقف على بن سلطان شيخ القبيلة الذى عارض أمر المقيم وأقسم بأنه واتباعه لن يعودوا الى جزيرة قيس ، بعد أن عز عليهم كسب لقمة العيش فيها . غير أن جونز راح يطمئنه بأنه ليس من الضرورى ان يعود الى جزيرة قيس نفسها ، شريطة ألا يقيموا فى أى جزء من الساحل العربى للخليج يكون قريبا من البحرين ، سواء الكويت شمالا أو أبو ظبى جنوبا . وقد وافق على بن سلطان على هذا الشرط ، وذكر بانه سوف يفادر الدمام فى نهاية شهر رمضان . وعلى اية حال ففى نهاية شهر رمضان تراجع آل من على بن سلطان ومحمد بن عبد الله عن قرارهما ، وذلك على ما يبدو لسبب رئيسى ، وهو انما بدأ يميلان الى التفاهم مع محمد بن خليفة . وعند وصول قائد وحدة أسطول الخليج ، القبطان اثرسلى الى الدمام فى أواخر شهر يونيو ١٨٥٦ للاشراف على عملية ترحيل آل بنى على رفض محمد بن عبد الله السماح لرجال القبيلة بمغادرة الدمام . فقد تناقص عدد رجال القبيلة ولم يبق معه سوى ٨٠ الى ١٠٠ رجل ، ولكى يضع حدا لهذا الانشقاق قرر أن يبقى أفراد هذه القبيلة فى الدمام بالقوة .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٢٥ خطاب

سرى رقم ٢٦ المؤرخ ١٦/٤/١٨٥٦ من جونز الى اندرسون ١١/١٤
و ٢٧/١٢/١٨٥٥ (رقم ٨٠ و ١٠١ الادارة السياسية) وقرار مجلس الادارة
فى ٨/٤/١٨٥٦ .

غير أن على بن سلطان كان ممتعضا من تصرفاته وقد ذكر اثرسلى بأنه ينوى أن يضع نفسه من غير تحفظ تحت حماية محمد بن خليفة غير أن وصول القائد اثرسلى حال دون نجاح خطة محمد بن عبد الله لابقاء آل بنى على فى الدمام . وفى يوم ٢٥ من يونيو غادر أفراد هذه القبيلة الدمام الى البحرين فى السفن التى بعث بها اليهم محمد بن خليفة (١) .

ان الحرب الفارسية لعام ١٨٥٦ - ١٨٥٧ وتواجد القوة العسكرية البريطانية على الساحل الفارسى ابتداء من أواخر عام ١٨٥٦ حتى الأشهر الأولى من عام ١٨٥٨ كان عنصر تهديء بالنسبة للأوضاع السياسية فى شبه الجزيرة العربية . ولم يتفجر الموقف مرة أخرى فى البحرين قبل أواخر صيف ١٨٥٩ ، وكان المسئول عن هذا التوتر كما هو الحال فى المرة السابقة هو نشاطات محمد بن عبد الله ومؤيديه من الوهابيين ، وان كان أيضا نتيجة لاستفزازات محمد بن خليفة . فمنذ ربيع ١٨٥٧ امتنع الزعيم البحرى عن دفع المبالغ المخصصة لمحمد بن عبد الله بموجب اتفاقية ١٨٥٥ ، وأخذ يهدد بمصادرة الاملاك العقارية ما لم يمثل له محمد بن عبد الله . وعلى الرغم من المحاولات الجادة التى بذلها الكابتن جونز لاقنناع حاكم البحرين بالتزام بالاتفاقية ، الا أن محمد بن خليفة تجاهل نصائح المقيم ، واستمر فى تصرفاته الاستفزازية ، واثقا من أن المقيم لن ينحاز الى جانب خصومه أو يرفع حمايته للبحرين . وقد نفذ شيخ البحرين تهديده فقام بمصادرة املاك محمد بن عبد الله فى عام ١٨٥٨ ، وأخذ يرسل بسفنه الى شواطئ الاحساء لاستفزاز غريمه . وفى بداية عام ١٨٥٩ تحدى محمد بن خليفة الأمير فيصل بصورة علنية ، فأعلن رفضه دفع الزكاة السنوية للأمير ، غير أن مثل

(١) من مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٢٦ مرقب للخطاب السرى رقم ٧٢ المؤرخ ١٨٥٦/٩/٣٠ من جونز الى اندرسون ١٨٥٦/٧/١٤ (رقم ١٦ الادارة السرية) .

هذه الإهانات لا يمكن أن تمر بسهولة بالنسبة إلى الأمير فيصل، وبالأخص في تلك الفترة التي كانت قوة الأمير فيصل تتضاءل في شبه الجزيرة العربية في أعقاب وفاة شريف مكة محمد بن عوف . وهكذا ففي مطلع عام ١٨٥٩ أصدر الأمير فيصل تعليماته إلى محمد بن أحمد السديري حاكم الأحساء بتقديم العون إلى محمد بن عبد الله ليكون مستعداً لغزو البحرين وكذلك إمداده بألف رجل لتخليد هذا الغزو .

تلقي جونز نبأ الاستعدادات القائمة في الدمام والقليفي على فترات في الأسابيع القليلة التي تلت . مما اضطره في شهر سبتمبر إلى إرسال السفينة المسلحة فوكلاند عبر الخليج لتدعيم موقف أهالي البحرين ، كما بعث برسالة إلى محمد بن عبد الله ينصحه بعدم المضي في خطته لغزو البحرين ، كذلك كتب إلى الأمير فيصل في نفس الوقت يطلب منه سحب تأييده لمحمد بن عبد الله . وقد رد محمد بن عبد الله على رسالة جونز ، بأن أنكر أن له أي نوايا عدوانية ضد البحرين . غير أن جونز لم يثق في كلامه ، وفي الأسبوع الثالث من سبتمبر قام بتعزيز السفينة فوكلاند بسفینتين أخريين هما سميراميس وماهي ، وفي يوم ٢١ سبتمبر زارت السفن الثلاث الدمام ، واجتمع قبطان السفينة سميراميس بمحمد بن عبد الله الذي وعد بعد أن لمس عزم الحكومة البريطانية على الدفاع عن البحرين ، بصرف النظر عن مهاجمته البحرين ، وكتب تعهداً خطياً بهذا المعنى لقبطان السفينة سميراميس .

غير أن جونز لم يكتف بالتعهد ، وفي بداية أكتوبر أصدر بياناً ندد فيه

بموقف محمد بن عبد الله ووصفه بأنه عدو للسلام فى الخليج ، كما فوض سفن اسطول الخليج بمصادرة السفن التابعة لمحمد بن عبد الله ولاتباعه. حيثما وجدت فى البحار ، كما استأذن حكومة بومباى فى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بابعاد محمد بن عبد الله من الدمام بالقوة ، دون اعتبار لفصيل بن تركى . فقد كان جونز يعارض موقف اللامبالاة الذى كانت تقفه السلطات البريطانية فى الهند من تصرفات الأمير فيصل ، ولم يكن يعرف تفسيراً لتلك السياسة ، سيما وان التوسع الوهابى فى المنطقة كانت له عواقب مدمرة الى ابعد الحدود . وقد ذكر جونز بأنه لو قدر للنفوذ الوهابى أن يمتد فانه لابد وأن ينتهى الى اقامة امبراطورية للعثمانيين فى شرقى شسبه الجزيرة العربية وكتب يقول :

« . . وسواء كان هدف صاحب السمو بالسعى لسيط السيطرة الوهابية كسيطرة مستقلة او نيابة عن الأتراك أو المصريين ، بهدف استعادة موانى الخليج باعتبارها من ممتلكات الامبراطورية العثمانية ، فان هذه الأهداف لم تتضح حتى الآن . غير انه من المؤكد أن الرغبة فى التوسع فى هذا الجزء من أرض الجزيرة يبدو واضحاً فى صورة أخرى ، وقضلاً عن ذلك فان التأكيد على هذا المسعى مستمر منذ وقت طويل ، وعلى أية حال فانه لما كان تدهور النفوذ التركى يجرى الحكومة العثمانية من ممارسة سيطرتها على ممتلكاتها القريبة من عاصمتها ، فان سياستنا كما اعتقد ، وكما ينبغى ، هى أن تهدف الى استنكار أى محاولات من جانب تركيا لاسترداد سلطتها على مناطق بعيدة عنها كهذه المناطق » .

كما ذكر جونز بأن عددا من أعمال القرصنة قد ارتكبت مؤخرا بالقرب

من ساحل الاحساء كنتيجة للاستعدادات الجارية في القطيف والدمام لغزو البحرين . وأشار بانه ما لم تدفع حكومة فيصل تعويضات عن هذه الجرائم فينبغى اتخاذ تدابير انتقامية . ضد هذه الموانئ والسفن التابعة لنجد فورا . وفي بداية نوفمبر بعث الأمير فيصل برده على رسالة جونز المؤرخة لأول سبتمبر . ولم يحاول في الرسالة أن يتستر على المساعدات التي كان يقدمها ممثله في الاحساء الى محمد بن عبد الله لوضع خطة للهجوم على البحرين . بل على العكس فقد ذكر بأن تصرفات محمد بن خليفة واضطهاده لرعايا الأمير فيصنل في قطر كانت كلها أمورا تستوجب شن هجوم على البحرين ، وقد كتب فيصل يقول : « انكم تعلمون بأن البحرين تابعة للأمير الوهابي ، وانه هو الذي أسسها ، وأن القوانين الجارية في البلاد قد صدرت عنه ، وأن الضريبة الدينية التي تدفعها البحرين للأمير هو الذي فرضها ، كما هو معروف في جميع انحاء العالم راوضحح الأمير فيصل بأن جونز بمحاولاته منع محمد بن عبد الله من شن هجوم على البحرين ، انما يتدخل في مسائل ليست من اختصاصه » . . « ففي المعاهدات المعقودة بين الأمير الوهابي والسلطان عبد المجيد بنود تمنع التدخل إلا لأسباب خاصة » كما ذكر فيصل بأن هناك معاهدات مماثلة بينه وبين الحكومة البريطانية ، وأن المقيمين البريطانيين السابقين لم يكونوا يتدخلون عندما كان يضطر الأمير الى فرض بعض العقوبات على رعاياه لعدم دفعهم للزكاة .

ريبدو أن جونز لم يتوقع تحقيق أى نجاح مع فيصل ، كما فشل قبله كامبل في محاولته اقناع فيصل بأن المعاهدات التي أشار اليها في خطابه لم تكن معاهدات بالمعنى الحقيقي للكلمة ، وانما هي مجرد مراسلات كان المقيمون يشرحون فيها أهداف السياسة البريطانية في الخليج ، ويطلبون منه التعاون معهم في سبيل تحقيقها . وقد ركز المقيم في رده على الأمير

فيصل أن اكد بأن ما تهدف اليه الحكومة البريطانية فى النزاع القائم بين محمد بن عبد الله ومحمد بن خليفة هو الحفاظ على السلام فى الخليج ، والحيولة دون تقويض استقلال البحرين من جانب قوى خارجية . وقد كتب جونز يقول : « . . اننا نعرف بالبحرين كدولة مستقلة تحت سلطة حاكمها الذى يؤيده الشعب ، واننا على استعداد للتصدى لآى تدخل اجنبى فى البحرين ، وحتى ولو كان هذا التدخل من جانبكم ، وسنقاومه بكل الوسائل المتاحة لنا » (١) .

وقد أيدت حكومة بومباى الموقف الحازم الذى اتخذته المقيم ، واقتنع الحاكم بأن السبيل الوحيد لانهاء الصراع المستمر على البحرين ، هو طرد محمد بن عبد الله من الدمام . وأن القيام بهذا الاجراء لن يسهم فى استعادة حاكم البحرين ثقته فى الحكومة البريطانية فحسب ، ولكنه ايضا سيمنع الوهابيين وغيرهم من التدخل ضده . وهكذا فوض جونز فى فبراير ١٨٦٠ ، باتخاذ اجراء ضد محمد بن عبد الله بمجرد أن تتوفر له القوة البحرية اللازمة ، واخراج محمد بن عبد الله واتباعه من الدمام ، وتوطينهم اها فى الكويت ، أو على الساحل الفارسى .

والمشكلة التى كان يواجهها جونز هى النقص فى السفن الحربية اللازمة للقيام بتنفيذ التعليمات الصادرة اليه بهذا الخصوص . فقد كان الأسطول الهندى وقتئذ فى وضع حرج . وكان مستقبله غير مضمون ، كما كان ضباطه يحاولون على المعاش بسرعة ، وسفنه مبعثرة فى منطقة واسعة من

(١) مرفقات الرسائل السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٤٢ مرفق للخطاب السرى رقم ١٣ المؤرخ ٢٧/٣/١٨٦٠ من جونز الى فيصل
١٨٥٩/١١/٢٩ .

لمياه الشرقية ، بدءا من سنغافوره حتى السويس . وكان النقص فى السفن خطيرا لدرجة أن الحكومة فى بومباى كانت لا تستطيع اجراء اتصالاتها مع الخليج ، بالاضافة الى النقص فى عدد السفن المطلوبة للقيام بالمهام الخاصة . ولم يتمكن جونز من ابلاغ حكومة بومباى بخطة الغزو قبل اواخر الصيف وبداية الخريف لعام ١٨٥٩ ، وان كان قد تم هذا بحكم المصادفة وذلك عند وصول احدى سفن الاسطول الملكى الى بوشهر ، ورغم ذلك فان تقرير جونز بهذا الشأن لم يصل الى الرياسة فى بومباى قبل شهر ابريل ١٨٦٠ . ولكن الوضع فى البحرين كان فى ذلك الوقت قد تغير بسبب التصرف الاحمق لحاكم الجزيرة محمد بن خليفة .

من البنود التى تضمنتها اتفاقية الحماية بين الحكومة البريطانية وحاكم البحرين بند ينص على الا يقوم حاكم البحرين من جانبه بأى اجراء يخل بوضع الأمن فى الخليج ، وبأن يمتنع عن القيام بأى عمل استفزازى للأمير فيصل . غير أن محمد بن خليفة لم يكن راضيا عن هذا الشرط ، ولما كان خصمه محمد بن عبد الله واتباعه فى الدمام قد أصبحوا غير قادرين على مواجهته بسبب التدخل البريطانى فى شهر سبتمبر ١٨٥٩ ، فقد حاول محمد بن خليفة أن يستغل هذه الفرصة لسحق المنشقين عنه . فمناذ بداية عام ١٨٦٠ عاد محمد بن خليفة الى مناوشة السفن فى سواحل الأحساء ، وعلى الأخص فى الدمام ، ثم فى شهر مارس قامت مجموعة من البحرينيين بالاعتداء على ساحل الأحساء واختطففت نحو مائة بعير . وعلى الرغم من توبيخ جونز لحاكم البحرين على تصرفه الأرعن هذا الا أن محمد بن خليفة أستمر فى ممارساته هذه ، بل أخذ أيضا فى خلق المتاعب للتجار البريطانيين فى البحرين وبتهديدهم تارة ثم فرض اتاوات عليهم تارة أخرى ، ولم يفلح تهديد جونز فى ردع محمد بن خليفة عن ارتكاب مزيد من الغفائع ضد الهنود . وأخيرا تبين أنه لم يرقم وزنا لتهديدات المقيم وانذاراته . وقد اتضحت أسباب هذه المواقف . لما كان حاكم البحرين يدرك بأن البريطانيين

لابد وأن يحاسبوه على تصرفاته هذه ، وعلى اضطراره للرعايا البريطانيين وقد قرر بأن يضع نفسه تحت الحماية الفرنسية أو التركية (١) كي يتجنب ردود الفعل البريطانية .

فى أوائل سنة ١٨٥٩ وعند أول اشارة للخطر القادم من جانب فيصل، بعث حاكم البحرين برسالة الى الوالى التركى فى بغداد عمر باشا يعرض عليه وضلع بلاده تحت حماية السلطان العثمانى . وقد استجب عمر باشا لطلب الحاكم بايفاد مبعوث خاص اليه فى مارس ١٨٥٩ . وقبل أن يفادر المبعوث التركى البحرين وصل اليها مبعوثان من شيراز يحملان دعوة رسمية لحاكم البحرين من امير اقليم فارس ويعرض المساعدة الفارسية عليه فى حالة قيام أى مشكلة بينه وبين البريطانيين أو غيرهم (٢) وإمام هذين العرضين بالحماية رأى محمد بن خليفة على ما يبدو أن يحتفظ بهما ريثما تحين الفرصة المناسبة . وعلى أية حال فسواء كان شهر مارس ١٨٦٠ هو الفرصة المناسبة حسب تصور محمد بن خليفة أو لم تكن ، فالذى حدث هو أن ميرزا مهدي وكيل وزارة الخارجية الفارسية فى بوشهر قد وصل الى البحرين فى ذلك الشهر . وقيل يومئذ بأن ميرزا مهدي ذاهب طى مهمة

(١) مرفقات للرسائل السرية الى بومباى مجلد ١٤٢ مرفق للخطاب السرى رقم ٥ المؤرخ ١٨٦٠/٦/٢٢ من جونز الى اندرسون ٢/٢ و ٤/١٤ و ١٨٦٠/٥/٧ (رقم ٤١ و ١١٨ و ٢ الف الادارة السرية) .

(٢) وقد أشار جونز وقتها بأن سلوك محمد بن خليفة قد اتسم بنفس الازدواجية التى اتسمت بها جميع تصرفاته سواء معنا أو مع أى دولة قد يستفيد منها ، اذا ما دعت الحاجة فى أى وقت من الاوقات بطلب المساعدة أو اللجوء للقريبين منه .

رسمية الى الامير فيصل تتعلق بالترتيبات اللازمة لتأمين سفر الحجاج الفرس الى مكة . غير أن هذه الخدعة لم تنطل على احد ، فقد كان معروفا بأن الترتيبات الخاصة بسفر الحجاج الفرس تتم عن طريق وكيل الوهابيين الذى يحضر الى بوشهر كل عام ، ولم تكن ثمة حاجة الى سفر وكيل الخارجية الفارسية لهذا الغرض . غير أن الأرجح هو أن ميرزا مهدى اذا كان قد توجه فعلا الى الرياض ، حيث لم ينجح فى مهمته فى البحرين ، فمن المحتمل أن يكون قد كلف بالتوجه الى الرياض اذا لم ينجح فى مهمته فى البحرين . كذلك فإن عددا من المبعوثين الوهابيين قد قاموا بزيارات عديدة الى بوشهر فى الشهور الاخيرة ، وبالتالي فقد كان من المحتمل ، أن يكون قد تم وضع خطة مشتركة خلال تلك الزيارات للقيام بعمل ما ضد البحرين .

فى اواخر الشهر وصل ميرزا مهدى الى البحرين . وقد قلد حاكمها وساما فارسيا ، كما قدم اليه سيفا مرصعا بالذهب هدية من الشاه . وقد رد الشيخ خليفة على هذه المبادرة باعلان تبعية البحرين لفارس ، ورفع العلم الفارسى على سارية القصر فى المحرق . وقد أكد الشيخ تبعيته لفارس فى رسالتين بعث بهما الى كل من الشاه وأمير فارس ، وأعلن فيهما « أن البحرين قد أصبحت جزءا من دولة فارس السامية ، وأن هذه الحقيقة أصبحت واضحة كالشمس فى رابعة النهار وذكر بأننا ، أى البحرينيين ، رعيا وخدام للدولة الفارسية العليا منذ الآن ، وكرمز لهذه التبعية تعهد محمد بن خليفة بدفع زكاة سنوية لفارس ورفع الاعلام الفارسية .

بعد بضعة أيام من اصدار محمد بن خليفة لهذه البيانات ، حضر الى البحرين اثنان من المسؤولين الأتراك من بغداد ، وكانت زيارتهما تلبية لطلب آخر وجهه محمد بن خليفة للانضواء الى الساب العالى فى أواخر عام ١٨٥٩ . ويعود السبب فى تأخر الأتراك عن تلبية طلب حاكم البحرين الى

غياب عمر باشا عن بغداد عند وصول مبعوث محمد بن خليفة إليها ، مما اضطره الى انتظار مجيء خلف لوالى بغداد ليحصل منه على الرد . وعند وصول الوالى الجديد مصطفى نورى باشا أعلن موافقته على قبول طلب شيخ البحرين . وفى منتصف شهر مارس أوفد الوالى الجديد احد معاونيه ويدعى محمد بك الى البحرين ، وأثناء وجود هذا المسئول فى البصرة انضم اليه مسئول آخر ، ووصل الاثنان الى البحرين فى يوم ٢٢ ابريل ، وعند وصولهما فوجيء المبعوثان بقبول حاكم البحرين للحماية الفارسية ، وذلك بسبب تأخر رد الأتراك على طلبه ولكن الحاكم أبدى مع ذلك استعداده للاستماع الى رأيهما ، وعلى الأخص بعد الرحلة الطويلة التى قطعها للحضور اليه . وأوضح لهما ، بأنه اذا كان الأتراك مستعدين لتقديم نفس الضمانات التى قدمها الفرس ، وتعهدوا بحمايته من ابن سعود ، ومن تدخلات البريطانيين وغيرهم من الدول وذلك باصدار مرسوم موقع من السلطان العثمانى بهذا المعنى ، فإنه سيكون على أتم استعداد لوضع بلاده تحت الحماية التركية (١) وبسؤاله عما اذا كان قراره هذا لا يتعارض مع اتفاهه مع الفرس أجاب بأنه لم يقدم أية التزامات للفرس ، وأضاف بأنه اذا كان الأتراك مستعدين لتنفيذ ما اطلبه منهم ، فانى سيقف الى جانبهم والا فلا داعى الى اقامة علاقات معهم . وأما بالنسبة للعلم الفارسى فقد ذكر الحاكم بأن أى عبد من عبيده يمكنه انزال هذا العلم فى أية لحظة . وعلى أية حال فقد تمكن مبعوثا الحكومة التركية من اقناع حاكم البحرين بأن تبعيته للأتراك سوف تكون فى صالحه اكثر من تبعيته للفرس .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٢ مرفق للخطابه السرى رقم ٢٥ المؤرخ ١٨٦٠/٦/٢٢ ملخص تقرير من الحجاج جاسم . ٢٩ رمضان ١٢٧٦ الموافق ١٨٦٠/٤/٢٢ .

غادر المبعوثان التركيان البحرين يوم ٢٤ ابريل. وقد بعث حاكم البحرين بأخوه بخطاب الى والى بغداد يعترف فيه الحاكم بتبعيته للأتراك ، ويتعهد بدفع زكاة سنوية مقدارها ٧٠٠٠ ريال نمسوى ، بالإضافة الى عدد من الجياد العربية الأصيلة كهدية منه لمصطفى نوري باشا . ولقد تم انزال العلم الفارسى من على ساريته خارج القصر ، ورفع مكانه العلم التركى ، كما أبلغ ميرزا مهدي مبعوث فارس بوجود مغادرته البحرين ، الا ان المبعوث الفارسى رفض مغادرة البلاد قبل أن يتلقى تعليمات من حكومته فى هذا الشأن .

لقد أصبحت مهمة جونز فى ذلك الوقت هى تقييم الاثر الذى قد تتركه تلك التطورات على التعليمات التى لديه بالقيام باخراج المنشقين على حاكم البحرين من الدمام ، وتأكيد اهتمام الحكومة البريطانية بمصالح حاكم البحرين . ومع ذلك فلم يكن جونز ينظر بجدية الى الاحداث الأخيرة فى البحرين فلم تكن تلك هى المرة الأولى التى يتودد فيها حاكم البحرين الى الحكومات البريطانية والتركية والفارسية كلما واجه بعض المصاعب ، ثم يعود فينقلب على تلك الحكومات بعد أن يحقق هدفه فيها ، كما كان الكثيرات من نساء بلده ضحية لشهواته التى لا حدود لها (١) . غير أن جونز فضل قبل أن يتحرك ضد المناوئين لمحمد بن خليفة فى الدمام أن يتوصل الى معرفة ما جرى بين حاكم البحرين وضيوفه من الفرس والأتراك .

غادر المقيم بوشهر فى أول مايو ترافقه جميع سفن أسطول الخليج وهى فوكلاند وسمير اميس وتيجريس وماهى ، ووصل الى المحرق يوم

(١) مرفقات الرسائل السرية الى بومباى مجلد ١٤٢ مرفق للخطاب

السرى ٢٥ المؤرخ ١٨٦٠/٦/٢٢ من جونز الى رولنسون ١٨٦٠/٤/١٧
(خاص) .

٣ مايو . ولم تجر مراسم استقبال للمقيم لدى وصوله كما رفض حاكم البحرين دعوة من جونز للاجتماع به على ظهر سفينة القيادة سمير اميس . وحتى بعد أن وصلتته رسالة من المقيم عن طريق وكيل المثلية فى البحرين تتضمن قرار حكومة بومباى بابعاد خصمه محمد بن عبد الله من الدمام فانه لم يكثرث بوجود المقيم . وأخيرا غادر جونز البحرين دون أن يظهر استياءه من موقف الحاكم . وكان من الطبيعى ان يتأجل موضوع ابعاد المنشقين عن حاكم البحرين من الدمام بسبب هذا الموقف وحتى تعيد حكومة بومباى النظر فى تصرفات محمد بن عبد الله الاخيرة .

فى الوقت نفسه كان جونز يفكر فى استيضاح حكومة فارس بشأن الاجراء الذى اتخذته لارسال ميرزا مهدى الى البحرين لحمل الشيخ على اعلان ولائه للحكومة الفارسية رغم علمها الاكيد بموقف الحكومة البريطانية من البحرين . ولما كان جونز غير مخول بالاتصال المباشرة بحكومة فارس ، او حتى بالحكومة الفرعية فى شيراز حتى فى المسائل التى هى من الاختصاص المباشر للمثلية فى بوشهر ، فقد أحال الموضوع على الوزير البريطانى المفوض فى طهران « السير هنرى رولنسون » . وقد أشار جونز فى رسالته الى الوزير بهذا الخصوص بأنه على الرغم من اقتناعه الاكيد بأن حاكم البحرين كان يستغل الفرس لآربه الخاصة ، الا أن السرعة التى تحركت بها الحكومة الفارسية للتجاوب مع مبادرة الحاكم انما تؤكد أن الفرس كانوا يتحنون الفرص لاجراج البريطانيين من الخليج . غير أن هذا لم يكن موقفا غريبا من الفرس الذين كانوا حتى ذلك الوقت يعانون من هزيمتهم فى حرب ١٨٥٦ - ١٨٥٧ وكانوا بالتالى يبحثون عن متنفس من تلك الهزيمة بعد أن استطاعت بريطانيا أن تجرد سلطان مراد ميرزا أمير فارس وحاكمها من الانصارات التى حققها فى الحيرة ، وظل منذ عودته الى شيراز يعمل جاهدا للانتقام من المثلية البريطانية فى بوشهر ، ومن الغرابة أن سياسة اللين

والمسألة التي انتهجتها بريطانيا تجاه فارس بعد عام ١٨٥٧ هي التي شجعته على المضي في تلك السياسة التي كانت من نتيجتها التعليمات التي بعث بها الوزير المقوض البريطاني في طهران الى جونز باحالة جميع الرسائل الموجهة الى الحكومة المركزية في فارس الى ميرزا مهدي وكيل وزارة خارجية فارس المقيم في بوشهر . وأشار جونز الى أن هذا القرار قد انحدر به وضع المقيم السياسي البريطاني في الخليج الى وضع الموظف الذي يتلقى الأوامر وكان سببا في نجاح مهمة ميرزا مهدي في البحرين مما مكنه أن يكون نداء المقيم البريطاني أمام حاكم البحرين . وفي هذا المعنى كتب جونز في شهر ابريل رسالة الى رولنسون جاء فيها :

« لقد بدأت لاحظ منذ بعض الوقت أن السلطات الفارسية على اختلافها تحاول تفويض ما لنا من نفوذ ومركز في الأقطار الاسلامية ، وفي هذه البلاد بنوع خاص . وفي الماضي لم تكن السلطات الفارسية تجرؤ على محاربتنا بهذا الشكل عندما كان المقيم السياسي في الخليج يتمتع بمركزه في المنطقة ، فلماذا فقد كان هدف المسؤولين الفرس على اختلافهم هو السعي لضعاف مركز المقيم ، وقد نهبت الى هذه النقطة في جميع التقارير التي كنت أبعث بها منذ قيام الحرب . ومن هنا فان الاجراء الذي اتخذته سلطان مراد ميرزا كما اتضح أخيرا ، انما يؤكد الخط الذي يسير عليه المسؤولون الفرس ، وان لم يحققوا أى نجاح فيه . ولقد كانت نتائج التنازلات التي حذرت منها ، والاجراءات التي اتخذها ميرزا مهدي بالاشتراك مع شيخ البحرين هي حصيلة مساعي أمير اقليم فارس وحاكمه في مجال التآمر على نفوذنا تحت ستار الاصلاحات الادارية (١) .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٤٢ مرفق للخطاب السري رقم ٢٥ المؤرخ ١٨٦٠/٦/٢٢ من جونز الى رولنسون .
١٨٦٠/٤/١٨ (خاص) .

كان رولنسون على وشك السفر الى انجلترا عندما تلقى رسالة جونز ، وكان طبيعيا أن يشعر بالاستياء من جونز للكتابة اليه في هذا الوقت الذي يعتبره رولنسون أمر اتافها . وقد ذكر رولنسون في رده على رسالة جونز بأنه يوجد هناك دائما من يدعى السيادة على البحرين ، فتارة الاتراك ، وتارة الفرس ، وتارة الوهابيون . أما جونز فكان يعرف موقف حكومة الهند من هذه المشكلة والتعليمات التي زودت بها رجالها في الخليج كيفية التصرف حيال هذا الامر . ان أى اعتداء أو عمل حربى ضد البحرين أيا كانت الجهة التي تقوم بها لابد من رد عليه بالقوة المسلحة . فطالما أن ولاء حاكم البحرين أو تبعيته لأية دولة ، لا يستتبعه احتلال عسكري من جانب تلك الدولة ، فان ذلك لا أهمية له ويجب تجاهله . أما رأى جونز فى مهمة ميرزا مهدى على ضوء التعليمات التي تلقاها فى الآونة الأخيرة ، بعدم اجراء اتصالات مباشرة مع أمير فارس أو مع الحكومة المركزية فى طهران الا عن طريق الوكيل يعتبر اجراء تعسفا وغير منطقي فى رأى رولنسون فقد ذكر :

« بأن هذه ليست المرة الأولى التي تطالب فيها فارس بالبحرين ، ورغم رفض الحكومة البريطانية الاعتراف لفارس بادعائها هذا ، الا أن حكومة فارس لم تتخل عن هذا الطلب . وبأن هناك تعليمات قائمة لدى حكومة شيراز بالمطالبة بالبحرين كلما سنحت لها الفرصة ، كما ان محاولة أمير فارس فى ارسال ميرزا مهدى الى البحرين هى جزء من هذه الخطة ، وتنفيذ لتعليمات الحكومة المركزية ، وانها ارسلت اليها قبل وصولي الى هذه البلاد . وبالتالي فاني ارى انه من حقى أن ارفض رفضا قاطعا ما تحاول أنت ان تفرضه على حكومة صاحبة الجلالة من اجراءات على ان

تبحث لك عن اسباب أخرى تبرر سوء علاقتك بحاكم البحرين ، كما انى لا اوافق على تقديم احتجاج رسمى الى الحكومة الفارسية ضد اجراء ميرزا مهدي . . لان تقديم احتجاج كهذا سوف يضى على المسألة اهمية أكبر مما تستحقه » .

وعلى أية حال فان رولنسون لم يكن ليتجاهل طلب المقيم تجاهلا تاما فعندما سنحت له الفرصة للاجتماع بوزراء الشاه اشار ولو بطريقة غير رسمية الى ان اعلان فارس سيادتها على البحرين دون أن تكون لديها الوسائل الكفيلة بممارسة تلك السيادة أو الاضطلاع بمسئولياتها ، سوف يكون اجراء محرجا للشاه نفسه ومثارا للسخرية . كما ذكر لهم أيضا ، حسبما جاء فى رسالته الى جونز « بأن الحكومة البريطانية لا يمكن ان تقبل بأى شكل من الأشكال فكرة نقل السيادة على البحرين الى الحكومة الفارسية ، لأن هناك معاهدات بين بريطانيا وشيوخ شبه الجزيرة تؤكد بانهم حكام مستقلون ، وأن الحفاظ على استقلالهم هذا يعتبر أمرا جوهريا لنجاح الخطط الخاصة باستقرار الأمن فى المنطقة ، وهو الأمر الذى كلف تحقيقه الكثير من الجهد والتضحيات (١) .

فى واقع الأمر لم يكن رولنسون عادلا فى حكمه على جونز . صحيح ان جونز لم يكن أقدر الموظفين البريطانيين الذين عينوا فى بوشهر ولا أكثرهم ذكاء ولباقة . غير أن الخطأ فى مشكلة البحرين ، وفى نشاط ميرزا مهدي

(١) فارس والخليج مجلد ١١٥ من رولنسون الى اللورد جون رسل .

وسلطان ميرزا مراد لم يكن جونز مسئولاً عنه كما كان يعتقد رولنسون ،
فنظرة رولنسون لعلاقة المقيم بالسلطات المحلية في فارس كانت متأثرة
بالمسئوليات التي كان يضطلع بها جونسون في توجيه العلاقات البريطانية
مع حكومة فارس ككل ، وكان طبيعياً الا يرحب رولنسون بأى اجراء قد يؤدي
الى تعقيد تلك العلاقات ، كالاخلاف القائم بين المقيم وحكومة شيراز . غير
أنه لم يكن يستطيع ان يتجاهل ما كان يجرى في البحرين . وهكذا توصل
رولنسون بعد بحث الموضوع الى ان الأمر يستدعى أكثر من مجرد توجيه
تحذير غير رسمى الى وزراء الشاه . ففي الأسبوع الأول من شهر مايو سلم
رولنسون « رسالة سرية » الى رئيس وزراء الشاه فاروق خان ليقدمها الى
الشاه ، وقد ذكر في الرسالة : بأن حكومة صاحبة الجلالة سوف تنظر
باستياء بالغ الى أية محاولة جديدة من قبل الحكومة الفارسية للتدخل في
شئون البحرين ، سواء جاء هذا التدخل في صورة مؤامرة ضدها أو في
شكل عدوان عسكري من جانب السلطات الفارسية ، أو تم بدعوة من حاكم
البحرين نفسه وفي رسالة رولنسون الى وزير الخارجية البريطانية اللورد
جون رسل أوضح الوزير المفوض بأن ذلك هو أقصى ما يمكن ان يتخذه من
اجراءات في الموضوع : « فاذا كانت الحكومة الفارسية تنوى بالفعل تنفيذ
مطلبها بالسيادة على البحرين ، وهو ما تسعى اليه منذ وقت طويل فانها
لن تستطيع تحقيق ذلك الا عن طريقين : اما بارسال قوة عسكرية لاحتلال
الجزيرة ، أو بمطالبة الحكومة البريطانية بقطع كل صلة لها مع حاكم
البحرين ، وفي كلا الاحتمالين فاننا نملك الحل في أيدينا . فلو حاولت
فارس اللجوء الى القوة فان الأسطول البريطانى في الخليج سوف يتصدى
لها ، اما اذا لجأت الى اجراءات أقل عنفاً ، فعنئذ ينبغى تحذير حاكم
البحرين بوجوب مراعاة اتفاقاته مع الحكومة البريطانية مراعاة دقيقة .
وحتى تتضح الخطوة التي قد تلجأ اليها فارس فان رولنسون يرى بأن

المسألة لا تتطلب اثارها مع حكومة طهران ، حتى لا يفضى ذلك الى تدخل دول أخرى فى المشكلة . وتعريض منطقة الخليج للصراعات الدولية فى النهاية .

غادر رولنسون الى انجلترا يوم ١٧ مايو . وقبل مغادرته أبلغ حكومة فارس بأن موضوع النزاع على البحرين قد أحيل الى حكومة لندن للنظر فيه . وقد أكد له المسئولون الفرس من جانبهم بأن الأوامر قد صدرت الى سلطان ميرزا مراد بوقف أية اجراءات حول البحرين ، الى ان تصله تعليمات جديدة بشأنها من حكومة طهران (١) غير ان الظروف لم تكن مناسبة فى ذلك الوقت لاتخاذ قرارات فى لندن تمس السياسة البريطانية تجاه فارس بالنسبة للبحرين . فقد نقل الاشراف على المفوضية البريطانية فى طهران من وزارة الخارجية البريطانية الى مكتب شئون الهند الذى تم انشاؤه أخيرا فى عام ١٨٥٦ وبذلك انتقلت مسئولية الاشراف على أعمال هذا المكتب بعد انتهاء عقد شركة الهند الشرقية الى البلاط الملكى مباشرة ، وكان مكتب شئون الهند هو الذى قام بتعيين رولنسون فى مفوضية طهران عام ١٨٥٨ ، وقد استدعى بعد ذلك كنتيجة للقرار الجديد الذى اتخذ باعادة الاشراف على المفوضية الى وزارة الخارجية . ولعدم وجود موقف محدد منذ موضوع البحرين فقد أوعز الى شارلس اليسون ، الوزير البريطانى الجديد فى طهران بآثاره الموضوع مع الحكومة الفارسية . فاذا ما تطرق الشاه أو أحد وزرائه الى هذا الموضوع فيتعين على اليسون مجرد الاعراب عن أسفه للاجراءات الفارسية الأخيرة بشأن البحرين وابلأغ الشاه بأن الحكومة البريطانية لا تزال على تصميمها ، باعتبار شيخ البحرين مسئولا

(١) « فارس الخليج » مجلد ١١٥ من رولنسون الى اللورد جون رسل (وزارة الخارجية) ١٨٦٠/٥/١٠ (رقم ٧٧) نفس المصدر .

عن الاتفاقات التي عقدها مع الحكومة البريطانية بوصفه حاكما مستقلا (١).
قبل وصول اليسون الى طهران يوم ١٧ يوليو كان الماجور ليويس
على ، القائم بأعمال المفوضية قد عقد محادثات مع بعض وزراء الشاه
حول مشكلة البحرين ، وقد سبق للماجور يلى أن عمل سكرتيرا سياسيا
للسير جيمس أوترام أثناء الحملة البريطانية على فارس ، ثم عين سكرتيرا
للمفوضية البريطانية فى طهران فيما بعد تحت رياسة رولنسون . غير أن
يلى لم يكن على دراية واسعة بسياسات الخليج كما كان قليل الخبرة
بمشكلة البحرين .

وعلى أية حال فان يلى لم يتردد عن قبول دعوة من فاروق خان ، ولم
يمض على سفر رولنسون أكثر من ثلاثة اسابيع وذلك للبحث فى قضية
البحرين . وخلال اللقاء الذى عقد بين الرجلين فى ٦ يونيو ذكر فاروق خان
بأن حكومته قد تلقت طلبا من حاكم البحرين للمساعدة العسكرية ، ونظرا
للعلاقات الودية القائمة آنئذ بين فارس وبريطانيا ذكر فاروق بأنه لم يبد
رأيه فى ذلك الطلب حتى ذلك الوقت . وعلى أية حال فلقد كان من المحتمل
أن تؤدي مؤامرات حاكم البحرين الى قيام فارس بعملية عسكرية لاحتلال
البحرين ، الأمر الذى قد يضطر المقيم البريطانى فى الخليج الى القيام
بعملية استعراض للقوة فى الخليج قد يسئ الى العلاقات بين الدولتين .

(١) رسائل حكومة الوطن (سرى) مجلد ٥٤ من رسل الى اليسون
١٨٦٠/٧/٥ (رقم ٤٨) وكانت وجهة نظر مكتب الهند قد ضمنت مذكرة
من جى. دبليو . كى السكرتير المساعد للإدارة السياسية والسرية فى
٦/٢٦ والتي لخصت فى أنه من الأفضل تجاهل نشاطات الفرس كلية واعتبار
الشيخ مسئولا عن تعاقباته (انظر نفس المصدر) .

وكان آخر شيء يتمناه فاروق خان كما أعرب ليلي هو وقوع صدام مسلح في الخليج ، غير أن أمير شيراز كان للأسف يفضل اللجوء الى القوة ، كما كان الشاه نفسه حساسا جدا في الأمور التي تمس الأجزاء البعيدة من الامبراطورية . وقد استوضح فاروق خان ليلي فيما اذا كان من الممكن ارسال تعليمات الى المقيم البريطاني في بوشهر ، بعدم اتخاذ أى اجراء مضاد فيما لو نفذ سلطان ميرزا تهديده وقام بمهاجمة البحرين . وأن يكتفى باخطار الموضعية البريطانية في طهران . بينما وعد فاروق خان ليلي بأنه من جانبه سوف يجرى الترتيبات اللازمة لارسال تعليمات الى شيراز ، كما سبق أن وعد رولنسون بذلك ، بعدم القيام بأى خطوة عملية لتنفيذ دعوى فارس بسيادتها على البحرين ، ريثما تحدد الحكومة البريطانية موقفها من ذلك (١) .

وقد وافق ليلي على طلب فاروق خان ، وفي نفس اليوم بعث برسالة الى جونز يبلغه فيها بمضمون مباحثاته مع الوزير الفارسي ويقول له : « اننى افضل ، حتى مع وجود دليل على اعتزام الفرس القيام بعمل عسكري لاحتلال البحرين ، أن توافونى برأيكم في هذا الموضوع نظرا للعلاقات الودية القائمة بين حكومتى لندن وطهران في الوقت الحاضر ، على الا تقوموا بأى اجراء للرد على الفرس بالقوة أو بأية طرق اخرى قد تورطت الحكومة البريطانية في حرب مع فارس ، قبل أن تتلقوا منى تعليمات جديدة بهذا الشأن (٢) .

(١) « فارس والخليج » مجلد ١١٥ من ليلي الى رسل ١٨٦٠/٦/٧ .
(رقم ٩٥) .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب السري رقم ٣٧ المؤرخ نوفمبر ١٨٦٠ .

غير أن تعليمات يلى جاءت مغايرة للتعليمات التى أصدرتها حكومة الهند الى المقيم حول البحرين ، والتى تنص ، بوجود الرد على أى هجوم يقع على البحرين . كما كانت تتعارض مع وجهة نظر رولنسون والتى كان المفروض أن يكون يلى على علم بها . فضلا عن ذلك فلم يكن من حق يلى ، أن يصدر تعليمات من ذلك النوع الى جونز ، وعلى الرغم من أن المقيم مكلف بتنفيذ التعليمات التى تأتية من الوزير البريطانى المغوض فى طهران فى الشئون التى تخص فارس ، غير أنه لم يكن من حق الوزير أن يصدر تعليمات الى المقيم فى الشئون التى تمس العلاقات مع دول الجزيرة العربية الساحلية . واذا لم يكن يلى يعرف أن موضوع البحرين كان مؤجلا حتى تتخذ الحكومة البريطانية قرارا فيه ، فقد كان ينبغى عليه أن يعرف ذلك . أما اذا كان قد تجاهل هذا الأمر فقد كان موقفا ينم عن السذاجة خصوصا وأن الفرس كانوا يريدون استدراجه الى محادثات معهم بقصد دعم موقفهم فى المفاوضات المنتظرة قبل أن تتخذ الحكومة البريطانية قرارها فى القضية . وعندما وعد فاروق خان رولنسون بأن فارس لن تتخذ أى اجراء بالنسبة للبحرين قبل أن يتضح موقف الحكومة البريطانية فى لندن ، لم يكن يعلم بأن محمد بن خليفة حاكم البحرين قد تخلى عن الفرس وأعلن ولاءه وتبعية بلذده للسلطان العثمانى . وعندما تلقت فارس هذا النبأ أخذت تسعى الى احباط هذا الاتجاه بمحاولة القيام بتأكيد سيادتها على البحرين بطريقة عملية بارسال قوات عسكرية الى البحرين من اقليم فارس . والواقع أن فاروق خان لم يكن يخشى الاعيب ومؤامرات حاكم البحرين ، التى قد تدفع حكومة فارس الى القيام بعمل سريع لاحتلال البحرين بقدر ما كان يخشى من نصرفات حكومته نفسها ، ومن هنا كانت مباحثاته مع يلى محاولته من خلال القائم بالأعمال تحييد الاسطول البريطانى فى الخليج للقيام بعمل ما .

(١٤ - بريطانيا والخليج / ٢)

... ولما كان يلي يجهل كل تلك التطورات فقد بادر الى قبول دعوة ميرزا سعيد خان وزير خارجية فارس يوم ٦ يونيه لمواصلة المباحثات حول البحرين . وقد ذكر يلي فى تقريره بشيء من انزهو ، بأن زيارته لوزير خارجية فارس قد رافقها موكب من العربات الملكية التى تجرها ٦ جياد ، كما قوبل بحفاوة نادرة من جانب الفرس (١) وقد أعرب سعيد خان عند اجتماعه بيلي عن مخاوف الشاه من تعرض البحرين لهجوم من عرب الخليج بعد أن أعلن حاكمها تبعته للفرس ، ولما كان الشاه قد تعهد للحكومة البريطانية على سبيل المحاكمة بالا يتخذ أية خطوة جديدة بالنسبة الى موضوع البحرين ، فانه لم يكن يستطيع أن يبعث بقوات للدفاع عنها ضد أى غزو محتمل . ولهذا فقد تساءل وزير الخارجية عما اذا كان يلي سيقوم بالايجاز الى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج باتخاذ انترتيمات اللازمة للمحافظة على الأمن فى المنطقة ريثما يتبلور موضوع مطالبة فارس بالبحرين ، غير أن التضارب فى هذه القضية كان واضحا مما دعا يلي الى أن يستوضح ميرزا سعيد خان وزير الخارجية الفارسية عن موقف حكومته بشأن مطالبتها الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية البحرين من تهديدات الحكام العرب ، وهى التى كانت تطالبها دوما بعدم التدخل فى شئون البحرين ، ألم يكن من الأفضل لحكومة فارس بأن تطوى علمها وترحل عن البحرين ، كما أشار يلي أيضا الى انه من الأفضل ان تبغى الأوضاع فى البحرين كما هى حتى يصل الى لندن السفير الفارسى الجديد الذى كلفه الشاه بتسوية هذه المشكلة مع المسئولين فى الحكومة البريطانية . وكان يلي يرى بأن يستمر

(١) « فارس والخليج » مجلد ١١٥ من يلي الى رسل ٦ يونيو ١٨٦٠

المقيم البريطاني في تحمل مسئولياتها بالنسبة للمحافظة على الامن في المنطقة ، لان ذلك من مصلحة جميع الأطراف المعنية بالمشكلة . وعلى الرغم من ان يلى لم يكن مقتنعا بهذا الراى كل الاقتناع الا انه وافق على الابعاز الى المقيم بالقيام بهذا الدور . وبعد أربعة أيام اجتمع يلى بالشاه الذى استقبله بحفاوة بالغة كان لها اعمق الأثر فى نفسه ، وعندما كان يهم بالخروج بعد المفاولة اسر اليه فاروق خان « بأن حكومة فارس سوف تبعث بتعليمات جديدة الى حاكم اقليم فارس تؤكد عليه الامتناع عن القيام بأى تحرك أو اجراء فيما يتعلق بالبحرين (١) .

غادر يلى قصر الشاه متأثرا من الاستقبال الذى لقيه ، ولهذا قرر بأن يرد على تلك المجاملة بتوجيه رسالة الى جونز قال فيها :

« لقد باتت الحكومة الفارسية تخشى من أن تؤدى التغييرات الأخيرة فى موضوع البحرين الى تشجيع جيرانها العرب الى شن هجوم عليها ، دون خوف من أن تقوم بريطانيا بالرد على الهجوم . غير أنه فى حالة وقوع هجوم كهذا فينبغى الرد عليه بقوة ، كما أوضح لكم السير هنرى رولنسون فى خطابه المؤرخ { مابو . أما بخصوص التحركات الفارسية بالنسبة للبحرين ، فاننى أرى من بعض الاعتبارات الاستثنائية والخاصة عدم اتخاذ أى اجراء ريشما تصل التعليمات الجديدة من حكومة صاحبة الجلالة فى هذا الشأن ، غير ان هذا لا ينطبق على أى عمل عدوانى يقوم به الحكام العرب ضد البحرين ،

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة الهند مجلد ١٤٣ مرفق

للخطاب السرى رقم ٣٧ المؤرخ ١١/٩/١٨٦٠ من يلى الى جونز
١٨٦٠/٦/١٢ (رقم ٢٢) .

كما اود مرة أخرى بان اذكر لكم بان تعليمات حكومة الهند بالنسبة للفرس لا تزال سارية المفعول .

وقد كان من الصعب على جونز أن يتصرف في الأمر على ضوء التعليمات التي وصلته من يلى ، والتي لم يكن من حق يلى بأى حال من الأحوال بان صدرها اليه . فقد كان خطاب رولنسون المؤرخ ٤ مايو يتعلق بهجوم محتمل على البحرين من جانب الفرس وليس من العرب . وقد ذكر رولنسون جونز بالتعليمات التي أصدرتها حكومة الهند بهذا الشأن والتي كانت صريحة وواضحة « وهى ان أى هجوم على البحرين يجب الرد عليه بالقوة (١) بينما جاءه خطاب يلى الآن بتعليمات مناقضة للتعليمات التي صدرت اليه من حكومة الهند ويقطع النظر عن هذا الاعتبار فقد كانت تعليمات جونز تتعارض مع الأوضاع الفعلية بالنسبة للبحرين ، اذ لم تكن أدلة على احتمال قيام العرب المنشقين فى الدمام بهجوم على البحرين . كما ان حاكم البحرين قد حول تبعيته الى الأتراك ، وأصبح العلم التركى يرفرف على كافة المباني والقلاع الحكومية فى البحرين وعلى سفنها . وبالتالي فقد أصبح الخطر الذى يهدد اوضاع بالفعل هو أن يتورط محمد بن خليفة بدافع من سياسته الحمقاء فى صراع مع الامير فيصل .

وعلى الرغم من ان حكومة بومباى كانت ترغب فى اتخاذ اجراء عنيف بشأن البحرين ، وعلى الأخص فيما يتعلق بدعوى فارس بسيادتها على

(١) مرفق لخطابات بومباى السرية مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٢٧ المؤرخ ١١/١/١٨٦٠ من يلى الى جونز ١٢/٦/١٨٦٠ (رقم ٢٢) .

الجزيرة ، الا انها لم تكن تستطيع ذلك بعد أن احيى النزاع الى حكومة لندن . كما كانت أيضا مقيدة بالاعتبارات التي كانت تحكم علاقة بريطانيا بكل من تركيا وفارس . وبالتالي فقد أوعزت الى المقيم في وقت مبكر من شهر سبتمبر سنة ١٨٦٠ « بعدم التدخل ضد أى احتلال يقوم به الأتراك أو الفرس للبحرين ، والاكتماء بتقديم احتجاج رسمي عليه الى الحكومتين ، أو اخطارهما باحالة النزاع الى حكومة صاحبة الجلالة للبت فيه (١) كما أوعزت اليه أيضا بعدم السماح لمحمد بن خليفة باستغلال علاقاته بفارس أو تركيا للقيام بعدوان على القبائل العربية المشمولة بالحماية البريطانية ، وخطاره بأن أى عدوان من هذا النوع سوف يواجه بالقوة على الفور عن طريق الأسطول البريطاني في الخليج ، وقد أعرب حاكم بومباي عن موقفه من مشكلة البحرين في رسالة بعث بها الى وزير الدولة لشئون الهند بتاريخ ١١ سبتمبر جاء فيها :

« . . ان استقرار الخليج الذي يعود الفضل فيه الى السياسة التي انتهجتها الحكومة البريطانية يستوجب بقاء البحرين دولة مستقلة وغير خاضعة لا لحكومة فارس ولا لحكومة الباب العالي ، كما ينبغي الاحتفاظ بالمعاهدات والاتفاقات التي عقدتها الحكومة البريطانية مع حكام المنطقة ، فذلك في مصلحة التجارة الدولية ، والانسانية ، كما انه في مصلحة الأمن

(١) مرفق للخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب السري رقم ٣٧ المؤرخ ١١/٩/١٨٦٠ من جونز الى اندرسون ٢/٧/١٨٦٠ (رقم ٢٠٢ الادارة السرية) ومن جونز الى اليسون ١٦/٧/١٨٦٠ وكان جونز قد تمكن من الحصول على صور من رسائل محمد بن خليفة الى والي بغداد من القنصل البريطاني العام بالنيابة في بغداد وهذه الرسائل لا تترك اى مجال للشك في تبعية محمد بن خليفة للباب العالي .

والاستقرار فى المنطقة . وأن هذا النجاح هو من كافة الوجوه نتيجة لهذه السياسة الحكيمة باعتبارها البديل عن الاعتراف لفارس أو تركيا بالسيادة على البحرين ، لأن الاعتراف بهذه المطالب قد يفضى الى عواقب غير محمودة للمنطقة وللدولتين اللتين تطالبان بها ، بينما سيكون بمثابة الكارثة بالنسبة لقبائل منطقة الساحل العماني (١) .

وعلى امتداد صيف عام ١٨٦٠ وجزء من خريفها كان أحد الطرادات البريطانية يربط باستمرار حول البحرين ، وذلك لمنع قيام محمد بن خليفة بأى اجراء تهورى على سواحل الأحساء أو أية منطقة اخرى . كما كان لهذا الطراد مهمة أخرى ، وهى حماية التجار الهنود المقيمين فى البحرين من عسف الحاكم ، بالاضافة الى عمله فى مراقبة أية تحركات يقوم بها الفرس أو الأتراك فى المنطقة . ولم يقم والى بغداد بأية محاولة من جانبه لفرض سيادة تركيا على البحرين ، ربما لاعتقاده بأن الموضوع قد احيل الى لندن ، غير أن الفرس رغم تأكيداتهم المتكررة لرونسون ويلي ، الا انهم لم يتخلوا عن مخططاتهم ضد البحرين . ففى أوائل شهر نوفمبر اعفى ميرزا مهدى من منصبه كوكيل للخارجية الفارسية فى بوشهر . وقد سافر فى رحلة الى الساحل الفارسى ، ثم أعلن عن وصوله الى البحرين . وقيل أن حاكم البحرين قد رحب بميرزا مهدى ، وعين له معاشا شهريا قدره ١٥٠ ريالاً مسويًا ، وكان هذا دليلاً على أن الرجل سوف يطيل الإقامة فى البحرين . وقد كان هذا مفاجأة لجونز الذى كان قد تلقى رسائل قبل أسبوعين فقط من حاكم البحرين وأخيه على يعربان فيها عن تقديرهما لدور المقيم ورغبتهما فى

(١) سجل الرسائل السرية لحكومة بومباى مجلد ٣٥ من الحاكم.

العام الى وزير الدولة ١٨٦٠/٩/١١ (رقم ٣٧ الادارة السرية) .

الاجتماع به مرة أخرى . وحسب التقرير الذى بعث به وكيل الممثلة البريطانية فى البحرين فان تدهور الحسالة الاقتصادية وانخفاض مستوى المعيشة فى البحرين هو الذى دفع بأفراد الأسرة الحاكمة فيها الى خطب ود الحكومة البريطانية مرة أخرى ، وبأن على ، كما قيل ، قد ذهب الى حد تهديد أخيه بالتخلى عنه ، اذا استمر فى تودده للأتراك والفرس وقد أكدت رسالته الأخيرة الى المقيم هذه الحقيقة ، فقد ذكر فيها « بأنه لم يوافق قط على تسليم سيادة البحرين الى فارس أو تركيا ، كما طلب فى رسالته الاجتماع بجوز فى بوشهر للبحث عن وسيلة لوضع حد لمطالب تركيا وفارس فى البحرين . وعلى الرغم من أن المقيم قد دعا عليا الى الحضور لمعرفة ما عنده من آراء ، الا أنه كان مقتنعا من أن استقبال محمد بن خليفة لميرزا مهدى قد اغلق الباب فى وجه أية محاولة لاجراء اتصالات رسمية بين البحرين والحكومة البريطانية . وبالتالي فقد اكتفى جونز بإبلاغ كل من حكومة بومباى وشارلس اليسون فى طهران برغبة الشيخ (١) .

من وجهة النظر البريطانية أصبح الوضع فى البحرين لم يعد يحتمل السكوت ، فطالما بقى حاكم البحرين ينقل تبعية بلاده من فارس الى تركيا ، فان احتمال التزامه بنصوص معاهدة السلام البحرى قد أخذ يضعف ، بينما زادت احتمالات تورط الحكومة البريطانية فى مواجهة مع الدول الكبرى بسبب موقفه ، فلو حاولت كل من تركيا أو فارس وضع مطالبتهما بالسيادة على البحرين موضع التنفيذ فسوف يضطر محمد بن خليفة الى طلب العون من دول أخرى . وبالتالي فان الاعتراف بالسيادة لاحدى هاتين الدولتين على البحرين لم يكن هو الحل للأزمة ، لأنه لا الأتراك ولا الفرس ، يستطيعون السيطرة على حاكم البحرين . وسوف تكون النتيجة الحتمية لمثل هذا الحل هو ان يفلت محمد بن خليفة من نفوذ الدولة الوحيدة القادرة على السيطرة عليه ، ونعنى بها بريطانيا ، وعند زيارة الطرادين البريطانيين

(١) مرفق للخطابات السرية لحكومة بومباى .

تلفستون وفوكلاند للبحرين فى شهر فبراير كان العلمان الفارسى والتركى يرفرفان على البحرين . غير ان حاكم البحرين أكد لربانى الطرادين بأنه لا أهمية لوجود العلمين التركى والبريطانى ، وان كان قد حذرهما من ان يعتقدا بأنه راض عن موقف الحكومة البريطانية التى منعتة من القيام بمهاجمة موانى الوهابيين على سواحل الأحساء ، وأنها تتردد فى تقديم المساعدة اليه بينما تقدمها بسهولة للآخرين . لم يكن حاكم البحرين يتوقع ردا على أسئلته هذه من ربانى الطرادين ، لأنه كان يعلم بأن البريطانيين كانوا مشغولين بقمع الاضطرابات التى كانت تنشب ضدهم فى الهند ، ولهذا لم يكونوا فى وضع يسمح لهم بإثبات وجودهم فى الخليج (١) .

لم يكن محمد بن خليفة يعرف بأن الحكومة البريطانية كانت فى ذلك الوقت تفكر فى اتخاذ اجراء ما ، لانهاء الأوضاع غير المستقرة فى البحرين ، وان تضمن التزام حاكمها باحترام تعهداته بالنسبة للأمن فى المنطقة - وفى شهر ديسمبر سنة ١٨٦٠ اقترحت حكومة بومباى على مكتب شئون الهند بأن تعترف رسميا باستقلال البحرين (٢) وقد وافق مكتب شئون الهند على اقتراح الحاكم . وفى الثامن عشر من فبراير ١٨٦١ بعث وزير الدولة السير سارلس وود برسالة الى حاكم بومباى الجديد السير جورج كلارك يقول فيها : « ان حكومة صاحبة الجلالة توافق على الاقتراح الذى عرضتموه . . » على الأخص الاقتراح الخاص باعتبار البحرين دولة مستقلة ، لا تخضع

(١) من جونز الى اندرسون ٩ و ١٠ و ٣٠ نوفمبر ١٨٦٠ (رقم ٣٤٤ ، ٣٤٨ و ٣٦٩ الادارة السرية) والى اليسون ٣٠/١١/١٨٦٠ (رقم ٣٦٨ الادارة السرية) .

(٢) مرفقات الخطابات السرية لبومباى مجلد ١٤٤ مرفق للخطاب السرى رقم ١ المؤرخ ١٢/١/١٨٦١ - قرار مجلس الادارة ٢٠/١٢/١٨٦٠ .

لا لتركيا ولا لفارس (١) ولم يبق بعد ذلك الا حلول الفرصة المناسبة لإعلان هذا الاعتراف ، وقد قدم هذه الفرصة محمد بن خليفة نفسه وذلك فى ربيع ١٨٦١ عندما تصرف على النحو الذى توقعته حكومة بومباى ، فقسام بفرض حصار على سواحل الأحساء وتهديد الملاحة البحرية التجارية وعمليات صيد اللؤلؤ فى كل من القطيف والدمام ، ظلنا منه أن تبعيته لتركيا وفارس سوف تحميه من أى رد فعل بريطانى . وقامت سفن الحاكم بالاستيلاء على سبع سفن تابعة للكويت ، وبوشهر ولنجة وساحل الهدنة داخل المياه الاقليمية للأحساء وأخذت الى البحرين . كما أخذ الحاكم فى تضيق الخناق على التجار الهنود فى البحرين ، وأرغام أعداد كبيرة منهم على مغادرة البحرين ، وكان من بين هؤلاء وكيل الممثلة البريطانية نفسه الذى كانت حياته معرضة للخطر .

وعلى أية حال فقد جاء الوقت المناسب لمحاسبة حاكم البحرين على تصرفاته . فأصدر جونز أوامره للأسطول البريطانى بالتجمع فى ميساه البحرين وأبحر هو على السفينة الحربية أوكلاند فى الأسبوع الثالث من شهر مايو ، ووصل الى مشارف المحرق يوم ١٨ منه . وظل جونز لمدة عشرة أيام يحاول اقناع محمد بن خليفة برفع الحصار عن ساحل الأحساء والكف عن اساءة معاملة التجار الهنود المقيمين فى البحرين ، غير أن محاولاته كلها ذهبت سدى . فقد ظل الحاكم متمسكا بعناده وتحديه للأسطول البريطانى ، اعتمادا على وعود الفرس بوصول الأسطول الفرنسى الى المنطقة لنجدته . وهكذا ضرب بنصيحة المقيم عرض الحائط . وأخيرا أدرك جونز بأن الوضع لم يعد يحتمل السكوت ، وقد يودى الى مزيد من التدهور فى هيئة الحكومة البريطانية . وهكذا اصدر أوامره الى قائد الأسطول بالتحرك . وقد قام الأسطول على الفور بالاستيلاء على أفضل سفينتين من سفن الحرب الثالثة للحاكم وسحبها ، دون أن تطلق رصاصة واحدة . وهكذا استسلم محمد بن

(١) مجموعة الرسائل السرية الى الهند مجلد ١ من وود الى كلارك ١٨٦١/٢/١٨ (رقم ٢ الادارة السرية) .

خليفة ، وأوفد أخاه للتفاوض مع المقيم وتحقيق التسوية . ولما كان المقيم قد قرر مسبقاً بأنه لن يقبل أية تسوية مع حاكم البحرين الا على أساس انضمامه الكامل الى نظام الهدنة البحرية ، كى تضمن الحكومة البريطانية عدم اخلاله بالاتفاقات فى المستقبل ، فقد قام جونز بوضع صيغة لاتفاق. يتضمن الخطوط العريضة لاتفاقية الهدنة ، وطلب من حاكم البحرين التوقيع عليه ، فى يوم ٣١ مايو وقع كل من محمد بن خليفة شيخ البحرين وأخيه على بن خليفة على الاتفاق المذكور بحضور جميع أفراد الأسرة البحرينية المالكة . كما تعهد حاكم البحرين بدفع تعويضات للرعايا البريطانيين عن الخسائر التى تعرضوا لها على يديه . وقد أعاد جونز احدى السفينتين اللتين استولى عليهما أسطوله . واحتفظ لديه بالسفينة الأخرى كضمان لحسن تصرف حاكم البحرين فى المستقبل (١) .

وقد تضمنت ديباجة الاتفاق مقررات مكتب شئون الهند حول وضع البحرين باعتبارها دولة مستقلة وحاكمها محمد بن خليفة « حاكماً مستقلاً » وقد وقع حاكم البحرين بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن ورثته وخلفائه من بعده على « معاهدة سلام وصداقة مع الحكومة البريطانية » من أجل تنمية التجارة والمحافظة على الامن لصالح جميع سكان المنطقة وحققهم فى ممارسة أعمالهم فى حرية وامان ، ففى الفقرة الأولى من الاتفاق وافق محمد بن خليفة على اعتبار جميع المعاهدات والاتفاقيات السابقة بين البحرين والحكومة البريطانية سارية المفعول ، ومن هذه الاتفاقيات « المعاهدة العامة لعام

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٢٧ المؤرخ ١٨٦١/٧/٢٧ من جونز الى اندرسون ١٨٦١/٦/١٢ (رقم ب الادارة السرية) ومرفق معه المراسلات التمهيدية ونص الاتفاق بتاريخ ٢٠ ذى القعدة ١٢٧٧ وقد ورد نص الاتفاق فى كتاب « المعاهدات » اعداد ايتشون فصل ١٠ ص ١١٨ - ١٢٠ .

١٨٢٠ « واتفاقيتا تجارة الرقيق لعام ١٨٧٤ و ١٨٥٦ . وفي الفقرة الثانية التى تشكل صلب الاتفاقية يتعهد حاكم البحرين فيها « بالامتناع عن كافة الاعمال غير المشروعة ومن أى نوع وعن ممارسة الحروب . أو القرصنة أو الاتجار فى الرقيق ، وذلك فى مقابل تأييد ومساعدة الحكومة البريطانية له فى الحفاظ على أمن المنطقة والدفاع عنها ضد أى عدوان يقع عليها من داخل المنطقة . وتتناول الفقرة الثالثة ، كيفية تسوية النزاعات البحرية التى تمس البحرين أو أحدا من رعاياها وفقا للقواعد المنصوص عليها فى اتفاقيات الهدنة ، أى أن يكون المقيم البريطانى هو المسئول عن حفظ الأمن فى الخليج ، وأن يكون الحكم فى كل النزاعات التى تنشأ عن هذا الوضع . كما حظر الإتفاق على محمد بن خليفة واتباعه من فرض عقوبات أو تعويضات عن المخالفات والانتهاكات التى ترتكب ، وبوجوب الإبلاغ عنها الى المقيم للتصرف فيها وفق ما يراه ضروريا . كما أن الحاكم سيكون مسئولا عن دفع التعويضات والانتهاكات التى يرتكبها رعاياه .

أما البند الرابع وهو البند الأخير والهنام فىنص على معاملة الرعايا البريطانيين معاملة لائقة ، وألا تزيد الرسوم الجمركية التى تتقاضاها البحرين منهم عن السلع التى يستوردونها على ٥٪ وفى مقابل هذا تعهد المقيم برعاية الرعايا البحرينيين المقيمين فى ساحل عمان (١) .

وقد صدق الحاكم البريطانى العام للهند على هذا الاتفاق بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٨٦١ ولم تستثن الضمانات الخاصة التى تعهدت بها بريطانيا بالاعتداءات الخارجية التى وردت فى البند الثانى من الاتفاق ، رغم أن مثل هذه الضمانات لم ترد فى معاهدة السلم الدائمة المعقودة فى عام ١٨٥٣ بين

(١) « المعاهدات » اتشيسيون .

بريطانيا وشيوخ ساحل الهدنة . ويرجع السبب فى تلك الضمانات الى الموقع الجغرافى للبحرين ، ولان البحرين جزيرة ، فان الدفاع عنها لا يمكن ان يتم الا من البحر . بينما لا يمكن الدفاع عن المشيخات الساحلية الا بعمل مشترك بين القوات البرية والبحرية . وبالتالي فقد كان الاتفاق على الدفاع عن المشيخات ، وان كان عنصرا حيويا بالنسبة الى نظام الهدنة ، الا انه كان التزاما ضمنيا . ولعل الشئ الذى لم يوضع فى الاعتبار - عند ابرام اتفاقية البحرين - هو ان مثل هذه الضمانات بالنسبة للبحرين قد تؤدى الى احراج الحكومة البريطانية نظرا لوجود ممتلكات لآل خليفة فى قطر .

وكان من المتوقع ان يثير نبا توقيع هذا الاتفاق غضبا فى فارس . وفى يوم ٢٥ أغسطس سلم ميرزا سعيد خان اليسون احتجاجا رسميا ضد اجراءات جونز فى البحرين أكد فيه حق فارس فى البحرين ومشمولا بالأدلة القاطعة التى تؤيد هذا الحق ، وقد رد اليسون على سعيد خان بأنه ليس مفوضا فى التحدث حول موضوع البحرين نظرا الى التعليمات التى لديه ، وأبدى دهشته من اثاره حكومة فارس لهذا الموضوع ، وهى التى اوضحت من قبل أنها تنوى تسوية هذه المشكلة عن طريق ايفاد مبعوث رسمى خاص الى انجلترا (١) غير أن الفرس لاذوا بالصمت بعد ذلك ، وان كانوا قد عبروا عن استيائهم هذا بطريقة اخرى عندما طالبوا بهدم المنزل الريفى

(١) « فارس والخليج » مجلد ١١٦ ، من اليسون الى راسيل ١٨٦١/٨/٢٨ (رقم ٨٥) ، ومرفق به صور من خطابات ميرزا سعيد خان . كما احتج السفير الفارسى فى باريس لدى السفير البريطانى ضد ما اسماه « بانتهاك جونز للاتفاق » فى البحرين . انظر لذلك مراسلات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٥٦ من حسن على خان الى كولى ١٨٦٢/١/٤ ومرفق معه صورة من خطاب هموند (وكيل الخارجية) الى مارفيل (وكيل مكتب الهند) ، ١٨٦٢/١/١١ .

الذي كان يقيم فيه طبيب المثلية خلال شهور الصيف ، بدعوى أن المبنى قد بنى دون الحصول على موافقة السلطات الفارسية ، غير أن السلطات الفارسية تجاهلت احتجاج اليسون الذي ذكر فيه بأن طبيب المثلية يستخدم هذا المبنى كعيادة لتقديم العلاج للفقراء الفرس ، كما عرض أن يضع المبنى تحت تصرف السلطات المحلية لو شاءت . وفى شهر يناير وصل مبعوث خاص من طهران ليشرف على هدم المنزل . ونفذ الهدم ليلة ٢٥ يناير . وكاد أن يتم تدمير حديقة المنزل وأنايب المياه الخاصة التابعة للمسكن الصيفي للمقيم ، والذي يقع بجوار منزل الطبيب لولا تدخل حاكم إقليم فارس الذي أوقف عمليات الهدم (١) .

أما الباب العالى فلم يعترض على اجراءات جونز رغم دعواه بالسيادة على دول شرقى الجزيرة . وعلى اية حال فقد عاد الباب العالى يطالب بهذه السيادة فى أواخر العام ، عندما قدم والى بغداد احتجاجا للسلطات البريطانية على ابعادها محمد بن عبد الله وغيره من أتباعه المناوئين لحاكم البحرين من الدمام . وبعد ابرام الاتفاق مع البحرين توجه على بن خليفة الى بوشهر ، للتأكد من المقيم عما اذا كان سيقوم بتنفيذ تعليمات حكومة بومباى بإبعاد المنشقين عن الدمام ، وليبلغه بأن أخاه الحاكم مستعد لدفع مخصصات سنوية فى حدود ٣٠٠٠ ريال نمسوى كمعاش لمحمد بن عبد الله فى حالة مغادرته للدمام . وقد شعر جونز بأن الظروف قد أصبحت مواتية للقيام بهذا الاجراء ، ولهذا بعث برسالة الى محمد بن عبد الله فى يونيو

(١) فارس والخليج مجلد ١١٦ من اليسون الى رسل ٢٥/١٠/١٨٦١ (رقم ١١٦) ومرفق معه خطابات الى ميرزا سعيد خان ، ومرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٤٦ مرفق للخطاب السرى رقم ٨ المؤرخ ١٢/٤/١٨٦٢ ، من جونز الى موريس (السكرتير السياسى لحكومة بومباى) ٣١/١/١٨٦٢ (رقم ١١ الادارة السرية) .

١٨٦١ ينصحه فيها بمغادرة الدمام هو وأتباعه ، وبأن يتخار للاقامة اى مكان على الساحل بشرط الا يكون قريبا من البحرين كالكويت شمالا أو ابو ظبى جنوبا . كما بعث جونز برسالة أخرى الى الامير فيصل يدعوهُ الى اقناع محمد بن عبد الله بالانصياع لأوامره بمغادرة الدمام ، وذكر فيها بأن استمرار وجود المنشقين فى الدمام يشكل عقبة فى طريق اقامة علاقات طبيعية بين نجد والبحرين (١) .

وقد مرت أربعة شهور دون أن يبدي محمد بن خليفة ما يدل على موافقته على طلب المقيم . غير أن النقص فى عدد الطرادات العاملة فى الخليج فى ذلك الوقت حال دون قيام جونز باجراء لارغام محمد بن خليفة على مغادرة الدمام . ولم تتوفر القوة البحرية اللازمة لاتخاذ هذا الاجراء قبل نهاية العام ، وفى ذلك الوقت وجه جونز الى محمد بن عبد الله انذارا بمغادرة الدمام قبل يوم ٢ نوفمبر ، ولما لم يمثل محمد بن عبد الله لتعليمات جونز ، فقد أبحر جونز الى الدمام على السفينة أوكلاند يوم ٥ نوفمبر بعد أن سبقته الى المنطقة سفينة مسلحة وثلاثة طرادات . وعند وصول القوة الى الدمام فر محمد بن عبد الله منها . ولما كان جونز متأكدا بأن هذا الشيخ سوف يعود الى المنطقة بمجرد أن يغادرها جونز بأسطوله ، فقد أصدر أمرا الى رجال الاسطول بتدمير البلدة وجعلها غير صالحة كقاعدة للعمل ضد خصمه . وقد قام الاسطول بقصف القلاع وتدميرها ونزلت مجموعة من رجال الاسطول لاحتلال البلدة . وقد استسلم اتباع محمد

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٤٥ مرفق للاخطاب السرى رقم ٣١ المؤرخ ١٢/٩/١٨٦١ من جونز الى موريس ١٨٦١/٦/٨ (رقم ٢٧ الادارة السرية) .

لأبن عبد الله ، وتعهدوا بمغادرة الدمام وقد نفذوا تعهدهم هذا بعد أن
أشعلوا النيران في البلدة (١) .

تلقت بغداد أخبار انذارات جونز الى محمد بن عبد الله في الأسبوع
الأخير من شهر نوفمبر . وعلى الفور بعث أحمد توفيق باشا والى بغداد
ياحتجاج رسمى الى الكولونيل كامبل القنصل البريطانى العام فى العراق
على اجراء جونز بطرد محمد بن عبد الله من الدمام ، وقد ذكر فى احتجاجه
أن محمد بن عبد الله يتمتع بحماية الأمير فيصل قائم مقام نجد ، وأن الدمام
تقع ضمن سيادة السلطان العثماني (٢) وقد رد كامبل على الوالى بأنه
لا يعرف شيئاً عن الموضوع ، ولكنه واثق من أن جونز لم يكن يهدف الا الى
المحافظة على سلامة البحرين التى أكد بانها « امارة مستقلة » تربطها
بريطانيا العظمى معاهدات صداقة (٣) . وبعد ثلاثة أسابيع وصلت انباء
التوفيق باشا عن الهجوم الذى قام به جونز على منطقة الدمام وطرد اللاجئين
منها . فعاد توفيق باشا وأرسل احتجاجاً آخر الى كامبل ندد فيه باجراء
المقيم ووصفه بأنه انتهاك صريح للسيادة التركية . كما أعرب عن أسفه على
أن تأكيدات كامبل بشأن أهداف المقيم البريطانى لم تكن تتفق مع تصرفاته (٤) .

-
- (١) خطاب سرى رقم ٤ المؤرخ ١٢/٢/١٨٦٢ من جونز الى موريس
١٨٦١/١١/٢٣ (٥٤ الادارة السرية) .
- (٢) مرفق للخطاب السرى رقم ٢ المؤرخ ١٢/٢/١٨٦٢ من أحمد
توفيق باشا الى كامبل ١٨٦١/١١/٢٦ ومرفق بخطاب كامبل الى السير
يلوار (سفير بريطانيا فى القسطنطينية) ١٨٦١/١٢/٤ رقم ٣٨ .
- (٣) من كامبل الى أحمد توفيق باشا ١٨٦١/١١/٣٠ .
- (٤) من أحمد توفيق باشا الى كامبل ١٨٦١/١٢/١٨ ومرفق بخطاب
كامبل الى بلوار ١٨٦١/١٢/٢١ (رقم ٤٠) .

اما كامبل فقد رفض أن ينساق مع الوالى فى موضوع مناقشة مدى السيادة العثمانية فى شبه الجزيرة وحقائقها ، ولكنه ذكر للوالى بأن الحكومة البريطانية كانت ولا تزال على اتصال مباشر مع أمير نجد ومع قبائل ساحل الأحساء الخاضعة له ، وبأنها سوف تعتبر أمير نجد مسئولاً عن أية اضطرابات أو قلاقل يحدثها رعاياه تهدد الأمن فى المنطقة .

كما أوضح كامبل الاسباب التى حالت بينه وبين المضى فى مناقشة هذا الموضوع مع السفير البريطانى فى القسطنطينية عندما أحال اليه احتجاج والى بغداد :

« على الرغم من أنه لا مجال للانكار بأن الامير فيصل ظلت تبعيته قائمة منذ غزو محمد على ياشا لنجد فى عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ ، الا أن هذه التبعية كانت تتسم بطابع الدينى . والحقيقة المؤكدة ان الباب العالى لم يقم فى أى وقت من الأوقات بفرض سيطرته أو مد نفوذه على منطقة نجد . وتؤكد الأحداث ذلك فى عدم استطاعة العثمانيين منع الوهابيين واتباعهم من ممارسة القرصنة ، مما يؤكد ان العثمانيين لم تكن لهم أى سيطرة على منطقة نجد وانهم لم يقوموا بأى عمل لمنع أى انتهاك للحقوق الدولية أو ردع العدوان ، بحيث يخفف من الأعباء الملقاة على السلطات البريطانية للمحافظة على الأمن والتزامها بخدمة التجارة فى منطقة الخليج . والحقيقة المؤكدة أن للباب العالى لم يكن يملك القدرة أو السلطة فى معاقبة أتباعه أو ارغامهم على احترام القوانين ، نظرا لعدم وجود ادارى للأتراك فى المنطقة . وعلى ضوء خبرتى بالمسؤولية التى يتولاها المقيم البريطانى فى الخليج وفقا لتعليمات حكومة الهند فى هذا الشأن ، فاننى على يقين بأن السياسة البريطانية المعمول بها فى منطقة الخليج حتى الآن سوف تتأثر الى حد كبير اذا ما تآزمت العلاقات بين المقيم البريطانى وأمير نجد ، واضطرار الحكومة البريطانية الى سحب الاشراف البريطانى المباشر

على سواحل الوهابيين» (١).

لم يناقش الباب العالي هذا الموضوع مع السفير البريطاني مرة أخرى بصورة جدية إلا بعد وفاة الأمير فيصل ، كما أن الأمير فيصل نفسه لم يتطرق إلى موضوع الإجراءات البريطانية في الدمام أو إلى اتفاق البحرين الذي عقد في شهر مايو السابق ، فقد يكون من المحتمل أن الأمير فيصل قد شعر بالارتياح من إبعاد اللاجئين الذين طالت إقامتهم في الدمام كثيراً أو تجاوزت كل حدود الكرم العربي . ولم يحاول الأمير فيصل خلال الفترة الباقية من حكمه الاختكاك بحكام البحرين ، وإنما تركهم لشأنهم إذ استثنينا مطالبته لهم بدفع الزكاة من وقت لآخر .

في أعقاب زيارة عبد الله بن فيصل عام ١٨٥٣ وإتمام اتفاقية الزكاة في ذلك العام ظل الوضع في سلطنة عمان هادئاً نسبياً لعدة أعوام . غير أن السلطنة كانت على أية حال تتعرض لتهديدات أخرى تتمثل في الاضطرابات التي بدأت تتفجر في ممتلكاتها الخارجية وعلى الأخص في مناطق زنجبار وبندر عباس وكذلك الصراع الذي كان يدور بين أفراد الأسرة الحاكمة ، مما دعا السيد سعيد إلى تفضيله الإقامة في زنجبار بدلاً من مسقط وتسليم السلطة لنجله السيد ثويني ، غير أن أخلاق السيد ثويني ومواهبه لم تكن في المستوى الذي يؤهله لحكم عمان ، فقد كان

(١) مرفقات الخطابات السرية إلى بومباي مجلد ١٤٦ مرفق للخطاب

السري رقم ٢ المؤرخ ١٨٦٢/٢/١٢ من كامبيل إلى بلدار ١٨٦٢/١/١

زرقم ١١ .

(١٥ - بريطانيا والخليج / ٢)

شخصا متناقضا ، كان يتساهل في مواقف الحزم ويتردد في مواقف الحسم ، وظل حكمه يعانى من التآكل الداخلى ، والى حد ما فقد كان السيد ثوينى ضحية للأقدار والظروف ، فالمشاكل التى ترتب عليه أن يواجهها كانت بوجه عام أكثر تعقيدا من تلك التى كان يواجهها والده فى حياته ، كما كان سيء الحظ ، فقد كان يفشل دائما فى خطته ، أما بسبب تدخل خارجى ، أو بسبب تصرفه بحيث تبوء محاولاته بالفشل .

فى مطلع عام ١٨٥٤ قررت حكومة فارس انهاء عقد ايجار جزيرة بندر عباس وملحقاتها الى سلطان مسقط واستعادة السلطة الفارسية عليها دون اخطار للسلطان بذلك ، وعندما احس السيد ثوينى بما كان يبيته له الفرس ، استنجد بـارنولد كامبل المقيم البريطانى فى الخليج للاستعانة به فى منع الفرس من استعادة بندر عباس منه بالقوة ، كما ناشد سعيد بن طحنون شيخ ابو ظبى امداده ببعض السفن والرجال للدفاع عن بندر عباس ضد الفرس ، كما اعد من جانبه قوة عسكرية للقيام بتنفيذ خطته . وقد لبى سعيد بن طحنون طلب السيد ثوينى على الفور وخرج بأسطول له من السفن الى بندر عباس فى اواخر فبراير . وعند وصول تقرير وكيسبل الممثلة البريطانية فى الشارقة عن تحرك شيخ بنى ياس ، بعث اليه المقيم بتحذير عن طريق قائد الأسطول البريطانى فى الخليج بعدم التدخل فى النزاع . وقد أوضح له فى رسالته بأن أى تدخل من جانبه ضد الفرس سيكون بمثابة خرق للخط الملاحي المتفق عليه ، الامر الذى يتعارض مع نصوص معاهدة السلم الدائمة التى عقدت فى العام السابق . ولعلنا اكثر ما كان يخشاه كامبل هو أن يحاول خصوم بنى ياس التقليديون الانحياز

الى جانب الفرس ، وبذلك يدفعون بالمنطقة الى حرب بحرية شاملة (١) غير
ان تحذير كامبل وصل الى طحتون بعد اقلعه بالأسطول من أبو ظبي ولم
يتسلمه قبل يوم ٨ مارس عندما كان على مشارف ميناء بندر عباس . فى
نفس اليوم قام الفرس بهجوم على الميناء شنوه من الجهة الداخلية ،
وتمكنوا من الاستيلاء على بندر عباس بعد مقاومة طفيفة . والشئ الوحيد
الذى حققه تحذير كامبل لشيخ أبو ظبي هو أن سعيد بن طحتون امتنع عن
مساندة الحامية المسقطية داخل الميناء ، مما ترك انطباعات المقدم
البريطانى قد انحاز الى الفرس ضد سلطان مسقط (٢) .

كان طبيعيا الا يعود السيد / توينى الى طلب المساعدة من كامبل
لاسترداد بندر عباس من الفرس ، وانما أخذ فى اعداد حملة عسكرية لهذا
الغرض بناء على اوامر تلقاها من والده السيد سعيد . وفى أواخر شهر
يونيو ١٨٥٤ أبحرت الحملة ، وفى اليوم السابع من اغسطس نجح السيد
توينى فى طرد الفرس من حامية بندر عباس ، وكنتيجة لذلك جاء دور
الفرس لطلب المساعدة من بريطانيا . فبعد مرور بضعة أيام على سقوط

(١) مرفقات الخطبات السرية الى بومبي مجلد ١١٨ مرفق للخطاب
السرى ٢٣ المؤرخ ١١٤ ابريل ١٨٥٤ من كامبل الى ماليت ١٨٥٤/٣/٢
(رقم ٧ الادارة السرية) ومرفق به صورة من خطاب كامبل الى الكومدور
روبنسون ١٨٥٤/٢/٢٤ (رقم ٦٣ الادارة السرية) .

(٢) نفس المصدر مرفق للخطاب السرى رقم ٢٧ المؤرخ ١٨٥٤/٤/٢٨
من كامبل الى ماليت ٢١ و ٣١ مارس ١٨٥٤ (رقم ٩ الادارة السرية ورقم
١١٧ الادارة السياسية) ومرفق به صورة من خطاب روبنسون الى كامبل
١٨٥٤/٣/١٥ (رقم ٥٤) .

حامية بندر عباس في أيدي قوات السيد ثويني ، تلقي وليم تابلوب طومسون
المائم بالأعمال البريطانية في طهران استفسارا من الحكومة الفارسية عما
إذا كان في وسع بريطانيا التوسط لحل النزاع بينها وبين عمان ، وأجراء
الترتيبات اللازمة لإرسال ممثل إلى طهران من قبل السيد ثويني لأجراء
مفاوضات لحل المشكلة . غير أن السيد سعيد رفض على أية حال فكرة
إرسال مبعوث عماني إلى طهران عندما بلغه الاقتراح ، إلا أنه أبدى استعداد
لقبول الوساطة البريطانية بشرط أن تؤدي إلى استرداد مبيعتة بنفوذها
السابق في بندر عباس ، وإلى عدم زيادة الإيجار أو الرسوم عن الميناء (١)
لأر السيد سعيد لم يكن يهتم في ذلك الوقت بموضوع المفاوضات ، إلا أن
موقفه كان يتسم بالاعتدال . وفي الوقت الذي كان الفرنسي يلوحون له
بالمفاوضات كانوا من ناحية أخرى يستعدون في شيراز لاسترداد بندر
عباس من العمانيين بالقوة . وفي يوم ٢٩ نوفمبر اجتاحت القوات الفارسية
بندر عباس وتمكنت من إبادة أفراد الحامية العمانية بأكملها (٢) .

(١) مرفقات الخطابات السرية إلى بومباي مجلد ١٤٠ مرفق للخطاب
السري رقم ٦٥ المؤرخ ١٨٥٤/١١/٤ من طومسون إلى كامبل
١٨٥٤/٨/١١ ومرفق للخطاب السري رقم ٢١ المؤرخ ١٨٥٤/١٢/١٤ من
كامبل إلى طومسون ١٨٥٤/١٠/٢ (رقم ١٠ ب الإدارة السرية) ومرفق به
صورة من خطاب سعيد إلى كامبل المؤرخ ١٢ و ٢٢ ذي الحجة ١٢٧٠ -
٦/ و ١٨٥٤/٦/١٦ .

(٢) وقد احتفلت طهران بهذا النصر بطريقة غريبة فقد كتب طومسون
بتاريخ ٢٤ مايو يقول بأنه قد وقع منذ بضعة أيام حادث يشير إلى استمرار
وذلك بحضور الشاه خلال عرض عسكري عقد بالقرب من بوشهر عندما =

وقد اضطرت المشيخة سعيد بعد هذه التكلفة التي قطع إقامته في زنجبار والعودة فوراً إلى مسقط لمواجهة الموقف والعمل على استعادة بندر عباس من الغرس، وحتى ذلك الوقت كان السيد سعيد يعارض مشروع الوساطة البريطانية في النزاع، سيما وأن السلطات البريطانية لم تكن مستعدة لضمان أي تسوية قد يتوصل إليها الجانبان.

خلال الشهور الأولى من عام ١٨٥٥ ركز كامبل نشاطه على فرض رقابة جادة على زعماء ساحل الهدنة، للحيلولة دون تدخلهم في النزاع القائم بين مسقط وفارس، ولكن السيد سعيد لم يكن راضياً عن هذا الموقف وأغرب عن استيائه من كامبل على الإجراءات التي اتخذها في العام الماضي لمنع حاكم أبو ظبي من مستشارته وكان يأمل أن يكون موقف الحكومة البريطانية أكثر تفهماً، وعلى الأخص عن المبادرة التي اتخذها بقتل عام بالتنازل للبريطانيين عن جزر كورياموريا (١). ولهذا قرر السيد سعيد

غرض رأس نحو ٣٠٠ عربي قيل أنهم ذبحوا في بندر عباس، وكانت الرؤوس مرفوعة على أطراف الحراب، تم عرضت بعد ذلك الرؤوس على الجمهور عند أحد مداخل البلدة حيث يتم اعدام المجرمين (مكتب شؤون الهند) فارس والخليج مجلد ٤٠٤، من طومسون، إلى كلاركندون ٢٤ مارس ١٨٥٥ (رقم ٤٠٠) بعد إحتجاج طومسون التي رئيس وزراء فارس ثم نقلت الرؤوس إلى الميادين العامة .

(١) يمكن الاطلاع على عملية التنازل عن هذه الجزر وأسباب ذلك التنازل في مؤلف كويلاند «أفريقيا الشرقية وغربها» حيث تناوله المؤلف بالتفصيل في فصل ١٧ .

الدخول في مفاوضات مع الفرس عن طريق شيخ القواسم سلطان بن صقر الذي مازالت شهرته السياسية متفتحة للمزيد من المكاسب رغم بلوغه الخامسة والثمانين من العمر . ولكي يدخل السيد سعيد المفاوضات مع الفرس من مركز القوة فقد استولى على حامية قشم ليفرض منها حصارا بحريا على بندر عباس . غير ان الفرس لم يكتروا لهذا الاجراء ، ويقفوا متمسكين بمطالبهم برفع قيمة الایجار نظير موافقتهم على تجديد الاتفاق كه' طلبوا مبلغ ٣٧٠٠٠ تومانا كبقشيش (١) .

... لم تسفر المفاوضات بين الجانبين عن شيء ، وفي شهر نوفمبر ١٨٥٥ طلب السيد سعيد من شارلس موري ، الوزير البريطاني المفوض في طهران التوسط مع الحكومة الفارسية حول هذا الموضوع . غير أن طلب السيد سعيد وصل متأخرا الى الوزير البريطاني الذي كان قد قطع العلاقات الدبلوماسية مع فارس (٢) قبل وصول خطابات السيد سعيد . ورغم ذلك فقد كان المسئولون البريطانيون يساورهم الشك في جدية وصدق السيد سعيد في طلب المساعدة من بريطانيا . وفي نفس الشهر وصل الى بندر عباس وقد من سقط ثم توجه منها الى شيراز لاجراء مفاوضات مباشرة

(١) مرفقات الخطابات السرية الى يومباي مجلد ١٢١ مرفق للخطاب السري رقم ٢٣ المؤرخ ١٩ مارس ١٨٥٥ من كامبل الى طومسون ، ١٨٥٥/١/٣١ ومجلد ١٢٢ مرفق للخطاب السري رقم ٣٩ المؤرخ ١٨٥٥/٥/٢٦ من كامبل الى طومسون ١٨٥٥/٣/١٥ .

(٢) « فارس والخليج » مجلد ١١٠ من مسوري الى كيلارندون ١٨٥٥/١١/٢٠ (رقم ٨٥) .

مع أمير اقليم فارس (١) غير أن المفاوضات توقفت بين الجانبين وفي أوائل سنة ١٨٥٦ قرر السيد سعيد القيام بمحاولة أخرى لاستعادة بندر عباس من الفرس عن طريق القوة، إلا أنه فشل في هذه المحاولة . لسبب رئيسي وهو أنه لم يحصل على مساعدة من زعماء ساحل الهدنة نظرا لتدخل الكابتن جونز الذي أصبح يشغل منصب المقيم في بوشهر خلفا لكامليل . وقد نصح جونز السيد سعيد بأن يتدرع بالصبر . وخلال المحادثات التي عقدها الحكومة البريطانية في شهر أبريل ١٨٥٦ في القسطنطينية حول إعادة العلاقات الدبلوماسية بين فارس وبريطانيا اشترطت الأخيرة إبرام اتفاق جديد بشأن بندر عباس بين فارس ومسقط . غير أن السيد سعيد رفض نصيحة المقيم ولم يكن حتى ذلك الوقت قد حقق أى نجاح من طلبه الوساطة البريطانية في النزاع كما لم يكن متفائلا من هذه الناحية . ونظرا لخيبة أمله ومخاوفه وضعفه بسبب المرض الذي كان يعانيه تمكن الفرس من فرض تسوية عليه في ربيع ١٨٥٦ تعتبر في صالحهم (٢) وبموجب هذه

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباي مجلد ١٢٣ مرفق للخطاب السري رقم ٧٧ المؤرخ ١٨٥٥/١٢/١٧ من جونز الى اندرسون ، بوشهر ١٨٥٥/١١/١٩ (رقم ٤٠٤ الادارة السياسية) .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٢٥ مرفق للخطاب السري رقم ٤٥ المؤرخ ١٨٥٦/٦/٢٥ من جونز الى اندرسون . ١٨٥٦/٥/٣ (٤٧ الادارة السياسية) ومجلد ١٢٦ مرفق للخطاب السري رقم ٦٦ المؤرخ ١٨٥٦/٩/١٢ من جونز الى اندرسون ١٨٥٦/٨/٢٧ (رقم ١٧ الادارة السرية) .

الشموية جدد له - ايجار بندر عباس ولكن بايجار يبلغ ضعفين ونصفا عن قيمة
الايجار السابق أى بمبلغ ١٦٠.٠٠٠ تومان فارسي . كما استعادك فوس
سيادتها الكاملة على جزيرتي هرمز وقشم الخاضعتين سابقا لسلطان مسقط
الذي ورث السيادة عليهما من والده السيد سلطان بن أحمد الذي كان قد
استولى عليهما في عام ١٧٩٨ . والحقت الجزيرتان إداريا إلى بندر عباس .
وقد اضيفت إلى بندر عقد الايجار الجديد بعض الجزر التابعة لفارس وهي
(طازيان) وشامل وميناء الخ) وتشمل المنطقتين الساحلية والداخلية بدءا
من نقطة تقع إلى الجنوب الغربي من بندر عباس وتلفي حول رأس جاشيك
ثم إلى ما وراء الرأس حتى نهر سويج (١) . كما نصت الاتفاقية على عدم

(١) هذه هي الحدود الشرقية لفارس كما اوضحها الأب بادجر في
مذكرة له بعنوان «علاقات فارس السياسية بدولة مسقط» في
١٨٦٣/١٢/٢٣ . وقد تم اعداد هذه المذكرة بشأن المطالب الإقليمية لفارس
في مكران وقد أرفق بالمذكرة صورة من عقد الايجار حصل
عليه بادجر من السيد ثويني في سنة ١٨٦١ أنظر كتاب (ائمة وسلاطين
عقار) ص ٣١٧ اشارة رقم ١٣ وبخريطة الجغرافيا السياسية للمنطقة .
راجع مكاتبات الحكومة الوطن (شري) مجلد ٥٧ و ٥٨ وكذلك مرفقات
الخطابات السرية إلى تومبسنى مجلد ١٤٥ من بادجر إلى فورس عدن
١٨٦١/٦/٣ (رقم ٩ الادارة السرية) (ولجنة مسقط وزنجبار) وتاريخ
المعد في شهر شعبان ١٢٧٢ الموافق ابريل ومايو ١٨٥٦ . وقد اعيد
نشره فيما بعد في كتاب « المعاهدات » اعداد اتيشون فصل ١٠ ملحق
١٤٥) وهناك صيغة أخرى للمعد وردت في كتاب متسيسون فصل ١٠
منحق ٢٨) حصلت عليه المفوضية البريطانية في طهران وترجمه جن
دبليو . دهاوس . وهذه النسخة تختلف من اوجه كثيرة عن نسخة بادجر ، =

أقامة تحصينات جديدة في بندر عباس ، وأن يتم ردم الخندق الذي يحمي البلدة من الداخل ، كما نصت على وجوب رفع الأعلام الفارسية على القلاع ، وإطلاق التحيات في الأعياد الوطنية وعند عيد ميلاد الشاه (١) . وفي حالة عبور القوات الفارسية إلى مكران في بلوشستان عن طريق بندر عباس ، ينبغي تقديم كافة الخدمات والموارد التي تحتاج إليها . كما يتعين على السيد سعيد أن يقبل أقالة الحاكم المعين من قبله عندما يطلب منه حاكم إقليم فارس ذلك وتعيين بدل منه . كما يتعين على السيد سعيد أن يمنع عن السماح لكلاء الدول الأجنبية بدخول بندر عباس أو إلى أي من ملحقاتها ، كما نص الاتفاق على الا يتنازل سلطان مسقط عن أي جزء من أراضي فارس لأي دولة أجنبية ، وأن يلتزم بالدفاع عنها وضد أي عدوان عليها . ونص الاتفاق على أن تكون مدة العقد عشرين عاما غير قابلة للتجديد الا بموافقة الحكومة الفارسية ، وأن العقد محصور في السيد سعيد ومن بعده أنجاله فقط (٢) .

ويحدد رد هاوس تاريخ إبرام العقد ١٧/١١/١٨٥٦ غير أن الديباجة تشير إليه كنسخة من المكاتبات المتبادلة في سنة ١٢٧٢ الهجرية . وهذه مع تفاريز جونز المؤرخة ٣٠ مايو و ٢٧/٨/١٨٥٦ والتي تشير إلى تجديد العقد . يوضح أن التاريخ الذي ورد في ترجمة بادجر هو التاريخ الطبيعي ولا . (١) في الصيغة التي ترجمها رد هاوس لم ترد إشارة إلى إطلاق التحية الرسمية ، وإنما فقط إلى رفع العلم الفارسي في أيام الجمعة والأعياد الرسمية وعيد ميلاد الشاه (٢) لقد تم الاتفاق على هذه الشروط مع السيد سعيد لتكون هيبندرية المفعول معه ثم مع أنجاله من بعده . أما في حالة انتقال الحكم في مسقط إلى أي معتصب فان وزراء حكومة فارس يعتبرون غير ملزمين بتنفيذ تلك الشروط (المادة ١٢ من ترجمة بادجر لصيغة المعاهدة) ولم يرد ذكر لهذا

لمى السيد سعيد نداء ربه بعد ان غادر عاصمته سلطنته للمرة الاخيرة على ظهر الفرقاطة كوين فيكتوريا يوم ١٥/٩/١٨٥٦ ، وكان يخالجه شعور مبهم بأنه قد لا يقدر له أن يرى عاصمته مرة أخرى خلال حياته . وقد ودع والدته الوداع الأخير وقال لها بأنه قد لا يراها مرة أخرى . ومن الغريب أن السيد سعيد قد حمل معه عددا من الألواح الخشب التي طلب اعدادها له في مسقط ، وأمر بأنه في حالة وفاة أحد من الركاب او المرافقين فينبغي وضع جثمانه في صندوق من هذه الألواح وايصاله الى زنجبار وبأن لا يتم دفنه بأي شكل من الأشكال في البحر (١) .

وفي يوم ١٩ اكتوبر لفظ السيد سعيد أنفاسه الأخيرة بينما كانت الفرقاطة تسير بالقرب من جزر سيشل ، وقد تم دفنه في زنجبار بعد اسبوع من وفاته ، وكان عمره يومئذ يناهز الخامسة والستين . وعندما نقلت مسقط أبناء وفاة السيد سعيد ضجت البلاد بالنحيب عليه ، كما

= الشرط في ترجمة رد هاوس للمعاهدة ، كما لم ترد أى إشارة الى مدة سريان العقد . ويؤكد صحة صيغة بادجر رد هاوس للمعاهدة ، كما لم ترد أى إشارة الى مدة سريان العقد . ويؤكد صحة صيغة بادجر للمعاهدة خطاب ثويني الى جونز بتاريخ ٢٥/٤/١٨٥٧ حيث سرد وصفا للعقد . انظر (مكتب بشون الهند) فارس والخليج مجلد ١١٢ من ثويني الى جونز ٢٩ شعبان ١٢٧٣ وقد ارفق صورة منه بخطاب أوترام الى كلارندون بتاريخ ٤/٦/١٨٥٧ .

(١) من هيمرتون الى حاكم بومباي ٨/١١/١٨٥٦ وقد أشار اليه

كوبلاند في افريقيا الشرقية . وغزاتها . ص ٥٥٣ .

يذكر المؤرخ العماني ابن رزيق « الى درجة أن اهتزت الجبال تأثرا من ذلك الموقف » (١) .

خلف السيد سعيد لانجاله مملكة عريضة مترامية الاطراف ، وتضم اجزاء واسعة من سواحل شبه الجزيرة وأفريقيا من رأس مسندم في أقصى الشمال حتى رأس ولجادو في أقصى الجنوب . واذا كانت هذه المملكة قد دب فيها التآكل ، وعانت من الاضطرابات السياسية والاقتصادية الا انها مع ذلك كانت قادرة على الحركة والحياة بفضل مواهب حاكمها وكفاءاته . اما انجال هذا الحاكم فلم تكن لديهم تلك الكفاءات : فأكبرهم السيد هلال كان قد جرده السيد سعيد من حقوق الارث وذلك لانتهاكه عرض احدى جواري والده السلطان ، وان كان من المرجح أن السيد هلال كان ضحية لؤامرة دبرتها ضده حريم القصر (٢) وقد توفي السيد هلال في متفاه بعدن عام ١٨٥١ ، ومن بين انجال السيد سعيد الخمسة عشر الباقين ، كان أبرزهم أربعة هم السيد ثويني والسيد تركي في عمان والسيد ماجد والسيد برغش في زنجبار ، وبما أن هؤلاء الأربعة كانوا اخوة من الاب ، فقد كانت العلاقات بين أمهاتهم تتسم بالكراهية والدسائس ، حيث كانت كل ام منهن تحاول أن تحظى بنصيب أكبر من اهتمام الاب وعطائه (٣)

(١) « أئمة وسلاطين عمان » ص ٢٦١ - بادجر .

(٢) انظر غولين (وثائق عن تاريخ افريقيا الشرقية فصل ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦) وغولين في هذا الكتاب يدحض هذه الرواية عن السيد هلال الذي كان معروفا بعزوفه عن النساء .

(٣) كان للسيد سعيد جوار كثيرات . وعلى سبيل المثال فقد كانت والدة السيد ثويني من جورجيا والدة . هلال من الحبشة بينما كانت والدة خالد من مالبار في الهند .

وقد اجفى السيد ثويني خبر وفاة ابيه عن بقية اخوته كى يضمن اولا ولاء قوات الحاميات فى المدن الرئيسية من البلاد (١) . اما فى زنجبار فقد حاول برغش الاستيلاء على السلطة فى نفس الليلة التى وورى فيها جثمان ابيه التراب ، غير ان محاولته لم تفلح ، ربما بسبب تدخل اتكنس همزتون المعتمد السياسى البريطانى فى زنجبار . وبمساعده تنصيب ماجد جاكفا على زنجبار (٢) وبهذا التمين ربما يكون البريطانىون قد حققوا هدفهم . السيد سعيد يتولى ماجد الحكم بعد موته ، وفى عام ١٨٤٤ بعث السنهيد سعيد برسالة الى وزير خارجية بريطانيا اللورد ابودين جاء فيها بالحرف الواجب :

انا نعين وننصب نجلنا السيد ماجد سلطانا على ممتلكاتنا فى افريقيا ، كما نعين نجلنا الآخر السيد ثويني سلطانا على جميع ممتلكاتنا فى عمان والخليج وسواحل هذا الخليج . . « (٣) وعند وفاة السيد خالد بعد بضعة أشهر من مغادرة السيد سعيد زنجبار الى مسقط فى سنة ١٨٥٥ عين ماجد واليا على زنجبار وغيرها من ممتلكات السيد سعيد الافريقية ، وكحل لهذه المشكلة رشح ماجد لولاية صجار ، بينما لم يرشح برغش لى منصب ، ولهذا فلم يكن من المتوقع ان يقبل كل من برغش وتركى هذا الوضع ، وبالمثل لم يكن من المتوقع ان يقبل السيد ثويني مساواته بالسيد ماجد او بالسيد تركى . وبالإضافة الى ذلك فقد كانت

(١) أئمة وسلاطين عمان ص ٢٦١ .

(٢) افريقيا الشرقية وغزاتها ص ٥٥٤ .

(٣) أئمة وسلاطين عمان ص ٢٦١ .

زنجبار مصدر الثروة مسقط ، وبالتالي لم يكن ممكنا أن يقبل السيد ثويني
أن يحرم من هذا المصدر المالي الوفير .

وفي مستهل عام ١٨٥٧ عقد السيد ثويني اتفاقا مع السيد ماجد تعهد
قبة الأخير بدفع مبلغ ٤٠٠٠ ريال نسوي كل عام الى أخيه في مسقط ،
مقابل أن يحصل السيد ماجد على حصة سنوية من الجياد العمانية . غير
أن الغرض من هذا الاتفاق لم يكن واضحا ، لأن كلا من الإخوين قدم
تفسيرا مناقضا لتفسير الآخر للاتفاق . وعلى اية حال فقد نقض ماجد هذا
الاتفاق وأوقف دفع المبلغ الذي اتفق عليه ، في الوقت الذي أوفد وكيله
الى مسقط لاستلام نصيبه من الجياد . وفي نهاية العام أعلن السيد ثويني
أنه قرر حسم الخلاف بينه وبين أخيه السيد ماجد بشكل نهائي وحاسم
فأبحر بأسطوله البحري وبرجاله من القبائل العمانية الى زنجبار (١) .

أثار احتمال نشوب صراع واسع بين انجال السيد سعيد قلق حكومة
بومباي ، فبادرت بالانعسار الى المقيم البريطاني في الخليج الكابتن جونز
بالتوجه الى مسقط ، وبذل أقصى ما في وسعه لإقناع السيد ثويني بالعدول
عن خطته لغزو زنجبار ، كما أرسل الطراد البريطاني أسابي على وجه
السرعة الى زنجبار في بداية عام ١٨٥٧ لدعم موقف السيد ماجد وتقديم
الحماية للمعتمد السياسي البريطاني والرعايا البريطانيين الهنود المقيمين
هناك (٢) . وفي ١٠ من فبراير تبين أن التعليمات التي أرسلت الى جونز

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٣٨ مرفق للخطاب
السري رقم ٢٠ المؤرخ ١٨٥٩/٢/٨ من خزفيل بن يوستف (وكيل المقيم في
مسقط) الى اندرسون ١٨٥٨/١٢/٢٥ .

(٢) نفس المصدر / قرار مجلس الإدارة ١٨٥٩/١/٢ وخطاب من
اندرسون الى الكومندور ويلسون (قائد عام أسطول الهند) ١٨٥٩/٢/٣٥
و رقم ٢٦ و ٢٩٨ الادارة السرية .

وصلته متأخرة وبعد أن أبحر السيد ثوينى بالفعل على رأس الحملة التى كانت تتألف من الفرقاطه كارولين والكورفيت كارلو والفرقاطه رحمانى وديستية من السفن (من طراز البغلة) وعلى متنها ٢٥٠٠ مقاتل ، وهى تصرفا حاكم بومباى اللورد الفنستون بسرعة قبضت في ١١ فبراير سنكرتيره المسكرى اللفتنانت كولونيل راسل على السفينة « البنجاب » لاعتراض أسطول السيد ثوينى ، وتسليمه خطابا منه لالغاء الخطة واحالة موضوع الخلاف مع اخيه ماجد الى الحاكم . التقى راسل بأسطول السيد ثوينى فى منطقة قريبة من مدينة صور فى عمان وسلمه خطاب الحاكم . وقد وافق السيد ثوينى على طلب حاكم بومباى ، وأبلغ البعث أنه سوف يعود الى مسقط ويرسل سفينة لاستدعاء طليعة الحملة للعودة الى البلاد (١) .

وقد بعث قرار السيد ثوينى الارتياح فى نفس السيد ماجد ، وأن لم يضع حدا لمشاكله . ففي الشهور الأولى من عام ١٨٥٩ ، كانت زنجبار تغلى بالاضطرابات نظرا للأخبار التى وردت عن عزم السيد ثوينى الهجوم على زنجبار ، مما دفع بأعداد غفيرة من غرب اليمن وحضر موث وعمان للتوجه الى زنجبار للاستفادة من المدايح المتوقعة فى الجزيرة ، ونهب ما يمكن نهبه من أموال وقد وصلت الى ميناء زنجبار ثمان من سفن أسطول السيد

(١) سجل الخطابات السرية الى بومباى مجلد ٣٣ من الحاكم الى وزير الدولة ١٨٥٩/٢/٢٤ (رقم ٢٦ الادارة السرية) .

(٢) « استعمار افريقيا الشرقية » تأليف كوبلاند: لندن ١٩٣٩ ص ٢٠ فى يوم ٢٤ مارس وصلت سفينة عثمانية واحدة فقط ، وقد تم اعتقال ركبها دون اقل ضجة ، وقد علم فيما بعد ان السفن الاخرى قد توقفت فى بعض الموانى الساحلية للتزود بالماء والطعام ، وقد استسلم هؤلاء بعد أن أفنوا بأن تلك الموانى قد تكون موالية لماجد . غير أن الكابتن رجبى المعتمد =

أوبنى ، قبل أن تتمكن السفينة التي أرسلها الاستبداء هذه السفن من اللحاق بها ، وأفرغت حوالي ألف رجل انضموا إلى مئآت الرجال الذين كانت تكتظ بهم شوارع زنجبار . وحتى وصول هذه الجموع من اليمن وخضرموت كانت زنجبار تموج بأعداد غفيرة من غرب الشمال الذين كانوا هناك في انتظار بدء موسم الرياح الجنوبية الغربية للأقلاع إلى مواطنهم بشحنات العبيد الذين أقتنوهم . وربما لم يكن يكفي زنجبار ما كانت تشهد من استعراضات مسلحة ، حتى تندفق عليها جموع من القبائل الأفريقية من داخل أفريقيا ، وكانوا مسلحين بالحزاب والنبال والسهام ، ومستعدين للانتفاض عند أول بادرة لنشوب ضراع مسلخ في الجزيرة . على أية حال فلم يكن الخطر الذي يهدد السيد ماجد يأتي من هذه الجماعات الذخيلة المشاقبة بقدر ما كان يأتي من أخيه السيد برغش ، وعلى الوجه الأخص من الحرث القبيلة العمانية الرئيسية في الجزيرة . وعلى حد رأى الكاتب رجبي الذي خلف همرتون كمعتمد سياسي في زنجبار بعد وفاة الأول في شهر يوليو ١٨٥٧ ، أن الحرث كانوا أسوأ العناصر التي احتك بها في حياته ، فهم اشرار إلى أقصى الحدود ، ولعل سبب ذلك هنجوا إقامتهم الطويلة في هذه البلاد ، ومعاشرتهم المستمرة للأفريقيين وسماجة الرقيق والمتاجرين فيه وهم من أقدس العناصر وأشدّها قسوة وشبها ، كما أن الشعور الانساني منعدم فيهم (١) وكان أمل الحرث الوحيد هو الاطاحة بحكم

==السياسي البريطاني في الخليج قد افاد يوم ٤ ابريل ١٨٥٩ بأن سفينة وسبع بغلات قد وصلت للتزود بالماء والطعام وأن ماجد لم يمنع ركابها من النزول (انظر مرفقات الخطابات السرية) الى بومباي مجلد ١٤٠ مرفق للخطاب السري ٥٧ المؤرخ ١٨٥٩/٥/٢٣ من رجبي إلى اندرسون ١٨٥٩/٤/٤ (رقم ٤٠ الادارة السرية) .

(١) من كوبلاند « أفريقيا الشرقية وغزاتها » ص ٥٥٤ .

آل بوسعيد في زنجبار ، لانهم كانوا حاقدين على السيد سعيد بسبب التنازلات التي قدمها للبريطانيين في موضوع تجارة الرقيق ، وكانوا يخشون أن يقدم السيد ماجد تنازلات أخرى لهم لحاجته الى تأييدهم . في نفس الليلة التي وصل فيها جثمان السيد سعيد الى زنجبار وشيع فيها الى مثواه الاخير ، اتصل عبد الله بن سالم زعيم الحرث بهامرتون ليسأله عن رأيه في الخطوة التي ستتم بعد ان اصيحت زنجبار بغير حاكم . وقد أدرك هامرتون ما كان يدور في ذهن شيخ الحرث فأجابه في لهجة عنيفة ، بأنه لو حاول عبد الله أن يقوم بأي حركة للاخلال بالأمن في البلاد فسوف تندرج رأسه في ظرف ٢٤ ساعة (١) ، ان الحرث يحاولون الآن تأييد برغش مؤقتا ليس حيا في شخصه بل لتوريط أسرة آل بوسعيد في صراع دموي على الحكم ، ولعل السيد برغش يتصور أنه يستطيع هو الآخر استخدام الحرث في تحقيق أهدافه في الاستيلاء على السلطة .

خلال الاسبوع الاخير من شهر مارس اضيف عنصر جديد الى الموضوع التحطير في زنجبار عندما وصلت الى الميناء اثنتان من السفن الحربية الفرنسية ، وقد جاءت السفينتان تلبية لطلب القنصل الفرنسي في زنجبار ، لاديسلاس كوشيت الذي كان قد طلب من السيد ماجد السماح له بتصدير بعض العبيد الى المزارع الفرنسية في جزيرة ريونيون وذلك خلافا لما تنص عليه المعاهدة البريطانية - المسقطية بحظر تجارة الرقيق (٢)

(١) للاطلاع على المعاهدة راجع ص ٥٨٠ - ٥٨٢ .

(٢) من رجبى الى اندرسون ٤/٤/١٨٥٦ . رقم الإدارة السرية) .

بعد قليل من وصول الفايكونت فلورنيه دى لانجل اجتمع بالسيد ماجد ، وكان يرافقه القنصل العاممى وذلك لاقتناعه بالاتفاق مع أخينته السيد برغش ومع الحرث وشجب قراره بتعقبهم من زنجبار التى غاب (١). كما شملت المحادثات موضوع تجارة الرقيق . غير ان ماجد رفض مطالب الفرنسيين ليس من واقع الضعف لكن من منطلق القسوة ، فقد كان يملك خمسة من السفن الحربية ولديه قوة من الحرس الخاص قوامها ١٤٠٠ رجل ، كما كان قد وزع على السكان الافريقيين كميات كبيرة من الاسلحة ، ورغم كل ذلك فقد كان السيد ماجد يفتقر الى العزم وقوة الارادة . ولهذا قرر ان يستعين برجى . .

من حسن حظ الوكيل السياسى البريطانى فى زنجبار ان يصل اليها الطراد البريطانى « أسيلى » فى يوم ٢٢ مارس قادما من بومباى وفى يوم ١٦ ابريل انضمت اليه البارجة البريطانية برشين (١٤ مدفعا) وكانت قادمة من قاعدة الراس ، كما وصل أيضا الطراد البريطانى كلايف من بومباى ، وبوصول هذه القطع الحربية من الاسطول البريطانى شعر رجى بأنه أصبح فى مقدوره أن يتحدى الفرنسيين فى زنجبار . وفى ١٠ ابريل اتصل القنصل الفرنسى بالقائد رجى وأبلغه بان السيد برغش قد وضع تحت الحماية الفرنسية ، ولكن رجى لم يعلق بشئ على الموضوع فى تلك اللحظة ، ولكنه فى مساء اليوم الثانى بينما كان يتناول طعام العشاء على ظهر

(١) مرفقات الرسائل السرية الى بومباى مجلد ١٤٠ مرفق للخطاب

السرى رقم ٥٧ المؤرخ ١٨٥٩/٥/٢٣ من رجى الى اندرسون ١٨٥٩/٤/١٢

(رقم ٥٤ الادارة السرية) . . .

(١٦ - بريطانيا والخليج / ٢) . . .

السفينة الفرنسية (كوردلينير) اثار هذا الموضوع مع كل من دى لانجل وكوشيت . وكان رجبى قد استنتج من تحرياته بأن القائد الفرنسى قد منح الحماية للسيد برغش بناء على قصة كاذبة لفقها كوشيت عن اضطراب الوضع فى زنجبار . وعندنا شرح رجبى للقائد الفرنسى الاسباب الحقيقية للتوتر الذى يسود الجزيرة ، وبقبول السيد ثوينى قرار حاكم بومباى أعرب دى لانجل عن استعداده لسحب الحماية الفرنسية عن السيد برغش على الفور ، لانه كما ذكر لم يكن يود ان يتدخل فى الصراع الدائر على السلطة فى زنجبار . غير ان كوشيت غضب غضبا شديدا من تصرف دى لانجل هذا ، ووضح لرجبى : بأن لديه تعليمات من حكومته فى هذا الشأن ، وان الحكومة الفرنسية غير مستعدة لقبول أى تحكيم فى هذه المشكلة لا يتفق مع سياستها . كما أوضح بأن بين فرنسا والرحوم سلطان مسقط معاهدات واتفاقات ، ولا بد ان تلقى مواقف وآراء فرنسا الاحترام الكامله وقد أيد قنصل الولايات المتحدة الذى كان يحضر طعام العشاء رجبى فى رايه ، مما جعل دى لانجل يصر على القرار الذى اتخذه برفع الحماية عن السيد برغش ، ليس هذا فحسب ، وانما أبدى استعداده الى تسليم السيد برغش الى السلطات العمانية فى مسقط اذا ما طلب منه ذلك السيد ماجد . وقد عاد كوشيت بعد ذلك فوافق على عدم التدخل فى النزاع على الحكم بين افراد أسرة آل بوسعيد ، شريطة ان يفعل رجبى نفس الشيء (١) وعندئذ ذكر دى لانجل بأنه لم يعد هناك سبب لبقائه فى زنجبار ، ولذلك

(١) مرفقات للخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٣٨ مرفق للخطاب

السرى رقم ٢٦ المؤرخ ١٨٥٩/٢/٢٤ من السيد ثوينى الى الغنستون ١٤ رجب

١٢٧٥ - ١٨٥٩/٢/١٨ .

فقد غادرها بأسطوله عائدا الى بلاده ، ثم بعد وقت قصير أبحرت السفيتان البريطانيتان اساي وبرشين . ومع بداية فصل الرياح الجنوبية الغربية استعد الغامرون من العرب والافريقيين للرحيل عن زنجبار .

بهذا الاتفاق تمكنت السلطنة من تفادي الدخول في حرب منهكة ، ومع ذلك فما لم تتم تسوية المشكلة بين السيد ثويني والسيد ماجد ، فإن السلطنة سوف تظل تعيش تحت رحمة شيخ حرب أهلية . أما السيد ثويني فقد وضع بعض الشروط لقبول تحكيم الحاكم العام للهند ، والتي كان يعتقد بان هذه الشروط سوف تؤدي الى تسوية النزاع ، فأوضح المسؤولين البريطانيين ضرورة الحفاظ على وحدة البلاد ، وتخلصها من الانقسامات ، وأن تظل زنجبار خاضعة للسلطنة ، وأن تعتبر كلا من شطري البلاد مندمجا في بعضها البعض ، كما كان الوضع السائد في عهد السيد سعيد ومن قبله اسلافه ، وعلى أن يدفع ماجد معونة لمسقط مقدارها ٤٠ ألف ريال نمسوى كل عام ، وأن يتعهد السيد ماجد بتقديم المعونات اللازمة في حالة دخول عمان في أي حرب ، وأن تسلم التركة التي خلفها السيد سعيد لورثته القصر الى عهدة أحد الاطراف الموثوق بها . كذلك طالب السيد ثويني بأن يدفع اليه السيد ماجد تعويضات عن النفقات التي تكبدها في قمع الحملة الفاشلة عليه في بداية ١٨٥٩ .

لقد أثارت هذه الشروط التي اشترطها السيد ثويني تساؤلات كثيرة لدى حكومة بمباي عند اطلاعها عليها ، وأخذت تتساءل عما اذا كانت مطالب السيد ثويني من السيد ماجد تقوم على اساس وصية خلفها السيد سعيد ، أو على اساس التقاليد السائدة في عمان ؟ . فلو كان السيد سعيد قد أوصى بزنجبار للسيد ماجد مع اشتراط أن يدفع السيد ماجد زكاة سنوية لحاكم مسقط ، فينبغي الاتفاق أولا على مبلغ الزكاة ، ومدى خصسوع

مستعمرة زنجبار لمسقط ، ما اذا كان السيد سعيد من ناحية أخرى قد اوصى بحكم زنجبار والممتلكات الأفريقية الأخرى للسيد ماجد على أساس ممارسته السيادة الكاملة عليها ، فلا بد في هذه الحالة من التأكد ما اذا كان هذا الاجراء يتفق مع التقاليد العربية في تلك المنطقة أم لا . وقد رأت حكومة بومباي بأنه لو كانت زنجبار تخضع لمسقط منذ العهود القديمة ، فلم يكن من حق السيد سعيد تقسيم السلطنة بين ورثته عند وفاته ، أما اذا كان استيلاء السيد سعيد على زنجبار قد تم عن طريق الفتح أو الشراء أو عن طريق التزاوج ، فقد كان من حقه أن يتصرف في ممتلكاته كيف يشاء . وبصرف النظر عن موضوع الحق فقد كانت حكومة بومباي ترى أنه لا بد من وضع اعتبارات عملية أخرى في الاعتبار حتى يمكن الوصول الى قرار عادل في هذه المشكلة ، فهل تستطيع زنجبار أن تلتزم بدفع معونة مالية في حجم المبلغ الذي اشترطه السيد ثويني ؟ وقد كان لزنجبار أهمية كبرى كمنطقة حرة في أفريقيا الشرقية ، وذلك على العكس من مسقط التي كانت أهميتها محدودة من الناحية الاقتصادية ، غير أن موقع مسقط الجغرافي ، وطبائع أهلها ، وما بهسا من مستعمرات في الخليج ، كل ذلك كان يضيف عليها أهمية سياسية بالغة ، كما أنها من الوجهة العسكرية تتفوق على زنجبار ، فضلا عن ما للحكومة البريطانية من مصالح فيها ، وبالأخص فيما يتعلق بمكافحة تجارة الرقيق المنتشرة في شرق أفريقيا والتي كانت زنجبار بؤرتها ، بالإضافة الى مسئولية بريطانيا في مكافحة الحروب والقرصنة البحرية من ناحية ، وتجنزة الرقيق في الخليج من ناحية أخرى . وبالتالي فلو تعرض مركز مسقط لأي خطر ، أو أن السيد ثويني اضطر الى استنزاف موارده ودخله في محاولات السيطرة على زنجبار ، فإن السياسة البريطانية في الخليج عموما سيوف تتعرض للخطر .

في شهر فبراير ١٨٥٩ أوعزت حكومة بومباي الى رجبى بالرد على هذه الاستفسارات ، وفي شهر ابريل من نفس العام بعث رجبى برده الى حكومة الهند ذكر فيه ، بأنه على قدر معرفته ، فان السيد سعيد لم يترك اى رضى ، وأن حقه فى تقسيم مملكته حقا لا نزاع فيه ، وتؤيده شوايق عديدة من تاريخ حكم أسرة آل بوسعيد ، أهمها ، ما حدث فى عهد الامام أحمد بن سعيد الذى وزع السلطة فى عمان على عدد من أنجاله ، وبالتالي فإن تعيين السيد سعيد لنجله السيد ماجد كى يخلفه فى حكم زنجبار وتعيين السيد ثوينى ليخلفه على حكم مسقط ، إنما يدل على ان السيد سعيد كان يريد ان يوزع السلطة بينهما بحيث يكون كل منهما مستقلا عن الآخر ، حتى يتجنب نشوب صراع بينها على الحكم بعد وفاته ، كالصراع الذى ينشأ عادة على الحكم بعد سقوط الحاكم أو وفاته . وكان رجبى قد سمع من السيد هلال شقيق السيد سعيد بأنه لا توجد بين أسرة آل بوسعيد والقبائل العمانية بوجه عام قاعدة تفرض ان يتولى الحكم الولد البكر ، كما ذكر له السيد هلال بأن السيد سعيد قد اتخذ من زنجبار عاصمة لحكمه ، وبالتالي تعتبر زنجبار هى قاعدة حكم أسرة آل بوسعيد فى عهد السيد سعيد كالمدينة التى يقيم فيها الحاكم تعتبر فى نظر العرب عن عاصمة المملكة ، ومن ناحية أخرى فان زنجبار قد آلت الى السيد سعيد عن طريق الفتح وليس الارث ، وأن الزعماء المحليين فيها وفى غيرها من الموانئ الرئيسية فى أفريقيا الشرقية كمباسا مثلا لم يعترفوا بسلطة السيد سعيد الا عن طريق القوة ، وبالتالي فان الزكاة التى يطالب بها السيد ثوينى عن زنجبار ليست زكاة بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وإنما هى معونة مالية يدفعها السيد ماجد عن طيب خاطر ، كما ان السيد ماجد قد ذكر لرجبى بأن اخاه السيد ثوينى قد بعث بمندوب اليه فى زنجبار يطلب منه هذه المعونة المالية على نمط ما كان يحدث أيام حكم والده نظرا

لان دخل زنجبار هو اكثر من دخل مسقط . وعلى ذلك فقد وافق السيد ماجد على أن يبعث لأخيه السيد ثوينى مبلغ ٤٠ ألف ريال نمسوى فى كل عام منها مبلغ عشرة آلاف ريال مساهمة من السيد ماجد فى قيمة الزكاة التى يتقاضاها الوهابيون من السيد ثوينى ، وعشرة آلاف كمعاش للسيد تركى وما بقى من المبلغ يعتبر نفقات للسيد ثوينى ، ولكن على شرط أن يمتنع السيد ثوينى من اتخاذ أى اجراء ضد أخيه السيد تركى ، غير ان السيد ثوينى خرق هذا الاتفاق بشنه الحرب على السيد تركى ، وحجز المبلغ المخصص له ، الأمر الذى اضطر السيد ماجد أن يقطع تلك المساعدة عن أخيه السيد ثوينى ، وبصرف النظر عن صحة هذه الرواية أو عن عدم صحتها ، فان رجبى كان واثقا بأن السيد ماجد لن يدفع هذه المعونة نعمان بعد الآن ، أولا بسبب افلاسه ، نظرا لما تكبده من نفقات فى مواجهة العدوان عليه من السيد ثوينى ، والذي يصل الى نحو ١٠٠ ألف ريال نمسوى . كما كان مدينا لمقاول الجمارك بمبلغ ٢٠٠ ألف ريال كان قد اقتترضها منه لبناء سفينة حربية . وبسبب هذه الديون لم يعد السيد ماجد يملك اكثر من دخله من الرسوم الجمركية والضرائب التى لا تزيد على ٢٠٦ آلاف ريال نمسوى الى جانب ٩٠ ألف ريال كان قد تركها له والده (١) .

لم تكن المعلومات التى بعث بها رجبى الى حكومة الهند حول هذه القضية غير متحيزة لان رجبى كان متأثرا بكراهية شديدة لتجارة

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٠ مرفق للخطاب

السرى رقم ٦٥ المؤرخ ٢٣/٦/١٨٥٩ من رجبى الى اندرسون ١٤/٤/١٨٥٩

(رقم ٤٦ الادارة السرية) .

الرقيق (١) . وكان تقسيم السلطنة يعنى بالنسبة اليه أن تتحرر زنجبار من السيطرة المسقطية ، كما أن السيد ماجد الذى أبدى بالفعل كثيرا من الأرونة فى موضوع تجارة الرقيق ، سيكون بعد استقلاله عن مسقط أكثر مرونة ، وعلى أية حال فقد كانت تجارة الرقيق ، ومؤامرات الفرنسيين فى هذا الشأن ، ومحاولات السيد ثوينى اخضاع السيد ماجد لسلطته ، كانت كلها موضوعات متداخلة ، وبالنسبة للفرنسيين كان من مصلحتهم أن تتفلس سلطة السيد ماجد بعد أن رفض السماح لهم بتصدير العبيد الى جزيرة رينيون ، كما كان تأييد الفرنسيين للسيد ثوينى ينطلق من تصورهم بأنه سوف يسمح لهم بإنشاء ميناء على ساحل افريقيا الشرقية لتصدير العبيد منه الى مزارعهم فى جزيرة رينيون . . . غير أن السيد ثوينى رفض ذلك على حد قول رجبى ، وأنه بعث بمندوب الى أخيه السيد ماجد فى شهر ابريل ، بعد أن وافق على تحكيم الحاكم العام ، فاذا كان هذا المندوب قد توجه الى زنجبار لمفاوضة السيد ماجد ظاهريا ، إلا أن مهمته الحقيقية هى التآمر على السيد ماجد (٢) . وربما كان رجبى على صواب فى مخاوفه ، غير أن السيد ماجد هو الآخر كان يقوم بنفس الدور فى التآمر على أخيه السيد ثوينى ، ففي شهر مايو وصلت الى ميناء صحار احدى السفن التجارية الفرنسية وهى تحمل بعض الاسلحة والأموال التى كان قد

(١) على سبيل المثال انظر الكتاب الذى الفته كريمة رجبى تحت اسم « زنجبار وتجارة الرقيق » وقدمت فيه صورة عن والدها .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٠ مرفق للخطاب الشزلى رقم ٦٥ فى ١٨٥٩/٦/٢٣ من رجبى الى اندرسون ١٨٥٩/٤/٢٥ (رقم ٥٢ الادارة السرية) .

أرسلها السيد ماجد الى السيد تركي لتحريره على التمرد على اخيه السيد ثويني . وقد ذكر السيد تركي للمقيم البريطاني في الخليج في رسالة بعثه بها اليه يعترف فيها بأنه كان ينوي شن حرب على أخيه السيد ثويني ثم بعد ذلك توجه السيد تركي الى زنجبار وكان لسفره هذا أسباب عديدة (١) .

لم يكن أى من السيد ثويني أو السيد ماجد على استعداد كما يتدوّن لقبول قرار حكومة الهند لتسوية الخلاف القائم بينهما ، لأن السيد ثويني قد رفض منذ البداية تدخل حكومة الهند في هذا النزاع ولعله كان على حق في موقفه هذا ، سيما أن اللورد كاتنج حاكم الهند العام كان متأثراً بأراء رجبى في اتهامه السيد ثويني بالتآمر ضد أخيه السيد ماجد ، وبالتالي ففا أوضح رجبى في شهر يوليو ١٨٥٩ لحكومة بومباي بأنه لا يستطيع أن يفصل في قضية يرفض أحد طرفيها الالتزام بأى حكم قد يصدر فيها . (٢) واستطرد كاتنج يقول بأنه لا ينوى الاعتراف بحق السيد ثويني في السيطرة على أخيه السيد ماجد ، وأنه بالأحرى يؤثر أن يصل الطرفان الى تسوية ودية بينهما بدلا من أن يضطر الى فرض تسوية عليه ، كما طلب كاتنج حوال السيد ماجد عما اذا كان على استعداد بأن يدفع الى أخيه السيد ثويني المعونة السنوية التي طلبها في حدود ٤٠٠ ألف ريال نظير أن تمتنع السيد ثويني من التدخل في شئون زنجبار ، غير أن اللورد كاتنج عاد

(١) مرفق للخطب العزى رقم ٧٥ المؤرخ ١٨٥٩/٩/١٠ من جونز الى اندرسون ٦/٢٩ و ١٨٥٩/٧/٢٣ (رقم ٢٥٠٤٠٢٨٢ الادارة السرية) ومرفق به صورة من خطاب تركي الى جونز ٢ ذى القعدة ١٢٧٥ الموافق ١٨٥٩/٦/٤ .

(٢) من سى بيدون (وزير خارجية الهند) الى اندرسون ١٨٥٩/٧/٢٧ (رقم ٤٥٩٠ الادارة الخارجية) .

فأوضح بأن مثل هذا الاتفاق لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يعتبر بثباته
فورية من صاحب سيادة على شخص أدنى منه ، وإنما ينبغي أن يعتبر
مشقة من جانب السيد ماجد على غرار الاتفاقات السابقة . أما إذا رفض
قبول هذا الحل طمعا في قرار عنيف ، فلا بد في هذه الحالة كما أشار كاننج
من الحصول على موافقة رسمية مسبقة من الطرفين المتنازعين ، يتعهدان
فيها بقبول الحكم الذي سيصدر إلى جانب تعهد آخر منهما بعدم اللجوء
إلى استخدام القوة حتى صدور هذا الحكم ، كذلك ينبغي أن يتعهد الأخوان
بقبولهما لتحكيم الحاكم العام باعتباره قرارا نهائيا ، وأن يخوله في تطبيق
هذا القرار بالقوة إذا اقتضى الأمر .

لم تر حكومة بمباي في هذه المقترحات أية صيغة رسمية لأنها لم
تكن تبحث عن إيجاد حل ودي لهذا الخلاف حسيما اقترح اللورد كاننج ،
ولكنها رأت أن توفد الضابط البحري الكومندور كورتندر (من الأسطول
الهندي) إلى مسقط وذلك في شهر سبتمبر ١٨٥٩ وكان هذا الضابط
يتمتع بقمط كبير من الخبرة السياسية بالمنطقة ، وكانت مهمته ابلاغ
السيد ثويني بأراء الحاكم العام للجيبول على موافقة خطية منه على
القرارات التي سوف يتخذها الحاكم العام ووعده بالالتزام بها (١) ولكن
الضابط لم يكلف بالحصول على تعهد خطي مماثل من السيد ماجد ، بل
أن مثل هذا التعهد لم يطلب من السيد ماجد على الإطلاق إلى أن تم تشكيل

(١) مرفقات الخطابات السرية إلى بمباي ، جلد ١٤١ مرفق للخطاب

السري رقم ٧٥ المؤرخ ١٨٥٩/٩/١٠ من أندرسون إلى بيدون ١٨٥٩/٩/١٠

(رقم ٨٨٥ الإدارة السرية) .

اللجنة المكلفة بالتحقيق في النزاع وذلك في شهر سبتمبر ١٨٦٠ وقد استثناء السيد ثويني كثيرا - موقف كاننج وتحيزه الى جانب السيد ماجد ، مما اضطره الى أن يستفسر من مبعوث اللورد كورتندن عن الاسباب التي حملت الحاكم اعام على رفض اعتباره سلطة أعلى على أخيه السيد ماجد، والى قبوله لرأي رجبى المتحيز تحيزا واضحا الى جانب السيد ماجد، ولماذا كان يرى في تقسيم السلطنة على الامر الواقع - أساسا عادلا لحل النزاع ؟ ولقد ضرب السيد ثويني مثلا لكرتندون ، وهو ان زنجبار تمثل اللحم ومسقط تمثل العظم ، وأنه هو يمتص مجرد العظم ، بينما أخوه يستمتع بأكل اللحم (١) ، كما سأل السيد ثويني كرتندون فيما اذا كان يرى أى فائدة من احالة النزاع للتحكيم خصوصا وأن احكام العام قد حدد موقفه من أهم جانب من جوانب المشكلة ، ونعنى به حق مسقط فى الحصول على نصيبها من عائدات زنجبار ، وحق السيد ثويني فى السيادة على أخيه السيد ماجد . غير أن كرتندون لم يعرف كيف يرد على أسئلة السيد ثويني أو لعله لم يكن يستطيع ذلك بشكل يرضى عنه ، ولهذا فقد ظل يلح على السيد ثويني باعطائه التعهد الرسمى الذى حصل عليه اخيرا بعد أسبوع من الجدل والنقاش بينه وبين حاكم مسقط ، خصوصا وان كرتندون لم يكن يهتم ما يسفر عنه قرار اللورد كاننج من نتائج ، وكانت قضية السيد ثويني قضية خاسرة ومنتهية .

وفى أول مارس ١٨٦٠ الف الفينستون لجنة لتقصي الحقائق فى هذا النزاع واختار لرئاستها البريجدير بولاند المقيم السياسى البريطانى فى عدن، وعين الأب برس بادجر مساعدا لبولاند ، وكان بادجر قسيسا ملحقا بادرة بومباى ، وأحد علماء اللغتين العربية والفارسية ، وسبق له العمل مع اوتراند

(١) خطيب سرى رقم ٨١ المؤرخ ٢١/١٠/١٨٥٩ من كروتندون الم.

اندرسون ١٨٥٩/٩/٢٤ (رقم ٣ الادارة السرية) .

إنهاء الحرب الفارسية . و بعد عكف بولاند بعد تعيينه على دراسة ملف هذه القضية ، وبعد أن فرغ من دراستها وجه سؤالين الى الفنستون ، وطلب اجابة عليهما قبل أن يبدأ فى مهمته : الأول يتعلق بموضوع السيادة . فقد كان من الواضح أن الكابتن رجبى قد خلص الى أن السيد ماجد هو الحياكم انشريعى لزنجبار على أساس الامر الواقع ، وأن كلا من حكومتى بومباى والهند قد اعترفتا له بالنية بهذه السيادة ، بعد أن رفض أن يعترف بالسيد ثوينى بالسيادة على زنجبار . وحول هذه النقطة سأل بولاند ما اذا كان عليه أن يتصور بأن دعوى السيد ثوينى بالسيادة على زنجبار ، وبدفع الزكاة التى يطالب بها تشيية مفروغا منها ؟ وكان السؤال الثانى متمما للسؤال الاول ، فقد أوضح بولاند بأنه او انفصلت زنجبار عن مسقط على الاساس الذى أشرنا اليه فان حكم آل بوسعيد فى عمان قد يتعرض للخطر ، الامر الذى سيوجب تقديم ضمانات للسيد ثوينى لحماية ممتلكاته فى شبه الجزيرة ، ولهذا سأل بولاند ما اذا كان قرار الحياكم العام للهند سوف يتأثر بهذه الاعتبارات أو بأى اعتبارات أخرى من نبطها ؟ وبعبارة أخرى يسأل بولاند عما اذا كان يتعين عليه فى الحالة هذه أن يعتبر المشككة لا تزال قابلة للنقاش ؟ (١) .

وقد رد عليه الفنستون بأن عليه أن يأخذ فى الاعتبار حقيقة واحدة وهى

(١) مرفق للخطابات السرية لبومباى مجلد ١٤٥ ، مرفق للخطاب السرى رقم ٢٨ المؤرخ ١٢/٨/١٨٦١ ، مناقشات اللجنة التى شكلتها الحكومة للتحقيق فى النزاع بين حاكمى مسقط و زنجبار وتقديم تقرير عنه ، خطاب من كولان الى اندرسون ، عدن فى ٣/٤/١٨٦٠ (رقم ٤٦ الادارة السرية) . وسوف يعود الى هذا الموضوع فى موضوع مناقشات لجنة مسقط و زنجبار .

أن يضع معادلة بين عامل العدالة وعامل الضرورة في بحثه عن حل مقبول لتسوية النزاع وقال في هذا الصدد : -

« انه يتعين على المقيم السياسي أن يتأكد من الحقوق الفعلية لكل من الطرفين على أن يسترشد في ذلك بقوانين الشريعة وبالتقاليد العائلية لاسرة آل بوسعيد وبالأدلة القاطعة وبالضرورة التي تحتمها مصالح بريطانيا ، وبعد أن ينتهي من هذه المسألة يستطيع بعد ذلك أن يقرر ما اذا كان لابد من الاعتراف بالحقوق الفعلية للطرفين ، وما اذا كان الأمن والاستقرار في المنطقة قد لايتسنى تحقيقه عن طريق اقناع الجانبين بتقديم تنازلات لحل النزاع ، وما اذا كانت تسوية النزاع على أساس القوانين الشرعية قد لا يؤدي الى تحقيق فائدة حقيقية لجميع الأطراف ، الحكام والمحكومين وذلك في مقابل التثبيت الأعمى بحقوقهم الفعلية : وبعبارة أخرى يتعين على المقيم السياسي بأن يفرق بين ما هو الحق وما هو ضرورة ، وبأن يتأكد مما اذا كان في الامكان اقناع الطرفين المتنازعين بتقديم تنازلات من أحدهما للآخر . وان الحاكم العام يرى بان القضية برمتها لاتزال موضع نقاش وبحث من جانب المقيم السياسي ، وبأن رغبة الحكومة السامية هي احقاق الحق بين الطرفين ، كما تريد السلطة العليا أن تستفيد من جميع الحقائق والمعلومات التي يستطيع البريجدير بولاند الحصول عليها لايجاد حل لهذه المشكلة » .

وقد أعيد توضيح هذه الآراء في مجموعة من التعليمات الجديدة التي صدرت لبولاند في نهاية مايو ١٨٦٠ ، عشية سفره الى مسقط للبدء في مهمته ، وقد نصت هذه التعليمات على ما يلي : « أن خبرتك كمقيم سياسي في المنطقة سوف تساعدك على تقييم مطالب كل من الطرفين بحقوق السيادة على زنجبار وملحقاتها ، وبأن تصل الى حل لهذا النزاع فيما يختص بهذه

المنطقة بالذات يرضى عنه الطرفان ويكفل المصلحة العامة لأهاليها وقبائل هذه المنطقة التي لا تزال خاضعة حتى الآن لسلطنة عمان ، وبما يحافظ على مصالحنا في عمان ، وعلى امتداد ساحل أفريقيا الشرقية التابع لزنجاناز (١) غير أن الفنستون لم يجد ما يحمله على تقديم ضمانات للسيد تويني بشأن ممتلكاته في شبه الجزيرة في حالة انفضال زنجبان عن مسقط ، ولكنه كان يهتم أن يعرف رأي بولاند في الموضوع . وقد بلغ غداء السيد تركي لأخيه السيد تويني حدا يجعله أن يضع ولاية صحار وملحقاتها تحت سيطرة الوهابيين ، غير أن حق السيد تركي في اتخاذ هذا الإجراء أو حتى في مجرد استقلاله عن السلطة المركزية في مسقط كان أمرا مشكوكا فيه ، على الرغم من أن السيد تركي كانت لديه مبررات تختلف عن المبررات التي كان يستند عليها السيد ماجد ، ولهذا الأسباب فقد طلب الفنستون إلى بولاند أن يبحث هذا الموضوع ، وأن قد نبه عليه بأن فصل ولاية صحار عن مسقط أمر مستبعد وغير مرغوب فيه ، وأن حصول الوهابيين على أي شكل من أشكال السيطرة على عمان سيكون بمثابة كارثة علينا (٢) .

استهلت لجنة تقصي الحقائق أعمالها في مسقط يوم ١٢ يونيو ١٨٦٠ وفد أمضى بولاند عشرة أيام في محادثات مستمرة مع السيد تويني اقتنع في نهايتها بقوة موقف السيد تويني وحججه ، بينما تبين له بعد البحث الدقيق أن أكثرية الحجج التي استند عليها السيد ماجد وايده فيها الكابتن رجيبي تقوم

(١) مرفقات الرسائل السرية إلى بومباي مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب

السري رقم ٢٣ المؤرخ ١٨٦٠/٦/٦ من اندرسون إلى كولاى ١٨٦٠/٥/٢٩ (١٦٥ سري) .

(٢) نفس المصدر راجع أيضا قرار المجلس ١٨٦٠/٤/١٦ .

على أساس واهية . وقد كان السيد ثويني يرى بأنه ما دام هو الحاكم الشرعي المعترف به في عمان ، فهو بالتبعية يعتبر حاكما على ملحقاتها في الخارج . وأنه لم يكن من حق والده أن يتصرف في تلك الممتلكات كما يشاء بحكم أنه حاكم مستقل لبلد يتمتع بكل مقومات الدولة . وأضاف إلى ذلك أن السيد ثويني كان يعتقد بأن السيد سعيد لم يكن يهدف إلى تقسيم السلطنة إلى هذا النحو ، وبأن تعيينه لنجله السيد ماجد في الأربعينات من القرن التاسع عشر محافظا في ممتلكاته الإفريقية لم يكن يعني استقلال أحد الولدين عن الآخر وإنما كان ذلك إجراء روتينيا بحتا ، وبالتالي فإن السلطة العليا في السلطنة ككل هي من حق الحاكم الذي يمارس الحكم في الدولة الأم ، والذي اعترف به كافة القبائل الرئيسية في عمان . غير أن كولان في رده على السيد ثويني استشهد بالخطاب الذي بعث به السيد سعيد إلى أبردين في يوليو ١٨٤٤ ، وأعرب فيه عن رغبته في التصرف في ممتلكات السلطنة بعد وفاته ، وقد رد السيد ثويني بالإشارة إلى توصية والده السيد سعيد (وهي الوصية الوحيدة) والتي أوصى فيها بسفينتين من سفنه للخزانة العامة للسلطنة ، ولما لم تكن هناك غير خزانة واحدة للدولة ، وهي الموجودة في مسقط عاصمة البلاد ، فمن الواضح أنه يريد أن تستمر الدولة ككيان واحد ، أنه لم يقصد خلاف ذلك ، أي لو أنه كان فعلا ينوي تقسيم السلطنة إلى دولتين ، فإنه لم يكن يستطيع ذلك نظرا لأن تقاليد عمان وقوانينها لا تسمح له بذلك .

وقد تأيدت وجهة نظر السيد ثويني بنتائج التحقيقات التي أجراها الأب بادجر ، زميل كولان في اللجنة ، والذي كان في ذلك الوقت يقوم بأبحاث مستقلة عن تاريخ عمان (١) وتوصل بادجر من خلال أبحاثه إلى أن عمان لم تعرف

(١) وقد كانت هذه هي المناسبة التي سلم فيها السيد ثويني نسخة من كتاب ابن رزيق والذي قام بادجر فيما بعد بترجمته ونشره تحت عنوان « تاريخ أئمة وسلاطين عمان » .

اطلاقاً نظام أولوية الحكم لابن البكر ، وأن الحكم في عمان غير وراثي .
وبالتالي فقد اتضح أن أقوال السيد ثويني بعدم شرعية تقسيم البلاد بين وريثة
والده ، أيا كان المعنى الذي يصيغ على خطاب السيد سعيد إلى وزير خارجية
بريطانيا أقوالاً صحيحة . صحيح أن الحاكم في عمان يستطيع تعيين أي من
أفراد أسرته في أي جزء من أجزاء مملكته حتى ولو كان تعييناً مستمراً ،
إلا أن ذلك الجزء يبقى جزءاً من السلطنة وخاضعاً له . ومن هنا فقد استنتج
كولاند بأنه إن كان الدافع للسيد سعيد على تعيين كل من نجليه السيد ثويني
والسيد ماجد كحاكمين في ممتلكاته في كل من شبه الجزيرة وشرق أفريقيا ،
وطلبه المساعدة من الحكومة البريطانية في استمرار هذا التعيين بعد وفاته
إلا أن كل ذلك لم يكن يعني استقلال النجلين كل بمنطقته . ولعله كان يقصد
أز يولى كل من نجليه على هذين الجزئين من ممتلكاته تاركاً بعد ذلك موضوع
الخلافة على الحكم لكي يتقرر وفقاً للتقاليد المعمول بها في عمان . كذلك
اكتشف كولاند خطأ الرأي الذي ذهب إليه الكاتبن رجبي ، وهو حق السيد
سعيد في التصرف في ممتلكاته الأفريقية كيف يشاء ، لمجرد أنه حفظ على
على هذه الممتلكات عن طريق الفتح ، لقد استولى السيد سعيد على هنته
الممتلكات بحكم أنه سلطان على مسقط ، وكان في استطاعته توسيع ممتلكاته
الخارجية ، غير أن هذا الأمر لا يجوز له التصرف كيف يشاء .

نفس التفسير طبقه كولاند على ادعاء السيد تركي باستقلاله على ولاية
صحار عن مسقط ، وكان السيد سعيد قد عين السيد تركي محافظاً على
صحار فقط ، وهكذا اكتشف كولاند خطأ الرأي الذي ذهب إليه رجبي ، وهو
أن السيد سعيد قد قبل تقسيم السلطنة بين أبنائه الثلاثة ، وهم السيد ثويني
والسيد ماجد والسيد تركي . كما شك كولاند أيضاً في صحة تفسير رجبي
لصيغة الاتفاق الذي عقد بين السيد ثويني والسيد ماجد بشأن الأربعين ألف

ريال نمسوى التى تدفعها زنجبار لمسقط كل عام ، وفى رأى كولاند أن التعهد بدفع هذه المعونة لم يكن اختياريا ، على النحو الذى ذكره الكاتبين رجبى والسيد ماجد . فقد أنكر السيد ماجد أن يكون لدفع هذا المبلغ أى شروط ، وأن هذا المبلغ كان يدفعه كزكاة منه الى أخيه السيد ثوينى فى مسقط بعبارة صاحب السيادة ، وعلى الرغم من أن كولاند لم يتوصل الى معرفة صيغة الاتفاق المذكور ، الا أنه رفض تفسير كل من ماجد ورجبى على اعتباره تفسيراً نهائياً للاتفاق ، كما كان يشك فى هوية المبعوث الذى بعث به السيد ثوينى الى السيد ماجد لمفاوضته على عقد هذا الاتفاق . ولكن كولاند كان مضطرا على أية حال الى أن يدافع عن موقف السيد ماجد ضد التهم التى وجهت اليه تنفيذا لرغبة السلطات المسئولة فى الهند ، وقد كتب يقول : -

« اننى أعتقد بيمتهى الصراحة بأن هذه الايضاحات سوف تسببهم فى دحض الحجج التى يتذرع بها السيد ماجد ضد السيد ثوينى » (١) وفى هذا الصدد أعرب السيد كولان بأنه لو كان هناك معتمد سياسى بريطانى فى مسقط يوافق حكومته بتقارير عن خطوات السيد ثوينى واجراءاته كما كان يفعل الكاتبين رجبى فى زنجبار بالنسبة الى السيد ماجد فربما كان فى الامكان الرد على تلك التهم الموجهة الى السيد ثوينى منذ وقت مبكر ، وكان كولان يعتقد بأن انقاليد للنظم فى عمان تحول للسيد ثوينى فرض سلطته على السيد ماجد باعتبار حاكما على السلطنة كلها ، كما كان من حق السيد ثوينى أن يطالب أخاه السيد ماجد بتسليمه تركة والده السيد سعيد ، كما يستفيد منها أبنائه الآخرون كما نصت بذلك وصيته ، لأن السيد ماجد لم يكن هو الوصى

(١) من مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٣٢ فى ١٨٦٠/٨/٦ من كولان الى اندرسون ١٨٦٠/٧/٤ (رقم الادارة السرية) لجنة تسوية النزاع بين مسقط وزنجبار .

على الورثة ، كما وجد كولان أن السيد ثوينى برىء من تهمة تواطؤه مع السيد برغش والحارث فى زنجبار للاطاحة بحكم أخيه السيد ماجد . أما عن التهم الأخرى ضد السيد ثوينى ومنها انه كان يتآمر مع الفرنسيين ويسوء معاملة مواطنى زنجبار المقيمين فى السلطنة ويستولى على أموالهم وسفنتهم فلم يجد لها أى دليل ، وإنما اقتنع بأن السيد ثوينى كان يتصرف بصبر وحكمة .

عاد كولان الى بومباى فى يوليو عام ١٨٦٠ ليقدم تقريره الى الجهات المسؤولة ، وفى شهر سبتمبر سافر الى زنجبار لبدأ المرحلة الثانية من مهمته ، وعند اجتماعه بالسيد ماجد طلب منه أن يتعهد بقبول حكم الحاكم العام ، ثم يعد ذلك أخذ يستجوبه حول ادعائه أولا ان والده السيد سعيد قد اتخذ قرارا بتقسيم السلطنة عند وفاته ، وذلك كما يشير اليه الخطاب الذى بعث به الى ابردين وزير خارجية بريطانيا ، ثانيا انه تقلد الحكم فى زنجبار بانتخاب افراد أسرة آل بوسعيد المقيمين فى الجزيرة وزعماء القبائل الأفريقية ، ثالثا ان الدول الأجنبية قد اعترفت به كحاكم مستقل على زنجبار ، رابعا أن السيد ثوينى قد اعترف به أيضا حاكما على زنجبار من خلال ارساله مبعوثا رسميا لمفاوضته على الاتفاق الخاص بالمعونة السنوية ، وعلى الرغم من ذلك فان كولان لم يأخذ بتلك الحجج التى دفع بها السيد ماجد والكابتن رجبى بحيث يغير موقفه من الراى الذى كونه فى مسقط حول النقطة الأولى من تلك الحجج ، وهى أن السيد ثوينى لم يكن من حقه تقسيم السلطنة ، أما عن السوابق التى أشار اليها كل من السيد ماجد والكابتن رجبى بتأييد وجهة نظرهما وبالأخص اجراء الامام أحمد بن سعيد بتقسيم السلطة بين أنجاله فليست حجة مقنعة ، بل ان السيد ماجد نفسه

أنكر وجود مثل هذا العرف في البلاد عند سؤال بادجر له ، فقد كان ذلك الاجراء يهدف الى توفير موارد ثابتة لانجالة للانفاق منها على أنفسهم . وأياما كان فان موضوع الرغبات شيء والحقوق شيء آخر . والواقع ان كولان كان يميل الى التصور بأن السيد سعيد كان فعلا يريد فصل زنجبار وملحقاتها عن السلطة المركزية في مسقط ولم يكن يريد اخضاع تلك الممتلكات لسلطة الحكم في السلطنة .

أما حجة السيد ماجد الثانية ، انه تقلد الحكم في زنجبار على اساس الانتخاب من زعماء القبائل الافريقية وبعض أفراد أسرة آل بو سعيد ، فينبغى أن تخضع . كما يقول كولان ، الى ما اذا كان يحق لهؤلاء ان ينتخبوه أو لا يحق لهم . ولا مفر من الإنكار ، لأن هذا الحق محصور في القبائل العمانية وحدها . وهى التى تتمتع بسلطة وحق انتخاب الحكام في عمان ، وقد ظل هذا النظام سارى المفعول حتى قبل وفاة السيد سعيد ، أما زعماء القبائل الافريقية في زنجبار فقد كانوا خاضعين لمسقط . وعلى أية حال فان التغييرات التى طرأت على زنجبار في عهد السيد سعيد كنتيجة لهجرة أعداد كبيرة من عرب عمان اليها ، ثم اتخاذها عاصمة للسلطنة ، واخيرا الأهمية التجارية التى اكتسبتها ، كل هذه الاعتبارات فرضت على حد رأى كولان ، ادخال تعديلات على الحكم . ومن هنا أصبح لأهل زنجبار رأى فى انتخاب الحاكم ، وذلك على الرغم من ان السيد ثوينى رأى فى هذا الاجراء تمردا عليه . ويؤكد كولان بأن قول السيد ماجد باعتراف الدول الأجنبية به ، وبالأخص فرنسا والولايات المتحدة قول ليس له أى اهمية ، نظرا لأن مجرد وجود خلاف على الحكم ، واحتكام أطرافه للحاكم العام للهند يبطل هذا الاعتراف . الا اذا تمشى مع نتائج التحكيم . وكذلك قول السيد ماجد بأن

أخاه السيد ثويني قد اعترف به حاكما مستقلا على زنجبار قول باطل كما يقول كولان ، وذلك لعدم وجود أدلة ومستندات تؤيده ، كما لا يمكن اعتبار المعونة السنوية أو الزكاة حجة تؤيد موقف السيد ماجد وبخاصة اذا وضعنا فى الاعتبار تفسير السيد ماجد للمعونة ، أى انها كانت شرطا للاعتراف به كحاكم مستقل على زنجبار (١) .

ومن هنا فان استنتاجات كولان بشأن الحجج التى استند عليها السيد ماجد فى سيادته على زنجبار لا تتفق والمنطق ، أما الحجج الاربعة ، وهى ان الزعماء الافريقيين قد انتخبوه فهى أيضا حجة تتعارض مع تقاليد عمان وعاداتها ، وان كانت هذه الحجج يمكن قبولها على أساس الضرورة ، وكان هذا هو العامل الذى تعين على كولان أن يسترشد به فى التوصل الى حل للنزاع، وأضحت الآن الآراء التى تكونت لديه من خلال بحثه . فقد اثبت البحث فى مسقط بصورة لا تدعو مجالا للشك بأن الحق هو فى جانب السيد ثويني ، وأن كولان لم يتوصل فى زنجبار الى أى شىء يبطل هذا التصور . فقد اتضح لكولان بأن تعهد السيد ماجد للسيد ثويني بالمعونة السنوية لم يكن تعهدا مشروطا على النحو الذى ذكره السيد ماجد ، كما عثر كولان على أدلة أخرى تبرئ ساحة السيد ثويني من التهم الموجهة اليه ، وهى التواطؤ مع

(١) أما قول السيد ماجد بأن أخاه السيد ثويني قد اعترف به حاكما مستقلا على زنجبار فهو قول باطل على حد رأى كولان وذلك لعدم وجود أدلة تؤيد ذلك . مرفق للخطابات السرية على بومباى مجلد ١٤٥ ملحق للخطاب السرى رقم ٢٨ فى ١٢/٨/١٨٦١ مناقشات لجنة تسوية المشكلة المسقطية الزنجبارية من كولان الى اندرسون ١٨٦٠/١٢/٤ (رقم ١٧ الادارة السرية ، لجنة مسقط وزنجبار) .

الحرث والفرنسيين ضد أخيه، وهذه البراءة اعترف بها الكابتن رجبى نفسه ، بينما ثبت بالأدلة القاطعة محاولة السيد ماجد بتحريض السيد تركى على التمرد ضد السيد ثوينى بتزويده بالأسلحة والأموال لتنفيذ تلك الخطة ، وبالتالي لم يجد كولان مفرًا من الاعتراف للسيد ثوينى بحقوق السيادة على كل من مسقط وزنجبار من الناحية القانونية ، غير أنه لم يسجل هذا الحكم ، ولكنه عاد فانقلب عندما كتب تقريرًا بتأييد التقسيم الدائم للسلطنة . وقد فعل هذا بحكم التوجيهات التى سبق أن تلقاها من حكومته وهى أن يضع فى اعتباره عاملين ، هما عامل العدالة وعامل الضرورة . ولقد انتقد أهل زنجبار وملحقاتها الافريقية السيد ماجد حاكمًا عليهم ، وان التطورات التى مرت على زنجبار خلال الخمسين عاما التى حكمت عمان فيها زنجبار تخول لهم تقرير المصير ، واذا آمننا بأنه من حق السيد ثوينى الحاكم فى الدولة الأم أن يخضع سكان تلك الممتلكات لسلطته بالقوة فمن حق هؤلاء أن يقاوموا محاولته . وبعد ان تم لكولان استنباط هذا المبرر القانونى ، كتب يقول على خلاف الأدلة التى جمعها بالاشتراك مع الأب بادجر : « لقد توصلت الى نتيجة واحدة وهى ان حجج السيد ماجد تطالبته بحقوق السيادة على زنجبار وملحقاتها هى أقوى من حجج السيد ثوينى فى انكار هذه المطالب . (١) وبعد أن شعر كولان بالارتياح من تنفيذ التعليمات التى زود بها على أساس مراعاة عامل العدالة والحق ، اتجه الى تبرير أحكامه على أساس الضرورة وكتب يقول : -

بأن مستقبل مسقط وزنجبار ورخاءهما يتوقف على انفصالهما عن بعضها البعض ، وأن وحدة السلطنة كما ذكر الكابتن رجبى كانت غير

(١) تطرقنا الى هذا الجانب من مهمة كولان فى فصل ١٣ .

طبيعية. وضارة بمصلحة الشعبين ، وذلك نظرا لانعدام وجود النظام والتنظيم فى الحكومات القريبة ، وحيث يتوقف تصريف الأمور بنسأ على رغبة الحاكم وحده . كما كانت هناك اعتبارات أخرى غير اعتبارات المصلحة ، فقد أشار الكابتن رجبى بأن زنجبار كانت تمثل مركز القوة الوحيد فى استقرار الحكم فى جميع المناطق الواقعة فى شرقى أفريقيا إلى الشمال من ناتال ، وأن السبيل الموحيد أمام زنجبار للمحافظة على زنجبار هى بانفصالها عن مسقط ، كما أن هناك مكسبا آخر من هذه العملية على حد رأى كولان ، وهو أن انفصال زنجبار عن مسقط سيكون ضربة قاسمه لتجارة الرقيق ، لاسيما وأن احدى المهام التى نيظت به هى تقديم تقرير عن تجارة الرقيق فى تلك المنطقة مشفوعة باقتراحات ايجابية للقضاء على تلك التجارة قضاء مبرما (١) . وقد اختتم كولان تقريره بتقديم دليل آخر على ارتداده عن موقفه السابق . ومن حسن الحظ أن الحثيات التى اعتمد عليها كولان فى أحكامه هى حثيات تبرر انفصال زنجبار عن مسقط ، وقد تأكدت هذه الحثيات بشكل قاطع من الأدلة التى اوردها كولان فيما يختص بالجانب الشرعى للنزاع والتى نوقشت بالفعل (٢) .

أما التوصيات الرئيسية التى قدمها كولان فهى ست ، نوردها فيما يلى : -

(١) من كولان الى اندرسون ٤/١٢/١٨٦٠ (رقم ١٧ الادارة السرية
لجنة تقصى الحقائق - مسقط وزنجبار) .

(٢) من كولان الى اندرسون ٤/١٢/١٨٦٠ (رقم ١٧ الادارة السرية
لجنة مسقط وزنجبار) .

- ١ - تثبيت السيد ماجد كحاكم مستقل على زنجبار وملحقاتها .
 - ٢ - عدم السماح لحكومة مسقط وقبائل عمان بالتدخل في شئون الحكم في زنجبار .
 - ٣ - أن يدفع السيد ماجد الى السيد ثويني معونة مالية سنوية مقدارها ٤ الف ريال نمسوى كتعويض عن تنازل السيد ثويني عن كافة حقوقه في زنجبار ، على أن يدفع السيد ماجد أيضا المتأخرات من هذه المعونة منذ عام ١٨٥٨ ، وقد أوضح كولان بالنسبة لهذا البند بوجوب تطبيقه نظرا لان السيد ماجد قد سبق له أن تعهد للسيد ثويني بدفع هذه المعونة .
 - ٤ - اعتبار هذه المعونة التزاما مستمرا وتصرف من عوائد زنجبار ، والتزام حاكم زنجبار كحاكم مستقل بدفع تلك المعونة .
 - ٥ - لا يجوز قطع هذه المعونة الا في حالة واحدة ، وهي اعتداء يقوم به حاكم مسقط على سيادة الحاكم في زنجبار .
 - ٦ - في حالة حدوث مثل هذا الاعتداء ، او في حالة فشل حاكم زنجبار في دفع هذه المعونة المتفق عليها يتعين على الطرفين عرض النزاع على حكومة الهند قبل التفكير بعمل عسكري .
- وقد قدم كولان بالاضافة الى هذه التوصيات ثلاث توصيات اخرى تتناول عقد اتفاقيات بحظر تجارة الرقيق وتنظيم العلاقات التجارية مع الدولتين ، وتعيين معتمد سياسى بريطانى في مسقط ، خصوصا وان المصالح البريطانية قد ظلت منذ عام ١٨٤٠ عندما سحب الكابتن همرتون السيد سعيد في رحلته الى زنجبار ، في يد عدد من الوكلاء الهنود والطوائف الأخرى ، والسماح للسيد برغش المنفى في بومباى عقابا على تمرده على

أخيه في شهر أكتوبر ١٨٥٩ بالعودة الى زنجبار على شرط أن يبقى تحت مراقبة المعتمد السياسى البريطانى هناك (١) .

وقد وافق السير جورج كلارك حاكم بومباى الجديد على التوصيات كلها ، وأشاد بكولان على الطريقة الفعالة والناجحة التى تولى فيها مهمته ، كما أقره على رفض حجج السيد ثوينى التى اعتبرها هو الآخر غير مقنعة ، فقد ذكر السيد ثوينى ، فيما يتعلق بالسفينتين اللتين أوصى بهما والده السيد سعيد للدولة ، أن ذلك الاجراء كان دليلا قاطعا على رغبة السيد سعيد فى المحافظة على وحدة الدولة ، غير أن كلارك عاد فأوضح ، أن نظام الحكم فى مسقط نظام وراثى الى حد ما ، وأن الامام فيها يحمل صفة دينية ، وبالتالي فان وصية السيد سعيد بالسفينتين كانت بمثابة هبة دينية منه ، ولا علاقة لها بنظام الحكم (٢) وعلى اية حال فلم يكن السير كلارك موفقا فى تفسيره لهذه الحجة لدحض طلب السيد ثوينى ، وذلك لأن السيد سعيد لم يكن اماما ، وبالتالي لم تكن لنظامه صبغة دينية ، كما لا يمكننا أن نتصور أن التوصية بالسفينتين لم تكن وقفا

(١) مرفق للخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٢٨ المؤرخ ١٢/٨/١٨٦١ « محادثات لجنة تقصى الحقائق فى مسقط وزنجبار » من كولان الى اندرسون ٤/١٢/١٨٦٠ (رقم ١٧ الادارة السرية - لجنة مسقط وزنجبار) للاطلاع على المعلومات الخاصة بتمرد السيد برغش راجع كتاب كوبلاند (استعمار افريقيا الشرقية ص ٢٢ - ٢٥) .

(٢) محادثات لجنة تقصى الحقائق فى مسقط وزنجبار اقرار المجلس

للدولة وبالتالي فقد كالت حجة كلارك فى اعتراضه على السيد ثوينى
أضعف منها فى تبرير حق السيد ماجد ، وبهذا التفسير بموقف السيد
ثوينى يمكن أن نعتبر السير كلارك فى اطلاقه هذه الأحكام بمثابة العراف
أو الساحر ، لأنه ذكر بأن الأدلة التى قدمها للسيد ثوينى لم تكن أدلة
مفنتة ، رغم أن هناك افتراضا قويا بأن السيد ماجد كان فى مقدوره أن
يقيم مطالبه على أسس أخرى ، وأن الحكومة البريطانية كانت ستعترف
له بتلك المطالب خصوصا وانها كانت تحظى بعطف والده السيد سعيد
وتأييده (١) وكان السير كلارك قد توصل الى أن انتخاب أهالى زنجبار
وملحقاتها للسيد ماجد حاكما على زنجبار هو دليل كاف بتأييد وجهة نظر
السيد ماجد ، غير أن السيد ثوينى اعتبر هذا الاجراء مجرد حادث عارض ،
لأن السيد ماجد كان قبل انتخابه يشغل منصب والى زنجبار عند وفاة
والده ، وبالتداعى استمر فى الحكم ، بينما لم يكن السيد ثوينى موجودا
فى ذلك الوقت فى زنجبار حتى يستطيع أن يتولى الحكم ، ومنع الحكومة
البريطانية من التدخل لصالح أخيه السيد ماجد . ويرى كلارك بأن هذا
الرأى فيه شىء من الصحة ، ولما كان السيد ثوينى قد امتنع عن استخدام
القوة ضد أخيه السيد ماجد نزولا على رغبة السلطات البريطانية ، فانه
لابد للسيد ماجد أن يقدم الى أخيه السيد ثوينى تعويضات عن هذا
التنازل ، كما جاء فى توصيات كولان . ويضيف السير كلارك بأنه
لا يجوز مطالبة السيد ماجد بدفع متأخرات عن أكثر من عامين ، كما
يتعين على السيد ثوينى اعتبار هذه المعونة كتعويض له عن سلطته على
زنجبار ، وأن لا يعتبرها زكاة ملزمة على السيد ماجد . ولم يجد كلارك
ما يوجب اضافة نص فيما يختص بالخلافة على الحكم فى زنجبار وأن

(١) نفس المصدر .

المطالب المالية الخاصة بأبناء السيد سعيد القصر فیتعین أن یعهد بها الى السيد ماجد لیت فیها بطريقة عادلة ، كما وافق السير كلارك على عودة السيد برغش وتعيين معتمد سياسی بریطانی فی مسقط (١) .

تم ابلاغ كاتنج بهذه التعديلات فی شهر فبراير ١٨٦١ وقد وافق عليها كاتنج مع تحفظ واحد خاص بالسيد برغش ، على الا یوضع تحت المراقبة عند عودته (٢) . وفى ٢/٤/١٨٦١ اصدر الحاكم العام قراره فی تسوية النزاع وهو يتلخص فيما یلى : « ان یبقى السيد ماجد فی الحكم على زنجبار وملحقاتها ، وأن یدفع للسيد ثوينی مئونة مالية مقدارها ٤٠ الف ريال بالاضافة الى متأخرات عامین من هذه المئونة ، وقد بعث اللورد كاتنج برسالتین بضمون واحد الى كل من السيد ثوينی والسيد ماجد لابلاغهما بالحكم الذى اصدره ، ومما ذكره فی الرسالة : -

« ان المبلغ السنوی المتفق علیه وقدره ٤٠ الف ريال لا یجوز اعتباره اعترافا من السيد ماجد بتبعية زنجبار الى مسقط ، كما لا یجوز اعتباره اتفاقا شخصيا بين سموك وسمو أخيك ، ولا بد أن یسرى هذا الاتفاق الى خلفكم لیكون اتفاقا نهائيا ودائما ، وتعویضا لحاكم مسقط لقاء تنازله عن كافة حقوقه فی زنجبار ، وكحل لمشكلة الفوارق بين الترتین اللتین خلفهما المرحوم والدكما الصديق الموقر للحكومة البریطانية ، وعلى أساس

(١) مرفق للخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٥ مرفق للخطاب

السرى رقم ٢٨ المؤرخ ١٢/٨/١٨٦١ .

(٢) اجراءات لجنة مسقط وزنجبار من جازنز (وزير الشؤون الخارجية لحكومة الهند بالوكالة) الى كبير سكرتير حكومة بومباى ١٨٦١/٤/٢ (رقم الادارة الخارجية) .

اعتبار الاقليمين منفصلين ومتميزين ، أحدهما عن الآخر « (١) .

كلف الأب بادجر بأبلاغ السيد ثويني بمضمون هذا الحكم ، بينما كلف الكاتبن رجبي بأبلاغه للسيد ماجد ، وبعد مرور شهر واحد تسلم اللورد كاننج خطابين من الحاكمين يوافقان فيه على حكمه ويتعهدان بالالتزام به (٢) ومنذ ذلك الوقت كفت السلطات المسئولة في الهند عن إطلاق لقب (الامام) على الحاكم في مسقط واستخدمت بدلا منه لقب السلطان الذي ورد بهذا الشكل لأول مرة في المعاهدة الرسمية المسقطية البريطانية لعام ١٨٣٩ (٣) .

وفي العاشر من شهر مارس عام ١٨٦٢ تمت المرحلة الأخيرة في تمزيق السلطنة وتقطيع أوصالها ، وذلك عندما وقعت الحكومتان الفرنسية والبريطانية في باريس بيانا مشتركا باحترام استقلال كل من حاكمي مسقط وزنجبار ، وقد جاء هذا البيان انعكاسا للمصالح البريطانية التي تجددت في نهاية صيف وبداية خريف ١٨٦٢ ، عندما اقتنى است رونيون

(١) نفس المصدر .

(٢) كتاب المعاهدات اعداد اتشبيسون فصل ٧٢ و ص ٤٤٥ .

(٣) انظر مذكرة فوريش بومباي ١٥/٤/١٨٦١ في « محادثات لجنة مسقط وزنجبار » وهو نفس التاريخ أيضا الذي أطلق فيه لقب سلطان مسقط وعمان على حاكم مسقط (انظر أيضا خطاب كولان الى اندرسون ١٨٦٠/١٢/٤ (رقم ١٧ الادارة السرية) (لجنة مسقط وزنجبار) أما لقب امام مسقط وعمان فقد ورد في الاتفاق المعقود مع حكومة فارس بشأن بندر عباس في عام ١٨٥٦ .

مبنى فى قلب زنجبار وتم تجهيزه تحت اشراف الكومندور دى لانجل كمستشفى للبحارة الفرنسيين ، كما اضيف الى المبنى بعض المدارس والورش (١) . وبما ان الشكوك قد حامت حول احتمال استخدام هذا المبنى لغير الغرض الذى انشئ من اجله (نظرا لانه لم يكن أضخم وأوسع مبنى فحسب ، وانما احيط بسور عال من الحجر ويحتل موقعا يتحكم فى البلدة) . لقد أوعز وزير الخارجية البريطانية راسل الى كولى السفير البريطانى فى باريس بالتلميح الى الحكومة الفرنسية فى يونيه ١٨٦١ بأن الحكومة البريطانية لم تتفاض عن أية محاولة للقضاء على استقلال زنجبار، وسيطرة أى دولة على أراضيها ، غير ان توفونيل وزير خارجية فرنسا اكد لكولى بأن المخاوف البريطانية لا أساس لها ، ولكى يبعد توفونيل أى شبهة اقترح ان تصدر الدولتان بيانا مشتركا يعترفان فيه باستقلال زنجبار بسيادتها ، وقد وافقت بريطانيا على الاقتراح ، كما تم الاتفاق فى أواخر العام على ان يتضمن البيان المشترك استقلال مسقط أيضا ،

(١) بموجب المعاهدة التجارية بين الفرنسيين والسيد سعيد بتاريخ ١٨٤٤/١١/١٧ كان يحق للفرنسيين استئجار وانشاء بيوت ومستودعات فى زنجبار وفى غيرها من المناطق (المادة ١٧) غير أن السيد سعيد قد أوضح أثناء تبادل وثائق التصديق على المعاهدة فى فبراير ١٨٤٦ ، أن هذا الحق مقصور على المسائل التجارية البحتة (انظر كتاب المعاهدات اعداد اتيشيسون فصل ١١ ملحق ٦) وكان هذا التحذير هو صدى للمادة الثالثة من الكولنامه المعقودة ١٧٨٩ ، عندما كانت الحرب دائرة رحاها بين فرنسا وبريطانيا ، والتي تنص بانه لا يحق للفرنسيين الحصول على أراض او التمركز فيها .

وقد صدر هذا البيان فى مارس ١٨٦٢ ، وتعهد فيه الجانبان بعدم القيام بأى محاولة للاستيلاء على مناطق نفوذ فى إبي من السلطنتين (١) .

وإثناء محادثات كولى مع توفونيل أثير موضوع الحقوق الإقليمية لكل من مسقط وزنجبار غير أن كولى بناء على التعليمات التى تلقاها من راسل ، أبلغ وزير الخارجية الفرنسية بأن الحكومة البريطانية لا ترى ذلك ضروريا ، فقد تتعرض كل من الدولتين الى التهديد أو الغزو من جانب جيرانهم ، وعليه فان الحكومة البريطانية لا تعتبر نفسها ملزمة بالدفاع عنهما اذا وقع مثل هذا العدوان (٢) ان اللورد كاننج لم يكن يحد توريط حكومة الهند البريطانية فى اصدار بيان بضمان السيادة الإقليمية لمسقط وزنجبار ، كما لم تشر المناقشات التى سبقت اصدار الحكم الى هذا الموضوع ، وان كان احتمال تقديم مثل هذا الضمان تفاديا للمضاعفات لانفصال إقليم زنجبار عن سلطنة مسقط موضع الاعتبار قبل صدور الحكم ، ولهذا طلب اللورد كاننج من كولان بأن يبدى رأيه حول هذه النقطة ، الا أن كولان لم يتطرق اليها فى تقريره النهائى ، وكذلك السير كلارك

(٣) المذكرات للإدارة السرية والسياسية رقم ب ١١٨ بعنوان نتائج البيان المشترك مع فرنسا بخصوص مسقط والمؤرخ ١٨٦٢ بقلم برانت ١٨٩٩/١/٢١ انظر ايضا استعمار افريقيا الشرقية ص ٣٣ - ٣٦ تأليف كوبلاند ، وربما لسبهو لم يتأكد الآن لم تبلغ حكومة الهند بوجود مثل هذا التصريح قبل ١٨٧٢/٨/١٢ انظر مكتب شئون الهند الى وكيل مكتب شئون اهلند ١٨٦٢/٣/١٣ والملاحظات الهامشية .

(٢) مراسلات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٥٦ من كولى الى توفونيل ١٨٦٢/١/٢٧ وقد ارفق به صورة من خطاب ليارد المؤرخ ١٨٦٢/٣/١٣ .

عندما تقدم بتوصيات كولان للحاكم العام للهند البريطانية ، ومن الملاحظ ان اغفال هذه النقطة أمر يدعو الى الغرابة ، وبالأخص اذا تذكرنا ان السلطات المسئولة فى الهند البريطانية كانت تعتقد أن ضياع أى جزء من أراضى السلطنة قد يغزى الدول الأخرى بالاعتداء عليها ، ومن هنا حرصت حكومة الهند البريطانية على الاصرار على اعادة تأجير بندر عباس للسيد سعيد ، ومنع السيد تركى من فصل ولاية صحار عن السلطنة ، وربما كان تقديم ضمانات للسيد ثوينى بشأن مستعمراته فى شبه الجزيرة تعويضا مجزيا له عن فقدانه زنجبار ، وهى ضمانات تعتبر حكومة الهند البريطانية ملزمة بتقديمها ، نظرا لأنها كانت السبب فى انفصال زنجبار عن مسقط .

ومن المؤكد أن تقديم مثل هذه الضمانات قد يدعم مركز السيد ثوينى مما سوف يسفر عنه تقسيم السلطنة من مضاعفات ، باعتبار ذلك اجراء افضل للسيد ثوينى من التعويض المالى الذى سيحصل عليه من أخيه السيد ماجد . وكان كولان يرى أن المعونة المالية سوف تساعد السيد ثوينى فى دعم مركزه فى عمان ، غير أن أحكام كولان فيما يختص بهذا الجانب من الموضوع لم تكن أحكاما نزيهة ، بل وثبت بمضى الوقت أنها كانت احكاما خاطئة ، فلقد تعرض حكم آل بوسعيد خلال العشرة الأعوام التى تلت قرار اللورد كاننج الى انتكاسات تفوق كل ما تعرضت له من قبل ، فمن شبه الجزيرة العربية انقض الوهابيون على السلطنة فى العهد الأول من القرن ، ولهذا فلقد كان السيد ثوينى أكثر ذكاء من كولان فى ادراكه لردود الفعل المحتملة أن تقع فى السلطنة كنتيجة لذلك القرار ، ولهذا فلقد اظهر السيد ثوينى حنكة سياسية فائقة فى الاستعداد للاحتتمالات التى كانت ستنشعب بعد صدور ذلك القرار .

اما كولان فلقد كان يرى بأن الخطر الرئيسى على السيد ثوينى ، انما
بأتى من جانب أخيه السيد تركى والى صحار الذى كان من المحتمل أن
يحدو حدو أخيه السيد ماجد . فيعلن انفصال ولاية صحار عن السلطنة،
ولهذا قرر السيد ثوينى فى شهر يونيو ١٨٦١ ان يقوم بالزحف على ولاية
صحار بقوة عسكرية كبيرة . وهذه الخطوة الى جانب التحذير الذى وجهه
المعتمد السياسى البريطانى الجديد فى مسقط اللفتنانت بنجىلى الى
السيد تركى وذكر فيه ، أن الحاكم العام بالهند البريطانية سوف ينظر
بعدم الارتياح الى أية محاولة من جانبه لفصل ولاية صحار عن مسقط ،
وهذا كان كافيا لاعادة الامور الى نصابها ، كما عرض بنجىلى ولساطته
لتسوية النزاع ، وقد قبل عرضه وتحديد موعد للاجتماع فى بلدة السيب
التي تبعد نحو خمسة وعشرين ميلا عن مسقط . وتشجيعا للسيد
تركى على حضور هذا الاجتماع تعهد له بنجىلى بالحماية ، ولكن عندما
وصل السيد تركى الى السيب فى الأسبوع الأول غير رايه ورفض
الاجتماع بالسيد ثوينى ، ولهذا اضطر بنجىلى الى سحب حمايته .
اما السيد ثوينى فقد انتهز فرصة وجود السيد تركى فأمر باعتقاله وايداعه
السجن (بقلعة الجلالى فى مسقط) وفى يوم ١٥ يوليو استولى السيد
ثوينى على صحار وعين عليها نجله السيد سالم بن ثوينى ، وكان فتى
غرا ، اما السيد تركى فقد تقرر ارساله الى زنجبار عند أخيه السيد
مجد ، حيث أن الاثنين تجمعهما أهداف واحدة (١) .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٤٥ مرفق للخطاب
السرى رقم ٣٤ المؤرخ ١٨٦١/١٠/٢٨ من بنجىلى الى فوريش ٨ و ٦/١١
و ٧/٣٠ و ٣ و ١٨٦١/٨/٢٦ (رقم ٢٤ و ٢٥ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٧ و ٤٨
الإدارة السياسية) .

وقد تدخلت لسوء الحظ ظروف عديدة لتحويل بين السيد ثوينى وتحقيق هذه الرغبة ، فقد ثار عليه سكان الباطنة بعد استيلائه على صحار مباشرة وتمكنوا من احتلال الخابورة والسويق . ومن ناحية أخرى انضم إلى المتمردين السيد قيس بن عزان زعيم الفرع الثانى لآل بوسعيد ، وألذى كان يقيم فى الرستاق بعد طرد عائلته من صحار فى عام ١٨٥١ ، وكان هدف المتمردين الاطاحة بحكم السيد ثوينى ، غير أن قيس الذى قاد هذا التمرد فشل ودفع حياته ثمنا لهذا الفشل ، ورغم ذلك فإن الأخطار على السيد ثوينى ظلت قائمة مما اضطره الى طلب العون من حكام أبو ظبى ودبى ، وقد أيدته بنجلى على هذه الخطوة ، وبعث بخطابات الى شيوخ هذه المنطقة يحثهم على ارسال مساعداتهم اذا شاءوا على أن يتم ارسالها عن طريق البحر لضمان وصولها بسرعة ، كما بعث بنجلى برسائل الى المتمردين يطالبهم باسم حكومته اخلاء الخابورة والسويق فوراً .

لقد استاءت حكومة الهند البريطانية من تصرفات بنجلى وتورطه الواضح فى عملية اعتقال وسجن السيد تركى ومن تدخله المباشر فى سياسة عمان وقد وبخته حكومة الهند البريطانية على تصرفه هذا ، وتجاوزته لحدود وظيفته ، بالاتصال بالتمردى وشيوخ الساحل وفى اصداره تهديدات باسم حكومته بالنيابة عن السيد ثوينى . ولم يشفع له الا صغر سنه وقلة تجاربه فى عدم استدعائه من مسقط ، وقد قامت حكومة الهند بلفت نظره الى الاجراءات التى قام بها ، وحذرت من التدخل فى شئون عمان الداخلية بأى شكل من الأشكال ، كما أوعز اليه باحالة كل طلب يأتى من السيد ثوينى للمساعدة لرفضه ، كما طلبت اليه حكومة الهند بإبلاغ السيد ثوينى بأنه اذا لم يتخذ الاجراءات الكفيلة بوضع حد للتمرد وبأسرع وقت فإن الحكومة

سوف تضطر الى سحب معتمدها السياسى بعد عجز حاكمها عن السيطرة على الأمور ، وخصوصا وأن السيد ثوينى لم يكن يتصرف تجاه الدول المجاورة له بحنكة ، ولا حتى بحسن النية ولا شك أن السيد ثوينى قد تملكته الحيرة من هذا الموقف لحكومة الهند البريطانية ، وما اذا كان سلوكه هذا يتطلب كل هذا التنديد والاستنكار . كما كان من الصعب تبرير موقف حكومة الهند البريطانية من السيد ثوينى في ضوء السياسة البريطانية تجاه سلطنة مسقط التى كانت تسير عليها سابقا ، غير أن هذا الأمر لم ينته عند هذا الحد ، لأن الحاكم العام للهند لم يكتف بمجرد توجيه اللوم للمعتمد السياسى ، وانما أمر بسحبه من مسقط في نهاية العام ، كما أمر بتوجيه تحذير الى السيد ثوينى بالافراج عن السيد تركى واستبعاد أى فكرة في نفيه من البلاد ، وتخصيص معاش له طالما حسن سلوكه . ولم يكن أمام السيد ثوينى الا الازعان لهذه الأوامر . وفي شهر فبراير ١٨٦١ أفرج عن السيد تركى ، كما تم في نفس الوقت تعيين معتمد سياسى بريطانى جديد هو الماجور مالكولم جرين الذى كان يشغل نفس الوظيفة في كلات .

كانت السلطات المسئولة في حكومة الهند تحاول من خلال هذه الاجراءات أن تنفادى مضاعفات حكم اللورد كاننج ، وفي الوقت الذى زعمت فيه هذه السلطات بأن لا مصلحة لها في تأييد سلطان مسقط ضد مناوئيه ، كانت تعتبر نفسها ملزمة بحماية الحكم والحكام في مسقط ، تماما كما كان الأمر في الماضى ، ولكن اذا كان من حق هذه السلطات قبل عام ١٨٦١ أن تنسب لنفسها هذا الحق ، نظرا لأن السلطنة كانت حتى ذلك الوقت تعتبر دولة ذات سيادة ، رغم خضوع حكامها للنفوذ البريطانى ، الا ان قرار اللورد كاننج قد قضى على هذا الاستقلال ، كما وضع على كاهل حكومة الهند مسئولية لم تلتزم بها من قبل بحماية السلطنة ، ولو ان حكومة الهند

البريطانية حاولت أن تتصل من هذه المسؤولية فمن المؤكد أن دولا أخرى، سوف تتقدم للمء هذا الفراغ . وعند زيارة الكومندور دى لانجل لمسقط في أواخر عام ١٨٦١ عرض على السيد ثوينى مساعدة فرنسا ضد المتمردين ، الا ان السيد ثوينى رفض ذلك بحجة انه يمكنه الحصول على هذه المساعدة من حكومة الهند البريطانية ، وبعد ذلك بقليل وصل الى مسقط مبعوث من فارس ، وعرض مساعدته أيضا على السيد ثوينى ، وعلى الرغم من الشكوك التي حامت حول هذا العرض ، الا ان السيد ثوينى قام بدراسته قبل أن يستشير الماجور جرين ، ومن ثم يرفض العرض ، ولهذا فلو ظلت حكومة الهند البريطانية تقدم نصائحها الى السيد ثوينى في قبول او عدم قبول المساعدات التي تعرضها عليه الدول الأخرى مع احتفاظها في نفس الوقت بحق التدخل في شئون مسقط الداخلية ، فانه لابد أن يأتي وقت تدفع فيه هذه الحكومة ثمن هذا التورط .

في الستينات من القرن التاسع عشر بدأ الخليج مرحلة جديدة بدخول المواصلات السلكية والبخارية ، كما ازدهرت فيه التجارة ، على الرغم من انها كانت لا تزال تخضع للتقلبات السياسية والحروب المحلية والابوئة . وقد ارتفع معدل تجارة بومباى مع منطقة الخليج من ٧٠٩٠٢٤١ روبية (نحو ٧٠٠٠٠٠ ج استرليني) منها ٣٥٥٩٥٨٩ روبية للواردات و ٣٤٩٠٢٤١ روبية للصادرات في عام ١٨٣٦ ، ١٨٣٧ الى ٤٥٧٢٢٦٠٩ روبية (٧٩٠٠٠٠ استرليني) منها ٣٣٥٢٣٢٧ روبية للواردات ، ٤٥٧٢٢٨٢ روبية للصادرات عام ١٨٤١ ، ١٨٤٥ والى ١٢٧٣٥٣١ روبية اى حوالى ٥٠٠٠٠٠ ر.٢٧ استرليني) ، منها ٦٨١٧٣٥٦ روبية للواردات و ٥٠٩١٣١٧٥

للصادرات ، في عام ١٨٥٦/١٨٥٥ (١) وبحلول عام ١٨٦١/١٨٦٠ ارتفع هذا المعدل الى ١/٣١٤٢٦٠٢ أي نحو ١٠٣١٠٠٠ استرليني منها ٦٤٧٨١٤٧ للواردات و ٦٦٦٤٤٥٥ للصادرات ، وفي عام ١٨٦٥/١٨٦٤ ارتفع الى ٢٤٧٨٨٦٥ روبية أي نحو ٢٦٥٠٠٠٠ استرليني) ، منها ١٤٢٦٨٧٣ للواردات و ٢٢٣٣٩٩٢ للصادرات (٢) ، ولما كان المعدل قد تضاعف في النصف الأول من الستينات ظل حجمه محتفظا بمعدله نسبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي عام ١٨٦٩/١٨٧٠ ارتفع الرقم الى ٢٢٤٧٣١٩٠٠ أي نحو ٢٢٤٠٠٠٠ استرليني ، منها ١٣٦٦٣١٧٣٥ للواردات و ١٠٨٤١٣٤٥٥ للصادرات ، وقد بلغ مجموع التبادل التجاري لبومباي وكلكتا وكراشي مع الخليج مبلغ ٢٧٧٠٩٦٤٧ روبية ، الى نحو ٢٧٧٠٠٠٠ استرليني ، منها ١٣٨٤٢٧٤ روبية للواردات و ٣٨٢٥٣٧٣ للصادرات (٣) وبعبارة أخرى فان تجارة الخليج قد

(١) مجموعة التقارير السياسية المرسلة الى بومباي مجلد ٤٢ رقم المجموعة ٣٢ في ١٨٦٢/٩/٢٤ من جرين الى سيتوارت (السكرتير السياسي لحكومة بومباي) ٣/٢٤ و ١٨٦٢/٤/١١ (رقم ٩ و ١٥ الادارة السياسية) .

(٢) بعثة دجلة والفرات ملحق ٢ - ١ ج اعداد جزني « حول التجارة والمواصلات في الخليج » ١٨٠١ - ١٨٠٥ ملحق دي مرفق بي (ومكتب شئون الهند) مرفق للخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٢٦ مرفق للخطاب السري رقم ٧٤ المؤرخ ١٨٥٦/١٠/٣ من ايه سبونز الى اندرسون ١٨٥٦/٩/٣٠ (رقم الادارة السرية) .

(٢) بعثة دجلة والفرات ملحق ٢ - ١ ج اعداد جزني « حول التجارة يارثل فريير ١٨٦٨/٧/١٥ مع استشهادات خطاب له الى السير جون لورنس (الحاكم العام) ١٨٦٦/٣/٢٣ .

تضاعفت أكثر من ثلاث مرات خلال الثلاثين عاما الماضية (١) .

ويشمل التبادل التجارى بين الهند والخليج نفس المنتجات والمحاصيل التى كانت رائجة بين المنطقتين خلال هذه الفترة ، وكان الخليج يصدر السبائك (وغيرها من الأحجار النفيسة) والخيول والحمير والفواكه والخضر والمواد الغذائية وخيوط الصوف والقطن والحريز ، والمستحضرات الطبية والأصباغ والجلود ، وكان يستورد من الهند الاقطان والأصواف والمنسوجات والسبائك (وأهمها الفضة) والمعادن والحبوب والمواد الغذائية والسكر والتوابل والزيوت والأصباغ (٢) .

ومن معالم السلع التى كان يتبادلها الجانبان خلال الستينات من القرن التاسع عشر زيادة تصدير المنتجات القطنية والصوفية (من أصل أوروبى) (وعلى الأخص البريطانى) الى الهند ، وكان لهذا الوضع انعكاس سيئ على اصحاب صناعة النسيج فى الهند . وبحلول عام ١٨٧٠ - ١٨٧١ تضاعفت قيمة المنتجات القطنية الأوربية التى أعيد تصديرها الى الهند عن طريق بومباى سبعة أضعاف عن قيمة المنتجات من النسيج الهندى التى كانت تصدر من بومباى وكلكتا وكراشى معا والى جانب ذلك حدث ارتفاع ملحوظ فى تجارة الأفيون الفارسى التى كانت قد تفاقمت فى نهاية العقد ، الأمر الذى ضاعف منه دخول وسائل النقل البخارية ، الى الخليج والمناطق المجاورة . وفى بداية تجارة الأفيون الذى كان يصدر الى الشرق الأقصى ،

(١) لتقارير الادارية السنوية للممثلة فى الخليج لعام ١٨٧٤ -

١٨٧٥ ص ١٠ .

(٢) للاطلاع على قائمة السلع بكاملها ، راجع التقارير الادارية السنوية

الممثلة البريطانية فى الخليج (مكتب الهند) .

كانت هذه المادة تنقل بالسفن الشراعية من فارس الى جاوة ، ومن هناك يعاد تصديرها الى هونج كونج وسنغافورة ، ثم بعد أن فرض الهولنديون بعض القيود والضرائب على الأفيون في جاوة وساهمت المواصلات التجارية في تسهيل عمليات النقل تحولت هذه التجارة عن طريق عدن ، ثم عن طريق السويس ، حيث لم تكن توجد رسوم جمركية على إعادة تصدير السلع ، وكان يتم نقل الأفيون على بواخر شركة (ب.و) وذلك لتفادي دفع رسوم جمركية عليه في موانئ الهند البريطانية ، أما في الصين فلم يكن هذا الأفيون رائجا نظرا لاحتوائه على مادة زيتية وارتفاع نسبة المورفين فيه ، وفي عام ١٨٧٨ تم شحن كميات كبيرة من هذا الأفيون مباشرة من فارس الى إنجلترا للمرة الأولى (١) .

كان لفارس النصيب الأوفر في تجارة الخليج فقد وصل معدلها الى الثلث ، وبموجب تقديرات أعدت لسنة ١٨٦٣ لتجارة بوشهر بلغت قيمة هذه التجارة نحو ٤٥٠.٠٠٠ جنيه استرليني ، أما بندر عباس فقد قدر حجم تجارتها بنحو ١/٤ حجم تجارة بوشهر وتجارة لنجة نحو ١/٤ . أما اجمالية تجارة البحرين فقد كان يقرب من ٢٨٠ ألف جنيه استرليني سنويا ، يشكل اللؤلؤ الجزء الأكبر منه ، وكانت سفن البحرين تجمع ما قيمته نحو ٣٥٠ ألف ريالاً نمسويا ، أى ما يعادل ٧٠ ألف جنيه استرليني من اللؤلؤ كل عام ، كما كانت حصيلة بيع اللؤلؤ الذي كان يرد الى البحرين من الموانئ الأخرى الى الخليج بنفس الحصيلة أو أكثر قليلا . وكانت البحرين تستورد الأرز والنسيج والصبغ والتوابل ، وتستهلك ربع ما تستورده ، بينما يعاد

(١) التقارير الادارية للممثلة البريطانية ، نعام ١٨٧٤ - ٧٥ س ٢٧ /

تصدير الباقي . أما حجم تجارة الكويت فقد كان يبلغ نحو ٦٥ الف جنيه استرليني سنويا ، وثلثا هذا المبلغ يأتي من الصادرات أو من إعادة الصادرات ، وكانت الخيول التي تستورد من نجد وجبل شمر أهم بند في صادرات الكويت ، كذلك كان يتم تصدير العباءات الصوفية من شط العرب . أما تجارة منطقة الساحل إذا استثنينا اللؤلؤ فقد كانت محدودة، وكانت الصادرات تتألف في معظمها من السمك المجفف وزيت السمك والماشية والعباءات الصوفية ، بينما كانت تستورد الأرز والبقول والمنسوجات والخشب والبلح ، وكان الجزء الأكبر من تجارة الخليج ينقل بواسطة السفن العربية ، وان كانت السفن الأوربية قد اشتركت معها في فترة نهاية العقد ، وبذلك ارتفع عدد السفن التي تتراد ميناء الخليج ، وكان للبحرين ٣٧ سفينة تعمل في نقل التجارة مع الهند ، وللكويت ٣ سفينة ، أما مشيخات الساحل مجتمعة فكان لديها ٢٤ سفينة ، وقد ذاع صيت الكويت في بناء السفن الشراعية ، وان كانت في الحقيقة تعتمد على عمان في هذا المجال(١) . وقد حصل مشروع مد خطوط تلغرافية بين إنجلترا والهند دفعة قوية كنتيجة للثورة في الهند ضد الحكم البريطاني ، وفي عام ١٨٥٩ - ١٨٦٠ من كابل تحت البحر الأحمر الى عدن ومن عدن الى جزر كورياموريا، ومنها الى مسقط ثم كراتشي ، غير ان هذا الكابل لم ينجح نظرا لقلة الخبرة في مد وتشغيل الكابلات ، ولهذا بدأ البحث عن طريق آخر يستخدم المناطق البرية، وقد تم اختيار المناطق الصالحة في هذا الخط عبر تركيا والعراق حتى بداية منطقة الخليج ، ثم من هذه المنطقة يمر تحت الماء في بعض

(١) تقرير يلي « ملاحظات عن قبائل وتجارة وموارد المنطقة المحيطة بساحل الخليج مجلة جمعية بومباي الجغرافية عدد ١٧ (١٨٦٣) ص ٣٢ - ١١٣ .

المناطق وفوق الأرض في مناطق أخرى حتى كراتشى . وكانت الحكومة التركية قد سبقت الى مد كابل الى الموصل ، وكان من المتوقع ان يصل هذا الكابل الى بغداد في نهاية عام ١٨٦٠ وفي أواخر النصف الثانى من عام ١٨٦٠ أرسلت تعليمات الى الهند للبحث عن أفضل الطرق الصالحة لمد الخط من البصرة ، وعندما تلقى حاكم بومباى هذه التعليمات طلب من برسى بادجر الافادة عما اذا كانت هناك احتمالات لنشوء صعوبات سياسية من مد الخط البرى من البصرة الى كراتشى . وقد رد بادجر يقول بأنه لا يتوقع أى صعوبات في ذلك ، وأن افضلية الخط البرى تجعل أى جهود للتغلب على الصعوبات جهودا مثمرة ، وكان رأيه أن الحكومة الفارسية لن تعارض في مد الخط على أراضيها عبر بوشهر وبندر عباس حتى المنطقة التى تبدأ بعد ذلك ، وتنتهى عند رأس جاشك ، لأنها منطقة تابعة لسلطان مسقط ، الذى سيقدم كل ما استطاع من مساعدة لاقامة هذا الخط ، اما المنطقة التى تبدأ من رأس بوزيم حتى كراتشى وهى مسافة تمتد نحو ٦٠٠ ميل فان معظمها خاضع لحاكم كلات ، واقترح بادجر ان يطلب من حكمدار السند والمعتمدين السياسيين البريطانيين في كل من كلات ومسقط ، ومن المقيم البريطانى في الخليج القيام بتحريات عن النواحي السياسية والجغرافية وغيرها وتقديم تقارير عنها الى حكومة بومباى (١) .

وقد قبلت مقترحاته وتم الإيعاز الى المسؤولين السياسيين فى هذا الشأن ، كما طلب من وزير الدولة لشئون الهند بالأمر لاجراء اتصالات

(١) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٣٤ مجموعة
المسودات رقم ٥ المؤرخة ١٨٦١/٣/٢ من بادجر الى اندرسون
١٨٦٠/١١/١٧ .

مع حكومة فارس للحصول على موافقتها على مد الخط التلغرافى فى .
أراضيها حتى كراتشى (١) . وفى فبراير عام ١٨٦١ ذكر المعتمد السياسى .
البريطانى بالوكالة فى مسقط وهرمز ، راسام (٢) بأنه لا يتوقع أى مشكلات .
بالنسبة لمد الخط عبر ساحلى فارس ومكران ، وأن القسم الأكبر الواقع
بين بندر عباس وجواذر خاضع للسيد ثوينى أو لبعض الزعماء .
البلوش الذين يمكن ضمان تعاونهم فى هذا المشروع . أما المنطقة الممتدة من
كراتشى شرقا فان قبائل البلوش التى تقيم على الساحل فى صراع مستمر
فيما بينها ، وان كانت كلها تخضع لحاكم كلات وبعض الحكام الآخرين (٣) .
وعلى أية حال فان الوضع فى ساحل مكران لم يكن بالصورة الميسرة .
التي رسمها كل من بادجر وارسام . وعلى حد رأى الميجرجرين والمعتمد .
السياسى البريطانى فى كلات كان حاكم كلات يسيطر على الجزء الأكبر من
الساحل الممتد شرق جواذر ، وكان بالاضافة الى ذلك يطالب بجواذر .

(١) مجموعة سجلات الخطابات السياسية لبومباى (الحلقة الثانية) ،
مجلد ١ من الحاكم الى وزير الدولة لشئون الهند ١٢/٤/١٨٦١ (رقم ٢٦
الادارة السياسية) .

(٢) كان هذا يعمل مساعدا لكولان فى عدن ووافقه فى مهمته
الخاصة بالنزاع بين مسقط وزنجبار ، وبعد زيارة كولان لمسقط فى
يونيه ١٨٦٠ تخلف راسام فى مسقط لشغل منصب المعتمد السياسى
البريطانى بالوكالة حتى وصول بنجلى اليها .

(٣) سجل المراسلات السياسية لبومباى مجلد (١) مرفق للخطاب
السياسى رقم ٢٦ المؤرخ ١٢/٤/١٨٦١ من راسام الى اندرسون
١٨٦١/٢/٢٧ .

نفسها . ولتفادي نشوب نزاع حول السيادة على جواذر ، اقترح جرين على السلطات المسئولة شراء هذه المنطقة من سلطان مسقط ونقل السيادة عليها الى حاكم كلات بشروط معينة . وعند توجه بادجر الى مسقط فى اواخر ابريل ١٨٦١ لاطلاع السيد ثوينى على حكم اللورد كاننج اغتنم بادجر الفرصة فقام بتحقيق حول موضوع السيادة على ساحل مكران ، وعلم بان الشق الساحلى من بندر عباس حتى رأس جاشك ومنها شرقا حتى نهر سوديج يخضع للسيد ثوينى الذى استأجره من حكومة فارس بمقتضى المعاهدة المسقطية الفارسية عام ١٨٥٦ ، وكان بادجر على ثقة بان السيد ثوينى يستطيع حماية الخط التلغرافى عبر تلك المنطقة ، بشرط الا تعترض الحكومة الفارسية على وجود الخط فى اراضيها ، وقد ذكر السيد ثوينى لبادجر بان الحكومة الفارسية لا حق لها فى التدخل فى شأن الامتيازات التى يمنحها للآخرين فى المناطق المؤجرة لهم ، غير ان بادجر لم يوافق على هذا الرأى ، فقد كانت الحكومة الفارسية تحتفظ بحقوقها الاقليمية بموجب معاهدة ١٨٥٦ ، وتحتوى هذه المعاهدة شرطا ينص على استبعاد عملاء اى دولة اجنبية فى المنطقة ، ولهذا كان يرى بادجر انه لابد من الحصول اولا على موافقة الحكومة الفارسية على مد الخط عبر تلك المنطقة . وذلك رغم جهله بالمضاعفات السياسية المتعلقة بهذا الموضوع .

كانت الحكومة الفارسية فى الفترة الاخيرة تنتهج سياسة جريئة فى كل من اقليمى مكران وبلوشستان ، وقد بدأت تنتهج هذه السياسة منذ عام ١٨٥٦ ، اى عند توقيع المعاهدة مع مسقط ، وقد اضيف الى المعاهدة نص يوجب على سلطان مسقط تقديم المساعدة اللازمة لعبور القوات الفارسية المنطقة الشرقية من البلاد عن طريق بندر عباس والمناطق التابعة لها . وابتداء من نهر سوديج شرقا حتى شهباز وهى مسافة تبلغ مساحتها

١٥٠ ميلا تخضع المنطقة لنفوذ أمير عبد الله بن مراد وهو أحد الزعماء الأقوياء ، وقبل ذلك باثني عشر عاما كان هذا الأمير يعترف بسيادة الحكومة الفارسية على هذه المنطقة . غير أن بادجر علم من بعض الزعماء البلوش ممن التقى بهم في مسقط أن هذا الأمير كان يريد التخلص من الحكم الفارسي ، وكانت المشكلة في نظر بادجر هي ما اذا كان من حق هذا الأمير أن يفعل ذلك من واقع سلطته الفعلية . نظرا للالتزامات التي تربطه بفارس ، أو في ما اذا كان من الأفضل أن يستأذن هو وغيره من زعماء البلوش الحكومة الفارسية للسماح بمد الخط التلغرافي عبر المنطقة التي يعتبرونها جزءا من أراضيهم ، رغم أن السيطرة عليها كانت قد انتقلت بصورة مؤقتة الى فارس ، اما اذا اعتبرت المنطقة خاضعة للسيادة الفارسية فمن المحتمل أن يثير هؤلاء الزعماء المشاكل في وجه انشاء هذا الخط كعمل انتقامي من فارس (١) .

شهباز بلدة ساحلية صغيرة تخضع لسلطنة مسقط التي يمتد نفوذها في هذه البقعة على طول الساحل الشرقي حتى ميناء جوادر ، أما جوادر وجوين على الجانب الآخر من خليج جواتر فيحكمها بعض الزعماء الصفار . والى وراء من جوين تقع جوادر التي آلت الى السيد سلطان ابن أحمد على حد رأى بادجر من حاكم كلات ، على أساس ان يقوم السيد سلطان بحماية حاكم كلات ضد خصومه ، وقد عارض بادجر اقتراح جرين بنقل السيادة عليها الى الحاكم الجديد ، وانه على العكس من ذلك أوصى

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٤٥ (دون تغطية) من بادجر الى قوريش عدن ١٨٦١/٦/٣ (رقم ٩ الادارة السياسية) لجنة مسقط وزنجبار .

بالإيعاز الى جرين بمحاولة اقناع هذا الحاكم بالتخلي عن أطماعه فى جوادر ، واضاف بادجر بأن السيد ثوينى على أية حال لم يكن يفكر فى التنازل عن جوادر ، وأنه كان مصمما على مقاومة أية محاولة لانتزاعها منه . أما سيطرة حاكم كلات على الساحل فتمتد نحو عشرين ميلا الى الشرق من جوادر ، وابتداء من هذه النقطة حتى حدود السند تخضع المنطقة لحاكم لزيلا الذى كان تابعا لحاكم كلات ومن أقاربه ، ولم يكن بادجر يعتقد أن يعارض أى من هذين الحاكمين على مد الخط التلغرافى عبر أراضيهم ، كما كانا قادرين على حماية الخط .

وباختصار فقد كان القرار الرئيسى كما أشار بادجر هو ما اذا كان الاتصال بالحكومة الفارسية للحصول على موافقتها على ادارة الخط عبر المناطق التى تدعى هذه الحكومة السيادة عليها ، ومنذ بعض الوقت كانت فارس تحاول مد سيطرتها على مناطق الزعماء البلوش ، وكان يبدو واضحا من الحشود العسكرية التى كانت متمركزة فى مكران وفى كرمان أن حكومة فارس تحاول فعلا مد سيطرتها الى كلات . واذا استثنينا المضاعفات المزمنة ، والتى تشكل التوسع الفارسى فى المناطق الشرقية تهديدا لآمن الهند البريطانية فان هذه المشكلة تعتبر مشكلة خطيرة ، وبالتالى فلا بد من التأكد مما اذا كان من المجدى والضرورى الحصول على رأى الحكومة الفارسية بشأن المناطق التى سيعبر منها الخط التلغرافى فى ساحل بلوستان ومكران . ويمكن أن يبدأ من هذا الخط بسرعة لولا مشكلة هؤلاء الحكام المحليين والذين لا بد من الحصول على موافقتهم ، الا انه بالنظر الى ازدياد سيطرة الحكومة الفارسية على هذه المناطق يتساءل بادجر ، عما اذا كان من الممكن تجاهل موقف حكومة فارس ؟ واضاف بادجر بأنه اذا استشيرت الحكومة الفارسية فى الموضوع ، فان ذلك

سيعتبر بمثابة اعتراف لها بهذا النفوذ ، مما يثير سخط الحكام المحليين ، وربما دفعهم الى اقامة عراقيل لمد هذا الخط .

بعد أن أطلع حاكم بومباي على تقريرى جرين وبادجر رأى انه من الأفضل الاعتراف لحكومة فارس بالسلطة على مكران ، وأن يكون اتصاله بالزعماء المحليين اتصالاً مباشراً ولكن بموافقة فارس (١) وقد أقر (مكتب الهند) قرار الحاكم ، وتم الأيعاز الى الوزير البريطانى المفوض فى طهران ، باجراء اتصالات مع الحكومة الفارسية ، كما تم فى نفس الوقت تعيين الماجور جولد سميث مساعد حكمدار السند للقيام بعمليات مسح ساحل مكران ، والبدء فى سلسلة من الاتصالات برؤساء قبائل المنطقة الممتدة من السند حتى بندر عباس .

غادر جولد سميث كراتشى أول ديسمبر ١٨٦١ ، وفى ٢١ منه تمكن من ابرام اتفاق مع أمير لزيلا لمد الخط التلغرافى عبر امارته (٢) . وفى بداية العام طلبت حكومة بومباي من جولد سميث بأن لا يتعدى فى مهمته حدود جوادر خشية معارضة الحكومة الفارسية للمشروع كاجراء يمس سيادتها . وقد تم ايفاد المسئول عن انشاء الخطوط التلغرافية وهو المستر ولتون الى مسقط بصحبة الماجور جرين للبحث عن طريق آخر لمد الخط التلغرافى عبر ساحل الباطنة حتى شبه جزيرة مسندم ، وذلك كبديل لخط فارس فى حالة معارضة الحكومة الفارسية على المشروع . وقد انتهى جولد سميث أعمال المسح فى فبراير عام ١٨٦٢ ، بعد أن عقد

(١) مرفقات الرسائل السرية الى بومباي مجلد (١) من الحاكم الى وزير الدولة ١٨٦١/٧/١٢ (رقم ٤٤ الادارة السياسية) .

(٢) « المعاهدات » اعداد ايتشيسون فصل ٩ ص ٤٠١ - ٤٠٣ .

اتفاقات مع كافة رؤساء المناطق الساحلية لحماية الخط (١) ، وقدرت
اتعاب عمليات الحماية بنحو ١٨ ألف روبية سنويا ، وفى مارس ١٨٦٢
اصدرت حكومة الهند تعليماتها لانشاء الخط فى مساره الغربى ابتداء
من كراتشى ، ثم بعد ثلاثة أشهر انتهى ولتون من عمليات مد الخط وكان
يأمل أن ينتهى مد الخط الى جوادى فى أواخر الفصل وفى هذه الاثناء
وردت معلومات من طهران برفض الحكومة الفارسية السماح بمد الخط
التلغرافى على طريق جوادى - بندر عباس وطريق بندر عباس -
بوشهر (٢) .

ويكمن السبب فى رفض الحكومة الفارسية دون شك الى الخطط
التي وضعتها لد نفوذها فى مكران وخوفها من أن يتم مد هذا الخط على
أساس الخطط التي وضعتها حكومة بومباي . وعلى أية حال فان حكومة
الشاه لم تكن تعارض مد الخط عبر أراضيها لمجرد المعارضة ، وقد افتتح
الخط التلغرافى الذى يربط تركيا ببغداد فى يونيه عام ١٨٦١ ، الا ان
هذا الخط لم يتعد حدود بغداد بالنظر الى ما نشأ من خلافات حول الطريق
الذى يمتد عبره الخط من بغداد جنوبا ، وكان العثمانيون يفضلون مد
خط تحت الأرض عبر نهر الفرات خوفا من القبائل العربية ، بينما كان

(١) ان أهم اتفاقية تم توقيعها هى التى وقعت مع حاكم كيج
بتاريخ ١٨٦٢/١/٢٤ راجع « المعاهدات » اعداد ايتشيسون فصل ٦
ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٢) سجلات الخطابات السياسية لحكومة بومباي مجلد (١) من
حاكم بومباي الى وزير الدولة ١٨٦٢/١٠/٢٧ (رقم ٣٢ و ٤٩ و ٥٥
الادارة السياسية) .:

البريطانيون يفضاون خطا مرتفعا عن سطح الأرض ، وذلك لسهولة صباته وقلة تكاليفه ، أما حماية الخط فيمكن توفيرها بدفع أتعاب لشيوخ القبائل ، وقد استمر الحوار حول هذه النقطة حتى ربيع عام ١٨٦٣ ، عندما تقرر بدء عمليات مسح قام بها الكولونيل كامبل ان يتم مد الخط مرتفعا عن سطح الأرض ، ويبدأ من بغداد الى مركز الحلة ، ومنها على الضفة الشمالية للفرات والقرنة ، بحيث لا يكون عرضة للعبث من جانب القبائل الواقعة على الضفة اليمنى للنهر ، ثم من هناك عبر الضفة اليمنى لشط العرب حتى مدينة البصرة . وفى ٢٠ أكتوبر ١٨٦٣ عقدت معاهدة بهذا المعنى (١) وقد بدأ مد الخط فى الشهر التالى ، وانتهى العمل فيه بما فى ذلك توصيلة الخط الى منطقة الفاو عند مدخل شط العرب فى مايو ١٨٦٥ . فى نفس الوقت قرر شاه فارس اقامة خط تاغرافى خاص بفارس ويبدأ من طهران حتى أصفهان وشيراز وبوشهر ، ولهذا الغرض عقد اتفاق بين الحكومة الفارسية والبريطانية فى شهر ديسمبر عام ١٨٦٢ لمد هذا الخط ، وتم التصديق على الاتفاق يوم ٦ فبراير ١٨٦٣ ، وينص الاتفاق فيما ينص عليه شراء معدات للخط عن طريق مفاوض الحكومة البريطانية ، وذلك لتشغيل الخط بعد انشائه وتحت اشراف مهندس بريطانى ، كما ينص أيضا على السماح للحكومة البريطانية باستعمال الخط بعد افتتاحه (٢) وعلى مد الخط من طهران الى خان كين على الحدود التركية ، وذلك لربطه بخط بغداد خان كين ، الذى سبق أن وافقت الحكومتان العثمانية والبريطانية على انشائه فى

(١) انظر « المعاهدات » أعداد اتيشيسون فصل ١١ ص ٢٦ - ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٨٢ - ٨٣ فصل ١٠ .

كل من اتفاق شهر اكتوبر ١٨٦٣ والمعاهدة الجديدة التى تنظم تشغيل واستعمال الخط بتاريخ ١٨٦٤/٩/٣ (١) .

وفى أوائل علم ١٨٦٣ توفرت للمسئولين البريطانيين الأدلة على استياء الفرس من أى اجراء قد يعرقل أطماعهم التوسعية فى مكران ، وكان ذلك عندما بعث حاكم بامبور برسالة السيد ثوينى ينذره فيها بالزحف على شهبار اذا لم يوقف عمليات مد الخط التلغرافى الى ما وراء جوادر ، وذكر فى رسالته بأن شهبار منطقة فارسية وهى معارة فقط الى مسقط ، غير أن السيد ثوينى لم يرد بشىء على رسالة الحاكم الفارسى سوى اعلانه باستلامها ، وذلك عملا بنصائح الكابتن هربرت دى سبراو المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط ، وفى الوقت نفسه قام دى سبراو بعرض الموضوع على السلطات البريطانية فى كل من كراتشى وبومبىاى والوزير المفوض البريطانى فى طهران . وقد رأى حكمدار السند فى تهديد الحاكم الفارسى ما يبعث على القلق مما يستوجب معه ارسال قوات بريطانية الى جوادر لحماية الخط ، وقام السيد ثوينى بالايعاز الى واليه فى المنطقة بتسهيل مهمة القوات البريطانية فيما اذا أرسلت ، كما قام الوزير المفوض البريطانى فى طهران باثارة الموضوع مع وزير خارجية فارس ، الذى اعترف له بأن السلطات الفارسية الاقليمية لم توافق على اجراء الحاكم ، وان تعليمات سوف توجه اليه بعدم التدخل فى الموضوع ما لم يتلق اوامر صريحة من حكومة طهران . وعلى اية حال فقد ذكر وزير الخارجية أيضا انه يتعين على الحكومة البريطانية الاعتراف بتبعية شهبار وجوادر لحكومة فارس ، وأنه كان يتعين عليها الحصول على موافقة الحكومة الفارسية قبل الشروع

على مد الخط ، ورغم ذلك فقد أكد وزير الخارجية الفارسية للوزير البريطاني المفوض بأنه مستعد من أجل الصداقة البريطانية الفارسية إلى الموافقة على مد الخط من جوادر إلى شهباز بشرط ألا يمس وجود هذا الخط الحقوق الإقليمية لفارس في هذه المناطق (١) .

وقد نشأت مخاوف الحكومة الفارسية كما يتصور طومسون من اعتقادها أن مد الخط التلغرافي إلى ما وراء جوادر قبل أن تصرح به الحكومة الفارسية رسمياً ، فإن ذلك قد لا يهدد مطالبها في هذا الشق من ساحل مكران فحسب ، بل وحقوقها الإقليمية في الأراضي المؤجرة لسلطان مسقط بما فيها بندر عباس نفسها ، وقد تأكد هذا بعد مرور أيام قليلة عندما أوضح وزير خارجية فارس بأنه يتعين الحصول على موافقة الشاه مسبقاً بمد الخط من شهباز إلى بندر عباس وأنه لا علاقة لذلك بالسيّد ثويني الذي لا يزيد دوره عن دور المستأجر (٢) غير أن وزير الخارجية الفارسي كان يضرب في حديد بارد ، فقد كان القرار قد اتخذ بالفعل في لندن تحسباً لنفس الاعتراضات التي أثارها الحكومة الفارسية ، وهي أن يتعدى الخط منطقة جوادر ، وأن يكون مد الخط بعد ذلك من تحت سطح البحر عبر خليج عمان حتى مسقط ، ثم منها عبر خليج فارس حتى

(١) المراسلات الخارجية ٢٧٩/٦٠ من طومسون إلى راسل ١٨٦٣/٥/٦ (رقم ٣٦ و ٣٩) ومرفق صورة من خطاب ديستبراو إلى طومسون مسقط ١٨٦٣/٤/٤ (رقم ٦٥ و ٦٦) وبه المرفقات الفرعية ، وخطاب ميرزا سعيد خان إلى طومسون ١٨٦٣/٥/٦ .

(٢) نفس المصدر من طومسون إلى راسل رقم ٤٤ بتاريخ

١٨٦٣/٥/١٩.

بوشهر . ومن ناحية اخرى فقد أثار تصرف حاكم بامبور المخاوف بالنسبة
لسلامة الخط البرى الممتد حتى جوادر ، فاذا كانت حكومة فارس تدعى
بحقوق السيادة على جوادر وعلى الساحل من جانبه الشرقى والغربى ،
فانها سوف تعارض الحكومة البريطانية على انشاء محطة تليفرافية فى
جوادر ، وبل على مد الخط حتى طرفها الشرقى . وكان من رأى كيه
مسئول الادارة السياسية والسرية بمكتب الهند ، أنه لابد أولا من حل
موضوع السيادة على ساحل مكران ، فقد كانت فارس دائما تتقدم
بمطالب اقليمية غامضة ، كمطالبتها بجزيرة البحرين ، وبالتالي فلا بد من
اتخاذ قرار بشأنها ، رغم انه كان يعتقد بصعوبة اتخاذ مثل هذا الاجراء
« ويبدو لى أنه لا يوجد علاج لهذه المشكلة ، التى قد يكون حلها اذا تحقق
أسوأ من المشكلة نفسها (١) .

فى مايو ١٨٦٣ اقترح مكتب الهند على وزارة الخارجية البريطانية
أن تتقدم باحتجاج عنيف الى حكومة طهران ضد اجراء حاكم بامبور
ومطالبتها بالكف عن القيام بأية اجراءات قد تفضى الى تعكير العلاقات
البريطانية الفارسية (٢) . وقد قام ليسون الوزير البريطانى المفوض فى
طهران فى شهر أكتوبر بتقديم ذلك الاحتجاج ، وكان رد وزير خارجية
فارس أنه بالنظر الى ما مضى من الوقت منذ ان بحث فى هذا الموضوع فى
شهر مايو ، فقد ظهرت أسباب جديدة توجب مساءلة الحكومة البريطانية
عن نوع المصالح التى لها فى مكران سيما بعد ان علم أن سلطان مسقط قد

(١) مكاتبات حكومة الوطن (مكتب شئون الهند) المجلد ٥٧ مذكرة
من كيه بتاريخ ١٨٦٣/٥/٧ .

(٢) نفس المصدر من مارفيل الى هامون ١٨٦٣/٥/٢٦ .

وافق على تأجير اقليمي جوادر وشهبار الى بريطانيا ، فاذا كانت تلك المعلومات صحيحة فان مثل هذا التأجير يعتبر باطلا ، كما ذكر أيضا أنه لا جدال هناك في كون هذه المناطق تشكل جزءا من اراضى مكران الخاضعة بدورها لكرمان ، وانها بالتالى اراضى فارسية بصورة مطلقة (١) ثم اضاف الوزير بأن هاتين النقطتين شأنهما شان بندر عباس وملحقاتها خاضعتان مؤقتا فحسب ، وبالإضافة الى كل ذلك فان معاهدة ١٨٦٣ تحظر بصورة فاطعة على حاكم مسقط السماح لوكلاء الدول الاجنبية باستغلال الاراضى المؤجرة له من فارس (٢) .

تقدم الوزير الفارسى المفوض في لندن بشكوى مماثلة الى وزارة الخارجية البريطانية (٣) غير أن هذه الشكوى لم تكن قائمة على أساس ، ليس لأن الاشاعة لم تكن صحيحة فحسب ، بل لأن حكومة فارس لاتستند في مطالبتها بحقوق السيادة على هذه المنطقة على أسس قانونية ، وانه لم يحدث أن تم تأجير أى من هذين الاقليمين بالطريقة التى تم بها تأجير بندر عباس ، على الرغم من محاولات وزير الخارجية الفارسية الإيحاء بأن فارس هى التى كانت تدفع الثمن دائما كنتيجة لهذه الأوضاع ، وبأن

(١) وزارة الخارجية البريطانية ، من ميراسين خان الى اليسون ١٨٦٣/١٠/١٠ ومرفق منه صورة منه من خطاب اليسون لراسل ١٨٦٣/١٠/١٥ رقم ١٥ .

(٢) مراسلات حكومة الوطن مجلد ٥٧ من محمود خان الى راسل ١٨٦٣/١٢/١٠ .

(٣) سجلات للخطابات السياسية لبومباى مجلد (١) من حاكم بومباى الى وزير الدولة ١٨٦٣/٧/١٢ (رقم ٤٤ الادارة السياسية) .
(١٩ - بريطانيا والخليج / ٢)

معاهدة ١٨٥٦: تنطبق على أوضاع هذين الاقليمين . لقد انتقلت تبعية جوادر لحاكم مسقط ، عندما منحها حاكم كلات للسلطات ، وأما شهباز فقد استولت عليها مسقط عن طريق الفتح ، وأصبحت تابعة لمسقط بحكم هذا الاحتلال (١) . كانت وجهة النظر هذه هي وجهة نظر حكومة بومباي التي كانت تعارض بشدة الاعتراف بالحقوق الاقليمية لفارس في المنطقة الشرقية من مكران وأن هذه المطالب تبدو لنا ، كما ذكرت حكومة الهند في يوليو ١٨٦٣ غير مقبولة ، نظرا لأن حكومة فارس لم تمارس أى سيادة على جوادر والمنطقة الشرقية منها منذ زمن طويل (٢) .

... كان بادجر في لندن عندما حددت حكومة فارس موقفها من هذا النزاع ، وقد أدلى بنفس الرأي لوزير الدولة ، وأكد له بأن مطالب فارس بالنسبة لحقوقها في بلوشستان ومكران (لا تتعدى المناطق الداخلية) والشق الساحلى الوحيد الذى تمارس حكومة فارس السيطرة عليه - وهى سيطرة اسمية فقط - هو المنطقة الواقعة بين نهر سوديج وخليج شهباز على امتداد ١٥٠ ميلا وهى لم تسيطر عليه الا منذ اثنى عشر عاما فقط . وهناك خلاف حول ما اذا ما كانت الحكومة الفارسية تمارس أى سيادة على هذه المنطقة بالفعل ، وفي رأيه ان الجزء الأكبر من المنطقة الواقعة غربى نهر سوديج والخاضعة حاليا لمسقط بموجب عقد ايجار قد

(١) وزارة الخارجية البريطانية من الحايل الى وزير الدولة
١٨٦٣/٧/٢٣ ، ومرفق صورة منه خطاب ملفيل الوكيل المساعد بالوكالة
الى هامون ١٨٦٣/٨/٢٢ .

(٢) مراسلات حكومة الوطن (مكتب الهند) مجلد ٥٧ مذكرة من بادجر
بعنوان (علاقات فارس السياسية بدولة مسقط) لندن ١٨٦٣/١٢/٢٣
وهناك نسخة مطبوعة مرفقة بالخريطة بالمجلد ٥٨ من نفس الحلقة .

انتقل الى فارس بموجب معاهدة ١٨٥٦ ، أما قبل هذا التاريخ فقد كانت المنطقة الممتدة من بندر عباس حتى جירו وطولها نحو ٩٠ ميلا المنطقة الوحيدة الخاضعة لسيطرة فارس ، أما بقية المنطقة فهي خاضعة لسيطرة مسقط ، وشك بادجر فيما اذا كانت لفارس حقوق اقليمية على ساحل مكران شرقي نهر سويج ، واذا كان ثمة شيء من هذه الحقوق فقد جاءت نتيجة لمكاسب فارس الاخيرة في بلوشستان . أما شهباز وجواد ، والمناطق الساحلية الواقعة بين هذين الاقليمين فليس لحكومة فارس أي حقوق ، وتؤكد هذه الناحية اكثر كلما اتجهنا الى الشرق من جواد .

وقد اعرب الماجور جولد سميث عن نفس الآراء تقريبا ، عندما طلبت منه حكومة بومباي ان يبدى رآه حول هذه المسألة ، ليس ذلك فحسب ، بل لأنه أورد تاريخا أقرب للتدخل الفارسي في مكران ، وذكر بان فارس أخذت في توسيع حدودها شرقا في اتجاه بلوشستان ، وذلك في عام ١٨٥٦ مستغلة الفوضى التي كانت سائدة يومئذ في كلات ، وخلال هذه العمليات اجتلبت فارس (سب وديزك وجلي وغيرها) ، حتى أصبحت القوات الفارسية الآن - بنهاية عام ١٨٦٣ في منطقة قريبة من كيج ، وقد قام مبعوث فارس بجولة في كلات عام ١٨٦٢ لتوقيع اتفاق مع حاكمها لتخطيط الخطوط المشتركة بينهما ، وصرح يومئذ بان فارس ليست لها اطماع في كيج او مكران ، كما بعث حاكم بامبور الفارسي الى المعتمد السياسي البريطاني في مسقط في ابريل ١٨٦٣ بمرسالة يذكر فيها بان جواد لا تخضع له ، وبإضافة هذه الاعترافات الى ما اعزبت عنه الحكومة الفارسية اخيرا من رغبة في تصفية مشاكل الحدود مع جيرانها ، فان هذه التصريحات على حد رأى سميث تمثل فرصة لرسم الحدود ، ووضعها الى الغرب من جواد ، وبهذا يمكن ضمان سلامة الخط التفرقي من ناحية ،

وسلامة امارة كلات من ناحية اخرى ، واختتم جولد سميث آراءه بالقول « لقد قامت فارس في الآونة الأخيرة باعتداءات على مناطق تعتبر سيادتها عليها موضع شك ، الا أن مطالبتها بهذه المناطق لا تختلف في كثير أو قليل عن مطالب أي حكومة تجد انها اقوى من الحكام الصغار الخاضعين لسيطرتهم . وبالتالي فان أي تدخل خارجي لوضع حد لهذا التدخل حتى وان كان جائزا من الناحية القانونية ، كان لا بد أن تمارسه منذ وقت طويل الا ان هذه التدخلات قد وصلت الى مرحلة تعتبر خطيرة جدا بالنسبة الى الهند البريطانية ، وبالتالي فلا بد من وضع حد لها (١) .

اما المفاوضات التي جرت بعد رسم الحدود فهي خارج نطاق هذا الكتاب (٢) واخيرا في عام ١٨٧٨ توصلت لجنة مشتركة مؤلفة من فارس وبريطانيا وكلات الى اتفاق على الحدود ابتداء من الساحل القريب من طرف خليج جوادر على بعد خمسين ميلا من الغرب منها ، ثم من هناك يمتد من الشمال . اما جوادر فقد بقيت في حوزة مسقط ، ما عدا شهباز التي احتلها حاكم بامبور في ابريل عام ١٨٦٠ ، فقد ضمت بصورة نهائية الى فارس وكان ذلك في فبراير ١٨٧٢ ، وفي ٢٠ فبراير عقدت اتفاقية مع امير كلات لاقامة خط تلغرافي في المنطقة الواقعة غربي لازبيلا (٣) كما مد خط آخر تحت سطح البحر في نفس الفترة من جوادر الى رأس جاشك ،

(١) مراسلات حكومة الوطن مجلد ٢٥٨ من جولد سميث الى هافلوك

(١) السكرتير السياسي لحكومة بومباي بالوكالة (١٨٥٣/١٢/١٩) .

(٢) راجع دليل الخليج تأليف ولريمير فصل ١ ص ١٦٩ - ٧٨ .

(٣) راجع المعاهدات اعداد ايشيسون فصل ١ ص ٣٩٤ - ٤٩٦ .

ومنه عبر خليج عمسان حتى مدخل مالكولم (غبة الجزيرة) الواقعة على
الطرف الشرقى من شبه جزيرة مسندم ، ومن هناك أقيم خط تليفرافى
برى على محور رأس خليج الفنستون - (خور الشقم) على الطرف الغربى
وقد جرت عمليات مسح لهذا الطريق قبل ثمانية عشر شهرا ، ولكن هذه
العملية كانت شاقة ومغامرة خطيرة بالنسبة للمسئول البريطانى الذى
اشرف عليها وهو اللفتناننت باترك ستيوارت ، والذى على الرغم من صغر
سنه فانه لم يكن يتعدى سنه ثلاثين عاما ، اسندت اليه مسئولية انشاء
الخطوط التليفرافية الهندية . وقبل البدء فى هذا المشروع حصلت
الحكومة البريطانية على ضمانات من شيوخ الساحل كما أدرج كبند اضافى
فى معاهدة ١٨٥٣ البحرية الدائمة ، وبمقتضى هذه الضمانات تعهد
الشيوخ بعدم التعرض للخط التليفرافى ، وبمعاقبة أى فرد من رعاياهم
يقوم باعتداء على هذا الخط ، وبدفع تعويضات عن أى تلفيات تنشأ عن
ذلك . وفى مقابل هذه الضمانات سمح للشيوخ ورعاياهم باستعمال الخط
على قدم المساواة مع الرعايا البريطانيين أما الخط التليفرافى الذى تحت
سطح البحر فقد تم مده من خليج الفنستون حتى بوشهر فى مارس ١٨٦٤
ومنه الى الفاو ، وكلا الخطين خط بغداد خانقين ، وخط خانقين بوشهر ،
انتهى العمل منه فى أكتوبر ١٨٦٤ ، وفى يناير ١٨٦٥ وصل خط بغداد
الى الفاو ، وفى ٢٧ منه تم افتتاح الخط التليفرافى بين أوربا والهند ،
الا أن الكولونيل ستيوارت لم ير ثمرة عمله هذا ، فقد توفى فى ١٦ يناير
١٨٦٥ (١) .

(١) بالنسبة للخط التليفرافى راجع كتاب لوريمر فصل ١ ملحقول:جى:
وقد تحول خط مسندم فى شهر نوفمبر ١٨٦٨ بسبب وعورة المنطقة، ومد=

وقد شهدت الستينيات من القرن التاسع عشر تغيرات على جانب كبير من الأهمية، في إدارة الشؤون البريطانية في الخليج، وما تبع ذلك من انتقال السلطة على الهند البريطانية من شركة الهند الشرقية إلى الدولة نفسها وذلك في عام ١٨٥٩، مما قضى على دور البحرية الهندية. إذ على الرغم من المهام والاستخدامات الهامة التي حققتها لم تعد مرغوبا فيها من كل من السلطات الإدارية في الهند وانجلترا، بسبب رئيسي وهو النفقات الباهظة التي تنكدها الحكومة البريطانية. ومنذ ان دخلت الطاقة البخارية تغيرت طبيعة الأجهزة البحرية تغيرا كبيرا، وقبل عام ١٨٣٠ عندما كان يطلق على البحرية الهندية (الاسطول الهندي)، كانت هذه البحرية قوة فعالة في ميدان القتال أما بعد هذا التاريخ فقد تقلصت أهميتها إلى مجرد نقل البريد فيما بين السويس وبومباي، وأحيانا البصرة. وفي الأربعينات من القرن التاسع عشر كانت الحكومة البريطانية تحتفل بمجموعات من السفن البريطانية في كل من نهر الأندس ودجلة والفرات، وذلك للدفاع عن المصالح البريطانية في هذه المناطق، غير انه بعد الاستيلاء على النجاف تم سحب مجموعة العراق نظرا لأن وجودها من الناحية السياسية لم يعد يخدم المصالح البريطانية، أما بعد هذا التاريخ فلم يبق من هذه المجموعات سوى مجموعة منطقة الخليج.

=بدلا منه كابل جديد حتى يوشهر عن طريق جزيرة هنجام كما تم مد خط تحت سطح البحر من كراتشي إلى جوادر، ثم تم ربطه بخط برى مع جاسك صيف عام ١٨٦٩، في أعقاب إبرام اتفاق تلغرافي جديد مع فارس بتاريخ ١٨٦٨/٤/٢ «راجع المعاهدات» أعداد إيتشيسون. فصل ١٠. ص ٨٠ - ٨١ - وفي شهر أكتوبر من خط تحت البحر من هياسك رأسا حتى يوشهر.

وحتى أكثر النقاد البريطانيين تطرفا لاحتفاظ بريطانيا بأسطول في الخليج ، والذين كانوا ينادون بتجريدته حتى من مهمة نقل البريد واستناد هذا العمل الى السفن التجارية الخاصة اضطروا الى الاعتراف بوجود احتفاظ بريطانيا بسفن لها في منطقة الخليج ، أما الذي لم يتنبه اليه هؤلاء النقاد فهو ان الخليج كان في حاجة الى سفن صالحة للعمل في بحاره الخطيرة ، كما كانوا يحتاجون الى ضباط لديهم الخبرة الواسعة التي تمكنهم من تأدية مهامهم بصورة مجدية . ومن هنا يتساءل جون كيه في سبتمبر ١٨٦٢ ، كيف يتسنى للحكومة البريطانية بعد الغاء الأسطول الهندي وعدم وجود قوته تحمل محله ، المحافظة على وجودها في الخليج ومسقط ؟ سيما وأن صديقنا الامام قد رفض أخيرا عروضاً بالمساعدة من الكومندور الفرنسي ، احتراماً منه لصداقته مع بريطانيا واعتماده على تأييدها ولكن اذا فشلنا نحن في تقديم هذه المساعدة ، واذا لم تكن لدينا قوة بحرية كافية فاننا سوف نجبره هو وغيره من الحكام الى الارتقاء في أحضان الفرنسيين أو القرس أو غيرها من الدول .

وهكذا بموجب قرار أصدره مكتب الهند رسمياً بتاريخ ١٨٦٣/٤/٣٠ الغي الاسطول الهندي ، وقبل صدور القرار تقرر تحويل مهمة نقل البريد الى الشركات الخاصة ، وفي شهر مارس ١٨٦٢ فوض مكتب الهند حكومة بومباي باعتماد المبالغ الخاصة بنفقات الخدمة البريدية التي بدأت شركة الملاحة التجارية في بومباي اعمالها في هذا المجال ، وقد أطلق على هذه الشركة اسم « شركة الملاحة التجارية للهند البريطانية » وذلك في عام ١٨٦١ ، وكانت مدة الاتفاق المبدئي خمسة أعوام ، وان تقوم الشركة بشماني رحلات دائرية في العام الواحد نظير مبلغ ١٥ ألف روبية عن كل رحلة ، كما افتتحت شركة الملاحة التجارية بالخليج والفرات خدمة منتظمة بمعدل رحلة

كل ستة أسابيع بين بغداد والبصرة عام ١٨٦٢ ، وبذلك ربطت هذه الشركة نشاطها بشركة (بيسن) الموجودة في البصرة وقد خصص لهذه الشركة أيضا أجر سنوي مقداره ٢٤٠٠ جنيه استرليني سنويا (١) .

لم توضع تدابير مناسبة للمهام الأخرى التي كانت تؤديها بحرية الهند سابقا ، فمن الناحية النظرية كان يتعين أن يقوم بهذه المهام الأسطول الملكي ، وأما من الناحية العملية فلم ينتج عن هذا الوضع سوى الفوضى ، نظرا لتحويل معظم السفن الصالحة للملاحة الى الأسطول الملكي ، وبذلك أصبحت تحت اشراف القائد العام بالهند الشرقية ، وكان على حكومة بومباي أن تقدم طلباتها في هذا الخصوص الى القائد العام نفسه ، فيما تحتاجه من السفن للعمل في الخليج والبحر الأحمر ، غير ان هذه الطلبات لم تكن تلبى دائما ، فقد كانت مسؤوليات العمل في قاعدة الهند الصينية متعددة بينما السفن التي تحت يدها قليلة ، كما أن انشاء قاعدة بحرية في الصين ، لم يؤد الى تحسين الوضع نظرا لتخفيض عدد السفن العاملة في قاعدة الهند الشرقية ، والتي تم تعضيدها بقاعدة الرأس ، وانشاء مقرها العام في بومباي ، وقد أضاف هذا التغيير أعباء جديدة على القائد العام ، حيث أصبح عليه أن يشرف بالإضافة الى منطقة المحيط الهندي على منطقة جنوب الاطلنطي غرب حتى درجة ٢٦ غرب وشمالا حتى ١٥ درجة من خط الاستواء ، ثم جنوبا حتى القطب الجنوبي . غير ان طبيعة هذا التوزيع السيء لقطع الأسطول قد ظهر سريعا . وفي تمام ١٨٦٥ تم ابلاغ كل من

(١) ضوعفت هذه المخصصات من بغداد سنة ١٨٦٦ على أساس

ان تقوم الشركة برحلة كل اسبوعين من بغداد والبصرة ، اما شركة
فقد ابتدأت رحلاتها النصف شهرية عام ١٨٦٨ والأسبوعية عام ١٨٧٤ .

فأندى أسطول الرأس واسطول بومباى بالعمل مستقلين ، ولكن سرعان ما ظهرت الآثار العكسية لهذا النظام ، فابتداء من ربيع عام ١٨٦٤ حتى ربيع ١٨٦٥ قل أن شوهدت سفينة من هذه السفن فى مياه الخليج والبحر الأحمر ، وحتى لو ظهرت هذه السفن فانها سرعان ما تعود وتفادر المنطقة .

وكان مما يقابل استياء السلطات الهندية من عدم اهتمام الامبريالية البريطانية بطلباتها هى الظروف الصعبة التى كان يعمل فيها ربانة السفن التابعون للاسطول الملكى فيما يتعلق بزيارتهم فى الخليج والبحر الأحمر ، اذ لم يكن يسمح لهم بالبقاء فى هاتين المنطقتين لفترات طويلة ، حتى لا تصاب هى وبحارتها بالارهاق ، كما لم يكن فى وسع أى ربان من ربانتهما وضع سفينته تحت تصرف المقيم السياسى فى الخليج أو زميله فى عدن ، اما فى عهد البحرية الهندية ، فان الوضع لم يكن على تلك الصورة ، حيث كانت مهمة سفن البحرية هى القيام بخدمة الاحتياجات السياسية ، كذلك لم يكن يسمح لهذه السفن بزيارة منطقة الخليج فى أشهر الصيف ، على عكس ما كان الوضع فى السابق ، رغم ان هذه الفترة التى تكثرت فيها الحاجة الى السفن ، وهى موسم صيد اللؤلؤ عندما يكون المقيم البريطانى فى حاجة الى أكبر عدد من السفن لمواجهة ما يتطلبه الوضع فى هذه الفترة . وعلى الرغم من المبررات التى قدمها المسئولون السياسيون فى كل من عدن والخليج والمسئولون فى الهند ضد هذه القيود المفروضة على حركة السفن الا أن الامبريالية رفضت الغاءها ، وكان هذا الرفض فى حقيقته انما يعنى رفض القيام بالأعمال التى كانت تقوم بها سابقا البحرية الهندية . واقصى شئ أبدت الامبريالية استعدادها للقيام به هو بحث تخصيص سفينة لزيارة الخليج والبحر الأحمر من حين الى آخر ، وبشرط أن تسمح الأحوال فى قاعدة الهند الشرقية بذلك ، ولكن هذه السفينة كان من

النادر أن تتوافر في الخليج عند الحاجة إليها ، وإذا توافرت فإن ضباطها لا يستطيعون القيام بمهمتهم نظرا لقلّة خبرتهم بظروف الملاحة في المنطقة ولغة أهل المنطقة وعاداتها ، مما كان يؤدي إلى فشلها ، وجعل وحدها في المنطقة موضع احراج للسلطات البريطانية .

وبانتهاء دور بحرية الهند أحيل ضباطها والعاملون فيها إلى التقاعد بعد أن صدر بذلك قرار من مكتب الهند ، واستثنى من ذلك القرار الضباط ذوو المهام السياسية ، ومن كان يندرج منهم ضمن الاطار السياسي للعمل ، أكثر من الاطار البحري ، وقد تم ارسال هذا القرار إلى الهند بتاريخ ١٨٦٢/١١/٢٨ . وكان المقيم البريطاني في الخليج الكابتن فيلكس جونز في ذلك الوقت يقضى اجازة مرضية ، وبذلك قام السير بارتل فرير بتعيين الماحور ليسبلى وكان برتبة ليفتنانت كولونيل مقيما بالوكالة بعد أن انتهت خدماته كسكرتير للمفوضية البريطانية في طهران ، وذلك بعد عودة شارلس اليسون الوزير المفوض إليها في شهر يوليو ١٨٦٠ . وبعد عودته للهند في السنة التالية عين معتمدا سياسيا بريطانيا في زنجبار ، كما نقل من هذا المنصب إلى بوشهر محل جونز في فترة غيابه ، وفي زنجبار عين الكابتن بليفر معتمدا سياسيا بالوكالة خلفا له . عند وصول بيلي إلى بوشهر ، كان التدمير والاستياء في أوساط الضباط البريطانيين التابعين لأسطول الخليج على أشده ، كنتيجة لالفناء البحرية الهندية وبالتالي تقليص مسئولياتهم ، وكان من الطبيعي أن ينظروا إلى تعيين بيلي بشيء من الشك وكأنه مقدمة لانهاء خدمات جونز من المثلية ، كما أن بيلي لم يفعل شيئا من جانبه لتبديد هذه الشكوك :

بعد وصول بيلي مباشرة أصدر أمرا بعقد محاكمة عسكرية لأحد ضباط أسطول الخليج ، كما أمر بنقل الكابتن هاربرت دسبراو مساعد

جونز بغير سبب ما ، أكثر من أنه لم يكن يرتاح إليه ، وذلك بالرغم من أن جونز وحلفه الكولونيل كامبل كانا يعتبران دسبراً من اكفا الضباط العاملين في المنطقة ، وفي أواخر يناير ١٨٦٣ ، أجرى الدكتور كولوفيل ، طبيب المثلثة في بوشهر والذي كان قد عين مستعداً لبيلي حديثاً خاصاً مع اللفتنانت سيدلي (قائد الأسطول بالوكالة) ، وذكر فيه بأن جونز لن يعود الى منصبه بعد انتهاء أجازته ، وأن بيلي سيتخل محلّه بصفة دائمة ، ولكنه لا يرى في ذلك أي ضرر ، كما ذكر بأن بيلي تربطه مصالح شخصية هامة بحاكم بومباي وأنه يستطيع أن يحصل منه على ما يريد ، وقال كولوفيل بأن بيلي يمتلك محلاً تجارياً في المثلثة ، وأن هذا الخبر إذا عرف فقد سيء الى سمعته في نظر السلطات المسؤولة في بومباي ، ولا نعرف عما إذا كان سيدلي مستعداً لتسجيل هذا الاتهام كتابة مع تورط جونز في أعمال تجارية ، خصوصاً وأن مثل هذه الأعمال محظورة على الضباط السياسيين والبحريين على السواء ، فإذا كان سيدلي يوافق على هذا الرأي فإن بيلي سوف يعمل على عدم عودة جونز الى بوشهر ، وتقديم مكافآت الى سيدلي على موقفه هذا ، غير أن سيدلي رفض الاقتراح بشدة ، وقدم تقريراً عن الحادث الى السلطات المسؤولة في بومباي أعرب فيه عن دهشته من تجرؤ كولوفيل على طرح ذلك الاقتراح عليه ، كما وصف موقف بيلي بأنه موقف مشين ويدعو للازدراء بتلقيق التهم ضد أحد المسؤولين من وراء ظهره ، وقال سيدلي في تقريره بأنني طلبت من كولوفيل بأن يبلغ بيلي عن رأيه فيه بكل صراحة (١) .

(١) مجموعة التقارير السياسية الى بومباي مجلد ٤٥ مجموعة رقم

٢٦. المؤرخه ٢٤/١١/١٨٦٣ من سيدلي الى جونز بومباي ١٢/٥/١٨٦٣ .

قبل أن يتقدم سيدلى بتقريره كان جونز قد عاد الى بوشهر من إنجلترا بعد أن قطع أجازته ، وذكر لوزير الدولة عندما ذهب اليه بأنه يفضل العودة الى مقر عمله ليكون موجودا فيه ، فيما اذا احتاج الأمر الى مساعدة في عملية مد الخطوط التلغرافية في المنطقة ، ولعله أيضا قد يكون قلقا من الأنباء التي وصلتته عما كان يدور في بوشهر ، وقد ذكر له الاستولون في مكتب الهند بأنهم لا يمانعون من عودته الى الهند ، غير أن القرار الخاص بعودته الى بوشهر كان يتوقف على رأي حكومة بومباي ، وعما اذا كانت ستسمح له بالعمل في بوشهر .

وعند وصول جونز الى بومباي اتضح له أنهم ليسوا في حاجة الى مساعدته في عملية مد الخطوط التلغرافية ، وأنه يمكنه العودة الى مقر عمله بعد انتهاء أجازته . وفي هذه الأثناء غادر اللفتنانت سيدلى منطقة الخليج في طريقه الى إنجلترا بعد صدور قرار إحالته الى المعاش ، وانتهاز فرصة وجوده في الهند فكشف لزملائه من ضباط البحرية ومن بينهم المائد العام لأسطول الهند وهو الكابتن يونج عن الحديث الذي دار بينه وبين كولوفيل ، وهكذا أصبحت العلاقات بين أسطول الهند والممثلة البريطانية في الخليج متردية للغاية ، وكانت موضع أحاديث الأوساط السياسية والبحرية في بومباي . وعلى أية حال فإن حاكم بومباي لم يتدخل في الموضوع ، وكان يفضل إثارة هذه المشكلة من جانب جونز الذي تقدم في الأسبوع الأخير من شهر مايو بشكوى رسمية الى حاكم بومباي ضد نصرف الدكتور كولوفيل ، واستشهد في شكواه بتقرير سيدلى بشهادة ضابط آخر كان قد اشترك في الحديث .

وقد أصدر حاكم بومباي أمرا بالبدء في اجراء تحقيق في شكوى سيدلى وذلك في أوائل شهر يونيو ، كما اخذت شهادة الضابط الذي

اشترك فى الحديث كما ذكر سيدلى ، وكان يشرف على التحقيق قاضى
قضاة شرطة بومباى .

وقد تعذر على سيدلى الادلاء بشهادته نظرا لانه قد سافر الى
انجلترا (١) ، وقد أرسل خطاب سيدلى وشهادة الضابط الآخر الى كل
من بيلى وكولوفيل لابداء رأيهما فيه ، وقد انكر الدكتور كولوفيل ان يكون
قد تحدث بشيء مما اتهمه سيدلى والضابط الآخر ، أما فيما يختص بالمحل
الملحق بالمثلثة فقد كان أكثر الناس فى بوشهر علما بوجوده ، ولم يكن
الأمر يستدعى شهادة من سيدلى ، غير أن كولوفيل كان حذرا فى أقواله ،
اذ لم يقل صراحة بوجود المحل ، وإنما ذكر بأنه عندما كلفه بيلى بالتحقيق
فى هذا الموضوع وجد أن هناك محلا لبيع السلع للضباط البريطانيين
العاملين فى المثلثة (٢) وقد رد بيلى بنفس المعنى ، وذكر بأنه يشق مطلق
الثقة بالدكتور كولوفيل ، ولكن على الرغم من ذلك فقد كان الدكتور
ينصرف بطريقة تبعث على الازدراء ، وأنه فى الوقت الذى كان يلج على

(١) لقد استغل فرير هذا الحادث كثيرا فى تقريره الى وزير الدولة.
وإنما كان سيدلى قد بقى فى بومباى بعد عودته من الخليج لمدة شهرين .
تجاهل فرير خلالها التهم الموجهة ضد جونز . ولما كان فرير لم يتخذ أية
اجراءات بصدد اجراء تحقيق فى التهم لمدة ثلاثة أسابيع منذ أن قدم
جونز عريضته ، فلا يمكننا أن ننحى باللائمة على سيدلى فى استنتاجه ،
ان ذلك التحقيق غير وارد ، وانه يمكنه هو أيضا ان يغادر الى انجلترا .

(٢) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٤٥ تقرير رقم
٢٦ المؤرخ ٢٤/١١/١٨٦٣ من كولوفيل الى بيلى .

بيلى باستمرازا بالخصول على اجازة مرضية طويلة ، كان فى نفس الوقت ينامر من وراء ظهره لبقائه فى بوشهر (١) اما فيما يختص بالمحل فقد افاد بيلى بأنه عندما سمع اشاعات عن وجود محل لبيع السلع بالمثلية ، وكان وقتئذ يقضى اجازة على احد المرتفعات الجبلية القريبة من بوشهر ، كلف الدكتور كولوفيل بالتحقيق فى صحة هذه الاشاعة ، وقد افاد الدكتور فى تقريره بان هناك طبأخا للكابتن جونز كان يقوم ببيع بعض السلع الخاصة بالكابتن جونز ، وعلى حد رأى بيلى فان هذا التصرف لا يعتبر خروجا على التقاليد ، واخلاف بأنه قد أمر الطبأخ بالعدول عن هذا الامر ، خوفا من اثتئاز آخيار هذه العملية خارج نطاق المثلية ، كما ذكر بيلى بان شهادة الضابط زميل الكابتن سيدلى تشير بوضوح الى أن الذى وجه الاتهام الى جونز بالتجارة فى السلع ليس هو الدكتور كولوفيل ، وانما هو الكابتن سيدلى نفسه (٢) والواقع أن شهادة الضابط لا تشير الى أى شىء من هذا القبيل ، وانما على العكس من ذلك ، فانها تلقى المسؤولية على الثلاثة جميعهم بما فيهم بيلى نفسه (٣) ولم يستغرق تقرير وقتا طويلا ليأخذ قرارا فى هذه القضية ، وفى خطابه الى وزير الدولة أكد فرير رفضه لهذه

(١) نفس المظنننن من بيلى الى اندرسون ١٨٦٣/٧/١٩ (رقم ٦٩ الإدارة السياسية)

(٢) نفس المصدر .

(٣) لقد فهمت أن الكابتن سيدلى سيحيل القضية الى الكولونيل بيلى كما جاء فى شهادة شتلورت عندما افاد بان ذلك كان تصرفا فى غاية التفاهة ، اعتقادا منه أنه كان يحمل شتلورت للدلاء بشهادته (شهادة شتلورت ١٨٦٣/٦/١ .

الاتهامات ، وإعتبارها عمليات تليفق وأختلاق ، الا انه قد اقترح على المسؤولين اجراء تحقيق شامل حول هذا الموضوع ، وقد جاءت نتيجة التحقيق فأكدت اعتقاده بأنه ليس هناك أى دليل على هذه الاتهامات التي نسبها سيدلى الى اللفتنانت كولونيل بيلى (١) واذا كانت هذه النتيجة قد وضعت حدا لهذا الحادث المؤسف الا أنها لم تضع حدا لمتاعب الكابتن جونز ، فقد صندر قرار بعدم عودته الى مقر عمله قبل انتهاء أجازته ، فاضطر للانتظار فى بومباى . وفى الأسبوع الاول من نوفمبر أى قبل أن تنتهى أجازته ببضعة أيام أبلغه السكرتير الاول لحكومة بومباى شفويا ان عودته الى مقر عمله غير واردة ، ولكن لم تعرف الأسباب التي دعت الى هذا المنع ، ولهذا تقدم جونز فى شهر فبراير ١٨٦٤ بشكوى الى الحاكم العام يطالب فيها باعادة النظر فى التهم الموجهة اليه ، والتي قال عنها بانها تجعله فى موقف المخالف لأوامر لدولة ، ولم يصرف له راتبه ، فاضطر بالاستدانة للانفاق على نفسه وعلى أفراد أسرته (٢) .

اختصر فرير اجراءات الدعوى وذكر لاعضاء المجلس ، بأن لديه من المعلومات ما يجعل اعادة تعيين جونز امرا غير مرغوب فيه ، وقال :
« لقد مضى على جونز فى الخليج ، وقت طويل ، وقد كان ذلك فى

-
- (١) سجلات الخطابات السياسية الى حكومة بومباى مجلد ٢ من الحاكم الى وزير الدولة ١٨٦٣/٩/٢٨ (رقم ٢٩ الادارة السياسية) .
(٢) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٤٩٠ تقرير رقم ٥٠ المؤرخ ١٨٦٤/١٢/٢٤ . عريضة الكابتن جونز ١٨٦٤/٢/٢٤ . وخطاب جونز الى هافيلوك ١٨٦٤/١/٩ .

مصلحة الدولة التي يعمل فيها . . وكان جونز هو نفسه الذي اتصل بنا للتصريح له بفتح محل في المثلثة لبيع السلع والمواد الاستهلاكية ، كما أن المعلومات التي كان يوافينا بها لا تبرر أن ننسب اليه أى فضل فى اداء واجباته ، فضلا عن المشاكل والخلافات التي كان يثيرها مع السلطات المحلية فى فارس ، خلال الفترة التي كان يعمل فيها بالمثلثة ، كما كنا فى جهل عن التطورات الهامة التي كانت تحدث فى فارس ، فلم نعلم أى شىء عن أهم اتفاقية عقدت بين فارس ومسقط عام ١٨٥٦ ، الا عندما اشار اليها بادجر فى التقرير الذى بعث به من مسقط « (١) .

كذلك قدم بادجر خطاب شكوى ضد الكابتن جونز من السيد ثوينى، وكان قد تسلمه منه أثناء زيارته لمسقط فى ابريل ١٨٦١ ، وفى هذا الخطاب يحتج السيد ثوينى على تدخل جونز عام ١٨٥٥ لمنع بنى ياس من مساعدة السيد ثوينى فى الهجوم على بندر عباس كرد على احتلال الفرس لها ، وحول هذا الموضوع علق بادجر . . « انه من المعروف أن القبائل العربية فى الخليج الفارسى غير راضية عن تصرفات المقيم ووكلائه فى المنطقة ، ويدعى زعماء هذه القبائل أن المقيم يمارس سلطاته عليهم بطريقة تعسفية ، وان طريقته فى ممارسة الرقابة تفوق كثيرا حدود التدخل التي سمحوا بها للمقيم بموجب معاهدة عام ١٨٥٣ ، وأنهم قد اصبحوا خاضعين خضوعا كاملا لسيطرته (٢) وقد حضر عدد من هؤلاء الى مسقط ليعربوا

(١) نفس المصدر محضر من اعداد فرير ١٠/٣/١٨٦٤ .

(٢) مرفقات خطابات حكومة بومباى السرية مجلد ١٤٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٣٩ المؤرخ ٢٧/١٢/١٨٦١ من بادجر الى قوريش ، عدن فى ٥/٦/١٨٦١ (رقم ١ الادارة السرية) لجنة مسقط وزنجبار .

عن احتجاجهم الى بادجر ، عن اجراءات جونز التعسفية ، وعلى الاخص طريقته فى فرض الغرامات عليهم عن المخالفات التى يرتكبها رعاياهم فى الخليج » وبالتالى فقد ذكر بادجر فى تقريره الى فرير « بأنه فى الوقت الذى لا يمكنه تأييد صحة هذه الأقوال الا أنه يستطيع أن يؤكد ما يسود أوساط هؤلاء العرب من نقمة على سياستهم فى منطقة الخليج ، فنظام الغرامات أصبح يجرى تطبيقه بمنتهى الشدة كما أن القبائل وزعماء المنطقة يسامون الخسف من جانب المقيم البريطانى لاتفه الأسباب ، كما يتم فرض الغرامات تحت التهديد بالقوة ، وضرب بادجر أمثلة على هذه التصرفات وأشار بالذات الى ما حدث بالنسبة لحاكم الشارقة فى عام ١٨٥٥ وحاكم دى فى عام ١٨٦١ . وفيما يتعلق ببندر عباس واحتجاج السيد ثوينى على اجراءات المقيم يرى بادجر بأن تدخل المقيم قد جاء فى صالح حكومة فارس التى استغلت التصرف ضد الحكومة البريطانية ، واوحت للرأى العام بأن بريطانيا قد تخلت عن حليفها القديم السيد سعيد وأجبرته على عقد معاهدة لم تكن فى صالحه (١) .

على هذه الاعتبارات اعتمد فرير فى قراره بعد الموافقة على عودة جونز الى الخليج ، وأبلغ رأيه هذا الى المجلس ، وركز على ناحية واحدة فى الموضوع ، وهى فشل جونز فى الحصول على صسورة من المعاهدة المسقطية الفارسية لعام ١٨٥٦ ، وبذلك بقيت حكومة بومباى لا تعرف

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٣٩ الموافق ١٨٦١/١٢/٢٧ من بادجر الى قوريش - عدن ١٨٦١/٦/٥ (رقم ١٠ الادارة السرية لجنة مسقط وزنجبار) .

شيئا عن هذه المعاهدة ، الى أن كشف عنها بادجر في تقريره (١) وذكر فرير بأنه ينوى أن يطبق على جونز القانون الذي ينص على فصل الموظفين السياسيين من الخدمة اذا ما اتموا خمسة وثلاثين عاما في الوظيفة ، و التالى يتعين الاستغناء عن خدمات المقيم فى الخليج ، الا اذا قام الحاكم العام باعادة تعيينه . أما سبب عدم ابلاغ جونز بقرار فصله فى شهر مارس ١٨٦٣ عندما تقدم بطلب العودة الى منصبه ، فقد ذكر فرير بأنه لم يكن حتى ذلك الوقت قد اقتنع ، كما هو مقتنع الآن بعدم صلاحية جونز بشغل منصبه بصورة مرضية له ولحكومته (٢) . غير أن واحدا من اعضاء المجلس وهو انفراتى اعترض على قرار فرير ، ووجهة كلامه الى الحاكم قائلا « بأنه فى الوقت الحاضر لا يوجد قانون ينص على فصل أو اعادة تعيين الضباط للعسكريين والبحريين العاملين فى السلك المدنى ، كما قال بأن انكابتن جونز قد قدم خدمات جليلة أثناء فترة عمله ، وبالتالي فله حق الدفاع عن نفسه ، قبل اصدار حكم ارتجالى كهذا عليه بعد فترة طويلة اداها فى خدمة دولته . . » (٣) واستطرد انفراتى يقول بأن جونز التحق

(١) جاء هذا الاتهام فى مذكرة بادجر المؤرخة ١٨٦٣/١٢/٢٣ بعنوان علاقات فارس السياسية بمسقط ان كل جهود السير جيمس اوترام للحصول على نسخة من المعاهدة لم تكلل بالنجاح ، وأن جونز اما انه لم يكن يريد اوانه لم يستطع مساعدته فى الحصول عليها .

- (٢) مجموعة التقارير السياسية لبومباى مجلد ٤٩ تقرير رقم ٥٠ المؤرخ ١٨٦٤/١٢/٢٤ محضر من اعداد فرير ١٨٦٤/٣/٢٠ .
- (٣) نفس المصدر محضر من اعداد انفراتى ١٨٦٤/٣/١٤ .

بالبحرية وهو فى سن الرابعة عشرة وهو فى الخمسين من عمره ، وأمضى كل هذه الفترة من حياته فى مهام شاقة وخطيرة فى البحر الأحمر والخليج الفارسى ، وأفريقيا الشرقية ومضيق ملقا وفى العراق ، وقد ظهرت كفاءاته فى أزمة ١٨٣٣ - ١٨٣٩ فى الخليج وفى الحرب الفارسية ، كما أشاد به الحاكم العام السابق للورد كاننج على ما بذله من جهود ، غير ان فرير لم يكتثر بتلك الأقوال . وقد اتخذ زميلاه فى المجلس وهما أخوه دبلو - ايه - فرير ، وقائد عام جيش بومباى نفس الموقف من أقوال انفراى ، غير أن فرير أبدى اسفه لتعذر تطبيق قانون ال ٣٥ عاما على السياسيين ، وابدى استعداده نظرا لما تكبده جونز من متاعب بسبب عدم إبلاغه بعدم الموافقة على عدم عودته الى بوشهر قبل عام واحد من اخاذ هذا القرار ، لمنحه علاوة خاصة توازى الفترة الفاصلة بين السن القانونى للتقاعد ، وكامل مرتبه كمقيم بريطانى فى الخليج عن فترة الشهور الثلاثة بين ديسمبر عام ١٨٦٣ وهو تاريخ انتهاء اجازته ومارس ١٨٦٤ وهو تاريخ الاستغناء عنه .

وعلى الرغم من الطلب الذى تقدم به جونز الى حاكم بومباى بالسماح له بالدفاع عن نفسه الا أن جونز لم يعد فى حالة معنوية تسمح به بذلك ، فقد ظل عاما بطوله يتسكع فى بومباى بانتظار البت فى مصيره، وقد ساءت حالته المالية وأصبح يعتمد على صدقات اخوانه للانفاق على نفسه وأسرته ، وعندما رفض فرير طلبه فقد جونز كل أمل فى العودة الى منصبه . غير أن انفراى لم يكن يقبل أن ينفذ فرير ارادته دون التصدى له ، ولذلك فقد عاد فقدم احتجاجا على قرار فصل جونز من منصبه دون ان تتاح له الفرصة للدفاع عن نفسه ، لكن فرير رفض هذا الاحتجاج بشدة وقال : -

« اننى لا أرى ان أية محاولة من قبل جونز لتبرير سلوكه تجعلنا نقتنع بأن سجله فى السنوات الأخيرة من عمله فى الخليج ليس أكثر من اقحام نفسه فى مسائل تافهة ومشاغبات تسيء الى سمعته والى الدولة التى يمثلها بينما لم نر له أى نشاط فى القضايا الهامة ذات المصلحة المباشرة للحكومة البريطانية ، ولم نتلق منه أى معلومات أو تقارير عن هذه القضايا ، وذلك على عكس ما كان يبيده من نشاط فى السابق للحصول على المعلومات اللازمة وموافاتها بها ، ولا يوجد مبرر لازالة المارة التى نشعر بها من تقاريره الأخيرة وهى التقارير التى تعبر عن نوع الشخصية التى أصبحت تمثل الحكومة البريطانية فى الخليج .

أما وزير الدولة السير شارلس وود ، فقد أعرب عن اسفه لكل ما كان يجرى بالنسبة لقضية جونز ، غير أنه قد وافق على أن قرار فصل جونز كان قرارا حكيما ، اما عن الاتهامات التى وجهت الى كل من بيلى وكولوفيل فلم يعلق وزير الدولة بشئ عليها ، كما لم يعلق على الأسباب التى اعتمد عليها فرير فى قرار ابعاده لجونز ، ولكنه علق على الأسلوب الذى تم به الاستغناء عن خدمات جونز ، فهو أولا لم يكن يوافق على أن لالغاء الأسطول الهندى اية علاقة بوضع جونز كمقيم بريطانى فى الخليج ، وأن تصرف فرير فى عدم ابلاغ جونز مسبقا بقرار ابعاده لم يكن تصرفا حكيما ، وثانيا أنه يرى ان التعويض الذى قرر لجونز لم يكن تعويضا بالقدر الكافى ، وأنه يفضل ان يعرض جونز بضعف هذا المبلغ ، على أن يصرف له من خزانة مكتب الهند .

ومما يدعو الى الأسف أن وزير الدولة لم يأمر باجراء تحقيق فيما نسب الى جونز من اهمال فى أداء عمله ، صحيح أن صحيفة جونز لم تكن بيضاء فقد كان أداءه ضعيفا فى ادراك ما يجرى من أحداث واتخاذ

المواقف بشأنها ، كما كان قصير النظر فى تعامله مع شيوخ الخليج ورغم ذلك فان الأسباب التى اعتمد عليها فرير فى اعتبار عدم صلاحيته لشغل المنصب الذى أسند اليه لم تكن أسبابا تقرر فصله ، ولا يمكن ان نلوم جونز على مشاغباته مع الفرس لأن هذا وضع لم يسلم منه أى مقيم بريطانى ، فقد كانت هذه المشاكل تفرض عليهم فرضا وبالأخص كلما تأزمت العلاقات بين بريطانيا وفارس ، وعندما كان رجال السلطة فى فارس يجدون فى التشهير بالمقيم عملا سهلا . أما صمويل هانيل الذى لم يكن يفضل ارهاق رؤسائه بمشاكله الشخصية فكانت له مع الفرس مشاكل تفوق كثيرا عن المشاكل التى تعرض لها جونز فى علاقته بهم . وبالإضافة الى ذلك فقد كانت الفترة التى تولى جونز منصبه فترة صعبة ، اذ كان لايزال الفرس يعانون من الهزيمة التى لحقت بهم فى حرب عام ١٨٥٦ - ١٨٥٧ ، وكان سلطان مراد ميرزا أكثر الحكام الفرس كرها للانجليز يحكم شيراز ، واذا كان حاكم بومباى يشك فى هذا الأمر ، فقد كان فى امكانه ازالة هذا الشك بالرجوع الى تقارير أحد مساعديه ، وهو الماجور تايلور عن الفظائع التى اتركبها الامير خلال انسحابه من خراسان سنة ١٨٥٧ فقد رأى جونز فى قرار حكومة فارس فى عام ١٨٥٩ باحالة المراسلات مع شيراز عن طريق وكيل وزارة الخارجية الفارسية المقيم فى بوشهر اهانة متعمدة ومقصودة ، وجزءا من حملة مدبرة باثارة المتاعب فى وجهه ولعله كان مخطئا فى تصوره هذا ، غير أن تاريخ الخمسين عاما الماضية ورأى المقيمين البريطانيين الذين سبقوه فى شغل هذا المنصب ، كلها

تؤكد أنه كان على صواب (١) ذلك أن قرار هدم المنزل الريفي الخاص بطبيب المثلثة في شهر يناير سنة ١٨٦٢ ، لا يترك أى مجال للشك فى سوء نية الفرس ، مما حمل وزير الخارجية البريطانية وقتئذ وهو اللورد راسل الى توجيه احتجاج عنيف الى طهران .

فى السنوات الاخيرة من عمل جونز فى بوشهر ، لم تتأثر نوعية التقارير التى كان يوافى بها حكومته ، أما اذا كانت تلك التقارير قد قلت من حيث كميتها ، فانما ذلك يعود الى التعليمات التى تلقاها من بومباى بمحاولة اختصار تقاريره (٢) وربما كانت انتقادات بادجر لجونز تقوم على هذا الأساس ولكن ليس الى الحد الذى تصوره فرير ، كما أن فرض بعض الفرامات على الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة ورأس الخيمة واستخدام الاسطول لارغام رعايا هذا الشيخ فى شبه جزيرة مسندم بدفع تعويضات كانت اجراءات قاسية ، أو بالأحرى لم يكن لها مبرر على

(١) ان رولنسون الذى كان الوزير البريطانى المفوض فى طهران ذلك الوقت ، تصور أن جونز قد بالغ كثيرا فى التدابير الجديدة ، وان كان قد اعترف بأن وضع المقيم فى نوسر مختلف كثيرا عن وضع القناصل البريطانيين فى تبريرورثست (انظر فارس والخليج) مجلد ١١٤ من رولنسون الى وود ١٨٦٠/١/٢ (رقم ١) .

(٢) الاجراءات السياسية لبومباى حلقة ٣٩٧ مجلد ١٧ مجموعة ١٢ بتاريخ ١٨٦٠/٩/٢٢ ، ١٨٦٠/٩/١٩ من جونز الى اندرسون ١٨٦٠/٦/٢٩ (١١٤ الادارة السياسية) وقرار مجلس الادارة .

الاطلاق (١) ومن ناحية أخرى اعترف بادجر فى معرض انتقاده لجونز بأن قبائل ساحل الهدنة ما زالت متمسكة بأعمال القرصنة والحروب البحرية، وبالتالي فقد كان الأمر يتطلب اتخاذ إجراءات صارمة لوضع حد لهذه المخالفات . وفى شهر نوفمبر عام ١٨٥٥ ، عندما جنحت إحدى السفن التابعة لبومباى الى الشاطئ واعتدى عليها السكان العرب ، ونهبوا محتوياتها وضربوا قبطانها وبحارتها ومزقوا العلم البريطانى ، احتج جونز على هذا العمل ، غير أن الشيخ سلطان بن صقر ، رد عليه بأن العملية لم تكن قرصنة لأن السفينة لم تكن فى البحر وإنما كانت على الشاطئ ، وأن الذين قاموا بنهبها هم مجموعة من البدو غير الخاضعين لسلطته ، غير أن جونز رفض هذه المبررات ، والزم الشيخ بدفع تعويضات لأصحاب السفينة .

أما الغرامة التى فرضت على شيخ دىبى واعترض عليها بادجر فكانت تتعلق بجريمة تعتبر من أفظع الجرائم التى ارتكبت فى الخليج . فكان هناك ثلاثة أشخاص مسافرين من نجد الى لنجه عن طريق الخليج فى أواخر عام ١٨٥٩ ، واستقلوا سفينة شراعية تابعة لساحل الهدنة ، واثناء الليل اعتدى على الثلاثة وسرقت ممتلكاتهم ، ثم القى بهم فى البحر ، وقد بقى واحد من الثلاثة على قيد الحياة وانتشلته سفينة من صور ، وهو الذى قام بإبلاغ جونز بهذا الحادث ، وقد امر المقيم بخروج أحد الطرادات لتعقب الجنساء ، وتبين انهم نزلوا فى دىبى ، فطلب من شيخ دىبى إعادة المسروقات ودفع دية عن القتلى ، الى جانب دفع تعويضات للشخص

(١) ملخص المراسلات لخاصة بزعماء الهدنة ١٨٥٤ - ١٩٠٥

الثالث الذى نجا وتدمير السفينة التى ارتكبت الحادث ، كما أمر جونز بدفع غرامة مقدارها ١٠٠٠ ريال ، يقوم بدفعها شيخ ديبى على أن ترد اليه بعد أن ينفذ حكم الاعدام فى القتل ، غير أن المقيم عاد فسحب هذا الشرط بعد أن تنازل ورثة القتيل عن الحكم . وقد تمكن احد الجناة من الوصول الى حضب فى شبه جزيرة مسندم وهى مسقط رأسه ، غير أن شيخ المنطقة قام بتسليمه الى جونز دون قيد أو شرط ، وقد تكرر مثل هذا الحادث مرتين أو ثلاث مرات فى تاريخ العلاقات بين بريطانيا وساحل الهندنة . الامر الذى يدل على أن اهل تلك المنطقة يستنكرون مثل هذه الأعمال . وقد قام جونز بإرسال القاتل الى مسقط ، نظرا لأن حضب جزء من سلطنة مسقط ، وهناك وضعه السيد ثوينى على فوهة احد المدافع ، واطلق المدفع عليه ، وقد ايد الفنستون حاكم بومباى وقتئذ ، اجراءات جونز هذه ، كما وافق عليها أيضا وزير الدولة (١) .

وهناك مشكلة بندر عباس التى يمكن أن يعتبر جونز مسئولا عنها الى حد ما ، ومع ذلك فقد كان كل من فريير وبادجر على خطأ فى اعتقادهم ، لان جونز هو الذى قام بمنع شيخ أبو ظبى من تقديم المساعدة الى السيد ثوينى . والواقع أن كامبل هو الذى اعترض أسطول بنى ياس ومنعه من مهاجمة بندر عباس وهو اجراء أيدته حكومة بومباى ، وكان جونز فى تطبيقه لقرار الحظر الصادر فى عام ١٨٥٥ ، انما يقتدى فى ذلك بكامبل ،

(١) الاجراءات السياسية لبومباى حلقة ٣٩٧ مجموعة ١٧ بتاريخ ١٨٦٠/١٠/١ من جونز الى اندرسون ١٨٦٠/٥/٢٢ (رقم ٨ الادارة السياسية) وملخص المراسلات الخاصة بشيوخ ساحل الهندنة ص ٢٧ - ٢٨ .

وكان له من الأسباب ما يبرره ، ويبدو أن كلا من بادجر وقرير قد نسي أن سبب انفجار أعمال القرصنة فى الخليج فى عام ١٨٣٤ هو اشتراك أسطول بنى ياس فى تلك الأعمال ، كما أن المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط قد تلقى توبيخا من حكومته فى ديسمبر عام ١٨٦١ ، ثم أبعده عن منصبه ، وذلك بسبب تحريضه لشيخ أبو ظبى على ارسال رجاله لمساعدة السيد ثوينى فى قمع الثورة التى نشبت ضده فى الباطنة ، وبالإضافة الى ذلك تعرضت أبو ظبى نفسها لاضطرابات داخلية عنيفة عام ١٨٥٥ ادت الى انتشار موجة من الذعر بين بنى ياس ، وقد خلع سعيد بن طحنون الحاكم من جانب أسرة آل بوفلاح وتولى المشيخة ابن عمه زايد بن خليفة نجل خليفة بن شخبوط الذى سبق أن اطاح به السيد سعيد عام ١٨٤٥ ، وقد استعان السيد سعيد بخصمه القديم الشيخ سلطان بن صقر ، وبمساعده تمكن من مهاجمة أبو ظبى فى يوليو عام ١٨٥٦ ، وقد قام بهذا الهجوم وبتدمير سوق البلدة وجزء من القلعة ، غير أن زايد بن خليفة الذى كان وقتئذ فى الظفرة عاد بسرعة الى البلاد ومنع سلطان بن صقر من الاستيلاء على أبو ظبى ، وقد ساعده فى ذلك حلفاؤه من البدو ، وفى هذه المعارك قتل سعيد بن طحنون ، ولو أن هذا الهجوم كان قد وقع قبل هذا التاريخ بستة أو تسعة اشهر ولو ان اغلبية رجال بنى ياس كانوا فى الخارج عند السيد ثوينى لمساعدوه فى فرض الحصار على بندر عباس لتغيرت الأمور، ولربما أدى ذلك الى اشتعال المنطقة كلها بالاضطرابات والحروب القبلية . وتنفيذا لتعليمات تلقاها جونز من حكومة بومباى قام بفرض غرامات باهظة على الشيخ سلطان بن صقر عقابا له على انتهاكه نظام الهدنة ، وكانت هذه الغرامات هى التى اتخذ منها بادجر مبررا لتوجيه النقد الى جونز (١) ،

(١) ملخص للمراسلات الخاصة بزعماء ساحل الهدنة ص ١٧ - ١٨ .

كما ان اتهام بادجر لجونز بأنه فشل في اخطار حكومته بنصوص المعاهدة التي وقعتها مسقط وفارس عام ١٨٥٦ وأن الحكومة لم تعلم عنها شيئاً الا من رسالة بادجر ، فهذا قول لا يقوم على أى أساس ، فقد كان جونز بالأحرى يوافقى حكومته بانتظام بتطور المفاوضات فيما بين عامى ١٨٥٥ - ١٨٥٦ كما بعث لها بملخص بنصوص المعاهدة (١) . صحيح ان جونز لم يتمكن من الحصول على نسخة كاملة من المعاهدة ، الا انه بالتأكد قد بعث بخطاب تلقاه من السيد ثوينى الى السير جيمس اوترام ، وذلك فى مايو سنة ١٨٥٧ ، وكان الخطاب يتضمن نصوص المعاهدة ، وتولى اوترام ارساله الى وزارة الخارجية البريطانية (٢) فاذا كانت نصوص هذه المعاهدة ليست فى صالح مسقط فان الذنب لم يكن ذنب جونز ، أو أنه يعتبر منحازا مع الفرس ضد مسقط ، ولو كانت حكومة بومباى ترغب حق فى مساعدة السيد سعيد فى مشكلة بندر عباس لكان فى استطاعتها أن توعز الى جونز بهذا المعنى ، غير أنها لم تفعل ، وبالتالي فلم يكن فى

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١٢٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٤١ المؤرخ ١٠/٦/١٨٥٦ من جونز الى اندرسون ٢٧/٨/١٨٥٦
١٩/١١/١٨٥٥ (رقم ٤٤ الادارة السياسية) مجلد ١٣٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٤١ المؤرخ ١٠/٦/١٨٥٦ من جونز الى اندرسون ٢٧/٨/١٨٥٦
(رقم ٧ الادارة السرية) ومجلد ١٢٦ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٦ المؤرخ ١٢/١/١٨٥٦ (رقم ١٧ الادارة السرية) .

(٢) انظر فارس والخليج مجلد ١١٢ من اوترام الى كلارندون بغداد ٤/٦/١٨٥٧ ومرفق صورة من خطاب جونز الى اوترام ١٤/٥/١٨٥٧
(رقم ٣٥ الادارة السرية) ومن السيد ثوينى الى جونز ٢٥/٤/١٨٥٧ .

وسع جونز أن يظهر تأييده الى السيد سعيد بصفته الخاصة ، كما أن السيد سعيد لم يكن يرغب في الوساطة البريطانية . واذا كانت نتائج مشكلة بندر عباس قد جاءت مخيبة للآمال فلم يكن ذنب جونز اطلاقا ، واكن من المؤكد أن جونز كان متساهلا بالنسبة لموقف حكومته في هذه المشكلة ، ولكنه تساهل لا يصل في حجمه الى مستوى تساهل بيلي في مشكلة البحرين عام ١٨٦٠ ، ورغم هذا فان بيلي لم يتعرض لاي توبيخ على الاجراءات الحمقاء التي قام بها ، وانما على العكس من ذلك فقد عين في منصب جونز بعد مضي ثلاثة أعوام .

ومن المحتمل ان ابعاد جونز من منصبه كمقيم بريطاني قد تم في فترة كان لا بد منها ، فقد كان قد أمضى فترة طويلة في خدمة المنطقة ، كما كان يفتقر أيضا الى بعض الميزات التي لا بد ان تكون متوفرة في منصب المقيم ، وبالأخص في تلك الفترة التي كانت تشهد تغيرات هامة في منطقة الخليج . وربما كان التوافق في كونه من ضباط البحرية ، وخروجه في اجازة طويلة عند اتخاذ قرار الغاء الأسطول الهندي ، قد هيا الفرصة لانهاء خدمته ، الا أنه لم يكن من الانصاف أن يتم هذا الاجراء بالطريقة التي عرضناها ، وأن يتعرض للاهانات سواء في سلوكه او كفاءته بالشكل الذي استخدمه فريز ضده ، ولعله مما يثير السخط أن يكون أهم جانب في مشكلة جونز والتي سردناها آنفا ، أنها تعكس ميل فريز الى التلاعب بحقائق هذه المشكلة بطريقة تخدم اغراضه وهي استبدال جونز بمرشحه بيلي (١) .

(١) أما عن محاولات فريز الحصول على وظيفة مناسبة لبيلي في نيماين ١٨٦٠ - ١٨٦٢ (انظر حياة ورسائل السير مارتل فريز) مجلدان طبعة لندن ١٨٩٥ تأليف مارتينو ص ٤٨٤ - ٤٨٥ وص ٥٠٢ - ٥٠٥ .

وكان فرير يهدف بذلك الى التأثير فى سير الامور داخل منطقة الخليج ، خلال السنوات العشر التالية ، وبالاخص فى الاتجاهات التى سوف تسير عليها السياسة البريطانية هناك ، وخلال وجود فرير فى بومباى ، لم يكن يسمح اطلاقا لاحد بالانتقاص من أهمية بيلى ، وحتى بعد تعيين فرير فى مجلس الهند ، فقد استمر يدافع عن صنيعته بيلى ، ويؤيد كل موافقه ، وأيا كانت التقارير التى يبعث بها بيلى وتوصياته مضللة وحافلة بالاطغاء فان فرير لم يكن يتردد فى تأييده ، ومنع توجيه الانتقاد اليه ، وفوق كل ذلك كان فرير يحاول اقناع غيره من رجال المسئولية بالتساهل تجاه بيلى ، والتجاوز عن اخطائه ، كما أن بيلى هو الآخر استغل تأييد فرير له ، حتى انه كان يرفض أى انتقاد يوجه اليه فى مركزه الشخصى أو الرسمى ، وكان يشترك مع فرير فى نقطة ضعف واحدة ، الا وهى تغليب علاقته الشخصية على قراراته السياسية فى تعامله مع كل من زملائه ومرءوسيه . وقد اتسمت فترة توليه المثلية فى الخليج بصراعات تافهة مع غيره من زملائه ، كما اتسمت باجراءات سياسية حمقاء أدت الى توريط حكومته فى مشاكل شبه الجزيرة العربية ، وكان لها من النتائج ما لاتزال آثاره باقية حتى اليوم .

الفصل الثالث عشر

الحملة على تجارة الرقيق

١٨٤٢ - ١٨٧٣

لم تكن دهشة السيد سعيد وقلقه من قرار الحكومة البريطانية بوضع حد لتجارة الرقيق ، عندما أبلغه به هامرتون فى يناير ١٨٤٢ على غير أساس ، وكان السيد سعيد قد علم بهذا القرار منذ بداية عام ١٨٢٦ ، ثم مرة أخرى فى عام ١٨٣٩ ، وبالنسبة للمرة السابقة كان علم السيد سعيد بهذا القرار يرتبط باجراءات الكابتن أوين فى ممباسا ، ولكن السيد سعيد فى ذلك الوقت لم يرفض الفكرة اطلاقا ، وانما حدد شروطا لوقف تجارة الرقيق ، ولن نستطيع القول أن السيد سعيد كان جادا فى موقفه هذا ، لأنه لم يكن قد تم اختباره بعد ، حتى يمكن أن ترفض الحكومة البريطانية شروطه وفى مايو عام ١٨٣٩ عاد الكابتن كوجان فأثار هذا الموضوع مع السيد سعيد خلال المفاوضات التى أجراها معه لعقد الاتفاقية التجارية التى تم التوقيع عليها فى ذلك الشهر . وعندما سأله كوجان عن شروطه لوقف هذه التجارة ، وهل كان يكفيه ضم البحرين اليه ، كما سبق أن أبدى رغبته ، لم يتحمس السيد سعيد للفكرة ، وانما رفض ضم البحرين اليه دون تعهد من الحكومة البريطانية لحمايته ، ولو ضمت البحرين اليه على أساس مساندة الحكومة البريطانية له ضد الدول الاسلامية الأخرى ، فإنه قد يوافق على منع بيع العبيد فى المنطقة الواقعة غرب منطقة بركا

على ساحل الباطنة ، ومناطق الخليج الأعلى (١) وعندما سأله كوجان عن مقدار التعويض المالى الذى يكفيه لوقف هذه التجارة ، ووقف تصدير العبيد من مستعمراته فى افريقيا أجاب السيد سعيد بأن حجم الخسارة التى سوف يتكبدها من هذا القرار سوف لا تقل عن مائة ألف ريال لمسوى سنويا ، وأكد السيد سعيد بأنه حتى لو تم هذا المنع فإنه سوف يضطر على أية حال الى الاستمرار فى استيراد العبيد من داخلية افريقيا الى زنجبار (٢) .

لم يتمخض أى شىء عن هذه المحادثات الا ان المحاولات التى تمت لاقتناع السيد سعيد لوقف تدفق العبيد من زنجبار الى الشمال فى مقابل ضم البحرين اليه ، قد أثيرت من جديد فى عام ١٨٤٠ كنتيجة لتواطؤ السيد سعيد مع محمد على باشا ، وكان الرأى السائد فى الأوساط الحاكمة فى كل من إنجلترا والهند أن بريطانيا لن تضار ، اذا ما تنازلت عن البحرين للسيد سعيد ، غير أن السير كارناك حاكم بومباى عارض بشدة، المنازل عن البحرين للسيد سعيد كتعويض له عن حظر تجارة الرقيق ، وكتب فى هذا الصدد يقول : ان تصورى هو أن السيد سعيد مدين فى وجوده السياسى للحكومة البريطانية ، وأنه من الأفضل فى رأى ان يدفع تعويض للسيد سعيد يعادل دخله السنوى من تجارة الرقيق بدلا من ضم

(١) ملفات وزارة الخارجية - تقرير كوجان ١٨٣٩/٦/٧ ومرفق به

صورة منه من خطاب هامرتون الى اللجنة السرية ١٨٤٢/٢/٩ .

(٢) نفس المصدر .

البحرين اليه ، وبالتالي تعريض المنطقة الى خطر نشوب الحرب « (١) .

وقد ظهر فتور موقف حاكم بومباى من السيد سعيد كرد فعل لموقفه خلال الازمة المصرية ، وبان أثره فى الشهور التالية ، وقد كان السيد سعيد يعتقد بأنه من الأفضل أن تكون اتصالاته بالحكومة البريطانية بصفة مباشرة ، فيما يتعلق بتجارة الرقيق ، وبالتالي فقد أخذ اعتبارا من عام ١٨٤٢ يتجاهل وجود السلطات البريطانية فى الهند ، ويحاول الاتصال مباشرة بالحكومة البريطانية فى لندن وكانت أول خطوة فى هذه السياسة ، هى ما حدث اثناء محادثاته مع هامرتون فى يناير عام ١٨٤٢ ، حول خطاب اللورد ليفسن المؤرخ ١٨٤١/٦/٨ ، عندما صرح بأنه غير مصدق بأن الخطاب المذكور قد جاء من إنجلترا ، وأنه لم يكن يتصور أن الحكومة البريطانية سوف تبعث اليه بخطاب حاد اللهجة كذلك الخطاب ، وتصور بأن الخطاب ربما جاءه من حاكم بومباى ، أو الحاكم العام لهند الذين قال عنهما ، بأنهما موظفان تابعان للحكومة فى لندن ، أو مجرد موظفين فى شركة من الشركات التجارية . وعلى أية حال فقد كان هامرتون يعلم الجهة التى استقى منها معلوماته هذه . فقد دأب القنصل الأمريكى فى زنجبار ار . بى . وترز على خلق المتاعب فى وجه هامرتون منذ وصوله زنجبار ، وكان يرى فى شخص المعتمد السياسى البريطانى هناك منافسا خطيرا ، لا على النفوذ فحسب ، بل على المصالح التجارية للولايات المتحدة فى افريقيا الشرقية ، وهى مصالح لا تنحصر فقط فى بيع نسيج الدمور الأمريكى فى افريقيا فحسب ، وإنما فى تصدير العبيد الى الولايات المتحدة أيضا ، وخلال عام ١٨٤١ ملأ هذا القنصل عقل

(١) ملفات وزارة الخارجية محضر من اعداد كارناك ١٨٤٠/١٤/٧ .

السيد سعيد بحكايات ومعلومات كثيرة عن شركة الهند الشرقية ، وعلاقتها بالحكومة الأمريكية ، وقد استمد القنصل الأمريكي هذه المعلومات من جهله بحقيقة العلاقة بين هذه الشركة والحكومة البريطانية ، أكثر مما استمدها من كراهيته لهامرتون ، وكانت النتيجة المنطقية لهذا الوضع أن السيد سعيد اخذ يعامل هامرتون بشيء من الترفع اذا لم نقل بشيء من الاحتقار ، وقد ازداد هذا الشعور عمقا في أعقاب الكارثة العسكرية الساحقة التي حلت بالجيش البريطاني في أفغانستان (١) .

وعندما استطاع هامرتون في النهاية اقناع السيد سعيد بأن الخطاب قد جاء فعلا من إنجلترا ذكر ، بأنه أيا ما كان الوضع ، فإنه يرفض مضمون الخطاب ، وأنه سوف يوفد مبعوثا خاصا لاجراء اتصال مباشر مع الحكومة البريطانية (٢) . واختار السيد سعيد لهذه المهمة مستشاره الكفاء الشيخ على بن ناصر الذي أبحر الى إنجلترا في اواخر عام ١٨٤٢ ، مزودا

(١) ذكر هامرتون في تقريره أن القنصل الأمريكي قد عاد مؤخرا من بمباي في ٧ ديسمبر الماضي وفي حقيبته كثير من الاخبار فيها أن شركة الهند الشرقية قد انهارت ، وأن العقد لن يحدد مرة اخرى ، وأن حاكم ولاية ستارا قد حقق نصرا ساحقا على الشركة ، وأن الامام اصبح خاضعا لسultan حكومة بمباي . . واننا قد فشلنا تماما في أفغانستان والصين (مراسلات الخارجية من هامرتون الى اللجنة السرية ١٨٤٢/٢/٩ راجع أيضا « افريقيا الشرقية وغزاتها » كوبلاند ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٢) مراسلات الخارجية من هامرتون الى ويلوبى ١٨٤٢/١/٥ (رقم ٢ الادارة السرية) .

بخطابات الى كل من ملكة انجلترا وبالمستون وايردين الذى كان قد خلف بالمستون فى وزارة الخارجية ، وفى جميع هذه الرسائل أكد السيد سعيد للمسئولين البريطانيين بأن حظر تجارة الرقيق سوف يؤدي حتما الى انهيار الأوضاع فى كل من شطرى السلطنة فى عمان وزنجبار ، وأنه لن يتبقى لديه شيء من الدخل لمواجهة اعباء الحكم ، وفى رسالته الى الملكة ذكر بالحرف الواحد :

والذى (١) أراد توضيحه السيد سعيد ، انه اذا تمسكت بريطانيا بقرارها هذا فسوف تكون ملزمة بتعويضه عن الخسائر المالية التى سيتكبدها أو على الأقل بجزء منها ، كما ذكر بأن ضم البحرين اليه ربما كان تعويضا معقولا . وصل الشيخ على بن نصر فى شهر مايو الى انجلترا ، وبعد سلسلة من اللقاءات مع المسئولين ، تلقى رد أبردين فى شهر يوليو ، وفى هذا الرد قال وزير الخارجية بأن حكومته لا تفكر فى التراجع عن قرارها بحظر تجارة الرقيق فى كل من المنطقتين العربية والافريقية ، وأما عن الخسائر المالية التى أشار اليها السيد سعيد ، فقد اكتفى وزير الخارجية بالاعراب عن اسنغه الشديد ، ولكنه ذكر بأنه كان واقفا من انه يمكن تعويض هذه الخسارة عن طريق تنمية المصالح البريطانية ، وأن اقصى شيء يمكن أن تتعهد به الحكومة البريطانية ، هو البحث عن السبل لمساعدة السيد سعيد فى سد العجز المباشر ، الذى قد يترتب على حظر هذه التجارة ، كما طلب من مبعوث السيد سعيد أن يسأل سيده عن المبلغ الذى

(١) نفس المصدر من السيد سعيد الى ملكة انجلترا ١١/٢/١٨٤٢ .

يراه مناسباً لتعويضه عن هذه الخسارة ، وعن الفترة التي يتعين فيها
أن يستمر هذا الدعم ؛ ولم يرد في كلام وزير الخارجية أية إشارة إلى
البحرين .

وعلى الرغم من أن الشيخ علي بن ناصر قد استاء من رد وزير
الخارجية إلا أنه لم يستسلم ؛ فعاد . فأوضح لأبردين بأن موقف وزير
الخارجية يختلف عن موقف بالمرستون من هذه القضية ، وذلك على ضوء
خطاب لنسون المؤرخ في يونيو ١٨٤١ ، وهو الموقف الذي أثار انزعاج
السيد سعيد إلى حد كبير ، فقد كان بالمرستون قد اقترح في خطابه دفع
مبلغ ٢٠٠٠ جنيه استرليني تعويضا سنويا للسيد سعيد على مدار ثلاثة
اعوام . وبما أن أبردين الآن قد اقترح بأن يقوم السلطان بتحديد المبلغ
بنفسه . فإنه يبدو أكثر تفهماً للمشكلة ، مع ذلك فإن وزير الخارجية
لا يعنى تماما ما ينطوي عليه حظر تجارة الرقيق من أخطار ، فاقتراد
افريقيا الشرقية إنما يقوم عليه ، وأن حجم النشاط الذي يمكن أن يقوم
به مواطنو السلطان في كل من افريقيا وعمان في المعاملات التجارية
المشروعة ؛ إنما يتحدد أساسا في عمليات تصدير العبيد إلى الخارج ،
فاذا انقطعت هذه التجارة فسوف تنتهي زنجبار كمنطقة حرة لتوزيع
العبيد . نظرا لأن السفن التي تأتيها من الشمال كل عام سوف تتوقف ،
كما ستأثر واردات المنطقة من الهند وأوروبا ، وسوف لا تقل خسائر
السلطان في حالة حظره لهذه التجارة عن عشرة آلاف جنيه استرليني
سنويا (١) .

(١) مراسلات الخارجية من علي ابن ناصر إلى أبردين ١٨٤٢/١/٣ .

غير أن هذه الاعتبارات كلها قد فشلت فى اقتناع أبردين بموقف السيد سعيد ، وفى ٩ نوفمبر أبلغ مبعوث السلطان بانتهاج المحادثات ، وتم تسليمه رد ملكة إنجلترا ، ورد أبردين على رسائل السيد سعيد ، ولم تتضمن الردود أى شىء يبعث على الأمل فى نفس السيد سعيد ، وإنما على العكس من ذلك فقد طلب إليه صراحة أن يبحث عن كل وسيلة ممكنة لوضع حد لتجارة الرقيق (١) وأزاء هذا الوضع لم يكن هناك أمام السيد سعيد مجال للتملص ، وأصبح مصير تجارة الرقيق الأفريقية مصيرا محتوما ، والأمل الوحيد الذى بقى للسيد سعيد هو أن يحقق أبردين وعده بتعويضه عن الخسارة المالية التى ستنتج عن تحريم هذه التجارة ، والواقع أن وعد أبردين بالتعويض كان اقل عمل يقوم به وزير الخارجية بالنظر الى جسامه التضحية التى كان يطلبها من السيد سعيد ، لقد سبق للسلطان بالفعل أن قدم تنازلات عديدة للبريطانيين منها : (١) فقد أمر بحظر بيع الرقيق للأوربيين بمقتضى معاهدة مورسبى (٢) بموجب معاهدة ديسمبر سنة ١٨٣٩ أمر بحظر تصدير الرقيق الى الهند وتحريم تعامل رعاياه فى العبيد المستوردين من الصومال ، ولكن بريطانيا تطلب منه الآن ما لم تطلبه من أى حاكم مسلم من قبل ، وحتى لو فرضنا أن السيد سعيد قد وافق على طلبها هذا ، إلا أنه من المشكوك فيه أن يستطيع السيد سعيد إلغاء تجارة الرقيق فى أفريقيا الشرقية ، ومع ذلك فإذا لم يفعل فإن الحكومة البريطانية سوف تعتبره مسئولا عن استمرار هذه التجارة ، وبالتالي فلم يكن من الغريب ألا يرد السيد سعيد على سؤال أبردين حول تحديد التعويض المالى الذى يكفيه للتنازل عن ممارسته لهذه

(١) نفس المصدر من أبردين الى على بن ناصر ٩/١١/١٨٤٢ .

التجارة ، كما أن ابردين من جانبه قد اعاد التفكير فى هذا الطلب ، ولم يعد يضغط على السيد سعيد لتحديد موقفه .

لم يستأنف بحث هذه القضية قبل ابريل ١٨٤٤ وذلك خلال زيارة كوجان لمسقط ، وكان كوجان قد اعتزل الخدمة فى الأسطول الهندى ، وكان هدفه من زيارة زنجبار هو الحصول على تصريح من السيد سعيد لانشاء مزرعة لقصب السكر يعمل فيها العبيد الافريقيون (١) ، وخلال المحادثات تطرق الحديث حول مقترحات كوجان التى عرضها كوجان عام ١٨٤٢ ، وطلب منه نقل رسالة الى وزير الخارجية البريطانية ومفاتحته حول الشروط التى يتوقع أن يوافق السيد سعيد بموجبها على حظر تجارة الرقيق فى زنجبار ، أما الشروط التى عرضها السيد سعيد فقد كانت ثلاثة (١) ضم البحرين الى ممتلكاته بشرط أن تتعهد بريطانيا باستمرار حكم السيد سعيد على البحرين (وقال بأن هذا الشرط يعتبر بالنسبة اليه أفضل من التعويض المالى) (٢) الشرط الثانى ان لا يكون اى تدخل من الجانب البريطانى فى عمليات نقل العبيد من داخلية افريقيا الى زنجبار وذلك ضمن مساحة تحدها منطقة لاموه من الشمال وكلوة من الجنوب وتشمل زنجبار وبمبه ومافيا والشروط الثالث الا يعتبر السيد سعيد مسئولا عن أى انتهاك لقانون حظر تصدير العبيد اذا تم التصدير

(١) حول هذا راجع مراسلات وزارة الخارجية وعلى الأخص خطاب

هامرتون الى ابردين ١٣/٤/١٨٤٤ .

(٢) نفس المصدر من سعيد الى كوجان ١١/٤/١٨٤٤ .

دون طلمه (١) . بعد مضي ثلاثة أشهر وضع السيد سعيد شرطا آخر يمكن اعتباره الشرط الرابع ، وهو طلبه ان تضمن الحكومة البريطانية خلافة الحكم لكل من نجليه في مسقط وزنجبار (٢) .

لقد اعتبر ابردين هذه الشروط كمقدمة لموافقة السيد سعيد على حظر تجارة الرقيق في مستعمراته الافريقية ، ولم يبق امام الحكومة البريطانية الا الموافقة عليها . أما بالنسبة لموضوع البحرين فقد كان تحقيق هذا الشرط خارجا عن سلطة الحكومة البريطانية ، وبالأخص أن ابردين كان قد أوضح في لهجة عنيفة لحكومة فارس ان مطالبها بالسيادة على البحرين هي مطالب مرفوضة كما أن بريطانيا لا يمكن ان تتعهد للسيد سعيد بضمان خلافة الحكم لنجليه السيد ثويني والسيد خالد في كل من مسقط وزنجبار ، خاصة وأن الخلافة على الحكم في اسرة آل بوسعيد لم تكن تتم بصورة سليمة ، ولهذا فقد كان ابردين يعتقد عدم استطاعة بريطانيا الزج بنفسها في الصراعات التي قد تنشأ على الحكم بين الاجنحة المتنافسة من اسرة آل بوسعيد ، والا سيكون ذلك تصرفا سياسيا غير سليم (٣) كذلك فان الشرط الخاص بتقسيم

(١) نفس المصدر خطاب من سعيد الى ابردين ١٨٤٤/٤/٨ في نفس

المجلد .

(٢) ملفات الخارجية من سعيد الى ابردين ١٨٤٤/٧/٢٣ « وان املنا

ورجاءنا من الحكومة البريطانية ان تنظر بعين الرضا الى نجلينا السيد خالد والسيد ثويني » .

(٣) ملفات الخارجية من هامرتون الى ابردين ١٨٤٤/٧/٣١

(رقم ٢٣) .

السلطنة بين نجليه موضوع تحيطه الشكوك (١) أما الشرطان الأخيران فلم يكن يشكل قبولهما أى عقبة ، وفى شهر ديسمبر ١٨٤٤ أعد أبردين ، بالتشاور مع رجال مكتب الهند رده على السيد سعيد ، ومسودة لمعاهدة ، وطلب من هامرتون تقديمها للسلطان عند اجتماعه به فى مسقط . وقد أعرب أبردين فى خطابه عن اسفه لالحاح السيد سعيد على موضوع الخسارة التى قد يتعرض لها فيما لو طبق الحظر على تجارة الرقيق ، وما سوف يسفر عنه من انخفاض فى عمليات تصدير العبيد ، وأشار أبردين الى امكانية تعويض هذه الخسارة عن طريق ازدياد حجم المعاملات التجارية المشروعة . أما عن البحرين فقد اوضح وزير الخارجية فى خطابه بأنه لا يستطيع تحقيق رغبة السيد سعيد فى ضم البحرين اليه ، مقابل حظره لتجارة الرقيق ، كما أكد له عدم وجود أى معارضة على اعمال نقل البريد العادية ضمن مستعمراته الافريقية ، وفى مسودة المعاهدة بند تضمن بمقتضاه الزام الحكومة البريطانية باستمرار عمليات نقل البريد ، باعتبارها حقا من حقوق السيد سعيد ، لاتنازلا من الحكومة البريطانية له (٢) وتتضمن مسودة المعاهدة الى جانب الديباجة ثلاث بنود ، فى البند الأول يتعهد السلطان بحظر تصدير العبيد من مستعمراته الافريقية ، وبأن يلتزم المسئولون بتطبيق هذا الحظر ، أما البند الثانى فيلتزم السيد سعيد بوقف استيراد العبيد من أى جزء من افريقيا الشرقية الى مستعمرات السيد سعيد فى آسيا ، وبأن يستخدم السيد

(١) ملفات وزارة الخارجية من أبردين الى السيد سعيد

٠ ١٨٤٤/١٢/٢١

(٢) ملفات الخارجية من أبردين الى سعيد ١٨٤٤/١٢/٢١

سعيد نفوذه مع زملائه من حكام شبه الجزيرة أو الخليج باتخاذ نفس الاجراءات ، وبموجب البند الثالث يلتزم السيد سعيد بتفويض سفن الأسطول الملكي البريطانى لشركة الهند الشرقية باعتراض وحجز أى سفينة يثبت أنها تقوم بنقل العبيد خارج نطاق المستعمرات الافريقية . سواء كانت هذه السفن تابعة له أو لأحد رعاياه (١) .

ونظرا لما حدث من تأخير فى نقل رسالة أبردين الى السيد سعيد . فأنها لم تصل اليه قبل شهر أغسطس ١٨٤٥ ، وقد حدث عند وصول الخطاب أن كان هامرتون موجودا فى زنجبار ، للحصول على موافقة السيد سعيد على تعديل لاحدى فقرات معاهدة مورسبى لعام ١٨٢٢ ، وهو التعديل الذى اقترحه الماجور هانيل المقيم البريطانى فى الخليج بايعاز من حكومة بومباى ، وفى هذه الأثناء لاحظ كل من هانيل وهامرتون وجود بعض التجار الهنود يمارسون بيع وشراء الرقيق سواء عن طريق مباشر أو عن طريق تمويل مثل هذه التجارة دون تدخل من السلطات المحلية ، بالرغم من أن البند الرابع من معاهدة مورسبى يلزم السيد سعيد بتقديم مساعدته فى اعتقال الرعايا البريطانيين الذين يتاجرون فى الرقيق ، وقد لاحظ هانيل عند مراجعته للنص العربى للمعاهدة المذكورة أنها خالية من هذا الشرط ، وبناء على ذلك فقد أمر هامرتون بأن يطلب من السيد سعيد تعديل النص العربى بحيث يتلاءم مع النص الانجليزى (٢) غير أن السيد

(١) نفس المصدر من ابردين الى هامرتون ١٨٤٤/١٢/٢١ (رقم ٣) ومع صورة المعاهدة .

(٢) سجل الخطابات السياسية لبومباى مجلد ٣٠ من الخاكم الى مجلس الادارة ١٨٤٤/١٢/٣١ (رقم ١٠٠ الادارة السياسية) .

سعيد عرض تعهدا كتابيا دون ادخال التعديل على نصوص المعاهدة ،
وبأن يلزم خلقاه من بعده بالتمسك بهذا التعهد (١) . وقد تبين أن السيد
سعيد كان ساخطا على هذه المعاهدة ، ويعرب عن ندمه على ابرامها ،
خصوصا وأنها لا تنحصر فى حظر تجارة الرقيق مع جزيرة سيشل ، وإنما
تشمل أيضا مسقط والسواحل الشمالية للهند (٢) .

ولهذا فقد وجد هامرتون أن الظروف غير ملائمة لمفاتيحة السيد
سعيد فى هذا الموضوع عند تسليمه رسالة أبردين ، وقد وجد السيد
سعيد على استعداد لمناقشة نصوص المعاهدة وعقد مع هامرتون عدة
اجتماعات فى شهر سبتمبر لمراجعة بنودها ، وفى كل اجتماع من هذه
الاجتماعات كان السيد سعيد يركز على موضوع الخسائر التى سوف
يتكبدها من جراء هذا القرار ، وان كان لم يعترض على رفض أبردين ضم
البحرين اليه ، ولكنه أعرب عن اسفه لهذا الموقف ، وقال انه لابد من
حصوله على تعويضات كافية تغطى خسائره من الرسوم الجمركية ، ومن
دخله العام نتيجة للانخفاض الذى لابد أن يطرا على تجارة السلطنة فى
أعقاب حظر هذه التجارة الخارجية ، وحسب تقديره لهذه الخسائر
فانها لن تقل عن ٣٥ ألف الى اربعين الف ريال نمسوى كل عام ، اى ما يعادل
(٧ آلاف ، جنيه ٨ آلاف جنيه استرلينى) ، كما أوضح للمبعوث البريطانى
بانه لا يمكن تطبيق الحظر فوراً ، وأنه لابد من مضى بعض الوقت كى

(١) للاطلاع على تعهد الحظر انظر « المعاهدات » ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) الخطابات السياسية لبومباى مجلد ٣٣ من الحاكم العام الى
مجلس الادارة ١٨٤٦/١/٣٠ ، رقم ١٦ الادارة المياسية) .

يتسنى له اتخاذ التدابير اللازمة لبلاغ رعاياه بهذا القرار ، كما خصرص السيد سعيد على أن تتضمن المعاهدة شرطا ينص على اعفاء السفن التي تقل أحد أفراد عائلته من هذا القانون ، وكان يريد بذلك ان يجنب أفراد الاسرة التعرض للتفتيش أو المصادرة ، لما سوف ينجم عن ذلك من احراج لأفراد أسرته اذا وجدوا أنهم يقومون بنقل العبيد فى سفنهم ، وكان هناك بالإضافة الى ذلك ما يشغل بال السيد سعيد بالنسبة للحظر ، وذلك بالنسبة للسفن التي تأتي الى زنجبار من الشمال ، وبالأخص من البحر الأحمر ، وطلب الا يشملها هذا القانون ، والسبب ، كما اكتشف هامرتون فيما بعد ، هو احتمال وجود عبيد يعملون فى بلاط السلطان ، والذين يؤتى بهم من الحبشة ، وطالب بعدم التعرض لهذه السفن ، كما حذر من أنه لا يملك اى نفوذ على الحكام فى شبه الجزيرة ، وبالتالي فإنه لا يستطيع إقناعهم بالتخلي عن تجارة الرقيق (١) .

وبالرغم من تعهد هامرتون بنقل هذه التحفظات التي أبدها السيد سعيد الى ابردين الا أنه اوضح بأنه ليس لديه الصلاحيات التي تخوله اضافة مثل هذه الشروط الى المعاهدة ، وعندما سأل هامرتون السيد سعيد ، عما اذا كان مستعدا للتوقيع على المعاهدة بالصيغة التي وضعها ابردين ، ثم ترك المسألة للحكومة البريطانية لكي تقرر الطريقة التي تلبى بها رغباته ، وافق السيد سعيد على اقتراح هامرتون ، وأبلغه بأنه سوف يطلب من ابردين اعداد ملحق للمعاهدة يتضمن هذه الشروط الثلاثة . وهكذا فى يوم ٢ أكتوبر ١٨٤٥ وقع كل من السيد سعيد وهامرتون على

(١) ملفات وزارة الخارجية من هامرتون الى ابردين ١٨٤٥/١٠/٤ .
(رقم ٧) .

اتفاقية تقضى بحظر تجارة الرقيق الخارجية فى المناطق الخاضعة للسيد سعيد فى افريقيا الشرقية . وقد جاءت هذه المعاهدة على غرار ما اقترحه ابردين باستثناء المناطق الافريقية الخاضعة للسيد سعيد ، حيث تستمر هذه التجارة بموجب تلك المعاهدة ، كما نصت المعاهدة على أن يبدأ العمل بها اعتبارا من أول يناير ١٨٤٧ (١٥ محرم ١٨٦٣) وذلك لاعطاء الفرصة الكافية لاختار الاشخاص الذين يعينهم الأمر (١) وقد قام السيد سعيد باعداد مسودة خطاب بمساعدة هامرتون حدد فيها البنود الاضافية التى ذكرها لهامرتون وطلب اضافتها الى المعاهدة وهى (١) عدم تدخل الاسطول البريطانى فى تجارة الرقيق داخل المناطق الافريقية الخاضعة للسيد سعيد (٢) اعفاء السيد سعيد من المسئولية بالنسبة للعبيد الذين يتم تصديرهم عن طريق التهريب (٣) اعفاء السفن القادمة الى زنجبار من البحر الأحمر وشبه الجزيرة من التفتيش والمصادرة (٢) .

لم يبعث ابردين برده على مقترحات السيد سعيد الاخيرة ، ربما لأنه اعتقد بأن البنود الثلاثة لا تستدعى اضافتها الى المعاهدة ، أو ربما لأن الموضوع قد غاب عن باله ، ولكن الخطأ الأكبر الذى وقع فيه ابردين هو عدم ارسال رده الى السيد سعيد حول موضوع الخسائر ، ولم تبحث هذه المشكلة من جديد الا بعد أن حل بالمرستون محل ابردين فى

(١) انظر « المعاهدات » فصل ١١ .»

(٢) ملفات الخارجية من السيد سعيد الى ابردين ١٨٤٥/٩/٢٧ ونفس المصدر مجلد ٦٤٧ من هامرتون الى ابردين ١٨٤٥/١٠/٤ (رقم ٧) و ١٨٤٦/١/٢٤ ومرفق معه نسخة من المعاهدة . أما النسخ الاصلية فقد فقدت فى الطريق اثناء نقلها الى انجلترا .

وزارة الخارجية . وفى شهر أغسطس عام ١٨٤٦ قدمت ادارة شئون
تجارة العبيد بوزارة الخارجية مذكرة الى المرستون تطالبه باصدار قراراته
بالنسبة للشروط الثلاثة التى وضعها السيد سعيد ، وبخصوص
التعويضات ، وقد وجهت المذكرة نظر المرستون الى اقتراحه السابق
فى شهر يونيو ١٨٤١ بدفع الفين من الجنيهات الاسترلينية كل عام ولمدة
ثلاث سنوات للسيد سعيد تعويضا عن خسائره بالنسبة لحظر هذه
التجارة ، ثم فى الشهر التالى كتب هامرتون الى وزير الخارجية يقول ،
بان السيد سعيد قد أصبح يعانى كثيرا من موضوع حظر تجارة الرقيق ،
وأضاف بان السيد سعيد يستحق كل مساعدة يمكن ان يقدمها اليه شعب
حكومة بريطانيا (١) وقد رد المرستون على خطاب هامرتون برسالة مليئة
بالعبارات الطنانة جاء فيها :

« يتعين على الكابتن هامرتون بان ينتهز كل فرصة ممكنة لتحذير
هؤلاء العرب من أن الشعوب الأوربية قد عقدت العزم على وضع حد
لتجارة الرقيق الأفريقية ، وبأن العناية الإلهية قد اختارت بريطانيا العظمى
لتنفيذ هذه الإرادة ، كما ينبغى أن يوضح له بأنه سيكون من العبث ان
يحاولوا الخروج عما قدر فى الكتاب ، وأن يطأطئوا رءوسهم لدولة عظمى
كبريطانيا ، وبأن ينبذوا هذه المهنة التى قدر لها بالزوال ، وأن تشبثهم
بها انما سيزيد من المتاعب والخسائر لهم ، وبالتالي فمن الأفضل لهم أن

(١) ملفات الخارجية من هامرتون الى ابردين ١٨٤٦/٩/٢٨

يوجهوا جهودهم وطاقاتهم لتطوير أوطانهم وتنميتها بالأعمال التجارية المشروعة (١) .

من الواضح أن هذا البيان الملئ بالعبارات العنانية كان الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، وبعده لم يذكر بالمرستون شيئاً عن الموضوع ، الا أن السيد سعيد كان له رأى آخر فهو لم يكن يتصور ان الحكومة البريطانية لن تدفع له تعويضات مقابل تخليه عن تجارة الرقيق أو رفض شروطه الأخيرة ، وعلى أية حال فقد فرصت بالمرستون بأن الرجل لم يكن قد وصل الى قرار نهائى بعد فيما يتعلق بقيمة التعويض ، وبأنه قد يكون موافقا ضمنيا على الشروط التى اضافها السيد سعيد الى نصوص المعاهدة . وقد ظل السيد سعيد عاما كاملا فى انتظار رد بالمرستون وفى بداية عام ١٨٤٨ اعترف السيد سعيد لهامرتون بأنه لا يستطيع أن يتصور بأن وزير الخارجية البريطانية يعتمد عدم الرد على مطالبه ، واكد لهامرتون بأنه سوف يكون سعيدا لو قام هامرتون بتذكير بالمرستون بأن السيد سعيد لا يزال ينتظر ردا منه . وفى نهاية العام تسلم السيد سعيد رد بالمرستون . وقد ذكر فى رده بأنه لا يرى داعيا لادراج البنود الاضافية الى نصوص المعاهدة وأما بالنسبة للتعويض فقد ذكر بالمرستون بأن حكومة صاحبة الجلالة تأمل بان يؤدي حظر تجارة الرقيق الى ازدياد الأعمال التجارية المشروعة التى لا بد أن تتحقق فى اعقاب حظر تجارة الرقيق ، وان السيد سعيد سوف يحصل على تعويضات كبيرة عن الخسائر التى تكبدها من جراء هذا الوضع (٢) .

(١) مذكرة بالمرستون ١٨٤٦/١٢/٦ .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من بالمرستون الى هامرتون ١٨٤٨/٩/٣٠ (رقم ١) .

أما كيف وافق السيد سعيد على مضمون معاهدة ١٨٤٥ فان التنازلات
ذلك لاتزال غامضة ومجهولة ، ولعله كان يخشى أن يعود الوهابيون الى
الظهور مرة أخرى فى عمان ، وربما توقع ان يكسب تأييد بريطانيا له فى
حالة تأزم الموقف من جديد فوافق على منحها تلك التنازلات فيما يختص
بتجارة الرقيق ، غير أن السيد سعيد بهذا الاجراء انما كان يسيئهم
فى اضعاف مركزه وسلطته فى عمان ، فقد كان لابد أن تثور القبائل
العمانية عليه بسبب موافقته على القرار الخاص بحظر تجارة الرقيق .
والواقع أن التذمر ضد حكم السيد سعيد كان قد بدأ بالفعل فى شكل
التمرد الذى وقع فى عمان الذى كان يهدف الى بعث نظام الأمامة فى
البلاد ، كما كان الفرع الثانى من أسرة آل بوسعيد يتأهب بزعامة السيد
حمود بن عزان والى صحار لانتزاع السلطة من السيد سعيد وترشيح
نفسه لمنصب الامام فى عمان .

ومن ناحية أخرى ، فاننا اذا حكمنا على الأوضاع من خلال السنوات
الأخيرة فسوف نجد أن السيد سعيد قد ادار ظهره لحكمه فى عمان
بصورة نهائية ، وان محاولته لتعيين نجليه لخلافته على الحكم فى كل من
شمطرى السلطنة تعتبر دليلا على هذه الرغبة . وعلى الرغم من معارضة
هامرتون بشدة على تقسيم السلطنة ، بسبب ما يتمخض عنها من أضرار
جسيمة على عمان ، الا أن رؤساءه فى كل من الهند وانجلترا ، لم يكن
يعنيهم هذا الأمر ، وبالتالي فاتهم لم يقوموا بدراسة طلب السيد سعيد
بتقديم ضمانات له مقابل هذا الحظر . والاستنتاج الوحيد الذى يخرج
به المرء من مجمل تلك الأحداث هو أن السيد سعيد لم يجد مفرًا فى النهاية

من الاذعان لمطالب الحكومة البريطانية ، وقد فقدت مميزات القوة التي كان يتصف بها سابقا ، وجاء في تقرير لهامرتون بعث به في شهر يوليو : ١٨٤٤

« بان السلطان قد بلغ الخامسة والستين من عمره ، وانه في خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة قد انتابه تغير كبير وانهارت قواه ، ربما من كثرة تعاطيه للمنشاطات الجنسية التي كان يتناولها لاشباع رغباته الجنسية (١) وكان شغله الشاغل في الأعوام الأخيرة من حكمه هو كيف يحافظ على حياة الترف والرفاهية التي كان يعيشها في زنجبار ، ومن هنا لم تكن نهمة أمور الدولة على الرغم من خطورتها ، وكان يهرع من وقت الى آخر الى زنجبار ، وكان من نتيجة ذلك أن ركز السيد سعيد على جلب اعداد كبيرة من العبيد الاناث من الحبشة لكي تنضم الى حريمه مقابل وعود زائفة بدفع تعويضات اليه .

ولم يعرف الأثر الذي أحدثته توقيع معاهدة حظر تجارة الرقيق على تدفق العبيد من زنجبار الى الشمال ، وكانت هناك تكهنات كثيرة حول هذا الموضوع بين الفترة الواقعة لتوقيع المعاهدة وتطبيقها . أما هامرتون فلم يكن متفائلا على الاطلاق من أهمية المعاهدة منذ البداية ، خاصة وان مبدأ تطبيق نصوص هذه المعاهدة على السلطان وحده ، وكما أشار هامرتون عام ١٨٤٦ في سبتمبر ، لم تكن لدى السلطان أي سفن صالحة للعمل ، كما لم يكن لديه ضباط بحريون أو بحارة ، وكل ما كان لديه هو

(١) ملفات وزارة الخارجية من هامرتون الى ابردين ٣١/٨/١٨٤٤ (رقم ٣ الادارة السرية) وقد كان السيد سعيد في الرابعة والخمسين من عمره في ذلك الوقت .

خمسة سفن فارغة ، وحتى اذا افترضنا اذا كان لدى السلطان سفن للعمل ومجهزة بالمعدات اللازمة فانها لم تنفذ أوامره ، فقد كان من المحتمل أن يرشى رجال هذه السفن وقد يشتركون بأنفسهم فى تجارة الرقيق لحسابهم الخاص (١) كما أن معارضة اهل مسقط وزنجبار للمعاهدة مسألة لا تحتاج الى تأكيد ، وكان الخوف على عدم تطبيق المعاهدة متوقعا بصورة أكبر من جانب قبائل الساحل العماني او عرب الشمال ، كما كان يسميهم اهل زنجبار ، فقد نص البند الأول من المعاهدة بالتزام السيد سعيد باقناع أهالى الساحل بالتخلي عن ممارسة هذه التجارة ، وعلى الرغم من تأكيد السيد سعيد لبارستون بأنه لا يملك أى سلطة على سكان الساحل ، الا أن البارستون لم يكثرث لموقف السيد سعيد ، ولهذا فقد كان من المحتمل أن ينصب الغضب عليه لتورطه فى عقد معاهدة يعارضها أهل البلاد . أما موقف وزير الخارجية البريطانى فقد كان يختلف عن هذا ، فقد كان يعتقد بأن سكان المنطقة جميعهم لابد وأن يخضعوا للأمر الواقع ، بعد أن يتم حرمانهم من المورد الأساسى لتجارة الرقيق وهو زنجبار (٢) .

غير أن هانيل وهامرتون لم يكونا يشاطران وزير الخارجية هذا: الرأى وفى موسم تجارة الرقيق عام ١٨٤٥ ، ورد الى منطقة ساحل الهدنة ١٧٨٠ فردا من العبيد وكان قسم كبير منهم من مناطق أخرى

(١) نفس المصدر من هامرتون الى البارستون ١٨٤٦/٩/٢٨ .
(رقم ١٥) .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من ادنجتون ، وكيل وزارة الخارجية)
الى سكرتير مجلس الهند ١٨٤٦/٩/٣ .

وخاصة من بربرة وزيلع وتاجورا على ساحل البحر الأحمر (١) وكانا من رأيهما بأن الاكتفاء باخطار شيوخ الهدنة بحظر استيراد العبيد من زنجبار لن يؤدي الى وضع حد لهذه التجارة ، فقد سبق للسيد سعيد أن أصدر مثل هذا الحظر عام ١٨٤٦ ، غير ان نص ذلك المرسوم قد صيغ بحيث يوحى وكان البريطانيين هم الذين أرغموه على اصدار ذلك المرسوم ، وقد كان طبيعيا أن يفعل السيد سعيد ذلك ، وذلك حماية لنفسه ، ولكنه في نفس الوقت أكد رأى هامرتون بأن العبء الأكبر في تنفيذ هذا المرسوم كان سيقع على عاتق الحكومة البريطانية ، وبالتالي فقد كان من الأفضل كى يتم تطبيق المرسوم بصورة كاملة ، عقد اتفاقيات مماثلة مع شيوخ ساحل الهدنة يتعهدون فيها بالتخلي نهائيا عن تجارة الرقيق ، وكان هامرتون قد تقدم بهذا الاقتراح الى السلطات البريطانية في الهند فى صيف عام ١٨٤٦ ، ولكن اقتراحه يتضمن بعض التحفظات ، وكان الخطأ الذى يراه هامرتون فى هذا الاجراء هو احتمال أن يؤدي الى انتقال هذه التجارة الى الموانى الفارسية والتركية على الخليج ، وأنه فى حالة حدوث هذا ، فان قبائل ساحل الهدنة ، وخاصة القواسم سوف يضطرون الى نقل ملكية سفنهم ولو شكليا الى اقاربهم المقيمين على الساحل الفارسى حتى يضمنوا لانفسهم الاستمرار فى هذه التجارة .

وجاء فى مذكرة بعث بها هانييل فى مايو ١٨٤٦ الى رؤسائه فى الهند ، أن الوسيلة الفعالة لوضع حد لتجارة الرقيق هى ان تقوم الحكومتان التركية والفارسية باصدار مرسوم يحظر ممارسة هذه التجارة

(١) سجل الخطابات السياسية لحكومة بمباى مجلد ٣٢ من الحكايم الى مجلس الادارة ٢٧/١١/١٨٤٥ (رقم ١٣١ الادارة السياسية) .

فى المناطق الواقعة على الساحل الفارسى من الخليج وتفويض الحكومة البريطانية بالعمل على تطبيق هذا المرسوم ، ويقول هانيل بأنه ليس هناك أى فائدة من محاولة الحصول على تنازلات أخرى من زعماء السواحل العربية الذين لا ينبغي أن نتوقع منهم التخلي بسهولة عن مثل هذه المهنة المربحة (١) .

وقد تم الاتصال بالفعل بالباب العالى فى هذا الشأن وذلك منذ أواخر عام ١٨٤٨ لاستطلاع رأى السلطات هناك فيما اذا كانت على استعداد لاصدر مرسوم بحظر تجارة الرقيق داخل الامبراطورية العثمانية ، وكان بالمرستون يرى بأن أنسب فرصة لاجراءاتصال بالوالى محمد على باشا هو فى أعقاب الهزيمة العسكرية التى منيت بها قواته مما قد يسهل الحصول على مثل هذه التنازلات ، وبناء عليه فقد بعث السفير البريطانى فى القسطنطينية بالرسالة التالية الى محمد على باشا : « اننا نرجو من سموكم ابلاغ الحكومة التركية بأن تأييد بريطانيا للباب العالى هو أمر ذو أهمية بالغة ، غير أن الباب العالى لا يمكنه الحصول على هذا التأييد الا اذا استطاعت الحكومة العثمانية كسب رأى العام البريطانى الى جانبها ، ولما كان الشعب البريطانى فى مجموعه يرغب بالاجماع فى أن يرى نهاية لتجارة الرقيق باعتبارها مظهرا همجيا من مظاهر الحياة المدنية ، فليس ثمة خطوة أفضل لكسب هذا الرأى العام من موافقة الباب العالى

(١) ملفات وزارة الخارجية ، من هانيل الى ويلوبى ١٥/٥/١٨٤٦ وقد احيل الى الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٧/٨/١٨٤٦ وكذلك رسالة هانيل الى ويلوبى ٦/٧/١٨٤٦ نفس المجلد .

على اتخاذ بعض الاجراءات الكفيلة لوضع حد للرق فى المناطق الخاضعة لتركيا ، وعلى العكس من ذلك فان استمرار هذه التجارة داخل هذه المناطق سوف يؤدى الى اثاره الشعور فى بريطانيا ضد الحكومة التركية مما سيكون له أكبر الضرر على مصالح تركيا ورخاء شعبها .

وفى نهاية ديسمبر رد بنسومبى على رسالة بالمرستون بالخطاب التالى :

«لقد تناولت الموضوع مع الجهات المسئولة ولكنهم أصيبوا بدهشة بالغة ويتكلم من هذا الاقتراح الذى يعتبرونه محاولة للقضاء على احدى المؤسسات الاجتماعية المرتبطة ارتباطا وثيقا بصميم المجتمع وبشريعته وبعاداته ، كما أنه يعتبره من صلب المجتمع الاسلامى فى هذه البلاد بجميع طبقاته من القمة حتى القاعدة .

لقد مضى على السلاطين العثمانيين فترة طويلة من الزمن لا يتزوجون فيها نظرا لأن السلالة العثمانية أصبحت تنحدر من نسل العبيد ، وحيث أن هؤلاء الأولاد من تلك السلالة يعتبرون فى نظر المجتمع ابناء شرعيين فانهم بالتالى يتمتعون بنفس الحقوق التى يتمتع بها الاطفال الذين ينحدرون من سلالة الامهات الحرائر ، كما أن القواد العسكريين والجنرالات ومعظم وزراء الدولة هم فى الاصل من نسل الرقيق ، وفى معظم العائلات والاسر يحظى العبيد بقسط كبير من الثقة والنفوذ عند رب الأسرة.

ولو اننا عملنا بموجب رغبة معاليكم فان هذا يستوجب حصر نظام الخلافة ضمن الأسرة الحاكمة وحدها ، مما سيؤدى الى تغيير فى السياسة التى يسير عليها السلاطين العثمانيون والى تغيير النظام السياسى والمدنى فى هذه المجتمعات. تغييرا جذريا ، فضلا عن تغيير العادات

الاجتماعية لسكان هذه الاقطار ، ولو حدث هذا فانه سوف يؤدى الى عواقب وخيمة ، وقد يذهب الافراد الذين وضع هذا النظام لمصلحتهم ضحايا لهذا النظام .

انى اعتقد بأن أى محاولة لتنفيذ رغبة معاليكم لابد وان تمنى بالفشل واننى أخشى كثيرا اننا لو مضينا فيها قدما فانها سوف تؤدى الى نتائج غير محمودة ، صحيح أن الأتراك يعتبرون سادتهم فى مجال العلوم والفنون والأسلحة غير أنهم لا يتصورون اننا افضل منهم من الناحية الاخلاقية (١) .

(١) نفس المصدر من بومنسوينى الى بالمرستون ثرابيا ١٨٤٠/١٢/٢٧ (رقم ١) كان بالمرستون يتوقع مثل هذا الرد على أية حال فقد سبق أن عرضت عليه فى شهر أغسطس الماضى مسودة مذكرة الى بومنسوينى (رقم ٤) مؤرخة ١٨٣٠/٨/٢٢ نفس المصدر) والتى تحدثت بشيء من الاسهاب حول مساوىء تجارة الرقيق ، وأشارت الى بيان مؤتمر فينا عام ١٨١٥ الذى ندد بهذه التجارة وضرورة التخلّى عنها اذا كان السلطان يرغب فى نشر الرخاء فى امبراطوريته (واذا كان فعلا يرغب فى حماية حدوده ، الى الاحتفاظ بنفوذه ، فان افضل اجراء يتبعه لتحقيق هذه الرغبة هو السعى الى خلق جو من الصفاء والرغبة بين شعوب هذه المناطق للبقاء تحت حكمه) ولكن بالمرستون أدخل تغييرا على هذا التصور حيث علق على المذكرة قائلا : ان هذا كله هراء - لان الرق متأصل فى التركيب الاجتماعى للمسلمين ، لدرجة انه ليس فى وسع أى سفير مهما كان وقورا ان يعمل بموجب هذه المذكرة . واعله من الاسهل لو طلبنا الى اللورد بونسوينى بأن يطلب الى السلطات بأن يتحول الى مسيحي .

كانت هذه الرسالة هي آخر المطاف في هذا الموضوع حتى ارسال توصيات هانيل في شهر مايو ١٨٤٦ الى وزارة الخارجية والتي وصلت في شهر أغسطس من نفس العام ، وقد تصرف بالمرستون على الفور فأوعز الى القائم بالأعمال البريطاني في القسطنطينية والى الوزير البريطاني المفوض في طهران في الأسبوع الأول من سبتمبر باجراء مباحثات مع الحكومتين العثمانية والفارسية والحصول على موافقتهما على اغلاق موانئهما في الخليج في وجه تجارة الرقيق ، كما طلب من مجلس الهند الايعازالى هانيل لاجراء اتصالات بشيوخ الهدنة عند أول فرصة سانحة بهدف اصدار قرار منهم بحظر تجارة الرقيق على رعاياهم (١) . ومما يبعث على الدهشة أن السير هنرى ويلزلى القائم بالأعمال البريطاني في القسطنطينية يومئذ لم يواجه معارضة تذكر على اقتراحه ، وفي اواخر شهر يناير ١٨٤٧ أصدرت الحكومة العثمانية مرسوما يحظر اشتراك رعاياها في تجارة الرقيق الافريقية ومعاقبة من يخالف هذا الامر ، كما منحت صلاحيات للسفن الحربية البريطانية بتفتيش ومصادرة أى سفن تركية تمارس أو تشترك في هذه التجارة وتسليمها للسلطات التركية في البصرة ، لمحاكمة المتهمين وتطبيق العقوبات الرادعة عليهم ، على أن يتم اعادة الرقيق الى مواطنهم بعد تحزيرهم ، وقد تم ارسال خطاب بهذا المعنى الى نجيب باشا والى بغداد للعمل بموجب هذا القرار اعتبارا من يونيو ١٨٤٧ ، كما تقرر ارسال وحدة من الأسطول التركي الى الخليج للمساهمة في تنفيذ هذا القرار ، وقد اشترط الباب العالى في مقابل

(١) ملفات وزارة الخارجية رقم ٦٦٢/٨٤ من ادنجتون الى سكرتير

مجلس الهند ١٨٤٦/٩/٣ .

هذه التنازلات شرطا واحدا ، هو الاحتفاظ بسرية هذا القرار لاسباب
أمنية فقط بسبب مخاوف تركيا كما ذكر ويلزلى من الروس ، واحتمال
قيام هؤلاء باستغلال هذا الاجراء للمطالبة بحظر مائل لتجارة الرقيق فى
منطقة شمال غربى القوقاز (١) .

اقتصر تطبيق قرار هذا الحظر على منطقة الخليج وحدها ، غير أن
أثره لم يكن كبيرا فقد كان ويلزلى يعتقد بأن تجارة الرقيق فى البصرة
كانت تمارس فى السفن التابعة لتركيا فقط ، وبأن الباب العالى لم يبلغه
بعكس هذا الراى ، والواقع ان عدد العبيد الذين يجلبون الى الخليج على
السفن التركية لم يكن يتجاوز المائة عبد ، وكان معظم هؤلاء يأتى من
الكويت ، واما كان وضع الكويت بالنسبة لعلاقتها مع تركيا غامضا فلم يكن

(١) متفرقات الخطابات السرية مجلد ١١ من ويلسلى الى بالمرستون
١٨٤٧/٢/١ (رقيم ٢ . سرى) ومعه صورة من المرسوم بتاريخ
صفر ١٢٦٣ والخطاب الوزارى المؤرخ ١٠ صفر ١٨٦٣ - ١٨٤٧/١/٢٧
تلك « الماهدات » فصل ١١ ص ١٦ - ١٨ اعداد اتيشيسون وبالنسبة
الى تجارة الرقيق فى منطقة القوقاز كان لويسلى نفس تعليق بومنسوينى
الذى سبقه قبل ٦ سنوات : فى بلد يحتم ان يكون الملك أو السلطان نجس
عبده وحيث يتزوج معظم الذكور النسوة الرقيق ، فليس من الغريب أن
يتخذ مثل هذا المجتمع كافة الاحتياطات التى تكفل له الحصول على حاجته
من العبيد دون معوقات .

من المتوقع أن يسرى هذا الحظر على رعايا الكويت أيضا (١) وكان أغلبية العبيد يصلون البصرة على سفن تابعة لعرب الخليج أو للفرس وهى كلها سفن لا يسرى عليها قرارات الحظر ، وكان من رأى هانيل بأن الوضع يتطلب أن يشمل الحظر جميع السفن بصرف النظر عن الوسيلة التى يتم بها نقلهم ، وعلى أية حال فلم يكن من المتوقع ان يوافق الباب العالى على اجراءات أوسع من هذه الاجراءات .

وفى مارس ١٨٤٧ أثار هنرى رولنسون الوكيل السياسى البريطانى فى تركيا العربية والقنصل البريطانى العام فى بغداد الموضوع مع نجيب باشا بعد تلقيه صورة من المرسوم التركى والخطاب الوزارى ، وقد أقره الوالى على رأيه وذكر له بأنه طالما احتفظت سفن العرب والفرس بحرية نقل العبيد الى العراق فان تجارة الرقيق لن تتوقف . واضاف الوالى بأنه يعتبر المرسوم اعلانا للمبادئ أكثر من مجرد قرار يقتصر على حظر هذه التجارة ، لأنه لم يكن من المعقول أن يسمح الباب العالى لرعاياه بممارسة

(١) يبدو أن الشيخ جابر زعيم القبيلة القوية التى تستوطن الكويت يعترف بسيادة الحكومة التركية عليه الى حد انه كان يرفع العلم العثمانى على قصره ويحتفى بوكلاء وادارىى الحكومة التركية عند قدومهم الى بلده، وعلى اية حل فقد كان يتصرف كحاكم مستقل ولا يتقيد اطلاقا بتعليمات أوامر الباب العالى اذا ما رآها مع مصالحه ورغباته ، كما كانت هذه التبعية الشكلية تعفيه على أى حال من تلك السيطرة السياسية والرقابة التى نفرضها على شيوخ الساحل فى هذه المنطقة مرفق للخطابات السرية احكومة بومباى مجلد ٩٠ مرفق للخطاب السرى رقم ١٠٧ المؤرخ ١٨٤٧/١٢/٣١ من هانيل الى ماليت .

هذه التجارة بينما لا يسمح بها لعرب الخليج في المناطق الخاضعة لتركيا، وبناء عليه فقد أبلغ رولنسون بأنه يعترم تطبيق الحظر على سفن الدول الأجنبية أيضا ، الأمر الذي شجع رولنسون على إن يقترح على الوالى ان يتقدم الى الباب العالى بهدف اصدار قانون لحظر السفن العربية والفارسية التى تمارس تجارة الرقيق من شط العرب غير أن تقديم هذا الاقتراح فى ذلك الوقت بالذات لم يكن تصرفا سليما ، وكان من المفروض أن يدرك رولنسون هذه الحقيقة . واثناء المباحثات الطويلة التى جرت فى أرض الروم لتخطيط الحدود المشتركة بين الامبراطوريتين الفارسية والتركية والتى كان محددًا لها أن تنتهى بعد شهرين من ذلك التاريخ ، عانت بريطانيا صعوبات كثيرة فى الحصول لفارس على حق الملاحة فى شط العرب ، ولهذا كاد الاقتراح ، الذى عرضه رولنسون ، أن يعرض ذلك الاتفاق ، والذى تم الوصول اليه بعد مناقشات عنيفة للفشل . وعلى أية حال فينبغى القول انصافا لرولنسون بأن الهدف من اقتراحه هو أنه كان يخشى من أن يؤدي مرور السفن العاملة فى تجارة الرقيق عبر شط العرب ، ان تتحول المحمرة الى وكر لتهديب الرقيق الى العراق التركى ، بعد أن تكون هذه التجارة قد تم الحظر عليها فى البصرة . وفى ابريل عام ١٨٤٧ حلت هذ المشكلة بعد أن اوعز الباب العالى الى نجيب باشا بقصر دوره فى موضوع تجارة الرقيق والسفن غير التركية على منعهم من ادخال الرقيق الى المناطق الخاضعة لتركيا (١) .

(١) نفس المصدر من هانيل الى ماليت ١٤/٥/١٨٤٧ (رقم ١٧٧
الإدارة السرية) ومرفق معه صورة من خطاب رولنسون لهانيل
١٠/٥/١٨٤٧ (رقم ١٧ الإدارة السرية) وصورة من الخطاب الوزارى =

كان للاجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية اثرها المحدود فى الحد من تجارة الرقيق ، اذ لم تكن الامكانيات التركية فى العراق تعنى بفرض رقابة محكمة على شط العرب ، على الرغم من أن اوساط السباب العالى قد ذكرت بأنها فى سبيل تخصيص بعض القطع البحرية لتنفيذ مرسوم شهر يناير ١٨٤٧ ، غير أن ذلك لم يكن ممكنا ، فضلا عن ان مثل هذه الرقابة حتى لو توفرت لها الامكانيات ، كانت تنطوى على مشكلات سياسية خطيرة ، وبالتالي فقد كان من المحتمل - وعلى عكس ما كان يراه هانيل فى الصيف الماضى بأن الاجراء الفعال للحد من هذه التجارة فى الخليج ، هو حرمان الاسواق العليا من الخليج من امدادها من العبيد ، بدلا من حرمان هؤلاء التجار من تلك الاسواق . والواقع أن الاجراءين ليسا بدليين عن أحدهما الآخر وانما مكملان لهما ، وقد كان الهدف الوحيد الذى تحقق من خلال مرسوم ١٨٤٧ أنه اتاح الفرصة لهانيل لاجراء الاتصالات اللازمة بشيوخ منطقة ساحل الهدنة بهدف الحد من نشاطاتهم فى تجارة الرقيق .

فى شهر ابريل عام ١٨٤٧ تلقى هانيل خبر صدور فرمان من الباب العالى ، وكان فى ذلك الوقت على وشك السفر فى جولته السنوية الى الساحل العربى من الخليج ، وقد وجد هانيل أن صدور القرار فرصة مواتية لطرح المسألة على شيوخ الهدنة ، ولهذا أثار الموضوع للمرة الاولى مع زعيم القواسم عندما اجتمع به فى الشارقة فى ٣٠ ابريل ، وأبلغه بصور الرسوم العثمانى ، وقد ذكر لشيخ القواسم بأن المرسوم التركى

بتاريخ ٢٠ ربيع الثانى ١٢٦٣ - ١٨٤٧/٤/٦ - وقد وردت هذه التعليمات فى « المعاهدات » اعداد ايتشيسون فصل ١١ ص ١٨ .

شأنه شأن المعاهدة المبرمة مع السيد سعيد بن سلطان قبل عام ونصف ،
انما يهدف الى وقف استيراد العبيد من زنجبار ، وأن المرسوم يعتبر تنازلا
هأما من الحكومة العثمانية لصالح الحكومة البريطانية ، ولهذا فان قيام
شيوخ الساحل بتقديم تنازلات مناسبة ، ستعتبره الحكومة البريطانية
بادرة ودية من جانبها . وقد وافق الشيخ سلطان بن صقر على اقتراح
هانيل ، وفي نفس اليوم وقع شيخ القواسم على اتفاقية تمنع قيام
رعاياه أو سفنهم من جلب العبيد من افريقيا ، الى جانب تفويض سفن
الاسطول البريطانى لتفتيش ومصادرة تلك السفن ، وقد بدأ سريان هذا
الاتفاق من أول العام الهجرى ١٢٦٤ الموافق ٩ ديسمبر ١٨٤٧ (١) كما قام
هانيل بعقد اتفاقيات مماثلة مع شيوخ عجمان ودبي وأم القيوين وابو ظبي .
وبما أن سفن البحرين لم تشترك فى اتفاقيات حظر تجارة الرقيق القديمة
- نظرا لأن سفن البحرين لم تكن تمارس هذه التجارة - فقد قرر هانيل
بأنه منعا لاحتمال تورط البحرين فى مثل هذه النشاطات أن يستكتب
حاكمها الشيخ محمد بن خليفة تعهدا مماثلا . وعند وصوله الى البحرين
يوم ٨ مايو فى نطاق جولته ، ابدى شيخ البحرين اتم الاستعداد فى
التوقيع على مثل هذا الاتفاق ، وذلك رغبة منه كما كان يعتقد هانيل فى
الحصول على تأييد الحكومة البريطانية له ضد مطالب الباب العالى فى
جزيرة البحرين .

عند ارسال هذه الاتفاقيات الى حكومة بومباى ذكر هانيل فى رسالته

(١) نظرا لوقوع خطأ فى الحساب فقد ورد التاريخ الشمسى المقابل
للتاريخ العربى فى المعاهدة باعتبارها يوم ١٠ ديسمبر ١٨٤٧ بينما الاصح
٦ ديسمبر ١٨٤٧ .

بأنها ليست أكثر من اجراءات احتياطية ، كما ذكر بأنه يعتقد بان الزعماء العرب لم يوقعوا على هذه الاتفاقيات ايمانا منهم بالهدف المقصود منه ، وانما فعلوا ذلك احتراماً لرغبة الحكومة البريطانية من جهة ، واعتقادهم بأن هذه الاتفاقيات تشكل ضماناً يصون لهم استقلالهم من جهة اخرى (١) وفى الشهر التالى عاد هانيل فبعث بالرسالة التالية الى حكومته : « ان افصى ما نطمح ان يحقق فى هذه القضية هو ان نكون راضين عن اية اجراءات قد نضطر الى اتخاذها لتحقيق الهدف الذى نسعى اليه ، ومن هنا فان استمرار تجارة الرقيق الافريقية سيظل يعتمد على الاجراءات الفعالة التى نستطيع ان نتخذها فى هذا الشأن (٢) كما حذر هانيل فى رسالته بأن هذه الاجراءات لا يمكن أن تحقق النجاح ما لم يرافقها فرصة رقابة بحرية منظمة . واهل أهم المناطق التى تحتاج الى هذه الرقابة هى ميناء زنجبار والساحل الشرقى لافريقيا خلال موسم الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، كما ينبغى فرض رقابة على بربرة وزيلع على ساحل البحر الاحمر ، خلال افتتاح السوق السنوى للعبيد الذى يبدأ فى شهر

(١) ملفات وزارة الخارجية من هانيل الى ماليت ١١/٥/١٨٤٧ (رقم ٢٠٢ الادارة السرية) ومرفق به صور من الاتفاقيات وقد وردت فى « المماهدات » اعداد اتيشيسون التى اقتبسناها هنا وبناء على اقتراح من هانيل فقد ارسل حاكم بومباى هدايا الى الشيوخ وهى عبارة عن ساعات ذهبية وفضية وشالات كشميرية .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ٨٩ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٤ المؤرخ ٣٠/٩/١٨٤٧ من هانيل الى ماليت ٢٦/٦/١٨٤٧ (رقم ٢٩٣ الادارة السرية) .

نوفمبر وينتهي فى شهر مايو من كل عام . ولهذا الغرض اجرى هانيل اتصالات بالكومندور وليم لاو قائد أسطول الخليج ، وكان ذلك فى شهر سبتمبر ١٨٤٧ لغرض مثل هذه الرقابة ، وقد عرف من لاو بأن سفن القواسم وغيرها ممن ترتاد بريرة تزور عموما ميناء مخا حيث تشتري رقيق الأحباش من هناك قبل عودتها الى الخليج فى أواخر فصل الرياح الجنوبية الغربية أى فى نهاية شهر اغسطس تقريبا ، فلو عهد الى احد الطرادات بالمراقبة فى المناطق الواقعة قريبا من رأس الحد او صور خلال الفترة الواقعة بين أواخر مارس ومنتصف مايو ، ثم مرة أخرى من أواخر أغسطس حتى منتصف أكتوبر لتمكن هذا الطراد من تفتيش جميع السفن العربية العائدة من افريقيا الشرقية والبحر الأحمر ، كما اضاف لاو بأنه من الأفضل لو عهد الى طراد آخر بمراقبة مضيق باب المندب خلال الفترة الواقعة بين أواخر اغسطس ومنتصف سبتمبر ، ولما كان القسم الأكبر من سفن الخليج يتوقف عن العمل خلال موسم صيد اللؤلؤ فيما بين شهرى مايو وأغسطس ، فانه يمكن التقليل من أعمال هذه الرقابة خلال تلك الفترة ، على أن تستأنف فى بداية سبتمبر عند بداية موسم حصاد البلح فى البصرة وعودة هذه السفن الى أعمالها ، كذلك فان وجود طراد فى مدخل شط العرب خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر سيمكننا من تفتيش جميع السفن القادمة الى الشط ، ولكن القائد حذر هانيل بأن لا يتوقع تحقيق نجاح ملحوظ فى هذه المهمة بالامكانيات المتوفرة حاليا ، وهى طراد وسفينة حربية واحدة ، اللذان يقضيان معظم الاوقات فى أعمال المراقبة ونقل البريد ، ولهذا فان الأمر فى نظر لاو يحتاج الى ما لا يقل عن ست طرادات ، ويفضل أن يكون اثنان منها بواخر مسلحة (١) .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ٩٠ مرفق للخطاب

السرى رقم ١٠٧ مؤرخ ١٨٤٧/١٢/٣١ من هانيل الى ماليت ١٨٤٧/٩/٢٣

(رقم ٤١٢ الإدارة السرية) .

وبإحالة الموضوع الى مراقب الاسطول الهندي وهو السير زوبرت اوليفر ذكر هذا في رسالته الى حاكم بومباي وبعد اطلاعه على الخطة التي وضعها لاو بأن توفير بعض البواخر لمواجهة تنفيذ الرقابة على تجارة الرقيق امر غير ممكن وأنه لا يستطيع الاستغناء عن اية سفينة من السفن العاملة تحت امرته لدعم أسطول الخليج ، وكان في ذلك الوقت لدى البحرية الهندية ست سفن شراعية في الخدمة ، اثنتان منها تقومان بأعمال الدورية في مياه عدن ، واثنتان أخريان في مياه الخليج ، وسفينة أخرى ادخلت الى الحوض الجاف لاجراء الاصلاحات اللازمة ، ولم يتبق غير سفينة واحدة للقيام بالمهام والأعمال المتعددة المكلف بها الاسطول الهندي ، كما أوضح اوليفر بأن هناك عاملا آخر وهو أن منطقة زنجبار تقع خارج نطاق صلاحيات الاسطول الهندي بعد ادراجها الى منطقة قاعدة الرأس (١) وكان من الثابت كما أشار اوليفر أن يحصل الاسطول الهندي على أى تعاون من اسطول الأتراك ، كما سبق أن وعد بذلك الباب العالي فضلا عن أن حكومة بومباي لم تكن على اقتناع بجدوى وأهمية هذا التعاون وأضاف اوليفر « أنه يبدو ان ارسال الباب العالي بعض قطع الاسطول التركي الى الخليج الفارسي (٢) إنما يرمى من ورائه الى فرض السيادة التركية على موانئ الخليج بعد أن يئس من أن يحقق هذا الهدف بالطرق العادية ، ولهذا فان غرض الباب العالي من ارسال هذه

(١) نفس المصدر من اوليفر الى الحاكم ١٨٤٧/١٠/٢٨ (رقم ٧٣٤ الادارة السرية) .

(٢) سجل الخطابات السرية لحكومة بومباي مجلد ٢٣ رقم (١) من الحاكم الى اللجنة السرية ١٨٤٧/٧/١٩ (رقم ٦٥ الادارة السرية) .

القطع ليس هو التعاون على تنفيذ الاتفاق الذي عقد مؤخرًا مع البنتاب
العالي لمكافحة تجارة الرقيق ، والتي من المعتقد أن هذه التجارة ليس لها
أى وجود فى الموانئ التركية بمنطقة الخليج الفارسي والى جانب
ضعف الامكانيات البحرية للهند ، فقد كانت السلطات المسئولة فى بومباى
تعانى من صعوبات فائقة فى تطبيق معاهدتى عام ١٨٤٥ و ١٨٤٧ . وفى
سبتمبر ١٨٤٧ صودرت ١١ سفينة تابعة لمسقط وكان على ظهرها ٥٩ عبدا
من الأحباش ، وكانت السفن فى طريقها الى البصرة وتم احتجازها فى
ميناء بوشهر بناء على أوامر صادرة من الكومندور لاو ، وباستجواب ربانة
هذه السفن حول انتهاكها لمعاهدة ١٨٤٥ ، صرحوا بأنهم كانوا يفهمون بأن
الخطر ينطبق فقط على العبيد الأفريقيين وليس على الأحباش . ولما كانت
هذه أول عملية خرق للمعاهدة ، رأى لاو أن يفرج عن ستة من السفن
وارسل السفن الباقية بما عليها من العبيد الى بومباى لاجراء محاكمتهم ،
وسن قبل وصول السفن الى بومباى ، اكتشف المدعى العام بأن القضية
تنطوى على بعض الجوانب المخرجة ، نظرا لأن معاهدة ١٨٤٠ لا تتضمن أى
نص لمحاكمة السفن المصادرة ، كالمحاكمات التى تقوم بها المحاكم المختلطة فيما
يختص بمعاهدات حظر تجارة الرقيق بين الدول الأوروبية ، ومن ثم فإن
المحكمة العليا فى بومباى لا تملك بموجب صلاحيتها البحرية حق النظر فى
نضايا المصادرة طبقا لهذه المعاهدة ، لأن القانون لا يمنحها هذا الحق ،
وكذلك لما كانت حكومة الهند لا تملك صلاحية التقاضى فى الخلافات
والنزاعات التى تنشأ عن تطبيق مثل هذه المعاهدات ، فقد كان الأمر
يستدعى أن يقوم البرلمان البريطانى وحده بتطبيق نصوص معاهدة ١٨٤٥ ،
وتحويل السفن الجريبة البريطانية - حق مصادرة السفن التى تخالف
نصوص المعاهدة ، والى تحويل المحاكم بادانة المتهمين فى مثل هذه
المخالفات ، ومن هنا فقد كان يترتب اجراء تعديلات على نصوص المعاهدة
بحيث تجيز للمحاكم النظر فى مثل هذه القضايا ، وفى هذا الشأن ذكر

المدعى العام وهو ايه . اس . لى . مسيرير بضرورة اللجوء الى هذا التعديل ، بحيث تنص المعاهدة على حظر استيراد العبيد سواء من المستعمرات الافريقية أو من الحبشة ، وذلك على خلاف تفسير أهل مسقط لنصوص تلك المعاهدة على أنها تجيز لهم ممارسة هذه التجارة فى العبيد الاحباش (١) .

لم يعد أمام حكومة بومباى الا أن تفرج عن السفن الخمسة وبحارتها، ونكى تغطى حرج موقفها هذا ادلت بتصريح وصفت فيه هذا العمل بأنه اول انتهاك من جانب رعايا السيد سعيد للمعاهدة (٢) غير أن الفشل الذى ترتب على ذلك كان من الصعب التستر عليه ، وتفاديا للوقوع فى مثل هذه المأزق ، أصدر حاكم بومباى تعليمات الى ضباط الأسطول البريطانى فى الخليج بأن يراعوا الدقة والحذر فى تطبيق نصوص المعاهدة بعد أن يقوم البرلمان بالتصديق عليها وبأن لا تتعدى اجراءاتهم الافراج عن العبيد الذين فى السفن التى تقوم بنقلهم وأن يتركوا امر العقوبات ضد هذه الانتهاكات الى السلطات المحلية التابعة لها السفن . وقد أسفر ذلك عن توقف جميع الاجراءات ضد تجار الرقيق على امتداد عامين من ذلك التاريخ ، وفى يوم ١٥ سبتمبر تم التصديق رسميا على المعاهدة ، بموجب المرسوم ١٢/١١ ، ١٢٨ ، وبموجب هذا المرسوم

(١) مرفقات الخطابات السرية الى حكومة بومباى رقم ٩٠ مرفق للحطاب السرى رقم ١٠٧ المؤرخ ١٨٤٧/١٢/٣١ من لى مسوير الى السكرتير الاول لحكومة بومباى ١٠/٢٠ و ١٨٤٧/١١/٣ .

(٢) نفس المصدر من السكرتير السياسى لحكومة بومباى الى المقيم فى الخليج ١٨٤٧/١١/٢٢ (رقم ٤٤٧٨ الادارة السياسية) .

منحت المحاكم البريطانية بما في ذلك المحاكم الواقعة في الأراضي الخاضعة لشركة الهند الشرقية سلطة محاكمة السفن التي تقوم بانتهاك نصوص هذا المرسوم ، وقد خولت نفس هذه الصلاحيات بالنسبة لاتفاقيات عام ١٨٤٧ المعقودة مع حاكم البحرين وشيوخ سحل الهدنة ، وذلك بمقتضى المرسوم رقم ١٣/١٢ ، ٨٤ الصادر في أول أغسطس ١٨٤٩ ، غير أن المرسومين هذين لم يحددوا نوعية المحاكم التي طلب المدعى العام في بومباي تشكيلها لهذا الغرض (١) .

كما لم يتمخض إصدار هذين المرسومين عن تبديد الشكوك بالنسبة لهذه المعاهدة وعلى الأخص بالنسبة لتحريم تجارة الرقيق في الأحباش ، وقد بعث السيد ثويني وإلى مسقط ونجل السلطان السيد سعيد بخطاب الى حاكم بومباي بعد مضادة الأسطول البريطاني للسفن وذكر في الخطاب بأنه لم تصله أى معلومات من والده السيد سعيد بوجوب حظر الاتجار في العبيد الأحباش بمقتضى هذه المعاهدة ، وأن ما لديه من معلومات تقتصر على العبيد الأفريقيين (٢) وقد استاء السيد سعيد استياء بالغا من اجراءات الأسطول بمصادرة السفن التابعة لعمان ، وقد اثار هذه النقطة عند اجتماعه بهامرتون بعد بضعة أشهر ، وأوضح لهامرتون بأن تفسيره للبند الثانى للمعاهدة والذي ينص على تحريم أو حظر استيراد العبيد الى ممتلكاته فى الجزيرة العربية من افريقيا الشرقية يقوم على أساس ان هذا

(١) للاطلاع على هذين التشريعين راجع « المعاهدات » لاثيسون

فصل ١٠ ملحق ٤٦ وفصل ١١ ملحق ٤٠ .

(٢) مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ٩٠ مرفق للخطاب

السرى رقم ١٠٧ المؤرخ ١٢/٣١/١٨٤٧ من السيد ثويني الى حكومة

بومباي ١٩/١٠/١٨٤٧ .

البند لا ينطبق على العبيد الاحباش ، وقال له بأن الحبشة لا تقع في افريقيا . وحتى بعد ان حاول هامرتون اقتناعه بأن الحبشة بلاد افريقية ظل السيد سعيد يتصور بأن هناك محاولة للغش في الموضوع . وقد كان هامرتون يتعاطف مع السيد سعيد الى حد ما ، فيما يتعلق بهذا البند بانذات ، وذكر لبارستون بأن البند المشار اليه يمس ناحية حساسة من نواحي المجتمع العماني وهى جلب الحبشيات الى بلاط صاحب السمو من البحر الاحمر ، وهى منطقة يعتبرها العرب بما فيهم أهل عمان وغير أهل عمان موانئ غير افريقية .. (١) ولعل سوء فهم السيد سعيد لهذا البند من المعاهدة يرجع الى تصوره بأن البنود الثلاثة التى أضافها السيد سعيد فى اقتراحه على ابردين عام ١٨٤٥ سارية المفعول ، ولم ينجح بالمرستون فى اقتناعه بعكس هذا الرأى ، وبعدم احقيقته بأية تعويضات مالية قبل خريف عام ١٨٤٨ وكل الذى وافق عليه بالمرستون هو اعفاء السفن القادمة من زنجبار أو من الشمال من عمليات التفتيش ما لم تكن هناك ادلة قاطعة على وجود رقيق فيها (٢) .

(١) ملفات وزارة الخارجية رقم ٨٤/٧٣٧ من هامرتون الى بالمرستون ١٨٤٨/١١/١٣ (رقم ٨) انظر أيضا خطاب هامرتون الى بالمرستون ١٨٤٨/٤/١٠ (رقم ٣) فى نفس المجلد .

(٢) ملفات الخارجية رقم ٨٤/٧٣٧ من بالمرستون الى هامرتون ١٨٤٨/٩/٣٠ (رقم ١) .

غير أن هذا الرد لم يكن يعتبر بالنسبة للسيد سعيد ردا عادلا ، لأن بالمرستون كان يعرف حق المعرفة أن اصرار السيد سعيد على اعفائه بالنسبة للرقيق الأحباش هو تأمين امداد القصر من تلك المنطقة . والواقع أن حظر تجارة الرقيق فى الاحباش وإباحتها بالنسبة للأفريقيين كان موقفا متناقضا ، وبالتالي فقد كانت المسألة كلها تنطوى على النفاق وسوء الفهم ، فالبند الأول من اتفاقية عام ١٨٤٥ ينص على حظر جلب العبيد من الممتلكات الأفريقية، بينما البند الثانى ينص على حظر استيراد العبيد الى ممتلكاته الآسيوية وأن البنود كلها تلتقى عند هذه النقطة الأخيرة ، بينما كان هامرتون وابردين يعتقدان بأن الحظر يشمل كلا من الأحباش والأفريقيين، ولو كان السيد سعيد قد أدرك ما يقصده الرجلان لامتنع عن التوقيع على المعاهدة ، ولهذا استبقيت عبارة (من أى جزء من افريقيا) عبارة غامضة على الرغم من أن السيد سعيد كان يعرف ما تعنيه ، والى لامتنع عن المطالبة باعفائه من الحظر بالنسبة للعبيد الأحباش ، وربما يعود استياؤه من البند الثانى الى الضجة التى أثارها المعاهدة فى بلاده ، فأتخذ من المعارضة سبيلا للتخلص من هذا الاحراج ، وعلى أية حال فقد استمر الغموض قائما بالنسبة لموضوع الأحباش لفترة من الوقت وبقى كل طرف يعتقد ما يراه مناسبا له بالنسبة لشرعية أو عدم شرعية تجارة الرقيق فى اطار المعاهدة .

وبنهاية عام ١٨٤٦ استهلّت المحادثات مع الحكومة الفارسية بهدف اغلاق موانئها فى وجه تجارة الرقيق ، وكما حدث بالنسبة للباب العالى فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى يحاول بالمرستون حمل حكومة الشاه على حظر تجارة الرقيق . وفى شهر يوليو عام ١٨٤١ أى بعد مضى شهر

من تكليف لينش برسال خطاب الى مجلس الهند يعلن فيه اعترامه على القيام بحملة شاملة ضد تجارة الرقيق الافريقية ، كلف بالمرستون السير جون ماكنيل فيسبل سفره من انجلترا الى طهران لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فارس ، كلفه باثارة موضوع الحظر الشامل على استيراد الرقيق الى فارس ، وذلك في اول فرصة تسنح له ، وقد طلب بالمرستون من الوزير المفوض ابلاغ الحكومة الفارسية بأنها كانت فيما مضى تبرر موقفها العدائي من أفغانستان وتركمان بدعوى أن سكان هذين القطرين يقومون بخطف المواطنين الفرس وبيعهم كرقيق ، وأن حكومة بريطانيا قد قدمت مساعدتها لحكومة فارس في هذا الشأن ، حيث نجحت في اقناع أفغانستان بالتخلي عن تلك الأعمال (١) وكان الشاه في موقفه هذا يسير على هدى الشعوب المستنيرة في أوروبا وأمريكا ، كما أن هناك بعض الحكام المسلمين مثل سلطان مسقط وبأى تونس قد أبدوا رغبتهم في تحريم هذه التجارة ، وبالإضافة الى ذلك فقد قام باى تونس بتحرير جميع الرقيق الذين يعملون في بلاطه كتعبير عن ايمانه بهذه المبادئ ، وبالتالي فانه مما سيبحث على الارتياح لو أن الشاه هذا حذو هذين الزعيمين ، ولو باقناع رعاياه بعنق ارقائهم ، الأمر الذي سيعتبر تصرفاً يتسم بالانسانية والارحية ، وان السماء سوف ترضى عنهم اذا قاموا بتنفيذ ذلك (٢) .

(١) ملفات وزارة الخارجية - من بالمرستون الى ماكنيل

١٨٤١/٧/٩ رقم ١ .

(٢) نفس المصدر .

لم يتمكن ماكنيل من تسليم هذه الرسالة الى الشاه ، نظرا لانه كان يعلم ما سوف تثيره من ردود فعل فى اوساط الحكومة الفارسية ، ففى يوم ٣١ اغسطس اى بعد عودة بالمرستون الى الخارجية البريطانية ، اوعز المذكور الى الكولونيل جوستين شيل الوزير البريطانى المفوض فى طهران بابلاغ حكومة الشاه عن توقيع معاهدة اكتوبر عام ١٨٤٥ مع حكومة مسقط ، والاقتراح على الشاه باصدار مرسوم مماثل لحظر تجارة الرقيق فى المناطق الخاضعة لفارس على الخليج ، وتكليف السفن الحربية البريطانية بتطبيق هذا الحظر (١) ، بعد اسبوعين ارسل ماكنيل مجموعة اخرى من التعليمات الى شيل تطالبه بتحذير وزراء حكومة الشاه بان اى انتهاك من رعايا الشاه لمعاهدة حظر تجارة الرقيق بعد اليوم الاول من شهر يناير ١٨٤٧ سوف يتعرضون للعقوبات المنصوص عليها فى قانون الحظر الذى بدأ به العمل منذ ذلك التاريخ (٢) الا ان الاتصالات الاولى التى اجراها شيل لم تتمخض عن اى نجاح ، فقد كان الحاج ميرزا اغاسى رئيس وزراء فارس يومئذ ، والذى كان شخصا يؤيد حظر تجارة الرقيق ضعيف الامل فى موافقة الشاه على هذا الحظر . وفى الاسبوع الثانى من ديسمبر عند اجتماع شيل بالشاه ، ابلغه الشاه بان حظر تجارة الرقيق بالصورة التى تريدها الحكومة البريطانية ، انما يتعارض مع تعاليم القرآن بوجه عام ، وعندما المح له شيل بان الرق يلقى استنكارا عند اغلبية الشعوب المتحضرة فى العالم ، رد عليه الشاه بانه اذا كانت

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر من بالمرستون الى شيل ١١/٩/١٨٤٦

(رقم ٢) .

الشعوب الأوروبية تعتبر الرق عملاً غير شرعي وفقاً للديانة التي يعتنقونها، إلا أنها بالنسبة إلى ديننا عادة مشروعة الأمر الذي لا يصح معه تحريم ما حله لنا الرسول الكريم ، وأضاف الشاه بأنه يفضل الانتظار حتى يعرف رد فعل السلطان العثماني حول هذا الحظر ، وبعد ذلك يمكنه أن يتولى كلمته النهائية في هذا الموضوع (١) .

عند استلام بالمرستون لرد الشاه قام بالإيعاز إلى شيل بالاتصال بالشاه لإبلاغه بأن الحظر المقترح لا يعني التدخل في صلب التشريعات والعادات الإسلامية لأنه سينحصر ضمن تجارة الرقيق في البحر فقط وليس له أي علاقة في تجارة الرقيق داخل الأراضي الفارسية ، وأضاف بالمرستون بأنه إذا كان كل من السلطان العثماني ، و السلطان مسقط ، وهما من الحكام المسلمين المعروفين قد وافقوا على التعاون معنا في هذا المجال فما الذي يمنع الشاه أن يحذو حذوهم (٢) وفي شهر أبريل ١٨٤٧ وخلال سلسلة من المقابلات مع الشاه تمكن شيل من إبلاغ الحكومة الفارسية بموافقة السلطات العثمانية على حظر تجارة الرقيق داخل الموانئ التركية الواقعة على ساحل الخليج ، غير أن الشاه لم يقتنع بأقوال شيل ولا بوجهة نظر بالمرستون ، كما عرضها عليه شيل وذكر لشيل بأن الأتراك من

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل إلى بالمرستون ١٨٤٦/١٢/٣١

(رقم ٢) مع المرفقات وإيضاً تقرير شيل (رقم ١) المؤرخ ١٨٤٦/١١/٣٠

في نفس المجلد .

(٣) ملفات وزارة الخارجية من بالمرستون إلى شيل ١٨٤٧/٢/١٢

(رقم ١) .

المسلمين السنة وهم يكرهون الفرس ، كما أن سلطان مسقط اباضى المذهب، وبالتالي فانه سيكون من المستحيل عليه بوصفه حاكم فارس وزعيم الطائفة الشيعية المسلمه أن يوافق على ما وافق عليه السلطان العثماني وسلطان مسقط ، كما قال بأنه ليس من حقه أن يعلق الباب فى وجه الآلاف المؤلفة من الذين يرغبون فى الدخول فى الاسلام عن طريق هذه التجارة ، بل ان واجب كل مسلم ان يجاهد فى سبيل ادخال الناس الى الدين الحنيف وهو واجب لا يستطيع الشاه ان يتخلى عنه اطلاقا (١) .

وقد حاول شيل تفنيد هذه الآراء عن طريق الحصول على فتاوى من علماء الدين البارزين فى طهران تندد بالرق وتؤكد بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد قال ما معناه بأن بيع الانسان للانسان عمل شير ، ويبدو ان الشاه قد أعجب بالجدل الذى يدور حول هذا الموضوع ، وقام بالحصول على رأى لواحد من اكبر علماء الدين فى فارس الذى وصف الرق بأنه جهاد فى سبيل نشر الاسلام ، وقد ردشيل على هذا القول بأن الرقيق الذين يؤتى بهم من الخليج الفارسى ليسوا أسرى حرب وأن الشريعة الاسلامية تفرق بين تجارة الرقيق وبين الأسرى ، وعلى الرغم من موافقة الشاه على هذا الرأى الا انه أبى ان يتزحزح عن موقفه (١) .

ولعل هذا الموقف للشاه يعود الى استيائه من الطريقة التى كانت

(١) ملفات الخارجية من شيل الى المرستون ٢٧/٤/١٨٤٧

(رقم ٤) .

(٢) نفس المصدر .

تجرى بها المفاوضات فى أرض روم لتخطيط الحدود الفارسية التركية ،
والقاء مسئولية فشلها على عاتق الحكومة البريطانية ، وليس الى تعلق
الشاه فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، غير أن ابرام معاهدة أرض روم فى
مايو ١٨٤٧ قد ساهم الى حد ما فى تغيير موقف الشاه ، وعلى الأخص
بسبب المحاولات التى قامت بها بريطانيا للتأكيد على سيادة فارس على
منطقة المحمرة ، ومنحها حق الملاحة الحرة فى شط العرب فى المعاهدة ،
وهنا أدرك شيل بأن الوقت قد حان لاعادة الاتصال بالشاه ، وبخاصة
بعد أن قام الباب العالى بحظر استيراد العبيد الى العراق ، وتذكيره بأنه
لا يجوز له بأى حال من الأحوال أن تستغل فارس حرية الملاحة فى شط
العرب المنصوص عليها فى المعاهدة الجديدة لاتخاذ المحمرة سوقا
للنخاسة ، ولتهريب الرقيق منها الى الحدود التركية ، الأمر الذى يعنى
اهدأ النتائج الإيجابية للمرسوم الذى أصدره الباب العالى مؤخرا بناء
على رغبة الحكومة البريطانية . وافضى شيل بهذه المعلومات الى الشاه فى
آخر يونيو ، كما اضاف اليها اقتراحا آخر ، وإن لم يتضح كل الوضوح ،
وهو أن فرض الحظر على تجارة الرقيق فى البحر مع الاحتفاظ بهذا الحق
فى البر لا يشكل تدخلا فى تجارة الرقيق الداخلية ، وإنما يعنى تغيير
الطريق الذى يسلكه تجار الرقيق ، كما يحدث بالنسبة للفروع الأخرى
من التجارة (١) .

فى ٣٠ أغسطس سلم الشاه رده على شيل ، وفى الوقت الذى
اثنى الشاه على الوزير المفوض لوفرة مصادره الا أنه رفض قبول وجهة

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى المرستون ٢٧/٦/١٨٤٧

رقم ٨ وكذلك تقريره (رقم ٥) المؤرخ ٣١ مايو بنفس المجلد .

نظره ، وأوضح له بأن اغلاق الطريق البحرى سوف يقلل من عدد الرقيق الذين يفتدون الى فارس ، وأنه يرفض أن يكون مسئولا عن عمل كهذا يؤدى الى اغلاق الباب امام الذين يرغبون فى الدخول فى الاسلام (١) . وقد بعث شيل بتقرير الى بالمرستون تساءل فيه عن الاجراء الذى يمكنه ان يتخذه لمعالجة هذه المشكلة ، وقال بأنه لم يبق لديه من الحجج والبيانات ما يمكن أن يعرضه على الشاه لاقناعه بالموافقة على المقترحات ، وأنه ليس هناك حجة يمكن أن تقنع الشاه بذلك (٢) وبأنه لم يستطع أن يكتشف سببا لرفض الشاه غير السبب الدينى وأنه كان من المفروض أن يؤدى اتفاق أرض روم الى ازالة الأسباب الرئيسية لاستياء الشاه من الحكومة البريطانية ، غير أن شيل عاد فذكر بأن الشاه لم يظهر أى شكل من اشكال العداء ضد الحكومة البريطانية أثناء اجتماعه به ، فعلى العكس من ذلك فقد سادت المحادثات روح الود والصدقة (٣) وربما كان شيل يتصور بأن المرونة فى موقف الشاه انما ترجع فى المقام الاول الى تدهور صحته ، حيث أنه توفي فى نفس العام (٤) .

(١) نفس المصدر من شيل الى بالمرستون ١٨٤٧/٨/٣١

(رقم ٨) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر من شيل الى بالمرستون ٥/٣١ و ٦/٧ - ١٨٤٧

(رقم ٥ و ٦) . فى آخر تقرير لشيل ذكر على لسان الشاه خلال اجتماعه به فى اليوم السابق : ليس ثمة داع للالاحاح حول هذا الموضوع، =

وفى رأى شيل أن المخرج الوحيد من هذا المأزق هو العمل باقتراحه الذى سبق أن عرضه على بالمرستون فى بداية العام للسماح للطرادات البريطانية بمصادرة بعض السفن الفارسية التى تقوم بنقل الرقيق الى الخليج ، وذكر بأن هذا الاجراء سوف يكون له اثر فعال فى منع السفن الفارسية من نقل العبيد ، كما فعلت مسقط وتركيا ، وهذا الاجراء لم يكن ايعكر فيه شيل ، كما ذكر بالمرستون أنه لو لم يجد تشجيعا من رئيس وزراء فارس ، ومن الشاه نفسه (١) . فى البداية لعارض بالمرستون على القيام بنفس الأسلوب المتطرف ، الا ان نجاح هانيل فى عقد اتفاقيات مع شيوخ ساحل الهدنة ومع حاكم البحرين لحظر تجارة الرقيق جعله يغير من رأيه لأنه لم يبق من السفن التى تمارس تجارة الرقيق فى ظل القانون غير السفن الفارسية ، ولهذا اقتنع بالمرستون بأن اتخاذ اجراءات لاغلاق هذا الباب حتى لو عارضه الشاه فان له ما يبرره ، وفى نهاية يوليو عام ١٨٤٧ بعث بالمرستون بخطاب الى شيل لابلاغ حكومة فارس بأنه بسبب

=لان ملكة انجلترا قد أصدرت أوامرها الى جميع سفنها بوقف ومصادرة جميع السفن المتعاملة فى الرقيق ، ومع ذلك فليس هناك نهاية لهذه التجارة . وسوف لا يصل رقيق الى فارس بعد الآن .

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى بالمرستون ٣١/٥ و ١٨٤٧/٧ (رقم ٥ و ٦) فى تقرير شيل الأخير ذكر نقلا عن الشاه بعد اجتماعه فى اليوم السابق أنه قال (لا داعى للالاحاح على بخطورة هذا الموضوع . وملكة انجلترا قد أصدرت أوامرها لسفنها الحربية باعتراض سفن الرقيق ومصادرتها فى البحر ومع ذلك فان هذه التجارة لم تتوقف ، وانى أؤكد لكم بأن فارس لن تستورد الرقيق بعد الآن .

الترتيبات التي تم اتخاذها بين حكومات بريطانيا وتركيا ومسقط وساحل الهندة فان جميع السفن العاملة في الخليج الفارسي مما يشك أنها تمارس تجارة الرقيق ستخضع للتفتيش واطلاق سراح العبيد الموجودين عليها (١).

ان لهجة خطاب بالمرستون الاخير وخطابه قبل الاخير الذي طلب فيه من وزيره المفوض - تحذير الشاه بأنه لن يستطيع الاعتماد على الصداقة البريطانية في حالة تعرضه لأي أزمة سياسية اذا لم يلب رغبة الحكومة البريطانية بالنسبة للرقيق يكشفان أن بالمرستون لم يكن يقدر موقف الشاه كحاكم مسلم ، ودوره كزعيم ديني لوطني ، ولكن شيل كان يفهم هذه الاعتبارات فهما وافيا ، وعلى حين أن شيل هو الذي اقترح فكرة المصادرة اذا ما رفضت الحكومة الفارسية اصدار الرسوم ، فقد كان مترددا في ابلاغ مضمون خطاب بالمرستون الى رئيس وزراء فارس بأن مصادرة السفن اجراء يتعارض مع الاتفاقات المعقودة بين فارس وبريطانيا ، ولكنه الملح بأن الحكومة الفارسية لن تتخذ أي اجراء مضاد ، فيما لو أقدمت الحكومة البريطانية على ذلك ، ورغم هذا فلم يظهر شيل تحمسا للموضوع وحاول أن يقوم بمحاولة أخيرة لايجاد مخرج للشاه لاصدار ذلك الرسوم دون أن يتعرض مركزه الديني لأي انتقاد (٢) وقد قام بأرسال خطاب الى رولنسون في بغداد يطلب منه الحصول على فتوى من أحد كبار علماء الدين بكر بلاء

(١) ملفات وزارة الخارجية من بالمرستون الى شيل ١٨٤٧/٧/٣١

(رقم ٤) .

(٢) انظر خطاب بالمرستون الى شيل بتاريخ ١٨٤٧/٧/٢

(رقم ٣) بنفس المجلد والحلقات .

أو النجف تندد بتجارة الرقيق ، وثبتت بأنهما لا تتفق مع المبادئ الإسلامية ، وبالتالي فإن قيام الشاه بإصدار قانون بتحريم الرق سوف يكون عملا متوافقا مع الشريعة الإسلامية (١) غير أن رد رولنسون على هذا الخطاب جاء مخيبا للآمال ، ففي الوقت الذي كان رجال الدين في النجف يؤيدون حظر تجارة الرقيق إلا أنه لم يكن هناك نص في الشرع الإسلامي يحرم تجارة الرقيق ، وقالوا بأن أي عمل لم ينص على تحريم في القوانين المنزلة يعتبر حلالا ، وبالتالي فإن تفسير شيل لهذا الإجراء ، لم يكن تفسيراً صحيحاً ، نظراً لأن التطرف الذي يضيفه المشروعون في تفسيرهم للاختلافات اللفظية ، قد يدفعهم إلى تبرئة شراء الرقيق من الجرم الذي يقع على البائعين للرقيق (٢) .

عندما تسلم بالمرستون خطاب شيل حول هذا المعنى علق بأن العالم الذي افتى بهذا الرأي ، إنما كان يحاول طمس الحقائق بصورة ماهرة ، وتساءل بأنه إذا كان في وسع الشاه أن يمنع دخول أي سلعة من السلع التجارية إلى فارس ، أفلا يمكنه أن يمنع استيراد الرقيق إلى البلاد (٣)

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل إلى بالمرستون ١٨٤٧/٩/٢٢ (رقم ٩) ، ومرفق به صورة من خطاب حاج ميرزا اغاس إلى شيل ١٨٤٧/٩/٧ .

(٢) من شيل إلى رولنسون ١٨٤٧/٩/١٨ ومرفق بالخطاب السابق .

(٣) ملفات وزارة الخارجية من رولنسون إلى شيل ١٨٤٧/١١/٨ ومرفق نسخة منه في خطاب اللفتنانت كولونيل فرانت إلى بالمرستون ١٨٤٧/١٢/١٨ (رقم ٢) .

غير ان بالمرستون لم يكن فى وضع يسمح نه بطرح هذا السؤال ، فى الوقت الذى كان يرفض بنفسه وبطريقة ماكرة أيضا الاعتراضات التى ظل الشاه يتمسك بها انطلاقا من مركزه الدينى وواجبه الاسلامى فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، واعتبر تعنت الشاه وفتوى مفتى النجف محاولة لاحراجه بعد ان تاكد له من التقارير التى كانت تصله من الخليج ، ما تنبأ به هانيل وغيره من تطورات سوف تحدث ، كنتيجة لتطبيق المعاهدات المعقودة مع السلطات الفارسية والتركية وساحل الهدنة ، لتحول تجارة الرقيق الى الساحل الفارسى ، اما صور ومسقط فقد بقيتا منطقتين لتبادل الرقيق الافريقى ، وان كان هذا الرقيق يتم نقلهم فى اغلب الاحوال على السفن التى ترفع الاعلام الفارسية ، وكانت نفس هذه السفن قبل ذلك ترفع اعلام مسقط وساحل الهدنة كما كانت تفرغ حمولتها من الرقيق حيثما تشاء ، اما بعد صدور القانون فقد كان يتم تفرغ الرقيق المتوجهين الى ساحل الهدنة فى ساحل الباطنة او فى لنجه ، ثم من هناك ينقلون الى البحرين وساحل الهدنة ، كما ينقل بعضهم الى بوشهر ، ومنها يوزعون على المناطق الفارسية او يعاد تهريبهم الى الكويت والبصرة (١) .

وقد استاء بالمرستون مما أدت اليه هذه التطورات فبعث فى اواخر مارس بخطاب شديد اللهجة الى اللغتنانت كولونيل تى . تى : فرانت القائم بالأعمال البريطانى فى طهران وطلب منه القيام بتحذير الحكومة الفارسية ، بانها اذا تمادت فى موقفها فان القرار البريطانى السابق لتفتيش جميع

(١) نفس المصدر مذكرة من بالمرستون ١٨٤٨/٣/٢٣ .

السفن بما فيها سفن فارس سوف يوضع موضع التنفيذ (١) كما طلب منه الأيعاز الى هانيل بتنفيذ مقترحاته التي سبق أن تقدم بها فى شهر نوفمبر ، بإبلاغ شيوخ ساحل الهدنة باعتبار انزال الرقيق فى أراضيهم من جانب السفن الأجنبية عملاً محظوراً ، نظراً لأنه يتعارض مع اتفاقيات معاهدة ١٨٤٧ ، ولما كانت السفن التي تقوم بنقل الرقيق هى السفن الفارسية ، فقد طلب من هانيل إبلاغ شيوخ المنطقة بأن الطرادات البريطانية سوف تستولى على جميع السفن الفارسية التي تقوم بنقل الرقيق الى مناطقهم والافراج عن الرقيق فى الأراضى الخاضعة لبريطانيا (٢) .

غير أن بالمرستون عاد بعد أسبوع فأعرب عن أسفه فى ارسال تلك التعليمات المتسرعة وأمر بالغائها ، ولكنه بسبب اغفال التبليغ بهذه التعليمات ، فقد تعذر تسوية هذا الخطأ قبل حلول شهر أغسطس (٣) وقد اقتنع الجميع بعدم اللجوء الى الاجراءات المشددة . واستهل فرانت

(١) ملفات وزارة الخارجية من بالمرستون الى فيرانت ١٨٤٨/٣/٣٠

(رقم ١) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) اعد تقريران برقمى (١ و ٢) بتاريخ ٣٠ و ٣١ مارس ١٨٤٧

على التوالى ويتضمن التقريران الأمر بتفتيش السفن الفارسية وكانا فى طريق ارسالهما بالبريد عندما عاد بالمرستون وقرر اعادة النظر فيهما يوم ٦ ابريل ووقف العمل بهما ، وقد اجرى تعديل فى الامر الأول اما الثانى فقد ارسل دون ادخال أى تعديل عليه .

محدثاته مع الشاه فى أواخر مايو ١٨٤٨ ، وفى ١٢ يونيو وافق الشاه على إصدار القرار بحظر استيراد الرقيق الى فارس بطريق البحر ، وقد جاءت هذه الموافقة فى رسالته الى الحاج ميرزا أغاسى بتاريخ ١٠ رجب ١٢٦٤ الموافق ١٢ يونيو ١٨٤٨ ، وتنص على ما يلى : .. سعادة الحاج ، يجب الا تسمح لهم بجلب زنوج عن طريق البحر ويسمح لهم بذلك عن طريق البر فقط ، وهذا الأمر يصدر بصورة خاصة من أجل السيد فرانت فنحن مسرورون منه جدا ، وقد وافقنا على ذلك ، وعليكم تبليغ حكام فارس وعربستان بأننا نظرا لطيبة السيد فرانت قد وافقنا على هذا القرار ، وان كان هناك بعض المحادثات التى لاتزال مستمرة بيننا وبين الحكومة البريطانية حول هذا المسألة (١) وفى أواخر الشهر أرسلت نسختان من هذا القرار الى الحكام العام فى كل من اقليم فارس و اقليم خوزستان (٢) وفى رسالة فرانت الى بالمرستون ذكر بأن الآثار الفعلية لهذا القرار ، هو أن الحظر يشمل تجارة الرقيق فى كل الأراضى الفارسية ، لأن الطريق البرى غير عملى ، وصاحب الجلالة يعلم ذلك ويستطرد فرانت فيقول بأن استخدام الشاه لعبارة « لحضورهم بطريق البر » هى لمجرد التمويه على رجال الدين ، الذين يقفون موقف المعارضة لالغاء هذه التجارة (٣) والواقع

(١) اشارة بخط الشاه مؤرخ ١٠ رجب ١٢٦٤ المطابق ١٢ يونيو ١٨٤٨ وقد ارفقت بخطاب فيرانت الى بالمرستون ١٧/٦/١٨٤٨
ز رقم ٤) .

(٢) مراسيم الشاه والخطابات المتبادلة بين جرانت ومجلس ادارة الشركة وقد وردت فى « المعاهدات » اعداد اتيشيسون فصل ١٠ ص ٦٦ - ٦٩ .

(٣) من فيرانت الى بالمرستون ١٧/٦/١٨٤٨ (رقم ٤) .

أن هذا المرسوم قد تمخض عن نتائج تفوق فى نتائجها الآثار التى أسفر عنها المرسوم التركى فيما يتعلق بممارسة هذه التجارة فى الأراضى الخاضعة لتركيا فى الخليج ، لأنه يشمل الموانئ الفارسية كلها ، ولا يقتصر على الرقيق المخولين على السفن الفارسية . أما لماذا غير الشاه موقفه بهذا الشكل فلم تعرف أسبابه ، وقد تكهن فرانت بأن السبب فى ذلك يعود الى تبادل التصديق على وثائق معاهدة أرض الروم ، الأمر الذى أراح الشاه كثيرا ، وفى هذا المناخ النفسى تحمس الشاه فوق على هذا القرار ، وليس هناك سبب آخر لهذا التحول ، ومن ناحية أخرى فىمكن الاستنتاج عن هذا التغيير بأن الشاه قد مل من الإلحاح عليه بهذه المشكلة فأراد التخلص نهائيا من هذا الأشكال فأصدر هذا القرار .

وإذا اعتبرنا هذا الاستنتاج استنتاجا صحيحا ، فإنه يأتى على عكس موقف بالمرستون الذى لم يعرب عن ارتياحه لهذه التنازلات التى قدمها الشاه ، وذكر وزير الخارجية بأن المرسوم جاء خلوا من تفويض السفن البريطانية بتفتيش ومصادرة السفن الفارسية التى تمارس تجارة الرقيق ، لأنه بدون هذا التفويض فإن الحظر فى رأى بالمرستون لا قيمة له على الإطلاق ، وقد بلغ استياء بالمرستون من هذه النتيجة الى حد اتهام فرانت بالتقصير والاهمال فى واجبه (١) ولعل بالمرستون لم يدرك ما ينطوى عليه الموضوع من مضاعفات ، وكانت طريقة معالجته تتسم بالانفعال بحيث أصبح يعتقد بأنه لا سبيل الى حل تلك المشكلة الا باللجوء الى القوة واتخاذ الإجراءات التعسفية . ولقد اعرب الشاه عن استعداد حكومته للموافقة

(١) انظر خطاب بالمرستون فىرانت ١٢/٩/١٨٤٨ (رقم ٥)

على تفتيش السفن الفارسية ، بشرط أن تتم هذه الاجراءات فى هدوء ، وعدم الاعلان عنها ، وأن تتوقف المفوضية البريطانية فى طهران عن طلباتها المتكررة ، لمنحها حق التفتيش ، وقد فعل الشاه هذا فى وجه معارضة قوية من رجال الدين ، وعن وجود عادات اجتماعية راسخة ومشاعر قومية متطرفة .

وقد تجلبت هذه الرغبة فى التعاون فى تلك القرارات التى اصدرها حسين خان الحاكم العام لاقليم فارس الى ولاة الاقاليم فى الموانئ الرئيسية ، بعد تلقيه الرسوم من الحكومة المركزية فى طهران ، وبعد أن طالب حسين خان الحكام بوضع هذه القرارات موضع التنفيذ فوراً ، اوضح لهم ، أنه بالنظر الى التفاهم القائم بين الدولتين العظميين ، فقد نوضت السفن الحربية البريطانية بالعمل على مكافحة تجارة الرقيق التى تتم عن طريق البحر (١) وشبه حسين خان هذا الرسوم بالرسوم السابق الذى منح الطرادات البريطانية صلاحيات للعمل على المحافظة على الأمن فى الخليج ومكافحة القرصنة داخل المياه الاقليمية الفارسية ، وعلى الرغم من ان هذه الصلاحيات لم تمنح بشكل رسمى ، الا أن السلطات الاقليمية فى فارس ، قد وافقت عليها ، كما وافقت عليها الحكومة المركزية . ومما يبعث على الاسف أن يسمح بالمرستون الذى كان يعرف أكثر من أى شخص آخر ، معارضة الحكومة الفارسية لاعطاء أى فرصة لروسيا

(١) مرفقات لخطابات بومباى السرية مجلد ٩٥ مرفق للخطاب السرى رقم ٧٥ المؤرخ ١٨٤٨/٨/٣١ من حسين خان الى الشيخ ناصر خان حاكم بوشهر وقائد الأسطول (يوليو ١٨٤٨) ومرفق صورة منه بخطاب هانيل الى فيرانت ١٨٤٨/٧/١٥ (رقم ٢١٧ الادارة السرية) .

إمالتها بتنزلات مماثلة تمس استقلالها ، أن يسمح للأمر بأن تتردى إلى هذا الحد . ويرفض رفضا باتا معاملة الحكومات الشرقية واحترام متاعرها القومية ، وبالتالي يستمر في الضغط على حكومة فارس لمنح البريطانيين حق تفتيش السفن الفارسية والاستيلاء عليها ، وكان نتيجة ذلك ان المشكلة التي كادت أن تحل في عام ١٨٤٨ ، بقيت معلقة لعدة سنوات اخرى .

استمرت عمليات نقل الرقيق إلى الخليج بأعداد كبيرة خلال عام ١٨٤٨ . ١٨٤٩ . ١٨٥٠ : رغم وجود اتفاقيات حظر هذه التجارة ، أما في عمان فقد انتقل هذا النشاط إلى صور الواقعة على بعد مائة ميل إلى الساحل ، وتحوت هذه البلدة إلى سوق رئيسية للرقيق في جنوب شرفى الجزيرة العربية وجنوب فارس ، غير أن السفن البريطانية كانت من النادر أن تزور صور ، كما أن سكان صور لم يكونوا يقيمون وزنا لسلطة السيد سعيد ، ومن صور كان يتم نقل الرقيق في سفن صغيرة إلى ساحل الباطنة أو الشمالية ، ومنهما إلى داخل البلاد ، وكان معظم الرقيق يباع في داخل عمان أو في ساحل الهدنة ، كما كان بعضهم ينقل إلى لنجه . وفى شهر مايو ١٨٤٩ قام هانيل بمحاولة للحد من نشاط عدد التجارة فعقد اتفاقا مع حاكم صحار سيف بن حمود بن عزان ، وذلك على غرار الاتفاقيات التى سبقت أن عقدت مع شيوخ ساحل الهدنة قبل ذلك بعامين ، غير أن هذا الاتفاق لم يكتب له النجاح ، نظرا لأن صحار نفسها لم تكن مشتركة في تجارة الرقيق (١) .

(١) من مرفقات الخطابات السرية إلى بومباى مجلد ١٠٠ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٤ المؤرخ ١٠/٣١/١٨٤٩ من هانيل إلى ماليت ١٨٤٩/٥/٢٢ (رقم ١٥٣ الف الإدارة السرية) و « المعاهدات » اعداد =

أما السيد سعيد فلم يكن يكثرث بتطبيق معاهدة ١٨٤٥ لمنع هذه التجارة فيما بين شطرى المملكة ، وعندما احتج هامرتون بشدة على هذه الانتهاكات الصارخة للمعاهدة ، غضب السيد سعيد من هذا التدخل الذى وصفه بأنه يسبب له ازعاجا (١) مستمرا ، الا أنه اضطر فى النهاية وتحت ضغط هامرتون الى ارسال تعليمات الى نجله ونائبه فى مسقط السيد ثوينى بن سعيد لوقف بيع العبيد فى السلطنة ، ورغم أهمية تلك التعليمات الا أنها لم تسفر عن نتائج حاسمة ، فقد ظلت تجارة الرقيق مزدهرة حتى أن إحدى السفن التابعة للسيد سعيد نفسه قد وجه اليها الاتهام بنقل العبيد من زنجبار ، وراجت اشاعة فى الخليج بأن السيد سعيد قد وبخ احد ربانة السفن التابعة لساحل الهدنة ، عندما طلب منه السماح لنقل بعض العبيد من زنجبار ، وذكر له بأنه كان يتعين عليه جل تلك المشكلات بنفسه ، وعدم ازعاجه بمثل هذه الأمور (٢) وقد اشتد غضب السيد سعيد أكثر عندما جاء لزيارته مبعوث خاص من شريف مكة

= انيشيسون فضل ١١ ص ٨٩ بالنسبة لسيف بن حمود راجع ص ٣٩٦ من الكتاب .

(١) نفس المصدر مجلد ٩٧ مرفق للخطاب السرى رقم ١٧ المؤرخ ١٨٤٩/٢/٢ من هامرتون الى ماليت ١٨٤٨/٩/١٣ (رقم ١٩ الادارة السرية) .

(٢) نفس المصدر مجلد ١٠٠ مرفق للخطاب السرى رقم ١٧ المؤرخ ١٨٤٩/٢/٢ من هانييل الى ماليت ١٨٤٩/٦/٢٧ (رقم ١٨٥ الادارة السياسية) .

(٢٤ - بريطانيا والخليج / ٢)

وانتقد موقفه من تجارة الرقيق ، واعتبره اساءة للمسلمين فى كافة بقاع الارض وذلك بالاذعان لبريطانيا بحظر تجارة الرقيق (١) ولم يكن فى وسع السيد سعيد ان يتجاهل اهمية هذا الاحتجاج نظرا لان شريف مكة محمد ابن عون كان فى ذلك الوقت اقوى شخصية فى شبه الجزيرة ، والحاكم الوحيد الذى يقف فى وجه التوسع الوهاى .

غير ان جميع هذه الاعتبارات تعتبر ثانوية ازاء السبب الحقيقى ، وهو ان السيد سعيد لم يكن قادرا فى الحقيقة على حظر تجارة الرقيق ، وفى اغسطس ١٨٥٠ ذكر هامرتون فى تقرير له بالمرستون بأنه لا يوجد فى ديوان صاحب السمو مسئول واحد يمكن ان يحترم اوامر السيد سعيد فيما يتعلق بحظر هذه التجارة (٢) وقد ايده فى هذا الراى اللورد فولكلان حاكم بومباى ، الذى كتب يقول « بأنه ليس ثمة امل فى النجاح ما لم تتخذ اجراءات فعالة من جانبنا لحظر هذه التجارة » (٣) وفى سبتمبر ١٨٤٩ ذكر قائد الاسطول الهندى فى اعقاب ابرام اتفاقية صحار « اننى لا اتصور باننا نملك من الاسباب ما يبرر اتخاذ اجراء فعال لوقف هذه التجارة ، لان هذه العملية سوف تتطلب منا امكانيات اكثر مما لدينا ، نظرا

(١) ملفات وزارة الخارجية من هامرتون الى بالمرستون

١٨٥٠/٨/٢٠ (رقم ٥) .

(٢) نفس المصدر من هامرتون الى بالمرستون ١٨٥٠/٨/٢٠

(رقم ٥) .

(٣) مرفق للخطاب السرية الى بومباى مجلد ١٠٤ مرفق للخطاب

السرى رقم ٥٩ المؤرخ ١٨٥٠/١٠/٣١ محضر من اعداد فولكلاند

١٨٥٠/١٠/٢١ .

لما سوف تستغرقه هذه العملية (١) من وقت ، وفى صيف عام ١٨٥٠ ساءت الأوضاع أكثر ، عندما انضم القواسم سكان ساحل الهدنة الى الصراع القائم بين سلطتى الحكم القائمة فى مسقط وصحار ، وتمكنوا فى خلال فترة وجيزة من الاستيلاء على جزء هام من منطقة الشمالية بما فيها دبا وخورفكان ، الامر الذى مكنهم من انزال الرقيق خارج منطقة الخليج ونقلهم من هناك الى الشارقة ورأس الخيمة ، وبذلك تفادوا الاسطول البريطانى المرابط فى مضيق هرمز ، فضلا عن ذلك فان نجاح القواسم يرجع الى تسجيل سفنهم فى فارس ، مما جعل مصادرة تلك السفن من جانب الاسطول البريطانى اقل احتمالا .

وعلى حين حافظت ارقام حجم تجارة الرقيق الى الخليج فيما بين اعوام ١٨٤٨ ، ١٨٥٠ على معدلها الذى كانت عليه قبل ابرام معاهدتى ١٨٤٥ ، ١٨٤٧ ، الا ان طبيعة هذه التجارة قد تغيرت ، وفى تقرير لهامرتون فى شهر أغسطس اكد بأن الأرقام لا تصل الى خمس حجمها قبل بضع سنوات (٢) وبعبارة أخرى فان حصة الرقيق الافريقى من هذه التجارة قد أخذ يتضاءل فى مقابل ارتفاع فى حجم الرقيق الحبش ، وعلى سبيل

(١) نفس المصدر مجلد ١٠٠ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٤ المؤرخ

١٨٤٩/١٠/٣١ من الكومندور كوشنجتون الى فوكلاند ١٨٤٩/٩/٧

(رقم ٥١٢ الادارة السياسية) .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من هامرتون الى بالمرستون

١٨٥٠/٨/٢٠ (رقم ٤) .

المثال بلغ عدد الارقاء الاحباش الذين تم استيرادهم خلال سبتمبر فقط ٤٨ فردا ، بينما لا يزيد هذا الرقم على ١٢ فردا خلال الموسم كله سابقا ، وكان يتم استيراد الرقيق الاحباش من بربرة وزيلع وتاجورا على ساحلى الصومال والحبشة ، كما كان الحجاج الذين يعودون من الاراضى المقدسة يصطحبون معهم بعض الرقيق الذين يشترونهم من جدة ومخا ، كما كان يفعل ربانة وبحارة السفن التابعة للخليج نفس الشيء ، ويعودون ببعض الرقيق من البحر الاحمر ، ويمكن تكوين فكرة عن حجم تجارة الرقيق فى الحبشة من مئات الرقيق الاطفال الذين يتم احضارهم عن طريق ميناء بربرة من هرر ، ومن سوق الرقيق السنوى الذى يقام فى بربرة ، وكانت القوافل التى تنقل العبيد تضطر الى الانتظار اياما عديدة خارج البلدة اذا عرفت ان هناك بعض السفن الحربية البريطانية موجودة فى الميناء ، وهى لا تستأنف رحلاتها الا بعد ان تغادر السفن البريطانية ميناء عدن ، كما كان ربانة السفن يحضرون معهم المئات من الرقيق الصغار السن (١) .

وقد اشترى ربانة السفن التابعة لصور وموانئ الخليج ٣٠٠ طفل من هؤلاء الرقيق (٢) . وقد ذهل بالمرستون من ضخامة عدد الرقيق

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ٩٧ مرفق للخطاب السرى رقم ١٧ المؤرخ ١٨٤٩/٢/٢ من هانيل الى ماليت ١٨٤٨/١٠/٣٠ (رقم ٣٦٥ الادارة السياسية) .

(٢) نفس المصدر مجلد ٩٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٤٤ المؤرخ ١٨٤٨/٥/٣٠ من هينز الى فاليت ١٨٤٨/٥/١٦ (رقم ٣٢ الادارة السرية) .

الأبحاش الذين يؤتى بهم الى الخليج بحيث انه طلب فى شهر مايو ١٨٤٨ من مجلس الهند اصدار التعليمات الى الأسطول الهندى باعتراض ومصادرة السفن التى تنقل الرقيق من الموانىء الواقعة على الساحل الغربى على البحر الأحمر ، وكان بالمرستون على ثقة من أن اتخاذ بعض اجراءات من هذا القبيل سوف يكون له اثره الملموس فى الحد من هذه التجارة ، فبمجرد أن يعرف الأهالى فى تلك المناطق بتصميم الحكومة البريطانية على القضاء على تجارة الرقيق فانهم سوف يتخلون عن ممارسة هذه التجارة (١) ، ويبدو أن بالمرستون كان متفائلا أكثر من اللازم فى رايه هذا، نظرا لأن تجار الرقيق كانوا على استعداد لاحتمال أى خسارة أو ضرر فى سبيل ممارسة هذه المهنة ، كما ذكر التجار الذين يجلبون الاطفال من بربرة بمنتهى الصراحة أنهم لن يترددوا فى القاء هؤلاء الاطفال فى البحر فى حالة اعتراضهم من جانب سفن الأسطول البريطانى ، وتبعاً لذلك فلقد أعاد بالمرستون النظر فى مسألة التفتيش والمصادرة التعسفية ، فطلب فى سبتمبر عام ١٨٤٨ من سلطات الهند القيام بمحاولة لاقتناع حكام بربرة بزليع وتاجورا بحظر تصدير الرقيق عن طريقهم (٢) وعلى هذا الأساس قام الكابتن هينز فى اكتوبر ١٨٤٨ بارسال طلب الى حاكم زليع وهى الميناء الرئيسى لتجارة الرقيق وذلك أثناء زيارة ذلك الحاكم له فى عدن ، وقد وافق الحاكم على اصدار مثل ذلك الحظر ، ولكنه اشترط أن تقوم الحكومة البريطانية بتوفير الحماية له فى حالة اصداره مثل ذلك القرار ، واقنع

(١) ملفات الخارجية من اللورد اديسبرى (وكيل الخارجية) الى

سكرتير مجلس الهند ٣٠/٥/١٨٤٨ .

(٢) راجع خطاب هينز الموقع ١٦/٥/١٨٤٨ .

الباب العالى بتعيينه حاكما على زيلع بصفة رسمية ودائمة (وكان هذا الاستقلال استقلالا اسميا ، لأن زيلع كانت تابعة لمخا) وتعويضه عن الخسائر التى سوف يتكبدها من جراء هذا الحظر (١) . غير أن بالمرستون لم يقبل هذه الشروط ، لاعتقاده بأن هذه الشروط مبالغ فيها ، وبالتالي فقد رفض الاتصال بالباب العالى حول هذا الموضوع ، خوفا من أن تفسر تلك الخطوة بأنها اعتراف من جانب الحكومة البريطانية بالسيادة العثمانية على تلك المناطق (٢) . وكان البديل الوحيد أمام بالمرستون هو العمل بالمعاهدات المعقودة بين سلطان مسقط وشيوخ ساحل الهدنة ، والتى تنص على امتناع سفن هذه المناطق من نقل الرقيق اثناء عودتهم من البحر الأحمر ، وتنفيذا لهذا الاجراء ، اقترح هينز ان يربط احد الطرادات البريطانية فى ميناء عدن ، وأن يقوم منها بدوريات منتظمة فى مخا والحديدة وجدة ، وذلك بالإضافة الى باخريتين مسلحتين تقوم بدوريات على الساحل الواجه للبحر الأحمر من مصوع الى زيلع على مدار العام ، وفى بربرة خلال الموسم السنوى للرقيق (٣) غير ان هذه المجموعة من السفن غير متوفرة فى عام ١٨٤٨ ، كما لم تكن متوفرة قبل هذا التاريخ.

(١) نفس المصدر من ادنجتون ؛ وكيل الخارجية الى سكرتير مجلس الهند ١٨٤٨/٩/٧ .

(٢) مرفقات الخطاب السرية الى بومباى مجلد ٩٦ مرفق للخطاب السرية رقم ٩٩ المؤرخ ١٨٤٨/١١/١٥ من هينز الى ماليت ١٨٤٨/١٠/١١ (رقم ٦٠ الادارة السياسية) .

(٣) ملفات وزارة الخارجية من ايسبرى الى سكرتير مجلس الهند ١٨٤٨/٥/٣٠ .

وإذا كان الهدف هو منع الاتجار فى الرقيق الأحباش فى الخليج ، فان الاجراء الخاص بوقفها ينبغى أن يتم فى الخليج وليس فى البحر الأحمر ، وحتى لو اتخذ مثل هذا الاجراء فى الخليج فان هناك عقبتين تعترضان تنفيذه ، نظرا لأن معظم تجار الرقيق هم من صور وساحل الهدنة ، وبالتالي ما لم يظهر سلطان مسقط استعدادا اكبر لتنفيذ معاهدة ١٨٤٥ على تجار الرقيق فى صور ، وما لم يوافق على مرابطة احد الطرادات فى ميناء صور ، فان هؤلاء التجار لن يتخلوا عن ممارسة هذه المهنة ، كذلك فانه ما لم يتم اعتراض سفن تجار الرقيق التابعة لساحل الهدنة قبل اجتيازهم منطقة رأس الحد ، فلسوف تتعذر ملاحقتهم ، خاصة أنهم أخذوا الآن فى رفع الاعلام الفارسية بمجرد دخولهم الى مياه خليج عمان ، ولهذه الأسباب فلم يكن من المحتمل تحقيق أى نجاح فى أى من هذين الاجراءين ويصبح البديل الوحيد ، هو مطالبة الحكومة الفارسية من جديد تخويل الطرادات البريطانية حق تفتيش ومصادرة هذه السفن .

توفى محمد شاه وخلفه على عرش فارس نجله ناصر الدين الذى اختار لرئاسة الوزارة ميرزا تقى خان الذى كان يشغل منصب وزير الدفاع (١) ويطلقون عليه فى فارس (أمير النظام) وكان هذا الوزير يتصف بصفات نادرة من بين الوزراء ، نظرا لخلقه واستقامته وكفاءته الفارقة ، وقد وصفه رولنسون بأنه رجل شجاع لا يهاب شيئا ، ويعتبر هذا الوصف من شخص لم يكن يجد فى الفرس ثمة ما يستحق الثناء امرا غير عادى ، وقد تجلت شجاعة الوزير فى تمسكه العنيد بحقوق

(١) عند توليته لمنصب رئيس الوزراء رفض اطلاق « لقب الصدر

الاعظم » واكتفى بلقب اقل مرتبة .

فارس الوطنية ضد الدولتين العظميين اللتين كان شبحهما يخيم على فارس ، بارغم من أن وطنيته هذه كانت تنحدر فى بعض المناسبات الى تثبيت أعمى بالأمور الشكلية فيما يتصل بالسيادة الفارسية ، كما ان جهوده فى سبيل تطهير الأوضاع الداخلية فى وجه معارضة قوية ، كانت تزعمها الملكة الأم ، لتخطيم قبضة الفساد وسوء الادارة ، انتزعت الاعجاب والثناء من أحد المراقبين البريطانيين للشئون الفارسية . ولو ان هذا الوزير عاش فترة أطول لكى ينجز ما كان ينوى انجازه ، فانه سوف يدخل التاريخ كواحد من الزعماء البارزين الذين تختصم العناية الالهية لتحقيق رسالة عظيمة (١) .

فى أواخر عام ١٨٤٨ أجرى الكولونيل فرانت بناء على رغبة كان قد ابدأها بالمرستون فى شهر سبتمبر الماضى فى الأوساط الفارسية لمنح حق التفتيش ومصادرة السفن الفارسية من جانب الطرادات البريطانية ، تنفيذا للمرسوم الذى صدر فى عهد الشاه الأسبق (٢) وقد علل الوزير هذا الاجراء بأنه ما دامت حكومة فارس لا تملك أسطولا حربيا لتنفيذ هذه الاجراءات ، فقد وافق الشاه السابق على أن تقوم سفن الأسطول البريطانى بذلك (٣) غير أن أمير النظام رفض هذا المطلب ، وقال بأن اقصى ما يمكنه الموافقة عليه هو تثبيت المرسوم السابق الخاص بحظر انزال الرقيق فى

(١) « تاريخ فارس » ص ٤٠٤ .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من فرانت الى بالمرستون ١٨٤٩/١/١

(رقم ١) .

(٣) نفس المصدر .

الموانيء الفارسية ، ولم يؤد اتصال آخر برئيس الوزراء الى نتائج أفضل ،
رقيب لالكولونيل فرانت بأن حكومة الشاه هي التي ستتولى بنفسها اعتقال
رعايا أي فرد من الرعايا الفرس يمارس تجارة الرقيق (١) .

في خريف عام ١٨٤٩ وقع أول انتهاك للمرسوم من جانب أحد
الرعايا الفرس ، فقد وصلت إحدى السفن الى ميناء بوشهر تحمل ١٨
فردا من الرقيق ، وكانت قادمة من مسقط وقد تولى هانيل ، بلاغ الأمر
الى وليم تايلور طومسون سكرتير المفوضية البريطانية في طهران الذي كان
يشغل في ذلك الوقت وظيفة القائم بالأعمال ، وقد لفت هذا نظر رئيس
الوزراء الى هذا الحادث وطلب منه معاقبة الربان ، غير أن رئيس الوزراء
كرر ما سبق أن ذكره لفرانت من أن الحكومة الفارسية هي التي من حقها
أن تقرر نوع العقوبة ، وعلى أية حال فقد ذكر رئيس الوزراء بأن غرامة
قدومها ٣٠٠ تومان سوف تفرض على ربان السفينة ، كما سيتم حجز
السفينة المذكورة في الميناء الى أن تدفع الغرامة . وقد استفسر طومسون
من رئيس الوزراء عما ستتخذه الحكومة الفارسية من اجراءات اذا تبين أن
السفينة قد غادرت الميناء ، وعما اذا كان الشاه سيوافق أن يقوم أحد
الطرادات البريطانية بإعادتها ، وقد رد رئيس الوزراء بأن الشاه لا يمكن
أن يوافق على هذا المطلب ، ووبخ طومسون على محاولته هذه لاستفزاز
السلطات الفارسية بهذه الطريقة اللتوية ، وقال بأن فارس قد سبق وأن
رفضت مثل هذا الطلب رفضا باتا (١) .

(١) نفس المصدر من فرانت الى بالمرستون ١٨٤٩/٢/٢ ؛ رقم (٢) .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من طومسون الى بالمرستون

١٨٤٩/١١/٢١ ؛ رقم (٦) .

على أن هذه الغرامة لم تستوف نظرا لأن المسؤولين فى إقليم فارس كانوا عاجزين أمام القبائل الساحلية . وعند عودة الكولونيل شيل لاستئناف أعماله فى المفوضية فى يناير عام ١٨٥٠ ، أشار لرئيس الوزراء بأنه يمكن التغلب على عجز الحكومة عن طريق تفويض الأسطول البريطانى فى الخليج باعتراض وتسليم السفن الفارسية التى تقوم بنقل الرقيق الى سلطات الاقاليم الفارسية ، وان يسرى هذا الاجراء لمدة عامين ، الا أن رئيس الوزراء رفض هذا الاقتراح ، وأوضح لشيل بأن الوقت لن يتون بعيدا عندما تتمكن الحكومة المركزية فرض وجودها على كل شبر من اراضى فارس ويومئذ يصبح من السهل عليها فرض سلطتها على تجار الرقيق على أساس المرسوم (١) غير أن شيل لم يقتنع بهذا الرد ، وفى الشهر التالى أثار الموضوع مع الشاه شخصيا ، غير أن الشاه هو الآخر لم يرد ردا قاطعا ، وذكر لشيل : « بأن موضوع منح حق التفتيش الذى نطالب به الحكومة البريطانية قد يؤدي الى احداث ارتباك فى حركة التجارة ، ويهز ثقة التجار فى الحكم » وقال أيضا بأنه فى حاجة الى بعض الوقت للنظر فى هذا الموضوع . وقد اعتقد شيل بأن الشاه متأثر فى موقفه هذا بما ينقله اليه الفرنسيون من معلومات عن المشكلات التى نجمت فى مناطق أخرى من العالم بسبب منح مثل هذه الحقوق للبريطانيين ، وليس من الصعب على أى انسان أن يتصور مدى تأثير مثل هذه الأوقايل على حكومة كانت تعاني بالفعل من شكوك فى النوايا البريطانية . وهكذا يئس شيل من تحقيق أى نجاح عن طريق المباحثات ، وقد ذكر فى رسالة بعث بها الى بالمرستون بأن الحل الوحيد هو العمل بالاقتراح الذى سبق

(١) نفس المصدر من شيل الى بالمرستون ١٨٥٠/١/٢٦ (رقم ١) .

أن تقدم به أكثر من مرة ، وهو مصادرة الرقيق الذين تقوم السفن الفارسية بنفلهم ثم الافراج عنهم بعد ذلك ، وأن هذا الاجراء لو اتخذ ولو مرة واحدة أو مرتين على الأكثر فلسوف يردع تجار الرقيق ، ويقنع الحكومة الفارسية بجدية اناوقف البريطانى للقضاء على هذه التجارة ، كما انه يمكن فى هذه الحالة أن يتم تسليم الرقيق المفرج عنه الى حاكم البحرين أو سلطان مسقط ، وان كان شيل يدرك ان مثل هذا الاجراء سوف يبغى هذا الرقيق فى ظل العبودية ، وعلى أى حال فان اقتراح شيل هذا انما يقوم على أساس ان وضع الرقيق لن يكون اسوا من وضعهم فيما لو تم بيعهم فى فارس ، فى الوقت الذى ستكون النتيجة هى وقف تلك التجارة (١) .

على الرغم من أن بالمرستون كان يتعاطف مع شيل بالنسبة لهذه المقترحات الا انه كان يعتقد بأن الجانب الخاص بالرقيق المفرج عنه فيه كثير من التجاوز لان تسليم الرقيق الى سلطان مسقط سوف لا يعنى تسليمهم الى رجل يهوى امتلاك الرقيق فحسب وانما الى تاجر للرقيق (٢) اما بقية المقترحات فقد وافق عليها بالمرستون ، واذا كان ثمة اعتراض على بعضها فان هذا الاعتراض قد زال بوصول رسالة شيل الاخيرة لبالمرستون والتي ذكر فيها بأن كلا من الشاه ورئيس الوزراء قد رفض رفضا نهائيا منح حق التفتيش ، واذاف شيل فى رسالته بأن رئيس الوزراء الفارسى متأثر فى كل ما يتصل بالسياسة الخارجية

(١) ملفات الخارجية الى بالمرستون ١٨٤٩/١١/٢١ (رقم ٦) .

(٢) ملفات الخارجية مذكرة من بالمرستون ١٨٥٠/٥/٢ .

بشخص يدعى المسيو جان دافيد وهو من أرمينيا ، ويعمل مستشارا سياسيا لوزارة الخارجية الفارسية ، ولكنه فى الواقع موظف من موظفى البوضية الروسية فى طهران (١) وقد أوعز بالمرستون الى شيل بإبلاغ حكومة فارس بأنها اذا لم تقدر رغبة الحكومة البريطانية بتحويل الأسطول البريطانى حق تفتيش السفن الفارسية فان الأسطول البريطانى سوف يقوم باجراء التفتيش من جراء نفسه ، ولكنه سوف يقصر اجراءاته على الإفراج عن الرقيق فقط ، والسماح للسفن بمواصلة رحلتها الى أى مكان (٢) .

على امتداد صيف وخريف عام ١٨٥٠ وقع أكثر من انتهاك واحد للمرسوم الفارسى فى المحمرة وفى عدد من الموانئ الفارسية الأخرى ، وفام حاكم بوشهر بناء على الحاج من هانيل بفرض غرامات على ربانة السفن تتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ تومان ، وبمصادرة السفن التى قامت بالانتهاك ، ولم يعرف عما اذا كانت تلك الغرامات قد دفعت بالفعل أو ان أصحاب السفن تمكنوا من الإفلات نظير رشوات دفعوها للمسؤولين عن الموانئ ، واشترك شيل مع هانيل فى ارسال سيل من الاحتجاجات ضد هذا الانتهاك ، غير ان رد رئيس الوزراء لم يختلف عن رده السابق ، وهو أنه عندما تستب الأمور فى كافة أرجاء فارس فسوف تزول كل العقبات فى سبيل تطبيق سلطة الشاه حتى أقصى حدود الامبراطورية الفارسية،

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى بالمرستون ١٨٥٠/٣/٢٦

(رقم ٣) .

(٢) نفس المصدر من بالمرستون الى شيل ١٨٥٠/٦/٦ (رقم ٣) .

وسوف تنتهى تجارة الرقيق وغيرها من الأعمال غير المشروعة الى الأبد. وعندما استفسر منه شيل عن نوع الاجراءات التى سوف يتخذها للحد من تجارة الرقيق رد ردا غامضا وذكر بان ذلك سوف يتم على أية حال ، وكان أهم شىء فى موقف رئيس الوزراء هو انه كان يعارض بشدة ان يقوم الأسطول البريطانى بهذه الاجراءات ، وكانت أسباب هذا الرفض على حد رأى شيل هى ان منح حق التفتيش واعتراض السفن الفارسية من جنب الأسطول البريطانى سوف يتيح لبريطانيا سيطرتها على سكان المناطق الساحلية فى فارس ، وذلك على غرار ما حدث فى السواحل العربية ، الأمر الذى سوف يحول بينه وبين تحقيق خطته الطموحة بفرض سيطرة الدولة الفارسية على المناطق الجنوبية من فارس ، كما هو قائم فى المناطق الشمالية (١) .

وربما كان أهم سبب للرفض هو ان يؤدى منح مثل هذه الحقوق الى ان تطالب روسيا بحقوق مماثلة فى منطقة قزوين ، وقد ذكر رئيس الوزراء لشيل أكثر من مرة عن المساعدات التى قدمها الروس لوقف هجمات القرصنة والرق من جانب قبائل التركمان على امتداد سواحل منطقتى استر اباد ومازندران ، مما مكن الروس من السيطرة على تلك الاقاليم (٢) غير أن شيل حاول ازالة تلك المخاوف عند اجتماعه برئيس

(١) ملفات الخارجية من شيل الى بالمرستون ١٧/٦/١٨٥٠ .

(٢) فى عام ١٨٣٦ طلب الفرس من الروس مساعدة بحرية لقمع نشاط القرصنة التركمان فى مياه المنطقة الجنوبية الشرقية من بحر قزوين ، ثم بعد مضى بضع سنين عندما طلبت فارس من روسيا سحب سفنها ، لم يستجب الروس لطلبهم وانما قاموا فى سنة ١٨٤٢ باحتلال =

الوزراء فى يونيو ، وشرح له بأن الموقف البريطانى من فارس يختلف عن موقف روسيا ، وقال أيضا بأننى قد وجهت نظره الى حاجة فارس الماسة الى الاصدقاء ، وكيف أن الحكومة البريطانية كانت دائما تظهر مشاعر الصداقة والود لفارس ، سواء فيما يتعلق بعلاقة فارس بتركيا أو بروسيا ، وذكرته بموقف الحكومة البريطانية بمناسبة تولى الشاه الجديد سلطة الحكم ، ومن هنا فان الحكومة البريطانية تتوخى أن تكافئها حكومة فارس على تلك المواقف الودية ، وقلت له أخيرا بأنه من المحتمل ان يفسر موقف الحكومة الفارسية من طلب بريطانيا بالفتور (١) .

لم يرد رئيس وزراء فارس على هذه التفسيرات حتى شهر سبتمبر عندما عقد اجتماعا مطولا مع شيل ، والذي أكد له فيه مدى الخطر الذى ينجم من موافقة فارس على المطلب البريطانى ، وذكر له بأن الروس مطالبون بإنشاء مستشفى فى منطقة استراباد وأن لهم قاعدة بحرية فى جزيرة اشورادا ، وبأن رفضه للمطلب البريطانى يتيح له الوقوف فى وجه المطالب الروسية ، واستطرد رئيس الوزراء يقول بأنه ليس هناك أسرار فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وأنه يعتقد بأن السبيل الوحيد لوقف تغفل الروس فى الشمال هو رفض المطالب البريطانية فى الجنوب ، نظرا لأن منح أى نوع من الامتيازات للبريطانيين لابد وان يستتبعه منح امتيازات

= جزيرة استورادا القريبة من استراباد وحولوها الى قاعدة بحرية وبقوا هناك رغم المطالبة المتكررة للفرس لهم باحتلالها (انظر) تاريخ فارس تأليف واتسون ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(١) من شيل الى بالمرستون ١٨٥٠/٦/١٧ (رقم ٤) .

ممثلة للروس ، وانه اذا كان شيل يشك فى تلك الحقائق ، فما عليه الا ان يلقى نظرة على اوضاع البلاد نفسها ، وقال رئيس الوزراء بأن شعب فارس فقير فى القومية والوطنية ، مما يجعله شديد الحساسية من الناحية الدينية التى يرى فيها المتنفس الوحيد عن افتقاره عن القومية ، كما ان سلطة الحكم على البلاد محدودة جدا ، وان هناك شعورا يسود جميع طبقات الشعب يطالبه بالتغيير والتقرب الى الحكومات الأجنبية سواء كانت روسيا او انجلترا او تركيا ، فكيف استطيع والحالة هذه ان اوافق على طلب يعتبر بطبيعة الأشياء ، ومن خلال الفرق الواسع بين فارس وانجلترا ، انتقاصا لمركز فارس فى الوقت الذى يؤدى الى بسط نفوذ بريطانيا وسلطتها على فارس (١) .

غير ان رئيس الوزراء كان فى الحقيقة يميل الى تأييد شيل فى انه قد يأتى اليوم الذى يندم فيه على رفض المطالب البريطانية ، ولكنه قال بان هذا الاحتمال شر لا يمكن التنبؤ به او انه احتمال بعيد ، بينما الشر الذى سينتج عن الموافقة هو شر اكيد وفورى (٢) .

فى أعقاب هذا الاجتماع تقدم شيل باقتراح على بالمرستون ، بالقيام بضبط على رئيس الوزراء ، وذلك عن طريق تحذيره من أن الحكومة البريطانية لن تكون فى وضع يسمح لها بتقديم أى مساعدات الى فارس ، اذا ما تعرضت لأى مشكلة ، وقد وافق بالمرستون على هذا الاقتراح ،

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى بالمرستون ١٨٥٠/٩/٢٤

(رقم ٨) .

(٢) نفس المصدر وخطاب شيل المؤرخ ١٨٥٠/٨/٢٦ الى بالمرستون .

وطلب من شيل بأن يبلغ رئيس الوزراء الفارسي (١) بأنه في حالة طلب فارس أى مساعدة من بريطانيا او تدخل فى أى مشكلة قد تتعرض لها فيتعين عليه أن يعرب عن اسفه لرئيس الوزراء بعدم تلبيتها (١) . وعند اجتماع شيل بالشاه يوم ١٣ مارس ١٨٥١ ، ثم خلال اجتماعه برئيس الوزراء بعد أربعة أيام تأكد لشيل بأن الحكومة الفارسية غير موافقة اطلاقا على منح الامتيازات التى تطالب بها بريطانيا (٢) ومع ذلك فلم يكن رئيس الوزراء يرمى الى المضى فى رفضه هذا الى حد اغلاق الباب نهائيا فى وجه المطالب البريطانية وكان يبدو عليه أنه على استعداد للقيام ببادرة ما فى هذا الموضوع ، وفى الأسبوع الأخير من شهر مايو بينما كان شيل ورؤساء البعثات الدبلوماسية يرافقون الشاه فى زيارة الى اصفهان ، استدعى رئيس الوزراء يوم ٢٣ مايو سكرتير المفوضية البريطانية فى طهران وأبلغه بأنه ينوى تكليف احد كبار المسئولين الفرس بمرافقة احد الطرادات البريطانية فى جولة بحرية فى الخليج فى الصيف القادم ، والاستيلاء على أى سفينة فارسية على ظهرها ارقاء ، وتسليم السفينة الى السلطات المحلية فى بوشهر ، أو أى ميناء آخر فى فارس وانزال العقوبات الصارمة لربانها أو اصحابها على انتهاكهم لقرار الشاه على ان يسرى العمل بهذه الإجراءات لمدة أربعة اشهر ، وان يظل امرها سرا عن سكان المناطق الساحلية للخليج (٣) .

(١) نفس المصدر من بالمرستون الى شيل ١١/١١/١٨٥٠ (رقم ٦) .

(٢) نفس المصدر من شيل الى بالمرستون ١٦/٣/١٨٥١ (رقم ٦) .

(٣) ملفات وزارة الخارجية من طومسون الى بالمرستون ٢٣/٥/١٨٥١ .

لكن شيل رفض الاقتراح على أساس انه اقتراح لا جدوى منه ،
وبعث برسالة من اصفهان الى رئيس الوزراء يقترح مرة اخرى تفويض
الطرادات البريطانية احتجاز سفن الرقيق الفارسية بدون تحفظ ونقل
الرقيق المفرج عنهم الى المناطق الخاصة لبريطانيا مع احتفاظ الحكومة
الفارسية بحق تعديل هذا المرسوم اذا ظهرت فيه اية اخطاء (١) ،
اما رئيس الوزراء فقد رفض هذا الاقتراح ، وعاد الموقف الى الركود مرة
اخرى . وفي مستهل شهر اغسطس قابل شيل: رئيس الوزراء فى
اصفهان ليلفغه مضمون رسالة وصلته من بالمرستون ، تفيد بأن جميع
الدول المتحضرة فى العالم تقريبا قد منحت هذا الحق للحكومة البريطانية،
وبالتالى يجدر بحكومة فارس أن تحذو حذو تلك الدول (٢) . غير ان
رئيس الوزراء لم يعلق على هذا الموضوع بأى رأى ، وكان يبدو انه لم

(١) نفس المصدر من شيل لى بالمرستون اصفهان ١٦/٦/١٨٥١
(رقم ٨) فى خطاب خاص فى نفس التاريخ ذكر شيل لبالمرستون بأنه فى
حالة تنفيذ حكومة فارس بتهديدها للاستغناء عن صداقة بريطانيا ، فقد
يكون الطريقة التى ستنفذ بها هذا التهديد هو اصدار بيان يحرم الطرادات
البريطانية من حماية السفن التجارية الفارسية فى مياه الخليج . غير أن
بالمرستون اعتقد أن اتخاذ مثل هذا الاجراء سيكون خطوة متطرفة وسيكون
بمثابة حل مشكلة تخلق مشكلة أكثر خطورة (نفس المصدر مذكرة
بالمرستون ١٠/٨/١٨٥١ .

(٢) ملفات وزارة الخارجية من بالمرستون الى شيل ١٤/٤/١٨٥١
(رقم ٤) .

يعر هذا الأمر أى اهتمام ، الا انه فى اليوم التالى على هذا الاجتماع وبدون سابق انذار ، ابلغ رئيس الوزراء شيل بموافقة الشاه على الاتفاق لمدة احد عشر عاما ، تمنح بموجبه الطرادات البريطانية حق وتفتيش السفن البريطانية التى تنقل الرقيق ، باستثناء السفن التابعة للحكومة ، نظرا لانه لبس من المحتمل أن تقوم تلك السفن بمثل هذه الأعمال ، وعلى ان يقوم بعض المسئولين الفرس بمراقبة الطرادات البريطانية فى جولات تفتيشية لتنفيذ هذا المرسوم تحت اشرافهم ، على أن يتم تسليم السفن التى تخالف نصوص هذا المرسوم الى حكام الموانئ الفارسية والتأكد من فرض العقوبات الرادعة عليهم ، وان يبدأ العمل فى هذا الاتفاق اعتبارا من اول يناير ١٨٥٢ (١) .

لم تعرف الاسباب التى حملت رئيس الوزراء على أن يوافق على مثل هذه الاجراءات كما عجز شيل نفسه عن تفسير هذا التحول فى موقف امير النظام ، وربما كان لتدهور نفوذ رئيس الوزراء علاقة بالموافقة على هذه الاجراءات لقد خلق لنفسه خصوما كثيرين خلال محاولته تطهير جهاز الادارة وجهاز الحكم من الفساد ، وكان يسعى بذلك الى الحصول على تأييد بريطانيا فى حملته على الفساد ، ولم يجد فى المفوضتين الروسية والفرنسية من يناصره فى ذلك ، وعلى اية حال فقد كان هناك سبب مباشر لاتخاذ رئيس الوزراء مثل هذا الموقف ، فقد ذكر لشيل

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى المرستون ، اصفهان ١٨٥١/٨/٤ (رقم ١٠) ومرفق به الاتفاق وتاريخه شهر شوال/اغسطس ١٨٥١/١٢٦٧ وقد وردت فى « المعاهدات » اعداد اتيشيسون فصل ١٠ ص ٧٠/٦٩ .

فى اجتماعه الأخير به ، بأن التطورات الأخيرة فى فارس قد حدث من صلاحياته ، ومن بينها التهديد الروسى فى الشهر السابق . وفى بداية صيف ذلك العام قام بعض قراصنة التركمان فى إقليم مازندران بالاغارة على القاعدة الروسية فى جزيرة أشورادا ، وقد طالب الوزير الروسى المفوض فى طهران بعزل الأمير حاكم الإقليم الذى كان شقيقا للشاه ، بدعوى أنه أهمل فى واجباته والسيطرة على الأمور فى الإقليم ، وعندما عارض الشاه هذا الطلب ، هدد السفير الروسى بالانسحاب من فارس ، مما اضطر الشاه الى الأذعان ، واستدعاء شقيقه . وفى الأسبوع التالى قام رئيس الوزراء بإبلاغ الوزير البريطانى المفوض فى طهران بهذه الموافقة .

كان هذا هو مسار الأحداث كما ذكرت اللىدى شيل التى علقت على الاتصالات الرسمية التى جرت بين الدولتين بقولها : « انه يجب على الزنوج الأفريقيين أن يشكروا الحكومة الروسية لأنها كانت سببا فى هذا التحول (١) ، وفى الأشهر الاثنى عشر التى أعقبت ذلك تدخلت ثلاثة عناصر لتحول دون تطبيق هذا الاتفاق بصورة جدية ، الأول هو السبب المألوف ونعنى به نقص السفن الحربية العاملة فى الخليج ، والثانى هو عجز الحكومة الفارسية عن ممارسة سلطاتها على القبائل الساحلية لفارس ، والسبب الثالث هو تعيين اللورد هرانفيل بدلا من بالمرستون كوزير للخارجية البريطانية ، وذلك فى ديسمبر عام ١٨٥١ ، ثم انتقال هذه

(١) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى بالمرستون أصفهان فى

الوزارة فيما بعد الى الارملسبرى ، وكانت نتيجة تلك التغييرات ان ساد الفتور فى المحاولات المبذولة لوقف تجارة الرقيق .

لم يكن فى الخليج عام ١٨٥٢ غير طرادين ، نظرا لأن الجزء الأكبر من الأسطول الهندى كان يشترك فى الحملة على بورما ، وعلى الرغم من الازهاق الذى كانت تعانيه سفن الأسطول الهندى فقد أوعز الكابتن كامبل، الذى كان قد حل محل هانيل فى بوشهر ، الى الطراد تجرس بالتوجه الى ساحل الباطنة فى عمان ، فى النصف الأخير من شهر مايو ، لاعتراض أى سفينة عائدة من افريقيا فى نهاية الموسم وعلى ظهرها رقيق ، وربما كانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ أسطول الخليج التى يتم فيها احتجاج احدى سفن الرقيق ، وكان على الطراد احد المسئولين الفرس الذى انتدب ليكون شاهد اثبات اذا ما التقى الأسطول باحدى سفن الرقيق التى ترفع العلم الفارسى . وفى يوم ٢٤ مايو وصل الطراد الى ساحل الباطنة وظل يتجه جنوبا ويستوقف كل السفن التى يلتقى بها . وفى يوم ٢ يونيه وصل الطراد الى ساحل صور ، ولكنه لم يجد هناك اكثر من سفينتين صغيرتين، ثم غادر بعد ذلك الطراد الى مسقط حيث مكث بهسا عشرة ايام بسبب سوء الأحوال الجوية ، وهناك اكتشف قائد الطراد بأن الجولة كانت متأخرة نظرا لأن معظم السفن كانت قد سبقته الى المنطقة ، وقد رأى قائد الطراد ان يواصل جولته عبر ساحل الباطنة حتى اواخر يونيو ، حيث كان يقوم بتفتيش السفن القادمة من الجنوب ، ومن هناك انتقل الى مدخل الخليج حيث بقى اسبوعا آخر لأداء نفس المهمة ، وفى النهاية عاد ادراجة الى

قاعدته فى باسيديو عند نهاية الموسم (١) .

لم يعثر ترونسون على اى رقيق خلال الجولات التفتيشية التى قام بها واستغرقت ستة اسابيع ، بالرغم من ذلك فقد كانت كل الدلائل تشير الى ان عمليات استيراد الرقيق خلال ذلك الموسم لم تكن اقل من المواسم السابقة ، وبأن نفس العدد من السفن قد استخدم فى تلك العمليات ، وجاء فى تقرير لوكيل المثلية فى الشارقة بأنه تم انزال ما لا يقل عن ٤٣٥ عبدا فى الشارقة ، وان كان يعتقد بأن العدد يزيد عن ذلك ، كما ذكر بأن القواسم وحدهم قد استوردوا ما لا يقل عن ١٢٠٠ عبدا ، انزلوهم فى ساحل الشميلية (٢) كذلك وردت تقرير من لئجة تفيد ، بأن مجموعة كبيرة من الرقيق قد وصلت الى المنطقة خلال شهرى يونيو ويوليو ، وبالتالي فقد اصبح واضحا بأنه ما لم يتم توفير عدد كاف من الطرادات فان هذه الخطة التى استنفد اعدادها كثيرا من الجهد والتكاليف ستبوء بالفشل ، والاسوأ من ذلك كما ذكر كامبل لشيل فى يوليو ١٨٥٢ ، بأنه يعتقد بأن هذه الاتفاقيات قد جاءت فى غير صالح الذين عقدت من اجلهم ، وربما ادت هذه الاجراءات الاحتياطية الى ان بضائع تجار الرقيق من الأرباح التى تأتيهم من هذه التجارة ، بينما فى المقابل تسوء احوال الرقيق ، ويتعرضون لمعاملة أقسى أثناء الرحلة (٣) .

(١) مرفقات الخطابات السرية الى بومباى مجلد ١١٢ مرفق للخطاب السرى رقم ٨٣ المؤرخ ١٨٥٢/١٠/٢ من كامبيل الى ماليت فى ١٨٥٢/٦/٢٧ (رقم ٢٣٤ الادارة السياسية) ومرفق معه تقرير ترونسون من جولته ومؤرخ ١٨٥٢/٧/١٠ .

(٢) من كامبل الى ماليت فى ١٨٥٢/٧/٢٧ .

(٣) ملفات وزارة الخارجية من شيل الى مالسبرى ١٨٥٢/٨/١٨ (رقم ٢) ومرفق به خطاب كامبل الى شيل ١٨٥٢/٧/١٣ .

فى خريف ذلك العام وجه شيل نظر رئيس الوزراء الفارسى الجديد ميرزا اغا خان الى موضوع مجموعة من الرقيق وردت الى لنجه فى شهرى يونيو ويوليو . فقد اعترف رئيس الوزراء بصراحة عن عجز الحكومة عن القيام بأى اجراء فى هذا الصدد ، وهنا اقترح شيل ان يتم تفويض كامبل لاستخدام اسطول الخليج لارغام أهالى السواحل الفارسية على احترام مرسوم حظر تجارة الرقيق . فى البداية رفض الصدر الأعظم هذا الطلب ، غير انه عاد فوافق عليه بعد وقوع سلسلة من عمليات جلب الرقيق الى المنطقة (١) . وتم وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ لأول مرة فى شهر يناير ١٨٥٣ ، عندما قام كامبل بتكليف طرادين بريطانيين بقيادة قائد اسطول لنجه لفرض غرامات على زعماء المناطق الساحلية عقابا لاشتراكهم فى عمليات تجارة الرقيق ، وعلى اساس تعليمات أصدرتها حكومة فارس للأمور الاقليمى فى بوشهر الذى تم تعيينه خلال ذلك الشهر فرضت أول غرامة على تجارة الرقيق وذلك بما يعادل ثمن الرقيق الذى كان منقولا على ظهر السفينة ، كما فرضت عقوبة أخرى على نفس المنوال بالاضافة الى ٢٠٠ جلدة للمتهمين ، وعقوبة ثالثة تشمل الاثنتين بالاضافة الى مصادرة السفينة التى خالفت تعليمات المرسوم (٢) ولما كانت هذه أول مرة تفرض فيها عقوبات على قبائل السواحل الفارسية فقد اقترح كامبل على المأمور الفارسى تخفيف هذه العقوبات ، لان الغرض منها على حد رايه هو مجرد التحذير وليس فرض العقوبة بما يتمشى مع الجرم ، وقد وافقه المسئول الفارسى على هذا الاقتراح ، وقد أصدر كامبل لقائد الطرادات تعليمات

(١) نفس المصدر من شيل الى مالمسبرى ١٨٥٢/١٢/١٠ (رقم ٥) .

(٢) نفس المصدر من شيل الى بارستون ١٨٥١/١٢/٣١ .

بحسن معاملة المسئول الفارسى المرافق له واحاطته بالمجاملة والاحترام ومنحه حرية التصرف مع زعماء المناطق المعنيين ، واشتراكه فى توجيه المكاتبات الخاصة بهذا الموضوع ، وبعبارة اخرى طلب كامبل من الكومندور التقيد بحرفية اتفاق ١٨٥١ (١) .

كانت الخطة ناجحة جدا ، ومهدت لسلسلة من الاجراءات التأديبية . ونحسن يقظة وكيل المثلثة فى لنجه كان كامبل يحصل على معلومات مستمرة عن نشاط تجار الرقيق فى ميناء لنجه وغيره من الموانى الساحلية ، وقد تم احتجاز عدد من السفن فى هذا الميناء بناء على تعليمات المسئول الفارسى ، ولم يفرج عنها الا بعد دفع الغرامات المقررة . غير أن زعماء القبائل الساحلية لم يحنوا رءوسهم لهذا المرسوم بسهولة ، وظلوا يتدمرون من قسوة الاجراءات اذا قارنوها بما يحدث بين زعماء الساحل العربى الذين كانوا لا يكثرثون بهذه الاجراءات ، وكان كامبل يوافقهم على وجهة نظرهم هذه ، ولذلك فقد استخدم نفوذه بقدر المستطاع فى اقناع السلطات الفارسية بتخفيف الغرامات ، غير أن هذه التدابير قد فشلت لسببين : السبب الاول هو عجز السلطات الفارسية المحلية عن فرض سلطتها على الزعماء الأقوياء فى الساحل ، والسبب الثانى هو ارتشاء المسئولين الفرس فى الاقاليم يحكم ضالة رواتبهم وتجاهل الحكومة الفارسية لأوضاعهم المعيشية . فبالنسبة للسبب الاول لم يكن فى وسع كامبل ان يقوم بعمل اى شىء ، فقد تدخلت عوامل كثيرة فى المشكلة منها

(١) نفس المصدر من طومسون ؛ القائم بالأعمال) الى الورد جون رسل وزير الخارجية ١٨٥٣/٣/١٥ ، ومرفق صورة من خطاب كامبل الى الكومندور روبنسون ١٨٥٣/١/٢٨ .

تضارب السياسات المحلية وضعف جهاز الدولة ، وعدم كفاءة المسؤولين،
ولهذه الاسباب تعذر على المقيم البريطاني ان يطلب من حكومة الشاه أكثر
مما فى استطاعتها ، كما تعذر عليه الضغط على زعماء منطقتى ننجستان
ودشتى خوفا من أن يؤدى ذلك الى انهيار سلطة الدولة فى المناطق
الساحلية فى فارس . وعلى اية حال فقد كان من الممكن اتخاذ اجراء
لحل المشكلة الثانية . وفى يوليو ١٨٥٣ اقترح طومسون الذى تولى العمل
فى المفوضية البريطانية فى أعقاب سفر شيل الى انجلترا ، اقترح على
الحكومة الفارسية تخصيص خمس الغرامة التى تفرض على تجار
الرقيق لصالح المسئول الفارسى اذا ما ارادت الحكومة ان تقضى على
الرشوة ، كما بعث طومسون فى نفس الوقت بخطاب الى حكومته يتضمن
اقتراح كامبل السابق تخصيص منحة سنوية للمسئول الفارسى تحدد
وفقا لعدد الرقيق الذى يتم مصادرته ، وقد وافق ارل . اوف . كلارندون
الذى تولى وزارة الخارجية فى وزارة ابردين على اقتراح طومسون ، وتم
اعتماد ١٥٠ جنيها استرلينيا سنويا لهذا الغرض ، مع شرط واحد وهو
أن استحقاق هذه المنحة سوف يجرى وفق التزام المسئول الفارسى بتنفيذ
ما هو مطلوب منه ، وكان رأى كلارندون بأن دفع منحة سنوية أفضل من
الاقتراح الآخر الذى يقوم على تخصيص خمس الغرامة ، وبالتالي فقد
طلب من طومسون عرض الاقتراح على المسئول الفارسى عن طريق المقيم
البريطانى والاحتفاظ بالموضوع سرا عن الحكومة الفارسية (١) .

(١) ملفات وزارة الخارجية رقم ٩١٩/٨٤ من طومسون الى كلارندون
١٨٥٣/٧/١٤ (رقم ٦) ومن كلارندون الى طومسون ١٨٥٣/٩/٣٠
(رقم ٤) خصص هذا المبلغ من الاعتماد السنوى ومقداره ١٢٠٠٠
استرلينى الذى اعتمده شركة الهند الشرقية لنفقات المفوضية فى طهران .

تقدم كامبل بهذا العرض الى المسئول الفارسي فى اواخر عام ١٨٥٣ ،
ولخيبة امله رفضه المسئول بحجة ان قبوله لهذا العرض بغير موافقة رؤسائه
أو علمهم سوف يعرضه للمساءلة . وقد اقتنع كامبل بهذا الراى ، ولذلك
اقتراح على طومسون الاتصال برئيس الوزراء مباشرة وعرض هذا الاقتراح
عليه رسميا ، وقد وافق كلارندون على الاقتراح ، وكلف طومسون بعرضه
على الصدر الأعظم فى يوليو ١٨٥٤ ، الا ان رئيس الوزراء رفض الاقتراح
وأوضح بأن نفقات المسئول مبلغ زهيد جدا ، بحيث انه لا يستحق ان تعرض
الحكومة البريطانية المساهمة به ، كما قال رئيس الوزراء اذا تأكد
بأن مرتب المسئول لا يفي بحاجته فسوف يأمر بمنح زيادة له . غير أن وعد
رئيس الوزراء هذا لم ينفذ على الاطلاق (١) وفى اواخر عام ١٨٥٥ تقدم
المسئول بنفسه الى كامبل مستفسرا عن ذلك العرض ، وافاد بأنه مستعد
الآن لقبول المبلغ شريطة الا تعرف حكومته به ، وأنه على استعداد لتحمل
ما قد يترتب على ذلك من مسئولية ، وباحالة الامر الى كلارندون وافق
على تنفيذ الاقتراح ، ما دام المسئول الفارسي يعنى ما ينطوى عليه هذا
الامر من مخاطر ، وفى عام ١٨٥٦ نفذ هذا الاقتراح (٢) .

والسؤال الذى ينبى على ذلك هو الى اى حد نجحت الاتفاقيات

(١) ملفات وزارة الخارجية من طومسون الى كلارندون ١٦/٢/١٨٥٤
. رقم ٣) ، ومن كلارندون الى طومسون ٥/٥/١٨٥٤ (رقم ٥) ومن
طومسون الى كلارندون ١٧/٧/١٨٥٤ (رقم ٧) .

(٣) نفس المصدر من مورى (الوزير المفوض فى طهران) الى
كلارندون ٨/١/١٨٥٦ (رقم ١) ومن كلارندون الى مورى ٢٥/٢/١٨٥٦
(رقم ١) .

التي عقدت مع فارس لحظر تجارة الرقيق ، اما فى رأى كامبل فان هذه الاتفاقيات قد جاءت بنتائج أفضل من الاتفاقيات الأخرى التي عقدت مع دول الخليج ، وقبيل مغادرة كامبل للخليج فى نهاية انتدابه كتب يعلق على هذا الموضوع :

« ربما كان العيب الوحيد بالنسبة لفارس انها كانت آخر دولة تحذو حدو تركيا والدول الاسلامية الأخرى فى منح بريطانيا العظمى الامتيازات الخاصة بمكافحة تجارة الرقيق ، ولكنها أصبحت فى مقدمة الدول فى هذا المضمار من حيث التزامها لهذه الاجراءات ، سواء من حيث الشكل او من حيث المضمون ، ومما يؤيد ذلك هو تصرفات بعض زعماء الساحل الفارسى خلال الفترة التي اعقبت تطبيق هذا النظام . وخلال جولتى الاخيرة لدول الخليج اكد لى وكيل الممثلة فى لنجة بأنه لم يقف على حادث وأحد يدل على وصول رقيق الى ساحل لنجة خلال الموسم ، كما ان التحريات التي قمت بها فى هذا الصدد لا تحملنى على الارتياب فى صحة هذه المعلومات (١) .

لقد عرقلت الحرب الفارسية أعمال الرقابة على الساحل الفارسى ، وفى معاهدة باريس التي عقدت فى مارس ١٨٥٧ لانهاء هذه الحرب جددت اتفاقية عام ١٨٥١ (المادة ١٣) ومدت لفترة عشر سنوات أخرى ، وى من اغسطس ١٨٦٢ الى اغسطس ١٨٧٢ ، وتم الاتفاق على سريان مفعول هذه المعاهدة باستمرار ما لم يقرر احد الطرفين فسخها (٢) وفى ٢ مارس

(١) نفس المصدر من كامبل الى مورى ١٨٥٥/٦/٢٢ (رقم ٢١٢)
مرفق صورة من خطاب مورى الى كلارندون ١٨٥٥/١٠/١٦ (رقم ١) .

(٢) المعاهدت تأليف ايتشيسون ص ٧٧ - ٧٨ .

عقد اتفاق جديد بدلا من تلك المعاهدة ولكن مدته لم تجدد ، وانما تم في هذا الاتفاق الاستغناء عن المسئول الفارسي الذي يرافق الطرادات في تعقبها لتجارة الرقيق (١) .

على أن النجاح الذي تحقق على الساحل الفارسي لم يواكبه نجاح مماثل على الساحل العربي بالنسبة لمكافحة تجارة الرقيق وقد أشار كامبل في معرض تلخيصه لهذه الاجراءات في عام ١٨٥٥ بأن تنفيذ الاتفاقيات بالنسبة للساحل العماني كان يرتبط بنوع الاجراءات التي تتخذ بشأنها ، وكانت هذه الاجراءات تتمثل في تقديم التحذيرات ولاحترجالات المستمرة دون أن تأتي بأى نتيجة (٢) . وفي عام ١٨٥٣ لم تتوفر الا سفينة واحدة من اسطول الخليج لمكافحة تجارة الرقيق ، وقامت هذه السفينة بعمليتين خلال ذلك الموسم أسفرتا عن تحرير ١٥ عبدا ، ثم بعد عام آخر نوفرت باخرة أخرى عهد اليها القيام بدوريات ضد تجار الرقيق ، الا أنها لم تنجح في الاستيلاء على أى سفينة من سفن الخليج ، مما جعل كامبل يقتنع بأن النشاط التجارى فى الرقيق فى عمان وعلى الساحل العربى بوجه عام ، كان ولا يزال فى عام ١٨٥٥ على أشده ، وقد شجع تقرير كامبل فى هذا الخصوص مجلس ادارة شركة الهند الشرقية ، على الإيعاز لحكومة بومباى بعقد اتفاقية جديدة مع شيوخ ساحل الهدنة وحاكم البحرين ، بحيث يلتزمون فيها باتخاذ اجراءات أشد ضد أى انتهاك للاتفاقيات المعقودة ، وفى مايو عام ١٨٥٦ حصل الكابتن جونز المقيم البريطانى فى بوشهر على تعهدات جديدة من شيوخ المنطقة تلزمهم بمصادرة

(١) نفس المصدر فصل ١٠ ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢) ملفت وزارة الخارجية من كامبل الى موري ١٨٥٥/٦/٢٢ .

سفن الرقيق وتسليمها الى السلطات البريطانية ، وبإبلاغ السلطات البريطانية عن اى حادث من حوادث تجسارة الرقيق ، وحجز السفن وربابنتها حتى تصلهم التعليمات اللازمة من المقيم البريطانى فى الخليج (١) وعلى غرار ما سبق لم يطلب من حاكم الكويت الانضمام الى هذه الاتفاقيات، نظرا لان الكويت لم تكن تشترك بوجه عام فى تجارة الرقيق ، وما كاد يمر شهران على توقيع الاتفاقيات الجديدة حتى عثر الطراد فوكلان على احدى السفن الشراعية التابعة للكويت وعلى ظهرها عدد من الرقيق وكانت ترفع العلم التركى ، وقد تم احتجازها طبقا لمرسوم عام ١٨٤٧ ، وكان هذا الحادث هو اول حادث انتهاك للمرسوم التركى ، وقد وصف قائد الطراد فوكلان الاسلوب الذى يتصرف به بحارة مثل هذه السفن عند مباغثة الطرادات لها فى البحر كالاتى :

١) بعد ظهر يوم ٣٠ يوليو ١٨٥٦ عندما كانت سفينتنا تدخل الخليج التقينا باحدى السفن الشراعية فأخذنا نتعقبها ، وقد حاولت السفينة ان تغلت من الطراد وانطلقت بسرعة نحو الشاطئ ، وكانت الرياح فى ذلك الوقت خفيفة ، ولكن الطراد تمكن من الاقتراب من السفينة الى مدى قريب ، فاطلقنا عليها خمسة طلقات ولكنها لم تأبه بنا ، وكنا فى ذلك الوقت على بعد ميلين من الساحل فى منطقة تقع بين دبا وخورفكان عند خط عرض ٣٠/٢٥ شمالا وخط طول ٢٦/٥٦ شرقا وكان الجو هادئا ، وكلفت قاربين بقيادة المساعدين ديكنسون وكوركيت (من الاسطول الهندى) لتعقب هذه السفينة وما ان انطلق هذان القاربان حتى شاهدت السفينة

(١) المعاهدات تأليف ايشيسون فصل ١٠ ص ١١٧ .

تنزل جميع ركابها فى القوارب وتنطلق نحو الشاطئ ، ورغم ما بدلناه من جهد الا أن القاريين لم يتمكنوا من اللحاق بقارب السفينة الشراعية ، اذ استطاع الاختفاء من خلال الأمواج والوصول الى البر ، وقد عاد القاربان أدراجهما الى الطراد (١) .

واخيرا تمكنا من الاستيلاء على السفينة وسلمت الى السلطات التركية فى البصرة ، الا ان الأمل فى معاينة أصحاب السفينة كان ضعيفا ، لان والى البصرة (٢) ليس له نفوذ على شيخ الكويت ، وانما لانه لا يريد اغضابه (٣) .

(١) ملفات وزارة الخارجية من اللفتانات جابل الى كامبل بوشهر ١٨٥٦/٨/٢٩ ومرفق صورة من خطاب كامبل الى كلارندون بغداد ١٨٥٦/٩/٣٠ (رقم ٢٢) .

(٢) مراسلات وزارة الخارجية من كامبل الى سترادفورد ردكلف (السفير البريطانى فى القسطنطينية ١٨٥٦/٩/٣٠ (رقم ٣٠) ان العلاقة العربية بين الكويت والباب العالى يجب ان تؤخذ فى الاعتبار ، اذ على الرغم من اعتبار الكويت بلدا تابعا للباب العالى (فان سفنها جميعها تقريبا ترفع العلم التركى) وان سلطة الحاكم التركى على رعايا الكويت سلطة اسمية ولا يوجد حاكم تركى مقيم على ارض الكويت وان حاكمها لم يكن يدفع ركاة أو عائدا للحكومة التركية ، ورغم ذلك فهو يتلقى كل عام من الوالى العثمانى فى البصرة حصة من منتوج البلح مقابل تعهده بحماية شط العرب من أى هجوم بحرى عليه .

(٣) نفس المصدر .

وقد كان من المشكوك فيه أهمية الاتفاقات الجديدة التي عقدت مع شيوخ الهدنة وحاكم البحرين ، لأنه حتى لو تعهد هؤلاء الحكام بتسليم السفن المخالفة لهذه الاتفاقيات الى السلطات البريطانية ، على الرغم من ان الاتفاقيات لا تتضمن نصا صريحا بهذا المعنى ، الا انه لا بد اولا من الحصول على الادلة الكافية على اشتراك تلك السفن فى هذه التجارة ، قبل تقديم أصحابها للمحاكمة (١) . وكان جونز هو الآخر لا يتوقع تعاوننا من الشيوخ فى تنفيذ هذه الاجراءات ، وقال بأنه من غير المحتمل ان يقوم هؤلاء الشيوخ باحترام تعهداتهم ، نظرا لما فى ذلك من ضرر وخسارة لهم من الناحية الفعلية ، خصوصا اذا عرفنا أن تجارة الرقيق تشكل موردا لدخلهم ، كما كان جونز من المعارضين للحملة ضد تجارة الرقيق حتى اللحظة الاخيرة ، لأنه كان يعتقد بأنه عمل لا جدوى منه .

« ليس هناك شك بأن اتفاقيتنا واجراءاتنا فيما يتصل بمكافحة تجارة الرقيق قد أساءت الى مركزنا فى هذه الاقطار ، وأن هذه الانعكاسات الضارة تزداد بازدياد النجاح الذى نحققه فى هذا المضمار ، وما لم تتوفر لنا الامكانيات البحرية الكافية لممارسة الرقابة الفعالة فى المنطقة فان هذه المعاهدات لا تساوى الورق الذى كتبت عليه ، كذلك فان الدوريات البحرية لن تنجح فى القضاء على هذه التجارة طالما بقيت زنجبار منبع

(١) انظر مرفقات الخطابات السرية الى بومباي مجلد ١٢٦ مرفق للخطاب السرى رقم ٦٢ المؤرخ ١٨٥٦/٨/٢٨ اراء هوارد (نائب الحاكم العام لبومباي) ١٨٥٦/٦/٣٠ .

هذا الشك الذى ينطلق منها كل عام تحت ستار معاهدة خاصة مع الحكومة البريطانية « (١) .

بالرغم من أن رؤساء جونز فى الهند لم يوافقوه على هذه الآراء (وطلبوه بايضاحها) الا أنهم لم يستطيعوا أن يتجاهلوا اهميتها . وفى شهر يوليو ١٨٦٢ عندما اجتمع كولان بالسيد ثوينى فى مسقط للتباحث معه فى موضوع التحكيم بشأن النزاع بين مسقط وزنجبار ذكر له السيد ثوينى (٢) بأنه على اقتناع بفشل الاجراءات المعمول بها لاستئصال هذه التجارة طالما بقيت هذه التجارة معترفا بها قانونا فى داخلية أفريقيا الشرقية وزنجبار طبقا لمعاهدة ١٨٤٥ .

ان طول الساحل الافريقى يزيد على ٤٠٠ ميل وهو المنطقة التى تزدهر فيها هذه التجارة ، كما ذكر السيد ثوينى بأن أى اجراءات لمراقبة هذا الساحل تبدو مستحيلة ، ولا بد أولا من فسخ الامتيازات الممنوحة لحاكم زنجبار ومطالبته بحظر عملية نقل الرقيق ضمن ممتلكاته ، والعمل على تطبيق الحظر بصرامة على شيوخ الهدنة ورعاياهم لمنعهم من نقل الرقيق من افريقيا الى الخليج (٣) . وفى التقرير الذى بعث به كولان فى

(١) نفس المصدر من جونز الى اندرسون السكرتير لأوال لحكومة بومباى ٣/٢٧ و ٢٦ مايو ١٨٥٦ (رقم ٦ الادارة السياسية ورقم ٤٤ الادارة . لسياسية) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مرفقات لخطابات بومباى السرية مجلد ١٤٣ مرفق للخطاب السرى رقم ٣٢ المؤرخ ١٨٦٠/٨/٦ من كولان الى اندرسون ١٨٦٠/٧/٤ ; رقم ١٠ الادارة السرية - لجنة مسقط وزنجبار) .

ختم أعمال لجنة التحكيم الخاصة بالنزاع بين مسقط وزنجبار عن مسقط فإنه يرى حظر تجارة الرقيق ضمن اراضي سلطان زنجبار حظرا تاما ، على غرار ما حدث في سلطنة مسقط بموجب معاهدة ١٨٤٥ . وفي هذه الحالة فلا بد من تقديم العون لحاكم زنجبار في مكافحة هذه التجارة . وتعويضه تعويضا مجزيا مقابل القيام بهذه الاجراءات . وحسب تقدير كولان فان عدد العبيد الذين ينقلون من افريقيا الشرقية الى شبه الجزيرة يزيد على ٤٠٠٠ عبد كل عام ، وبالتالي يتعين تخصيص بعض السفن الحربية لمراقبة البشطاء بدءا من مقديشيو في الجنوب ، بالاضافة الى باخرة وطرادين لمراقبة المنطقة الساحلية الممتدة من رأس الحد حتى جزيرة مصيرة ، وذلك خلال شهر مارس وشهر يونيو من كل عام وذلك لتفتيش السفن العائدة الى الخليج خلال الموسم (١) .

خلال عام ١٨٦١ جاءت الاحداث فأكدت صحة آراء كل من السيد ثويني والكابتن جون ، فقد تدفق على زنجبار أعداد هائلة من عرب عمان وساحل الهندنة غالبيتهم من القواسم وأهل صور ، وذلك في بداية عام ١٨٦١ ، فمند وفاة السيد سعيد أخذ نشاط سكان تلك المناطق في تجارة الرقيق والقرصنة يتصاعد حتى فاق كل ما سبقه من مراحل ، وأخذوا في تهديد أهل زنجبار وارهابهم وسلبهم والاعتداء عليهم واختطاف كل من يستطيعون اختطافه . وقد أظهر السيد ماجد سلطان زنجبار عجزا تاما في السيطرة على الموقف ، وترك لهؤلاء الرعاع الجبل على الغارب ، خوفا

(١) نفس المصدر مجلد ١٤٤ مرفق للخطاب السري رقم ١٨ المؤرخ
١٨٦١/٥/١١ من كولان الى اندرسون ١٨٦٠/١١/١ (رقم ١٤ الادارة
السرية لجنة مسقط وزنجبار) .

منهم ، كما اخذ يفتدق عليهم الهدايا والمؤن . وقد كان هؤلاء العمانيون والقواسم يتظاهرون بأن زيارتهم لزنجرار عام ١٨٦١ هـى اخذ اكبر عدد من الرقيق . ففى الماضى كان هؤلاء يتوجهون الى زنجبار للشئون التجارية وكانوا ياخذون بعض الرقيق عند عودتهم طعاما فى زيادة ارباحهم ، أما الآن فلم تعد التجارة العادية تسد حاجتهم ، لقد جاءوا الآن الى زنجبار لممارسة تجارة الرقيق فقط ، مهما كانت الوسائل التى يستخدمونها للحصول على مآربهم ، وعلى امتداد شهور يناير وفبريار ومارس كانت سفن هؤلاء العرب تغادر ميناء زنجبار بأعداد هائلة من الرقيق ، وكان عدد ما تحمله السفينة الواحدة لا يقل عن ١٥٠ الى ٢٠٠ عبد ، ولم يستطع الكولونيل رجبى الوكيل السياسى البريطانى فى زنجبار أن يفعل شيئا لوقف هذه العمليات ، لدرجة أن بعضهم كانوا ينقلون العبيد من أمام مرسى القنصلية البريطانية ، متحدين القنصل بذلك ، وقد قام هؤلاء العرب بمحاصرة قنصل الولايات المتحدة فى زنجبار فى منزله ، وطالبوه بفتدية ، ولكن تم انقاذه من جانب قوة عسكرية أرسلها سلطان زنجبار لفتك الحصار على منزل القنصل ، وقد وصف رجبى حالة هذه القبائل بأنها كانت مشاغبة ومتوحشة ، وهم مجموعة من القتلة العجباء ، وقد ضمن هذا الرأى التقرير الذى بعث به حول تجارة الرقيق فى زنجبار الى حكومته .

ويقدر رجبى عدد الرقيق الذين شحنوا من زنجبار الى مسقط وبقية بلدان الخليج بثلاثة آلاف عبد تقريبا ، كما جلب الآلاف الى موانئ افريقيا الشرقية الداخلية كمباسا ، وكلوه ، وحسب تقديره نقل ما لا يقل عن عشرة آلاف عبد الى الشمال قبل نهاية الموسم . ولم تفلح طلباته الى السيد ماجد بتنفيذ التزامه بالحد من بيع الرقيق وفتقا للمعاهدة . وكتب الى بومباى معربا عن أسفه لتردد السيد ماجد وعجز جهازه الإدارى عن مواجهة

تلك المشكلة ، انظرا ، كما قال ، الى تدهور صحته وانهييار قواه الجسدية والعقلية (١) . وقد عاد الامل الى رجبى عندما وصل الطراد ليرا فى ١٩ مارس الى زنجبار، وعلى الفور انتهز فرصة وصوله وطلب من قائده القيام بتعقب بعض سفن الرقيق التى كانت قد غادرت لتوها ميناء زنجبار . وفى يوم ٣١ مارس عاد الطراد ليرا مصطحبا اربعة سفن محملة بمائة وخمسين عبدا . وقد استمر الطراد ليرا فى دورياته داخل وخارج الميناء فى محاولة للعثور على السفن التى لم تكن قد غادرت زنجبار بعد، وفى ليلة ٤ ابريل استولى الطراد على سفينة من صور تحمل ٥٦ عبدا . وفى الليلة التالية اقلعت من ميناء زنجبار احدى السفن الكبيرة التابعة للقواسم وعلى ظهرها ٩٠ مقاتلا وذلك لمهاجمة القوارب التابعة للطراد ليرا ، وقد تعرض الطراد لسيل من الحجارة القيت على القوارب ، وعندما حاولت هذه القوارب العودة الى الطراد غرق احدها بعد ان قذف فى مرساه ، واخيرا تمكن مجموعة من بحارة الطراد من اقتحام سفن الرقيق ، ولكنهم ارتطموا بجوانب السفينة التى كانت قد تمطبت ، كما ان السفن الاخرى التابعة للقواسم اضطرت الى الانسحاب وعليها بعض الجرحى ، وقد كان العزاء الوحيد لرجال الطراد من ذلك الاشتباك هو عدد القتلى من رجال القواسم الذين قدر عددهم ب ٢٢ قتيلا (٢) .

اضطر السيد ماجد تحت ضغط المعتمد السياسى البريطانى وقائد

(١) نفس المصدر مرفق للخطاب السرى رقم ٢١ المؤرخ ١٨٦١/٦/٢١ من رجبى الى اندرسون ١٨٦١/٤/١٨ (رقم ١٨ الادارة السياسية) .

(٢) نفس المصدر من رجبى الى اندرسون ١٨٦١/٤/١٨ (رقم ١٩ الادارة السياسية) .

الطراد الى توجيه اذار الى اصحاب السفن العمانية والقواسم بوجوب مغادرة زنجبار خلال ثلاثة ايام ، والا فانهم سيتحملون عواقب تواجدهم هناك ، غير أن اصحاب السفن قابلوا اذار السلطان بالاستخفاف ، وبدلا من ذلك قامت سفينتان من سفنهم بالاعتداء على قائد الطراد ليرا حينما كان يهم بالنزول الى الشاطيء ، ولكن بحارة القارب ردوا عليهم بالمثل ، وهاجموا احدى السفينتين واستولوا عليها . فى تلك الليلة تجمهر عدد كبير من هؤلاء العرب خارج الميناء واخذوا يطلقون النار على احد قوارب الحراسة ، وقد توجهت بقية القوارب لنجدة قارب القائد ، وكان هذا ما يريده العرب ، اذ من خلال الاشتباكات التى نشبت بين الطرفين استطاعت بقية السفن من التسلل عبر الميناء والانطلاق بحمولتها من الرقيق وتهدر ب ٥٠٠ عبد ، وفى اليوم التالى اقلع اغلبية السفن العربية فى طريقها الى الخليج ، وعلى اية حال فقد تبين أن بعض تلك السفن كان مختبئا فى بعض الخلجان القريبة من الميناء ، ولذلك امر قائد الطراد ليرا بالهجوم على تلك السفن وتدميرها بعد أن حصل على أمر من السيد ماجد ، وكانت حصيلة الطراد ليرا من السفن اثناء وجوده فى زنجبار ١٦ سفينة دمرت . كما افرج عن ٢٥٠ عبدا كانوا فيها (١) وسرعان ما انضم الطراد ليرا الى الطراد سييدون الذى واصل الى زنجبار من قاعدة الرأس وقام بالاشتراك مع الطراد ليرا بدوريات على الساحل الافريقى فى

(١) مرفق للخطابات السرية الى حكومة بومباى مجلد ١٤٤ مرفق للخطاب السرى رقم ٢١ المؤرخ ١٨٦١/٦/٢١ من رجبى الى اندرسون ١٨٦١/٤/١٨ (رقم ١٩ الادارة السياسية)

المناطق الشمالية من ميناء زنجبار ، وذلك فى الفترة الواقعة فى شهر ابريل وبداية شهر مايو . وبنهاية هذه الدوريات استولى الطرادان على ٥٢ سفينة تم تدميرها ، وكان فى احدى هذه السفن ٢٧٣ عبدا ، وقد بعث رجبى بتقرير الى حكومة بومباى فى هذا الصدد ذكر فيه بأن هذه هى المرة الاولى التى تكلف فيها طرادات من الاسطول الملكى للقيام بدوريات تفتيشية لساحل افريقيا الشرقية بحثا عن سفن الرقيق ، كما اشار رجبى فى التقرير بأنه اذا أمكن تخصيص سفينتين مسلحتين للعمل فى ساحل افريقيا الشرقية اثناء موسم الرقيق الذى يقع عادة فيما بين يناير وابريل ، فسوف ننجح فى القضاء على هذه التجارة فى خلال فترة لا تزيد عن عامين ، وبدون أسواق الخليج فان تجارة الرقيق لا يمكن ان تزدهر، نظرا لأن التدهور الحالى فى الأوضاع المعيشية لاهالى زنجبار والمناطق انداخية منها يرجع الى انتقال تجارة الرقيق من العرب الى الهنود ، وهذا يحرم العرب من شراء ما يريدون من الرقيق بالاعداد التى كانوا يشترونها ، حيث كان عدد الرقيق الذى يجلب من المناطق الداخية الى زنجبار يصل الى ٢٠ ألف عبد سنويا ، يذهب معظمهم الى شبه الجزيرة والخليج ، كما كان يستورد آلاف اخرى من العبيد من موزمبيق البرتغالية، وكان التجار ينقلون هؤلاء العبيد الى الموانئ الشمالية من زنجبار ، ومن هناك يأتى العرب لاستلامهم فى فصل الربيع ، ويقدر رجبى عدد الرقيق الذين يتم تصديرهم الى الخليج كل عام بأكثر من ٤ آلاف الى خمسة آلاف عبد ، وهو نفس العدد الذى قدره كولان (١) .

(١) متفرقات مجلد ٣٨ من رجبى الى اندرسون ١٤/٥/١٨٦١

رقم ٢٣ الادارة السياسية) .

أقرت حكومة بومباى توصيات كل من كولان ورجبى واحالتها الى حكومة لندن للبت فيها ، وتطالب هذه التوصيات بضرورة تدعيم خطوات السيد ماجد سلطان زنجبار ، اذا اريد لتلك الاجراءات النجاح ، وجاء فى التوصيات أيضا ، - اننا لا نستطيع أن نتوقع من حاكم مشكوك فى سلطته الشرعية ، ومضطر دائما الى مساندة رعاياه أن يحارب عملا يستمد الجزء الأكبر من موارده منه ، بينما كل فرد من حاشيته تقريبا يعمل اما سمسارا او تاجرا للرقيق (١) وقد اضاف السير جورج كلارك الى هذه التوصيات اقتراحا باقناع السيد ماجد بتعديل معاهدة ١٨٤٥ لوضع حد لتجارة الرقيق فيما بين مدينة زنجبار وداخلية افريقيا الشرقية ، سيما وانه ملتزم بدفع ٤٠ ألف ريال سنويا الى سلطنة عمان فى حالة تقسيم السلطنة (٢) والواقع أن اللورد راسل وزير الخارجية البريطانية فى وزارة بالمرستون الثانية كان قد اتخذ قرارا بمطالبة السيد ماجد بتعديل المعاهدة ، الا أنه عارض كولان ورجبى فى رأيهما ، بدفع تعويض الى السيد ماجد لقيامه بهذه الاجراءات ، وقد استند راسل فى هذا الاعتراض على أن تصدير الرقيق من زنجبار هو محظور بالفعل بموجب اتفاق عام ١٨٤٥ ، ولكن بما أن انتهاك نصوص هذه المعاهدة يرجع الى السماح لسultan زنجبار بالابقاء على ممارسته لهذه التجارة فى داخلية افريقيا ، فانه (أى السيد ماجد) انما يقوم بتنفيذ التزاماته لتلك المعاهدة

(١) قرار الحكومة ١٨٦١/٣/٢٨ .

(٢) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٥٦ من ميارد ؛ وكيل مساعد وزارة الخارجية) الى بيرنج (وكيل مساعد مكتب الهند)

٠ ١٨٦٢/٦/٥

فى موافقته على حظر تجارة الرقيق (١) . غير أن السيد ماجد اعترض على هذه التعديلات عندما عرضت عليه وذكر « بأن هذه المناطق لا يمكنها أن تعيش بدون تجارة الرقيق ، وهى لهذه الأسباب تختلف عن البلاد الأخرى فى أوضاعها (٢) . وظل السيد ماجد متمسكا بهذا الرأى حتى عندما اجتمع به اللفتنانت كولونيل بليفيير الذى خلف رجبى كوكيل سياسى لبريطانيا فى زنجبار ، وقد أوضح السيد ماجد لبليفيير بأنه سيكون ضربا من الجنون من جانبه لو وافق على هذا الاجراء الذى وصله بأنه سيؤدى بالتأكيد الى تدمير أوضاعه (٣) .

وعلى كل فقد قام السيد ماجد بمحاولة أخرى للقضاء على عمليات تصدير الرقيق ، وكان يهدف منها الى اقناع الحكومة البريطانية بالتوقف عن مطالبته بتعديل المعاهدة . فعندما وصل اهل صور والقواسم الى زنجبار فى بداية موسم عام ١٨٦٢ ، فوجئوا بوجود قرار أصدره السيد ماجد بمنعهم من شراء الرقيق ، ثم فوجئوا اكثر عندما قام السيد ماجد بزج بعضهم فى السجن عندما حاولوا تجاهل قرار السيد ماجد ، ولهذا لجأوا فى العام التالى الى عمليات الخطف ، غير أن السيد ماجد لقنهم درسا قاسيا ، حيث أمر بايداعهم السجن وجلدهم ، بل وأعدم البعض منهم عندما حاولوا مقاومة جنود السيد ماجد الذين حضروا للقبض عليهم . وفى عام ١٨٦٤ أصدر السيد ماجد مرسوما يقضى بحظر تداول الرقيق

(١) نفس المصدر .

(٢) من السيد ماجد الى رجبى ١٨٦١/٧/٢٥ .

(٣) من بليفيير الى حكومة بومباى ١٨٦٣/٥/٢٣ وقد ورد فى كتاب

كوبلاند ١٥٧ .

فر البحر فى اى جزء من سلطنته فى الفترة الواقعة بين شهر يناير وشهر مايو من كل عام وعلى أساس هذا القرار أصبحت تجارة الرقيق محظورة (١) وعلى الرغم من ذلك فلم تؤد هذه الاجراءات الى تحقيق الهدف منها بصورة فعالة ، نظرا لعدم وجود دوريات مسلحة من جانب سفن الأسطول خلال مواسم الرقيق ، وبالتالي لم يكن من المتوقع ان تحقق تلك الاجراءات انخفاضا ملموسا فى حجم تجارة الرقيق المتجهة الى الشمال .

لقد فشلت الاتصالات التى أجريت مع السيد ماجد لحظر تجارة الرقيق فى البحر فى المناطق الخاضعة له ، وكان هذا الفشل دليلا واضحا لما ذهب اليه رجبى وغيره من المسئولين البريطانيين ، وهو ان اية جهود لوقف هذا النشاط فى الخليج لا جدوى منها ، وأن الحل الأمثل هو تسديد الضربات اليه فى عقر داره ، وقال رجبى أيضا « بأن اية اجراءات لوقف تجارة الرقيق فى الخليج والساحل العربى يجب ان تتخذ فى المناطق الساحلية من افريقيا ٠٠ وفى اعتقادى ان الطرادات البريطانية لم تستطع الاستيلاء ولا على واحد فى المائة من الرقيق الذى ينقل سنويا الى الخليج (٢) ومنذ بداية الستينات فى القرن التاسع عشر كان كل ما يمكن الحصول عليه من مكافحة تجارة الرقيق يعمل فى المناطق الواقعة بين

(١) كوبلاند « استعمار افريقيا الشرقية » ص ١٥٧ - ١٥٨ .

(٢) من التقارير السرية الى بومباى مجلد ٩ (١٨٦٧) محضر ملفيل مساعد الوكيل لمكتب الهند) وقد استشهد فيه بأراء رجبى (تقرير مايو - يونيو ١٨٦٧) غير ان هذا المحضر لا يحمل توقيع ملفيل ولا تاريخ اعداده، ولكن الخط هو خط ملفيل ، وقد ارفق بمسودة تقرير رقم ٣٣ المؤرخ
٠ ١٨٦٧/٦/٧

رأس الحد وزنجبار ، بل كانت هذه السفن تعمل بوجه خاص بين رأس الحد ورأس مدرکه (على الساحل الجنوبي من شبه الجزيرة) ، وفيما بين ممباسا وزنجبار ، ولم يكن يتيسر للطرادات العمل فى خليج عمان الا فى مناسبات محدودة ، كما لم يؤد الأمر الى تحسين هذه العمليات حتى بعد اعادة توزيع مواقع الطرادات ، فقد بقيت المشاكل كما هي ، وكن اخطرها النقص فى عدد الطرادات التى يمكنها العمل فى السواحل العربية مما ادى الى سوء الأوضاع كنتيجة لحل الأسطول الهندى فى عام ١٨٦٢ ، وتردد الاميرالية فى تخصيص سفن كافية للقيام بالمهمة التى كانت تقوم بها سابقا بحرية الهند (١) وقد اضيف الى المشكلة عنصر جديد عرقل أعمال طرادات البحرية ، ونعنى به صدور الامر الذى يلزم قائد كل طراد بعد استيلائه على أية سفينة من سفن الرقيق بالثول أمام محكمة بومباى على أساس ان وجود القائد هناك يمنعه من التأثير على ضباطه اثناء اداء شهادته ، وكننتيجة لهذه الاوامر وما كانت تنطوى عليه من مصاعب واحتمال قطع راتب القائد ، كان قواد الطرادات يترددون كثيرا فى الاستيلاء على اية سفينة (٢) كما كانت هناك مشكلة اخرى وهى بعد المسافات التى يتعين على قائد الطراد ان يقطعها لتسليم تجار الرقيق للسلطات القضائية ، وقبل عام ١٨٦٦ كانت اقرب محكمة مختصة لهذه المحاكمات ، هى محكمة عدن ومحكمة بومباى ومحكمة الراس . وخلال ذلك العام منح القنصل البريطانى

(١) انظر ص ٥٦٤ - ٥٦٥ من الكتاب وكذلك ص ٦٦١ - ٦٦٣ .

(٢) من التقارير السياسية الى بومباى مجلد . (١٨٦٧) محضر ملفيل (مايو - يونيو ١٨٦٧) وكولومب - القبض على الرقيق فى المحيط الهندى ص ٩٥ .

فى زنجبار صلاحيات لمحاكمة تجار الرقيق الذى يتم القاء القبض عليهم فى ممتلكات سلطان زنجبار ، ثم وسعت تلك الصلاحيات لتشمل كل تجار الرقيق ، غير ان المسافات بقيت سببا للمتاعب ، كما اضيفت اليها المتاعب التى تعترض الطرادات وهى فى طريقها الى الموانئ المختلفة ، ولهذه الأسباب اخذ ضباط الأسطول فى تدمير السفن التى يستاون عليها وذلك بموجب احدى المواد الواردة فى المرسوم ، غير أن التعليمات لم تكن تتضمن نصا بشأن الطريقة التى يتصرف بها ضباط الأسطول فى شأن بحارة السفن المصادرة ، وكانت التعليمات تقضى بإرسال البحارة أو ربانة السفن الى المنطقة التى تتم فيها محاكمتهم ، غير أنه لم تكن لدى هؤلاء الضباط صلاحيات قضائية لمحاكمة بحارة السفن المصادرة ، وبالتالي فقد كان هؤلاء الضباط يطلقون سراح هؤلاء البحارة ، اذا ما قرروا تدمير السفن . وفى عام ١٨٧١ صدرت تعليمات جديدة ألغيت بموجبها هذه التعليمات ، وكلف الضباط بإرسال السفن والبحارة الى المحاكم المختصة ، كما حذروا من العمل بالمادة التى تخولهم حرية التصرف فى السفن ، ورغم ذلك فإن التعليمات الجديدة لم تعالج الخطأ فى التعليمات السابقة التى لم تكن تساعد ضباط السفن على ادانة تجار الرقيق العرب . وتنص المادة التى تحدد نوعية السفينة طبقا للتجارب السابقة على أنه يتعين التثبت من أن السفينة تحمل رقيقا بالفعل قبل توجيه الاتهام اليها بحمل الرقيق . وينبنى هذا الاثبات على أساس وجود « مجموعة من الرقيق مكდسين ومقيدين فى السفينة » أو أى دليل آخر يثبت أن السفينة تمارس تجارة الرقيق . ولما كان العرب نادرا ما يحصلون على العبيد من السفن نفسها أو يخفونهم داخل السفن ، الا اذا اضطروا الى ذلك بسبب تعقب أحد الطرادات لهم فإن هذه الفقرة فى التعليمات لا لزوم لها على الاطلاق ، ثم اذا كانت السفينة لا تحمل الا عددا قليلا من العبيد ، فليس من المفروض

ان يخشى الربان من أى تدخل (١) .

فى ربيع عام ١٨٦٩ شنت طرادات الاسطول البريطانى اولى حملاتها الواسعة على تجارة الرقيق العربية والافريقية ، وفى العام السابق لهذه الحملة تدفق على زنجبار اعداد كبيرة من عرب الشمال لم يسبق لهم مثل ، وبمجرد وصولهم اخذوا يعملون فى السلب والنهب وخطف الرقيق وارهاب السلطان ، وقد تدفقت هذه الجحافل على زنجبار بسبب الاضطرابات السياسية التى تفجرت فى عمان للتنافس على الحكم بين السيد عزام بن قيس والسيد سالم بن ثوينى الذى استولى على الحكم فى عام ١٨٦٦ بعد اغتياله لوالده السيد ثوينى . وقد رافق هذا الصراع موجة تصاعدية من الشعور الدينى ، وعلى الاخص بين المناصرين (المطاوعة) او من رجال الدين من القبائل الاباضية ، الذين كانوا يرون فى حركتهم المناهضة للسلطان حربا مقدسة ضد حكم هذه الاسرة ، وقد انصب غضبهم على السيد ماجد سلطان زنجبار بصورة اشد ، خصوصا وان هذه القبائل كان لديها من الاسباب التى تبرر لها شن حملات عنيفة من السب والتجريح للسيد ماجد وتحريض القبائل على مهاجمة زنجبار (٢) .

(١) القبض على الرقيق فى المحيط الهندى « اعداد كولومب »

ص ٧١ - ٧٧ و ٤٥٣ .

(٢) انظر كتاب كويلاند « استعمار افريقيا الشرقية » لدور المطاوعة

فى اضطرابات زنجبار ص ٨٩ - ٩٠ .

وازاء هذه الاحداث اوعزت سلطات الهند الى القائد العام للأسطول الملكى فى الهند الصينية ، بايفاد كل سفينة يستطيع الاستغناء عنها الى منطقة الجنوب العربى وافريقيا الشرقية ، وذلك خلال موسم تجارة الرقيق لعام ١٨٦٩ ، كمحاولة لمنع القبائل العربية من تكرار هذا النشاط واحباط محاولتهم لخطف الرقيق بالجملة من افريقيا ، كما كانوا يفعلون سابقا . وبناء على ذلك فقد قام القائد العام بايفاد خمس سفن اتخذت مواقعها فى المناطق الواقعة فى طريق عودة السفن من افريقيا ، وكانت خطتهم تهدف كما شرحها قائد الطراد « درياد » الى تغطية الشواطئ الشمالية للبحر العربى (١) وقامت احدى هذه السفن من جزر سيشل متجهة الى الساحل الافريقى عند رأس اسود ، ومنها ابحت تدريجيا الى رأس الغضروفى ، كما توجه طراد آخر الى منطقة رأس حافون ، كما اتجه طراد ثالث الى ساحل المكلا ، أما الطراد الرابع فقد اخذ يسير عبر الخط الساحلى ابتداء من رأس الحد ، حتى رأس فرتك ، ومنه الى مضيق باب المندب ، أما الطراد الخامس درياد فقد اتجه الى جزر كوربا موربا .

كانت العملية التى قام بها الطراد درياد تعتبر نموذجية بالنسبة لأعمال البورتياك فى البحر . فقد قامت بجولة الى امتداد رأس الحد بداية من خليج عمان ، واستطاعت خلالها اعتراض عدد من السفن القادمة من المكلا واعدن فى طريقها الى الخليج وفى يوم ٢٥ ابريل ابحت الطراد الى رأس مدركه . لان القائد كولومب اعتقد بان ذلك الموقع هو انسب نقطة للتربص للسفن القادمة لانه يقع ضمن ١٥ ميلا من جزيرة سوقطرة ، وفى اواخر

(١) القبض على الرقيق فى المحيط الهندى ص ١٨٥ .

الشهر نجح الطراد فى الاستيلاء على سفينتين من سفن الرقيق فى كل منهما صبى عبد اشترياهما من زنجبار ، وبعد ايام قليلة ظهرت سفينة اخرى محملة بالرقيق ، وقد تعقبها قوارب الطراد ، الا انها تمكنت من الوصول الى الشاطئ قبل اللحاق بها ، غير انه تم القبض على غالبية الرفيق التى كانت تحمله بينما لاذ بحارتها بالفرار ، واثناء تعقب هذه السفينة ظهرت اخرى ، ولكن هى الاخرى اخذت تجرى نحو الشاطئ بمجرد ان لمح الطراد ، وقد تمكن بحارة السفينة من سحبها الى الشط واخفاء الرقيق قبل وصول رجال الطراد الى مكانها ، وقد تم انقاذ ٥٨ بحارا من السفينة الاولى ، وقد توفى اثنان من بحارة الطراد اثناء عملية الهجوم على تلك السفن . وبعد خمسة عشر يوما غادر ترياد راس مدركة واخذ يبحر فى النهار ويتوقف فى الليل ، وفى يوم ١٨ مايو شاهد سفينة شراعية كبيرة وتمكن من الاستيلاء عليها بعد اطلاق بعض الاعيرة النارية عليها ، وكانت تحمل ١١٣ عبدا ، وفى يوم ٢٨ مايو وصل الطراد الى عدن فى نهاية جولته (١) .

من خلال تلك العمليات تمكنت الطرادات من تدمير ١٣ سفينة والافراج عن ٩٦٧ عبدا ، وفى عام ١٨٧٠ اى بعد عام واحد ، تم اعتراض ٤٠٠ سفينة وتفتيشها خلال رحلتها الى سواحل افريقيا والخليج ، وقد قدم للمحاكمة ١١ تاجرا من تجار الرقيق ، وافرغ عن ١٠٠٠ عبد تقريبا ، غير ان المراقبين لتلك العمليات يعتقدون بان هذه الأرقام لا تمثل الا عشر تجارة الرقيق السنوية ، وكان فى رأيهم ان نحو ٣٧ الف عبد قد افلتوا من الدوريات البحرية خلال الفترة الواقعة بين ١٨٦٧ و ١٨٦٩ ولم يقبض

(١) القبض على الرقيق فى المحيط الهندي، كولومب ص ١٨٥ - ٢٦٠ .

الا على ٢٦٤٥ عبدا تم الافراج عنهم (١) . غير أن هذه الأرقام تثير التساؤل الى حد ما ، اذ مما لاشك فيه ان السفن الـ ٤٠٠ التي جرى تفتيشها عام ١٨٧٠ انما تمثل القسم الاكبر من السفن التي تعمل بين الخليج وشرق افريقيا والبحر الأحمر كل عام ، وحتى اذا افترضنا ان التفتيش قد شمل اكثرية تلك السفن ، فان ذلك يدلنا على ان القسم الاكبر من تلك السفن قد تم تفتيشها بالفعل ، واذا كانت هناك سفن قد افلتت من المظاردة ، فان ذلك يعود الى انها قد ابحرت قبل ان تبدأ الطرادات مهمتها ، ومع ذلك فلا يبدو من المحتمل أن تكون هذه السفن قد نقلت الـ ٩٠٠٠ عبد الآخرين ، كما انه لا يجوز ان نتصور انها نجحت في الافلات من الدوريات البحرية باستخدام طرق منتظمة ، كما كان يفعل تجار الرقيق في المحيط الاطلسي . وعلى العموم فان الملاحين العرب يفضلون السير قريبا من الشواطئ ، وان هذه السفن لا تحمل أكثر من مائة عبد في كل سفينة ، بحيث يمكن لكل مائة سفينة كبيرة ان تنقل معظم الرقيق من افريقيا الى الخليج كل عام .

هذا على الأقل هو رأى الكابتن كولومب الذي أفاد بعد دراسته للمعلومات التي تم جمعها بأن المعدل السنوي للرقيق المصدر من افريقيا هو عشرة آلاف عبد ، وقد أيد هذا الرأى المعتمد السياسى البريطانى فى

(١) « استعمار افريقيا الشرقية » كوبلاند ص ١٦٤ وقد استشهد فى ذلك بتوجيهات وآراء اللجنة الخاصة حول تجارة الرقيق الأفريقية سنة ١٨٧١ بما فى ذلك اقوال الكومندور السير ليوبولد هيث الذى تولى قيادة وحدة الطرادات فى عامى ١٨٦٩ و ١٨٧٠ .

مسقط في عام ١٨٦٦ وهو اللفتانت كولونيل هيربرت « ديسبراو » الذي يفدر عدد الرقيق الذي يصل كل عام الى منطقة الخليج بنحو ١٣ الف عبد منها ٤ آلاف عبد يتوجهون الى رأس الحد وصور ونحو ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ عبدا الى مسقط (١) ومن المحتمل ان يكون جزء من العدد الكلي للرقيق الذي يصل الى الخليج - اي خمس من الرقيق الاحباش - وبالتالي فقد تصل نسبة الرقيق الذي يصل من افريقيا الى عشرة آلاف واحد عشر الف عبد سنويا . وقد توصلت الى هذه النتيجة للجنة الخاصة التي امر وزير الخارجية البريطانية بتشكيلها لدراسة تجارة الرقيق الافريقية ، واعتمدت على المعلومات الواردة في الكشوف الجمركية في كلوا ، ففيما بين عام ١٨٦٢-١٨٦٣ و ١٨٦٦ و ١٨٦٧ تم تصدير ٩٧٢٠٣ من الرقيق من كلوا منهم ٦٧٧٠٣ صدروا الى زنجبار و ٢٠٥٠٠ الى الجزيرة الخضراء وغيرها من المناطق . من هذا الرقم السنوي وهو ٢٠٠٠٠ تقرينا كان يتم تصدير ٩٠٠٠ عبد بطرق غير مشروعة الى عمان كل عام من زنجبار ونحو ٣٠٠٠ من ييميا ، كما كان يصدر نحو ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ عبد من مناطق اخرى على الساحل الافريقي الى شبه الجزيرة والخليج ، وبدا يتراوح المجموع السنوي لتجارة الرقيق من ١٠٠٠٠ الى ١١٠٠٠ (٢) ولا يزيد ما كان يستولى عليه الاسطول البريطاني من هذا العدد على

(١) القبض على الرقيق في المحيط الهندي ص ٤٧ - ٥١ .

(٢) وثائق وبيانات ١٨٧٠ مجلد ١١ ص ٢٠٩ « تجارة الرقيق في افريقيا الشرقية » تقرير موجه الى الالرف كلارندون من جانب اللجنة - وزارة الخارجية ١٨٧٠/١/٢٤ .

٥٠٠ الى ٦٠٠ عبد (١) .

نخلص من كل هذا الى أن الدوريات البحرية الواسعة النطاق قد فشلت هي الأخرى في الحد من تجارة الرقيق وكان لهذا الفشل أسباب أخرى غير التي ذكرناها آنفا ، وحتى ذلك الوقت لم تكن السلطات المعنية تعرف أى شيء عن تحركات السفن العربية وعددها ومتى كانت تفسادر شواطئ الخليج في رحلاتها السنوية ، وما نوع السلع التي كانت تحملها وابن كانت تتجه ، وما نوع السلع التي كانت تعود بها الى مواطنها وأوقات عودتها الى الخليج . وفي الواقع ان الطرادات تواجه صعوبات كثيرة بالمقارنة الى السفن الشراعية ، فعندما تكون حالة الجو ملائمة تستطيع السفينة الشراعية ان تسبق الطراد الذي يتعقبها ، وصحيح ان الطراد قد يسبق السفينة الشرعية اذا كانت حالة البحر هادئة ، ثم تحرك الطراد يعتمد على مخزون الفحم الذي يحتفظ به ، والموانئ الوحيدة التي كانت تزود الطرادات بالوقود في ذلك الوقت هي عدن وبومباي (ثم اضيفت اليهما مسقط وزنجبار ، فلو قامت الطرادات باستهلاك كميات كبيرة من الفحم فسوف لا يبقى لديها شيء منه من مواصلة أعمال الدورية ، كما ان ضرورة الاحتفاظ باحتياطي من الفحم ريثما يتمكن الطراد من الوصول الى اقرب ميناء للتزود منه يضيف صعوبات أخرى على استهلاك الفحم .

(١) يقول تقرير ١٨٧٠ أن عدد الرقيق الذي يتم الاستيلاء عليه سنويا هو ٧٠٠ - ٨٠٠ عبد ، غير ان هذا الرقم هو نتيجة إضافة ٩٦٧ عبدا تم تحريرهم خلال حملة ١٨٦٩ وقد كان عدد الرقيق المحررين الذين وصلوا الى بومباي فيما بين سبتمبر ١٨٦٥ ومارس ١٨٦٩ اى قبل الحملة هو ٥٤٩ عبدا او ١٥٧ عبدا كل عام وفي عام ١٨٦٩ وحده اى بعد الحملة وصل الى بومباي ٧٠٠ عبد .

وكان أيضا يؤخذ فى الاعتبار توفير الظروف التى تحمى صحة البحارة وراحتهم أثناء وجودهم فى الطرادات نظرا لأن البقاء فى مناطق الساحل العربى خلال شهرى مايو ويونيو أمر فى غاية المشقة وعلى الأخص بالنسبة للأوربيين ، وفى هذه الفترة تكون الشمس فى اقصى درجات حرارتها فتلهب المنطقة باشجعها المحرقة بينما يضيف الهواء الساخن والمشبع بالرطوبة العالية مزيدا من العناء والمتاعب للبحارة ، كما ن البحر فى هذه الفترة يفتى بالحرارة الشديدة . وكان الطعام الذى يقدم للبحارة جافا ويتكون من القديد والبسكويت الجاف مع عدم وجود خضار و فواكه ، كما ن ماء الشرب الموجود بالخزانات كان ساخنا ومر الطعم ، وهكذا تفدو الحياة داخل الطراد جحيما لا يطاق ، وكان المتنفس الوحيد للبحارة هو عندما يطلب منهم العمل ضد بعض السفن التى يلتقون بها ، رغم ان مثل هذه العمليات تنتهى احيانا بخسارة فى الأرواح ، كما ان الكافآت التى تدفع لرجال الطراد على الأعمال التى يقومون بها لم تكن فى الحقيقة مكافأة مفرية او مشجعة ، وقد ذكر الكابتن كولومب فى عام ١٨٧١ بان غالبية ربانة الطرادات يشاركوننى فى الاعتقاد بان قيمة المكافاة التى تدفع لهم نظير الجهود التى يبذلونها فى مكافحة تجارة الرقيق لا تشجع ضباط الأسطول على المجازفة بحياتهم فى سبيل مثل هذه العمليات الممقوتة (١) وبالتالي فقد كانت تلك العمليات فى مجموعها فاشلة وعديمة الجدوى .

تعتبر الفترة من عام ١٨٦٨ الى ١٨٧٣ المرحلة الحاسمة فى تاريخ الحملة البريطانية ضد تجارة الرقيق نظرا لان هذه المسألة كانت مرتبطة

(١) استعمار افريقيا الشرقية ص ١٦٣ .

وثق الارتباط بالسياسات الداخلية والخارجية لسلطنة عمان ، كما ترتبط بالسياسة البريطانية كلها فى شبه الجزيرة والخليج ، ومن هنا لا يمكن ان نناقش هذه القضية بمعزل عن تلك الاحداث . وعلى كل حال فسوف نقوم بمحاولة لمعالجة هذا الموضوع ، وان كان هذا سوف يضطرنا الى التكرار لكى نتمكن من الوصول الى نهاية الشوط فى المحاولات البريطانية لمكافحة تجارة الرقيق خلال العقود الوسطى من القرن التاسع عشر .

فى صميم هذه القضية يكمن موضوع المعونة التى التزمت بها حكومة زنجبار لمسقط على أساس حكم كاننج ومقدارها ٤٠ الف ريال سنويا تدفعها زنجبار مقابل استقلالها عن مسقط ، وقد ظل السيد ماجد حاكم زنجبار فى جمع الاتصالات التى جرت معه فى اعقاب عام ١٨٦١ يتدرع بأنه مرفم على الابقاء على هذه التجارة حتى يتمكن من دفع تلك المعونة وان اعفاه من هذا الالتزام المالى ربما يمكنه من تقديم بعض التنازلات فى مجال مكافحة تجارة الرقيق ، غير ان سلطات الحكومة الهندية كان لها اعتراضات على هذا القول : الاعتراض الاول ، هو انه اذا لم يحصل سلطان مسقط على المعونة فقد يعود الى شن الحملات الياثسة على مناطق الخليج ، لكى يضمن لنفسه سد العجز المالى ، أما الاعتراض الثانى فهو ان اعفاء زنجبار من هذا الالتزام سوف يودى الى بطلان معاهدة ١٨٦١ ، ويعطى مسقط الفرصة لاعادة الاوضاع الى ما كانت عليه قبل تلك الفترة . وقد اوقف السيد ماجد دفع هذه المعونة على اثر اغتيال السيد سالم لوالده السيد ثوينى عام ١٨٦٦ ، كما ان الاطاحة بالسيد سالم بعد انقضاء عامين من جانب السيد عزان بن قيس قد دعمت هى الاخرى مركز السيد ماجد ، فلهذا

أوفد الى لندن في عام ١٨٦٨ يطلب اعفائه من دفع هذه المعونة الى مسقط (١) .

بدت المناقشات بين وزارة الخارجية البريطانية حول تجارة الرقيق في صيف عام ١٨٦٨ . ومنذ البداية ظهرت خلافات أساسية في تناول الطرفين لهذا الموضوع ، ثم اتسعت هذه الخلافات بعد عودة كلارندون لوزارة الخارجية في الوزارة الأولى التي شكلها جلادستون ، وكان اهتمام وزارة الخارجية منصبا على تجارة الرقيق فقط ، ومن هنا كان تأييدها لاعفاء السيد ماجد من دفع المعونة السنوية ، رغبة في تشجيعه على تقديم التنازلات التي كانت تطالبه به بريطانيا ، غير أن مكتب شئون الهند كان له موقف آخر ، وبمعرفته بالعوامل التي تتحكم في العلاقة بين مسقط وزنجبار ، فقد كان يعارض أى خطوة تهدف الى التراجع عن حكم كاننج ، وقد لخص هذا الموقف السير جون كيه ، سكرتير الادارة السياسية والسرية للمكتب ، الذي قال بأنه اذا كانت الخارجية البريطانية ترغب في استخدام الجانب المالى لاقتناع السيد ماجد بالموافقة على ما هو مطلوب منه ، يتعين عليها أن تتولى دفع هذه المعونة من عندها لمسقط ، وليس على حساب الاتفاق الذي تقررت هذه المعونة بموجبه ، وبعبارة أخرى كما قال سكرتير مكتب الهند بأنه يتعين على وزارة الخارجية أن تقرر ما اذا كانت ستنقض أو لا تنقض قرار ١٨٦٢ بعدم دفع أى مبلغ للسيد ماجد مقابل حظره لتجارة الرقيق . فاذا كانت عازمة على نقض القرار فيتعين عليها أن

(١) نوقشت المبادئ المتصلة بتأثير هذه التغيرات في تولى مقاليد

الحكم بالنسبة للالتزام بدفع المعونة ، وما دار حولها من جدل في الفصل

نطلب من الخزانة البريطانية دفع هذا المبلغ ، نظرا لأن حظر تجارة الرقيق موضوع يخص السياسة الامبرالية وليس السياسة الهندية ، وبالتالي فان قيمة هذه المعونة يجب أن تتحملها الخزانة المركزية ، والا أصبحت عبئا على موارد الهند (١) ، ومن بين الثلاثة أعضاء الذين يؤلفون مجلس الحكم فى الهند والأكثر اهتماما بشئون مسقط وزنجبار ، السير جورج كلارك حاكم بومباى السابق ، والكابتن وليم ايست ويك ، والسير بارتل فرير الذى كان أيضا حاكما سابقا لبومباى ، وكان كل من كلارك وايست ويك يؤيدان رأى كيه ، وان كان الثانى يرى بأن المبلغ المقترح تخصيصه للسيد ماجد وقدره عشرة آلاف جنيه استرلينى كل عام يجب أن يتم دفعه مناصفة من جانب الحكومة الامبرالية وحكومة الهند (٢) . أما فرير فكان له رأى آخر ، وهو ان نلتزم حكومة الهند بدفع معونة زنجبار ، وأن تدفعها مباشرة لحكومة مسقط ، بل انه اضاف الى ذلك اقتراحا آخر ، وهو أن تتعهد الحكومة المذكورة بدفع معونة اضافية الى السيد ماجد ، للتخفيف عليه من الأعباء الاقتصادية التى سوف تترتب على قيامه بحظر تجارة الرقيق ، على ان تتولى الخزانتان الامبرالية والهندية دفع المعونة الاضافية (٣) .

فى شهر نوفمبر ١٨٦٨ وصل مبعوث السيد ماجد الى لندن وبعد

(١) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٦٨ محضر من اعداد كيه

٠ ١٨٦٨/٧/١

(٢) نفس المصدر محضر من اعداد السير كلارك ٧/١٧ ومحضر من

٠ اعداد استوك ١٨٦٨/٧/١٣

(٣) نفس المصدر محضر من اعداد فرير ١٨٦٨/٧/١٥

شهر من وصوله سلمه كلارندون رد الحكومة البريطانية على طلب سلطان زنجبار باعفائه من دفع المعونة المالية الى مسقط ، وجاء في هذا الرد : بأن حكومة صاحب الجلالة ترغب رغبة اكيدة فى الاستجابة لطلب سموكم طالما كان هذا لا يتعارض مع الالتزامات التى سبق أن ارتبطت بها فى هذا الخصوص (١) . والواقع أن كلارندون كان على وشك أن يتخذ قرارا ، ان لم يكن قد اتخذ بالفعل حتى ذلك الوقت ، وهو انه اذا كان الغناء حكم كاننج سيؤدى الى وقف تجارة الرقيق فى كل من زنجبار والمنطقة الداخلية منها فإنه لا يمانع فى ذلك « وعلى أية حال فلا بد اولا من جس نبض حكومة الهند . وكان كلارندون قدنجح تقريبا فى اقناع ديوك اوف ارجيل وزير الدولة بهذا الراى ، وفى اول يناير عام ١٨٦٩ بعث ارجيل برسالة الى الحاكم العام فى الهند ارنل اوف مايو ، والى السير وليم سيمور فتز جرالدهاكم بومباى يقترح فيها انه بالنظر الى التغيرات التى طرأت على اوضاع الحكم فى مسقط فانه يجوز اعتبار دفع المعونة من زنجبار الى مسقط غير ملزمة، ولكن اذا رآى الحاكم العام خلاف ذلك فربما يهمله ان يتصور المكاسب التى سوف تتحقق لنا ، وبالأخص فيما يتعلق بتجارة الرقيق اذا ما وافقت الحكومة البريطانية على الالتزام بدفع المعونة وفرضها على خزانة حكومة الهند (٢) .

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٢ خطاب من كلارندون

الى السيد ماجد ١٥/١٢/١٨٦٨ .

(٢) من التقارير السرية الى بومباى مجلد ١٠ (١٨٦٩) من وزير

الدولة الى حاكم بومباى ومرفق معه صورة من خطاب وزير الدولة الى

الحاكم العام فى الهند ١٨٦٩/١/٦ وقد نوقشت تحليلات ارجيل فى هذا

الموضوع بتفصيل اكثر فى الكتاب .

كانت ردود الفعل من جانب مايو وفيتزجيرالد لمقترحات ارجيل عنيفة، وقد ذكرا في ردهما بأنه لم يحدث ما يستدعى الى نقد حكم كاننج وان كرامة الحكومة البريطانية وسلوكها يستدعيان الاستمرار في دفع المعونة لمسقط ، واذا كان لابد من دفع المعونة من أجل القضاء على تجارة الرقيق فان هذه المعونة لابد ان تخرج من خزانة الحكومة المركزية (١) وقال ايضا ان كلارندون الذي عجز اكثر من مرة خلال عامي ١٨٦٩ و ١٨٧٠ عن أدراك الاخطار التي تحيك بالمصالح البريطانية في الخليج ، واخذ في اخضاع تلك المصالح لسياسته الشرقية لن يابه باعتراض حكومة الهند على موقفه ، وانما ظل متشبثا بخطته لربط معونة زنجبار بشرط الغاء تجارة الرقيق الافريقية ، كما ان تجاهله لحكم كاننج باعتباره وسيلة لتأكيد حق حكومة مسقط في هذه المعونة جعله يقترح على ارجيل انتهاز فرصة قيام عزان باغتصاب السلطة في مسقط لفسخ حكم كاننج وابلاغ السيد ماجد بأنه لم يعد مسئولاً عن دفع المعونة بعد ان تولى عزان بن قيس الحكم في مسقط بشرط ان يوافق السيد ماجد على تقديم التنازلات التي طلبتها

(١) المكاتبات السرية والمرفقات احكومة الهند مجلد (١) من جون سكرتير حكومة بومباي الى سيتون كار (سكرتير الادارة الخارجية لحكومة الهند) ١٨٦٩/٣/١٠ (رقم ٨٦ الادارة السياسية ومرفق صورة منه لخطاب الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٦٩/٣/٢٠ (رقم ١٠٠ الادارة الخارجية سياسى) .

منه الحكومة البريطانية بشأن تجارة الرقيق (١) كما أن كيه اعتبر مقترحات كلارندون خاطئة من جميع الوجوه ، وقد كتب الى ارجيل برايه هذا ، الا ان ارجيل استخف برأى كيه ، واوعز الى مايو فى ٣٠ يوليو بابلاغ السيد ماجد مضمون تلك الرسالة (٢) .

فى شهر فبراير من العام التالى بعث مايو برده حول الموضوع وذكر فيه بأنه لا ينفذ ما طلب منه ريثما يبت ارجيل فى النقاط الأخرى المتصلة بالمعونة كما اشار بأنه سيكون من السداجة ان نتصور ان اعفاء حاكم زنجبار من دفع المعونة السنوية قد يكون له اثر ملموس فى تصفية تجارة الرقيق (٣) . لم ينتظر كلارندون وصول رد مايو على اقتراحه ، وانما سارع بتشكيل لجنة فى اواخر عام ١٨٦٩ تضم ممثلين عن وزارة الخارجية البريطانية ، ومكتب شئون الهند ، والامبرالية البريطانية ، ووزارة المستعمرات للبحث فى نجع الوسائل للقضاء على تجارة الرقيق الافريقية ، وتقديم تقرير عنها ، وفى شهر يناير ١٨٧٠ قدمت اللجنة المشار اليها

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) من اوتوى اوكيل الخارجية الى ماريفيل سكرتير مكتب شئون الهند ١٨٦٩/٥/٢٩ ومن رايس اوكيل الخارجية الى ماريفيل ١٨٦٩/٧/١٩ .

(٢) من الرسائل السرية الى حكومة الهند مجلد (١) مسودة الى الحاكم العام ١٨٦٩/٧/٣٠ وص ٦٩٤ - ٦٩٥ من الكتاب .

(٣) انظر نفس المصدر مجلد ٦ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٧٠/٢/٢٢ (رقم ١٧ الادارة الخارجية سرى) .

والتي كان من ضمن أعضائها اللورد شارلز فيفيان مدير إدارة تجارة الرقيق
بوزارة الخارجية ، وكيه ، وهنرى تشرشل المعتمد السياسى البريطانى فى
زنجبار ، وكان أهم توصيات اللجنة هى :

١ - يتعين على ماجد العمل على الحد من تجارة الرقيق كمقدمة
لإلغائها فى النهاية فى كل من زنجبار والمنطقة الداخلية .

٢ - أن يتم إلغاء الرقيق بشكل تدريجى حتى لا تتعرض اقتصاديات
زنجبار لأية اهتزازات ، ويمكن تنفيذ هذا بإصدار أوامر بأن يتم شحن
جميع الرقيق الإفريقيين عن طريق ميناء دار السلام مما يتيح تنظيم هذه
العمليات بحيث تتفق مع احتياجات زنجبار .

٣ - أن يتم تغيير الفترة المحظورة نقل الرقيق فيها والتي حددها
السيد ماجد فى عام ١٨٦٤ من أول يناير الى أول مايو (أى خلال موسم
الرياح الموسمية الجنوبية الغربية) من منتصف فبراير الى منتصف مايو
ومن منتصف سبتمبر الى منتصف نوفمبر باعتبار أن تلك الفترة هى الفترة
التي يصل فيها العرب لابتياح الرقيق منها .

٤ - أن يتم تعزيز القوة البحرية المرابطة فى مناطق الساحل الشرقى
لأفريقيا على أن توزع تلك القوة بشكل أفضل خلال موسم تجارة
الرقيق .

٥ - أن يتم تعزيز التمثيل البريطانى فى زنجبار على أن تتحمل حكومة
الوطن وحكومة الهند بالاشتراك فى دفع نفقات هذا التمثيل وبألا يقتصر على
حكومة الهند وحدها .

٦ - أن يتم افتتاح خط ملاحى مع زنجبار ، وحتى يتم تعويض زنجبار

عن خسائره ، يتعين على حكومة الهند دفع المعونة المالية السنوية
لمسقط (١) .

وفى شهر فبراير ارسل نسخة من هذا التقرير الى مايو ، غير أن هذا
التقرير لم يلق من الاهتمام أكثر مما لقيته الرسالة السابقة حول هذا
الموضوع ، وعلى الرغم من أن الحاكم العام قد وافق على مطالبة السيد ماجد
بوقف تجارة الرقيق ، إلا أنه عارض ذلك ما لم يتم تعويض السيد ماجد
عن جزء من الخسارة التي سوف يتكبدها ، وذلك فى حدود عشرين الف
ريال ، مقابل اعفائه عن دفع المعونة المالية لمسقط من جيبه (٢) . ان
القضيتين منفصلتان وبالتالي يتعين معالجة كل منهما على حدة (٣) وعلى
اية حال فقد كان الرأى النهائى فى الموضوع خارج نطاق الصلاحيات
المخولة لمايو ، وهذه الصلاحيات من اختصاص كلارندون الذى اوعز الى
تشرشل فى شهر يونيو بأن يستفسر من السيد ماجد بعد عودته الى
زنجبار عما اذا كان ترغب فى التوقيع على معاهدة جديدة على أساس
التوصيات التى تقدمت بها اللجنة ، كما طلب منه فى الوقت نفسه ابلاغ
السيد ماجد ، بأن ثمة احتمالاً بأن يتلقى المعتمد السياسى البريطانى
فى زنجبار تعليمات رسمية من حكومة الهند باخطار السيد ماجد بأن

(١) تقرير مؤرخ ١٨٧٠/١/٢٤ ، وقد قدم فى وقت لاحق الى

البرلمان - انظر « بيانات ووثائق ١٨٧٠ » مجلد (١) .

(٢) نفس المصدر .

(٣) الرسائل السرية ومرفقاتها من حكومة الهند مجلد ٦ من الحاكم

العام الى وزير الدولة ١٨٧٠/٥/٢٠ (رقم ٢٩ الادارة الخارجية ، سرى) .

الترتيبات الخاصة بحكم كاننج أصبحت ملغاة (١) .

توفى كلارندون يوم ٢٧ يونيو ، ثم توفى السيد ماجد يوم ٧ أكتوبر، ولهذا فلم يكن من الممكن أن يتلقى وزير الخارجية البريطانية ردا على رسالته من السيد ماجد ، وكان هناك منافس قوى على حكم زنجبار هو السيد برغش شقيق السيد ماجد ، ولما كان السيد برغش رجلا متهورا وكثير الطموح وذكيا ، فانه لم يكن يعطى بثقة والده السيد سعيد الذى اغلق فى وجهه باب الحكم بمنحه لآخيه السيد ماجد . وفى عام ١٨٥٩ أعلن السيد برغش التمرد على السيد ماجد بعد أن افلت زمام الصبر منه ، الا ان حكومة الهند التى لم تكن توافق على أى تغييرات فى وضع زنجبار وعلى الأخص بعد أن احبطت المحاولة التى قام بها السيد ثوينى فى بداية العام لاحتلال زنجبار ، فى الوقت الذى لم يكن قد انتهى البت فى مسألة النزاع بين مسقط وزنجبار (٢) . أما محاولة السيد برغش فقد انتهت بإبعاده الى الهند ، ولم يسمح له بالعودة الى زنجبار قبل عام ١٨٦١ ، وعند عودته إليها اعتكف فى احدى المناطق الريفية فى البلاد ، حيث اخذ يجمع حوله رجال الدين الإباضيين ، واصبح واحدا من المتعصبين للإباضية .

اصبح السيد برغش الآن فى نفس الوضع الذى كان عليه اخوه عندما تولى الحكم مهددا بغزو تقوم به مسقط ، وخصومه اثنان من اشقائه على

(١) نفس المصدر مجلد ١٠ من كلارندون الى تشرشل ١٦/٦/١٨٧٠

وارفق صورة منه بخطاب الحاكم العام الى وزير الدولة ١٧/١٠/١٨٧١

(رقم ٦٦ الادارة الخارجية سرى) .

(٢) انظر فصل ١٢ من الكتاب .

الأقل ، واذا كان برغش لابد له من ان يتولى الحكم ويحتفظ به ، فانه في حاجة الى تأييد من احدى الجهات ، والتأييد المحتمل الوحيد فى ذلك الوقت هو من البريطانيين فى زنجبار ، وهكذا وقبل وفاة السيد ماجد بساعات استدعى السيد برغش الى القنصلية البريطانية فى زنجبار ، وقد تمهد له المعتمد السياسى البريطانى بتأييده مقابل تنفيذ المطالب البريطانية فيما يختص بتجارة الرقيق بعد توليه الحكم ، وقد ابدى السيد برغش حماسا شديدا بقبول هذا المطلب ، وفى اليوم التالى نصب حاكما على زنجبار دون قيام اى معارضة من احد . غير انه بعد ثلاثة ايام من تنصيبه نقض هذا الوعد ، ربما بتحريض من رجال الدين الاباضيين الذين كانوا يعارضون السياسة البريطانية بخصوص تجارة الرقيق . وقد استاء المعتمد السياسى البريطانى من هذا التحول المفاجيء فى موقف السيد برغش ، واقترح على حكومة بومباى العمل على تشجيع وتأييد السيد تركمى بن سعيد بالاطاحة بالسيد برغش والحلول محله (١) غير ان مقترحات تشرشل لم تفلح فى زحزحة السيد برغش عن موقفه المتعنت هذا (٢) . وفى نهاية العام اضطر المعتمد السياسى البريطانى الى ترك عمله والعودة الى انجلترا لأسباب صحية ، وقد توقف فى بومباى لعرض وجهة نظره فى الاقتراح الذى عرضه لخلع السيد ماجد . وقد وجد ان حاكم بومباى ، فيتزجيرالد ، متفقا معه فى رايه ، بل ابدى استعداداه لاتخاذ اجراءات اشد من التى اوصى بها تشرشل ، وأوضح لتشرشل بأن انصاف الحلول كالتى اقترحها تشرشل لاعلان زنجبار محمية بريطانية لم

(١) انظر كوبلاند ص ٨٨ - ٩٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٠ - ٩٥ .

يكن من حيث المبدأ خطوة سديدة ، وانه اذا كانت حكومة بريطانيا ترغب جديا فى وضع حد لتجارة الرقيق فان عليها ان تتولى هذا الامر بنفسها ، وبالتالي فان الفرصة الراهنة هى انسب فرصة للقيام بهذا العمل ، نظرا لان التدخل الفرنسى الذى بلغ ذروته فى بداية حكم السيد ماجد لم يعد له وجود الآن بعد ان تدهور مركز فرنسا فى سيدان ، غير ان هذه الاقتراحات لم تلق صدق نى كلكنا ، كما ان حكومة لندن استقبلتها بدعوى كبير عندما وصلتها ضمن الرسالة التى بعث بها تشرشل الى فيفيان والتى ارسلها من القاهرة فى شهر مارس ١٨٧١ (١) وعلى الفور بعث ارجيل الى ميزو برسالة ذكر فيها بأن الاقتراحات الخاصة بالتدخل البريطانى فى النزاع على تولى الحكم فى زنجبار سوف تلقى معارضة شديدة من الحكومة البريطانية ، شأنها شأن الاقتراح الخاص بضم السلطنة الى النفوذ البريطانى (٢) .

منذ ذلك الوقت بدأ ارجيل وزملاؤه بمكتب شئون الهند يميلون الى الاخذ بوجهة نظر وزارة الخارجية البريطانية فيما يختص بزنجبار وتجارة الرقيق ، وبذلك وافقوا على توصيات اللجنة المشتركة بقبولهم دفع

(١) الخطابات السرية الى الهند مجلد ٣ من تشرشل الى فيفيان القاهرة ١٨٧١/٣/١٠ ومرفق بمسودة الى الحاكم العام ١٨٧١/٤/٢١ (رقم ٣ الادارة السرية) .

(٢) من وزير الدولة الى الحاكم العام ١٨٧١/٤/٢١ ومن الغريب ان ارجيل لم يتطرق الى الاتفاق الفرنسى البريطانى لسنة ١٨٦٤ باحترام استقلال زنجبار وهو الاتفاق الذى لم تكن حكومة الهند تعلم عنه شيئا وظلت فى جهل له حتى عام ١٨٧٣ .

نصف قيمة المعونة المالية من اعتمادات حكومة الهند ، وبالتفاوض مع شركة البواخر الهندية البريطانية لتمويل الخط الملاحي الى زنجبار بشرط ان تتعهد الخارجية البريطانية بالمساهمة فى نفقات الوكالة البريطانية السياسية فى زنجبار . وفى مارس ١٨٧١ طلب جرانفيل الذى خلف كلارندون فى وزارة الخارجية البريطانية من الخزانة البريطانية اعتماد المبالغ المطلوبة ، غير ان الخزانة رفضت هذا الطلب . وفى الشهر التالى ذكر ارجيل لجرانفيل بأنه لما كانت وزارة الخارجية لا ترغب فى المساهمة بشئ فإنه لم يعد من حقها اصدار اى تعليمات للوكيل السياسى والقنصل فى زنجبار ، كما أنه كتب الى مايو يقترح عليه بأن تبقى الوكالة خاضعة لسلطة حكومة بومباى ، وان هذه الحكومة ستظل الجهة المختصة فى دفع نفقات الوكالة من خزانة حكومة الهند (١) . ثم عاد جرانفيل فطلب من الخزانة دفع هذه المبالغ ولكنه لم ينجح فى مسعاه ، ولهذا اضطرت الحكومة البريطانية الى طرح الموضوع على البرلمان فى جلسته المنعقدة يوم ٦ يوليو ، واعلنت عن عزمها على تشكيل لجنة خاصة من اعضاء مجلس العموم البريطانى للبحث فى موضوع تجارة الرقيق الافريقية واستنباط السبل للقضاء عليها قضاء تاما .

منذ ذلك التاريخ بدأت المسألة تتمثر وان كان التاكيد للقضاء على تجارة الرقيق نهائيا ظل سائدا . ولما كانت مشكلة الرقيق قد تمت مناقشتها فى عدد من المؤلفات الأخرى ، فان مهمتنا هنا تتلخص فى انجاز

(١) من وزير الدولة الى الحاكم العام للهند ١٨٧١/٤/٢١ انظر أيضا

هذا الموضوع بقدر الامكان (١) . وقد استتمت اللجنة الخاصة الى شهادة ١٤ شاهدا ، ادلوا بشهادتهم ، فيما بين الفترة الواقعة بين ١٠ و ٢٥ يوليو ، وقد كان من بين هؤلاء الشهود عشرة من ضباط الاسطول ورجال الدولة من بينهم فرير ، وكيه ، وفيفيان ، وكولان ، ورجبى ، وتشرشل ، وهيث ، وكولومب . اما بقية الشهود فقد كانوا من رجال الهيئة التبشيرية ، كذلك فحصت اللجنة مجموعة كبيرة من الوثائق والرسائل المتعلقة بهذا الموضوع . ولم تأت استنتاجات اللجنة مفاجأة لاحد ، فقد جاء فيها : (ينبغي استخدام كل الوسائل المشروعة لوضع حد لتجارة الرقيق الافريقية ، ولتحقيق هذه الغاية لابد اولا من وضع حد لهذه التجارة داخل المناطق الخاضعة لسلطان زنجبار .. كما ان اية محاولة لاقتناء الرقيق بتشغيلهم فى الخدمة المنزلية قد تتخذ فى نظرنا ذريعة لتهرب هذا الرقيق وبيعه فى الخارج ..) (٢١) وبناء على ذلك فقد اوصت اللجنة (٢) ابلاغ السيد برغش بأنه اذا لم يتوقف بيع الرقيق لتجار الشمال فان الحكومة البريطانية سوف تضطر الى اتخاذ الاجراء اللازم

(١) اهم اشارة الى هذا الموضوع ما ورد فى كتاب كولاند « استعمار افريقيا الشرقية » فى فصل ٨ - ١٠ وكتاب جافين « مهمة فرير فى زنجبار » ١٨٧٣ والمجلة التاريخية فصل ٥ ص ١٢٢ - ١٤٨ والتي تشكل اساس المعلومات فى هذا الموضوع الا فى المواضع التى اشير اليها بالعكس .

(٢) وثائق وبيانات ١٨٧١ مجلد ١٢ وثيقه رقم ٤٢٠ - تجارة الرقيق الساحل الشرقى لافريقيا : تقرير اللجنة الخاصة وقد استشهد به كولاند فى ص ١٧٠ .

لوقف تلك التجارة سواء كانت فى الداخل أو الخارج ، (١) ومطالبة السيد برغش بالتوقيع على معاهدة جديدة هدفها الأساسى إلغاء تجارة الرقيق كلها الغاء تاما (١) • غير أن اللجنة قد اغفلت نقطة هامة فى تقريرها ، فهى لم تذكر أى شىء حول تعويض السيد برغش عن خسائره المالية التى قد تترتب على الغائه تجارة الرقيق ، سواء اكان ذلك باعفائه من دفع المعونة المالية لمسقط أو بطرق أخرى ، وعلى العكس من ذلك فقد اعتقدت اللجنة أن تطور التجارة المشروعة ونموها الذى سيأتى بعد الغاء تجارة الرقيق ، قد يعوض السيد برغش تعويضا تاما عن خسائره ، كما ذكر تقرير اللجنة : « ان هذه اللجنة لا تعتقد أن حاكم زنجبار سوف يخسر شيئا من الغاء تجارة الرقيق » (٢) •

لقد كان هذا موقفا لا يتسم بالعدل ، بل بالأحرى كان موقفا مجردا من المسئولية وأدى الى تأخير إبرام المعاهدة الجديدة عامين آخرين ، كما أنه قد جرد وزارة الخارجية البريطانية ومكتب شئون الهند من جميع المبررات لارغام الحكومة البريطانية على دفع ثمن الغاء تجارة الرقيق ، ونعنى به المعونة المالية التى كانت زنجبار قد تعهدت بدفعها الى حكومة مسقط ، كما أنه قد عزز موقف جلادستون ضد جرانفيل • وكان رئيس الوزراء يعتقد بأن دفع أى تعويض مقابل عمل انساني اجراء غير أخلاقى وبأن التحول الى التجارة المشروعة بافريقيا الشرقية سوف يؤدى الى اثناء تجارة الرقيق • غير أن وزير الخارجية البريطانية كان له رأى آخر

(١) نفس المصدر •

(٢) نفس المصدر •

وهو يتلخص فى أن كل تنازل ، لابد أن يستتبعه ثمن او مقابل • ولما كان رئيس الوزراء مقتنعا بموقفه ومؤمنا بتضامن الدول الأوربية ، فقد قام بتوزيع مذكرة على حكومات الولايات المتحدة والمانيا وفرنسا والبرتغال ، وذلك فى شهر فبراير عام ١٨٧٢ ، يناشدها باسم الانسانية ان توحدها موقفا للقيام بعمل مشترك لافتتاح خطوط ملاحية تجارية الى زنجبار ، وبمحاولة اقناع حاكم زنجبار بالتخلي عن تجارة الرقيق • وقد جاء الرد من هذه الدولة حسبما كان متوقعا (١) • غير ان هذه المبادرة انتقلت فيما بعد الى رجال مكتب شئون الهند والى فرير بصورة خاصة ، الذى تحولت تجارة الرقيق عنده الى قضية • رغم ان اهتمامه بها لم يكن يخرج عن الخطوط العامة للسياسة التى كان ينادى بها فيما يتعلق بالنزاع بين مسقط وزنجبار • وقد اسفرت محاولة فرير وزملائه عن عقد اجتماعين هامين فى مانشن هاوس فى يوليو ونوفمبر ، وكان لهذين الاجتماعين تأثير كبير على وزارة جلادستون ، اذ تضمن خطاب ملكة انجلترا بمناسبة افتتاح الدورة البرلمانية فى شهر اغسطس اشارة الى اعتزام الحكومة البريطانية القيام بتحريك واسع ضد تجارة الرقيق ، كما تم اقناع المسؤولين فى الخزانة البريطانية فى المساهمة فى دفع ثلثات الوكالة البريطانية فى زنجبار ، ثم اعلن جرانفيل عن عزمه على ايفاد فرير فى مهمة خاصة الى زنجبار (٢) •

(١) انظر جافين ص ١٢٨ •

(٢) جافين ص ١٣٩ - ١٤١ •

كان فرير اول من فكر فى ايفاد بعثة خاصة وذلك فى شهر ديسمبر سنة ١٨٦٩ ، وقد قام بتنفيذها ارجيل فى ابريل عام ١٨٧١ ، عندما اقترح على مايو بوجوب انتهاز فرصة تولى حاكمين جديدين السلطة فى كل من مسقط وزنجبار لايفاد بعثة للتفاوض معهما وتصفية الخلافات بينهما (١) وكان هدف البعثة التى شكلت عام ١٨٧٢ هدفا محددًا ، وهو اقناع السيد برغش بالتوقيع على معاهدة جديدة تحل محل معاهدة عام ١٨٤٥ ، ويلزم فيها نفسه بالغاء تجارة الرقيق فى الأجزاء الداخلية من افريقيا الشرقية ، وكان المطلوب من السيد برغش وفق تلك المعاهدة ان يأمر باغلاق أسواق الرقيق فى جميع أراضيه ، وحماية الرقيق الذين يتم تحريرهم من اعادتهم الى ذل العبودية ، وحظر اقتناء العبيد او امتلاكهم من جانب الرعايا الهنود التابعين للولايات الهندية الخاضعة للحماية البريطانية ومقيمين فى افريقية (٢) كما كلف فرير بالحصول على تعهد جديد من السيد تركى بن سعيد الحاكم الجديد فى مسقط ، يلتزم فيه السيد تركى بالعمل بمعاهدة ١٨٤٥ فيما يتعلق بتجارة الرقيق فى مسقط وبأن يضمن (اى) فرير احترام شيوخ ساحل الهدنة للتعهدات التى وقعوها فى عامى

(١) كوبلاند ص ١٨٢ - ١٨٣ وقد اورد تعليمات جافين الى فرير ١٨٧٢/١١/٩ ان عددا كبيرا من الهنود المنتمى الى بعض ولايات الهند الخاضعة للحماية البريطانية والمقيمين فى زنجبار قد تخلوا عن جنسياتهم كى يتمكنوا من اقتناء العبيد والاتجار فيهم .

(٢) انظر الخطابات والمرقات من الهند . مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) ٢٢٨ المؤرخ ١٨/١١/١٨٧٢ من بلى الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى ١٨٧٢/٨/٢١ (رقم ١٣٨٧ - ٣٧٧ الادارة السياسية) .

١٨٤٧ ، ١٨٥٦ فى ذلك الشأن ، وكان قد أرسل خطاب الى كل من شيوخ الهدنة وحاكم البحرين فى شهر أغسطس السابق يتضمن هذا المعنى ، وقد أرسله الكاونيل بيلى المقيم البريطانى فى الخليج تنفيذا لتعليمات تلفاها من الحكومة البريطانية دون أن يتلقى ردودا عليها حتى ذلك الوقت (١) ولذلك عهد الى فرير ابلاغ السيد برغش باحتمال اعفائه من نفع المعونة السنوية الى مسقط بموجب قرار كانج والتأكيد له بدفع هذه المعونة اليه من جانب حكومة بومباى ، وبأن تعهد حكومة بومباى بدفع هذه المعونة سيصبح ملغيا فى حالة اخلاله بنصوص المعاهدة . وتبعاً لذلك فقد تقرر أن تتحمل الخزانتان الهندية والبريطانية دفع تلك المعونة مناصفة بينهما .

غادر فرير واعضاء البعثة بما فيهم الأب بادجر انجلترا يوم ٢١ نوفمبر عن طريق باريس وروما والقاهرة ، وذلك بغية الحصول على تعاون حكومة فرنسا والفاثيكان والحكومة الايطالية والخدوي اسماعيل باشا لانجاح هذه المهمة . وفى يوم ٣١ ديسمبر وصلت البعثة الى عدن حيث انضم اليها بيلى ، وفى يوم ١٢ يناير وصلت البعثة الى زنجبار وقد بدأت اعمالها

(١) نفس المصدر لقد كان لرونسون تحفظات حول هذه الخطة كلها : من المؤكد اننا لا ينبغي ان نلوم انفسنا بدفع هذه المعونة الى مسقط بصورة دائمة ، وانما يجب ان يشترط فى دفعها تحسن السلوك ، وبأن لا يتعدى هذا الارتباط ولاية الحاكم الراهن (نفس المجلد مذكرة رولنسون (اكتوبر ١٨٧٢) .

بالاتصال بالسيد برغش فى اليوم التالى ، واستمرت تلك الاتصالات على افتراضات حتى الشهر التالى ، وقد اظهر السيد برغش قدرا كبيرا من المرونة والاستعداد للتفاهم ، واكد للبعثة بأنه سوف يبذل قصارى جهده لتحقيق رغبة الحكومة البريطانية ، الا انه لم يكن فى وضع يسمح له بتجاهل ثقل الراى العام الاسلامى وموقف اكابر العرب فى زنجبار ، الذين يعارضون تقديم تنازلات جديدة بالنسبة لتجارة الرقيق ، كما اوضح لهم بان الحد من وصول الرقيق من داخلية البلاد للعمل ، وخاصة بعد العاصفة التى هبت على البلاد واحداثت دمارا جسيما ، سوف يؤدى الى تدهور اقتصاد زنجبار الذى يعتمد اساسا على هؤلاء الرقيق ، واستطرد السيد برغش يقول بان فرير قد جاء يطلب منه اكثر مما يستطيع ، وانه اذا كان لابد من القضاء على تجارة الرقيق فينبغى ان تتم هذه العملية بالتدريج وبخطوات وثيدة وقال : اننا شعب فقير وغير ناضج ، وانه يحتاج الى بعض الوقت كي يتسنى له ادراك الامور وهكذا لم ينجح فرير رغم محاولاته المتعددة فى اقناع السيد برغش بتغيير موقفه ، كما فشل وجود السفن الحربية البريطانية خارج ميناء زنجبار فى التأثير على موقف السيد برغش . وفى ١١ فبراير سلم السيد برغش رده النهائى الى فرير ويمكن تلخيصه فيما يلى : « انكم تطلبون منا بان نحدد موقفنا من هذه المسألة فى كلمتين . نعم او لا . نقول لكم لا » (١) .

لقد كان القنصل الفرنسى فى زنجبار السبب الرئيسى فى رفض السيد

(١) كوبلاند ص ١٨٦ - ١٩١ وجافين ص ١٤٤ - ١٤٥ بالنسبة

لتقارير فرير راجع (مكتب شؤون الهند) مكاتبات حكومة الوطن (سرى)

برغش لهذه الاجراءات ، وكان هذا القنصل قد عاد الى مقر عمله من اجازته يوم ٩ فبراير ، وفي اليوم التالي اجتمع بالسيد برغش ، واكد له بأنه يمكن الاعتماد على فرنسا في حمايته اذا ما شعر بأى تهديد بريطاني لاستقلاله ، وبهذا الموقف تجاهل القنصل الفرنسي التعليمات التي زودته بها حكومته بالتعاون مع فرير (١) ومع ذلك فقد يكون فرير مسئولاً شخصياً عن هذا الفشل ، وقد كان يستخدم أسلوباً متعالياً عند اجتماعه بالسيد برغش ، وكان موقفه رسمياً أكثر منه دبلوماسياً في المحادثات التي اجراها مع السيد برغش ، أو بالأحرى استخدم أسلوباً فردياً ، ومثال ذلك أن فرير لم يتطرق الى صميم المشكلة في محادثاته مع السيد برغش ، ولم يذكر له استعداد الحكومة البريطانية لاعفائه من دفع المعونة المالية السنوية الى مسقط ، وإنما أخذ يلقى محاضرات عن الحاكم تدور حول التزامات السيد برغش بدفع تلك المعونة، وأكثر من ذلك فقد نبهه الى دفع المتأخرات المستحقة عليه لمسقط من هذه المعونة، ويستوضحه عن الترتيبات التي ينوي اتخاذها لتسديد هذه المتأخرات ودفعها بصفة منتظمة في المستقبل (٢) . وعندما طلب منه السيد برغش مهلة لتنفيذ بنود الاتفاقية اذا كان السيد برغش هو الذي وقع على تلك الاتفاقية ، وقد رد عليه فرير بأن فترة السماح المنصوص عليها في الاتفاقية قد اصبحت ملغاة ، نظراً للموقف المتعنت الذي ابداه السيد برغش (٣) . وبعد هذا غادر فرير يوم ١٥ فبراير زنجبار واخذ يجب

(١) كوبلاند ص ١٩٥ - ١٩٧ وجافين ص ١٤٥ .

(٢) انظر مكاتبات حكومة الوطن سرى مجلد ٧٢ من فرير الى برغش

١٨٧٣/٢/١ .

(٣) انظر ص ١٩٠ من كتاب كوبلاند .

شواطئ الساحل الافريقي لتفقد الموانئ التي كان يشحن منها الرقيق .
وفي هذه الاثناء قام الدكتور جون كريك المعتمد السياسي البريطاني في زنجبار
بمحاولات جديدة مع السيد برغش لاقتناعه بتغيير موقفه ، ولكن محاولاته
ذهبت ادراج الرياح ، فقد كان سلطان زنجبار ومستشاروه يعتبرون هذه
المسألة « مهزلة كبرى » . في ١٢ مارس عاد فرير ليعطى السيد برغش
فرصته الأخيرة لقبول المعاهدة او رفضها ، ولكن السيد برغش رفضها ،
ولهذا غادر فرير زنجبار غير راض وتوجه الى مسقط ، وبعد بضعة
ايام من سفره بعث بأوامر الى كرك والى قائد وحدة أسطول الخليج بعدم
الالتزام بمعاهدة ١٨٤٥ ، والاستيلاء على جميع سفن الرقيق التي تعمل
بين المنطقة الداخلية وزنجبار (١) .

ولعل فرير قد وجد شيئاً من العزاء فى الحفاوة التي قوبل بها من
قبل السيد تركى بن سعيد عند وصوله الى مسقط يوم ١٢ ابريل (٢) .
وقد كتب فرير رسالة الى جراند فيل يقول فيها بأنه وجد السيد تركى على

(١) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٧٣ من فرير الى جراند فيل ممباسا
فى ١٨٧٣/٣/٢٦ (رقم ٣٨ سرى) وكوبلاند ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

(٢) فى طريقه زار فرير المكلا على ساحل حضرموت حيث ابدى
استعدادا فوريا للتصديق على الاتفاقية التي اعدتها فى ١٤/٥/١٨٦٣
بعدم ممارسة تجارة الرقيق وجعل هذه المعاهدة ملزمة على ورثته . انظر
(مكتب شئون الهند) الخطابات والمرفقات السرية مع الهند مجلد ١٥
مرفق للخطاب الخاص (سرى) رقم ٥٣ المؤرخ ١٦/٦/١٨٧٣ ، من فرير
الى جراند فيل مسقط ١٥/٤/١٨٧٣ رقم (٥) و « المعاهدات » اعداد
اتيشيسون فصل ١١ ص ١٧٩ - ١٨١ .

استعداد للموافقة على الاجراءات المطلوبة منه فيما يتعلق بتجارة الرقيق(١) سيما وأن السيد تركى هو المستفيد من تلك الاجراءات كما سيكون لتعاونه مع الحكومة البريطانية مزايا اكبر وقد أوضح فرير هذه النقطة للسيد تركى قبل توقيعها على الاتفاق كما أكد له بأن المعونة السنوية سوف تدفع له منذ ذلك الوقت من جانب حكومة بومباى وبأثر رجعى عن طريق المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط ، وستدفع ابتداء من تاريخ توىة السلطة فى يناير ١٨٧١ ، وذكر له بأنه من حقه مطالبة المعتمد السياسى فى مسقط بالتأخرات (٢) . وبهذا وقع السيد تركى على المعاهدة فى ١٤ ابريل، وقد اعادت هذه المعاهدة التأكيد على النص الخاص بحظر تجارة الرقيق الوارد فى معاهدة ١٨٤٥ ، كما ألزمت السلطان باغلاق اسوق الرقيق فى جميع اراضيه ومنح الحماية للذين يتم تحريرهم ، وبمنع الهنود التابعين للولايات الهندية الخاضعة للحماية البريطانية من شراء الرقيق (٣) . ولما كان شيوخ الهندة وحاكم البحرين قد سبق ان وقعوا على اتفاقيات مماثلة

(١) مكاتبات الوطن سرى مجلد ٧٣ من فرير الى جرانفيل
١٨٧٣/٤/١٦ (خاص) انظر ايضا رقم ٥٢ بنفس التاريخ والمجلد .

(٢) نفس المصدر (ومكتب شئون الهند) الخطابات والمرفات السرية
من الهند مجلد ١٥ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٨٧ المؤرخ
١٨٧٣/٦/٩ من فرير الى المعتمد السياسى بالوكالة فى مسقط
١٨٧٣/٤/١٥ .

(٣) من فرير الى جرانفيل ١٨٧٣/٤/١٦ من الكتاب « والمعاهدات »
فصل ١١ اعداد اتيشيسون ص ٧٧ - ٧٨ .

بشأن تجارة الرقيق فقد انتهت هنا مهمة فريير (١) .

استقبلت الحكومة البريطانية رفض السيد برغش للمعاهدة التي اقترحتها بشيء من الامتناع وعلى الرغم من فشل اسلوب فريير ، وعلى الرغم من وجود رأى معارض فى اوساط رجال القانون الرسميين بخصوص شرعية التعليمات التى اصدرها فريير فى الاستيلاء على سفن الرقيق فى المياه الاقليمية لزنجبار ، فقد قرر جرانفيل المضى فى سياسة استعمال القوة ضد السيد برغش وفى ١٥ مايو ابرق الى كرك لتحذير السيد برغش بأنه ما لم يوافق على التوقيع على المعاهدة المقترحة فسوف تقوم السلطات البريطانية بسرض حصار بحرى على زنجبار . وفى ٣ يونيه بعث كرك بالانذار الى السيد برغش . وبعد مشاورات مع ممثلى الحكومات الفرنسية والالمانية والامريكية التى اجراها السيد برغش - والذين نصحوه باذعان للمطالب البريطانية - وقع على المعاهدة يوم ٥ يونية ، وتضمنت نفس البنود وهى : منع تصدير الرقيق من الداخلية الافريقية فورا ، واغلاق اسواق الرقيق فى البلاد ، وحماية المحررين منهم ، ومنع الهنود المتمتعين بالحماية البريطانية من اقتناء الرقيق، وقد اعطيت الصلاحيات اللازمة لسفن الاسطول البريطانى

(١) « المعاهدات » اتشيسون فصل ١٠ ص ١٣٩ وقد اورد فيها الاتفاقيات المعقودة مع شيخى الشارقة وأبو ظبى فقط ، اما بالنسبة للاتفاقيات مع غيرهم من شيوخ المنطقة راجع (مكتب شئون الهند) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٧٣ من فريير الى جرانفيل ١٦/٤/١٨٧٣ (رقم ٥٢) ومرفق صورة من خطاب بلى الى فريير ٣١/٣/١٨٧٣ والخطاب والمرفقات السرية من الهند مجلد ١٥ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٦٣ المؤرخ ٧/٧/١٨٧٣ .

بالعمل على تنفيذ هذه المعاهدة على الفور (١) .

بعد إبرام معاهدات ١٨٧٣ دخلت الحملة البريطانية على تجارة الرقيق الأفريقية مرحلة نهائية ، واعتبارا من ذلك التاريخ كثفت الحراسة البحرية في المياه الأفريقية ، وكلفت سفينة الحراسة الملكية (لندن) بالبقاء في ميناء زنجبار ، وقد تطلب الأمر عشرين عاما أخرى من الرقابة المتشددة قبل أن يتخلى تجار الرقيق العرب عن محاولات الحصول على الرقيق من مناطق الساحل الأفريقي ، وفى بداية التسعينات من القرن التاسع عشر ، يمكن القول بأن هذه التجارة قد تلاشت تماما ، ثم جاء بعد ذلك المحتلون الأوربيون لكي يجهزوا على البقية الباقية من هذه التجارة . أما فى شبه الجزيرة العربية . فقد استمرت هذه التجارة فى صورة أخرى ، وكان التجار فى تلك المناطق يتخذون الأسطول البريطانى للحصول على الرقيق من الحبشة ومن الموانئ الغربية للبحر الأحمر . وكان تجار صور (فى عمان) أكثرهم جراءة وكانوا يرفعون الاعلام الفرنسية على سفنهم ، وكانوا يحصلون على هذه الاعلام من القناصل والمسؤولين الفرنسيين فى مسقط وغيرها من المناطق ، وكان هؤلاء المسؤولون الفرنسيون يجدون فى عرقلة المساعى البريطانية للقضاء على تجارة الرقيق متنفسا لهم ، لاسيما فى الفترات التى تتأزم فيها العلاقات البريطانية الفرنسية . وأخيرا اضطرت بريطانيا الى اللجوء الى محكمة العدل الدولية فى لاهاي، محاولة استصدار قرار منها بادانة الحكومة الفرنسية. لدعمها للنشاط الذى يقوم به تجار الرقيق، وعلى الرغم من ان بريطانيا كانت تدرك انها بسحب حمايتها لمصالح فرنسا يعود الى هذه الأسباب ،

(١) كوبلاند ص ٢٠٧ وجافين ص ١٤٦ وايشيسون - «المعاهدات».

أكثر مما يعود الى وفاق الدولتين عام ١٩٠٤ . فبعد هذه المرحلة أخذت تجارة الرقيق الحبشية تتلاشى تدريجيا ، بينما أمكن القضاء نهائيا على تجارة الرقيق العربية فى البحر وقد نتساءل بصرف النظر عن تضحيات واخلاص المسئولين البريطانيين فى تصديهم لتلك المشكلة عن مدى فاعلية تلك الحملة البريطانية على تجارة الرقيق ، فقد تبين بأن التركيز على الاجراءات فى المنطقة الشمالية على هذه التجارة كان خطأ كبيرا ، اذ كان من النادر الاستيلاء على أية سفينة من سفن الرقيق فى ساحل عمان او فى الخليج نفسه واكبر عملية تمت فى تلك الفترة ، هى استيلاء الاسطول البريطانى على سفينة كبيرة تابعه لصور فى شهر سبتمبر ، وقام بالاستيلاء عليها الطراد فليتشر وكان عليها ١٦٩ عبدا جاءوا من بمبا (١) ويمكن القضاء مسئولية هذا الفشل على عاتق بالمرستون ، رغم انه هو الذى خطط لعملية الهجوم على تجارة الرقيق فى منطقة الخليج ، وفقا لما كان يتلقاه من معلومات وتقارير من المسئولين فى الهند والخليج الذين كانوا حريصين على ايجاد السبل الكفيلة للقضاء على تجارة الرقيق فى المنطقة الغربية من الهند ، والواقع ان اهتمام بالمرستون بأمر القواعد التى كانت تنطلق منها تجارة الرقيق فى شبه الجزيرة والخليج قد جاء مصادفة ، واو كنت لدى المسئولين البريطانيين معلومات عن هذه التجارة فى افريقيا تماثل المعلومات التى كانت لديهم عن هذه التجارة فى منطقة الخليج وسواحل الهند لربما استطاعوا تركيز جهودهم على هذه المنطقة . ولما كانت المعلومات التى تضمنتها المراسلات والتقارير التى كان يتلقاها بالمرستون من الهند

(١) المكاتبات والمرفقات السرية من الهند مجلد ١٤ مرفق الخطاب

الخارجى (سياسى) رقم ٦٦ المؤرخ ١٨٧٣/٤/٢٤ من المعتمد السياسى فى مسقط الى المقيم ١٨/٩/١٨٧٢ ، (رقم ٥٣٤ - ١٥٩ الادارة السياسية) .

والخليج قد ركزت على شرق افريقيا لربما لم تحظ هذه التجارة فى الخليج بما تستحقه من الاهتمام سواء من بالمرستون أو من غيره من المسئولين .

تعتبر سياسة ابرام المعاهدات مع دول المنطقة كحل لمشكلة تجارة الرقيق وبدعم من الأسطول البريطانى ، وهى السياسة التى دعا اليها بالمرستون ، سياسة فاشلة ، ولهذه الاسباب فان هذه السياسة التى كلفت الحكومة البريطانية الكثير من الجهود قد فقدت فاعليتها . لقد كانت الحملة البريطانية على تجارة الرقيق قبل عام ١٨٤٠ اجراء ضروريا ، وذلك لسببين ، السبب الأول هو وقف تصدير الرقيق من زنجبار الى الجزر الافريقية الخاضعة لفرنسا بموجب معاهدة مورسيى ١٨٢٢ ، والسبب الثانى هو منع التعامل فى الرقيق مع حكومات ساحل الهدنة ومسقط ، بموجب اتفاقيات عام ١٨٣٩ والتى كان الهدف منها هو القضاء على تلك التجارة فى الموانئ الهندية ، وعلى اية حال فان الحملة التى نظمها بالمرستون فى عام ١٨٤١ للقضاء على تجارة الرقيق العربية ، انما تصور الى حد كبير شعوره الانسانى ، ومن ورائه شعور الشعب البريطانى ، غير ان هذا الجانب من أهداف الحملة لم يتضح للرأى العام ، والأدهى من ذلك ان الاجراءات التى انطوت عليها تلك الحملة كما يقول اوكلاند فى عام ١٨٤٢ قد وضعت العراقيل فى طريق العلاقات السياسية البريطانية مع دول شبه الجزيرة ، وعلى الرغم من ذلك فقد يكون بالمرستون الفضل فى ان هذه العراقيل لم تثنه عن هدفه رغم ان الوسائل التى استخدمها فى تحقيق ذلك الهدف كانت موضع شكوك . كانت معاهدة عام ١٨٤٥ مع حكومة مسقط خطوة ضرورية ، وذلك لوقف تصدير الرقيق من افريقيا الى منطقة الخليج ، وانما هل كانت المعاهدات الأخرى التى

عقدت مع حكومة فارس وحكومات دول الخليج بهذا الخصوص ضرورة هي الأخرى؟ ولو كانت الحكومة البريطانية قد ركزت جهودها فيما يختص بتطبيق نصوص المعاهدات على ساحل افريقيا الشرقى وحده ، فلربما نجحت فى القضاء على تجارة الرقيق فى منبعها الأسمى ، ولما عادت هناك حاجة الى مطالبة الامبراطورية العثمانية وفارس ودول شبه الجزيرة العربية بتنازلات أدت الى كثير من أعمال العنف والتوتر بين الطرفين .

وقد يتساءل هنا ما هى النتيجة لو ان الاجراءات التى اتخذتها بريطانيا فى البحر ضد هذه التجارة قد نجحت ؟ ولو ان كل سفينة من سفن الرقيق التى كانت تعمل بين افريقيا والخليج بعد عام ١٨٤٧ قد صودرت ، وقدم بحارتها للمحاكمة فما هو التأثير الذى كانت ستمنخض عنه هذه الاجراءات على دول الخليج الساحلية . من الناحية النظرية لقد تمت مصادرة غالبية سفن الرقيق ان لم يكن كلها كما قدمت للمحاكمة . وحتى لو أن اصحاب تلك السفن تمكنوا اخيرا من استعادة سفنهم مقابل دفع غرامات باهظة ، فان المبالغ التى ارغموا على دفعها لابد وان تكون قد ارهقتهم . الا ان القليل من تلك السفن امكن ارسالها او تقديمها للمحاكمة، لان الجزء الأكبر منها قام الاسطول البريطانى باغراقه . ونتيجة لهذا الوضع فقد اضطرت قبائل الساحل الى القيام باجراءات عملية ضد البريطانيين دفاعا عن انفسهم او القاء انفسهم فى احضان الوهابيين فى نجد ، وايا كان الحال فقد كانت نتيجة تلك الاجراءات الحتمية هى تبديد مرحلة طويلة من الجهود لبسط النفوذ البريطانى على منطقة الخليج ، وعلى اية حال فان تلك الاحتمالات لم تكن واردة فى ذهن المسؤولين وقتئذ ، نظرا لان الطرادات البريطانية فى اى وقت من الأوقات قادرة على تنفيذ مهمتها بصورة فعالة . وبالإضافة الى ذلك فان تجارة الرقيق قد اخذت

تتلاشى فى ببطء ، بحيث انها لم تحدث اية ارتباكات فى اوساط سكان الخليج الذين قبلوها عن طيب خاطر . الا انه من المحال ان نستطيع تحديد تأثير الاجراءات التى اتخذت لمكافحة تجارة الرقيق على هذه التجارة ككل نظرا لعدم وجود احصائيات دقيقة ، ولما كانت اسعار بيع الرقيق فى منطقة الخليج خلال السبعينات من القرن التاسع عشر لم تنخفض عما كانت عليه قبل اربعين عاما ، فانه يبدو ان هذه التجارة لم تسجل اى انخفاض فى الحجم فيما بين افريقيا وشبه الجزيرة . وعلى اية حال ، فمهما كانت الأخطاء التى ارتكبت فى هذا الصدد ، ومهما أسىء فهم الوسائل التى اتبعت ، الا انها فى التحليل النهائى لم تكن تخرج عن الدوافع الانسانية التى ارغمت الحكومة البريطانية فى القرن التاسع عشر على القيام بالقضاء على تجارة الرقيق العربية .

الفصل الرابع عشر

مسقط والبحرين

١٨٦٥ - ١٨٧١

ثمن التدخل

أمضى السيد ثوينى بن سعيد السنوات الأخيرة من حكمه فى صراع دائم للاحتفاظ بالسلطة . وكانت تقف ضده مجموعة من اقوى القبائل العمانية واكثرها نفوذا ، وهى قبائل الحرث وبنى هناه ، ويال سعد ، سكان الباطنة وبنى جابر سكان الحجر الغربى ، وبنى ريام سكان الجبل الاخضر ، وبنى بو على سكان جعلان ، بالاضافة الى فئة المطوعة من رجال الدين الاباضيين الذين لم يكونوا يعتبرون السيد ثوينى المسئول عن ضياع زنجبار فحسب ، وانما كانوا يشككون فى استقامته الدينية ويتهمونهم بالخضوع للنفوذ الاجنبى . وكان السيد عزان بن قيس زعيم الفرع الثانى من أسرة آل بوسعيد وحاكم الرستاق بحكم الامر الواقع الد خصوم السيد ثوينى ، وكان عزان يحظى بتأييد رجال الدين نظرا لتزمته الدينى . وفى اواخر ١٨٦٤ قام السيد ثوينى بمحاولة جريئة لم يكتب لها النجاح للقضاء على خصمه عزان بن قيس كما فعل بابيه من قبل ذلك بثلاث سنوات ، غير ان النائب الوهابى فى البريمى تقدم لانقاذ عزان بن قيس ودعم مركزه عندما وجه تحذيرا الى السيد ثوينى بأن اية محاولة من جانبه ضد عزان سوف تعنى زحف الجيش الوهابى على مسقط ، وقد شكك السيد ثوينى للأمير فيصل من تصرف نائبه فى البريمى ، واقترح عليه تسوية الخلاف عن طريق المقيم البريطانى فى الخليج ، كما كتب السيد

ثوينى خطابا الى السير بالتر فرير حاكم بومباى ، اشار فيه الى الصعوبات التى اخذ يواجهها من قبائل عمان ومن الوهابيين ، وذلك كنتيجة مباشرة لضياح زنجبار من يده ، كما طالبه بتزويده بالأسلحة لتدعيم مركزه ضد منافسيه ، كما اشار فى هذا الخطاب الى استعدادده لفرض حصار على ساحل الاحساء اذا رفض فيصل اقتراحه بالوساطة البريطانية فى النزاع ، واستوضح من الحاكم عما اذا كان ينوى الاعيـاز الى المقيم البريطانى فى الخليج بعدم التدخل اذا ما قام هو بفرض الحصار ، او بمنح شيوخ الهدنة من الاشتراك فى عمليات الحصار (١) .

وقد جاد رد فرير على خطاب السيد ثوينى فاترا ، حيث ذكر له بأن الحكومة البريطانية لا تقوم بالتدخل فى الصراع بين القوى المتخاصمة فى سواحل الخليج بتأييد احدها ضد الأخرى والواقع ان هذا الموقف من فرير يبدو مستغربا على ضوء السياسة البريطانية تجاه الوهابيين فيما يختص بعمان ، كما كان يتعارض بصورة مباشرة مع موقف المعتمد البريطانى فى مسقط الكاونيل هربرت داسيرو الذى كان ينادى بتلبية مطالب السيد ثوينى الخاصة بالوساطة وتزويده بالأسلحة . وعلى أية حال فقد كان بالتر فرير قليل الخبرة بسياسات الخليج ، وكان يؤثر ان يترك أمر القرار النهائى للمقيم البريطانى فى الخليج ، غير ان المقيم البريطانى نفسه

(١) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٥٢ تقرير رقم ٣١ المؤرخ ١٨٦٥/١٠/١٦ خطاب من اللفتنانت كولونيل اج. دسبروا (الوكيل السياسى فى مسقط) الى سى جون (السكرتير السياسى المساعد لحكومة بومباى) ١٨٦٤/١٢/٣ (رقم ٢٧٧ و ٢٧٩ الادارة السياسية) ومرفق معه نسخة من خطاب السيد ثوينى الى فرير .

كان يجهل التيارات السياسية فى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، كما انه لم يكن يتعاطف مع السيد ثوينى او يرضى عن داسبرو (١) . ولهذا فقد ابلغ بالتر فريز بأنه لم يكن يعتقد بنجاح الوساطة البريطانية مع الامير فيصل ، على الرغم من انه قد اقر للسيد ثوينى بالحق فى طلب المساعدة البريطانية وقال « بأن السلطان باعتبار دولته دولة بحرية يشعر الآن بحرج كبير من اننا فى الوقت الذى نعارض أى تحرك من جانبه قد يؤدى الى اضطراب الامن فى الخليج نرفض أى تدخل من جانبنا من أجل المحافظة على مركزه (٢) » .

بعد ان قام بيلى بإرسال خطابه الى فريز حول هذا الموضوع عاد فغير من رأيه فى موضوع الاتصال بالامير فيصل ، وكان بيلى قد تسلم نسخة من تقرير الجمعية الجغرافية الملكية المؤرخ ١٨٦٤/٤/٢٨ والذي يتضمن بيانات عن رحلة بالجريف فى شبه الجزيرة العربية خلال ١٨٦٢ - ١٨٦٣ (٣) وكان بالجريف الذى سبق له العمل فى الفرقة

(١) على سبيل المثال راجع بحثه عن تاريخ عمان القديم بعنوان « عمان والوهابيون » فى تقاريره المؤرخه ١/٢١ و ١٨٦٥/٢/١٤ وهو البحث الذى اقتبسنا منه فى هذا الكتاب .

(٢) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٥٢ التقرير رقم ٢١ المؤرخ ١٨٦٥/١٠/١٦ من بيلى الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى ، الكويت فى ١٨٦٥/١/٢١ .

(٣) راجع مجلة الجمعية الجغرافية الملكية جزء ٨ (١٨٦٣ - ١٨٦٤) ملاحظات عن رحلة من غزة عبر المنطقة الداخلية من شبه الجزيرة الى القطيف على ساحل الخليج ومنها الى عمان .

العسكرية الثامنة فى بحرية بومباى واصبح الآن عضوا فى الجمعية المسيحية قد غادر غزة الى شمال شبه الجزيرة العربية فى مايو ١٨٦٢ وكان يسافر متنكرا فى هيئة طبيب من حلب ، وقد توجهت به الرحلة الى الحيل عاصمة جبل قبائل شمر ومنها الى الرياض حيث مكث ستة اسابيع ، ثم الى القطيف حيث استقل السفينة الى الخليج ، ومنه الى مسقط فى نهاية الرحلة التى وصلها فى شهر مارس ١٨٦٣ بعد ارتطام سفينته فى منطقة بالقرب من من ساحل الباطنة (١) وكان الهدف الظاهرى من رحلة بالجريف - على الرغم من أن تفسيراً مقبولاً لهذه الرحلة لم يصدر على الاطلاق - هو اكتشاف الجانب الغربى من الخليج (فقد زار بالجريف الدوحة ، والشارقة ، والقطيف ، وشبه جزيرة مسندم وصحار أيضا) بتكليف من الحكومة الفرنسية التى سبق أن اوفدت الكومندور دى لانج لنفس الغرض عام ١٨٦١ وكان بالجريف نفسه قد ذكر للكولونيل (السير فيما بعد) وليم مير وزر الذى خلف كولان كمقيم بريطانى فى عدن ، وذلك عندما التقى به فى السويس فى شهر مايو ١٨٦٦ : « ان الهدف الاساسى من الرحلة التى انتدبه فيها نابليون الثالث هو جمع المعلومات عن وضع تحركات البريطانيين فى الخليج والبحث عن موقع

(١) نفس المصدر وانطباعات رحلة فى اواسط وشرق وجنوب شبه الجزيرة خلال عامى ١٨٦٢ و ١٨٦٣ ، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية (١٨٦٤) اما رحلة بلجريف منذ نشرت فى لندن ١٨٦٥ فى مجلدين بعنوان « قصة رحلة عبر وسط وشرقى الجزيرة العربية » وقد اصبح من المؤلف الآن انتقاد كثيرا ما ورد فى تلك الاحداث باعتباره غير صحيح وزيف وبالاخص معلوماته التاريخية والجغرافية ، الا ان بلجريف لم يكن فى مستوى الشكوك والاطغاء التى وصفه بها معارضوه .

لانشاء مستوطنه فرنسية فى المنطقة » وقد حمل بالجريف معه هدايا الى سلطان مسقط ، كما كان مفوضا للتعاقد مع السلطان اذا وافته الظروف ، كما ان ارتطام سفينته وغياب السلطان عن البلاد عند وصوله اليها قد حال بينه وبين تنفيذ تلك المهمة (١) وقد يعود السبب فى ذلك الى ان الحكومتين البريطانية والفرنسية كانتا قد أصدرتا قبل مفادرة بالجريف لغزة بشهرين بيانا باحترام كل من مسقط ورنجبار مما دفع بالجريف الى سلوك ذلك الطريق فى رحلته والى السفر متنكرا ، على الرغم من ان الاجراء الأخير هو بلا شك تصرف شديد من جانبه بالنسبة الى المناطق والقبائل التى كان يتعين عليه ان يمر بها .

لم يثر وجود بالجريف فى الخليج فى اوائل عام ١٨٦٣ انتباه السلطات البريطانية التى لم تعلم عن وجوده هناك الا عند وصوله الى

(١) من مروزه الى فرير ، الاسكندرية ١٨٦٦/٥/٢٦ وقد استشهد به مرتينو فى كتابه « جباه السير بارتل فرير » فصل ١ ص ٥١٠ - ٥١١ وقد ذكر ابو عيسى مرافق بلجريف لبلى فى يوليو من عام ١٨٦٦ بأن هدف بلجريف كان الاطاحة بالحكم الوهابى فى نجد ، وكان ينوى العودة الى الخليج عن طريق مسقط بمجموعة من السفن والشروع فى تنفيذ خطته فى القطيف والعقير (انظر حلقة ٤٣٧ مجلد ٦٨ من «المداولات الخارجية لحكومة الهند» (رقم ٧٤) اغسطس ١٨٦٦ من بيلى الى جون ١٨٦٦/٧/٩ (رقم ٨٠) ومن المحتمل الى حد كبير ان تكون رواية ابو عيسى رواية ملفقة عما ذكره بالجريف له حول نوايا الحكومة الفرنسية للحصول على موطن قدم فى منطقة الخليج او عن مشاعر بلجريف نحو الوهابيين .

بوشهر فى فترة ما من ذلك العام وهو فى طريق العودة الى سوريا ، وحتى فى ذلك الوقت لم يكن بيلى يعلم شيئاً عن المنطقة التى يوجد بها ، بل لم يعلم شيئاً عنه الا بعد ان قرأ تقرير بالجريف الى الجمعية الجغرافية الملكية. فى شهر ابريل ١٨٦٤ . ومن الطبيعى ان يشعر بالجريف بالخرج خصوصا ما ورد فى تقرير بالجريف من ان وجود رحالة أوربى فى اراضى الوهابيين. يعتبر امرا بالغ الخطورة (١) . وفى خطاب لبيلى الى رؤسائه فى الهند. قال باننى لا اعتقد بان رأى بالجريف هذا يسرى على كافة الاراضى. الاسيوية القريبة من المنطقة التى اعلم بها ، واننى متأكد بأنه فى وسع مسئول بريطانى ان يذهب الى حيث يشاء من المناطق التى تكلفه حكومته. بالذهاب اليها (٢) ولهذا رأى بيلى بأنه من الافضل الا يوجه الى الامير فيصل لجمع المعلومات عن المناطق الداخلية من شبه الجزيرة ، كما طلبت منه الجمعية الجغرافية الملكية ذلك ولتحقيق بعض النتائج السياسية لصالح حكومته . على ان بيلى قد اعترف بأنه عندما بعث بخطابه الى الامير فيصل. فى بداية تعيينه فى المنطقة تلقى من الامير ردا غير ودى على الاطلاق ، فقد كان الرد يتسم بالعنف والعداء الشديد ضد السياسة البريطانية فى

(١) انطباعات رحلة من غزة الى عمان بحث مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ج ٨ ص ٦٧ .

(٢) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٥٢ تقرير رقم ٣١ المؤرخ ١٦/١٠/١٨٦٥ من بيلى الى السكرتير السياسى لبومباى الكويت. فى ١٤/٢/١٨٦٥ .

المنطقة ، غير انه كان واثقا هذه المرة بأن فيصل سوف يتعاون مع الحكومة البريطانية من أجل المحافظة على النظام والامن فى المنطقة .
كما أوضح بيلى لحكومة بومباى فى فبراير سنة ١٨٦٥ الأسباب التى حدثت به الى اتخاذ قراره بزيارة الرياض ، كما اضاف بيلى فى خطابه بأنه من المحتمل أن تكون زيارته المزمعة فرصة للبحث عن طرق ودية لتسوية النزاع بين سلطان مسقط والوهابيين .

كان بيلى متلهفا للقيام بزيارة الرياض الى حد ان خطابه المتضمن شرح الأسباب التى دفعته الى تلك الخطوة لم يرسل من بوشهر الا بعد انقضاء شهر كامل من مغادرته البلاد . بل ان بيلى لم يكن ينسوى فى البداية اشعار فيصل بأمر تلك الزيارة ، غير انه عاد فغير رايه هذا بعد وصوله الى الكويت التى كانت نقطة الانطلاق لرحلته الى نجد ، فهناك حذره الشيخ الصباح الجابر بأن امير الرياض لا يقبل دخول احد الى اراضيه خلسة أو بغير موافقة منه .

ولم يصل رد الامير فيصل قبل مضى شهر واحد ، وعند وصول الرد لم يتضمن أى اشارة للترحيب بزيارة بيلى ، وانما ذكر بأنه يمكن لبيلى الحضور الى الرياض اذا شاء او متى شاء (١) .

غادر بيلى الكويت يوم ١٨ فبراير يرافقه الدكتور كولفيل طبيب الممثلة والفتنانت ديفز احد قباطنة سفينة الممثلة ومجموعة من الحرس قوامها ٤٠ فردا وبعض مرشدى الجمال الذين استأجروهم بيلى من

(١) خطاب من فيصل الى بيلى ٢ رمضان ١٢٨١ ، ٣٠/٢٩ يناير

الكويت ، وسلكت البعثة طريق الجنوب الغربي مرورا بمنطقة الشج والوربية حيث مروا بمجموعات من البدو ، ومن هناك شقت البعثة طريقها عبر صحراء السمان والدهماء في اتجاه سهل نجد . ووصل بيلى ومرافقوه وادى حنبقه بمنطقة سدوس ، ومنه انصرفوا جنوبا على امتداد الوادى عبر العينة ، مسقط رأس محمد بن عبد الوهاب والدرعية ، ووصلوا الرياض يوم ٥ مارس حيث هيأت لهم الإقامة في أحد المساكن الريفية الواقعة خارج البلدة ، وقد خصص ذلك المكان لاقامتهم ، كما أوضح لهم السكرتير الخاص للامير الذى جاء للترحيب بهم بعد وصولهم مباشرة وذكر لهم بأن تلك المنطقة تعتبر أكثر أمنا لهم ، كما كان هناك سبب آخر لاقامتهم فى تلك المنطقة نظرا لأنهم يدخنون التبغ المحرم من قبل الوهابيين (١) . وفى المساء عاد محبوب بن جوهر سكرتير الامير لزيارة بيلى وقد ذكر له بأن موعد استقبال الامير له لم يتحدد بعد ، ولكنه أوضح له بأن الامير مستاء جدا من تصرفات السلطات البريطانية فى الخليج وبأن السبب فى اللهجة غير الودية فى خطاب الأمير هو تصرفات الكابتن جونز تجاه العرب بصورة عامة ، وفى

(١) مذكرات بيلى ، ان المذكرات التى كان يكتبها بيلى فى آخر كل يوم تعتبر أهم مصدر للمعلومات عن رحلته من تقرير رسمى (تقرير عن رحلته الى الرياض عاصمة الوهابيين) (بومباى ١٨٦٦) والذى امرت الحكومة بنشره بعد حذف المعلومات السياسية منه ، او بحثه فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية بعنوان « زيارة الى عاصمة الوهابيين فى وسط شبه الجزيرة العربية » (عدد ٣٥ ص ١٦٦ - ١٧٧) ان الاهتمام الذى تمخض عن رحلة بيلى وبلجريف شجع حكومة بومباى الى نشر تقرير سادلير عن اجتيازه لشبه الجزيرة العربية سنة ١٨١٩ .

اليوم. التالى نحو الساعة الواحدة بعد الظهر استدعى بيلى للحضور لمقابلة الأمير ، وقد توجه المقيم على الفور الى الأمير .

« كان الأمير يجلس على سجادة متكئا على مخدة ، ولم يكن معه سوى نجله الصغير وسكرتيره الخاص ، وكان وجهه يعبر عن الوجاهة والرجولة وعمره يناهز السبعين عاما وكان هادئا ومتزنا وصارم النظرات ، وهو اعمى وحين اقتربت منه نهض قليلا وامسك بيدي واخذ يتحسسها ثم طلب منى الجلوس ، وقد بينت له ان الغرض من حضوري هو التعارف به وازالة كل اثر للشكوك التى لا بد ان تكون الاحداث الأخيرة قد تركتها ، كما اردت ان اؤكد له ان الحكومة البريطانية لا غرض لها الا التعبير عن مشاعر الصداقة والمودة نحوه ، وبأنها يههما ان ترى الامن والاستقرار والرخاء يسودان المنطقة » .

وقد رد فيصل بأن الدول الأجنبية لا تهمة اطلاقا ولكنه يعلم بكل التصرفات وتحركات تلك الدول عن طريق عملائه فى المنطقة ، وقال بأن شبه الجزيرة العربية كلها تقريبا بما فيها الكويت ومسقط خاضعة له ، وان الله سبحانه وتعالى هو الذى هيا له هذه السلطة . اما حديثه عن الانجليز فقد كان حديثا وديا ، وقال بأن بريطانيا دولة تلتزم بالنظام وهى دولة طيبة ، غير انه قال بأنه يكره ديننا ، ثم اخذ يردد بعض الدعاء ويطلب ان يثوب الكافرون الى رشدهم . وبعد المجاملات انتقل فيصل الى الحديث عن سلطان مسقط فشن هجوما قاسيا عليه ، وقال بأن سلطان مسقط قد ارغم على دفع الجزية له عن طريق القوة ، وبأن والده السيد سعيد بن سلطان كان يدفع الجزية بصورة منتظمة ، غير ان نجله لم يلتزم بذلك ووصفه بأنه شخص ضعيف ومعتوه ، وهو كالفريق الذى يتشبث بالقشة للتخلص من خضوعه للرياض ، ثم اخذ فيصل يشرح لبيلى

بأنه ليس هو المبعوث الأول القادم من دولة أوربية وأنه منذ بضع سنوات
خلت زاره قائد من إحدى السفن الحربية الفرنسية وعرض عليه المساعدة
كما تلقى عرضاً آخر بالمساعدة منذ عامين تقريباً فقط ، ووعده بأن يبعث
برده على ذلك العرض ، وقد أعرب في رده عن شكره للحكومة الفرنسية ،
ولكنه أوضح لها بأنه لم يكن في حاجة إلى أى مساعدة (١) ، ثم التفت إلى
وسألني عما إذا كنت أريد شيئاً منه ، لكنني أكدت له أنني لم أحضر لطلب
أى شئ منه .

واجتمع فيصل ببيلي مرة أخرى في يوم ٧ مارس في الساعة السابعة
مساءً ، وكان استقبال فيصل له ودياً للغاية ، وفجأة كما يقول ببيلي ،
ظهر لى بأنه ماسونى ، وقد شعر ببيلي خلال مصافحة الأمير له في اليوم
السابق بأن الأمير تسيطر عليه عقدة لا يعرف ببيلي أصلها ، وقد أخذ ببيلي
يحدثه عن الخط التلغرافى الذى كان يجرى انشاؤه في الخليج ، ويحاول
أن يؤكد له فوائده ذلك الخط ، ولكن فيصل أشار بأنه يخشى أن يقوم
سكان الساحل بالعبث في ذلك الخط ، وذكر بأن عباس باشا والى مصر
سبق أن حاول أن ينشئ خدمة بريدية في نجد ، ولكنه اضطر في النهاية
إلى صرف النظر عن المشروع بسبب الاعتداءات التى كان يقوم بها البدو على
الخط . وعندئذ غير فيصل مجرى الحديث ، فسأل عما إذا كانت الحكومة
البريطانية مستعدة لتقديم المساعدة المادية إليه فيما لو قام الأتراك

(١) من المحتمل أن يكون الشخص الذى تقدم بهذا العرض هو
بلجريف سواء بصفة مباشرة أو عن طريق وسيط ، رغم أن ببيلي - وهذا
ما يبدو غريباً - لم يعلق على ملاحظات فيصل مباشرة أو في تقريره
الأخيرة .

بمهاجمة بعض البلدان الشرقية ، وهل ستقدم اليه الحكومة البريطانية السلاح للتصدي لهذا الهجوم ؟ وقد اجابه بيلي بأن ذلك ليس من المحتمل .

وبعد ان تناول الاثنان بعض الأحاديث عن الخيول وسلالاتها فى شبه الجزيرة العربية وعن الوانها واثمانها امتد الحديث طويلا بينهما . وكان من الواضح أن يتوقع فيصل من بيلي أن يتناول بالحديث نزاع فيصل مع مسقط ، واقتراح السلطان على بيلي التوسط فى حل النزاع ، غير اننى تصورت بأنه من الأفضل الا اتعهد بشيء قبل ان اعرف رأى حكومتى فى الرسائل العديدة التى بعثت بها الى حكومتى حول هذا الموضوع ، وبعد عودة بيلي الى مقر اقامته بعث الى الأمير فيصل بالهدايا التى أهدها له ، وقد حضر محبوب بن جوهر مرّتين الى بيلي وتحدث معه فى موضوع شراء بعض الخيول لبيلي ، وعلى هذا الأساس اقترح محبوب على بيلي ان يمد اقامته فى الرياض بضعة ايام اخرى ، لأن البحث عن الخيول يستغرق وقتا طويلا ، كما ان هناك موضوعات اخرى يمكن مناقشتها معه خلال هذه الفترة . الا ان بيلي كان قد ضاق ذرعا من وجوده فى عاصمة الوهابيين ، وكان يحس بالخطر ، وعليه فقد ابلى محبوب عدم رغبته فى مدة أطول ، وأن هناك طرادا بريطانيا فى انتظاره فى ميناء القصير فى اواخر الشهر ، ولهذا فقد كان عازما على السفر فى صبيحة اليوم التالى .

وفى مساء ذلك اليوم عاد محبوب الى بيلي محاولا اقناعه بمد اقامته ريثما يتم الحصول على الخيول التى طلبها ، غير أن بيلي كان قد اخذ يرداد نفورا واشمئززا من سكرتير الأمير ، لا بسبب اصله المجهول فحسب (فقد كان والده عبدا حبشيا عند المرحوم الأمير تركى بن عبد الله وامه احدى الوصيفات الجورجيات) وانما بسبب غطرسته ، وقد زاد هذا الاسمئزاز عند بيلي حين اثار محبوب قضية تجارة الرقيق والتدخل

البريطانى فيها ، وأوضح لبيلى بأن غضب الأمير فيصل يعود فى الدرجة الأولى الى مصادرة الكابتن جونز للسفن العربية التى تتعامل فى البرقيق، ووصف اجراءات جونز بأنها قرصنة بريطانية اخرى ، كما ذكر بأن الأمير يرغب فى عقد اتفاق مع الحكومة البريطانية فى هذا الشأن ، ومن هذا المنطلق سوف يحاول اقناع عرب عمان بعدم التدخل فى عمليات مد الخط التلغرافى اذا ما وافقت الحكومة البريطانية على اعفاء عرب الخليج من تطبيق نظام المصادرة والتفتيش على سفنهم . غير أن بيلى استاء جدا من هذا الموقف ، وأوضح لمحبوب بأنه لا يصدق بأن اقتراحه هذا يمكن أن يصدر من جانب الأمير فيصل ، ولهذا طلب تدبير مقابلة مع الأمير للتأكد من ذلك .

فى صباح اليوم التالى ٨ مارس حضر محبوب لمقابلة بيلى فى الساعة الحادية عشرة وحاول للمرة الثانية اقناع بيلى بمد اقامته فى الرياض ، الا أن بيلى رفض طلبه وأوضح له بأنه قرر السفر مساء ذلك اليوم وكرر طلبه بمقابلة الأمير قبل مغادرته البلاد ، غير أن قافلة الجمال التى كان من المقرر أن يسافر عليها لم تكن قد وصلت حتى تلك اللحظة .

وعندما توجه بيلى للاستفسار عن القافلة أخبره أحد الصبية بأن القافلة قد انتقلت الى منطقة تبعد بضعة أيام من الرياض ، وهنا تملكه الخوف وأحس بأن ثمة مؤامرة تدبر لاستبقائه فى الرياض ضد رغبته ، وان نقل الجمال كان جزءا من تلك المؤامرة . وقد كان الدكتور كولفيل يدخل طوال الوقت داخل المنزل الذين كانوا يقيمون فيه وان خبر هذا العمل لا بد وأن يكون قد انتشر فى الخارج مما قد يؤدي الى اثاره المتعصبين الوهابيين ضدهم ولهذا أخذ بيلى يوبخ الدكتور كوثفيل على تصرفاته التى كادت أن تعرضهم للخطر ، ونصحته هو وزميله اللفتنانت ديوز بأن يكونوا

نحذرين فى تصرفاتهم . ولكى يضمن بيلى عدم وجود شىء يثير الاشتباه
ففيما لو قام اتباع الأمير بتفتيشهم قام بتمزيق صورة للأمير كان قد رسمها
بدبوز . ولم يخطر على بال بيلى اطلاقا بأن الأمير فيصل كان ضعيفا الى
الدرجة التى لا يستطيع ان يكبح جماح اتباعه او ان يكون ساذجا بحيث
يتسبب فى الحاق الضرر بممثل للحكومة البريطانية ، خصوصا وانه يعلم
تماما امكانيات تلك الدولة للرد عليه .

وفى ظهر ذلك اليوم عادت الابل وسائقوها ، وكانت فى الصباح
تقد أخذت الى مناطق الشرب استعدادا للرحلة فى آخر النهار ، وفى تلك
الآناء وصلت رسالة من الأمير فيصل يطلب من بيلى الحضور للاجتماع به ،
وعند حضوره وجد الأمير فى حالة مرحة ، فأخذ يتحدث عن فترة احتجازه
فى مصر ، وطلب من بيلى ابلاغه عن وقوع أى حالة قرصنة تقع من سكان
العقير والقطيف ، كما طلب منه بأن يبقى على اتصال به ، ووعده بأن يستمر
فى الاتصال به كما كان يفعل فى السابق مع المقيمين البريطانيين ، ثم ودع
ضيفه بتوفير الحراسة له الى ان يصل الى منطقة الساحل ، واكد له بانه
سوف يخطر المسئولين فى العقير والقطيف بالاهتمام به عند وصوله .
وقد شعر بيلى بالحرج فلم يستطع ان يذكر للأمير أى شىء ، كما لم يشر
الى موضوع مسقط أو الى الاقتراح الذى عرضه عليه محبوب فى اليوم
السابق ، على الرغم من انه كان قد قرر ان يذكر للأمير ما عرضه عليه
سكرتيره ، والذي كان سببا فى رغبته فى مقابلة الأمير مرة أخرى .
والحقيقة ان بيلى فى هذه اللحظة كان يشغله شغل واحد ، وهو الخروج
من الرياض بأى صورة من الصور . وفى أواخر مساء ذلك اليوم ، وبعد
مشاجرة وقعت مع اصحاب الجمال الذين لم يكونوا راضين بمغادرة بيلى
للبلاد بعد ثلاثة ايام من وصوله فقط ، ولكن بيلى تغلب على هذه العقبة

عن طريق التهديد والرشوة ، وأخيرا خرج موكب بيلى متجها نحو الشرق
بأقصى سرعة ممكنة كرجبة منه فى ان يبتعد ما استطاع عن الوهابيين ،
ولكى يقضى الليل فى منطقة نائية .

لم تصل الحراسة التى وعد بها الأمير فيصل فى اليوم التالى ،
مما حمل بيلى الى الاعتقاد بأن ثمة شيئا يدبر له فى الخفاء ، غير ان
الحراس لحقوا به يوم ١١ مارس ، وتبين أن سبب تأخيرهم هو الصعوبات
التي وجدوها فى الطريق ، غير ان وجود الحراس لم يبدد مخاوف بيلى ،
فقد ظل يسير اثناء الرحلة خلف القافلة بمسافة بعيدة ، كما لم يكن يسمح
لقائد الحرس الاتصال به ، كما كان يخيم منفردا عن بقية القافلة ، ولم
يتنفس الصعداء الا عندما وصلت القافلة منطقة الهفوف فى الاحساء
يوم ١٧ مارس ، ثم بعد ايام قليلة وصل بيلى الى ساحل الخليج ، حيث
ركب السفينة عائدا الى بوشهر (١) .

أبرق بيلى فور وصوله الى بوشهر الى حكومة بومبىاى يقول بأن :
قضية مسقط وعلاقتها بالوهابيين يبدو انها فى حاجة الى دراسة دقيقة
وسريعة ، واذا كانت حكومتنا ترغب فى ان اتناول هذا الموضوع ، فانى
ارجو السماح لى بالتوجه الى مسقط على الطراد برئيس ثم منها الى
بومبىاى (٢) . وقد فوض بيلى بهذه المهمة ، وغادر بوشهر فى نهاية مارس،
وبعد ان توقف فى مسقط واصل سفره الى بومبىاى لاطلاع رؤسائه على

(١) مذكرات بيلى وتنتهى بوصوله الى الهفوف .

(٢) خطاب من بيلى الى السكرتير السياسى لحكومة بومبىاى

١٨٦٥/٣/٢٦٠

ما توصل اليه بشأن العلاقات بين نجد ومسقط ، وكان موقف بيلى من هذا الموضوع متأثرا بنتائج رحلته الأخيرة الى الرياض ، فقد اقتنع بيلى من خلال زيارته للرياض بأن حاكمها يضم كرها شديدا للسيد ثويني ، وبانه مصمم على الاطاحة به ، ومن هنا كان تأييده لوالى الرستاق عزان ابن قيس ، ومطالبته بزيادة حجم الزكاة التى كانت تدفعها مسقط الى الرياض . وعلى هذا الأساس فقد كان من الواجب ان تقدم الحكومة البريطانية تأييدها ومساعدتها للسيد ثويني ، حتى ولو تعارض هذا التأييد مع مبدأ السياسة التقليدية القائمة على عدم التدخل فى النزاع الذى ينشب بين حكام شبه الجزيرة ، وانما عمان على حد راي بيلى كان لها وضع خاص بحيث ان حكومة الهند تعتبر ملتزمة التزاما صريحا بتأييد السلطان ضد مناوئيه ، أولا بموجب اتفاق عام ١٧٩٨ الذى يقضى باعتبار اصدقاء طرف واحد اصدقاء الطرف الآخر ، والعكس بالعكس ، وثانيا لأن حكومتنا قد تعهدت منذ ثلاثة او اربعة اعوام ان تقوم بالفصل فى المنازعات التى تقع داخل مسقط ، وبموجب ذلك التحكيم انقسمت السلطنة الى دولتين منفصلتين ، الأمر الذى سبهم فى اضعاف مركزها برا وبحرا . ويفض النظر عن هذا الالتزام الصريح فان للحكومة البريطانية مصلحة فى حماية استقلال السلطنة اقلها مد الخطى التلغرافى عبر اراضيها ، وبالتالي فان تأييد الحكومة البريطانية للسيد ثويني ضد تهديدات الوهابيين يمكن ان يطبق على أساس اقتراح المقيم البريطانى بالسماح له بفرض حصار بحرى على سواحل الأحساء او عن طريق تقديم احتجاج الى الامير فيصل سواء بطريق مباشر او عن طريق الحكومة العثمانية . وعلى الرغم من ان بيلى كان يعرف بأن فرض الحصار قد يؤدي الى اضطراب حالة الامن فى الخليج ، الا ان سلطان مسقط لديه من المبررات

باعتباره حاكما لدولة بحرية ما يستطيع به أن يفرض هذا الحصار كرد على التهديد الوهابى لغزو أراضيه (١) .

بعد أن قام بيلى بعرض مقترحاته هذه دون أن يشفعها بتفسيرات مفنعة عن عدم احتجاجه للأمير فيصل شخصيا خلال زيارته للرياض وعلى الأخص فى نطاق المحاولات التى تبذل لتسوية الخلاف بين السيد ثوينى وحاكم نجد ، والتى كانت زيارة بيلى من أهم أسبابها ، غادر المقيم الى إنجلترا فى اجازة . غير أن غيابه هذا عن مسرح الأحداث لم يساهم فى حل مشكلة السيد ثوينى ، بل على العكس ضاعف من حدة العداء بين الطرفين ، حتى أن أمير الرياض أصبح مقتنعا بأنه ليس ثمة ما يخشى منه لو شن هجوما على سلطنة مسقط .

وفى اغسطس عام ١٨٦٥ بينما كان بيلى يلقى محاضرة لتقييم زيارته للرياض (٢) فى اعضاء الجمعية الجغرافية الملكية وصل مبعوث

(١) مجموعة التقارير السياسية الى بومباى مجلد ٥٢ تقرير رقم ٣١ المؤرخ ١٦/١٠/١٨٦٥ من بيلى الى جون ٨/٤/١٨٦٥ (رقم ٢٠ الادارة السياسية) .

(٢) كان بيلى يريد الوصول الى إنجلترا بسرعة ليظهر نفسه امام الراى العام ، ولكى يقلل من انجاز بلجريف لدرجة انه لم يعمد الى كتابة تقرير عن رحلته قبل مغادرته لبومباى . وكانت المرة الاولى التى تعرف منها حكومة الهند عن تفاصيل تلك الرحلة ، هى من المحاضرة التى القاها ونشرت فى مجلة الجمعية الجغرافية الملكية ، وانها بعد وقت طويل فى شهر فبراير سنة ١٨٦٦ ثم فى الشهر اللاحق طلبت اليه وضع تقرير كامل =

وهابى الى مسقط يطالب بزيادة الزكاة التى تدفعها مسقط بمعدل ثلاثة او اربعة اضعافها . واذا كان تبعا ان يرفض السيد ثوينى دفع هذه الزيادة، فانه قد دفع ثمن رفضه هذا ثمنا باهظا ، فقد اغارت قوة من الوهابيين من البريمى تعزها بعض القبائل الحاقدة على السيد ثوينى ، وانقضت تلك القوة على المنطقة الشرقية من عمان ، فاحتلت صور ونهبتها ، وقتلت احد الرعايا البريطانيين هناك ، كما اخذت عددا منهم كرهائن . وقد تردد فرير فى القيام بعمل انتقامى نيابة عن السيد ثوينى ، حتى لا يفسره هذا الاخير على انه استعداد بريطانى للدفاع عن السلطنة ، ورغم هذا فقد كان فرير مقتنعا فى دخيلة نفسه ، وان لم يكن لأسباب واضحة ، بوجود وضع حد للاعتداءات الوهابية . . (ان تصاعد القوة الوهابية يشكل امرا خطيرا جدا ، وسوف يكون له تأثير واسع المدى ، كما قال بان ثمة دلائل تشير الى عودة اعمال القرصنة الى سواحل الهند ، وانتعاش تجارة

= عن تلك الرحلة . ان غيرة بيلى من بلجريف ، كما كشفت عنها مجموعة رسائله كانت غيرة شديدة ، لا تقل عنها الحاجة على ان يتمتع وحده بكونه الرجل الذى لم يسبقه احد فى القيام بالرحلة الى الرياض . وعندما علم بان شقيق الدكتور كولوفيل قد تقدم بطلب الى سكرتير الجمعية الجغرافية الملكية لنشر وصف كان الدكتور كولوفيل قد كتبه لآخيه عن تلك الرحلة، قام بمنع نشر البحث ، وفى اواخر العام عندما علم بأنه كان السبب فى نشر تعليق مقتضب على كتاب بلجريف فى مجلة ادنبره وجاء فيه ان فريق بيلى كان غير مطمئن على سلامة افراده اثناء تواجدهم فى الرياض ، غضب من ذلك غضبا شديدا لدرجة انه اصدر امرا باقضاء كولوفيل من منطقتة . للاطلاع على رسائل بيلى فى هذه الشأن راجى رسائل مكتب شؤون الهند .

أرقيق بين أفريقيا الشرقية وشبه الجزيرة العربية ، خصوصا من جانب الوهابيين) . وكان من رأى بيلى بأن مجرد إبلاغ السيد ثوينى بأن اعتداءات الوهابيين لا يمكن وضع حد لها عن طريق التردد والاستسلام أو عن طريق زيادة قيمة الزكاة التى تدفع لحكومة الرياض ، وإنما عن طريق الجهود المكثفة التى تؤدى الى اخراجهم من عمان ، ولهذا فقد أبدى فريز استعداداه لمد السيد ثوينى بالأسلحة والقروض والسفن أيضا لتمكينه من القيام بهذه المهمة أما الحكومة البريطانية نفسها فليس من مصلحتها أن تتورط مباشرة فى اية عمليات عسكرية لتدافع بها عن السلطان .

ولدى عودة بيلى من اجازته فى أكتوبر ١٨٦٥ أبلغه فريز بموافقة الحاكم العام ، وهو السير لورنس ، بتقديم المساعدات الى السيد ثوينى للتصدى للوهابيين ، وعليه فقد تم الايعاز الى قائد الاسطول فى بومباى بأن يوجه جميع السفن التى يمكنه الاستغناء عنها الى منطقة الخليج ، وذلك فى أسرع وقت ممكن ، كما خول بيلى الصلاحيات اللازمة لاستخدام سفن هذا الاسطول لتحقيق تفاهم بين السيد ثوينى والامير فيصل ، على الا يقوم هو بأى دور فى اية عمليات عسكرية فى البر قد يتطلبها مثل هذا الاجراء ، وفى الأسبوع الثالث من نوفمبر غادر بيلى بومباى على ظهر السفينة بريفيس ، وكان قد رسم خطته لتنفيذ هذه المهمة ، وفى يوم ٢٥ نوفمبر بعث بيلى الى فريز من مسقط برسالة يقول فيها (٠٠ أن الحقيقة التى لا جدال فيها هى ان جذور الوجود فى أراضى سلطان مسقط ينبع من احتلالهم للبريمى باعتبارها النقطة الاستراتيجية والحاسمة فى المنطقة وحيث يوجد للوهابيين قاعدتهم وقواتهم وتجمعاتهم التى يهددون منها عرب المناطق الساحلية ابتداء من رأس الخيمة حتى أبو ظبى ، وهى نفس القاعدة التى تشحن منها قوات الوهابيين هجماتهم على مسقط .

وبالتالى فان الخطوة الانباسبية لمواجهة هذا الوضع هو انزال هزيمة ساحقة بالوهابيين فى البريمى ، ويمكن ان يتم هذا الاجراء بزحف تقوم به قوات اسلطان من صحار او من غيرها من المناطق الساحلية ، الا انه لا بد ان يستتبع ذلك اجراءات عسكرية مماثلة على ساحل رأس الخيمة حيث يوجد فيها بعض الجلفاء ، اما الآخرون فمشكوك فى مواقفهم ولهذا فانى افكر فى ارسال السفينة برنيس الى رأس الخيمة برسائل الى الزعماء المشكوك فى ولائهم لتحذيرهم بالتزام الحياد ، كما سأطلب من الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبى الذى يعد من الحكام الأقوياء والموالين لنا ، والذى تربطه حدود بالوهابيين ، سأطلب منه القيام بمناوشات فى مؤخرة الوهابيين لارباك صفوفهم ، وفى حالة اندحار الوهابيين فعليه الانقضاض من الخلف وابدانهم .

وقد اقترح بيلى تقديم قرض للسيد ثوينى فى حدود مائتى الف روبية ومدفعين من عيار ١٨ ملم كى يتمكن السيد ثوينى من تنفيذ الجزء الخاص به من الخطة ، كذلك قرر بيلى بأن يرافق السيد ثوينى الى البريمى لشد أزره ورفع روحه المعنوية .

غير أن لورنس رفض الاقتراح بتقديم قرض للسيد ثوينى وانما وافق على ارسال مدفعين الى السلطان ، وفى هذه الاثناء تلقى بيلى رد الامير فيصل على الاحتجاج الذى قدم اليه من مساعد المقيم على الاعتداءات التى وقعت على الرعايا البريطانيين الهنود فى صور ، وذكر الامير فيصل فى هذا الرد بأنه قد اصدر أوامره الى نائبه فى البريمى بالافراج عن الرهائن واعادة الممتلكات التى أخذت منه ، الا انه لم يذكر شيئاً عن التعويضات ودية القتيل وعند ابلاغ الحاكم العام برد الامير فيصل رأى الأخير ان مطالبة الامير بتعويضات امر غير وارد ، ولكنه على اى حال اوعز

الى المقيم بوجوب توضيح الضورة للأمير فيصل وهى ان امام عمان حليف
وصديق للحكومة البريطانية ، وان الحكومة البريطانية فى الوقت الذى
تسعى الى حل مقبول للخلافات بين الأمير وسلطان مسقط ، الا انها
سوف تنظر نظرة خطيرة الى اى عمل عدائى يقع على اراضى السلطان (١) .

فى يوم ٤ ديسمبر اجتمع بيلى بالسيد ثوينى مرة أخرى ، حيث
كان السلطان يقوم باعداد اسطوله لفرض حصار على القطيف والعقير ،
كما انه ذكر لبيلى بأن الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين قد عرض
التعاون معه عندما اجتمع به وهو فى طريقه الى الحج ، وان السيد تركى
اخا السيد ثوينى سيرافق الاسطول الى القطيف ، ويبقى السيد ثوينى فى
مسقط لاعداد خطة الهجوم على الحامية الوهابية فى البريمى . فقرر
بيلى ان يرافق الاسطول الى البحرين عند اقلاعه فى الاسبوع الاخير من
شهر ديسمبر ، واثناء الرحلة توقف بيلى على ساحل الهدنة لابلاغ
حكامها بعدم وجود اى مانع لدى الحكومة البريطانية على اشتراك الشيوخ
مع السيد ثوينى فى عملية الهجوم على البريمى . فى يوم ٢٢ ديسمبر
غادر الطراد هاى فلابز ميناء بومباى متوجها الى مسقط يحمل المدفعين
الى السيد ثوينى . اما نائب الامير فى البريمى الذى علم بما كان يدور
فى الافق فقد حاول افشال خطة الهجوم عن طريق دفع بعض القبائل على
الاغارة على بلده صحم التى تبعد بضعة أميال عن صحار ، وقد ركز هؤلاء

(١) مجموعة التقارير السياسية الى الهند مجلد ٨٥ مجموعة تقرير
رقم ٦١ المؤرخ ١٨٦٦/٨/٢٢ من دبليو موير (سكرتير الخارجية لحكومة
الهند) الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى ١٨٦٦/١/٢٤ (رقم ٦٦
الادارة الخارجية) .

القبائل اربابهم على الرعايا الهنود المقيمين هناك فأرغموا عددا منهم الى اللجوء والهرب عن طريق البحر ، واثناء هذه العملية مات احد هؤلاء الهنود غريقا ، اما اسطول مسقط فقد وصل الى البحرين فى هذه الاثناء ، وكانت ترافقه السفينة برنيس وعلى ظهرها المقيم البريطانى . وعند وصولهم البحرين فوجئوا بأن حاكمها قد تراجع عن قراره بالاشتراك مع اسطول مسقط فى حصار سواحل الأحساء ، فشعر السيد ثوينى بخيبة الامل وقرر على الفور العودة الى مسقط بصحبة بيلى .

قام الطراد هاى فلاير بأنزال المدفعين فى صحار فى نهاية شهر ديسمبر ، ولحق بيلى بالطراد يوم ٥ يناير ١٨٦٦ ، وعند ابلاغه بالجهوم الذى قام به رجال القبائل المواليين لنائب الأمير ، قرر مضاعفة دعمه للسيد ثوينى لمطالبة الأمير فيصل بتعويضات عن الاضرار التى أصابت الرعايا البريطانيين الهنود فى كل من صحم وصحار ، وفى يوم ٦ يناير أوعز بيلى الى الكابتن بيزلى قائد السفينة هاى فلاير بالتوجه الى القطيف لتسليم رسالة خطية الى الأمير فيصل ، وقد انجى بيلى فى هذه الرسالة باللائمة على الأمير على الهجوم الذى شنه نائبه على عمان ، وعلى رفضه الوساطة البريطانية ، كما وجه اليه اللوم أيضا على الاعتداءات التى وقعت على الهنود فى كل من صحم وصحار ، ودعا الى تقديم اعتذار رسمى عن تلك الأعمال ، ودفع ٢٧٠٠٠ ريال كتعويضات عن الخسائر والأضرار التى لحقت بالرعايا الهنود ، كذلك طالبه بأن يتعهد بعدم تكرار مثل هذه الانتهاكات بأراضى عمان فى المستقبل ، وطلب من الكابتن بيزلى تسليم الرسالة الى الأمير ثم الانتظار سبعة عشر يوما لتلبية تلك المطالب ، وقد جاء فى رسالته الى الأمير « بأنه اذا لم تتم الموافقة على الشروط التى أورها بعد انتهاء المهلة المحددة ، فان السفن البريطانية سوف تقوم

بقصف المعاقل الساحلية التابعة للأمير والاستيلاء على تلك السفن فى تلك
الموالب وقد بعث بىلى برسالة الى فريز بعد مضى بضعة أيام ضممتها
تفاصيل هذه الخطة وقال فيها : (اعتزم توجيه الضربة فى هدوء ، وبهذا
الأسلوب سوف ابدو ، فى حالة فشل الخطة وكأننى لم اوجه أى ضربة
الى هؤلاء الوهابيين ، الذين لا يمكن أن يرتدعوا اذا لم توجه اليهم ضربة
قاصمة ، انهم يعتقدون بأن الانجليز وحتى ضباطهم يخافون من
الوهابيين (١) .

اتخذ بىلى قراره الخاص بقصف الدمام بعد التشاور مع بيزلى
القائد البحرى وقد علم منه بأن السفينة هايفلاير قد تكون خارج مياه
الخليج فى نهاية شهر فبراير وبانه اذا لم يتوصل الى وسيلة اخرى بفرض
الحصار ، فمن الأفضل له أن يصرف النظر عنه ، وقد وافق بىلى على
راى بيزلى وترك له حرية التصرف بالطريقة التى يراها مناسبة .

غادرت السفينة هايفلاير متجهة الى صحار يوم ٦ يناير ووصلت
يوم ٢٣ يناير ، وفى نفس الوقت ارسل خطاب فيصل فى احدى السفن
المحلية وغادرت هايفلاير صحار الى ابو ظبى للقيام بدوريات بحرية على

(١) خطاب من بىلى الى فريز مسنقط فى ١٨٦٦/١/٨ (خاص)
الملاحظة الأخيرة ربما تكون اشارة الى العديد من التعليقات التى ظهرت
فى تلك الفترة لكتاب بلجريف ومع ذلك فمن العسير أن نعرف كيف تسربت
اخبار ذلك الى مسامع الوهابيين وجعلتهم يكونون اراءهم عن المسئولين
البريطانيين فى المنطقة ، ولعل المصدر الأكثر احتمالا هو تصرف بىلى
نفسه خلال زيارته للرياض .

(٣٠ - بريطانيا والخليج / ٢)

شواطئ المنطقة ، فى يوم ٨ يناير تلقى بيلى نبأ وفاة الامير فيصل الذى تأكد يوم ٢٠ منه ، غير أن هذا الحادث لم يحمل بيللى على تغيير خطته ، وفى يوم ٢٣ يناير اجتمع بالكابتن بيزلى فى منطقة خليج الفنستون وطلب منه المضى قدما فى تنفيذ الخطة الموضوعه ، غير أن بيللى نفسه لم يتمكن من مرافقة بيزلى نظرا للأحداث التى وقعت فى صور وفى البريمى وفى بندر عباس ، واضطرته الى البقاء الى جانب السيد ثوينى . وقد اقلع بيزلى يوم ٢٨ يناير وبعد يومين وصل الى القطيف ولكنه لم يجد هناك الرسالة التى قيل له بأنه سيتسلمها هناك ، كما لم يتسلم اية تعويضات ، وقد طلب منه حاكم القطيف الانتظار ١٢ يوما حتى يصله الرد من حكومة نجد ، غير أن بيزلى لم يوافق ، وفى يوم ٢ فبراير صوب مدافع السفينة نحو الميناء ، كما قام بتدمير احدى السفن الشراعية وحصن صغير يطل على القناة ، وفى اليوم التالى حاولت قوارب السفينة قصف حصن الدمام ، غير أن العملية فشلت وقتل ثلاثة أفراد وجرح ضابطان من السفينة ، وفى يوم ١٤ فبراير قام بيزلى بقصف القلعة غير أن الصخور والفجوات على الشواطئ عاقت حركة السفينة ، بحيث لم تصل القذائف الى أهدافها .

تلقى بيللى نبأ فشل الحملة بخيبة أمل كبيرة ، واقتنع انه لا بد من القيام بعملية ضخمة لاستعراض القوة البريطانية لتعويض الفشل الذى منيت به الخطة ، وقد وجد ضالته فى قبيلة الجنبه سكان جعلان الموالين للوهابيين ، وقد كانوا من اشهر القراصنة وتجار الرقيق فى المنطقة (فى عام ١٨٦١ تأمر الجنبه مع بعض تجار الرقيق التابعين لزنجبار لاشتغال المعتمد السياسى البريطانى هناك) كما اشتركوا فى الاغارة على صور ، وعند وصول بيللى الى صور طالب الجنبه بدفع ٢٧ الف ريال

مسوى كعقاب لهم على اعتداءاتهم على الرعايا البريطانيين الموجودين في صور ، وبما أنهم لم يدعونا لطلبه فقد قرر بيلي توجيه ضربة اليهم .

كن وصول بيلي الى صور يوم ١١ فبراير ، وفوز وصوله وجه تحذيرا الى زعماء الجنبه بأنه يعتزم قصف بلدتهم ، ولكنهم أبدوا رغبتهم بدفع الفرامة ، ولكنهم طلبوا مهلة حتى فصل الربيع ، وهو الوقت الذي تعود فيه سفنهم التجارية من البحر الأحمر ، ولكن بيلي رفض طلبهم ، وفي تمام الساعة الواحدة بعد الظهر بدأت السفينة في اطلاق النار على معاقل البلدة فدكتها ، كما قامت الزوارق التابعة للسفينة بتدمير السفن الشراعية الموجودة في خليج صور ، ومن صور عاد بيلي الى خليج مالكولم حيث كان يستخدم المحطة التلغرافية هناك كمقر له ، وفي يوم ١٩ فبراير غم بيلي بوفاة السيد ثويني بطعنه خنجر من نجله سالم بينما كان يغط في نومه في حصن صحار ، وقيل أن السيد سالم قام بهذا العمل بتحريض من سيف بن سليمان البشري عميل الوهابيين في عمان وذلك في ليلة ١٣ فبراير .

ويستنتج ان اغتيال السيد ثويني كان جزءا من مؤامرة ثلاثية اشترك فيها بعض المتدمرين من افراد اسرة آل بوسعيد بزعامه السيد سالم نجل السيد ثويني ، وبعض رجال الدين بزعامه سعيد بن خلفان الخليلي من بنى رواحة ، وذلك بتأييد من عزان بن قيس وتركي بن أحمد السديري نائب الوهابيين في البريمي فقد كان بعض مؤيدي السيد سالم يعارضون فكرة الهجوم على واحة البريمي ، وانه لمن الصعوبة بمكان ان نجزم ما اذا كان موقف هؤلاء المعارضين مبنيا على تعقل منهم ، أو كما هو الحال بالنسبة للسيد سالم عن تواطؤ مع الوهابيين ليرتبطوا بمستقبله ، فقد كان كل من عزان بن قيس وسعيد بن خلفان يحاولان الاطاحة بالأسرة

آل بوسعيد تمهيدا لاقامة حكم الدين فى عمان ، وبالتالى فان اشتراك الوهابيين فى هذه المؤامرة امر واضح لا يحتاج الى تفسير ، والغرض منه هو ان يتولى الحكم فى مسقط شخص اكثر خضوعا للرياض ، ومن المحتمل ايضا ان يكون حاكم الرياض الجديد الامير عبد الله بن فيصل مشتركا فى هذه المؤامرة او ربما يكون هو الراس المدبر له (١) .

وعلى أية حال فان السيد ثوينى قبل وفاته لم يكن يجهل الاخطار التى تحيط به ، وقد حاول اكثر من مرة ان يستجيب لمستشاريه بتهدئة

(١) ارسل بيلى تقريره فى يوليو ١٨٦٦ بعد اجتماعه بأبو عيسى مرافق بلجريف فى نجد مباشرة : لقد ذكر أبو عيسى أيضا أنه قبل عام من مقتل السيد ثوينى قال الامير عبد الله لأحد مشايخ قبيلة مطير بأنه لم يكن يتصور أن يجرؤ أى ابن على قتل والده . وقتها كان الامير عبد الله يقرأ فى رسالة ويتسم حول مضمونها ثم بعد ذلك عندما وقع القتل اعاد الى شيخ مطير نفس التساؤل وقال بأنه فهم من مضمون الرسالة عن عملية القتل المزمعة . واطاف أبو عيسى بأن الهدف الاساسى للوهابيين فى الاستيلاء على مسقط هو تنفيذ مقتل السيد ثوينى ، واحلال حاكم مثل السيد سالم محله يحمى المصالح الوهابية فى البلاد .
المدائلات الخارجية لحكومة الهند (سياسى) حلقة ٤٣٧ مجلد ٦٨ أغسطس ١٨٦٦ (رقم ١٧٤ من بيلى الى جون ١٨٦٦/٧/٩) (رقم ٨٠) للاطلاع على تفاصيل هذه المؤامرة وعملية الاغتيال راجع المجلد ٨٥ من المجموعة تقرير ٦١ المؤرخ ١٨٦٦/٨/٢٢ من بيلى الى جون (المعتمد السياسى بالوكالة فى مسقط) الى بيلى ١ و ١٠ مارس ١٨٦٦ وخطاب من الحاج احمد (والى مسقط) الى بيلى ١٤ شوال ١٢٨٢ - ١٨٦٦/٩/٢ .

العناصر المناوئة له لصرف النظر عن الحملة التي كان السيد ثوينى ينوى القيام بها لاحتلال البريمى ، غير ان السيد ثوينى كان يشعر بأنه ملتزم بالتعهد الذى اعطاه للمقيم البريطانى ببلى ، رغم ان الأخير لم يقدم الا مساعدات ضئيلة مقابل ذلك ، سواء من حيث عملية الدمام أو من حيث نجاحه فى اقناع شيوخ الساحل بالاشتراك فى الهجوم على واحة البريمى كما ان المدفعين اللذين تلقاهما السيد ثوينى من حكومة الهند لم يستخدمهما اطلاقا ، فقد كانا ثقيلى الوزن وتعذر نقلهما من الموقع الذى أنزلا فيه ، وحتى لو تم نقلهما فلم يكن لدى السيد ثوينى خبراء لتشغيلهما .

وفى الوقت الذى لم يكن ببلى قد أفاق بعده من صدمة وفاة السيد ثوينى فاذا به يتسلم خطابا من السيد سالم يبلغه فيه تقلده للحكم فى السلطنة ، وبأنه قد اودع عمه السيد تركى السجن فى حصن صحار . وعلى النور ابحر ببلى الى صحار على ظهر سفينة المثلية - هايفلاير - التي كانت فى طريق عودتها الى بومباى ، وقد وصل الى صحار يوم ٢١ فبراير ، ولم يجد هناك السيد سالم الذى كان قد توجه الى مسقط بعد ان أصدر تعليماته بشأن التصرف فى موضوع السيد تركى ، ولكن ببلى طلب من والى صحار اطلاق سراح السيد تركى واصطحبه معه فى السفينة التي توجهت بعد ذلك الى مسقط ، وقد لاحظ ببلى عند وصوله الى مسقط بأن الوضع متوتر ، وكان هناك كل من السيد عزان بن قيس والشيخ سعيد بن خلفان مع عدد كبير من أتباعهما ، بالاضافة الى حشد هائل من رجال القبائل اللذين توافدوا على مسقط من مختلف ارجاء عمان لتأييد الحاكم الجديد ، وقد ذكر المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط لببلى ، بأن عزان والخليلى سوف يحاولان على حد اعتقاده استغلال وضع السيد سالم بما يتمشى مع مصالحهما ، ثم قد يطيحان به ، ويضعان فى الحكم مكانه شخصية اخرى

تحقق لهما أهدافهما . وقد قام بيلي بنقل المسيحيين الموجودين في السلطنة الى سفينته حرصا على سلامتهم ، كما قام بنقل الهنود المقيمين هناك والذين كان معظمهم قد لجأ الى المراكب الراسية في الميناء خوفا من السلطة الجديدة ، وفي اليوم الخامس من وصول بيلي أحس بأن هناك مؤامرة تدبر من جانب العمانيين لاقتحام سفينته أثناء الليل ، وعليه فقد قرر أن يغادر مسقط متجها الى خليج مالكولم ، ومن مقره هناك أبرق الى حكومة بومباي يدعوها الى الامتناع عن اتخاذ أى اجراء للتدخل فى مسقط، حتى يتضح الموقف تمام الوضوح (١) . والواقع ان المناسبات التي حاول فيها بيلي التدخل فى النزاع بين حكومة مسقط والوهايين كانت فاشلة لان الافراج عن السيد تركى وقصف بلدة صور لا يعدان تعويضا مجزيا عن فشل عملية الدمام واغتيال السيد ثوينى ، وعلى حين لا يمكننا أن نوجه اللوم الى بيلي فى مطالبته الامير فيصل بالتعويضات ، فان بيلي يعتبر مسئولا عن عدم انتظاره لاستلام رد الامير فيصل ، وعلى الاخص بعد أن بلغه نبا وفاة هذا الامير ، علما بأن قرار الحاكم العام بعدم ممارسة ضغط على الامير حول هذه القضية لم يتخذ قبل اواخر شهر يناير ، كما أن هذه التعليمات لم تصل بيلي قبل شهر فبراير . وبعد مرور أسبوعين على قصف الدمام تلقى بيلي بعض الخطابات من الامير عبد الله الامير الجديد وكانت تلك الخطابات قد أرسلت من الرياض بتاريخ ٢٨ يناير ، وقد أعرب الامير عبد الله فى هذه الرسائل عن موافقته على وساطة الحكومة البريطانية فى خلافه مع مسقط ، كما تعهد بأن يقوم بمحاولات لرد الممتلكات التي انتزعت

(١) من بيلي الى جون ١٤/٣/١٨٦٦ (رقم ١٧ الادارة السياسية)

من الرعايا البريطانيين فى صور (١) كما يمكن أن يوجه اللوم الى بيللى
عبر عدم مرافقته للسفينة هايفلاير عند ابحارها الى الدمام ، نظرا لأن عدم
وجود اى مسئول بريطانى له الخبرة بالأوضاع المحلية ، كما صرح قائد
الأسطول الملكى لبومباى ، كان من الأسباب الرئيسية التى أدت الى فشل
الهجوم على الدمام .

غير أن فرير رفض توجيه تهمة التقصير لبيللى أو انتقاد تصرفاته
فقد ذكر فى رسالة الى وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية ، بأن
الكولونيل بيللى قد اتخذ كما يبدو قراره تحت ظروف بالغة الصعوبة
والخطورة ، وأن قراره هذا قد اتسم بالحكمة والشجاعة والاعتزان . . . اما
لورنس الحاكم العام للهند فقد كان له رأى يختلف عن ذلك الرأى ، فقد
أعرب عن امتعاضه من تصرفات بيللى التى انحرفت لمهمته الى قطيعة مع
الوهابيين ومن تبريره لتصرفه على أساس اتفاق ١٧٩٨ ، فى الوقت الذى
الذى كان يعرف تماما بأن تطبيق بنود ذلك الاتفاق بالنسبة للخلافات مع
مسقط قد حسم منذ عام ١٨٣٤ ، ووافق لورنس على وجهة نظر قائد
الأسطول الملكى فى بومباى ، بأن بيللى كان يتعين عليه بأن يرافق الطراد الى
الدمام ، وأن يمهل الأمير الوهابى الوقت الكافى للرد على مطالب بيللى .

لم يكن اى من فرير أو بيللى على استعداد لتقبل اى انتقادات من الحاكم
العام على الاجراءات التى اتخذهاها فقد كان بيللى قد قرر التوجه الى بومباى

(١) مجموعة التقارير السياسية الى الهند مجلد ٨٥ رقم ٦١ المؤرخ
١٨٦٦/١/٢٢ من بيللى الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى
١٨٦٦/٢/٢٠ .

بعد مغادرته مسقط لاطلاع فرير بما استجد من أحداث بعد شهر نوفمبر ، وعند ابلاغه برأى لورنس فيه فانه لم يأبه ، فقد كانت التعليمات لديه تخوله اتخاذ الاجراءات التى يراها ضرورية ، وبالتالي فقد تم تطبيق اتفاق ١٧٩٨ على أساس الظروف التى استجدت ، ولم يكن من عادة المقيم فى الخليج أن يرافق الطرادات اثناء قيامها بحملاتها التأديبية فى المنطقة وان ذلك كان يحدث نادرا ، كما أن فرير حسب رايه قد حدد وقتا كافيا لاستلام رد من حكومة الرياض على رسالته ، ومن ناحية اخرى لم يكن قائد الاسطول الملكى فى بومباى مختصا باصدار احكام فيما يختص بالقرارات التى يتخذها المقيم ، كما اكد المقيم فى نفس الوقت بأنه المسئول وحده عن الاجراءات التى يتخذها والامان التى يطبق عليها تلك الاجراءات ، واضاف بيلى بأن سجله كمقيم بريطانى فى الخليج هو وحده البرهان والدليل القاطع على كفاءته وصحة القرارات التى يتخذها ، وبأن معرفته بقبائل الخليج واوضاعها أكثر من أى مسئول آخر وبأنه ظل يعمل بمفرده بين اوساط أشد القبائل تطرفا .

كان فرير يعترف لبيلى بما يتميز به من كفاءة ومقدرة على أداء مهمته فى الخليج ، وقد اعترف فرير بهذه الحقيقة فى رسالة خاصة بعث بها الى لورنس وجاء فيها : (ان الكولونيل بيلى حسب ما اعتقد هو أول مقيم بريطانى فى الخليج لا يفادر بوشهر الا اثناء اجازته السنوية) ويرى فرير أيضا بأن بيلى على حق فى عدم مرافقته الطرادات التى توجهت الى الدمام ، نظرا لانه كان فى حاجة الى البقاء الى جانب السيد ثوينى خوفا من أن يشن الوهابيون هجوما آخر عليه ، كما كان بيلى على حق فى تحديد فترة معينة لوصول رد الامير الوهابى على احتجاجه ، وهذا ما اكدته الاحداث منذ بداية الصراع وعالى حين كانت مبادرته للتوسط فى النزاع فى شهر سبتمبر

قد لقيت استخفافا من الوهابيين ، وأن الرد الذي وصل منهم لم يكن الرد المرغوب ، فقد أكد فريزر بأن ، لأمير الوهابي أو من ينوب عنه حاول التنصل من مسئولية تلك الأحداث (١) كذلك اعترض فريزر على ما ذكره لورنس من أن شرعية اتفاق عام ١٧٩٨ قد تحددت منذ عام ١٨٣٤ ولا يمكن التنصل منه ، وكما ذكر بيلى فان الظروف السياسية فى المنطقة قد تغيرت منذ عام ١٨٣٤ فقد ازدادت حركة التجارة فى الخليج الى حد كبير ، وازداد ارتباط بريطانيا بشئون شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي فلم يكن فى وسع الحكومة البريطانية أن تغض الطرف على تحركات الوهابيين على حدود عمان .

وطبىعى أن ما يقوله فريزر بأن الحكومة البريطانية لديها التزامات ومصالح فى المحافظة على حكم أسرة آل بوسعيد ، خصوصا بعد حكم كاننج ، فان هذا القول له ما يبرره ، وعلى أية حال فان رأى فريزر هذا ناتج عن محاولاته لتبرير موقف بيلى من اتهامات التسرع والتقصير التى وجهت اليه ، خصوصا وانه كان يعارض سياسة بريطانيا بالتورط فى شئون عمان منذ بضعة شهور . ولتحقيق هذه السياسة فقد كان بيلى يرى أن حل الأسطول الهندى قد حتم تواجد مسئول بريطانى ملم بالشئون المحلية للمنطقة على ظهر أى طراد يزور الخليج ، وأن الأسباب التى دعت بيلى الى عدم مرافقة الطرادات الى الدمام بحجة انه كان مضطرا للبقاء بجانب السيد ثوينى لم ينقذ السيد ثوينى من المصير المحتوم . كما أغفل فريزر عاملا هاما

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٢ من فريزر الى لورنس

١٨٦٦/٣/٢٣ وقد استشهد به فريزر فى مذكرته المؤرخه ١٨٦٨/٧/١٥

بشأن ما اذا كان بيلي قد حدد وقتا كافيا لاستلام رد الرياض نظرا لوقاة الأمير فيصل وتولى الأمير عبد الله مقاليد الحكم ، أما الحكم العام اورنس فقد وضع كل هذه الاعتبارات فى حسابه ، مما جعله يخفف من حدة توبيخه لبيلي ، وبصورة خاصة بناء على الأسباب التى أوردها فريير فى دفاعه موقف بيلي حيث قال « اننا حسب رأيه ينبغي أن نحد قدر المستطاع من تدخلنا فى شئون الساحل العربى ، وأن نحد بدرجة أكبر فى شئون قبائل المنطقة الداخلية ، فقد ورد هذا الرأى فى خطابه المؤرخ فى شهر ابريل ١٨٦٦ ، وازداد اورنس اننا ينبغي أن نلتزم الحذر فى تناول مشكلات المواطنين الهنود وذريتهم ممن يدعون انفسهم برعايا بريطانيا اذا ما تعرضوا الى أية اضرار ، واذا ما اضطررنا الى التدخل فان هذا ينبغي أن يكون فى أضيق الحدود الممكنة وقصره على الاحتجاج فقط وقد رد فريير على هذا الخطاب بشيء من الحدة وان كان لها ما يبررها ، فقد قال : « ان سياسة عدم التدخل التى اشرت اليها فى خطابك قد تكون مقبولة قبل جيلين من هذا التاريخ ، كما كان الوضع بالنسبة للصين واليابان أو بالنسبة الى مصر وتركيا ، اما بعد ذلك الوقت فان سياستنا فى المنطقة من البحرين حتى راس الحد تقوم على أساس التدخل النشط وتطبيقا لمسؤوليتنا لحماية التجارة فى المنطقة .

عند هذا الحد توقفت المناقشات الدائرة بين المسؤولين البريطانيين بالرغم مما أحدثته من مرارة واستياء وخلاف فى الرأى بين اورنس وفريير وقد استمرت بضع سنوات ، الأمر الذى لم يقتصر تأثيره على موقف فريير من شئون الخليج بعد أن عين عضوا فى مجلس الهند فى أواخر عام ١٨٦٦ فحسب ، بل وعلى أية انتقادات قد يوجهها المسؤولون البريطانيون فى حكومة الهند لتصرفات بيلي . وفى خطاب بيلي الى فريير بتاريخ شهر مايو ١٨٦٦

تجلت روح التمرد والغضب التي سباهم فرير في خلقها لبيلي . وقد اطلعت شخصيا على تقرير بيلي عن زيارته للرياض ووجدته تقريراً طويلاً جافاً وان لم يكن سيئاً كما كنت أتصور ، فلقد كان تقريراً واقعياً وصريحاً بحيث كان لا بد وأن يترك في نفس الحاكم العام أثراً سيئاً .

في إبريل عاد بيلي الى بوشهر للاجتماع بمبعوثي عبد الله بن فيصل وهم الذين وعد الأمير ، بموجب خطابه المؤرخ ٢٨ يناير ، ايفادهم الى بوشهر للاجتماع ببيلي ، وقد جاء في الخطاب : « أما فيما يتعلق بمسقط فانكم تعلمون ويعلم الجميع أن أهالي مسقط هم رعايانا وانهم يدفعون الزكاة لنا منذ عهد أسلافنا ، كما تعلمون بالمعاهدة المعقودة بيننا وبينكم منذ وقت طويل ، والتي تنص على أن سكان مسقط خاضعون لحكمنا ، ولا يمكنكم التدخل في شئونهم بأي شكل من الأشكال ، كما تنص المعاهدة على أن السيادة في البحر هي لكم فاذا كنتم قد تغيرتم الآن واصبحتم تنتهجون سياسة خلاف السياسة السابقة فان الأمر يحتاج الى النظر ، ومراجعة كبار رجال العشيرة ، غير أن ما كان يهم بيلي هو الحصول على تعهد خطي من حكومة الرياض بعدم تكرار الأعمال العدوانية على أراضي سلطنة مسقط ، وليس مطالبة الأمير بالسيادة على مسقط ، وقد أكد بيلي هذا الموقف لوفد الأمير فيصل عند اجتماعه بهم في يوم ٢١ أبريل ، وقد رد الشيخ محمد بن عبد الله بن مانع رئيس وفد حكومة الرياض باعطائه تعهداً خطياً يتضمن : اننا نتعهد للمقيم البريطاني في الخليج بالنيابة عن الأخير عبد الله بن فيصل بأنه لن يقوم بأي اعتداء أو غزو لأراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية وعلى الأخص سلطنة عمان ، وانما لا نبغى من هؤلاء أكثر من استمرارهم في دفع الزكاة التي اعتادوا على دفعها منذ زمن طويل ، كما طلب في هذا التعهد أن يقوم بيلي بدور الوسيط بين الأمير

والحكومة البريطانية ، كما تعهد رئيس الوفد بحماية الرعايا البريطانيين المقيمين فى المناطق الخاضعة لنفوذ الأمير عبد الله (١) ، وأبرق بيلى بهذا التعهد الى حكومة بومباى للتصديق عليه ، ومن بومباى أحيل الى الحاكم العام فى سملا ، وقد وافقت عليه حكومة الهند بشرط ألا يورطها فى أية تعهدات فيما يتعلق بموضوع الزكاة بين مسقط وحكومة الرياض ، وذكر المسئولون فى حكومة الهند أيضا ، أنه فى امكان بيلى أن يقوم بدور الوسيط فى حل الخلافات القائمة بين مسقط والرياض ، على أن لا يؤدي ذلك الى عقد أى معاهدة او اتفاق قبل ان تطلع عليه حكومة الهند ومكتب شئون الهند وتقره .

قام بيلى بأبلاغ هذه الشروط للوفد الوهابى فى اوائل شهر مايو ، كما استفسر منهم عما يقصده الأمير عبد الله من قوله بأن هناك معاهدة قائمة بين حكومة نجد والحكومة البريطانية منذ وقت طويل ، ورد رئيس الوفد على هذا الاستفسار بالقول بأن أمراء نجد كانوا يتلقون بين حين وآخر رسائل من المسئولين البريطانيين ، وأن حكومة الرياض تعتبر تلك الرسائل الودية بمثابة معاهدات ، وفى نهاية هذه المحادثات سلم بيلى للوفد الوهابى خطابا الى الأمير عبد الله ، أوضح فيه رأى الحكومة البريطانية

(١) مجموعة التقارير السياسية الى الهند مجلد ٨٥ مجموعة رقم ٦١ المؤرخه ٢٢ أغسطس ١٨٦٦ من بيلى الى جون ١٨٦٦/٤/٢٣ (رقم ٤٢ الادارة السياسية) ومرفق به البيان الصادر فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ - ١٨٦٦/٤/٢١ وقد صدر التصريح فى كتاب المعاهدات اعداد اتيشيسون جـ ١١٦ راجع أيضا « الجزيرة العربية وحدودها الشرقية » تأليف جون كيلي ص ٨٤ - ٨٥ .

بشأن الزكاة وقال بأنه اذا نشأت اية صعوبات فيما يختص بالزكاة من جانب حكومة مسقط فان حكومة الهند لن تتدخل فى الموضوع ولن تضمن قيام مسقط بدفعها ، لأن هذا الموضوع منحصر بينكم وبين حكومة مسقط ، ولكن الحكومة البريطانية مستعدة لأن تقدم كل مساعدة ممكنة لتسوية الخلافات التى قد تنشأ بين الجانبين كذلك كان بيلى مضطرا الى الرد على عبارة وردت فى خطاب الامير عبد الله المؤرخ ٢٨ يناير والتى يذكر فيها : « بأن المسلمين العرب كافة فى العراق واليمن وفى عمان يجب أن يتعاونوا لدفع الاخطار التى يتعرض لها الدين الاسلامى » وبما أن بيلى لم يفهم تماما ما كان يعنيه الامير عبد الله من تلك العبارة ، الا انه اشار فى رده على الامير « بأن دين الوهابيين هو موضوع يخصهم وحدهم ، كما يخص ميرهم ، وأن الحكومة البريطانية لا ترغب فى التدخل فى موضوع كهذا » .

لم يعرف بيلى الا اخيرا من أبو عيسى مرافق بلجريف بأن الامير عبد الله كان يشير فى خطابه الى الاشاعات التى كانت رائجة عن عودة بلجريف الى المنطقة لتنفيذ مؤامراته للاطاحة بدولة الوهابيين ، وبالتالي فان العملية التى قام بها الطراد هايفلاير عند ساحل الدمام قد فسرت فى الرياض على أنها تمهيد لتلك الحملة . ومما زاد فى ايضاح الصورة هو أن بيلى قد اكتشف أن أبو عيسى (الشخص الذى كانت حكومته تشك فى تحركاته) كان يتآمر مع الامير سعود شقيق الامير عبد الله للاطاحة بحكم عبد الله ، والواقع أن خوف الامير عبد الله من عودة بلجريف وعملية الدمام كان له ما يبرره ، وقد حمل الامير الى ايفاد رسول خاص الى بغداد فى نفس الوقت الذى بعث بوفد الى بوشهر . وكانت مهمة المبعوث الى بغداد هى مطالبة الوالى بالتدخل لمنع وقوع اعتداءات جديدة من السفن الحربية البريطانية ، غير أن

وفد الأمير الى بوشهر لم يذكر شيئاً عن مهمة الوفد في بغداد ، رغم أنهم قد أبغوه بأنهم يعتبرون أميرهم ورعاياه تابعين للباب العالي .

في هذه الفترة كانت عمان تخضع لحكم ضعيف تمثله مجموعة من القوى السياسية ، فلم يكن للسيد سالم بن ثويني الحاكم الاسمي للبلاد أتباع يعتد بهم فيما عدا أفراد أسرة آل بو سعيد ، وكان السيد سالم يعتمد على المطوعة (رجال الدين) الذين كانوا باستمرار يحملون على سكان العاصمة لانفلاتهم الديني والعقائدي ، ويطالبونهم بالتمسك بالمبادئ الاباضية تمسكا حرفيا ، وكان على رأس هذه المجموعة سعيد بن خلفن الخليلى الذى كان يطمح فى العودة بالمجتمع الى الحكم الدينى لكى يتقلد هو منصب الامام فيه (١) ، أما خارج العاصمة فقد كان عزان بن قيس والى الرستاق الشخصية القوية ، وكان يؤيده اقوى المجموعات القبلية فى الداخل . وكان مما يزيد من أهمية هذا الزعيم التأييد الذى كان يحظى به من تركى بن أحمد السديرى نائب الامير الوهابى فى اليريمى ، وهذه العوامل بالاضافة الى الطريقة التى استولى بها السيد سالم على الحكم طرحت امام المسؤولين البريطانيين فى الهند مشكلة الاعتراف بالسيد سالم ، فقد طالب السيد سالم الحكومة البريطانية بالاعتراف به كحاكم لعمان بعد توليه الحكم مباشرة ، الا أن فرير كان يعارض الاعتراف بالسيد سالم وقد ذكر فى هذا الصدد : « انه من الصعوبة بمكان ان نتصور كيف تستطيع الحكومة البريطانية ان تعترف بالسيد سالم كحاكم وهو الذى

(١) وقد فشل فى هذه المناسبة بالفوز فى الانتخابات ، غير أن حفيده محمد بن عبد الله الخليلى انتخب اماما لعمان سنة ١٩٢٢ واستمر فى منصبه هذا حتى وفاته عام ١٩٥٤ .

لم يستطع ان يبرىء نفسه من جريمة قتل والده وكان اورنس يشارك فرير استنكاره لجريمة السيد سالم ، وان كان موقفه من الاعتراف به أكثر اعتدالا ، وقد ذكر لفرير فى ابريل ١٨٦٦ « بأنه اذا نجح السيد سالم فى تثبيت مركزه فى عمان فإنه يقصر اعترافه به على الاجراءات الدبلوماسية وحدها ، وأن يستنكر طريقة استيلائه على الحكم وعدم الاشادة بحكمه ، على أن تقوم علاقات رسمية بين الطرفين على أساس الأمر الواقع ، وآلا يعين ممثل بريطانى فى مسقط حتى لا يفسر ذلك على أنه تأييد من بريطانيا للنظام .

دخل عاملان جديان لتعقيد الأمور بين بريطانيا والسيد سالم ، الاول تصريح أدلى به السيد ماجد سلطان زنجبار نجل السيد سعيد فى شهر أغسطس ١٨٦٦ بأنه لن يدفع الى السيد سالم المعونة المقررة عليه بموجب تحكيم كاننج ، والعامل الثانى هو تصريح أمير اقليم فارس فى أواخر العام بعدم تجديد عقد ايجار بندر عباس الذى كان متفقا عليه منذ أيام حكم جده السيد سعيد ثم على أيام والده السيد ثوينى ، وقد أمكن حل المشكلة الأولى فى شهر سبتمبر ١٨٦٧ بعد أن أعلن الحاكم العام فى الهند بأن السيد سالم قد نجح على ما يبدو فى تثبيت مركزه ممنا يجعل مسألة الاعتراف به واردا ، أما عن اعتراضات السيد ماجد على ابن أخيه ولكونه مسئولاً عن التزاماته المالية لمسقط بموجب حكم كاننج فقد قرر الحاكم العام ان يتم دفع تلك المعونة عن طريق المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط ، أما اعتراضات الفرس على تجديد عقد ايجار بندر عباس فقد كان موضوعا أكثر صعوبة وأقصى ما استطاع أن يحققه المقيم البريطانى فى هذا الصدد عن طريق تبادل الخطابات واجتماع شخصى بأمير شيراز ١٨٦٧ هو اشتراط الفرس رفع قيمة الايجار السنوى ؛

أما السيد سالم فلم يكن لديه الوقت الكافى لبحث هذا الموضوع نظرا لانسغاله خلال النصف الأخير من عام ١٨٦٧ بقمع محاولة تمرد قام بها عمه السيد تركى لخلعه عن الحكم .

بعد الافراج عن السيد تركى عن طريق تدخل المقيم البريطانى ظل يقيم بصفة مستمرة فى بوشهر وبندر عباس وساحل الهدنة ، حيث كان يجمع الاسلحة والأموال للقيام بهجوم على ابن أخيه السيد سالم ، وفى منتصف صيف عام ١٨٦٧ نزل السيد تركى على الساحل الشرقى من عمان ومنه إلى منطقة جعلان حيث كانت تؤيده قبائل بنى بوحسن والحجريين ، واثناء سير قواته عبر البطحاء اعترضه الحرث ، وهم اقوى قبيلة فى المنطقة الشرقية ، وبعد تبادل النقاش مع الحرث استطاع زعيمهم الشيخ صالح بن على اقناع السيد تركى بالانتظار فى بديّة ، وتوجه الشيخ الى مسقط لمحاولة تسوية الخلافات بين السيد تركى وبين أخيه السيد سالم . فى ذلك الوقت كان الخوف يسود مسقط بسبب النجاح الذى آحرزه السيد تركى مما دفع المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط التابن جورج اتكنسون على ان يبعث ببرقية الى حكومة بومبى فى أوائل شهر أغسطس يقترح فيها على السلطات توجيه تحذير رسمى للسيد تركى بعدم مهاجمة العاصمة ، أو أى من المناطق الساحلية ، لانه اذا لم يمثل للأمر فان الاسطول سيقوم بقصف مراكزه ، وقد وافق السيد تركى ، وبعد ان وصل الشيخ صالح بن على وغيره من زعماء الحرث الى مسقط حذرهم اتكنسون من محاولة تغيير موقفهم والتحول الى تأييد السيد تركى . كان بيلى وقتها فى شيراز لمباحثة الفرس بشأن بندر عباس واعتقد بيلى ان تصرف اتكنسون لم يكن تصرفا سليما ، فهو لم يكن يرى ان سياسة التريث والانتظار هى السياسة المطلوبة ، وانما كان يعتقد بأن

السيد تركي أفضل من السيد سالم لحكم مسقط نظرا لأن السيد سالم
كان في نظره حاكما قصير النظر وأميناً وكانت تراوده أفكار سوداء
وإطماع كثيرة.

أما السيد تركي فلم ينتظر ما سوف تتمخض عنه وساطة الشيخ
صالح بن علي لأنه كان يرتاب في دوافعه ، وربما كان على حق في ذلك ،
وعليه فقد واصل السيد تركي تقدمه في منتصف أغسطس ووصل
في نهاية الشهر إلى منطقة لا تبعد أكثر من ٢٠٠ ميل عن مسقط وعلى رأس
القوة يقدر عددها من ٦٠٠ إلى ٢٠٠٠ رجل . أما السيد سالم فقد تجمد
من الخوف وجاء في تقرير لانتكسون بعد اجتماع له مع السيد سالم
بأنه لم يسبق في حياته قط أن شعر بخوف كالخوف الذي كان يستولي
على السيد سالم . والمعتقد أن المعتمد السياسي كان في حيص بيص وقد
كانت لديه الصلاحيات لقصف مراكز السيد تركي إذا ما حاول الاستيلاء
على مسقط أو غيرها من الموانئ ، وحجب الاعتراف به في حالة استيلائه
على الحكم ، إلا أن اتباع السيد تركي كان يتزايد عددهم كل يوم بعد أن
انضمت إليه قبائل الهناوية . أما قبائل الغافرية فقد كانت تؤيد السيد
سالم . وعند تلقى السيد تركي التحذير رد عليه ردا يتسم بالانزان ، ولكنه
كان ردا حاسما ، فقد قال أن الظروف هي التي أملت عليه بأن يتخذ ذلك
الاجراء ضد رغبة الحكومة البريطانية . وفي ليل ٣٠ أغسطس هاجمت
قوات السيد تركي مدينة مطرح واستولت عليها وفي يوم ٤ سبتمبر
احتلت الممرات المؤدية إلى العاصمة . وفي يوم ٥ سبتمبر وصل
بيلي من بوشهر على ظهر سفينة البريد ، كما وصلت في اليوم نفسه
السفينة الحربية البريطانية (اكتافيا) قادمة من بومباي ، وبوصول

عده السفينة وجه بيلي تحذيره للسيد تركي وهدده بقصف الميناء اذا لم يستسلم . وفى صباح اليوم التالى حضر السيد تركي الى بيلي وأعلن استسلامه . وفى يوم ١٠ سبتمبر وضع المقيم مسودة لاتفاق بينه وبين السيد سالم تمهد فيها السيد تركي بمفادرة السلطنة على شرط أن يدفع له السيد سالم معاشا سنويا مقدارة ٦٠٠ ريال نمسوى ، وذلك ضمن المعونة التى كان يحصل عليها من حاكم زنجبار وقد تقرر أن يقيم السيد تركي فى الهند أو أى منطقة أخرى تحددها الحكومة البريطانية . وقد وقع الطرفان على هذا الاتفاق ، وبعده سافر السيد تركي الى بومباى على نفس الباخرة .

كان الاجراء الذى اتخذه بيلي لارغام السيد تركي على الخروج من عمان اجراء يتعارض مع رغبته نظرا لانه كان يعتقد بأن السيد سالم يخضع للنفوذ الوهابي ، الا أن هذا الاعتقاد لم يكن صحيحا ، واذا كنا لا نستطيع ان نفهم الدوافع التى حملت حكومة الهند على تأييد السيد سالم فمن المحتمل أن تكون قد فعلت ذلك نتيجة اقتناعها بقبول سلطان زنجبار دفع المعونة المقررة الى السيد سالم ، وبالتالي فضلت أن تتعامل مع حاكم استطاعت أن تتعرف عليه بدلا من حاكم جديد لا تعرف نواياه . واذا نحن سلمنا بوجهة النظر هذه فحكومة الهند تعتبر قد أساءت الاختيار ، اذ ما أن نجح الكولونيل بيلي فى انقاذ عرش السيد سالم حتى طلب منه سالم أن يصدر قرارا بمنع الرعايا البريطانيين من بيع التبغ والتدخين ، وقال له بأن التدخين فى عمان عمل يجرح الشعور الدينى للمعانيين . وقد رفض بيلي هذا الطلب وحذر السيد سالم من محاولة اتخاذ اجراءات تعسفية ضد البريطانيين المقيمين فى مسقط .

ومر هذا الحادث دون أن يثير أى مشكلات فى حكومة الهند ، الا

أن مكتب شؤون الهند قد أصدر بعض الملاحظات ، وكان مجلس الهند لا يشعر بالارتياح الى السيد سالم وقد جاء فى تعليق له : « ان الانسان يشعر بكثير من الأسى ازاء الاعتبارات والضرورات التى حتمت علينا تأييد مثل هذا الحاكم » وقد كان هذا التعليق لهارمن مرفيل الوكيل المساعد لوزارة الخارجية البريطانية ، وذلك بعد اطلاعه على تقرير بيلى عن احداث شهرى اغسطس وسبتمبر أما فرير الذى أصبح عضوا فى مجلس الهند فقد كان تعليقه على اجراءات السيد سالم اكثر حدة « اننى اذا كنت لا أستطيع أن أفهم السياسة التى تسير عليها حكومة الهند فى مسقط الا اننى أستطيع القول أن وضعنا هناك على ما يبدو لا يبعث على الاطمئنان ، فقد أيدنا السيد سالم ضد الثورة الداخلية التى نشبت كنتيجة طبيعية على اغتياله لوالده السيد ثوينى ، اذا به يستغل حماية الحكومة البريطانية له ، فيذهب الى حد أن يطالب ممثلنا فى مسقط بمنع التدخين على البريطانيين وعلى أى حال فقد اكتشف مرفيل التناقضات الكاملة فى موضوع التدخين فعلق على ذلك بقوله : « اننى اعتقد بأن الذى دفع السلطان الى تقديم هذا الطلب هو محاولة منه لاختبار المدى الذى يمكن أن يصل اليه بالنسبة لمعاملة الاجانب المقيمين فى مسقط ولو أن قرار السيد سالم بحظر التدخين فى الاماكن العامة لا يشمل رعاياه فيعتبر طلبه من بيلى بفرض الحظر على الرعايا البريطانيين وحدهم طلبا فى منتهى السخافة ، وأما اذا كان الطلب يشمل رعاياه أيضا فانما مرفيل يتساءل عن الأسباب التى اعتمد عليها الكولونيل بيلى فى تدخله لضمان شمول هذه الامتيازات للرعايا البريطانيين ؟ وثمة حقيقة واحدة ، هى أن هذا السلطان لا يمكن الاعتماد عليه ، أما نحن فمصممون على أن تكون لنا اليد الطولى فى عمان ، وأيا كان الوضع فانى أتوقع أمورا أكثر تعقيدا من

ميساندتنا وتأييدنا لهذا الحاكم ، وأنه ما لم تكن لنا سياسة ثابتة وواضحة فإن الأمور لن تسير في صالحنا .

غير أن وضع سياسة بريطانية ثابتة وواضحة بالنسبة لمسقط خصوصا ، وبالنسبة للخليج عموما لم تتخذ منذ وفاة السيد سعيد ونهاية سلطة شركة الهند الشرقية في المنطقة ، وكان لابد من مضي وقت طويل قبل أن تظهر معالم هذه السياسة . كان الاتجاه الى اعادة النظر في السياسة البريطانية في الخليج قد تبلور منذ بعض الوقت في أرواح المسؤولين من مكتب شئون الهند بالرغم من أن تسارع الأحداث منذ ذلك الوقت قد وضع تطبيق مثل هذه السياسة أمام صعوبات شاقة متزايدة ، وقد تركزت مناقشات اللورد واين حول هذه السياسة ، والتي بدأت منذ عام ١٨٦٨ حول ثلاث قضايا متداخلة :

١ - العمل على تحديد ايجار بندر عباس لحكومة مسقط .

٢ - تشكيل قوة بحرية ضاربة في الخليج .

٣ - حل مشكلة معونة زنجبار لمسقط ، غير أن بعث النزاع البريطاني الفارسي على البحرين كنتيجة لقيام حكم جديد في مسقط وكنتيجة لاستئناف الحملة على تجارة الرقيق الأفريقية قد اُضيف صعوبات جديدة إلى هذا الموضوع .

في ربيع ١٨٦٨ أصبح السيد سالم بن ثويني واثقا وثوقا تماما من مركزه في عُمان بحيث بات مقتنعا بأن في امكانه القيام بهجوم على الفرس لإرغامهم على تجديد ايجار بندر عباس له . وأثناء زيارة سالي لشمال في الصيف السابق أبلغه حاكمها ، أنه يعتبر عقد الإيجار المبرم مع مسقط

منتهى المفعول بوفاة السيد ثوينى ، نظرا لان العقد كان قد وقع سابقا مع السيد سعيد بن سلطان بالنسبة له ولابنائه فقط ، وأيا كان الأمر فإن الشاه لا يميل الى تجديد الايجار للسيد سالم ، لأنه غير مزاح منه بسبب اغتياله اوالده ، فقد حاول السيد سالم الضغط على الشاه لخملة على تغيير موقفه هذا عن طريق فرض حصار بحرى على بندر عباس فى ربيع ١٨٦٨ ، وقد رد الشاه على الحصار بمناشدة تشارلس اليسون الوزير البريطانى المفوض فى طهران تقديم الحماية البحرية له ، كما طلب من حكومة الهند التوسط فى النزاع كذلك أعرب الشاه لاليسون عن رغبته فى تزويده بقوة بحرية خاصة به لاستخدامها فى الخليج حتى لا يتعرض مركزه لتهديد كالتهديد الذى يمارسه الآن السيد سالم ، كما سئل الوزير البريطانى عما اذا كانت الحكومة البريطانية ستوافق على اعارته بعض الضباط البحريين لقيادة هذا الاسطول غير انه لا حكومة الهند ولا مكتب شئون الهند كانا يرغبان فى التدخل فى النزاع ، لأنهما خشيا ان يؤدي التدخل الى وقوع حادث مؤسف جديد على مناطق الحدود بين فارس ومنطقة الخليج ، وذلك كما حدث فى مكران ، أضف الى ذلك ما قرره حكومة الهند ولأسباب فنية نقل محطة التلغراف من شبه جزيرة ميسيندم الى جزيرة هنجام التابعة لفارس بالاضافة الى الاتفاق الذى وقع مع فارس بتاريخ ١٨٦٨/٤/٢ لتطوير الخط التلغرافى من جواذر الى جاسك ثم منه شمالا ، وقبل هذا التاريخ بشهر واحد طلبت الحكومة البريطانية من الشاه بأن يسمح لها بتركيب المحطة التلغرافية فى جزيرة هنجام وهو الطلب الذى وافق عليه الشاه ، وفى مقابل ذلك اعترفت بريطانيا اعترافا رسميا بالسيادة الفارسية على هنجام ، أما قبل ذلك فقد كانت هذه الجزيرة ومنذ بداية القرن تابعة لحكومة مسقط ولم تدخل ضمن عقود الايجار المبرمة بين مسقط وفارس بشأن بندر عباس وملحقاتها ، فاذا

ما رأت حكومة الهند الآن أن تتدخل في موضوع استئناف المفاوضات بشأن تجديد عقد الإيجار فأنها سوف تورط نفسها في النزاع على موضوع السيادة على هنجام مما قد يؤثر على عمليات نقل المحطة التلغرافية إليها . ومن ناحية أخرى فلم تكن حكومة الهند راغبة في اتخاذ أى إجراء يضعف من سلطة السيد سالم على بندر عباس ، فلو حدث هذا فسوف يؤدي الى اضعاف قوة السلطنة مما سيؤدي بدوره الى اضعاف حركة التجارة التي يديرها البريطانيون ، كذلك كانت حكومة الهند ترى بأن عقد الإيجار المبرم سابقا مع السيد سعيد ١٨٥٦ لمدة عشرين عاما على أبنته فحسب ، بل ولافراد ذريته من بعده فيما لو قدر لهؤلاء أن يحكموا البلاد خلال تلك الفترة ، وبناء على هذه الاسباب وافق الحاكم العام على الوساطة المقترحة ، وفي شهر يونيو عام ١٨٦٨ كلف المقيم بيلي بالسفر الى شيراز بعد حصوله على موافقة السيد سالم بتلك الوساطة ، وسيكون عليه الحصول على موافقة حكومة فارس على تجديد إيجار بندر عباس في مسقط بشروط تكون في صالح مسقط . أما اذا فشلت مهمته فيتعين عليه الحصول على موافقة حكومة فارس على تجديد إيجار بندر عباس البحرية (١١) .

(١) رسائل ومرفقات حكومة الهند مجلد ٣ خطاب من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٦٨/٦/٢٢ (رقم ١٠٥ الادارة السياسية الخارجية) ومرفق به نسخ من خطاب بيلي الى السكرتير السياسي لحكومة بومباي ١٨٦٨/٥/٩ (رقم ٥٦ الادارة السياسية) ومن السكرتير بالوكالة الادارة الخارجية حكومة الهند الى السكرتير السياسي لحكومة بومباي ١٨٦٨/٦/١٩ (رقم ٦٣٤ الادارة الخارجية) انظر أيضا مكتب شئون الهند مكاتبات الوطن مجلد ٦٢ من مريفيل الى وكيل الخارجية ١٨٦٨/٧/٢٤ .

فى يوليو عام ١٨٦٨ غادر المقيم بصحبة مسئول آخر مسقط الى شيراز بعد أن وافق السيد سالم على قيامه بالوساطة ، وفور وصوله الى شيراز أصدرت حكومة فارس بياناً برفضها الوساطة البريطانية ، وقد ذكر اليسون الوزير البريطانى المفوض فى طهران فيما بعد بأن التغيير الذى طرأ على حكومة فارس يعود الى شكها فى نوايا الحكومة البريطانية فى نقل المحطة التلغرافية الى جزيرة هنجام ولكي تؤكد الحكومة البريطانية لفارس بأنه لا تهدف شيئاً وراء تلك الوساطة فقد طلبت الى الوزير المفوض البريطانى أن يؤكد للشاه بأن الحكومة البريطانية تعترف له بالسيادة على بندر عباس بما فيها هنجام غير أن هذا التأكيد لم يفلح فى تبديد مخاوف الشاه الذى ظل متمسكاً بالوساطة البريطانية من حيث الشكل على الأقل ، وقد وجد بيلى نفسه فى شيراز فى موقف لا يحسد عليه ، وهو لم يكن يملك الصلاحيات التى تخوله التوسط ، رغم أن حاكم شيراز كان قد طلب منه ذلك ، وفى يوم ٤ أغسطس عن طريق الجهود التى بذلها بيلى تم التوقيع على اتفاق تأجير بندر عباس وملحقاتها الى السيد سالم والى خلفائه من بعده على أن يسرى الاتفاق لمدة ثمانية أعوام ، وبقيمة ايجارية مقدارها ٣٠٠٠٠ تومان ، ولم يرد فى هذا العقد ولا فى المحادثات التى سبقت التوقيع عليه أى ذكر لجزيرة هنجام .

وعلى أية حال فإن حكومة الهند قد حدثت من سلطة مسقط على الجزيرة بطلبها فى شهر مارس السابق السماح لها بنقل الخط التلغرافى الى هنجام ، ثم عادت ففريت من موقفها هذا بالتأكيدات التى أعطتها للشاه بحقه فى الجزيرة وبرفضها السماح لحكومة مسقط بتأكيد حقها فى الجزيرة أو بتحدى الحكومة الفارسية حول هذا الموضوع .

تراجع الشاه عن فكرته انشاء وحدة أسطول خاص به فى الخليج ،

بل أن الأمير الحاكم لاقليم فارس قد أبلغ بيلى أثناء محادثاته معه بأنه يفضل أن يترك موضوع حماية الخليج للحكومة البريطانية بدلا من المجازفة بخطة كهذه وعلى أية حال فإن الأمور تمخضت عن تصريحات أدلى بها الشياه أثارت قلق السلطات الهندية ، وقد اغتنم السير وليم فيتسن جيرالد حاكم بومباي تلك المناسبة فى الضيف على مكتب شئون الهند لانشاء قوة بحرية خاصة بالهند يتم تشكيلها من الأسطول الملكى لتحل فى مجال السلطة محل الأسطول الهندى القديم ، وذكّر بأن متطلبات الأمن فى الخليج لا يمكن تركها للزيارات العرضية التى تقوم بها الطرادات البريطانية ، ومن الأفضل وجود قوة دائمة من الأسطول تتكون من ثلاث أو أربع سفن حربية يشرف عليها ضباط من الأسطول الملكى ؛ وكانت السفينة الحربية الوحيدة فى الخليج فى عام ١٨٦٧. هى السفينة هيو روز ، ولكن هذه السفينة ليس فى وسعها أن تعمل لأكثر من ثمانى ساعات متتالية ، كما أن الذى يديرها خليط من البحارة العرب والهنود ، وفى ذلك العام وقعت أحداث كنتيجة لخرق شيوخ البحرين وأبو ظبى لمعاهدة الصلح البحرية ، وعندما طالبت بيلى بتزويده بعدد من السفن لفرض حصار على أبو ظبى قيل له ، بأنه لا توجد أى سفينة ، وأن جميع السفن كانت مشغولة فى عمليات الحملة على الحبشة . وفى شهر يوليو كتب فيتز جيرالد رسالة الى وزير الدولة جاء فيها : (يتعين على الحاكم العام تكليف قائد الأسطول بتنفيذ القرارات السياسية التى يتخذها ، واذا استدعى الأمر اتخاذ اجراء ولم يكن القائد موجودا فعلى السلطة البحرية العليا فى بومباي أن تتولى إصدار الأمر الى القائد الثانى بقيادة طراد صغير استنادا الى الأوامر التى سأصدرها اليه ، فإن امثل القائد لهذه التعليمات فيتعين عليه التوجه الى بوشهر لارغام الفرس على تنفيذ المطالب البريطانية . أما الآن ولعدم وجود قوة بحرية عاملة فى الخليج ، فقد عادت القرصنة اليها ، كما أصبح خرق اتفاقيات

الهدنة أمرا مألوفاً الى جانب ما يتعرض له تجارنا من اغتصاب اممتلكاتهم وأموالهم . وعندما طلبنا من الكومندور تزويدنا بسفينة حربية قيل لنا أننا سنحصل على طراد واحد فقط ولكن ليس قبل شهر نوفمبر . ناقشت اللجنة السياسية مكتب شؤون الهند مشروع تخصيص أسطول للخليج في نفس ذلك الشهر ، وقد أجاب فرير في اللجنة بأهم بيان حول هذا الموضوع ، فقد ذكر : « بأن جميع مصالحنا مع فارس وشبه جزيرة العرب وأفريقيا الشرقية هي مصالح الهند أيضا ، وحماية لهذه المصالح يتوجب إنشاء أسطول قوى بإشراف حكومة الهند ، وأن أمريكا وفرنسا وروسيا كلها تسعين للحصول على موطن قدم على هذه السواحل . وأما فرنسا فقد أوفدت جينرال بلجريف للبحث عن جزيرة لها لإنشاء قاعدة فيها ، ونحن المؤكد أننا اذا تنازلنا عن المركز الذي نحتله الآن في هذه المنطقة فنحن نشهد تثبيت إحدى هذه الدول للمع الفراغ الناتج عن انسحابنا . ومن ناحية أخرى فهناك الاتفاقيات التي تربطنا بدول الخليج ، والتي تتحمل بريطانيا مسؤولية تنفيذها ، وهذه الاتفاقيات قانونية وكان يتم تطبيقها حتى الفترة الأخيرة عندما بدأنا نتراخى في القيام بمسئولياتنا كنتيجة للتصورات الجديدة التي وضعتها حكومة الهند بالنسبة لهذه المسئوليات ، ونظراً لأن سفن الأسطول الملكي لا يمكن لها البقاء فترات طويلة في مياه الخليج في فضل الصيف على عكس الأسطول الهندي الذي يمكن أن يعمل طوال الوقت لانجاز أوامر المقيم وتعليماته » وقد طالب فرير بتخصيص ثلاث سفن مسلحة للعمل في الخليج تحت قيادة كومندور هندي يتم تعيينه بالاعارة من الأسطول الملكي ، بشرط أن يخضع هذا الأسطول لتعليمات الحاكم العام وتتكفل حكومة الهند بنفقائه ، وأن يتم تزويده بطاقم من الضباط والبحارة المتطوعين من الأسطول الملكي ، وعلى أن يعمل هؤلاء لفترة خمس سنوات مع الاحتفاظ في نفس الوقت بمناصبهم في الأسطول الملكي .

ومن ناحية أخرى فقد سبق أن تقدمت الحكومة الهندية بمقترحات
مماثلة لتعزيز هذا الاتجاه للمناقشات التي جرت في نهاية العام :

« ان السبب الرئيسى للخلافات السياسية الراهنة بين حكومتى
مسقط وفارس وعدد من قبائل الساحل العربى يعود الى عدم وجود تلك
القوة البحرية ، وانه ل يبدو انه من المستحيل المحافظة على السلم فى
منطقة الخليج وحماية التجارة الا اذا وضعت تحت تصرف المقيم البريطانى
الوسيلة التى تمكنه من العمل على تطبيق اتفاقية الهدنة نظرا لان هذه
المسألة فى غاية الأهمية بالنسبة للأوضاع السياسية فى الخليج ومما
يدموا الى الأسف أنه عندما تم حل الأسطول الهندى لم تحل محلّه قوة أخرى
لحماية تلك المصالح .

استغرقت الاميرالية كثيرا من الوقت حتى اقتنعت بصحة هذه
الآراء وكانت سابقا تعارض انشاء قوة بحرية هندية مستقلة سواء فى
عام ١٨٦٢ عندما تم حل الأسطول الهندى أو عام ١٨٦٧ عندما كانت توجه
الانتقادات بسبب تغيّب السفن البريطانية من مياه الخليج ، وكان من أهم
الاعتراضات التى توجه أن السفن العاملة تحت اشراف الاميرالية كانت
لها مهام فى مناطق أخرى مما كان يترتب عليه أن تبقى تحت اشراف
حكومة الامبراطورية ويسرى هذا الوضع على المهام التى تتطلب من السفن
القيام بها لتنفيذ مطالب حكومة الامبراطورية فى المناطق الواقعة على
امتداد المحيط الهندى ، وبالتالي فلم يكن من المرغوب فيه من وجهة نظر
الاميرالية تغيير تلك التنظيمات خصوصا وأن المتطلبات فى منطقة الخليج
كان يمكن أن تلبى عن طريق الزيارات التى تقوم بها السفن الصغيرة
التابعة لقيادة الهند الشرقية من حين الى آخر .

فى النصف الثانى من عام ١٨٦٩. وبداية عام ١٨٦٩ اثبتت الاحداث خطأ نظرية الاميرالية ، ولهذا فقد قبات الاميرالية بشيء من التردد فى صيف عام ١٨٦٩ حلا وسطا . يتم بمقتضاه تخصيص ست سفن فى مياه المنطقة الغربية من المحيط الهندى بصورة دائمة على أن تعمل ثلاث من هذه السفن فى منطقة الخليج وتكفلت حكومة الهند بالمساهمة فى نفقات هذه القوة فى حدود ٧٠ الف جنيه استرلينى سنويا ، بشرط أن تستعين حكومة الهند بهذه السفن فى أى شأن من الشؤون الخاصة بحكومة الامبراطورية ، وعلى أن تخضع السفن الثلاث المخصصة للخليج لأوامر المقيم وأن تكون مسؤولياتها على أساس حفظ الأمن ودعم النفوذ البريطانى فى المنطقة ، وبمثل ما استغرقت الاميرالية بعض الوقت كى توافق على هذا الاجراء فقد استغرقت وقتا آخر فى تنفيذها ، ولهذا فقد وجه الحاكم العام فى شهر يوليو ١٨٧٠ انتقادات الى الاميرالية ذكر فيها : ان رجال الاميرالية يأخذون منا الاموال ولا يفعلون شيئا فى مقابلها ، ومثلهم مثل البوليس لا تراهم فى اماكنهم على الاطلاق ، والواقع ان سفن الاسطول الملكى يندر أن تدخل مياه الخليج ولا يمكن توجيه اللوم لهم على ذلك ، فقد صرح السير هيث (قائد أسطول الهند الشرقية بأن السفن التابعة له لا تستطيع بحالتها الراهنة واطقمها من البحارة والضباط أن تجازف فى البقاء فى مياه الخليج خلال الجزء الأكبر من العام ، اما رجال القانون فيقولون أنه طالما أن هذه السفن غير خاضعة لقانون التمرد أو بقوانين البحرية التجارية فانها تعتبر سفنا للقرصنة ، ورغم ذلك فهى قد نجحت فى مهمتها وفى حفظ الأمن) .

لم يكن الحبر قد جف على صك عقد ايجار بندر عباس حتى أصبح لا قيمة له نتيجة الاطاحة بالسيد سالم بن ثوينى . كان السيد سالم صنيعا

المطاوعة (رجال الدين) منذ بداية حكمه ، وكان يعتمد على تأييد تحالف قبلي بزعامة السيد عزان بن قيس ، ولم يتضح في ذلك الوقت ما اذا كان السيد سالم قد استتب له النفوذ واستطاع ان يدغم سلطته في البلاد او ان السيد عزان بن قيس هو الذي لم يقدر اخفاء اطماعه اكثر مما فعل ، واما كان الامر فقد حدث في شهر سبتمبر عام ١٨٦٨ ان قام المطاوعة بتأييد الشيخ صالح بن علي الحارثي بلاطحة بالسيد سالم ، ففي يوم ٢٩ من سبتمبر تحركت مجموعة من رجال القبائل تحت قيادة عزان بن قيس باختلال مدينة مطرح والممرات المؤدية الى مسقط ، ثم بعد يومين شنت طريقها الى قلب العاضمة ، وقد تمكن السيد سالم من الهرب والتجأ للقعة الميراني ، وقد جاء في تقرير المعتمد السياسي البريطاني في مسقط يومئذ ، ان انتقال السيد سالم من قصره الى القعة قد تم بحمله اليهنا نتيجة الخوف الذي استولى عليه غير انه استعاد رباطة جأشته بسرعة ، واتخذ يطلق النار من قلعتي الميراني والجلالي على العمانيين لمدة ٤٨ ساعة متواصلة ، وفي مساء ٣ اكتوبر وصل المقيم بيلي على ظهر الطراد فيجلاند ، وفي ٦ اكتوبر انتقل الطراد من مدينة مطرح الى العاصمة مسقط واستولى على بعض السفن التابعة لرجال عزان بن قيس ، اما الكابتن اتكنسون المعتمد السياسي البريطاني في مسقط فقد اعترض على التدخل نظرا لان ذلك الاجراء سيعرض الرعايا البريطانيين لاجراءات انتقامية ، غير ان بيلي تمسك بموقفه وقال بانه من الافضل ان تقوم الحكومة البريطانية بالمحافظة على الاوضاع كما هي ، غير ان اتكنسون كان يرى ان بيلي قد تصرف من موقع الذي لا يفهم الاوضاع في البلاد ، نظرا لانه لم يات الى مسقط الا نادرا ، واذا جاءها فيكون مجيئه على سفن مسلحة ، وفي ليلة ٦ اكتوبر لحقت السفينة هيوز بالسفينة فيجلاند في مسقط ،

جوزد وصواما بعث بيلى بقوة مسلحة إلى الشاطئ، اتخذت مواقعها على
بشارف قلعة الميراني وأطلقت الصواريخ والأسلحة الصغيرة لمدة خمس
ساعات . وباد اكنسون فى محاولته لاقتناع بيلى بوقف عملية التدخل ،
وذكر له بأن استخدام القوة دفاعا عن السيد سالم لم يكن إجراء يتعارض
مع أوامر الحكومة البريطانية فحسب ، ولكنه عمل سيورها فى تأييد
حاكم لم تعد له أية امكانيات الآن ، غير أن بيلى رفض نصيحة اكنسون
وأستمر فى التصيف على أساس أن ذلك العمل هو حماية للرعايا
البريطانيين ، واتهم اكنسون فى معارضته للإجراء العسكرى بأنه كان
ضائعا مع السيد عزان بن قيس . وفى صباح اليوم التالى ٧ أكتوبر
وصلت السفينة المسلحة سند قادمة من جواذر تحمل رسالة من حاكم
بومباى تنص بالامتناع عن استخدام القوة نيابة عن السيد سالم .

وفى يوم ٨ أكتوبر وقع السيد سالم صلحا مع التمرديين من رجال
القبائل ، وفى يوم ٩ منه لجأ إلى الطراد فيجلاند بعد أن وافق على التنازل
عن السلطة ، وفى يوم ١٢ أكتوبر سافر إلى بندر عباس ، بينما توجه بيلى
إلى بومباى ليضع تقريره عن الأحداث التى وقعت فى سلطنة عمان ، ويبدو
أنه قد نجح فى اقناع فيترز جيرالد بالإجراءات التى اتخذها فى مسقط
لأنه لم يصدر أى اعتراض أو نقد ضد تصرفه مع أن عددا آخر من
المسؤولين البريطانيين قد تلقوا توبيخا أو فصلوا من مناصبهم لأسباب
تعد أقل خطورة من تلك للإجراءات التى اتخذها بيلى ، وفى بومباى اجتمع
بيلى بالسيد تركى حيث كان يقيم تحت المراقبة وقد طالبه السيد تركى
بالإسماح له بالعودة إلى عمان والتصدي لعزان بن قيس ، وقال له بأن
الصراع لم يعد بين السيد عزان والسيد سالم وإنما أصبح بينه وبين
السيد عزان ، وبما أن السيد عزان لا يتمتع بتأييد الغالبية العظمى من

القبائل ، وبأن عزان بحكم السوابق يميل الى الوهابيين ولا يتمتع بالكفاءات التي تؤهله للحكم فقد وافق حاكم بومباي على مقترحات بيلى واحالها بدوره الى حكومة الهند لابداء الراى فيها ، غير أن حكومة الهند رفضتها ، وذكر المسؤولون فيها بأنه لم يتأكد انتهاء دور السيد عزان من السلطة تماما وتأييد الغالبية العظمى من رجال القبائل للسيد تركى بن سعيد .

فى الوقت الذى كان بيلى مشغولا بتأييد السيد تركى تم انتخاب السيد عزان بن قيس اماما لعمان ، وفى يوم ٢٩ أكتوبر بعث اتكنسون بالتقرير التالى : « اننى لا أستطيع أن اتحدث عن الطريقة التى كانت متبعة فى انتخابات الامامة فى الماضى ، ولكن ليس هناك ما يدعو الى القول بأنها تختلف عن الطريقة التى اشار اليها الاب بادجر وهى أن يعقد علماء البلاد الذين يمثلون النخبة من رجال الدين اجتماعا للتشاور فى اختيار الامام على أن يتقيدوا فى هذا الاختيار بقوانين الشريعة الاسلامية » وقد حدث نفس الاجراء عندما تم خلع السيد سالم (راجع تقرير اتكنسون) وأن رجال الدين الذين خططوا لذلك الانقلاب دون اشتراك اى زعيم علمانى يؤلفون جميع قبائل الهناوية فى البلاد وانتخبوا واحدا منهم هو السيد عزان بن قيس كامام يجمع بين السلطتين الدينية والعلمانية وقد تمت عملية الانتخاب وكانت الاجراءات الخاصة به بتأييد المواطنين وكان يشرف على مجلس الانتخاب زعيما الهناوية سعيد بن خلفان الخليلى ومحمد بن سليمان الغربى من آل سعد .

لم يكن فى وسع اتكنسون بأن يؤكد أن ينفى ما اذا كان انتخاب السيد / عزان للامامة قد تم بتأييد من سكان البلاد ، وعلى أية حال فان اجراءات بيلى ذات الطابع العدائى قد عجلت من عملية الانتخاب ودفعت القبائل الى الالتفاف حول شخص الامام عزان بن قيس ، ومن هنسا

فان زعماء قبائل الحرث والحجريين وبنى بوحسن والحجوس الذين كانوا سابقا من انصار آل بوسعيد تحولوا كلهم الى تأييد عزان ، كما كشف الشيخ صالح بن علي لانكسسون بأنه كان من المحرضين على التمرد ضد السيد سالم ، وان صحار وسمايل وينقل وصور كلها قد أعلنت الولاء لعزان بن قيس ، وفي الاسبوع الثاني من نوفمبر تأكد لانكسسون بأن مركز السيد/عزان فى عمان قد أصبح ثابتا وقويا ، وذكر للمسئولين فى حكومته بأنه يتمين عليها بأن تضع فى الاعتبار ان الطريقة التى انتخب بها الامام هزان كانت قانونية ، وأصبح عزان بموجيها هو السلطان وهو الامام ، وبأن الصبغة الدينية لنظام حكمه تكفى بأن تخرس اللسن باستثناء بعض الافراد والاتباع كذلك كان اتكنسون قد تأكد بأن حكم السيد عزان قد توطد خارج مسقط أيضا (اننى فى حدود معرفتى فان البلاد كلها قد اعترفت بعزان كحاكم وان شعبيته قد أصبحت شاملة وبأن الامل الوحيد للسيد تركى هو اذا حدث أن تحول الشعب عن تأييد السيد عزان ، أنه اذا تمكن السيد تركى من حشد تأييد القبائل العمانية حوله فقد يتمكن من الاطاحة بعزان او اذا حصل على مساعدة من الخارج ، واخيرا حذر اتكنسون رؤسائه بأنه من الخطأ الامتقاد بان السيد عزان او الفريق الحاكم حاليا فى عمان هم من الوهابيين ، وانما الاصح ان نقول انهم ضد الوهابيين ومعارضون لمذهبهم ، والشئ الوحيد الذى أخشاه هو أن يرفض العمانيون دفع الزكاة الى نجد ، ولكن عزان كحاكم يبدو مضطرا الى مسأيرة الوهابيين ، اما كأمام دينى فلا يمكن أن يكون هناك التقاء بينه وبين الوهابيين .

جاءت مبادرة الهند لفهم آبعاد ما حدث فى عمان متأخرة وقد يعود ذلك الى الأهمية التى اولوها لتقارير بيلى والتى كانت تؤكد لهم بأن السيد

عمران إداة في يد الوهابيين، وأن نتيجة قوليه الحكم في عمان هي أن تتحول عمان إلى دولة صنيعة لنجد، وهناك سبب آخر وهو اعتقاد حكومة الهند بأن حكم عمان لا ينبغي أن يتعدى أسرة آل بوسعيد وأنها إذا سمحت لأي شخص يتصب للسلطة بأن يتولى الحكم في عمان تكون قد تنكرت لحليفها القديم، وعلى أية حال فربما كان أهم سبب لوقف حكومة الهند بعد تجزئتها مع السيد سالم هو عدم اتخاذ قران متسرع بالاعتراف بالحكام في مسقط، وفي يوم ١١ ديسمبر أترك اتكنسون إلى بومباي بأن السيد عمران يتولى إيفاد مبعوث شخصي إلى بومباي وأنه يطلب من حكومة الهند استقباله، ولكن حكومة الهند ردت على برقيته برسالة مقتضبة جاء فيها: «لقد سبق أن أوعدنا أنك بعد الاعتراف بعمران كأمم أو سلطان على عمان، ولكنك يبدو مما ورد في برقيتك أنك قد خالفت تلك التعليمات، ذلك أن حكومة الهند تفكر في اتخاذ موقف محايد فيما يتعلق بالتدخل المباشر، وأن تتبع سياسة مراقبة الأحداث وانتظار النتائج».

وعلى أية حال فإن تولى عمران السلطة في عمان كان بمثابة قرصة للسيد ماجد، وأن السيد ماجد لم يتردد في اغتنامها ليتخلص من دفع المعونة السنوية للمنقط، وعلى الرغم من تفهد السيد ماجد للحاكم العام في ١٨٦٧ فإنه لم يدفع الأقساط المستحقة عليه بالكامل حتى شهر مايو، ثم أعقب ذلك الموقف ببيان مفاجئ يرفض فيه دفع أي معونة، ثمما يصله رد ملكة إنجلترا بشأن تظلمه ضد قرار الحاكم العام، وفي شهر نوفمبر سنة ١٨٦٨ وصل مبعوث السيد ماجد إلى لندن بخطاب التظلم إلى الملكة.

تفتتحت اللجنة السياسية لمجلس شؤون الهند إلى موضوع المعونة في شهر يوليو، أثناء مناقشتها بشأن تجديد عقد إيجار بندر عيسى

لحكومة مسقط وتخصيص قوة بحرية للعمل في الخليج . وقد ذكر كيه عضو الإدارة السياسية ولسرية أمام اللجنة بأن هناك خلافات في وجهات النظر بين وزارة الخارجية ومجلس شئون الهند . وحرصا من وزارة الخارجية على تحقيق نجاح بشأن تجارة الرقيق وافقت على اعفاء السيد ماجد من المعونة مقابل التنازلات التي سيقدمها في موضوع محاربة الرقيق ، وكان لمكتب شئون الهند موقف مختلف ، فقد كان يعتبر شأنه بشأن حكومة الهند . أن قرار كاتنج يمثل (وحدة عائلية) بحيث لا يمكن أن ينظر مفعول القرار بتغيير الحكم في مسقط ، وإذا سلمنا بحق السيد ماجد في التنصل من التزاماته هذه فلا بد والحالة هذه أن نسلم بحق مسقط في شن الحرب على زنجبار لأرغامها على دفع المعونة . وبدلا من التلاعب بقرار كاتنج سيكون من الأفضل على حد رأى كيه أن يتم الدفع للسيد ماجد مباشرة مقابل تنازله عن تجارة الرقيق وذلك كمقترح السير جورج كلارك في عام ١٨٦٢ عندما كان حاكما في بومباي وذلك على الرغم من اعتراف كيه بأن وزارة الخارجية رفضت هذا الاقتراح في ذلك الوقت . وقد كانت تجارة الرقيق ومحاولات القضاء عليها من اختصاص حكومة لندن وإلا علاقة لها بحكومة الهند ، وبالتالي فليس هناك مبرر لتحميل حكومة الهند نفقات تلك الحملة ، ويستطرد كيه فيقول بأنه قد لمس بعض المشكلات الناتجة عن هذا الموضوع وعن غيره من الموضوعات المرتبطة به بسبب وجود ازدواجية في توجيه الشئون البريطانية مع شئون الجزيرة العربية وقارس وأفريقييا الشرقية ، فالمفوضية البريطانية في طهران تخضع لوزارة الخارجية البريطانية ، بينما تخضع القنصلية العامة في بغداد والمعتمد السياسي البريطاني في زنجبار لكل من مكتب شئون الهند ووزارة

الخارجية البريطانية ، اما المقيم السياسي في الخليج وفي عدن فيخضع
لمكتب شئون الهند ولهذه الاسباب فقد اقترح بيلي كحل لهذه التناقضات
وما ينتج عنها من تعطيل وتأخير اخضاع كل هذه الادارات لجهة واحدة وهي
مكتب شئون الهند .

اقراعضاء اللجنة السياسية هذه المقترحات على الرغم من ان فريز
قد ذكر بان ما قيل في اللجنة حول وضع السيد ماجد كان باقل ما سمح
به كيه وبما ان حكومة الهند قد ظلت ترفض منذ وقت طويل لكل من مسقط
وزنجبار بان يحتكما الى السيف فانها تعتبر ملزمة بحكم كلمة الشرف بتحلل
الخلافات بينهما ، وبدلا من ان تفرض هذه الحكومة على السيد ماجد دفع
المعونة الى مسقط ينبغي ان تقوم هي بدفعها عنه او تساهم مع حكومة
الامبراطورية في دفعها وبانه اذا وافقت على ذلك فان السيد ماجد على
حد اعتقاد فريز سوف يقدم التنازلات المطلوبة .

في شهر ديسمبر سنة ١٨٦٨ حصل تطوران ساهما في تعزيز رأي
وزارة الخارجية الاول هو وصول معلومات عن استيلاء السيد عزان بن قيس
على السلطة في مسقط والثاني هو تولى بلايستون رئاسة الوزارة في
انجلترا ، وكنتيجة لهذا التشكيل الجديد عاد كلارندون الى وزارة
الخارجية ، كما عين ديوك أوف ارجيل وزيرا للدولة لشئون الهند ،
اما كلارندون فقد كان يعتقد بان السيد عزان تولى السلطة في مسقط عن
طريق الإغتصاب ، وهذا يعزز الرأي الذي يدعو الى وقف معونة زنجبار
عن مسقط ، كما يضيف من رأي حكومة الهند بان قرار كاتنج غير قابل
للنقض ، وعلى هذا فمن حق السيد ماجد ان يرفض دفع المعونة الى السيد
سالم الذي اغتال والده او الى السيد عزان الذي اغتصب الحكم من ابن
اخيه . غير ان ارجيل لم يكن يؤيد جرمان حكومة مسقط من المعونة فقد

أشار بأن وزارة الخارجية قد أوضحت في مذكرة لها في ديسمبر سنة ١٨٦٨ بأن نقض قرار كاننج إجراء غير قانوني للأسباب التي أوضحناها رقم أن كلا من السيد سالم والسيد عزان يتميان إلى أسرة واحدة ، وهذان الجانيان لا يلتقيان إلا حول نقطة واحدة ، وهي محاولة التلصص من دفع المعونة لسقط أما وزارة الخارجية فكانت ترى بأن المعونة تشكل عبئا على موارد زنجبار مما اضطر سلطان زنجبار إلى الإبقاء على تجارة الرقيق لكي يتمكن من دفع تلك المعونة . والمكس صحيح أيضا ، فلو أعفى السيد ماجد من دفع المعونة لتخلي عن تجارة الرقيق وتعاون مع الحكومة البريطانية في مكافحتها وقال أرجيل « اننى أوافق وزارة الخارجية بأن مكافحة الرقيق قضية هامة بحيث ينبغي لنا أن نسمى إلى تحقيقها إذا استطعنا ، ورغم ذلك فاني لا أوافق وزارة الخارجية على اقتراحها بوقف المعونة من مسقط ، وعلى الرغم من أن السيد سالم قد اغتال والده للوصول إلى السلطة ، غير أن حكومة الهند قد اعترفت به وعلى أية حال فانا كما يقول أرجيل لو حاولنا استقصاء الوسائل والسبل التي يستخدمها حكام الشرق لتحقيق أطماعهم فسوف يتعذر علينا وضع أسس ثابتة لتعاملنا معهم ، أما القول بأن السيد عزان لا ينتمي إلى الفرع الأصلي لأسرة آل بوسعيد ، فان أرجيل يعتقد بأن هذا أمر لا أهمية له ، وأن قرار التحكيم لم يكن واضحا في تحديد التزامات أحفاد سلطان مسقط السابق .

بالرغم من هذه الاعتراضات فان أرجيل يعتقد أن يعفى سلطان زنجبار من دفع المعونة لحاكم مسقط إذا كنا نعتبر مكافحة تجارة الرقيق مسألة على جانب كبير من الأهمية . أما إذا كان تفسير قرار التحكيم يقتصر على أحفاد السلطان السابق فيمكن اثبات هذا الرأي بصورة واضحة وطى لهذا الأساس فإن المعونة يجب أن تتوقف أما إذا كان هذا التفسير غير واضح

فإن على الحكومة البريطانية أن تتحمل دفع المعونة وعلى أساس هذه الإراء التي عرضها أرجيل أبلغ كلارندون بمبعوث سلطان زنجبار بأن الحكومة البريطانية توافق على طلبه . وفى يوم ٦ يناير ١٨٦٩ أو بعد ثلاثة أسابيع بعث أرجيل بمذكرة مطولة الى حكومة الهند استعرض فيها الظروف السياسية المعقدة فى الخليج وعلى سواحل أفريقيا الشرقية ، كما بين فيها ارتباط معونة زنجبار بهذه الأحداث ومدى تأثيرها على الجهود المدولة للقضاء على تجارة الرقيق .

وعلى حد رأى أرجيل فإن الموضوع الأساسى لهذه المشكلة هو سمة الحكومة البريطانية وارتباطها بمسألة تطبيق قرار كانج فى ضوء الظروف المتغيرة فى المنطقة وعلى الأخص فى مسقط ، فقد اقامت فى مسقط تمردين وأن التمرد الثانى قد تم بتأييد من دولة خارجية على حد رأى أرجيل ، والنتيجة على ما يبدو هو أن وهابى عمان فى الداخل قاموا بالاستيلاء على السلطة فى مسقط وذكر أرجيل بأنه اذا تمكن عزان من توحيد حكم مركزه فى البلاد فلا بد لنا من الاعتراف به على أساس الأمر الواقع ، ولكن أرجيل استطرد وتساءل عما اذا كان السيد عزان يتمتع بنفس الامتيازات والحقوق التى كان يتمتع بها السيد ثوينى وخلفاؤه من بعده بمقتضى قرار كانج ؟ وبالتالي لا يمكن أن نضع اللوم على السيد ماجد لرفضه دفع المعونة المالية لحكام جاءوا الى السلطة بطريقة غير شرعية ، وفوق ذلك فقد كان السيد ماجد يقول دائما بأن دفع هذه المعونة الى مسقط ينبع من العمل على وقف تجارة الرقيق فى زنجبار ، أما الآن فهو قد جاء يعرض على حكومة إنجلترا التخلي عن تجارة الرقيق بشروط اعفائه من دفع المعونة ، ويستطرد أرجيل فيقول ثم

ان تطور الأحداث على ما يبدو يعزز موقف سلطان زنجبار من هذا الموضوع بمعنى أن التمرديين الآخرين في مسقط قد أحدثوا تغييراً كبيراً في العلاقة التي تربطه بحاكم مسقط بحيث لم يعد السيد ماجد مسئولاً عن هذه المعونة ولو أننا تدخلنا في الأمر فمن المحتمل أن يؤدي هذا التدخل إلى الحرب غير أننا قد التزمنا بمنع نشوب حرب بين زنجبار ومسقط ، وذلك بما تشكل من خطر على السلام والأمن في هذه المنطقة ، وما دمنا نبحت هذا الأمر فیتعين أن نتوصل إلى تفسير واضح للاتفاق الأصلي الذي فرضناه فرضاً تحت ظروف مختلفة تماماً عن الظروف الحالية ، وبالتالي فليس من حقنا أن نستغل تقوفاً في القوة لفرض استمرار دفع المعونة من زنجبار إلى مسقط إذا كنا لم نتفق على تفسير محدد لقرار كالتج كونه بعد أن أصبحت الحكومة في مسقط حكومة لا تمت بصلة إلى أسرة الحكم السابقة . وقد ترى أيضاً بأن التعمد الذي التزمنا به حكومتنا لاستمرار دفع المعونة ومنع السلطان من وقف تلك المعونة لمسيق حتى ولو نشبت الحرب فیتعين علينا أن نقوم نحن بدفعها عن طريق حكومة الهند . أما فيما يتعلق بالسياسة التي ننتهجها بالنسبة لهذه القضية فإن الهدف الوحيد من المحافظة على العلاقات القائمة بين مسقط وزنجبار هو هذا الهدف فمن المرغوب فيه أن يكون سلطان مسقط على شيء من القوة حتى يتسنى له المحافظة على الأمن على طول هذه السواحل ، ومن ناحية أخرى فإن وقف المعونة عن مسقط قد يدفع حاكمها إلى الطرق غير الشرعية وإلى حث المؤامرات لزيادة موارده ، أو ربما يلجأ إلى عمل عسكري ضد زنجبار لاسترجاع ما فقد من مصالح ، كما أنه من ناحية أخرى لو قدر لحكومة مسقط أن تخضع للعرب الوهابيين ، فإنها سوف تتحول إلى دولة قوية بحيث لا تحتاج إلى المعونة التي تحصل عليها من زنجبار .

وإذا تبين بأن سمعة الحكومة البريطانية ، بالرغم من التغيرات التي حدثت في مسقط وبعد استمرار الظروف التي سبق الإشارة إليها بأنها ملزمة بأن ترغم زنجبار لدفع تلك المعونة فإننا ينبغي أن نتأكد بأنه في حالة التزامنا نحن بدفع تلك المعونة أن نحصل على تنازلات هامة من كل من حكومتى مسقط وزنجبار يكون فيها تعويض لنا عن هذه التضحية ، أما فيما يتعلق بمسقط فإن هذه التنازلات ممكنة لمصلحة أمن وسلامة الخليج ودرجة تعادل النفقات التي سوف نتكدها نتيجة لدفع المعونة بالإنابة عن حكومة زنجبار ، كما سيؤدي هذا الإجراء في الوقت نفسه إلى إعفاء سلطان زنجبار من تلك الالتزامات المالية في مقابل التنازلات التي سيقدمها في مجال تجارة الرقيق ، وهو الأمر الذي تعلق عليه الحكومة البريطانية بالغ الأهمية ، غير أنني لا أنصح بأن تتكفل الحكومة البريطانية بدفع هذه المعونة إلا إذا كان هذا الأمر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بسمعتها ويضمن المصالح الجوهرية البريطانية في الخليج ، ولقد سبق لوزير الدولة للشؤون الخارجية أن أعرب في عبارة صريحة بأنه ليس في وضع يسمح له بمطالبة الخزانة البريطانية دفع أي مبلغ سنوي لحكومة زنجبار كمكافأة له على وقف تجارة الرقيق ، وبالتالي فإذا كان لابد للحكومة البريطانية من التمسك بدفع هذه النفقات فعلى حكومة الهند أن تتحملها ، وأن يتم ذلك في نطاق المصلحة بأن يعود بالفائدة على الهند لوقف الاضطرابات في الخليج ، وبهذا الإجراء تعفى الحكومة البريطانية مر دفع هذه المعونة .

لم يكن الأيرل أوف ماير الذي خلف لورنس في منصب حاكم عام الهند في شهر يناير فلما بهذا الموضوع ، ففي رده على أرجيل استند على معلومات حكومة الهند في هذا الموضوع ، وكانت حكومة الهند ترى أن مقترحات وزير الدولة مقترحات غير واضحة ، ولا يمكن قبولها ، كما

قالت بان كاتنج كان يقصد ان يكون قراره قرارا نهائيا يعوض سلطان مسقط عن جميع تنازلاته لزنجبار كحل لمشكلة عدم المساواة في الارث بين الحاكمين ، وبالتالي فلا يمكن نقض هذا الحكم حسب رأى أرجيل ، نظرا لان السيد ثوينى قد توفى ولم يترك وريثا مباشرا له ، وبان نظام الحكم فى مسقط لم يخضع دائما لنظام الوراثة ، لان شرعية الخلافة تقوم على تأييد القبائل للحاكم ثم ان استمرار معونة زنجبار لمسقط قد تم اثبت فيها وفقا للاعتبارات السياسية لا على اساس حل الخلافات بين الطرفين ، وحتى ذلك الوقت كانت حكومة الهند ترى الا يتوقف دفع المعونة بوفاة احد السلطانين أو كلاهما والا كان من غير المعقول على الاطلاق ان نطالب حكومة مسقط بالتنازل عن حقوقها فى زنجبار مقابل تمويض بسيط زهيد كتلك المعونة ، واما من وجهة نظر الحكومة البريطانية فان الاتفاق على دفع المعونة يقوم على اساس انه اجراء لازالة مصدر من مصادر الصراع بين الحكومتين ، ولدعم مركز حكومة مسقط فى الخليج ، ومن هنا يرى وزير الدولة ان المعونة لم تعد واجبة الاداء فى الظروف الراهنة ، وانه قد طلب من حكومة الهند بان تقرر ما اذا كانت هناك مبررات لمنع السيد ماجد من التملص من هذا العبء عن طريق القوة المسلحة تأسيسا على المتغيرات التى تمت فى مسقط ، غير ان مثل هذا الراى فى نظر حكومة بومباى هو عمل يهدف الى التحايل على الموضوع لان الامر الاساسى فى كل هذا هو ما اذا كان من حق حكومة الهند ان تحول بين حاكم مسقط ومحاولة تأكيد حقه فى تلك المعونة بقوة السلاح اذا لم تقم الحكومة البريطانية بارغام حاكم زنجبار بدفع المعونة الى مسقط . لكن حكومة بومباى احتفظت برأىها النهائى بالاقتراح الخاسر بان تتولى الهند دفع المعونة بنفسها بشرط ان يتخلى السيد ماجد عن تجارة الرقيق .» يرى وزير الدولة على ما يبدو ان هذا الموضوع يفرض منا مباشرا حكومة

الإمبراطورية مما يحملها على أن تؤكد بالألا تتحمل حكومة الهند أية نفقات من هذا القبيل ، ويضيف وزير الدولة بأن هذه المرة الأولى التي يعرض فيها عليه اقتراح بأن تتحمل خزينة الهند عبء هذه المعونة .

وقد آيد مايو كل ما ذكرته حكومة بومباي في هذا الشأن وكتب إلى أرجيل يقول : « ان الهدف من قرار كاننج هو تأييد حق مسقط في معونة زنجبار ، والتزام حكومة زنجبار التزاما قانونيا بدفع هذه المعونة ، وبأن الأحداث الأخيرة في مسقط لم تغير شيئا من هذا الموضوع ، كما أننا نعتقد بأن سمعة الحكومة البريطانية وأمانتها السياسية تحتم عليها الالتزام باستمرار حصول حكومة مسقط على هذه المعونة ، وبأن الاعتبارات السياسية التي حفلت اللورد كاننج على وضع تلك التدابير لا تزال قائمة ، كذلك نتفق مع حكومة بومباي في رأيها بأن موارد الهند لا تسمح لها بدفع هذه المعونة ، وإذا أخذنا كافة الاعتبارات في الحساب فليس هناك ما يضطرنا إلى أن ندمو إلى تعديل هذه التدابير أو إلغاؤها .

كان رد مايو بمثابة النكسة لمساعي كلارندون غير أن ذلك لم يشه عن مواصلة جهوده فقد كان مصمما على المضي في استخدام معونة زنجبار لمسقط للحصول على تنازلات في موضوع تجارة الرقيق ، حتى لو كان ذلك على حساب المصلحة البريطانية في مسقط والخليج ، لقد كان كل من كلارندون وأرجيل ينتهجان سياسة خطيرة خلال سنة ١٨٦٩ بهدف تحقيق مكاسب على حساب المصالح البريطانية ، وقد ظهر هذا الموقف بوضوح بالنسبة لكلارندون خلال الأزمة التي نشبت بين فارس والبحرين ، وهى حين عاد أرجيل فأدرك خطورة هذه اللعبة بعد وقت قصير ونتيجة لمنامى كيه وغيره ، فقد ظل كلارندون متمسكا برأيه . ان اتفاق ١٨٦١ قد نتج عنه تحسن مؤقت في سلوك محمد بن خليفة حاكم البحرين ،

فقد ظل يعيش في سلام مع جيرانه على مدى أربعة أعوام ، ولم يلجأ إلى أي عمل يضر بالامن في منطقة الخليج ، لكنه في أواخر ١٨٦٥ استغل فرصة غياب المقيم البريطاني عن بوشهر وعدم وجود أي طراد بريطاني في مياه الخليج لمطالبة التجار الهنود الحاملين للجنسية البريطانية ببعض الاتاوات كما رفع نسبة الرسوم الجمركية المفروضة على التجار ، وهو اجراء يناقض البند الرابع من اتفاق عام ١٨٦١ ، وعند عودة بيلى إلى الخليج أمر بمصادرة إحدى السفن الشراعية التابعة لمحمد بن خليفة ورفض اعادتها اليها ما لم يدفع تعويضات مالية عن الخسائر التي لحقت بالتجار الهنود ، ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الفارسية قد قدمت احتجاجا على التدخل من جانب حاكم البحرين ضد رعايا فارس ، وتعزيزا لهذا لاحتجاج سلمت الحكومة الفارسية إلى الوزير البريطاني المقوض في طهران نسخة من الاتفاق المعقود بين أمير شيرز والكابتن بروس عام ١٨٢٢ وعلى الرغم من أن حكومة بومباي لم ترض عن الطريقة التي تصرف بها بيلى تجاه الاجراءات التي اتخذها محمد بن خليفة وأعربت عن أسفها للفرصة التي أتاحتها بيلى للفرس لخلق المتاعب في منطقة الخليج إلا أنها لم تكن مستعدة لتلبية رغبات الفرس .. « مهما تكن مطالب الحكومة الفارسية ولاسس التي بنيت عليها تلك المطالب فليس للشاه في حقيقة الامر أي حق في البحرين أما مكتب شئون الهند فكان يرى الموضوع من نفس الزاوية .. » « أن البحرين بلد مستقل رغم أن حاكمها يدفع الزكاة إلى الأمير الوهابي كريع لبعض الاراضي التي يملكها الأمير على الساحل العربي للخليج » ولهذا كانت سياسة الحكومة البريطانية تجاه هذا الموضوع تقوم على أساس أن شيخ البحرين مسئول عن التزاماته كحاكم مستقل بصرف النظر عن ادعاءات فارس بتبعيته لها ونفس هذا الموقف ينطبق على المطالب التركية في جزيرة البحرين .

وبعد وفاة الأمير فيصل توقف محمد بن خليفة عن دفع الزكاة وتجاهل التهديدات التي وجهها اليه الأمير عبد الله بن فيصل خلال عام ١٨٦٦ بخصوص هذا الأمر ، وكان مبلغ الزكاة التي يطالب بها الوهابيون لا يتعدى أربعة آلاف ريال نمسوى سنويا ، وكانت هذه الزكاة تدفع على أساسى شرط واحد وهو أن يتمتع الوهابيون من الاعتماد على رعايا وممتلكات آل خليفة فى قطر وفى أوائل عام ١٨٦٧ قامت ثورة صغيرة ضد محمد بن خليفة من قطر ، واعتقل المبعوث الذى أوفده شيخ البحرين للتفاوض مع الثوار . وبما أن الشيخ محمد بن خليفة كان قد عقد العزم على استرجاع السلطة التى فقدتها فى قطر فقد ارسل قوة كبيرة لاختضاع المتمردين هناك وذلك فى أكتوبر عام ١٨٦٧ وطلب من شيخى ديبى وأبو ظبى أن يساعدها على قمع تلك الثورة ، وقد استجاب له شيخ أبو ظبى ، بينما رفض شيخ ديبى طلب محمد بن خليفة ، وكان الشيخ زايد حاكم أبو ظبى فى ذلك الوقت يعتبر أقوى زعماء منطقة الساحل منذ وفاة خصمه الأول سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة فى عام ١٨٦٦ والذى كان يعتبر آخر زعماء القراصنة الكبار (١) . وفى أكتوبر ١٨٦٧ أبحر الشيخ زايد الى قطر على رأس

(١) توفي الشيخ سلطان كما عاش ويتمين على ابلاغكم بوفاة الشيخ سلطان بن صقر حاكم رأس الخيمة عن عمر يناهز ١١٥ عاما هذا ما جاء فى رسالة بيلى من يوشهر فى شهر أبريل ١٨٦٦ لقد تزوج الشيخ صقر فتاة شابة عمرها ١٥ سنة واصيب بالشلل بعد ذلك مباشرة وكان يقوم برحلات بحرية بحثا عن طيب عندما فاجأته المنية (مكتب شئون الهند) مداوالات الهند الخارجية (سياسى) حلقة ٤٣٧ مجلد ٦٧ مايو سنة ١٨٦٦ رقم ١٨٧ من بيلى الى جون ١٨٦٦/٤/٢٣ (رقم ٢٦ الإدارة السياسية) أن عمر سلطان الحقيقى هو ٦٧ عاما وقد سبق أن ذكر الكولونيل كامبل =

سبعين سفينة وألفين من الرجال وقد أثار هذا الحشد الذعر بين سكان المناطق الساحلية فناشدوا الشيخ زايد بوقف الهجوم ، فوافق الشيخ ريثما يصل أسطول البحرين ، وعند وصول هذا الأسطول شن محمد بن خليفة هجوما قاسيا على سكان قطر اكتسح به الدوحة والوكرة وغيرهما من موانئ قطر ، واضطر الأهالي الى الفرار او مفادرة البلاد ، ثم ألق الأسطولان عائدين بحمولاتهما من الأموال والممتلكات المنهوبة . وقد رُبمنا ٥٠ ألف ريال نموى .

لم يتعرض هذه المنطقة منذ عقد اتفاقية الهدنة لعام ١٨٢٥ للإنتهاك صريح كهذا الهجوم ، وبمجرد ان علم المقيم بذلك الاعتداء بادر الى توجيه خطابات الى كل من محمد بن خليفة وزايد بن خليفة وطالبهما بتفسير واضح عن الاعتداء الذي قاموا به على قطر ، والواقع انه لم يكن فى وسع بيلي ان يفعل أكثر من ذلك ، نظرا لأنه لا توجد تحت تصرفه اى سفينة مسلحة ، كما كان بيلي لا يزال يتذكر توبيخ الحاكم العام له فى المصام المنصرم حول مضارته سفينة الشيخ محمد بن خليفة ، وعندما عرض الموضوع على حكومة بومباى أوعزت اليه بتحذير الشيخ زايد بن خليفة وتحميله مسئولية حرق اتفاقية الهدنة ، الا ان حكومة الهند خذرتة من فرض التويضات بالقوة على شيخى أبو ظبى ودبى قبل ان تتوفر لديه القوة العسكرية الكافية للقيام بهذا الاجراء . وكانت الأشهر القليلة التى اعقبت هذا الحادث فترة حرجة بالنسبة لبيلي ، فقد كانت قبائل المنطقة

على تقرير له قبل ١٢ عاما ان عمر سلطان كان ٨٥ عاما (مختارات بومباى مجلد ٢٤ ص ٢٩٣ معلومات احصائية ومتفرقة تتعلق بزعماء دول الساحل العرب فى الخليج .

على طول ساحل الخليج تراقب الأوضاع وتحاول أن تعرف الاجراءات التي
يسوف تتخذها بريطانيا حينئذ ذلك الموضوع ، فان لم تتحرك الحكومة
البريطانية وتقوم باجراءات رادعة فان ذلك يعنى أن نظام الهدنة قد فقد
مفعوله ، كما كان كل من الزعيمين يتخذ موقف التحدى من بيللى ، وقد
مرت ثلاثة أشهر قبل أن يتلقى المقيم ردا على تحذيره من الشيخ زايد بن
خليفة ، وقد كان الرد يتسم بالفظاظة ومحاولة التنصل من المسؤولية ،
أما الثانى فقد رد بطريقة مهذبة وان كانت حاسمة بأنه لم يقترف أى جرم ،
وانما تصرف فى اطار حقوقه المشروعة فى معاقبة رعاياه الذين تمردوا عليه
فى قطر . وفى شهر يوليو فوضت حكومة الهند بيللى بتوجيه تهمة انتهاك
اتفاقية ١٨٦١ الى شيخى المنطقة ومطالبتهما بايضاحات معقولة ، وقد تم
ارسال التحذير مشسفوفا بتهديد من الحكومة البريطانية وباللجوء الى
استخدام القوة اذا لم يرد الشيخان ردا مقننا ، غير أن هذا التحذير لم
يأت بنتيجة . كانت السفينة المسلحة ستد قد وصلت فى منتصف مايو
الا أن قبطان السفينة اعتذر لعدم وجود ذخيرة فيها .

فى هذا الوقت انفجر القتال بين قطر والبحرين بعد أن يس أهل
قطر من قيام المقيم البريطانى باجراءات رادعة ضد حاكم البحرين ، فقررت
أن تشن هجوما على البحرين انتقاما من البحرين . وفى أوئل يونيو أبحر
القطريون بسفنهم فالتقوا بأسطول البحرين شمال ساحل قطر ونشب
القتال عنيفا بين الطرفين قبل أن يسحبا ، وقد عاد بيللى بتوجيه التهديدات
الى حاكم البحرين بفرض العقاب عليه اذا لم يوقف القتال ، ومما يشر
التساؤل فى الأسباب التى دفعت بيللى الى اصدار حاكم البحرين على
الرغم من أن الأخير كان فى موقف الدفاع نتيجة لعجز السلطات
البريطانية عن المحافظة على الامن فى الخليج . وكان الحاكم الصام يرى

بغض الرأي، حيث أعرب عن أسفه حول الاجراء الذي اتخذه بيلي نظرا
لأنه لم يكن لديه القوة اللازمة لتنفيذ الانذار .

فى يوم ٢١ أغسطس وصل الطرادان فيجلاند وارجوس الى ميناء
بومباي ، الأول لاجراء الاصلاحات ، والثانى كان فى طريقه الى الصين ،
وقد وافق قبطان الطراد فيجلاند بناء على طلب حاكم بومباي على التوجه
الى الخليج فى ظرف اسبوع . وعلى أساس توصيات بيلي أوعز الى قبطان
الطراد بفرض غرامة قدرها ١٠٠ ألف ريال نمسوى (٢٠ الف جنيه
انجلى) على الشيخ محمد بن خليفة عقوبة له على خرقه نصوص
اتفاقية الهدنة البحرية ، كما طلب منه استعادة الممتلكات التى اغتصبت من
سكان قطر ، كما طلب منه فرض غرامة على شيخ أبو ظبى على أن تحدد على
أساس امكانياته المالية ، وان يطالب برد الممتلكات التى استولى عليها من
القطريين ، وفى بداية شهر سبتمبر وصل الطراد فيجلاند الى بوشهر ،
وبعد قليل انضمت اليه السفينتان هيوروز وسند بعد أن تزودت الاخيرة
بالذخيرة ، وأبحر الأسطول كله الى البحرين وعلى رأسه بيلي . أما محمد
ابن خليفة فقد لاذ بالفرار مع بعض أتباعه الى المناطق الداخلية من البلاد
واناب اخاه على الحكم ، وكان أول عمل قام به بيلي بعد وصوله الى
المنامة يوم ٦ سبتمبر هو استدعاء على بن خليفة الذى قبل شروط بيلي
بدفع الغرامة التى فرضتها حكومة بومباي ، وتم توقيع اتفاق بين بيلي
وعلى بن خليفة فى نفس اليوم . وفى ٧ سبتمبر تم تدمير قصر الشيخ
محمد بن خليفة فى منطقة المحرق واحراق أسطوله الحربى ، وبعد ان
انتهى بيلي من هذه الاجراءات اتجه الاسطول الى قطر (١) .

(١) بشأن قضية البحرين ص ١٦ - ١٨ أن اتفاق ١٨٦٨/٩/٦ قد
إعيد نشره فى كتاب « المعاهدات » اعداد ايتيستون جزء ١٠ ص ٢٢ .

وفي البكرة اجتمع بيلي بكبار رؤساء قطر برعاية محمد بن ثاني شيخ الدوحة ، وبالرغم من أن مهمة بيلي في قطر كانت تشمل ابلاغ زعمائها باستياء الحكومة البريطانية من العمليات الانتقامية التي قامت بها ضد البحرين في شهر يونيو ، إلا أنه لم يهتم بهذا الجانب من المهمة ، وإنما ركز على إعادة العلاقات مع البحرين إلى سابق عهدها ، خصوصا بعد أن تولى الحكم في البحرين حاكم جديد . وقد حصل بيلي في ١٢ سبتمبر على تفهد خطي من الشيخ محمد بن ثاني تعهد فيه الشيخ بعدم الاشتراك في أية أعمال حزبية في مياه الخليج ، وبأن يحيل أية خلافات إلى الحكومة البريطانية للتوسط فيها ، وبالإبقاء تحالفا مع حاكم البحرين السابق بل يقوم بتسليمه إلى المقيم البريطاني في حالة اعتقاله ، كما تعهد بأن يقيم نفس العلاقات السابقة مع حاكم البحرين الجديد . وقد كان لب الخلاف بين قطر والبحرين هو الزكاة التي كان يدفعها شيخ قطر لحاكم البحرين ، حيث اكتشف بيلي بأن من أسباب الصدام الذي وقع بين قطر وحاكم البحرين السابق هو الخلاف على قيمة الزكاة ، وعلى الطريقة التي تدفع بها . ودرءا لهذه المشاكل في المستقبل طلب بيلي من شيخ قطر بأن يتعهد بعرض أية خلافات حول الزكاة على المقيم (١) .

وفي ربيع العام التالي وضعت صيغة لدفع الزكاة بأشراف بيلي وقع عليها كل من حاكمي البحرين وقطر وقد قدرت بتسعة آلاف قرآن (١٠٠٠ جنيه استرليني) كل عام ، يدفع محمد بن ثاني بموجهتها

(١) المرفقات والرسائل السرية من الهند مجلد ٣ مرفق لخطاب الخارجية (سياسي) رقم ١٨٧ المؤرخ ١٠/٢٤/١٨٦٨ من بيلي إلى جون ٢٨٦٨/٩/٢٥ (رقم ١١١ الإدارة السياسية) ومسور في كتاب « المعاهدات » أعداد الميشينون .

٤. آلاف كوان فوراً الى كبير شيوخ النعيم في قطر، بينما يحول المبلغ
الباقى الى البحرين مباشرة ليتم ارساله من هناك الى الرياض، وقد
ذكر بيلى في تقريره عن هذه الاتفاقية بأن المفروض أن التعمد بدفع الزكاة
لا يمتنع استقلال قطر بالنسبة لعلاقتها بالبحرين وإنما هي مساهمة ثابتة
كجزء من مبلغ اجمالى تدفعه البحرين للرياض مقابل حماية الحدود بين
البلدين من الاعتداءات التى يقوم بها رجال البدو والوهابيون من قبائل
النعيم، وبالأخص خلال موسم صيد اللؤلؤ عندما يتوك رجال قطر البحرين
ديارهم ويتوجهون لصيد اللؤلؤ من قطر . أبحر بيلى الى أبو ظبي للاجتماع
بالشيخ زايد بن خليفة، غير أن زعيم بنى ياس اعترض على تدخل بيلى
واجتج على الاجراء الذى اتخذه ضد قطر، بأنه انتقام منهم لعلاقتهم
بالوهابيين وبأنه لا يجد سبباً لدفع الغرامة المفروضة، نظراً لأن ما تقام
به هو فى مصلحته ومصلحة الامن فى بلاده، وبعد نقاش اشتد يومين
وتخلله تهديد بقصف أبو ظبي أدرك شيخ بنى ياس جدية الموقف البريطانى
فيما يختص بالغرامة، وبالتالي وقع الشيخ زايد على تعهد خطى يوم ١٦
سبتمبر بعدم اللجوء الى مثل هذه الاجراءات فى المستقبل وباطلاق
سراح الرهائن من اهالى قطر وبدفع ٢٥ ألف ريال نمسوى كغرامة يسلم
١٠٠٠ منها فوراً والباقى يقسط على عامين، ثم عاد بيلى فاعفى الشيخ
زايد من دفع الجزء الأكبر من هذه الغرامة كما فعل نفس الشيء مع شيخ
البحرين .

ان تجارب الحكومة البريطانية مع فارس فى الماضى يجعلها تعتقد
أن الاجراءات التعسفية التى قام بها بيلى لن تمر بسلام، وقد تقدم وزير
الخارجية الفارسية باحتجاجه الاول على اجراءات بيلى الى الوزير
البريطانى المفروض فى طهران مشمها المقيم بانتهاك السيادة الفارسية للهجوم

الذى شنه على البحرين وأطاح بحاكمها ، وذكر فى الاحتجاج بأن الحكومة البريطانية قد سبق أن اعترفت بسيادة فارس على كل من عمان والبحرين ، وإذا كان هذا الإجراء يعتبر مخالفة لهذا الاتفاق فيتطلب عرض الأمر على حكومة طهران قبل اتخاذ أية إجراءات ، وإبلاغها بأن الحكومة الفارسية باغترام المقيم اتخذ مثل تلك الإجراءات ضد شيخ البحرين ، وأن الطريقة البهلوانية التى تصرف بها يبلى أخيراً تثير القلق من احتمال تعرض مناطق أخرى من فارس لنفس الإجراء . وقد أحال اليسون احتجاج وزير الخارجية الفارسية الى يبلى للرد عليه ، وقد آجاب المقيم بأنه يرى بأن الاحتجاج لا مبرر له ، وأن ادعاء الحكومة الفارسية باعتراف الحكومة البريطانية بسيادتها على عمان والبحرين هو أمر لم نسمع عنه من قبل ، وإنما الحقيقة هى عكس ذلك ، وأن الادعاء لا يعدو أن يكون ادعاء ملففاً وسبق للحكومة البريطانية أن رفضته أكثر من مرة ، أما اليسون فلم يكن يرى من الأسباب ما يدعو الى ابلاغ حكومة طهران مسبقاً عن أية إجراءات تاديبية قد تقوم الحكومة البريطانية بها ضد الدول البحرية على الخليج « ان المقيم السياسى البريطانى فى الخليج لم يكن فى أى وقت من الأوقات مسئولاً عن القيام بمسئوليته أمام الحكومة الفارسية وأن الجحجة التى تدرعت بها حكومة فارس فيما يتعلق بالجزر الفارسية لا تقوم على أى أساس ، كما أن حاكم عام إقليم فارس قد سبق أن اجرب للحكومة البريطانية عن امتنانه على تقديم احدى السفن المسلحة لتكون تحت تصرف الحاكم لكى يستخدمها فى زيارة الجزر الفارسية وأختتم يبلى رسالته بقنوله بأن المفروض من وزير خارجية فارس أن يبعث بخطاب شكر للحكومة البريطانية بدلاً من تقديم الاحتجاجات .

كان الشعور العام فى الأوساط الحاكمة فى لندن لا يدعو الى

الارتياح ، فقد أوضح كيه بأن هذا الوضع هو نتيجة ازدواجية السلطة فى الخليج ، بينما يطالب بشدة بتخاذ اجراء ما لوضع حد لهذا التضارب فى السلطات الذى يسبب كثيرا من الاحراج لحكومة صاحبة الجلالة كما أن كيه لم يكن يعتقد بأن احتجاج فارس له مبررات كافية ، فقد حاولت فارس مئات المرات تأكيد سيادتها على البحرين ولكننا كنا نعارض تلك المحاولات ونرفضها ، وفى رأى أن شيخ البحرين قد نال ما يستحقه من الجراء على انتهاكه لأمن الخليج ، كما أن حكومة الهند قد صدقت على الاجراءات التى اتخذها بيلى فى هذه المشكلة غير أن كلارندون كان ينظر الى الموضوع من زاوية أخرى باعتباره المسئول عن العلاقات البريطانية مع فارس ، حيث ان الوضع القائم لم يكن يسمح له بممارسة سلطته على اجراءات حكومة الهند أو مرعوسيتها فى الخليج فى الأمور التى تمس تلك العلاقات ، الامر الذى كان يسبب له احراجا كثيرا ، وقد كان الغرض من منع المقيم البريطانى من اجراء اتصالات مباشرة مع حكومة فارس واحالة جميع القضايا التى لا علاقة لها بالمفوضية البريطانية فى طهران ، هو مواجهة المشاكل التى تنشأ من مثل هذه المشكلات ، وبعد آن أصبح الاشراف على المفوضية البريطانية فى طهران من اختصاص الحكومة الهندية فيما بين عام ١٨٥٩ - ١٨٦١ منع المقيم حتى من الاتصال بالسلطات الاقليمية فى شيراز التى تتعلق بأمن الخليج أو الرعايا البريطانيين المقيمين فى المنطقة ، وان كان هذا الحظر قد ألغى بعد اعتراض بيلى عليه فى أعقاب تعيينه مقيما بريطانيا فى الخليج بحجة أنه يحد من القيام بمسئولياته على الوجه الاكمل .

إن السلطة التى تمارسها مفوضية طهران ثم وزارة الخارجية عن

طريق المفاوضات هي المسائل التي تخص فارس ، وأن المقيم مسئول أمام حكومة الهند في ممارسة وظيفته في الخليج ، ثم مكتب شئون الهند من خلال حكومة الهند ، وأما بالنسبة لبعض المسائل ، وعلى الأخص تجارة الرقيق فقد كان خلافا مستمرا بين وزارة الخارجية وبين مكتب شئون الهند وحكومة الهند ، غير أن وجود وزير خارجية بريطاني قوى مثل بالمرستون ويعتمد على صديق متعاطف معه مثل هوب هاوس في مكتب شئون الهند ، فان هذا يمكن أن يؤثر تأثيرا كبيرا في السياسة البريطانية في الخليج ، غير أن تضارب الآراء أو بالأحرى تضارب الصلاحيات كان أمرا مألوفيا بين أولئك المسؤولين البريطانيين ، فلقد كان موقف كلارندون من فارس وبالتالي من الأحداث التي تؤثر على العلاقة البريطانية بها يتأثر من موقفه من التغلغل الروسي في آسيا ، ومن ثم فقد كان حريصا على صداقة فارس ودعم استقلالها ، كما كان يرى أن موضوع تضارب المصالح البريطانية والفارسية في الخليج ، وتسوية هذه المشكلة ينبغي أن يتم لا من زاوية المصالح البريطانية في الخليج فحسب وإنما من زاوية مصالحها في قارة آسيا كلها ، ولهذا الأسباب كان كلارندون يدعو إلى معالجة الحكومة الفارسية بدلا من الإجراءات التي تسير ضدها (١) .

في نهاية شهر ديسمبر قام القائم بأعمال حكومة فارس في لندن بتعزيز الاحتجاج الذي سلمه إلى اليسون في شهر نوفمبر ١٨٦٨ ، وقد أحيل احتجاجه مع الشكوى السابقة إلى مجلس الهند للنظر فيه وللرد على الاحتجاج ، كما أرسلت نسخة من خطابات بيلي والتي وصلت من الهند

(١) انظر مكاتبات حكومة الوطن (سرى) محضر كلارك مجلد ٦٢

الى وزارة الخارجية البريطانية ، وفى يوم ٥ يناير ١٨٦٩ أوعز كلارندون الى اليسون بأن يبعث برد مناسب للحكومة الفارسية حول الاجراءات التى اتخذها بيلى وطلب فى نفس الوقت رأى مجلس الهند فيما اذا كان من الأفضل ابلاغ الحكومة الفارسية مسبقا بمثل الاجراءات (١) .

وقبل وصول رد مجلس الهند كان القائم بالأعمال الفارسى هو الجنرال الحاج محسن خان قد تقدم باحتجاج آخر الى كلارندون تأكيدا للتهم التى وجهها سابقا ، وذكر بأنه كان على بيلى أن يترك تقرير موضوع التعويضات عن الاضرار التى نتجت عن اجراء حاكم البحرين للحكومة الفارسية (٢) وقد رد مكتب الهند برسالة مقتضبة على اتهامات حكومة فارس وجاء فيها : « ان شيخ البحرين حاكم مستقل وقد اعترفنا باستقلاله هذا عن طريق المعاهدات والاتفاقات التى عقدت معه ، وقد سبق لنا أن رفضنا مطالب فارس بحق السيادة على البحرين ولم نعترف بها اطلاقا » واما القول بأن الشيخ محمد بن خليفة كان يرفع العلم الفارسى على قصره عندما شن بيلى هجوما على بلاده ، فان هذا الامر ليس له أية أهمية وأضاف المكتب بأن المعروف منذ وقت طويل أن شيخ البحرين قد تعود

(١) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٦٢ من هموند الى مرفيل ١٨٦٨/١٢/٢٩ ومن مرفيل الى هموند ١٨٦٨/١٢/٣١ مجلد ٦٣ من هموند الى السكوتير المساعد لمكتب الهند ١ فبراير ١٨٦٩ ومرفق معه نسخة من خطاب كلارندون الى اليسون ١٨٦٩/١/٥ .

(٢) نفس المصدر مجلد ٦٣ من محسن خان الى كلارندون ١٨٦٩/٢/١١ وقد ارفق نسخة منه فى خطاب هموند الى السكوتير المساعد لمكتب الهند ١٨٦٩/٢/١٥ .

على رفع العلم الفارسي أو التركي كلما داهمته مشكلة ، وبناء على ذلك فمن الأفضل كما بين مكتب الهند اغفال هذا الموضوع في كل من لندن وطهران ، وربما كان من المناسب أن نذكر أن شيخ البحرين حاكم مستقل وسوف تلزمه الحكومة البريطانية بتطبيق نصوص المعاهدة التي عقدت معه أخيرا (١) .

في يوم ٥ مارس (٢) سلم كلارندون نبذة من هذا البيان الى محسن خان ، غير أن القائم بالأعمال لم يبد أى اهتمام بالموضوع ، فقد تلقى تعليمات جديدة من طهران تطالبه باثارة الموضوع ، وقد قام بذلك في منتصف مارس غير أن كلارندون احاله الى أرجيل الذي ارتبط بتلك المشكلة بصورة اقوى ، الا أن محسن خان عند اجتماعه بأرجيل في بداية شهر أبريل لم يخرج بأية نتيجة ، فقد كرر له أرجيل ما سبق أن قيل في هذا الموضوع ، وهو أن السلطات في الهند تعتبر البحرين بلدا مستقلا . وفي اجتماع آخر لمحسن خان مع كلارندون سلمه احتجاجا آخر ليقدمه الى وزارة الخارجية في ١٣ أبريل ، وقد ارفق في الاحتجاج نسختين من خطابين كان قد كتبهما محمد بن خليفة وذكر محسن خان أنهما يثبتان سيادة فارس على البحرين .

أما الخطابان فقد بعث بهما محمد بن خليفة الى كل من الشاه وأمير فارس في أبريل ١٨٦٠ عندما كان يزور البحرين كل من المبعوث الفارسي

(١) نفس المصدر خطاب من ميرفيل الى هموند ١٨٦٩/٢/٢٧ .

(٢) مكاتبات حكومة الوطن سرى مجلد ٦٣ خطاب من هموند الى ميرفيل ١٨٦٩/٣/٣ ومرفق مع مسودة الخطاب لمحسن خان ومن ام ١٠ اى جرانند . دق (السكرتير المساعد بمكتب الهند) الى هموند ١٨٦٩/٣/٥ .

والتركي ، غير أن الخطابين المشار اليهما لم يتركا أى انطباع لدى كلارندون ولدى مكتب شئون الهند الذى عاد فأوضح موقفه من جديد لكلارندون يوم ٢١ أبريل : « ان الحكومة البريطانية قد امتنعت حتى الآن عن الاعتراف لفارس سواء بطريق مباشر أو غير مباشر بشرعية سيادتها على البحرين وأن أى تراجع عن هذه السياسة سوف يوجد ثغرة ينفذ منها حاكم البحرين لكى يتصل من الالتزامات التى تعهد بها بالنسبة للمحافظة على الأمن فى الخليج والذى تعتبر الحكومة البريطانية الدولة الوحيدة التى نلزمه بتنفيذ هذا التعهد : « ان احلال سلطة فارس الواهية والبعيدة عن مراكزها على شئون المنطقة محل الدولة التى تتقلد بالفعل مسئولية حماية الخليج ، سوف يعرض السياسة البريطانية المتبعة منذ وقت طويل فى الخليج للخطر » غير أن أرجيل على أى حال لم يعلق الباب أمام مقترحات كلارندون القائلة بوجوب انتهاج سياسة تفاهم مع فارس حول قضية البحرين بهدف الحفاظ على المصالح البريطانية الواسعة فى فارس ، كما أشار الى استعداده للايعاز الى حكومة الهند بتكليف المقيم البريطانى فى بوشهر بإبلاغ الوزير البريطانى المفوض فى طهران عن أية اجراءات يعتزم المقيم اتخاذها ضد حاكم البحرين ليلبغها بدوره الى الحكومة الفارسية على سبيل المجاملة . وأضاف أرجيل بأن هذه الخطوة سوف لا تؤثر على أية اجراءات قد يتعين على المقيم اتخاذها بحكم الضرورة .

اتخذ أرجيل هذه الخطوة فى وجه معارضة شديدة من جانب مساعديه ، وعلى الأخص من جانب كيه الذى كان أكثر المسئولين البريطانيين الماما بمشكلة البحرين . وعلى الرغم من ذلك فقد آثر وزير الدولة الاستماع الى رأى كلارندون وهنرى رولنسون ، الذى اختير عضوا بمجلس الهند والذى كان يؤيد تأييدا تاما موقف وزير الخارجية ،

وكان رولنسون قد أعرب في مذكرة الى أرجيل في آواخر مارس ضمنها رايه في الموقف وهو ، أن الموقف القانوني للحكومة البريطانية حول مشكلة البحرين ليس قويا ، وذكر بأن انفاسق ١٨٦١ لا يمنع حكومة فارس من ممارسة سيادة ولو ضعيفة على مشيخة البحرين ، ومن ناحية أخرى كان رولنسون يتصور بأن هذا الموقف له مبرراته من وجهة نظر الاعتبارات التي أبدتها بريطانيا تأييدا لموقف حكومتها ، كما كانت الضرورة تقضى أيضا مصانعة فارس في سبيل أهداف سياسية أهم . « ٠٠ » ومما يؤسف له كثيرا كما يقول رولنسون أن نتخذ موقفا متشددا من فارس حول موضوع ليست له أى قيمة سياسية في الوقت الذي قد نحتاج الى فارس والى كسب صداقتها في كثير من المواقع ، دون أن يكون في مقدورنا مجابتهها، وكان رولنسون يعنى الخلافات القائمة بين بريطانيا وفارس حول مناطق إقليم أذربيجان والحيرة وساحل مكران ، ويختتم رولنسون آراءه هذه بقوله ، بأنه من المؤكد أننا او رفضنا مطالب الحكومة الفارسية جملة وتفصيلا دون أن نسعى الى الالتقاء معها في منتصف الطريق فان علاقانا معها سوف تسوء مما سيؤثر على موقف الوزير البريطاني في طهران .

ان هذه النصائح بالاضافة الى موقف كلارندون نفسه من حكومة فارس قد دعت كلارندون الى ارسال رد ودى على احتجاج محسن خان وفى هذا الرد المؤرخ ٢٩ أبريل والذي ارسل عن طريق القائم بالأعمال الفارسى لم يتعرض كلارندون فيه الى موضوع سيادة فارس على البحرين وانما حاول قصارى جهده بأن يوضح لحكومة فارس أن حرص الحكومة البريطانية على أمن الخليج هو السبب الوحيد الذى جعلها تعتبر حاكم البحرين مسئولا عن الاتفاق الذى وقع عليه بل مضى كلارندون الى أبعد من ذلك ، فذكر فى رده بأنه اذا كانت حكومة فارس على استعداد لان

تتولى بنفسها الحفاظ على الأمن فى الخليج فان الحكومة البريطانية ستوافق على ذلك نظرا لأن ذلك سوف يعفيها من نفقات باهظة ، ولكن اذا لم يكن الشاه مستعدا لتحمل هذه المسئولية فان النتيجة ستكون الفوضى التى ستعم الخليج وفى ختام الرسالة أشار وزير الخارجية بأنه حرصا منه الى ارضاء الشاه فان الحكومة البريطانية سوف تقوم باخطار حكومة فارس مقدما بأية اجراءات رادعة قد تضطر الى اتخاذها ضد حاكم البحرين .

غير أن الخطاب رغم اعتدال لهجته لم يرض محسن خان الذى كان يسعى الى الحصول على تنازلات ولو طفيفة حول موضوع السيادة الفارسية تؤدى بدورها الى كسب رضا الشاه . فى هذا الرد تجاهل كلارندون موضوع السيادة الفارسية وركزه رده على موضوع أمن الخليج وهو الأمر الذى لم يكن يهم لا محسن خان ولا شاه فارس . وفى يوم ٨ مايو بعث القائم بالأعمال الفارسى فى لندن بخطاب الى كلارندون يستفسر فيه عما اذا كان وزير الخارجية سيوافق على تعديلين طفيفين على نص خطابه المؤرخ ٢٩ / ابريل ، الاول اضافة فقرة تنص على أن الحكومة الفارسية قد تقدمت باحتجاج تؤكد فيه حقوق السيادة التى تتمتع بها على البحرين وبأن الحكومة البريطانية قد وضعت ذلك الاحتجاج موضع الاعتبار اما الثانى فهو اضافة عبارة تنص على أن الشاه لديه الامكانيات الخاصة به للمحافظة على الأمن والنظام فى الخليج وبأن الحكومة البريطانية لن تتخذ أى اجراء ضد حاكم البحرين قبل ابلاغ الحكومة الفارسية مقدما بالاجراء الذى تنوى اتخاذه . ويبدو من طلب التعديل أن محسن خان قد استغل تسامح كلارندون من حيث التعديلين المشار اليهما آنفا لانتزاع

اعتراف من الحكومة البريطانية ولو بصورة غير مباشرة بالسيادة على البحرين .

غير أن كلارندون لم تنطل عليه تلك المحاولات ، ولهذا فقد قرر بالاشتراك مع أرجيل فى الأسبوع الثانى من شهر مايو الموافقة على مطالب الحكومة الفارسية بالنسبة للشرط الأول بينما رفضا الشرط الثانى كلية واضيف الى الخطاب ، على أساس اقتراح من أرجيل ، فقرة شرطية فيما يختص بإبلاغ حكومة فارس مقدما عن أية إجراءات تأديبية قد تتخذها الحكومة البريطانية فيما يتعلق بالبحرين وجاء فى هذه الفقرة بأن الحكومة البريطانية لا توافق على تجريد المسئولين البريطانيين من حماية الأمن فى منطقة الخليج ومن ممارسة سلطتهم فى فرض العقوبات على شيخ البحرين عن أية انتهاكات واتفاقيات معقودة اذا كان الإبلاغ عن هذا الاجراء لحكومة فارس قد يعطل تنفيذها على حساب الأمن فى الخليج وفى أواخر شهر مايو وضعت صيغة معدلة فى خطاب كلارندون المؤرخ ٢٩ أبريل لمحسن خان للنظر فيها وجاء هذا التعديل فى صدر الخطاب على النحو التالى : « تبادر الحكومة البريطانية الى الاعتراف بأنها قد تسلمت خطابا من حكومة شاه فارس تحتج فيه على تجاهل بريطانيا لحقوق السيادة الفارسية على البحرين وبأن الحكومة البريطانية بحكم ذلك قد وضعت هذا الاحتجاج موضع الاهتمام أما التوضيح الذى اقترحه أرجيل فقد اضيف فى ذيل الخطاب ، غير أن كلارندون الذى كان مصمما على مراعاة الشاه قد خفف من حدة اللهجة باضافة تعهد من الحكومة البريطانية بأرسال (خطاب مفصل) الى طهران عن أية إجراءات قد تتخذ ضد البحرين ، ولكن دون الإبلاغ عنها مقدما ، وعلى الرغم من تردد مكتب الهند حول مضمون صيغة الخطاب الا أنه لم يعترض عليه ، وفى شهر

يونيو ارسل الخطاب بصيغته المعدلة الى القائم بالاعمال الفارسي في لندن . حاولت الحكومة الفارسية أكثر من مرة أن تجد تفسيراً لخطاب كلارندون حول العبارة التي أدرجت بموجب طلب محسن خان بما يوحي أنه اعتراف من بريطانيا بالسيادة على البحرين كحكومة فارس ، في حين أن الرسالة لم تكن تتضمن شيئاً من هذا القبيل ، ومما لا شك فيه أن كلارندون في محاولاته التعلق بسراب الصداقة الفارسية كان يسعى الى مهادنة فارس حول موضوع البحرين سواء من حيث فشله ، بالتأكيد على استقلال حاكم البحرين ، أو من حيث استعداده لإبلاغ الحكومة الفارسية عن أية اجراءات قد تتخذ ضد البحرين ، كما أنه بعمله هذا قد سمح للفرس للعبث بشئون المنطقة ، وآثمهم لن يترددوا في انتهاز تلك الفرصة :

وبعد فرار الشيخ محمد بن خليفة من البحرين لجأ الى الكويت ثم الى القطيف ، وفي القطيف عقد اتفاقاً مع حاكم يعتبر من ألد أعدائه القدامى وهو الشيخ ناصر بن مبارك أحد المنشقين من آل خليفة ، والذي وصفه الكابتن جونز في عام ١٨٥٩ بأنه من ألد أعداء السلام في الخليج ، كما انضم الى الاثنيين منشق آخر هو محمد بن عبد الله ، لقد سعى الاثنان في اقناع الأمير عبد الله بن فيصل بمساعدتهما بالإطاحة بعلى ابن خليفة والاستيلاء على السلطة . ولكن المحاولة على ما يبدو لم تنجح ، على الرغم من أن الأمير عبد الله لم يعترض على إقامة الشيخ المخلوع في القطيف والسعى الى استرداد الحكم ، كما لم يعترض على جهود الزعيمين لجمع الأنصار من بدو بني حجر سكان الأحساء ، وفي سبتمبر ١٨٦٩ دخل الاثنان الى البحرين بنحو ٥٠٠ رجل وبمجرد دخولهما البحرين نشبت الثورة بقيادة الحاكم السابق محمد بن عبد الله الذي كان قد اصططح مع على بن خليفة ، وكان الاثنان في البحرين وقد قطع رأس على وتم الاستيلاء على

المنامة بعد معركة قصيرة واستيحت المدينة لبني حجر ، وبعد هذا استدار محمد بن عبد الله على حلفائه فأودع محمد بن خليفة السجن وأعلن نفسه الحاكم على البحرين .

وبمجرد أن علم بيلي بهذا الاعتداء اقترح على السلطات الحاكمة فى الهند القيام باجراء حاسم عن طريق فرض حصار على الجزيرة ، وارغام زعماء التمرد على الاستسلام وتنصيب عيسى بن خليفة حاكما على البحرين والاعتراف به ، كما اقترح مصادرة أموال وأملاك المتمردين ودفع حصيلتها لضحايا العدوان تعويضا عن الخسائر والأضرار التى لحقت بهم ، بالإضافة الى ابلاغ الأمير الوهابى بقرار الحكومة البريطانية بفرض تلك العقوبات على المعتدين ، وفرض حصار على الاحساء الى أن ترد الممتلكات التى نهبها بنو حجر الى أصحابها ، وفى حين أقرت حكومة بمباى اقتراحات بيلي ، فان حكومة الهند لم تؤيد اتخاذ اجراءات متسعة ولم تصدر تعليمات الى المقيم الا بعد خمسة أسابيع ، واقتصرت على فرض الحصار على البحرين واعتقال قتلة الشيخ على بن خليفة والاعتراف بنجله عيسى حاكما على البلاد بشرط موافقة السكان . أما فيما يختص باملاك المعتدين فقد رأت الحكومة ارجاء هذا الامر خوفا من أن يؤدى الى احراج الحاكم الجديد من الناحية السياسية ، وتطبيق نفس القرار على الاقتراح الخاص بتوجيه تحذير الى الامير عبد الله نظرا لأن تواطؤه فى الاعتداء لم يتأكد ، ومع ذلك فان القوة البحرية المطلوبة لم تتوافر لبيلي حتى يمكنه فرض الحصار على سواحل الاحساء ، كما أوعز الى بيلي أيضا بابلاغ الوزير البريطانى المفوض فى طهران بالاجراء الذى قد يتخذة لكي تكون الحكومة الفارسية على بينة منه .

وصل بيلي الى البحرين فى الأسبوع الثالث من نوفمبر ومعه أربع سفن ، وبعد حصار قصير استسلمت حامية المحرق حيث كان يتحصن

الشيخ محمد بن عبد الله الذى أودع السجن مع محمد بن خليفة وعدد من أتباعه ، أما الشيخ ناصر بن مبارك فقد تمكن من الهرب الى الاحساء ، وبعد ذلك استدعى عيسى بن على من قطر حيث كان يشغل والى المنطقة هناك ، وتم تنصيبه حاكما على البحرين واعترفت به الحكومة البريطانية . ورغم تحفظات حكومة الهند اشترط بيلى على الشيخ عيسى مصادرة املاك زعماء التمرد وتعويض المتضررين من الاعتداء . وفى الوقت الذى كان فيه بيلى يقوم بتلك الاجراءات حاولت سفينة مسلحة قادمة من بوشهر اختراق الحصار ، فتم حجزها وتبين آتيا تحمل مبعوثا من ميرزا مهدى ممثل وزارة الخارجية الفارسية فى بوشهر ومعه خطابات وهدايا لمحمد بن عبد الله وقد سمح بيلى للمبعوث بتسليم الرسائل الى حاكم البحرين ثم أمر بمصادرتها ، غير أن المتمردين لم يستفيدوا شيئا من تلك الرسائل التى بعث بها ميرزا مهدى الى الشيخ المخلوع والتى يهنته فيها على استيلائه على السلطة فى البحرين ويؤيده فى ذلك .

وقد أدت الاجراءات التى اتخذها بيلى الى انهيار سسيل من الاحتجاجات من الحكومة التركية والافارسية . وفى الأسبوع الثانى من يناير ١٨٧٠ قدم السفير التركى فى لندن احتجاجا من حكومته الى وزارة الخارجية البريطانية ضد اجراءات المقيم ، وأعرب فيها عن أسفه لتلك الاجراءات ، ووصفها بأنها قد وقعت نتيجة لعدم فهم بيلى بأن البحرين جزء من الاراضى التركية ، أما الحكومة البريطانية فقد رفضت الاحتجاج وأوعزت الى القائم بالأعمال البريطانى فى القسطنطينية بإبلاغ الباب العالى بأن حكومة صاحبة الجلالة لا يمكنها الاعتراف بسيادة تركيا على البحرين وبأن هذا الموقف سبق أن أوضحه اللورد بالمرستون فى بيانه فى شهر فبراير ١٨٥١ أما محسن خان فقد سلم

احتجاجه يوم ٢٢ يناير ثم عاد فعززه باحتجاج آخر أكثر تفصيلا بعد شهرين ، وقد ذكر فيه بأن حكومته تشعر بأنها قد جرحت من الاجراءات التى اتخذها بيلى ، بعدم ابلاغها بتلك الاجراءات وبقيام بيلى باحتجاز مبعوث ميرزا مهدي الى البحرين ومصادرة الرسائل التى كانت فى حوزته . وقد استاء كلارندون كثيرا من تصرفات بيلى واعتبرها اجراءات تتسم بالقسوة . وفى يوم ٢٢ مارس وبعد أن سلم محسن خان احتجاجه الثانى طلب كلارندون من مكتب شئون الهند تفسيراً لما حدث وأكد على أهمية هذا الطلب وقال « بأننا اذا أخذنا فى الاعتبار الخطابات التى تبودلت مع حكومة فارس بشأن البحرين فان التوقعات الخاصة بسياستنا مع تلك الدولة والتى أوضحناها لحكومة الشاه ونظرا للأهمية البالغة بالنسبة للمصالح الهندية والمصالح الامبراطورية بعدم اللجوء الى اتخاذ اية اجراءات قد تؤدي الى تمكير صفو العلاقات بين البلدين .

غير أن مكتب شئون الهند كان مترددا فى ارسال مثل هذا الايضاح ، وجاء فى رده الذى ارسل فى اليوم الثانى ما يفيد بأنه قد استلم من الهند صوراً للخطابات التى صادرها بيلى ، والتى تؤكد بأن زمرة القراصنة فى الخليج هى المسئولة عن مصرع شيخ البحرين الذى تعترف به الحكومة البريطانية ، والذي كان يلقى التشجيع والتأييد من المسئولين فى حكومة فارس . كذلك وصلت رسالة أخرى من ماير يعرب فيها عن استيائه وأسفه من اجراءات كلارندون مع محسن خان فى عام ١٨٦٩ ، وعلى الأخص بيانه للقائم بالأعمال الفارسى بأنه اذا كانت حكومة فارس ترغب فى انشاء قوة بحرية لها فى الخليج للمحافظة على الأمن والسلام فان الحكومة البريطانية لا تمنع فى ذلك ، خصوصا وأن هذا الأمر سوف يعفيها من التكاليف الباهظة فى هذه المسئولية وفى هذا الخصوص

اوضح الحاكم العام « ان حكومة فارس عاجزة فى الوقت الحاضر عن وضع حد للاضطرابات والعمليات القرصنية ، كما أنه ليس لديها أسطول لهذه المهمة حتى لو انها استطاعت الحصول على سفن حربية ، وأنه لا يمكن لنا أن نسلم اليها مسئولية الدفاع عن منطقة الخليج ، لان ذلك سوف يفضب حكومة مسقط والرؤساء العرب فى الخليج الذين يرفضون مطالب الحكومة الفارسية ، كما أن الوهابيين بل والحكومة التركية سوف تعترض عليها ، وربما تتقدم بمطالب مماثلة بحقوق السيادة على المنطقة ، وهذا أمر يتعارض مع مسئوليتنا فى حماية الأمن والسلام فى الخليج . كما أن الالتزامات التى اتخذناها على عاتقنا للزعماء العرب بالمحافظة على الأمن فى الخليج وردع أية اعتداءات تقع على المنطقة واتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الصدد والتعويضات عن الاضرار التى تنتج عن ذلك هى كلها من الأهمية بحيث لا يمكننا التنصل منها أو نقضها ويبقى أن الضمان الوحيد لاستتباب الأمن والسلام لحركة التجارة الدولية فى المنطقة هو القيام بتلك المسئوليات والتى قبلنا الاضطلاع بها بتردد ، وبموافقة أصحاب الشأن . وهى الواجبات التى تحملناها على مدى أكثر من نصف قرن والتى لا تستطيع حكومة فارس بامكانياتها المحدودة وبنفوذها الضئيل على قبائل الساحل أن تقوم بها .

ويستطرد ماير فيقول ، وبالإضافة الى المعاهدات التى عقدت مع الزعماء العرب والتى لا يجوز لنا أن نتخلى عنها بأية صورة من الصور فإن الوقت المناسب لتشجيع مثل هذه المطالب التى لا تقوم على أساس والتى عفى عليها الزمن ، وخلال فترة الاستقرار التى شهدتها المنطقة منذ أن تولينا الاشراف عليها تطورت حركة التجارة وتحول السكان العرب من القرصنة الى المهن السلمية والتجارية مستفيدين من الأمن الذى حققته

حمايتنا للخليج ، وها هي ذى السفن البريطانية ترتاد مياه الخليج من اقصاه الى اقصاه وآن رعايانا يستثمرون أموالا طائلة فى صناعة اللؤلؤ وفى الحركة التجارية مع العراق وفارس وشبه الجزيرة العربية ، وفى كل يوم تتجلى أهمية الخليج كشریان حيوى للتجارة بين البلاد الأوربية والشرق ، وحتى او عاد الفضل فى ذلك الى الاتفاقيات السياسية آنفة الذكر وحتى او كانت فارس لديها القوة البحرية الكافية للسيطرة على الأمن فانه سيكون سياسة خرقاء او سلمنا مقاليد حراسة هذه المصالح المتعددة اليها ، وأن أقل محاولة من جانبنا للاقرار لها بهذه المسئولية فان ذلك سوف يؤدى الى انخفاض حكم التجارة والى انفجار الاضطرابات والصراعات المسلحة والقرصنة والسلب والنهب فى الخليج وستنحدر المنطقة كلها الى هاوية الفوضى التى استطعنا بقوتنا البحرية ان نحمل المنطقة منها طوال نصف القرن الأخير) .

لم يوافق ماير على اجراءات بيلى فى البحرين فحسب وانما اشاد بموقف شئون الهند وتم اليعاز الى كلارندون بتاريخ ٢٣ مارس بموافقة أرجيل على مقترحات الحاكم العام (باعتبار البحرين مشيخة مستقلة ليس لشاه فارس أى سلطان عليها) . والواقع أن وزير الدولة رفض جملة وتفصيلا كل ادعاءات فارس وانتقادات وزير الخارجية التى لم يكن لها مبرر على الاطلاق ، وأن أرجيل قد وافق على موقف الحاكم العام من حكومة فارس بوجوب تقديم تفسير مقبول عن سلوك المسئولين الفرس فى تشجيعهم لأعمال القرصنة التى تعرض حياة الناس للخطر والى فقدان ممتلكات الرعايا البريطانيين بالاضافة الى ما تشيعه من فوضى واضطراب فى المنطقة .

وقد نقل محمد بن خليفة ومحمد بن عبد الله بصحبة ثلاثة من كبار

مساعديهما الى الهند واودعوا السجن ثم نقلوا الى سجن شومار الذى مكثوا فيه حتى عام ١٨٧٧ عندما توفى محمد بن عبد الله واحد زملائه تم نقل محمد بن خليفة وبقية السجناء الى عدن ، ثم بعد ثلاثة سنوات افرج عن اثنين من رفقاء الشيخ أما الشيخ نفسه فقد بقى فى السجن حتى عام ١٨٨٧ عندما أفرج عنه بشرط أن يعيش فى الأراضى المقدسة والا يحاول العودة الى البحرين ، وقد توفى فى مكة عام ١٨٩٠ .

أمضى السيد عزان بن قيس العامين الأولين من حكمه مع القبائل الداخلية التى تناهضه وفى دعم مركزه فى أوساط القبائل التى كانت تؤيده وحقق فى ذلك نجاحا ملحوظا ، غير أن حكومة الهند لم تكن تؤيده وأن بيلى بالذات كان يعارض استيلاء عزان بن قيس على السلطة معارضة قوية ، ولم يكن يزكى التقارير التى كان يبعث بها اتكنسون من مسقط منذ شهر ديسمبر ١٨٦٨ ، وكان يؤيد فيها للمسؤولين ثبات سلطة عزان فى عمان وعلى عكس اتكنسون كان بيلى يعتقد بأن عزان حاكم أجوف ومتطرف وأن غالبية القبائل كانت تؤيد السيد تركى بن سعيد أما فيتز جيرالد حاكم بومباى فكان يؤيد رأى بيلى ، ولذلك فقد بعث فى الأسبوع الثانى من فبراير ١٨٦٩ برسالة الى ماير يشرح فيها رفع القيود على تحركات السيد تركى ، وذكر فى تلك الرسالة بأن السيد تركى على عكس السيد سالم أو السيد عزان فله كثير من الاتباع ، كما أنه ينتمى مباشرة الى الأسرة الحاكمة التى يدين لها معظم العمانيين بالولاء ، كما أن هناك اعتبارا آخر كما يقول فيتز جيرالد وهو أنه اذا حصل السيد تركى على الحكم فى مسقط فان مشكلة معونة زنجبار لمسقط سوف تحل تلقائيا نظرا لأن السيد تركى هو احد انجال السيد سعيد وبالتالي فله الحق فى تلك المعونة ، فاذا وافق الحاكم العام على رفع الحظر عن السيد تركى

ومساعدته ففي تلك الحالة يمكن أن يسمح له بالتوجه الى مسقط على ظهر احدى السفن الحربية البريطانية او ضمان وجود سفينة حربية في ميناء مسقط عند وصوله . وقد رأى ماير بأن ذلك الاقتراح يمكن أن يوضع موضع الاختبار ولكنه فصل بين موضوع ذهاب السيد تركى الى مسقط والتأييد العسكرى له ، وبالتالي فقد أشار الى فيتز جيرالد بأن السيد تركى لا ينبغى أن يسافر على سفينة حربية بريطانية ، أو ترافقه مثل هذه السفينة ، أو تقديم أى تعهدات له بالحماية أو المساعدة اذا ما قام بأى عمل للاطاحة بالحكم القائم فى مسقط .

ولم يبد السيد تركى أى ارتياح عندما أبلغ بقرار ماير ، وبأنه حر اذا شاء يذهب أو لا يذهب الى عمان ، وقال ، بأنه بدون مساعدة بريطانية لا يمكن أن يحقق أهدافه لأن الأمل ضعيف فى ذلك ، وذكر بأنه يفضل البقاء فى الهند مؤقتا لمراقبة الأحداث . وعلى الجانب الآخر كان السيد سالم ابن ثوينى يواصل نشاطه ، فقد توجه من بندر عباس الى ساحل الهدنة فى بداية عام ١٨٦٩ ، وهناك أخذ يقوم بمحاولات لكسب ود حاكمى دى والشارقة والقائد الوهايبى فى البريمى لتأييده ، الا انه لم ينجح . وفى بداية شهر ابريل نقل اتكنسون من مسقط ، وعين بدلا منه اللفتنان كونونيل ديسبراو الذى سبق له العمل بعض الوقت فى مسقط فيما بين ١٨٦٥ - ١٨٦٦ ، وكان الانطباع الأول لديسبراو الحاكم الجديد فى مسقط انطباعا مشجعا ، فقد ذكر للمسئولين بأنه وجد السيد عزان بن قيس رجلا نشيطا وسياسيا حصيفا ومقاتلا شجاعا ، وأنه طالما يوجد هناك منافس قوى للسيد عزان (اذا استثنينا السيد تركى باعتباره مناورا سياسيا عنيدا) وأنه طالما استمر السيد عزان فى خوض المعارك دفاعا عن البلاد وحدودها فاننا يمكن أن نعتبره حاكما كفتا . الا أن ديسبراو عاد

فغير رأيه هذا لا لأسباب تتعلق بما طرأ على موقف السيد عزان من تغيير
فحسب وإنما لاختلافه معه ، ففي منتصف شهر أبريل تسلل السيد ناصر
ابن السلطان ثويني من مسقط وتوجه إلى جواذر الواقعة على ساحل مكران
واستولى عليها . وقد قرر السيد عزان إرسال سفينة مسلحة لاعتقاله
وإعادته إلى مسقط ، لولا تدخل ديسبراو وطلبه من قائد السفينة الحربية
ترياد التي كانت موجودة في مسقط أن تمنع سفينة عزان من التوجه إلى
جواذر ، كما تدخل ديسبراو مرة أخرى في الأسبوع الأخير من شهر مايو
ومنع السيد عزان من إرسال أسلحة عن طريق البحر إلى بلكا على ساحل
الباطنة على أساس التعليمات التي صدرت إليه من حكومة الهند في شهر
مايو لمنع أية عمليات بحرية من أي طرف من الأطراف سواء في مسقط أو
في غيرها من الموانئ حتى ولو اضطر إلى استعمال القوة المسلحة وعندما
رفض السيد عزان الامتثال لطلب ديسبراو انزل ديسبراو علم حكومته
في شهر مايو وانسحب إلى السفينة المسلحة كلاً التي كانت راسية
في الميناء .

وبعد ثلاثة أيام وصل بيلي إلى مسقط على الباخرة ديهلوس وانتقد
ديسبراو على تصرفه المتسرع وأوضح له بأن تعليمات الحاكم العام
تقتصر على مرور المسلحين فيما بين جواذر وبندر عباس وساحل عمان
فقط ، ولا تشمل التحركات داخل المياه العمانية ثم طلب منه إعادة رفع
العلم ، غير أن ديسبراو أصر على موقفه واشترط أن يقدم له السيد
عزان اعتذاراً عن ذلك ، وقد أرسل السيد عزان الاعتذار المطلوب ،
وبالتالي فقد رفع العلم من جديد ، على الرغم من أن ديسبراو عاد مرة
أخرى إلى السفينة ، وفي آخر ذلك اليوم تعرض ديسبراو لتصرف غريب
من جانب بيلي ، وقد بعث بتقرير عن هذا الحادث إلى بومباي قال فيه :

(٣٤ - بريطانيا والخليج / ٢)

« فيما بين الساعة الخامسة والسادسة من مساء ذلك اليوم توجه الكولونيل بيلي الى الشاطئ ونزل على رصيف دار المعتمد البريطاني كما شوهد بعد ذلك وهو يجلس مع السيد عزان فى شرفة منزله وكان بيلي يرتدى بذلة مدنية ومعه أعضاء الممثلة يرتدون نفس الملابس أيضا وكان الشيخ الخليلى والسيد عزان يشتركان فى الاجتماع وكان كل شىء يبدو واضحا من السفينة كلاى وبعد انتهاء الاجتماع دلف بيلي الى قاربه ثم اطلقت ١٣ طلقة تحية من السيد عزان لبيلي ، وبعدها عاد الى سفينته ، وعند عودته اطلق بيلي هو الآخر ١٣ طلقة ردا على تحية السيد عزان » .

حتى ذلك الوقت لم تكن الحكومة البريطانية قد اعترفت بالسيد عزان حتى على أساس الامر الواقع ، وقد كان كل من اتكنسون وديسبراو يتنصل من الاجتماع بالسيد عزان ، وعندما كان الاثنان يبعثان برسائل اليه فقد كان ذلك يتم عن طريق الشيخ راشد بن ناصر كبير الحرث ، وعلى اى حال فلم تكن عند بيلي تعليمات تخوله الاجتماع بالسيد عزان أثناء زيارته لمسقط للتحقيق فى الاسباب التى دعت ديسبراو الى انزال العلم البريطانى ، بل ان التعليمات التى كانت لديه تنص على عدم مقابلة السيد عزان او التعامل معه . ولا يمكن التكهن بشىء فيما دار من احاديث بين بيلي والسيد عزان فى اجتماعهما مساء يوم ٢٧ مايو ، وان كانت الاشاعات قد ذكرت بأن بيلي قد حرض السيد عزان على شن هجوم على المواقع الوهابية فى البريمى خصوصا وان تلك الفترة كانت الفترة المناسبة لشن مثل هذه الهجوم ، وفى يوم ٧ أبريل اغتيل النائب والوهابى فى البريمى تركى بن أحمد السديرى عندما اطلق عليه الرصاص وهو فى الشارقة التى توجه اليها لكسب تأييد للسيد سالم بن ثوينى للاطاحة بالسيد عزان وعلى الفور دعا الشيخ زايد بن خليفة السيد عزان بن قيس

الى الزحف على البريمي وإجلاء الحامية الوهابية منها ومن المحتمل أيضا ان يكون بيلي قد شجع السيد عزان على القيام بنفس المحاولة ، نظرا لان بيلي مند فشل محاولته في الرياض عام ١٨٦٥ وهجومه الفاشل على الدمام عام ١٨٦٦ بالإضافة الى الانتقادات التي وجهها اليه الحاكم العام أصبح ناقما على الوهابيين ، وبالتالي فمن المحتمل ان يكون بيلي خلال اجتماعه بالسيد عزان في ٢٧ مايو قد عرض عليه الاعتراف به حاكما على عمان مقابل طرد الحامية الوهابية في البريمي ، والذي يعزز هذا الرأي ان بيلي بمجرد عودته من لقائه بالسيد عزان يادر الى ارسال بريقة الى الى حكومة بومباي يحثها على الاعتراف بالسيد عزان وقد جاء في تلك البرقية : « بما ان السيد عزان قد أصبح الحاكم الفعلي لعمان فليس هناك مناص من الاعتراف به ، وكان هذا الموقف من بيلي مفاجأة لحكومة بومباي على عكس موقفه السابق فقد ذكر تقرير سابق بعث به قبل ذلك مباشرة وصف فيه السيد عزان بأنه صنيعة للوهابيين ودعا الى تنصيب السيد تركي حاكما على عمان ولم يعرف السبب الذي جعله يتحول عن موقفه السابق ، بل ان بيلي نفسه لم يفصح عن سبب تغييره لموقفه من السيد عزان ، كما انه لم يذكر شيئا للمسؤولين في حكومة بومباي عن أحداث ٢٧ مايو عن اجتماعه بالسيد عزان ولم تعرف السلطات المسؤولة في بومباي عن هذا الامر الا من التقرير الذي بعث به ديسبراو في شهر اغسطس التالي ، ومن المحتمل ان تكون الانتقادات الكثيرة التي كان يوجهها ديسبراو ضد بيلي جعلت حكومة بومباي تضيق ذرعا بالمعتمد السياسي في مسقط وبالتالي فقد تجاهلت كل انتقاداته .

أما حكومة بومباي فلم توافق على مقترحات المقيم ، فقد كان فينتز جيرالد يرى ان السيد عزان لا يعتبر الحاكم الفعلي في عمان وانما كان وفق

تقارير ديسبراو مجرد شخص متشبه بالسلطة وبهذا أصبحت تقارير ديسبراو فى نظر السلطات الحاكمة فى بومباى غير موثوق بها نظرا لأن أحداث ابريل ومايو قد جعلته يتخذ موقفا معاديا للسيد عزان ، كما جعلت علاقته بالمقيم تزداد سوءا نتيجة لتصوره بأن المقيم كان يسعى للحد من سلطته فى مسقط ويشكك حكومة بومباى فى كفاءته . وفى اواخر شهر يوليو أدلى ديسبراو ببيان صريح يعترض فيه على الاعتراف بالسيد عزان « زاعما أن الحكومة الحالية فى عمان هى حكومة ضد الشعب وأن الشعب ضدها » ولقد كان هذا رأيا غريبا من ديسبراو فى تلك المرحلة من ظروف عمان ، وبصفة خاصة وأن السيد عزان كان قد وطد نفوذه فى جميع أرجاء البلاد بعد نجاحه فى اقضاء الحماية الوهابية فى البريمى .

وفى اوائل يونيو حضر الى عمان وفد من حكومة الرياض وكان يحمل بعض الهدايا للسيد عزان من الامير عبد الله بن فيصل وخطابا منه يشير فيه « انه لاحظ أن السيد عزان يلقب نفسه بالامام ، وأوضح له بأن ايا كان اللقب الذى يصبغه على نفسه فلا مفر من دفعه الزكاة التى درج حكام عمان على دفعها له . وبعد استشارة عزان للخليلى قبل هدايا الامير الوهابى ، ولكنه لم يرد على رسالة الامير . وفى نفس الوقت حضر وفد من قبائل النعيم فى البريمى للاجتماع بالسيد عزان والاحتجاج لديه على الاجراءات التعسفية التى كان يقوم بها النائب الوهابى المتوفى ضدهم ويطلبون من عزان احتلال واحة البريمى . وقد ذكر ديسبراو فى تقرير له الى بومباى بأن السيد عزان والشيخ الخليلى وافقا على طلب قبائل النعيم . وفى منتصف يونيو تحركت قوة عسكرية قوامها ١٥٠٠ رجل غالبيتهم من النعيم بقيادة صالح بن على شيخ الحرث لاحتلال واحة البريمى ، وبعد مشارك دامت ثلاثة ايام سلم القائد الوهابى عبد الرحمن

السديري ستين من رجال الحامية لهم ، وذلك فى يوم ١٨ يونيو وهكذا « انقد الله العمانيين من ظلم الوهابيين ودحرهم خاسئين » بهذه العبارة استهل خطابه الى بيلى غير آن ديسبراو لم يشاطر الامام فرحته وابتهاجه بذلك الانتصار ، وذكر « اننى فى حدود قدرتى ورؤيتى للأشياء أعتقد أن السيد عزان قد شن اعتداء على البريمى بغير وجه حق وأن على السيد عزان أن يتوقع عملا انتقاميا من جانب الوهابيين .

فى الوقت الذى كان السيد عزان يستكمل اجراءات احتلال واحة البريمى ، قام السيد سالم بن ثوينى برحلة مفاجئة من دبى الى داخلية عمان فى محاولة للحصول على تأييد من القبائل ضد السيد عزان ، وقد شملت رحلته نزوى وازكى وبركا الموز ، الا انه لم يوفق فى كسب تأييد العمانيين ، ولو كان زعماء عمان يفكرون فعلا فى الثورة ضد السيد عزان لقاموا بذلك لصالح السيد تركى وليس لصالح السيد سالم ، أما السيد عزان فقد فطن للمحاولة التى قام بها السيد سالم ، وفى أول سبتمبر خرج من مسقط يرافقه الشيخ صالح بن على وذلك لاختضاع قبائل وسط البلاد وجنوبها وقبل خروجه قام السيد عزان باعتقال اثنين من زعماء النعيم وأودعهم السجن وذلك تحسبا لما قد يقومون به من محاولات للتمرد ضده بعد أن أعلنوا صراحة بأن السيد عزان لم يف بالوعود التى قطعها على نفسه ، بدفع مخصصات لهم مقابل التأييد الذى منحوه له فى البريمى ، وحذروه بأنهم قد يضطرون الى تحريض الوهابيين للعودة لاحتلال البريمى . وقبل نهاية الشهر خضعت نزوى وازكى للسيد عزان . وبعد أن فرغ هو والشيخ صالح من هذه المنطقة توجهوا الى المنطقة الجنوبية وجعلان لتصفية الحساب مع قبائل بنى بوعلى والجنبنة الذين كانوا أبرز المؤيدين للسيد تركى .

كان اهتمام ديسبراو يتركز على الأحكام التعسفية التي فرضها السيد عزان على مسقط أكثر من اهتمامه بنجاحه فقد حل العلم العماني الأبيض اللون - شعار رجال الدين - محل العلم العماني الأخضر ، كما كان المطاوعة (رجال الدين) يحكمون الناس بالقوة ولم يكتفوا بفرض المذهب الإباضي على سكان مسقط فحسب وإنما حاولوا تطبيق هذا المذهب على غير المسلمين وبصفة خاصة على الهنود وأصدروا تعليمات وقوانين صارمة تحدد نوع الزي الذي ينبغي على الهنود أن يرتدوه ، كما أخذت العناصر المتطرفة في تطبيق تلك الإجراءات تطبيقا تعسفيا وكانوا يطوفون بالشوارع والطرق بحثا عن العصاة والمتمردين كما حظروا التدخين في الأماكن العامة وكذلك عزف الموسيقى . وفي النصف الأخير من عام ١٨٦٩ حاول العمانيون تنفيذ هذا الحظر حتى على الهنود المقيمين في مسقط وأخذوا يرغمونهم على حلق ذقونهم بحجة أنها كانت كثيفة . وقد أسخط ديسبراو معظم أوقاته في شهر يوليو في توجيه الاحتجاجات الى حكومة عزان عن تصرفات رجال الدين من اتباعه ولكن دون نتيجة ، ولم يكن في وسع ديسبراو أن يعمل شيئا لوقف التصرفات التعسفية المفرطة والتي كانت تمس أهل البلاد أنفسهم خصوصا الإجراءات العرفية لمصادرة العقارات والممتلكات الخاصة بال بوسعيد :

وفي التقارير التي بعث بها ديسبراو الى المسؤولين في الهند خلال النصف الثاني من عام ١٨٦٩ أكد فيها أن نظاما كهذا لا يمكن أن ينال التأييد الشعبي ، فضلا عن الاحتفاظ بمثل هذا التأييد لفترة ، وبالتالي فإنه لم يكن يعير الاهتمام للأبناء التي كانت تصل الى العاصمة عن الانتصارات التي كان يحرزها السيد عزان داخل عمان ، كما أكد أيضا بأن العمانيين يؤيدون السيد تركي ، وما أن يصل السيد تركي الى عمان فإن العمانيين

سوف يتوافدون عليه من كل مكان بجموعهم الغفيرة ، أما بيلى فقد كان يرى عكس ذلك وقال : « اننى قد اكون ايدت فكرة الاعتراف بحاكم من أسرة آل بوسعيد قبل ثلاث سنوات من هذا الوقت أما الآن فاننى اتصور أن جميع الأوساط العربية والأجنبية متفقة على أن مثل هذا الاعتراف سيؤدى فعلا الى استقرار الامور فى الدولة بصفة دائمة غير أن هذه الفرصة قد ذهبت الآن الى غير رجعة وأن الشيء المنطقى الوحيد هو أن نعترف بالسيد عزان . وانتهز بيلى فرصة زيارته الى بومباى فى أوائل أكتوبر لكى يبحث فيتز جيرالد على اتخاذ تلك الخطوة ، غير أن حاكم بومباى لم يقتنع برأيه وأوضح له بأن السبب الأساسى الذى أبقى على عزان فى الحكم حتى الآن هو الحظر الذى فرضناه على العمليات الحربية فى البحر ، ولولا ذلك لكان فى امكان السيد سالم أو السيد تركى الاطاحة بالسيد عزان بمنتهى السهولة ولهذا السبب كان الحاكم العام مترددا ازاء تلك المشكلة فقد كان حجم التقارير الواردة اليه من مسقط وتنوع مضامينها أمرا يثير الحيرة . ولما كانت علاقة فيتز جيرالد بالسيد عزان سيئة للغاية فقد تعذر الاعتماد على صحة هذه التقارير . والواقع أن ماير كان يشك كثيرا فى كفاءة ديسبراو وبعد نظره ، وهى الصفات التى لا بد منها فى أى معتمد سياسى بريطانى خصوصا فى تلك المرحلة الدقيقة من العلاقة . وفى شهر أكتوبر بعث ماير برسالة الى فيتز جيرالد يقترح نقل ديسبراو وتعيين شخص آخر بدلا منه ، ولكنه أكد على أن تتم عملية النقل بأسلوب لا يجرح مشاعر الكولونيل ديسبراو أما بالنسبة للسيد عزان فقد رأى ماير كخطوة وحيدة أن يقوم بيلى بزيارة اسقط فى طريق عودته من بومباى الى الخليج وأن يحاول جمع معلومات دقيقة بقدر الامكان عن أوضاع السيد عزان واحتمال استمراره فى الحكم .

وقبل مفادرة بيلى بومباى وصلته معلومات من مسقط بأن المعتمد

السياسى قد دخل فى نزاع مع حكومة عزان ، فى الاسبوع الثانى من شهر اكتوبر سلم المعتمد السياسى لحكومة السيد عزان تحذيرا بأن السيد ناصر بن ثوينى الذى كان قد استولى على السلطة فى جواذر قد يقوم بهجوم على مسقط عن طريق البحر اللطاحة بالسيد عزان وبحكم التعليمات التى لديه لمنع الاشتباكات المسلحة فى البحر بين المتنافسين على السلطة طلب ديسبراو من طاقم السفينة المسلحة كلايد أن يتخذ موقعا له بالقرب من قلعة الجلالى ليحول بين السيد ناصر وبين القيام بهجوم على مسقط ، وفى يوم ١٥ اكتوبر نفذ قبطان السفينة المسلحة هذا الامر غير أن الحماية العمانية المرابطة فى قلعة الجلالى أخذت تطلق مدافعها عليه . ولهذا طالب ديسبراو بتفسير عن هذا الاجراء من الشيخ سعيد بن خلفان الخليلى والى مسقط ، وقد ردت عليه حكومة عزان بأن رجال الحماية لم يتعرفوا على السفينة لأنها كانت راسية فى غير موقعها ، غير أن ديسبراو رفض تلك التفسيرات ورد عليهم يقول بأن علم كلايد كان واضحا وبأن اطلاق المدافع تم من مسافة أربعين ياردة ، واستمر لمدة ثلاثين دقيقة ، وفى نفس ذلك اليوم بعث ديسبراو ببرقية الى حكومة بومباى يطلب منها تزويده بالتعليمات التى سوف يتخذها حيال هذا الامر ، وارسال سفينة حربية اليه لدعم موقفه وقد احوالت سلطات بومباى اقتراح ديسبراو الى الحاكم العام واقترحت ايفاد الكاونيل ببلى الى مسقط لمطالبة حكومة السيد عزان بتقديم اعتذار رسمى عن الحادث ، واذا لم يفعل فعليه أن يأمر بأجلاء الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم من مسقط واقترحت أن ترافقه السفينة الحربية دافين التى كانت يومئذ فى ميناء بومباى لاجراء العمرة عليها . وقد ايد ماير الاقتراح وأضاف بأنه يمكن لببلى أن يقوم بسحب الممثل البريطانى من مسقط اذا رأى أن الامر يستوجب ذلك ، كما انه من ناحية اخرى اذا ما تأكد لببلى ان اتهامات ديسبراو لا أساس لها من الصحة فيتعين

عليه أن يعين مسئولاً آخر على الفور ، وعلى ألا ترسل أية تعليمات الى
ديسبراو خلال تلك الفترة .

عارض فيتز جيرالد الاقتراح الخاص بتجريد ديسبراو من سلطاته
بتلك الطريقة التي تنسم بالتحيز : « . . . وقد بعث ببرقية الى ماير يشير
فيها الى وجود حزازات شخصية بين ديسبراو وبيلى ، واذا كان يتفق
مع ماير فى عدم صلاحية ديسبراو من بعض النواحي فان المسئولية تقع
على بيلى ، ولا شك أن بيلى سوف يخطئ ديسبراو وسوف يستبدل به
مسئولاً آخر فى انتظار التعليمات الرسمية الخاصة بنقله أو ان يبعث
بيلى برسالة تلغرافية بالنسبة لهذا الموضوع » اننى مستعد لنقل ديسبراو
بأى شكل من الاشكال ، غير أن صلاحية نقله لا يجوز أن تعطى لبيلى وقد
وافق ماير على هذا الراى وبعدم تخويل بيلى أية صلاحيات للتصرف فى
موضوع ديسبراو ، وأصر فى نفس الوقت بتعيين معتمد سياسى جديد
لمسقط .

لم تكن السفينة دافين جاهزة للعمل قبل أول نوفمبر ولهذا فلقد
اضطر ماير الى الاتصال بالسير ليوبولد هيث ، قائد أسطول الهند الشرقية
لتزويده بسفينة أو سفينتين من الحجم الصغير للتوجه الى الخليج حيث
تبقى تحت تصرف المقيم السياسى لاستخدامها فى تسوية المشاكل ومعاينة
الذين تمردوا فى البحرين وقتلوا حاكمها وقد وافق هيث على إرسال
ما توفر لديه من السفن الا أنه اعترض على مسألة اخضاعها لاشراف بيلى .
وعلى صعيد آخر كان العمل يجرى بسرعة فائقة لاعداد السفينة دافين .
وفى أول نوفمبر انتهت أعمال التجديد فيها وكلف قائدها بالابحار فوراً
الى مسقط ثم منها الى البحرين لتقديم ما يحتاج اليه بيلى من مساعدات .
أما بيلى نفسه فقد غادر بومباى على السفينة ديلهوسن ووصل الى مسقط

يوم ٣٠ أكتوبر ، ولكنه لم يطلع ديسبراو على أى شىء من خطته ، كما لم يستفسر منه عن تفاصيل الهجوم الذى وقع على السفينة كلايد ، وبدلا من كل هذا استقبل وفدا عمانيا برئاسة الشيخ ناصر بن راشد زعيم الحرث واحد مستشارى السيد عزان ، وكان يحمل تفويضا من الامام يشرح وجهة النظر العمانية حول حادث كلايف ، وقد ذكر الشيخ ناصر بأن ضرب السفينة كلايف لم يكن مقصودا لان ديسبراو لم يبلغ السلطات العمانية بعزم السفينة على تغيير موقعها ، كما ذكر أيضا بأن العلاقات بين حكومة الامام والمعتمد السياسى البريطانى فى مسقط قد تدهورت إلى أدنى حد ، وبأن تقدم الحكومة العمانية اعتذارا رسميا ، وفى نهاية ذلك اليوم كان الاعتذار قد سلم إلى بيلى ومعه خطاب من السيد عزان يشكو فيه من تصرفات ديسبراو ويتهمه بمحاولة تخريب العلاقة بين البلدين ، كما وصل اعتذار آخر من السيد عزان فى يوم ٤ نوفمبر الا أن بيلى لم يقتنع بالاعتذارين رغم قبول ديسبراو لهما ، وذكر بأن الخطاب بغير خاتم الدولة وأن افراد الوفد الذى وصل لتسليم الخطاب كان مؤلغا من أعضاء غير رسميين باستثناء الشيخ ناصر بن راشد ، بل ان أحد أعضاء الوفد كان شخصا فارسيا جاء الى مسقط هاربا بعد أن قام باغتيال شقيقته وعلى الرغم من اقتناع الحاكم العام بآراء ديسبراو الا انه شك فى صحة الاسباب التى أوردها العمانيون فى خطاب الاعتذار . وكان المقروض أن يضع الخليلى خاتم الدولة على خطاب الاعتذار ومع كل ذلك فقد أبدى الحاكم العام استعداداه لقبول الاعتذار العماني اذا أكد بيلى بأن الاعتذار
اعتذار رسمى وسليم .

صدرت الأوامر بنقل ديسبراو يوم ٢٠ نوفمبر ، وعين فى مكانه الماجور كوتون ويى الذى كان يشغل المساعد الاول للمقيم . وقد كان من الاسباب

الرئيسية للخلاف بين ديسبراو وبيلى هو العلاقة الرسمية الغربية التي كانت قائمة بينهما لأن ديسبراو لم يكن يخضع للمقيم فى تلقيه التعليمات وانما كان يتلقاها من حكومة بومباى ويتصل بها مباشرة ، ومع ذلك فلا يمكن القول بأن ديسبراو لم يكن يخضع لتعليمات بيلى البتة . وكان من النتائج المؤسفة لذلك الوضع أن المعتمد السياسى فى مسقط لم يكن يزود بيلى بالمعلومات والتقارير عما يجرى فى عمان ، كما كان بيلى فى نفس الوقت يتصرف بالنسبة لشئون عمان دون استشارة ديسبراو أو اطلاعه على ما يتخذه من خطوات . وتصحيحا لهذا الوضع أوضحت حكومة بومباى لكونون وبي عند تعيينه بأن يعتبر نفسه مسئولاً عن أعماله أمام المقيم السياسى فى الخليج وأن تتم اتصالاته بحكومة بومباى عن طريق المقيم ، لا فى الأحوال الطارئة التي تستدعى الاتصال المباشر بحكومة بومباى . وفى يوم ٨ يناير ١٨٧٠ تسلم وبي عمله فى مسقط . أما ديسبراو فلا نعتقد مطلقاً أنه أسف لخروجه من مسقط نظراً لأن الأشهر التسعة التي قضاه فى مسقط كانت فترة حرجة بالنسبة له ، وكان واقفاً بين حكومة متطرفة من ناحية ورئيس غيور من ناحية أخرى ، وبالرغم من كل أخطاء ديسبراو فلم يكن من المناسب اطلاقاً أن تتخذ ضده كل تلك الاجراءات الانتقامية . وكان الناس فى مسقط يتهمسون عن طبيعة العلاقة بين بيلى وديسبراو ، ويقولون بأن ديسبراو كان يتصرف بعكس ما كان يطلبه منه بيلى ، وكان أهل مسقط يعتقدون أن سبب ذلك الوضع هو النفوذ الذي كان يتمتع به بيلى فى اوساط رؤسائه والذي يعود الى صلة النسب التي كانت تربطه بملكة إنجلترا (١) .

(١) الخطابات السرية المتفرقة مجلد ٥، خطاب من ديسبراو الى جون ٣٠/١٠/١٨٦٩ (رقم ٦٣٢ الادارة السياسية) .

كان الخلاف بين ديسبراو المعتمد السياسى فى مسقط وبيلى المقيم السياسى فى الخليج أحد الأسباب فى نقص المعلومات الحقيقية عن الأوضاع السائدة فى عمان وكانت قرارات ديسبراو تتأثر بكرهيته لبيلى وبسلبيته تجاه السيد عزان ورجال الدين المتنقلين فى عمان ، بينما كانت تقمة بيلى على ديسبراو أحد الأسباب فى نقص معلوماته عن الأحوال السياسية فى عمان وإساءة فهمه لها ، وحتى أواخر عام ١٨٦٩ كان بيلى يتصور أن نظام السيد عزان وهابى فى مضمونه وشكله ، لعل بيلى فى ذلك التصور كان متأثرا من التطرف الدينى لذلك النظام ولجهله بالمعتقدات والممارسات الإباضية مما دعاه الى أن يقرن النظام بالنظام الوهابى ، وكان المفروض على أى حال أن يكون طرد الحامية الوهابية من البريمى عاملا يسهم فى تحرير بيلى من تلك التصورات على النظام وعلاقته بالوهابيين . وإيا كانت أخطاء بيلى وديسبراو فانها فى التحليل النهائى ليست دليلا على تقلب السياسة البريطانية تجاه مسقط خلال عام ١٨٦٩ بقدر ما كان تضارب المواقف والآراء بين المسئولين البريطانيين عاملا فى تفجير المناقشات حول تلك المشكلات بين كل من حكومة الهند ومجلس شئون الهند ، ووزارة الخارجية البريطانية .

وفى صيف عام ١٨٦٩ عاد كلارندون الى تبنى فكرة استغلال معونة زنجبار للترويج بها لانتزاع بعض التنازلات حول تجارة الرقيق ، ولهذا فقد كتب يستفسر من مكتب شئون الهند فى شهر يوليو عما إذا كان سيوافق على ربط الغاء المعونة بالغاء تجارة الرقيق كما تساءل أيضا عما إذا كان اغتصاب السيد عزان للحكم فى مسقط قد ألغى قرار كاننج ، كما دعا الى إبلاغ السيد ماجد بعدم الاستمرار فى دفع المعونة الى مسقط إذا

ما وافق على اصدار قانون بحظر تجارة الرقيق فى زنجبار (١) غير أن كيه كان يعارض هذا الرأى على طول الخط ، وذكر لأرجيل : « اننا يجب ان نتفق أولا على ما اذا كان اعفاء السيد ماجد ومن يخلفه فى الحكم من بعده من الاستمرار فى دفع المعونة صوابا او خطأ ؟ فاذا اعتبرناه صوابا فان هذا الاعفاء يصبح من حقهم سواء قبلوا او لم يقبلوا بحظر تجارة الرقيق ، وأما اذا اعتبرنا الأمر بالعكس فان حظر تجارة الرقيق من جتبههم لا تبرر لنا أن ننتهج سياسة غير عادلة تجاههم غير أن أرجيل فضل على أى حل أن يستنير برأى كلارندون الذى بعث فى ٣٠ يونيو بمذكرة الى ماير حول موضوع عمان بشكل عام وموضوع المعونة بوجه خاص وقد ذكر : « انه يبدو من المحتمل ألا يتمكن السيد سالم من استعادة الحكم فى عمان كما أن السيد تركى بن سعيد ليست لديه الامكانيات لتولى الحكم دون مساعدة خارجية ، وبالتالي فليس أمام الحكومة البريطانية خيار سوى الاعتراف بالسيد عزان ولكن بشرط أن نوضح للسيد عزان ، أن اعترافنا به لا يلزمنا بتأييد اية اتفاقيات عقدها السيد ثوينى مع كل من حكومة فارس وسلطان وزنجبار سواء بشأن تجديد عقد تأجير بندر عباس أو بمعونة زنجبار ، وبالأحرى ينبغى ابلاغ السيد عزان بأن معونة زنجبار لمسقط تعتبر فى حكم المنتهية ، وعلى هذا الاساس فقد ذكر أرجيل لماير :

« أيا كانت التزامات الحكومة البريطانية بممارسة الضغط على حكومة زنجبار بالاستمرار فى دفع المعونة للخلفاء الشرعيين للسيد سعيد

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٣ خطاب من سيريج ريس الى ميرفيل ١٨٦٩/٧/١٩ وخطاب ار اوترى (الوكيل المساعد بوزارة الخارجية الى ميرفيل ١٨٦٩/٥/٢٩ فى نفس المجلد .

ابن سلطان طالما ظلوا في السلطة نظرا لانتقال الحكم الى أسرة أخرى وبالتالي فانكم تستطيعون ابلاغ سلطان زنجبار بأن حكومتكم ترى أن الاتفاق الذي تم التوصل اليه عام ١٨٦١ بشأن المعونة قد أصبح ملغى نتيجة لخلع السيد سالم من سلطة الحكم ولا يمكنني أن أتصور أنه يتعين علينا ، بالنظر الى قرار ١٨٦١ ، ان نضع في الاعتبار الظروف العديدة للثورات والثورات المضادة في عمان والمترتبة عن أحداث لم يكن في وسعنا السيطرة عليها (١) .

ان ما كان يريد كларندون وأرجيل هو ان يوضع هذا الحل موضع الاختبار فاذا تم الاعتراف بعزان واعتبر قرار كاننج قرارا ينطبق على أفراد أسرة آل بوسعيد من السلالة الأبوية للسيد سعيد بن سلطان أو من أحد أتجاله مباشرة فلم يبق هناك مبرر لدفع المعونة الى حكومة مسقط ، سيما وأن وقف المعونة سوف يستتبعه بالضرورة حظر تجارة الرقيق في زنجبار الامر الذي يحقق هدف الحكومة البريطانية دون أن تتحمل الخزينة البريطانية اى أعباء مالية في هذا الشأن ، غير أن القضية كانت تنطوي على أكثر من الاعتبارات المالية الزهيدة ، كما أشار الى ذلك أرجيل في مذكرة رسمية بعث بها في شهر أبريل وجاء فيها : « قد يكون صحيحا أن الحكومة البريطانية قد وسعت من مفهوم صيغة قرار كاننج بحيث تجاوز المعنى الاصلي المقصود منه سواء تمت هذه الاجراءات من قبل الزعماء العمانيين أنفسهم أو من جانب الحكومة وهو ما كانت تستهدفه السياسة البريطانية نفسها غير أنه يبدو لي أن كل ما وسعنا في مفهوم القرار المشبار اليه

(١) الخطابات السرية الى الهند مجلد ١ خطاب من وزير الدولة الى الحاكم العام ١٨٦٩/٧/٣٠

بعيـث يتحول الاتفاق المترتب عليه من اتفاق بين أفراد أسرة واحدة إلى اتفاق بين دولتين منفصلتين ، وهو الأمر الذي سعيـنا إليه لتحقيق أهداف الحكومة البريطانية وهو التزام ينبغى علينا التمسك به . . كما أن هذا الإجراء يعتبر فى المقام الأول نتيجة لسياستنا وبالتالي فنحن ملتزمون أخلاقيا بتأييده » وأضاف كيه يقول ليس ثمة دولة تحترم نفسها يمكن أن تدخل فى اتفاقات تخدم أهدافها فى فترة زمنية محددة ثم تعود فننقض تلك الاتفاقات اذا ما تعارضت مع أهدافها ، فاذا كان لابد من التخلـى عن مسقط وأن نرى فى الإجراءات التى اتخذتها حكومة اللورد كاننج باعتبارها إجراءات أملتـها ظروف سياسية لم تعد قائمة الآن فأنى أخشى أن نتهم بأننا نقرر أمورنا وفقا للمصلحة الآتية فحسب (١) .

اكتشف ماير اللعبة التى كان يزاولها كلارندون ، وجاـول أن يتجنبها ، وقد تساءل عن المورد الذى يعيش منه السيد تركى لو تقرر وقف المعونة السنوية له . وبموجب الاتفاق المعقود بين السيد تركى والسيد سالم فى سبتمبر ١٨٦٧ ، فإنه يحق للسيد سالم أن يتقاضى معاشا سنويا مقداره ٧٢٠٠ ريال نمسوى تدفع من ضمن المعونة المخصصة لمسقط من زنجبار بشرط عدم تدخل السيد سالم فى شئون مسقط وبما أن السيد ماجد أوقف دفع المعونة إلى مسقط منذ شهر مايو ١٨٦٨ فقد اضطرت حكومة بومباى إلى أن تتحمل دفع ذلك المبلغ إليه ، إلا أنه ليس من المعقول اطلاقا أن تستمر حكومة بومباى فى دفع هذا المعاش لاجل غير مسمى . وعندما عاد ماير إلى موضوع السيد عزان بن قيس رأى بأن السبب الذى يشجع على الاعتراف بالسيد عزان هو احتمال

تعرضه لهجوم انتقامي من الوهابيين عقابا له على طردهم من حامية البريمي، كما أن أي انتصار للوهابيين في عمان قد يتمخض عن عودة السيد سالم إلى الحكم إلى سيطرة الوهابيين على عمان ، وقد أشار ماير في مذكرته بأننا قد نأسف أو اعترفنا بحكومة السيد عزان بن قيس قبل الآن ، اذ ربما وجدنا أنفسنا في مجابهة مع أقوى دولة في المنطقة ، وأضاف أيضا بأن الحكومة البريطانية لا يسعها أن تغض الطرف عن احتمال وقوع كافة الدول البحرية في الخليج تحت سيطرة الوهابيين وهو أمر محتمل اذا استمرت الحكومة البريطانية في عدم اعترافها بالسيد عزان ، ورغم ذلك كما يقول الحاكم العام ، فاننا لا نستطيع الجزم بأن الاعتراف بحكومة السيد عزان قد تساهم في تعديل موقفه في صراعه مع الامير الوهابي بما يضمن له الانتصار على الوهابيين ، واذا كنا سنأسف من امتداد النفوذ الوهابي الى عمان الا أنه لا توجد لدينا أية وسيلة لمنع مثل هذا الأمر دون أن نتورط في تعقيدات سياسية مقبلة (١) .

وعند وصول خطاب ماير أجيل إلى مجلس شؤون الهند للبت فيه وقد زعم فرير بأنه أصيب بصدمة عنيفة من سياسة الجبن التي تنتهجها حكومة الهند تجاه عمان وأوضح بأن هذه المرحلة هي أسوأ مرحلة في تاريخ تدهور حكومة وبلد مزدهرين نتيجة لتدخلنا غير الموفق من ناحية وامتناعنا عن اتخاذ الاجراءات الصحيحة من ناحية أخرى . ويرى فرير أن المشكلة قد بدأت باعتراف الحكومة البريطانية بالسيد سالم في عمان ، وفي ذلك الوقت لم يكن الحاكم العام يؤيد الاعتراف بحاكم أعتدى على والده وفضل

(١) الخطابات والملفات السرية من الهند مجلد (٥) من الحاكم العام

إلى وزير الدولة ١٨٦٩/١١/٩ (رقم ٨ الادارة الخارجية) سرى .

أن يقوم المعتمد السياسي البريطاني بالانسحاب ، غير أن حكومة الهند عادت وقررت الاعتراف بالسيد سالم ، ومن ذلك الاعتراف ونحن نسير بوضع مائع ونسباهم في تدمير سلطنة مسقط ونمهد الطريق لمجيء الوهابيين . . وأضاف فرير أن الحاكم العام السابق لورنس لم يعارض استيلاء السيد تركي على السلطة وقد كان يرى فيه حاكما شجاعا وكفئا ويتمتع بتأييد أهل البلاد ويستطيع الاطاحة بالسيد عزان وليس حسب بل انه حال بين السيد ماجد وبين القيام بخلع السيد عزان من السلطة . ولم يفهم فرير الأسباب التي حملت لورنس الى اتخاذ ذلك الاجراء ، ولو كان المسئولون في حكومة الهند كما يقولون دائما انهم يعملون من أجل استتباب الامن والسلام في الخليج فلماذا لم يتدخلوا لوقف المجازر والغوضى في المنطقة؟ خصوصا وانهم كانوا سيتدخلون ان عاجلا أو آجلا ، والإ فليهم ان ينسحبوا من عمان نهائيا . كان فرير يؤيد الانسحاب لانه كان يعتقد بأن هذا الانسحاب سوف يؤدي حتما الى سقوط السيد عزان ووثوب السيد سالم او السيد تركي الى الحكم ، غير أن الانسحاب من جهة أخرى سوف يمهد الطريق للوهابيين أو الفرنسيين بأن يتدخلوا ، والى اندلاع الاضطرابات داخل عمان ، وذلك على حساب المصالح البريطانية والهندية في المنطقة ، ولهذا الأسباب كان فرير يدعو الى تقديم المساعدة الى أفراد أسرة السيد سعيد بن سلطان ، والأفضل أن يكون السيد تركي لكي يتسنى له الاستيلاء على الحكم شريطة أن يوافق على أى تعديل على قرار كاتنج قد ترى حكومة الهند اذارجه ضمن القرار ، ولكن فرير لم يكن يستطيع تحديد نوعية التعديل المطلوب ، ولكنه كان يفضل المضي في دفع المعونة المقررة للسيد تركي مؤقتا من جانب حكومة الهند مع ابلاغ سلطان زنجبار

بأنه قد يتعين عليه دفع هذا المبلغ فى النهاية ، ولتحقيق هذه الغاية يقترح فرير ايفاد مبعوث الى كل من مسقط وزنجبار على ظهر احدى السفن الحربية لبحث الاقتراح مع الاطراف المعنية (١) .

كان السير جورج كلارك العضو الوحيد من أعضاء مجلس الهند الذى له خبرة بشئون مسقط ، والذى كانت وجهة نظره تختلف عن وجهة نظر فرير فى تقييمه للمبادئ والقضايا المتصلة بمشكلة مسقط وزنجبار ، كما كان الشخص الوحيد الذى يعمق فى دراسة هذه المشكلة فقد طالب بعدم اعفاء زنجبار من دفع المعونة وان زنجبار قد وافقت على ذلك بمحض ارادتها مقابل احتفاظه بالسيادة على زنجبار ويضيف السير جورج بأن قرار كانبج لم يحقق السلام المنشود بين الدولتين فحسب وانما ضمن استقلال احدهما عن الأخرى بصورة نهائية وهذا هو نفس رأى كيه ، كما أوضح بأن تلك الشروط قد اقترتها حكومة الهند ولم يكن أى منا بطبيعة الحال يتصور أن ذلك الاجراء هو اجراء مؤقت . كان السيد برغش ابن سعيد قد ناقش هذا الموضوع عند صدور القرار واعتبره اتفاقا دائما وعلى هذا الأساس أصبحت المعونة التى تدفعها زنجبار هى ثمنا لاستقلالها عن مسقط ، وعلى أساس هذا يمكن اعفاء زنجبار من دفع تلك المعونة نظير التنازلات التى تقدمها بالنسبة لتجارة الرقيق ، ورغم ذلك لا يمكن اعتباره حلا نهائيا لمطالب مسقط فى زنجبار ، وكان السير كلارك قد أعرب عن استيائه من المناقشات العقيمة والتذبذب والمراوغات التى اتسمت بها السياسة البريطانية فى مسقط فى الفترة الأخيرة ، وعلى الأخص حول موضوع السيد / عزان بن قيس نظرا لأن السير كلارك لم يكن ضد السيد عزان ، ليس باعتباره وهابيا أو خاضعا للوهابيين ، وبالنسبة لى فانى

(١) الخطابات والمرافقات السرية من الهند مجلد (٥) محضر فرير

١٨٦٩/١٢/٢٢ خطاب خارجى (سرى) رقم ١٨ المؤرخ ١٨٦٩/١١/٩ .

اعتبر الوهابية هي (البعبع) الذي يهدد مصالحنا وفي نظري أن السيد عزان يعتبر في جميع المقاييس أنه يتمتع بجميع الصفات التي نحن في حاجة اليها لتحقيق مصالحنا اذا احسنا التعامل معه (١) .

لم يعد سلوك السيد عزان وما يتمتع به من نفوذ في عمان من الأسباب التي توجه اليها الانتقادات الرئيسية حول موضوع الاعتراف به كحاكم على عمان ، فقد كان من الواضح أن ماير يؤيد مصادقة السيد عزان الى أن ينتهي الصراع في عمان حول السلطة وينتهي موضوع معونة زنجبار ، وحتى الآن فان هذه القضية لم تحسم بعد ، وقد آفاد بيلي في شهر نوفمبر ثم في شهر ديسمبر ١٨٦٩ بأن مركز السيد عزان في عمان قد أصبح مستقرا واستطاع اخضاع قبائل بني بوعلی سكان جعلان وأنه بالرغم من أن قبائل بني ريام سكان الجبل الأخضر مازالت تتحدى عزان الا أنه يحتفظ بزعيم هذه القبيلة وهو الشيخ سيف بن سليمان كاسير لديه ، وكان هذا هو رأى السيد سالم الذي اجتمع به في هنجسام عندما كان في طريقه الى البحرين في أوائل شهر نوفمبر الذي يعتقد بأن الامام عزان قد تدعم مركزه ، فقد كان السيد عزان محاربا شجاعا ومخططا عسكريا ، فقد نجح في جميع المعارك التي خاضها في داخلية عمان وهي المعارك التي تعتبر من انجح المعارك التي ادارها حاكم من الحكام العمانيين خلال الخمسين عاما الاخيرة ، كما أن غالبية القبائل وزعمائها يؤيدونه تأييدا كاملا ما عدا سكان المدن ، كما لم يكن أى خصم من خصومه يستطيع أن يتحداه أو يقف ضده . وفي شهر يونيو آوفد السيد ماجد مبعوثه الى بومباي يطلب السماح

(١) نفس المصدر محضر كلارك ١/٦/١٨٧٠ الخطاب السرى رقم ١٨

له بشن حملة ضد عزان فى محاولة لاسترداد السلطة وتوحيد البلاد ، غير أن تلك المحاولة من السيد ماجد كانت خدعة لأن أقصى ما يمكن أن يتمخض عن القيام بحملة كهذه ، هو احتمال إعادة توحيد السلطة ولكن بزعمارة مسقط وليس بزعمارة زنجبار ولهذا الأسباب أيدت حكومة بومباي اقتراح السيد ماجد ، ولكن عندما علم السيد عزان بتلك المحاولة أعلن فى نهاية العام بأنه يعتمزم إرسال حملة لاختياغ زنجبار (١) :

أما تهمة الحكومة الهندية للسيد عزان بأن حكومته تسعى إلى الرعايا البريطانيين فقد تبين من التحقيقات التى أجراها بيلى بأنه ليس لها أساس من الصحة ، فلم يكن هناك أى اضطهاد من جانب النظام للهنود وإن كانوا قد تدمروا من بيع التبغ والقوانين الشرعية الإسلامية التى تحدد علاقة الموضوعين بالمدينين ، وبالتالي فقد اتضح للسلطات الهندية فى أواخر عام ١٨٦٩ كما أشار بيلى بأن حكم السيد عزان قد استتب فى عمان بحيث يمكن الاعتراف به (٢) :

(١) الخطابات والمرقات السرية من الهند مجلد (٥) معلق للخطاب الخارجى السرى رقم ١٨ فى ١١/٩/١٨٦٩ من جون كيرك (المعتمد السياسى فى زنجبار) الى جون ٢٩/٤/١٨٦٩ (رقم ١٧٣ - ٤٤ الادارة السياسية) ومجلد ٦ مرفق للخطاب الخارجى السرى رقم ٦ فى ٢٥/١/١٨٧٠ من ديسبراو الى جون ١١/٦ و ١١/١٢/١٨٦٩ (رقم ٦٨٨ ، ٧٠٨ الادارة السياسية) .

(٢) نفس المصدر مجلد ٦ مرفق للخطاب رقم ٤ المؤرخ ١٨/١/١٨٧٠ من بيلى الى السكرتير السياسى لحكومة بومباي ٣ و ١١/١٢ و ٨ و ١٩/١٢/١٨٦٩ (رقم ٢٠٢ و ٢٠٥ الادارة السياسية) :

وقد ظل ماير متردداً بالنسبة للخطوة التي يتعين اتخاذها وذكر لفيتز جيرالد في نهاية ديسمبر بأن معلومات بيلي لم تكن معلومات وافية بدرجة تمكنه من اتخاذ قرار في الموضوع ، كما قال بأنه يتعين على المقيم ان يقوم بزيارة أخرى لمسقط و اجراء تحقيقات أوسع عن المشكلة ، فان رأى أن احتمال سقوط عزان غير محتمل فعندئذ يمكن ان يفكر ماير في الاعتراف به كحاكم على عمان ، و اضاف الحاكم العام بأن بريطانيا قد اعترفت فعلاً جزئياً بحكم عزان وذلك بقبولها اعتذار عزان عن حادث السفينة البريطانية كلايف و ابقاء المعتمد السياسي البريطاني في مسقط ، ثم استدرك يقول بأن الاعتراف النهائي بحكم السيد عزان سوف يتخذ الى درجة كبيرة على الخطوات التي يتخذها الوهابيون خلال الأشهر المقبلة .

لم يراود المسؤولين البريطانيين أى شكوك في الخطوة التي سيقوم بها الأمير عبد الله بن فيصل ، ففي اعقاب طرد الحامية الوهابية من البريمي مباشرة بعث الأمير الى السيد عزان بخطاب قال فيه : « من عبد الله بن فيصل ، امام المسلمين الى السيد عزان بن قيس ، لقد علمنا بما فعلتموه وسوف نزوركم بمشرين ألف مقاتل و نأمل أن تلقى استقبالا حسنا منكم . كانت الاشاعات عن هجوم وهايي وشيك على عمان في الاشهر الأخيرة من عام ١٨٦٩ تملأ الاجواء ، ففي شهر نوفمبر ذكر السيد سالم لبيلي خلال اجتماعهما في هنجام بأنه على صلة بالأمير عبد الله ويعرفنا يجرى هناك ، ولهذا فانه يشك أن يتعدى الأمير ، اذا ما تحرك ، حدود الأحساء ، نظراً لأن عبد الله يخشى مفادرة العاصمة خوفاً من أخيه سعود الذي قد ينتهز الفرصة للاستيلاء على الحكم . والواقع أن الامر كان بالعكس فقد هرب سعود بن فيصل من نجد في أواخر عام ١٨٦٩ و توجه الى البريمي ومنهنا الى يركا على ساحل الباطفة حيث اجتمع بالسيد عزان في شهر يناير

١٨٧٠ ، وفى نفس الوقت وصلت معلومات عن الأمير عبد الله بأنه يستعد للهجوم على عمان واجتياحها وبأن قوة من ألفين الى خمسة آلاف رجل قد أخذت تتجمع فى الأحساء ، كما صدرت الأوامر الى نحو مائة سفينة فى التجمع فى المنطقة القريبة من الأحساء وطلب من شيوخ الهدنة تقديم المزيد من السفن ، كذلك بعث الأمير برسائل الى النعيم يعرض عليهم العفو عن الأعمال التى ارتكبوها فى تأييد السيد عزان بشرط اعلان تأييدهم له ، ومن ناحية أخرى أصبح السيد عزان فى وضع لا يحسد عليه ، وقد أعلن شيوخ بنى بوعلى فى يناير ١٨٧٠ بأنهم لن يؤيدوا السيد عزان ضد الأمير عبد الله ، وكان بنى بوعلى قد اعتنقوا المذهب الوهابى قبل خمسين عاما ، ولم تكن قوة عزان القبلية تزيد على ألفين من الرجال ، بالإضافة الى ٦٠٠ رجل من الاحتياطى ، كما أن شيوخ الهدنة من رأس الخيمة حتى أبو ظبى لم يكونوا من المؤيدين للسيد عزان أو اعداء للأمير عبد الله ، أما الشيخ زايد بن خليفة والذى تشكل أراضي الحدود الغربية لعمان فقد قيل انه يفكر فى اتخاذ موقف الحياد ، غير أن هناك شكاً فى أنه يريد أن يلعب لعبة مزدوجة . فى ذلك الوقت كان السيد سالم موجوداً فى جزيرة قشم فى انتظار رسل الأمير عبد الله وقيل أنه كان يفكر فى الانحياز الى الأمير عبد الله (١) .

فى الأسبوع الأخير من يناير ١٨٧١ بعث الماجور وىي بأكثرية هذه المعلومات الى حكومة بمبائى ، ومن هناك أعيد ارسالها الى كلكتا يوم ٢٩

(١) الخطابات والمرقات السرية الى بمبائى مجلد ٣٧ مرفق للخطاب السياسى رقم ٧ فى ١٨٧٠/٥/٣١ من وىي الى جون مسقط ١/٢١ و ١٨٧٠/٢/٤ (رقم ٦٢ و ٦٨ الادارة السياسية) .

ينأير ولكن الرد الفعلى فى الأوساط الحاكمة يتسم بالحذر ، فشارلس اتيشيسون وزير خارجية الهند فى ذلك الوقت لم يكن يرى بأن الحادث يستجوب التدخل البريطانى أو أن هناك مبررات للتدخل . وعلى الرغم من أن أى هجوم يقوم به الأمير عبد الله على مسقط قد يبدو انتهاكا لاتفاقية ١٨٦٦ إلا أنه قال بأن مسقط هى التى كانت تستفز حكومة الرياض ، ومن ناحية أخرى فإن كلا من حكومة مسقط وحكومة نجد لم تكونا مشتركين فى معاهدة الهدنة البحرية ، وبالتالي فلا تملك الحكومة البريطانية أسبابا قانونية تجيز لها التدخل لمنع أى هجوم بحرى يقع على مسقط ، على الرغم من أن مثل هذه الظروف السائدة الآن لم تمنع الحكومة البريطانية فى الماضى ولا يمكنها أن تمنعها الآن اذا رغبت من القيام باجراء لمنع الاشتباكات البحرية فى مياه الخليج حفظا للسلام والأمن فى المنطقة ، وبالإضافة الى كل ذلك فإن أى هجوم بحرى يقوم به الوهابيون اذا ما جاء عن طريق قطر أو الأحساء الى ساحل الهدنة فإنه لابد لمثل هذه القوات من العبور عن طريق بلاد بنى ياس أو القواسم ، وحتى اذا جاءت عن طريق البر فإنه لابد لها من المرور عبر أراضي بنى ياس ، ولما كان كل من بنى ياس والقواسم دولتين مشتركين فى معركة الهدنة البحرية فإن ذلك يسمح للحكومة البريطانية بالقيام باجراء لمنع الهجوم الوهابى القادم ، وكانت حصيلة موقف رأى اتيشيسون أنه لابد من توفر معلومات أكثر عن نوايا وتحركات الوهابيين قبل أن تتخذ الحكومة البريطانية قرارا فى هذا الشأن ، ولهذا أبقى اتيشيسون يوم ٧ فبراير الى حكومة بومباى يحثها على جمع معلومات جديدة وتجديد ما اذا كانت هناك سابقة للتدخل البريطانى فى الخليج بين دولتين غير مشتركين فى معاهدة الهدنة (١) .

(١) الخطابات والمرفقات السرية من بومباى مجلد ٣٧ مرفق الخطاب =

وفى يوم ١٠ فبراير بعثت حكومة بومباى بالرد التالى :

« يحتفل أن تغادر السفن الوهابية وبعضها من ميناء القطيف والأخر من قطر وأن تقوم بعمليات الانزال فى نقطة تقع بين أبو ظبى والشارقة ، والميناء الرئيسى فى قطر هو الوكرة ويتبع محمد بن ثانى الذى يفتبرونه حاكما مستقلا رغم أنه يدفع زكاة سنوية الى البحرين يذهب جزء منها الى الامير الوهابى : أما الشارقة فهى تابعة للقواسم الذين يقتربون فى المذهب من الوهابيين إلا أنهم مستقلون عنهم من الناحية السياسية ، وأما بنو ياس سكان المنطقة المتاخمة لآبى ظبى فانهم على ما يبدو ليسوا خلفاء للوهابيين أو تابعين لهم وان كان حاكم أبو ظبى الرئيس القبلى لبنى ياس وكان على صلة وثيقة بحكام آل بوسعيد فى مسقط . وتعد قبيلة بنى ياس أقوى القبائل التى تقيم فى المناطق البرية وبالتالى فان لهم نفوذا واسعا على القبائل البدوية الأخرى سكان المناطق المجاورة لكن القواسم ليسوا أقوىاء فى البحر » :

كانت الحكومة البريطانية تعارض باستمرار امتداد النفوذ الوهابى الى عمان وليست هناك سوابق للتدخل البريطانى فيما بين العمانيين والوهابيين الا ان حكومتنا كانت تؤازر حكومة مسقط فى الخلافات التى تنشعب بينها وبين الوهابيين ، وذلك بأرسال سفن حربية بريطانية الى الساحل العربى فى كل مرة ينشب القتال فى المنطقة . وقد حدث فى عام ١٨٦٦/١٨٦٥ عندما فرر السيد ثوينى سلطان مسقط مقاومة القوات

=السياسى رقم ٥ المؤرخ ١٨٧٠/٣/٢٦ من وزير الخارجية الى السكرتير
السياسى لحكومة بومباى ١٨٧٠/٢/٧ وملخص لمجموعة من الاستفسارات
أعداه انيشيپسون ١٨٧٠/٢/٦ ،

الوهابية أن أرسلت القوات البريطانية بقوات ومعدات إلى السلطان . وعلى أية حال فإن السياسة التي أخذت تنتهجها حكومة الهند في الآونة الأخيرة هي العمل على منع الاشتباكات البحرية في الخليج وفي خليج عمان أيا كان أصحابها .

وفي شهر يونيو ١٨٦٨ طبق قرار الحظر حول النزاع بين حكومة مسقط وفارس حيث اتخذت بريطانيا نفس الإجراءات لوقف محاولة أنفرس ضد مسقط ، كما أبلغت سلطان زنجبار بأنها سوف تمنع أية عمليات بحرية من جانبه تقوم بها ضد مسقط ، بينما طبقت الحظر على مسقط في الوقت نفسه عندما قامت الأخيرة بمحاولة لاسترداد منطقة جواذر وشهباز . ان نظام الهدنة كان يطبق على دول الساحل الصغيرة ، واما مسقط وفارس والرياض فانها لم تشترك في اتفاقية الهدنة (١) :

خلال الاسبوع الثاني من فبراير وصلت دفعة جديدة من المعلومات عن تحركات القوات الوهابية ، فقد تحرك الأمير عبد الله من الأحساء في اتجاه الجنوب حتى أصبح في نقطة تبعد مسيرة خمسة أيام من واحة البريمي ، ولعلها كانت المنطقة السخلى من قطر ، وعلى الفور وجه فيثز جبرالد إلى قائد السفينة كلايف بتعليمات وهي السفينة الموجودة في تلك اللحظة بأن يتخذ موقفا صارما دقيقا في أية عمليات حربية قد تنشأ في المنطقة وبألا يتدخل إطلاقا في القتال على البر بل يلتزم بنصوص معاهدة الصلح البحرية . وعلى الرغم من ذلك ظل ماير يرفض القيام بأية خطوة

(١) نفس المصدر مرفق للخطاب السياسى رقم ٧ المؤرخ ١٨٧٠/٥/٧
من السكرتير السياسى لحكومة بومبهاى الى وزير الخارجية للهند
١٨٧٠/٢/١٤

ايجابية . أما بيلى الذى كان وقتئذ فى الهند يقضى اجازته منذ ديسمبر وكان فى كلكتا فقد اقترح على الحاكم العام بأن يكلفه بالعودة فورا الى الخليج وتفويضه الاعتراف بالسيد عزان ، كما اقترح أيضا اصدار تعليمات الى المقيم البريطانى المساعد فى بوشهر بالتوجه الى البحرين على السفينة المسلحة كوان تنج التى كانت فى طريقها الى الخليج لكى تلحق بالسفينة كلايف والقيام بمراقبة سواحل الاحساء ، فان حاول الامير عبد الله القيام بعمل ضد عمان عن طريق البحر فيتعين تحذيره بأن الحكومة البريطانية سوف تتحرك للمحافظة على الامن فى الخليج . أما اذا كانت موانئ الاحساء هادئة فيتعين عليه أن يتوجه الى الساحل العربى على السفينة كوان تنج لتحذير قبائل الساحل من الاخلال بالامن فى البحر وبأن يترك السفينة كلايف فى البحرين (١) .

وقد وافق ماير على اقتراحات بيلى وان ظل مترددا لما يخص الاعتراف بالسيد عزان انتظارا لما سوف يتمخض عنه الوضع من نتائج فى الصدام المقبل مع الوهابيين والى أن يتوصل مكتب شئون الهند الى خطوة حاسمة بالنسبة للسياسة البريطانية بحذافيرها تجاه مسقط (٢) . وعاد بيلى الى بومباى فى نهاية الاسبوع الأول من مارس ، ومنها اتجه الى الخليج ، وعند وصوله هناك وجد أن الأزمة قد انتهت . وفى يوم

(١) الخطابات والمرفقات السرية من الهند مجلد ٦ مرفق للخطاب السرى رقم ١٩ المؤرخ ١٥/٣/١٨٧٠ من بيلى الى اتيشيسون ١٨٧٠/٢/١٢ .

(٢) نفس المصدر خطاب من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٧٠/٢/٢٢ (رقم ١٧ الادارة الخارجية السرية) .

٥ مارس ابرق وبي المعتمد السياسى من مسقط يقول « مسقط هادئة »
وينتظر عودة السيد عزان من البريمى فى أول ابريل ، وقد وصل الشيخ
زايد من أبو ظبى ، وأكد علاقات الصداقة مع مسقط وبالوقوف معها
فى وجه الوهابيين ، كما أن محمد بن على النعيمي شيخ قبائل النعيم قد
اعرب هو الآخر عن ولائه للسيد عزان ، ويقول أيضا بأن قبائل الساحل
ستزورنى فى صحار ، أما أنا فلن أذهب الى الساحل وانما سأعود الى
صحار بعد الانتهاء من التدابير الخاصة بالدفاع عن واحة البريمى (١) ،
كان السبب فى تحول الموقف هو القرار الذى اتخذه الشيخ زايد بن خليفة،
فى العام السابق وبعد الاستيلاء على واحة البريمى من الوهابيين عقد
السيد عزان مع الشيخ زايد عقدا تعهد بموجبه زعيم بنى ياس بالدفاع عن
حدود عمان الشمالية مقابل أن يتكفل السيد عزان بدفع جزء من الزكاة التى
كانت تدفعها حكومة مسقط للوهابيين اليه . سافر السيد عزان الى
البريمى فى أواخر فبراير ١٨٧٠ ، وكان يصحبه الأمير سعود بن فيصل
وقد توجه للاجتماع بالشيخ زايد ومطالبته بتنفيذ بنود الاتفاق المعقودة ،
أما عبد الله بن فيصل بعد أن وجد نفسه مضطرا الى اجتياز صحراء
الظفرة وهى منطقة خاضعة لبنى ياس (خصوصا بعد أن صرف النظر
عن فكرة القيام بالحملة عن طريق البحر لافتقاره الى السفن) فقد الحماس
لتنفيذ الخطة ، خصوصا وأن منطقة الظفرة لم تهطل عليها أمطار فى ذلك
العام وكان هناك نقص كبير فى المياه والعلف ، وبما أن الأمير عبد الله

(١) المرفقات والخطابات السرية من بومباى مجلد ٣٧ ملحق بالخطاب
السياسى رقم ٧ المؤرخ ٣١/٥/١٨٧٠ خطاب من وبي الى بيلى
١٨٧٠/٣/٥

لم يسبق له أن غادر نجد الى أبعد من القير بسبب خوفاً من أخيه ، ونظراً لان غيابة الطويل عن الرياض قد يهتء الفرصة لفقدانه السلطة ادرك أخيراً أن الهجوم على عمان فى ذلك الوقت سيكون عملاً فى منتهى الخطورة ، ولذلك قفى نهاية مارس وصلت معلومات تفيد بأن الأمير عبد الله قد غادر المنطقة عائداً الى عاصمة بلاده (١) .

كان نفوذ السيد عزان فى عمان قد بلغ ذروته ، فقد خلى البلاد من الوهابيين ، وعقد حلفاً مع أبو ظبى ضد الوهابيين ، وأصبح يسيطر على أجزاء من عمان أكبر مساحة من أى زعيم آخر منذ خمسين عاماً ، وهو قد أصبح الزعيم الروحى لعمان ، كما أظهر كفاءته العالية كجندى وكخامك وأخيراً فقد بدأ يتخزر من نفوذ رجال الدين وهيمنتهم على شئون الدولة ومن نفوذ الخليلى عليه ، وبالتالي فلم يعد هناك سبب يمنع الحكومة البريطانية من الاعتراف به فيما عدا تردد بعض المسئولين فى الاعتراف به .

فى يوم ٢٢ فبراير ١٨٧٠ كتب ماير الى ارجينل يقول : « بأئنى لا أستطيع الموافقة على تعليمات وزير الدولة الصادرة فى يوليو بشأن السيد ماجد بن سعيد أو اعتبارها موقفاً نهائياً باعفائه من دفع المعونة السنوية الى مسقط لأن الاقتراح الخاص بالغاء قرار كاننج لا بد آته يتمخض عنه نتائج خطيرة ، وبالتالي فانه لا يستطيع تنفيذها قبل أن يتمكن من اقناع

(١) الخطابات والمرفات السرية من حكومة بومباى مجلد ٣٧ مرفق للخطاب السياسى رقم ٧ المؤرخ ١٨٧٠/٥/٣١ من وى الى بيلى ١٨٧٠/٣/٥ وخطاب من بيلى الى السكرتير السنينائى لحكومة بومباى ٣/٢١ و ١٨٧٠/٤/٢ و ٣/١٦ ، و ١٨٧٠/٤/٨ (رقم ٤٤ و ٤٧ الادارة السياسية) .

الحكومة البريطانية بتغيير موقفها هذا : « اننى لا أستطيع أن أتصور أى اساءة لسمعتنا واضرار لتفوذنا الشرعي في عمان. أو احتمال لجوئنا الى القوة في حل المنازعات التي تنشأ في الخليج بين وقت وآخر ، من أن نعلن عن استعدادنا لاعفاء سلطان زنجبار من التزاماته تجاه حكومة مسقط» : عاد ماير فائز الموضع من جديد وباسهاب في تقريره الذي بعث به في ٢٧ مايو ١٨٧٠ وجاء في التقرير بأن المقيم البريطاني في الخليج قد زود بالصلاحيات التي تخوله اذا شاء الاعتراف بالسيد عزان بن قيس ، وبالرغم من ان الفرصة لم تتح لهم قبل الآن في استعمال تلك الصلاحيات ، فاني اري ان الاعتراف بالسيد عزان لا يمكن أن يؤجل أكثر من ذلك ، نظرا لان فتح قناة السويس سوف يسمح للسفن الحربية الأجنبية بزيارة مسقط ، كما ان ربانة السفن الهولندية والفرنسية قد اخذت بالفعل تطلق مدافع التحية لحكومة السيد عزان أثناء مرورها بمسقط ، ولو اجلنا الاعتراف وعلي عكس ما ذهب اليه أرجيل في تعليماته فان الاعتراف بالسيد عزان قد يازم الحكومة البريطانية بالعمل على التدخل لتجديد عقد ايجار بندر عباس لحكومة مسقط فلا بد ان يرافق ذلك بيان صريح من الحكومة البريطانية حول سياستها تجاه مسقط وبصفة خاصة فيما يتعلق بالاحتفاظ بمعاهدات واتفاقيات أو الغائبا نظرا لان مجرد الاعتراف دون الالتزام بالمعونة السنوية للسيد عزان لن تكون له اية قيمة ، واذا لم يتم ضمان هذه المعونة فليس من حقنا منع السيد عزان من السعى الى اتخاذ الاجراءات القصرية لارغام زنجبار علي استئناف دفعها وقد تساءل ماير أخيرا عما اذا كانت حكومة الهند سوف تستمر كما كانت تفعل في الفترة الاخيرة في حظر العمليات البحرية في خليج عمان علي السيد عزان ومينافسيه علي الحكم وسلطان زنجبار ؟

لم تجد مقترحات مايو صدى لدى أرجيل ، وقد كان أرجيل متأثرا بكلارندون وزير الخارجية الذى كان مصمما على القضاء على تجارة الرقيق باعتبارها آخر سهم فى جعبته . صحيح بأن موضوع القضاء على تجارة الرقيق كان هدفا نبيلًا وبالتالي فلكى يحقق ماير ذلك الهدف كان لابد له من أن يجازف بالمصالح البريطانية فى الخليج وشبه الجزيرة العربية . وقد ظل ماير أن أرجيل كان مصابا بذلك الداء ، وأعرب عن هذه المخاوف فى رسالة خاصة بعث بها الى وزير الدولة فى شهر يوليو ١٨٧٠ يقول فيها : « أنه ليحز فى نفسى أن أشعر بأن هناك اتجاها بانسحاب بريطانيا من الخليج انسحابا كليا ، غير أبى أرى أن هذه الخطوة هى خطوة غير سليمة، ولا يمكن اتخاذها فى الوقت الحاضر ، لأننا لو فعلنا فسنضطر الى التخلي عن تعهداتنا وعن الاتفاقات التى تربطنا بدول المنطقة ، الأمر الذى سوف يسئ الى سلوكنا القومى ويشكل ضربة قوية لنفوذها على الحدود الغربية من الهند ، كما أن هذا الاجراء لو تم فسوف يشجع كلا من تركيا وفارس الى شن الحروب ويساهم فى امتداد نفوذ تلك الدولة المجهولة الهوية وأعنى بها دولة الوهابيين ، كما أنه بالإضافة الى ذلك سوف يشجع دول الساحل العربى الى استئناف عمليات القرصنة والحروب الأهلية (١) . غير أن صرخة الحاكم العام ذهبت آدراج الرياح أو انها على الأقل لم تثر اهتمام أرجيل خلال الفترة المتبقية من عام ١٨٧٠ .

فى نفس الشهر الذى سافر فيه بيلى الى منطقة الخليج للتحرى عن نشاط عبد الله بن فيصل وعن تحركاته ، تسلل السيد تركى بن سعيد من

(١) وثائق أرجيل ، خطاب من ماير الى أرجيل ، ١٨٧٠/٧/٢٩ .

اقامته الجبرية فى بومباى وركب سفينة البريد المتجهة الى مسقط ،
ووصلها يوم ١٤ مارس الا انه منع من النزول فيها ثم ذكر بانه يتوقع أن
يعود فى ظرف أسبوعين ، وبعد ذلك توجه الى بندر عباس حيث استقبله
بـرحب به حاجى أحمد الوزير السابق عند السيد ثوينى بن سعيد والذي
سمحت له حكومة فارس باستئناف شغل منصبه كحاكم للميناء ، وعند
وصول بيلى الى بندر عباس فى أوائل شهر أبريل لعقد اجتماع مع السيد
تركى اكتشف بأن السيد تركى قد سافر بالفعل وتوجه الى ساحل الهدنة،
ثم بعد أسبوع من ذلك التاريخ تلقى منه خطابا يطلب فيه مبلغا من المال
كسلفة وذكر فى خطابه ، بانه يأمل فى أن يحصل على تأييد شيوخ الهدنة
فيما عدا شيخ أبو ظبى ، وقد أبرق بيلى بمضمون الخطاب الى المسئولين
فى بومباى يستفسر فيه عما اذا كانت عودة السيد تركى الى الخليج تتطلب
اعادة النظر فى التعليمات التى صدرت اليه فيما يتعلق بالسيد عزان
بن قيس ، الا انه تلقى ردا غامضا من بومباى وأبلغوه فيه ، بأن عليه أن
يتقيد بالتعليمات ما لم يتأكد أن عودة السيد تركى قد تؤدي الى تغيير فى
الأوضاع (١) .

(١) الخطابات والمرقات السرية من الهند مجلد ٦ مرفق للخطاب
الخارجى (سرى) رقم ٣١ المؤرخ ٢٧/٥/١٨٧٠ خطاب من وى الى المقيم
السياسى ١٨/٣/١٨٧٠ (رقم ١٨٤ الادارة السياسية) وخطاب من بيلى
الى السكرتير السياسى لحكومة بومباى ٢ و ١٠/٤/١٨٧٠ ، وخطاب من
دبرن السكرتير السياسى بالوكالة لحكومة بومباى الى وزير الخارجية
سملا فى ٤ ، ١٤/٤/١٨٧٠ (رقم ١٢٧ و ١٩٥ الادارة السياسية) وخطاب
من وزير الخارجية بالوكالة الى بيلى ١٥/٤/١٨٧٠ .

ولا يمكن أن نذكر بصورة قاطعة بوجود علاقة بين عودة السيد تركي و لكونيل بيلي ، صحيح أن بيلي كان يعتقد بأن السيد تركي هو أفضل أفراد أسرة آل بوسعيد لتولي الحكم ، وأنه اثناء وجودي في بومباي كان يلتقى به كثيرا ، ولكن لا يمكن القول بأن بيلي كان قد تورط في موضوع السيد تركي وان كانت عودته الى الخليج على ظهر احدي السفن البريطانية قد تفسر على أنه يحظى بتأييد من الحكومة البريطانية :

شيء واحد قد كشفت عنه عودة السيد تركي الى الخليج ، وهو أن هناك منافسين للسيد عزان على السلطة هما السيد تركي وابن عمه السيد سالم ، وبما أن الوقت قد حان للبيت في موضوع من أهم المواضيع التي اثارها الحاكم العام مع أرجيل ، وهي اتفاقية الهدنة البحرية وفيما إذا كانت الاتفاقية تشمل عمان أيضا . في أوائل شهر فبراير عرض الكومدور هيث القائد العام لاسطول الهند الشرقية الأمر على الحاكم العام وأوضح له بأن التعليمات التي صدرت عن الاميرالية البريطانية ومكتب شؤون الهند في شهر أغسطس ١٨٦٩ تقتصر على دول الخليج ، ورغم ذلك فإن حكومة الهند قد أصدرت تعليمات بحظر الاشتباكات أو العمليات البحرية عموما ضد الحكم القائم في مسقط . وأحيل استفسار هيث هذا الى اتشيسون الذي اقترح بأنه استنادا الى أن السلطات في الهند قد منعت في الماضي قيام اشتباكات بحرية بين الدول التي لم توقع على اتفاقية الهدنة رغبة منها في حماية الأمن والسلام في المنطقة ، وبالتالي فتعتبر تعليمات مكتب شؤون الهند والاميرالية الهندية تعليمات واضحة وأضاف اتشيسون بأننا من جانبنا نفضل أن يتم تحديد اطار هذه الحماية في المنطقة بحيث يضم منطقة الخليج كلها وخليج عمان ، وهي المنطقة التي تمتد من الاطراف الجنوبية لمسقط حتي جواذر علي ساحل

مكران ، وان الهدف من ذلك هو منع كافة الاشتباكات الحربية فى البحر ضمن هذه المنطقة فيما عدا نقل الذخيرة ضمن منطقة لا تزيد مساحتها على ثلاثة أميال على الساحل وبدون انحراف عن هذه الحدود . وعند احالة ماير للموضوع على أرجيل أوضح له بأن المنطقة المشار إليها آنفا تشمل سواحل جنوب شبه الجزيرة ، والصومال ، وافريقيا الشرقية وعمان واستطرد الحاكم فى مذكرته فقال أننا اذا وضعنا فى الاعتبار احداث السنوات الأخيرة فيما يتعلق بالشئون البحرية لهذا الساحل الهائل فان معناه أننا نتحمل نفس المسؤولية التى نتحملها للحفاظ على الامن داخل الخليج .

مكث السيد تركى فى ساحل الهدنة وبالأخص فى دى ثلاثة شهور تقريبا يحاول عبثا الحصول على تأييد من شيوخ الهدنة ومن النعيم فى واحة البريمى ، وفى مستهل شهر يونيو عاد السيد تركى الى بندر عباس وعلم من بيلى بأنه سوف يتم تطبيق القيود على نقل الهندود عن طريق البحر بكل شدة ، غير أن السيد تركى تجاهل ذلك التحذير وابتحر على سفينة ترفع العلم البريطانى فى نهاية شهر يونيو ومعه أربعون من المسلمين .

وكانت السفينة متجهة الى بومباى ولكن بيلى لحق به ليحول بينه وبين النزول فى اى ميناء من موانئ مسقط . عدل السيد تركى عن خطته وعاد أدارجه الى بندر عباس قبل أن يتمكن بيلى من اللحاق به وبذلك الخطوة وصل السيد تركى الى أذى مرحلة من مراحل الاهداف التى كان يسعى إليها ، ولكن يبدو أن الحظ كان فى انتظاره ، ففى مستهل شهر أغسطس تلقى أحد تجار بومباى من سلطان زنجبار تحويلا بمبلغ ٢٠ ألف روبية لصالح السيد تركى ووعد السيد ماجد العميل الهندى بتحويل ٣٠ ألف روبية أخرى للسيد تركى اذا ما تمكن من الاستيلاء على صور اضافة الى

١٠٠ ألف روبية غيرها اذا نجح السيد تركى فى اقناع الامير عبد الله بن فيصل بمساعدته على احتلال صحار ، وقد تلقت السلطات البريطانية خبرا مفاده بأن السيد تركى يزعم الاجتماع بالامير عبد الله فى القطيف ، حيث كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لغزو عمان . وعلى أى حال فقد كان المرجح أن تلك الاستعدادات كانت تجرى لغزو البحرين حيث كان لجا إليها الامير سعود شقيق الامير عبد الله . وقد أبدى السيد ماجد استعداده بتزويد السيد تركى بقوة عسكرية لتمكينه من الاطاحة بالسيد عزان بالاضافة الى المساعدات المالية ، وقيل يومئذ بأن السيد ماجد قد أرسل سفينته المسلحة برنس أوف ويلز الى السيد تركى وحذر التجار العمانيين بأنه سوف يمنهم من دخول زنجبار طالما بقى السيد عزان فى الحكم ، وقد كان هذا التحذير فى المقام الأول الى قبائل جعلان وصور ، وهم من اكبر مهربى الرقيق الى عمان والخليج ، وبالتالي فان تهديد السيد ماجد لهم سوف يقطع امدادات العبيد الى عمان اذا لم تستجب القبائل لطلب السيد ماجد لمساعدة أخيه السيد تركى ، ومن المصادفات ذات الأهمية أن عددا من زعماء صور وجعلان وبالأخص الجنبه وبنى بوعلى كانوا قد اجتمعوا فعلا بالسيد تركى فى بندر عباس فى شهر يونيو قبل أن يقوم السيد تركى بمحاولته الفاشلة فى أواخر ذلك الشهر .

كان من الواضح أن السيد تركى لا يبد وأن يحاول مرة أخرى دخول عمان ، وذلك قبل أن تصل أية تعليمات أو أوامر من مكتب شئون الهند بالنسبة للاجراء الذى سوف تتخذه الحكومة البريطانية منه . ولهذا ففى شهر اغسطس اتخذ ماير قرارا مؤقتا نزولا على رغبة حكومة بومباي ، وهو انه لن يسمح للسيد تركى بنقل قوات عن طريق البحر الى ساحل عمان ، وانما يمكنه الانتقال بحاشية صغيرة من جهة الى أخرى غير أنه قبل

أن يتم ابلاغ السيد تركى بذلك القرار كان هو قد تمكن من ارسال مجموعة من الفرس والبلوش فى اربعة سفن للنزول فى صور ، وفى نهاية الشهر غادر هو الى بندر عباس للحاق بتلك القوة الا أن بيلى تبعه وتمكن من أن يحول بينه وبين التوجه الى صور يوم ٢٤ أغسطس . والواقع على أى حال أن السيد تركى لم يكن متوجها الى صور ولكن الى خورفكان التى وصل اليها فى نهاية الشهر حيث استقبله وفد من قبائل النعيم سكان البريمى ، وبهذه المجموعة من القبائل واصل السيد تركى رحلته الى الواحة حيث انضم اليه شيوخ ديبى وعجمان ورأس الخيمة الذين اشترى تأييدهم بالاموال التى كان يحولها اليه اخوه السيد ماجد وهناك شن هجوما على قلعة رأس الخندق الذى كانت ترابط فيها قوات السيد عزان ، غير أن الهجوم فشل وذلك بسبب قدوم الشيخ زايد بن خليفة من أبو ظبى ومعه امدادات لفك الحصار عن الحامية وقد وقعت مناقشات بين الطرفين غير أنها لم تسفر عن نتائج حاسمة .

كان السيد عزان فى ذلك الوقت يقاتل فى الحدود الجنوبية للظاهرة وكان يعاونه السيد ابراهيم بن قيس ، وقد كان السيد عزان يواجه بعض المتاعب مع بعض القبائل الشرقية وأواسط عمان بسبب وقف المخصصات التى كان يدفعها لهم وفشله فى اقضاء الخليلى والشيخ صالح بن على من منصبيهما . وبمجرد أن تلقى السيد عزان اخبار الهجوم على رأس الخندق بادر الى التوجه الى البريمى لفك الحصار عن الحامية ولكنه علم وهو فى طريقه الى المكان بأن الحصن لم يسقط ، وبأن الشيخ زايد بن خليفة كان يدافع عن الحامية ولهذا فقد غير السيد عزان رايه وقام بهجوم على ضنك التى كانت فى يد النعيم ، ومن ناحية أخرى فقد أخذ أتباعه يتخلون عنه بعد أن سمعوا عن وصول السيد تركى للبريمى ولم يبق لديه الا مائتا رجل .

وما آن علم السيد تركى بحالة السيد عزان حتى قرر التحرك جنوبا. وفي يوم ٥ اكتوبر تمكن من ابادة فيلق للسيد عزان بالقرب من بلدة ضنك ، وفي هذه المعركة قتل عدد من شيوخ الحجريين والحبوس ويال سعد ، أما السيد عزان والسيد ابراهيم فقد لاذا بالفرار الى صحار ، بينما واصل السيد تركى تقدمه جنوبا الى اواسط عمان حيث انضم اليه الشيخ سيف بن سليمان شيخ بنى ريام . وبعد ان ترك السيد تركى القسم الاكبر من قواته والتي كانت تقدر ب ٥٠٠٠ مقاتل لحصار نزوى وقطع الطريق المؤدية الى سمايل توجه هو وبقية قواته الى وادى البطحاء ، ثم منها الى جعلان ، وفي يوم ٢٥ اكتوبر استولى على صور بقوات من بنى بوحسن والحجريين وبنى بوعلى والجنبة والحبوس والدروع ويال وهيبه ويقدر عددهم ب ٦٠٠٠ رجل .

يوم ١٠ نوفمبر عاد السيد عزان الى مسقط وكان متأكدا من نفسه من انه يستطيع استرداد المناطق التى استولى عليها السيد تركى وان تخلى قبائل الهناوية عنها ليس الا خطوة مؤقتة ، كما آن الحجريين وبنى بوحسن قد كتبوا اليه يعتذرون عما بدا منهم ويؤكدون له تأييدهم وولاءهم بينما قدم النعيم والظواهر سكان واحة البريمى ولاء الطاعة للسيد عزان وعرضوا ان يعيدوا ضنك الى سلطته (١) . فى يوم ٧ اكتوبر توفى السيد ماجد بن سعيد وبالتالي فقد انقطع عن السيد تركى مورد من الموارد المالية التى

(١) تقرير اخبارى من وى ١١/١١/١٨٧٠ ثم نفس المصدر المرفق للخطاب السياسى رقم ٢٦٥ المؤرخ ٢٨/١٢/١٨٧٠ وتقرير اخبارى من بيلي ١٩/١/١٨٧٠ .

كان يعتمد عليها وكان يستطيع بتلك الاموال مواصلة الصراع ضد منافسيه ومن ناحية اخرى كان الميجور وبي قد منعه من نقل اى جزء من قواته عن طريق البحر . غير ان السيد تركى كما يبدو لم يكن يهتم بالناحية المالية او بالحظر المفروض على تحركاته البحرية ، ومن ناحية اخرى فقد اوجد السيد عزان لنفسه خصوما عديدين بين رؤساء القبائل بسبب محاولاته تقليص نفوذهم واخضاعهم لسلطة الحكومة المركزية فى الوقت الذى كانوا يتوقعون العودة الى سياسة اللين والتساهل التى كان يسير عليها حكام آل بوسعيد . ومن هنا فقد اخذ السيد تركى يستغل تلك النعمة بتوزيع الاموال عليهم بلا حساب حتى استطاع ان يكسبهم الى جانبه فى محاولاته للوقوف فى وجه السيد عزان .

فى الاسبوع الاول من يناير ١٨٧١ تحركت طلائع قواته الى صور وكانت تسير فى مجموعتين ، مجموعة سلكت الطريق الساحلى والاخرى سلكت الطريق الداخلى ، وفى يوم ١٢ يناير استولت المجموعة الساحلية التى كان يقودها سيف بن سليمان على بلدة قريات التى تبعد عن مسقط ثلاثين ميلا ، اما المجموعة التى كان يقودها السيد تركى فقد تحركت عبر سلسلة التلال فى طريقها الى مسقط الا ان الشيخ صالح بن على زعيم الحرث تمكن من وقف تقدمها فى سمد ، اما الشيخ سيف بن سليمان فقد اندفع من الساحل الى مسقط بعد ان قام بحركة التفاف ، غير ان السيد عزان تصدى له وتمكن من انزال الهزيمة به ، لكن سيف اعاد الكرة فهاجم البلدة وتمكن من تطويقها . وفى يوم ٢٢ يناير ابلغ السيد عزان المعتمد السياسى فى مسقط بأنه يرغب فى ارسال تعزيزات الى مطرح عن طريق البحر ، غير ان وبي الذى كان يتوقع مثل هذه الخطوة ابرق الى حكومة بومباى فى الاسبوع الاول من يناير يستوضحها عما يجب ان يتخذه من

اجراء اذا ما حاول السيد عزان نقل الامدادات الى قواته عن طريق البحر، وبدون أن يحيل، فيتز جيرالد ذلك الطلب الى حكومة الهند فى سملا بادر بابلاغ المعتمد البريطانى فى مسقط بتاريخ ٩ يناير بمنع القيام بأى اشتباكات بحرية وبابلاغ السيد عزان بأن التصريح الذى سبق أن اعطى ليه بنقل المعدات والجنود عن طريق البحر ضمن المياه العمانية لم يعد قائما ، وعندما قام وى بنقل مضمون رسالة فيتز جيرالد الى الامام عزان، رد الامام بأنه يرفض تلك التعليمات وقال بأنه ليس أمامه طريق آخر غير البحر ، وفى يوم ٢٣ يناير اقلعت احدى السفن الشراعية من ميناء مسقط وعليها بعض المعدات العسكرية لحامية مطرح وذلك بعد تحذير وى للسيد عزان بالالتزام بأوامر حكومة بومباى ولهذا كلف المعتمد السياسى قائد السفينة المسلحة كوان ترنج فى ايقاف السفينة ، وعندما امتنعت السفينة من الازعان اطلقت عليها السفينة البريطانية النار وأغرقتها ، ومن المحتمل أن يكون السيد عزان رغم ما كان يتحلى به من صفات الشجاعة والبأس قد فقد الامل بعد هذا الحادث فى تحقيق أى انتصار . فى يوم ٢٩ يناير بعث السيد عزان برسالة من مطرح حيث كان يدير المعركة الى الشيخ الخليلى فى مسقط ذكر فيها بأنه سوف يضطر الى الانسحاب الى مسقط، غير أن الشيخ الخليلى رد عليه بوجوب الاحتفاظ بمطرح كخط دفاع آخر ، وقبل فجر اليوم الثانى قام الشيخ سيف بن سليمان بهجوم كاسح واستولى على خطوط دفاع المدينة ، غير أن كلا من سيف وعزان قتل خلال تلك المعركة .

وفى يوم ٣ فبراير وصل بيلى الى مسقط مع السفينة المسلحة هبوروز ، وكان الخليلى وقواته لا تزال تقاوم من داخل القلاع الرئيسية فى العاصمة ، وأما السيد تركى فقد كان فى سمد بعد أن اعترضت طريقه

قوات الشيخ صالح بن علي ، وأما السيد ابراهيم بن قيس فقد فر الى صحار ، وبعد أن تأكد بيلى من وفاة السيد عزان بعد أن تعرف قبطان هبوروز على جثته فى مدينة مطرح أخذ يحاول اقتناع الخليلى فى الاستسلام ، وفى ١٣ فبراير وافق الخليلى على ذلك واستعد لتسليم نفسه الى السيد تركى الذى كان قد تمكن من الوصول الى العاصمة ، ولكن الخليلى اشترط عدم الاساءة اليه ، بعد ذلك بعث بيلى بتقريره الى حكومة بومباى ذكر فيه بأنه قد نجح فى اقناع الخليلى باستسلامه للسيد تركى من غير أن يورط الحكومة البريطانية بأية ضمانات أو شروط، ومن هذه الزاوية كان ينظر بيلى الى الموضوع ، غير أن مجرد استسلام الزعيم الدينى العمانى الى خصمه السيد تركى وقد تم عن طريق المقيم السياسى البريطانى فى الخليج يضى معنى آخر على العملية فى نظر المعنيين بها ، والواقع أنه من المشكوك فيه أن يوافق الشيخ الخليلى على تسليم نفسه لولا أنه لم يكن واثقا من أن اشتراك المقيم السياسى البريطانى فى المفاوضات كفيل بضمان سلامته ، كما أنه من المشكوك فيه ما اذا كان السيد تركى سيتصرف كما تصرف او لم يكن مقتنعا من أن أحدا لن يتدخل أو يعترض على ما سوف يتخذه من اجراءات ضد خصمه .

فور مغادرة سفينة المقيم البريطانى ميناء مسقط قام السيد تركى باعتقال الخليلى ونجله والشيخ ناصر بن راشد زعيم الحرث وايداعهم سجن الجلالى متهما اياهم بأنهم كانوا على اتصال بالسيد ابراهيم بن قيس فى صحار . وقد ذكر ويى الذى قابل الخليلى يوم ١٦ فبراير عند احضاره من السجن لاستجوابه بأن الزعيم الدينى قد تعرض لضرب مبرح من الجمهور بدرجة أنه أصيب بالشلل . وفى يوم ١٧ فبراير علم المعتمد السياسى فى مسقط من السيد تركى عن وفاة الخليلى بعد اصابته باسهال

حاد ، كما توفى نجله فى اليوم التالى متأثرا بنفس المرض ، لكن هندا
النبا لم يحدث أى ازعاج لبيلى الا آن أحداث يناير فبراير المؤسفة قد
تركزت أثرها على وى الذى انتحر باطلاق الرصاص على نفسه يوم اول
مايو (١) .

لقد كانت نقطة الضعف التى يعانى منها بيلى فى الأشهر التسعة
التى سبقت تلك الأحداث التى تعددت خلالها محاولاته بالاعتراف بالسيد
عزان ، لا يضاهاها غير السرعة التى أراد بها بعد ذلك الاعتراف بالسيد
تركى . وفى اليوم الاول من وصوله الى مسقط وقبل أن تتضح نتائج
الصراع بين اتباع السيد تركى ، والسيد عزان بعث بخطاب الى المسئولين
فى بومباى يحثهم بالاعتراف بالسيد تركى على الفور ، وقد دلل على طلبه
بالأسباب التالية : « اننى اولا كنت المسئول عن انقاذ حياة السيد تركى ،
واننى خلال سنوات عديدة كنت أدافع عن مطالب السيد تركى بقوة رغم
أن السلطات العليا لم تكن تقيم أى وزن للسيد تركى وانما على العكس
من ذلك فقد هددت بقصف مراكزه وقواته وكانت تعتبره العدو الاول ،

(١) الخطابات اسرية المتفرقة مجلد ١٧ خطاب من بيلنى الى السكرتير
السياسى لحكومة بومباى ٣١/٣/١٨٧١ . (رقم ٢٥٢ الادارة السياسية)
ومرفق معه تقارير وى . اماس . اى . مكلاند فقد ذكر فى بحث له
بعنوان شئون مسقط فى ١٨٦٩ - ومارس ١٨٧٢ (ص ٣٥) لم يصدر
نعليل لوفاة وى ويذكر كوبلاند فى كتابه « استعمار افريقيا الشرقية »
ص ٦١ استنادا على خطاب من كيرك بأن المعتمد السياسى قرر الانتحار بعد
ابلاغه بقرار نقله الى زنجبار غير أن هذا التفسير غير وارد .

وبسبب المصاعب التي وقفت في طريق السيد تركي فقد كنت أول من نادى بالموافقة على لجوئه الى الهند وحصوله على معاش ، كما عارضت استيلاء السيد عزان على الحكم بالقوة مجازفا في كل ذلك بحياتي ومنصبي » (١) كما بعث بيلى برسالة خاصة الى ماير اعترف فيها بأن الامام السيد عزان عاش بطلا ومات بطلا في ساحة الوغى ولكنه أعرب عن ارتياحه من النتائج التي انتهى اليها الصراع في عمان وعن اغتباطه بسقوط حكم السيد عزان ، نظرا لحسب قوله لأن غيابه عن المسرح سوف يزيل كل العقبات من طريق تسوية الامور في عمان وأن السيد تركي، لم يكن سينجح لو بقى السيد عزان على قيد الحياة نظرا للتأييد الديني الذي يتمتع به ونفوذه كأمام ، ومركزه كقائد عسكري قدير .

على الرغم من كل تلك الاعتبارات ظل بيلى لفترة طويلة من الوقت يتبنى موقف السيد عزان ، ولكن دون أن يدفعه ذلك الموقف الى استخدام سلطاته للاعتراف بحكمه ، وبالتالي فلا مفر من الاعتقاد بأن هذا التناقض في موقف بيلى ينطلق من موافقه المتذبذبة ومن كراهتيه الشديدة لكل من اتكنسون وديسبراو ولآرائهما ، وعلى امتداد حكم السيد عزان تقريبا أظهر بيلى قدرا كبيرا من قصر النظر والحكم في تقييمه لمركز الامام عزان في عمان ، فكان يدعو الى الاعتراف به عندما كانت تضعف سلطته وينادى بمعارضته حين كان يقوى مركزه . ولم يدرك بيلى قط معنى الصراع الدائم في عمان الا في المرحلة الأخيرة من حكم السيد عزان ، ولكن الفضل في ذلك يعود الى الشيخ ناصر بن راشد مستشار

(١) الخطابات السرية المتفرقة مجلد ١٧ خطاب من بيلى الى السكرتير السياسي لحكومة بومباي ١٨٧١/٢/٣ . (رقم ١٤١ - الإدارة السياسية) .

الامام عزان فهو الذي شرح لبيلي حقيقة الأهداف التي تقوم عليها سياسة السيد عزان ، ففي التقرير الذي بعث به ببيلي بعد اجتماعه بالشيخ راشد في شهر سبتمبر عام ١٨٧٠ ذكر : « لقد استفسرت من مستشار الامام عن السبب في الاستقلال الذي يتمتع به رجال القبائل في مناطق الحدود اثناء حكم السلاطين لعمان ولا يتدخلون في شؤونهم ، بينما تنتهج حكومة عزان سياسة تختلف عن هذا الخط ؟ ولقد رد المستشار بأن السلاطين كانت تنقصهم القوة الكافية لاختضاع القبائل ، اما سياسة السيد عزان فقد كانت منذ البداية تقوم على اخضاع كافة قبائل عمان لسلطته المركزية وأن هذه الحكومة مصممة على المضي في هذه السياسة لانها تدرك بأن السلام لن يسود عمان وانها لن تنعم بحكم قوى مستقر اذا ظلت هذه القبائل تعتبر نفسها قوة مستقلة ، وقال بأن الحماس الذي تنظر به هذه الحكومة الى النظام المركزي بدلا من النظام الاقطاعي المفلتك أمر يدعو الى العجاب ، وبالتالي فلا يمكن بأى حال من الاحوال تفسير تمسك حكومة عزان بذلك الخط على أنه من منطلق الاحساس بالقوة او بحكم امتزاج النظرية السياسية بالشعور الديني (١) .

هذا كل ما استطاع ببيلي أن يستخلصه من طبيعة حكم السيد عزان وقد فاته ادراك حقيقة واحدة وهي محاولات العمانيين الدائبة لبعث نظام الإمامة والعودة اليها ، ولو كان برسي بادجر لايزال في الخدمة وكان لايزال

(١) المداولات الخارجية لحكومة الهند (سياسي) حلقة ٤٣٨ مجلد ١١ ديسمبر ١٨٧٠ رقم ٧٠٦ خطاب من ببيلي الى السكرتير السياسي لحكومة بومباي ١١/٩/١٨٧٠ (رقم ٣٦٠ الادارة السياسية) انظر أيضا تقريره المؤرخ ٣/٩/١٨٧٠ (رقم ٣٤٦ الادارة السياسية) في نفس المجموعة .

فى بومباى ليقوم بمتابعة سير الاحداث فى عمان مند ١٨٦٨ حتى ١٨٧١
لربما جاءت النتائج فى صورة آخري ، نظرا لأن بادجر لم يكن من خبراء فهم
التعقيدات السياسية العمانية فحسب وانما كان أحد المعجبين بشخصية
السيد عزان . وفى أعقاب وفاة السيد عزان واعتلاء السيد تركى للعرش
سجل بادجر رأيه فى تلك الأحداث ، وذكر :

« انه من حق السيد عزان مثله مثل غيره من المتنافسين على الحكم
فى عمان أن يتولى مقاليد السلطة فيها . فقد أظهر السيد عزان من
الشجاعة والجرأة والحكمة السياسية - وهى صفات لا بد من توفرها لحفظ
النظام بين القبائل المتناحرة - ما يفوق غيره من الزعماء ، وعلى الرغم من
الصراع الذى كان محتوما بين الأمير عبد الله وأخيه الأمير سعود على
الحكم فى نجد ، فقد ساهم نجاح السيد عزان ضد الوهابيين فى كسب
وثقة وتأييد المواطنين الذين ظلوا لعدة أعوام يواجهون صلف الوهابيين
والخوف الدائم من عدوانهم . ومن ناحية أخرى خيب السيد عزان آمال
بعض الذين كانوا يراقبون الصراع منذ بدايته ، ففى مستهل الحركة كان
السيد عزان على ما يبدو يفمل بوحي من العناصر الدينية المتعصبة فى
عمان الا أنه بعد أن مر باختبارات استهدفت قوته ومركزه وتأكد له أنه فى
استطاعته الاستغناء عن تلك العناصر بدأ ينتهج سياسة أكثر تسامحا وأدخل
جملة من التعديلات على الإدارة الداخلية للبلاد ، كما أبدى رغبة حقيقية
فى عقد علاقات ودية مع الدول الأجنبية وبصفة خاصة مع الحكومة
البريطانية » .

وانه إن المضحك المبكى آن بريطانيا التى كانت قبل ذلك تعارض
أى تدخل سياسى فى الشؤون العمانية ولرغبتها فى الحد من التزاماتها
السياسية تجاه السلطنة قد عاملت بفتور شديد زعيما كالسيد عزان

الذى لا يعتمد الى حد كبير على الحكومة البريطانية كغيره من حكام آل بوسعيد السابقين وذلك منذ حكم الامام أحمد بن سعيد مؤسس حكم هذه الأسرة .

استقبلت الأوساط المسئولة في بومباى سقوط السيد عزان بكثير من الارتياح فقد أشاد فيتز جيرالد حاكم بومباى على بيلى تقديرا للدور الذى قام به فى تلك المرحلة ، ووافق على مقترحاته بالاعتراف بالسيد تركى فوراً . غير أن أحد أعضاء مجلس الحاكم وهو اتشه بيه جورج تكرر له رأى آخر فى الاجراءات التى اتخذها بيلى ووصف المقيم بأنه كان غير سياسى وغير حكيم وأنه ينبغى توجيه اللوم اليه بدلا من الاشادة به ، وابدى تكرر استيائه الشديد من تدخل بيلى فى عملية استسلام الشيخ الخليلى الذى اخذ على حد اعتقاده ينتهج سياسة ودية أكثر تجاه الحكومة البريطانية قبيل وفاته . أما ماير فقد كان أشد قسوة فى التنديد بتصرفات بيلى فى مسقط كما أعرب عن انتقاده من تصرف فيتز جيرالد لاصدار التعليمات الى وى يوم ٩ يناير بمنع السيد عزان من نقل التعزيزات بالبحر داخل المياه الاقليمية للسلطنة قبل أن تصله موافقة حكومة الهند على ذلك الاجراء ، وقال فى معرض رايه :

« اننى غير مسئول بتاتا عن عدم الأخذ بالسياسة التى وضعتها الحكومة بالنسبة الى مسقط والتى صادق عليها وزير الدولة اذا كانت حكومة بومباى تصدر تعليمات تناقض تلك السياسة دون موافقتنا أو علمنا بها نظرا لان تعليمات فيتز جيرالد الى وى تسير فى خط معارض تعليمات حكومة الهند بتاريخ ٤ أغسطس ١٨٦٩ فى موضوع سوء التفاهم الذى وقع بين السيد عزان وديسبراو فى شهر مايو من نفس العام حول الاشتباكات البحرية المتنازعة فى عمان والتى لا تشمل عمليات نقل الجنود

والدخيرة عن طريق البحر من جانب حكام مسقط طالما أن تلك العملية تتم ضمن المياه الاقليمية لمسقط عبر الخط الممتد من صحار في الشمال حتى رأس الحد في الجنوب ، وعند علم ماير بانهياف حكم السيد عزان في عمان عاد فوافق على رأى وزير خارجيته اتيشيسون الذى قال بأن حادث السفينة كوان تونج ان هو الا مظهر من مظاهر السياسة الخطيرة والخطائة التى كنا ننتهجها فى خليج عمان ، وهى سياسة لم تكن تقوم على اسس شرعية أو قانونية أو معاهدات تربطنا بمسقط ، وانما كانت سياسة تنبع من منطق القوة فحسب ، كذلك أشار اتيشيسون حول هذا الموضوع الى أن الحججة التى تقوم على مبدأ الحماية التى تفرضها بريطانيا على الخليج مبدأ لا يسرى على خليج عمان وبأن الحروب المحلية فى خليج عمان لا تهم الحكومة البريطانية فى شيء ولا تؤثر على مصالحنا التجارية وذلك كائى عمليات حربية تقع فى المحيط الهادى ، وان آية حرب تنشب على سواحل عمان وتضطرننا الى الانسحاب من مسقط تشكل خطرا أكبر علينا ، ورغم ذلك فاننا لا ينبغي أن نتدخل فى حرب كهذه ، وبالتالي فان الاجراءات التى أقدم عليها المقيم السياسى البريطانى فى الخليج تنفيذا للتعليمات التى صدرت اليه من حكومة بومباى انما هى أقطع دليل على السياسة الخطائة والخطيرة التى تسير عليها فى عمان ، واننا كلما أسرعنا فى الانسحاب من مثل هذه العمليات كان الأمر أفضل .

والسؤال هو : هل كان الانسحاب من مسقط اجراء ممكنا ؟ ان اثنين من أعضاء المجلس الحاكم وهما بيه اتشه اليس ، والسير ويتشارد تسمبل كانا يعتقدان بعكس ذلك ، فلقد أشار اليس : « فى تصورى انه لا يمكننا التراجع عن تأكيد سيادتنا فى خليج عمان بنفس الصورة التى نتراجع بها عن سيادتنا فى الخليج ككل ، وأن مصالح الهند مرتبطة بعمان بنفس

الدرجة التي ترتبط بها مع الخليج ، ومن المستحيل علينا أن نرسم خطا
فاصلا بين مصالحنا فى الخليج ومصالحنا فى عمان بالنسبة للأمن
والاستمرار فى هذه المناطق . ومع قيام حكم قوى فى مسقط تسقط
ضرورة التدخل البريطانى خارج المياه الإقليمية ، غير أنه كما يرى اليس
لا ينبغى لحكومة الهند أن تدلى بتصريحات مسبقة بعدم اعتزامها التدخل .
« . . انه لا ينبغى لنا بان نصرح بأنه فى حالة الضرورة أننا لن نتدخل لوضع
حد للغارات البحرية وأعمال القرصنة بحكم انها ضروب من الحروب فى
الوقت الذى تبرر لنا الظروف التدخل فى الخليج ، ويرى اليس بأن
المسئولية فيما يتعلق بالمشكلات الأخيرة فى مسقط تقع على حكومة الهند
بسبب ترددها فى الاعتراف بالسيد عزان أو انتهاجها سياسة منافقة تجاه
حكمه ولو أننا كنا متأكدين من بقاء السيد عزان فى الحكم فليس هناك شك
فى حق السيد عزان فى نقل تعزيزاته الى مطروح عن طريق البحر وبقا
للنظام المعمول به . وعلى آية حال فان هناك مسئولية أكبر كما كان يعتقد
السيد عزان تقع على عاتق حكومة لندن التى لبثت تناور حول موضوع
معوونة زنجبار .

وبالنسبة للموضوع الأخير فقد كان ماير واليس متفقين وكانت مذكرتا
الحاكم العام بتاريخ ٢/٢٢ و ٢٧ مايو ١٨٧٠ اللتين ضمنهما أسبابه
للاعتراض على وقف المعونة قد رد عليها وزير الخارجية فى رسالته المؤرخة
فى شهر يونيو التى اشار فيها الى قرار كلارندون باعفاء سلطان زنجبار
من التزاماته من دفع المعونة نظير قيام سلطان زنجبار باصدار حظر لتجارة
الرقيق وكان رد ماير على تلك الآراء فوراً وصرىخا « . . باعفاء سلطان
زنجبار من التزاماته اسقط نظراً لأن مصلحة حكومة الهند فى زنجبار
تبدو منتهية » هذا ما جاء فى رسالته الى أرجيل فى أول أغسطس عام

١٨٧٠ . ان خزينة الهند غير مسئولة عن دفع آية مبالغ لسقط في مقابل حظر نشاط تجار الرقيق أو للانفاق على وكالة زنجبار ولهذا فقد طالب بحالة ، ووضوح نفقات الوكالة والاشراف عليها الى وزارة الخارجية البريطانية ثم على ضوء التغيير الذى تم فى مسقط فقد حاول ماير أن يستغل فى مسقط لحمل حكومة الهند على أن تنفض يدها من شئون مسقط قدر الامكان ، واذا كانت حكومة صاحبة الجلالة ترى أن مكافحة تجارة الرقيق هى احد الواجبات الملقاة على عاتقها من ناحية بالاضافة الى مشكلة زنجبار من ناحية أخرى فقد ذكر الحاكم لأعضاء مجلسه . اننى على يقين من أن جميع الاتصالات التى يجريها فى هذا الموضوع ينبغى أن تجرى مع حكومة مسقط واننى أعارض أن تتولى حكومة الهند أعمال رجل البوليس فى مياه المحيط من كراتشى حتى مدغشقر وهو الوضع الذى اقحمنا أنفسنا فيه واذا ما تمكن السيد تركى من تثبيت أقدامه فى مسقط وكان لابد من ابلاغ سلطان زنجبار بالتوقف عن دفع المعونة الى الدولة الأم فما هى النتائج التى تترتب على ذلك اذا ما قرر السيد تركى ممارسة حقه فى انتزاع عرشه فى زنجبار أو الحصول على المعونة وحاول أن يبلغ الى هذا الحق بقوة السلاح ، وقد أجاب ماير على السؤال بقوله بأن هذا الموضوع من اختصاص صاحبة الجلالة وانها اذا رأت أن تمارس هذه المسئولية فهل من حقها أن تتدخل أو تمنع السيد تركى عن طريق القوة من ممارسة حقوقه عن طريق الحرب التى يعتقد بانها طريقة مشروعة بالنسبة اليه وبأن حكومة الهند ليس من حقها التدخل فى هذا الموضوع .

فى ٣ أبريل ١٨٧٠ طرح ماير الموضوع على وزير الدولة لشئون الهند بصورة جدية :

« اعتقد أن السياسة البريطانية العامة فى مسقط بصورة خاصة

والوضع البريطاني في خليج عمان بصورة عامة تحتاج لدراسة متأنية ، وقد اوضحنا في المذكرة المؤرخة ١٨٧٠/٥/٢٧ أن التزاماتنا العسكرية بالمعنى الواسع للكلمة لا تتعدى نطاق الخليج وسواء اعتمدت هذه السياسة على الاتفاقيات التي تربطنا بزعماء الساحل العربي للخليج أو قامت على أساس التدابير الرامية الى حفظ الامن وحماية رعايانا ومصالحنا التجارية فانها سياسة التزمنا بها طوال الأعوام الخمسين الماضية وقد كان لهذه السياسة نتائج ايجابية بالنسبة للحفاظ على الامن في البحار . وعلى هذه السياسة لا يمكن أن نحيد أو نتراجع . أما فيما يخص بخليج عمان فان الأمر يختلف نظرا لأن اهتمامنا بتأكيد سيطرتنا على هذه المنطقة يعود الى فترة قريبة من التاريخ ، ولم يحدث أن حاولت حكومة الهند منع الاشتباكات الحربية في عمان قبل أواخر عام ١٨٦٨ ، وقد نبعت علاقة الحكومة البريطانية بهذا الجزء من المنطقة من اهتمامها في السياسات الداخلية للمنطقة والتغيرات التي كانت تطرأ على أوضاع الأسرة الحاكمة في مسقط ، وهو أمر لم يعد قائما الآن . وعلى الرغم من أن السياسة التي اتبعناها هناك لم تكن منسجمة مع موقف السيد عزان ، وعلى الرغم من أن التعليمات التي صدرت في البداية لحماية المنطقة من الحروب والاشتباكات البحرية والتي حدثت نتيجة لأخطاء جغرافية ، سرعان ما تبين أنها سياسة لم تكن تقوم على أسس عملية أو تستوجب تعديلها بمقتضى تعليمات ١٨٦٩/٨/٤ . أضف الى ذلك أنه طالما بقى السيد عزان حاكما في عمان كلما اضطررنا الى التمسك بتلك السياسة . أما الآن فاننا نسهم على الافادة من الأحداث الأخيرة في مسقط دون أن يرغبنا ذلك الى اجراء تغييرات ملحوظة في سياستنا بالتراجع تدريجيا عن ممارسة أى نفوذ الا بكثير من الحيلة والحذر ، لأن الأمر قد يؤدي الى عواقب وخيمة وبالتالي فسوف نضطر الى العودة تدريجيا الى سياسة العلاقات الطبيعية التي تربطنا بحكومة

مسقط والتي كانت متبعة قبل أن نتخذ القرارات الخاصة بحظر الاشتباكات البحرية فى خليج عمان » .

أبلغ ماير أرجيل بأنه قد أصبح مستعدا للاعتراف بالسيد تركى اذا نجح السيد تركى فى توطيد حكمه فى عمان واقترح على أرجيل بأن يقوم بإبلاغ السيد تركى بأنه اذا أراد الاستيلاء على الممتلكات الخارجية لمسقط فيمكنه ذلك وانه لم تعد هناك حاجة ملحة للإبقاء على الحظر المفروض على العمليات العسكرية خارج أطار الخليج ، وكان ماير لا يقصد جواذر فحسب وانما زنجبار أيضا ، وقد اتسم هذا الموقف بوضوح أكثر فى العبارات الختامية بمذكرته والتي جاء فيها بأننا بهذه الخطوة سوف نعى أنفسنا تدريجيا من المسؤولية التى اضطلعنا بها للمحافظة على الأمن فى المنطقة الممتدة من كراتشى حتى الحدود الشمالية لخليج موزمبيق وهو ما سبق أن وجهنا النظر اليه فى شهر مايو ١٨٧٠ . فينبغى النظر الى ذلك الاجراء بأنه خطوة حتمية فيما اذا قررت حكومة صاحبة الجلالة وقف دفع المونة السنوية الى مسقط فى المستقبل .

ان الجانب الأكبر من استياء ماير من أرجيل يعود الى انصياع الأخير لمواقف كلارندون فى الكثير من المسائل التى تمس سياسة الهند والى تكواته فى اتخاذ القرارات فى المسائل السياسية الخطيرة التى كانت تعرض عليه ، فقد انقضى عام بكامله منذ أن طلب الى أرجيل بحث الموافقة على الاقتراح الخاص بالاعتراف بالسيد عزان بن قيس أو برفضه ، وفى القيام بمحاولة جديدة لتجديد ايجار عقد بندر عباس لصالح حكومة مسقط ، وعلى الرغم من أهمية تلك الموضوعات فان أرجيل لم يبعث برده حتى ذلك

الوقت فبالنسبة للموضوع الأول أصبح هذا الموضوع بعد ذلك أكاديميا بينما الموضوع الثانى كان لا يزال موضوعا حيا ، وكان الرد الوحيد الذى وصل ماير من أرجيل بشأن الخطوط السياسية العريضة المزمع اتخاذها ابتداء من منتصف عام ١٨٧٠ هو المذكرة المؤرخة أبريل ١٨٧١ والتي رد فيها على طلبه بشأن اعفائه من الاشراف على الوكالة السياسية البريطانية فى زنجبار . وعلى الرغم من أن أرجيل كان يدعو الى الامتناع عن استخدام موارد الهند فى عمليات مكافحة الرقيق الا انه اعترض على أن للهند مصالح فى زنجبار تبرر الانفاق على الوكالة البريطانية فيها ، وفى عام ١٨٦٨ على وجه التقريب ذكر أرجيل للحاكم العام بأن سلفه قد وضع بديهية تقول بأن علاقة زنجبار بالهند وبالخليج تحتم أن يتم تعيين الممثلين السياسيين البريطانيين فى تلك المناطق والاشراف عليهم من جانب حكومة الهند . وكان أرجيل يؤيد اعتراضات ماير فى عدم تحميل خزينة حكومة الهند نفقات الوكالة البريطانية فى زنجبار ، لاسيما وأن مكافحة تجارة الرقيق التى كانت المهمة الأساسية للوكالة فى ذلك الوقت من أهداف السياسة البريطانية وبنفس الأهمية لهدفها فى حماية التجار الهنود ، وأنه قد وافق على توصيات اللجنة الداخلية فيما يختص بتجارة الرقيق فى أوائل عام ١٨٧٠ على مساهمة حكومة الامبراطورية فى نفقات الوكالة ، واستطرد أرجيل يقول : « ان الاقتراح الخاص بنفقات الوكالة قد رفض عند عرضه على الادارة المالية لحكومة الهند فى مارس ١٨٧١ وبالتالي لم تكن حكومة الهند تستطيع أن تستمر فى دفع تلك النفقات » .

عند عودة أرجيل الى بحث موضوع مسقط وزنجبار اقترح على المسئولين أن ينتهزوا فرصة وجود حكمين جديدين فى مسقط وزنجبار لتنفيذ الاقتراح الذى سبق أن عرضه فرير بايفاد مبعوث الى كل من

الحاكمين للتأكد من رغباتهما بشأن المعونة والتوفيق بين موقفيهما وحثهما على تنظيم العلاقات بينهما بشكل لا يضطر الحكومة البريطانية لاي نوع من التدخل ، كما أشار أرجيل بأن هناك فرصة أيضا في حالة التوصل الى تسوية مقبولة ، أن يتناقص حجم المكاتبات التي كانت تتبادلها الجهتان الرسمية حول الموضوع خلال فترة السنوات الثلاث الماضية . واذا ألقينا نظرة على خلفية قرار كاننج في الأحداث المتوالية على مسقط فان أفضل سياسة تتبع هي على حد قول أرجيل سياسة عدم الارتباط من أي نوع وأن نكون على استعداد دائما للاعتراف بأي حكم يؤديه الشعب بشرط الا يؤثر ذلك الحكم على أية اتفاقيات معقودة أو الى توزط قد ينشأ نتيجة لتعهدات أو وعود سابقة حقيقية كانت أو شكلية . ومما يؤسف له أن نذكر ان أرجيل نفسه لم يطبق هذا المبدأ تجاه السيد عزان في حيناته وربط موضوع الاعتراف بالسيد عزان باقتراح كلارندون بوقف معونة زنجبار كورقة للضغط على حاكمي مسقط وزنجبار لوقف تجارة الرقيق .

كان ماير يريد أن يمضى بحذر في موضوع الاعتراف بحكم السيد تركي وبالرغم من ذلك فقد أرغمته الأحداث في عمان وغيرها في عام ١٨٧١ على الاعتراف وجاء في تقرير الكابتن رووس الذي كان معتمدا سياسيا بريطانيا في جواذر ونقل الى مسقط ليحل محل ويى بعد أسبوعين من وصوله الى هناك ذكر بأن البلاد على شفا الانهيار فقد كان السيد ابراهيم ابن قيس أخو السيد عزان يحتل صحار والمنطقة الشمالية للباطنة وكان يستعد للصدام مع السيد تركي بينما كانت قبائل الهناوية والغافرية تستعد للدخول في معركة بينهم ، ومن جانب آخر كانت قوة من الوهابيين تحتل القلعة الرئيسية في واحة البريمي وكان يقودها محجوب بن جوهر السكرتير السرى للأمير فيصل ، ثم انتقل للعمل في حاشية الأمير مسعود الذي

كان قد اطاح بأخيه عبد الله وبويع للحكم وعند وصول محبوب بن جوهر الى البريمي رحب به الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي الذي كانت تربطه علاقة صداقة بالامير سعود ترجع الى عام ١٨٧٠ عندما زار الامير المنطقة الشمالية من عمان ، وقد أخذ كل من زايد ومحبوب يحاول اقناع النعيم المتصارعة بتسليم قلعة قصر الخندق الى نائب الامير ، وعلى كل حال فلم يكن السيد تركى فى ذلك الوقت يتعرض لخطر مباشر من الوهابيين ، وانما كان الخطر من افراد أسرة آل بوسعيد الذين اعتقدوا بأن امتناع حكومة الهند بالاعتراف بالسيد عزان على انه تشجيع ضمنى لهم فى القيام بمحاولة للاستيلاء على السلطة . ولهذا فقد أبرق رووس الى حكومة بومباى فى الاسبوع الأخير من شهر مايو يطالبهم بسرعة الاعتراف بالسيد تركى حماية للبلاد من الفوضى والخراب ، وقد وافق فينتز جيرالد على الاقتراح فوراً ، واحاله الى الحاكم العام للهند الذى عرضه بدوره على حكومة بومباى مطالبا بالموافقة عليه . وقد أبرق أرجيل الذى كان أجل الاعتراف بالسيد عزان الى أجل غير مسمى بالموافقة على الاقتراح وفى ١٦ يونيو تم اليعاز الى رووس بإبلاغ السيد تركى عند أول فرصة سانحة باعتراف الحكومة البريطانية به كسلطان على مسقط وباحتفاظها بنفس علاقات الصداقة التى كانت تربطها بوالده المرحوم سابقاً .

فى اواخر يونيو ويوليو كان السيد تركى فى الباطنة يحاول الاستيلاء على صحار من السيد إبراهيم بن قيس الا انه فشل فى محاولته بالرغم من المساعدة التى قدمتها اليه بعض القبائل وحاكم دبی مما اضطره الى صرف النظر عن الخطة وترك منطقة صحار والباطنة جنوباً حتى الخابورة للسيد إبراهيم . عاد السيد تركى يوم ٦ أغسطس الى مسقط فأبلغه رووس

بالاعتراف ، غير انه لم يتباحث معه بشأن وضع ممتلكات مسقط على ساحل مكران ، كما لم يتطرق الحديث الى موضوع ايجار بندر عباس أو معونة زنجبار مفضلا الانتظار ريثما تتخذ حكومة لندن قرارها النهائى بشأن المعونة وتجارة الرقيق المربطة بها ، وحتى منتصف ١٧٨٠ كان الاحتمال ضئيلا فى اتخاذ قرار مبكر حول تلك الموضوعات ، ليس لأن الخلافات بين حكومة الهند وحكومة لندن لم تحل فحسب بل لأن نفس التطورات التى عجلت بالاعتراف بالسيد تركى قد حولت اهتمام الحكومة البريطانية عن المسرح العماني الى الخليج الأعلى حيث قام الأتراك بالاستيلاء على إقليم الأحساء فى مستهل صيف عام ١٨٧١ .

الفصل الخامس عشر

الحملة التركية الى الاحساء

١٨٧١ - ١٨٧٣

لم ينقطع الصراع على الحكم فى نجد بين الامير عبد الله بن فيصل واخيه الامير سعود منذ تولى الامير عبد الله السلطة ، ولكن هذا الصراع بلغ الذروة فى شتاء عام ١٨٧٠ ، وكان أكثر من صراع بين شخصين ، كان صراعا بين عقليتين ، سكان الحضر وأهل البادية ، بين المتطرفين الوهابيين وبين المعتدلين الذين يرفضون تعاليمها ، وكان كل من الأخوين يمثل احدى الفئتين . وحتى قبل وفاة والد الاميرين كان العداء القائم بينهما يتذر بشطر الدولة الوهابية فى النهاية .

فى عام ١٨٦٢ كتب بالجريف بعد اقامته فى الرياض عن هذا الصراع يقول :

« بينما كان عبد الله مثل والده الامير فيصل قصير القامة قوى البنية كبير الرأس ضخم الرقبة عريض الجثة فان سعود طويل القامة رشيق وسيم تبدو عليه ملامح بارزة من عفوية رجل البادية . كما انه منفتح كريم يهوى المظاهر والفروسية وكان محبوبا من العناصر المتحررة ، أما عبد الله فكان يعتبر عميد الفريق المتزمت الذين كانوا يستمدون منه التأييد ويتطلعون الى قيادته . . هذان الاخوان المتقاربان فى العمر خصمان لدودان لاحدهما الآخر ، حتى انها دائما يتحدثان بصوت عال . وقد نجح الامير سعود فى سلوكه المتحرر وحسن معاشرته للناس ان يكسب قلوب رعاياه وكافة الذين يرفضون التعصب والجمود فى نجد . ومن هنا كان

الاعتقاد يسود بأن وفاة الأمير فيصل قد تفرق البلاد في حرب دموية يقودها هذان الأخوان » .

ففي عام ١٨٧٠ خسر الأمير عبد الله جانبا كبيرا من التأييد وذلك بسبب حدة مزاجه وسوء ادارته في الحكم بينما أخوه سعود الذي أمضى بعض الوقت في أطراف نجد يعيش كالطريد وينتقل من مكان الى آخر ، قد أصبح يتمتع بتأييد قطاع كبير من البدو يمكنه من تحدى أخيه . وقد قام بالفعل بمحاولة للاطاحة بأخيه في الاحساء حيث تتركز غالبية مؤيديه وحيث توجد قبيلة بنى خالد التي تنتمي اليها والدته . وفي أواخر عام ١٨٧٠ تمكن الأمير سعود من الاستيلاء على القطيف ، ثم بعد وقت قصير استولى على واحة الاحساء وأعقب هذه الأحداث نشوب مناوشات بينه وبين قوات الأمير عبد الله في نجد انتهت أخيرا الى سقوط الرياض في يد الأمير سعود الذي بادرت القبائل الى مبايعته . أما عبد الله فقد فر الى الشمال في منطقة « طيب الاسم » على الجانب الشرقي من جبل شمر ، وهناك استغاث بالرشيدى أمير الهيل ، غير أن هذا الأمير بالرغم من تزكية شريف مكة للأمير عبد الله رفض تقديم أية مساعدة اليه ، بينما اتخذ موقفا مضادا فأعلن ولاءه للأمير سعود ، ثم أخذت قبائل عنزة وشمر وقحطان وغيرها تتخلى عن الأمير عبد الله الذي استولى عليه اليأس فاستنجد بوالى بغداد مدحت باشا وطلب أن يمدّه بالمساعدة للوقوف في وجه أخيه واستعادة الرياض (١) .

(١) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٦٧ من اللفتنانت س . هيربرت (القنصل البريطانى العام فى بغداد) الى لالسير هنرى اليوت (سفير صاحبة الجلالة البريطانية فى القسطنطينية ١٨٧١/٣/٢٤) وقد احيل الى مكتب شئون الهند بتاريخ ١٨٧١/٥/٩ .

كانت هذه الأحداث من الأهمية بحيث لم يكن فى وسع مدحت باشا والحكومة العثمانية أن يتجاهلها ، وفى عام ١٨٧٠ كانت هناك رغبة قوية عند الحكومة التركية فى توسيع رقعة الامبراطورية فى آسيا الوسطى وربما يعود ذلك الى قضية التنظيمات الجديدة أو الى النذر التى كانت توصى بأفول نجم الامبراطورية العثمانية فى أوروبا ، فقد كان الغاء روسيا للبند الخاصة بالبحر الأسود فى معاهدة باريس فى ٣١/١٠/١٨٧٠ وتأييد بروسيا لتلك الاجراءات كانت نذيرا بنهاية الحكم التركى للبلقان ، ولهذا قرر العثمانيون على ما يبدو أن يحدوا من خسائرهم وتعويضها عن طريق الاهتمام باقاليمها الآسيوية . وربما كان فتح قناة السويس فى ١٨٦٩ عاملا حاسما فى ذلك القرار ، فقد كان فتح القناة منفذا سهلا وقريبا لشبه الجزيرة العربية بحيث تستطيع الحكومة التركية نقل قواتها العسكرية كمحاولة للتأثير على الوضع فى الجناحين الشرقى والغربى من شسبه الجزيرة ، كما أن اخضاع اليمن من جانب الاتراك قد اتخذ قرار بشأنه بالفعل فى الأشهر الأخيرة من عام ١٨٧٠ ، وفى نهاية شهر ديسمبر ذكر الخديوى اسماعيل للقنصل البريطانى العام فى القاهرة بأن الباب العالى قد اتخذ قراره بتأكيد سلطته المباشرة على أواسط وشرقى الجزيرة العربية وبأنه يقوم باعداد حملة عسكرية فى بغداد لتنفيذ هذا الأمر .

وبناء على اقتراح أرجيل طلب وزير الخارجية البريطانية من السفير البريطانى فى القسطنطينية السير هنرى بيوت أن يتأكد مما ذكره الخديوى للقنصل البريطانى العام كما أوعزت حكومة الهند الى الكولونيل س . هيربرت بأن يتحرى عن صحة هذا الأمر ، وقد أجاب كلا المسئولين بأن الخبر لا أساس له من الصحة ، فقد ذكر جرانفيل فى يناير ١٨٧١ لوزير الخارجية : « اننى أستطيع أن أوكد لكم كل التأكيد بأنه لم تجر

آية استعدادات في بغداد أو في منطقة الخليج للقيام بالاجراء الذي أشار إليه الخديوى « (١) » ، وقد رد هربرت بنفس المعنى على الرغم من انه ذكر بأن هناك اشاعة عن احتمال قيام أربع سفن تركية الى الخليج في وقت قريب . ففي فبراير ١٨٧١ واجه اليوت السلطات التركية بموضوع تلك الاشاعة وكان ردها أنه ليست هناك أية نية لاحتلال أى موقع في الخليج ، بالرغم من أنه في أعقاب الحملة التركية قررت تلك الحكومة أن ترابط سفينتان تركيتان في المنقطة الواقعة بين البحر الأحمر والخليج (٢) ، وبعد شهر من ذلك التاريخ اضطر كل من اليوت وهربرت الى تغيير رأيهما ، ففي ٢٢ مارس وصل الى بغداد مبعوث من الامير عبد الله بن فيصل يحمل رد أمير نجد السابق على عرض مدحت باشا بتزويده بالعتاد والجنود ، وقد علم هربرت بهذا الأمر لأول مرة ، وباستفساره من مدحت باشا عما كان يجرى رد عليه الوالى بأن مهمته هي تنفيذ ما كان يتلقاه من أوامر من حكومته في القسطنطينية ، وأوضح للقنصل البريطانى العام بأن الامير عبد الله قد عين قائم مقام الباب العالى في نجد ، وأن خلع أخيه له حدث لا يمكن السكوت عليه ، وبالتالي فان الباب العالى لا يستطيع أن يرفض

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٧ من اليوت الى جرانفيل

١٨٧١/١/٢٠ وقد احيل الى مكتب شئون الهند بتاريخ ١٨٧١/٢/٤ .

(٢) نفس المصدر من اليوت الى جرانفيل ١٨٧١/٢/٢٢ (رقم ٩٨)

وقد احيل الى مكتب شئون الهند بتاريخ ١٨٧١/٣/٩ راجع أيضا المرفقات والخطابات السرية من الهند مجلد ٨ مرفق الخطاب الخارجى (سرى) رقم ٢٦ المؤرخ ١٨٧١/٥/٢٣ من هربرت الى وزير خارجية حكومة الهند ١٨٧١/٢/٢٤ (رقم ٩) .

طلبه للمساعدة . كان مدحت باشا يعلم بما كان يجرى فى نجد ولهذا سعى الى الضغط على الباب العالى بتأييد الأمير عبد الله ، وقد أدرك الباب العالى حاجة الأمير عبد الله الى المساعدة فأوعز الى واليه فى بغداد بتقديم المساعدة اليه لاسترجاع ملكه ، وذكر مدحت باشا لهربرت بأنه ينوى ارسال ثلاث أو أربع فرق من القوات النظامية وبعض أطقم المدفعية بالإضافة الى ثلاث فصائل من قبائل شمر وعزرة والمنتفك ، وأنه سوف يتم نقل هذه القوات بطريق البحر من البصرة فى فرقاطة واثنين أو ثلاث بواخر .

الا أن هربرت شك فى تلك الأقوال خصوصا وأن الباب العالى اعترف بالأمير عبد الله واليا على نجد خلفا لابيه الأمير فيصل ، غير أنه من الخطأ كما قال هربرت فى خطابه لاليوت اعتبار الأمير عبد الله قائم مقام نجد أو مرشح الحكومة العثمانية لأن الأمير عبد الله كان حاكما مستقلا فى السابق وعلى أى حال فان تلك البيانات لم تكن صحيحة تماما ، وان كانت تهكيات هربرت للأسباب الحقيقية للحملة كانت اقرب الى الصحة : « ليس هناك أدنى شك فى أن مدحت باشا وربما الحكومة العثمانية أيضا يسعيان الى السيطرة على البحرين والقطيف وفرض سلطان الباب العالى على كل أواسط وجنوب شبه الجزيرة وبأن تلك الحملة العسكرية وما ترتب عليها من الفيرة المتزايدة من الوجود البريطانى فى الخليج تبدو كلها دوافع حقيقية فى ذلك الاتجاه . واما أن خزينة بغداد قد أصبحت خاوية فان ذلك لا يهم مدحت باشا فى شىء ، وعندما أوضح هربرت لمدحت باشا بأن تعبئة تلك القوات وارسالها فى حملة بعيدة وفى مناطق وعرة قد يعرض أمر بغداد للخطر ، فان مدحت باشا لم يهتم بذلك ، فقد أكد للقنصل البريطانى العام بأنه سوف يحصل على كل القوات التى تحتاجها الحملة من القسطنطينية وسوريا بل ومن الحجاز نفسها ، كما أكد له بأن نجد

والإحساء سوف تخضعان فى بضعة أشهر لسيطرة الباب العالى (١) .

بعد أيام قليلة من اجتماع هربرت بمدحت باشا عاد الشانى فابلغ القنصل البريطانى العام بتأجيل الحملة على نجد وبسؤال هربرت له عما اذا كان السفير البريطانى فى القسطنطينية قد أبلغ رسميا بأمر الحملة وأهدافها أجاب مدحت باشا بأنه لا يعلم عن ذلك (٢) ، والواقع أن البيوت لم يبلغ من جانب السلطات التركية ، وأنه لم يكن يعلم شيئا الا من هربرت، ولهذا ، فى ٣ ابريل اجتمع البيوت برئيس الوزراء لتركيا على باشا وطالبه بتفسير عن تلك الحملة ، وقد كان رد على باشا هو نفس رد مدحت باشا لهربرت ، فقد قال له :

« لقد اضطر الباب العالى الى طلب المساعدة من الأمير عبد الله قائم مقام نجد رغم أنه لا مصلحة لرئيس الوزراء فى شخص عبد الله أو طريقته الدينية وقال بأنه كان يفضل أن تكون العلاقات بين الاخوين تسمح للباب العالى بتأييد الأمير سعود بدلا من تأييد ممثل الوهابيين ، وعلى آية حال فان سلطة الباب العالى فى هذا المجال محدودة ولا بد من إخضاع الاجراءات التى يتخذها لمثل هذه الاعتبارات . . كما أنه ليس هناك نية من جانب الباب العالى للقيام باجراءات بحرية فى الخليج وبالأخص

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٧ من هربرت الى البيوت

١٨٧١/٣/٢٩ (رقم ١١) .

(٢) الخطابات والتقارير السرية من الهند مجلد ٨ مرفق للخطاب

الخارجى (سرى) المؤرخ ١٨٧١/٥/٢٣ من هربرت الى وزير خارجية

حكومة كلكتا ١٨٧١/٤/١ .

ضد البحرين نظرا لأنه يعلم بأن الحكومة البريطانية لن تسكت وبالتالي فان الهدف من الحملة هدف مشروع لأننا لا نتصور أن هناك اتجاهها لمنازعة السلطان على حقوقه في نجد ، وإنما عندما تعذر ارسال الحملة عن طريق الصحراء تقرر تجميع بعض وسائل النقل لنقلها الى أقرب مكان من مسرح العمليات (١) .

كان القلق يزداد في اوساط الحكومة الهندية من نوايا تركيا في المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة ، وبالتالي فان الهند لم تكن تعلق أهمية على التأكيدات التي كانت تبلغها من الباب العالى ومن اليوت . فى ٣١ مارس بعث ماير ببرقية الى أرجيل يقول له فيها بأن عليه أن يكتفى من الحكومة العثمانية اذا أعلنت عن صرف النظر عن الحملة نهائيا كما أوضح ماير بأن أى نوع من العمليات البحرية فى الخليج سوف تستنكره الحكومة البريطانية باعتباره خرقا للأمن البحرى واضرارا بالتجارة ، وربما يؤدي الى تعقيد الأوضاع اكثر وبأنه من الأفضل لاليوت أن يستخدم جهوده فى وقف تحرك الحملة من اضاعة الوقت فى الحصول على تأكيدات من الحكومة التركية حول أهدافها فى الخليج (٢) وحتى اذا افترضنا ان

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٧ من اليوت الى جرانفيل ١٨٧١/٤/٣ (رقم ١٤٢) وقد احيل الى مكتب شسئون الهند بتاريخ ١٨٧١/٤/١٧ وقد علق اليوت على تفسير رئيس الوزراء العثمانى بالقول : « لا يمارس الباب العالى ايه سلطة فعلية على هذه القبائل العربية ، غير أن الكلام عنها كثير » .

(٢) الخطابات والتقارير السرية من الهند مجلد ٨ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٢٦ المؤرخ ١٨٧١/٥/٢٣ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٧١/٣/٣١ .

الحملة قد تحركت فان الأشعار عنها قد جاء متأخرا جدا بحيث لا يسمح لنا باتخاذ أى اجراء لنا فى الأمر . وفى ١٧ ابريل بعث هربرت ببرقية يقول فيها بأن الحملة على وشك التحرك ، ثم بعد ثلاثة أيام أبحرت الكتيبة الأولى من الجنود ، وتقدر بـ ٤٠٠ جندي أو ٥٠٠ جندي من ميناء البصرة ، وفى اليوم التالي تحرك جزء من اطقم المدفعية تشمل سلاح الفرسان والخيالة ، وفى ٢٣ ابريل غادرت كتيبة أخرى من المشاة عن طريق البحر أيضا ، وكان من المتوقع أن تتحرك وحدات أخرى من القوات من العمارة الى البصرة خلال فترة قصيرة ، ثم يتم نقلها من البصرة الى الأحساء بالبواخر ، أما المعدات والذخيرة وغيرها من المستلزمات فقد تقرر نقلها على السفن الشراعية ، وقد قدم لواء المنتفك ألف خيال ، بينما كان يتم تجميع قوات أخرى من القبائل فى الزبير ، وفى نهاية الشهر سافر هربرت الى البصرة ليرى بنفسه تجمعات الحملة ، ووجد بأن الفرقاطة البخارية (البوصة) ٢٣ مدفعا والسفينة البخارية (ميناوا) اربعة مدافع والسفينة القديمة (خوجابى) ١٨ مدفعا وثلاثة مراكب شراعية مسلحة بأربع وست وائتى عشر مدفعا كانت كلها تستعد للاقلاع بحمولاتها من الجنود .

ومهما كان ما يقوله الباب العالى عن عدم اعتزامهم القيام بعمليات عسكرية بحرية فقد كان من الصعب أن يصدق الانسان أن يقدم الباب العالى على مثل هذا الاجراء خصوصا وأن دول الساحل العربى كانت قد انجرفت الى ذلك الصراع . فقد كان شيخ الكويت يقف الى جانب الاتراك بالفعل ، وكانت هناك قوة من القبائل تتجمع فى الكويت ، كما كانت السفن الكويتية تقوم بنقل المؤن . وفى شهر ابريل بعث كل من الامير سعود وعيسى بن على شيخ البحرين برسالتين الى المقيم السياسى يطالبانه بالفضل على منع حكام الكويت من التعاون مع الاتراك ، ولما تعذر ذلك عاد الامير

سعود فطلب من المقيم السياسي في الخليج بأن يسمح له باتخاذ اجراءات ضد الاتراك داخل البحر . وعلى عكس الشيخ عيسى بن علي الذي كان يعتمد على اتفاق ١٨٦١ في حمايته ضد الاتراك لم يكن الامير سعود في وضع يسمح له بطلب المساعدة البريطانية للدفاع عن بلاده ضد أي هجوم بحري يشنه الاتراك . أما المقيم فكان يعتقد بأن الحكومة البريطانية ليست ملزمة بالتدخل بين الاتراك والوهابيين والكويتيين بأى شكل من الأشكال ، الا أنها يمكنها الدفاع عن البحرين أو شيوخ الهدنة . أما اذا كان في الامكان أن تقوم الحكومة البريطانية بمنع حكام الهدنة من التعاون مع الوهابيين والاتراك في البحر فذلك موضوع آخر . وكان يبلى يعتقد أن مدحت باشا كان مدفوعا في تلك الاجراءات التي اتخذها بتصوره أن الحكومة البريطانية ستكون مترددة في اتخاذ اي اجراء يهدف الى الاخلال بأمن الخليج ، بحيث يدفعها ذلك الى منع الوهابيين وحكام الهدنة من التصدي للحملة التركية في البحر ، كما كان يعتقد مدحت باشا بأنه أحدا لا يمكن أن يعترض على الاجراء الذي اتخذته بسبب أن كلا من الباب العالي وحكام الهدنة غير مشتركين في اتفاقية الهدنة البحرية . وقد اقترح يبلى بأنه اذا كانت مثل هذه الأفكار تراود مدحت باشا فعلا بأن تقوم حكومة الهند بتوجيه نظره الى طبيعة الالتزامات التي تربط الحكومة البريطانية بكل من البحرين وشيوخ الهدنة . خصوصا وأن الوالي يعتبر في نظر الرأي العام من الطامعين في البحرين ، وذلك على عكس ما يعتقد اليوت (١) .

(١) الخطابات والمرفات السرية من الهند مجلد ٨ مرفق للخطاب الخارجي (سرى) رقم ٢٦ المؤرخ ١٨٧١/٥/٢٣ من السكرتير السياسي ليونباي الى وزير خارجية الهند ١١ و ١٢ و ٤/٢٣ و ٣٠٤ و ٤/١٨٧١/٥ .

وعلى هذا الأساس كانت هناك مسألتان تتطلبان من حكومة الهند اتخاذ قرار بشأنهما بالنسبة للحملة التركية ، المسألة الأولى هي ما إذا كانت هناك مبررات قانونية لمنع الحملة ، والمسألة الثانية هي ما إذا كان هناك مبررات لمنع شيوخ الهدنة وشيوخ البحرين من التورط فيها ، فقد كان وضع الحكومة البريطانية في الخليج على حد رأى اتشيسون وزير الشؤون الخارجية للهند في رسالته في شهر مايو لحاكم الهند يقوم على أسس ضعيفة ومحدودة ، فقد كان يرى أن أى إجراء من جانب الحكومة يعتبر غزوا للمنطقة وذلك بسبب الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في الخليج . يوم أخذت الحكومة البريطانية تهتم بهذه المنطقة ، وان المرحلة الزمنية الطويلة التي استغرقها الوجود البريطاني في الخليج لتوطيد نفوذه ، كما كان مجال الهدنة البحرية محدودا هو الآخر ، بينما كانت البحرين تخضع للحماية البريطانية طالما أنها لا تشترك في أى اعتداءات بحرية . غير أن شيوخ الهدنة لم يكونوا يتمتعون بالحماية البريطانية بصورة واضحة ، فقد كانت الحماية البريطانية هناك تقوم على أسس فردية انطلاقا من معاهدة السلم البحرية الدائمة التي تشمل الاعتداءات التي يقوم بها هؤلاء الشيوخ ضد بعضهم البعض ، وبالتالي فقد انحصر مفهوم المعاهدة على منع مثل هذه الاعتداءات فقط . ومن ناحية أخرى فقد كانت الحكومة البريطانية تلجأ الى وسائل اقناع تارة والى آساليب القوة تارة أخرى لمنع أى اعتداء يقوم به هؤلاء الشيوخ على الدول التي لم توقع على المعاهدة . غير أن كل هذه السوابق لا تشكل منهجا لمعالجة الوضع الجديد ومن هنا فان الحملة التركية على نجد ، على عكس الحملات البحرية الأخرى على الخليج من حيث أن هدفها محدود ، وهو قمع الاضطرابات التي تنشب ضد الأتراك فيما تعتبر اقاليم عثمانية تابعة لهم

وليس بهدف الغزو أو النهب . وبالتالي فقد اقترح اتيشيسون على ماير بأن الحكومة البريطانية لا تملك سنداً قانونياً للتصدي للحملة التركية أو لمنع شيوخ الهدنة من شن هجمات على الأتراك في البحر ، كما أشار أيضاً بأن هناك اعتبارات عملية تمس الأوضاع الحرجة في الخليج أهم بكثير من الاعتبارات القانونية وهو ما ينبغي أن نضعه في الاعتبار وجاء في مذكرته : -

« انه لا يمكن ان تخضع اجراءاتنا في البحر للسياسات العربية في البر ، كما لا يمكن ان تخضع الحملات البحرية التي قد نقوم بها على اى جزء من المنطقة للاعتبارات التي تقوم عليها تلك الحملة ، عادلة كانت أو غير عادلة ، لأن هذا الوضع سوف يجرنا الى معمة المشاكل الداخلية للقبائل العربية الذين قد لا نعرفهم أو نتفهم ظروفهم . ولقد كانت سياستنا حتى الآن تقوم على أساس معارضة الحملات البحرية وفرض القيود عليها دون استثناء ، وأنه لينبدو لى أن الاحتمال باحتفاظنا بهذه السياسة ينبغي ان يقوم على أساس الاحتفاظ بها كما هي ، أما اذا خرجنا عن هذه القاعدة فائنى لا أستطيع ان اتنبأ بالمدى الذى سوف نذهب به فى التواجيدات التى نقوم بها ضمن الحدود الضيقة للمعاهدات التى تربطنا بأهل المنطقة ، كما لا ينبغي أن نقدم اى تنازلات للشيوخ الذين لا يستحقون اعطاءهم مثل هذه التنازلات . فاذا قام الترك بارسال قوات عن طريق البحر فانه يصبح من حق الزعماء العرب المؤيدين للأمير سعود التصدي لتلك القوات ، فاذا انهزم العرب فى تلك العمليات فليس من حقنا ان تمنع الأتراك من ممارسة كافة الحقوق المترتبة على نجاحهم فى تلك العمليات وفرض سيطرتهم على المنطقة العربية . وينبغى أن تكون هناك نهاية للسياسة البريطانية المتبهمة فى الخليج ، أو اذا كان الزعماء العرب الذين لم يتخذوا اى اجراء حتى

الآن قد أبدوا رغبتهم لاعداد قوات بحرية ، فيأى حق نستطيع أن نمهم
من تنفيذ تلك الرغبة ما دما قد سمحنا للأترك بنفس الشيء ، أو كيف
نبرر الحظر على مثل هذه العمليات ، ثم اذا كانت فارس ترغب فى انشاء
اسطول لها فى الخليج لدعم حقوق السيادة على شواطئه وتعتمد على
احدى الدول الأجنبية فى الحصول على حاجتها من السفن الحربية فعلى
أى أساس يمكننا أن نحتج على هذا الاجراء .

فالتحليل النهائى أن الأترك قد نجحوا فى اىصال حقتهم الى نجد
عن طريق البحر ، ونجحوا فى أهداف تلك الحملة الامر الذى استدعى
أن تحدد حكومة الهند موقفها من ذلك . ولو أن تلك الحملة كانت حملة
برية بحتة بمعنى انها تنقل عن طريق البر لربما لم يشكل ذلك الاجراء
تحديا أو قلقا لحكومة الهند على الرغم مما أبدته من أسف لمعارضة ذلك
التدخل التركي فى شئون الخليج . وإنما الذى أثار حكومة الهند هو
استخدام الأترك للقوة البحرية ، لا لأن ذلك يشكل تحديا للسيادة
البريطانية البحرية فى الخليج فحسب ، وإنما لأن العملية تشكل خطرا
على الأمن فى الخليج وسابقة مرفوضة ، كما انها قد سمحت للأترك
بتوسيع مجال عملياتهم ، فقد كان معروفا بالفعل أن أهداف الحملة
لا تقتصر على نجد والأحساء ، فقد كانت هناك اشاعات فى بغداد
والبصرة عن أن الحملة سوف تنقل بعد ذلك ضد البحرين وعمان ومسقط
بعد أن تحقق النجاح فى نجد . وأنه من الأمور البالغة الأهمية أن نذكر
أن الباب العالى كان قد احتج قبل عام ضد الاجراءات التى اتخذها يلى

فى البحرين بحجة أن مشيخة البحرين تابعة للاتراك (١) .
فى الإسبوع الأخير من ابريل ١٨٧١ استوضح رأى بيسان رئيس
أوزراء التركى فيما اذا كان مدحت باشا يهدف من الحملة الى شىء أكثر
من احتلال نجد ، كما ذكر له بأن مدحت باشا كان يضل الباب العالى
بشأن الأوضاع فى نجد والاحساء وأنه قد اعطاه صورة مزيفة عن مركز
الامير عبد الله بن فيصل بوصفة تابعا للباب العالى ، وآله الآن قد أخذ
يستغل مساعدته كستار للقيام بحملات عسكرية طائشة وباهظة التكاليف
لاخضاع لاجد وحدها فحسب وإنما البحرين ومشيخات الهدنة وعمان ،
وكان كل ذلك لارضاء أطماعه الخاصة وغيرته من المركز الذى تحتضله
بريطانيا فى الخليج ، واستطرد بيسان يقول بأن الحكومة البريطانية
اصبحت تدرك بأن الوقت قد فات لاتخاذ أى اجراء ضد الحملة ، ومع ذلك
فإنها ترغب فى الحصول على تأكيدات قاطعة من الحكومة العثمانية بأن
الحملة لن تشمل البحرين أو عمان ومسقط . غير أن على باشا لم يرد ردا
مرضيا على طلب المسئول البريطانى ، وإنما ذكر له بشىء من الامتعاض أن
تركيا كدولة مستقلة لها الحق فى ممارسة شئونها كما تشاء . وعلى اية
حال فلم يكن هناك شك فى تبعية الامير عبد الله بن فيصل للاتراك ،
ولقد كانت نجد جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية ، كما تم تعيين
الامير عبد الله قائم مقام نجد بمرسوم امبراطورى ، وكان العثمانيون
يهدقون من الحملة الى تهدئة الأوضاع فى نجد واعادة الامير عبد الله الى

(١) نفس المصدر من هربرت الى وزير خارجية حكومة الهند
١٨٧١/٤/٢٥ وللإضطلاع على احتجاج الباب العالى ١٨٧٠ راجع

السلطة وأن الباب العالي ليست له نية فى الاعتداء على عمان أو مسقط ،
وعلى ضوء هذه الاعتبارات فانه يمكن للحكومة البريطانية أن تطمئن من هذه
الناحية (١) .

أما اليوت فلم يطمئن لتلك التأكيدات ، ففي يوم ١١ مايو بعث بمذكرة
الى رئيس وزراء تركيا اوضح فيها الاسباب التى دفعت بريطانيا الى
الاعتراض على الحملة التركية . وجاء رد رئيس الوزراء ليؤكد بأن الباب
العالي حر فى اتخاذ ما يراه من الاجراءات فى اقليم نجد وبأن السلطان
العثمانى باعتباره خليفة المسلمين لا يمكن بأى حال أن يسمح للقبائل
المتهمدة وصغار الزعماء بتهديد مكة والمدينة أو أمن الامبراطورية ، وقال
بأن نجد هى جزء من الامبراطورية العثمانية وأن الامير عبد الله قد عين
من جانب الباب العالي واليا على نجد ، وأنه هو الذى طلب العون من
الباب العالي لاسترداد سلطته على نجد ، ولم يكن لمدحت باشا أى دخل فى
الموضوع ، ولو أن السلطان لم يتخذ الاجراءات الضرورية بسرعة لقمع
الاضطرابات والتمرد الذى نشب فى نجد لما بقى له شئ من السلطة هناك ،
وأضاف رئيس الوزراء بأن روسيا كانت تتحرش دائما على مناطق الحدود
الامبراطورية وانها تسعى لاقامة امبراطورية لها فى آسيا الوسطى ،
وبالرغم من هذا فان الحكومة البريطانية لم تتقدم حتى باحتجاج ضئيل
نحركات روسيا ، وسيأتى يوم تندم فيه بريطانيا من محاولات التوسيع

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦٧ من اليوت الى
جرانفيل ١٨٧١/٤/٢٦ (١٧٢) ومرفق معه مذكرة اليوت ١٨٧١/٤/٢٥
وخطاب بيسانى الى اليوت بنفس التاريخ وقد احيل الى مكتب شئون
الهند ١٨٧١/٥/٩ .

الروشي في آسيا ، وبدلاً من التصدي للمطالبات، التروتينية فإن الحكومة
البريطانية لا تكف من تأييد الروس في مؤامرتهم لتقليص الامبراطورية
العثمانية في آسيا كما انه لا يجوز لدولة عظمى كبريطانيا أن تستغل
الضعف المزعوم للباب العالي لتجامل العرب وتتدخل في الشؤون الداخلية
لتركيا ، وختم أقواله بما سبق أن ذكره لاليوت ، وهو أن الباب العالي
لا اطماع له في بلدان القبائل العربية المستغلة في الخليج ، وأن كل ما يسعى
اليه هو عودة النظام والأمن الى نجد (١) .

أحال اليوت التأكيدات التركية الى حكومة الهند في نفس اليوم ،
فقد ابرق الي هربرت يرجوه ابلاغ الحاكم العام بانكار الباب العالي نيته
في فرض سيطرته على البحرين ومسقط والقبائل الغربية المستقلة ، وأنه
لا ينوى أن يقوم بأي هجوم على هذه المناطق ، وبأن الغاية الوحيدة من
الحملة هي كما يقولون عودة الاستقرار والهدوء الى المنطقة كنتيجة
للخلافات القائمة بين الامير عبد الله واخيه الامير سعود ، وقال في البرقية
أيضاً بانني تلقيت تأكيدات من تركيا بانها لا تنوى القيام بعمليات بحرية في
الخليج وبأن مهمة السفن التي استخدمت في الحملة هي نقل المعدات
والجنود الى اقرب نقطة الى نجد ، غير أن ماير لم يحمل تلك التأكيدات
محمل الجد ، وكان يتذكر بأن الباب العالي قد سبق له منذ ثلاثة أشهر
أن يكذب السفير البريطاني بأنه لا ينوى ارسال أى جملة الى نجد ومع ذلك
فان هذه الحملة قد أصبحت حقيقة وقد ترغمها الظروف على أن تكتسب

بيـ

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر من اليوت الى هربرت ٢٦/٥/١٨٧١- وقد اخبرنا

الى مكتب شئون الهند بتاريخ ٣/٦/١٨٧١ .

طابعاً أوسع مما كان محددًا لها من قبل . كان ماير يفضل لو أن الجواب
العالي صرف النظر عن الحملة وأن تعذر هذا فليكن مجالها محدوداً . وفي
نهاية شهر مايو تلقى بيلى برقية تطلب إليه السفر فوراً إلى البحرين لإبلاغ
حاكمها بالتأكيدات التي أعطاها الباب العالي للحكومة البريطانية . وبنية
الحكومة البريطانية قبول تلك التأكيدات طالما التزم الباب العالي بنص
اتفاق ١٨٦١ ، كما طلبت البرقية من بيلى إبلاغ نفس التأكيدات لشيخ
الهدنة وتحذيرهم من الاشتراك في أي صدام يقع بين الوهابيين
والأتراك (١) .

وأما بالنسبة للكويت التي كان الأتراك يتخذون منها نقطة انطلاق
إلى المنطقة فلم يكن في وسع ماير أن يقوم بأي إجراء ، نظراً لأن الكويت
لم تدخل في نظام الهدنة ولأن حاكم الكويت عبد الله بن صباح كان له
بشاط ملحوظ في الحملة ، كما أن الكويت من غير شك ضمن المناطق
الخاضعة للسيادة التركية فقبل أربع سنوات ، أي في يناير ١٨٦٧ ،
اعترف نامق باشا والي بغداد رسمياً بالشيخ عبد الله بن صباح كحاكم على
الكويت ، وتم التصديق على ذلك الاعتراف بمرسوم امبراطوري سلمه إلى
الحاكم قائد السفينة التركية آزميز ، وكان نامق باشا يسعى إلى دعم نفوذ
الباب العالي في الكويت بإنشاء منطقة حرة ، غير أن حاكم الكويت طلب
منه أرجاء هذا الموضوع ، وقد علق ارنولد كامبل الفنصل البريطاني العام
في بغداد في ذلك الوقت على هذا الموضوع بقوله : « طالما أن والي بغداد

حميد رضا باشا ، وزيراً للشؤون الخارجية ، في ١٨٦٧ ، (١) الخطابات والمرقات السرية من الهند مجلد ٨ مرفق للخطاب

التشريفى الخارجى رقم ٣٣ - تاريخ ١٦/٢/١٨٧١ - من وزير الشؤون الخارجية سلا
إلى بيلى ٣٠/٥/١٨٧١ ومن الحاكم العام إلى وزير الشؤون الخارجية

تقتصر مطالبه في الكويت على دفع الزكاة السنوية فان شيخ الكويت لم يكن يعارضه في ذلك ، اما اذا كانت مطالبه تتعدى ذلك بمحاولة ادخال اى شكل من اشكال الادارة التركية فان الكويت سوف ترفض ذلك ، وقد تقطع علاقاتها بالباب العالى (١) وكان يبلى له نفس الراى فقد ذكر بان حاكم الكويت قد ذكر له قبل سنوات قليلة بانه يعتبر بلاده تابعة للسبب العالى بحكم المصلحة وليس بسبب اى شىء آخر وأن السفن الكويتية كانت ترفع الاعلام التركية بعد أن وجدت نفسها ان عليها ان تدفع رسوما أكثر على السلع التى تنقلها باعتبار ان العلم الكويتى لم يكن علما معروفا فى الأوساط الخليجية ، واخيرا ذكر يبلى بأن وضع العرب بالنسبة للاتراك كوضعنا نحن بالنسبة للمادة ٣٩ من المعاهدة التى يقبلها الجميع ولكن لا يتذكرها واحد منهم (٢) .

فى ٣١ مايو بعث يبلى ببرقية الى حكومة بومباى يؤكد فيها بانه أصبح من المستحيل عليه تنفيذ التعليمات وذلك لتقص السفن ، اذ لم يعد يوجد تحت تصرفه اى طراد منذ الحملة التركية فى اواخر شهر ابريل فيما عدا السفينة المسلحة هيوروز التى كانت قد وصلت الى بوشهر قبيل ذلك الوقت وكان من المفروض ان تكون هناك السفينة كلايد ، والطرادان

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٦١ من كامبل وزير خارجية حكومة الهند ١٨٦٧/١/٢٣ وأيضا خطساب دبليو . بى . جونستون (المتصل بالوكالة) فى البطورة الى كامبل ١٨٦٧/١/٣٠ فى نفس المجلد .

(٢) ملاحظات عن قبائل وتجارة ومصادر سنسواحل الخليج ترجمة «جمعية بومباى الجغرافية» جزء ١ من ١٧٧ .

ماجبي وبلفنش في قاعدتها ، الا أن السفينة كلايد قد عادت الى ميناء بومباي للعمرة بينما أبحر ماجبي من بوشهر يوم ٢٤ ابريل الى جهة غير معروفة ، أما الثالث بولفنش فإنه يقوم بعمليات المراقبة في سواحل مسقط . وكانت قد أرسلت تعليمات الى الطراد ماجبي من بومباي بعد وصوله نيا عن تحرك الحملة التركية على نجد لكي يتجه الى بوشهر ، بينما طلب الى السفينة القديمة دال-هوس من بحرية بومباي التوجه الى مسقط وذلك لكي تحل محل بولفنش الذي كان سيتفرغ للعمل في مياه الخليج . وفي ١٧ مايو اصدرت حكومة الهند تعليماتها بشأن توزيع ومرابطة القوات البحرية في منطقة الخليج الاعلى ، وقد تعين على الطرادين ماجبي وبلفنش أن يقوموا بالعمل في مياه البحرين والقطيف وجميع الموانئ التي كان يستخدمها الأتراك لتفريغ قواتهم ومعداتهم ، وكان على هذه المجموعة أن تراقب تحركات الأتراك والتأكد من أية عملية تشكل انتهاكا للتأكدات التي أعطاها الباب العالي فيما يتعلق بالبحرين ، غير أن هذه التعليمات لم تصل في موعدها لسفن الاسطول نظرا لان المقيم السياسي ، كما ذكر في تقريره المؤرخ ٣١ مايو ، لم يتمكن من الاتصال التلغرافي بأى من تلك السفن عن طريق محطتي هنجام وجواذر ، فقد كان كلا الطرادين مشغولين بمراقبة نشاط تجار الرقيق في المنطقة القريبة من رأس الحد ، وبالتالي تعذر الاتصال بهما . وتبعاً لذلك فقد قرر بيلي ايفاد مساعدته الماجور سيديني سميت الى البحرين على ظهر السفينة هيوروز بتاريخ ٣١ مايو . في اول يونيو رسا الطراد بلفنش في ميناء باسيدو ومن هناك علم باستدعاء بيلي له فأبحر على الفور الى البحرين التي وصلها في يونيو . أما الطراد ماجبي فقد وصل جاشك يوم ٥ يونيو وتلقى إشارة بيلي وأبحر مباشرة الى منطقة الخليج الاعلى للقيام بالدوريات المكلفة بها السفن البريطانية .

إبحرت الكتيبة الأولى من الحملة التركية من البصرة في ٢٣ أبريل ولكنها اضطرت إلى البقاء في الكويت فترة من الوقت ، وفي ٢٦ مايو نزلت هذه القوات في رأس تنورة ، ومن هذا المكان تحركت إلى القطيف ، وقد رفض والي الأمير سعود في القطيف طلب القوات التركية بالاستسلام فاضطرت القوات إلى قصف البلدة اعتباراً من يوم ٣ يونيو ، وكان يتناوب عمليات القصف الأتراك من البر والكويتيون من البحر ، وأخيراً سقطت القطيف في أيديهم ، وقام قائد القوات التركية حافظ باشا بقراءة بيان على سكان القطيف ذكر فيه ، أن نجد وملحقاتها كلها هي جزء من الأميرالطورية العثمانية كالعراق واليمن ومصر ، وبما أن الأمير سعود قد أطاح بحكم القائم مقام الشرعي الأمير عبد الله فقد اضطرت الحكومة التركية لإرسال هذه الحملة لإعادة الأمير سعود إذا أذعن وقدم اعتذاراً عن سوء تصرفه ، وإلا فإنه سوف يتم القضاء عليه وعلى من معه من الأتباع ، ومن القطيف تحرك الأتراك جنوباً لشن هجوم على الدمام والتي استسلمت دون مقاومة في ٥ يونيو ، وقد فر الأمير عبد العزيز نجل سعود الذي كان يقود الدفاع عن البلدة وأفرج عن محمد بن فيصل شقيق الأمير سعود الذي كان معتقلاً .

كان حجم القوة التركية حسب التقارير الأولية هي ٣٠٠٠ جندي وتسعة مدافع تعززها ١٥٠٠ من رجال القبائل ، وكانت الخطة التي ستقوم عليها العملية هي : أن تتقدم هذه القوات نحو الداخل بمجرد نزولها وتقوم باختلال واحة الاحساء ، ومنها تواصل تقدمها إلى الرياض ، ومن ناحية أخرى كان تكتيك الأمير سعود تكتيكا متقناً ، وهو إبعاد القنوات التي اقضى منطلقه عن الساحل بحيث يضطر إلى إطلالة مضطربة هوصلاتها وبذلك تصبح هدفاً للغارات المفاجئة التي تشرف بثبوتها رجال البدو ،

فاذا نجحت خطة توغل الأتراك الى الداخل ففي تلك الحالة يسهل تدمير قواتهم ، أما من يبقى من قواتهم فسوف يموتون من العطش والجوع داخل صحراء الدهماء بين الاحساء والرياض . وأما بالنسبة للحاميات الساحلية فهذه سوف يتم قطع المؤن عنها وارغامها على الاستسلام بعد قطع اتصالاتها بقيادتها في البصرة . وقد بعث الأمير سعود الى بيلي برسالة في منتصف مايو ، اى قبل نزول القوات التركية ، ثم برسالة أخرى في مطلع شهر يونيو بعد سقوط القطيف في أيدي القوات التركية ، فقد شرح سعود لبيلي في رسالته خطته للدفاع عن نجد واستأذنه في القيام بعمليات ضد الأتراك داخل مياه الخليج ، ويبدو أن الأمير سعود كان يرمى الى التأكد من موقف الحكومة البريطانية من اقتراحه وأن لم يشر الى ذلك بصراحة ، فاذا تعهدت الحكومة البريطانية بعدم التدخل الى صف الأتراك فيمكنه عندئذ الاستعانة بشيوخ الهدنة للاشتراك معه في الحرب ضد الأتراك وذلك على غرار ما فعله شيخ الكويت في التعاون مع الأتراك . غير أن بيلي الذي أدرك ما وراء نوايا الأمير فإنه لم يرد على رسالته .

في الاسبوع الثاني من يونيو قام اليوت بإبلاغ مضمون تعليمات ماير للمقيم الى على باشا ، وعاد رئيس الوزراء التركي فاكد لاليوت بأن الباب العالي لن يقوم بأى اجراءات بحرية في مياه الخليج وأن الحملة تتجه الى الاحساء ، وبأنه لم يفكر اطلاقا في طلب المساعدة من شيوخ الهدنة الا أنه لم يرفض مثل هذه المساعدة فيما لو قدمت اليه ، وذكر رئيس الوزراء أيضاً بأنه لا يعرف شيئاً عن شروط أو حدود الهدنة البحرية وإنما يعرف أن هناك معاهدة من هذا النوع وتأسيساً على ذلك سلمه اليوت نسخاً من اتفاقيات الهدنة وأشفعه بطلب الإيعاز الى والى بغداد بالألا يسمح للخفلة ببلد تجاوز حدودها . وفي يوم ١٢ من يونيو اجتمع بهريرته بميدجيت باشا وأبلغه

بهذه الأوامر ، غير أن الوالى لم يرد ردا صريحا وانما قال بأنه تلقى تعليمات من حكومته بالتقيد بنظام الأمن فى مياه الخليج وعلى الأخص فى مناطق صيد اللؤلؤ ، وهو الأمر الذى التزمت به الحملة ، غير انه ذكر بأنه يشعر بشيء من الحرج حول المعاهدة المعقودة بين البحرين والحكومة البريطانية، خصوصا وأن الحملة لم تكن تستهدف البحرين بأى حال من الأحوال ، وبأن الأوامر التى أصدرها الوالى لقائد الحملة انما تنحصر فى انزال القوات والمعدات فى القطيف والعقير ، واستطرد يقول بأنه لا يرى ضرورة فى اصدار أوامر أخرى بهذا الشأن امتقادا منه بأن قائد الحملة لابد وأن يتقيد بالتعليمات التى تنص بعدم القيام بأى عمل فى الموانئ الأخرى ولكن الوالى لم يشير الى البحرين بعد الاعتراضات التى قدمها اليوت للباب العالى والاعتراضات التى قدمها هربرت اليه ، وأكد أخيرا بأن هدف الحملة هو خلع الأمير سعود بن فيصل واعادة الأمير عبد الله الى حكم نجد ، وبأنها لن تتدخل فى شئون أى قبيلة أخرى خارج نجد ، ولكنه استدرك فقال بأنه اذا تأكد بأن هناك قبائل أخرى تقدم المساعدات الى الأمير سعود فسوف يتم ردعها .

بعد اطلاق هربرت على الجريدة الرسمية التى تصدر فى بغداد وتضم أسماء المناطق الرئيسية والمستوطنات فى نجد اتضح له معنى العبارة الأخيرة فى اقوال مدحت باشا ، فقد كانت القائمة تشمل جزيرة البحرين ونحو عشر مناطق فى عمان الساحلية بما فيها الشارقة ودبي وابوظبى وقد اثارت ملاحظات مدحت باشا الأخيرة القلق فى اوساط حكومة بومباى ، وفى اواخر يوليو كتب المسئولون فى حكومة بومباى رسالة الى الحاكم العام جاء فيها :

« ان أمن الرياض يستلزم الركاة السنوية من مسقط ، كما انه لا يكف

عن المطالبة بالسيادة على البحرين وساحل جزيرة قطر وأبو ظبي ، وإذا قدر للشيخ عبد الله أن يسترد الحكم في نجد بمساعدة القوات التركية فإن الحاكم العام لا يشك مطلقا في أن الأمير سعود سوف يعود إلى المطالبة بفرض سيطرته على هذه المناطق ، وفي هذه الحالة إذا لم يجد معارضة من أي جانب فإن تدخل الأتراك في شؤون القبائل الساحلية سوف يصبح أمرا نافذا ، ولهذا فإن الحاكم العام تنتابه الشكوك من حدوث مشكلات سياسية من جراء ذلك في المستقبل ، ولقد كان في الإمكان تجنب مثل هذه الاحتمالات لو كان المسئولون البريطانيون استخدموا لهجة العنف مع الأتراك وحاولوا دون ذلك التدخل » .

أما الحاكم ماير فلم يكن يرى مبررا لتلك المخاوف والشكوك وكان يعتقد بأنها مخاوف سخيفة ، وقد قال : « اننى لا أعرف بالضبط ما الذى تريده حكومة بومباي منى ، فهل ترغب أن يعرف الأتراك ، كما ذهب هربرت ، رأينا بالنسبة لعمان ووضعها وحدودها وولائها وسيادتها الخ . اننى شخصيا لا أؤيد أن تكشف لها عن حدود هذه المناطق ، على الرغم من أننا فى وضع يسمح لنا بأن ندلى بآراء سديدة حول هذه النقاط لآى حكومة أو هيئة . لقد رفض ماير أن ينجرف فى تيار الشكوك والمخاوف من مدحت باشا . » . اننى أفضل أن التزم فى هذه المشكلة بتأكيدات وزراء البب العالى بالنسبة لتصرفات الوالى التركى فى بغداد مهما كان لذلك الموقف من آصداء اعلامية أو مما ينشر فى صحف بغداد بالرغم من أن تلك الصحف اتصفت بغير عن رأى المستشارين الأتراك ويستطرد ماير فيقول بأنه إذا كانت النية مشجبة لمعارضة خطط مدحت باشا فمن الأفضل أن يتم ذلك بالطرق الدبلوماسية فى القسطنطينية ، وهو يعارض أن يدخل هربرت طرفا فى أى نقاش حول هذا الموضوع مع الوالى التركى ، وإنما

يعضل إن تنحصر خطوات القنصل البريطاني العام مع الوالى فى نطاق
تذكير الباب العالى بتأكيداته بعدم اللجوء الى العمليات الحربية فى الخليج
باستثناء عملية نزول القوات الى ميناء الاحساء .

وفى بداية يوليو بدأت القوات التركية تقدمها الى الاحساء غير أن
الحرارة وانتشار الأمراض بين الجنود حد من سرعة تقدمهم واستغرق
وصولهم الى واحة الاحساء أكثر من اسبوعين على الرغم من انهم لم يلقوا
أى مقاومة ، وذكرت التقارير الواردة من مسرح العمليات فى شهر
أغسطس بأن القوات التركية كانت فى وضع سيء عند وصولها ، فقد مات
ما لا يقل عن ٤٠٠ جندى بسبب انتشار الأمراض والمجاعة ونقص المؤن
ومن مجموع ٢٥٠٠ جندى بقيادة نافذ باشا مرض نحو ١٠٠٠ جندى .
أما على الساحل فلم يكن الوضع أحسن حالا ، فقد كان هناك نحو ١٥٠
جنديا مريضا من أفراد الحامية المؤلفة من ٥٠٠ رجل والموجودة فى
القطيف ، كما كان فى العقير عدد كبير من المرضى بين الجنود ، وهكذا لم
يبقى من مجموع القوات التركية وعددها ٣١٥٠ رجلا القادرين على القتال
نوى ٢٠٠٠ جندى أما الفيلىق العربى فكان مؤلفا من ٢٠٠٠٠ رجل غير أن
معظم أفراد هذه القوة أخذوا فى العودة الى ديارهم بما فيهم الشسيوخ
الذين كانوا من المفروض أن يساعدوا قبائل نجد . وكانت التعزيزات
الوحيدة التى يتوقع نافذ باشا وصولها لا تزيد على ٢٥٠٠ جنديا . ولم تسفر
الاشتياقات التى نشبت بين الأمير سعود وأخيه الأمير عبد الله عن أى
نتيجة حتى ذلك الوقت . ففقد الأمير سعود فى الرياض يقود جيشنا
كبيرا من القبائل وقلة من على رفض دعوة من فريق باشاء القائد التركي
فى القطيف الاجتماع به حتى يتمكن من استداده للدفع الزكاة للأتراك فيما
علو تركوه من شأنه . ومع ذلك فان قلنا قسبنا بتدبير القوات التركية فيها

حاولت التقدم نحو الرياض ، أما الأمير عبد الله فقد كان مجهول المكان وان كانت الاشاعات قد ذكرت الى انه كان في خرج الواقعة جنوب الرياض ، ومن ناحية اخرى كان بعض رجال القبائل في نجد يبذلون المساعي لاجلال الوفاق بين الأخوين ، وكانوا يريدون أن يشترك الاثنان في التصدي للقوات التركية ، غير أن الأمير عبد الله لم يكن يوافق على ذلك حتى لا يفقد الأمل في العودة الى السلطة بتأييد من حلفائه الأتراك ، وفي شهر سبتمبر حسم هذا الوضع عندما تمكن الأمير سعود من دحر قوات الأمير عبد الله واتباعه من قبائل قحطان خلال المعركة التي نشبت على مشارف الرياض وكانت نتيجتها أن فر الأمير عبد الله ولجأ الى الأتراك في واحة الأحساء .

في الوقت الذي كان الأتراك يتقدمون في الأحساء كانوا في الوقت نفسه يوسعون من عملياتهم العسكرية داخل قطر ، ولعلمهم كانوا يريدون بذلك تأمين خطوط المواصلات بين القطيف والأحساء من هجمات البدو عليها ، والذين كانوا يشنون غارات على القوات التركية في المناطق الريفية الواقعة فيما بين قطر والعمير بتحريض من الأمير سعود أو من مدحت باشا . وفي منتصف يوليو عند وصول الطراد هيروز شاهد القبطان العلم التركي يرفرف على القلعة في قطر ، وباستفساره عن الأمر عرف بأن احدي البواخر التركية ترافقها سفينة كويتية قد زارت الدوحة قبل وقت قصير ، وقد اتصل بيلي بالمقيم حول هذا الموضوع ، فبادر الأخير بإيفاد مساعده الماجور سميث لإجراء تحقيقات حول هذا الموضوع ، فقد اجتمع سميث بالشيخ محمد بن ثاني حاكم الدوحة ، الذي أخبره بأن الشيخ عبد الله بن صباح حاكم الكويت قد وصل الى قطر بناء على تعليمات من نافذ باشا في محاولة لاقتناع حاكم قطر للاعتراف بالسيادة التركية عليه . رفض حاكم قطر المطالب التركية بينما قبلها بجله جاسم ، وإن الذي قام

برفع العلم التركي هو جاسم ، لان والده استمر في رفع علم قطر وكان
يصر على ذلك ، وعند استلام يبلى لتقرير سميت حول الموضوع بعث
ببرقية الى هربرت يحثه على الاتصال بمدحت باشا ويطلبه بايضاحات
حول ما كان يجري في الدوحة ، وقد رد عليه مدحت باشا بأنه لا يعلم
شيئا عن مسألة رفع العلم التركي في قطر ، وأنه لا يعلم عن صدور مرسوم
من جانب السلطان التركي ، ثم استدرك فقال بأن قطر على آية حال لم
تشملها تأكيدات الباب العالي للحكومة البريطانية فيما يختص بنطاق
الحملة وبأنه لا يرى أي سبب يمنع من امتداد الحملة الى قطر .

كان موقف مدحت باشا وعملية رفع العلم التركي في قطر نذيرا
بما كان يخبئه المستقبل ، ففي يوم ٢٧ أغسطس وصلت الفرقاطة لبنان
والسفينة المسلحة الاسكندرية ميناء عدن في طريقهما الى منطقة الخليج ،
وذكر قائد السفينتين الكومندور عارف بك للمقيم السياسي البريطاني في
عدن بان التعليمات قد صدرت اليه بالتوجه الى منطقة الخليج والقيام
بدوريات فيما بين المنطقة الواقعة بين المكلا في حضرموت والبصرة ، وبعد
ايام قليلة وصل القائد التركي الى مسقط وذكر للكابتن روس المعتمد
السياسي البريطاني في مسقط بان الباب العالي قد خصص عشر سفن
على الاقل للعمل في تلك المنطقة ، وأن هناك بالفعل توجد ثلاث سفن
وفرقاطة في مياه الخليج ، وبأن العمل يجري في بناء مرفأ ومخزن للبارود
في ميناء البصرة . ويبدو ان الأتراك في ذلك الوقت كانوا يخططون لمجابهة
البريطانيين في الخليج ، أو أن هذا ما استنتجه ماير من وصول السفن
التركية الى المنطقة ، وكان استنتاجه يتفق مع الرأي الذي أعربت عنه
حكومة بومباي في أواخر شهر يوليو . وفي نهاية سبتمبر بعث بخطاب
الى ارجيل يقول فيه :

« انكم ولا شك تدركون المشكلات التي قد يثيرها وجود أسطول تركي بالنسبة للمركز الذي تتمتع به الحكومة البريطانية في الخليج ، وما ترتب على هذا المركز من مزايا ومصالح لبريطانيا ، وبالنظر الى احتمال عودة الاضطرابات الى آسيا فان الوجود البريطاني للحفاظ على المصالح البريطانية وتنمية التجارة والمحافظة على الامن والاستقرار في المحيط الهندي لم يكن ضروريا كما هو الآن ، ومما يحز في نفوسنا أن تركيا التي تعتبر من اخلص حلفائنا والتي ضحت بريطانيا في سبيل أن تحتفظ تركيا بالمركز الذي تحتله اليوم أن تنبري الى اتخاذ خطوات واجراءات تساهم في تغيير الأوضاع السائدة والتي يعتبر استمرارها في غاية الاهمية بالنسبة الى المصالح الخاصة بالامبراطورية البريطانية في الهند ، والتي بفضل وجودها حقق الباب العالي نجاحات عديدة في الناحيتين السياسية والتجارية ، وسوف يستمر في جني تلك المكاسب من غير أن تكلفه أي نفقات أو التزامات » .

وطلب ماير ابلاغ مضمون هذا الموقف الى الباب العالي وذكر بأنه اذا تأكد أن الاتراك عازمون فعلا على انشاء قواعد بحرية لهم في الخليج فإنه يرى بأنه من الافضل عليهم أن يتخلوا عن هذا الاتجاه .

وعلى أية حال فقد كان من الصعب أن نتأكد ما اذا كان الباب العالي ينوي بالفعل السير في تلك السياسة في الخليج والى اى حد سوف يمضى الوالى مدحت باشا في تنفيذه لتلك السياسة ، ولعله من الأصوب أن نقول أن الاتراك كانوا يعتمرون تحقيق شيء من اللين ، فقد كان مدحت باشا يهدف الى اكثر من مجرد تهدئة الأحوال في بضع مئات من الأميال المربعة في الصحراء ، وهو لم يكن يسعى الى تمويض خسائر الباب العالي عن طريق الحملة فحسب ، وإنما كان يتطلع الى اضافة

جوهرة جديدة الى التاج التركي ، أما تلك الجوهرة فهي البحرين ، اذ ان مدحت باشا قد ذكر في شهر يوليو لهربرت عندما اثار معه القنصل العام مسألة قطر بأن البحرين تعتبر منطقة تابعة لنجد . وانه وفقا للاتفاق الذي سبق ان تم التوصل اليه بين الحكومتين العثمانية والبريطانية فان الباب العالي لن يقوم بأى تدخل عسكري في البحرين . وكانت هذه اول اشارة صريحة من الوالى تغكس اهتمامه بالبحرين ، وأن توصفه للبحرين بأنها تابعة لنجد وقوله بأنها كانت موضع بحث بين الحكومتين انما يكشف بوضوح عن ماهية التكتيك الذى كان يستخدمه والذى لم يكن يختلف عن التكتيك الذى استخدمه محمد على باشا والى مصر قبل ثلاثين عاما ، على اساس أن البحرين تابعة لنجد وان الحجة لتلك التبعية هي الزكاة التى كان يدفعها حكام البحرين للرياض ، وربما كان مدحت باشا ينوى أن يتخذ من ذلك مبررا للربط بين موضوع البحرين وموضوع قطر . وحتى عام ١٨٦٩ كان حاكم البحرين يمارس نوعا من السلطة على الدوحة ، وهو لا يزال يمارس تلك السلطة على منطقة زبارة والمناطق الشمالية المحيطة بها . وبعد أن وضعت حرب ١٨٦٧ / ١٨٦٨ بين قطر والبحرين أوزارها ، تم الاتفاق على تقسيم الزكاة التى كان يدفعها شيخ آل ثانى فى الدوحة الى شيخ البحرين والتى كانت تسلم لوكيل حاكم البحرين فى قطر الى فئتين ، تدفع الاولى مباشرة من جانب شيخ آل ثانى الى زعيم قبائل النعيم فى قطر الذى كان تابعا لآل خليفة بينما يحول الجزء الثانى منها الى المقيم السياسى البريطانى فى بوشهر ليقوم بدوره بتحويله الى البحرين ، ويتم تحويل الجزء الذى يرسل الى البحرين الى الرياض ، وذلك بالإضافة الى الزكاة التى كانت تدفعها البحرين مباشرة الى الرياض ، وعلى الرغم من ان الزكاة هذه لا تسمى

بأى شكل من الأشكال استقلال قطر فى علاقاتها بالبحرين فقد كان مقهوماً أن الزكاة تدفع انقضاء للاعتداءات الوهابية على هذين البلدين ، ولكن كان هناك احتمال أن يفسر مدحت باشا هذا الأمر بخلاف ذلك .

وعلى أية حال فقد سنحت الفرصة لمدحت باشا للقيام باجراء ضد البحرين . فلقد كان السبب الرئيسى لترحيب جاسم بن محمد بن ثانى بالأترك فى الدوحة هو أنه يأمل من وراء ذلك أن يحقق أطماعه فى اقضاء نفوذ آل خليفة من قطر بصفة نهائية وقد تمكن بالفعل من جمع قبوة محدودة لاستخدامها فى تحقيق ذلك الغرض ، وذلك عن طريق تحالفه مع ناصر بن مبارك آل خصوم آل خليفة فى شبه الجزيرة العربية ، وكان ناصر من المجموعة المنفية من آل خليفة . وهكذا عرض الشيخ ناصر مساعدته للقائد التركى فى الاحساء فور نزول القوات التركية على ساحل قطر ، بهدف أن يتمكن بعد ذلك من تسديد ضربة ساحقة الى البحرين . وفى نهاية اغسطس طلب منه القائد التركى نقل خطاب منه الى الشيخ جاسم آل ثانى فى الدوحة ، ولكن جاسم قام بتسليم الخطاب الى احد اقارب ناصر من قبيلة بنى حجر (وكانت والدة ناصر واحدى زوجاته من نفس القبيلة) واثناء الرحلة نزل الرسول فى العقير وكان على احدى السفن الكويتية التى ابحرت مع سفن بحرنية أخرى راسية على الشاطئ . وفى الطريق توقفت السفن للتزود بالماء فى منطقة قريبة من البحرين ، وفى هذه الأثناء تعرف احد الموجودين فى تلك المنطقة على حامل الرسالة الذى كان يعلم أن هذا الرسول قد اشترك فى مقتل الشيخ على بن خليفة عام ١٨٦٩ . وانتشر الخبر على الفور حتى أن احد اقارب الشيخ وصل الى المنطقة وقام بقتل حامل الرسالة الذى كان قادما

من قطر ، ثم سلمت جميع الرسائل التي كانت فى حوزته الى الشيخ عيسى بن على الذى قام بدوره بتسليم خطاب القائد التركى الى الجهة المرسل اليها ، بينما أرسل بقية الرسائل التي ورد فيها ذكر للأتراك وأطماعهم فى البحرين الى المقيم السياسى فى بوشهر .

وقد علم مدحت باشا بمقتل رسول القائد التركى فى الاسبوع الثانى من اكتوبر ، ثم بعد أيام اتصل الوالى بهربرت يطالبه بتعويض عن مقتل الرسول التركى الذى تم بتحريض من حاكم البحرين ، نظرا لان الرجل التركى يعمل فى خدمة الحكومة التركية ولما كان الوالى نفسه يستعد للسفر الى الاحساء فقد ذكر لهربرت بأنه سوف يسوى بنفسه تلك المشكلة فى البحرين عند وصوله اليها . ولو أن الوالى كان حقا حريصا على الحصول على التعويض عن مقتل مبعوث القائد التركى ، فقد كان من السهل أن يطلب التعويض من المقيم البريطانى ، غير أن هربرت كان يعتقد بأن مدحت باشا قد تعتمد عدم الاتصال بالمقيم فى هذا الشأن حتى لا يبدو وكأنه يعترف بالعلاقة التى تربط بريطانيا بالبحرين ، وبمجرد أن علمت حكومة الهند برحلة الوالى أبرقت الى القنصل البريطانى العام فى قطع مباحثاته مع الوالى ، وعلى أن يقتصر عمله على ابلاغه باستنكار الحاكم العام محاولاته التدخل فى البحرين على الرغم من تأكيدات البناب العالى وتأكيداته فى هذا الموضوع ، الا أنه عند وصول تلك التعليمات الى هربرت كان الوالى قد غادرها الى البصرة ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن هربرت من ابلاغ مضمون الرسالة لمدحت باشا عن طريق مساعد القنصل فى البصرة . وفى نفس الوقت تسلم بيلى أوامر من حكومة الهند بسرعة السفر الى البحرين ، وقد رد بيلى على حكومة الهند يستفسر عن طبيعة مهمته فى البحرين ، وذكر فى البرقية بأنه قد سبق أن توفى مساعده

الماجور سميث فى البحرين بسبب الحمى وذلك فى شهر اكتوبر . كانت مهمة بيلى فى البحرين كما اراد فيتزر جيرالد اكثر من مجرد متسابعة الاحداث فى المنطقة نظرا لان حصر المهمة فى هذا النطاق بعد الاحتجاجات الكثيرة التى وجهت الى الباب العالى والتاكدات التى وصلت منه هو بمثابة الامتراف بالمعجر .

وعلى الرغم من ان ماير كان متفقاً مع فيتزر جيرالد على وجوب اتخاذ خطوة ما الا انه لم يكن يرغب فى مجازفة قد تؤدى الى صدام مسلح مع الاتراك ، وذكر له يوم ٨ نوفمبر بانه يتعين على المقيم ان يتجه بالاسطول الى البحرين بعد ان يتم تعزيزه بالطرادين بلفنشى وتمبل وذلك لى يتأكد ما اذا كان حاكم البحرين يتعرض للتهديد فعلا على ان لا يذكر شيئاً لحاكم البحرين عن مقتل المبعوث القطرى ، لان هذا الموضوع سوف يناقش على مستوى الحكومتين فى القسطنطينية ولندن ، فاذا تأكد لبيلى بان الوالى مصمم على التدخل فى البحرين فيتعين عليه عندئذ بان يوضح له بان البحرين دولة مستقلة وتربطها بالحكومة البريطانية معاهدة خاصة ، وبان الباب العالى قد نفى نفياً قاطعاً أى عزم له بالتدخل ضد البحرين ، وبانه يتعين على مدحت باشا ان يعرض الامر على حكومة القسطنطينية قبل القيام باى خطوة ضد الجزيرة . وفى نفس اليوم بعث ماير ببرقية الى ارجيل يطلب منه تحديد الاجراء الذى ينبغى اتخاذه اذا قام الاتراك بمهاجمة البحرين ، كما اقترح فى البرقية ان يطلب من الباب العالى ارسال تعليمات الى مدحت باشا بالامتناع عن التدخل ضد البحرين . وفى ٢٠ نوفمبر رد ارجيل على ماير بان السفير البريطانى فى القسطنطينية قد تلقى تأكيدات من جديد بعدم تعرض الاتراك للبحرين ولكنه طالب بان تدفع التعويضات اللازمة عن مصرع المبعوث التركى . وبعد اسبوع من

هذا أوعز وزير الدولة الى ماير بأن يطلب من المقيم أن يحصل على تفسير من الشيخ عيسى بن على عن مقتل المبعوث وأن يوضح للحكومة العثمانية بأن موضوع دية القتل سوف يسوى بالطرق الدبلوماسية وبأن يؤكد للحكومة العثمانية بأن حادث مقتل القطرى لا ينبغي أن يؤثر على الوضع السياسى فى البحرين .

وصل بيلى الى البحرين يوم ١١ نوفمبر ولكنه قبل أن يتوجه اليها برزت مشكلة أخرى من خلال الاحتجاج الذى تلقاه بيلى من الأمير سعود ابن فيصل على سكوت الحكومة البريطانية عن الهجوم الذى قام به الأتراك على بلاده من البحر . غير أن السبب الحقيقى للاحتجاج لم يعرف ، وقد يكون بسبب وجود الأسطول العثمانى فى المناطق الساحلية الواقعة بين البحرين والاحساء أو ربما يكون محاولة من الأمير لارغام بيلى على حصر العمليات التركية فى البر ، أو الحصول على الموافقة من الحكومة البريطانية على قيام زعماء المنطقة الساحلية بخوض القتال نيابة عن الأمير . وعلى الرغم من أن المقيم قد أبدى تعاطفه على موقف الأمير سعود ، الا أنه لم يكن فى وضع يسمح له باتخاذ أى إجراء ، كما لاحظ المقيم بأن الشيخ عيسى كان هو الآخر متعاطفا مع موقف الأمير سعود ، وان كان قد التزم بسياسة الحياد فى الصراع التركى الوهابى ، وبناء على نصيحة بيلى بعث حاكم البحرين برسالة الى مدحت باشا يوم ٢٢ نوفمبر يعتذر فيها عن مقتل المبعوث ويعرب عن اسفه عن الحادث ولكنه يعاتب مدحت باشا عن عدم ابلاغه رسميا بوضع الاحساء تحت السلطة العثمانية مباشرة وعلى استخدامه لشخص له علاقة بمقتل الشيخ ناصر بن مبارك . كما أعرب عن استيائه مما جاء فى الرسالة التركية التى كانت فى حوزة المبعوث عن عزم الباب العالى ضم البحرين الى سلطة نفوذه . وبعد يومين من إرسال

الخطاب وصل الى المنامة الكومندور التركي عارف بك ، ومعه فرقاطة وسفينة حربية ، وفور وصوله اجتمع بالمقيم ، وابلغه بقرب وصول الوالى مدحت باشا للاجتماع بالشيخ عيسى وبحث المشكلة ، كما شوهدت فى نفس اليوم سفينة تركية اخرى تخرج من القطيف الى العقير وبأن السفينة المذكورة تقل مدحت باشا ومعاونيه وهكذا باتت المشكلة الخاصة بالبحرين وشيكة الوقوع ، وان يبلى وحاكم البحرين يستعدان لها .

ومع ذلك فان الازمة لم تقع فقد بقى مدحت باشا فى سفينته الى أن اقلعت الى البصرة يوم ١٦ ديسمبر وقبيل سفره بعث برسالة الى الشيخ عيسى يرفض فيها تفسيره لاغتيال لمبعوث التركي ويطلبه بانزال العقوبة على المسؤولين عن الحادث ودفع مبلغ عشرة آلاف درهم فضية كدية عن القتل على أن يتم تسليمه الى جاسم بن ثانى القائمقام التركى فى قطر ، كما تقى مدحت باشا وجود أى مؤامرة تركية ضد البحرين ، الا أنه أكد بأنه يحتمل تفويضا من السلطان بطلب التعويضات عن الحادث وعند قراءة يبلى لخطاب مدحت ظهر له بأن الخطاب بمثابة تهديد من جانب مدحت باشا بالانتقام اكثر منه لمسئول مخول باتخاذ اجراءات فورية ، ومما لاشك فيه أن مدحت باشا كان يفكر فى اتخاذ اجراء ضد البحرين لو أنه كان متأكدا من نجاحه ، ففى اواخر شهر ديسمبر ذكر أحد التجار لببلى أنه بينما كان فى القطيف فى بداية الشهر اجتمع بمدحت باشا وسأله عما اذا كان التجار فى البحرين قد طلبوا الحماية البريطانية وقد رد التاجر بالاجاب ، فعاد مدحت باشا فسأله عما اذا كان فى وسعه أن يجمع توقعات نحو خمسين أو ستين من التجار البارزين فى البحرين يطلبون فيه من الباب العالى الحماية التركية ، وقد شك التاجر فى نجاح مثل هذه المحاولة ، وعندئذ عاد مدحت باشا فطلب منه صرف النظر عن الموضوع

ولم يستطع ان يمضى مدحت باشا فى القطيف فترة اطول لانه كان عليه ان يعود الى بغداد .

ولعل رد الشيخ عيسى المهذب والحاسم فى نفس الوقت والذى تحاشى فيه الالتزام باى شىء ، ووجود المقيم وبعض قطع الاسطول البريطانى فى البحرين اقنعت مدحت باشا بان اى تدخل من جانبه سيكون مجازفة غير مضمونة وبذلك تم انقاذ البحرين من الاحتلال التركى . غير انه انسحاب مدحت لم يقض على الخطر نهائيا ، اذ لو ان طلبه بديعة عن القتل قد رفض لربما كان المحتمل ان يقوم مدحت باشا بتنفيذ تهديده فى اول فرصة تسنح ، ولهذه الاسباب فقد استعجلت السلطات المسئولة فى الهند المقيم البريطانى بدفع قيمة الدية لحكومة الباب العالى . ثم يطلب من بيلى اقترح الحاكم على آرجيل بان يطلب من الباب العالى الموافقة على عرض النزاع على هيئة تحكيم بريطانية وبان يوعز الى الوالى فى بغداد بالامتناع عن استخدام القوة لحل النزاع ، وارسل هذا الاقتراح الى القائم بالاعمال البريطانى فى القسطنطينية فى اواخر يناير ١٨٧٢ . وبايعاز من المقيم بعث حاكم البحرين بخطاب الى مدحت باشا ذكر فيه بانه احال مضمون خطابه الى الحكومة البريطانية مع الاقتراح بتسوية النزاع مع الباب العالى بالطرق الودية . فى هذا الوقت اخذت تصرفات الوالى ومخططاته تتضح للباب العالى ، فقد أدرك الوزراء فى تركيا انه لا فائدة من احالة موضوع بسيط كهذا الى التحكيم ، وانه قد تم ايضاح هذا الموقف للقائم بالاعمال البريطانى فى بداية شهر ابريل ١٨٧٢ ، وانهم يفضلون تسوية هذا الخلاف بين الوالى والشيخ . وقد وافقت حكومة الهند على هذا الاقتراح ، وهكذا اخذت حرارة الخلاف تخف حدتها .

والواقع أن الأتراك لم يقوموا بعد ذلك بالاتصال بحاكم البحرين حول هذا الموضوع ، وهكذا دخل الموضوع الى طى النسيان .

وفى أواخر صيف عام ١٨٧١ انتهت الحملة على نجد وعجز الأتراك عن التقدم الى ما وراء منطقة الاحساء ، كما لم يكن الأمير سعود فى وضع يسمح له بطردهم من الاحساء ، وفى مستهل الخريف تعرض الأمير سعود لشكسة خطيرة بعد أن تمرد عليه السكان بعد أن ضاقوا ذرعا من تصرفات حلفائه من البدو وانحرافاتهم وذلك بقيادة عبد الله بن تركى وقاموا بإبعاد الأمير سعود عن الرياض ، فلجأ الى قطر ، وقد بعث عبد الله بن تركى برسائل الى نافذ باشا وعبد الله بن فيصل ابلاغهم فيها بانتصاره وطلب منهم المشورة فى الخطوات التى يتخذها ، فقام نافذ باشا بتعيين عبد الله بن تركى حاكما على الرياض الى ان يصل اليها عبد الله بن فيصل وزوده بالاموال والمؤن . فى ذلك الوقت تمكن الأمير سعود من تعبئة بعض رجال القبائل من قبائل مرة والدواسر وعجمان ، وبتلك القوة قام بمحاولة لقطع خطوط الامداد التركية فيما بين القطيف والاحساء ، الا أنه فشل فى المحاولة واضطر للانسحاب الى قطر . وقد تدهورت حالته بعد ذلك حتى انه اضطر الى طلب النجوى للبحرين . وكانت هذه اللحظة هى لحظة نزول مدحت باشا فى القطيف وذلك فى الاسبوع الثانى من نوفمبر .

وكان مع مدحت باشا ثلاث سفن تحمل المؤن والامدادات ، وقد ذكر الكومندور التركى عارف بك للمقيم بان الفرض من مجيئه هو اجراء تحقيقات فى الفساد وسوء الادارة المتفشى بين المسؤولين الأتراك المحليين ولتدعيم الحكومة فى الاحساء تمهيدا لاستئناف الحملة على الأمير سعود بشكل اوسع . وبمجرد وصوله الى المنطقة اصدر الباب العالى بيانا جاء فيه بانه قد تقرر ممارسة الاشراف الادارى المباشر على نجد والاحساء بلبية لرغبة كبار رجال المنطقة وشيوخها وأضاف البيان بان آل سعود

لم يعودوا يعتبرون حكاما على نجد والاحساء ، وأن نافذ باشا قد عين حاكما جديدا على اقليم نجد ، وما آن علم الأمير عبد الله بن فيصل الذى كان يومها فى الاحساء بما جاء فى البيان التركى حتى فر من الاحساء وترك رسالة للمسئولين الاتراك يتهمهم فيها بأنهم حولوا الحملة التى جاءت من اجل اعادته الى الحكم الى اداة للقمع والسيطرة على نجد وحلولهم محل الاسرة الحاكمة . وعند وصول مدحت باشا الى واحة الاحساء فى يوم ٢٦ نوفمبر اطلع على قرار عبد الله فاستاء من الامر لانه كان لا يريد ان ينشأ صراع بين الأخوين ، كما أن الأمير عبد الله لم يكن يرضى بالدخول فى معركة ضد أخيه الأمير سعود والاتراك فى آن واحد ، وبعد ان هدأت الأحوال بعث عبد الله برسالة من الرياض التى توجه اليها من الاحساء وفى هذه الرسالة ابدى استعداده لدفع الزكاة والاعتراف بالاتراك بشرط ان يوافق الباب العالى على الاعتراف به كحاكم على الرياض ونجد ، كما أوضح فى رسالته أيضا بأن السلطان العثمانى لا يملك حق خلعه عن العرش الذى ورثه عن ابيه وأجداده وقال بأن كلا من السلطان العثمانى والأشخاص الموقعين على العريضة التى عرضها مدحت باشا فى القطيف قد ضللوا بشأن تلك الوثيقة ، وقال بأن السلطان العثمانى قد فهم من العريضة أن أصحابها يعترفون له بالحكم التركى المباشر بينما هم فى الواقع يحتجون على فرض الضرائب الباهظة عليهم ، واختتم الأمير عبد الله رسالته بالتنبيه الى أن الاتراك قد يتعرضون للمتاعب والصعاب فى الاحتفاظ بحكمهم على نجد والاحساء .

فى يوم ١٨ ديسمبر عاد مدحت باشا ومعه عدد كبير من الجنود المصايين ومع ذلك فانه لم يياس من نجاح الحملة ولم يكن يفكر فى التخلّى عنها ، بالرغم مما سببته من استنزاف لخزينة بغداد ومن الرجال ، وقد

حصل على سفينة أخرى لارسال التعزيزات الى الحملة ، وفى نهاية العام بعث ب ٣٠٠ جندي آخرين لتعزيز قوات فريق باشا قائد قوات الاحسان وقد علم بأن فريق باشا قد أصبح يعمل تحت قيادته نحو ١٠٠٠٠ جندي عدا الجنود النظاميين ، كما علم بأنه قد صدرت اليه تعليمات من مدحت باشا لبدء الزحف الى الرياض فى أواخر الشتاء أو بداية الربيع . ويمكن القول أن هذه الخطوة لم تكن تشمل كل خطط مدحت باشا ، ففى مطلع شهر يناير ١٨٧٢ وصلت السفينة المسلحة (الاسكندرية) وكان يقودها عارف بك الى الدوحة وأنزلت كتيبة من الجنود ، وقد احتج الشيخ محمد بن ثانى على وصول القوة ولكن مدحت باشا أجابه بأن القوة قد ارسلت تلبية لرغبته ضد رجال الأمير سعود الدين كانوا يغيرون على القوات التركية ويقومون بقطع خطوط المواصلات فى مناطق الحدود بقطر . غير أن وصول الجنود الأتراك الى الدوحة كان مجرد خطوة ، فقد تم نقلهم فى نهاية شهر يناير ولم تبق فى الدوحة سوى وحدة صغيرة لحراسة المؤن والاعدات العسكرية .

وإذا كان مدحت باشا قد تمادى فى حملته العسكرية على نجد فان الباب العالى من ناحية أخرى قد سئم أمور تلك الحملة فنظير تلفقات باهظة لم يكشف عنها النقاب وتضحيات كبيرة فى الرجال لم تحقق الحملة الانجاحاً ضئيلاً ، فقد اثبتت القطيف بأنها منطقة استنزاف للقوات التركية ، وقد علل مدحت باشا فشله فى الحملة بأبداء أسباب تدعو الى السخرية ، اذ قال بأن الهدف من الاستمرار فى الحملة هو العمل على بناء مدينة جديدة بالقرب منها ويبدو ان محصول واحة الاحسان قد اعطى بعض الردود تعويضاً عن المعاناة والخسائر التى كلفها احتلالها ، غير أن استغلال تلك المحاصيل يتطلب من الأتراك التحكم فى طرق المواصلات التى تربط بين

الهفوف والعقير وبالتالي فلا بد من انشاء خطوط دفاع لتحقيق هذا الهدف ، أما الأحساء فقد كانت بالنسبة للأتراك كالجوهرة الثمينة . أما بالنسبة لبريطانيا فقد كانت بريطانيا بطبيعة الحال مستاءة جدا من تلك الأحوال ، وعلى الرغم من الفائدة الزهيدة التي حققها الأتراك فان ذلك كله قد تبخر نتيجة للموقف البريطاني من نشاط الأتراك ونواياهم وشكواهم المستمرة منهم . وفي خريف عام ١٨٧٢ استدعى مدحت باشا الى القسطنطينية نهائيا .

وكدليل على ياس الباب العالي من مغامرته في نجد ، لمح له صوفر باشا وزير الخارجية التركية في ديسمبر بأن كل ما يهم الباب العالي هو انشاء تنظيمات ادارية في نجد ، ثم في الشهر التالي ذكر صوفر باشا لسكرتير السفارة البريطانية في القسطنطينية بان السياسة التركية تجاه القبائل المستقلة في الساحل العربي للخليج لا تزال كما كانت ، وأن تركيا لا تنوى ان تقوم بأى اجراءات لغرض السيطرة عليها وبالرغم من وضوح هذه التأكيدات الا أنها لم تكن تجيب على السؤال المطروح يومئذ ، وهو محاولة تركيا الاحتفاظ بأسطول لها في الخليج . وفي شهر ديسمبر عند اجتماع صوفر باشا باليوت ذكر الوزير بأن قيادة الأسطول التركي كانت دائما ترى في منطقة الخليج محطة لاسطولها ، وبأن لابد لتركيا من وجود سفن لها هناك نظرا لارتباط ذلك بالوجود التركي في شبه الجزيرة . وعند ابلاغ مضمون هذا الحديث لحكومة الهند استفسر من مكتب شئون الهند عما اذا كان حجم الأسطول التركي الموجود في الخليج في مستوى المهمة الموكلة اليه ، بحيث يمكن أن تعفى الأميرالية البريطانية من نفقات الاحتفاظ بأسطول كبير لها في الخليج لمواجهة وجود الأسطول التركي من ناحية وتطمين الفرسان من ناحية أخرى :

احال أرجيل الاقتراح على جرانفيل الذى ذكر بأن هذا الموضوع فى غاية الحساسية وينبغى معالجته بحذر : « وما دامت تركيا تحتفظ بسلطتها الشرعية فى منطقة الخليج فان حكومة صاحبة الجلالة لا حق لها أن تطالب الاتراك بالحد من الوسائل التى يرون انها ضرورية للحفاظ على مصالحهم وكان يفضل الاعاز الى اليوت بأن ينبه الباب العالى بأن التنافس على السلاح فى مياه الخليج قد يؤدى الى اثاره الاضطرابات بين قبائله ، وأنه من المحتمل ان تمتد تلك الاضطرابات الى الاقاليم الخاضعة للسلطة التركية مما سيحمل الباب العالى نفقات اكبر فى محاولة قمع تلك الاضطرابات .

وعند اجتماع صوفر باشا باليوت فى شهر يونيو ١٨٧٢ واضطلاعه على ما ذكره السفير قال اليوت أن الباب العالى لا يهدف الى أكثر من تأكيد سلطته فى تلك الاقاليم التى تعتبر السلطة التركية أمرا مفروغا منه وأضاف بأن حكومة صاحبة الجلالة تكتفى من مدحت باشا ببيان يؤكد بأنه ليس هناك نية فى توسيع العمليات العسكرية ، واما فيما يتعلق بوجود قوة كبيرة من الأسطول التركى فى الخليج فربما كان هناك بعض سوء الفهم من جانب الحكومة البريطانية لان الأسطول التركى أسطول صغير لا يزيد حجمه عن أربع سفن ، وقد عادت اثنتان منها الى القسطنطينية غير أن تأكيدات صوفر باشا لم تكن تنطلق مع رغبة الحكومة البريطانية ، وانما كان الهدف منها هو وضع حد للأوضاع السائدة فى شرقى شبه الجزيرة وما كانت تحمله تلك الأوضاع فى طياتها من أخطار . وقد طلبت الحكومة العثمانية الى رؤوف باشا الذى خلف مدحت باشا فى حكم بغداد بمحاولة كسب عبد الله بن فيصل الى جانب الاتراك وبأنه اذا استحال عليه ذلك ان يجرى اتصالات بالأمير سعود ، وبما أن الأمير عبد الله قد رفض عروض رؤوف باشا فقد كان طبيعيا أن يتجه رؤوف باشا الى الأمير سعود ،

وعرض عليه الاعتراف به حاكما على أساس الأمر الواقع بشرط أن يقبل الأمير سعود سيادة الباب العالي على نجد وأن يقوم بدفع الزكاة السنوية كما كان يفعل والده الأمير فيصل ، وبأن يتنازل عن سلطته في الاحساء للأتراك ، وأن يبعث باثنين من انجاله كرهائن الى بغداد ، غير أن الأمير سعود الذي كان في حالة معنوية يائسة رفض مفاوضة الأتراك في هذا الشأن بمفرده وفضل أن يكتب الى المقيم البريطاني في الخليج طالبا منه التوسط في الموضوع بينه وبين الأتراك .

أيدت حكومة بمباي طلب الأمير سعود رغبة منها في العمل على إنهاء الصراع في نجد والاحساء بأسرع وقت ممكن اعتقادا منها بأن ذلك سوف يؤدي الى وضع حد للتغلغل التركي في البحرين وعمان ، خاصة وأن الأتراك كما قيل في ذلك الوقت قد آجروا اتصالات مع الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي في محاولة لفرض سيطرتهم على واحة البريمي . ولما كانت الحكومة البريطانية هي المسؤولة عن حماية الأمن في الخليج رأت حكومة بمباي أن تقوم بريطانيا في التوسط في أي نزاع يقع بين دولتين ساحليتين ، وقد أيد اتيشيسون وزير الشؤون الخارجية للهند هذا الاقتراح وان كان لأسباب أكثر أهمية :

« من المتفق عليه بصفة عامة أنه منذ نجاحنا في الاطاحة بالنفوذ الروسي من منطقة البحر الأسود توطدت علاقتهم بالروس » (هذا ما ذكره اتيشيسون في يوليو ١٨٧٢) وأيا كان الهدف الأخير للأتراك فمما لاشك فيه أنهم قد أظهروا خلال العامين الماضيين رغبتهم في تدعيم نفوذهم في كل من الخليج وشبه الجزيرة العربية في البر والبحر ، ومن المحتمل أن يكون الوقت قد فات لاحتفاظنا بالسلطة المنفردة في الخليج ، غير أنني آمل الا يحدث ذلك ، وان كانت الأمور تشير الى ذلك الاحتمال . وعلى أية حال فاني أعتقد أن افتتاح قناة السويس قد ضاعف من وجوب توثيق

علاقتنا بتركيا ، وبأن الجو الذى ساد محادثات قضية البحر الأسود أمر يدعو الى الأسف بالنسبة للمصالح البريطانية فى الهند . ان تركيا حليف لنا أهم بكثير من فارس التى لا تزال تخضع للنفوذ الروسى . كما انى اعتقد وبالتأكيد ، أن الروس سوف يقيمون لهم عاجلا أو آجلا ميناء على شاطئ الخليج للتجارة ، فاذا نجحوا فى ذلك فاننا سوف نواجه مشاكل أكثر تعقيدا مما واجهناه اثناء حملة الأتراك على نجد ، وانه لمن الاهمية بمكان بالغ أن نقيم نفوذنا فى المنطقة على أسس وطيدة ومعترف بها قبل أن يتمكن الروس من ذلك وبأن نسعى الى ازالة كل أسباب التوتر والاحتكاك مع كل من تركيا وفارس ، فان نجحنا فى تسوية خلافاتنا مع هاتين الدولتين بالطرق الودية وأن تكون هذه التسوية فى صالح بريطانيا فانه ينبغى ان نبادر بذلك على الفور ، وأن أى بطء فى هذا الأمر سوف يؤدى الى ضياع الفرصة من أيدينا بحيث تحتل هذا المركز ذولة أخرى .

ولو بقى ماير على قيد الحياة فربما كان قد وافق على اقتراحات اتيشيسون لأن الحاكم العام كان يساوره القلق الشديد من خطورة الوجود التركى فى شرقى شبه الجزيرة . وبما أن ماير قد توفى بعد أن اغتاله احد المتطرفين الهنود المسلمين فى شهر فبراير ١٨٧٢ فقد قرر الحاكم العام بالوكالة اعتبار نجد من الدول غير المشتركة فى معاهدة الصلح البحرية وبالتالي لا دعوى للوساطة ، كما انه على الجانب التركى لم تكن هناك رغبة فى الوساطة البريطانية . وانما على العكس من ذلك فقد حاول رؤوف باشا مرات عديدة الضغط على الامير سعود لقبول التفاوض مع الأتراك وشملت الضغوط مصادرة أملاك أسرته فى الاحساء ورفض اعادتها اليهم قبل الموافقة على المطالب التركية . واما الامير سعود بالاضافة الى سعيه فى وساطة الحكومة البريطانية فى الخلاف فانه كان يرغب فى الاستعانة بالحاج احمد خان الذى كان وزيرا سابقا للسيد ثوينى ثم واليا

أو حاكما على بندر عباس ، وكان الحاج أحمد قد عرض بنفسه أن يتوسط في النزاع ، وبموجب اقتراح من المقيم بيلي بعث الحاج أحمد خان بالرسائل التي يحتفظ بها الأمير سعود الى رؤوف باشا في بغداد الذي استدعاه الى الحضور في يوليو ١٨٧٢ ، وكان الوالى يريد من ذلك اتخاذ الحاج أحمد كعميل له ، الا أنه اشترط على الحاج أحمد بأن يقوم الأمير سعود من جانبه بتقديم احد الرهائن تعبيرا عن رغبته في التفاهم . وفي شهر سبتمبر ١٨٧٢ سافر الحاج أحمد الى واحة الاحساء عن طريق القطيف ، وبعث الى الأمير سعود يدعوه للاجتماع به هناك ، غير أن الأمير الذي لم يكن مطمئنا من نوايا رؤوف باشا رفض دعوة الحاج أحمد ، وبدلا من ذلك بعث أخاه عبد الرحمن لينوب عنه في الاجتماع بالحاج أحمد ، وقد اصطحب الحاج أحمد (عبد الرحمن) الى بغداد ، وهناك احتجزه رؤوف باشا ، وكننتيجة لهذا الاجراء توقفت المفاوضات بين الجانبين ، وعاد الأمير سعود الى أخيه الأمير عبد الله في الرياض .

وفي مسيهل عام ١٨٧٣ نجح الأمير سعود في الاستيلاء على الحكم في نجد وإبعاد أخيه عن العاصمة . وقد توجه الأمير عبد الله كما سبق ان أشرنا الي المنطقة الشمالية لطلب المعونة من الأتراك ، وعرض الخضوع للباب العالي ، ودفعت الزكاة ، ولكنه لم يتلق ردا على طلبه ، اذ حل رديف باشا محل رؤوف باشا في بغداد ، وكانت في حوزة الأخير تعليمات جديدة بالحد من التدخل في شئون شرقي شبه الجزيرة ، كما كان قد تقررت ايضا سحب القوات النظامية من واحة الاحساء ، وضغط نفقات ادارة الاقليم عن طريق تعيين من أهلها . وعاد سعود الى محاولة توسط الحكمة البريطانية مع ابداء استعداده للاعتراف بالسيادة للباب العالي بشرط تسليم السلطة في الاحساء اليه ، وقطع كل علاقة للأتراك بعبد الله
أحمد فيصل .

وفي شهر مارس ١٨٧٤ سلم المتصرف التركي فريق باشا شئون اقليم الاحساء الى براك بن عزيز شيخ بنى خالد ، وذلك بضمن من عدليه ناصر باشا شيخ مشايخ المنتفك وهكذا صدرت الاوامر للقوات التركية بالانسحاب من الاحساء والعودة الى بغداد ، وتسليم شئون الدفاع عن الاحساء ونجد الى فرقة الجندرية .

كان الاحتلال التركي لليمن الذي بدأ في الأشهر الأولى من عام ١٨٧١ بالحملة على قبائل عسير يسير جنباً الى جنب مع الحملة التركية على واحة الاحساء ، وكانت الدعاية المواكبة للحملتين تصدر من القسطنطينية وتؤكد على دور السلطان العثماني كخليفة للمسلمين ، ولكن وراء ذلك كله كانت تكمن الرغبة في السيطرة على شبه الجزيرة العربية كلها ، وكانت الحملتان على ما يبدو خطة معدة للاتفاف حول جناحي الوجود البريطاني في المنطقة على امتداد السواحل الشرقية والجنوبية من شبه الجزيرة ابتداء من البحرين ونهاية في عدن . ولا بد في خطة كهذه ان تحتل مدينة مسقط أهمية خاصة ، وأن يترتب على المبادرة التركية لتسوية النزاع بين مسقط وزنجبار أهمية بالغة لان معونة زنجبار كانت تشكل صميم المشكلة . وبدون المساعدة المالية لمسقط لم يكن في استطاعة السيد تركي بن سعيد الاحتفاظ بالسلطة في مسقط ، ولما كانت معونة زنجبار هي المصدر المالي الوحيد لمسقط فان أي فشل يلاقيه في توفير الاموال اللازمة للانفاق على متطلبات الحكم في عمان وتهدئة القوى القبلية فيها قد يفقده الحكم أو ربما يفقده حياته . وكانت حكومة الهند قلقة جدا ، وهي بصدد البحث عن بديل يحافظ على نفوذها في مسقط بدلا من ان يرتقى السلطان في احضان الأتراك ، وقال المقيم في رسالة بعث بها التي في شهر مارس ١٨٧٢ : انتي آخشي بأن يكون الوقت قد

ولي لمنح السيد تركي مساعدة مالية عاجلة منعا من أن يرفرف العلم التركي فوق مدينة مسقط .

وقد كان الأمل ضعيفا في أن ينجح السيد تركي في درء الكارثة المقبلة إلا إذا استطاع استعادة بندر عباس ولهذا فقد طلب في صيف ١٨٧١ من حكومة الهند أكثر من مرة أن تساعد في الحصول على تجديد لايجار بندر عباس ، وعلى الرغم من أن ناصر الدين شاه قد الفى الاتفاق المعقود مع السيد سالم بن ثويني بعد أن أطاح بالسيد عزان فإنه لم يكن من المؤكد أنه لن يرفض تجديدها للسيد تركي ، نظرا لأن السيد تركي لم يتول السلطة عن طريق الاغتيال ، وهو العمل الذي كان قد اثار استياء الشاه ، وفوق ذلك فقد كان السيد تركي أحد أنجال السيد سعيد بن سلطان ، وعلى أساس أن السيد تركي ينتمى بصورة مباشرة إلى الأسرة الحاكمة في مسقط ، فقد قبل المسئولون الفرس تجديد ايجار بندر عباس بموجب الاتفاقية المعقودة في عام ١٨٥٦ بين مسقط وفارس ، ومن هذه الزاوية كانت حكومة الهند تنظر إلى هذا الموضوع ، وتأسيسا على ذلك فقد أوعزت إلى الوزير البريطاني المفوض في طهران بالاتصال بالشاه . وفي شهر سبتمبر ١٨٧١ قام الوزير المفوض بالاتصال بالحكومة الفارسية حول هذا الموضوع ثم عاد فأثاره في شهر ديسمبر من نفس العام غير أن اتصالاته لم تسفر عن أية نتيجة ، فقد رفض الشاه رفضا باتا الموافقة على عودة بندر عباس إلى سلطة مسقط .

وفي نهاية عام ١٨٧١ أصبح وضع السيد تركي حرجا ، فقد كان السيد ابراهيم بن قيس يسيطر على صحار ، وكان يتحين الفرص لشن هجوم على مسقط ، كما أن الشيخ صالح بن علي زعيم الحرث لم يكن يؤيد تولى السيد تركي السلطة في مسقط ، وكان يراقب الأحداث من

مقره فى الشرقىة ، وكان السىء سالم بن ؤونى فى جعلان ىحاول الحصول على تأىىء من قبائلها لكى ىشترك مع السىء ابراهىم بن قىس فى الاستىلاء على مسقط ، وأما السىء عبء العزىز شقىق السىء تركى فقد كان فى مكران هىء كان ىءبر المؤامرات للاستىلاء على السلطة فى جوازر ، وأما السىء برغش فقد كان فى زنجبار ىحاول أن ىخطب وء رجال الءىن وىوطء علاقتهم بهم ، وكان ىعلن أنه ىطمح فى أن ىكون أماما للاباضىن ، وأن ىعمل لتوحدى شطرى الساطنة فى ءولة عمانىة واحدة ، وكانت حالة السىء تركى المالىة تشجع السىء برغش على تحقق طموحاته كما أنه كان ىصرء بقطع المعونة السنوىة عن مسقط .

وكان القلق ىراوء فىءز جىراءء من اءءمال نشوب حرب عائلىة بىن افراد أسرة آل بوسعىء وما ىحمله فى طىاته من أءطار على المصالح البرىطانىة فى كل من مسقط وزنجبار وبصفة خاصة من اءءمال تعرض المنطقة لءملاء تركىة ، وعلى هءا الأساس طلب من ءكومة الهءء فى فبرارى ١٨٧٢ ثم فى شهر مارس التءءل لصالء السىء تركى ، والءىولة ءون نشوب صراع مسلء بىن افراد الأسرة ، ءىر أن ءكومة الهءء لم تلتفت الى الموضوع لىس بسبب اءءىال ماىر الءى أوءء الارتباك بىن المسؤلىن البرىطانىىن فءسب ، بل لأن مشكلة زنجبار ومسقط قد انءقلت الى اءءصاص ءكومة انءلءرا ، وعلى أىة ءال فان الانطباع السىءء الءى رافق انءصار السىء تركى على السىء عزان ، وبالنظر الى آن ءءور المشبوه الءى لعبته ءكومة بومباى فى ءلك الانءصار ظل سائءا واءضح أكثر فى رء اءىشىسون على فىءز جىراءء فى مارس ١٨٧٢ ، والءى ءكز فىه اءىشىسون بأن ءكومة الهءء كان ىهمها وءوء ءكومة قوىة فى مسقط ، وإنها كانت ءرىصة على أن ىظل الءكم فى أىءى ءلفاء السىء سعىء بن سلطان ، ولهذا فقد كانت ترغب فى ممارسة كل ما لها من نفوء معنوى لءعم هءا الوضء ، وأضاف اءىشىسون بأن ءكومة الهءء لا تسطيع باى ءال أن ءءاوز هءه الءءوء فى معالءتها لءلك المشكلة ءوفا من أن ىنءرف بها الءىار عن الءط السىاسى الءى رسمته انءلءرا فى معالءة الشئون

العمانية ، وبأن هذه الحكومة ليست على استعداد لاهدار موارد الهند المالية فى مساعدة السيد تركى ، وان كانت ترغب فى أن تتقدم مرة أخرى باقتراحات الى وزير الدولة لارغام سلطان زنجبار على استئناف دفع المعونة المقررة لحكومة مسقط .

وفى لندن كانت الضجة حول تجارة الرقيق قد غطت على كل موضوع يتعلق بمسقط ، وبحكم ما كان يتمتع به بارتل فريير من نفوذ اصبح مكتب شئون الهند ينظر الى مشكلة سلطنة مسقط على أن حلها يكمن فى القضاء على تجارة الرقيق الافريقية ، وباعاز من فريير سحب المكتب معارضته على دفع أى جزء من تكاليف الحملة على تجارة الرقيق من خزينة الهند بشرط أن تتحمل الخزينة البريطانية نصف نفقات الوكالة البريطانية فى زنجبار ، وقد كان هذا بمثابة الموافقة على اختيار فريير كمبعوث خاص لعقد معاهدات جديدة مع كل من مسقط وزنجبار ، وتسوية الخلافات القائمة بينهما ، وقد ورد هذا فى خطاب أرجيل الى اللورد نورث بروك الذى خلف ماير بتاريخ ١٢/١٠/١٨٧٢ والذى جاء فيه أنه يمكن اعفاء السيد برغش من التزامه بدفع المعونة لمسقط نظير موافقته على ابرام معاهدة جديدة بشأن تجارة الرقيق ، كما يمكن ضمان موافقة السيد تركى على هذه التدابير بالتعهد له بدفع مبلغ يعادل المعونة من جانب حكومة بومباى ، واخيرا ذكر أرجيل لنورث بروك بأن مجلس شئون الهند قد وافق بالفعل على هذا الحل ، كما اقره مجلس الوزراء فى نفس اليوم وبأن هناك أملا كبيرا فى أن توافق الخزينة البريطانية على دفع نصف النفقات .

وقد برر أرجيل اقتراحه بأن تدفع حكومة الهند معونة زنجبار الى مسقط على أساسين : الأول : أن حكومة الهند كانت شريكا فى الاتفاق الاصلى والثانى : أنها ملتزمة بمكافحة تجارة الرقيق بنفس التزام الحكومة المركزية ، واعترف أرجيل بأن قرار كاننج الذى تدفع المعونة على أساسه لم تكن له أى علاقة بتجارة الرقيق ، وأن الهدف منه هو المحافظة على

الامن فى الخليج حماية للمصالح التجارية ، ويضيف أرجيل أنه لهذا السبب يهيم حكومة الهند تطبيق نصوص حكم كاننج ، وهو أن تبقى الحكومتان دولتين منفصلتين ، وأن تستمر حكومة مسقط فى استلام المعونة . وقال أيضاً بأن السبب الرئيسى للمشكلات التى تواجهها حكومة الهند بخصوص مشكلة موضوع مسقط وزنجبار هو الاجراء الذى اتخذته حكومة الهند والاتفاقات التى عقدها . وقد شرح أرجيل رايه هذا بقوله أن قرار كاننج هو الذى تسبب فى اتخاذ تلك التدابير أى أن تتكفل حكومة زنجبار بدفع تلك المعونة الى مسقط كمبرر لها للاحتفاظ بتجارة الرقيق ، باعتبار هذه التجارة هى المورد الذى تحصل منه حكومة زنجبار على نفقاتها . وبالرغم من كل هذه الاعتبارات فانه لا يمكن المضى فى دفع هذا المبلغ بشكل منتظم دون اللجوء الى اجراءات لا ترغب حكومتنا فيها ، وأن الضريق الوحيد للخروج من هذا المأزق هو الحل الذى اقترحناه ، ويقضى بأن تتولى حكومة الهند دفع نصف هذه المعونة على الاقل ، وذكر أرجيل أيضاً بأنه فى الوقت الذى يتعين على حكومة انجلترا أن تتحمل نفقات مكافحة تجارة الرقيق الا اننى لا أتصور أنه من حق أى ادارة من الادارات التى تتألف منها حكومتنا (والى تعتبر حكومة الهند احداها) أن تقول : « ان هذا موضوع ليس من اختصاصنا ولا يمكننا اتخاذ أى اجراء بشأنه » فقول كهذا لا يتناسب مع المسئوليات ، خصوصاً وأن الرعايا الهنود البريطانيين ورؤوس الأموال الهندية لها صلة مباشرة بتجارة الرقيق .

فى الوقت الذى كانت الدوائر المسئولة فى انجلترا تناقش هذه الاقتراحات كانت حالة السيد تركى المالية تزداد سوءاً ، وبالتالي فقد كان من الطبيعى أن يزداد تدمره من موقف الحكومة البريطانية . وكان السيد تركى قد ناشد بيلى فى شهر يونيو العمل لاستئناف دفع معونة زنجبار له ، وحذر بأنه اذا لم يستأنف دفع المعونة فقد يضطره هذا الى التنازل عن السلطة . ثم بعد شهر من هذا الاتصال بعث السيد تركى برسالة الى السيد برغش فى زنجبار يطالبه بدفع المعونة فوراً ويحذره من أن رفضه دفع تلك المعونة سوف يؤدى الى نشوب حرب بينهما . غير

أز الضوء الوحيد فى ذلك الافق المعتم هو النقص فى امكانيات السيد تركى المالية والذي كان يحول بينه وبين الاستمرار فى السلطة ، كما كان يمنع خصومه من القيام بعمليات حرية واسعة ضده ، وكان السيد سالم احد هؤلاء الخصوم والذي دفعه افلاسه المالى فى عام ١٨٧٢ الى مغادرة مسقط والتوجه الى الهند لطلب مساعدة مالية من السلطات البريطانية هناك .

فى ١٢ ابريل وصل براتل فرير الى مسقط فى نطاق جولة له فى المنطقة وقد حملته فشله فى موضوع زنجبار الى البحث عن نجاح يحققه فى مسقط وقد وجد السيد تركى مستعدا هو الآخر للتعاون معه . وقد دعا فشل فرير فى عقد معاهدة جديدة مع السيد برغش الى عمل التدابير التى تم اتخاذها لاستئناف دفع المعونة الى السيد تركى عن طريق خزينة الهند ودعاها الى أن يلتزم جانب الحذر فى مباحثاته مع السيد تركى ، سيما وأن حكومة الهند لم تكن قد وافقت رسمياً على مقترحاته . وقد أكد فرير للسيد تركى خلال اجتماعه الثانى به فى مسقط بأن عليه أن يطمئن من ناحية دفع هذه المعونة ، فهذه المعونة سوف تدفع له بانتظام من جانب حكومة بومباى عن طريق المعتمد السياسى فى مسقط ، وسوف ينم دفعها بأثر رجعى ابتداء من تاريخ تقلده الحكم فى يناير ١٨٧١ . وبدافع من الحماس وقع السيد تركى على معاهدة حظر تجارة الرقيق التى وقعت بتاريخ ١٤ أبريل . وفى اليوم التالى أوعز فرير الى المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط الكابتن مايلز بأن يدفع للسيد تركى متأخرات المعونة ومقدارها ٤٠ ألف ريال نمسوى على الفور ومتأخرات نصف عام خلال ثلاثة أشهر من ذلك التاريخ وقد تعين على فرير فيما بعد أن يحاول اقناع حكومة الهند بالموافقة على الاجراءات التى اتخذها ولهذا فلقد كرس جهوده لهذا الغرض منذ ساعة وصوله الى بومباى .

يبدو أن فرير كان حكيما فى تصرفاته فقد برر الاجراء الذى اتخذه بحكم المقتضيات السياسية خصوصا وأنه لم يكن فى السابق يتعاطف مع موقف حكومة مسقط ، كما لم تكن تهمة حقوق السلطنة كما نص عليها

قرار كرننج وكتب الى نورث بروك يقول :

« ان استلام حكومة مسقط لمعونة زنجبار بصفة منتظمة هو امر حيوى جدا لتدعيم تلك الحكومة وازدهارها ، وان اى تأخير أو تعطل لذلك المصدر لا يعرض الامن للخطر فى عمان فحسب وانما سوف يضعف من امكانياتنا لحماية زنجبار من الانتهاكات التى يقوم بها العرب لامن المنطقة ، وسيكون التجار الهنود الذين يتم القسم الاكبر من هذه التجارة عن طريقهم ضحايا هذا الوضع ، وأضاف يقول بأن السيد تركى فى أمس الحاجة الى المال فورا ، وان حل المشكلة بين مسقط وزنجبار سوف يستغرق وقتا طويلا ، كما أن هناك سابقة فيما يختص بدفع المعونة الآنف ذكرها وذلك فى المبالغ التى كانت تدفعها حكومة بومباى الى السيد سالم قبل خمس سنوات من هذا التاريخ ، وأضاف أن استمرار دفع المعونة سوف يتوقف على عدم اتخاذ أى اجراء من جانب السيد تركى ضد حكومة زنجبار وبالتزامه اتخاذ القرارات لحظر تجارة الرقيق ، وفى مقابل ذلك على السيد برغش أن يكف عن مؤامراته ضد السيد تركى ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بتعاونه مع السيد سالم بن توينى والسيد عبد العزيز ابن سعيد ، والى ان يوافق السيد برغش على عقد معاهدة جديدة لحظر تجارة الرقيق ، فينبغى ارغامه على الاستمرار فى دفع المعونة كاملة لحكومة بومباى ، وذلك عن طريق تهديده بوقف التعامل مع ادارة الجمارك التابعة له .

كذلك فقد اقترح فرير بأن يدفع معاشا لى كل من السيد سالم والسيد عبد العزيز الموجودين فى بومباى وان تقطع هذه المبالغ من معونة زنجبار بشرط أن يتعهد كل منهما بالتزام حسن السلوك ، وقد كان فرير واثقا أن هذه التسوية لو أخذ بها فسوف تسهم الى حد كبير فى احلال الامن والاستقرار فى عمان ، الأمر الذى يهم الحكومة البريطانية بالدرجة القصوى .:

« وبصرف النظر كما يقول فرير عن الآراء التى أخذت تنادى بها بعض الدول الأوروبية فى الأعوام الأخيرة فيما يتعلق بمسقط باعتبارها

مدخلا للهند فان ما تجدر الاشارة اليه بنوع خاص فى الوقت الحاضر هو ان كلا من تركيا وفارس قد ابديتا فى الفترة الاخيرة اهتماما بهذه المنطقة يفوق كل ما سبق منذ ان استطاع السيد سعيد بن سلطان ان يتحدى هاتين الدولتين فى منطقة الخليج بنجاح كبير . ويقول الفرس بان الفرس فى عصرها الذهبى قد حكمت عمان ، كما يتحدث الاتراك بان ولاة الخلفاء العثمانيين كانوا فى الماضى اصحاب الصول والطول فى عمان . وهذه الاحلام القائمة على ذكريات الماضى قد لا تشكل خطرا اذا ما اقتصرنا على حدود كل من القسطنطينية وطهران . غير ان مصلحة الهند تمنعنا من ان نسمح للمدركات التركية بان ترسى فى خليج عمان او فى بلد اى حاكم يتلقى تعليماته من عاصمتى الفرس والاتراك ، كما انى لا اعتقد بان الهند سوف تنعم بالهدوء والاستقرار لو قدر لاحد الوهابيين ان يسيطر على عمان ، وهو النتيجة الحتمية فيما لو تمكن المتطرفون العرب من ردع الاعتداءات التركية والفارسية بعد ان يكونوا قد قضوا على القوة الاباضية التى تسيطر الآن على عمان .

لم يكن فرير مضطرا الى تبرير موقفه هذا من نورث بروك . فعلى عكس ماير لم يكن نورث بروك يهتم بموضوع زنجبار ، فقد سبق ان اكد لارجيل فى نوفمبر السابق فى معرض رده على خطاب وزير الدولة المؤرخ ١٢ اكتوبر ١٨٧٢ بانه سوف ينفذ قرار مجلس الوزراء بشأن معونة زنجبار دون مناقشة :

« بالنسبة لى شخصا فانى لا ارى ثمة سببا يمنع من ان تساهم حكومة الهند بنصف المعونة اذا كان هذا الاجراء سوف يودى الى الوصول الى اتفاق مقبول مع حكومة زنجبار حول موضوع تجارة الرقيق ، والى التحكم فى تصرفات حكومة مسقط ، وفى الاسبوع الثانى من يونية ١٨٧٣ اصدر فرير موافقته الرسمية على القرار ، وتم اليعاز الى الماجور رووس المقيم بالوكالة فى بوشهر فى يوم ٩ يونيو بابلاغ السيد تركى بقرار دفع المعونة اليه كاملة اعتبارا من تاريخ توليه السلطة وباستمرار دفعها سنويا من حكومة بومباى بشرط ان يتقيد بنصوص الاتفاقات المعقودة معه واطهار مشاعر الود والصداقة نحو الحكومة البريطانية . »

ولا يمكن القطع بأن المسؤولين البريطانيين قد مادوا فادركوا بأن إضافة تلك الفقرة إلى الاتفاق تشكل نقضا للحجج التي أدلى بها ماير وهي حق السلطان في تلك المعونة بمقتضى حكم كاننج بصرف النظر عن موضوع السلوك أو التصرفات وشرط الامتناع عن مهاجمة زنجبار نظرا لأن المعونة كانت تشكل التعويض عن استقلال زنجبار عن مسقط ، وهي النقطة التي اغفلتها المناقشات العديدة التي كاثت تتناول موضوع المعونة وتجارة الرقيق منذ عام ١٨٦٨ . ومهما رغب أرجيل أو فرير أو جرانفيل أو غيرهم من المسؤولين في استخدام التزام حكومة زنجبار بالمعونة لانزاع تنازلات بالنسبة لتجارة الرقيق يبقى حق حكومة مسقط في المعونة حقا مشروعا وغير قابل للنقض . وكان فرير قد عارض في البداية استخدام موضوع استئناف دفع المبلغ لتشجيع السيد تركى على التوقيع على معاهدة جديدة بحظر تجارة الرقيق ، ثم جاء نورث بروك فحد من هذا الحق عن طريق الزام السيد تركى بالمعاهدة وبغيرها من الاتفاقات التي وقعها مع الحكومة البريطانية ، وربما كان هدفه من ذلك هو الحصول على تنازل مماثل عن دفع المعونة من خزينة الهند ، الا انه في الواقع لم يكن من حقه أن يفعل ذلك ، وعلى أية حال فان البديل أو المقابل الذي حصل عليه المسؤولون البريطانيون في الهند لم يكن يساوى شيئا ، ولو كان فرير يرغب فعلا في الربط بين المعونة والشروط الأخرى فكان يمكنه أن يربط تلك الشروط بتعهد منه لأرجيسل بدفع المعونة بدلا من مجرد الاعراب عن أمله في مساهمة خزينة إنجلترا في المبلغ .

غير أن حكومة زنجبار لم تدفع أى جزء من قيمة المعونة ، وأن السيد برغش قد وقع في ٥ يونيو ١٨٧٣ على معاهدة جديدة بخصوص تجارة الرقيق وبذلك حرر نفسه من الالتزام بدفع معونة مسقط ، وكنتيجة لذلك فقد ترتب على الحكومة البريطانية أن تفي بوعودها بدفع جزء من المعونة لخزينة حكومة الهند ، غير أن هذه الاجراءات استغرقت وقتا طويلا فقد ظلت وزارة الخارجية تماطل عامين ونصف عام كي تفي بتعهداتها بدفع نصف المعونة ولقفت الوكالة البريطانية في زنجبار مما اضطر مجلس شستون الهند في يناير ١٨٧٦ بأن يصرح « انه ما لم يتم اعتماد المبالغ في ميزانية

العام المقبل لدفع المبلغ المستحق لخزينة الهند حتى ٣١ مارس القادم ؛ وهو مبلغ ٣٦٠.١٣ ج استرليني) وما لم تدفع حكومة انجلترا بالاضافة الى ذلك قسطا سنويا بواقع ٨٠.٦١ ج استرليني كحصة من نفقات الوكالة البريطانية فى زنجبار خلال عام ١٨٧٦/١٨٧٧ فان وزير الدولة سوف يجد نفسه مضطرا الى اليعازر لحكومة الهند بوقف دفع المزيد من هذه النفقات .

ورغم ذلك لم تنزعج وزارة الخارجية البريطانية من ذلك التصريح ، وردت ، تقترح تشكيل لجنة داخلية لبحث الموضوع على غرار ما سبق ان اقترحه مكتب شئون الهند قبل عام . غير ان مكتب شئون الهند لم يرحب باقتراح الخارجية البريطانية بسبب وجيه وهو كما اشار ابي . دبليو . فور . الوكيل المساعد للجنة السياسية والسرية ، ان وزارة الخارجية كانت تتجاهل الشرط الذى اشترطه وزير الدولة لشئون الهند للموافقة على تشكيل اللجنة وهو التعهد بدفع متأخرات المعونة وأن مماثلة وزارة الخارجية البريطانية لاتخاذ اللازم كان محاولة لتأجيل النظر فى الموضوع وتخصيص اعتمادات برلمانية لهذه المعونة ، وعلى اى حال وبمغم معارضة مكتب شئون الهند على الاشتراك فى اللجنة المقترحة (ولتى كان من المقرر أن تضم ممثلا عن وزارة الخزانة) فقد وافق على الاشتراك بأمل أن يتمكن من انتزاع شىء من المبالغ من وزارة الخارجية .

استطاع مكتب شئون الهند ان يحقق بعض النجاح فى هذه المحاولات ، وفى ٨ ديسمبر ١٨٧٦ اوصت اللجنة بأن تقوم الخزينة المركزية بدفع نصف هذه المعونة باثر رجعى اعتبارا من يناير ١٨٧١ (وهو التاريخ الذى تولى فيه السيد تركى الحكم فى مسقط) وبدفع نصف تكاليف نفقات الوكالة البريطانية فى زنجبار ابتداء من يونيو ١٨٧٢ ، ومعنى هذا ان الخزينة المركزية سوف تدفع مبلغ ٣٣.٠٠٠ جنيه استرليني كمتأخرات مستحقة الدفع لحكومة الهند تشكل معونة زنجبار منها ٢٤٣.٠٠٠ ج استرليني ، وعلى آية حال فقد أبدى اتشه . سى . روثرى ممثل الخزانة البريطانية بعض التحفظات على القرار ، فقد كان يتصور

وفق التقارير التي كانت تصله بأن السيد برغش كان يستطيع دفع المعونة بنفسه ، وعلى الأخص بعد التحسن الذي طرأ على الوضع التجارى فى زنجبار ، ومن ثم فلم يكن روثرى يرى أى مبرر بتحميل دافعى الضرائب فى بريطانيا عبء تعويض سلطان مسقط لأجل غير مسمى فى مقابل تنازله عن مطالبه الخاصة فى زنجبار ، وبأن المصلحة الوحيدة للحكومة البريطانية فى مساهمتها فى المعونة هو القضاء على تجارة الرقيق فحسب :

« وعندما يتحقق هذا فلا بد من التوقف من دفع المعونة . أما اذا رغبت حكومة الهند فى أن تستمر فى دفع المعونة لمسقط فيتعين عليها أن تتحملها بنفسها ، كما ذكر روثرى بأن حكم كاننج الذى تقررت المعونة به وجبه قد تم وضعه أصلا « لصالح الهند وحدها » واستطرد يقول بأنه يتعين على حكومة الهند أن تتحمل على الأقل نصف نفقات الوكالة البريطانية فى زنجبار ، نظرا لأن الوكالة هذه لا تخدم المصالح البريطانية وحدها وإنما تخدم مصلحة الهند أيضا ، وأن الوكالة قد انشئت أصلا لرعاية مصالح الهند ، وقد اقترت الخزينة وجهة نظر روثرى ، ففي شهر يناير ١٨٧٧ أبلغت كلا من وزارة الخارجية ومكتب شئون الهند بأنها اذ تقبل توصية اللجنة بشأن المتأخرات فانها تود أن تحدد مساهمتها فى هذه المعونة لفترة لا تزيد على ثلاث سنوات وتنتهى فى مارس ١٨٨٠ وأن عبء دفع هذا المبلغ بعد هذا التاريخ سوف يقع على عاتق حاكم زنجبار نفسه كما تقرر فى السابق .

ان هذا المنطق المعكوس الذى وافقت عليه الخزانة البريطانية هو الحصيلة المباشرة لسياسة كلارندن والتي اتسمت بالمر فى ربط دفع المعونة ومكافحة تجارة الرقيق احدهما بالآخرى ، وكنتيجة لاستغلال إحدى هاتين النقطتين لتحقيق النقطه الأخرى . لقد كانت معونة زنجبار هى الثمن الذى دفعته مقابل استقلالها عن مسقط ، وبموجب حكم كاننج لم تكن المعونة مشروطة ببقاء السلطانين الحاكمين فى ذلك الوقت فى الحكم ، ومن ثم فان التزام الحكومة البريطانية بدفع المعونة كان هو لثمن

للموافقة على حظر تجارة الرقيق ، ولما كان حظر هذه التجارة مسألة تهم الحكومة البريطانية فانها بالتالى مسئولة عن ذلك الالتزام . وحتى هذه المرحلة كان الأمر واضحاً سواء نظرت اليه الخزانة من هذه الزاوية أو لم تنظر ، وأما الخلاف الوحيد حول الموضوع فقد كان يتعلق بالفترة التى تدفع فيها تلك المعونة ، اذ لم يكن جائزاً ربط الفترة التى يستمر فيها الدفع ، كما كانت ترى الخزانة بأعتبره اجراء مشروطاً باستمرار تجارة الرقيق ، نظراً لأن الاتفاق الاصلى قد تم التوصل اليه دون أن يشمل موضوع تجارة الرقيق . واذا كانت الحكومة المركزية تحاول ، كما كانت تفعل سابقاً ، استغلال المعونة كشرط لحظر تجارة الرقيق عن طريق تكفلها بدفع المعونة بنفسها فان هذا يفرض عليها أن تستمر فى دفع تلك المعونة طالما كانت حكومة مسقط ترغب فى ذلك وذلك لفترة غير محدودة ، نظراً لأن حكم كاننج لم يتضمن نصاً خلاف ذلك ، كما أنه لم تحدد فيه فترة معينة لدفع هذه المعونة عندما تمت الصفقة الاصلية مع حاكم زنجبار ، كما لم تحدد بالمقابل فترة اخرى لحظر تجارة الرقيق فى افريقيا ، وبالتالي فليس من حق الخزانة أن تجيء الآن لتدعى بأنها لم تعد مسئولة عن دفع المعونة ، بحجة انه من المتوقع أن يتم حظر تجارة الرقيق فى وقت ما ، وأن تتوقع أيضاً أن يستأنف سلطان زنجبار دفع المعونة لأن مثل هذه التدابير سوف يلقى الحقوق البريطانية فى هذه الصفقة ويعطى مبررات للسلطان لسحب قراره الخاص بحظر تجارة الرقيق . وعلى أية حال فقد كان موقف الخزانة على خطأ حين تصورت أن تجارة الرقيق سوف تتوقف فى ١٨٨٠/٣/٣١ لمجرد الظن .

لم تعلق الحكومة البريطانية آملاً كبيرة على السيد تركى فى اعقاب زيارة فريز على مسقط ، فقد بدد السيد تركى المتأخرات التى استلمها من المعونة وقدرها (٨٠ ألف ريال نمسوى) فى وقت قصير جداً ، وفى شهر نوفمبر ١٨٧٣ استنفد كل معونة ذلك العام ولكنه لم ينفق كل هذه المبالغ على نفسه ، فقد ذهب الجزء الأكبر منها كرشوة لزعماء القبائل المختلفة ، ولم يحصل على شىء نظير النفقات التى ائفقتها فيما عدا استيلائه على مدينة صحار من السيد ابراهيم بن قيس فى يوليو ١٨٧٣ ،

وحتى هذا الانتصار قد كلفه أعباء جديدة لأنه اضطر الى دفع مبلغ خمسة آلاف ريال الى السيد ابراهيم بن قيس مقابل تخليه عن السلطة ، فضلا عن وعد آخر بدفع معاش شهري له بواقع ١٠٠ ريال كل شهر ، كما كان السيد تركى يدفع معاشات الى كل من أخيه السيد عبد العزيز وابن عمه السيد سالم بن ثوينى .

كان السيد عبد العزيز شابا فى الخامسة والعشرين من العمر وكان شجاعا ومنفتحا شديد الرقة (١) وهذه الصفات جعلت منه أخطر اخوته عليه (السيد تركى) وفى شهر يونيو تسلل هو والسيد سالم بن ثوينى من مسقط متجهين الى ساحل مكران ، أما سالم فقد اعتقل فى كراتشى بعد اتهامه فى احدى العمليات الاحتيالية ، وأما السيد عبد العزيز فقد وصل بالقرب من جواذر فى الأسبوع الثانى من يوليو وأعلن هناك أنه ينسوى مهاجمة البلدة ، وبما أن السيد تركى كان فى ذلك الوقت مشغولا فى عمليات عسكرية احاصرة صحار فإنه لم يتمكن من ارسال أى نجدة لقواته فى جواذر للدفاع عنها ، وبهذا تمكن السيد عبد العزيز فى آخر شهر يوليو من احتلال جواذر وتسليمها لاتباعه ليعيشوا فيها سلبا ونهبا . وأوعز الى الطراد زايفلمان بالابحار فورا الى جواذر لتقديم الحماية للرعايا البريطانيين هناك وتحذير السيد عبد العزيز من آن السلطات البريطانية سوف تعتبره مسئولا عن أية أضرار أو خسائر تصيب الرعايا البريطانيين ، ولكن بالرغم من التحذير استولى أتباعه على بضائع وممتلكات تقدر بنحو نصف مليون روبية هندية . وقد رأت الحكومة البريطانية أن تعفيه من رد قيمة الممتلكات المنهوبة ، وانها كانت تعرف أنه لا يملك شيئا على الاطلاق ، ولأن اخاه السيد تركى قد سبق أن رفض أن يتحمل أى مسئولية عن تصرفات أخيه ، ومع ذلك فلقد كان فى الامكان منعه من الاستمرار فى تلك التصرفات ولهذا فقد أوعز الى قبطان السفينة رايفلمان باعتقاله

(١) جاء هذا الوصف للحكمदार البريطانى للسند فى شهر أكتوبر ١٨٧٣ (راجع وصف لاحوال مسقط) يونيو ١٨٧٣ - يوليو ١٨٧٤ ص ٣٥٠

وحجزه . وفى شهر سبتمبر تم القبض عليه فى منطقة قريبة من مدينة صور حيث كان يحاول التسلل الى عمان ، وتم نقله الى كراتشى حيث وضع تحت المراقبة ، وتم ابلاغه بأنه اذا أحسن تصرفاته فسوف يعين له معاش شهري مقداره ٣٠٠ ريال تدفع من ضمن معونة زنجبار لمسقط بعد أن وافق السيد تركى على ذلك ، كما عين راتب مماثل للسيد سالم ، غير أن هذه المعاشات كانت مشروطة باقامتهما فى الهند .

على الرغم من تحفظات ماير وايشيسون خلال الأشهر الأولى من عام ١٨٧١ فقد وجدت الحكومة البريطانية نفسها متورطة أكثر وأكثر فى شؤون عمان الداخلية خلال منتصف عام ١٨٧٣ فقد وجدت نفسها ملزمة بتأييد سلطان مسقط سياسا وماليا بصورة أكبر من أى وقت مضى ويعتبر فرير مسئولا الى حد كبير عن هذا التورط ، على الرغم من أن السبب فيه الاصلية تعود الى قرار التحكيم بين مسقط وزنجبار ، ويبدو أن حكومة الهند قد ضللت فيما يختص بإمكانيات السيد تركى ونفوذه الفعلى فى عمان مما جعلها تتسرع فى الاعتراف به ، مع أنها عارضت الاعتراف بالسيد عزان ، فلهل أسباب ذلك تعود الى اخطاء كل من بيلى وفيتز جيرالد والتي تمخضت تقييمااتهم للموقف عن آثار ونتائج بعيدة المدى .

انتهت فترة خدمة بيلى كمقيم فى الخليج فى مطلع عام ١٨٧٣ عندما غادر ليشارك مع فرير فى مهمته الى زنجبار ، كما أن ذهابه قد وضع حدا لسيطرة حكومة بومباى على تسيير العلاقات البريطانية مع دول الخليج ، فقد ازدادت تلك العلاقات تعقيدا طوال الأعوام الخمسة السابقة تخللها وقوع اضطرابات كثيرة فى مسقط وخلافات مع فارس وتركيا على البحرين ، وقد بلغت هذه المشكلات ذروتها فى الحملة على تجارة الرقيق، ثم أخيرا فى الحملة التركية على الاحساء . وكان آخر اجراء اتخذه ماير هو ما ذكره لوزير الدولة لشؤون الهند بوجود أن تتولى الحكومة البريطانية بنفسها وبصورة مكثفة توجيه السياسة البريطانية فى الخليج، وعلى امتداد الساحل العربى وفى افريقيا الشرقية نظرا للظروف المتغيرة

التي سادت المنطقة ، وذلك أن افتتاح قناة السويس والنمو الهائل في النشاط التجارى وتقارب الدول الآسيوية والأفريقية مع أوروبا قد أثار ت قضايا على جانب كبير من الأهمية الدولية وشملت اتصالات مع الدول الأجنبية واتخاذ قرارات تمس اجراءات وسياسات الشعوب الممثلة في المجلس الأوربي بالإضافة الى الاجراءات الخاصة بالشئون الدولية والتي لم يكن لاية حكومة من هذه الحكومات المحلية قدرة على فهمها والسيطرة عليها ، وحتى لو كان الحل في تلك المشكلات مطروحا فان هذه الشعوب لم يكن في مقدورها ، كما هو الحال بالنسبة للدول المستقلة الكبرى من التصدى لها ، كما لا يمكن ترك هذه المشكلات لسلطة دولة ادنى مستوى من سلطة الحكومة التي تسيطر عليها . وقد اهتم ماير أكثر بتجريد فيتز جيرالد من سلطاته في توجيه العلاقات البريطانية مع حكومة مسقط وهو الذى كان يصر دائما على التدخل في شئون السلطنة ، شأنه في ذلك شأن سلفه فريير في هذا المنصب .

كان ماير لا يزال حاقدا على فيتز جيرالد لانحيازه الى جانب السيد تركي ضد السيد عزان أثناء أحداث يناير ١٨٧١ ولحجبه المعلومات عنه عما كان يجرى من أحداث في مسقط ، غير أن الحملة التركية على الاحساء في صيف العام التالى وما أفرزته من تعقيدات سياسية قد هيا لماير الفرصة لكي يتأكد من انه لم يخدع من جانب أى مسئول . وقد وافق أرجيل على توصياته وهكذا أخذ التغيير مجراه في يناير ١٨٧٣ . ومنما لوقوع أى خلافات أو مشكلات جديدة ، من النسوع والحجم الذى كان قائما بين بيلى وديسبراو ، أخضع المعتمد السياسى البريطانى في مسقط لسلطة المقيم البريطانى المباشرة على الرغم من تخويله بعض الصلاحيات في القيام باتصالات مباشرة مع حكومة الهند في الأحوال الطارئة .

* * *

الفصل السادس عشر

حدود السيادة التركية على

ساحل شبه الجزيرة العربية

١٨٧٣ - ١٨٨٠

أثناء توقف بعثة برتل فرير في باريس في شهر نوفمبر ١٨٧٢
اجرى برس بادجر سكرتير البعثة محادثات مع صفوت باشا السفير
التركي في فرنسا حول التوسع التركي في شبه الجزيرة العربية ، وقد
عقدت المحادثات يوم ٢٣ نوفمبر في مبنى السفارة البريطانية في باريس ،
وقد عرف بادجر من السفير التركي ، كما أوضح ذلك في تقرير لاحق
بعث به الى بارتل فرير « ان الباب العالي قد أوضح للحكومة الفرنسية
حقيقة مطالبه في شبه الجزيرة العربية ابتداء من السويس حتى اطراف
الخليج (١) . ونظرا لأهمية هذا الموضوع في نظر فرير فقد وضع تقريرا
عن هذا الموضوع وبعث به الى مكتب شئون الهند وذلك بعد وصول
البعثة الى الاسكندرية ، وقد تضمن التقرير وجهة النظر التالية :

« تقوم المطالب التركية في اقليمي اليمن ونجد والاقاليم الساحلية
الأخرى بما فيها عمان على أساس ارتباط عباس الثاني بصلة النسب
بالخلفاء العباسيين وبأن تلك الصلة تخول له حق السيادة على شبه
الجزيرة العربية كلها بعد انتصاراته في أوروبا وعلى سواحل البحر
الأحمر . وليس من يجادل على أية حال في أن سكان هذه المناطق قد
أعلنوا الثورة على حكم تلك الأسرة وأقاموا مشيخات وولايات احتفظوا
فيها باستقلالهم الى أن قام الأتراك بمحاولاتهم الأخيرة لاختضاع نجد

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مذكرة بادجر الاسكندرية

واليمن . ويبقى أن المنطقة الوحيدة التي يمكن أن يكون للأتراك حق فيها هي منطقة ساحل شبه الجزيرة ابتداء من السويس حتى مضى ، التي سبق للأتراك أن سيطروا عليها على فترات متقطعة منذ فتوحاتهم الأولى في منطقة البحر الأحمر خلال القرن السادس عشر . أما فيما يختص بعمان فإن تاريخ هذه البلاد يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك على أنها كانت مستقلة عن الخلافة في بغداد خلال القرن العاشر ، ولم تخضع قط منذ ذلك الوقت لحكم أى قوة أجنبية باستثناء الفترة القصيرة التي استولى الأتراك عليها وينطبق هذا الأمر على المشيخات الساحلية للخليج التي ارتبط تاريخها بتاريخ عمان ، ومما لا شك فيه أنه لا الأتراك ولا المصريون قد مارسوا نوعاً من السيطرة على هذه المناطق ، كما أن الأتراك قد اعترفوا بأنفسهم عام ١٨٤٧ باستقلال أئمة عمان وغيرهم من حكام الخليج ، الأمر الذي يثبت من الخطاب الوزاري الذي أرسل إلى باشا بغداد حول تجارة الرقيق (١) .

وعلى أى حال فبالرغم من وقاحة المطالب التركية فإن الأتراك لم يفوتوا أى فرصة لتحقيق تلك المطالب عن طريق القوة ، كان هدفهم من تحقيق النجاحات الجزئية هو إدخال عناصر جديدة من التعقيدات والاضطرابات إلى الوضع في المنطقة الشرقية دون أن تتحقق نتيجة لذلك أى مكاسب لا للأتراك أنفسهم ولا لدول الخليج التي كانت معرضة لتهديداتهم ولا للحكومة البريطانية (٢) .

(1) Votre Excellence saitequil Yo da dans ces environs la des Gouvernements et des Imanis independants et cela etant, le Chatmens dout il si agrit repenvent pas entre appliques a lenrs batments (Ailchison Treatres, IV 18)

(٢) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ١٧ مذكرة بادجر

نالت تحليلات بادجر اعجاب بارتل فريير والى جانب الادلة التى توفرت لفريير من خلال تنقلاته فى المنطقة عن النشاط التركى على سواحل شبه الجزيرة العربية وعن الاتجاه الذى كان يسير فيه ذلك النشاط استولى عليه الخوف الذى ظل يطارده فترة من الوقت من احتمال انفجار اضطرابات ضد المسيحيين والاوروبيين فى الشرق الاسلامى ، وكان يرى فى محاولات الأتراك لتغذية الشعور بالخلافة بشكل متواصل واغتيال ماير فى الهند تبدو وكأنها مقدمة لحملة من جانب الأتراك على ولاية المسلمين فى الهند للحكم البريطانى . ولم يكن فريير هو وحده الذى يعتقد بذلك وانما كان يشاركه آخرون فى مكتب شئون الهند ، وعلى الاخص روبرتسون وكيه . اما نورث بروك فلم يكن له موقف محدد من هذا الموضوع ، وعند استلامه نسخة من مذكرة برس بادجر فى اواخر عام ١٨٧٣ احوالها نورث بروك الى اتشيسون نظرا لان الاخير كان فى وضع أفضل لابتداء الراى فى هذا الموضوع ، غير أن وزير الخارجية الهندية سخر من آراء بادجر وذكر لنورث بروك بانه لا يوافقه اطلاقا عليها . وقال بانه يعتقد بان الحملة على الاحساء جاءت نتيجة منطقية لوفاة فيصل بن تركى والصراع بين الاميرين سعود وعبد الله .

تماما كما كانت الحملة التركية على اليمن النتيجة المنطقية لخضوع قبائل عسير ، الأمر الذى شجع المصريين على التوغل فى الساحل الغربى للبحر الاحمر كمعادلة لاحتلال الأتراك للساحل الشرقى . أما من حيث الادعاءات التركية بحقوق الخلافة فى المنطقة فان تلك الادعاءات لم تثر أى خوف لدى اتشيسون وقال : طبيعى ان يحاول السلطان العثمانى ان يجعل من نفسه خليفة للمسلمين وبأن ينظر اليه المسلمون كخليفة لهم .

وقد أمرب اتشيسون عن أسفه لما خلقته النشاطات البريطانية والتركية فى شبه الجزيرة عن كره متبادل بين الدولتين ، لانه لم يكن يعتقد بأن مصالح الدولتين فى شبه الجزيرة متعارضة بالضرورة لان مصالحنا فى الهند مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح الدول الاسلامية فى الشرق ، وانه ينبغي علينا أن نسعى الى تطويرها بكافة السبل

المشروعة) وبالتالي فإنه يعترض على دعوة بادجر بالتدخل لوضع حد للاعتداءات التركية في شبه الجزيرة ، كما كان واثقا من أن السلطان العثماني لم يكن يعتبر ما تقوم به تركيا من نشاطات في المنطقة سببا لنشوب خلافات مع الحكومة البريطانية كما طالب بامتناع الحكومة البريطانية عن الزح بنفسها في خلافات مع تركيا .

واختتم آراءه حول هذا الموضوع بقوله : « ليست لبريطانيا أية مصلحة في التدخل ضد الأتراك في طريقنا أو في سياستنا هناك . وبأننا من ناحية أخرى في استطاعتنا أن نقبض على خناق تركيا في الشرق ، كما تفعل لها روسيا في الغرب » (١) .

غير أن الأحداث جاءت لتؤكد بأن بادجر كان على خطأ في تصوراته إلى حد ما مثل ما كان أتشيسون على صواب إلى حد ما . فعلى حين كان نشاط الأتراك إبان السنوات القليلة التي مضت ، واثارتهم لشعور الغداء ضد البريطانيين بين مسلمي الهند ، وعلى الأخص في أوساط الحجاج ، وبين أوساط الهنود المنفيين في القسطنطينية لم يؤثر على النفوذ البريطاني في الهند ، فقد كانت له انتكاسات خطيرة جدا في كل من جنوبي وشرقي شبه الجزيرة العربية ، وقد نبالغ إذا قلنا بأن البريطانيين قد أجبروا على اتخاذ موقف الدفاع في الخليج كنتيجة لاحتلال الأتراك للأحساء ، غير أنه كان ثمة شعور عميق يسود أوساط المسؤولين البريطانيين في الخليج وفي الهند بأن الدور البارز الذي كانت تلعبه الحكومة البريطانية قد آل إلى الزوال ، وبأنه لم يعد في وسع الحكومة البريطانية أن تمارس سياستها في المنطقة بمعزل عن الدبلوماسية الأوروبية ودبلوماسية الشرق الأدنى كما كان الحال سابقا . وبعبارة أخرى فإن الوجود التركي لم يصف تعقيدات جديدة على السياسة البريطانية فحسب بل ان التحركات البريطانية في المنطقة .

(١) من أتشيسون إلى نورث بروك - كلكتا ١٨٧٣/١٢/٣٠ .

(٤١ - بريطانيا والخليج / ٢)

أصبحت تخضع للمشورة المتبادلة بين إنجلترا والباب العالي .

كما كان ذلك يعنى من ناحية أخرى أن دولا أخرى لم تكن لهما مصلحة مباشرة فى الخليج قد انضمت الى قائمة الدول المهتمة بهذه المنطقة خصوصا وأن السياسة التركية قد ارتبطت بالدبلوماسية الأوربية وعلى حين كان من المتفق عليه أن النظام والأمن يجب أن يستثنيا من منطقة الخليج ، وكذلك السلام فى البحار فان الأتراك الذين لا تقل اساءتهم لفهم الأمور من قدرتهم على خلق المتاعب ، سوف يكون لهم دورهم فى ذلك . وبالإضافة الى كل هذه الاعتبارات الى جانب رفض الحكومة الهندية وبدرجة أقل حكومة الامبراطورية التخلّى ولو جزئيا عن مركز القيادة فى الخليج ، أو عن مسئوليتهم فى المحافظة على الأمن والنظام فيه ، فان تنازلهم عن تلك المسئولية للاتراك سوف يؤدى حتما الى نشوب خلافات حول حجم ومدى تلك المسئوليات بين الحكومتين البريطانية والتركية ابتداء من عام ١٨٧٣ فصاعدا .

فى مستهل شهر أغسطس ١٨٧٣ نمت الى علم المقيم البريطانى بالوكالة الماجور روس ، أن الأتراك يخططون لمد سيطرتهم شرقا الى قطر وعمان المتصالحة . فأوفد مساعده شارلس جرانث الى البحرين للتأكد من صحة تلك المعلومات ، وفى نهاية يوليو زار المبعوث البريطانى مدينة زيارة الواقعة على المنطقة الشمالية الغربية من قطر واجتمع بحاكمها شيخ النعيم وسأله عن سبب عدم اكتسابه الجنسية التركية . ومنطقة زيارة هذه قد انشأها آل خليفة بعد نزوحهم عن الكويت عام ١٧٦٦ واستمروا فيها منذ ذلك الوقت تقريبا . وكان حاكم البحرين يمارس نوعا من السيادة على قبيلة النعيم سكان المنطقة الشمالية من قطر ، وعند وصول جرانث الى ساحل الهدنة علم أن حاكم كل من دبی وآبو ظبی قد تلقى رسالة من المسئول التركى المقيم فى الدوحة يدعو الى زيارة القائد التركى فريق باشا فى الاحساء ، وكانت من رأى جرانث أن الشيخ زايد بن خليفة سوف يلبي الدعوة رغم خلاف نعيم البريمى معه ورفضهم استقباله لقضاء عطلة الصيف فى الواحة كما اعتاد أن يذهب اليها كل عام والإقامة فى قصر الخندق .

أما هذا القصر فقد كان في تلك الفترة في يد حاكم الشارقة الذي جاء يطلب من النعيم لكي يتولى أمور الدفاع عنهم ضد تهديدات الشيخ زايد ، ومن ناحية أخرى كان حاكم أبو ظبي مستاء جدا من موقف قبيلة القبيسات أحد فروع بني ياس وكانت قد انفصلت عن سلطته عام ١٨٦٩ ، كما سبق أن فعلوا الشيء نفسه في عام ١٨٣٥ وعام ١٨٤٩ وانتقلوا الى خور العديد على الطرف الشرقي من قطر . وقد شعر روس بعد اطلاعه على تقرير مساعده جرانت أن ثمة احتمالا لقيام تعاون فيما بين الأتراك والشيخ زايد اوضع واحة البريمي تحت النفوذ التركي ، نظرا لالتقاء مصلحة الطرفين حول ذلك . وكانت السلطات التركية تعتبر كسلا من أبو ظبي والبريمي جزءين من نجد ، وانهم لن يضيعوا أية فرصة تسنح لهم لضمهما الى سيطرتهم وعلى الأخص واحة البريمي . كما كان من المحتمل على حد رأى روس أن يطلب الشيخ زايد مساعدة الأتراك لاختضاع القبيسات لسلطته بعد أن فشل في الهجوم البحري الذي قام به على تلك القبيلة في خور العديد بموجب اتفاقية الهدنة البحرية . وإيا كان الاجراء الذي اتخذ فسوف تكون النتيجة فرض الهيمنة التركية على خور العديد (١) .

سبق أن تنبأ روس بنشوء مشاكل عويصة جديدة كنتيجة لمسألتي زيارة وخور العديد . وفي بداية شهر سبتمبر كتب الى اتشيسون يقول له :

«بأن موضوع تحديد السيادة على خور العديد لم يتم البت فيه بعد، وهو موضوع قد يثير جدلا بين عمان والوهابيين ، نظرا لأن الاحتلال التركي

(١) نفس المصدر للاطلاع على تقارير جرانت انظر رسائل جرانت الى روس ١٨٧٣/٩/٣ (رقم ٤٠) ومرفق به نسخة من رسائل المسئول التركي في الدوحة الى شيخ أبو ظبي ودبي بتاريخ ١٨٧٣/٧/٣٠ في نفس المجموعة ومرفق للخطاب الخارجي (سياسي) ٢٢٤ المؤرخ ١٨٧٣/١٢/٢٧

للاحساء التي تشغل الخط الساحلى الممتد حتى خور العديد قد أصبح تحت السيطرة التركية . وأن زعماء هذه المنطقة قد أرغموا على قبول الحكم التركى ، وبأن الدوحة قد احتلت بالفعل وترابط فيها قوة عسكرية تركية وقد آثر موضوع سيادة أبو ظبى على خور العديد للمرة الأولى فى الأشهر الأولى من عام ١٨٧١ وذلك عندما ذكر زايد بن خليفة للمقيم ببلى بأ: وجود قبيلة القبيسات فى خور العديد يحول دون ازدهار أبو ظبى لأنها تشكل مأوى للهاربين من القانون ، وطلب من ببلى وقف العمل بمعاهدة الهدنة كى يتسنى له شن هجوم على تلك المستوطنة وفرض سلطته على سكانها . ولكن ببلى أجرى تحقيقا حول مطالب الشيخ زايد بن خليفة بالسيادة على خور العديد ، واقتنع بأن المنطقة تتبع حاكم أبو ظبى فعلا ، الا أنه رفض بأى حال أن يسمح له بالقيام باجراءات عن طريق البحر ضد القبيلة ، وفضل أن يكتب رسالة الى زعيمها يستفسر منه عما اذا كان يوافق على الاعتراف بسلطة الشيخ زايد عليه . وعندما لم يرد رئيس القبيسات على خطاب ببلى ، اوفد ببلى بعد مضي بضعة أشهر مساعده الملاجور سيدنى سميث فى شهر يوليو ١٨٧١ ليوجه تحذيرا أعنف الى زعيم القبيسات ، الا أن سميث عاد من مهمته بغير نتيجة ، وعرف من زعيمهم بطن بن خادم أنهم لا يرغبون اطلاقا أن يكونوا تحت حكم الشيخ زايد بن خليفة، وابدوا استعدادهم للاشتراك فى نظام الهدنة البحرية اذا اعترف لهم بالاستقلال ، كما طلبوا من سميث بأن يزودهم بعلم الهدنة ، والا فانهم سوف يضطرون الى طلب الحماية التركية ، وقال زعيمهم بأن الأتراك قد عرضوا عليه أن يزودوه بالعلم التركى ولكنه رفض عرضهم (١) .

فى شهر يونيو ١٨٧٣ عاد الشيخ زايد بن خليفة فطلب من ببلى مرة أخرى السماح له بمهاجمة قبيلة القبيسات ، وقد أدرك روس بأن الوجود

(١) للاطلاع على تقارير سميث وببلى راجع (المداولات الخارجية لحكومة الهند سياسى) مجلد ٧٦٣ مارس ١٨٧٢ و « الجزيرة العربية وحدودها الشرقية » تأليف ببلى .

التركي في الدوحة وهي منطقة قريبة من الخليج واتصالات الانراك الأخيرة
بالشيخ زايد لا بد من ادخالها في الاعتبار في موضوع السماح للشيخ زايد
ابن خليفة باتخاذ الاجراءات التي ينوي اتخاذها ضد سكان خور العديد ولهذا
فقد أحال الموضوع برمته الى حكومة الهند لاتخاذ القرار الذي تراه . كان
المقيم البريطاني بيلى موجودا في سملا في ذلك الوقت ولهذا استوضحه
اتشيسون رأيه في موضوع السيادة على قطر وخور العديد وكان رد بيلى :

« في الوقت الحاضر ينبغي أن نتحاشى الدخول في المناطق المتنازع
عليها بشأن السيادة الإقليمية . لقد تلقينا تأكيدات رسمية من الباب العالي
بأن لا ينوي المساس باستقلال زعماء منطقة ساحل الهدنة وأن ذلك التأكيد
يشكل أهمية بالنسبة لمصالحنا أكثر مما تشكل أية تفسيرات أخرى . ان
الاعتداءات التركية في المنطقة لا بد وأن تتخذ وضعا مستديما ان عاجلا أو
اجلا ، أو أن يتم وضع حد لها . وفي تلك الحالة فاني أعتقد باننا سنكون في
وضع يسمح لنا بمعالجة مشكلات الحدود والسيادة الإقليمية بطريقة
فعالة ، أما فيما يختص بحقوق البحرين في قطر فاني لا أعتقد أن مسألة
الانتفاع بالمراعي وغيرها من المناطق على ساحل قطر تخول للبحرين حقوقا
باستخدام القوة البحرية لفرض سلطتها على أية منطقة ساحلية من قطر .
أما بشأن خور العديد فهي في اعتقادي تتبع حاكم أبو ظبي ، غير أنني سوف
أرجئ البت في هذا الموضوع وفي غيره من الموضوعات ريثما تتضح وتتلور
نوايا الحكومة التركية في محاولاتها الاستيلاء على ساحل شبه الجزيرة
العربية (١) .

واستنادا الى هذه النصائح والى استنتاجات اتشيسون نفسه
أوعز روس خلال الأسبوع الأخير من أكتوبر بإبلاغ الشيخ زايد بن خليفة بان

(١) الخطابات والمرقات السرية من الهند مجلد ١٦ مرقق للخطاب
الخارجي (سياسي) رقم ٢٢٤ المؤرخ ١٢/٢٦/١٨٧٣ من بيلى الى
اتشيسون ١٠/٢٧/١٨٧٣ .

حكومة الهند لن تسمح له بتنفيذ الاجراءات التي كان ينوى اتخاذها للاستيلاء على خور العديد ، وانها سوف تتحرك لمنع ذلك (١) .

وعلى أية حال فقد كان الأتراك على ما يبدو قد صرفوا النظر عن الخليج . وفي مستهل عام ١٨٧٣ قاموا بسحب قواتهم النظامية في الاحساء ، وتسليم ادارة الاقليم الى شيخ مشايخ بنى خالد . اما في المنطقة الجنوبية القريبة فقد ظلوا يمارسون نشاطاتهم وفي النصف الأخير من عام ١٨٧٣ ضموا منطقة لحج الى نفوذهم وكان حاكمها أحد الزعماء الذين يتقاضون مرتبات شهرية من حكومة عدن ، وقد قاموا بجهود مكثفة للاطاحة بهذا الحاكم مما حدا باليوت السفير البريطاني في القسطنطينية الى بحث هذا الموضوع شخصيا مع السلطان العثماني في شهر يناير ١٨٧٤ ، غير أن عبد العزيز حاول التملص من الرد المباشر على سؤال اليوت . وقد ذكر اليوت في تقريره حول هذا الموضوع « بأن صاحب الجلالة السلطان قد يعارض القيام بحملات عسكرية للاستيلاء على اقاليم لا أهمية لها . وكان بذلك يشير الى الحملة التركية على اليمن والحملة على نجد ، وعلل الحملة الأولى بأنها كانت نتيجة لاطماع مذحت باشا الشخصية ، وأنه قام بها دون موافقة الباب العالي » (٢) . كان هذا الرد من جانب السلطان في غاية الصراحة . لكن موسوروس باشا السفير التركي في لندن قد تحدث عن هذا الموضوع بصراحة ودقة أكثر ، حيث ذكر بأنه لا حق للحكومة البريطانية في التدخل بين السلطان ورعاياه في شسبه الجزيرة العربية بما في ذلك لحج ، وبأن اليمن وغيرها من المناطق في شبه الجزيرة العربية تخضع للامبراطورية العثمانية منذ قرون بحكم فتح الأتراك

(١) مرفق للخطاب الخارجي (سياسي) رقم ٢٠٢ المؤرخ ١٨٧٣/١١/٢١ من وزير خارجية الهند سملا الى المقيم السياسي للخليج ١٨٧٣/١٠/٢٧ (رقم ٢٥٧٠ الادارة الخارجية) .

(٢) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٧٧ من اليوت الى جرانفيل ١٨٧٤/١/٢٤ (رقم ٧ سرى) .

لها وبحكم سيادتها الشرعية عليها . كما أن ذهاب الجيش التركي الى اليمن كان اجراء املته الضرورة لاستكمال السيطرة عليها . وادخال الاصلاحات الادارية التي يجرى الآن ادخالها الى كافة ارجاء الامبراطورية ، ويستطرد موسوروس باشا فيقول : بأنه من البديهي أن مسألة شبه الجزيرة قضية حساسة باعتبارها جزءا لا يتجزأ من قضية العالم الاسلامي . وأن هذه المنطقة وحكامها متفقون بغير استثناء على حق السلاطين العثمانيين في حكم هذه المنطقة باعتبار أن هذا الحكم حق شرعي للعثمانيين ، وبأن من واجب العثمانيين ملء الفراغ الناشئ في المنطقة .

ترتب على ايرل اوف دربي الذي حل محل جرانفيل في وزارة الخارجية في حكومة ذرائيلي الثانية في أوائل فبراير أن يتخذ قرار الرد على المطالب التركية في شبه الجزيرة . غير أن هذا الرد الذي وضعت صبغته خلال شهر ابريل ١٨٧٤ وبموافقة وزير الدولة الجديد لشئون الهند ماركوس سالسبورى لم يكن شديد اللهجة فحسب بل كان تهديدا سافرا « ومهما كان شكل السيادة التي كان يمارسها الباب العالي على اليمن سابقا ، فان الواقع كما أشار دربي أن تلك البلاد قد استقلت عن الأتراك منذ أواسط القرن السابع . وظلت اليمن شأنها شأن الاقطار الاسلامية التي خضعت في وقت من الاوقات للخلافة الاسلامية محتفظة باستقلالها الى أن قام محمد على باشا بفتوحاته في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، كما أن القبائل الأخرى المجاورة لعدن ظلت هي الأخرى محتفظة باستقلالها . ويستطرد دربي فيحذر من أن الحكومة البريطانية لن تسمح لأحد بالتدخل في شئون تلك المناطق . ويضيف بأن الحكومة البريطانية قد فوجئت بمحاولات الخلافة التركية للمطالبة بتلك الاقاليم وبالشعارات التي رافقتها لاستثارة المشاعر الدينية والقومية لسكان تلك الاقطار ، ونبه الى أن تركيا لو تمادت في مطالبها فقد يؤثر ذلك تأثيرا عكسيا على كيان الامبراطورية العثمانية نفسها الأمر الذي لا تتصور الحكومة البريطانية أن الباب العالي يهدف اليه . وعندما تطرق دربي الى هذا الموضوع في مذكرته الى حكومة الوطن أكد بأن على الباب العالي أن يتذكر بأن السلطان ليس هو الحاكم الوحيد الذي يضرب على وتر المشاعر القومية والدينية للذين

يسعون الى تمزيق اوصال الامبراطورية العثمانية ويهيبون بالمسيحيين في تلك الاقطار لكي يتخلوا عن ولائهم للباب العالي (١) .

لم يتأكد ما اذا كان مضمون هذا التحذير قد أبلغ الى الباب العالي . ولكنه قد ارسل الى سيدني ولوكوك القائم بالاعمال البريطاني في القسطنطينية لتسليمه الى السلطات العثمانية العليا . غير أن ولوكوك لم يؤكد أنه سلم تلك المذكرة الى السلطات العثمانية بالفعل ، فان كان قد سلمها فليس من المعقول الا يذكر ذلك لحكومته خصوصا وأن الموضوع كان على جانب كبير من الأهمية . وعلى أية حال ففي شهر ابريل سنحت الفرصة لدربي بأن يؤكد لمسوروس باشا بأن الحكومة البريطانية ان تقف مكتوفة اليدين من أية محاولة يقوم بها الباب العالي لفرض مطالبه في شبه الجزيرة العربية لأبعد من المناطق التي يسيطر عليها الآن ، ومن ناحية أخرى فقد حاول الأتراك في العراق تجنيد المواطنين البحرينيين المقيمين في الولاية للخدمة العسكرية . وقد قال دربي للسفير التركي بأن مثل هذه الاجراءات يجب أن تتوقف لأن البحرين دولة مستقلة تقاوم كل محاولة للنيل من استقلال البحرين أو الدول الأخرى التي تربطها نفس العلاقات بالحكومة البريطانية ، أن كل ما يخشاه كل من دربي وسالسبورى في مجلس شئون الهند أن يكون هناك أكثر من مجرد التأكيدات التركية على حقوق السيادة في شبه الجزيرة . وفي هذا الصدد ذكر سالسبورى لنورث بروك في بداية شهر مايو بأن لهجة الباب العالي حول هذا الموضوع قد ازدادت حدة في الآونة الأخيرة ، فقد استمر في تأكيد تلك الحقوق الإقليمية على الرغم من رفض الحكومة البريطانية لها ، واخذ يضغط على كل من فارس ولحج ومسقط والمناطق المجاورة بشأن تلك الحقوق . وانه لمن المصادفات المخرجة أن تندلع الاضطرابات في أنحاء كثيرة من شبه القارة الهندية - فهل هو انفجار العنف الاسلامى الذى اول من يشعر

(١) مكاتبات الوطن (سرى) مجلد ٧٨ من دربي الى ولوكوك (القائم

بالاعمال في القسطنطينية ٣٠/٤/١٨٧٤ (رقم ١٠٠) .

بضفوطه هو السلطان ، أم هو اجناتيف (السفير الروسى فى القسطنطينية) الذى يستغل (وحدة الأراضى العثمانية) ومركز السلطان الدينى ؟ أما نورث بروك فقد كان أقرب الى رد أسباب ذلك الى العامل الثانى منه الى التطرف الدينى ، فقد أعرب سالسبورى عن ارتياجه من الموقف الذى اتخذه دربى من موضوع البحرين . لقد تحدد موقف الحكومة البريطانية من استقلال البحرين بمقتضى اتفاق ١٨٦١ بشكل حاسم وبالتالي فان أية محاولة من الباب العالى لفرض سيادته على آقاليم شبه الجزيرة العربية سوف تعارضها الحكومة البريطانية بقوة على حد قول نورث بروك .

ان قلق كل من دربى وسالسبورى من موضوع البحرين لم يكن له ما يبرره الى حد ما ، نظرا لأن الحكومة التركية تعلم علم اليقين بأن أية محاولة من جانبها لزعزعة الأوضاع السائدة على امتداد الساحل العربى للخليج ، وقال بأن أى نجاح قد يحزره الأتراك فى هذا الصدد ، لا أن يحرزوا بالطرق غير المباشرة ، وهذا ما بدأ الأتراك يفعلونه اعتبارا فى منتصف عام ١٨٧٤ . وقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه فى شهر يوليو عام ١٨٧٤ عندما سلم موسوروس باشا الى دربى عريضة قال فيها ، أن الباب العالى قد تلقاها من شيوخ البحرين ، وأن السلطان كلفه بعرضها على الحكومة البريطانية لأن مضمونها يتعلق ببريطانيا . وان الذى ارسل العريضة هو ناصر بن مبارك وأعوانه من أفراد أسرة آل خليفة المنفيين ، وقد أعرب أصحاب العريضة عن ولأتهم للسلطان العثمانى وطالبوه بتقديم العون اليهم لاسترداد حقوقهم التى قالوا أن السلطات البريطانية فى الخليج قد قامت بانتهاكها وبأنها طردتهم من البحرين وصادرت ممتلكاتهم واطيانهم وأن بعض ذويهم ومنهم محمد بن عبد الله الحاكم السابق للدمام ، ومحمد بن خليفة الحاكم السابق للبحرين قد تم نفيهما الى الهند ، وقد وعد دربى بتحويل العريضة الى حكومة الهند ولكنه أوضح لموسوروس باشا بأن البحرين دولة مستقلة وبأن الحكومة البريطانية لا يمكنها التدخل والحصول لهم عن ممتلكاتهم حتى ولو كان فى حوزتهم ما يثبت حقهم فى تلك الممتلكات .

لم ينتظر ناصر بن مبارك ورفاقه حتى يصلهم الرد على الطلب الذين بعثوا به الى الباب العالي . والواقع أنه كان هناك شك فى جدية الطلب الذى تقدموا به . وفى أواخر شهر أغسطس من عام ١٨٧٤ ظهر محمد ابن ناصر مع ٣٠٠ أو ٤٠٠ من أفراد قبيلة بنى حجر ، وهى القبيلة التى صاهاها محمد بن ناصر فى الدوحة حيث كانوا يبحثون عن سفن يستخدمونها لغزو البحرين . غير أن محمد بن ثانى كبير شيوخ الدوحة رفض اعطاءهم أية سفينة ، ولكنهم بطريقة وأخرى تمكنوا من الحصول على بعض السفن واستخدموها فى الاستيلاء على احدى السفن التابعة للبحرين وكانت بالقرب من ساحل قطر ونهبوا محتوياتها ، غير أن السفينة البريطانية « مى فريز » التى كان قد أرسلها الكولونيل راسل الى المنطقة وكانت وقتئذ بالقرب من قطر تمكنت من احباط خطة ناصر بن مبارك لغزو البحرين (١) وبعد أن انتهى ناصر وزملاؤه من الاستيلاء على محتويات السفينة البحرانية شنوا هجوما على زبارة التى كان رجالها قد غادروها فى ذلك الوقت للعمل فى مصائد اللؤلؤ ، وكاد المهاجمون أن يستولوا على البلدة بكاملها لولا وصول السفينة المسلحة البريطانية « هيوروز » التى قرر ربانها بأن يعطى بحارته بعض الدروس فى اطلاق النار ، وهكذا أطلقت هيوروز قذيفتين وراء خطوط تجمعات قبيلة بنى حجر الذين فهموا على الفور المعنى المقصود من اطلاق القذيفتين ، وبذلك أمكن وقف الهجوم . على الفور المعنى المقصود من اطلاق القذيفتين ، وبذلك أمكن وقف الهجوم . وعند عودتهم تمكنوا من تفريق المهاجمين (٢) .

(١) لقد تم تثبيت روس فى منصب المقيم السياسى البريطانى فى الخليج فى أواخر عام ١٨٧٣ ومنح اللقب المحلى العادى لفتنانت كولونيل الخاص بفارس والمناطق المجاورة لها .

(٢) الخطابات والمرقات السرية من الهند مجلد ١٩ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ١٩١ المؤرخ ١٨٧٤/١٠/٢٣ من المقيم الى وزير خارجية الهند كلكتان ٣ و ١٨٧٤/٩/١٢ رقم ١٠٠٦ - ٢٠٥ و ١٠٣٩ - ٢٠٩

قبل أن تصل أخبار هذه العمليات الى لندن كان السفير التركي موسوروس باشا قد سلم مذكرة احتجاج الى دربي على عملية القصف البريطاني التي راح ضحيتها ٢٥ قتيلا من بنى حجر ، وجاء في المذكرة بأنه اذا كان قد وقع أى اعتداء من جانب أى شخص من سكان تلك المنطقة فقد كان فى الامكان أن يقوم ربان السفينة بإبلاغ السلطات العثمانية بذلك التى ستقوم بدورها بتطبيق العقوبة عليه (١) . لقد كانت تلك المذكرة أول بادرة من الباب العالى بشأن مطالب السيادة التركية على جزء من الساحل الشرقى للبحر ، لاسيما وأن طبيعة السيادة التركية حتى على الدوحة التى رفعت العلم التركى فى عام ١٨٧١ يحوطها الغموض .

وفى شهر سبتمبر عام ١٨٧٤ كتب روس الى حكومة الهند مذكرة جاء فيها :

« أن ميناء البدعة فى الدوحة يشغل وضعاً سياسياً شاذاً . فعلى حين يرفع محمد بن ثانى الشيخ الكبير العلم العربى فان نجله جاسم قد وضع نفسه تحت الحماية التركية . كما أن هناك قوة من الحرس التركى ترابط فى البدعة . وأن السلطات التركية تتولى فى حدود معرفتى السلطة فى تلك المنطقة . غير أنى لا اعتقد أن الأتراك يعتبرون أنفسهم مسئولين عن تصرفات شيوخ البدعة وسكانها ، كما أن الشيخ جاسم على استعداد من ناحية أخرى فى حالة تعرضه لآى ضغط ان يتنصل من تبعيته للأتراك . وبالتالي فان الأمر يستدعى النظر فيما اذا كان يجب استيضاح الحكومة التركية حول المناطق الساحلية التى تطالب بالسيادة عليها » (٢) .

(١) مكاتبات حكومة الوطن (سرى) مجلد ٨١ من موسوروس باشا الى دربي ١٣/١٠/١٨٧٤ وكان الأصل بالفرنسية .

(٢) الخطابات والمرفقات السرية من الهند مجلد ١٩ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ١٩١ المؤرخ ٢٣/١٠/١٨٧٤ من المقيم السياسى الى وزير خارجية الهند ١٢/٩/١٨٧٤ (رقم ١٠٣٩ - ٢٠٩) .

كما طالب روس الحكومة البريطانية بأن تجدد من جانبها موقفها من قضية الدفاع عن البحرين . فبموجب اتفاق عام ١٨٦١ التزمت بريطانيا بمساندة حاكم البحرين ضد أى اعتداء يقع عليه من جانب حكام الخليج أو قبائله من البحر . ولكن ما هو الموقف الذى قد تتخذه بريطانيا من عدوان يقع على أراضيها من البحر كالاغتياء الذى وقع على زيارة . كان حاكم البحرين يطالب بالسيادة على زيارة وعلى سكانها قبيلة النعيم . وقد أجرى مساعد روس تحقيقات حول تلك المطالب وقد تبين له بأنها صحيحة الى مدى كبير ، على الرغم من أن السلطة الفعلية التى كان يمارسها آل خليفة على تلك القبيلة كانت تعتمد الى حد كبير على عمليات القهر والتسلط وكان روس يرى نفس الرأى فيما يختص بحقوق أسرة آل خليفة فى زيارة ، وعند زيارته للبحرين فى الأسبوع الأول من شهر نوفمبر ١٨٧٤ ، سأله حاكمها عما اذا كانت الحكومة البريطانية ستمده بمساعدات عسكرية لفرض سلطته على القبيلة فرد روس عليه بالإيجاب اذا كانت تلك المساعدة سوف تستخدم لأغراض دفاعية وليس هجومية (١) . لقد كان روس واثقا من حقيقة واحدة وهى أن النعيم لم يعلنوا ولاءهم للأتراك أو يخضعوا لحكمهم وأن الهجوم الذى قامت به قبيلة بنى حجر لا يمكن تفسيره على أنه عملية تأديبية يقوم بها الباب العالى لجماعة متمردة من رعاياه ، وقد ذكر روس لحكومة الهند بأن التفسير الذى اضفاه الأتراك على دور السفينة البريطانية « هيوروز » فى الغارة التى قام بها بنو حجر على زيارة مجرد تلفيق لا أساس لها من الصحة . فلم يصب أحد من بنى حجر فى تلك العملية نتيجة قصف السفينة لتجمعات تلك القبيلة (٢) .

-
- (١) نفس المصدر خطاب رقم ٢٢٢ المؤرخ ١٨٧٤/١٢/١٨ من روس الى اتشيسون ١٨٧٤/١١/١٠ (رقم ١٢٨١ - ٢٦٧) .
(٢) المرفقات والخطابات السياسية والسرية من حكومة الهند مجلد ٢ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٣٠ المؤرخ ١٨٧٥/٢/٥ من روس الى اتشيسون ١٨٧٤/١٢/١٩ .

غير أن حكومة الهند لم تقتنع كل الاقتناع بوجهة نظر روس في موضوع الغارة على زبارة . وعليه فقد ذكرت حكومة الهند في شهر سبتمبر بأن حاكم البحرين ليست له أية ممتلكات داخل قطر ، وأن الحقوق التي يطالب بها لم تتأكد بشكل قاطع ، وأضافت بأن روس لم يكن يملك الصلاحيات اللازمة لموافقة حكومة البحرين على ارسال تعزيزات عسكرية الى النعيم . وفي شهر ديسمبر ١٨٧٤ أوعزت الى روس بإبلاغ حاكم البحرين بأن التأييد البريطاني له مشروط بحالة وجود تهديد له من البحر أو من البر ، والتوضيح له بأنه طالما بقي متمسكا بالتزاماته وفق شروط المعاهدة ، فان الحكومة البريطانية تعتبر نفسها مسئولة عن حمايته والدفاع عن أراضيه ، ولكن قبل هذه الحماية لا يمكن تقديمها في حالة قيامه بهجوم أو اعتداء على بلدان أخرى أو في حالة تورطه في مشكلات لا توافق عليها الحكومة البريطانية . من ناحية أخرى كانت حكومة الهند تعارض اجراء محادثات مع الأتراك حتى على المستوى المحلي ، بشأن حدود سيادتها على الساحل القطري ووضحت لروس بأن يبقى التدخل في شئون البحرين والمناطق العربية الأخرى على الساحل لحماية المصالح البريطانية المشروعة في اطار المعاهدات في نطاق محدود جدا وعلى ضوء ما يترتب على الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين ، والواقع أن حكومة الهند كانت تحرص على التمسك بالمبادئ المتفق عليها بحيث يقتصر الدفاع عن البحرين على الوسائل البحرية وعدم التورط في شئون المناطق الداخلية . وأن أى تدخل لصالح البحرين يقوم على غير هذه الأسس قد يورط الحكومة البريطانية في نزاع مع الباب العالي وقد يؤدي الى اجراءات عسكرية . وبعبارة أخرى فان السلطات الحاكمة في الهند مهتمة في هذه المرحلة بمشكلة التوسع التركي على الساحل الشرقى الاحساء أكثر من اهتمامها بتهديد القبائل الداخلية لاستقلال البحرين .

في شهر اغسطس ١٨٧٤ أفرج عن عبد الرحمن بن فيصل الذي كان محتجزا في بغداد منذ عام ١٨٧٢ كضمان لحسن سلوك أخيه الأمير سعود، وفد توجه عبد الرحمن الى البحرين حيث رحب به حاكمها الشيخ عيسى ابن على . وقد أمضى عبد الرحمن الأشهر الأولى من وجوده في البحرين

فى اتصالات مستمرة مع شيوخ الاحساء ، ووجد الاستعداد لدى الغالبية من تلك القبائل للقيام بثورة ضد براك بن غرير والحرس التركى . وفى أواخر أكتوبر تقريبا اجتاز عبد الرحمن الحدود الى العقير حيث انضم إليه أعداد كبيرة من قبائل مرة وعجمان وغيرهما . وبذلك القوة قام عبد الرحمن بهجوم على القطاع الشمالى لقطع خطوط مواصلات الأتراك بين القطيف وواحة الاحساء ، ومن هناك شن هجوما آخر على غرير فى منطقة الهفوف . وعندما علمت بغداد بالهجوم الذى شنه عبد الرحمن على الاحساء أصدر الوالى التركى رديف باشا أوامر الى ناصر باشا السعودون متصرف لواء البصرة وشيخ مشايخ المنتفك باتخاذ الاجراءات اللازمة لقمع التمرد . وقد تحرك ناصر السعودون بسرعة وأبحر من ميناء البصرة بكتيبة من القوات النظامية التركية يعزها وحدة من الخيالة ، وفى تلك الأثناء انشقت قبيلة عجمان عن عبد الرحمن واتخذت موقفا ضده ، فلم يعد فى وسعه أن يقاوم القائد التركى وترتب عليه أما أن يحارب او يستسلم سيما وأن الهدف من حركته ضد الأتراك هو الضغط عليهم لتعيينه واليا على الاحساء وليس لشق عصا الطاعة ضدهم (١) غير أن ناصر السعودون وضع حدا لتردد عبد الرحمن اذا قام بزحف على واحة الاحساء لارغام عبد الرحمن على رفع الحصار عن الحامية التركية فى منطقة الهفوف . وكنتيجة لذلك فر عبد الرحمن الى الرياض وسلمت البلدة للقوات التركية للسلب والنهب انتقاما منهم على تأييدهم لعبد الرحمن ، وقد عين ناصر السعودون نجله مزاید واليا على الواحة وعهد بحفظ الأمن والنظام الى ٨٠٠ جندى من النظاميين و ١٠٠ خيال (٢) .

(١) الخطابات السياسية والسرية من الهند مجلد ٢ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٣٠ المؤرخ ١٨٧٥/٢/٥ من عبد الرحمن الى روس ١٨٧٤/١١/٢١ .

(٢) نفس المصدر من روس الى اتشيسون ٥ و ١٨٧٤/١٢/٣١
رقم ١٣٠٨ - ٢٨٨ و ١٤٠٧ - ٣٢١ و ٩ يناير ١٨٧٥ (رقم ١٧ - ٥ =

وكان من المحتمل أثناء التمرد أن يستغله الأتراك لاصطناع خلاف مع البحرين . ففي أواخر أكتوبر كتب والى القطيف التركى خطابا الى حاكم البحرين يوبخه على استضافته لعبد الرحمن ثم بعد شهر أعلن نفس المسئول بأنه قد طلب من كل من ناصر بن مبارك وجاسم آل ثانى تأجيل العمليات التى قررا القيام بها ضد زيارة الى أن تصل المدرعات التركية التى كان ينتظر وصولها بين لحظة وأخرى (١) أما حكومة الهند فقد رأت فى تلك الخطوة اجراء خطيرا ، وبالتالي طلبت من قائد اسطول الهند الشرقية ارسال بعض السفن لتعزيز اسطول الخليج ، وهكذا ففى بداية عام ١٨٧٥ وصلت السفن ماجبى ونمبل وبرتون للمرابطة فى منطقة الخليج الأعلى ، وفى ذلك الوقت اتصل اليوت تلقائيا بالمسئولين فى الحكومة التركية لتحذيرهم من أن الحكومة البريطانية مصممة على ألا تسمح لأحد بانتهاك سيادة البحرين واستقلالها . وقد جاءت تلك المبادرة من اليوت فى أعقاب تقرير تلقاه من الكولونيل هيربرت القنصل البريطانى العام فى بغداد ، والذى ذكر فيه بأن الباب العالى قد يكون هو المحرض على هجوم بنى حجر على زيارة . وفى يناير ١٨٧٥ عاد اليوت فحذر رئيس وزراء تركيا من أنه على الرغم من أن الحكومة البريطانية لا تطالب بالسيادة على البحرين ، الا أنها مصممة على حماية الجزيرة من

= فى نفس المجموعة أيضا الخطابات والمرفقات السرية من الهند مجلد ١٩ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) ٢٢٠ المؤرخ ١١/١٢/١٨٧٤ من المقيم الى وزير خارجية الهند ككلتا ٣١/١٠/١٨٧٤ (١٢٦٥ - ٢٦٢) و ١٨/١١/١٨٧٤ التقرير الادارى السنوى للممثلة البريطانية فى الخليج ١٨٧٩ - ١٨٨٠ مذكرة روس عن نجد .

(١) الخطابات من روس الى اتشيسون ٣١/١٠/١٨٧٤ و ٥/١٢/١٨٧٤ (رقم ١٢٦٢ - ٢٦٢ و ١٣٨٠ - ٢٨٨) سبقت الاشارة اليه .

انى هجوم يقع عليها (١) .

فى ٢٥ يناير ١٨٧٥ توفى الأمير سعود بن فيصل فى الرياض بعد
إصابته بمرض الجدري . وقد اختار أهل المدينة الأمير عبد الرحمن خلفا
له . غير أن اختيار عبد الرحمن كان له ردود فعل معاكسة فى الأوساط
القبلية فى الأحساء . ولتشديد الأتراك قبضتهم على هذا الإقليم قرروا
ضمه الى البصرة ، وكانت البصرة والإقليم السفلى من العراق منفصلة
عن ولاية بغداد ، وكانت ولاية مستقلة تحت حكم ناصر باشا ، وفى شهر
أغسطس ١٨٧٥ منيت قوات الأمير عبد الرحمن بالهزيمة وتم خلعها عن
السلطة وحل محله الأمير عبد الله الذى أعلن بأنه يريد العيش فى سلام
وتفاهم مع الأتراك . وفى بداية شهر ديسمبر تلقى الشيخ عيسى حاكم
البحرين خطابا من ناصر باشا السعودون يتضمن شكويين تقدم بهما اثنان
من تجار قطر ضد رعايا الشيخ عيسى ، وجاء فى الخطاب انه ما لم يتم
إرضاء صاحبى الشكويين فان السلطات التركية سوف تضطر الى اتخاذ
الاجراءات اللازمة فى الموضوع (٢) ، وعلى الرغم من أن ناصر باشا يعلم وهو
يبحث بخطابه الى حاكم البحرين بأن رعايا هذا الحاكم لا تزال لهم بعض
المطالب ضد القطريين لم تسو بعد ، وبالتالي فلم يكن من المعقول أن
يوافق حاكم البحرين على تسوية مطالب أهل قطر قبل أن تحسم مطالب
مواطنيه ضد القطريين ، كما أن ناصر باشا لابد أنه كان يعلم أن بعض
تلك المطالب يعود الى ما قبل الاحتلال التركي للأحساء ، وأنها تتناول

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ١ من اليوت
الى دربى ١٨٧٥/١/٥ (رقم ٢) وأيضا مجلد ٨٢ نفس المصدر من اليوت
الى دربى ١٨٧٤/١١/٧ (رقم ٧٩) .

(٢) الخطابات والمرفقات السرية من حكومة الهند مجلد ٧ مرفق
للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٣ المؤرخ ١٨٧٦/١١/٢٨ من ناصر باشا
الى عيسى بن على ١٨٧٥/١١/٦ .

الخلافات حول حقوق الصيد فى احواض اللؤلؤ ، وكانت تعتبر مشكلات فى غاية الخطورة والتعقيد . وعندما علم روس بأمر الخطاب ساوره الشك فى نوايا ناصر باشا وبعث بتقرير الى حكومته فى الهند يقول فيه : « بأن خطاب ناصر باشا ما هو الا خطوة تمهيدية لتوسيع نطاق تدخله فى شئون البحرين ، وبأنه كان يتوقع من جراء تلك الخطوة ان يحمل الحكومة التركية على اقرار سياسته فى المنطقة (١) » .

قبل شهرين او ثلاثة أشهر من وصول هذا الخطاب استدعى مزاييد باشا نجل ناصر باشا ووالى الاحساء التركى اثنى من التجار الهنود المقيمين فى الدوحة ، وفى البداية رفض التجار طلب الوالى وايدهما فى هذا الموقف الشيخ محمد بن ثانى ، الا أن نجله جاسم والحاكم الفعلى للدوحة أرغمها على الذهاب . وكان له هدفان من ذلك : الأول أن يوجه الاهانة الى المقيم البريطانى الذى كان يكن له الكراهية ، كما كان يكن الكراهية لجميع البريطانيين ، والثانى أن يحقق مشروعه بوضع تجارة الدوحة فى يده . وكان يهدد التجار الهنود بهذا الاجراء منذ فترة طويلة ، كما كان الشخص وراء دعوة الأتراك للقدوم الى الدوحة عام ١٨٧١ . وعلى النقيض من ذلك كان والده الذى كان يكره الأتراك وقد جس نبض روس أكثر من مرة فى احتمال مساعدته للتخلص منهم . كان فى الدوحة اثنان من المسؤولين الأتراك من رتب صغيرة ، ولكن الشيخ جاسم هو الذى كان يمثل الأتراك فى الدوحة ، فقد عينه الأتراك القائمام التركى فى الدوحة ، وكان يحكم المنطقة يعاونه ٤٥ جنديا تركيا من الجندرية ، ورغم أن هؤلاء الجنود كانوا يرتدون الزى التركى ، الا أنهم كانوا خليطا من العرب والفرس والبلوش .

(١) نفس المصدر مجلد ٧ من روس الى ايتشيسون ١٧/١٢/١٨٧٥

(رقم ١٣٣٧ - ٣١) .

ويعتقد روس بأن جاسم هو الذى اقترح على مزاید باشا استدعاء للتاجرين الهنديين الى الهفوف انتقاما من الاجراء الذى اتخذه روس فى صيف العام السابق بفرض غرامة على محمد بن ثان عن احدى عمليات القرصنة التى قام بها بعض رعاياه ، ولتحذيره بأن (آى حاكم) يستطيع هو الآخر اتخاذ اجراءات ضد البريطانيين عن طريق القوانين التعسفية والعرفية التى كان يصدرها ضدهم . فاذا كان هذا الاحتمال صحيحا ، كما كان يعتقد روس ، فان الفرصة التى كان يبحث عنها بفارغ الصبر قد سنحت له فى النهاية . وحول هذا المعنى كتب روس الى اتشيسون يقول : اننى على ثقة من آن الوالى مزاید باشا قد تعمد اتخاذ ذلك الاجراء الذى يكشف عن مدى احتقاره وكرهه للانجليز وتمجيده لدور الاتسراك فى هذه المناطق على حساب المصالح البريطانية ، وهذا موقف فى غاية الوضوح ، لانه حتى ولو كان التجار الهنود قد ارتكبوا بعض المخالفات الخطيرة ، فقد كان يتعين ابلاغ السلطات البريطانية بأمر تلك المخالفات قبل استدعائهم الى نجد « ٠٠٠ وعلى أية حال فان الاجراء المذكور قد أثار الاستغراب وقد أخذ الناس يراقبون مجريات الاحداث فى انتظار النتيجة التى تسفر عنها (١) » .

فى شهر ابريل قدمت الحكومة البريطانية احتجاجا رسميا الى الباب العالى على اجراءات ناصر باشا واحتجازه للتاجرين الهنديين . وعلى الرغم من أن التاجرين لم يتعرضوا لآى أذى وعادا عن طريق البحرين فقد انتقدت الحكومة البريطانية الطريقة التى استخدمتها السلطات التركية لاستدعائهما الى الهفوف وتحميلهما عبء تلك الرحلة المضنية عبر

(١) الرسائل والمرفات السياسية والسرية من حكومة الهند مجلد ٧ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٨ المؤرخ ١٨٧٦/٢/٤ من روس الى اتشيسون ١٨٧٥/١٢/٢٤ (رقم ١٣٥٨ - ٣١٩) كذلك برقياته المؤرخه ٤ و ٨ و ١٧ و ١٨٧٥/١٢/٣٠ فى نفس المجموعة .

الصحراء فى عز الصيف غير أن الأسباب الحقيقية لاستدعاء التاجرين بقيت لغزا مجهولا (١) كما لم ترد الحكومة التركية على الاحتجاج البريطانى أو تقدم ايضاحات عن تلك الاجراءات ، ولم تدفع أية تعويضات للتاجرين .

فى صيف عام ١٨٧٦ انفجرت على المنطقة الساحلية من قطر موجة من الاضطرابات وأعمال الشغب ، كان المسئول عنها أفراد من قبيلتى مرة وبنى حجر . فقد هاجم بعض هؤلاء سفينة تابعة لمشيخة أبو ظبى فى ميناء الدوحة وقتلوا الربان واثنيين من البحارة ثم فروا بعد أن استولوا على كمية من اللؤلؤ كان قد جمعها العاملون فى تلك السفينة . ومن المحتمل أن يكون جاسم آل ثانى على علم بتلك الجريمة ، لأن السفينة كانت ترسو بالقرب من مسكنه ، ومع ذلك فانه لم يتخذ أى اجراء على الرغم من الحاح روس عليه بالقبض على المتهمين . وزعم أن المتهمين قد هربوا الى ساحل فارس وهى منطقة لا تخضع لسلطته . كما استولى فريق آخر من قبيلة بنى مرة على سفينة تخص أحد تجار اللؤلؤ العمانيين . وفى شهر أغسطس وقع هجوم آخر على سفينتين تابعتين لمشيخة أبو ظبى كانا فى خور العديد وقتل أحد بحارتها . ومرة أخرى وفى نفس الشهر هاجم فريق من بنى حجر مرة أخرى السفن القطرية ونهبوها ، وكان بعض هؤلاء يمارس نشاطه من خور العديد حيث كان يعيش فريق منهم تحت أمرة نسالم بن شفيح ، بينما كان بنو مرة يعملون من قواعدهم فى الدهناء وغيرها من مناطق الساحل الشرقى .

(١) مكاتبات حكومة الوطن السرية والسياسية مجلد ١١ من اليوت الى دربى ١٢ و ١٨٧٦/٤/٢٥ (رقم ٣١٧ و ٤٢٦) .

(٢) الخطابات والمرفات السياسية والسرية من الهند مجلد ١١ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٢٤ المؤرخ ١٨٧٦/١١/٩ من بيروودو (المقيم السياسى بالوكالة) الى تونوثون (وزير خارجية الهند بالوكالة) .

آثارت هذه الحوادث من جديد المشكلة التي ظل نورث بروك يرفض الاعتراف بها وهى مشكلة السيادة التركية على الساحل الشرقى للاحساء ، وأنه طالما بقيت هذه السيادة غير مؤكدة سواء فى طبيعتها أو فى حدودها فان قبائل المنطقة ستظل ترفض نظام الرقابة الذى أدخلته الحكومة البريطانية على المياه الساحلية ، وسيستمر فى طلب الحماية التركية لها دون أن يكلفها ذلك أية اعباء ، نظرا لأن الأتراك لم يكونوا يمارسون سيطرة حقيقية على تلك المناطق الساحلية لكن نورث بروك ظل يرفض بحث تلك المشكلة حتى فبراير ١٨٧٦ عندما ذكر « انه طالما امتنع حاكم الدوحة عن القيام بخرق المعاهدة البحرية وعن التدخل فى شئون حلفائه ، فليس من حق الحكومة البريطانية الاعتراض على مدى خضوعه للسيادة التركية ، كما انه لا مصلحة لبريطانيا فى مثل هذا الاعتراض وبأن السياسة التي تسير عليها تقضى بتجنب التورط فى المشكلات الداخلية لشبه الجزيرة (١) والسؤال الذى سينبنى على ذلك هو ما الذى ستفعله بريطانيا لو حال خضوع حاكم الدوحة للسيادة التركية من اتخاذ اجراءات ضده عن الانتهاكات التي قد تقع فى مياهه الإقليمية ؟ كان بيروودو ، الذى كان يشغل منصب المقيم السياسى بالوكالة عام ١٨٧٦ بدلا من روس الذى كان فى اجازة ، يطالب باتخاذ موقف جاسم من هذا الموضوع وبأسرع وقت .

وقبل بضع سنوات من ذلك لاحظ بيروودو فى معرض اشارته الى جرائم القرصنة التي وقعت خلال شهرى يوليو وأغسطس :

« أن الحكومة البريطانية تستطيع ممارسة نفوذها وأن تحصل على تعويضات عن الأضرار التي تنشأ من حوادث القرصنة ، ولكن بما أن الحكومة التركية تفرض سيطرتها على ساحل قطر ، فلا بد من البحث عن وسائل أخرى للحصول على التعويضات . ولا أخالنى فى حاجة الى أن

(٢) الرسائل والمرقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٧ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٧٦/٢/٤ « رقم ٢٨ الادارة السياسية الخارجية) .

أوجه عناية الحكومة الى الأضرار الخطيرة التي قد تتعرض لها مصالحنا ومركزنا في المنطقة ، لو أن دول المنطقة الموقعة على معاهدة الهدنة البحرية والمحظور عليها بموجب هذه الاتفاقية الرد على الاعتداءات التي تتعرض لها في البحر من جانب الدول غير المشتركة في تلك المعاهدة لم تجد من يحميها من تلك الاعتداءات » .

كما كلف الاعتداء الذي تعرضت له إحدى سفن أبو ظبي في خور العديد في نظر بيروودو نذيرا الأخطار جسيمة مقبلة ! في ذلك الوقت كانت مشكلة البحرين نائمة ، غير أن مشكلة أهم قد برزت وسوف تزداد خطورة اذا لم يتم حلها بسرعة . فقد تسلم بطي بن خادم زعيم القبسات في خور العديد نسخة من العلم التركي سلمه اليه أحد المسؤولين الأتراك في الدوحة ، وكان من عادته أن يرفع ذلك العلم على مبنى مقره كلما جاء مسئول تركي لزيارته ، كما كان بطي يحتفظ أيضا بعلم الهدنة الذي حصل عليه والده ، كما قيل أن المقيم البريطاني الكولونيل بيلي كان يستعمل هذا العلم كلما شعر بخطر من أحد زعماء المنطقة . وكان بطي يدفع زكاة سنوية الى جاسم آل ثاني تحسبا للطوارئ (١) .

في شهر سبتمبر ١٨٧٦ اقترح بيروودو على الحاكم العام بأن يتم تحصيل التعويضات عن حادث سفينة أبو ظبي الذي وقع في الدوحة عن طريق الباب العالي ، رغم أن اجراء كهذا لن يكون مجديا نظرا لان موضوع فرض العقوبات على سكان خور العديد والمنطقة الساحلية المجاورة قد لا ينطبق عليه . وعلى الرغم من أن كلا من بنى حجر وبنى مرة خاضعتان لسلطة الباب العالي الا أن المناطق التي يمارسون فيها نشاطهم كالدوحة مثلا تقع خارج الخط الساحلي حيث سلطة الأتراك عليه سلطة اسمية فقط .

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٣ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٩٨ المؤرخ ١٣/٥/١٨٧٥ من فريزر (مساعد المقيم بالوكالة) الى روس ٨/٣/١٨٧٥ (رقم ٣) .

ومن ناحية أخرى فان خور العديد كما تأكد لبرودو من مراجعته للفتات الممثلة البريطانية جزء من أراضى أبو ظبى ، ولما كانت الحكومة البريطانية قد منعت حاكم أبو ظبى من تأكيد سلطته على القبيسات بموجب قرار حكومة الهند الصادر فى عام ١٨٧٣ ، فقد استحال عليه اتخاذ اية اجراءت ضد تلك القبيلة عن طريق البحر . أما بطى بن خادم فبالرغم من كونه زعيما مسالما ، شأنه شأن معظم زعماء القبيسات الا أنه لم يستطع السيطرة على العناصر المتمردة التى كانت تتدفق بأعداد كبيرة الى العديد وتحويلها الى قاعدة وكر للقرصنة ولهذه الأسباب اقترح برودو البحث عن مسئول آخر يستطيع السيطرة على هذه المنطقة ويعد مسئولا عن تصرفات أتباعه . أما الأتراك فلم يكونوا يمارسون اية سلطة هناك ، فضلا عن أنهم لم يكونوا يرغبون فى ذلك ، ومن ناحية أخرى فأنه لو سمحنا للشيخ زايد بن خليفة اتخاذ اجراءات ضد سكان العديد فان ذلك قد يدفع بطى بن خادم الى طلب الحماية التركية .

وقد لخص برودو المشكلة فى نقطة واحدة وهى أن الأمر يتطلب الوصول الى نوع من الاتفاق والتفاهم بين الحكومتين البريطانية والتركية حول حدود سلطة كل منهما على منطقة الساحل العربى :

« انه بالنظر الى مصالحنا المباشرة ، ووضع كل من الحكومتين البريطانية والتركية فى المنطقة ، فسوف يكون من الأجدى مطالبة الباب العالى بتحديد المناطق التى يطالب بالسيادة عليها ، وأرى لزاما على أن أشير الى أن السياسة التى كانت متبعة بنجاح كبير فى اليمن يمكن تطبيقها فى الخليج ، وبالتالي فيتعين على الحكومة البريطانية الاعتراف لتركيا بالسيادة الاقليمية على الساحل العربى ضمن حدود معينة . ومن حسن الحظ فان المناطق التى تطالب بها تركيا يمكن تحديدها بدقة جغرافية اكثر من مناطق الحدود فى اليمن . فالموانئ التركية على الخليج هى الكويت ، والقطيف ، والفجير ، والأخير هو ميناء الاحساء ، وهو ميناء هام للأتراك لاجراء اتصالاتهم بنجد . وعلى الجانب الساحلى من الخور

يمتد نتوء (رأس) كبير يتكون فى معظمه من أرض رملية حجرية يسكنها بعض البدو الرحل ، ويعرف الجزء الساحلى من ذلك الرأس بساحل قطر ، ويضم البدعة والوكرة والعديد بالاضافة الى مرفأين أو ثلاثة مرفأء صغيرة . ومن ثم فان استيلاء الأتراك على هذا الساحل لا يعطيها أية مزايا ، غير أن السيادة الوهمية التى تمارسها تركيا على هذه المنطقة والتى تمثل فى وجود قسوة عسكرية صغيرة ترابط فى البدعة قد بدأت تشكل خطرا على مصالحنا ، نظرا لتدخل المسئولين الأتراك فى شئوننا التجارية المشروعة ، والتى لنا ولا نزال نحقق من ورائها كثيرا من المكاسب . وباستثارتهم للمشاعر القومية للسكان العرب فى هذه المناطق . لهذا أرى أن تقوم تركيا بمبادرة ودية للتنازل عن حقوق السيادة عن ذلك الجزء من الساحل الغربى الممتد من جنوب العقير وكوع خليج البحرين ، ولو تم ذلك فان هذه المبادرة سوف تخدم مصالحنا الى حد كبير ، وبالتالي يمكننا أن نضع حدا لروح القرصنة التى تسود القبائل العربية سكان هذه المنطقة » (٢) .

كان بيروودو متقدما على عصره ثلاثين عاما تقريبا ، فالحدود التى اقترحها والتى كانت تنبؤاته دقيقة فيها لم تظهر الى حيز الوجود قبل عام ١٩١٣ عندما تم رسم حدود السيادة التركية فى الأجزاء الشرقية من شبه الجزيرة العربية فى اطار الاتفاق البريطانى - التركى المعقود فى ٢٩ يوليو من نفس العام ، وتبدأ تلك الحدود من نقطة على الساحل جنوب العقير أمام جزيرة الزجنونية وتمتد جنوبا حتى منطقة الربع الخالى ، وهو الخط الذى عرف فيما بعد « بالخط الأزرق » . تولى اللورد ليتون منصب الحاكم العام للهند خلفا لنورث بروك فى إبريل ١٨٧٦ . وعلى الرغم من أن ليتون كان يرغب فى اتخاذ موقف أكثر ايجابية من سلفه

(١) الخطابات والمرفقات السرية من الهند مجلد ١١ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) ٢٢٣ المؤرخ ١٨٧٦/١١/٩ من بيروودو الى ثورنتون ١٨٧٦/٩/١٦ (رقم ٢١٢) .

تجاه الأتراك فى الخليج الا أنه لم يوافق على ان الوضع فى شبه الجزيرة فى عام ١٨٧٦ كان خطيرا بحيث يستوجب اجراء تلك المفاوضات الطويلة والمعقدة التى لا بد وان تواجه آية محاولة لتخطيط حدود السيادة التركية فى شبه الجزيرة (١) كما انه فى نفس الوقت لم يكن ليقبل أى تقلص للوجود البريطانى على ساحل شبه الجزيرة من جراء التوسع التركى . وكان بيروود قد أعرب عن رأيه فى أن اعمال القرصنة التى اقترفت خلال عام ١٨٧٦ كانت ترجع الى تلك الاسباب واردف يقول باننى اخشى بالاتنعم منطقة خور العديد بهدوء دائم (٢) ما لم تستبعد بريطانيا نفوذها هناك ، ولهذا فقد كان ليتون مصمما على استعادة ذلك النفوذ وبأن المحاولات لتحقيق ذلك الهدف يجب أن تبدأ من خور العديد .

فى منتصف اكتوبر أوفد بيروود الكابتن جاترى الى الدوحة على رأس السفينة الحربية « يى فريد » لتسليم رسائل الى زعماء المنطقة واكتشاف النشاط التركى فى المنطقة . وفى الدوحة اجتمع قائد السفينة بمحمد بن ثانى وعرف أنه يوجد فى الدوحة عدد يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ جنديا تركيا يرابطون ويرتدون الزى التركى (٣) وعرف أيضا أن جاسم آل ثانى يدفع زكاة سنوية للأتراك تتراوح بين ٦٠٠٠ و ١٠٠٠٠ كزان وعندما كان فى العديد يوم ١٨ اكتوبر عرف أن هناك نحو ٢٠٠ من رجال القبائل واسرهم يعيشون فى تلك المنطقة ويمتلكون نحو ٣٠ سفينة

(١) نفس المجموعة من هنى الى بيروود سملا ١٨٧٦/١١/٧ (رقم ٢٦٧٨ الادارة الخارجية) .

(٢) من بيروود الى ثورنثون ١٨٧٦/٩/١٦ (٢١٢) .

(٣) وكان احدهم برتبة رقيب وقد ذكر لجاترى بانه من بشاور . وكان جنديا عند احتلال البريطانيين لدلهى وآته التحق بالعمل عند الأتراك فى بداية الحملة التركية على نجد ، ومنذ ذلك الوقت فقد امضى ثلاث سنوات فى العمل فى واحة الاحساء والقطيف والدوحة .

لصيد اللؤلؤ . كما وجد أن معالم المدينة تتطابق تماما مع أوصاف
بيروودو لها .

تقع خور العديد على الجانب الشرقى من حاجز الامواج عند حافة
جبل العديد . وفى عام ١٨٤٥ وصف اللفتنانت كامبل هذه المنطقة بانها
أكثر المناطق جفافا وفقرا . وتتألف وسائل الدفاع عن المنطقة من قلعة
تضم برجين كما توجد على الجهة اليمنى أربعة أبراج أخرى متباعدة
قليلا ، وبالقرب من الشاطئ برجان منفصلان ، وهذان البرجان بالإضافة
الى البرج الاخر الواقع خلف المنطقة السكنية يشكلان خط الدفاع عن
البلدة من الجهة اليمنى . أما الجانب الآخر فترتفع مجموعة من المساكن
الربعة ابنية على التلال الصغيرة تتحكم فى مناطق الرى التى يعتمد
عليها السكان (١) .

كان الشيخ بطى بن خادم يرفع علم الهدنة عند وصول القبطان
جائرى ، غير أنه ذكر لجائرى بأنه يدفع مبلغا سنويا الى الحكومة التركية
يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ ريالا سنويا كل عام عن طريق الشيخ جاسم آل ثنى
وأن الاتفاق على دفع هذه الزكاة قد تم التوصل اليه عند زيارة احدى
السفن التركية الى العديد قبل ثلاث أو أربع سنوات ، ولكن بأنه لم
يعد يوجد أتراك فى العديد ، كما لم يصل أى تركى للإقامة فى المنطقة .
لقد كان الأتراك عقلاء ، الا أنه استدرك قائلا ربما لأن طعم المياه كسريه
فى خور العديد لا تتحملة امعاؤهم .

واستطرد زعيم القبيسات يقول : بأنه لم يقترف أى من سكان العديد

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١١
مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٢٣ المؤرخ ١٨٧٦/١١/٩ مذكرة
من بيروودو ١٨٧٦/٩/١٤ .

أى عمل عدواني أو خرق للأمن فى المياه البحرية ، وعندما قص جاترى ما ذكره بطى على بيروودو بأن كلام زعيم القبيسات يصدق على أفراد قبيلته فقط ، أما القبائل الأخرى وعلى الأخص قبيلتا مرة وبنى حجر فقد كانوا يتخذون من منطقة العديد قاعدة للقيام بالقرصنة ، وأكد بأن هؤلاء سوف يستمرون فى انتهاكاتهم هذه الى أن تتوفر القوة اللازمة لكبح جماحهم واحكام السيطرة على المنطقة . ولهذا فقد أقترح بيروودو فى شهر فبراير ١٨٧٧ بأن تكلفه حكومة الهند بحل الخلاف بين الشيخ زايد حاكم أبو ظبى وقبيلة القبيسات عن طريق وكيل الممثلة البريطانية فى الشرق ، وإذا ما فشلت هذه المحاولة فيمكن تقديم مساعدة عسكرية للشيخ زايد لفرض سلطته على القبيلة . وكان بيروودو يعتقد بأن الأتراك لن يعارضوا محاولة كهذه ، لأن منطقة العديد كانت الى سنوات قليلة مضت جزءا من أراضى أبو ظبى (١) . وفى مايو ١٨٧٧ وافق ليتون على الاقتراح رفض بيروودو فى ذلك وقال بأن الدولة التى تحول بين حاكم أبو ظبى واخضاع قسم من رعاياه لسلطته الشرعية تعتبر مسئولة عن فرض تلك الطاعة بالنيابة عنه سواء بالطرق السلمية أو باستخدام القوة إذا لزم الأمر . كما طالب ليتون بوجود الاتصال بالباب العالى ومطالبته بالعمل على منع قبيلة مرة من ارتكاب أعمال السلب والنهب ، وذلك لأن الباب العالى يدعى السيادة على تلك القبيلة (ومرة أخرى قامت تلك القبيلة بالهجوم على إحدى مشيخة أبو ظبى على ساحل العديد فى نهاية العام) .

كان سالسبورى مثل ليتون مصمما على وضع حد لمخطط استنزاف النفوذ البريطانى الذى ينفذه الأتراك سواء بالطرق المباشرة أو باستغلال القبائل الساحلية التى كانت تؤيده فى ذلك التحدى .

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٤ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٧٨ المؤرخ ١٠/٥/١٨٧٧ من بيروودو الى ثورنتون ١٨٧٧/٢/٢٣ : (رقم ٢٣) .

ولا يعتبر انهماك تركيا فى الحرب مع روسيا وانسحابها من البلقان سببا كافيا فى نظر سالسبورى لسكوت بريطانيا عما يجرى فى الخليج . ويطلب منه الإعاز الى السير هنرى لايارد السفير البريطانى فى القسطنطينية فى شهر يوليو ١٨٧٧ بوجوب توجيه نظر الباب العالى الى ما يشكله تزايد أعمال القرصنة على ساحل قطر من خطورة على الأمن ، الأمر الذى كان نتيجة لتوسع النفوذ التركى فى منطقة شبه الجزيرة ، وبتحذيره من أن الحكومة البريطانية لن تقف متفرجة من أية محاولات لخرق السلام والأمن فى الخليج أيا كان مصدرها . وفى الوقت نفسه قرر سالسبورى تعزيز التعليمات التى أرسلت الى لايارد بشأن العديد ، على الرغم من أنه لم يكن يرغب فى أن يتطرق لايارد أثناء محادثاته مع الباب العالى الى أية عبارة تنطوى على التشكيك فى سلطة الباب العالى على زعماء العديد ، والى عدم الإشارة الى هذه المسألة بالذات .

فى يوليو سلم لايارد المذكرة الى صفوت باشا وزير الخارجية التركية ولكن صفوت أبلغه بأنه لايدأ أولا من الاتصال بالوالى التركى فى البصرة لمعرفة رأيه قبل الرد على مذكرة الحكومة البريطانية . وفى بداية شهر أغسطس ذكر صفوت باشا للسفير بأن رد ناصر باشا السعودون يتضمن التفسير الحقيقى للمشكلة فقد أكد بأن الهدوء يسود المنطقة من أقصاها وأنه لم تقع أية أعمال للقرصنة كالتى أشار اليها لايارد (١) . وإذا استثنينا الكلام المعسول فى خطاب ناصر السعودون فقد كانت السلطات البريطانية لا تتوقع أن يحصل السفير من الأتراك على رد مقنع . ومع غروب شمس الامبراطورية العثمانية كنتيجة للحرب الطاحنة التى تخوضها ضد الروس فلم يكن من المعقول أن تهتم الحكومة التركية بما يقوم به بعض العصابات على أطراف الامبراطورية . وعلى أية حال

(١) نفس المصدر مجلد ٢٠ من صفوت باشا الى لايارد ١٨٧٧/٨/٢ وحول الى مكتب شئون الهند والأصل بالفرنسية وكذلك خطاب لايارد الى صفوت باشا ١٨٧٧/٧/٩ فى نفس المجلد .

فبعد أن مرت الأزمة وتم انقاذ الامبراطورية أبدى الاتراك استعدادهم لمناقشة مثل تلك الامور ولكن بشروطهم . فى شهر مايو ١٨٧٨ أى فى ذروة المفاوضات الدائرة حول مشكلة قبرص استدعى صادق باشا رئيس الوزراء التركى السفير ليارد وقرأ عليه نص برقية تلقاها من ناصر باشا السعدون تتضمن معلومات مثيرة عن هجوم بحرى قام به حاكم أبو ظبى زايد بن خليفة على خور العديد واشتركت فيه سبعون سفينة تعززها بعض السفن الحربية البريطانية وياشرف القنصل البريطانى فى بوشهر وطالب صادق باشا الحكومة البريطانية بايضاحات مقنعة عن تلك الحملة على الاراضى التركية .

أن وجهة النظر التى عرضها صادق باشا على السفير البريطانى عن احداث العديد التى وقعت قبل شهرين لم تكن دقيقة لأن روس الذى كان قد عاد من الاجازة فى أواخر عام ١٨٧٧ لم يتمكن من تنفيذ تعليمات ليتون الصادرة فى شهر مايو السابق بسبب نقص السفن الحربية . وفى أوائل مارس عام ١٨٧٨ وصل الطراد البريطانى تيرز الى بوشهر وبادر روس الى اليعاز لوكيل المثلثية فى الشارقة بالتوجه الى أبو ظبى وابلاغ حاكمها بأن روس يرغب فى الاجتماع به فى جزيرة كفاى على بعد ١٢ ميلا شرقى العديد يوم ٢٨ مارس وبأن يصحب معه كتيبة من رجال القبائل . وعليه الا يقوم بأية عمليات قبل وصول روس الى مكان الاجتماع . غادر روس بوشهر يوم ٢٥ مارس على الطراد تيرز وقد توقف فى طريقه فى البحرين لاصطحاب أحد المرشدين ووصل الى ساحل الوكرة يوم ٢٨ مارس ، وامضى الطراد الليل فى الوكرة ، وفى صباح اليوم التالى ابجر الى جزيرة كفاى . وبعد أن قطعت السفينة بعض المسافة شاهد روس ٢٠ سفينة قادمة من جنوب المنطقة ثقل مجموعات من رجال قبيلة القبيسات وكانت آتية من العديد ، غير ان الطراد وأصل سيره الى العديد ، الا انه لم يتمكن من الوصول الى الجزيرة قبل ٣٠ مارس بسبب التيار المعاكس للريح . وعند وصول روس الى المكان وجد الشيخ زايد ورجاله منهمكين فى هدم المستوطنات وردم الآبار . يبدو أن الشيخ زايد وصل الى مكان الاجتماع فى ٢٦ مارس وكان

بصحبتة ألف مقاتل تقلهم مائة سفينة . وقد مكث يوما واحدا فى الانتظار ، ولكنه خشى أن تهب عليهم الرياح الشمالية ولذلك اتجه الى خور العديد التى وصلها فجر يوم ٢٨ مارس وقد تبين له أن أهل البلدة قد نزحوا عنها بعد أن تسربت أخبار الحملة الى الشيخ بطى بن خادم وأتباعه ففادروا العديد فى نفس تلك الليلة . وقد ذكر زايد لروس بأنه سوف يسوى البلدة بالأرض ليمنع أى جماعة من الاستيطان بها ، كما قال بأنه اذا اراد القبسات الصلح فيتعين عليهم أن يعودوا الى أبو ظبى ، وقد أقره روس على ذلك الرأى لانه كان واثقا من تبعية قبيلة القبسات للشيخ زايد ، وعلى أية حال فقد كان زايد يقول ، بأن وضع القبسات فى العديد ، ورفض حكومة الهند السماح له باتخاذ الاجراءات الكفيلية باخضاعهم كان يحول دون ممارسته لسلطة فعالة على بنى ياس المنتشرين فى المنطقة الساحلية والجزر الواقعة غرب أبو ظبى . وبناء على ذلك فقد أخذ روس تعهدا خطيا منه عن سلوك بنى ياس وعدم ارتكابهم أية أعمال تخل بالأمن فى المناطق التى يقيمون فيها (١) .

عند اطلاع ليتون على أقوال صادق باشا فانه لم يعزها أى اهتمام وكتب خطابا الى رئيس الدولة لشئون الهند ذكر فيه :

« ان العديد منطقة تابعة لحاكم أبو ظبى الذى تربطه بالحكومة البريطانية معاهدات مباشرة وأن ادعاء بطى بن خادم بأن العديد تخضع للسيادة التركية ادعاء باطل ولا أساس له من الصحة ، ومن الجائز أن بطى قد رفع علم الاتراك فى بعض المناسبات وأنه قد طلب الحماية التركية أيضا ، وربما يكون قد دفع الزكاة لهم أيضا ، غير أن العديد لم يعترف

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٢٢ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ١٢٧ المؤرخ ١٨٧٦/٥/٢٢ من روس الى ليال (سكرتير حكومة الهند) ١٨٧٨/٤/٦ (رقم ٦٥) ومرفق معه التصريح المؤرخ ١٨٧٨/٥/٣١ ومكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية .

بها كمنطقة مستقلة اطلاقا ، وأن المستوطنة التي انشأها الشيخ بطى تعتبر اجراء مخالفا لحقوق أبو ظبي التقدمية ، وبأن طلب الشيخ وأتباعه الحماية التركية ، لا يمكن بأى حال أن يكون مبررا لمطالبة الأتراك بالسيادة على المنطقة . لأن القبول بهذا المنطق سوف يشجع حكام المنطقة الى اتخاذ نفس الخطوات مما قد يشكل ذريعة للتخلص من العقوبات أو ممارسة السلطة عليهم » (١) .

خلال السبعينات من القرن التاسع عشر أبدى الأتراك اهتماما وان لم يكن مباشرا بظفار الواقعة على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة .

كانت ظفار من النواحي الشكلية خاضعة منذ عام ١٨٢٩ للسيد سعيد ابن سلطان حاكم مسقط فى أعقاب وفاة محمد عقيل الذى كان يحكمها مند بداية القرن . ولفترة ما خضعت ظفار لأمريكي يدعى عبد الله لورلى الذى كان قد وقع أسيرا فى يد محمد عقيل فى احدى غارات القرصنة التى كان يقوم بها فى منطقة البحر الأحمر ، وكان عمر الأمريكى يومئذ لا يزيد على ١٠ سنوات وقد نشأ عند احدى قبائل المهرة ، ونظرا لما كان يتمتع به هذا الأمريكى من الذكاء والجرأة فقد قاد احدى المعارك الناجحة لقبيلة المهرة ضد قبائل القرا ، أسفرت عن فرض سيطرته على ظفار (٢) ولم يتضح آو يتأكد نوع العلاقة التى كانت تربط ظفار بمسقط خلال

(١) الرسائل والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٢٢ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٨٧٩/٥/٢٢ (رقم ١٢٧ الادارة الخارجية السرية) كان بطى بن خادم وقبيلة القبيسات على وفاق مع زايد بن خليفة عام ١٨٨٠ وغادوا من الدوحة الى أبو ظبي وبقوا فيها من عام ١٨٧٨ .

(٢) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٤ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى رقم ٢٠ المؤرخ ١٨٧٧/٦/٢٥ من مايلز الى بيروودو ١٨٧٧/٥/١٠ (رقم ٢٠١) ومن المحتمل أن يكون قد أسرفى السفينة الشراعية اسكس .

فترة منذ منتصف القرن . وقد ذكر السيد تركى بأن وفدا من ظفار
قد وصل الى مسقط خلال حكمه وحكم السيد ثوينى سنة ١٨٥٦ وحكم
السيد سالم بن ثوينى سنة ١٨٦٦ للتعبير عن ولائهم لحكام أسرة
آل بوسعيد وللحصول على نسخة من علم مسقط ويؤيد مايلز رواية
السيد تركى فقد أكد بأن زعماء قبيلتين ظفاريين على الأقل قد زاروا
مسقط فيما بين ١٨٧١ و ١٨٧٦ ليعربوا عن ولائهم للسيد تركى
ابن سعيد (١) .

فى شهر يونيو ١٨٧٦ طرح موضوع السيادة على ظفار للمرة الأولى
على بساط البحث ، وذلك عند وصول مبعوث من صلالة الى مسقط
بخطاب من السيد الفضل بن علوى الحسينى الى السيد تركى وقد
استهل مرسل الخطاب رسالته بعبارة تقول : « من حكومة ظفار التابعة
للامبراطورية العثمانية » (٢) . ويذكر مايلز بأن السيد الفضل قد وصل
الى صلالة هو وأفراد أسرته قادما من مكة وجدة قبل عشرة أشهر من
ذلك التاريخ وتمكن من فرض سلطانه على المهرة ، كما خاض معارك عديدة
ضد سكان القرا فى المناطق الداخلية من ظفار . وصلت أولى المعلومات
عن وجود السيد الفضل فى ظفار فى شهر فبراير ١٨٧٦ . وقد أكد هذه
المعلومات مترجم المثلثة البريطانية فى عدن نقلا عن أحد التجار الهنود
الذين زاروا صلالة ، فقد ذكر التاجر بأن السيد الفضل قد ذكر له بأنه
قد أجرى اتصالات بالحكومة التركية وعرض عليهم فيها رغبة سكان
ظفار فى الانضواء تحت حكم الأتراك ، وأنه طلب منهم أن يزودوه

(١) نفس المصدر مجلد ١٠ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٣٦

المؤرخ ١٨٧٦/٩/٤ من مايلز الى بيروودو ١٨٧٦/٦/٢٢ (٢٦٩ - ٩٥) .

(٢) نفس المصدر من فضل بن علوى الى السيد تركى بن سعيد

١٨٧٦/٥/١٥ .

سفينتين و ٥٠٠ جندي لحفظ الامن فى البلاد (١) .

كان الفضل بن العلوى معروفا لدى السلطات الهندية ، فهو عربى من أصل حرمى وقد أقام فى ساحل ملبار وتزوج من سيدة هندية ، وقد أطلق على نفسه لقب « السيد » وكان المسلمون فى ملبار يعتبرونه من أولياء المسلمين ، وعندما كان فى ملبار كان يقوم بنشاط سياسى واثارة المسلمين ضد السلطات البريطانية . وبعد وقوع عدد من الاضطرابات التى حرض عليها العلوى ، قررت حكومة الهند نفيه عام ١٨٥٢ . ولقد حاول اغتيال القاضى الذى حكم عليه بالنفى انتقاما من ذلك الحكم . وقد انتقل فيما بعد للإقامة فى مكة . وقبيل وفاة السيد سعيد بن سلطان حصل منه على اذن بالإقامة فى ظفار . وقد أيد مايلز ما ذكره له السيد تركى من أقوال الفضل ، الا أن مايلز يرجح أن التصريح له بالإقامة فى اراضى السلطنة قد صدر من السيد ثوينى لا من والده (٢) .

وأيا كان ذلك فلم يكن للفضل الحق فى حكم ظفار ، فضلا عن الاعلان بأن ظفار محمية للباب العالى . وقد قدم السيد تركى احتجاجا على نشاط الفضل ، وطلب من مايلز مساعدته على استرجاع الاقليم منه ، فاحال مايلز طلب السيد تركى الى بيروودو الذى وافق عليه ثم بعث به الى الحاكم العام للهند . وقد علق بيروودو على طلب السيد تركى بأن الفضل شخص خطير حاقد على بريطانيا وأن دعوته أكثر تطرفا من الدعوة الوهابية (٣)

-
- (١) نفس المصدر مجلد ٨ مرفق للخطاب الخارجى (ا سياسى رقم ٧٠)
المؤرخ ١٨٧٦/٣/٢٤ من البريجدير جى . دبليو . ساندوز (المقيم السياسى) الى جون ١٨٧٦/٢/٧ (رقم ٢٨ - ١٥٤) .
(٢) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٠ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٣٦ المؤرخ ١٨٧٦/٩/٤ من مايلز الى بيروودو ١٨٧٦/٦/٢٢ (رقم ٢٦٩ - ٩٥) .
(٣) نفس المصدر خطاب من بيروودو الى نورثتون ١٨٧٦/٧/٥ رقم ٦٦١ - ١٣٧) .

غير أن ليتون لم يجد من المناسب اتخاذ اجراءات ضد الفضل فى ذلك الوقت ، الا انه اقترح على سالسبورى باجراء تحقيقات عن نشاط المذكور فى القسطنطينية ، وأن يحاول اقناع الباب العالى باصدار بيان يستنكر فيه تصرفات العلوى (١) . وفى شهر اكتوبر ١٨٧٦ أرسلت تعليمات الى اليوت باثارة موضوع الفضل بن علوى مع سلطات الباب العالى ، لكن دون أن يشير الى أن الحكومة التركية وراء نشاطات المذكور أو يلمح الى تبعية ظفار لمسقط بأى حال من الأحوال (٢) .

بعد هذا انقطعت اخبار الفضل بن علوى حتى شهر نوفمبر ١٨٧٧ عندما تلقى البريجدير جنرال فرانسيس لوك ، المقيم السياسى البريطانى فى عدن خطابا منه ذكر فيه ، أن بعض السفن التى ترفع الاعلام الحمراء قد أخذت ترئاد مياه البحر العربى ولكنه لم يستدل على هويتها ، ولعله كان يقصد بتلك الاعلام الحمراء الاعلام التركية ، وقال بأن الحكومة التركية قد اعتادت اصدار مثل تلك الاعلام للسفن التى تمارس أعمال القرصنة فى تلك المناطق ، وكان فضل يحاول أن يلفت نظر المقيم الى موضوع تلك السفن اعتقادا منه فى أن الحكومة البريطانية قد اهتمت سابقا بتنظيم الملاحة فى ممتلكات الدولة السامية (أى تركيا) نظرا لعدم وجود مثل ذلك النظام فى شبه الجزيرة العربية (٣) ، وتأكد ليتون من المعلومات التى تجمعت لديه ، بأن الفضل قد نجح بالفعل فى توطيد حكمه فى ظفار معتمدا فى الأساس على تأييد قبائل القرا التى يقدر عددها فى ذلك الوقت

-
- (٣) نفس المصدر مجلد ١٠ من من الحاكم العام الى وزير الدولة
١٨٧٦/٩/٤ (رقم ٣٦ الادارة الخارجية السرية) .
(٢) المكاتبات السياسية والسرية لحكومة الوطن مجلد ١٤ من دربى
الى اليوت ١٨٧٦/١٠/٢١ (رقم ٦١٠) .
(٣) الخطابات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٧ مفرق للخطاب
الخارجى (سرى) رقم ١٤ المؤرخ ١٨٧٨/٢/١ من فضل بن علوى الى لوك
رمضان ١٢٩٤ هـ سبتمبر ١٨٧٧ .
(٤٣ - بريطانيا والخليج / ٢)

بثلاثة آلاف وخمسمائة فرد كما كان هناك نحو ألفى رجل من قبائل الكثيرى
تناصره أيضا . وقد استنتج لوك ، على ما يبدو أن امكانيات فضل لنشر
الاضطرابات قد تزايدت ، ولذلك اقترح على حكومة الهند ارسال سفينة
جارية الى ظفار ومطالبة الباب العالى بالكف عن التدخل فى شئونها . ونظرا
لاشمتباك الأتراك فى حرب مع الروس فى تلك الفترة فقد فضلت حكومة
الهند الا تقوم بأية خطوة للضغط على حكومة الباب العالى فى هذ الموضوع ،
كما ارتأت أن ارسال طراد حربي بريطانى الى ظفار قد يرفع من شأن
الفضل ويزيد فى أهميته (١) .

كان هذا القرار قرارا سليما بالنسبة لاقتراحات لوك . وفى الأشهر
الآخيرة من عام ١٨٧٨ ضاقت قبائل ظفار ذرعا بحكم ابن علوى . ومما زاد
الظنين بلة وقوع موجة من الجفاف وتفشى الامراض مما سبب خسائر
كبيرة فى الماشية والانتاج الزراعى ، ولم تصدق هذه القبائل ما زعمه ابن
علوى من أن السبب فى ذلك هو رفضها دفع الزكاة اليه . وقد تدهور
مركزه أكثر بعد أن حاول تحصيل الزكاة منهم بالقوة . فضريبة الزكاة الى
جانب رسم الخمسة فى المائة الذى كان يتقاضاه ابن علوى على الصادرات
والواردات قد اضاف شيئا جديدا على السكان مما اضطر نحو ٣٠٠
شخص الى طلب الخدمة عند السيد تركى فى مسقط . وكانت القشة التى
قصمت ظهر البعير هى قيام ابن علوى ببناء قلعة فى صلالة لاحكام قبضته
على البلاد . وفى خريف ١٨٧٨ شنت قبائل القرا هجوما على تلك القلعة
ولكنهم ردوا على أعقابهم مما شجع فضل على المطالبة بتسليم المسئولين
عن تلك العملية اليه ، وبمساعدة بيت كثير تم اعتقال خمسين شخصا منهم
إخدهم فضل رهينة لديه ، غير أن تلك العملية حركت القلق فى نفسه فقام
بإيفاد رسولين الى اليمن يطلب المساعدة من الوالى التركى فى صنعاء
ومن شريف مكة . وقد اعطى تعليمات للرسولين بأنه فى حالة فشلهما

(١) نفس المصدر من لوك الى جاردين (سكرتير حكومة بومباى
بالوكالة) ١٨٧٧/١١/٢٠ (رقم ٢٣٠ - ١٣١٧) . ومن ايشيشيون الى
جاردين ١٨٧٨/١/١٤ (رقم ١٠٩) .

فعليهما أن يجعما بعض الأتراك والعرب وأن يحضراهم الى صلالة وذلك محاولة منه لاضفاء الأهمية على مركزه فى الأوساط القبلية فى ظفار .

غير أن الحظ لم يحالفه فقد عاد المبعوثان بخفى حنين . وفى بداية ١٨٧٩ ثارت عليه قبائل كثيرة وتمكنت فى أواخر يناير ١٨٧٩ من اقصائه عن البلاد ، فتوجه بصحبة أسرته الى المكلا ، ومنها الى جدة . وعلى الرغم من أن مبادرة بيت كثير كانت من تلقاء أنفسهم ، إلا انها لقيت التأييد من السيد تركى . وفى أوائل ١٨٧٨ بعث زعيم بيت كثير عوض بن عبد الله برسالة الى السيد تركى يشكو فيها من تعسف فضل . وقد رد السيد تركى مؤكدا بأن ظفار تابعة لمسقط ولا دخل لتركيا فيها ، وبالتالي فلا بد من العمل لطرد فضل من ظفار ، بعد شهر من ارسال الخطاب توجه عوض شخصيا الى مسقط وأعلن ولاءه للسيد تركى ، وقد أبلغ السيد تركى العتمد السياسى فى مسقط مايلز بأنه قرر تعيين عوض واليا على صلالة ، وبعد ذلك بقليل عاد عوض لاستلام منصبه ومعه قوة من الحرس المسلح . ومنذ ذلك التاريخ ظلت ظفار تخضع لسلطين مسقط (١) .

من الصعب تحديد مدى الاهتمام الذى كانت تبديه الحكومة العثمانية بالتمرد الذى قام به فضل فى ظفار ، ومن المؤكد انها كانت تعلم به ، ولا بد أن تكون قد اطلعت على خطة التمرد من فضل عندما كان يقيم فى مكة وأنها كانت تشجعه . كما أن من المؤكد أن السلطات التركية قد رحبت بفضل عند قدومه من الاسكندرية فى شهر مايو ١٨٧٩ كما أن احد مرافقى عبد الحميد العسكريين قد اجتمع به فى الباخرة وأعدت له مقابلة

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية مجلد ٢٢ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ١٠٥ المؤرخ ١٨٧٩/٥/١ من لوك الى جون ١٠/٢٨ و ١٨٧٨/١١/٢٢ (رقم ٢٢٥ - ١٤١١ و ٢٥٠ - ١٥٥٦) ١/٣ و ١٨٧٩/٢/٤ (رقم ٣ و ٩ و ٤٢ و ٢٠٨) وخطاب من مايلز الى روس (رقم ٥٧) ١٨٧٩/٢/٢٠ .

مع السلطان فى قصر يلدز . واعتبروه ضيفا على السلطان وخصص لاقامته منزل عثمان بك ياور السلطان (١) وهكذا انضم الى حاشية السلطان كواحد من المشايخ الدينيين الذين كان السلطان عبد الحميد يحيط نفسه بهم . حتى وفاته بعد أكثر من اثنى عشر عاما .

فى حساب مايلز ذكر المقيم السياسى بأن استعادة مسقط لسلطتها على ظفار لم تكن خطوة حكيمة وآنها لن تؤدي الى اية مكاسب ، وانما على العكس من ذلك فهى قد تفرض اعباء مالية على السلطان وتكون مصدر احراج لمسقط (٢) والواقع أن حكم السيد تركى بن سعيد لمسقط كان كله سلسلة من المواقف السياسية المحرجة . فمنذ توليه الحكم تدهور مركز مسقط . وبنهاية السبعينات من القرن التاسع عشر لم تعد مسقط تلعب أى دور فى سياسة دول الخليج ، غير أن مسئولية ذلك لا تقع كلها على عاتق السيد تركى لأن تدهور البلاد قد بدأ قبل ذلك ، أى منذ انفصال زنجبار عن السلطنة ، وانهاء عقد أيجار بندر عباس ، وظهور حركة رجال الدين فى عمان . فنتيجة للتعصب الدينى والانغلاق والجمود الذى ساد حركة رجال الدين ، انفكفت عمان على نفسها ، وانقطعت صلاتها بالعالم الخارجى . ومن ناحية أخرى فان انهيار النفوذ الوهابى فى نجد والاحساء وتزعزع مركز المسئولين فى عمان قد ساهما بدورهما فى تدهور عمان وفى عزلتها . واذا كان السبب الأول قد ازال خطرا مائلا وفعالا - وأن لم يكن مستمرا - وان كان له الفضل الأكبر فى توحيد الأمة العمانية ، فان السبب الثانى قد شجع المتمردين من القبائل والطامعين فى السلطة

(١) نفس المصدر مجلد ٢٣ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٩٣ المؤرخ ١٨٧٩/٨/٤ من لوك الى نوجنت (سكرتير حكومة بومباى بالوكالة) ١٨٧٩/٦/٥ (٩١٦ - ١٩٢) .

(٢) نفس المصدر مجلد ٢٢ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ١٠٥ المؤرخ ١٨٧٩/٥/١ من روس الى مايلز ١٨٧٩/٢/٢٧ (رقم ٩٦) .

ورجال الدين المتطرفين على محاولة زعزعة الحكم فى عمان .

ومن سوء الحظ أن السيد تركى بن سعيد لم يكن من ذلك الطراز من الرجال الذين تحتاج اليهم الأمة فى المراحل الحاسمة من تاريخها . لقد أضع السيد تركى الفرصة التى سنحت له لتوطيد حكمه عام ١٨٧٣ بتبيده الاموال التى حصل عليها من معونة زنجبار فى ذلك العام . وفى هذا الصدد كتب صمويل مايلز عن السيد تركى يقول :

« كانت تلك الفرصة بالنسبة للسيد تركى هى الفرصة التى لن تتكرر لو أنه انتهزها لتدعيم مركزه وتوطيد حكمه . ولكنه على أية حال كان حاكما قصير النظر ولم يدرك أهمية حشد موارده والاحتفاظ بأرصدة احتياطية لديه . كما كان ضعيف الإرادة منساقا لعواطفه . وقد ظل رصيده يتدفق على القبائل فى داخلية عمان دون حساب . وأخذت القبائل تزور مسقط لصرف المنح والمعونات . وقد بقيت هذه القبائل هادئة طالما كانت تحصل على ما تريده من أموال من السلطان . وقد رفعت المخصصات التى كانت تدفع لزعماء القبائل الى الضعف . كانت تلك الفترة هى الفترة الذهبية لحكم السيد تركى الا انها لم تطل ، وكان من نقاط الضعف البارزة فى السيد تركى اعتماده على بعض الخدم والمقربين فلم يعين له وزراء أو مستشارين اكفاء لاسداء المشورة اليه . وبذلك التصرفات فقد اساء السيد تركى لا الى نفسه فحسب ، وانما الى أصدقائه ومؤيديه » (١) .

وتظراً لضعف سلطة الدولة فى عهد السيد تركى فقد وجدت حكومة الهند نفسها مضطرة الى التدخل فى شئون البلاد الداخلية ، رغم انها كانت تؤثر أن تقصر تدخلها على المحافظة على الرعايا البريطانيين الهنود

(١) الرسائل والمرقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٩ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٢٤ المؤرخ ١٨/١٢/١٨٧٤ من مايلز الى روس (رقم ٤٤٩ - ١٨١) .

المقيمين في مسقط وعلى مصالحهم التجارية في السلطنة ، ولم تتدخل لحماية حكم السيد تركي الا في مناسبة واحدة .

وفي شهر يناير ١٨٧٤ تدهور مركز السيد تركي في عمان بشكل خطير عندما قام الشيخ صالح بن علي زعيم الحرث بالهجوم على مسقط والاستيلاء عليها وفرض شروط قاسية على السيد تركي في مقابل الانسحاب من العاصمة . وقد انتهز السيد ابراهيم بن قيس شقيق السيد عزان تلك الفرصة فقام في شهر مارس بتحريض قبائل منطقة الباطنة ضد السيد تركي ، وقد نجحت خطته مع يال سعد ، وهي القبيلة الهناوية الرئيسية في الباطنة ومن المؤيدين للسيد عزان سابقا . وبثلك القوات القبلية شن السيد ابراهيم بن قيس هجوما على المصنعة . وقد خشي المجاور مايلز على الهنود المقيمين في المصنعة فغادر مسقط على الطراد فيلوميل يوم ٨ مارس وعند وصوله البلدة وجد أن الحامية تتعرض لنيران كثيفة من قوات السيد ابراهيم ، كما نهبت الأسواق من جانب رجاله . وقد اجتمع مايلز بالسيد عزان وطالبه برد المسروقات الى أصحابها الهنود أو دفع ثمنها . ولقد حاول السيد ابراهيم التخلص من اعطاء رد مباشر ، ثم بعد يومين استولى على الحامية . ولكن مايلز عاد فحذره بأنه سوف يضطر الى قصف القلعة وتدميرها اذا لم يسحب قواته ويدفع قيمة الخسائر التي تعرض لها الهنود المقيمون هناك (١) وصل روس الى مسقط يوم ٢٦ مارس على متن الطراد « رايفلمان » وبرفقته السفينة المسلحة « هيبوروز » بعد أن تلقى تعليمات من الهند عن تمرد ابراهيم بن قيس . وبعد سقز مايلز عاد السيد ابراهيم بن قيس فاحتل المصنعة ، وكانت في قبضته عند وصول روس يوم ٢٧ مارس . وقد أصدر روس أمرا يقصف

(١) نفس المصدر مجلد ١٧ مرفق للخطاب الخارجي (سياسي)

٧٤ المؤرخ ١٧/٤/١٨٧٤ من المقيم السياسي الى وزير خارجية الهند

١٨٧٤/٣/١٤

قوات إبراهيم المتمركزة في الحامية ، وفى نفس الوقت حذر من أن
سيعتبر مسئولاً عن جميع الخسائر التى تلحق بالرعايا الهنود بسبب نهب
ممتلكاتهم .

لقد ذهبت جهود السيد تركى لأخضاع السيد إبراهيم ويال سعد
للسلطة ادراج الرياح ، وفى منتصف شهر مايو احتل يال سعد بلدة
السويق ولم ينسحبوا منها الا بعد وصول مايلز على ظهر الطراد ماجبى .

« وفى الأسبوع الأول من يونيو عندما هدد بضربهم اذا لم يدفعوا
تعويضات للتجار الهنود ، ولهذه الأسباب توجه روس فى آخر يوليو الى
المصنعة وبصحبه الطرادان « ماجبى » و « وفيلوميل » بالإضافة الى
السفينة المسلحة « هوروز » التابعة للممثلة وفرقاطة السيد تركى
« رحمانى » وكان يصحبهم ٣٥٠ جندياً . وقد رفض يال سعد الاستسلام ،
الا أنهم عادوا فاذعنوا للأمر بعد أن أطلقت عليهم بعض القذائف ، فقبلوا
دفع التعويضات والخضوع لسلطة السيد تركى مقابل أن يكفلهم السيد
تركى حتى يتمكنوا من دفع التعويضات المستحقة عليهم (١) .

وهكذا تراكمت الأسباب بحيث اقتنع السيد تركى بن سعيد بأن
التغلب على تلك المشكلات يكمن فى الدعم العسكرى البريطانى له . وفى
يناير ١٨٧٤ وأثناء الهجوم الذى شنه الشيخ صالح بن على ، تم تفويض
زروس بتقديم المساعدة الى السيد تركى اذا طلب ، وضمن المسافة التى
تصل اليها مدفعية السفن الحربية . ولعل السيد تركى قد تصور كما
أشار ماياز فى أكتوبر ١٨٧٤ بأن المساعدة العسكرية التى قدمت اليه
للاحتفاظ بحكمته فى منسقط ومطرح هى التزام ثابت من جانب الحكومة

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية مجلد ١٨ من الحاكم العام
الى وزير الدولة ٢٨/٧ و ٢٥/٨/١٨٧٤ (رقم ١٣٧ و ١٥٥ الادارة الخارجية
السياسية) ومرفق بالأخير نسخة من خطاب المقيم السياسى الى وزير
خارجية الهند ٣٠/٧/١٨٧٤ (رقم ١٨٠ ب ١٨٧٩) .

البريطانية لدعمه (١) . أما نورث بروك فقد كان يساوره القلق من احتمال أن يتصور السيد تركى ذلك ، وبالتالي فقد طلب من روس بأن يوضح للسيد تركى فى حدود التزامات حكومة الهند بتأييده ، كما جاء فى البيان الصادر فى العام السابق . وعلى الرغم من تأكيد روس من عدم التزام الحكومة البريطانية بالمساعدة غير المحدودة للسيد تركى ، إلا أنه لم يكن متأكدا تمام التأكيد من أن التعهد البريطانى للسيد تركى كان بتلك الدقة والوضوح . وبالتالي فقد أحال مذكرة الحاكم العام الى المعتمد البريطانى فى مسقط الاطلاع والتنفيذ . ومن ناحية أخرى لم يكن مايلز متأكدا هو الآخر ما اذا كان هو الذى قام بابلاغ تلك الايضاحات الى سلطان مسقط او روس . ومع ذلك فقد كان مايلز متأكدا من أمرين : الاول أن تعهدا خطيا لم يسلم الى السيد تركى ، والأمر الثانى أن تعهدا مطلقا وغير مشروط لم يعط اطلاقا الى السيد تركى . أما اذا كان السيد تركى قد فهم مضمون ذلك الاجراء أم لا ، فتلك مسألة أخرى .

وقد أدى هجوم الشيخ صالح بن على على مدن السلطنة وتمرد السيد ابراهيم بن قيس الى تدهور الروح المعنوية للسيد تركى لدرجة انه ذكر لمايلز فى مارس ١٨٧٤ بأنه يفكر فى التنازل عن الحكم والاقامة فى جواذر ، كما ذكر بأن متاعبه المالية والصحية واستمرار حركة العصيان بين القبائل الداخلية قد جعلت استمراره فى السلطة أمرا مستحيلا . غير أن مايلز نصحه بالألا يتسرع فى اتخاذ مثل تلك الخطوة ، واقترح عليه تعيين مستشار خاص له يخفف عنه من أعباء ومسئوليات الحكم . وبعد شهر عاد السيد تركى فذكر لمايلز أنه سيعمل بنصيحته ولذلك فقد قرر أن يستدعى أخاه السيد عبد العزيز الى مسقط . غير أن مايلز لم يكن يتوقع منه ذلك ، فقد كان أخوه السيد عبد العزيز يعيش تحت الإقامة الجبرية

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية من الهند مجلد ١٩ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ٢٢٤ المؤرخ ١٨/١٢/١٨٧٤ من اتشيسون الى روس ١٢/١٢/ ١٨٧٤ (رقم ٢٧٤٩ الادارة الخارجية) .

فى كراتشى ، بعد المحاولة التى قام بها للاستيلاء على السلطة فى جواذر . وبالرغم من أن السيد تركى لم يكن يثق فى أخيه السيد عبد العزيز. الا أنه كان مضطرا الى الاستعانة به . وفور علم روس بقرار السلطان توجه الى مسقط ليتأكد من ذلك الأمر . واثناء اجتماعه بالسيد تركى ذكر الأخير بأنه لا ينوى تعيين أخيه فى منصب مستشار له ، الا أنه قال بأنه سوف يشعر بارتياح أكبر لو ضمننت حكومة الهند سلوك أخيه فيما لو عاد الى البلاد . ولكن روس أجاب بالنفى ، وان كان قد أبدى استعداد المسئولين البريطانيين فى التوسط فيما بين الأخوين لتسوية الأمور . وعلى الرغم من أن روس كان يوافق مايلز على عدم عودة السيد عبد العزيز الى مسقط ، الا أنه صدم صدمة عنيفة من جراء تدهور الوضع فى السلطنة بحيث أصبح مقتنعا بأن عودة السيد عبد العزيز لن تقدم أو تؤخر ، وان كان قد توقع أن يكون لوجوده فى مسقط دفع للروح المعنوية للسيد تركى . وعلى أى حال فقد كان المسئولون فى الهند على استعداد للإفراج عن السيد عبد العزيز . وفى أوائل شهر مايو توجه روس الى كراتشى وأخذ تعهدا كتابيا من السيد عبد العزيز التزم فيه بشروط أخيه السيد تركى لعودته الى البلاد ، وتضمن التعهد أولا الولاء للسيد تركى ، وعدم الاشتراك فى أية محاولات أو مؤمرات للإطاحه به ، ولتمسك بالتزامات السلطنة تجاه الحكومة البريطانية بمقتضى المعاهدة الموقعة بينهما وبالعامل بالنصائح البريطانية . وفى الاسبوع الثانى من مايو عاد روس الى مسقط مصطحبا معه السيد عبد العزيز ، وقد رحب به السيد تركى ترحيبا حارا . وفى اليوم التالى تولى السيد عبد العزيز قيادة السرية التى رافقت روس الى المصنعة لمواجهة غزو يال سعد .

من بين الأسباب التى ساهمت فى تدهور وضع السيد تركى هى تخليه عن قبائل الفافرية التى جاءت به الى السلطة ، وهى بنو بو على والجنية وبنو ريام . وقد حدث هذا التحول فى موقفه بعد الهجوم الذى شنه الشيخ صالح بن على زعيم الحرث على مسقط . وهكذا أخذ السيد تركى يتملق الهناوية خوفا من قيامهم بحركة أخرى ضده ، وكانت النتيجة انه فقد حلفاءه القدماء . وقد ضاعف من هذه الأخطاء تبديده الأموال على

زعماء الهناوية والتودد اليهم متجاهلا حلفاءه ومؤيديه . وطوال صيف وخريف ١٨٧٤ اختدم القتال بين قبائل الهناوية والغافرية فى عمان الشرقية والوسطى فى نزوى وازكى وبركة الموز عاصمة بنى ريام سكان الجبل الأخضر ، وفى أغسطس توجه للسلطان تركى بن سعيد الى المنطقة الداخلية فى محاولة لوقف اراقة الدماء بين العمانيين ، ونجح فى عقد هدنة مؤقتة بين اطراف النزاع وقد اثارت وساطته استياء قبائل الغافرية الذين راوا فى الحل اجحافا بحقوقهم فيما يتعلق باستعادة بركة الموز التى كانت قبائل الهناوية قد استولت عليها قبل وصول السيد تركى ، ومع ذلك فقد فشل السيد تركى فى حمل الاطراف على احترام شروط الهدنة، مما اثار ضده قبائل بنى ريام . وقد نشب القتال من جديد فى الخريف واستمر طوال الشتاء ، وقد برهنت تلك الاحداث عن عجز السيد تركى عن وضع الاطراف المتنازعة عند حدها وانتهز خصومه من رجال الدين تلك الفرصة لتأليب الراى العام عليه باستغلال تلك الحزازات فى خدمة اغراضهم .

فى نهاية العام ازداد وضع السيد تركى سوءا . . فقد كان ضعف السلطنة وعدم استقرار الاوضاع فى البلاد قد انحدر بها الى اسوأ درجات التدهور ، هذا هو الوصف الذى اطلقه المعتمد السياسى البريطانى فى مسقط على حال السلطنة فى شهر فبراير ١٨٧٥ . وتعود اسباب ذلك فى المقام الاول الى تصرفات السيد تركى نفسه ، فقد احاط نفسه بشلة من المتزلفين والمنتفعين ولم يعتمد على الرجال الاكفاء فى ادارة شئون الدولة . وكان اقرب المقربين اليه شخصا يدعى معش كان يكره كلا من السيد عبد العزيز ومايلز . وقد ذكر مايلز فى رسالة الى روس عن ذلك الشخص بانه كان يائعا متجولا لقصب السكر ، وبالرغم من ان راتبه الشهرى الذى كان يتقاضاه من السيد تركى لا يتجاوز ١٥ ريالا الا انه جمع ثروة تربو على ٤٠٠٠٠ ريال . لم يؤيد روس اقتراح مايلز باشارك السيد عبد العزيز فى شئون الحكم ، كما لم يؤيده الحاكم العام وذكر بانه من الأفضل ان يتجنب المعتمد البريطانى فى مسقط التدخل فى شئون

أفراد الأسرة الحاكمة بل وفي شئون عمان . جاء ذلك فى رسالة نورث بروك المؤرخة فى شهر ابريل ١٨٧٥ ردا على اقتراح مايلز .

وفى الأسبوع الاخير من مايو عاد السيد تركى فابلخ مايلز انه ينوى التنازل عن الحكم ومغادرة البلاد للاقامة فى كراتشى بالهند ، وترك شئون الحكومة لأخيه عبد العزيز ، نظرا لانه لم يعد يستطيع أن يتحمل أعباء الحكم وتصرفات القبائل وخطورتها . وكان السيد تركى يعنى أن محاولات التوفيق التى كان يقوم بها بين أوساط القبائل تشكل عبئا عليه . فقبل اشهر قليلة كان السيد تركى قد فصل أفراد الحامية فى مسقط وأكثرهم من يال وهيبة وعين مكانهم أفرادا من بنى بوحسن ، وقد بقى بعض المفصولين فى مسقط ، وفى شهر مايو ثار عليه هؤلاء بعد وصول جماعة من بنى بوحسن الى مسقط للمطالبة بحصتها من المنح . وأصبح السيد تركى هدفا لنقمة رجال هاتين القبيلتين اللتين هددتا بنهب العاصمة . وقد أصيب السيد تركى بالذعر لدرجة انه فى احدى الليالى تسلل من قصره ولجأ الى احدى السفن التجارية الراسية فى مسقط ، وقد تمت تسوية الخلاف مع المتمردين ، غير أن جماعة يال وهيبه رفضت التسوية وغادروا مسقط فى أواخر الشهر بعد أن أقسموا بالعودة الى مسقط مع عدد أكبر من رجال قبيلتهم (١) .

وفى شهر يوليو عاد هؤلاء الى مسقط بعدد يقدر بـ ٥٠٠ رجل وأعلنوا أنهم قد وصلوا لخلع السيد تركى وتعيين أخيه السيد عبد العزيز سلطانا على البلاد . وقد وافق السيد تركى على جميع مطالبهم بعد أن خاف على مركزه . وقد بعث مايلز ببرقية عاجلة الى المقيم يبلغه فيها بأن الأمور قد تدهورت ، وأن السلطان قد أصبح عاجزا عن السيطرة على الموقف . وغادر روس بوشهر فى سببينة البريد عند وصولها هناك بتاريخ

(١) نفس المصدر مجلد ٥ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) رقم ١٧٦- المؤرخ ١٣/٩/١٨٧٥- من هياكلتس الى روس ١٤٠ و ١٨٧٥/٥/٢٨
رأسه ٨٢- و ٢٣- ٨٥)

١٦ يوليو ووصل مسقط يوم ٢٠ منه . وقد بعث بتقرير الى حكومته عن
احداث مسقط ، وقد تسلم ردا من حكومة الهند بالامتناع عن التدخل
ومحاولة بذل ما فى وسعه ووسع مايلز لاقناع السيد تركى بعدم التنازل،
أما اذا اصر السيد تركى على قراره فقد طلبت اليهما حكومة الهند بأن
يتركاه وشأنه ، وعند اجتماع روس بالسيد تركى فى مسقط تأكد المقيم
من أن السيد تركى لم يعد بالفعل قادرا على الاستمرار وبانه قد فقد
الثقة فى نفسه . وفى تقرير روس عن وضع السلطان ذكر بأن سموه يائس
ومهموم ومتأكد من انه أصبح عاجزا عن القيام بمسئولية الحكم أو
السيطرة على الموقف . وعند سؤال روس له عما اذا كان يتوقع
اضطرابات يقوم بها رجال القبائل رد بالنفى وقال بأن مطالب القبائل قد
لبت كلها وليس هناك خوف من قيامهم بأى عصيان .

لقد لاحظ روس بأن السيد تركى قد أصبح اقل رغبة فى التنازل
عن الحكم مما كان عليه قبل سبعة اسابيع . ولكن روس لم يحاول اطلاقا
التأثير عليه . وبعد أن نصح روس المقيم السياسى بانتهاج نفس السياسة
سافر الى بوشهر . وبعد عشرة أيام من سفر المقيم نشب خلاف بين
السيد تركى وأخيه السيد عبد العزيز . وقد زعم السيد عبد العزيز بأن
السلطان تركى قد عينه مشرفا على حاميات مسقط ، وانه لذلك قد طلب
عزل قائدى قلعتى الجلالى والميرانى واتهمهما باختلاس مصروفات الحاميتين
وبعدم الكفاءة ، كما طلب تعيين زعيمين من شيوخ بنى بوحسن مكانهما .
غير أن السيد تركى رفض اقتراح أخيه ، مما دعا السيد عبد العزيز الى
التفكير فى ترك الخدمة عند أخيه . وقد ساورت مايلز الشكوك فى
نصرفات عبد العزيز واحتمال أن يحاول كسب زعماء الهناوية ورجال
الدين فى داخلية عمان الذين أخذوا يتدفقون على العاصمة . وقد كتب
مايلز تقريراً الى روس فى موضوع رجال الحاميتين فى مسقط ، وذكر
فيه أن سبب رفض السلطان تعيين قائدين جديدين يعود الى أن قائد حامية
الميرانى رجب وهو من أصل بلوش ، معروف بأنه قاتل الامام الخليلى ،
ولهذا فقد كان رجال الدين فى عمان ناقلين عليه وكان يهددون باغتياله .
وإن السلطان فى اعتقاده لا يبالي حتى لو تمكن العمانيون من اغتيال

رجب أو أسره . وكان يقول بأن العمانيين هم الذين كانوا يحرضونه على رجب في محاولة منهم لكسب عبد العزيز الى صفهم (١) .

وفي يوم ١٣ أغسطس صرح السيد تركي للمعمد البريطاني في مسقط بأنه قد قرر بصفة نهائية تسليم مقاليد الحكم الى أخيه السيد عبد العزيز كاجراء مؤقت ، وبأنه يعتزم الاقامة في جواذر ، وطلب من مايلز أن يتوسط له مع أخيه للوصول على تفاهم حول هذه المسألة . وعند اجتماع مايلز بالسيد عبد العزيز وجد عنده الاستعداد لقبول عرض أخيه السيد تركي غير أنه أشار الى العجز في الميزانية وما تطلبه ادارة الدولة من أموال ، واستشاره حول نظام الحكم فيما لو أصر العمانيون على تطبيق نظام الامامة في البلاد . كما طلب بتسليم القلعتين اليه . ولكي يضغط على أخيه لتنفيذ هذا الطلب اجتمع المئات من رجال القبائل في مسقط يوم ١٥ أغسطس وهددوا بنهب العاصمة اذا لم تسلم القلعتان الى السيد عبد العزيز وقد اضطر السيد تركي الى الازعان واصدر امره بتسليم القلعتين ، ثم انسحب هو الى السفينة « رحمانى » فى المساء واستأذن مايلز فى التوجه الى جواذر على الطراد البريطانى « رايفلمان » الذى كان فى مسقط فى ذلك الوقت . وقد اجابه مايلز الى طلبه وغادر السيد تركي الى جواذر .

عند مغادرة السيد تركي مسقط كان فيها ما لا يقل عن ٧٠٠ من رجال القبائل العمانية ، ثم وصل الشيخ صالح بن على زعيم الحنرث فى اول سبتمبر يصحبه عدد يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ آخرين . وهكذا وجد السيد عبد العزيز نفسه محاطا بهذا العدد الكبير من رجال القبائل ، ولهذا طالب من مايلز أن يدفع له مبلغا تحت الحساب من المعونة ، غير أن

(١) الخطابات والرفقات السياسية والسرية من حكومة الهند مجلد ٦ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) ١٩٦ . المؤرخ ١٤ / ١٠ / ١٨٧٥ من مايلز الى روس ١٩ / ٨ / ١٨٧٥ (رقم ٣٤٦ - ١٢٦) .

مايلز لم تكن لديه الصلاحيات التي تخوله تلبية طلب السيد عبد العزيز في الوقت الذي استمر رجال الدين العمانيون يتدققون في اعداد هائلة الى العاصمة لتعزيز موقف العناصر الثائرة واستغلال نعمتهم . وقد نصب الشيخ صالح بن علي زعيم الحرث نفسه مستشارا للسلطان عبد العزيز ، ولكن الهدف الحقيقي الذي كان يسعى اليه هو أن يتمكن من تنصيب نجل السيد عزان الشاب اماما لعمان ، وبأن يكون هو الوصي عليه . غير أن السيد عبد العزيز كانت له هو الآخر طموحاته الخاصة ، ولذلك فقد فضل أن يركب بنفسه موجة التعصب الديني .

وفي نهاية شهر سبتمبر وصل الشيخ زايد بن خليفة حاكم أبو ظبي الى مسقط مع رهط كبير من قومه لكي يقبض هو الآخر نصيبه من المنح والعطايا . وقد مكث ثلاثة اسابيع ، وقد عاد وفي جيبه مبلغ ١٠٠٠ ريال دفعت اليه من خزينة السيد عبد العزيز الخاوية ، كما تكلفت الخزينة مبلغ ٥٠٠ ريال اخرى نفقات اقامته هو واتباعه . وأن الفائدة الوحيدة التي جناها السيد عبد العزيز من زيارة حاكم أبو ظبي هي أنه قد نجح في اقناع الشيخ صالح بن علي زعيم الحزب بالعودة الى منطقتهم . ويبدو ان زيارة زعيم الحرث الى مسقط قد اثارت حسداً وغيره من المتطوعين الى المناصب ، ولهذا ففي الأسبوع الأول من أكتوبر شد الشيخ صالح زعيم الحرث الرجال الى الشرقية ، ربما للاشراف على مصالح أسرة آل بوسعيد في المنطقة .

وعلى الرغم من التتابع السريع للأحداث منذ سفر السيد تركي عن مسقط ، إلا أن السيد عبد العزيز لم ييأس أو يفقد الأمل نتيجة لتلك الأوضاع وظل يتحين الفرص للوثوب الى السلطة ، ولعله كان يتوقع ان يساعده رجال الدين في الوصول الى هدفه . وقد اشار مايلز في تقرير له بأن نفوذ رجال الدين في تعاضم في مسقط . فقد صدرت أوامر بحظر الرقص والموسيقى غير أن هذا الاجراء لم يؤيده الجمهور . ولكنه بالنسبة

السيد عبد العزيز كان تنازلا حتميا للاتجاه المستحكم (١) غير أن السلطات الحاكمة في الهند لم تكن تهتم بما كان يجري في مسقط وقد أوعزت الى روس : « انه في حالة اعلان السيد عبد العزيز نفسه حاكما على مسقط ، فإنه يتعين على الكولونيل مايلز بأن يمتنع عن التدخل (٢) وفضلا عن ذلك فقد كان مايلز نفسه قد ضاق ذرعا بأحداث مسقط حتى أنه غادرها الى صحار في منتصف نوفمبر ، ومن صحار توجه الى واحة البريمي ثم عاد من هناك الى مسقط (٣) » .

وبعد أشهر ثلاثة قضاها السيد تركي في جواذر عاد فغير رأيه بخصوص تنازله عن العرش ، وعلى الأخص بعد أن أيقن بأنه لا يستطيع ان يحقق ما يريد وانما عليه ان يقبل ما تمليه عليه الظروف ، بسبب أطماع أخيه السيد عبد العزيز التي انكشفت تماما .

في خريف عام ١٨٧٣ غادر السيد سالم كراتشي ، وفي شهر ديسمبر في نفس العام قاد هجوما مفاجئا على جواذر ، ومن هناك شق طريقه الى فارس ثم منها الى قشم في بداية عام ١٨٧٤ وهناك عاش يقاسي من الوحدة والكآبة معتمدا في معيشته على العاش الصغير التي عينه له عمه السيد تركي ، وبقي هناك حتى شهر سبتمبر ١٨٧٥ عندما جهزه تنازل السيد تركي عن الحكم على القيام بمحاولة للاستيلاء على

- (١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية مجلد ٧ مرفق للخطاب الخارجي (سيبلي) ٣٨ المؤرخ ١٨/٢/١٨٧٦ من مايلز الى روس ١٨٧٥/١٠/١ (رقم ٣٩٥ - ١٤٥) .
- (٢) نفس المصدر من هنفي الى روس ١٨٧٥/١٠/٢٦ (رقم ٢٩٨) . أما عن أحداث شهر سبتمبر وأكتوبر في مسقط انظر خطاب مايلز الى روس ٢ و ٩/١٦ و ١٥/١ و ١٥/٢٩ و ١٨٧٥/١٠/٣١ و ١٣١ و ٣٨١ - ١٣٦ و ٣٩٥ - ١٤٥ و ٤١٠ - ١٥٢ و ٤٤٥ - ١٥٨ .
- (٣) للاطلاع على تفاصيل رحلته انظر « في الطريق بين صحار والبريمي في عمان » مجلد الجمعية الآسيوية البنغال (١٨٧٧) .

السبب في مسقط ، وقد لفت السيد عبد العزيز نظر مايلز الى نشاهد السيد سالم واحتمال نزوله في صور ، بأمل أن يزحف من هناك على مسقط ، وقد أوعز مايلز الى قائد الطراد « دافين » الموجود في مسقط بالتحرك للقبض على السيد سالم . وفي يوم ١٠ أكتوبر التقى الطراد بهركيين في مكان ما من ساحل الباطنة ، وكان السيد سالم في احدهما ومعه ٤٠ مسلحا ، وقد جرى به الى مسقط ووجه مايلز اليه تهمة محاولة استغلال الأوضاع في عمان ، غير أن السيد سالم انكر التهمة وذكر بأنه إنما حضر للاستفسار عن المعاش المخصص له لأنه خشي أن يتوقف عند هذا المورد كنتيجة لاعتزال السيد تركي الحكم ، غير أن مايلز أمر بتسفيره الى الهند حيث أودع في سجن قلعة حيدر اباد الهند ، وظل هنا يتقاضى معاشه الى أن توفي من مرض الجدري يوم ٧ ديسمبر عام ١٨٧٦ (١) .

كان السيد عبد العزيز في الواقع السبب الرئيسي لمتاعب السيد تركي ، وفي ٨ ديسمبر غادر السيد تركي جواذر في إحدى السفن الشراعية تصحبه حاشية صغيرة ، وفي ١٣ ديسمبر خرج السيد عبد العزيز من مسقط متوجها الى المنطقة الداخلية في عمان ، وفي ليل ذلك اليوم تسلل السيد تركي عبر الشاطئ الى مدينة مطرح ومعه نحو ٣٠٠ رجل من قبائل الغافرية وجماعة صغيرة من الوهابيين ارسلهم اليه وإلى صحار واستطاع بتلك القوة احتلال المدينة بسرعة . وعند وصوله الى مسقط رفض الحرس من بنى بوحسن أن يفتحوا له البوابة ، ولكن في يوم ١٩ تمكن رجال السيد تركي من احتلال منطقة المرتفات بمسقط واخذوا يتأهبون للهجوم على قلب المدينة ، لكن السيد تركي أرجأ العملية بعد أن طلب مايلز ذلك حتى يتمكن التجار الهنود من نقل ممتلكاتهم الى السفن

(١) مرفق الخطابات والمرفقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٨ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٢/٤/١٨٧٦ (رقم ٨٩ الادارة السياسية الخارجية) ومرفق معه نسخه من خطاب مايلز الى روس ١٩/١٠/١٨٧٥ (رقم ٤٢٢ - ١٥٣) ومجلد ١٢ من الحاكم العام الى وزير الدولة ١٩/١/١٨٧٧ (رقم ٦ الادارة السياسية الخارجية) .

الزاسية فى الميناء * وفى يوم ٢١ ديسمبر سلمت الحاميتان فى مسقط
غير أن رجالها اشترطوا أن يسمح لهم بالدفاع عن الحاميتين بعشرة ايام
قبل دخول قوات السلطان ، وذلك لكي يشبتوا ولاءهم للسيد عبد العزيز *
وكان كل من مايلز وروس يتفقدان الطريقة التى استخدمها السيد تركى
لازاحة أخيه وكانت عملاً آخراً * فقد جاء فى تقرير روس الى اتشيسون
« اننى أتفق مع الكولونيل مايلز بأن صاحب السمو السيد تركى قد تصرف
بطريقة متسرعة ومخالفة للقواعد السياسية. وأنه بهذا العمل قد أغلق الباب
لاى تفاهم مع أخيه السيد عبد العزيز مما سيؤدى الى حدوث تمرد
عليه (١) غير انه لم يكن أى من نورث بروك واتشيسون يهمله شيء من أمر
هذه الصراعات المحتملة بين افراد أسرة آل بوسعيد ، ولهذا فقد أوعى
اتشيسون للى روس بالتزام الحياد فى ذلك الصراع الا اذا وقع تهديد
مباشر للمصالح البريطانية (٢) *

ويبدو أن اقامة السيد تركى فى جواذر قد قوت من روحه المعنوية
وردت اليه الثقة فى نفسه * فبعد هجوم قام به السيد تركى على مدينة
سمائل فى داخلية عمان اضطر أخوه السيد عبد العزيز الى اخلاء الحامية
والانسحاب الى المنطقة القريبة لتعبئة القبائل وقد تمركز فى الشرقية
ولكنه لم يوفق ، فلجأ الى الشيخ صالح بن على زعيم الحرث فى مدينة
القابل ومن هناك بعث فى شهر فبراير برسالة الى المعتمد السياسى
البريطانى يرجوه التوسط مع أخيه لحسم الخلاف ، وقد أحال مايلز رسالة

-
- (١) نفس المصدر مجلد ٧ مرفق للخطاب الخارجى (سياسى) ٢٨
المؤرخ ١٨٧٦/٢/١٨ من روس الى اتشيسون ١٨٧٥/١٢/٢٤ (رقم
١٣٥٧ - ٣١٨) *
(٢) نفس المصدر من وزير خارجية الهند الى المقيم السياسى
١٨٧٦/١/١١ أيضا من مايلز الى روس ١١ و ١٢/١٢/١٨٧٥ (رقم
٣٠٨ - ١٧٥ و ٥٢٩ - ١٨٣) ١٨٧٥/١٢/١٦ *
(٤٤ - بريطانيا والخليج / ٠٢)

السيد عبد العزيز الى المقيم روس الذي رد عليه بأن التعليمات التي وصلته من ايتشيسون لا تمنع المسؤولين البريطانيين من التوسط بين افراد أسرة آل بوسعيد سيما وأنه تلقى من السيد تركى رسالة مماثلة . وعلى هذا الأساس ابرق روس الى مايلز بالموافقة على الوساطة شريطة الا تلزم الحكومة بأية ضمانات وقد وقع الاختيار على قريات على بعد ثلاثين ميلا عن مسقط مكانا للاجتماع ، وفى ١٩ مارس غادر مايلز الى قريات على ظهر الطراد « نيمبل » غير أن السيد عبد العزيز عاد فغير رأيه فيما يختص بمفادرتة عمان لأنه يخشى لو فعل ذلك أن يقوى مركز خصومه فى التنافس على الحكم داخل عمان . وهكذا نفى مايلز يده من مسألة الوساطة وتبناها الشيخ صالح بن على زعيم الحرث ، غير أن محاولات زعيم الحرث لم تسفر عن أى نتيجة وظل السيد عبد العزيز يتنقل داخل عمان مسببا تهديدا لمركز السيد تركى .

غير أن اوضاعا أكثر خطورة بدأت تطل براسها فى الداخلية ابان النصف الاخير من عام ١٨٧٦ . فبعد أن عاد السيد تركى من جوازر أخذ يحاول كسب ود خلفائه السابقين غافرية عمان ، وبصفة خاصة بين قبائل بنى بوعلى سكان جملان ، ويدير ظهره لقبائل الهناوية وبنى بوحسن ويال وهيبة ، وأمر باعتقال الشيخ حمد بن سعيد الجحافى شيخ يال وهيبة والزج به فى السجن . وعند الافراج عن هذا الشيخ فى صيف ١٨٧٦ توجه على الفور الى المناطق الوسطى من عمان فى محاولة لتعبئة الاتحادات القبلية ضد السلطان تركى ، كما انضم اليه قبائل بنى بوحسن الذين طردهم السيد تركى ، وفى شهر سبتمبر تحرك ومعه نحو ١٠٠ رجل فأغار على بلدة السيب التى تبعد عن مسقط بثلاثين ميلا تقريبا . وبمجرد أن علم مايلز بخطة الجحافى كلف الطراد البريطانى « العرب » بالابحار الى السيب والوصول اليها قبل أن يصل الجحافى حتى يمكن نقل الرعايا الهنود وممتلكاتهم فيها . وقد أمر السيد تركى بحشد قوة كبيرة من الجيش للتصدى للجحافى واشترك أفراد من قبيلة الدروع مع تلك القوة . وفى نهاية سبتمبر تحركت قوات السيد تركى من بركا ، الا ان الجحافى وجه هجومهم على بلدة صحم ، وانتولى على سلع وبضائع من التجار الهنود قدر ثمنها بخمسة آلاف روبية هندية . وعلى الرغم من أن قوات السيد تركى

كانت ترابط في منطقة قريبة من قوات الجحافي الا انه لم يفعل شيئا لوقفه .
وغادر مايلز فقط على الطراد « رايقلمان » قاصدا بركا . فوجد السيد تركي
في وضع يائس وغير قادر على القيام بأى إجراء حتى لو انه اراد ذلك . وقد
استاء مايلز من موقف السيد تركي فأبحر الى صحار ، وكان ينزل في القرى
الساحلية لتحذير التجار الهنود من الجحافي . وعاد السيد تركي الى مسقط
في نهاية الشهر بعد ان دفع ألفى ريال الى القبائل مقابل سكوتها . وفي نهاية
السنة عاد الجحافي الى مسقط رأسه ، مما دفع حكومة الهند الى أن تبعت
بتقرير الى مكتب شؤون الهند تبلغها في كثير من الشفاؤل بانتهاء تمرد الجحافي
وعودة السلام الى ربوع عمان .

ان نجاح الجحافي قد شجع القبائل العمانية الأخرى المناوئة للنظام
وعلى الأخص بنى بوحسن وبنى رواحة والحجريين بأن تحذو حذوه . وخلال
شتاء ١٨٧٦ - ١٨٧٧ أقامت هذه القبائل تحالفا فيما بينها ولكنه كان تحالفا
مهلهلا . وانتقلت الحركة الى منطقة الشرقية حيث انضم اليها في شهر
ابريل ١٨٧٧ زعيم الحرث الشيخ صالح بن على الذي تولى قيادة ذلك التحالف
القبلي . وفي بداية شهر يونيو وبتحريض من (مطاوعة عمان) علماء الدين
الذين كانوا ناقمين على بعض مظاهر النظام القائم في مسقط وعلى الأخص اقدام
السيد تركي على حظر تجارة الرقيق ، أعلنوا تمردهم ضد السلطان تركي ،
وسبق ذلك خطاب بعث به الشيخ صالح بن على زعيم التحالف في ٩ يونيو
الى المعتمد السياسي البريطاني في مسقط بي . جي . سي . روبرتسون ابلفه
فيه بأنه تولى قيادة تحالف من القبائل تضم الحرث والحبوس والحجريين
والعوامر ويال وهيبة وبنى رواحة وبنى بوحسن وأنه يعتزم القيام بهجوم على
مسقط وينصحه بتأمين سلامة الرعايا البريطانيين المقيمين في العاصمة .
كان روبرتسون قد تسلم عمله كمعتمد سياسي لقوة في مسقط خلفا لمايلز ولم
يكن في الواقع ملما بالتركيبات القبلية في عمان ، ولم يكن يعرف طبيعة ذلك
التحالف وقوته . ولحسن الحظ كان مايلز لا يزال في مسقط ، فقرر
روبرتسون أن يستفيد بمعلوماته وخبرته في مواجهة تلك الازمة . وقد اتضح
بأن خطة القبائل قد نظمت بدقة ، فقد ذكر السيد تركي لروبرتسون بأن كافة

العناصر القبلية التي كان من المفروض أن تقف الى جانب السيد تركي عند
تجارتها عليها التحرك ، وذلك بسبب الخلافات والانقسامات التي دبت في
صفوفها . كما لم تكن توجد اية سفينة حربية بريطانية في مسقط ، والطراد
الوحيد الذي كان هناك قد غادرها يوم ٨ يونيو للقيام بأعمال الدورية بالقرب
من ساحل رأس الحد والبحث عن المتعاملين في تجارة الرقيق .

وفي يوم ١٤ يونيو شوهدت طلائع قوات الغزو في ضواحي مدينة
مطرح وقبيل ذلك بساعات قام كل من روبرتسون ومايلز بجولة في مطرح
لتحذير التجار الهنود ونصحهم بنقل ممتلكاتهم الى السفن الراسية في
الشاطيء ، ولكن طائفة الحيدر ابادية لم تكثر بالتحذير ، لأنها كانت تقيم
داخل مدينة مسورة (١) واشيع يومئذ بأن السيد عبد العزيز يشترك مع
الشيخ صالح زعيم الحرث ، غير أن هذه الاشاعة لم تتأكد ، نظرا لأن خلافا
كان قد نشب بينه وبين الشيخ صالح ، ثم لم يسمع عنه شيء خلال الايام
القليلة التي تلت ذلك . وفي يوم ١٧ يونيو وصل السيد ابراهيم بن قيس الى
مطرح تلبية لدعوة الشيخ صالح له بالانضمام . في يوم ١٥ يونيو عاد الطراد
البريطاني « تيرز » الى مسقط بعد أن تعرض لعطل استوجب عودته . ومن
ناحية أخرى كان السيد تركي قد تقدم بطلب المساعدة العسكرية لمواجهة
القبائل المتمردة الذين انتشروا في ضواحي مسقط ، وتمكنوا من قطع الطرق
المؤدية الى مياه الأبار التي تقع خارج العاصمة . وقد رفض روبرتسون طلب
السيد تركي للمعونة وقال بأنه ليست لديه صلاحيات للتصرف قبل موافقة
رؤسائه ، الا أنه وافق على تقديم الدعم العسكري اذا ما هددت العاصمة
وذلك ضمن الحدود الواردة في التعليمات المتعلقة بهذا الشأن أما في العاصمة
فلم يكن فيها أكثر من ٢٠٠ جندي للدفاع عنها ، بينما كان عدد التمرديين

(١) طائفة الحيدر ابادية من الاوليات المترابطة فيما بينها ، وهي فرع
من طائفة الاسماعيلية ويعيش افرادها داخل منطقة مسورة خاصة بها
وتمنفضلة عن المناطق التي يقيم فيها الهنود البانان (أي البوذيت) وهي
التي عدت من الهنودك سواء في مسقط أو في زنجبار .

يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ رجل ، وحتى المساعدة التي كان في الامكان تقديمها الى السيد تركى لم يكن من المتوقع أن يكون لها تأثير مباشر على سير القتال ، ولهذا الاعتبار نصح روبرتسون الهنود المقيمين في العاصمة بمغادرتها الى السفن الراسية هناك .

عند غروب شمس ١٧ يونيو بدأت قوات المتمردين تعيد تنظيم صفوفها وتتجمع في منطقة الوادى خلف العاصمة تمهيدا لشن هجومها الكبير على المدينة . وقبل حلول الظلام طلب السيد تركى من وود هاوس قائد الطراد « تيرز » اطلاق بعض القذائف على فتحة الوادى . وقد آدت تلك القذائف الغرض منها فانقضى الليل دون أن يتحرك المتمردون . في اليوم التالي انتقل الطراد الى مطرح واطلق بطلب من السيد تركى بعض القذائف على المرتفعات التي يربط فيها المتمردون . وفي الرقت نفسه أمر قائد الطراد بنقل طائفة الحديد ابادية من داخل السور الى الميناء ، وقد قام المتمردون بنهب الاسواق بطريقة وحشية وركزوا على متاجر الهنود انتقاما من قيام الطراد بضرب تجمعاتهم ، وبعد عودة الطراد الى مسقط اطلق بعض القذائف مرة أخرى على فتحة الوادى مما كان له الأثر الحاسم على الموقف ، فقد نفذ صبر القبائل لأن غايبتهم قد اشتركت طمعا في الفنائم التي وعدهم بها الشيخ صالح زعيم الحرث ، ولهذا بدأوا يتدمرون من الحالة ومن القصف الذي تعرضوا له حتى انهم بدأوا يفكرون في الانسحاب والعودة . بتاريخ ١٩ يونيو حضر أحد زعماء العوامر الى مسقط وذكر أن الشيخ صالح بن علي مستعد للتفاهم ، غير أن السيد تركى رفض العرض وأصر على انسحاب المجموعات القبلية الى خارج مطرح بمسافة بضعة أميال . في اليوم التالي اصطحب قائد الطراد « تيرز » أحد المسؤولين في حكومة السيد تركى للاجتماع بالشيخ صالح في منطقة بيت الفلج على بعد ميل تقريبا من مطرح . وقد طلب زعيم الحرث ٢٠٠٠ ريال غسوى كثمن للانسحاب مع ضمان بدفع المعاشات الشهرية التي سبق أن تقرررت له وللسيد ابراهيم بن قيس . وعند ابلاغ السيد تركى روبرتسون بشروط المتمردين سخر منها ونصحه برفضها ، خصوصا وأن التحالف القبلي قد بدأ يتفكك وانصار السيد تركى يتدققون على العاصمة . وفي ٢١ يونيو ابلغ السيد تركى الشيخ صالح زعيم الحرث صراحة انه لن يدفع له شيئا ،

وأنه حر في البقاء أو العودة الى مسقط رأسه كيفما شاء . وبهذا انتهى التمرد وأخذ رجال القبائل ينسحبون ويعودون الى مناطقهم يائسين بعد أن خابت آمالهم ، كما عاد الشيخ صالح زعيم الحرث الى الشرقية وتعرض مركزه القبلى للاهتزاز .

ساد الهدوء النسبى فى الفترة الباقية من حكم السيد تركى ، ذلك أن انهيار التمرد القبلى قد أضفى شيئا من الاستقرار على الاوضاع فى الداخل ، كما أن النهاية المخزية التى انتهى اليها التمرد ، كما اشار روبرتسون ، شكل ضربة قاصمة للمتطرفين منذ وفاة السيد عزان بن قيس ، ورغم كل ذلك فإن السيد تركى لم يشعر بالاستقرار . وفى بداية عام ١٨٨٠ ترددت الاشاعات عن اعتزام السيد تركى بالتنازل عن الحكم بشرط أن يوافق السيد برغش على توحيد زنجبار وعمان تحت سلطة واحدة وتخصيص معاش سخى له . وفى مارس ١٨٨٠ بعث جون كيرك المعتمد السياسى البريطانى فى زنجبار بتقرير الى السلطات المسئولة فى الهند ، ذكر فيه أن القادمين من عمان يجمعون على رغبة السيد تركى فى التنازل عن الحكم الذى لولا التأييد الذى تقدمه اليه والمعونات المالية التى تدفعها اليه حكومة الهند لرشوة القبائل العمانية لما بقى فى الحكم يوما واحدا . ويقال بأن السيد تركى قد فقد العزم والارادة التى كان يتصف بها وأصبح عاجزا عن مواصلة الحكم . وعلى الرغم من موافقة روس على رأى كيرك فى السيد تركى الا انه كان أقل تحاملا عليه :

« لابد من أن نضع فى الاعتبار موقف العرب واعرترافهم بسياسة التفاهم والكرم التى يتحلى بها السلطان . ولو أن السيد تركى كان أكثر طموحا ونشاطا ، لربما ظل فى الحكم فترة أطول . وعلى أية حال فلا بد من الاعتراف بالفضل للسيد تركى على ما أظهر من شجاعة واخلاص فى علاقته بالحكومة البريطانية . وفيما يتعلق بتجارة الرقيق فقد انتهج السيد تركى سياسة تتفق والمصالح البريطانية ، كل ذلك على حساب سمعته ومركزه بين العرب . لقد اردت بهذا القول أن أؤكد بأن التنديد الذى لا مبرر له بسياسة السيد تركى لن يكون موقفا منسجما مع تقديرنا لمواقفه تلك ، وحقه فى تأييد وعطف الحكومة البريطانية . غير أنه من المؤكد ، كما ذكر الدكتور كيرك ان السيد

تركى متشائم من وضعه ويؤكد دائما عجزه عن مواجهة الأزمات التي يتعرض لها . ولعل ذلك يعود لضعفه الجسماني وإلى القلق الذي يعاني منه باستمرار .

فى أواخر صيف عام ١٨٧٨ قام انجال الأمير سعود بن فيصل بتحريض قبائل الاحساء على التمرد على الاتراك ، مستغلين انشغال الباب العالي بالمشكلات الأوروبية . وفى أواخر اغسطس تمكنت هذه القبائل من فرض حصار على الحاميات التركية فى الهفوف والعقير . كما اخذ رجال البدو ، وبصفة خاصة قبائل بنى هاجر وعجمان والعمير ومرة ، ينهبون المناطق الريفية بين القطيف والعقير . ان هذا الانفجار الذى يشبه انفجار عام ١٨٧٤ قد خلف وراءه قصصا دامية من الدمار ، الأمر الذى شجع العصايات القبلية على التمدادى فى أعمال السلب والنهب على طول المنطقة . وعلى غرار أحداث عام ١٨٧٤ امتدت موجة أعمال العنف الى البحر ، وفى شهر أغسطس هاجمت مجموعة من بدو بنى هاجر إحدى سفن رأس الخيمة فى الدوحة وأرغمتها على الاتجاه الى إحدى المناطق القريبة من ساحل قطر لتقل عددا آخر من أفراد القبيلة ، ثم انتقلوا بعد ذلك لأعمال النهب والسلب على الضفة الفارسية للخليج ، وقاموا بالاعتداء على بعض السفن الفارسية بالقرب من جزيرة الشيخ شعيب وعلى سفينة أخرى مجهولة الجنسية وقاموا بقتل ربانها ، ثم عادوا بالفنائم الى قطر . كذلك اقتربت أعمال القرصنة فى نفس الفترة فيما بين البحرين والاحساء . وفى الأسبوع الثانى من سبتمبر أبحر الطراد البريطانى « قلتشر » من يوشهر بأمر روس لاجراء تحقيقات عن تلك الانتهاكات . وقد تأكد لقائد الطراد بان أعمال القرصنة قد تفاقمت بصورة لم تكن متوقعة وبأن مصدرها منطقتى الظهران التى تبعد عن القطيف ببضعة أميال ، كما كان للدوحة وزبارة دور فيها وبأن شيخ النعيم لم يكن يتستر على القراصنة فحسب ، وانما كان يشرك ابنه فى تلك الأعمال ، وقد قام ابنه بالاعتداء على إحدى سفن قطر وقتل ثلاثة من بحارتها ، بينما كان والده يراقب تلك العملية من الشاطيء . وبعد بضعة ايام لجأ ذلك الشيخ عند حاكم البحرين الذى زج بنفسه هو الآخر فى تلك العمليات غير المشروعة . وعلى اية حال فقد اقتصر دور حاكم البحرين على العمليات التى وقعت فى البحر . وقد قامت سفن البحرين بمطاردة القراصنة حتى

ساحل الاحساء . وحدث أن اطلقت النار على سفينة تابعة لابو ظبي واصابت احد بحارتها بجراح :

تأكد لروس بأن الاعتداءات الوحيدة التي يمكنه اجراء فيها وفرض تعويضات عن القرصنة التي ارتكبت هي الاعتداءات التي تقع على سفن البحرين . وقد اوضح ذلك لحكومة الهند حيث ذكر : بأن مسؤولية الاعتداءات التي تتعرض لها سفن البحرين تقع على عاتق سكان البدعة ، والقطيف وزيارة وهي المناطق الداخلية المواجهة للبحرين . أما فيما يتعلق بقطر والقطيف فالحكومة التركية هي المسؤولة عنها . ولا توجد أسباب تدعو الى اتهام الولاة أو السلطات المحلية في الاقاليم المذكورة بالتواطؤ مع المهيمنين ، الا أنه من الواضح انهم لم يتخذوا الاجراءات الاحتياطية اللازمة لمنعها وسمحوا لتلك العصابات بأن تفرض الاتاوات على الناس ثم تهرب الى تلك المناطق .

وكان روس لا يتوقع أن يقوم الاتراك بأية اجراءات لوقف تلك الموجة من أعمال الاعتداء والقرصنة ، فالاتراك عاجزون عن وقف غارات قبائل البدو على البصرة نفسها . وعلى أية حال فقد كان روس يرى بوجوب ابلاغ الحكومة التركية عن تلك الاعمال وقد تم ذلك عن طريق القنصل البريطاني العام في بغداد . اما بالنسبة لسفن البحرين فقد طلب روس من حاكمها الشيخ عيسى فرض غرامات على بحارة السفن البحرانية التي اشتركت ، كما فعل نفس الشيء مع حاكم قطر فيما يختص برعاياه ، كما كان يرى روس مطالبة جاسم آل ثاني بتقديم ايضاحات عن عدم القاء القبض على القراصنة وعن السماح لهم باستخدام اراضيه في الانطلاق . أما زيارة فقد كان أمرها اكثر صعوبة لان السلطة التركية عليها لا وجود لها ، كما رفضت حكومة الهند اعتبار حاكم البحرين مسئولاً عن تلك الأعمال . وقد اقترح روس على الحاكم العام أنه في حالة موافقته على اتخاذ اجراءات ما ضد زيارة ، فلا بد ، بل ومن الأفضل ، أن يتم ذلك بمعرفة الحكومة التركية .

فى الاسبوع الاول من اكتوبر عاد الطراد « فليشر » الى الساحل الغربى للخليج ، بعد ان قدم قائده الكابتن بريجل تقريره عن نتائج تحقيقاته فى زبارة والبحرين خلال الشهر السابق . واقفجرت أعمال قرصنة جديدة على ساحل القطيف . وبما ان روس كان متاكدا من الاثراك بانهم لن يردوا على اى خطاب بهذا الشأن ، فقد قرر ان يتصرف قبل وصول رد حكومة الهند فى سملا . وفى يوم ١٦ اكتوبر وصل نفس الطراد الى البحرين ، وقد طلب حاكم البحرين من قائده ان يتعاون معه على مكافحة القرصنة . وعند ابحار الطراد فى اليوم التالى الى القطيف كان يصحب معه سفينة تفل خمسين من المسلحين . وعند وصوله هناك ، شاهد العلم التركى يرفرف على رأس تنورة ، وكان يشرف على المركز ضابط برتبة عريف وأربعة جنود . وقد ذكر له قائد المركز ان الاتصالات مع القطيف مقطوعة . وقد قدم الطراد الى المركز كميات من الماء وبعض البسكويت والسجائر ، وأخذ معه الضابط ، ثم القى مرساته فى نقطة تبعد بمسافة ٦ اميال من خور القطيف ، واثناء الليل تحركت قوارب الطراد وعليها بعض المسلحين وتوجهوا الى الخور فى اتجاه الحامية الرئيسية . وقد شعر والى الاثراك بارتياح لحضور الطراد لان الحامية كانت تعج بالتمردين ، وقام قائد الطراد بتسليمه رسالة من روس يقترح فيها على الوالى بالتعاون على مكافحة أعمال القرصنة داخل القطيف . وقد قبل الوالى الاقتراح ، وسأل القائد عما اذا كان يرغب فى ان تنترك الحملة ضد القرصنة على قبائل عمير .

فى الليلة العاشرة وصلت معلومات تفيد بان اسطول عمير موجود فى الطرف الشمالى الغربى للخور ، وتوجه الطراد الى رأس تنورة وخلال الليل قام بسد المنفذ الشمالى على القراصنة وفى صباح اليوم التالى رسا بالطراد على بعد ثلاثة اميال من تلك البقعة . وفى مساء نفس اليوم انتقل قائد الطراد بالزورقين فى اتجاه اسطول عمير الذى كان بالقرب من الساحل ، فوجد نحو مائتين منهم على الساحل ، بينما كان عدد آخر منهم يطلق صرجات من السفن لتحذير زملائهم على الساحل .

ومن على مسافة ٧٠٠ ياردة اطلق قائد الطراد بعض القذائف على المتجمعين، وقد رد رجال القبائل على النار بالمثل ولكن القائد ضاعف من القذائف حتى تمكن من اسكات القراصنة ثم قام بجمع السفن التي وجدها هناك وكان عددها ١٥ سفينة واتجه بها الى القطيف لتسليمها الى الوالى التركى . وفى ١٥ اكتوبر غاد قائد الطراد الى الدمام حيث كان من المقرر أن يلحق به زعيم سيحاح على رأس خمس سفن و ١٥٠ رجلا ، وذلك للقيام بهجوم على بنى هاجر ، وقبل وصوله الدمام تلقى رسالة من رئيس المنطقة يذكر له فيها بأن المنطقة تزعج بالمشاغبين فاصطحب القائد قواربهم الى الدمام ، واخذ فى مسح المنطقة حتى عثر على ثلاث مراكب كبيرة وأربعة صغيرة مرفوعة على الشاطئ على بعد ٤ أميال من الدمام ، وكانت اثنتان من تلك السفن تخص أهل البحرين فاصطحبهما القائد معه وقام بتدمير بقية السفن بعد أن تاكد من أنها لقبائل بنى هاجر .

فى تلك الاثناء تلقى روس رد حكومة الهند بشأن الخطوة التى يتعين عليه اتخاذها فى موضوع زبارة . وكان الرد يكلفه بتقديم الأدلة والبيانات على اشتراك زبارة فى اعمال القرصنة الى والى البصرة ، ويطلبه بفرض العقوبات على المسئولين عنها ، كما يتعين عليه أن يعرض عليه تعاون البحرين فى الاجراءات التى ستتخذ ، أما اذا رفض الوالى طلبه فيتعين عليه أن يفكر فى اجراء يتخذه ويعرضه على حكومة الهند لأخذ رايها أو موافقتها عليه ، على ألا يتصور انه ليس حرا فى اتخاذ الاجراءات التى يراها كفيلة بوضع حد لانتشار اعمال القرصنة . كما أكدت له هذه الحكومة بأنها تفوضه فى اتخاذ الاجراءات الفورية اللازمة امامية الجناة ايا كانت جنسياتهم فى حالة تجدد اعمال القرصنة فى المنطقة والواقع أن حكومة الهند كانت ملتزمة فيما يتعلق بزبارة بقرارها الصادر فى عام ١٨٧٣/١٨٧٤ برفض الاعتراف لحاكم البحرين بحقوق السيادة على أى جزء من داخلية شبه الجزيرة . وفى شهر مايو ١٨٧٥ جرى تعزيز هذا القرار عندما ذكر روس للمسئولين فى الهند أن حاكم البحرين يحاول مساعدة سكان زبارة بالمال والسلام . وقد بعث اتيشيسون بخطاب الى المقيم طلب فيه أن يوضح لحاكم البحرين الشيخ عيسى بأنه اذا أستمر فى

الاشترك في أعمال محظورة تتعارض مع سياسة حكومة الهند فانه سوف يعد مسئولاً عن ذلك وبأن الحكومة البريطانية سوف تكون في حيل في اتخاذ ما تراه ضرورياً من التدابير في ذلك الشأن . وقد صادق مجلس شئون الهند على مضمون خطاب اتشيسون رغم أنها اعتبرته موقفاً مجحفاً . فقد أشار الكولونيل تى . اوين الذى خلف كيه بعد أن أحيى الأخير على المعاش سنة ١٨٧٤ ، كسكرتير للجنة السياسية والسرية الى أن اقتراحات اتشيسون تبدو قاسية بالنسبة لحاكم البحرين ، الذى يعتقد أن حقوقه فى داخلية شبه الجزيرة حقوق مشروعة ، غير أن وزير الدولة لشئون الهند كانت لديه عدم الرغبة فى الفاء تلك القرارات بعد صدورها من حكومة الهند ، لأن الظروف كانت تبررها الى حد كبير كما لم يحاول سانسبورى أن يلقى تلك القرارات التى أصبحت منذ ذلك الوقت السياسة البريطانية المعلنة بالنسبة لزيارة .

فى يوم ٢٢ أكتوبر غادر روس بوشهر الى البصرة على سفينة البريد يرافقه الطراد « فيلتشر » وفى يوم ٢٤ اجتمع بالوالى ثم عاد فاجتمع به يوم ٢٦ أكتوبر الا ان الاجتماعين لم يسفرا عن اية نتائج ايجابية . فقد أوضح الوالى انه لا بد أولاً من التأكد من صحة المعلومات التى ادلى بها قائد الطراد قبل اتخاذ قرار فى الموضوع . ثم استطرد متجاهلاً ان قائد الطراد هو الذى قام بفك الحصار عن حامية القطيف وبذلك انقذ أرواح الحامية وبأنه لم تكن ثمة حاجة الى تدخل الأسطول البريطانى لاعادة النظام الى الاحساء أو الى أية منطقة أخرى من المناطق التابعة للأتراك . وكان من الواضح أن عبد الله باشا وهو من المتطرفين الدينيين يكن كراهية شديدة للبريطانيين كان يتشكك فى نوايا الانجليز من الاجراءات التى يتخذونها فى مجال مكافحة القرصنة داخل مياه الاحساء . وعلى اية حال فقد كان لعبد الله باشا تصورات الخاصة بالنسبة للمشكلة ، فقد جاء فى تقرير لروس حول هذا الموضوع بعد مغادرته البصرة . فعلى حين تبذل الحكومة البريطانية مساعيها لمكافحة القرصنة ومعاينة أصحابها ، فإن الوالى التركى على ما يبدو يحاول استغلال اجراءات الحكومة البريطانية لفرض الحكم التركى على زيارة وعلى غيرها من المناطق

الساحلية في نجد وقطر التي كانت تتمتع بشبه استقلال ، وبعد أيام قليلة على سفر روس من البصرة ذكر عبد الله باشا لمساعد القنصل البريطاني في البصرة بأنه على الرغم من حرصه على مكافحة القرصنة في الأحساء ، إلا أنه يتوجب عليه أولاً قمع التمرد الذي نشب هناك ضد الأتراك ، ولما كانت القرصنة قد جاءت نتيجة مباشرة للتمرد فإنه قد قرر التوجه بنفسه إلى الأحساء حيث ينوى أن يقيم حاميات عسكرية على امتداد المناطق الساحلية . وعند سؤال مساعد القنصل عن حدود المناطق التي ينوى إقامة الحاميات فيها أجاب بأنه لا يدري وأن ذلك يتوقف على زيارته للأحساء ، ولكنه أكد بأنه سوف يقيم حاميات رادعة في كل من الهفوف وأقطيف ، ويرابط في كل منهما ما لا يقل عن خمسمائة من الجنود والفرقة من الجنود النظاميين .

وبعد أسبوعين من عودة روس إلى بوشهر تلقى تعليمات تفيد بأنه قد صرف النظر عن فرض عقوبات على أهل زبارة ، لأنهم قد عوقبوا بما فيه الكفاية . ففي أول نوفمبر تلقى قبطان الطراد البريطاني « العرب » الذي كان يقوم بأعمال المراقبة في مياه البحرين تلقى معلومات تفيد أن نحو ١٠٠٠ رجل من قبائل بني هاجر ومرة والناصر قد فرضوا حصارهم على زبارة . وفي ٢ نوفمبر أبحر الطراد إلى قطر ، ثم منه في اليوم التالي إلى خور حسن القريبة من زبارة ، ولكنه وجد أن الهدوء يسود المنطقة . وبعد عودته إلى البحرين طلب منه الشيخ عيسى العودة إلى زبارة بعد أن تلقى حاكم البحرين معلومات عن وجود ناصر بن مبارك وجاسم آل ثاني فيها ، غير أن قائد الطراد رفض طلب الشيخ عيسى وقال بأن التعليمات التي في جوزته تقصر مهمته على الدفاع عن البحرين فحسب لكن بعند يومين قام الاثنان ناصر بن مبارك وجاسم آل ثاني بهجوم على زبارة بقوات كبيرة من القبائل التابعة لها وقد قاما بتدمير البلدة . وقد حال سوء الأحوال الجوية دون وصول معلومات عن ذلك الاعتداء إلى المقيم قبل ١٤ نوفمبر . وفي يوم ١٥ منه ألق به الطراد « تيرز » ووصل إلى البحرين في ١٧ نوفمبر ، وقد اجتمع به حاكم البحرين وطلب منه العمل السريع لانتفاذ سبكان زبارة وعند وصوله إلى زبارة كان هناك جاسم آل ثاني الذي كان

يعسكر بنجو آلفى رجل من اتباعه ووجد البلدة وقد تحولت الى انقاض . وكان نحو ٥٠٠ من قبيلة النعيم محاصرين داخل احدى القلاع . غير ان روس زاي عدم التدخل فى صراعات لا ناقة له فيها ولا جمل . الا انه على اية حال قام بتحذير جاسم آل ثانى وطلب منه ابلاغ تحذيره الى ناصر بن مبارك بأن أى هجوم يقوم به على البحرين سوف يرد عليه بقوة . ومن زيارة أبحر روس الى رأس تنورة حيث كانت السفينة التركية المسلحة فى الميناء فقام بتسليم برقية مرسلة من عبد الله باشا وصلته عن طريق القنصل التركى فى يوشهر . وقد طلب عبد الله باشا فى برقيته من والى القطيف إبحار السفينة المسلحة الى زيارة لاعادة النظام الى البلدة وتحذير جاسم آل ثانى من القيام باعتداء على البحرين . فى الأسبوع الثانى من نوفمبر وصلت السفينة « الاسكندرية » الى زيارة وكانت تقل ٢٥٠ جنديا . كان النعيم حتى ذلك الوقت لا يزالون محاصرين وقد نجح قائد السفينة الإسكندرية من ترتيب هدنة بين النعيم من جهة وبين جاسم آل ثانى ومبارك من جهة أخرى . كما أخذ تعهدا من لازعيمين بعدم الاعتداء على البحرين ، وقد وافق غالبية النعيم على مصاحبة جاسم الى الدوحة ، بينما طلب البقية التوجه الى البحرين .

وعلى الرغم مما ابداه روس من الأسف على ما تعرضت له زيارة من تدمير ، الا انه تصور بأن البحرين قد تستفيد من ذلك الحادث حتى لو أدى الى امتداد السيادة التركية على الساحل الغربى لقطر . . . ففى خطاب له الى حكومة الهند ذكر روس : « بأن اقامة مركز تركى منظم فى زيارة أو فى المنطقة القريبة فيها سوف يكون اجراء حاسما لوضع حد لمخاوف البحرين التى ظلت تعانى منها عدة سنوات والتي كان يقف وراءها اشخاص مثل ناصر بن مبارك . وقال روس بأن وجود السلطة التركية فى المنطقة قد لا يمنع من وقوع أعمال القرصنة فى المياه البحرية ، كما لا يمنع من نشوب حركات تمرد فى الاحياء كالذى وقع فى ديسمبر ١٨٧٨ . غير أن مثل هذه الانتهاكات للأمن سوف تكون فى متناول المراكز التركية القريبة ، كما ذكر عبد الله باشا ، وعلى العكس من ذلك كما يقول روس فقد يودى الى انفجار أوسع لأعمال القرصنة . ففى نهاية الشهر اشترك

مقصود بن مناخر أحد شيوخ عجمان ، وزايد بن محمد شيخ بنى هاجر في الاستيلاء على سفينة بحرانية واستخدمها في مهاجمة إحدى السفن بالقرب من ساحل القطيف واستوليا على ما فيها من بضائع يقدر ثمنها بألفى روبية . وخلال إحدى عمليات القرصنة شوهدت نحو عشر سفن تركية قريبة من مكان القرصنة وكان عليها بعض الجنود المتوجهين من العقير إلى القطيف ، إلا أنها لم تتخذ أى إجراء ضد القراصنة ، ولم ترد حتى على نداء المساعدة الذى أطلقه ركاب السفينة المعتدى عليها .

وفى الأسبوع الثانى من يناير ١٨٧٠ تلقى الكولونيل جى . بى . نيكسون الذى خلف هريرت فى منصب المعتمد السياسى والقنصل البريطانى العام فى بغداد تعليمات من الهند بوجود اثاره هذا الموضوع مع السلطات التركية واعطائها الخيار بين أن تتولى هى بنفسها اتخاذ الإجراءات ضد زايد بن محمد الذى كان يتخذ من الظهران ملجأ له ، أو أن تسمح للحكومة البريطانية باتخاذ مثل ذلك الاجراء . غير أن نيكسون بدلا من العمل بتلك التعليمات طلب من الباب العالى الموافقة على أن تقوم إحدى السفن الحربية البريطانية بالاجراءات اللازمة لقمع أعمال الشغب ، كما ابرق فى الوقت نفسه الى لايارد فى القسطنطينية يطالبه بأن يقترح على الباب العالى أن تتولى السفن البريطانية مهام حفظ الأمن فى سواحل الاحساء . وكان رد عبد الله باشا على اقتراح نيكسون انه كلف إحدى السفن الحربية التركية القيام بدوريات على ساحل الاحساء . كما بعث بتعليمات مشددة الى متصرف الاحساء باتخاذ الاجراءات اللازمة للقضاء على نشاط القراصنة . وبعد ايام حصل لايارد على تأكيدات من الباب العالى بتكليف إحدى أو كلتا السفينتين التركيتين « الاسكندرية » و « برصنة » غير ان تلك التأكيدات لم تكن فى مستوى الاجراءات . وفى منتصف يناير هاجمت قوة تركية فى القطيف قرية الحسين على بعد خمسة اميال من الظهران وقامت بتدميرها . أما السفينة التركية الحربية التى كان من المقرر أن تبحر الى ساحل الاحساء فلم تتحرك بسبب اصابة محركها بمطرب .

ان انتصار زايد بن محمد وعجز الحكومة التركية قد شجعنا بشي

هاجر على الاستمرار فى اعمال القرصنة . فقد هاجمت عصاباتهما سفينتين بحريتين بالقرب من القطيف ونهبتهما ، ثم توجهوا بعد ذلك الى ساحل الحسين واعلنوا انضمامهم الى زايد بن محمد الذى كان لا يزال مقيما فى الظهران . وقد قام الجميع بامتطاء السفن للبحث عن ضحايا جدد ، وفى بداية ١٤ فبراير بعث بروس ببرقية عاجلة الى الحكومة الهندية فى كلكتا يناشدها اتخاذ الاجراءات لقمع القرصنة خوفا من ان تتخذ ابعادا خطيرة فى المنطقة ، وقد اقترح مطالبة الاتراك باتخاذ الاجراءات لتأديب بنى هاجر ، والموافقة على اية اجراءات قد تتخذها السفن البريطانية فى هذا السبيل بهدف اقرار النظام فى المنطقة .

وفى اليوم التالى تلقى رد الحاكم العام « ٠٠ رجاء اصدار التعليمات الى « سبارتان » للقيام بدوريات عبر ساحلى القطيف والبحرين ، مع العمل على تنفيذ بنود المعاهدة الخاصة بحماية البحرين . واتخاذ الاجراءات اللازمة لقمع القرصنة وفرض العقوبات على الذين ينتهكون حرمة السلام ايا كانت جنسياتهم وبشرط الا تمتد الاجراءات الى الاجزاء الداخلية ، واتصلوا بالمسئول البريطانى الموجود حاليا بالبحرين ، اذا تتطلب الامر ذلك .

فى ١٩ فبراير بعث روس بمساعدة الكابتن دوراند الطراد الى البحرين . ثم بعد خمسة ايام انزل الطراد سبارتان وحدة من الكتيبة البحرية التى ترابط فى جاسك ، غير انه قبل وصول هذه القوة تعرضت البحرين لغارة قامت بها مجموعات من بنى هاجر فى ١١ فبراير هاجم نحو ثلاثون مسلحا من هذه القبيلة قرية بالقرب من المنامة ، وقتلوا اشد المواطنين ثم فروا ومعهم ٢٥٠ خروفا . وكان حاكم البحرين متاكدا من ان ناصر بن محمد هو المحرض والمدير لتلك الغارة ، وعند وصول الكابتن دوراند طلب الشيخ عيسى منه ان ياذن له بارسال سفينة خاصة لشن هجوم على بنى هاجر فى الظهران واسترداد المسروقات منهم ، وعندما رفض دوراند طلب حاكم البحرين عاد الشيخ عيسى فسأله عما اذا كان يمكنه الاتصال بالامراء مباشرة حول استرجاع حقوق اهل البحرين . غير ان

دوراند عارض ذلك رغم اعتقاده أن شيخ البحرين كانت له اتصالات بالفعل مع الأتراك ، وعند ابلاغ روس بطلب حاكم البحرين ، أبدى روس تعاطفا معه ، وبالتالي فقد طلب من حكومة الهند اتخاذ الاجراءات ضد بنى هاجر . وقد وافقت حكومة الهند على اقتراحه وكلفته باعداد خطة للعمليات البحرية الممكن اتخاذها من منطلق حق الحكومة البريطانية فى اتخاذ مثل تلك الاجراءات ، وتنفيذا لذلك اقترح روس القيام بمسح شامل للمناطق التى يعتقد ان القراصنة يأوون اليها من الاحساء وبتخصيص سفينة واحدة للقيام بدوريات مراقبة لساحل البحرين . وقد أقر الحاكم العام الخطة المقترحة مشروطا عدم القيام بأية عمليات داخل المنطقة تتعدى مدى مدفعية الأسطول .

وقد رأى الكولونيل نيكسون أن مقترحات روس بشأن تأمين الملاحة فى مياه الاحساء وقطر والبحرين مقترحات مبالغ فيها . وفى رسالة بعث بها نيكسون الى لايارد فى بداية شهر مارس حول عمليات القرصنة الاخيرة ذكر فيها ، بانها حالات متفرقة نتجت عن التمرد الذى وقع فى الاحساء ، وانها ليست من النوع الخطير السابق ، وأضاف نيكسون بان مخاوف روس وحاكم البحرين من تلك العمليات لم يكن لها ما يبررها . فلقد كان نيكسون يحث الحكومة التركية دائما على اتخاذ اجراءات ضد تلك المخالفات ، وبأن الحكومة التركية قد استجابت لطلبه عندما قامت بالهجوم على قرية الحسين فى الظهران وتدمير معقل القراصنة فيها . وقال نيكسون بان مخاوف حاكم البحرين موقف يتسم بالطيب ، نظرا لأن الشيخ عيسى يتمتع بالحماية البريطانية بموجب المعاهدة وذلك يكفى فى حد ذاته ، وإن ليس ثمة كما هو واضح ، ما يحمل حاكم البحرين على المطالبة بشن هجمات على القراصنة فى الاراضى التركية ، وأكد نيكسون بان روس عندما اقترح على المسئولين مطالبة الحكومة التركية بالموافقة على أن يتولى الأسطول البريطانى مطاردة القراصنة فى مياه الاحساء فى حالة غياب الاسطول التركى ، لم يكن يضع مسألة السيادة التركية فى اعتباره . وأوضح نيكسون فى مذكرته الى لايارد بأن يضع فى اعتباره ان احتلال الأتراك للمنطقة الرئيسية من شبه الجزيرة ابتداء من الكويت

حتى زبارة ، قد وضع القبائل الساحلية الصغيرة فى هذه المناطق تحت سيطرتهم تلقائيا كما غدت كافة المصالح على ساحل نجد مرتبطة بوجودهم وأخيرا قال نيكسون : باننى قد سبق أن أدليت بوجهة نظرى فى هذا الشأن . ولكن أستنتج من اجراءات المسئولين البريطانيين فى بوشهر ، أن هذه الحقيقة قد غابت عن تفكيرهم .

ويبدو أن نيكسون من خلال هذه الاستنتاجات وبصفة خاصة امكانيات الأتراك فى مكافحة القرصنة على ساحل الأحساء ، كان يتجاهل ما تقوله التقارير التى كان يبعث بها اليه روبرتسون مساعده فى البصرة ، فقبل اسبوعين كان روبرتسون قد أبلغه على سبيل المثال بأن الاجراء الذى اتخذه الأتراك ضد القراصنة فى قرية الحسين لم يردع رلقراصنة أو بالأحرى. يفضى على نشاطهم الذى يذهب ضحيته الأبرياء وأن هدف الأتراك من هذا الاجراء هو النهب واستعراض القوة،وعندما اتصل روبرتسون بعبد الله باشا حول موضوع القرصنة ومطالبته باتخاذ اجراءات تأديبية فان الوالى قد ذكر بانه لا يعرف أى شىء عن الموضوع . وبالتالى فمن العبث كما ذكر روبرتسون لنيكسون فيما بعد ، أن تتوقع الحكومة البريطانية اجراءات فعالة من الوالى الذى يعتقد بأن أعمال القرصنة فى المياه التركية موضوع خارج عن اختصاصه ، ويتحدث فى مجالاته الخاصة بمنتهى الصراحة عن رايه فى البريطانيين ، فضلا عن أن عبد الله باشا قد اصيب بالخوف وأنه غير محبوب لأمن العرب ولا حتى من الأتراك .

استاء ليتون كثيرا من مضمون رسالة نيكسون الى لايارد فكتب .
ينتفده :

« اعتقد أن نيكسون لا يعرف شيئا عن شئون المنطقة التى يتحدث عنها وأن الآراء التى عبر عنها فى رسالته الى سفير صاحبة الجلالة فى القسطنطينية مشكوك فى صحتها ، أن المشكلة التى تعترضنا فيما يختص بأعمال القرصنة وغيرها من الاعتداءات أنها تقع داخل المياه الاقليمية للأتراك

أو قريبا منها . واعتقد أن الكولونيل نيكسون على ما يبدو ادرك هذه الحقيقة . وبالإضافة الى كل هذا فإن هذا المسئول البريطاني لا يزال يتصور بان القرصنة الاخيرة كانت نتيجة للنزاع بين قبائل داخلية نجد والبحرين . غير أن الكولونيل روس لا يشاطره هذا الرأي فهو خبير بهذه المناطق كما توجد تحت تصرفه امكانيات كثيرة تمكنه من الحصول على معلومات أوفى .

وعلى حد اعتقاده لم تقع أية نزاعات قبلية كتلك التي يشير اليها روبرتسون وأن المخالفات التي ارتكبت كانت معظمها من فعل عصابات معروفة مهنتها القرصنة وهدفها هو السلب والنهب . والاغرب من ذلك أن روبرتسون قد ذكر للكولونيل نيكسون أنه لم تقع أية اضطرابات فى داخلية شبه الجزيرة على الإطلاق ، غير أنه اذا لم تتخذ الإجراءات الدفاعية على منطقة الساحل الغربى ، فمن المحتمل أن تمتد الاضطرابات الى داخلية شبه الجزيرة .

» لم يستجد شيء كما ذكر روس يستوجب ايضاحات خاصة بشأن المخالفات التي يأتيتها بنو هاجر وشركاؤهم ، عدا أن هذه المخالفات هي أكثر أعمال القرصنة جرأة . ومن المعروف منذ عدة سنوات أن هذه الجماعة تمارس ما شاءت من أعمال القرصنة والاعتداءات دون أن تنال ما تستحقه من عقاب . وقد درج أفراد هذه العصابة على التربص بضحاياهم على سواحل البحر . وقد سبق لهم ممارسة هذا النشاط فى كل من ساحل قطر وخور العديد ، ولكنهم بعد أن تم تدمير قواعدهم فى خور العديد نقلوا نشاطهم الى السواحل التركية القريبة من القطيف ، وفى هذه المناطق يستطيعون ممارسة نشاطهم فى امان ومكاسب كبيرة وقد شجعهم على الاستمرار فى ممارسة هذه الأعمال غير المشروعة افلاتهم من العقاب . فاذا لم تتم معاقبة الرؤوس المدبرة لهذه العصابة واسترداد الاموال التي اغتصبوها فلن تنعم المنطقة بالامر والسلام . وأنه لأمر يدعو الى الاسف أن مسئولية تلك الاعتداءات تقع على الأتراك أو على المسئولين المحليين ، سواء عن ضعف فى السلطة أو نقص فى الصلاحيات لاتخاذ الإجراءات الفورية لردع تلك

المصائب أو فى قبول اعتذاراتهم عن الاضطلاع بمسئوليتهم فى تلك
الحوادث » .

أن أكثر ما استفز اللورد ليتون فى ملاحظات نيكسون هو محاولته
رسم حدود السيادة الفعلية للاتراك على الجانب العربى للخليج . فهذا
الموضوع بالإضافة للمسئولية البريطانية فى المحافظة على الأمن فى المناطق
العربية للسلطة التركية هى الموضوع الذى كان يستأثر بأهتمام الحاكم
العام منذ بضعة أشهر . وفى أغسطس السابق طلب نيكسون من لايارد
بأن يصدر تعليمات الى المقيم بأحالة أى خلاف مع السلطات التركية فى
الأحساء بشأن الاعتداءات البحرية فى مياه سواحل شبه الجزيرة اليه فى
بغداد . وذكر أيضا بوجوب اعتبار الأتراك مسئولين مسئولية كاملة عما
يفع من اضطرابات وآخلال بالأمن فى داخلية شبه الجزيرة العربية وبأن
يتمين على المقيم أن يتحاشى اتخاذ اجراء منفرد . الا أن نيكسون مع ذلك
كان يعارض من حيث المبدأ التدخل فى شئون القبائل العربية فى شبه
الجزيرة أيا كان ذلك التدخل ما لم يتم بالتعاون مع السلطات التركية هناك
وذكر : أن الأتراك مستعدون للتعاون اذا طلبت منهم ذلك . وقد وافق
لايارد على أرائه هذه واقترح على سالسبورى العمل بموجب مقترحات
الحاكم العام واعتبار الأتراك مسئولين عن أعمال القرصنة والاخلال بالأمن
التي تقتربها القبائل العربية ضد رعايا الحكومة البريطانية ضمن الأراضى
الخاضعة لسيادة الباب العالى .

أحال سالسبورى المقترحات الى مكتب شئون الهند ، ثم أجالها
المكتب بدوره الى حكومة الهند الا أن أى . سى لايل الذى حل محل
أيشيسون فى وزارة الهند الخارجية أهملها وذكر بان السواحل الغربى
للخليج وساحل الأحساء من الموضوعات التى رسم حدودها ، فالأول يمتد
بمعناه الواسع من المناطق القريبة للبصرة الى رأس الحد ، أما الثانى فمن
المحتمل أنه يبدأ من نقطة تقع غير بعيدة من الكويت وينتهى عند نقطة قريبة
من جزيرة الدمام وتساءل لايل عما اذا كان نيكسون ولايارد يعرفان شيئاً
عن موضوع أحالة الخلافات مع شيوخ الهند وسلطان مسقط الى والى بغداد
وحتى اذا أفترضنا أنهما يعرفان بأن مقترحاتهما ذات طابع محدود ، فما هى

المناطق التي يدعى الباب العالى بالسيادة عليها كما ذكر لايارد ؟ فلا بد اولاً من تحديد هذه النقاط وحتى يمكن تقييم أهمية تلك المقترحات . ولهذا بعث لايال الى كل من نيكسون وروس فى شهر ديسمبر بخطاب يطلب آراءهما حول حدود السيادة التركية على الساحل الغربى للخليج ، وفى الاجراءات التي يستوجب اتخاذها اذا تعرض الأمن فى الخليج لحملات القرصنة التي تنطلق من الأراضى الخاضعة للاتراك وعجز الأتراك عن مواجهتها أو وضع حلول لها . كما طلب لايال من المسئولين البريطانيين بأن يدلوا برأيهما حول مدى تأثير كل من المصالح البريطانية والفارسية فى الخليج ، فى حالة الاعتراف للاتراك بحقوقهم والتزاماتهم على الساحل العربى ، وبصفة خاصة لو نتج عن مثل ذلك الاعتراف ازدياد فى القوة البحرية التركية فى المنطقة (١) .

غير ان نيكسون رد على استفسارات لايال بآراء لم تكن شافية :
فى الوقت الذى اعترف بعجز الأتراك عن المحافظة على الأمن فى المناطق العربية الخاضعة لهم أشار الى أن الوجود التركى فى الأحساء قد ساعد على وقف توسع الوهابيين لا فيما يتعلق بنجد وحدها بل وفيما يتعلق بالهند . كما عاد فألح الى اقتراحه السابق فى شهر مارس ١٨٧٦ بأخضاع كل من ساحل الهدنة ، ومسقط لتبعية الحكومة البريطانية ، وقال بأنه اذا لم يتحقق ذلك فلن تتوفر الأسس القانونية للبريطانيين لمقاومة التوسع التركى فى مسقط وساحل الهدنة أما روس فكان زده أكثر ايجابية حيث أشار فى مستهل خطابه الى الخطأ الذى وقع فيه القنصل العام فى اعتقاده . بتدخل بريطانى سابق فى شئون قبائل الأحساء والى اعتبار لايزاد بأن الحكومة البريطانية كانت تعتبر السلطات التركية مسؤولة عن الاضطرابات التي تتعرض للرعايا البريطانيين المقيمين فى الأراضى التركية

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية مجلد ٢٢ مرفق للخطاب الخارجى ١٢٧ المؤرخ ١٨٧٩/٥/٢٢ من لايال الى روس والى نيكسون
١٨٧٨/١٢/١٧ رقم ٢٥٥ و ٢٥٦) .

وَمَمْتَلِكَاتِهِمْ . وَكَانَ رُوسُ يَعْتَقِدُ بِأَنَّ نِيكْسُونَ قَدْ ضَمَّ قَطْرَ إِلَى أَرْضِي الْأَحْسَاءِ عِنْدَ إِشَارَتِهِ إِلَى التَّدْخَلَاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ السَّابِقَةِ الْأَمِيرِ الَّذِي يَحْمِلُنَا عَلَى تَصْوِيبِ رَأْيِهِ . غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُ قَطْرَ مِنْ ضَمَنِ أَرْضِي الْأَحْسَاءِ لَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَلَا مِنَ النَّاحِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ . وَأَوْضَحَ رُوسُ بِأَنَّ الْاِحْتِلَالَ التُّرْكِيَّ لِلْأَحْسَاءِ مَعْنَاهُ فَرَضُ السُّلْطَةِ التُّرْكِيَّةِ عَلَى كُلِّ مِنَ الْقَطِيفِ وَالْعَقِيرِ وَلَكِنْ لَيْسَ عَلَى قَطْرَ نَظْرًا لِاِخْتِلَافِ طَبِيعَةِ الْوُجُودِ التُّرْكِيَّ فِي قَطْرَ عَنْهُ فِي الْمَنَاطِقِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ كَمَا أَنَّ تَحْقِيقَ الْاِحْتِلَالِ قَدْ تَمَّ بِوَسَائِلٍ أُخْرَى ، بِمَعْنَى أَنَّهُ تَمَّ تَلْبِيَةُ لِدَعْوَةٍ مِنْ زَعَمَاءِ وَشُيُوخِ الدُّوْحَةِ ، وَبِالتَّالِيِ فَلَا بَدَّ مِنْ رَسْمِ خَطِّ فَاصلٍ بَيْنَ الْأَحْسَاءِ وَقَطْرَ حَيْثُ انْحَصَرَ الْوُجُودُ التُّرْكِيَّ عَلَى الدُّوْحَةِ فَقَطْ وَالْمَنَاطِقِ الْمُواخِمْةِ لَهَا عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْاِتْرَاقَ يَحَاوِلُونَ تَمْوِيَهُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ .

« قَدْ تَتَّصُرُ الْحُكُومَةُ التُّرْكِيَّةُ ، وَرَبْمَا كَانَ لِتَصَوُّرِهَا هَذَا بَعْضُ الْأَسْبَابِ ، أَنَّ وُجُودَهَا الْفَعْلِيَّ عَلَى الْجُزْءِ السَّاحِلِيِّ مِنْ قَطْرَ يُعْطِيهَا الْحَقَّ فِي فَرَضِ سُلْطَتِهَا عَلَى امْتِدَادِ الْمَنْطِقَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ قَطْرَ وَالدُّوْحَةِ . غَيْرَ أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْاِدْعَاءَاتِ قَدْ تَمَسَّ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى الْحَقُوقُ وَالْاِتْرَاقَاتُ الْبَرِيطَانِيَّةِ عَلَى السَّاحِلِ الْمَذْكُورِ . غَيْرَ أَنَّ الْحُكُومَةَ الْبَرِيطَانِيَّةَ لَا تَزْعَمُ بِوُجُودِ اِتْفَاقَاتٍ تَسْمَحُ لَهَا بِالْاِعْتِرَاضِ عَلَى مِمَارَسَةِ الْاِتْرَاقِ سُلْطَاتِهَا الْاِقْلِيمِيَّةِ عَلَى الْمَنْطِقَةِ ، وَلَا تَوْجِدُ أَمَامَ بَرِيطَانِيَا أُسُسَ أُخْرَى تُبْنِي عَلَيْهَا اِعْتِرَاضُهَا . لَقَدْ كُنَّا نَحْنُ الَّذِيْنَ مَهْدُنَا الطَّرِيقَ لِاِقَامَةِ النُّفُوذِ التُّرْكِيَّ بَعْدَ أَنْ أَخَذْنَا نَتَخَلَّى تَدْرِيجِيًّا عَنْ مِمَارَسَةِ الْاِشْرَافِ وَالسُّلْطَةِ الْمَبَاشِرَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجُزْءِ مِنْ سَاحِلِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَكَانَ هَذَا سَبَبًا فِي الظُّرُوفِ الَّتِي تَمَرَّ بِهَا الْمَنْطِقَةُ الْآنَ كَمَا لَمْ تَظْهَرِ إِلَى الْوُجُودِ سَيْطَرَةَ لِدَوْلَةٍ أُخْرَى فِي الْمَنْطِقَةِ تَحُلُّ مَحَلَّ الْبَرِيطَانِيَّيْنَ . وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذِهِ الْأَوْضَاعَ غَيْرَ مُسْتَسَاغَةَ وَلَا يُمْكِنُ السَّمَاخُ لَهَا بِأَنَّ تَسْتَمِرَّ دُونَ أَنْ تَتَسَبَّبَ فِي عَوَاقِبٍ وَخِيْمَةٍ وَأَصْبَحَ وُجُودُ نَوْعٍ مِنَ الْمَسْئُولِيَّةِ مِنَ الْأُمُورِ الْوَاجِبَةِ وَالضَّرُورِيَّةِ » .

وَبِمَا أَنَّ الْحُكُومَةَ الْبَرِيطَانِيَّةَ لَمْ تَعْتَرَفْ لِحَاكِمِ الْبَحْرَيْنِ بِحَقُوقِ فِي زِيَارَةِ وَنَصَحْتَهُ بِالْكَفِّ عَنِ التَّدْخُلِ فِي شُئُونِ دَاخِلِيَّةِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ،

فلم يعد ثمة مبرر كما يعتقد روس لاعتراضنا على الوجود التركي على امتداد الساحل القطري حتى الدوحة (البدعة) (١) .

ويستطرد المقيم فيقول : « بأن ثمة حدودا للحقوق والمسئوليات البريطانية لا يجوز للحكومة البريطانية أن تتعداها فيما يتعلق بالتوسع التركي أو السلطة التركية في المنطقة : وهذه الحدود كما يبدو لى تمتد من البدعة التى هى أقصى نقطة على الساحل يمكن أن تصل إليها الإجراءات البريطانية كما اعتقد أن الوكرة وهى منطقة متاخمة للبدعة تعتبر منطقة داخلية فى البدعة ، وبالتالي يشملها النفوذ التركى المعترف به أما الحدود الجنوبية لهذه المنطقة فانها تقع على درجة ٢٥ شمالا من خط الطول ثم الى الجنوب من تلك المنطقة تشكل « العديد » أول منطقة أهلة بالسكن .*

وقد تأكد بالفعل كما أشار روس ، أن العديد تدخل ضمن أراضى شيخ أبو ظبى وبالتالي فهى ليست جزءا من قطر ، كما أن الأتراك لم يحاولوا من جانبهم تأكيد سيادتهم عليها . وقد لخص روس حدود السيادة التركية الفعلية على الساحل الغربى كما يلى « المنطقة الممتدة من البصرة الى العديد تشكل المنطقة الساحلية المعترف بالسلطة السياسية والادارية لتركيا عليها، وفى القطيف والعقير توجد للأتراك حاميات وجهاز ادارى ، أما فى البدعة على الساحل الشرقى من رأس قطر فان السلطة التركية سلطة قوية وأن لم تكن منتظمة ، أما المنطقة الواقعة بين العقير والبدعة فلم يحاول الأتراك

(١) فى فترة من الفترات وجدت هناك نوعا من العلاقات المعقدة الى حد ما فيما بين البحرين وساحل قطر عموما ناتجة عن وضعها المشترك ازاء أمير نجد . وفى تنظيم تلك العلاقات لعبت الوساطة البريطانية دورها وأن احتلال الأتراك للاحساء ومحاولاتهم اخضاع نجد عن طريق تدمير سلطة ونوذ الأتراك ، وقد اعفى شيوخ البحرين عمليا من التزاماتهم فيما يتعلق بدفع الزكاة (أو ابتزازها) للوهابيين وبأن الاتفاقات التى اجريت يمكن اعتبارها فى الوقت تدابير ملقاة ومن غير المحتمل تجديدها .

فرض سيادتهم أو ممارستها عليها . وإذا افترضنا أن ذلك الوضع لم يكن مستمرا فإن الخطوة السليمة أمام الحكومة البريطانية كما يعتقد روس هي فتح حوار مع الباب العالي بهدف رسم حدود السيادة ومناطق النفوذ لكل دولة وتحديد مسؤولياتها في منطقة الساحل العربي . أن المطالب التركي الغامضة فيما يتعلق بسيادتها في شبه الجزيرة عموما قد يمنعا من الموافقة على حدود واضحة المعالم ، ورغم ذلك كما يرى روس لا بد من المحاولة ، ويقترح بان توجه الحكومة البريطانية الدعوة الى الباب العالي نبي يحدد بدقة المنطقة الساحلية التي هي على استعداد للاضطلاع بمسئولية السيادة عليها ، تمهيدا للقيام بالاجراءات الفعالة للمحافظة على الأمن والنظام في تلك المنطقة ووضع حد للمخالفات البحرية . وبالمقابل تقوم الحكومة البريطانية بدورها بتحديد طبيعة وحجم المصالح البريطانية في الساحل الغربي والمناطق الأخرى التي تتولى مسؤولياتها كساحل الهدنة بما في ذلك خور العديد وأرضيل البحرين .

انتقل المقيم السياسي بعد ذلك الى بحث الاجراءات التي يتعين على الحكومة البريطانية اتخاذها في حالة عجز الأتراك أو عدم رغبتهم في اتخاذ الاجراءات اللازمة لردع قطاع الطرق أو مر يمارس الجرائم في المناطق الخاضعة للأتراك ، فأعرب عن اعتقاده الجازم بحق الحكومة البريطانية في التصدي لتلك الأعمال ايا كانت المناطق التي ينطلقون منها لممارسة أعمالهم وقال :

« لا توجد في جميع السجلات أدلة على أن النداءات التي وجهتها الحكومة البريطانية للأتراك في هذا الشأن قد أسفرت عن نتائج مرضية ، وبهذه العبارة كان روس يسخر ولو بصورة غير مباشرة من موقف نيكسون كما أوضح في رده على استفسارات لايال بقوله : ان الوجود التركي في الخليج قلص النفوذ البريطاني الى حد كبير ، غير أن الأتراك لم يحققوا من وجودهم اية نتائج عملية نظرا لأن المنطقة التي تركز نفوذهم فيها وهي الاحساء ، هي المنطقة التي يحاول البريطانيون ممارسة أى نفوذ أو سلطة عليها . كما لم يكن روس يعتقد بان اعتراف البريطانيين بالحقوق والالتزامات التركية بالصورة التي اقترحها سوف يؤثر على المصالح

البريطانية فى الخليج ، أو يثير القلق فى نفوذ الفرس ، اذ ليس للأتراك
بإى استعداد لتكثيف وجودهم البحرى فى الخليج وهو الشئ الوحيد
الذى قد يزعج الحكومة الفارسية .

بالرغم من انشغال ليتون فى ذلك الوقت بحرب افغانستان
والمفاوضات الجارية للوصول الى حل ، فقد كان يعتقد بأن حل مشكلة
السيادة التركية والرقابة البحرية البريطانية على امتداد الساحل العربى
للخليج موضوع فى غاية الأهمية ، وعلى الأخص بعد الاضطرابات الأخيرة ،
بما يستوجب سرعة البت فيه من جانب الحكومة البريطانية . وفى ٢٢ مايو
يعت ليتون بمذكرة الى الحكومة المركزية حول هذا الموضوع تناول فى
القسم الأول من مقترحاته عرضاً للأحداث المتعلقة بمنطقة خور العديد
والنتائج التى توصلت اليها الحكومة بهذا الشأن ثم انتقل الى بحث
مقترحات كل من نيكسون ولارياد عن مسئولية الأتراك فى المحافظة على
الامن والنظام فى المياه الإقليمية التركية ، ولم يقطع فيما اذا كان لا يارد
قد استبعد كافة اشكال التدخل البريطانى فى خلق الاضطرابات التى
تقع داخل المياه التركية سواء كانت تمس الرعايا البريطانيين أو ممتلكاتهم
أم لا . وبالنظر الى عجز الأتراك عن تحمل مسئولياتهم أصبحت الحكومة
البريطانية على ما يبدو هى التى تتحمل تلك الأعباء التى لا طائل منها .
وبالتالى فاذا استبعدنا تعاون البحرية البريطانية فى هذا المجال وترك الأمر
للأتراك للتصدى للاعتداءات البحرية ، فمن المحتم أن يتسع نطاق أعمال
القرصنة . وحتى اذا افترضنا نجاح الأتراك فى التصدى لتلك الأعمال
وبرهنوا على رغبتهم وقدرتهم على المحافظة على الامن فى المناطق
الساحلية ، فان ليتون يرى :

« أن ثمة اعتبارات هامة أخرى لا يمكننا أن نتجاهلها . ان اية سياسية
بريطانية تقوم على قبول أو تشجيع توسع النفوذ التركى فى منطقة الخليج ،
يتعين عليها أن تطالب بادخال تعديلات على وضع تلك السلطة وتوزيعها
فى جميع تلك المناطق . وبالتالى يتعين توزيع المسئولية توزيعاً متساوياً بين
انجلترا وفرنسا . ان من مستلزمات قبول بريطانيا القيام بأعمال المراقبة
فى تلك السواحل هى أن يكون لها التفوق البحرى فى الخليج ، وان أى

أسلوب غير هذا مرفوض . غير أننا لا نستطيع مطالبة الحكومة التركية القيام بمسئولياتها المتزايدة في الخليج دون الزامها بمضاعفة قدراتها البحرية التي خد، كبير . ثم أن الحكومة الفارسية التي لا تملك أسنطولا حربيا عاملا في الخليج قد تعترض على الوجود التركي البحري وعلى وجود إسطول تركى قوى في مياه الخليج » .

وإذا سلمنا برأى روس الذى يقول بأن السيادة الفعلية للأتراك داخل شبه الجزيرة إنما هى سيادة محددة سواء فى حجمها أو فى طبيعتها ، فان ليتون له بعض التحفظات على اعتراف بريطانيا اعترافا صريحا بحدود معينة بتلك السيادة ، كما يقول روس : « بان الشكوك قد أخذت تساوونا فيما اذا كان بحث هذه المنطقة قد لا يفجر مشكلات أكثر تعقيدا عما قد يقدم من حلول ، وبالتالي فاننا نميل الى الاعتقاد بأن هدف الحكومة التركية فى الأساس ليس تعريف مسئوليتها بقدر ما هو توسيع سلطتها الشكلية ، وكان ليتون على استعداد للاعتراف بالسلطة التركية على المناطق التي تتواجد فيها بالفعل ، أى حتى المنطقة الممتدة الى جنوب العقير ، اذا تعهد الباب العالى بمسئولية المحافظة على الامن فى المناطق الساحلية ، غير أننا كما يقول ، ينبغى الانقبل :

« الدخول فى مباحثات حول هذا الموضوع توحى باستعدادنا للاعتراف بالسيادة التركية على المنطقة الممتدة الى ما وراء العقيرة او على أى جزء من ساحل قطر ، باستثناء البدعة ، حيث يوجد للأتراك على ما يبدو نفوذ وتمثيل حقيقيان » وعلى أية حال فلا يمارس الأتراك أية سلطة فيما وراء الدوحة ، وان أى تدخل من جانبهم فى المناطق الواقعة على ساحل الهدنة قد تكون له انعكاسات خطيرة على سريان نظام الهدنة وعلى المصالح البريطانية فيها . ومن الضرورى كما يؤكد ليتون بالنسبة لزعماء المنطقة الموقعين على معاهدة الهدنة ، أن نضمن لهم احترام حدودهم وعدم التعرض لهم ، اذ من المحتمل أن يقوم العثمانيون بالتدخل فى شئون هؤلاء من البر بحيث يضع هذه المناطق بين نفوذ مزدوج أو مقسم ، الأمر الذى لابد وأن يؤدى الى الفوضى والانقسامات ويضطرهم الى ولاء مزدوج برفع العلم التركى فى

مناطقهم تارة ورفع علم الهدنة تارة أخرى حسب كل ظروف . كما يقترح ليتون القيام بإجراءات خاصة لحماية البحرين ، لاسيما وأن قريتها من داخلية شبه الجزيرة يعرضها بصورة أكبر لاعتداءات القراصنة ، ثم هروبهم بعد ذلك الى الأراضى التركية للاختباء فيها . فإذا طالبنا حاكم البحرين ، كما هو واقع ، بالامتناع عن التدخل فى المنطقة الأم من شبه الجزيرة فلا بد لنا من أن نقره على اتخاذ التدابير الفعالة للدفاع عن مصالحه حتى ولو اضطر الى مطاردة القراصنة الى داخل الحدود الخاضعة للأتراك .

وعلى أية حال فإن ليتون يصر على أن تستمر الحكومة البريطانية فى ممارسة « نوع من الحماية البحرية المتكافئة » فى المياه الاقليمية التركية ، أى من شمال العقير الى أن يبرهن الباب العالى على رغبته بل وقدرته على حماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم . ولا يتطلب هذا الاجراء ابرام اتفاق رسمى مع الأتراك وإنما يمكن الاكتفاء بنوع من التفاهم كما يقول روس بالشروط الآتية :

١ - أن يتم التصرف فى جميع القراصنة الذين يتم القبض عليهم فى البحر أو بعد ملاحقتهم الى المياه الاقليمية التركية ، أو على شواطئ تلك المناطق من على مرمى قذائف السفن البريطانية ، وفقا للتعليمات التى يصدرها المقيم السياسى البريطانى فى الخليج .

٢ - ألا تقوم السلطات البريطانية بأية إجراءات داخل المنطقة الأم من شبه الجزيرة وضمن حدود السيادة التركية لأن هذه الاجراءات هى من اختصاص السلطات التركية نفسها .

٣ - الاتصالات التى تتم مع السلطات التركية حول هذه الاجراءات هى مسئولية المعتمد السياسى البريطانى فى بغداد ، وإذا استوجب الأمر اجراءات فورية فمن حق المقيم السياسى فى الخليج القيام

بتلك الاجراءات على أن يطلع المعتمد السياسي البريطاني في بغداد .

٤ - أما فيما يختص بأعمال القرصنة التي ترتكب داخل نطاق السيادة التركية ، فانه يتعين على الأتراك أن يقوموا برد الممتلكات المنهوبة ودفع التعويضات عن الخسائر الناجمة عن ذلك .

وأخيرا يقول ليتون بأن الوقت قد حان لتعديل الاتفاقيات المعقودة مع زعماء ساحل الهدنة وسلطنة مسقط :

« لقد ازدهرت الأوضاع الاقتصادية في كل من سلطنة مسقط وأقطار الهدنة في ظل الظروف السلمية المستقرة التي ضمنتها الحماية البريطانية البحرية لهذه المناطق . ورغم هذا فان حكامها لم يساهموا بشيء في مقابل هذه المكاسب ، كما أن الاتفاقيات المعقودة معهم لا تعترف بالدور الرئيسي الذي تقوم به الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، بينما لا تمارس حكومة الهند البريطانية سيادة من أى نوع على زعماء هذه المنطقة ، ولكي يتحقق الاعتراف بالمركز الذي أصبحت تحتله الحكومة البريطانية في هذه المناطق ، يفضل السياسة الثابتة الطويلة المدى ، وبفضل الثمن الباهظ الذي تكلفته ، فمن الأجدى لو أن الزعماء الذين ترتبط بهم الحكومة البريطانية باتفاقيات ومعاهدات قد اعترفوا لبريطانيا بهذا الدور وكافأونا على الحماية التي وفرناها لهم (١) .

والواقع أن هذه الآراء بدت غريبة ومفاجئة من ليتون الذي كان قبل بضع سنوات ، بالاشتراك مع أتشيسون ، يعارض بشدة مثل هذه الآراء عندما طرحها نيكسون ويعتبرها اجراءات غير ضرورية ولا تساهم في تنمية مصالح الامبراطورية البريطانية في تلك الأرجاء ، وعلى أية حال فقد

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية مجلد ٢٢ من الحناكم العام الى وزير الدولة ١٨٧٩/٥/٢٢ (رقم ١٢٧ الادارة السرية الخارجية) .

وقعت تطورات كثيرة خلال السنوات الثلاث التي تلت ذلك - وأهمها الحرب التركية - الروسية ، والحرب الافغانية التي سببت قلقا بالغا للمسؤولين البريطانيين حول الوجود البريطاني (١) في آسيا برمته ، مما حدا بليتون الى تغيير نظرتة الى هذا الموضوع .

وعلى الرغم من أن حكومة الهند قد وافقت على اجراء نوع من التدابير مع الحكومة التركية لحراسة المناطق الساحلية فيما بين الكويت وقطر ، الا أن مكتب شئون الهند ووزارة الخارجية لم يبديا اهتماما بالاقتراح خلال النصف الاول من عام ١٨٧٩ . ويعود السبب في ذلك الى تردد الفايبكونت كراندوك خلف سالسبورى كوزير الدولة لشئون الهند فى اتخاذ اجراء ما قبل تلقيه توضيحا شاملا لآراء ليتون والتي لم تصل اليه قبل نهاية يونيو، وكان قد ارسل تقريراً الى الحاكم العام فى ٢٢ مايو ١٨٧٩ . وفى وزارة

(١) أن ليتون بعرضه ذلك . لاقتراح فى مايو ١٨٧٩ كان يهتدى فى المقام الاول برآى تى . جى . س . بلاودون الوكيل المساعد لوزارة الخارجية فقد رفض على أية حال اقتراحا راديكليا وهو ضم كل هذه المشيخات الصغيرة الى مسقط على رأسها سلطان مسقط ومد حدود سيادته الى الحدود التركية ومقابل هذا التوسيع فى رقعة الحدود تتعهد السلطات بمساهمة مالية لقاء حراسة المنطقة من جانب الاسطول البريطانى العامل فى الخليج . « نظر مكتب شئون الهند » مذكرة الادارة السياسية والسرية رقم ب ١٢٦ ومذكرة بلاودون سملأ ١٨٧٩/٣/٢١ . وهذا المشروع هو صورة طبق الأصل لمشروع ايفنان نيبين قبل ٦٩ عام لوضع البحرية تحت سلطة سلطان مسقط ، مقابل مساهمته فى نفقات وحدة الاسطول فى الخليج ، وكان موضع نفس الاعتراضات وعند تقديم بلاودون لمشروعه هذا تجاهل شأنه شأن نيبين حقائق الواقع السياسى فى عمان . ذلك ان شخصا مثل السيد تركى ابن سعيد لم يكن يستطيع أن يحكم مشايخ الهدنة على الاطلاق .

الخارجية كان سالسبورى هو الأخير مترددا فى اثاره هذه الموضوع مع سلطات الباب العالى خصوصا فى تلك المرحلة الحرجة من العلاقات البريطانية - التركية نظرا لحساسية الموضوع . ولهذه الاسباب فقد طلب سالسبورى من القائم بالاعمال البريطانى فى القسطنطينية بان يكون معتدلا فى لهجته مع الباب العالى عند تناول موضوع الاضطرابات الناتجة عن أعمال القرصنة خلال ١٨٧٨ ، وبانه يكتفى فى الوقت الحاضر على الأقل ببيان من الباب العالى يؤكد فيه ان سفينة تركية سوف يتم ارسالها الى الخليج :

وكان سالسبورى موافقا الى حد ما على التعليمات التى ارسلت الى المقيم فى شهر فبراير ١٨٧٩ بتحويله صلاحيات اتخاذ الاجراءات ضد القراصنة فى المياه الاقليمية التركية وفى المنطقة الام من شبه الجزيرة الخاضعة لسلطة الاتراك ضمن مرمى قذائف المدفعية البحرية البريطانية . وقد أحال روس بدوره تلك التعليمات الى كبير ضباط الاسطول البريطانى فى الخليج ، ثم قام الثانى باحالتها الى القائد العام لاسطول الهند الشرقية اليرير . ادميرال جى . كوربيت للمصادقة عليها . وبما أن كوربيت لم يكن متاكدا من سلامة تلك الاجراءات فقد رفعها الى الاميرالية البريطانية فى لندن . وفى الاميرالية استقر الراى على وجوب أخذ موافقة الخارجية وعرض الموضوع على سالسبورى فى أوائل شهر مايو ، غير أن سالسبورى وجد بعض الصعوبة فى اقرارها ، وفى منتصف الشهر ذكر لىكتب شئون الهند : « انه بالنظر الى عدم وجود معاهدة تنص على مثل هذه الاجراءات ، فان مهمة السفن البريطانية تقتصر على مكافحة أعمال القرصنة فى المياه الدولية خارج المياه الاقليمية التركية ، وأن أية حملات قد تقوم بها هذه السفن ، حتى ولو كانت فى مناطق لا تتعدى مرمى قذائف مدفعية هذه السفن قد تسفر عن تقديم احتجاجات من جانب الحكومة التركية ضدها وكنتييجة للتحفظات التى ابدتها وزير الخارجية البريطانية أصدرت الاميرالية تعليمات الى القائد العام لاسطول الهند الشرقية فى أواخر شهر مايو تدعوه الى الامتناع عن القيام بأية اجراءات عدائية ضد الأراضى التركية أو المياه الاقليمية التركية دون

موافقة الأتراك وتعاونهم ولما كانت حدود لسيادة التركية فى شرقى شبه الجزيرة العربية غير واضحة فان ذلك يعوق رجال البحرية من تحديد تلك المناطق والرجوع الى اقرب سلطة تركية فى المنطقة لآخذ رأيها .

فى نهاية شهر يونيو وصلت تلك المقترحات الى مكتب شئون الهند وقد جرت دراستها بشكل مستفيض ، وتركزت النظرية الرئيسية لتلك الاقتراحات على ضرورة تحديد الموقف البريطانى فى الخليج وبصفة خاصة من الأتراك تحديداً واضحاً . وكما أشار الكولونيل بيريز سكرتير الادارة السياسية والسرية للمكتب فى معرض تعليقه على مذكرة ليتون : « بأن الرقابة البحرية التى كانت تمارسها الحكومة البريطانية فى الخليج رقابة محدودة . وكان الشئ الوحيد المطلوب من شيوخ المنطقة هو عدم اعتداء آحد منهم على الدول الأخرى المشتركة فى معاهدة السلم البحرية الدائمة لعام ١٨٥٣ ، كما أن مجال التدخل البريطانى ضد أى اعتداء من ذلك النوع محدود . كما كانت تنص على امتناع حاكم البحرين من ارتكاب اعتداءات فى البحر ، طالما أن الحكومة البريطانية قد التزمت بحمايته من أية اعتداءات قد تقوم بها دول وقبائل المناطق الأخرى » وقد أوضح بيزيز : بأنه لا توجد ثمة حقوق أو التزامات تسمح لبريطانيا بالتدخل لصد الاعتداءات التى قد تأتي من جانب الأتراك والفرس . ولكنه على أية حال قد جرى العرف خلال السنوات الماضية على الزام كافة الدول الساحلية الموقعة على المعاهدة أو الغير موقعة باحترام الحظر على مثل تلك الانتهاكات » .

الإآن بيزيز قد لاحظ بأن تلك السياسة كانت تتعرض للمجابهة وتوقع أن تحدث تطورات تحول بيننا وبين انفرادنا بالسلطة على منطقة الخليج « ولعل الحماية التركية على الأحساء سنة ١٨٧٠ هى جزء من تلك التوقعات . وهى الحملة التى اتضحت نتائجها الآن . ويذهب بيزيز الى القول بأن الرد المطلوب على السؤال حول كيفية وضع حد لامتداد النفوذ التركى على ساحل الخليج . فهو غير واثق من ان عقداً اتفاقياً رسمى مع الباب العالي سوف يحل المشكلة ولكنه يرتئى أن اصدار بريطانيا بياناً

رسميا بتحديد مصالحها فى المنطقة قد يكون اجراء افضل . ويختم بيزيز آراءه بالقول : بأن وضع الحكومة البريطانية فى الخليج قد دخل مرحلة مستوجب الاهتمام وتتطلب العمل على تحسين ذلك الوضع وأنه ان المرغوب فيه دون شك . « أن نفلق باب الاصطبل حتى لا يسرق الحصان » . « ٠٠٠ انه لا يصح اطلاقا ، بالنظر الى ما للحكومة البريطانية من مصالح هامة فى منطقة الخليج أن نسمح بالتوسع التركى ، أو أن نترك وجودنا فيها على حالته الراهنة غير المحددة ، وبالتالي فإنه يتعين علينا انطلاقا من هذا الأساس أن نوضح للباب العالى ما نحن على استعداد له وما نحن على غير استعداد للتنازل عنه للأتراك وأن نعيد وضع صيغ جديدة للاتفاقيات التى تربطنا بزعماء المنطقة (١) » .

فى نفس الوقت كان سالسبورى يعكف على دراسة مقترحات ليتون ، وقد توصل فى الدراسة الى افتراضات ضمنها مذكرة لكرانبروك بتاريخ ٢٣ أغسطس : أن الذى أثار اهتمام سالسبورى فى المقترحات يختص بالتدابير التى وافق مور على اجرائها مع الباب العالى هى انها لا تتضمن مكاسب للأتراك توازى المكاسب التى ستحصل عليها حكومة الهند ، فالمطلوب من الباب العالى وفقا لتلك المقترحات تحديد نطاق سيادته على الساحل الغربى بشكل لا يتجاوز المنطقة القريبة من البدعة بالتخلى كليا عن مطالبه فى البحرين والتى رفضتها حكومة صاحبة الجلالة وأن تعترف باستقلال الجزيرة تحت الحماية البريطانية ، وأخيرا أن تعترف لحاكمها بحقه فى حالة تعرضه لعدوان ما ، فى اتخاذ الاجراءات الدفاعية اللازمة عن بلاده وبموافقة المقيم السياسى البريطانى فى الخليج ، حتى ولو استدعى الأمر مطاردة الجناة الى داخل حدود السيادة التركية . ويستطرد سالسبورى بأنه مطلوب من الباب العالى فوق كل ذلك وبعد كل ذلك ، أن يسمح للسفن الحربية البريطانية بمطاردة القراصنة وبحق القبض عليهم داخل المياه الإقليمية لتركية

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٣٣ محضر بيزيز
(يوليو ١٨٧٩)

أو فى نطاق مرمى القذائف البريطانية ، وذلك ريشما يتأكد أن الحكومة التركية فادرة بنفسها على توفير الحماية اللازمة للرعايا البريطانيين والمصالح البريطانية داخل أرضها ، وفى رأى سالسبورى أنه لما كانت مكافحة نفوذ القراصنة وتوفير الأمن فى مياه الخليج ليسا ضمن أهداف الحكومة التركية من أى تدخل أجنبى فى المنطقة ، وليست على استعداد فى الوقت نفسه بالتخلى عن حقوق سيادتها الصورية ، أن توافق موافقة صريحة على المبادئ التى أسلفنا إليها » . وربما كان أفضل حل لهذه المشكلة ، بعد أن يتم تحديد مواقع السيادة التركية ، أن يتحمل الأتراك مسئولية حماية المناطق التى تشملها سيادتهم ، عن طريق السماح للطرادات البريطانية باتخاذ الإجراءات اللازمة داخل تلك المناطق - وضمن ظروف خاصة - . أما الاقتراح الذى يدعو الى اجراءات مشتركة بين السلطين البريطانية والتركية فان هذا الاقتراح لم يقبله الأتراك . وكان موقف سالسبورى هو نفس الموقف من الاقتراح المتعلق بربط مشيخات الهدنة وسلطنة عمان بعلاقات تبعية للحكومة البريطانية ، صحيح أن بسط النفوذ التركى على الساحل الغربى سوف يعود بالضرر على المصالح التجارية البريطانية ، كما أن أوضاع شيوخ الهدنة لا تسمح هى الأخرى بالأمكانيات التى يمكن أن يوفرها الاعتماد على الحكومة البريطانية وبالمثل فان السيطرة البريطانية أو ممارسة تلك السيطرة فوق ذلك الشق من ساحل شبه الجزيرة قد يؤدى الى نشوء أوضاع غير مريحة .

وتختلف الاستنتاجات التى توصل إليها مور العضو المساعد ليرتز فى اللجنة السياسية والسرية بعد أن درس مشكلة السيادة التركية على الساحل الغربى منذ بدايتها فى عام ١٨٧١ عن استنتاجات كل من ليتون وسالسبورى . وكان الاعتراض الرئيسى لمور على مقترحات ليتون هى أنها تطالب بالتوصل الى اتفاق رسمى مع الباب العالى بشأن هذه المشكلة ، وهو أمر أثبتت التجارب السابقة استحالة . « . . . على الرغم من أن الباب العالى قد يوافق على تحديد رسم حدود سيادته على ساحل شبه الجزيرة الا أنه لن يوافق على التوقيع على تعهد كهذا ، حتى فى إطار اتفاق دبلوماسى ودى ، أما سالسبورى فىرى بأن مثل هذا الاتفاق لن يحقق الفائدة المرجوة منه ، لأن الأتراك لن يوافقوا على اقتراح ليتون بالحدود

التي رسمها لتلك السيادة أى من شمال العقير ، على الرغم من أن تلك المنطقة بالذات هي التي تشكل قاعدة لنشاط القراصنة فى الخليج فلو وافقت الحكومة البريطانية على الحد من صلاحيات مسئوليتها السياسيين والبحريين فى ممارسة أجراءاتهم فى المناطق القريبة من العقير ، أو فى السواحل الواقعة الى الشمال من تلك المنطقة ، وعهدوا بذلك الى الأتراك فإن النتيجة هي أنه لن تتخذ أية أجراءات بتاتا ويصبح ذلك الشق من الساحل الغربى ماوى دائما للقراصنة ، لقد كان موقف المسئولين البريطانيين فى الخليج دقيقا للغاية بحكم تعليمات الأيمرالية البريطانية الصادرة فى شهر مايو السابق ، ذلك أن تحجيم هؤلاء المسئولين قد يؤدى الى المزيد من الفوضى والأضطرابات فى المنطقة . ومن هذا المنطق اقترح مور بأن يحاط الباب العالى علما بتصميم الحكومة البريطانية على المحافظة على الأمن فى مياها الخليج بصرف النظر عن موافقة الحكومة التركية على التفاون أو عدم موافقتها : وبأن سيادة الباب العالى على الشق الساحلى شمالي وغربى العقير مسألة لا جدال فيها طالما كان ذلك الخط كما هو . وبأن المحافظة على الأمن والنظام هي الاختيار الوحيد لاستقرار تلك السلطة، كما أن العكس هو الصحيح ، وبأن جميع القراصنة الذين ينطلقون من أى جزء من ذلك الساحل سوف تتم مطاردتهم الى أية جهة يهربون اليها ويتم اعتقالهم سواء ضمن مساحة الثلاثة أميال من الساحل أو فى المنطقة الداخلية ضمن مرمى قذائف البحرية ، وبأن التعويضات عن الأضرار الناتجة عن جرائم القراصنة سوف تستوفى من الحكام المحليين المتواطئين معهم ، وبأنه لن يسمح للباب العالى فى أى من المناطق التي يدعى السيادة عليها بالتدخل سواء فى البحرين أو فى غيرها من مناطق الهدنة شرقى خسوز العديد . وكان مور يرى بأن اعتراض سالسبورى على تعديل المعاهدات مع البحرية ومشيوخ الهدنة له ما يبرره ، غير أن هذا الأجراء لو تم قد يساء فهمه وعلى الأخص من الحكومتين التركية والفارسية وبالتالي فلا يمكن اتخاذه . أن الأوضاع فى الخليج تختلف عن الوضع فى جنوب غربى شبه الجزيرة العربية حيث تتمركز الحكومة البريطانية فى عدن وحيث لن

يكون هناك أى فائدة من امتداد النفوذ التركى أو غير التركى (١) .

وافق كرانبروك على التوصيات دون تعديل ، ثم أحالها على سالسبورى فى ١٧ سبتمبر وكان كرانبروك على يقين بالنسبة للحفاظ على المصالح البريطانية فى الخليج والوفاء بالالتزامات البريطانية تجاه البحرين ومشيخات الهدنة ، من أن يستمر المقيم السياسى البريطانى فى الخليج فى اتخاذ ما يراه ضروريا من التدابير للحفاظ على الأمن فى البحاز بغض النظر عن المطالب التركية بالسيادة على الساحل الغربى بمجمله واعتراف الشيوخ المحليين كشيخ البدعة بالسلطة العثمانية عليهم والتواجد التركى فى نقاط متفرقة من تلك المنطقة « أما إذا اقام القراصنة باستخدام موانئ أخرى لنشاطهم أو أنضمت قبائل الى ذلك النشاط ، فإن وضعها هكذا كما أوضح مور سيشكل دليلا له نظره للتأكد على عدم خضوع تلك القبائل لسلطة تركية فعالة ، وفى هذه الحالة ، إذا اعترض الأتراك ، فان كرانبروك على استعداد لتحديهم ، وعلى أى جزء من الساحل ، ابتداء من الكويت جنوبا ، أما إذا لم تبرز عصابات فى وجه الطرادات البريطانية أثناء عمليات المراقبة التى تقوم بها على الساحل الغربى ، وإذا لم يحاول الأتراك التدخل فى البحرين أو مسقط ، أو مشيخات الهدنة فليس لديه اعتراض على أية اجراءات قد يتخذها الأتراك فى أى جزء من الساحل شمالى العديد كما أن القيود التى فرضتها الاميرالية البريطانية فى شهر مايو يجب أن تزول وأن يخول ضباط الاسطول البريطانى فى الخليج صلاحيات اتخاذ الاجراءات اللازمة فى مواجهة القراصنة وفقا لأوامر المقيم السياسى فى الخليج غير أن سالسبورى لم يجيد تلك الآراء ، ليس فى حد ذاتها ، وإنما لأن تنفيذها يشكل ضربة لسياسة الوفاق التى كانت الحكومة البريطانية تسير عليها مع الباب العالى فى تلك المرحلة . كان الأتراك يعانون من انهيار نفسى نتيجة الهزائم والخسائر التى منوا بها فى سنة ١٨٧٧/١٨٧٨ ولم يكن استياؤهم من

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسة والسرية مجلد ٣٤ مذكرة مور ١٨٧٩/٩/١ وهى أهم المذكرات وأكثرها صراحة .

بريطانيا أقل من استيائهم من روسيا ، وخلال عام ١٨٧٩ حاول سالسبورى جهده كى لا يصطدم بالأتراك غير أنهم لم يبادلوه ذلك الشعور ، وانما على العكس من ذلك فقد كانوا ينتهزون كل فرصة لاستفزاز بريطانيا والنيل منهم سواء فى افغانستان أو فى مصر أو شبه الجزيرة العربية . وكان وراء هذا الموقف اكوام من الشكوك فى نوايا البريطانيين وتصورهم أن هؤلاء يعملون على تقويض نفوذهم فى الاقاليم العربية من الامبراطورية ، ثم جاءت الاحداث فى مصر لتعزز من ذلك الاعتقاد ، غير أن الموقف التركى عموما كان ينطاق من دسائس عبد الحميد وعقدة الخلافة الاسلامية التى كانت تستحوذ عليه ، كان سالسبورى مترددا فى قبول الرأى الذى يقول أن لا فائدة من الأتراك وأنهم لا يمكن أن يكونوا واقعيين ورغم ذلك فان سالسبورى كان يدرك حقيقة واحدة وهى أن تصرفات الأتراك لم تنسرك فرصة لآى امل .

وفى مايو ١٨٧٩ وصلت معلومات الى القنصل البريطانى العام فى بغداد بأن الحكومة التركية تعتزم اقامة مستودع للفحم فى البحرين لتموين بواخرها فى الخليج ، فأحال سالسبورى المعلومات الى مكتب شؤون الهند الذى رد على الفور يقول بأن اقامة مستودع للفحم للأتراك سوف يفجر ضروبا من المؤامرات والتعقيدات ، وبالتالي فلا بد من مطالبة السباب العالى بأسرع وقت بتنفيذ تلك الفكرة . احييت المذكرة الى القسطنطينية فى نهاية شهر يونيو ، وقام السفير البريطانى باثارة الموضوع مع صفوت باشا وزير الخارجية التركية فى ١٦ يونيو . وفى تقرير لا يارد عن هذا الموضوع ذكر بأن رد الوزير التركى يتضمن بأنه كان قد اقيم المستودع فى جزيرة البحرين ، ويعنى هذا أن المستودع اقيم لخدمة السفن التجارية التى يرسلها الباب العالى الى منطقة الخليج لمكافحة القرصنة تلبية لطلب حكومة صاحبة الجلالة البريطانية ، وأنه بدون وجود هذا المستودع تضطر السفن التركية الى التوجه الى البصرة لتتزود بالوقود ، مما يشكل اهدارا للوقت ، وقد اقتنع سالسبورى برد وزير الخارجية التركية ، أما حكومة الهند فلم تفتنع به ، واعتبرته تأكيدا لتنبؤات روس فى نوفمبر من أن الأتراك سيحاولون استغلال طلب الحكومة

البريطانية لتعزيز نفوذهم في الساحل الغربي (١) وبما أن الفرس بدورهم كانت لهم مطالب في البحرين فقد كتب ليتون الى كرانبروك في هذا الموضوع فيقول : بما اننا قد رفضنا المطالب التركية سابقا ، فاننا لن نسمح لهم الآن بانشاء مستودع للفحم في البحرين ، ثم انقطعت الاخبار عن موضوع هذا المستودع ، غير أن الأتراك عادوا في شهر أغسطس بلعبة جديدة ، فقد جاء في رسالة للكولونيل مايلز الذي كان قد آوفا من مسقط الى بغداد ليتسلم منصب القنصل البريطاني العام بالوكالة هناك بدلا من نيكسون الذي تم ابعاده (٢) بأن سلطات الحجر الصحي في البصرة قد اصدرت أمرا بزيادة رسوم الكرائتينة على السفن القادمة من البحرين ومسقط ، على أساس أن السفن التي تغادر الموانئ التركية ولا تدفع رسوما للمغادرة ، يتعين عليها أن تدفع رسوما مضاعفة عند وصولها الى أى ميناء تركي آخر ، وذكر المسؤولون عن الكرائتينة في البصرة أن الوالى عبد الله باشا قد اصدر مرسوما باعتبار مسقط والبحرين والشحر والمكلا ، وكل ميناء يقع من الجزأين الجنوبي والشرقي من شبه الجزيرة ، باستثناء عدن موانئ تركية . ولم تؤد الاحتجاجات التي قدمها مايلز الى المسؤولين في بغداد ضد ذلك الرسوم على اية نتيجة ، ولهذا فقد عرض مايلز الامر على لايارد السفير البريطاني في تركيا . وفي الأسبوع الثالث من اغسطس اثار السفير هذا الموضوع مع صفوت باشا ووجه نظره الى أن الحكومة البريطانية لا تعترف بأن الموانئ المشار اليها هي موانئ تركية غير

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٣٣ من لايارد الى سالسبورى ١٨٧٩/٦/١٦ (رقم ٥٠٤) وقد احيل الى مكتب شئون الهند ١٨٧٩/٦/٢٨ ومجلد ٣٢ من الوكيل المساعد الى الوكيل المساعد لمكتب الهند ١٨٧٩/٥/٢٧ ، ١٨٧٩/٥/٣٠ ومن سالسبورى الى لايارد ١٨٧٩/٦/٥ (رقم ٧٦٣) .

(٢) كان ليتون يتهم نيكسون بمحاباة الأتراك وبنى تهمته هذه بنوع خاص الى الحاح والى بغداد على الأبقاء على نيكسون في منصبه وبأنه كان محبوبا من العرب (مكتب شئون الهند) .

ان السفير لم يحصل على رد من وزير الخارجية بالنفى ولا بالايجاب .

وقد عزا بيلي عدم قيام الباب العالي باية اجراءات ضد أعمال القرصنة التي ترتكب على ساحل الاحساء ، الى المطالب التركية فى البحرين ، فقد ذكر فى رسالة الى لايارد بأن الاتراك ابعده ما يكونون عن الاهتمام بما يجرى من انتهاكات وأعمال مخلة بالامن فى تلك المنطقة ، وانما هم بالأحرى يفضلون انتشار مثل تلك الاضطرابات لكي يثبتوا لنا بأن البحرين هى لب المشكلة ، وانه لا يمكن معالجتها الا اذا سيطروا على البحرين ، وبالأحرى ان الاتراك يبحثون عن أسباب وذرائع تسمح لهم بالتدخل فى هذه المناطق وفرض الاحتلال (١) كان القنصل البريطانى المساعد فى البصرة يرى نفس الراى ، بل ويعتقد أيضا بأن هذا هو السبب الذى جعل الاتراك يتمسكون بالاحساء حتى الآن ، فقد ذكر روبرتسون لمايلز : بأن احتلال الاتراك لاقليم الاحساء ومنطقة الساحل هى السبب الحقيقى وراء اضطراب الأحوال فى ساحل نجد ، ورغم أن هذا الوضع يعود بالخسارة على الاتراك فى المال وفى الرجال ، فى الوقت الذى تحولت تلك المنطقة الى مأوى للقتلة وقطاع الطرق والقرصنة على حساب الأبرياء من السكان. الذين اختاروا الشيخ زايد بن محمد الهاجرى حاكما لهم ، فظالما ظل الأمل يراود الاتراك فى السيطرة على البحرين وعلى مصائد اللؤلؤ فلا يمكن اقناع الاتراك بالتخلى عن المنطقة الام من شبه الجزيرة العربية (٢) .

وفى آخر شهر يوليو قام زايد الهاجرى باعتداء على احدى سفن

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٢٣٤ من مايلز الى لايارد ١٨٧٩/٨/٥ (رقم ٨٨) وقد احيل الى مكتب شئون الهند ١٨٧٩/٩/٢٢ .

(٢) الخطابات والمرقات السياسية والسرية مجلد ٢٣ من مايلز الى لايارد ١٨٧٩/٨/٥ (رقم ١١٩) المؤرخ ١٨٧٩/١٠/١٦ من روبرتسون الى مايلز ١٨٧٩/٨/١ (رقم ٢٣٦) .

صيد اللؤلؤ التابعة للبحرين فى منطقة تقع بالقرب من قطر واستولى عليها بعد أن قتل أحد بحارتها وآصاب ثلاثة منهم بجروح ، وبهذا الحادث كما يقول مايلز أصبح الخطر مائلا ، فلو سمح لهذا الزعيم أو لغيره أن يفلتوا من العقاب عما يقترفونه من جرائم لعجز الطرادات البريطانية عن مطاردتهم داخل المياه التركية أو ضرب قواعدهم فى اليابسة ، فسوف يتصور حاكم البحرين أن المقيم البريطانى أصبح عاجزا عن حمايتهم أو الحصول على تعويض عن الخسائر والاضرار التى يتعرضون لها من جراء ذلك ، وانه لو حدث هذا فان الداء سوف يتفشى ويضيف مايلز « بان قبائل الساحل حين ترى ان السلطة الوحيدة القادرة على حمايتهم تواجه تحديا من جماعة مثل بنى هاجر وغيرها من القبائل لمجرد أن هذه القبائل تخضع لسلطة الأتراك الوهمية ، فان ذلك سوف يدفعهم الى طلب الحماية التركية . » وأن مايلز على يقين أن مثل هذه الأوضاع سوف تكون لها انعكاسات خطيرة على سكان الخليج . فقد كتب يقول : « أن أى إجراء أو خطوة نقوم بها فى هذه المنطقة لابد وأن تلقى الاهتمام الشديد من جانب الأطراف المعنية ، كما ستكون لها دلالتها الهامة بالنسبة اليهم ، وبالتالي فانى أؤكد بأن موضوع تفوقنا فى الخليج لم يعد موضعا للتساؤل أو النقاش بعد الآن . »

فى يوم ٦ سبتمبر عقد لايرد محادثات هامة وطويلة مع صفوت باشا تناولت الأوضاع المتردية فى الاحساء . وقد حذر السفير من أن الحكومة البريطانية التى نجحت فى تصفية القرصنة فى الخليج نظير ثمن باهظ فى الأموال والأرواح ، لن تسمح بعودتها كنتيجة للوجود التركى على الساحل الغربى أو عجز الباب العالى عن التصدى لها ، فاذا لم يتخذ الباب العالى الاجراءات الفعالة ضد هذه الأعمال فان الحكومة البريطانية سوف تجد نفسها مرغمة الى اتخاذ التدابير اللازمة لحماية الرعايا البريطانيين والتجارة البريطانية فى المنطقة . وقد ذكر صفوت باشا بأنه مقتنع كل الاقتناع بوجود وضع حد لأعمال القرصنة ، وبأن وزير البحرية التركية قد بعث بالفعل بتعليمات جديدة الى قائد الأسطول التركى فى البصرة بمضاعفة

جهود قوات خفر السواحل لمنع تكرار وقوع مثل تلك الحوادث (١) لكن لم تمض أيام قليلة على تأكيدات صفوت باشا حتى هوجمت إحدى السفن التي كانت ترفع العلم البريطاني في شط العرب على بعد ١٥ ميلاً من البصرة وقتل ربانها كما جرح اثنان من بحارتها ونهبت السفينة . وقد بعث لايارد بمذكرة الى الباب العالي يطالبه فيها بفرض عقوبات على المعتدين وأوضح في المذكرة : « أن اهمال السلطات التركية أو عجزها عن المحافظة على الأمن في مياهاها الاقليمية في الخليج قد يؤدي الى نتائج لن تكون في مصلحة الباب العالي ورغم ذلك كله فان المسؤولين البريطانيين لم يكونوا يتوقعون أن يصدر عبد الله باشا أو امره بالقبض على القراصنة واسترجاع البضائع التي استولوا عليها ، وبصرف النظر عن موقف عبد الله باشا الشخصي تجاه البريطانيين الا أنه أصبح يدرك بان المسألة قد خرجت عن نطاق سلطته بعد أن قرر الباب العالي ادماج ولاية البصرة في ولاية بغداد ، كما كان الحال قبل بضع سنوات مضت ، وتم استدعاء عبد الله باشا الى القسطنطينية فور وصول المتصرف الجديد للبصرة (٢) .

قدم لايارد تحذيراته واحتجاجاته الى الباب العالي في الفترة الأخيرة من عام ١٨٧٩ بمبادرته الخاصة ولم يكلفه بها أحد من رجال السلطة العليا ، ورغم ذلك فلم يعترض عليها سالسبوري كما لم يؤيدها ،

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٣٤ من لايارد الى سالسبوري ١٨٧٩/٩/٨ : (رقم ٨٠٩) ومرفق معه صوره من الرسالة الشفوية بنفس التاريخ وقد احيل الى مكتب شئون الهند ١٨٧٩/٩/٢٢ ومجلد ٣٥ رسالة شفوية من صفوت باشا ١٨٧٩/٩/٨ ؛ بالفرنسية واحيل الى مكتب شئون الهند ١٨٧٩/١٠/٢٨ .

(٢) لقد نفذ الضم في ربيع ١٨٨٠ وقبل سنة من ذلك كانت الاقاليم الشمالية من ولاية بغداد منفصلة ومستقلة وتسمى ولاية الموصل وفي عام ١٨٨٤ فصلت البصرة والاحساء للمرة الثانية من ولاية بغداد واعتبرت ولاية مستقلة .

وأيا كانت مبررات لا يارد لتلك الاعتراضات - وكان سالسبورى لا يثق كل الثقة فى احكام لا يارد - الا أن وزير الخارجية لم يجبد أن يسترسل فى موقفه هذا . وفى نهاية شهر نوفمبر ذكر لمكتب شئون الهند الذى طلب منه الرد على المقترحات التى كان قد بعث بها الى وزير الخارجية قبل شهرين من ذلك التاريخ بأنه يفضل ارجاء البت فى هذا الموضوع ريثما يتسنى لخبراء القانون الملكى دراسة المقترحات وتقديم ارائهم فى موضوع تخويل ضباط الأسطول البريطانى صلاحيات مطاردة القرصنة واعتقالهم داخل قواعدهم فى المنطقة الام من شبه الجزيرة العربية .

فى الاسبوع الاول من ديسمبر ادلى خبراء القانون برأيهم وجاء فى مذكرتهم بأن محور البحث يتركز حول ما اذا كانت كفة حق الدفاع عن النفس ترجح على كفة انتهاك حرمة الحقوق الاقليمية للأتراك ، فبموجب الأوضاع التى كانت سائدة فى منطقة الساحل الغربى ، يرى هؤلاء الخبراء أن البريطانيين لا يتمتعون بهذا الحق . وقد علق بيرنز على رأى الخبراء بأن هؤلاء لا يقدمون (كما هى عادتهم) وانما يكررون كلاما معادا كان من المفروض أن يبدأوا رأيهم فيه . وانهم اجابوا بالنفى القاطع ، كما اوضح بيرنز بأن خبراء القانون لم يفهموا الأوضاع الحقيقية للمنطقة ، فخلطوا بين قطر والاحساء وفاتهم أن البحرين مستثناة من حق الدفاع عن نفسها ضد الاعتداءات البحرية ، وهكذا حذا هؤلاء حذو رجال وزارة الخارجية فى معالجتهم لهذه المشكلة التى تعتمد معالجتها على المقاييس العملية لا على مقاييس القوانين الدولية الجامدة » .

تلقى سالسبورى رأى خبراء القانون فى شجاعة فذكر فى رسالة الى مكتب شئون الهند فى نهاية ديسمبر بأن الاتجاه الى اتخاذ الاجراءات التى أوصوا بها أصبح غير ذى موضوع . وانه لابد من عنصر المساواة فى معالجة المشكلة . فلا بد من وضع المصالح الامبريالية وغيرها فى الاعتبار ، لأن هذه المصالح قد تواجه الخطر اذا تعرض الباب العالى للتهديد فى موضوع القرصنة فحسب ، وانما لأن دولا اخرى قد تتصور بان التدخل البريطانى هو دليل على محاولات الحكومة البريطانية لتفويض النفوذ العثمانى فى أحد أجزاء الامبراطورية ، ويضيف سالسبورى بأنه من

الأفضل العودة الى الاقتراح الذى قدمه فى البداية وهو إبرام اتفاق
رسمى أو ضمنى مع الباب العالى يؤدى الى وضع حد للمتعاب الناجمة
عن وجود سلطة غير محددة للأتراك على ساحل شبه الجزيرة وعن عجز
المسؤولين الأتراك فى تلك المنطقة من المحافظة على الأمن . ولهذا فقد أعد
سالسبورى مجموعتين من التعليمات لارسالها الى السفير البريطانى فى
القسطنطينية بعد الاطلاع مكتب شئون الهند عليها واقرارها .

المجموعة الأولى تطالب ليارد بإبرام اتفاق محدد مع الباب العالى
تخول الطرادات البريطانية بمقتضاه صلاحيات لمطاردة سفن القراصنة
وحجزها من مساحة ثلاثة أميال على امتداد ساحل شبه الجزيرة ابتداء
من الكويت حتى العديد بشرط انه فى حالة تواجد طراد تركى قريب من
مكان الحادث يمنع قائد الطراد البريطانى من اتخاذ أى اجراء قبل ان
يدعو قائد الطراد التركى الى التعاون معه ، وبحيث يترك للقائد التركى
الجانب الأكبر من الاجراءات ، ووجوب الحصول على موافقة أقرب مسئول
تركى أو من ينوب عنه أيهما أسهل ، وان اية اجراءات تتخذ لاحتجاز السفن
المنتهكة فى مساحة الثلاثة أميال المنصوص عليها يتم التصرف فيها وفقا
لرغبة السلطات التركية . وعند عرض ليارد هذه الاقتراحات على الباب
العالى يتعين عليه أن يذكره بالوعود السابقة التى قطعتها السلطات التركية،
ولم تسفر عن نتيجة ، اما بسبب تردد المسؤولين المحليين الأتراك ، واما
بسبب السلطة الصورية للباب العالى فى تلك المناطق ، أو بسبب نقص
فى الوسائل اللازمة لاتخاذ اجراءات عسكرية فعالة . كما اقترح أن يترك
الباب مفتوحا للسفير ليحدد ما اذا كان يتعين ان يكون الاتفاق المقترح على
هيئة مذكرة أو رسائل متبادلة أو فى صورة اتفاق ودى ، والغرض من
كل ذلك هو أن تتفادى الحكومة البريطانية اثاره الشكوك التركية حول
نواياها فيما يختص بحدود الأتراك الاقليمية مما قد تسببها تلك
الاجراءات .

أعيد التأكيد على هذه النقطة فى المجموعة الثانية من التعليمات التى
أرسلت الى ليارد فقد ذكر سالسبورى انه بالنظر الى مفالة الباب
العالى فى مطالبه الاقليمية التقليدية ، والتى درج على اثارها فى مناسبة

وغير مناسبة ، ونظرا لتشبهه بالتفاصيل الدقيقة لسيادته الاسمية فان سالسبورى لا يتوقع ان يتم الوصول الى اتفاق من اى نوع . وعلى الرغم من استعداد سالسبورى للاعتراف بالسيادة للأتراك فى المناطق التى تتواجد فيها تلك السيادة بصورة فعلية ، الا أنه كان يرى ان السيادة الفامضة من شأنها أن تعقد الموقف وتهيء الحماية للصوص وقطاع الطرق .

اما فيما يتعلق بمسقط والبحرين . وساحل الهدنة من العديد حتى رأس الخيمة فان الحكومة البريطانية لا تشترط ان يسقط الباب العالى حقه فى المطالبة بتلك المناطق ، كما جاء فى بيان والى البصرة ، الا انها سترفض تلك المطالب ، وسوف تتمسك بالمعاهدات التى تربطها بحكامها وسوف تتصدى لكل محاولة تهدف الى تقويض استقلالها . أما اذا اقتنع السفير باستحالة قبول الأتراك لهذه الشروط . فيتعين عليه أن يصرف النظر عن المحاولة . وكان سالسبورى يميل الى تأييد رأى أعضاء مكتب شئون الهند بحيث تساءل عما اذا كان من الأفضل تخويل السفن الحربية البريطانية صلاحيات القيام بدوريات مستمرة لسواحل الاحساء بعد حصولها على تصريح من السلطات المحلية التركية قدر الامكان ، وتقديم الاحتجاجات فى حالة تعدد اتخاذ مثل تلك الخطوة ، ولكنه أكد على افضلية هذه الخطوة ، نظرا لأن الباب العالى قد عودنا على منح موافقته الضمنية لاية اجراءات لا يوافق عليها بصفة رسمية .

وافق كرانبروك على المقترحات على الرغم من أنه لم يشعر بالارتياح لها اعتقادا منه أن لا فائدة منها ، الا أنه ادخل بعض التعديلات الطفيفة عليها ليؤكد حق سفن صاحبة الجلالة فى اتخاذ الاجراءات التى تراها ضرورية داخل المياه الاقليمية فى البحرين ولتفادى نشوء سوء تفاهم حول موقف الحكومة البريطانية بالنسبة لمنطقة العديد التى هى جزء من اراضى أبو ظبى .

فى ٥ يناير أرسلت المقترحات بعد الموافقة على تمديدات كرانبروك الى لايارد .

لم تكن الاشهر الأولى من عام ١٨٨٠ الفترة المناسبة لاجراء الاتصالات

بالباب العالى اذ كان عبد الحميد تسيطر عليه عقدة الخوف والشك من المؤامرات التى كانت تحاك ضده ، كما كانت فكرة الخلافة الاسلامية تستحوذ على تفكيره ، وكان مستشاروه خليطا من الافاقين والانتهازيين الذين يفتقرون الى الكفاءة ، وكانوا يغذون مخاوف واوهام عبد الحميد تحقيقا لمصالحهم الذاتية بينما كانت بطانة اخرى من مشايخ الدين تحيط به تنتهز كل مناسبة لتشجيع اطماعه فى خلافة المسلمين ، ومن ناحية اخرى اخذت مخاوفه من النوايا البريطانية تجاه الامبراطورية العثمانية تتفاقم يوما بعد آخر ، على الرغم مما كان يبذله لايرد (الذى كان معجبا بعبد الحميد وكان يثق فيه الى حد ما) من محاولات لتبديد تلك المخاوف . فقد كان عبد الحميد مصرا على ان البريطانيين وراء ثورة العرب فى اقاليم الامبراطورية ضد الباب العالى ، او انهم على الاقل كانوا يستغلون التدمير الموجود هناك لفصل تلك الاقاليم عن جسم الامبراطورية وفرض السيطرة البريطانية عليها وعندما نصحه لايرد بوجوب ادخال بعض الاصلاحات الادارية والنظم الى الاقاليم المذكورة لم يعره اهتماما ، فقد كان يعتقد بان لايرد نفسه هو احد المسؤولين عن الاضطرابات والمشكلات التى كانت تقع فى شبه الجزيرة العربية ضد الباب العالى . الم يصر على استدعاء مدحت باشا من منفاه وتعيينه واليا على دمشق ، او لم يكن مدحت باشا هو الذى حرض على الاضطرابات فى سوريا ؟ الم يتوجه لايرد الى دمشق ويتجول فى انحاء سوريه خلال خريف عام ١٨٧٩ لى يقوم ، على حد اعتقاده ، بتجريض العرب على الثورة ضد الأتراك ؟ . الواقع ان السلطان عبد الحميد لم يكن يشك فى لايرد وانما كان قلقه الحقيقى من موقف السكان العرب فى تلك المناطق :

« ان العرب سواء عرب شبه الجزيرة أم عرب سوريا أم العراق قد أصبحوا مدمرين من الأتراك ومستعدين للقيام بأى عمل للتحرر منهم اذا وجدوا العون من انجلترا أو من أى دولة أخرى ، وهذا ما تؤيده المعلومات التى اتلقاها من مصادر مستقلة عديدة ، هذا ما جاء فى رسالة لايرد المؤرخة فى شهر فبراير ١٨٨٠ ويضيف لايرد بأن هناك مؤامرات وحركة تمرد بين العرب ضد السلطان وحكومته ، وأن الحجاز هو مركز

تلك الحركة ، وهناك الكثير مما يؤيد ذلك الاعتقاد ، ومن المحتمل جدا أن يكون شريف مكة ضالعا في هذه الحركات ، واذا حكمنا على هذا الأمر من الرسائل التي نلقاها منه ، خصوصا وأن شريف مكة رجل واسع الطموح ويتميز بالكفاءة فإنه له علاقة بتلك الأحداث . والفكرة السائدة في أوساط بعض المسلمين وهي فكرة تمتد الى العرب أن اسرة العثمانيين الحاكمة قد أصبحت عاجزة وأن من مصلحة الاسلام الى حد كبير أن يستبدل بحكم الساطان العثماني حكم شريف مكة الذي سوف تبادر الشعوب الاسلامية الى الاعتراف به كرئيس وخليفة لهم » .

لقد أصبح وجود هذا المنافس على الخلافة مصدر قلق كبير لعبد الحميد ، كما أن احتمال حصول هذا المنافس على تأييد البريطانيين يضاعف من هذا القلق ، وقد أكد هذا ما حدث في شهر يناير ١٨٨٠ عندما عرض حسين بن محمد بن عون على الحكومة البريطانية تكليفه بايفساد رسول عنه الى أفغانستان عن طريق الهند بدعوة حكام البلاد الافغانيين واهلها الى الدخول في علاقات صداقة مع بريطانيا . وقد تلقت الحكومة البريطانية ذلك العرض عن طريق مترجم القنصلية البريطانية في جدة . وقد جذبت حكومة لندن الفكرة وكلفت جيمس زهراب القنصل البريطاني في جدة لعمل الترتيبات اللازمة لعقد اجتماع سرى مع شريف مكة في منطقة تقع في الطريق بين مكة وجدة على أن يكون الاجتماع في شهر مارس ، غير أن هذا الاجتماع لم يتم ، ففي ١٤ مارس عندما كان شريف مكة في طريقه الى مكة طعنه أحد الافغانيين بالسكين طعنة قضت عليه . وعلى أية حال فإن تواطؤ الباب العالي في عملية الاغتيال ، ان لم يكن لها الاشتراك الفعلى فيها ، كان أمرا في غاية الوضوح . وقد وصلت أخبار الاتصالات التي اجراها شريف مكة مع بريطانيا الى حكومة القسطنطينية ، فقد علم لاينارد بأن عبد الحميد قد أخذ يعرب عن تدمره من تلك الاتصالات، وكان يتحدث عن نقل شريف مكة من منصبه ، ورغم ذلك فلم يكن من المتوقع أن يجاهر السلطان عبد الحميد بشكوكه هذه في شريف مكة ، نظرا للمكانة التي كان يتمتع بها الشريف في العالم الاسلامي ، وانما من المحتمل انه كان ينفذ خطبه بالتعاون مع عبد المطلب الذي كان شريفا سابقا لمكة وكان

يقيم. فى القسطنطينية ، وهو الذى آوفد أحد ابنائه فى أواخر عام ١٨٧٩ الى مكة ربما لتنفيذ تلك المؤامرة . وعرف بعد اغتيال شريف مكة أن القاتل من أفغانستان وأنه قام بجريمته بالانتقام من شريف مكة على عرض وساطته لدى الحكومة البريطانية ، وقد لا يكون هذا التصور صحيحا لأن المسئولين الأتراك كانوا يتحدثون عن هذا الموضوع قبل أن تصل معلومات عن الجريمة ودوافعها وجنسية القاتل الى القسطنطينية .

قبل عملية الاغتيال بنحو عشرة أيام أفضى مدحت باشا لأحد أعضاء السفارة الفرنسية الذى كان فى زيارة لدمشق بأوصاف القاتل ودوافعه وقد قام الفرنسى بإبلاغ ماليت القنصل العام البريطانى فى القاهرة عند وصوله اليها فى أول أبريل ، وقد استطاع ماليت أن يصل الى استنتاج صحيح لذلك الحادث بعد مقارنته بالتواريخ فقال :

« ان تقرير زهراب المؤرخ ٢٢ مارس يؤكد بأن المتهم من افغانستان وقد وقعت الجريمة يوم ١٤ ، ووصل أول خبر عنها يوم ١٥ مارس عن طريق عدن ثم الى القاهرة يوم ٢١ مارس ، كما أن أول رسالة عن الحادث وصلت القاهرة يوم ٢٥ مارس ، وأفادت بأن القاتل فارسى الجنسية وكان من المتعذر وصول أية رسالة تتعلق بالحادث قبل التاريخ المذكور ، كما لم تصل أية برقيات عن الحادث من جدة ، ورغم هذا فقد ذكر مدحت باشا لشلو بزجر (من أعضاء السفارة الفرنسية) معلومات عن جنسية القاتل والدوافع التى دفعته اليها ، ومن هذا يمكن القول بأن مدحت باشا فى استطاعته تحديد جنسية القاتل ودوافع الجريمة قبل وصول معلومات عنها ، ومعنى هذا أن نية الاغتيال كانت متوفرة لدى حكومة الأتراك قبل وقوعها ، بل أن هذا يجعلنا نقتنع بأن مؤامرة الاغتيال قد دبرت فعلا فى القسطنطينية ، مما مكن مدحت باشا أن يعرف عنها قبيل حدوثها (١) .

(١) خطاب من ماليت الى سالسبورى ٨/٤/١٨٨٠ (١٥٣ سرى)
وقد أحيل الى مكتب شئون الهند ٣/٤/١٨٨٠ .

احتج لايرد على تعيين عبد المطلب شريفنا على مكة خلفا للشريف حسين وقد بين في احتجاجه ان ذلك التعيين قد يودى الى وقوع اضطرابات وحروب فى شبه الجزيرة وبأن الحكومة البريطانية لم تجده، نظرا لان عبد المطلب كان رجلا مهووسا ومعروفا بكرهه للبريطانيين ، ولكن السلطان عبد الحميد رفض الاحتجاج وذكر بأنه لم يكن أمامه خيار فى تعيين عبد المطلب وبانه لا خوف من تعيينه لانه رجل مسن قد ناهز التسعين من عمره غير ان احتجاج لايرد أكد للسلطان عبد الحميد شكوكه فى نوايا البريطانيين وتدخلهم فى شئون الحكم فى الاقاليم العربية ، وبأنهم كانوا يسعون لتقويض نفوذه فى اراضى الحجاز ، وبالتالي فانهم لن يترددوا فى القيام بنفس الدور فى الاقاليم الشرقية من شبه الجزيرة وبأن المتناصب التى يختلقونها فيما يتعلق بأعمال القرصنة كانت فى نظره دليلا على تلك النوايا . وفى منتصف عام ١٨٨٠ عندما وصلت الى السلطان عبد الحميد انباء عن مؤامرة بريطانية تستهدف نفوذ السلطان فى نجد والاحساء عن طريق تأييدهم لمطالب آجد أفراد الأسرة السعودية ، تأكدت لديه تلك الشكوك .

كان المطالب بالحكم هو عبد الله بن ثنيان وكان جد هذا الامير قد اغتصب السلطة من خالد بن سعود فى عام ١٨٤٢ ثم تنازل فيما بعد للامير فيصل بن تركى فى القاهرة عام ١٨٤٣ ، وفى شهر أكتوبر ١٨٧٩ غادر عبد الله مدينة البصرة التى أقام فيها بضع سنوات وذلك لاداء فريضة الحج ثم زيارة القسطنطينية ، وقبل مغادرته البصرة ذكر لروبرتسون بأنه ينوى ان يطالب السلطان العثمانى بتعيينه اميرا على نجد ، واذا أجابه السلطان الى طلبه فانه سوف يدفع الزكاة ويتولى الحكم فى الاقليم كوال للسلطان العثمانى ، اما اذا رفض السلطان طلبه فانه سوف يقترح تعيينه حاكما على الاحساء ، وهدد بأنه سوف يعرض امره على السفراء الأجانب فى القسطنطينية اذا رفض السلطان عبد الحميد مطالبه . وقد وصف روبرتسون عبد الله بأنه رجل قدير وكفاء وواسع الاطلاع وبرغم تشدده الدينى الا أنه لم يكن متعصبا ، كما كان عبد الله من اشجع

رجال أسرة آل سعود (١) وقد ذكر عبد الله هذه القصة لروس أثناء توقفه في بوشهر وهو في طريقه إلى الخليج في أواخر أكتوبر ، وطلب منه أن يرتب مساعده السفير البريطاني في القسطنطينية لتحقيق هذه المطالب ، كما أوضح لروس بأن في نجاحه مصلحة للبريطانيين لأنه كما ذكر سيكون أكثر على السيطرة على القبائل الساحلية وتحقيق الأمن في المنطقة . غير أن روس لم يتعهد له بأى شيء وذكر لعبد الله بأن عرض هذا الموضوع على الباب العالي ينطوي على شيء من الخطورة .

وفي مستهل العام الجديد اجتمع عبد الله بالقنصل البريطاني في جدة وتسلم منه خطابات توصية إلى كل من لايارد وماليت القنصل البريطاني العام في القاهرة ، وفي شهر أبريل اجتمع عبد الله بماليت مرتين وبحث معه النقطة ، كما طلب منه تأييد الحكومة البريطانية له ، غير أن ماليت لم يتعهد بشيء وإنما وعده بعرض الأمر على الحكومة البريطانية في لندن ، كما أعطاه خطابا إلى لايارد . ومن القاهرة توجه عبد الله إلى القسطنطينية عن طريق بيروت حيث أجرى محادثات مع مدحت باشا ، ومن هناك توجه إلى دمشق حيث اجتمع بنائب القنصل البريطاني ، وفي شهر يونيو وصل إلى العاصمة التركية ، وفي هذه الأثناء أقحم ولفرد بلانك نفسه في هذا الموضوع وبعث بمذكريتين إلى وزارة الخارجية البريطانية تعرض فيها إلى تاريخ نجد ، غير أنه وقع في كثير من الأخطاء والسقطات ، فقد خلط بين عبد الله بن ثنيان وعبد الله بن ثويني وربط رحلته إلى القاهرة بالحركة القومية التي كانت قائمة في شبه الجزيرة . غير أن وزارة الخارجية البريطانية وكذلك مكتب شؤون الهند لم يعبرا آراء بلانك ولا موضوع عبد الله بن ثنيان أى اهتمام ، وعلى الرغم من زيارتين قام بهما عبد الله للسفارة البريطانية في القسطنطينية إلا أنه لم يلق تأييدا لخطبه

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية مجلد ٢٣ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) ٢٤٥ المؤرخ ١٨٧٩/١٢/١٩ من روبرتسون إلى مايلز ١٨٧٩/١٠/٧ (رقم ٢٨٥) .

مما اضطره الى البحث عن جهات اخرى لتأييد مشروعه .

وفى بداية عام ١٨٨٠ صرف سالسبورى النظر عن فكرة الوصول الى تفاهم مع الاتراك ، فضلا عن اقناعهم بادخال اصلاحات ادارية لاعتقاده بانها خطوة ضرورية للحفاظ على الامبراطورية والتصدى للضغوط الروسية عليها ، غير انه كان قلقا من احتمال قيام مؤامرة يشترك فيها الباب العالي مع روسيا تستهدف المصالح البريطانية فى آسيا ، وان كانت ابعاد تلك المؤامرة لم تكن واضحة (١) كانت هناك خطة يقودها عثمان باشا كبير الياوران للسلطان عبد الحميد لاثارة المسلمين فى الهند ضد الحكم البريطانى واستغلال الهنود المنفيين فى القسطنطينية من ناحية ، وبالاتصالات المباشرة مع بعض الحكام المسلمين فى الهند من ناحية اخرى ، ولقد صدرت فى القسطنطينية صحيفة باسم « بيك اسلام » لتكون همزة وصل بين مسلمى الهند وتركيا ، وكانت تصدر باللغتين الاوربية والتركية وكان يرأس تحريرها أحد المسلمين الهنود يدعى على خان ، وكان القصر هو الذى يمولها كما كانت تطبع على نفقة الدولة ، وكانت هذه الصحيفة ترحب برسائل القراء التى كانت توجه الى رئيس تحرير الصحيفة يلديز كيوشك ، وفى اول عدد صدر من هذه المجلة وصفت السلطان عبد الحميد بأنه خليفة المسلمين فى الهند . وكان لا يارد هو الآخر قد اخذ يستبد به القلق على مستقبل العلاقات البريطانية التركية ، ومن محاولات تودد الباب العالي الى مسلمى الهند ، كما كان يائسا من احتمال قيام الباب العالي بأية اصلاحات ادارية أو تنظيمية فى المناطق التى يحكمها . وفى شهر مايو ١٨٨٠ كتب لا يارد يقول : « لا أشك مطلقا فى ان الباب العالى ومستشاريه يلقون كل تأييد ودعم من جانب روسيا فى مؤامرتهم الرامية الى تقويض المصالح البريطانية فى آسيا ، وثمة أسباب قوية تحمّل على الاعتقاد فى أن غازى عثمان باشا ضالع مع الروس ، كما أن دى نونىكون

(١) يمكن الرجوع الى كتاب (مؤتمر برلين وما بعده) طبعة لندن

السفير الروسي الجديد لدى الباب العالي يسعى الى تثبيت عثمان باشا في مركزه لدى القصر وبأن عملاء روسيا ينتهزون كل فرصة لاقتناع صاحب الجلالة والوزراء بأن إنجلترا هي العدو الحقيقي لتركيا ، وبأن الروس هم اصدقائهم الوحيدون وكلما لاح أمل في نجاح أو قيام تفاهم بين الدول الكبرى على السياسة التي يجب اتباعها حيال تركيا كلما كان اصرار روسيا أقوى على تغذية شكوك السلطان في نوايا إنجلترا والايقاع فيما بينهما . فإن أكثر ما تخشاه روسيا هو قيام اتفاق بين الدول العظمى قد يؤدي الى ادخال تطويرات واصلاحات ادارية في الامبراطورية العثمانية يمكنها من استعادة ما كان لها من مركز وقوة وازدهار ، ومن احباط الأطماع الروسية في تلك الامبراطورية » .

وعلى الرغم مما لهذه الآراء من صدى عند سالسبوري لو أنه اطلع عليها ، الا أن مكتب شئون الهند لم ينظر اليها من تلك الزاوية ، فقد كان هناك السير ليوليس ماليت السكرتير الدائم للمكتب الذي كان يعارض المبدأ الذي كانت تقوم عليه سياسة كل من سالسبوري ولايارد وهو : أن ادخال الاصلاحات الى الامبراطورية العثمانية كانت اجراء ضروريا ، وبأن روسيا قد تستغل الظروف الخاصة بالامبراطورية لتقويض النفوذ البريطاني في آسيا :

« اذا كانت آراء السير لايارد بالنسبة للمعلومات التي أوردها صحيحة (هكذا كتب ماليت) فانها تؤكد الأسلوب الخاطئ لما يسمى بالسياسة التقليدية تجاه الباب العالي والنتيجة المؤسفة التي تمخضت عنها . كانوا يقولون دائما بأن المحافظة على تركيا أمر جوهري بالنسبة للمصالح البريطانية في الهند ، سواء فيما يتعلق بالاطماع الروسية في تركيا ، أو كمنطقة عازلة ضد التوسع الروسي في آسيا الوسطى عن طريق تعبئة المشاعر الدينية لمسلمي الهند ، الذين يرتبطون روحيا بالباب العالي . ومن هذا المنطلق وبصرف النظر عن كافة الاعتبارات الأخرى ، فقد كان المنطقي أن تصطنع روسيا المبررات لتأييد موقف الحكومة التركية ، وخوض الحرب (٤٧ - بريطانيا والخليج / ٢)

الدفاع عنها ، ولتبرير هذه السياسة للشعب البريطانى . كان لابد من اظهار الباب العالى بمنظر الدولة الداعية الى الصداقة والتفاهم ، وبأن السلطان العثمانى شخصية محبوبة ، وأن كل ما هو مطلوب من الحكومة التركية لى تؤكد حسن نواياها هو اعطاؤها بعض الوقت وبعض الصبر » .

وعلى آية حال فقد برهنت الأحداث على خطأ هذا الاعتقاد . فقد اتضح أنه ما ان تدعو بريطانيا الباب العالى الى اجراء اصلاحات ادارية فى المناطق الخاضعة لها حتى يتحول الباب العالى فورا الى جانب العدو، وينبرى الى اثاره الاضطرابات فى الهند ويخضع للتوجيهات الروسية . ان الجانب الاخلاقى لهذه النظرية واضح كل الوضوح ، وأرجو أن يكون واضحا فلمتسكين حتى الآن بالسياسة التقليدية وعلى حد رأى السير لايرد فاننا وفقا لهذا المفهوم يجب أن نتوقع موقفا معاديا من جانب الباب العالى ، وأن أى قدر من الولاء الذى يكنه رعايانا المسلمون فى الهند للسلطان العثمانى سوف يستغله الروس ويحرضون عليه سرا .

غير أن ماليت كان يأنسا من احتمال قيام الباب العالى بادخال الإصلاحات الحديثة الفعالة وكان بالمثل يشك فى أهمية تلك الإصلاحات بالنسبة للحكومة البريطانية :

« فى اعتقادى أن المقصود من تطوير الادارة هو تحديثها فى مواقعها غير الأوربية . وبما أن الأمل ضعيف فى التخلص من السلطان أو تجريدته من سلطته الدينية ، كما حدث بالنسبة للبابا ، فان السلطان العثمانى وحكومته يشكلان رمزا لاقطار عديدة أغلبية سكانها من الرجعيين والمتعصبين والمعادين لكل مظهر من مظاهر المدنية الحديثة التى ميزت شعوب أقطار أوروبا الغربية » .

لم يكن ماليت اطلاقا قلقا من تلك الاحتمالات رغم انه لم يكن راضيا عن التأييد الذى كانت الحكومة البريطانية توليه للسلطان العثمانى ابان الحرب الروسية - التركية ، وهو التأييد الذى يجعله يبدو فى نظر مسلمى الهند أهم بكثير مما كان بالفعل . كما لم يكن قلقا من التعاون التركى الروسى ، وكان يتساءل عن أسباب الاعتقاد بأن للروس مصلحة فى تأييدهم للقوى

الاسلامية المتطرفة . أن روسيا ليست حليفا للمسلمين أكثر من انجلترا ، فكلتا الدولتين تستغل اسم الاسلام لاحراج موقف الأخرى ، فالمصالح المشروعة لكل من انجلترا وروسيا تبدو لى دائما مصالح مشتركة ، أو على أية حال فانها آقل تناقضا مع مصالح الدول الأخرى (١) .

وربما كانت تلك الآراء هي آراء ماليت الخاصة أو لعلها نتيجة للتغيرات التي طرأت على الحكومة . ففي شهر ابريل هزم المحافظون فى الانتخابات البريطانية وحل جرانفيل محل سالسبورى فى وزارة الخارجية ضمن وزارة جلايستون الثانية ، كما أصبح ماركوس هرنجتون وزيرا للدولة لشئون الهند ، ولو أننا صدقنا كل ما يقال عن الحملة الميدلوية فان تعود ثمة ضرورة لمحاباة الأتراك أو الى مواقف متشنجة . وفى نهاية شهر مايو تم استدعاء لايرد الذى كان من أنصار السياسة الجديدة تجاه تركيا ، وعين مكانه جى جى جوشين وكان آخر اجراء اتخذه لايرد قبل مغادرته لتركيا هو الاقتراح الخاص بقيام الأسطول الملكى باعمال الرقابة على ساحل الاحساء . وقد تناول لايرد هذا الموضوع مع ساواس باشا وزير خارجية تركيا بصورة غير رسمية عندما اقترح بأن يطلب الباب العالى المساعدة البريطانية فى اقرار الأمن وحكم القانون على سواحل الاحساء ، والمخ خلال المحادثات بأن الحكومة البريطانية سوف تجد نفسها مضطرة الى اتخاذ الاجراءات اللازمة لمكافحة القرصنة فى حالة تعذر الوصول الى اتفاق حول هذا الموضوع دون أى اعتبار للحقوق التركية ، وكان رد ساواس باشا على لايرد هو أنه سوف يقوم بعرض الأمر على مجلس الوزراء قبل أن يبت فيه ، غير أنه حتى موعد سفر لايرد من القسطنطينية لم يصل أى رد من الحكومة التركية .

فى شهر يوليو اجتمع جوشين بوزير الخارجية التركية ونقل اليه مضمون المجموعة الثانية من الاقتراحات التي بعث بها سالسبورى الى

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٣٩ محضرماليت

لايارد فى أسلوبه الملتوى (وكان الود مفقودا بين الاثنيين) فى عرض الموضوع على وزير الخارجية ، أم انه كان يعتقد بأن الطريقة الصريحة هى أقرب الى النجاح ، فقد كان من الواضح انه تقيد حرفيا بالتعليمات التى كانت لديه . وفى نفس اليوم الذى قدم فيه المذكرة الى حكومة الباب العالى ، نصحه بلاودون الوكيل المساعد للادارة الخارجية فى حكومة الهند ، والذى توقف فى القسطنطينية وهو فى طريقه الى بغداد ليحصل مايلز كقنصل بريطانى عام ، نصحه بعدم محاولة عقد اتفاق مع الأتراك ، وانما بالتقيد بما ورد فى المجموعة الثانية من تعليمات سالسبورى ، ووضح له بأن ابرام اتفاق مع الأتراك سوف يعزز من حقوق السيادة التى يطالبون بها على سواحل الخليج ، وأثناء الحديث أعرب بلاودون عن أسفه لذلك الحشد الهائل من المكاتبات التى تبودلت مع الباب العالى حول الموضوع، مما يمكن أن يستفيد منه الباب العالى فى تأكيد حقوقه فى تلك المناطق على أساس تلك الرسائل . وأشار بلاودون لجوشين بأنه ثمة اعتراضات جوهرية على الحقوق التركية فى المناطق الساحلية من شبه الجزيرة بل وفى الأحساء نفسها . فلو تم عقد اتفاق كما ورد فى الاقتراحات ، فان هذا سوف يجرد الحكومة البريطانية من حقها فى الاعتراض على تلك الحقوق فى المستقبل ، وذكر ايضا بأنه من المحتمل أن يوافق الباب العالى على الاتفاق ، ثم يعود بعد ذلك فيتصل منه فى محاولة لكسب المزيد من الحقوق الضمنية أو الواضحة بالسيادة التركية على تلك المناطق . أما بالنسبة للزيارات التى قد تقوم بها سلفن الأسطول البريطانى . فان الوضع سوف يصبح أسوأ مما هو عليه الآن . ولكن بلاودون استدرك فقال بأنه فى حالة اصرار جوشين على ابرام اتفاق مع الأتراك فيتعين أن يقتصر ذلك على سواحل الأحساء دون غيرها ، وعلى أية منطقتهم ساحلية أخرى. تمارس الحكومة التركية سيادة فعلية وثابتة عليها ، وبأن يتضمن الاتفاق. شرطا ينص على حق الحكومة البريطانية فى اتخاذ الاجراءات التأديبية ضد القراصنة اللذين يتم القبض عليهم من جانب المقيم السياسى البريطانى فى الخليج أو المقيم السياسى البريطانى فى بغداد . أما بخصوص رسم حدود ساحل الأحساء فقد حددها بلاودون من شط العرب شمالا الى الدمام

تأسفل الخليج بين خطى عرض ٢٦ و ٢٧ درجة جنوبا . فاذا وافق الباب العالى على هذه الشروط فان هذا التحديد يفصل الشق الساحلى الذى يمارس فيه بنو هاجر نشاطاتهم عن المنطقة الخاضعة للسيادة التركية بما فى ذلك شبه جزيرة قطر والدوحة (١) .

وبما ان جوشين لم يكن ملما بالموضوع الماما كافيا ، فلم يكن من المتوقع ان يستوعب مضمون آراء بلاودون وحتى لو كان فى امكانه ذلك ، فقد كان مقيدا بالتعليمات التى لديه ، غير ان الشيء الوحيد الذى كان يمكنه ان يفعله هو ارجاء تقديم المذكرة الى الباب العالى ريثما يتصل بحكومته فى لندن . الا انه لم يفعل واكتفى باحكامه وفهمه لما تضمنته التعليمات والتى تنص : « بان الحكومة البريطانية على استعداد للاعتراف للحكومة التركية بالسيادة على تلك المناطق الساحلية من شبه الجزيرة حيث تمارس تركيا سلطة عن طريق ادارة منظمة وحضارية وقد نصح بلاودون جوشين باستبدال عبارة (حاليا) بعبارة (الوقت الحاضر) لانه كما اوضح بان من المحتمل ان يطرد الاثراك من المناطق الساحلية التى يسيطرون عليها . غير ان جوشين رفض التعديلات لاسباب اوضحها لجرانفيل فيما بعد ، حيث ذكر بان المشكلة ليست فى الاعتراف او عدم الاعتراف بالسلطة التركية فى المناطق الساحلية شمالى العديد ، وانما فى عدم السماح للفوضى بان تسود تلك المناطق وتؤدى الى الاضرار بالمصالح التجارية . ومن ناحية اخرى فقد كان بلاودون بحكم اطلاعه على الرسائل التى كان يتبادلها المسئولون البريطانيون بهذا الشأن كان مشبعا على ما يبدو بفكرة رفض كل مطالب السيادة للأثراك على ذلك الجزء من المنطقة وحتى آخر نقطة ممكنة (٢) كما كانت نفس الفكرة تسيطر على رجال الادارة

(١) المكاتبات السياسية والسرية لحكومة الوطن مجلد ٤ . مذكرة بلاودون ١٨٨٠/٧/٨ ومرفق بمذكرة جوشين الى جرانفيل ١٨٨٠/٧/١١ (رقم ١٣٦) وقد احيل لى مكتب شتون للهند ١٨٨٠/٨/١٤ .

(٢) من جوشين الى جرانفيل ١٨٨٠/٧/١١ (رقم ١٣٦) .

الخارجية لحكومة الهند . وفي لندن تمت الموافقة على تفسيرات جوشين للموضوع وعلى الاجراءات التي اتخذها على الرغم من اعراب مكتب شئون الهند عن أسفه لعدم استخدام جوشين أسلوبا غير ذلك الأسلوب لمعالجة المشكلة . غير أن مكتب شئون الهند لم يؤيد اعتراضات بلاودون على المقترحات ، نظرا لأن حدود السيادة التركية قد تمت الموافقة عليها فعلا، وأن مكتب شئون الهند لم يكن يرغب في التراجع عن تلك الموافقة شريطة أن يمتنع الأتراك عن التدخل في البحرين أو خور العديد ، أو مشيخات الهندنة ، أو سلطنة عمان . وكان اعتراض مكتب شئون الهند الوحيد على المفاوضات التي كان يقوم بها جوشين مع سلطات الباب العالي انه في حالة تأخر الرد على المقترحات أو وصول رد غير مرض أو رد ملتو فيتعين عليه أن يوقف الاتصالات (١) .

كان جوشين نفسه قد توصل الى نفس النتيجة ولم يكن قد مضى على اجتماع جوشين ببلاودون أكثر من شهر . وعلى أية حال فان اتصالات جوشين بالباب العالي لم تسفر عن شيء محدد ، وكان قد قطع الأمل في الحصول على رد من الأتراك . وفي الأسبوع الثالث من أغسطس اقترح جوشين على جرانفيل باصدار تعليمات الى قادة الاسطول البريطانى فى الخليج بعدم التقيد بمسافة الثلاثة أميال المتفق عليها فى ملاحقتهم للقراصنة واعتقالهم اذا لم يصل رد مرض من الباب العالي ، وعلى الأخص أن طبيعة السيادة التركية على ذلك الساحل غامضة فى كثير من مناطقه .

كان الشرط لنجاح سياسة الاعتدال تجاه الأتراك وهى السياسة التى كانت تفضلها الحكومة البريطانية انها لا بد وأن تلاقى اعتدالا مماثلا من جانب الأتراك تجاه البريطانيين ، غير أن الأتراك لم يظهروا شيئا

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٤٠ من الوكيل المساعد لمكتب شئون الهند الى الوكيل المساعد لوزارة الخارجية ١٨٨٠/٨/٣٠ (سرى) .

من ذلك الاعتدال خلال ١٨٨٠ وانما كانوا يمارسون سياسة معاكسة .
ففى بداية مارس وصلت الى البحرين احدى سفن نقل البريد التركية ،
وطلب قائدها التركى من حاكم البحرين الشيخ عيسى اذنا بانشاء مستودع
للفحم فى الجزيرة ، وعند استفسار حاكم البحرين للقائد عما اذا كان
ذلك الطلب هو مبادرة خاصة منه او بايعاز من السلطات التركية ، فاجاب
بأنه قدم طلبه بناء على اوامر صادرة اليه ، وذكر فى معرض حديثه بأن
البصرة سوف تعلن ولاية منفصلة عن بغداد وسوف يتم تعيين وال جديد
فى الاحساء ، وأن هذا الوالى يعتزم زيارة البحرين فى وقت قريب . وقد
رد عليه الشيخ عيسى بأنه سوف يدرس هذا الموضوع عند وصول الوالى
التركى الجديد الى المنطقة . وعندما علم روس بهذا الموضوع كلف وكيل
المثلية البريطانية فى البحرين بتذكير الشيخ عيسى بالتعهد الذى أعطاه
للمقيم فى شهر يونيو ١٨٧٩ بعدم السماح للأتراك بانشاء مستودع للفحم
فى البحرين قبل عرض الموضوع على الحكومة البريطانية (١) .

وعلى أية حال فقد كانت هناك مؤامرة أخرى أشد خطرا على
البحرين كان يجرى اعدادها . ففى بداية ١٨٨٠ أطلقت السلطات البريطانية
سراح اثنين من زعماء حركة التمرد التى وقعت فى البحرين . وكانا
متحجزين مع حاكم البحرين السابق محمد بن خليفة فى عدن وكان أحد
هذين الزعيمين يدعى على بن ناصر حفيد عبد الله بن أحمد الذى تولى
الحكم فى البحرين خلال القسم الأكبر من القرن قد وذل الى البصرة فى
الأسبوع الثالث من مارس وذكر لوالى البصرة بأنه قد عقد العزم على
استرجاع حقوقه العائلية فى البحرين بما فى ذلك ممتلكاته التى صودرت
فى اعقاب تولى الشيخ عيسى الحكم فى البحرين . كما ذكر بأن نصفه

(١) الخطابات السياسية والتيرية من الهند مجلد ٢٥ مرفق للخطاب
الخارجى (سياسى) رقم ٤٤ المؤرخ ٢٧/٤/١٨٨٠ من روس الى لايسال
١١ و ١٩ و ٣١/٣/١٨٨٠ / رقم ٦٢ و ٧١ و ٨٣) ومرفق معه رسالة
وكيل المثلية .

البحرين يخصص فرع آل عبد الله من أسرة آل خليفة ، وبأنه اذا قدمت اليه المساعدة من الباب العالي فانه سوف يعلن تبعية البحرين تبعية كاملة للباب العالي وقال أيضا انه حتى بدون مساعدة من الأتراك ، فهو واثق من أن يسترد حقوقه بتأييد ومساعدة أفراد أسرته المقيمين في الاحساء ، وعلى رأسهم ناصر بن مبارك ، ويتمكن من خلع عيسى بن علي من السلطة . ووعده بأنه في حالة نجاحه فسوف يضم البحرين الى ممتلكات الباب العالي . غير أن الوالى وعده بالاتصال بالقسطنطينية لعرض الأمر عليها ، وبأنه يأمل أن يحصل على رد ايجابي منها . وبعد بضعة أيام قام ناصر بالاتصال بالمعتمد السياسى والقنصل المساعد فى البصرة لشرح قضيته وذكر بأن مستقبله مرتبط بالحكومة البريطانية وأنه يطلب تخصيص معاش له ولناصر بن مبارك وبقية أقاربهما وأوضح انه على استعداد للاقامة فى أية منطقة تحددها الحكومة البريطانية وقد رد عليه مساعد القنصل باحالة طلبه الى كل من المقيم السياسى فى الخليج والقنصل البريطانى العام فى بغداد (١) .

انتقل ناصر الى الاحساء فيما بعد للاقامة مع ذويه وانقطعت أخباره بعد ذلك ، وفى منتصف أكتوبر تلقى جوشين السفير البريطانى فى القسطنطينية عريضة من شخص يدعى محمد أو (أحمد) راشد ذكر فيها أنه وكيل لناصر وأقاربه ، وكانت العريضة موقعا عليها من ناصر بن علي وناصر بن مبارك وثلاثة آخرين من الشيوخ ، وتتضمن العريضة سردا مشوها لتاريخ البحرين منذ وفاة عبد الله بن أحمد فى عام ١٨٤٩ ويطالب الموقعون برد حقوق آل عبد الله التى أخذت عنوة منهم ونداء الى الحكومة

(١) الخطابات والمرفقات السياسية السرية من الهند مجلد ٢٨ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٨٣ المؤرخ ١٨٨١/٥/٢٧ من السرجين ماجور جى برمان الى روبرتسون (نائب القنصل العام فى بغداد ٣/٢٣ و ١٨٨٠/٣/٢٦ (رقم ٨٦ و ٩٢) .

البريطانية بان تقوم برد تلك الحقوق الى اصحابها ، وقالوا أيضا بأنه اذا اعيدت اليهم كافة ممتلكاتهم من عقارات ومزارع وأراض وسمح لهم بالعودة الى البحرين فانهم يتعهدون للمسؤولين البريطانيين بالعيش في سلام مع الشيخ عيسى وغيره في ظل الحماية البريطانية (١) .

لم يعرف جوشين كيف يتصرف في أمر العريضة ، الا أنه كان متأكدا من أنها جزء من سياسة المجابهة التي أخذ ينتهجها الباب العالي في شبه الجزيرة . وحول هذا الموضوع بعث جوشين برسالة الى جرانفيل ذكر فيها بأن العناصر التي تحرك هذه السياسة من وراء الستار تأخذ في اعتبارها كل مناطق ساحل شبه الجزيرة ، كما أنها تعتزم مد نشاطها الى ساحل البحر الأحمر والخليج . وهناك مفاوضات جارية مع زعماء نجد ، كما يقال بأن بعثة قد آوفدت الى البحرين للاتصال بالمسؤولين فيها . واستطرد جوشين يقول : بأنه قد سبق أن نبه وزير الخارجية الى خطط من هذا النوع يجرى تنفيذها في حضر موت . . (٢) « أن ناصر باشا والى البصرة السابق هو أحد المتزعمين لهذه السياسة ، وكان دائما يلح ينصح السلطان لضم الاحساء وقطر الى ولاية نجد ، ثم يجرى توسيعها فيما بعد عندما تسمح الظروف . وقد رشح ناصر باشا عبد الله بن ثنيان الذي كان وقتها في القسطنطينية حاكما لهذه الولاية . وقد وافق السلطان عبد الحميد على الاقتراح ، ومنح عبد الله بن ثنيان لقب باشا والمخ الى احتمال تعيينه واليا في القطيف وقطر ، واذا استثنينا تلك التصريحات ، فان هذا المشروع ظل حبرا على ورق ، كما تعهد ناصر باشا باقناع سكان البحرين بالاعتراف بالسيادة التركية عليهم ، ولتنفيذ هذا التعهد أجرى ناصر باشا عدة اتصالات مع كل من ناصر بن علي وناصر بن مبارك (اللذين

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٤٢ من جوشين الى جرانفيل ١٩/١٠/١٨٨٠ (رقم ٤٨٨ سري) ومرفق معه نسخة من العريضة وقد أحيل الى مكتب شئون الهند بتاريخ ٩/٣/١٨٨٠ (٢) هذه الأخيرة اشارة الى التقارير المتعلقة بعودة السيد فضل بن علوى الى نشاطه .

أشار جوشين اليهما في مذكرته الى جرانفيل (لاقناعهما بتزكية الاعتراف بالسلطة العثمانية على البحرين . وفي منتصف شهر أكتوبر واجه جوشين كلا من رئيس الوزراء ووزير الخارجية التركيين بتلك الأحداث ، غير ان وزير الخارجية وصف تلك الأنباء بأنها مجرد أفكار صيانية ، الا ان جوشين لم يقتنع بأقوال وزير الخارجية التركية وأوضح في مذكرته : « وعلى أية حال فقد اغتنمت الفرصة فواضحت لصاحب المعالي رئيس الوزراء بأن حكومة صاحبة الجلالة تراقب التطورات وحذرت في أسلوب مهذب ولكنه حاسم ، بأنه اذا ما أقدمت الحكومة التركية على تحريض الزعماء العرب في شبه الجزيرة ضد البريطانيين ، فان الحكومة البريطانية سوف تلجأ الى نفس الأسلوب ضد الأتراك ، وفي تلك الحالة فان تركيا سوف تكون بلاشك الطرف الخاسر (١) غير أن هذا التحذير لم يتمخض عن نتائج أفضل من التحذيرات السابقة أو بالأحرى كان له نفس الملامبات والانعكاسات على الوجود التركي في شبه الجزيرة ، كما جعل الأتراك أكثر تصميمًا على التوسع والامتداد وحبك المؤمرات والخطط المدمرة، ومن ثم فلم يعد هناك أى شك في علاقة ناصر باشا بزعماء البحرين المنفيين وفيما كان يجرى في قطر والاحساء في أواخر ١٨٨٠ . في فصل الشتاء ، وهو الفصل الذى تتحرك فيه قبائل البدو من المناصير وبنى هاجر ومرة للبحث عن المرعى . وفي عام ١٨٧٨ مكنت هذه التجمعات من البدو ناصر بن مبارك وجاسم بن أحمد آل ثاني من شن هجومهم الناجح على زيارة في شهر نوفمبر من ذلك العام ، وبنفس هذا التجمع تمكن هذان الزعيمان في شتاء ١٨٨٠ - ١٨٨١ من الاعداد لهجوم جديد على البحرين ، وبدلا من أن تقوم السلطات التركية بمنع ذلك الهجوم فانها أخذت تشجعهم ، بل كان ناصر يتقاضى معاشا شهريا من الأتراك في حدود ٦٠ ريالاً ، كما اعترف

(١) من جوشين الى جرانفيل ١٩/١٠/١٨٨٠ (رقم ٤٨٨ سري) ومرفق به مذكرة (بغير توقيع صادرة في القسطنطينية ١٦/١٠/١٨٨٠ . وقد رسم جوشين خطأ تحت هذه النقطة من تقريره الى جرانفيل . « في الظروف الراهنة من موقف الأتراك من حكومة إنجلترا .

بنفسه بذلك وبأن الأتراك كانوا يشجعونه على مغامراته ، كما كان سعيد باشا والى الاحساء يطالبه بالتخلي عن حقوقه فى البحرين لصالح الباب العالي بحيث يتمكن الباب من فرض حمايته على البحرين ، وكان ناصر شأنه شأن جاسم يرغب فى وضع البحرين تحت السيادة التركية ، نظراً لأن سيطرته على الجزء الأكبر من قطر لم يمض عليها وقت طويل وكان قلقاً على تلك السيطرة ، لاسيما وأن قسماً كبيراً من سكانها كانوا يعارضون تلك السيطرة ، كما كانوا يعارضون محاولات الأتراك بفرض حمايتهم عليها ، وكانوا يفضلون أن يعودوا الى سيطرة البحرين ، وما لم يقض على نفوذ البحرين على تلك المنطقة فلن يهدأ بال لجاسم آل ثانى فى قطر ، وكان هذا هو أحد اسباب تحريضه لقبائل البدو فى شتاء ١٨٨٠ - ١٨٨١ للاطاحة بحكم عيسى بن على فى البحرين نظير وعود بالفنائم والمكافآت (١) .

وفى اواخر نوفمبر ١٨٨٠ أخذت المعلومات تتوافر لدى وكيل الممثلة فى البحرين من قطر وكانت تشير الى ان ناصر بن مبارك على رأس قوة كبيرة من قبائل البدو تتحرك شمالاً نحو الزويس وأبو ظلوف على الجهة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة . كما تلقى حاكم البحرين معلومات مشابهة . وقبل نهاية الشهر بعث الشيخ عيسى بمجموعة من رجال التعميم الى منطقة الفويرات لتراقب أخبار تحركات ناصر فى المنطقة ، وقد صدرت لهم تعليمات مشددة باعادة السفن التى ستحملهم الى البحرين بعد وصولهم مباشرة خوفاً من أن يستولى عليها ناصر بن مبارك . وفى اليوم الأول من شهر ديسمبر وصل الى البحرين الطراد ليكون وكان قادماً الى الخليج ، وقد أصدر اليه وكيل الممثلة فى البحرين أمراً بالتوجه الى

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية فى الهند مجلد ٢٨ مرفق للخطاب الخارجى (سرى) رقم ٨٣ المؤرخ ٢٧/٥/١٨٨١ من روس الى لايل ٢/٤/١٨٨٢ (٤٩) ومرفق معه تقارير من اغا محمد رحيم (وكيل الممثلة) وأن الاتفاق بين جاسم وناصر قد دعم مؤخراً باقتران ناصر من احدى كريمات جاسم .

ساحل قطر ، فاقلع يوم ٤ ديسمبر ، ومن قطر توجه الطراد الى أبو الظلوف ، غير أن قائد الطراد لم يلاحظ شيئاً غير عادي ، لكنه عرف بوجود ناصر ابن مبارك في تلك المنطقة ، وبعد مغادرة الطراد ظهر ناصر بن مبارك في منطقة بالقرب من الرويس وأبو الظلوف ، وطلب من سكان المنطقتين بأن يسلموه السفن التي لديهم ، غير أن هؤلاء كانوا قد عرفوا بقدمه فتمكنوا من بعثرة سفنهم خارج المنطقة وهكذا اضطر هو وأتباعه الى الانسحاب بعد فشل خطتهم . وفي الأسبوع الأول من ديسمبر تلقى روس بعض المعلومات عن تحركات ناصر ، كما تضمنت المعلومات خبراً عن إبحار السفينة التركية المرابطة هناك الى ساحل الاحساء . وبما أن روس كان مقتنعاً بأن السفينة التركية لم تتحرك من أجل أهداف سلمية فقد أبرق الى مايلز في مسقط والى بلاودون في بغداد ، يطلب اليهما ارسال بعض السفن المسلحة التابعة لهما ، لأن الطراد سيكون قد عاد الى بومباي ولم يعد الاتصال به ممكناً . وعلى الفور أبحر الطراد « وودلارك » من مسقط وفي نهاية الأسبوع الثاني من ديسمبر وصل الى البحرين وعند وصوله علم بفشل خطة ناصر وبإخفاء السفينة التركية (١) .

ورغم ذلك فان روس لم يقتنع ، ولذلك فقد قرر التوجه بنفسه الى البحرين ، وعند وصوله اليها يوم ٢١ ديسمبر قام بتحريرات واسعة عرف من خلالها بأن جاسم آل ثاني كان هو المسئول عن الهجوم الفاشل الذي قام به ناصر بن مبارك على البحرين ، وبما ان جاسم آل ثاني كان محسوباً على الأتراك فقد تصور روس على ضوء مواقف الأتراك السابقة أن لهم ضلعا في المؤامرة على البحرين ، وأنهم (أي الأتراك) سوف يستمرون في استخدام عملائهم في المنطقة لتقويض حكم عيسى بن علي في البحرين . وقد كشف الأتراك بأنفسهم عن نواياهم تجاه البحرين وذلك من

(١) نفس المصدر من روس الى لايل ٩ و ١٦ و ١٨٨٠/١٢/٢٤ (رقم ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٥١) ومرفق معها تقرير س.س. هاند قائد الطراد سيكون لروس ١٨٨٠/١٢/٨ وتقارير وكيل المثلية ومن المقيم السياسي الى المعتمد السياسي في مسقط والمعتمد السياسي في بغداد ١٨٨٠/١٢/٦ .

خلال موافقهم السلبية من قضية القرصنة والتي ترتكب ضد سفن البحرين من جانب الموالين للأتراك فى الاحساء ، ومن خلال محاولاتهم الحصول على نفوذ لهم فى الجزيرة ، وذلك عن طريق الطلب الذى تقدموا به لحاكم البحرين لاقامة مستودع للفحم فى جزيرة البحرين . وعلى الرغم من تعهد حاكم البحرين فى شهر يونيو ١٨٧٩ ومارس ١٨٨٠ بأنه لن يسمح باقامة مثل ذلك المستودع قبل الحصول على موافقة السلطات البريطانية ، الا أنه يواجه ضغوطا متزايدة حول استمراره بذلك الالتزام بحجة عدم وجود اتفاق رسمى يستند اليه . وقد اقتنع روس بعد محادثاته مع الشيخ عيسى بأن عقد اتفاق من هذا النوع سوف يعزز موقفه من الضغوط التى يمارسها الأتراك أو غيرهم لاقامة مثل تلك المراكز أو المستودعات فى اراضيه . وكان الشيخ عيسى يتفق مع روس فى هذا الرأى ، وعلى هذا الاساس وضع روس صيغة اتفاق يلتزم فيه حاكم البحرين وذريته من بعده بعدم الدخول فى مفاوضات أو ابرام معاهدات من أى نوع مع أى حكومة بغير موافقة الحكومة البريطانية ، كما يلزم حاكم البحرين بعدم اقامة علاقات دبلوماسية ، كما اُضيف الى مسودة الاتفاق شرطا آخر ينص على موافقة الحكومة البريطانية على تبادل البحرين رسائل الصداقة العادية مع الحكام المحليين للدول المجاورة للبحرين والتى تتناول المسائل العادية . وفى يوم ٢٢ ديسمبر وقع الشيخ عيسى حاكم البحرين على تلك المعاهدة .

وافق الماركويس اوف ريبون الحاكم الجديد للهند على الاجراء الذى قام روس باتخاذة فى البحرين كما أقر ذلك الاتفاق ولكنه أشار الى نقطة هامة وهى أنه لا يحق للمسؤولين السياسيين بشكل عام الدخول فى مفاوضات كهذه دون تلقيهم تعليمات سابقة تخول لهم ذلك ، لأن المعاهدة لن تضاعف أو تغير (من الوجهة المادية) المسؤوليات التى تتحملها الحكومة البريطانية ، وقد جاء هذا التعليق فى المذكرة التى بعث بها الحاكم العام لوزير الدولة لشئون الهند حول هذا الاتفاق واطاف الحاكم العام

« بأن رفض الاتفاق الآن قد يساء تفسيره » (١) وعلى العموم فقد كان هذا التقييم تقييما سليما نظرا لأن استثناء ممثلى الدول البحرية من اقامة علاقات مع البحرين وعلى الأخص تركيا وفارس كان يعتبر من سمات السياسة البريطانية فى الخليج ، مثله مثل الالتزام البريطانى بالدفاع عن البحرين ضد أى غزو يأتى من تلك الدول أو من الوهابيين . أما الشئون السياسية العادية والعلاقات التجارية بين البحرين وجيرانها أو منع وصول البعثات الدبلوماسية من فارس أو نجد أو مصر أو تركيا من زيارة البحرين فلم يكن ذلك من شئون الحكومة البريطانية ، وأن الاعتراضات البريطانية الوحيدة على مثل هذه الزيارات تنحصر فى أن لا تتحول الزيارات الى محاولات لفرض السيطرة أو النفوذ أو حبك المؤامرات على البحرين . وقد زاد الموقف البريطانى تصلبا من قضية هذه البعثات بعد عام ١٨٨٠ عندما تبين أن حضور مثل هذه البعثات من فارس أو تركيا قد يشجع حاكمها على الاعتقاد بأن ارتباطاته بتركيا أو بفارس قد تعفيه من التعهد بالمحافظة على الأمن فى منطقتة . وقد جاء الاحتلال التركى للاحساء عام ١٨٧١ ليستكمل التغيير فى ذلك الموقف نظرا لأن الاتصالات الرسمية التى كانت تتم بين حاكم البحرين وبين الباب العالى لم يكن فى الامكان منعها ، كما لم يكن فى الامكان تجاهلها وبصفة خاصة على ضوء المحاولات التى كان يقوم بها مدحت باشا فى توسيع رقعة نفوذ الأتراك للمناطق الشرقية من شبه الجزيرة العربية ، كما أن قبول جاسم آل ثانى بالسيادة التركية عليه كان يشكل تحديرا خطيرا وعلى الأخص من حيث معارضته المستمرة لحكام آل خليفة . ومن ناحية أخرى فقد كان العداء الذى يديه الأتراك نحو البريطانيين وتصرفاتهم فى شبه الجزيرة بوجه عام بعد عام ١٨٧٣ اضطر الحكومة البريطانية الى الكشف عن موقفها الرسمى بشكل واضح بالنسبة لعلاقات البحرين مع الدول الأخرى ، أما الأمر الذى لم

(١) من الحاكم العام الى وزير الدولة لشئون الهند ١٨٨١/٥/٢٧
(رقم ٨٣ الادارة الخارجية - سرى) .

ينسب إليه ريبون وروس من أن اتفاقية ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ قد عززت من ارتباط البحرين بالحكومة البريطانية وحولتها إلى دولة تابعة تبعية مطلقة لبريطانيا ، وذلك من خلال الاجراءات التي كان معمولاً بها بين المسؤولين البريطانيين في الخليج وهي الاجراءات التي اتسمت بعدم الوضوح وشمول هذه الاجراءات دول الهدنة الأخرى عن طريق الاتفاقيات الاستثنائية التي عقدها الحكومة البريطانية معها مما أدى إلى خلق دول تابعة لبريطانيا في المنطقة .

وأثناء وجود روس في البحرين كتب إلى ناصر بن مبارك وجاسم آل ثاني يدعوهما إلى إيضاح موقفهما من تهديدهم بغزو البحرين . . . وفي شهر يناير ١٨٨٠ تسلّم روس رد ناصر على كتابه وقد ذكر في رده : « بأن أهدافه هي تحقيق العدل لنفسه ولاتباعه وبأنه قد طالب روس مراراً وتكراراً أن يعمل على استرداد حقوقه في البحرين ولكن دون جدوى ، كما ذكر بأن أتباعه في البحرين يلحون عليه في العودة إليهم ، إلا أنه (على حد تعبيره) رفض حتى الآن تحقيق تلك الرغبة احتراماً منه لرغبة المقيم البريطاني ، وأضاف بأنه ليست لديه أهداف سوى تحسين حالته ومساعدة أتباعه . وكذلك كان رد جاسم آل ثاني يتضمن هذا المعنى ولكنه أشار في خطابه بأن لناصر بن مبارك حقوقاً في البحرين لا يمكن تجاهلها ، وبأنه هو الذي كان يمنع ناصر من محاولات استرجاع تلك الحقوق بالقوة ، إلا أنه أصبح من الصعب عليه الآن الاستمرار في منع ناصر للحصول على حقه ، وبالتالي فإنه يعتقد بأن روس عليه واجب تسوية تلك الخلافات القائمة بين ناصر والشيخ عيسى حاكم البحرين (١) .

بعث روس برد مقتضب إلى كل منهما جاء فيه :

« لقد تسلمت رسالتك . . . ؟ وأحب أن أخبركم بأن قيام أي عمل

(١) الخطابات والمرافقات السياسية والسرية من الهندس مجلد ٢٨
مرفق للخطاب الخارجى سرى رقم ٨٣ المؤرخ ١٨٨١/٥/٢٧ .

عدواني على البحرين سواء منكم أو من غيركم سوف يقاوم بالقوة » . كما كتب روس الى جاسم آل ثاني رسالة ذكر فيها بأن ناصر بن مبارك ليست له حقوق في البحرين وأن ممتلكاته وممتلكات أسرته قد صادرها الشيخ عيسى بن علي وذلك لتعويض أسر ضحايا ناصر ومحمد خليفة على البحرين عام ١٨٦٩ ، وإذا كان الشيخ عيسى سيوافق على اعتماد مخصصات مالية لناصر فانها ستكون في صورة هبة مالية منه ، وبشرط أن يتعهد بالتخلي عن أطماعه في البحرين ويقبل الإقامة في أي مكان آخر من الخليج فيما عدا قطر ، وأن ناصر غير مسموح له بالعودة الى البحرين وبأنه يعتبسر جاسم آل ثاني مسئولاً عن تصرفات وسلوك ناصر في قطر .

لم تكن مفاجأة أن يرفض ناصر وجاسم تحذيرات وشروط المقيم ، وقد أعلن ناصر صراحة عن تصميمه على مهاجمة البحرين بمجرد أن يحصل على السفن اللازمة لنقل الحملة التي سيعدها للهجوم على البحرين ، وبنفس الصراحة أعلن جاسم بأنه لم يعد مسئولاً عن تصرفات وسلوك عديله ناصر بن مبارك . غير أن روس لم يقتنع بذلك وعاد فكتب الى جاسم في فبراير ١٨٨١ : بأنه يحمله المسؤولية كاملة تجاه أي عمل يقوم به ناصر تجاه البحرين لأنه يعلم بأن ناصر لا يستطيع أن يعمل شيئاً بدون مساعدة جاسم، لعدم وجود إمكانيات لديه ، ولذلك فإن أي أخلال بالأمن ستكون عواقبه وخيمة على جاسم في قطر (١) . ويبدو أن هذا التحذير من جانب روس قد أصاب الهدف، فقد بعث جاسم آل ثاني برد الى روس جاء فيه :

« لقد طلبتم مني أن أقوم بجراحة ساحل قطر كله ، غير انني لا أملك أي سلطة عليه نتيجة لنص المعاهدة (اتفاق عام ١٨٦٨) التي أبرمت في عهد والدي وبين الحكومة البريطانية ونصت على أن تكون مسئولين عن

(١) الخطابات والمرقات السياسية والسرية من الهند مجلد ٢٨ مرفق للخطاب الخارجي (سرى) رقم ٨٣ المؤرخ ٢٧/٥/١٨٨١ من روس الى جاسم آل ثاني ٢٥/٢/١٨٨١ .

خراسة دوحة البدعة والوكرة فقط ، أما ساحل قطر فهو طويل وواسع .
ويضم كثيرا من الموانئ وليست لدى السلطة فى منع أى شخص من النزول .
إليه أو الصعود منه ، إلا فى حالة اصدار أوامر مشددة إلى السكان فى
تلك الموانئ بالنزوح عنها والاقامة فى المناطق الخاضعة لسلطتى وفى هذه
الحالة أستطيع أن امنع قيام أى اضطرابات فى ساحل قطر » .

لم يابه روس بموقف جاسم آل ثانى واقترح على حكومة الهند توجيه
تحذير رسمى إلى جاسم بأن يكف عن تأييد ومساعدة ناصر بن مبارك
فيما يتعلق بمطالبه فى البحرين ، ومطالبة الباب العالى بالإيعاز إلى
المسؤولين الأتراك فى الاحساء وقطر بمراقبة تحركات ناصر . وقد أحيل
الاقتراح الأخير إلى بلاودون فى بغداد للدلاء برأيه فيه ، وقد رد بأنه
لا يتوقع أية فائدة عملية منه وقال بأنه سيكون من الأفضل اتخاذ اجراءات
فعالة ضد جاسم وناصر اذا رفضوا التحذير الرسمى . وقد وافقت
حكومة الهند على رأى بلاودون وأوعزت إلى روس فى ٧ مايو بالتعليمات
التالية :

« اننا نفوضك فى توجيه تحذير إلى جاسم آل ثانى يتضمن بانه فى
حالة ثبوت علاقته بالهجوم المزمع على البحرين فان المسئولية ستقع عليه
مباشرة » كما تم فى نفس اليوم الإيعاز إلى بلاودون بإبلاغ السلطات
التركية فى بغداد والبصرة بأنهم ما لم يتعهدوا بمنع عدوان ناصر بن مبارك
على البحرين فان الحكومة البريطانية سوف تجد نفسها مضطرة إلى
اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحماية البحرين والمطالبة بالتعويضات عن أى
اضرار او خسائر تنشأ عن ذلك . وتنفيذا لهذا القرار أوضح ريون لوزير
الدولة لشئون الهند بأن حكومته عند اتخاذها ذلك القرار قد وضعت فى
اعتبارها مطالبة الأتراك بالسيادة على الدوحة ، نظرا لوجود كتيبة تركية
قوامها ١٣٠ جنديا ، وأن أى اجراء مباشر يتخذ ضد جاسم آل ثانى قد
يؤدى إلى احتجاج الساب العالى ، ولكنه قال بأن حكومة الهند ليست

مستعدة أن تقبل المطالب الغامضة بالسيادة والتي لا ترافقها اجراءات لممارسة الالتزامات المترتبة على تلك السيادة ، بحيث تمنعها من القيام بالاجراءات اللازمة لردع جاسم أو ناصر إذا قاموا بأية محاولة للاعتداء على البحرين (١) .

لم تكن هناك أية نية في مكتب شئون الهند لمناقشة قرار الحاكم العام ، وقد جاء في تقرير لجوشين من القسطنطينية في شهر ديسمبر ١٨٨٠ بأنه أصبح مقتنعا بأن الباب العالي ليس في نيته التنازل عن أى شيء للحكومة البريطانية ، وبأن التكتيك الذى استخدمه الأتراك فى موضوع القرصنة سوف يستمر فى استخدامه بصورة أكثر تنظيما فى المستقبل (٢) . وبعد شهرين أبلغ وزير الخارجية التركى القائم بالأعمال البريطانى فى القسطنطينية بعدم وجود أى سفن للقرصنة فى ساحل الاحساء وأكد عدم وقوع حوادث عن شىء وذكر بأنه قد تم ارسال سفينة مسلحة للقيام بأعمال التفتيش والمراقبة فى مياه الاحساء كأجراء احتياطى ، وبأن وجود مثل هذه السفينة سوف يعفى الحكومة البريطانية من اتخاذ أية اجراءات كالتى أشارت اليها ، وقد كان رد فعل مكتب شئون الهند على أقوال وزير الخارجية التركية الإيعاز الى جرانفيل بمنح قادة الطرادات البريطانية فى الخليج صلاحيات لاتخاذ الاجراءات الضرورية على الساحل العربى ومعاينة القراصنة اذا دعت الضرورة بشرط عدم الاصطدام مع الطرادات التركية أو القوات التركية ، كما ذكر وزير الدولة لجرانفيل بأنه أراد بذلك القرار أن يؤكد مضمون الاتفاق

(١) الخطابات والمرفقات السياسية والسرية فى الهند مجلد ٢٨ من الحاكم العام الى وزير الدولة لشئون الهند ١٨٨١/٥/٢٧ (رقم ٨٣ للإدارة الخارجية السرية) .

(٢) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٤٥ من جوشين الى جرانفيل ١٨٨٠/١٢/٦ (رقم ٦٤٣) .

الذى عقده روس مع حاكم البحرين في ٢٢ ديسمبر عام ١٨٨٠ ، ولم يعترض جرانفيل على الاتفاق ، وفي ٨ أبريل بعث هرنجتون بتعليمات الى ريبون بالموافقة على الاتفاق المشار اليه .

كان جرانفيل متعاطفا مع الاقتراح الخاص بتحويل قادة سفن الاسطول البريطانى لصلاحيات مطازدة القراصنة الى داخل المياه التركية .
وفال بأنه لا يتوقع أى فائدة من الباب العالى حول هذا الموضوع خاصة وأن القيود القانونية المترتبة على التعديل الذى أدخله خبراء القانون الملكى فى حالة فشل الباب العالى فى توفير الحماية للتجارة البريطانية داخل المياه الاقليمية ، وفى حالة رفض الباب العالى السماح للطرادات البريطانية لاتخاذ القرارات ضد القراصنة ، واستمر القراصنة يعيثون فسادا فى المنطقة فإنه سيكون من حق الحكومة البريطانية - من وجهة نظر القانون الدولى - أن تعتبر مثل ذلك الاهمال سببا كافيا لاتخاذ الاجراءات الرادعة من جانبها ، وان وصول تعليمات حكومة الهند المؤرخة ٧ مايو الى كل من روس وبلاودون باعتبار جاسم آل ثانى مسئولاً مسئولية مباشرة عن أية محاولة يقوم بها للهجوم على البحرين من قطر قد ساهم فى تعزيز الموقف البريطانى ، ليس لأن الموضوع يمس الملاحة فى سواحل الاحساء وقطر فحسب ، بل ولأنه يمس مسألة الدفاع عن البحرين أيضا . وقد كتب هرنجتون الى جرانفيل يقول : « اننا لن نسمح باستعمال البدعة وغيرها من مناطق الساحل العربى من جانب القراصنة الذين يحتمون تحت ظل العلم التركى لشن الحملات على البحرين ، سواء كانت تلك الحملات بالتواطؤ مع الأتراك أو بغير التواطؤ معهم ، وقد اثبتت التجارب مع الحكومة التركية انه لا أمل اطلاقا فى الحصول على اجراءات رادعة من جانبهم » وقد اقترح هرنجتون الموافقة على تعليمات ريبون لروس وبلاودون ، كما طلب من جرانفيل أن يرسلها الى السفير البريطانى فى القسطنطينية لابلأغها للباب العالى اذا شاء . كما قال هرنجتون بأن عمليات المراقبة فى مياه الاحساء وقطر لا يمكن أن تستمر بصورتها هذه ، فليس من الحكمة أن نترك الضباط السياسيين والبحريين لصاحبة الجلالة

فى الخليج من غير تعليمات واضحة يسترشدون بها فى الظروف التى قد تطرا وقد تترتب عليها عواقب وخيمة بالنسبة للمصالح والهبة البريطانية (١) .

وافق جرانفيل على كلا الاقتراحين . وفى يوليو ١٨٨١ أوعز الى السفير البريطانى فى القسطنطينية باىلاغ الباب العالى بموقف حكومة الهند بشأن البحرين وبالتأكيد لها بان أى اهمال أو عجز من جانب الباب العالى عن مكافحة القرصنة فى المياه المتاخمة للمناطق التى يطالب بالسيادة عليها قد ترغم الحكومة البريطانية على اصدار أوامرها لضباط الاسطول البريطانى بأن يتولوا حماية المصالح التجارية دون التفات للمطالب التركية ، كذلك طلب جرانفيل من الاميرالية البريطانية سحب أوامرها الصادرة فى مايو ١٨٧٩ لضباطها فى الخليج بالامتناع عن القيام بأى اجراءات معادية فى المياه الاقليمية التركية ، بالايعاز اليهم بعدم التقيد فى تنفيذ واجباتهم بحدود مسافة الثلاثة أميال فى مطاردتهم للقراصنة والقبض عليهم نظرا لأن السلطة التركية على المنطقة الساحلية هى سلطة اسمية . الا أن على هؤلاء الضباط أن يتفادوا الاصطدام مع الطرادات أو القوات التركية ، وأن يقوموا بتسليم الأشخاص الذين يتم القبض عليهم فى المناطق الخاضعة للسيادة التركية للسلطات التركية (٢) .

وفى يوليو عام ١٨٨١ صدرت تعليمات الاميرالية البريطانية بهذا الشأن وظلت سارية المفعول لسنوات عديدة بعد ذلك .

(١) مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية مجلد ٤٧ من الوكيل المساعد لمكتب شئون الهند الى الوكيل المساعد للخارجية ١٨٨١/٧/٧ (سرى) .

(٢) نفس المصدر من جرانفيل الى ايرل اوف دومزين ١٨٨١/٧/٢٢ ومن الوكيل المساعد للخارجية الى سكرتير الاميرالية ١٨٨١/٧/١١ .

خاتمة الكتاب

كانت السبعينات من القرن التاسع عشر نهاية لمرحلة فى تاريخ الخليج ، فقد تم فيها القضاء على القرصنة والحروب البحرية فيما عدا بعض الحوادث الفردية التى كانت تقع بين حين وآخر فى مصائد اللؤلؤ فى فصول الصيف . ومن ناحية أخرى تمت تصفية تجارة الرقيق بعد تقليصها من قواعدها الأصلية فى افريقيا الشرقية . وبالإضافة الى ذلك أمكن ترويض قبائل الساحل الغربى أو بالأحرى تهذيبها ، وأرغمت على حصر منازعاتها الثأرية على المناطق الداخلية فقط بعد أن بدأ نجم حليفها أو خصمها القديم - حسب تعريفها له - وهو امارة نجد ، فى الافول نتيجة للصراعات الداخلية ولانقطاع صلاتها بدول الخليج بحكم تدخل الأتراك ، كما أصبحت امارة نجد مهددة بظهور منافس جديد على السلطة هو ابن رشيد من جبل شمر . كانت تلك الأرهاصات خاتمة المطاف بالنسبة لمركز بريطانيا، على الرغم من أن قوتها فى الخليج كانت فى ذروتها ، لأن تلك المرحلة قد انتهت عصرا من الجهود البطولية لادخال النظام وحكم القانون الى الخليج، وضمان وآمن وسلامة الهند البريطانية - وهى المرحلة التى بدأت برحلة جون مالكولم الى طهران عام ١٨٠٠ ، وبمعركة الطراد « مورنتنجتون » مع اسطول القرصنة عند ساحل أم القيوين ١٨٠٥ فحسب ، بل لانها سجلت نهاية السيطرة البريطانية المطلقة فى الخليج . فبعد أن ضم الأتراك اقليم الاحساء الى مناطق نفوذهم وتعلموا ، ان لم يكونوا قد اتقنوا ، استخدام القوة البحرية ، وتفتحت شهواتهم لمد سيطرتهم على دول الساحل العربى تمهيدا لفرض حكم الخلافة الاسلامية على تلك الدول . وبالمثل فان فارس التى لم يكن لها دور يذكر فى سياسات الخليج كما كانت من قبل ، ظلت متمسكة بمطالبها البالية فى البحرين . وأما البحرين فبعد أن تخلصت للمرة الاولى من صراعاتها العائلية وأمنت نفسها ضد أى عدوان خارجى بفضل معاهدة الحماية مع الحكومة البريطانية ، أصبحت قادرة على ممارسة شؤونها التجارية .

أما عمان فعلى النقيض من ذلك فقد هوت من مركز القوة والازدهار وكدولة تجارية وبحرية رائدة ، الى أدنى مراتب التدهور وانكفأت على نفسها مديرة ظهرها للعالم الخارجى ، وربما كانت احداث العقد السابق لعام ١٨٨٠ هى نذر المستقبل الغامض الذى كان ينتظر عمان .

أن خسارة عمان من تجارة الرقيق بعد خسارتها من انفضال زنجبار عن الوطن الام وميناء بندر عباس كموارد اقتصادية قد جعل القبائل العمانية من أطماع سياسية قد أوجد صدى عميقا بين أوساط العمانيين ذلك . وقد دفعها ذلك الوضع بالإضافة الى تحريض رجال الدين الى أن نصب جام غضبها على المسؤولين هناك . وعلى امتداد أربعين عاما من ذلك التاريخ لم تعرف عمان طعما للراحة والسلام ، وتعرضت أسوار مسقط ومعقلها الى موجات من الهجمات من جانب القبائل المتمردة . وقد جاء قرار فرض رسوم جمركية على منتجات عمان محركا لقيام التمرد من جانب تلك القبائل ، ثم جاء قرار حظر تجارة السلاح من السلطنة واليهما فى نهاية القرن ليضعف من حدة تلك المشكلات ، كذلك فان احقاد رجال الدين على المسؤولين وما كان يراود بعض زعماء القبائل العمانية من أطماع سياسية قد أوجد صدى عميقا بين اوساط العمانيين المطالبين ببعث الامامة فى عمان ، وعلى هذا الأساس قامت تلك القبائل فى شهر مايو من عام ١٩١٣ بانتخاب سالم بن راشد الخروصى اماما على البلاد (١) . غير أن هذا الامام لم يكن من طراز الامام السيد عزان بن قيس أو بالأحرى لم يكن حتى فى مستوى زعيمى القبيلتين الرئيسيتين اللتين اختارتاه ونعنى بهما الشيخ عيسى بن صالح ، الذى خلف والده الشيخ الكبير صالح بن عيسى على زعامة الحرث ، وحمير بن ناصر النبهانى شيخ بنى ريام .

(١) ينحدر الامام سالم بن راشد الخروصى من اسرة الشيخ زايد ابن خميس الخروصى الذى نجح على حد قول روس فى توحيد التقسيمات الاربعة للإباضية خلال حكم الامام أحمد بن سعيد « بحث حول تعاليم طائفة الإباضية فى عمان اعداد روس » .

وعلى أى حال فإن ظهور منافس على السلطة من بين القبائل العمانية الداخلية إنما يعكس عمق الفجوة التى تفصل بين المسئولين ومواطنيهم ، وهكذا فإن اصداء انتخاب سالم بن راشد الخروصي اماما لعُمان قد أخذت تتردد فيها بين جبال عمان ووهادها فترة من الزمن .

ومن ناحية أخرى فإن مسألة الاحتفاظ بالسلطة كان يعود اساسا الى قلة الموارد ، ففي عام ١٨٨٠ أصبح استمرار معونة زنجبار التى كان يحصل عليها سلطان مسقط أحد البنود الرئيسية فى الدعم المالى. لمسقط ، وحتى تلك المعونة قد أصبح استمرارها مشكوكا فيه بعد ان قررت الخزانة البريطانية وقف مساهمتها فى تلك المعونة ، وبحلول عام ١٨٨٠ أوقفت الخزانة العمل بقرارها المذكور فى الوقت الذى كانت فيه المحادثات تجرى بين وزارة الخارجية البريطانية ومكتب شؤون الهند. للبحث عن حل لتلك المشكلة . وفى عام ١٨٨٣ حلت تلك المشكلة غير أن حكومة الهند لم تؤيد الحل ، ففي الأول من سبتمبر من نفس العام انتقل أمر الاشراف على الوكالة البريطانية فى زنجبار الى سلطة وزارة الخارجية التى تقلدت مسئولية الانفاق على الوكالة ، وكان المفروض أن تؤول مسئولية دفع المعونة الى حكومة الهند مع العلم بأنه فى حالة اعتبار المعونة التزاما دائما فإن هذا الموضوع يعاد بحثه من جديد عند وفاة السلطان الحاكم . على أن جلادستون الذى كان أثناء الحرب الفارسية ينتقد بالمرستون على اجرائه غير الدستوري بتبديد موارد الهند فى تمويل المشروعات الامبريالية لم يحرك ساكنا عندما أراد استخدام تلك الموارد لأغراضه الخاصة . وفى عام ١٨٨٨ توفى السلطان تركى بن سعيد ، وهكذا فإن حكومة الهند التى التزمت قبل ذلك بالمحافظة على حكم اسرة آل بوسعيد وحماية استقلال السلطنة قد وافقت من غير تردد على الاستمرار فى دفع المعونة لمسقط واستمرت فى دفعها بمعدل ٨٦٤٠٠ روية هندية فى العام (أى ما يعادل ٤٠ ألف ريال نمسوى) ولم يطرأ تغيير على قيمة المعونة على الرغم من الانخفاض الذى طرأ على قيمة الريال النمسوى فيما بعد ، الى أن حلت امبراطورية الهند عام ١٩٤٧ . ثم بعد ذلك استمرت الحكومة البريطانية فى دفع تلك المعونة سنويا لمسقط

فليس لأسباب سياسية وانها وفاء لالتزاماتها لحكومة مسقط .

ان تدهور الميزان التجارى لعمان بعد القرن التاسع عشر لا تعود أسبابه الى انفصال زنجبار عنها أو الى فقدها لبندر عباس أو الى صراعاتها الداخلية المزمنة فحسب بل الى تدهور تجارة الترانسيت ثم ان تزايد عدد البواخر الأوربية فى الخليج خلال السبعينات من القرن التاسع عشر قد شكل ضربة عنيفة الى مسقط كأحد الموانئ التجارية الهامة فى المنطقة . وقبل هذه الفترة كانت السفن الشراعية من مختلف مناطق الخليج تزور موانئ مسقط لنقل السلع وللتزود بالماء والمؤن ثم تتجه الى الهند وكان يتم العكس ايضا عند عودة تلك السفن من الهند الى الخليج لتجنب تقلبات الاحوال الجوية فى الخليج ، اما بعد ظهور السفن التجارية المتطورة فان تلك السفن لم تعد فى حاجة للمرور بموانئ مسقط فكانت تواصل رحلاتها الى وجهتها متخطية موانئ مسقط ومن ناحية اخرى فقد انخفضت حركة السفن العمانية من عابرات المحيط ، وتحول اسطول عمان الذى كان فى وقت من الاوقات أكبر الأساطيل واقواها الى كومة من الهياكل الخشبية المحطمة القابعة فى مراسيها . اما بقية دول الخليج فلم تتأثر بسرعة بتلك النتائج العكسية لمنافسة السفن الحديثة لها . وحتى الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر كان للبحرين ٧٦ سفينة شراعية من الحجم الكبير تتاجر مع الهند و ١٧ سفينة من طراز البغلة وثلاثين من طراز الباتيل) كما كانت مشيخات الهدنة تمتلك ٦٢ سفينة تجارية ، واصبحت موانئ فارس فى تلك الفترة تحظى بالنصيب الأكبر من التجارة المنقولة ، وكان عددها لا يقل عن ٧١ سفينة تابعة للنجة وبعض الموانئ الفارسية باستثناء بندر عباس تقوم برحلات سنوية الى الهند (١) .

استمرت تجارة الخليج مع الهند فى النمو خلال السبعينات من القرن التاسع عشر وان لم تكن بنفس المستوى السابق ، فبعد أن ارتفعت

(١) التقرير الادارى السنوى للخليج ١٨٧٨ - ١٨٧٩ .

معدلاتها فيما بين ١٦٨٠ - ١٨٦١ و ١٨٦٤ - ١٨٦٥ عادت فحافظت على تلك المعدلات خلال السنوات العشر التالية او لعلها انخفضت قليلا في الفترة الواقعة فيما بين عام ١٨٧٤ - ١٨٧٥ ثم عادت فارتفعت فيما بين ١٨٧٥ - ١٨٧٦ و ١٨٧٧ - ١٨٧٨ وذلك من ٣٠٥٧٢٠٩٩ روبية هندية آى (٣٠٥٧٠٠٠ جنيه استرليني) تقريبا الى ٤٥٠٩٥٩٠٤٥ روبية هندية الى نحو (٤٥٠٠٠٠ جنيه استرليني) وأكثر من مرة ونصف عن معدل ١٨٦٤ - ١٨٦٥ وأكثر من ثلاثة اضعاف معدل ١٨٦٠ - ١٨٦١ وتزداد أهمية هذه المقارنات اذا رجعنا الى معدلات الأعوام السابقة وذلك قبل تطبيق نظام الهدنة . وعلى سبيل المثال فقد كانت تجارة بومباى فى ١٨٣٦ - ١٨٣٧ هـ ٧٠٤٩٨٣٠ روبية هندية فقط او اقل من خمس أرقام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ويتركز معظم النشاط التجارى للفترة الواقعة فى السبعينات على الموانئ الفارسية كميناء بوشهر وبندر عباس ونحو ذلك تلك الأرقام على ميناء البصرة . أما البحرين فقد كان لها نصيب الأسد من تلك التجارة بحيث تعادلت مع مسقط ومشيخات الهدنة مجتمعة .

ويشكل صيد اللؤلؤ والأسماك المورد الاساسى لسكان مشيخات الهدنة وقد ظل هذا الموضوع مستمرا فى كل صيف كان يتجمع فى منطقة الخليج الاسفل ما لا يقل عن ١٥٠٠ مركب فيها نحو ٤٨ ألف عامل بالاضافة الى مجموعة اخرى من المراكب يقدر عددها ب ٧١٦ ويعمل بها ما لا يقل عن ١٣ الف بحار كلهم من البحرين . ومن الصعب تحديد أرقام قيمة اللؤلؤ التى تستخرج فى كل عام وكان الكولونيل، بيلى قد قدر محصول اللؤلؤ فى عام ١٨٦٥ بما قيمته ٤٠٠ ألف جنيه استرليني بينما تقدر تقارير الممثلة السياسية البريطانية فى الخليج محصول اللؤلؤ عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤ ب ٧٠٠ ألف جنيه استرليني . ومن ناحية أخرى تقدر قيمة اللؤلؤ المصدرة الى الهند عام ١٨٧٣ - ١٨٧٤ حسب كشوفات الجمارك ب ٢٩٥٠٩٠٩ روبية هندية أو أقل من ٣٠٠٠٠٠ جنيه استرليني (١) ، ومن ناحية أخرى خفت الاضطرابات التى كانت تحدث على

(١) التقرير الادارى السنوى للممثلة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ .

الضفاف فى موسم الصيد وكانت معظم الخلافات أو المشكلات ناجمة عن تهرب بعض العمال من تسديد السلف التى عليهم لأصحاب السفن وقد تفاقمت هذه المشكلة بحيث اضطرت السلطات البريطانية للتدخل لحلها تقيدا بالتقاليد التى كانت متبعة فيما يختص بلجوء الأفراد ولم تحاول الحكومة البريطانية أن تلتفى هذه التقاليد . وفى مطلع السبعينات من القرن اتخذت المشكلة ابعادا جديدة بعد أن أخذ بعض زعماء المنطقة يفرضون رسوما معينة على كل من يلجأ اليهم من الصيادين . وخوفا من أن يفضى الوضع الى انتشار أعمال الشغب والفوضى والخروج على القانون فى المنطقة ، اقترح الكولونيل روس خلال جولته السنوية عام ١٨٧٩ على شيوخ الهدنة عقد اتفاق فيما بينهم ينظم طريقة لجوء هؤلاء العمال ، وكيفية تطبيق ذلك القانون على المدنيين ، وقد وافق الزعماء على الاقتراح ، وبتاريخ ٢٤ يوليو ١٨٧٩ عقدوا اتفاقا فيما بينهم يقضى برفض منح اللجوء الى هؤلاء المتهربين وفرض غرامة تتراوح فيما بين ٥٠ الى ١٠٠ ريال عن كل مخالفة . أما اذا نشأ الخلاف حول تفسير الاتفاق فانه يحال الى هيئة التحكيم وتتشكل من الشيوخ أنفسهم أو من ينوب عنهم ويحضرها وكيل المقيم السياسى المعتمد لدى ساحل الهدنة ، غير أن قرار الهيئة ينبغى أن يصادق عليه من المقيم السياسى قبل تنفيذه ، كما ان المقيم السياسى لن يفرض الغرامة المنصوص عليها فى الحكم الا اذا اقتنع بصحة الدعوى (١) .

وبعد مرور بضع سنوات على توقيع اتفاقية البحريين المعقودة فى ١٨٨٠/١٢/٢٨ لم يعد للأتراك أى نشاط ملحوظ على امتداد الساحل الغربى للخليج . وعلى أى حال ففى عام ١٨٨٧ بدأ الأتراك اتصالاتهم بشيخ أبو ظبى ، كما بعث الفرس بعدة خطابات الى شيوخ الهدنة ، وكان الهدف من وراء تلك الخطوة هو تحقيق نوع من السيطرة على الحدود الشمالية لعمان المتصالحة ، غير أن تلك المناورات قد اضطرت حكومة الهند فى شهر ديسمبر ١٨٨٧ الى الحصول على تعهد من كل من حكومات شيوخ ساحل الهدنة على غرار التعهد الذى وقعه حاكم البحرين عام ١٨٨٠ وقد

(١) المكاتبات الرسمية بشأن حكام الهدنة ١٨٥٤ - ١٩٠٥ .

الترم هؤلاء الشيوخ بموجب هذا الاتفاق بعدم الدخول في مفاوضات أو عقد اتفاقيات مع أى دولة غير الحكومة البريطانية وبعدم السماح لأى حكومة باقامة علاقات دبلوماسية أو اتصالية مع حكومات أخرى ، أو اقامة مستودعات للفحم فى اراضيهم دون موافقة الحكومة البريطانية ، واستثنى الاتفاق العلاقات الودية مع الحكام الحاليين للدول المجاورة . وبعد بضعة اعوام ظهرت اخطار كبيرة على المصالح البريطانية فى المنطقة ، وكانت اسباب هذه الاخطار هي نشاط عملاء فرنسا فى مسقط والخليج . فقد كانت فرنسا شائها شأن بريطانيا ملتزمة بالتصريح الفرنسى البريطانى الصادر فى مارس ١٨٦٨ والذى ينص على احترام استقلال كل من مسقط وزنجبار ، غير ان فرض الحماية البريطانية على زنجبار فى ١٤ يونيه ١٨٩٠ قد ألغى مضمون ذلك التصريح بالنسبة لزنجبار ، كما القى ظللا من الشك على استمرار انطباقه على مسقط . وفى شهر مارس ١٨٩١ بعد ان تلقت حكومة الهند معلومات عن محاولات يقوم بها الفرنسيون للحصول على مركز لهم فى مسقط عن طريق اقامة مستودع للفحم ، تحركت الحكومة البريطانية لمواجهة هذا الأمر وقد صادف ان كانت الترتيبات معدة لعقد معاهدة ملاحية وتجارية جديدة بين بريطانيا وسلطنة مسقط (١) يتعهد السلطان بهوجبها بعدم التنازل عن أى جزء من اراضيها لأى دولة وبأن لا يتنازل أو يبيع أو يرضى أو يسمح باحتلال أى جزء من اراضيها سواء فى مسقط أو فى عمان أو فى ملحقاتها لغير الحكومة البريطانية . وقد تم التوقيع على المعاهدة فى ٢٠ مارس ١٨٩١ وظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٩٥٨ عندما تم الفاء تلك المعاهدة على اثر تنازل السلطان الحاكم فى ذلك الوقت عن منطقة جواذر لحكومة باكستان .

فى عام ١٨٩١ نشط عملاء الفرنسيين فى ساحل الهدنة يحاولون

(١) المعاهدات اعداد اتيشيسون الطبعة الخامسة مجلد ١٢ كلكتا ١٩٢٩ - ١٩٣٣ وثمة صلة باهتة فيما بين هذا التعهد وتعهد السيد سعيد عام ١٨٤٤ فى الاتفاقية التجارية مع فرنسا (اشارة رقم ٣) .

اغراء الشيوخ بكافة الوسائل ، لدرجة انهم وعدوهم باطلاق تجارة الرقيق تحت الحماية الفرنسية ، وردا على ذلك طالب المقيم السياسى البريطانى زعماء الهدنة بالتوقيع على اتفاقيات تتضمن نفس الضمانات المنصوص عليها فى اتفاق شهر ديسمبر عام ١٨٨٧ والخاصة بالعلاقات مع الدول الاجنبية بالاضافة الى شرط جديد ينص على تعهد هؤلاء الشيوخ بعدم النزاع عن اى جزء من اراضيهم لاي دولة اخرى وقد وافق الشيوخ ووقعوا على الاتفاقيات التى عرفت فيما بعد بالاتفاقيات الاستثنائية وقد تم التوقيع عليها فى شهر مارس عام ١٨٩٨ وقد التزم كل من الشيوخ الموقعين على هذه الاتفاقيات عن نفسه وبالاصالة عن ورثته من بعده بالشروط التالية :

١ - اتعهد بان لا اعقد اى معاهدة او اجرى اية اتصالات مع اى دولة اخرى وبأى شكل من الاشكال عدا الحكومة البريطانية .

١ - اتعهد بعدم الموافقة او السماح على اقامة اى ممثل او وكيل لاي دولة اخرى دون موافقة الحكومة البريطانية .

٣ - اتعهد بعدم التنازل أو البيع أو السماح أو ان أرضى لاي دولة باحتلال اى جزء من الأراضى التابعة لى لغير الحكومة البريطانية (١) .

كانت التحركات الفرنسية فى مسقط وفى ساحل الهدنة بعد عام ١٨٨٠ مؤشرا لنشوب صراع على النفوذ فى منطقة الخليج ، وكان على بريطانيا ان تواجه هذا الوضع ، ومع تزايد حدة ذلك الصراع اضطرت الحكومة البريطانية فى اواخر القرن الى انشاء علاقات رسمية مع

(١) كانت هناك سابقة لتلك الاتفاقيات رغم انها لم تكن قد تبلور امرها حتى ذلك الوقت ، وذلك فى صورة التعهدات التى حصلت عليها بريطانيا من شيخ الشارقة وراس الخيمة فى شهر يوليو ١٨٣٩ .

الكويت . وفى شهر مايو ١٨٩٦ اغتيل حاكم الكويت الشيخ محمد بن صباح وقد اغتاله اخوه مبارك . ونظرا لرغبة الشيخ مبارك الحاكم الجديد فى تدعيم مركزه طلب من المقيم السياسى البريطانى فى الخليج بان يسمح له بالانضمام الى نظام المعاهدات المتبع مع شيوخ الهدنة ، غير ان الحكومة البريطانية لم توافق على الطلب نظرا لانها لم تكن ترغب فى ان تفتح بابا جديدا للخلاف مع الباب العالى وذلك بسبب علاقة الكويت الخاصة بالامبراطورية العثمانية . وبعد عامين من هذا التاريخ غيرت بريطانيا موقفها بسبب المحاولات والخطط التى كان يعدها الألمان والروس لانشاء خط حديدى يصل للخليج عبر آسيا الصغرى ، وبما ان الكويت هى المنطقة الوحيدة التى لها ميناء على الجانب العربى من الخليج فقد كان اصحاب المشروع يعتبرونها المحطة الأخيرة المناسبة لمثل هذا الخط ، ولكي تحول الحكومة البريطانية دون حصول أى دولة أوربية على مركز لها فى الكويت فقد حصل المقيم السياسى البريطانى فى ٢١ يناير ١٨٩٩ على تعهد رسمى من الشيخ مبارك حاكم الكويت تعهد فيه بالاصالة عن نفسه وبالاصالة عن ورثته وخلفائه من بعده بعدم استقبال وكلاء أو ممثلين من أى دولة اخرى وبعدم التنازل عن أى جزء من اراضيه لأى دولة أو لرعاء أى دولة دون الحصول على موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية . وفي مقابل هذا التعهد ضمنت بريطانيا للكويت المساعدات التى تحتاج اليها (١) . وهكذا فان تعهد حكومة الكويت ، ومعاهدة عدم التنازل من سلطان

(١) « المعاهدات » تأليف اتيشيسون (الطبعة الخامسة) . فصل ١١ للاطلاع على نموذج الاتفاقات « سالسبورى » واتفاق الكويت لعام ١٨٩٩ اعداد جى بى كمبلى دراسات فى التاريخ الحديث الذى تقدم الى البروفسير دبليو . أن . ميدليكوت لندن عام ١٩٦٧ وبقي التعهد معمولا به حتى ١٩٦١/٦/١٩ عندما انتهى بعد ان اعتبر بأنه لا يتناسب مع سيادة الكويت واستقلالها . انظر اللائحة التفسيرية (١٩٦١) لتبادل المذكرات حول العلاقات بين المملكة المتحدة ودولة الكويت .

مسقط ، والاتفاقيات الاستثنائية التي عقدت مع حاكم البحرين وشيوخ الهدنة تعتبر اللمسات الأخيرة فى البناء الهيكلى لنظام المعاهدات الذى طبقتة بريطانيا فى الخليج ابان القرن التاسع عشر . وعلى ذلك الهيكل ، وبصفة خاصة نظام الهدنة ، وضعت القواعد التى استند عليها الوجود البريطانى فى المنطقة اعتبارا من ذلك الوقت (١) .

وخلال هذا القرن تم التوصل لاتفاقية جديدة تتناول تجارة السلاح وبعض الامتيازات ، فى ٣ نوفمبر عام ١٩١٦ عقدت معاهدة مع حكومة قطر انضمت قطر بموجبها لنظام الهدنة . ومع انقضاء القرن العشرين أصبح البناء الهيكلى للمعاهدات موضوعا للنقاش والجدل باعتباره نظاما محدودا لتحديد الوجود البريطانى فى الخليج سواء من حيث المتغيرات الدولية او من حيث مضمون المعاهدات نفسها والتي وقعت فى مرحلة كانت الالتزامات والمصالح البريطانية خلالها التزامات ومصالح بحرية ، بينما اكتسبت فى الاعوام الأخيرة طابعا اقليميا . ومما لا شك فيه أن اطار هذا النظام اطار محدود ، غير أن الوجود البريطانى فى الخليج لم يعتمد أساسا على ذلك الاطار المحدود للمعاهدات ، وإنما اعتمد الى حد كبير ، أن لم يكن حدا أكبر ، على السوابق وعلى السياسة نفسها وأخيرا على المسئولية التى تحملتها بريطانيا فى الحفاظ على السلام البحرى وحماية التجارة والملاحة ومكافحة تجارتي الرقيق والسلاح وفى المحافظة على الكيانات الافليمية واستقلالها . وفوق كل ذلك وبعد كل ذلك اعتمد الوجود البريطانى فى هذه المنطقة على جهود وتضحيات الرجال اللذين حققوا السلام والعدالة وحكم القانون داخل الخليج والذين سطوروا بأعمالهم وجهودهم امجد الصفحات فى تاريخ الامبراطورية البريطانية .

انتهى

(١) للاطلاع على بنود المعاهدة انظر « المعاهدات » اعداد اتشيسون

البيبلوجرافيسا

مراجع الكتاب

١ - مراجع مخطوطة :

- أ - سجلات مكتب الهند .
- ب - مكتبة مكتب الهند .
- ج - سجلات المكتب العام .
- د - المتحف البريطاني .
- هـ - مكتبة بودليان - اكسفورد .

٢ - مراجع مطبوعة :

- ١ - حكومة الهند .
- ب - حكومة بومباي .
- ج - مطبوعات برلمانية .
- د - رسائل ومذكرات .

٣ - مؤلفات معاصرة عن السير الذاتية والرحلات وأعمال ثانوية .

- ١ - مراجع مخطوطة .
- ب - سجلات مكتب الهند .

كانت مسئولية ادارة وتوجيه العلاقات البريطانية مع دول الخليج تنتقلها حكومة بومباي حتى شهر يناير ١٨٧٢ عندما انتقلت مسئوليتها لحكومة الهند . وكانت حكومة بومباي تتولى شئون الخليج عن طريق اللجنتين السياسية والسرية ، وكانت تبعث بتقاريرها الى أعضاء مجلس ادارة شركة الهند الشرقية .

- ١ - الاجراءات السياسية والسرية لبومباي ، ١٧٩٠ - ١٧٩٦ - (حلقة من مجلد ٢ الى ١١) ١٧٩٧ - ١٨٠٩ (حلقة ٣٨٠ مجلد ٦٥ - حلقة ٣٨٣ مجلد ١٢) وبتاريخ ١٨٠٩/١١/٢٥ قسمت الادارة السياسية والسرية الى ادارتين .

- ٢ - الاجراءات السياسية لبومباي ١٨١٠ - ١٨٦٥ (حلقة ٣٨٣ مجلد ١٣ - حلقة ٣٩٧ مجلد ٣٣) (١) .
- ٣ - اجراءات بومباي السرية ١٨٠٩ - ١٨٥٧ (مجلد ٣٣٠) ان المراحل التي كانت تتولى هذه الادارة اثناءها شئون منطقة الخليج قد سبق الاشارة اليها .
- ٤ - الرسائل السياسية لبومباي (وهي الرسائل التي كان يبعث بها حاكم بومباي الى مجلس اذارة الشركة ١٨٠٣ - ١٨٥٩ (مجلد رقم ٥٠) .
- ٥ - مجموعات المجلس ١٧٩٦ - ١٨٥٨ (مجلد رقم ٢٧٣٠) .
- ٦ - رسائل بومباي السرية (وهي الرسائل التي كان يبعث بها حاكم بومباي الى اللجنة السرية لمجلس الادارة) وهي على حلقتين ، بمعنى أن الرسائل كانت ترسل الى انجلترا على نسختين من خلال الطريق المباشر عبر تركيا والعراق ، وعن الطريق البرى عبر مصر .
- ٧ - مرفقات الرسائل السرية لبومباي ١٨٠٢ - ١٨٦٩ (مجلد ١٤٧) أما بعد عام ١٨٦٩ فقد كانت المرفقات توثق بالرسائل .
- ٨ - سجلات معمل الشركة : فارس والخليج (من مجلد ١٨ الى ١٣٠) (١٧٨٤ - ١٨٧٤) وحتى عام ١٧٩٨ - ١٧٩٩ (والمجلدات من رقم ١٨ وحتى رقم ٢٠) وكانت هذه المجموعات تتألف غالبا من التقارير التي كان يبعث بها مع عملاء الشركة فى بوشهر والبصرة .
- ٩ - الرسائل السرية المتعددة وتتكون من ٥١ مجلدا ومن رسائل تتناول عددا واسعا من الموضوعات بما فى ذلك على سبيل المثال احتلال جزيرتى موريشيس وبوربون ؛ رحلة جيمس موريس وهنرى ايليس الى طهران والتعليمات التي كان يبعث بها مكتب الهند للوزير البريطانى المفوض فى طهران سنة ١٨٥٩ .
- ١٠ - خطابات البنغال السرية (وهي الخطابات التي كان يبعث بها الحاكم العام الى اللجنة السرية لمجلس الادارة) .

(١) استمرت هذه الحلقات بعد سنة ١٨٦٥ ولكن هذا البحث لم يعتمد عليها .

- ١١- مسودات الادارة : التقارير السرية للهند ١٧٨١ - ١٨٥٨ (مجلد رقم ٢٣)
وتتكون من مسودات التعليمات التي كان يضعها مجلس الهند ، وتقوم اللجنة السرية لمجلس الادارة بإرسالها للحاكم العام بالهند والى الحكام بالأقاليم وأحيانا الى المقيمين السياسيين البريطانيين فى عدن والخليج والمعتمدين السياسيين فى كل من زنجبار وتركيا العربية .
- ١٢- التقارير السياسية الى بومباى ١٨٠٤ - ١٨٥٨ (مجلد رقم ٢٠) وتضم التعليمات التي كان يبعث بها مجلس الادارة الى حاكم بومباى فى اللجنة السياسية .
- ١٣- المكاتبات المتبادلة بين الشركة والمجلس ١٨٢٣ - ١٨٣٦ (مجلد رقم ١)
وتتعلق هذه المكاتبات بالشئون الخاصة باللجنتين السياسية والسرية خلال هذه الفترة .
- ١٤- المكاتبات السرية والسياسية العامة للمجلس وتضم فئتين ، احدهما من ٢٠ مجلدا وتمتد من ١٨٣١ - ١٨٥٨ ، والثثة الثانية من ٥٢ مجلدا وتمتد من ١٨٣٩ - ١٨٥٨ .
- ١٥- مكاتبات حكومة الوطن (السرية) ١٨٣٩ - ١٨٧٤ (٨٢ مجلدا) وهى الحلقة الثانية من المكاتبات السرية والسياسية العامة للمجلس المشار اليها سابقا .
- ١٦- الخطابات والمرفات من حكومة الهند (وهى الخطابات الموجهة من الحاكم العام بالهند الى سكرتير الدولة فى الادارة الخارجية ١٨٦٦ - ١٨٧٤ (٦٦ مجلدا) .
- ١٧- الرسائل الخارجية للهند (وهى الرسائل التي تضم رسائل الحاكم العام بالهند فى الادارة الخارجية) اعتبارا من عام ١٨٥٨ فصاعدا .
- ١٨- الخطابات والمرفات السياسية والسرية من الهند ابتداء من عام ١٨٥٨ فصاعدا .
- ١٩- الخطابات والمرفات السياسية والسرية من الخليج (من مجلد ١ الى مجلد ٤)
ويتناول الأعوام ١٨٧٥ - ١٨٨٠ وهى تتكون من نسخ المكاتبات الخاصة بالمقيم السياسى فى الخليج والمعتمد السياسى فى مسقط مع حكومة الهند والى كان يتم ارسالها مباشرة الى وزير الدولة لشئون الهند .
(٤٩ - بريطانيا والخليج / ٢)

- ٢٠- الخطابات السرية الموجهة الى الهند ، ومدراس ، وبومباي ، وعدن ،
ومسقط ، والخليج ، وزنجبار ١٨٥٩ - ١٨٧٤ (وتتألف من ٦ مجلدات) .
- ٢١- التقارير السياسية للهند ١٨٥٨ - ١٨٧٤ (في ٦٧ مجلدا) .
- ٢٢- مجموعات التقارير السرية للهند ابتداء من ١٨٥٨ - ١٨٧٤ فصاعدا (١٤٤
مجلدا) .
- ٢٣- التقارير السياسية والسرية للهند ابتداء من ١٨٧٥ فصاعدا .
- ٢٤- التقارير السياسية الى بومباي (الادارة السرية) ١٨٥٨ - ١٨٧٤ (١٤
مجلدا) .
- ٢٥- مجموعات التقارير السرية الى بومباي ١٨٥٨ - ١٨٧٣ (٨٧ مجلدا) .
- ٢٦- مكاتبات حكومة الوطن السياسية والسرية ابتداء من ١٨٧٥ فصاعدا .
- ٢٧- متفرقات حكومة الوطن (وهذه الحلقة عبارة عن مجموعات غير متناسقة
بحيث يتعذر تفصيلها) .
- ٢٨- متفرقات البحرية (ان اغلب سجلات بحرية بومباي والاسطول الهندي قد
اتلفت عام ١٨٦٠ وقد تم جمع ما بقي منها في هذه السلسلة .

مكتبة مكتب الهند

- ١ - بيانات عن الملاحاة فى نهر الفرات ١٨٣١ - ١٨٣٣ بقلم الكابتن
ف. شيزنى .
- ٢ - مذكرات فى عملية مسح للساحل العربى فى الخليج بقلم اللفتنانت ج. ن. جى
اعداد اللفتنانت ا. م. هوتون خبير المسح .
- ٣ - مذكرات (نورث بروك) (٢٣ مجلدا) الأوراق الخاصة بتوماس جورج
يارنج ، ايرل نورث بروك الاول (١٨٢٦ - ١٩٠٤ م) الحاكم العام للهند
من ١٨٧٢ حتى ١٨٧٦ م المجلدات ٩ و ١١ و ١٢ وتضم مراسلاته الخاصة
الى أرجيل (١٨٧٢ - ١٨٧٤ م) والى سالسبورى (١٨٧٤ - ١٨٧٦ م)
وكذلك المجلدات من ١٣ الى ١٨ وتضم مراسلاته داخل الهند .
- ٤ - (مذكرات بيللى) وهى تضم ٥ حقائب . الأوراق الخاصة بالسير لويس
بيللى ١٨٢٥ - ١٨٩٢ م .

- ٥ - (مذكرات ارجيل) وهي النسخة الفيلمية للمراسلات الخاصة بالسفير جورج دوغلاس كامبل ، ديوك ارجيل ، عن الفترة التي شغل فيها منصب وزير الدولة لشئون الهند (١٨٦٨ - ١٨٧٤ م) ولا يزال ديوك ارجيل يحتفظ بالنسخ الاصلية لهذه الاوراق .

سجلات المكتب العام

- ١- وزارة الخارجية - ٥٤ (ادارة مسقط) باستثناء بعض الرسائل المتفرقة التي ترجع الى فترة مبكرة والتي يمكن الاطلاع عليها في سجلات مكتب الهند ، فان هذه السلسلة من الرسائل لم تبدأ قبل عام ١٨٤٠ عندما تم تعيين أول قنصل بريطاني في مسقط .
- ٢ - وزارة الخارجية - ٦٠ (ادارة فارس) لم يعتمد المؤلف على هذا المصدر الا في احوال قليلة ، اذ ان اكثرية الرسائل المتبادلة بين وزارة الخارجية والوزير البريطاني المفوض في طهران خاصة بالشئون المتعلقة بالخليج ، وكانت ترسل الى مجلس الهند ثم بعد ذلك الى مكتب الهند .
- ٣ - وزارة الخارجية - ٧٨ (ادارة تركيا) استخدمت هذه السلسلة من المعلومات فيما يتعلق بموضوع الملاحة البخارية للهند ، وبعثة الفرات ونشاطات محمد علي في شبه الجزيرة في أغلب الأحوال .
- ٤ - وزارة الخارجية - ٨٤ (ادارة تجارة الرقيق) حتى عام ١٨٤٠ لا تتضمن هذه السلسلة معلومات كثيرة عن تجارة الرقيق من افريقية والحبشة لكنها تتضاعف فيما بعد لحد كبير . ان الرسائل المتبادلة حول تجارة الرقيق بين وزارة الخارجية وغيرها من ادارات الدولة قبل عام ١٨٣٩ تضمها مجلدات تتناول الشئون الداخلية .
- ٥ - وزارة الخارجية - ٢٤٨ (ارشيف المفوضية والفنصلية وغيرها من الرسائل المتعلقة بفارس) ولكن الاشارة الى هذه المراجع لم تحدث الا في مناسبة او مناسبتين .
- ٦ - وزارة الخارجية - ٥١٩ (مذكرات كولي) المذكرات الخاصة بهنرى رينشارد ويلسلي البارون الثاني والارل الاول لكاولي (١٨٠٤ - ١٨٨٤ م) بالاشارة الى هذه المراجع تنحصر في الفترة الخاصة بالحرب الفارسية (١٨٥٦ - ١٨٥٧ م) عندما كان كاولي السفير البريطاني في باريس .

- ٧ - الادارة - (١) (ادارة السكرتارية - الخطابات الواردة) وتضم هذه السلسلة الرسائل الخاصة بالقادة العاميين فى القواعد وغيرهم من الضباط وقادة السفن المعتمدين فى مهمات خاصة ٠٠ الخ ، ولما كانت سفن الأسطول الملكى لا تقوم بزيارات كثيرة للخليج قبل السبعينات من القرن الثامن عشر تليست هناك كمية كبيرة من الخطابات حول هذا الموضوع .
- ٨ - الادارة - (٢) (ادارة السكرتارية - الخطابات الصادرة) تضم هذه السلسلة التعليمات الصادرة للقادة والضباط ٠ أما بخصوص المسائل التى تتعلق بالهند فقد كان يتم ارسال نسخ من هذه الرسائل عادة الى مجلس الهند ثم الى مكتب الهند فيما بعد .
- ٩ - الادارة - (٥٠) (مذكرات الاميرالات) يتعلق هذا الجزء من الريير ادميرال السير فرديريك ميثلاند برحلته للخليج عام ١٨٣٩ م وقد استشهدنا به فى هذا الكتاب .

المتحف البريطانى

- ١ - مذكرات جورج ايدن البارون الثانى والارل الاول لأوكلاند (١٧٨٤ - ١٨٤٩) عندما كان يشغل منصب الحاكم العام بالهند ١٨٣٦ حتى ١٨٤٨ م
- ٢ - مذكرات السير هوب هاوس (١٧٨٦ - ١٨٦٩) وتضم هذه المراجع المذكرات الخاصة بهوب هاوسوالتي كانت مودعة بالمتحف البريطانى أما بقية المذكرات فقد كانت ضمن (متفرقات حكومة الوطن التابعة لسجلات مكتب الهند) .

مكتبة بوديان

- ١ - مذكرات كلارندون - الأوراق الخاصة بجورج وليم فردرك فيليبز (١٨٠٠ - ١٨٧٠ م) وقد اعتمد المؤلف على المجلدات (٤٨ - ٧٩ ، ١٣٥ - ١٤٠ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥) وهى التى تضم رسائله عن الحرب الفارسية ومع بالمرستون وغيره من أعضاء البرلمان ومع كاولى وموريه .

مراجع مخطوطة

١ - حكومة الهند

- ١ - مجموعة المعاهدات والاتفاقات والوثائق المتعلقة بالهند والبلدان المجاورة ، اعداد اتشيسون ؛

- ٢ - التقارير السنوية الادارية للممثلة البريطانية في الخليج والوكالة البريطانية في مسقط ومنها :
- (أ) تقرير اللفتنانت كولونيل ايسروس بعنوان (مذكرات حول نجد ١٨٧٩ - ١٨٨٠ م) .
- (ب) تقرير اللفتنانت كولونيل اسميل بعنوان (مذكرات عن قبائل عمان) وتقرير روس بعنوان (مذكرات عن طائفة الاباضية) ١٨٨٠ - ١٨٨١ م .
- (ج) تقرير روس بعنوان موجز لتاريخ عمان من عام ١٧٢٨ الى ١٨٨٣ م ١٨٨٢ - ١٨٨٣ م .
- (د) تقرير مايلز بعنوان لمحة عن (سيرة السيد سعيد بن سلطان) ١٨٨٣ - ١٨٨٤ م .
- (هـ) تقرير مايلم بعنوان (مذكرات رحلة عبر عمان والظاهرة) ١٨٨٥ - ١٨٨٦ م ، وتقرير مايلز لمحة عن (سيرة السيد سلطان بن احمد) ١٨٨٧ - ١٨٨٨ م .
- ٣ - دليل الخليج - عمان واواسط الجزيرة العربية مجلدان اعداد ج . لوريماز .
- ٤ - مختارات من وثائق الدولة في بومباي حول شركة الهند الشرقية وعلاقتها بالخليج مع ملخص للاحداث ١٦٠٠ وحتى ١٧٠٠ م .
- ٥ - ملخص للشئون العربية التركية ١٨٠١ - ١٩٠٥ م .
- ٦ - ملخص للرسائل المتعلقة بشئون الخليج ١٨٠١ - ١٨٥٣ م .
- ٧ - ملخص للتجارة والمواصلات في الخليج ١٨٠١ - ١٩٠٥ م .
- ٨ - ملخص لشئون نجد ١٨٠٤ - ١٩٠٤ م .
- ٩ - ملخص للرسائل المتعلقة بزعماء المهنة ١٨٥٤ - ١٩٠٥ م .
- ١٠ - ملخص لشئون البحرين ١٨٠٤ - ١٩٠٤ م .
- ١١ - ملخص لشئون مسقط ابتداء من عام ١٨٥٦ م وقد اشترك في هذا العمل عدد من الشخصيات بسواء في سملا والخليج .
- ١٢ - ملخص لشئون الساحل والجزر الفارسية ١٨٥٤ - ١٩٠٥ م .

- ١٣- ملخص الحملة التركية للساحل العربي للخليج والاحساء والتطيف .
- ١٤- ملخص اتجارة الرقيق فى عمان والخليج ١٨٧٣ - ١٩٠٥ م مع اثر رجعى للتاريخ السابق لعام ١٨٥٢ م .
- ١٥- ملخص حول التدابير البحرية فى الخليج ١٨٦٢ - ١٩٠٥ م .

٢ - حكومة بومباى

- ١- مختارات من سجلات حكومة بومباى ، معلومات تاريخية وغير تاريخية تتعلق بعمان والبحرين وغيرهما من الاقطار فى الخليج ، وقد اشرف على التحقيق اىر هيوز توماس - طبعة بومباى ١٨٥٦ م .
- ٢- تقرير عن رحلة الى الرياض عاصمة الوهابيين - بقلم اللفتنانت كولونيل بيلى - طبعة بومباى ١٨٦٦ م .
- ٣- مذكرات عن رحلة عبر شبه الجزيرة العربية - بقلم الكابتن ج. اف. سادلر - طبعة بومباى ١٨٦٦ م .

٣ - مطبوعات برلمانية

- ١- تقارير اللجان (١٨٢١ م) مجلد ٦ تقرير رقم ٧٤٦ « التقرير الثالث للجنة المنتخبة عن التجارة الخارجية » .
- ٢- بيانات وأوراق (١٨٢١ م) « عودة الأسرى الذين أسروا فى بلاد بنى بو على » .
- ٣- تقارير اللجان (١٨٣١ - ١٨٣٢ م) مجلد ١٠ « شئون شركة الهند الشرقية » وكانت عبارة عن محضر لشهادات فى اللجنة المنتخبة .
- ٤- تقارير اللجان (١٨٣٤ م) مجلد ١٤ « تقرير اللجنة المنتخبة عن الملاحة البخارية للهند » .
- ٥- بيانات وأوراق (١٨٣٧ م) مجلد ١٤ ورقم ٥٤٠ « الحملة للفرات : نسخة من التعليمات المرسلة الى الكولونيل شيزنى مع ملخص للرسائل والمصروفات » .
- ٦- بيانات وأوراق (١٨٣٧ - ١٨٣٨ م) « تجارة الرقيق : رسائل وتعليمات وقوانين ١٨٢٩ - ١٨٣٦ م » .
- ٧- بيانات وأوراق (١٨٣٩ م) « فارس - احتلال خرك » .

- ٨ - بيانات وأوراق (١٨٣٩ م) « فارس وأفغانستان : مكاتبات ١٨٣٤ - ١٨٣٩ م » .
- ٩ - بيانات وأوراق (١٨٤١ م) « الرق : خطاب من حكومة الهند بتاريخ ٨ فبراير ١٨٤١ م ومعه تقرير أعضاء لجان القانون بتاريخ ١٥ يناير ١٨٤١ م » .
- ١٠ - بيانات وأوراق (١٨٤١ م) « مسقط : الاتفاقية التجارية لعام ١٨٣٨ م » .
- ١١ - بيانات وأوراق (١٨٤١ م) « فارس : مكاتبات الفترة الواقعة ١٨٣٨ - ١٨٤٠ م » .
- ١٢ - بيانات وأوراق (١٨٤٢ م) « فارس : المعاهدة التجارية لعام ١٨٤١ م » .
- ١٣ - بيانات وأوراق (١٨٥١ م) « مسقط وتجارة الرقيق ، وتضم سلسلة المكاتبات والاتفاقيات وغيرها » .
- ١٤ - بيانات وأوراق (١٨٥٧ م) وتتناول الحملة الفارسية .
- ١٥ - بيانات وأوراق (١٨٥٧ م) وتتعلق بالمكاتبات حول فارس .
- ١٦ - بيانات وأوراق (١٨٥٧ م) وتتناول الحرب الفارسية .
- ١٧ - بيانات وأوراق (١٨٦١ م) وتتناول الحملة الفارسية والعمليات العسكرية المتعلقة بالتمرد .
- ١٨ - بيانات وأوراق (١٨٧٠ م) « تجارة الرقيق في افريقية الشرقية ، ويضم التقرير الموجه من اللجنة الى كلارندون بتاريخ ٢٤ يناير ١٨٧٠ م » .
- ١٩ - بيانات وأوراق (١٨٧١ م) وذلك بشأن تجارة الرقيق في ساحل افريقية الشرقية ، ويضم التقرير الموجه من اللجنة المنتخبة .

٤ - رسائل ومذكرات

BERTRAND, PIERRE, Lettres Inedites de Talleyrand a Napoleon, 1800-1809, Paris 1889.

DRIAULT, EDOUARD, L'Egypt et l'Arabe : La Crise orientale de 1839 — 1941, 5 Vols, Cairo. Societe royale geographie d'Egypte, 1930 — 4.

- ٣- - المذكرات السياسية لالين بورو (١٨٢٨ - ١٨٣٠ م) وقد أعدها اللورد كولشيستر في مجلدين - طبعة لندن ١٨٨٦ م .

٤ - تقارير ومحاضر المركوبيس ويلسلى اثناء عمله بالهند فى ٥ مجلدات - طبعة لندن ١٨٤٠ م .

٥ - اللورد منتو فى الهند «حياة ورسائل جليبرد اليوت الارل الاول لمنتومن عام ١٨٠٧ الى عام ١٨١٤ م عندما كان يشغل منصب الحاكم العام للهند» طبعة لندن ١٨٨٠ م .

٦ - مختارات من التقارير والمعاهدات وغيرها من الوثائق الخاصة بالماركوبيس ويلسلى خلال توليه حكومة الهند - طبعة اكسفورد ١٨٧٧ م .

٧ - تقارير رسائل ومذكرات الفيلد مارشال ارثر دوق ولنجتون ، وقد قام بالتحقيق فيها ابنه دوق ولنجتون أيضا فى ٨ مجلدات - طبعة لندن ١٨٦٧ - ١٨٧٣ م .

٥ - أعمال معاصرة لسير الرحلات وأعمال ثانوية

١ - جزر البحرين : دراسة دبلوماسية وقانونية للنزاع البريطانى الايرانى : اعداد الاميرالية البريطانية - طبعة نيويورك ١٨٥٥ م .

AUCHER — ELOY, Relations de voyages en orient, 2 vols, Paris, 1843.

AUZOUX, La France et Mupscate aux dixhaitieme et dix-neuvieme siecles, Reuve d'Histoire diplomqtiaue, xxIII (1909).

٤ - « الشعاع الشائع بالمعان فى ذكر ائمة عمان » تأليف ابن رزيق وترجمة الأب بادجر .

٥ - « الرق فى الهند البريطانية » تأليف د.ر باناجى - طبعة بومباى ١٨٣٣ م .
٦ - « حكم احمد بن سعيد - امام عمان » مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩٤١ م بقلم بكنجهام .

٧ - بريطانيا العظمى وروسيا والمسألة الشرقية ١٨٣٢ - ١٨٤١ م وهى رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الفلسفة جامعة لندن ١٩٣٣ م تأليف ج.اتسن بولسوفر .

٨ - « أسرة القاجار » تأليف السير هارفورد جونز - طبعة لندن ١٨٣٥ م

٩ - بيان عن انجازات البعثة الملكية الى بلاط فارس ، مجلدان - طبعة لندن ١٨٣٤ م .

١٠ - رحلات فى آشورية وميديا وفارس ، مجلدان - طبعة لندن ١٨٣٨ م بقلم ج.ا.س بكنجهام .

- ١١- « رحلات الى شبه الجزيرة العربية » مجلدان - طبعة لندن ١٨٢٩ م بقلم
بكنجهام .
- ١٢- « ملاحظات عن السكان البدو والوهابيين » طبعة لندن ١٨٣٠ م بقلم
بكنجهام .
- ١٣- « بعثة المسح لنهرى الفرات ودجلة » مجلدان - طبعة لندن ١٨٥٠ م بقلم
اف.ار. شيزم .
- ١٤- « قصة بعثة المسح للفرات » طبعة لندن ١٨٦٨ م بقلم اف.ار. شيزم .
- ١٥- تقرير عن رحلة برية من الشخرة الى مسقط والجبل الأخضر فى عمان ، من
اعمال الجمعية الجغرافية فى بومباى (١٨٤٧ - ١٨٤٩) بقلم اللفتنانت
كول .
- ١٦- « اصطيد العبيد فى المحيط للهندي سنة ١٨٣٧ م » طبعة لندن بقلم الكابتن
بى. كولوب .
- (CORANCEZ), L. A. Histoire des wahabis depuis Leur ovigine
Jusqu'à La Fin 1809, Paris 1810.
- ١٨- « افريقية الشرقية وغازاتها » تاليف السير رجينالد كوبلاند - طبعة اكسفورد
١٩٣٨ م .
- ١٩- « استعمار افريقية الشرقية » طبعة لندن ١٩٣٩ م بقلم رجينالد كوبلاند .
- ٢٠- « فارس والمسألة الفارسية » تاليف المركويس كرزى ، مجلدان - طبعة لندن
١٨٩٢ م .
- ٢١- « اللعبة الكبرى فى آسيا » من محاضر رايلى ، الاكاديمية البريطانية
١٩٢٧ م بقلم ا.ج. دبليو.سى. ديفيس .
- ٢٢- « مؤسس مصر الحديثة » تاليف ا.ج. دودويل - طبعة كمبردج
١٩٣١ م .
- ٢٣- « وصف لرحلة خراسان خلال عامى ١٨٢١ - ١٨٢٢ م » بقلم جى.بى.
فريزر - طبعة لندن ١٨٢٥ م .
- ٢٤- « مهمة بارتل فريزر فى زنجبار » المجلة التاريخية ، مجلد ٢ (١٩٦٢ م)
بقلم ار.جى. جيفين .

- ٢٥- « مذكرات رحلة عبر الأجزاء الغربية من مكران » مجلة الجمعية الجغرافية الآسيوية الملكية (١٨٣٩ م) بقلم ان.بى جرانت .
- ٢٦- « اغا محمد خان وقيام الدولة الفاجارية » مجلة جمعية آسيا الوسطى الملكية فصل ١ مجلد ٢ (ابريل ١٩١٣) بقلم جى.ار.جى هامبلى .
- ٢٧- الطرق البريطانية الى الهند » بقلم اج.ال هوسكر - طبعة نيويورك ١٩٢٨ م
- ٢٨- « حملة اوترام وهافلوك الفارسية » بقلم جى.اج هانت - طبعة لندن ١٨٥٨ م .
- ٢٩- « رحلة من الهند فى اتجاه انجلترا خلال عام ١٧٩٧ م » بقلم جى جاكسون طبعة لندن ١٧٩٩ م .
- ٣٠- « حياة ورسائل السير جون مالكولم » مجلدان - طبعة لندن ١٨٥٦ م بقلم السير جى دبليو كيه .
- ٣١- « السياسة البريطانية فى الخليج » ١٨١٣ - ١٨٤٣ م رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة لندن (لم تنشر) ١٩٥٦ م
- ٣٢- « مطالبة فارس بالبحرين » - الشئون الدولية (١٩٥٧ م) بقلم جى.بى كيلي .
- ٣٣- « الجزيرة العربية وحدودها الشرقية » طبعة لندن - بقلم جى.بى كيلي - ترجمة محمد امين عبد الله (١٩٦٤ م) .
- ٣٤- « حملة محمد على الى الخليج » ١٨٣٧ - ١٨٤٠ م - دراسات الشرق الاوسط بقلم جى.بى كيلي .
- ٣٥- « ملاحظات لعمليات مسح للسواحل الشرقية للخليج فى عام ١٨٢٨ م » مجلة الجمعية الجغرافية الملكية - المجلد الخامس (١٨٣٥ م) .
- ٣٦- « حياة الجنرال اف.ار شيزنى » بقلم قرينته وكريمته لين وبول - طبعة لندن ١٨٥٥ م .
- ٣٧- « تقييم وتوزيع سفن الاسطول الحربى البريطانى فى القرن التاسع عشر » مجلة مارين ميرور - عدد شهر ابريل ١٩٤٨ م .
- ٣٨- « اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » طبعة اكسفورد ١٩٥٢ م بقلم اس.اج لونجرج .

- ٣٩- « تاريخ الأسطول الهندي » تأليف سي. ار. لوو - مجلدان - طبعة لندن ١٨٧٧ م .
- ٤٠- « تاريخ فارس » مجلدان - طبعة لندن ١٨١٥ م تأليف السير جون مالكولم .
- ٤١- « تاريخ السيد سعيد سلطان في مسقط » طبعة لندن (تأليف الشيخ منصور) ترجمة موريزى - طبعة لندن ١٨١٩ م .
- ٤٢- « تاريخ مصر في ظل حكم محمد علي » مجلدان - طبعة باريس ١٨٢٣ م تأليف اف منجن .
- ٤٣- « رحلة شتوية عبر روسيا وجبال القوقاز وجورجيا » مجلدان - تأليف الكابتن ار. اى. مجان - طبعة لندن ١٨٣٩ م .
- ٤٤- « فى الطريق من صحار الى البريمي فى عمان » بقلم الكولونيل اس. بى. مايلز - مجلة فرع البنغال للجمعية الآسيوية الملكية (١٨٧٧ م) .
- ٤٥- « بلدان وقبائل الخليج » مجلدان - طبعة لندن ١٩١٩ م بقلم اس. بى. مايلز .
- ٤٦- « وصف شبه الجزيرة العربية » بقلم كارستنان يينهور - طبعة كوبنهاجن ١٧٧٣ م .
- ٤٧- « ترجمة لكتيب عربى يبحث فى تاريخ الوهابيين وعقيدهم » بقلم عبد الله حفيد محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية - مجلة جمعية البنغال الآسيوية .
- ٤٨- رحلة عبر الامبراطورية العثمانية من مصر الى فارس - ٦ مجلدات - طبعة باريس ١٨٠١ - ١٨٠٧ م .
- ٤٩- الحملة الفارسية عام ١٨٥٧ م - طبعة لندن ١٨٦٠ م بقلم السير المفتنانت جنرال جيمس اوترام .
- ٥٠- « ملاحظات رحلة من غزة عبر المنطقة الداخلية من شبه الجزيرة الى القطيف على الخليج ومنها الى عمان » عام ١٨٦٢ - ١٨٦٣ م الجمعية الجغرافية الملكية - مجلد ٨ - ١٨٦٣ - ١٨٦٤ م بقلم دبليو جى بلجريف .

- ٥١- « ملاحظات عن رحلة الى أواسط وشرق وجنوب الجزيرة خلال عامي ١٨٦٢ و ١٨٦٣ م » الجمعية الجغرافية الملكية - عدد ٣٤ (١٨٦٤ م) ، بقلم ديليو جى بلجريف .
- ٥٢- « رحلة عام عبر أواسط وشرق الجزيرة العربية » مجلدان - طبعة لندن ١٨٦٥ م بقلم ديليو جى بلجريف .
- ٥٣- « رحلات الى آسيا وأفريقية » طبعة لندن ١٨٠٨ م بقلم ابراهام بيرسون .
- ٥٤- « ملاحظات عن القبائل والتجارة والموارد حول الخط الساحلى للخليج » جمعية بومباى الجغرافية (١٨٦٣ م) بقلم اللفتناننت كولونيل ليومى بيلى .
- ٥٥- بيان عن رحلة حديثة عبر الجزء الشمالى للخليج بقلم بيلى .
- ٥٦- « زيارة لعاصمة الوهابيين فى أواسط شبه الجزيرة » بقلم بيلى .
- ٥٧- « الساحل الشرقى لشبه جزيرة العرب فيما بين مسقط وصحار » بقلم ديليو . ام بنجلى .
- ٥٨- « شبه جزيرة العرب » بقلم جى . بى فيلبى - طبعة لندن ١٨٩٠ م .
- ٥٩- « العربية السعودية » طبعة لندن ١٩٥٥ م بقلم جى . بى فيلبى .
- ٦٠- « شركة الهند الشرقية » ١٧٨٤ - ١٨٣٤ م طبعة مانشستر - بقلم س . اج فيلبس .
- ٦١- « بريطانيا وروسيا فى الشرق » طبعة لندن ١٨٧٥ م للسير هنرى رولنسون .
- ٦٢- « تاريخ الوهابيين فى شبه الجزيرة العربية والهند » مجلة فرع بومباى للجمعية الآسيوية الملكية ١٨٧٨ - ١٨٨٠ م بقلم اى ريهانتسك .
- ٦٣- « مهمة الى بلاطات مسقط والصين وكوشين خلال اعوام ١٨٣٢ - ١٨٣٣ - ١٨٣٤ م طبعة نيويورك ١٨٧٣ م بقلم الكابتن لدموند روبرتس .
- ٦٤- « الانعكاسات السياسية لحملة بونايرت الشرقية » بقلم جى هولاندوز (المجلة التاريخية البريطانية) .
- ٦٥- « مذكرة حول التقسيمات القبلية فى اقليم عمان - مع خريطة توضح التوزيع العام للقبائل وشجرة العائلة للاسرة الحاكمة فى مسقط » بقلم روس .

- ٦٦- « تاريخ عمان حتى عام ١٧٢٨ م بعد الميلاد - جمعية البنغال الآسيوية
(١٨٦٨ - ١٨٧٣ م) بقلم اللفتنانت كولونيل اى. اس روس :
- ٦٧- «مذكرات اميرة عربية» بقلم السيدة اميلي رويتى - طبعة لندن ١٨٨٨ م.
- ٦٨- « وصف لرحلة حول العالم خلال اعوام ١٨٣٥ و ١٨٣٦ و ١٨٣٧ م » طبعة
لندن - بقلم دبليو اس دبليو راشنبرجر .
- ٦٩- « الجنرال رجبى ، وزنجبار وتجار الرقيق » طبعة لندن ١٩٣٦ م بقلم ابنته
السيدة راسيل .
- ٧٠- « سعيد بن سلطان » طبعة لندن ١٩٢٩ م بقلم رودولف سعيد رويثى .
- ٧١- « موجز الموسوعة الاسلامية » بقلم اج. اى. ار جب ، وجى. اج كريمرز -
طبعة لندن ١٩٥٣ م .
- ٧٢- « ملاحظات خلال رحلة استطلاعية للساحل الشرقى من افريقية ابتداء من
رأس القرضوفى جنوباً الى جزيرة زنجبار » مترجمة - جمعية بومباي
الجغرافية - بقلم الكابتن تى سيمى (١٨٨٤ م) .
- ٧٣- « رحلة نصف شهر عبر مسالك خوزستان وفارس غير المطروقة » مجلدان -
طبعة لندن ١٨٣٢ م بقلم جى. اج ستوكلر .
- ٧٤- « شيخ فارس » مجلدان - لندن ١٩١٥ م بقلم السير بوس سكايز .
- ٧٥- « قضية جزر البحرين » (بالفرنسية) تأليف علام رضا تاج بخش - طبعة
باريس ١٩٦٠ م .
- ٧٦- « انجلترا والشرق الأدنى » طبعة لندن ١٩٣٦ م بقلم اج دبليو تى تمبرلى .
- ٧٧- « عبر الربع الخالى » بقلم وليفر دفيسجر - المجلة الجغرافية .
- ٧٨- « رحلة اخرى عبر الربع الخالى » بقلم وليفر دفيسجر - المجلة الجغرافية .
- ٧٩- « حدود الصحراء العمانية » بقلم وليفر دفيسجر - المجلة الجغرافية .
- ٨٠- « بالمستون ومشكلة لبنان » ١٨٣٢ م « مجلة التاريخ الحديث - بقلم
ام فيريت .
- ٨١- « تاريخ فارس بدءاً من القرن التاسع عشر حتى عام ١٨٥٨ م » طبعة لندن
بقلم ار. جى واتسون .

- ٨٢- « وصف لرحلة عبر داخلية عمان » بقلم اللفتنانت جي.ار.ولستد ،
- ٨٣- « رحلات فى شبه الجزيرة العربية » مجلدان - طبعة لندن ١٨٢٨ - بقلم اللفتنانت جي.ار.ولستد .
- ٨٤- « رحلات الى مدينة الخلفاء ، عبر سواحل الخليج والبحر الأبيض المتوسط » مجلدان - طبعة لندن - بقلم جي.ار.ولستد .
- ٨٥- « بيانات عن رحلة الى عمان على امتداد الساحل الشرقى لشبه الجزيرة » مترجمة - جمعية بومباى الجغرافية - بقلم اف وايتلوك .
- ٨٦- « معلومات عن العرب القاطنين الساحل الواقع بين رأس الخيمة وأبو ظبى على الخليج والذى يطلق عليه ساحل القراصنة » بقلم اف وايتلوك .
- ٨٧- « وصف تصويرى لجزر الساحل الواقع عند مدخل الخليج » الجمعية الجغرافية الملكية (١٨٢٨ م) بقلم اف وايتلوك .
- ٨٨- « الخليج » طبعة لكسفورد ١٩٢٨ م بقلم السير أرنولد ويلسون .
- ٨٩- « مذكرة تتناول مصائد اللؤلؤ فى الخليج » بقلم الماجور دى ويلسون ، الجمعية الجغرافية الملكية (١٨٣٣ م) .



فهرس الجزء الثاني

الموضوع	صحيفة
الفصل العاشر تجارة الرقيق (١٨٠٠ - ١٨٤٢ م)	٣
الفصل الحادى عشر الحرب الفارسية (١٨٥٦ - ١٨٥٧ م)	٨٠
الفصل الثانى عشر مسطق البحرين ، تصاعد عمليات التدخل (١٨٥٣ - ١٨٦٤ م)	١٧١
الفصل الثالث عشر الحملة على تجارة الرقيق (١٨٤٢ - ١٨٧٣ م)	٣١٧
الفصل الرابع عشر مسطق والبحرين - ثمن التدخل (١٨٥٦ - ١٨٧١ م)	٤٤٤
الفصل الخامس عشر الحملة التركية على الأحساء (١٨٧١ - ١٨٧٣ م)	٥٨٢
الفصل السادس عشر حدود السياسة التركية على سواحل شبه الجزيرة العربية (١٨٧٣ - ١٨٨٠ م)	٦٣٨
خاتمة الكتاب	٧٥٧
البيبلوجرافيا	٧٦٧

تنبیه

ان الآراء والمعلومات الواردة في هذا الكتاب هي على مسؤولية المؤلف ، ولا تعبر بحسب من الأحوال عن آراء حكومة سلطنة عمان ، ولا تتحمل ازاءها آية مسؤولية .

اعد الكتاب للطبع وراجعه الاستاذ عبد المنعم عامر

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٥٠٤٠

